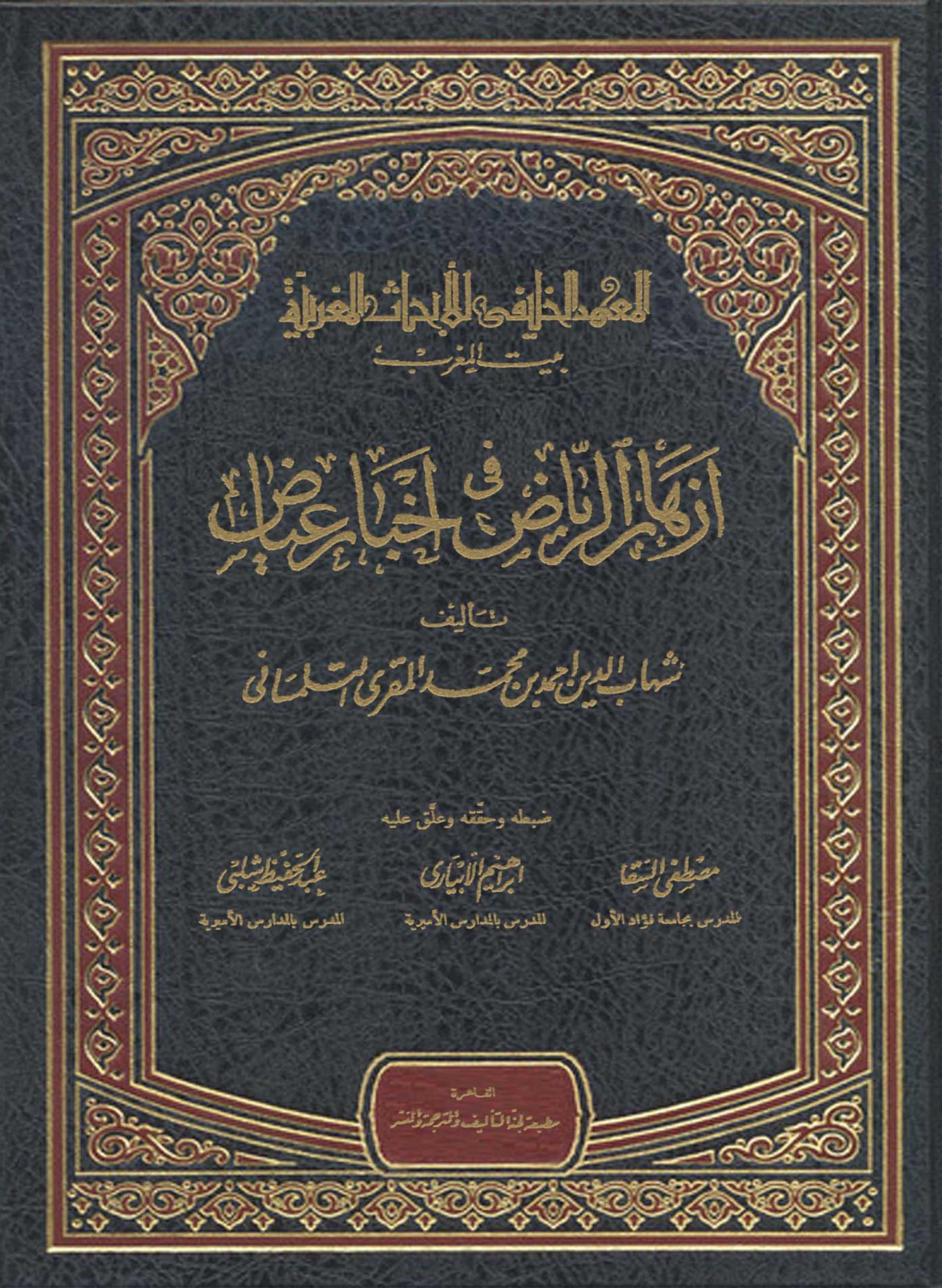

المعهد الخليفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب
أزهار الرياض في أخبار عياض
تأليف
شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني
ضبطه وحققه وعلق عليه
مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول
إبراهيم الأبياري
المدرس بالمدارس الأميرية
عبد الحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية
القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

المعهد الخليفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب

أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

ضبطه وحققه وعلّق عليه

مصطفى السقا	ابراهيم الابيارى	عبد الحفيظ شلبي
المدرس بجامعة فؤاد الأول	المدرس بالمدارس الأميرية	المدرس بالمدارس الأميرية

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م



صورة صاحب السمو الخليفة المعظم مولاى الحسن بن المهدى العلوى خليفة جلالة ملك
المغرب الأقصى ، وباعث النهضة العلمية ، ومؤسس المعهد الخليفى بتطوان
وبيت المغرب بمصر ، ومن آثار سموه نشر هذا الكتاب

مقدمة الناشرين

كتاب « أزهار الرياض فى أخبار عِياض » ، من خير ما أُلّف فى أدب المغاربة ، نرجو أن ننشر بنشره آية فَخَار من مجد علماء الإسلام ، وأن نضيف إلى الأدب العربى الخالد ، صفحة مُشْرِقة من الأدب المغربى الزاهى الألوان ، وأن نضع بين يدى العلماء والنقاد خير الوثائق وأنفس المصادر التى يُعْتمد عليها فى تاريخ الآداب .

أما مؤلفه فهو حافظ عصره فى علوم الدين ، وحُجة زمانه فى علوم الدنيا ، وخاتمة أدباء المغرب ، الذى جمع الشعر والكتابة والخطابة ، والمحاضرة والمسامرة ، شهاب الدين أحمد بن محمد المَقّرى التِّلِمْسَانِىّ ، صاحب « نفح الطيب » وغيره من الكتب الممتعة . تُوُفى سنة إحدى وأربعين وألف للهجرة بالقاهرة .

وأما المؤلَّف فى ترجمته وسيرته فهو قاضى المغرب الأجل ، وحافظه الأكبر ، الإمام الطائر الصيت ، عِياض بن موسى اليَحْصُبى السَّبتى صاحب الشفاء ومشارق الأنوار وكثير من المصنفات الجليلة فى الدين وعلوم اللغة والنحو والأنساب . تُوُفى سنة ٥٤٤ هـ بمراكش .

وكتاب أزهار الرياض فى أخبار عياض ، هو كصِنْوه نفح الطيب ، فى أخبار لسان الدين بن الخطيب ، كلاهما قد تضمن ترجمة واسعة خِصبة النواحى ، لعَلَم مفرد من أفذاذ الرجال فى المغرب والأندلس ، وقد استطاع مؤلفهما أبو العبّاس المقّرى أن يجعل كلا من صاحبى الترجمة مركزا لدائرة معارف تاريخية وأدبية ، تحوى أخبار عصره ومصره ، لا ، بل تستوعب كثيراً من أخبار الأجيال التى تعاقبت فى الأندلس والمغرب إلى زمان وجوده ، وهما لذلك جديران أن يُعَدَّا من أعظم الأركان التى يقوم عليها تاريخ تلك البلاد .

و بين الكتابين وجوه من الشبه ، وتشابه فى المزايا ، لا نريد إحصاءها فى هذه المقدمة الموجزة ، وبحسبنا أن نذكر هنا المنهج الذى انفردا به دون أكثر كتب التراجم العربية القديمة ، فإن مؤلفنا الشيخ المقّرى يرسُم للترجمة خطة واضحة ، ويرتب عناصرها ترتيباً حسناً ، ويتغلغل فى التفاصيل ويتعمق ، ويتتبع أخبار المترجَم حتى قبل ولادته ، ويتجسس عن أوليته وأسرته ، ويبحث عن نشأته فى صباه وشبابه وكهولته ، ثم يذكر شيوخه الذين أخذ العلم عنهم ، فى كثير من التفصيل والعناية بذكر مؤلفاتهم ، ويخص بالعناية النِّتاج الأدبى للمترجم ، ويذكر تآليفه ، وتصرفه فى الحياة ، وعمله فى خدمة السلطان ، ووفاته ، وآراء الناس فيه .

منهج المؤلف فى أزهار الرياض ونفح الطيب متأثر تأثراً مّا بمنهج لسان الدين ابن الخطيب فى كتاب الإحاطة فى أخبار غَرناطة ، فإن هذه الكتب تتشابه فى العناصر التى تتألف منها الترجمة ، وفى أسلوب الإنشاء ، إلا أن لسان الدين كان أميل إلى مجانبة الاستطراد الذى فشا فى تواليف المقرى ، وطَبَعَها بهذا الطابعَ الخاص .

ألف المقرى كتاب أزهار الرياض فى مدينة فاس ، فى المدة التى بين سنتى ١٠١٣ و ١٠٢٧ للهجرة ، إذ كان قد نزح عن وطنه لأسباب سياسية ، واتخذ فاس مقرا له ، وكان الباعث له على تأليفه رغبة أهالى بلده تِلِمْسان فى التعريف بالقاضى عِياض ، عالم المغرب الأوسط وقاضيه الأشهر ، وقد ألَمّ فى هذه الترجمة بكثير من شئون بلاد الأندلس ، وذكر طائفة من أخبار لسان الدين بن الخطيب وأحوال المسلمين فى عصر الجلاء عن الأندلس ، على سبيل الاستطراد ، ثم ألّف كتاب نفح الطيب بعد سنة ١٠٢٨ فى القاهرة ، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلمائها فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب ، فذكر كثيراً من شئون

الأندلس فى تفصيل وترتيب عجيبين . ومن أجل هذا يظهر للمتأمل أن المؤلف كان مضطرا أن يكرر فى نفح الطيب طائفة من الأخبار التى ذكرها من قبل فى أزهار الرياض ، لبعد ما بين الأفقين اللذين ظهر فيهما الكتابان .

وقد يمتاز أزهار الرياض ، فوق اشتماله على ترجمة القاضى عياض ، بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية ، التى لم ترد فى نفح الطيب ولا فى غيره من الكتب المطبوعة حتى الآن ، وإنما بادت أصولها ، أو هى لا تزال سرا مطويا فى خزائن الكتب لم تنشره المطابع بعد . ولذلك يُعَد نشر هذا الأثر الجليل اليوم ثروة جديدة تضاف إلى ما سبق نشره من آثار المغرب والأندلس فى عالم الدراسات العربية .

وكان الفضل فى إخراج هذا الكتاب الجليل ، على هذا الوضع الأنيق ، « لمكتب التبادل الثقافى » التابع للمعهد الخليفى بتطوان ، الذى أسسه سمو الخليفة المعظم **مولاى الحسن بن المهدى** ، فقد اختط خطة موفقة فى نشر الكتب النفيسة ، التى تحيي آثار السلف . وكان هذا الكتاب باكورة أعماله ، وأول ثماره .

ولما عُهِد إلينا فى تحقيق هذا الكتاب ، بالأسلوب العلمى الذى يجرى عليه علماء المشرقيات ، فتشنا عما يوجد من أصوله المخطوطة والمطبوعة فى دار الكتب المصرية ، فعثرنا منه على النسخ الآتية :

الأولى : النسخة المخطوطة المرموز لها فى حواشى هذه الطبعة بالحرف (ط) ، ورقمها فى دار الكتب المصرية (٢٠١٣ تاريخ) وهى فى ألف ومئة وسبعين صفحة ، من القطع المتوسط ، طول الجزء المكتوب فى كل منها عشرون سنتيمتراً وعرضه عشرة . وهى مخطوطة بخطوط مختلفة ، فالست والأربعون صفحة الأولى بخط مغربى جميل ، وما بعدها إلى صفحة ١٠٥٨ بخط نسخى معتاد ، ويتلو ذلك

الثالثة : النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية فى دار الكتب المصرية ، ورقمها (٧٩٤ تاريخ) ، وهى فى أربعة أجزاء :

الجزء الأول منها هو المطبوع بتونس المقدم ذكره ، المرموز إليه فى حواشى طبعتنا بالحرف (ت) .

والجزء الثانى مخطوط يحتوى على بقية الروضة الأولى ، وتبقى منها بقية تأتى فى الجزء الثالث .

والجزء الثالث يتضمن بقية الروضة الأولى كلها وتنتهى فى الصفحة ٤٣ ، والروضة الثانية كلها إلى الصفحة ١٠٥ ، ثم الروضة الرابعة جميعها إلى نهاية هذا الجزء فى صفحة ٤٤٢ .

والجزء الرابع يحوى الروضة الرابعة من أوله إلى الصفحة ٣٠٥ ثم الخامسة إلى الصفحة ٤٥٠ .

وهذا الجزء ينتهى بآخر رحلة أبى عبد الله المقرى . وفى نهايته بخط المرحوم أحمد تيمور باشا ما نصه :

« والروضة السادسة والسابعة والثامنة تأتى فى جزء خامس » . وليس لهذه النسخة جزء خامس فى الحقيقة ، وهى أجود خطًّا من النسخة (ط) .

وجاء فى آخرها أيضاً أنها نقلت من نسخة قديمة فى مكتبة الملك الظاهر بدمشق ، وأن كاتبها هو محمد صادق فهمى المالح سنة ١٣٤٥ ﻫ

والنسخ الثلاث من هذه الأصول متشابهة فى كثرة ما بها من الخطأ والتحريف والكلمات الغامضة ، التى تصعب قراءتها أو تحار فى فهمها العقول .

وقد جعلنا النسخة (ط) أساساً للطبع ، وعارضنا بها الجزء الأول المطبوع بتونس ، وأثبتنا ماوجدناه من خلاف بينهما بالزيادة والنقص ، وصححنا الأخطاء

اللغوية والنحوية والهجائية الكثيرة ، ولم نكتف بهذا ، بل كنا نفتش عن كل خبر فى مظانّه من الكتب المطبوعة ، مثل نفح الطيب للمؤلِّف ، والإحاطة لابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون ، والاستقصا للسلاوى ، كما كنا نلجأ فى شرح الكلمات الأندلسية والمغربية التى لم ترد فى المعجمات العربية ، إلى تكملة المعجمات العربية للعلامة دُوزى ، وجعلنا كل ملاحظاتنا حواشى فى أسفل صفحات الكتاب إيثاراً لتعجيل الفائدة للقارئ . ولم نشرح من مفردات الألفاظ إلا ماظننا أنه يغمض على القارئ المتوسط ، وما اعتقدنا أن معجمته ليست فى أيدى جميع الناس ، وتركنا بعد ذلك الفرصة لذهن القارئ ، لينشط إلى البحث عما يروم البحث عنه من معانى الأشعار ، ولم نشرح شيئاً من ذلك إلا ما كان ضروريا لابد منه .

وقد وضعنا فى الهوامش الجانبية الخارجية عناوين للمعانى الجزئية ، لتجزئة الموضوع الواحد المطول ، إلى عناصره التى يتألف منها ، وفى ذلك إراحة للذهن ، وتفصيل لمجمل الموضوع ، وتنبيه على مواضع الانتقال : ووضعنا فى الهوامش التى فى الجهة الداخلية أرقام صفحات النسخة المخطوطة المرموز إليها بالحرف (ط) أمام السطر الذى تبدأ عنده الصفحة الجديدة من الأصل المخطوط ، لنسهل المضاهاة على من أراد أن يتتبع ذلك الأصل ، ويعارض به طبعتنا هذه .

وقد عملنا لهذا الجزء فهارس مُنوَّعة ، تيسيراً للبحث والمراجعة .

والله نسأل أن يوفق المعهد الخليفى ويوفقنا إلى إخراج البقية من أجزاء هذا السفر الجليل ، إنه أكرم مسئول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

مصطفى السقا   ابرهيم الابيارى   عبد الحفيظ شلبى

القاهرة فى أول نوفمبر سنة ١٩٣٩



صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[مقدمة المؤلف]

[٢] الحمد لله الذى أَعْلَى مراتبَ العلماء الأعلام ، وزكّى منهم العقولَ الرّاجحة والأحلام ، ومَنَحهم مآثرَ تَقْصُر عَنْ جَمْعها[١] المَحابرُ والأقلام ؛ ومَفاخِرَ طارت كلَّ مَطَار . وجعل مَعاليَهم زاهرة زاهيه ، وأضواء فُهومهم نامية ساميه ، وأنواءَ[٢] عُلومهم هامِعة هاميه[٣] ؛ بِوَاكِف الأمطار[٤] ، وأَطْلَعهم على دَقائقِ الأسرار . وهَدَاهم وهَدَى بهم إلى ترتيب المَدارك ، وتقريب المسالك ؛ وجَلَّى بمَشارق الأنْوار مِنْ مَعارفهم وآدابهم ، عمَّن تمسك بأذيالهم وأَهْدابهم ، غَياهبَ الجَهْل الحَوَالك[٥] ؛ فأضاءت الأقطار . وعرَّفهم المَقاصد الحِسان ، والوسائل المُغْتَبَطَة والإلماع[٦] ، بأصول الرِّواية والسَّماع ؛ والإعلامَ ، بحُدود قواعد الإسلام ؛ وأرشدهم إلى التنبيهات المُستَنْبَطة السامية الأخطار ؛ حتى رَفَلوا من حُلل التحقيق السابغه ، فى مَطارف[٧] وبُرُود ؛ ووَرَدُوا من مَناهل التوفيق السائغه ، كلَّ عَذْبٍ

(١) فى ت : « عن فهمها » .
(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ظهورها ، فيقولون مثلا : مطرنا بنوء الثريا .
(٣) هامعة هامية : أى تسيل فى غزارة وانصباب .
(٤) واكف الأمطار : هاطلها .
(٥) غياهب الجهل : ظلماته . والحوالك : الشديدة السواد .
(٦) الإلماع : التنويه والإشارة .
(٧) المطارف : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كمنبر ومقعد .

بَرُود[١] ؛ وتنسَّموا من حُجَج الحق البالغه ، الروضَ المِعطار ؛ واجتنَوْا أزاهِر[٢] ، أضحت مُنْية الطالب ، و بغْيةَ الرائد[٣] ؛ واجتَلَوْا[٤] جواهر[٥] ، نُظِمت منها الدُّرر والفَرائد ؛ فى أجياد[٦] الأسْطار . فإن أَمَّهم ناقصٌ عَدِيم ، ألفى لديهم الغُنْيَةَ والإكمال ؛ أو قصدهم عَلِيل سقيم ، وجَدَ فى يدَيْهم الشِّفاء ، فنال غاية الآمال ، وظَفِر بمُنْتَهى الأوْطار[٧] . والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمّد أفضلِ العالَمين بإطلاق ، سِراج المُريدين ، وكَنْز العارِفين ، الذى لا يُخْشَى معه إمْلاق ، عُمْدتنا العُظمى ، ووسيلتنا الكُبْرى عند الملك الخلّاق ؛ صاحب المُعْجِزات الباهره ، التى اهتدى بها ذَوُو الأفكار ، والآيات الظاهره ، التى حصل بها التمييز[٨] لمَنْ له استذكار ؛ المُوطَّأ الأكناف[٩] والأخلاق ، المُنْتَقَى من أعظم الذخائر ، وأنفس الأعْلاق[١٠] ، المُخْتار من قَبْل نَشْأة آدمَ والكون

(١) البرود : البارد .
(٢) فى ط : « أزهارا » .
(٣) الرائد : الذى يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث .
(٤) اجتلى : نظر .
(٥) فى ت : « بواهر » .
(٦) فى ت : « بأجياد » .
(٧) الأوطار : جمع وطر «بالتحريك» ، وهو الحاجة .
(٨) فى ت : « التمهيد » .
(٩) الموطأ الأكناف : الكريم الدمث الأخلاق .
(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شىء .
وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طائفة من الكتب ، للقاضى عياض وغيره ، وهى : « الروض المعطار ، فى أخبار الأقطار » لأبى عبد الله الحميرى ؛ و « منية الطالب ، لأعز المطالب » لم يعلم مؤلفه ؛ و « بغية الرائد ، لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد » ؛ و « الغنية » و « الإكمال لكتاب المعلم ، فى شرح صحيح مسلم » ، وهذه الثلاثة للقاضى عياض ؛ و « سراج المريدين » لأبى بكر بن العربى . و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه ؛ و « الذخائر والأعلاق ، فى آداب النفوس ومكارم الأخلاق » لأبى عبد الله الباهلى الإشبيلى ؛ و « الموطأ » للإمام مالك . و « المنتقى » اسم لعدة كتب .

لم تُفتح له أغْلاق ، صَلّى اللهُ وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين لنُجومهم فى سماء الحق ائتلاق ؛ صلاةً وتَسْليما دائمَيْن ، ما أنشِئَت فى ثنائه الأحمدىّ ، [٣] وأُنشدت بفِنائه المحمّدىّ ، القصائدُ والأبياتُ والأشطار . و بعد[1] :

فيقولُ أحمدُ ذو القُصُو ... رِ المَقَّرِىُّ إذا انتسبْ[2]
جَبَرَ المُهيمنُ صَدْعَهُ ... ووَقاهُ سَيِّئَ ما اكتسب
وحَبَاهُ مِنْحةَ مُؤْمِنٍ ... مَحَضَ العبادةَ واُحتسب[3]

وأَسْدى إليه من المَواهب أَسْناها ، ومن العواقب حُسْناها :

إنه لما سَبق القضاء وجَرت الأقدار ، بارتحالى عن الوطن المَحْبوب والقَرار ، بعد أن شَمِمْت عَرارهُ[4] النَّجْدِىّ ولا أشجانَ ولا أكدار[5] ، فى عَشيَّة لم يكن بعدها من عَرار ؛ ونَزَحْتُ عن بلد ، به الوالدُ وما وَلَد ؛ مَحَلِّ قَطْع التَّمائم[6] ، وفَتْح الكمائم[7] ، سقَى الله عِهادَه[8] صَوْبَ الغمائم :

بَلَدٌ تحُفّ به الرِّياضُ كأنهُ ... وَجْهٌ جَميل والرياضُ عِذارُهُ[9]

---

(١) فى ت : « أما بعد » .
(٢) القصور : العجز .
(٣) محض العبادة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .
(٤) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصمة القشيرى :
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
(٥) فى ط : « بعد أن شممت عرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم بها الكلام .
(٦) التمائم : خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم . يريد بقطع التمائم : وقت أن شب وترعرع .
(٧) الكمائم : أغطية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباه .
(٨) يريد «بالعهاد» : جمع عهد ، وهو الزمان . وفى كتب اللغة أن العهاد جمع العهد ، وهو المطر بعد المطر . أما العهد للزمان فجمعه عهود .
(٩) العذار : جانب اللحية . وهذا البيت والذى بعده للسان الدين بن الخطيب .

وكأنّما واديهِ مِعْصَمُ غادةٍ ومِنَ الجُسورِ المحكَماتِ سِوارُه

وكانَ ذلك وغُصْن النشاط يانع[١] ، وبُرْد الشباب قَشيب ؛ وشَمْل النفس مجتمع دون مانع ، وكأس[٢] الأنس مُزِج بتَسْنيم القُرب وشِيب[٣] ؛ وفَوْد[٤] الرأس غير خاضع ولا خانع ، إذ[٥] لم تَطْرُق ساحتَه ولم تَجُس خلالَه جيوشُ المَشيب ؛ حللتُ الحَضْرة الفاسيَّة — حاطها الله — حيثُ المجالس غاصَّه ، بالعامة والخاصّه ؛ والمساجد آهلة مَعْموره ، والمشاهد بالزُّوار مَغْموره ؛ وحُلَل المعارف فَضْفاضه ، والعوارف[٦] الجليلة مُفَاضه ؛ حَضرة دِيباجُها رَبيعيّ ، وامتزاجها بالنفوس طَبيعيّ ، ولِمَ لا ، وقد نَظَمَت المفاخرَ ونَسَّقَتْها ، وجَمَعَتِ المآثرَ وَوَسَقَتْها ، جادَتْها غُرُّ السُّحُب[٧] وسَقَتها :

بِلادٌ بها الحَصْباءُ دُرٌّ وتُرْبُها عَبِيرٌ وأَنْفاس الرِّياح شَمُولُ[٨]
تسلسلَ منها ماؤُها وهو مُطْلَقٌ وصحّ نَسِيمُ الرَّوْض وَهْو عَلِيل

فألقيتُ بها عَصَا التَّسْيار ، وقاها الله من الآفات والأغْيار ، واُقتفيت فى ذلك سَنَنَ بعضِ سَلَفى الأخيار ؛ إذ كان أشهرَ أسلافنا الشيخُ الإمام — صاحبُ التصانيف الشهيرة ، التى اقتادت المَحاسن بزِمَام ؛ القاضى الأشهر ، العلاّمة

(١) الأصل فى الينع : نضج الثمار .
(٢) فى ط : « وكأن » .
(٣) تسنيم : ماء فى الجنة . وشيب : خلط (بالبناء للمجهول فيهما) . ولعله راعى المضاف إليه فذكر الفعلين .
(٤) الفود : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن . ويريد بخضوعه وخنوعه : إمالته من كبر وضعف .
(٥) فى ط : « إذا » وهو تحريف .
(٦) العوارف : جمع عارفة ، وهى المعروف .
(٧) فى ت : « السحاب » .
(٨) العبير : الزعفران ، أو هو أخلاط الطيب . والشمول : الخمر ، أو ما برد منها .

الأظهر ، سيّدى أبو عبد الله محمد [بن محمد[١]] بن أحمد المَقَّرِىّ القُرشىّ ، التِّلِمْسانىّ النشأة والقَبْر ، أفاضَ الله سِجَال[٢] الرحمة على مَثْوى ذلك الحَبْر — انتقلَ إليها أيّام السلطان المرحوم أبى عِنانٍ فارس ، فولاّه قضاءَ جماعتها ، وبَنَى له[٣] المتوكليّةَ أعظَم المدارس ، حَسْبما ذَكَره غيرُ واحد من أهل الفهارس ، وأشار إليه الوزير ابنُ الخَطِيب فى كتاب « الإحاطة » التى أحْيَت من التاريخ الرَّسْم الدَّارس .

ولم تزل كُتُب الأقارب والإخوان ترد علىّ ، وتَثْنِى عِنَانَ اعتنائها إلىّ ؛ وتَكَرّر وتَعَدَّد ، وتنتاب وتَتَرَدّد ، وتتنوّع وتتجدّد ؛ فأرتاحُ إليها ارتياحَ الغُصْن عند هزَّته ، وأحِنّ إليها حَنين كُثَيِّرٍ إلى مَعاهد عَزَّته :

[٤]
يا مَنْ يُذكِّرُنى حَديثَ أحبّتِى ... طابَ الحديثُ بِذِكْرِهمْ ويَطيبُ
أَعِدِ الحديثَ علىّ مِنْ جَنَبَاتِهِ ... إنَّ الحديثَ عن الحَبيب حَبيبُ[٤]

وكثيراً ما يحرّكُ ذلك مِنّى كامِنَ شوق ، شَبّ عَمْرُه عن الطَّوْق[٥] ؛ وأجد من لَوَاعِجِ الأُوَار[٦] ، ما وجده الفرزدق عندَ[٧] مُبَاينة النَّوَّار[٨] :

(١) زيادة عن الإحاطة ونفح الطيب .
(٢) جمع سجل ، وهى الدلو الضخمة المملوءة بالماء .
(٣) فى ت : « وبذله » وهو تحريف .
(٤) جنباته : نواحيه .
(٥) أى جاوز حد الاحتمال ؛ مأخوذ من المثل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله جذيمة لعمرو بن عدى ، ابن أخته رقاش ، حين رأى عليه طوقا من ذهب كان له فى صغره ، وقد طوقته به أمه بعد غيبة غابها عنها ، فى حديث طويل ، ذكره الميدانى فى أمثاله وصاحب القاموس فى مادة « طوق » .
(٦) لواعج الأوار ، أى حرق نار الشوق .
(٧) فى ت : « من » .
(٨) يشير إلى ندم الفرزدق لما طلق امرأته النوار فى قوله :
ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت منى مطلقة نوار

بَلَدُ الجزائر ما أمرَّ نَوَاها كَلِفَ الفؤادُ بحُبِّها وهَوَاهَا
يا عاذِلِى فى حُبِّها كُنْ عاذِرى يَكْفِيكَ منها ماؤُها وهَواها

والحنين إلى الوطن مَجال لكل حُرٍّ ومِضْمار !

إيهٍ أحاديثَ نَعمانٍ وساكِنِه إنّ الحديث عن الأحْباب أسْمارُ

وليس بمُسْتَنكَرٍ حنينُ الناب[1] إلى عَطَنه[2] ، والمرءِ إلى محلّ نَشأته ووطنه . وقد رَوَيْنا فى الصحيح من حَنِين سيّد الوجود عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلى مكة ، ما لا يجهله إلا من هو عن العلوم بمَعْزِل . ومن الأبيات السائرة :

كمْ منزلٍ فى الأرض يألفه الفتى[3] وحَنِينُــه أبدًا لأوّل مَنْزِلِ

وربّ ذِكْرى أثارت الأشواق وحرّكتها ، وأنْشبت النفوسَ فى حبائل البُوس وتَركتها ؛ وكم من ماجدٍ بكى لفَقْد المَشاهد ، واُهتمّ لبُعد المعالم والمعاهد :

سلامٌ على تلك المَعاهد إنها مَرَاتع أُلّافى وعَهْد صِحَابى
ويا سَرْحة الحىّ أنعَمِى فلَطالما سكبتُ على مَثْواكِ ماء شَبابى

فللّه تلك المعاهد ، ما أبهج مُحيّاها ! وحاط[4] بعين كلاءته تلك المشاهدَ ، مَا أطيبَ[5] رَيّاها ، حين باكرَها الوَسْمىّ[6] وحيّاها :

(١) الناب : الناقة المسنة ؛ وهى مؤنثة . وقد أعاد الضمير عليها مذكرا ، كأنه نظر إلى الأصل ، وهو الناب من العظم ، فهو مذكر فى الأشهر .
(٢) العطن : وطن الإبل ومبركها حول الماء .
(٣) كذا فى ط وديوان أبى تمام . وفى ت : « كم من منازل كان يألفها الفتى » .
(٤) فى ت : « وبعين كلاءته » .
(٥) فى ت : « فما أطيب » .
(٦) الوسمى : مطر الربيع الأول ؛ لأنه يسم الأرض بالنبات . ويليه « الولى » وهو المطر الثانى .

حَيّا تِلِمْسانَ الحَيا فرُبُوعها صَدَفٌ يَجُود بدُرِّه المكنونِ[١]
ما شِئْتَ من فَضْلٍ عَميم إنْ سَقى أَرْوَى ومَنٍّ لَيْس بالمَمْنون
أو شِئْتَ من دِينٍ إذا قِدْحُ الهُدَى أوْرَى وَدُنيا لم تكنْ بالدُّون[٢]
ورَدَ النسيمُ لها بنشْر حَديقةٍ قدْ أزهرت أفنانُها بفُنون[٣]
وإذا حَبيبةُ أمّ يحيي أنجَبَتْ فلها الشُّفُوف على عُيون العُون[٤]

طالما ذكّرتِ الأُبُلّةَ وشِعْب بوّان[٥] ، وأَنْسَتْ صُروفَ الزّمان الخَوّان ، وأنبتت أزهار أُنس ذاتَ ألوان ، وثِمار نخل من القُرب[٦] ، صِنوانٍ وغير صِنْوان[٧] ، والشملُ مُجْتَمِع بالجيران[٨] والإخوان ؛ والروض مَطْلُول النبات[٩] ، مُخْضَرُّ العذَبَات[١٠] ، مُخْضَلُّ الجَنَبَات[١١] ، مُفَوَّف الخمائل[١٢] ،

---

(١) الحيا : المطر . وهذه الأبيات للسان الدين بن الخطيب .
(٢) أورى : أنار وأضاء .
(٣) نشر الحديقة : ما ينتشر عنها من رائحة طيبة .
(٤) حبيبة أم يحيي : عين ماء بتلمسان ماؤها عذب . (عن هامش الأصل المخطوط) . والشفوف : الرقة . والعون : البقرالوحشي . أى أن ماءها أصفى وأرق من عيون العون .
(٥) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . وشعب بوان : بفارس ، وهو والأبلة من متنزهات الدنيا ، التي سار ذكرها .
(٦) فى ت : « من العزب » .
(٧) الصنوان : المجتمعة ، أو التي أصلها واحد .
(٨) فى ت : « بالأقارب » .
(٩) مطلول النبات : مندى بماء الطل .
(١٠) العذبات ، أى أطراف الأغصان .
(١١) مخضل : مبتل . والجنبات : النواحى ؛ أى إنه غير جاف ولا متصوح .
(١٢) مفوف : فيه بياض . والخمائل : جمع خميلة ، وهى الأرض ذات النبات ؛ يصف نبات هذه الخمائل وقد ظهر عليه النور الأبيض .

مُتَضوِّع الشمائل(١) ؛ مُنْسَاب المـاء ، مُنْجَاب السماء(٢) ؛ والغصون مُتأوِّدة الأعطاف(٣) ، دانية الجَنَى والقِطاف ، والنسيم يَعْبَق نَشْرا ، والجوّ يتألَّق رونقاً و بشرا ؛ فتقصُر عنه أوصاف ذوِى(٤) الإنصاف :

والزَّهْر حيّانا بثَغْر باسِمٍ   والنَّهر قابلَنا بقلبٍ صافِى

ولآلِئ الأنداء(٥) فى الغدير غَرْقَى ، ودموع النهر لا تَرْقَا(٦) ؛ والزهر يسقط ، وأكفّ الريح تكتب ، والغمام يُنَقِّط :

كأَن أكفّ الريح تكتبُ أسْطرًا   على النَّهْر إلّا أَنّ أَحْرفَها زُرْقُ

فتَحنِى عليهن الغصونُ قُدودَها   لتقرأها جَهْرًا من الوَرقِ الوُرْق(٧)

والورقاء تَهتِف لفَقْد إلْف نازح ، فتَهيجُ شَجْو الجادّ والمازح : [٥]

رُبَّ ورقاءَ هَتوفٍ بالضُّحى   ذاتِ شجْوٍ صَدَحَتْ فى فَنَنِ

ذَكَرَت إلفًا ودَهْرًا صالحا   فبكتْ شَجْوًا فهاجَتْ حَزَنى

فبُكائى ربّما أَرَّقَها   وبُكاها رُبَّما أرَّقنى

فإذا تَبْدَؤنى أُسْعِدُها   وإذَا أَبْدؤها تُسْعِدُنى(٨)

ولقدْ تبكِى فَما أَفهمُها   ولقدْ أبكِى فما تَفْهمنى

غيْرَ أنّى بالشَّجَا أَعْرفُها   وهْىَ أيضاً بالشَّجَا تَعْرِفُنى

---

(١) التضوع : انتشار الرائحة الطيبة . والشمائل : جمع شمال وهى الريح . أى أن الرياح تنبعث معطرة بأريج هذا الروض .
(٢) كذا فى ط . ومنجاب السماء ، أى سماؤها صافية . وفى ت : « منجاف » .
(٣) متأودة : تهتز وتميل . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب .
(٤) فى ت « ذى » .
(٥) كذا فى ت . وفى ط : « الأنواء » . وهى النجوم ، وقد يراد بها المطر .
(٦) لا ترقأ (بالهمز وسهل) : لا تسكن .
(٧) الورق : الحمام ؛ الواحدة : ورقاء .
(٨) أسعدها : أعينها على البكاء .

فأَكرِمْ بها من ذات طوْق ، عبَّرت عما فى ضميرها من جوًى وشَوْق ، فساقت لواعجَ الأفكار أى سَوْق ، وبَينها و بين الصَّبِّ فَرْق ، عند ذوى الذَّوْق :

وتَرَنَّمَتْ ذاتُ الجَناح بسُحْرةٍ بالوادِيَيْن فهيَّجَتْ أَشواقِى
وَرْقا تَعلَّمَتِ البُكا والبثَّ مِنْ يَعْقوبَ والأَلْحانَ من إِسْحاق[1]
أَنَّى تُضاهِينِى هوًى وصَبابةً وأَسًى وفرطَ جوًى وفَيْض مآقى[2]
وأَنا الذى أُملِى الهوى من خاطِرى وهى التِى تُمْلِى من الأوراق

فما كان بأسرع من تمزيق ذلك الإِهاب ، وحُصول شَمْله فى يد الانتهاب ، و إنشاد لسان حاله عند الذّهاب :

أَلاَ إنَّ هَذَا الدهرَ يومٌ وليلة[3] يَكُرّانِ من سَبْتٍ عليك إلى سَبْتِ
فَقُلْ لجديد العَيْش لا بُد من بِلًى وقل لاجتماع الشَّمل لابد من شتِّ[4]

وهكذا الدنيا إخْلاء و إمْرار ، و إقرار وإنـكار[5] ، و إعلان و إسرار ؛ تعفِّى كل رَبْع عامر[6] ، و تبدّد شَمْل كل مأمور وآمر :

كأنْ لم يكن بين الحَجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامِرُ[7]

بعدما نَعِمنا بُرْهة من [الزمان ، فى ظلال[8]] الأمان ؛ وقطعنا نُبذة من

(١) يعقوب : هو يعقوب النبي والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وإسحاق : هو ابن إبراهيم الموصلى ؛ من شيوخ المغنين فى الدولة العباسية .
(٢) تضاهينى : تشاكلنى . والمآقى : مجارى الدموع من العيون .
(٣) فى ت : « ألم تر أن الدهر يوم وليلة » .
(٤) شت : تفرق .
(٥) فى ط : « وإنكار وإقرار » .
(٦) تعفى : تطمس وتغير ، والربع : المنزل والدار .
(٧) الحجون والصفا : جبلان بمكة . وهذا البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض .
(٨) زيادة عن ت .

الشّباب ، فى مواطن الأحباب ؛ ما بين دراسة ودِراية ورواية ، وممارسة أمور تُبعد عن طُرق الغَواية ؛ وتَحْبير طُروس ، وملازمة دروس ، ومُثول بين يدى أشياخ مجالستهم نامية الغُروس ؛ وخصوصاً شيخَهم الذى [فضله[1]] لا يفتقر إلى دلاله ، عمَّنا مُفْتِيَها سيدى سعيد بن أحمد المَقَّرىّ ، شَكَر الله خِلالَه ، فهو شيخ أولئك[2] الأعلام الذين وَرِثوا العلم عن غيْرِ كَلاله[3] ، وعَمَروا ربوع المجد ، وتَفَيَّئوا ظِلالَه ، وأرشدوا إلى سُبُل الهُدَى ، وأزاحوا عن الضّلاله ، وعَمَرَت أرضُهم بكل مجد وجَلاله ، وإن نَبَتْ[4] بى لا عن جَفوة ومَلاله ؛ فآهًا على ذلك العَصْر ما أبهاه وأجمله ! وأتمّه وأكمله ؛ عصر يكاد يُكلّمنا فيه الجمادُ ، وتُرْوينا الثِّماد[5] ؛ وتُحيّينا العشيات والبُكَر ، ولا تَنْتابنا التّعِلّات ولا الفِكر ؛ فإن سألنا فَعنْه فى الحقيقة ، وإن صَرّحنا أو كَنَيْنا ، فنعنى حِماه وعَقيقه :

نُسَائلُ عَن ثُماماتٍ بحُزْوَى	وبانُ الرَّمْل يَعلمُ ما عَنَيْنا[6]
وقد كُشِفَ الغِطاءُ فما نُبالى	أَصَرَّحْنا بذِكرىٰ أمْ كَنَيْنا
ولو أنّى أُنَادِى يا سُلَيمَى	لقالُوا ما أردتَ سِوى لُبَيْنَى
ألاَ لله طَيفٌ كان يَسْقِى	بكاسات الكَرى زُورا ومَيْنا
فأمسينا كأنَّا ما افْترقْنا	وأَصْبَحْنا كأنا ما الْتَقَيْنا

[٦]

وكنا نَحسَبُ أن الدهر لا يَدُور ، وأن الأعجازَ صُدور ، والأهلةَ بُدُور ؛

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « هؤلاء » .
(٣) عن غير كلالة : أى باستحقاق . وفى ت : « لا عن كلالة » .
(٤) فى ت : « نفت » .
(٥) الثماد (ككتاب) : جمع ثمد ، وهو الماء القليل .
(٦) الثمام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوى (بالضم) : جبل من جبال الدهناء . والبان : الكثيب من الرمل .

حتى ضرب الدهرُ ضَرَبانَه[١] ، وبدّد الرّفيق من ذلك الفريق وأبانَه ؛ فلم تتأوّدْ قُدود الأغصان ، ولم تَتَرنّح أعطاف الْبان ؛ وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة الجيران والأحباب ؛ الذين :

جَرَى[٢] بعضهم ذاتَ اليمين و بعضُهم شِمــالاً وقلبى بينهم مُتوزِّعُ
فوالله ما أدرى بلَيْــل وقد مَضَت حُمولُهُمُ أَىَّ الفريقين أَتْبَع ؟

وهأنا الآن أحاول إطفاء لهيبٍ بالضلوع وَقَدْ[٣] ، وأعالج أدواء سُقْمٍ جَلّ وكيف لا وقَدْ :

رُوِّعْت بالبَيْن حتى ما أُراعُ بِهِ و بالمَصائِب فى أهلى وجيرانِى
لم يتركِ الدهرُ لى عِلقاً أَضَنُّ به[٤] إلا رَماه بفَقْد أو بِهِجْرانِ

وفى هذا التاريخ الغَريب ، وردتْ كتبٌ من تلك الناحية حركت شَجْو الغريب ؛ والشوقُ إلى لقائهم ، والتَّوْقُ إلى ما يَرِد من تِلقائهم ، يقتادان القَلْب بزِمام فينْقاد ، ويُوقِدان نار الوَجْد بين الضلوع أى إيقاد :

هى الدارُ لا أَصْحُو بها عن عَلاقة [لأمر لنــا بين الجَوانح مُضْمَرِ
فجادَ عَلَى أرجائها الغيثُ إنّهــا منازلُ جيران كـرام ومَعْشر][٥]

وكان من جُملة فُصولها ، وفُروع أُصولها ؛ طابُ التَّعريف والإلمام ، ببعض أحوال الشيخ الإمام ، قاضى الأئمة وعَلَم الأعلام ، عُمْدة أرباب المحابر والأقلام ، ومَفْخَر عُلماء الإسلام ، ذى الفَضائل التى استقلّت رسومُها[٦] ، فلم تحتج إلى إعمال

(١) ضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه .
(٢) فى ت : « حدا » .
(٣) وقد : اتقد واشتعل .
(٤) فى ت : « أظن » ، وهو تحريف .
(٥) ما بين القوسين ساقط فى ت .
(٦) استقلت : علت فبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهى الآثار التى لاظل لها .

الأعلام[١] ؛ والمَحاسن التى بَهَرت أقمارًا وشُموسا ، سيّدى أبى الفَضْل عِياضِ ابن موسى ؛ الشهير الصّيت فى كل قُطْر ، صَبَّ الله على مَثْواه من الرَّحمات شآبيبَ القَطْر :

فهو الإمامُ الذى سارت مآثرُه فى الشَّرْق والغَرْب سيرَ الشَّمس والقمرِ
وكم له من تآليفٍ قد اشتهرَت بكل قُطْر فسَلْ تُنْبيك عن خَبَرِ

فقلت : مالى بهذَا الأمرِ يَدَان ، ولو أيَّدنى كلُّ قاص ودان ؛ وماذا عسى أن أصِف من جَلالة يتهلّل بِشْرُها ، وجَزالة يتضوّع نَشْرها ؛ و بلاغة تَبذّ بلاغة سَحْبان ، و براعة تَقاعس عن رُتْبتها[٢] الشِّيبُ والشبان ، وعِلْم أظْهر غوامِض الحَقائق وأبان ، وحِلْم أرْسخ من رَضْوى وأبان[٣] ؛ ومحَاسن ، ماؤها غير آسِن ، وحُلَى ، حازت مراتب العُلَى ، ومصنّفات ، مُقَرّطات مُشَنَّفات[٤] ، أعْلاقٍ لا تَعدِلُها الأثْمان ، ولا تُشَدّ على مثلها الأيْمان[٥] .

على أنى لستُ من رجال هذا المَجال ، ولا من فُرْسان مَيْدان الإحسان ؛ إذ الباعُ قصير ، والعَقل بقواعد العلم[٦] غيرُ بَصير ؛ والقلب حليف أشجان وأوصاب ، والفكر أليف غُصَص تجرّع منها جَنَى حَنْظَلٍ أوْ صَاب[٧] ؛

---

(١) الأعلام : العلامات يهتدى بها فى الطريق ؛ الواحد : علم .
(٢) فى ت : « وثبتها » .
(٣) رضوى : جبل بالمدينة . وأبان : جبلان ، الأبيض والأسود ، بينهما نحو فرسخ ، الأبيض لبنى جريد من فزارة ، والأسود لبنى والبة منى بنى الحارث بن ثعلبة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى) .
(٤) مقرطات : ذات أقراط . ومشنفات ذات شنوف ، وهى الأقراط توضع فى أعلى الآذان .
(٥) الأيمان : جمع يمين ، وهى اليد اليمنى .
(٦) فى ت : « العلوم » .
(٧) الصاب : شجر مر .

لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر[١] إلا فى همٍّ أو هول ؛ إلى ما دَهِم من الفتن ، التى محت ما بالدهر[٢] من ازديان ؛ وطَرَق من المحن ، التى يُغنى عن خَبَرِها العِيان ؛ فتنوّعَت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكَثُر التَّرداد ، من الخطوب ذات الجموع والأفواج ؛ وتفاقَم وازداد ، هول بحُورها المُتلاطمة الأمواج : [٧]

حملنا من الأيام ما لا نُطيقه ... كما حمل العظمُ الكسيرُ العَصائبَا[٣]

وعصر رجونا منه إبداء مِنْحة ... فأَبْدى ولكن مِحنةً ومصائبَا[٤]

وما حال من قَرَتِ[٥] المَصائِب عيونَه دُموعا وجوانحه جَوى ، ورَمته النوائِب[٦] عن قِسِىّ النَوى ؛ نخلع على الكواكب كَراه ، وبرّح به الشوق وبَراه . وقطع ودِج[٧] صبره وفَراه[٨] ، واعتراه من دَهْره ما اعتراه ، وضاعف ما به كَذِبُ حاسد[٩] افتراه ؛ يأ كل المَحاسن ، ويجْهَل بمَساويه أن يحاسن ؛ ويُعيد الحق باطلا ، والحالىَ عاطلا ؛ ويَقلِب المِنحة مِحْنه ، ويرى المصافاة إحنه ؛ يخاتل مخاتلة الذّيب ، ويُكدِّر مناهل الخُلُوص والتهذيب ، ويقابل الحق

---

(١) فى ت : « ولا فكر » .

(٢) فى ت : « إلى فادح من الفتن التى محت هابا الدهر » . وهو تحريف .

(٣) الكسير : المكسور . والعصائب : جمع عصابة ، وهى مايلف حول الجبيرة ونحوها .

(٤) رواية هذا البيت فى ت :

وعصر رجونا أن يجود بمنحة ... وإدراك آمال فأسدى المصائبا

(٥) كذا فى ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفى ت : «وقرت» . ووقرت ، أى حملت (بالتضعيف) . والمعروف فى هذا المعنى : أوقر .

(٦) فى ط : « ورمته سهام النوائب » .

(٧) كذا فى ط . والودج (محركة) : عرق فى العنق . وفى ت : « وجد » .

(٨) فراه : قطعه .

(٩) فى ت : « خاسر » .

الواضح بالتَّكذيب ؛ ويشتغل بما لا يَعنيه ، ويُعْرِض عما يقرّبه إلى ربه ويُزْلِفه ويُدْنيه[١] :

لى حيلة فيمن يَنِمُّ وليس للكذّاب حيلهْ
من كان يَخْلق ما يقو لُ فحيلتى فيه قليله

إلى الله المُشتكى من هذا وأضرابه ، مِمَّن لم تَصْفُ مواردُ شرابه :

مضت أعمارُنا ومضت سِنُونا ولم تَظْفر بذى ثِقَةٍ يدانِ
وجَرَّبنا الزَّمان فلم يُفِدْنا سوى التَّخْويفِ من أهل الزمان

ولا غَرْوَ أن كان لأهل الزّمان به اشتباه ، ولله قولُ بعض أهل الذكاء والتيقظ والانتباه :

والناس مثلُ زمانِهِمْ قَدُّوا[٢] الحِذاء على مثالِهْ
ورجال دَهْرِك مثل دهـرك فى تَقَلُّبه وحاله
ولذا إذا فَسد الزما ن جرى الفَسادُ على رجاله

أستغفر الله ، هذه نَفْثة مَصْدور ذى أَلَم ، أو هَفْوة مَغْمور ساعدها طُغيان القَلَم :

نَذُمُّ زمانًا ما له من جِناية ونشكوه لو تُغْنِى عن المرء شكواهُ
ولا ذَنْب فينا للزمان وإنما جَنَينا فعُوقبنا بما قد جَنيناه
هو القَدَر الجارى عَلى الكره والرِّضا فَصبْرًا وتَسْليما لما قدّر الله

ونفوسنا أولى باللَّوم ، لو سلكنا سبيل خِيار القوم ؛ واقْتَفَيْنا سَنَن التقوى ، وتمسّكنا بحَبْل التوفيق الأقوى :

---

(١) فى ت : « يقربه لربه زلفى ويدنيه » .
(٢) كذا ط ولعلها محرفة عن : « حذو » أو « قد » وكلاهما مصدر بمعنى قطع الشىء على مثال شىء آخر .

وما دارنا إلا مَواتٌ لَوَ أننا ... نُفَكِّر والأُخرى هى الحَيوانُ

شَرَينا(١) بها عزًّا بهُونٍ جهالةً ... وشتَّانَ عزٌّ للفتى وهَوان

وحُق لمنْ عَلِم تقلّبات الدهر بأهله وتصرّفاته ، أن يستعمل ما بقى من عُمره فيما يُوصله إلى منازل النعيم المُقيم وغُرُفاته :

للدهر قَوْسٌ لا تزال سِهامُها ... تُصْمِى الأنامَ أصاغرًا وأكابرَا

طُوبى لمن هَجر القَبيحَ ولم يكن ... إلّا على فعل الجَميل مثابرا

جعلنا الله ممّن ثابر على فِعل الجميل ، وبلغ من خير الدارَيْن غاية التأميل .

وحين ورد علىَّ هذا الخِطابُ الذى تقدّم ، وألْفَى ركن الاصطبار كاد يتهدّم أو تهدّم ؛ أضربت عن جوابه حِيناً من الدهر ، وماطلت مُقْتَضِىَ دَيْنه من [٨] يوم إلى يوم ، ومن شهر إلى شهر ؛ والأرض تَميد اضطراباً واختلالا ، والأحوال تزيد دَنَفاً واعْتلالا ؛ وأنا أحوم على مناهل الجواب حَوْماً ، وأروم الوُرود فى مَشاربها العَذْبة يوماً فيوماً ؛ والأيام لاتسمح بنَهْله ، ولا تَفسَح(٢) إليها فُسْحة ، ولا توسعها مُهْله ؛ ثم وقع العَزْم والتصميم على جواب هذا السائل ، راجيًا من الله سبحانه أن يكون ذلك من أفضل القُرَب وأعظم الوسائل ؛ ودخلت من هذا الباب بعد أن قرعت ، وأخذت فى هذا الغرض وشرعت ، وشربت من ماء التَّصْنيف وكَرَعت ، وبذَرت فى أرض التَّأْليف وزَرعت ، هذا(٣) مع أنى ما مَهرت ولا برعت ؛ ولا أتقنت لصناعة التأليف عملا :

لكنْ قدرةَ مثلى غيرُ خافيةٍ ... والنّمل يُعْذَر فى القَدْر الذى حَملاَ

وكثيراً ما خرجتُ من الشىء إلى ما يناسبه ويدانيه ؛ وربما أبعدت

(١) شرينا (هنا) : بعنا .
(٢) فى ت : « تفتح » .
(٣) هذه الكلمة « هذا » : ساقطة فى ت .

النُّجْعة[١] ، ثم وقعت الأوبة والرَّجْعة ؛ على رَغْم أنف قالِى ذلك وشانيه ، وقرّبت بذلك كلّه شاسعاً ، كى تسهل مئونته على مُعانيه ، وهصَرت أفنان ألفاظه ومعانيه ؛ ليَقْرُب اقتطافُه لجانيه ؛ وسميته[٢] « بأزهار الرياض ، فى أخبار عياض ، وما يُناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض » ؛ تسميةً وافقت إن شاء الله مَعْناه ، وناسبت منزله ومَغْناه ؛ لأنه جَمع أزاهرَ ذات ألوان ، من وَرْد وأُقحوان ؛ وبَهار[٣] ، عَرْفُه ذو انتشار[٤] ؛ ومَنثور ، روضه مَرِيع[٥] ممْطور ، ونِسْرين[٦] ، يَفُوق أرَجه مِسْك دارين[٧] ؛ وآس[٨] ، عاطر الأنْفاس ؛ وشَقِيق[٩] ، خَلِيق بالمَدْح حَقِيق ؛ ونَيلُوفَر[١٠] ، حازَ من المحاسن النصيبَ الأوْفر ؛ وأجريتُ جداول أنهار ، من الحكايات لسَقْى هذه الأزهار ؛ فأينع النُّوار ، وتألقت الأنْوار ، وتفنَّن الناظر بين أَنْجاد وأغوار ، ولم يَدْرِ وقد انتقل من أطوار إلى أطوار ، وتأمل صَرْحا[١١] بُنى على غير [شفا[١٢]] جُرُفٍ هَار :

أَضِياءُ هَدْى أم ضِياءُ نَهارِ ... وشَذا المَحامدِ أم شذا الأزهارِ

(١) النجعة (بضم النون) : الارتياد والطلب .
(٢) كذا فى ت وهو موافق للمصدر الذى بعده . وفى ط : « ووسمته » .
(٣) الأقحوان : نبت طيب الريح ، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن ، وهو البابونج بالفارسية . والبهار : نبت جعد له فقاحة صفراء ، طيب الرائحة .
(٤) فى ت : « ذو اشتهار » .
(٥) مريع : خصيب .
(٦) النسرين (بكسر النون) : ورد أبيض عطرى الرائحة .
(٧) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . (عن معجم البلدان) .
(٨) الآس : الريحان .
(٩) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود . وفى ط : « والشقيق » .
(١٠) النيلوفر (بفتح النون المشدة وكسرها) : نبات مائى ، له ساق أملس ، فاذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهراً أبيض ، وسطه زعفرانى اللون .
(١١) فى ت : « سرحا » بالسين .
(١٢) زيادة عن ت .

وقد أفْصح تَرْجُمان التراجم عن عدِّها[1] وسَرْدها ، ولوَّح لنُكْتة الاختتام بنَيلوفرها والافتتاح بوَرْدها .

وهى هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، فى أوّلية هذا العالِم الفرْد .

الثانية : روضة الأُقْحوان ؛ فى ذكر حاله فى المَنْشأ والعُنْفوان .

الثالثة : روضة البَهار ، فى ذكر جملة من شيوخه الذين فَضْلُهم أظهر من شمس النّهار .

الرابعة : روضة المنثور ، فى بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة النِّسْرين ، فى تصانيفه العديمة النظير والقَرين .

[٩] **السادسة** : روضة الآس ، فى وفاته وما قابله به الدهر الذى ليس لجُرْحه من آس .

السابعة : روضة الشَّقِيق ، فى جُمَل من [فوائده ، ولُمَع من[2]] فرائده ، المنظومة نظم الدرّ والعَقيق .

الثامنة : روضة النَّيلوفر ، فى ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التى هى أعطر من المسك الأذفَر .

فدونَك أيها الناظر[3] روضاتِ أزهار ، وجناتٍ تجرى من تحتها الأنهار ؛ أبوابها ثمانيه ، وقُطوفها دانيــه ؛ تعَطَّر منها نسيم الصَّبَا بزهر الآداب ، وسما إلى

(١) فى ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ت : « أيها الأخ الناظر » .

مَحاسنها من تعلّق من التاريخ بأهداب[١] ؛ لم أُسْبَق إلى مثلها فيما رأيت ، وإن بَعُدْتُ فيها عن المَهْيع المَطْروق ونأيت ؛ والإنسان مُغْرَم[٢] ببُنَيّات أفكاره ، وإن قُوبل ما صَدر منه بإنكاره ؛ وقد أَنْشَدَتْ بلسان حالها ، مخاطبة من رضى بانتسابها وانتحالها :

سَرِّحْ جُفونَكَ فى الحَدا ئق وأجنِ أزْهار الرياضِ
مِن وَرْدٍ أحْمَرَ أو شَقا ئقَ أو بَهارٍ ذى بَياض
واْشربْ بكاسـاتِ الرَّقا ئقِ من عُيون أو حِياض
وانظُر مناقب ذى الحقا ئقِ عالِمِ الدنيـا عِياض

واكرع بماء التعريف زُلالا ، وأَدِرْ كأسَ التَّشريف حَلالا ؛ وأرْوَ من هذا النهر ، واقطِف ما شئت من أصناف الزَّهْر ؛ وأَخطِر هذه الروضةَ ببالك ، وأدر إليها وجهَ قَبولك وإِقبالك ؛ فمؤلّفها وإن لم يكن بمُصيب ، ولا ممن له فى الإجادة حظّ وافر ولا نصيب[٣] ، فمَنْ أُلِّفت فيه تَحْسن بإِحسانه وتنال[٤] المرعى الخَصِيب :

سلام مثلُ عَرْف المِسك طِيبًا وحُسْنا مثل أزهار الرياضِ
على لَفْظِ الجَلالة والمَعالى إمام الدِّين والدنيا عِياض[٥]
إذا ما قِيس بالعُلَماء طُرًّا غدا بَحْرًا وأَضْحَوا كالحِياض

(١) فى ت : « قطفا إلى محاسنها من تعلق من التاريخ الأهداب » . وهى ظاهرة التحريف .
(٢) فى ت : « يقرع » وهو تحريف .
(٣) فى ط : « وافر ونصيب » .
(٤) أشير فى هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية نسخة أخرى ، وهى : «وترعى» .
(٥) رواية الشطر الثانى من هذا البيت فى ت : « ومعنى المجد والعليا عياض » .

وكنت حين شرعت فى هذا المَجموع السامى ، وأطْلعت على بعضه صاحبَنا الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرّحال ، أبا الحسن سَيدى علىّ بن أحمد الخَزْرجىّ الشامىّ ، حفظ الله كماله ، وبلّغه آماله ، خاطبنى بقصيدة من نظمه ، أسْماه الله ، ألمّ فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفُ خِلاله ، وكرمُ جَلاله ؛ وأشار فيها إلى نَقْض عَزْم الرّحلة التى نَوَيت إذ ذاك[1] للمكان الشريف ، لا حرَمنا[2] الله من[3] مُشاهدته عن قُرب ، فى حفظ وعافية ، بمَنّه ويُمْنِه . وهى هذه ، وأنشدنيها من لفظه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلىّ ، شكر الله صَنيعه :

[١٠]

أَمُفْتِى الغرب أبدعْتُمْ طِرازًا ... نَثرتم فيـــه أَزهار الرِّياضِ[4]

ونَظَّمتمْ عُقودًا من لآلٍ ... لجِيد حُلَى المآثر من عِياض

وأَورقتم غُصونَ عُـــلاه لَمَّا ... سَقاها فِـكْرُكُمْ سَقْىَ الحِياض[5]

ونَمَّقتم مَطارِف ما رَأَينا ... كطُرّتهـا سَوَادًا فى بَياض[6]

ونادَيتمْ عَقائلهَـــــا فذَلّت ... شَوامسُهـا إليكم بارْتِياض[7]

وأسَّسْتم من الآثار طُرًّا ... قواعدَ لا تُساوَمُ[8] بانْتِقاض

لك التَّبْرِيز فى العَلْياء فاقضِ ... على عُلمـائها ما أنت قاضى

(١) فى ت : « ذلك » .
(٢) فى ت : « لا أحرمنا » .
(٣) المسموع أن الفعلين (حرم ، وأحرم) يتعديان بنفسهما إلى مفعولين .
(٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .
(٥) جاء بالفعل « أورق » هنا متعديا ، وهو لازم .
(٦) الطرة : نقش فى الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .
(٧) العقائل : جمع عقيلة ، وهى النجيبة الكريمة ، والشوامس : جمع شامسة ، وهى الممتنعة .
(٨) كذا فى ط . ولا تساوم بانتقاض ، أى لا يطمع فى نقضها ، من المساومة ، وهى المجاذبة بين البائع والمشترى . وفى ت : «لا تسام» ، إلا أن الوزن لا يستقيم بها .

تَبــــدَّيتم بها بَدْرًا وحُزْتم خِصال سباقكم[١] دُون اعْتِراضِ
نُعِتُّمْ بالكَمال بغَيْر عَطْف وكُلُّهُمُ بذاكَ النَّعْت راضى
وما وَفَّوا بحقــكمُ ولكنْ يُؤَدِّى البعضُ من بعضٍ افتراض
بعِلْمكمُ شَفَيْتم أرضَ غَرْبٍ وكانت ذاتَ أحشاءٍ مِرَاض
ولمّا أنْ بدَا منكم فِراقٌ توَقَّعتَ أن يَئول إلى انقراض
وأنّ نُجومها بالبُعد يُخْشَى عليها من سُقوط وانْقضاض
فأرْسلَ شافِعاً خِلٌّ حَشَــاه بهذا البُعْد أَمْست فى انفضاض
يُذَكِّركُمْ ليــالىَ نَيِّراتٍ بأُنْسكمُ تُنير دُجَى المُضاض[٢]
يَوَدّ الطَّرفُ يجعلها اكتحالًا مكانَ سَوادِه دون اغْتِماض
بحقّ الله لا تُبــدِى دُجاها بغَيبةِ بَدْرِكم بعــد أتِّماض[٣]
ولا تُهمِل شفاعةَ مُسْتهام صَدوق الوُدّ فى آتٍ وماضى
ودُمْ للدِّين والدنيا إمامًا وبَحْرَ هُدًى علومُك فى افْتِياض
يَعُمّ الأرضَ ما لاحت[٤] بُدورٌ وما فاحت أزاهرُ فى رياض

يَكْرَع منه المملوكُ عَلًّا ونَهْلا ، و يَضْرع فى الجواب فِعْلاً لا قولا ؛ و يُعيد السلام التامّ ، الزكىّ العامّ ، على المجلس العلمىّ ، ورحمة الله تعالى و بركاته .

انتهى ما كتب به صانه الله ، وأضفى عليه حُلَل المجد .

---

(١) فى ط : « سباقهم » .

(٢) المضاض (بالضم) : وجع يصيب العين (كما فى شرح القاموس) ؛ ويريد بدجى المضاض : ما يجده المريض بعينيه من سواد حالك .

(٣) اتماض : بريق ولمعان ؛ وهو افتعال من ومض . وفى ط « ائتماض » ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) فى ت : « ما دامت » .

وقد ذَكرتُ في هذا الكتاب حكاياتٍ مختلفة ، وفنوناً مفيدة[١] ، يَزْداد الناظر بها معرفة [حَسْبما[٢]] جَرَت بذلك عادة كثير من الأئمة في مُصنّفاتهم ، ومجالس دَرْسهم . وقد قال الماورديّ ، أقضَى القُضاة في كتاب آداب الدين والدنيا[٣] : القلوب تَرْتاح إلى الفُنون المختلِفة ؛ وذَكر أنّ المأمون كان ينتقل في قَصْره من موضع إلى موضع ، ويُنشد قولَ أبي العتاهية :

[١١] لايُصْلِحُ النفسَ إذ كانت مُدَبِّرةً إلا التَّنقلُ من حالٍ إلى حالِ[٤]

وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العُلماء أحبّ إليّ من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيّدنا أبو القاسم الجُنيد ، رضى الله عنه ، ونفعنا ببركاته : الحكاياتُ جُند من جنود الله ، يُقوِّى الله بها أبدانَ المُريدين . وقال الإمام المَوّاق[٥] في كتابه المسمّى «سند المهتدين[٦] » عن شيخه المَنْتورى ، بسنده إلى أبي العبّاس بن العريف ، قال : كنت في مجلس أستاذى أبي على الصَّدَفى[٧] أقرأ عليه الحديث ، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتابَ وجعل

(١) في ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بديعة » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما في كتب الفهارس .
(٤) النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير في الأمور .
(٥) كذا في ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم خطيب غرناطة . وفي ت : « المولق » وهو تحريف .
(٦) كذا في ط . وهو « سند المهتدين في مقامات الدين » . والكتاب محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفي ت : « سنن المهتدى » وهو تحريف .
(٧) هو القاضي أبو على حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصدفى السرقسطى ، يعرف بابن سكرة وبابن الدراج . لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييد الحديث وضبطه ، والعلو في روايته . توفى سنة ٥١٤ هـ . (راجع بغية الملتمس للضبى ، ونفح الطيب للمؤلف ، والصلة لابن بشكوال) .

يَحكى حكايات[١] الصالحين ، فوقع فى نَفْسى : كيف يُجِيز الشيخُ أن يَقْطع حديثَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويحكى الحكايات ؟ قال : فما تمَّ لى الخاطرُ حتى نَظر إلىّ[٢] الشيخ شَزْراً ، وقال : يا أحمد ، الحكاياتُ جُنْدٌ من جنود الله يثبِّت الله بها قلوبَ العارفين من عباده . قال : فما بَقِى فى جَسدى شعرةٌ إلا قطَر منها العرق . فلما رآنى دَهِشت ، قال لى : يا أحمد ، أينَ مِصْداق ذلك من كتاب الله ؟ قلت : الشيخ أعلم ؛ قال : قوله تعالى : « وكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الآية . انتهى .

وهذا آوان الشُّروع ، وعلى الله قَصْد السَّبيل ، وهو حَسْبى ونعم الوكيل .

---

(١) كذا فى ت وسند المهتدين . وفى ط : « حكاية » .
(٢) كذا فى سند المهتدين ، وفى الأصلين : « نظرنى » .

روضة الورد فى أولية هذا الإمام الفرد[١]

نسب عياض

أقول ، وعلى الله أعتمد ، ومن بَحْر كرمه أَسْتَمِدّ :

هذه ترجمة نذكر فيها أصلَه ومَحْتِدَه ، وأَوَّلِيّته ومولدَه .

عند الوادى آشى

قال الشيخ الإمام الرّحال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى[٢] ، الملقّب بشَمْس الدين ، رحمه الله ورَضِى عنه :

هو عِيَاض بن موسى بن عِياض بن عَمْرون بن موسى بن عِياض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليَحْصُبِىّ السَّبْتِىّ . هكذا ذكر نسبَه الشيخُ أبو القاسم المَلّاحى . وعَمْرون ، ثبت عنده بنون بعد الواو .

عند ابن الأبار

ووقع فى مُعْجم أصحاب الصَّدَفِىّ ، للإمام الشهير القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الله القُضَاعى ، المعروف بابن الأبّار : « عمرو » ، دون نون .

عند ابن خاتمة

قلت : ونحوه لابن خاتمة[٣] فى الكتاب المسمّى بـ « مَزِيّة المَرِيَّة ، على غيرها من البلاد الأندلسية » .

عند ابن الملجوم

وقال الشيخ أبو القاسم بن المَلْجوم :

إجتاز علينا القاضى عِياض عند انصرافه من سبْتة قاصدا إلى الحَضْرة ، زائراً لأبى بداره[٤] عشية يوم الأثنين الثامن لرجب ، سنة ثلاث وأربعين وخمس

---

(١) فيما سبق عند الكلام على تقسيم الروضات (ص ١٧ من هذا الجزء) : « العالم الفرد » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن على الهوارى ، من أهل المرية ، كان كفيف البصر ، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب ، وصاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . وقد رحل إلى المشرق فى طلب الحديث . والوادى آشى : نسبة إلى وادى آش (ويقال فيه : وادى الأشات) . وهى مدينة جليلة من أعمال غرناطة . (عن نفح الطيب) .

(٣) ابن خاتمة : هو أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ، من أهل المرية ، يكنى أبا جعفر . (راجع الإحاطة ونفح الطيب) .

(٤) فى ت : « فى داره » .

مِئَة ، وفى هذه العشية استجَزْته[١] ، وسألتُه عن نسبه ؛ فقال لى : إنما أحفظ : « عِياض بن موسى بن عِياض بن عمرون بن موسى بن عياض . وأحفظ أيضا بعد ذلك : محمد[٢] بن عبد الله[٣] بن موسى بن عياض . ولا أعرف أن محمدا هذا هو أبو عياض أو بينهما أحد » . انتهى كلام ابن الملجوم .

[١٢] وقوله « اجتاز علينا » يعنى بمدينة فاس ، وقوله « قاصدا إلى الحضرة » يعنى مَرَّاكُش .

نزوله بدار ابن الغرديس

وأفادنى الشيخُ العارف المُتَبَتِّل ، الرَّبَّانى البَرَكة ، سيدى حُسَين الزَّروِيلِيّ أبقى الله بركاته ، وأدام وُجوده والنفعَ به :

أن القاضىَ عياضاً ، رضى الله عنه ، لما دخل الحَضْرة الفاسيّة ، حاطها الله ، نزل بدار ابن الغرديس التَّغلَبى[٤] بِزَنَقَة حجامة ، حسْبما أشار إليه ابنُ الأحمر ، ولم تزل هذه الدار إلى الآن بيد أولاد ابن الغرديس .

عند ولده محمد

وقال نجلُ عِياض الشيخُ الإمام أبو عبد الله محمدُ بن عِياض ، قاضى دانِيَة[٥] ، عَلى ما قال ابن خِلِّكان ؛ وقاضى غَرناطة ، على ما قال[٦] ابنُ قنفذ وغيرُه . ولعله تَولّى القضاء فيهما معا رحمه الله ، المتوفَّى سنة خمس وسبعين وخمس مئة :

(١) استجزته : طلبت منه أن يجيزنى ، أى يأذن لى بقراءة مؤلفاته ومروياته .
(٢) كذا فى ت ومعجم أصحاب الصدفى لابن الأبار ، وفيما سيأتى فى الأصلين . وفى ط هنا : « أحمد » وهو تحريف .
(٣) لم يذكر ابن الأبار « عبد الله » فى أجداد القاضى عياض .
(٤) هو محمد بن الغرديس قاضى فاس إذ ذاك . (انظر كتاب البستان لابن مريم طبع الجزائر صفحة ٥٤) .
(٥) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، على ضفة البحر شرقا . (عن معجم البلدان) .
(٦) فى ط : « ما قاله » .

« كان أبى يقول : لا أدرى : هل محمّد والد عياض ، أو بينهما رجل ؟ فهو جدّه » . انتهى .

وهو مثل ما حَكى ابنُ الملجوم عن عِياض ، كما سبق قريبا .

عند ابن خلكان

ورأيت فى تاريخ الشَّمس ابن خَلِّكان ، المسمى بـ « وفيات الأعيان » ، فى تَعْداد آباء القاضى عياض ، خلافَ ما سبق ؛ ولا أدرى : هل ذلك تحريف من الناسخ أو وَهم من المؤلف ؟ ونصه : « عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليَحْصُبِى » . انتهى .

فأنت تراه قد أسقط « عمرون[1] » فيما بين عياض وموسى ، وأسقط أيضا « عبد الله » فيما بين « محمد » و « موسى » .

عند ابن خاتمة أيضا

وقد وافقه على إسقاط « عبد الله » الشيخُ العلامة ابن خاتمة فى « مَزِيَّة المَرِيَّة » ، فإنه قال فى باب العين ما نصه : « ومن الغُرباء : عِياض بن موسى ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصَبى[2] » . انتهى .

شىء عن ابن خلكان وابن خلدون

على أن ابن خَلِّكان وغيرَه من المشارقة ربما يقع لهم الغَلط فى تاريخ أهل المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لايخفى على من مارس علم التاريخ ؛ كما أن كثيراً من المغاربة لا يُحرِّرون تاريخ المشارقة ، لما ذكرناه ؛ ولذا قال شيخ الإسلام ابن حَجَر[3] فى تأليفه المسمى بـ « إنباء الغُمْر ، بأنباء العُمْر » حين عرَّف

---

(١) الذى فى وفيات الأعيان لابن خلكان المطبوع يخالف ما ذكره المؤلف ، إذ فيه : « عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتى » بذكر « عمر » فى مكان « عمرون » .

(٢) ووافقهما أيضا ابن الآبار فى معجمه على إسقاط اسم « عبد الله » من نسب عياض .

(٣) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن على ، الشهير بابن حجر العسقلانى ، المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

بشيخه ولىّ الدين بن خلدون الحَضْرَمىّ المَغربىّ قاضى القضاة المالكية ، بالديار المصرية ، وهو صاحب التاريخ الكبير المشهور ، الموسوم بـ « ديوان العِبَر ، وكتاب المبتدأ والخبر ، فى تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر[١] » ما نصه :

« وصنف التاريخ الكبيرَ فى سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ، وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطلعا على الأخبار على جَلِيّتها ، ولا سيّما أخبار[٢] المشرق ، وهذا[٣] بيّن لمن نظر فى كلامه » . انتهى .

وأين هذا الكلام وقولُ[٤] الشيخ[٥] شمس الدين البغدادى فى الشيخ ولىّ الدين عبد الرحمن بن خَلدون المذكور ، رحم الله الجميع :

قاضى القضاة ابنُ خَلدونٍ أتى عَجَبا ... تاريخُه مُخبِرٌ عن سائر الدُّوَلِ

قالوا وَلِىٌّ فقلنا من كرامتـهِ ... وكَشْفِه جاء يُنْبِينا عن الأُوَلِ[٦] [١٣]

وليس بِدْعا ولا فى الله مُمْتَنِعا ... أن يجمع العالَمَ الكُلِّى فى رجل[٧]

وبالجملة فما ذكرنا أولاً فى تَعداد آباء القاضى عياض ، رحمه الله ، هو الذى

---

(١) اسم الكتاب على النسخة المطبوعة ، وفى كشف الظنون ، وفى نفح الطيب : « كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ... » الخ .

(٢) كذا فى ط وإنباء الغمر . وفى ت : « أخبار أهل المشرق » .

(٣) كذا فى ط وأنباء الغمر المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ . وفى ت : « وهو » .

(٤) فى ت : « من قول » .

(٥) هذه الكلمة : « الشيخ » ساقطة فى ت .

(٦) يشير بقوله : « ولى » إلى لقب ابن خلدون وهو : « ولى الدين » .

(٧) ينظر فى هذا البيت إلى قول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

عليه المعوَّل ، وعليه أُعتمد ولدُه ، وابن الملجوم ، وابن بَشْكُوال[١] ، وابن جابر ، وابن الخطيب فى « الإحاطة » ، وغير واحد ؛ وكفى بهؤلاء حُجة . وناهيك بولده وابن المَلْجوم ، الذىأخذ ذلكمن لَفْظه ، حَسْبما سبق آنفا ؛ وهو الصواب الذى لا يُعْدل عنه ، والله تعالى أعلم .

الكلام فى ضبط «اليحصبى»

واليَحْصُبَىّ ، بضم الصاد وكسرها ، وزاد بعضهم فَتْحها[٢] ، ونحوه لابن خلكان ؛ واقتصر بعضُهم على الكَسْر قائلا : وهو الصواب ، بناء على أنها ، أعنى القَبِيلة ، يَحْصِب ، بكسر الصاد ، كتغلِب . ولا أشك أنّ النسب إليه إن كان بكسر الصاد : يَحْصِبِىّ ، بالكسر كتَغْلِبى[٣] ؛ وأما ضم الصاد فى النسب ، فهو مبنى على أن « يحصُب » بضم الصاد[٤] فى الحىّ . قال ابن سيده فى مُحكمه : ويَحصُب : قبيلة ، وإنما هى يحصُب ، يعنى بضم الصّاد ، نُقِلت من قولك : حَصَبه بالحصى يحصُبه ؛ قال ابن جابر : وليس بالقوىّ[٥] .

ويَحْصب : من حِمْير ، وهو يَحْصب بن مُدْرِك ، حسْبما هو مذكور فى كتب الأنساب .

محمد بن عياض يخبرعنموطن أجداده

قال القاضى أبو عبد الله محمّد بن القاضى أبى الفضل عِياض :

---

(١) لم يذكر ابن بشكوال فى الصلة غير : « عياض بن موسى بن عياض اليحصبى » .
(٢) زيد فى هامش ط عند هــذه الـكلمة : « فيكون مثلثا ، ونقل التثليث الجعبرى فى شرح الشاطبية ، وابن مالك فى مثلثاته ، وغيرهما » .
(٣) يجوز فى النسب إلى تغلب ونحوه كسر الثالث وفتحه . وزيد فى هامش ط عند هذه الـكلمة : « فيه نظر يعلم من شرح الشفاء للشهاب . وفى كتب الصرف فى التسهيل : الفتح ، وهو الجارى على قواعد النسب وإن كان بالـكسر ، كأنه كنمر ونحوه » .
(٤) فى ط : « يعنى بضم الصاد » .
(٥) أى أن جعل الفعل من باب نصر ليس بالقوى ، وإنما القوى فيه أنه من باب ضرب .

« استقر أجدادُنا فى القديم بجهة بَسْطة [١] ، من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقَيْروان ، فلا أدْرى أ كان قبل أستقرارهم بالأندلس أم بعده ؟ ولذلك يقول عبد الله بن حَكيم :

وكانت لهم بالقَيْروان مَآثر عليها لِمَحْضِ الحق أوضح بُرْهانِ

قال :

وكان « عمرون » والد جدّ أبى ، رحمة الله على جميعهم ، رجلاً خيّرا صالحا ، من أهل القُرآن ، حَجّ إحدى عَشْرَةَ حِجَّة ، وغزا مع أبْن أبى عامر [٢] غزوات كثيرة ، وانتقل من مدينة فاسَ إلى مدينة سَبْتة ، بعد دخول بنى عُبَيْد [٣] المَغْرب ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه نباهةٌ بمدينة فاس ، فأخذ ابنُ أبى عامر رُهُناً من أعيان مدينة فاس ، فأخذ فيهم أَخَوىْ « عَمْرون » : عيسى والقاسم ، فخرج عَمْرون إلى مدينة سبْتة ، ليقْرُب من أخبارهما بمدينة قُرْطبة ، فاستحسن سُكنى مدينة سبْتة ، وكان مُوسِراً ، فاشترى [بها [٤]] أرضاً ، وهى المعروفة بالمَنارة ، فبنى فى بعضها مَسْجدا ، وفى بعضها دارا ، حَبَسها على المسجد ، وهو حتى الآنَ منسوب إليه ، وحَبَس باقى الأرض للدّفن ، ولم يزل منقطعاً فى ذلك المسجد إلى أن مات ، رحمه الله ، سنةَ سبع وتسعين وثلاث مئة . ووُلِد له قبل وفاته بيسير ابنُه عياض ، ثم وُلد لعياض ابنُه موسى ، ثم ولد لموسى ابنُه [١٤]

---

(١) بسطة : من أعمال جيان . (عن تقويم البلدان) .

(٢) هو المنصور محمد بن أبى عامر المعافرى الوزير الحاجب فى دولة المؤيد هشام بن الحكم المستنصر الأموى . كان من أهل الفقه والحنكة والدهاء ، وأبلى فى محاربة الإسبان أعظم البلاء .

(٣) يريد الفاطميين أولاد عبيد الله المهدى .

(٤) زيادة عن ت .

عياض ، أبى ، رحمهم الله أجمعين ؛ وذلك ، فيما رأيتــه بخطه ، فى النصف من شعبان عامَ ستة وسبعين وأربع مئة بسبْتة » . انتهى .

شىء عن سبتة

والسَّبْتى : نِسبةٌ إلى سَبتة ، مدينة بساحل بحر الزُّقاق ، مشهورة ، واختُلِف فى سبب تسميتها بذلك ، فقيل لانقطاعها فى البحر ، من قولك : سَبَتُّ النعل : إذا قطعتها[1] ، وقيــل لأن مختَطَّها هو سبْت بن سام بن نوح ، وإلى هذا الأخير يَنظرُ قولُ لسان الدين الوزير الشهير ، العلّامة أبو عبد الله بن الخَطيب السَّلمانى الغَرْناطىّ ، رحمه الله ، من قصيدة :

حُييتَ يا مُخْتَطَّ سَبْتِ بن نوح   بكل مُزْن يَغتدِى أو يرُوحْ
مَغْنَى أبى الفضلِ عياضِ الذى   أَضحتْ بِريّاهُ رياضٌ[2] تفوح

وفيهما يقول الأديب أبو الحَكم مالك بن المُرَحَّل ، من قصيدة طويلة بديعةٍ[3] جدّا ، مطلعها :

سَلام على سَبْتَةِ المغرب   أُخيةِ مكةَ أو يَثْربِ

وفى مَدْحِها يقول أيضاً رحمه الله :

اِخْطِر على سَبْتَةَ وانظرُ إلى   جَمالهـا تَصْبو إلى حُسْنهِ
كأنها عُود غِنـاء وَقَدْ   أُلْقِىَ فى البَحْر على بَطْنهِ

وقال الحِجَارى فى المُسْهِب :

« أول من سكن برّ العُدوة و بر الأندلس من ولد نوح بعد الطوفان ، سَبْت وأندلس ابنا[4] يافث بن نوح ، فنزل سَبْتُ فى آخر المَعْمور من بر العُدوة ،

---

(١) فى ط : « قطعته » . والمعروف أن النعل مؤنثة .
(٢) فى ت ونفح الطيب : « رياضا » .
(٣) هذه الـكلمة « بديعة » ساقطة فى ت .
(٤) فى ط : « ابن » وهو تحريف .

وبنى له منزلا فى موضع سَبْتة ، فدُعيت[1] باسمه ، وتناسلت منه قبائل البربر ، واتسعت فى برّ العُدوة إلى أن بلغت إلى فِلَسْطين ، وكان مَلِكهم يسمى جالوت ، وكان مَجوسيّا ، وهزَمه طالوت ، وقتله داودُ ، فانضمّت البربر عن فِلسطين ، وعن الديار المصرية ، واقتصرت من بَرْقة إلى آخر المعمور ؛ وسكن أَخوهُ أندلس [مقابلا له فى[2]] انتهاء المعمور ، فعرفت باسمه » . انتهى .

وأكثر بلاد العُدْوة فى الإقليم الثالث[3] ، وفيه حَضْرتها مَرّاكُش ، وما قارب منها الأندلس كسَبتة[4] وما قرب منها فى الإقليم الرابع .

قال ابن سعيد :

« ولا نُطالب فى هذا البر بما صنعناه فى الأندلس[5] ، فأهل الأندلس إما عرب أو متعربون[6] ، قد توارثوا قوام اللسان[7] وحافظوا عليه ، وأهل بر العُدوة إما بَرْبَر أو مُتَبَرْبِرون » . اهـ .

وصف ابن الخطيب لسبتة

وفى وصْفِها يقول لسانُ الدين بن الخطيب فى مَقامة وصف البلدان :

« قلت : فمدينة سَبْتة ؟ قال : تلك عروس المَجْلَى[8] ، وثَنِيّة الصَّباح الأَجْلى ؛

---

(١) فى ت : « فعرفت » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هذا حسب التقسيم الجغرافى القديم . (انظر تقويم البلدان لأبى الفداء ، ومسالك الأبصار للعمرى ، ونزهة المشتاق للإدريسى) .

(٤) كذا فى ط . وفى ت : « وما قاربها منها الأندلس كسبتة فى الإقليم الرابع » .

(٥) فى ت : « فى هذا الفن عما صنعنا بالأندلس » .

(٦) كذا فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٣ طبع مصر) . وفى الأصلين : « فكان أهل الأندلس إما عرب أو متعربون » .

(٧) كذا فى نفح الطيب وفى ط : « أقوام الأندلس » . وفى ت : « قدام الأندلس » ولا يستقيم بهما الكلام .

(٨) فى ط : « مجلى » .

تبرّجت تبرّجَ العَقِيله ، ونظرتْ وجهَها من البحر فى المرآة الصّقيله ، واختصّ ميزانُ حَسناتها بالأعمـال الثقيلة ؛ و إذا قامت بيضُ أسوارها (١) ، وكان جبل بلْيونش (٢) شَمَّامةَ أزهارها (٣) ، والمنارةُ منارةَ أنوارها ؛ فـكيف (٤) لا ترغب النفوس فى جِوارها ، وتَهيم الخواطر بين أنجادها وأغْوارها ؛ إلى الميناء الفلكية ، والمراقى الملكية (٥) . والرَّكِيّةِ (٦) الزَّكِيّة ، غير المَنْزورة (٧) ولا البكية (٨) . ذات (٩) الوقود الجَزْل ، المعدّ للأَزْل (١٠) ، والقُصور المقصُورة على الجدّ والهزل ؛ والوجوه الزُّهر السِّحَن ، المَضْنون بها عن المِحَن ؛ دار الناشبه (١١) ، والحامية المُضْرِمة للحرب المُناشِبه (١٢) ؛ والأسطول المرهوب ، المحظور الألْهوب (١٣) ، [١٥] والسّلاح المكتوب المحسوب ، والأثر المعروف المنسوب ؛ كرسى الأمراء والأشراف ، والوسيطه ، لخامس أقاليم البسيطه ، فلا حظَّ لها فى الانحراف ؛

(١) فى ت : « أصوارها » وهو تحريف .
(٢) كذا فى تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل ، والمغرب ، فى بلاد إفريقية والمغرب ، للبكرى ، وفى نفح الطيب للمؤلف فى بعض مواضع ، وفى الاستبصار ، فى عجائب الأمصار ، عند الكلام على سبتة ، وفى الأصلين هنا وفيما سيأتى : « بنيونش » .
(٣) الشمامة : ما يتشمم من الأرواح الطيبة . يريد أن جبل بليونش أعطر رياضها .
(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « كيف » .
(٥) فى ت : « الفلكية » .
(٦) الركية : البئر . ورواية هذه الكلمة فى الأصلين « الذكية » وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . ويعين عليه قرينتا « المنزورة والبكية » بعده .
(٧) المنزورة : القليلة الماء .
(٨) البكية : القليلة الماء . ورواية هذه الكلمة فى الأصلين : « المبكية » وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .
(٩) يريد سبتة .
(١٠) الأزل : الضيق والشدة .
(١١) كذا فى ت . والناشبة : القوم الذين يرمون بالنشاب ، أى النبل .
(١٢) يقال : ناشبه الحرب ، أى نابذه .
(١٣) الألهوب (هنا) : السطو والبطش ، مأخوذ من ألهوب الفرس ، وهو اضطرامه فى عدوه .

بَصْرة علوم اللسان ، وصَنْعاء الحُلل الحسان ، وثمرة امتثال قوله : « إنّ اللهَ يأمُرُ بالْعَدْلِ والإِحْسَان » ، الأمينة على الأختزان ، القويمة المكيال والميزان ، مَحْشَر أنواع الحيتان ، ومَحطّ قوافل العَصِير والحرير والكتّان ، وكفاها السكنى ببَلْيونش فى فصول الأزمان ، ووجود المساكن النبيهة بأرخص الأثمان ؛ والمَدْفن المرحوم غير المزحوم ، وخزانة كتب العلوم[1] ، والآثار المُنْبِئة عن أصالة الحُلوم ؛ إلا أنها فاغرة الأفواه للجنوب[2] ، للغيث المَصْبوب ، عُرْضة للرياح ذات الهُبوب ، عَديمة الحَرْث فقيرة من الحُبوب ، ثغر تَنْبو فيه المضاجع بالجُنوب ، وناهيك بحَسَنة تُعَدّ من الذنوب ؛ فأحوال أهلها رقيقه ، وتكلّفهم ظاهر مهما ظهرت وَلِيمة أو عَقِيقه[3] ، واقتصادهم لا تلتبس منه طريقه ، وأنساب نفَقاتهم فى تقدير الأرزاق عريقه ؛ فهم يَمَصّون البُلالة مصّ المَحاجم[4] ، ويجعلون الخبز فى الولائم بعَدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم ، بالبشير المهاجم[5] ، وراعِى الجَدِيب بالمطر الساجم[6] ؛ فلا يفضّلون على مدينتهم مدينه ، الشك عندى فى مكة والمدينه » . انتهى .

قلت : ولعله عرّض بقوله : « الشك عندى فى مكة والمدينة » ، بقول مالك بن المُرحّل : « أُخَيّة مكة أو يَثْرِب » . والله أعلم .

الشريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب

وكان لسان الدين بن الخطيب كثيراً ما ينزل فى وِجْهاته المَغْربية ، عند الشريف الشهير ، سيدى أبى العباس أحمد بن سيدى محمد ، ابن سيدى أحمد ،

(١) هذه العبارة : « وخزانة كتب العلوم » . ساقطه فى ت .
(٢) فى ت ونفح الطيب : « أفواه الجنوب » .
(٣) العقيقة : الطعام يدعى إليه الناس عند حلق شعر المولود .
(٤) المحاجم : جمع محجم ، أو محجمة ، وهى شبه الكأس يمص به الدم من الجسم .
(٥) فى ت : « الهاجم » .
(٦) المطر الساجم : القليل .

ابن سيدى طاهر[١] ، ابن سيدى رفيع ، ابن سيدى علىّ المدعو بالمكين ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى علىّ ، ابن سيدى أبى الطاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن [سيدى[٢]] مَوْهوب ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى محمد ، ابن سيدى طاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن مولانا على ، المدعو بالهادى ، ابن مولانا محمد ، المدعو بالجواد ، ابن مولانا علىّ الرِّضا ، ابن مولانا موسى ، المدعو بالكاظم ، ابن مولاى جعفر الصادق ، ابن مولاى محمد الباقر بن زين العابدين ، ابن مولاى على ، ابن مولانا الحسين الشهيد[٣] ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ونفعنا ببركة هؤلاء السادات ، الذين سرَدْنا أسماءهم تبرّكا بها .

قال صاحب كتاب « الكواكب الوقّادة ، فى ذكر من دُفن فى سَبْتة[٤] من العلماء والصلحاء القادة » :

« كان هذا السيّد الشريف يُوسِع ابنَ الخطيب إكراما ، وكان من عادة [١٦] الشريف المذكور أن يخرج إلى بساتينه فى المَصيف بقرية بَلْيُونش ، كمُنية العبا ، وجنَّة الحافة ، ويجلس فى القبة السامية المُطِلّة على البحر بجنة الحافة ، ويجعل الطريقَ تحته ، فإذا رأى جماعةً سائرين من أىّ صِنف كانوا ، من التجار أو الغرباء أو البلديين ، يوجّه رجالَه إليهم ، ويقدّم لهم الطعام ، ويرتاح إلى ذلك ، ويُسَرّ به ، ويؤْنِس كُلاًّ بما يُناسبه ، من ذِكْر عيون أخبار بلده[٥] ، وخاصيّة قُطره ، وما يَجُرُّ إلى ذلك ويرجع إليه ، من بديع الحكايات ، ولطيف

(١) فى ت : « الطاهر » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) فى ط : « الشهير » .
(٤) فى ت : « بسبتة » . واسم هذا الكتاب فى البستان لابن مريم (ص ٣١٤) : « الكواكب الوقادة ، فيمن كان بسبتة من العلماء والصالحين القادة » .
(٥) فى ت : « بلاده » .

النوادر ؛ ثم يأمر بإدارته على تلك البساتين ، ورؤية ما بها من المصانع[١] ، ثم يبعث وراء آخرين ، ويُنزل كلَّ واحد منزلته ؛ ويغيب[٢] عمن يُخْجله حضورُه ؛ ويُغْضِى عن مُداعبةٍ إن وقعت ، ويتجاهل الهفوةَ إن بدرت . وكان يُخرِج الوزيرَ ابن الخطيب — عند نزوله عنده — إلى هذه القرية البَلْيونشية .

شعر لابن الخطيب فى بليونش

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :

بليونشٌ أسنَى الأماكن رفعةً ... وأجلّ أرْض الله طُرًّا شانَا
هى جَنّة الدنيا التى مَنْ حَلَّها[٣] ... نال الرِّضا والرَّوْح والرَّيْحانا
قالوا القُرود بها فقلت فَضِيلة ... حيوانُها قد قاربَ الإنسانا[٤]

شعر لعياض فيها أيضا

وفيها يقول القاضى عياض[٥] :

بَليونش جَنّــــة ولـكنْ ... طريقُها يَقْطع النِّيـاطاَ
كجَنّــة الخُلْد لا يَراها ... إلا الذى[٦] جاوَز الصِّراطا

وصف ابن حيان لها

ونقلتُ من خط ابن حيّان[٧] — بعد كلام فى سَبْتة — ما نصّه :

« ومتنزّهاتها أعظمها بليونش ، تحتوى على مياه عيون ، وأودية ، ومتنزهات ، وأبنية عظيمة ؛ وفيها من جميع الأشجار والثمار » .

---

(١) المصانع : جمع مصنع ، أو مصنعة (بفتح النون وضمها) ، وهى شبه الحوض يجمع فيها ماء المطر ؛ والمصانع (أيضا) : المبانى من القصور ونحوها .
(٢) فى ت : « وينيب » .
(٣) فى ت : « من شأنها » . ولا يستقيم بها الـكلام .
(٤) قال فى الاستبصار : « وعلى قرية بليونش المذكورة جبـل عظيم فيه القردة » . وسيعرض المؤلف لهذا بعد قليل .
(٥) نسب هذان البيتان فى تقويم البلدان لابن عياض .
(٦) كذا فى تقويم البلدان . وفى الأصلين : « إذا » ، وما أثبتناه أظهر .
(٧) فى الأصلين : « أبى حيان » وهو تحريف .

شعر للمنصفى فيها أيضا

وفيها يقول أبو الحجّاج المَنْصَفِيّ[١] :

بَلْيونش شَكْلُها بَديع أُفْرِغ فى قالَب الجمالِ[٢]

فيها الذى ما رأته عَيْنى يومًا ولم يخْتَطر ببالى[٣]

طريقُها كالصدود لكن تَعْقُبه لذّةُ الوِصال[٤]

شعر الكميلى فيها

قال ابن رشيد :

وأنشدنى القاضى أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الرحمن الكُمَيْلى[٥] قاضى أَزَمُّور[٦] فيها :

بَليونش كلّها عَذَابُ[٧] فالمَشْى فى سُبْلِها عِقابُ[٨]

يَكْنُفُها شامخٌ مُنيف كأنه فوقها عُقاب

وهذا الشامخ يعرف بجبل موسى . [وإليه أشار المَنْصَفىُّ فى مخمّسة :

وطَوْدُ موسى[٩]] لها تاج على الراس

وبهذا الجبل متعبّد مبارك ، و بساحله مَغْطِس المَرْجان ، ومن عجائب هذا المتعبّد أن من دخله ممن ليس له أهلاً فإنه يجد فى عنقه[١٠] صَفْعاً إلى أسفل الجبل ؛ وهو مسيرة ثلاثة أميال ، وهو من سَبْتة على تسعة أميال ، وبهذا الجبل منشأ

(١) نسبة إلى « منصف » بفتح الميم والصاد ، من قرى بلنسية .
(٢) فى ط : « فى قالب كمال » .
(٣) لم ترد صيغة « اختطر » فى القاموس وشرحه ولا فى اللسان ولا فى الأساس .
(٤) فى ط : « من الصدود لكن » وهو تحريف .
(٥) فى ت : « الأبلى » .
(٦) أزمور (بفتح الهمزة والزاى المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهملة) : من مدن بر العدوة على ميلين من البحر . (عن تقويم البلدان) .
(٧) فى ط : « عقاب » .
(٨) فى ط : « عذاب » .
(٩) زيادة عن ت .
(١٠) فى ط : « فى شقه » .

القُرود ، وهو مستشرف على بعض الأندلس . و بسَبْتة مدرسة بناها أبو الحسن الشارى[1] ، ووقف بها كتباً عظيمة .

و بموضع يقال له التوتة يوجد كثير من الياقوت الأحمر[2] دقيق[3] . ومن عجائبها أن البُلَّارج[4] لاتعشّش فيها[5] ، وقلّما تخطِر عليها . ويقال إنها[6] بناها سبت بن سام بن نوح ، وإنه دَعا لها باليُمْن والبركة ، ورَوَوْا فى ذلك حديثاً عن مالك عن نافع عن ابن عمر . قال عياض : وأبرأ أنا من عُهْدَته ، وقد خرّجه فى الغُنية ، ولذلك قال بعض الشعراء :

فكل جبّــــار إذا ما طغَى وكان فى طُغْيانه يُسْرِفُ
أرســـله الله إلى سَبْتةٍ فكل جَبّار بهـــا يُقْصَفُ

أنشدها أبو عبد الله محمد بن حمادة [البُرْنُسىّ[7]] ، خال أبى لأمه[8] ، فى كتابه المسمى بـ « المقتبَس ، فى أخبار المغرب والأندلس » .

شعر المنصفى فيها

ومن نظم المَنْصَفى فى بليونش من قصيدة :

انظُر إلى نَضْرَة زهر الرُّبَا كأنه وَشْى على كاعبِ
ومَتِّع الطَّرْف ببَلْيُونشٍ ومائها المُنبعثِ السّاكب
تشاركتْ والحسن فى وصفها تَشارُكَ العين مع الحاجب

(١) فى ت : « الشاوى » .
(٢) فى ت : « كسر من الياقوت السمر » .
(٣) كذا فى ت : وقد وردت هذه الكلمة مطموسة فى ط .
(٤) البلارج : اللقالق . (عن تكملة المعجات العربية لدوزى) .
(٥) فى ت : « بها » .
(٦) فى ت : « إنه » .
(٧) زيادة عن ت . والبرنسى : نسبة إلى برنس (بوزن قنفذ) : قبيلة من البربر ، سميت بهم مساكنهم .
(٨) فى ت : « قال أبى لأمه » . وهو تحريف .

وقد أَرَتْنا[١] اليومَ من حُسْنها ما لم يكن فى زَمَن الحاجِب

— والحاجب : أحد[٢] ملوك سبتة ؛ [وله عمل ابن مَرَانة[٣] قصيدة فى الـكوائن والحوادث[٤]] —

فعَّالَةٌ بالطَّبْع فى أَهْلها ما تَفْعل القَهْوةُ بالشارِبِ
تُذَكِّر الشيخَ زمانَ الصِّبا وتُفْسِد[٥] التوبةَ للتائب

وله :

انظر إلى بَهْجة بَلْيُونشٍ وحُسْنِ ذاكَ المَنْظر اللّامِعِ
تَحكى الثُّريَّا عندما أُسْرِجَتْ بلَيلَة الخَتْمة فى الجامع[٦]

مثل من كرم الشريف أبى العباس

ولما قَفَل السلطان الأَشْهر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأَحْمر من المغرب ، حين رجوعه إلى بلده[٧] مع قاضى حَضْرته غَرْناطة ، أبى الحسن على بن الحسن ، المعروف بالنُّباهِىّ شيخِنا ، ووزيره أبى عبد الله بن الخطيب ، صنع له ضيافة مُلوكية[٨] بالمُنْية ، من قرية بَلْيونش المشار إليها ، حيثُ القصر هنالك ، وعُنصر

(١) فى ت : « رأتنا » .
(٢) فى ت : « آخر » .
(٣) كذا فى معجم البلدان طبعة أوربة عند الـكلام على سبتة . وفى ت : « مراتة » بالتاء المثناة الفوقية .
(٤) زيادة عن ت .
(٥) فى ط : « وتكسر » .
(٦) فى ت : « بالجامع » . ولعله يريد بليلة الختمة ما يفعله أهل المغرب من الاحتفاء بختم حفظ القرآن أو تفسيره أو ختم صحيح البخارى فى حفل عام بالمساجد تضاء له الأنوار ، ويحضره الناس خاصتهم وعامتهم . وقد أفاض فى شىء من ذلك ابن أبى دينار فى كتابه « المونس ، فى أخبار إفريقية وتونس » .
(٧) فى ت : « ملـكه » .
(٨) كذا هنا وفيما سيأتى . والنسبة إلى الملوك : « ملـكى » ، وشاع على أقلام بعض الـكتاب كالجاحظ : « ملوكى » .

الماء المختص بها . ومن هناك ركب البحر ليلا ، وذلك فى جُمادى الأُخْرَى[١] من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وفى الحادى والعشرين من الشهر المذكور دخل دار ملكه حمراء غَرناطة ، وأكل من فضل هذه الضيافة مُعظمُ من كان بالقرية ، من قوىّ وضعيف ، ورفيع ووَضيع .

ثناء أبى الحسن النباهى على الشريف وشىء عنه

وكان شيخنا القاضى أبو الحسن المذكور يُثْنِى عليه ، ويُعظِّمه تعظيما يَليق بمثله ، ويقول فى أثناء حديثه : فعل أبو العباس الشريف صاحب سبتة كذا ، وصنع كذا . ولم تزل حالته هذه ، رحمة الله عليه ، إلى أن أَسنَّ وأُقْعِد ، فلزم منزله ثلاث سنين ، من غير أن ينقُص ذلك من مَنصِبه شيئا ، ولا من انتفاع الناس به ؛ وكان أبيضَ اللون ، حسنَ الهيئة والملبَس ، يخضِب بالحِنَّاء ؛ [١٧] وتُوُفِّىَ فى زَمانته وقد نَيَّف على[٢] الثمانين ، عامَ ستة وسبعين وسَبْع مِئة ، وله الآن قَرابة بمدينة فاس بقَيْد الحياة » .

انتهى كلام صاحب الكواكب الوَقَّادة باختصار ، و بعضه بالمعنى .

شعر للشريف

ومن نظم هذا الشريف ، ممّا أمر به أن يُنقش بالقبة المذكورة آنفاً فى معنى الاستعاذة :

وَثِقتُ باللهِ رَبِّى   وحَسْبِىَ اللهُ حَسْبِى
واللهُ كافٍ وواقٍ   ودَافِعٌ كُلَّ خَطْب
ولستُ أخشَى إذا ما   وَثِقْت باللهِ رَبِّى
بلَغْتُ فيها مُرادى   مُهَنَّأً مع صَحْبِى
والخَمْسُ تَفْقَأُ عَيْناً   لكلِّ حاسدٍ نَدْب[٣]

(١) فى ط : « الآخر » .
(٢) فى ط : « عن » وهو تحريف .
(٣) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف .

حفاوة أبي عنان بالشريف أبي العباس ومنزلته فى سبتة

وكان السلطان المرحوم أبو عِنان فارس ، ابن السلطان أبى الحسن المَرِينِيّ يُجِلُّ هذا الشريف ، ويعترف له بالفضل ، ويعطيه العطاء الجَزْل ، وكان يستدعيه كلَّ سنة إلى حضرته فاس ، لحضور المولد السعيد ، الذى سَنَّه ببلاد المَغْرِب الشيخ أبو العباس العَزْفِيّ ، وتلك السُّنَّة باقية إلى الآن بحسن نيَّته ، واعتنائه بالجَناب العَلِيّ(١) ، نفعه الله بذلك ، ويَخلع عليه الخِلَعَ المُلُوكيَّة ، ويُعِدُّ له دينارا مَشْكُوكا يُصْنع بمدينة مَرَّاكُش ، زِنته مِئَةُ دينار ذهبا ، يدفع له ذلك مع جائزته ، إلى غير ذلك مما كان يُتْحِفه به ، رحمه الله ، ويصحبه فى وِجْهَته تلك من الضعفاء والتجار ما لا يُحصى كثرة ، ويتولّى هو الإنفاقَ على الجميع من ماله ، ويرفع(٢) عنهم اللوازمَ المَخْزَنيّة ، فكان التجّار لأجل ذلك يَرْصُدون وقت سَفره وقُفُوله . وقدّمه السلطان أبو عِنانٍ المذكور ناظرا على بلده سبتة ، وأمر صاحب قَصَبتها ألا يقطع أمرا إلا بمَشورته ، فكان العمّال يخافونه ويشاورونه ، فإذا رأى من أحدهم خُرُوجاً عن العادة ، أو حَيْفا على الرعية ، كتب إلى السلطان فى شأنه ، فيَعْزله من فَوْره ، ويُعَوِّضه بغيره . وكان يقول للسلطان : لعلّك تَحْسبنى خَديما(٣) ، لست كذلك ، وإنما نحن معشرَ أهل البيت شُفعاء فى الدنيا ، وشفعاء فى الآخرة . فكان أهل سبتة فى أيامه فى عيش هنيّ ، ونَعْمة شاملة ، بقى على هذه الحالة المَرْضية مدة عشرين سنة . وله بسبتة آثار تحكى الآثار العَزْفية(٤) ، كالرياض(٥) [١٨]

(١) فى ت : « العالى » .
(٢) فى ت : « يدفع » .
(٣) يريد : « خادما » . ولم تنقل المعاجم : « الخديم » بمعنى الخادم ، لكن شارح القاموس ذكر هذه العبارة : « والخدمان (بالضم) : جمع خادم ، هكذا تقوله العامة ، وكأنهم تصوروا فيه جمع خديم » .
(٤) فى ت : « العربية » .
(٥) كذا فى الأصلين هنا وفيما سيأتى ، يريد به القصر وما يحيط به من بساتين ، وقد يجرى فى لسان المغاربة حتى اليوم استعمال لفظ الرياض مفردا مذكرا بهذا المعنى .

الأعظم ، الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأنق فى بُنيانه وأبدع صَنْعته ، وجلب إليه الماء بالدواليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ؛ وكالرياض الذى بالصّفّارين ، حيث كان قعوده مع خواص الناس وعامتهم .

قال صاحب الكواكب الوقّادة :

وصف أحد كتّاب الشريف له

« سمعت أحد كتّابه الخاصَّ به ، الملازمَ له ليلا ونهارا ، مع مرور الأيام والسنين ، يقول : ما أمرنى قطّ سيدى ومولاى الشريف بكَتْب شىء مخالف للشرع ، بل فى رفع المظالم ، وإنهاء الشفاعات ، وتوجيه الأمانات ، وما فى معنى ذلك ، مما نَدَبَ إليه الشرعُ ، وحضّ عليه ، ووعد بالثواب على فعله . وطالما سمعت الكاتب المذكور يُقسم على ذلك ، نفعه الله [به] »[1] . انتهى .

دواة أبى عنان وشعر مكتوب عليها

قلت : تذكرت بهذا الفعل الجميل ما كتب [به][1] على دواة أمير المؤمنين أبى عِنَان ، رحمه الله ، وهو :

أَنا دواة فارس	أبى عِنانَ المعتمدْ
حَلَفْتُ مَن يكتبُ بى	بالواحد الفَرْد الصَّمَد
أَنْ لا يَمُدّ مَدَّةً	فى قَطْع رِزْق لأحَد

وقد رأيت فى هذه الأيام دواةً فى غاية ما يكون من الإتقان والصنعة والتذهيب ، وفيها مكتوب البيتان الأخيران ، وهى عند بعض أصحابنا الكُتَّاب بالحَضْرة الفاسِيَّة — حاطها الله — وأظنها هى الدواة التى كانت لأبى عنان ، والله أعلم .

(١) زيادة عن ت .

رجع إلى ذكر الشريف

شىء من كرم الشريف وشعره

وكان الشريف المذكور يصنع أنواع المطاعم الرفيعة ، ويتبسط فى ألوانها ، ويطعمها الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، ممن يحضُر مجلسه أو يأتى إليه ، وبالجملة فهو قُطْب الجود الذى عليه المدار ، وإمام الأدب الذى لايجاريه الرَّضِىُّ ولامِهْيار ؛ ومن نظمه ، وقد ساير قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، أبا البركات البَلْفِيقِى[(١)] الشهير بابن الحاج السُّلَمى ، من ولد العباس بن مِرْداس رضى الله عنه ، زمن الشبيبة فى بعض أسفاره ببرّ الأندلس ، فلما انتهيا إلى قرية بِزِلْيانة[(٢)] وأدركهما النصب ، واشتد عليهما حرّ الهجير ، نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك ، وشربا من ذلك الماء العَذْب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ، ثم التفت إلى الشريف وقال :

ماذا تقول ، فَدَتْكَ النفس فى حالى ... يفنى زمانىَ فى حَلّ وتَرْحالِ[(٣)]

وأُرتِجَ عليه ؛ فقال لأبى العبّاس : أجز ؛ فقال بديها :

[١٩] كذا[(٤)] النُّفوس اللواتى العزُّ يَصْحَبها ... لا ترتضى بمُقام دون آمال

---

(١) البلفيق : نسبة إلى بلفيق (بالفتح ، ويروى بتشديد اللام المكسورة مع كسر الموحدة) : حصن بالمرية . (عن تاج العروس) .

(٢) كذا فى معجم البلدان . وبزليانة (بكسرتين وسكون اللام) : بليدة قريبة من مالقة بالأندلس . وفى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٤٩ طبعة مصر) : « ترليانة » . وفى ت : « قرليانة » .

(٣) فى ت : « فى حل وترحالى » .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « إن » .

دَعْهَا تَجُوب الفَيافى والقِفارَ إلى   أن تبلغ السُّؤْلَ أو تَفْنَى بتَجْوال[١]

أشراف سبتة

وكان عطاء هذا السيد الشريف المرسوم له من بيت المال ، ثلاثين ديناراً من الذهب العين[٢] فى رأس كل شهر ، وهو خاتمة الشرفاء العظام بمدينة سبتة . ولهؤلاء الشرفاء بمدينة سبتة نحو الثلاثين قبراً ، فى روضتهم المنسوبة إليهم ، بالجانب الشرقى من رابطة الفصال . وهؤلاء الشرفاء من ذُرية أبى الطاهر الذى خرج من جزيرة صِقِلية ، وكانت لهم بسبته وجاهة[٣] وسياده ، وجلالة ومَجاده ؛ لمكان بيتهم الشريف ، ونسبهم العالى المنيف ؛ ما منهم واحد إلا غَذَاه العلمُ بلِبانه ، والأدبُ ببيانه . ووليَ منهم قضاء بلدهم سبتة رجلان ، لم يُطلِع مثلهما المَلَوان ؛ تُقًى وعِلْماً ، وأناة وحِلْما ؛ أولهما القاضى أبو الشرف[٤] رفيع ، والثانى ابنه القاضى أبو الحسن علىّ . وكم نشأ عن هذا الأصل الطاهر من جِهْبِذ نِحرير ، وعالم ماهر ؛ وسخىّ جواد ، له إلى الإعطاء[٥] ارتياح وإلى الكرم استناد[٦] ؛ وناهيك بخاتمتهم أبى العباس المذكور .

دخل الشريف من مضرب الميناء وما كان ينفقه فيه

وكان فائد مَضْرِب[٧] الميناء لهذا الشريف أبى العباس الحسينى ، دون أن يَشْرَكه غيره ؛ وكان له بمَضْرب أويات يوم يضرب فيه ، ويومان لبيت المال ،

(١) رواية هذا البيت فى نفح الطيب :

دعها تسر فى الفيافى والقفار إلى   أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال

وزاد بعده :

الموت أهون من عيش لدى زمن   يعلى الأثيم ويدنى الأشرف العالى

(٢) فى ت : « ذهبا » .

(٣) فى ط : « وجهة » .

(٤) فى ط : « الشريف » .

(٥) فى ت : « العطا » .

(٦) فى ط : « استناح » وهو تحريف .

(٧) المضرب (كما هو ظاهر من السياق هنا) : سوق يتخذها حاكم الميناء لبيع مايستخرج من السمك ونحوه .

وكانت عادة عامل المَضارب ، الناظر فى فوائدها وما تحتاج إليه من نفقة وآلة ، أن يأمر رجاله وأعوانه ، حين يُقْعِد النَّواتيّةُ الـكيسَ ، بالوقوف إليه ، والدفاع عنه ، بعد أن يُحضر الشهود ، خَفْراً وضبطاً لما يحصُلُ من فائد(١) المضرب المالى فى يوميه(٢) ؛ فإذا كان يوم [السَّيِّد(٣)] الشريف يأمر رجاله وخدّامه وأعلاجه(٤) الإسلاميين ، بإباحة المضرب للمساكين ، وتفريق الحوت على من لا يصل إليه ، ممن يحضر متنزِّها ، إما لحفظ مروءة ، وإما لغير ذلك . ولا يزال الناظر من قِبَله ، وهو القائد فارح أحد أعلاجه ، واقفاً على حصانه ، وقد أحاطت به رجاله ، إلى أن يرْضى كلّ من يحضُر ، وما فضل عن ذلك فهو له . وأما السيد الشريف فلا يحضُر ، إذ همّته أرفع من ذلك ، وقدره أعظم ، ومكانته بسبتة مكانته ، بحيث يأتى إليه فى الموضع الذى أعده لجلوسه برياضه الذى بالصفّارين صبيحة كل يوم [٢٠] صاحب القصبة ، كائنا من كان ، مسلّما(٥) عليه ، ثم ينصرف ، ثم يأتى الوالى على قبض الجباية مسلّما ، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه ، ثم يأتى صاحبُ الشرطة ، وكذا جميع أمراء سبتة ، إلا القاضى ، لمكان خُطَّته ، فيُعامِل كلاًّ بما يستحق من إكرام و إهانة ، و إغلاظ ومجاملة ، فلا يتخلّف أحد عن غرضه ، ولا يَصْدر إلا عن رأيه ونظره . وهذا كلّه مع النصيحة للمسلمين ، وجَلْب المنفعة لهم بالقول والفعل ، و إطعام الطعام الذى لا يقدر عليه الأمير فَمَنْ دونه ، ورَفْع المظالم ، ومنح الجاه ، إلى غير ذلك ، نفعه الله . فكان من حكمة الله عز وجل و بركة أهل البيت ،

---

(١) فى ط : « فوائد » .

(٢) فى ت : « فى يومه » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) أعلاجه : مواليه من غير العرب ؛ مفرده : علج (بوزن ملح) .

(٥) العبارة من « عليه » إلى « مسلما » : ساقطة فى ت .

وفضل الجود والكرم ومكارم الأخلاق ، وإيصال المنفعة للعباد ، أن يخرج فى اليوم الذى له بالمَضْرِب من الحوت ، أى نوع كان من الجارى ، أضعافُ ما يخرج فى اليومين ، ويحصل له من الفائد أكثر مما يحصل لمتولى النظر فيهما ، فيتصل[١] بيده من فائد يومه خَمس مِئَةِ الدينار[٢] وسَبع المِئَة ، وربما يزيد وينقص ؛ وقد انتهى فى بعض الأحيان إلى ألفى دينار فى اليوم ، حسبما يُسَنِّيه[٣] الله عز وجل ؛ هذا بعد العادة التى عوَّدَهَا نفسَه النفيسة ، من الإيثار والبذل ، للسَّرِىّ والنذْل .

ولم تكن له همّة ، رحمه الله ، فى احتكار المال وجمعه ، بل يصرف ذلك كلّه فى إطعام الطعام ، الخاصّ والعام ، وفى تشييد البُنْيان ، والإنفاق على الفَعلة والصُّنّاع والخدّام ، وآثاره ومَصانعه بداخل سبتة وخارجها شاهدة بذلك مدى الأيام ؛ وكم فى أثناء هذا التصرف من مُؤاساة فقير ، وإعانة ضعيف ، وإغاثة ملهوف ، برفع[٤] لازم أو وظيف[٥] ، حسبما هو معلوم معروف منقول .

حفاوة ملوك بنى مرين به

وكان ملوك بنى مَرِينَ يعتنون به أتم اعتناء ، ويبادرون إلى موافقة أغراضه ، وقبول شفاعته ، وما كان يتلقاه حين وروده على حَضْرتهم فاس إلا الملِكُ بنفسه ، إلى غير ذلك من مَناقبه رضى الله عنه ، ونفعنا به ، وبسلفه الطاهر .

سبب تعريف المؤلف بهذا الشريف

[٢١] قلت : وإنما ذكرت التعريف بهذا الشريف الفيّاض ، تفاؤلا بالابتداء به بعد عياض ، لأنى اشترطت أنى أخرج من الشىء إلى ما يناسبه ، فبدأت

---

(١) فى ت : « ويحصل » .

(٢) فى الأصلين : « الخمسمائة دينار ، والسبعمائة » .

(٣) يسنيه الله : يسهله وييسره .

(٤) برفع : بحمل .

(٥) يريد : « الوظيفة » وهى الراتب الجارى من الأرزاق ونحوها .

فى ذلك بهذا السيد الشريف ، الذى عظمت مَجادته[١] ، وكرمت مناسبه ، وزكت مآثره ، وعلت مناصبه[٢] ؛ والأعمال بالنيات ، والله يُبلغنا فى الدارين غاية الأُمنيات .

استيلاء العدو على سبتة

وبعد أن بلغت سَبتة ما ذكرناه من أحوالها ، وبقيت مدة آمنة من شرور الدنيا وأهوالها ؛ وأَطْلعت فى سمائها نجوما ، كانت علومها[٣] للمردة رجوما[٤] ؛ كعياض المؤلَّف فيه هذا الكتاب ، وهؤلاء الشرفاء الذين لا يُمْترى فى فضلهم ولا يرتاب ؛ وبنى العَزْفِىّ المشاهير ، الذين بَرّزوا فى ميدان السَّبْق على الخاصة[٥] والجماهير ؛ وحازوا رياسة الدين والدنيا ، وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا ؛ وغيرهم ممن لا يحصى كَثْره ، ممن كان لهم تقديم وأَثَره ؛ عدا عليها الدهر بعُدْوانه ، وسقط شَرفها من إيوانه ؛ واستولى عليها العدو الكافر ، فى قضية يطول شرحها ، وعظم على أهل الإيمان قَرْحها ، وأعضلَ أطباءَ الملوك إلى الآن جُرْحها ، ولم يزل بنفوس المؤمنين شَجْوها وبَرْحُها .

أخبرنى الفقيه الطيب العدْل الفَرَضِىّ ، سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير الغسانى رحمه الله : أنه لما دخل سبته ، حين وجّهه أمير المؤمنين ، مولانا المنصور ، رحمه الله ، إليها ، فى شأن فِداء الكفّار المأخوذين بالغزوة الشهيرة ، ذهب إلى المدرسة التى كان بناها أحد ملوك بنى مَرِين رحمهم الله ، وأظنه أبا عِنَان[٦] ،

---

(١) فى ط : « مآثره » .
(٢) فى ت : « وهداه ومناصبه » .
(٣) فى ت : « علومهم » .
(٤) فى ت : « نجوما » .
(٥) فى ت : « الخواص » .
(٦) هذه العبارة : « وأظنه أبا عنان » ساقطة فى ت .

وهى من أجلّ المدارس وأعظمها ، فرأى فى محرابها ناقوساً وصليباً ، قال : فساءنى ذلك ، فرفعت بصرى فإذا كتابة بخطٍّ رائق ، فى تلك النقوش فوق ذلك الناقوس ، فيها قوله تعالى : « شَهِدَ ٱللهُ أَنَّه لاَ إِلٰه إِلاَّ هو وَٱلْمَلاَئِكة وأُولو ٱلْعِلْمِ قائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيم ، إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلاَم » . وكان ذلك الكَتْب قديماً فيها من جملة ما كتب المسلمون بها حين بنائها ، على ما جرت به عادة الملوك من كَتْب الآيات القرآنية فى النقوش بالزَّلِيج(١) والمرمر . قال لى رحمه الله : فتعجبت(٢) من ذلك الاتفاق ، وسلاّنى ذلك بعضَ التسلى ، وإلى الله تُرْجع الأمور .

وكان أخذ سبتة ، أعادها الله ، سنة تسع عشرة وثمانِ مِئَة ، بعد ما استولى العدو الكافر على معظم بلاد الأندلس ، مثل قُرْطبة ، ومُرْسية ، وطُلَيْطِلَة ، وبَلَنْسِية ، وغيرها ، مما يطول تَعْداده .

رثاء طليطلة

وقد قال بعض الشعراء حين أُخذت طُلَيطِلة ، وكانت من أول ما أُخذ من القواعد العظام ، يخاطب أهلَ الأندلس :

يأَهْل أندلسٍ شُدُّوا رحالَكُم … فما المُقام بها إلا من الغَلَطِ
السِّلْك يُنْثَر من أَطْرافه وأَرى … سِلْكَ الجَزيرة مَنْثُوراً من الوَسط
من جاوَر الشرَّ لا يأمن بَوائقه … كيف الحياةُ مع الحيّات فى سَفَط

[٢٢]

(١) الزليج : نوع من الخزف الفاخر الأملس ، تبلط به الأرض أو يلصق على الجدران للزينة ، وهو ما يسمى فى لسان العامة « القاشانى » . (عن مجلة المجمع الملكى للغة العربية) . وقد وردت هذه الكلمة فى نفح الطيب (ج ١ ص ٩٤) ، كما وردت فى صبح الأعشى (ج ٥ ص ١٥٦) مشروحة بما لا يخرج عن هذا المعنى .
(٢) فى ت : « فعجبت » .

قصيدة الرندى فى رثاء الأندلس

ولله درّ الإمام العالم[١] العلاّمة خاتمة أدباء الأندلس ، أبى الطيّب[٢] صالح ابن شريف الرُّندى [رحمه الله][٣] إذ قال يندُب بلاد الأندلس ، و يبعث العزائم ويحرّكها من أهل الإسلام لنصرة الدين ، و إنقاذ البلاد من يد الكافرين ، ولسان الحال ينشده « لقد أسمعت لو ناديت حيا » :

لكل شىء إذا ما تم نُقْصانُ ... فلا يُغرَّ بِطِيب العيش إنسانُ
هى الأمورُ كما شاهدتَها دُوَلٌ ... من سَرَّه زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تُبْقِى على أحد ... ولا يَدُوم على حالٍ لها[٤] شان
يُمَزِّق الدهرُ حتماً كل سَابغة ... إذا نَبَت مَشْرَفِيّات وخِرصان[٥]
ويَنْتَضِى كلَّ سَيْفٍ للفَناء ولو ... كان ابنَ ذِى يَزَنٍ والغِمْدَ غُمْدان[٦]
أين المُلوكُ ذوو التِّيجان من يَمَن ... وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شدّاد فى إرم ... وأين ما ساسه فى الفُرْس ساسان
وأين ما حازه قارُون من ذهبٍ ... وأين عادٌ وشدّاد وقَحطان
أتى على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له ... حتى قضَوْا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلْك ومن مَلِك ... كما حكى عن خَيال الطَّيْف وَسْنان
دارَ الزمانُ على دارا وقاتَلَهُ ... وأَمَّ كِسْرى فما آواه إيوان[٧]

(١) فى ت : « الأديب » .
(٢) فى نفح الطيب : « أبى البقاء » .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « قوم بها » .
(٥) السابغة : الدرع الكاملة . والمشرفيات : السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف . والخرصان (بكسر الخاء) : الرماح ، الواحد : خرص .
(٦) سيف بن ذى يزن : من ملوك اليمن . وغمدان : قصره .
(٧) دارا : أحد ملوك الفرس .

كأنما الصَّعبُ لم يَسْهُل له سَبَب يومًا ولا مَلَكَ الدنيــا سُلَيمانُ
فَجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوَّعــة وللزمان مَسرَّات وأحزان
وللحوادث (١) سُــلْوان يُهَوِّنها وما لما حَــلّ بالإسلام سُلْوان
دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عَزاء له هوَى له أُحدٌ وانهدّ ثَهْــلان (٢)
أصابها العَيْنُ فى الإسلام فارْتَزَأتْ (٣) حتى خلتْ منــه أقطار وبُلْدان
فاسأل بَلنسيَة ما شأن مُرْسِيَةٍ وأين شــاطبة أم أين جَيّان
وأين قُرْطَبة دار العــلوم فكم من عالم قــد سما فيها له شان
وأين حِمْص (٤) وما تَحْويه من نُزَهٍ ونهرها العَــذْب فيّاض وملآن
قواعدٌ كُنَّ أركان البلاد فما عسَى البقاء إذا لم تَبْق أركان [٢٣]
تبكى الحنيفيّةُ البيضاء من أسفٍ كما بكى لِفراق الإلف هَيْمان
على ديارٍ من الإســلام خاليةٍ قد أسْلمت (٥) ولها (٦) بالكفر عمران
حيث المَساجد قد صارت كنائسَ ما فيهنّ إلا نواقيس وصُلْبان
حتى المحاريبُ تبكى وهى جامــدةٌ حتَّى (٧) المَنابر تَرْثى وهى عِيدان
يا غافلاً وله فى الدهر مَوْعِظة إن كنتَ فى سِنَةٍ فالدهر يَقْظان
وماشــياً مَرِحًا يُلْهِيه مَوطِنه أبعْــدَ حِمْص تغُرّ المرءَ أوطان

(١) فى ت : « والمصائب » .
(٢) أحد وثهلان : جبلان فى بلاد العرب .
(٣) كذا فى ت : ونفح الطيب . وفى ط : « فامتحنت » .
(٤) يريد بحمص : « إشبيلية » لأن الذين سكنوها عند الفتح كانوا من أهل حمص بالشام .
(٥) فى نفح الطيب : « أقفرت » .
(٦) فى ط : « فلها » .
(٧) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « حيث » .

تلك المُصيبة أنستْ ما تقدَّمها ... وما لها مع طُول الدهر نِسْيانُ

يأيها المَلِكُ البيضاءُ رايتُه ... أدْرِكْ بسَيْفك أهل الكفر لا كانوا[1]

يا راكبين عِتاق الخيل ضامرةً ... كأنها فى مَجال السَّبْق عِقبان

وحاملين سيوف الهند مُرْهفةً ... كأنها فى ظلام النَّقْعِ نيران

وراتعين وراء البحر فى دَعةٍ ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطان

أعندكم نبأٌ من أهل أندلسٍ ... فقد سرى بحديث القوم رُكْبان

كم يستغيث بنو المستضعفين[2] وهم ... أسرَى وقتلى فما يهتزّ إنسان

ما ذا التقاطع[3] فى الإسلام بَيْنكمُ ... وأنتمُ يا عبادَ الله إخْوان

ألاَ نفوسٌ أبيَّات لها هِمم ... أمَا على الخَيْر أنصارٌ وأعْوان

يا مَن[4] لذلة قوم بعد عزّهمِ ... أحال حالَهم كفر[5] وطُغْيان

بالأمس كانوا مُلوكاً فى منازلهم ... واليوم هم فى بلاد الكُفر عُبْدان

فلو[6] تراهم حَيارى لا دليل لَهم ... عليهمُ من ثياب الذلّ ألوان

ولو رأيتَ بُكاهم عند بَيْعهم ... لهالَكَ الأمرُ واستهوتْك أحزان

يا رُبَّ أمٍّ وطفلٍ حِيل بينهما ... كما تفرّقُ أرواح وأبْدان

---

(١) هذا البيت ساقط من نفح الطيب .

(٢) فى ت : « بنا المستضعفون » .

(٣) فى ط : « التنافر » .

(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « من ذا » .

(٥) فى ت : « قهر » .

(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ولو » .

وطَفلةٍ ما رأتها الشمس إذْ[١] بَرزت   كأنما هى ياقوتٌ ومَرْجانُ
يقُودها العِلْج للمكْروه مكرهةً   والعين باكيةٌ والقلب حَيْران
لمثل هذا يذوب القَلْب من كَمَد   إن كان فى القلب إسلام وإيمان

انتهى[٢] .

ابن عاصم وبعض ما جاء فى كتابه عن انحلال أمر الأندلس

[٢٤] وكان الشيخ [الإمام][٣] العلّامة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحيى بن عاصم صاحب الشرح على تحفة أبيه ، رحم الله الجميع ، عند ما رأى اختلال أمر الجزيرة — أعادها الله — وأخْذ النصارى — دمرهم الله — لمعظمها ، ولم يبق إذ ذاك بيد المسلمين إلا غَرناطة ، وما يقرب منها ، مع وقوع فتن بين ملوك بنى نَصْر حينئذ ، ثم أفضى المُلْك إلى بعضهم ، بعد تمحيص وأمور يطول بيانها ، ألف كتابا سمّاه : « جَنة الرِّضَى ، فى التسليم لما قدر الله وقضى » ، وهو كتاب عجيب جدا غريب ، رأيت بعضه بتِلِمْسان ، ونقلت منه ما نصه :

« مَن استقرأ التواريخ المنصوصة ، وأخبار الملوك المقصوصة ، علم أن النصارى — دمّرهم الله — لم يدركوا فى المسلمين ثارا ، ولم يَرْحَضُوا[٤] عن[٥] أنفسهم عارا ، ولم يخرّبوا من الجزيرة منازل وديارا ، ولم يستولُوا عليها بلادا جامعة وأمصارا ، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف ، واجتهادهم فى وقوع الافتراق ، بين المسلمين والاختلاف ؛ وتَضْريبهم[٦] بالمكر والخديعة بين ملوك

(١) فى ت : « قد » . ورواية هذا الشطر فى نفح الطيب :
« وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت »
(٢) أشار المؤلف فى نفح الطيب بعد ذكر هذه القصيدة إلى أنها قد زيد عليها أبيات أخر ليست منها ، وأنه نقلها على هذه الصورة عمن يوثق به وليس فيها تلك الزيادة .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) كذا فى نفح الطيب ، ورحض : غسل . وفى الأصلين : « لم يدحضوا » .
(٥) فى ت : « على » .
(٦) كذا فى ت : ونفح الطيب . وفى ط : « وتصريفهم » .

الجزيره ؛ وتحريشهم بالكيد والخِلابة بين حُماتها فى الفتن المُبيره ؛ ومهما كانت الكلمة مؤتلفه ، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفه ، والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفه : فالحرب إذ ذاك سِجال ، ولله فى إقامة الجهاد فى سبيله رجال ، والممانعة[(١)] فى غرض المدافعة[(٢)] ميدان رحب ومجال ، ورَوِيَّة وارتجال .

ثم قال : وتطاولت الأيام ما بين مهادَنة ومقاطعه ، ومضاربة ومقارعه ، ومُنازلة ومنازعه ، وموافقة وممانعه ، ومحاربة وموادعه ؛ ولا أمل للطاغية إلا فى التمرّس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحّدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ؛ وهو يظهر أنه ساع للوطن فى العاقبة الحسنى ، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنَى ؛ وأنه مُهْتَمٌّ بمُراعاة أمورهم ، وناظِر بنظَر المصلحة لخاصّتهم وجُمْهورهم ؛ وهو يُسِرُّ حَسْوًا فى اُرتغائه[(٣)] ، ويُعْمِل الحيلةَ فى التماس هُلْك الوطن واُبتغائه . فتبًّا لعقول تقبل مثل[(٤)] هذا المُحال ، وتُصَدِّق هذا الكذب بوَجْه أو بحال[(٥)] ؛ وليْت المَغْرور الذى يقبل هذا لو فكّر فى نفسه ، وعَرَض هذا المسموعَ على مُدْركات حِسّه ، وراجع[(٦)] أوّليات عقله وتجريبات[(٧)] حَدْسه ، وقاس عدوَّه الذى لا تُرجى مودّته على أبناء جنسه ؛ فأنا أُناشده[(٨)] الله ، هل بات قطُّ بمصالح النصارى وسلطانهم مُهْتَمّا ، وأصبح من خَطْبٍ طرَقهم مُغْتما ؛ ونظر لهم نظرَ المفكّر فى العاقبة الحسنه ، أو قَصَد لهم قَصْد [٢٥]

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وللمبالغة » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الموافقة » . وهو تحريف .
(٣) الحسو : شرب السائل شيئا بعد شىء . والارتغاء : احتساء الرغوة . وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « تقبل هذا المحال » .
(٥) فى ط : « حال » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ورجع » .
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « تجربات » .
(٨) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « أنشده » .

المدبّر فى المعيشة[١] المستحسنه ؛ أو خطر على قلبه أن يحفظ فى سبيل القُرْبة[٢] أربابَهم وصُلْبانَهم ، أو عمر ضميره من تمكين عِزّهم بما ترضاه أحبارُهم ورُهْبانهم ؛ فإن لم يكن ممن يَدين بدِينهم الخبيث ، ولم يُشْرَب قَلْبُه حُبّ التَّثْليث ؛ ويكون صادق اللهجة ، مُنْصِفا عند قِيام الحُجّة ؛ فسيعترف أن ذلك لم يَخْطُر له قَطُّ على خاطر ولا مَرّ له ببال ، وأنّ عكسَ ذلك هو الذى كان به ذا اُغتباط و بفعله ذا اُهْتِبال[٣] ، و إن نُسِب لذلك المعنى[٤] ، فهو عليه أثقل من الجبال ، وأشدّ على قلبه من وقْع النِّبال ؛ هـذا وعَقْدُه[٥] التوحيد ، وصَلَاته التحميد ؛ ومِلّته الغَرّاء ، وشريعته البيضاء ؛ ودِينُه الحَنيف القَويم ، ونَبِيّه الرءوف الرحيم ، وكتابه القرآن الحـكيم[٦] ، ومَطْلوبه بالهداية الصراطُ المستقيم ؛ فـكيف نعتقد هذه المزيّة الـكُبرى ، والمَنْقبة الشُّهْرى ؛ لمن عَقْدُه التَّثْليث ، ودينه المَليث[٧] ؛ ومعبوده الصَّليب ، وتَسْميته التَّصْليب ؛ ومِلّته المَنْسوخة ، وقضيّته المفسوخة ؛ وخِتانه التَّغْطيس ، وغافر ذَنبه القِسِّيس ؛ وربُّه عيسى المسيح ، ونَظَرُه ليس البيِّن[٨] ولا الصحيح ، وأن ذلك الربّ قد ضُرِّج بالدماء ، وسُقِى الخل عِوَضَ الماء ؛ وأنّ اليهود قد[٩] قتلته مَصْلوبا ، وأدركته مطلوبا[١٠] ، وقهرته[١١]

(١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « العيشة » .

(٢) كذا فى ت ونفح الطيب . والقربة : التقرب . وفى ط « الغربة » .

(٣) الاهتبال : تحين الشيء واغتنامه .

(٤) كذا فى نفح الطيب ، وفى ط : «وإن نسب ذلك لا لمعنى» . وفى ت : « وإن نسب ذلك المعنى » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وعظه » .

(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « العظيم » .

(٧) مليث : مختلط أمره . يقال : رأس مليث إذا اختلط شعره الأبيض بالأسود .

(٨) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « لا أبين » .

(٩) هذه الـكلمة : « قد » ساقطة فى ت ونفح الطيب .

(١٠) هذه العبارة « وأدركته مطلوبا » ساقطة فى ت .

(١١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وقتلته » .

مغلوبا ؛ وأنه جَزِع من الموت وخاف ، إلى سِوَى[1] ذلك مما يُناسب هذه الأقاويل السِّخاف ؛ فكيف يُرْجَى من هؤلاء الكفرة من الخير مثقال[2] الذَّرَّة ، أو يُطْمَع[3] منهم فى جَلْب المنفعة أو دفع المضرّة ؛ اللهم احفظ علينا العقلَ والدين ، واسلُك بنا سبيلَ المهتدين » . انتهى .

ومنه أيضاً ما نصه :

« كانت خِزانةُ هذه الدار النَّصْرية[4] ، مشتملة على كل نَفيسة من الياقوت ، ويتيمة من الجوهر ، وفريدة من الزُّمُرُّد ، وثمينة من الفَيْرُوزج ، وعلى كل واقٍ من الدُّروع ، وحامٍ من العُدَّة ، وماضٍ من الأَسْلحة ، وفاخر من الآلة ، ونادر من الأمتعة ، فمن عُقود فَذَّة[5] ، وسُلوك جَمَّة ، وأقراط تُفضَّل على قُرْطَىْ مارِيَةَ[6] ، نفاسة فائقة ، وحُسْناً رائقاً ، ومن سيوفٍ شواذَّ فى الإبداع ، غرائب فى الإعجاب ، مَنسوبات[7] الصفائح فى الطَّبْع ، خالصة[8] الحَلْى من التِّبْر ؛ ومن دُروع مُقَدَّرة[9] السَّرْد ، متلاحمة النسج ، واقية للبأس[10] فى يوم الحرب ، مشهورة النِّسبة إلى داود نبىّ الله ؛ ومن جَواشِنَ[11] سابغة اللِّبْسة ، ذهبيّة الحِلْية ، [٢٦]

(١) فى ت : « غير » .
(٢) فى نفح الطيب : « مقدار » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « يطلب » . وهو تحريف .
(٤) النصرية : نسبة إلى بنى نصر ، وهم بنو الأحمر أصحاب غرناطة .
(٥) فى هامش نفح الطيب : « عدة » .
(٦) هى مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ، زوجة الحارث الأكبر الغسانى ؛ وكان فى قرطيها لؤلؤتان عجيبتان ضربت العرب بنفاستهما المثل .
(٧) معروفة بصانعيها .
(٨) فى ت ونفح الطيب : « خالصات » .
(٩) فى ط : « المقدودة » ، وهو تحريف .
(١٠) فى ط ونفح الطيب : « للناس » .
(١١) الجواشن : الدروع .

هندية الضَّرب ، دِيباجيَّة الثوب ؛ ومن بَيْضات عسجدية الطوق [١] ، جوهرية التنضيد [٢] ، زَبَرجدية [٣] التقسيم ، ياقوتية المركز ؛ ومن مَناطِقَ لُجَيْنيّة الصوغ ، عَرِيضة [٤] الشكل ، مُزَجَّجة [٥] الصَّفْح ؛ ومن دَرَق لَمْطِيَّة [٦] ، مُصْمتة المسامّ ، ليِّنَة المَجسّة ، معروفة المَنْعة ، صافية الأديم ؛ ومن قِسِيّ ناصعة الصِّبْغة ، هلاليـة الخلقة ، منعطفة الجوانب ، زَارِية بالحواجب ، إلى آلات فاخرة ، من أَتْوَار [٧] نُحاسيّه ، ومناوِرَ [٨] بِلَّوريه ، وطيافير [٩] دِمَشْقيه ، وسُبحات [١٠] زُجاجيه ، وصِحاف صِينيه ، وأكواب عِراقيه ، وأقداح طباشِيريه [١١] ، وسِوى

(١) فى نفح الطيب طبع مصر : « الطرق » .
(٢) فى ط : « التنضيض » وهو تحريف .
(٣) كذا فى ت : ونفح الطيب . وفى ط « يجردية » وهو تحريف .
(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « عرضة » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « فرجية » وفى ط « برعمة » .
(٦) نسبة إلى لمطة مدينة من المغرب الأقصى ينسب إليها الدرق ، لأنهم ينقعون الجلود فى الحليب سنة ، فيعملونها ، فينبو عنها السيف القاطع .
(٧) كذا فى ت . والأتوار : آنية يشرب فيها ، وأحدها تور . وفى نفح الطيب : « أوتار » . وفى ط : « أتواق » ولا معنى لهذه الأخيرة .
(٨) المناور : جمع منارة ، وتجمع على منائر ومنارات . وهى مايوضع عليه السراج . وقد ذكرها دوزى نقلا عن أبى إسحاق الشيرازى فى عبارة نصها : «فى آنية مختلفة الأعلى والأوسط والأسفل كالأباريق والأسطان الضيقة الرءوس والمنارات (المنائر) » .
(٩) الطيافير : كلمة مولدة لم ترد فى معاجم اللغة . وذكرها دوزى فى كتابه تكملة المعاجم العربية : « وهى أطباق مستديرة عميقة ، قاعها مستو ، وحافاتها مرتفعة نحو ثلاث بوصات أو أربع ؛ الواحد : طيفور ، ويقال فيه « تيفور » وتجمع أيضا على طيافر وطوافير» . وقد وردت أيضا ضمن عبارة فى صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٠٥) هذا نصها : « فيمد لهم السماط ثرائد فى جفان حولها طوافير ، وهى المخافى ، فيها أطعمة ملونة منوعة » . وظاهر من عبارة صبح الأعشى أنها آنية ذوات أغطية .
(١٠) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . والسبحات : جمع سبحة ، وهى خرزات تنظم فى خيط للتسبيح ، وهى مولدة . وذكرها هنا بين أسماء آنية الطعام ووصفها بالزجاجية ، يشعر بأنها محرفة عن لفظ آخر .
(١١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين ورواية أخرى فى نفح الطيب : « طباشرية » ، ولعل المراد بالطباشير هنا : مادة خزفية أو نحوها .

ذلك مما لا يُحيط به الوَصْف ، ولا يَسْتوفيه العَدّ ؛ وكل ذلك أَلْهَبَه(١) شُواظُ(٢) الفِتْنة ، والتقمه تيَّار الخِلاف والفُرْقه ؛ فرُزِئت الدار منه بما يتعذَّر إتيان الدهور بمثله ، وتَقْصر ديار الملوك المؤثَّلة النِّعْمة عن بعضه فضلا عن كُلّه » . انتهى .

وسنذكر من كلامه رحمه الله بعد هذا ، زيادة على ما جلبناه الآن ، والله المستعان .

ذكر غرناطة

وكانت غَرْناطة منتهى الآمال ، ووُسْطَى قِلادة الأمصار ، ولم تزل محاسنها مَجْلُوَّة على مَنصّة الدهور والأعصار . وقد استولى(٣) وصفَها لسانُ الدين الوزير أبو عبد الله بن الخطيب فى كتاب الإحاطة ، ويرحم الله القائل :

غَرْناطةٌ ما لهــــا نَظير ما مِصْرُ ما الشّامُ ما العراق ؟
ما هِيَ إلا العروسُ تُجْلَى والأرض من جُملة الصَّداق(٤)

تقريظ لابن عاصم على كتاب الإحاطة

قال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن [أحمد بن(٥)] الحدَّاد الشهير بالوادى آشى ، نزيل تِلِمْسان :

كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال ، الفائقة الكمال ، من الإحاطه ، فى تاريخ غَرناطه ، المُحَبَّسة على المدرسة اليُوسُفيه ، من الحضرة العَلّيه(٦) ، بخط قاضى الجماعه ، ومنفِّذ الأحكام الشرعيّة المُطاعه ، صَدْر البلغاء ، وعَلَم العلماء ، ووحيد الكبراء ، وأصيل الحُسباء ، الوزير الرئيس المعظّم أبى يحيى بن عاصم ، [٢٧] رحمة الله عليه ، ما نَصُّه :

(١) كذا فى إحدى روايتى نفح الطيب . وفى الأصلين ورواية أخرى بنفح الطيب « التهبه » . ولم يرد هذا الفعل متعديا فى كتب اللغة . ولعله محرف عن « التهمه » .
(٢) الشواظ : لهب النار .
(٣) يريد : « تولى » . ولم يرد فى المعاجم « استولى » متعديا إلا بالحرف .
(٤) رواية الشطر الثانى من البيت فى نفح الطيب : « وتلك من جملة الصداق » .
(٥) زيادة عن الإحاطة .
(٦) فى ط : « العالية » .

« الحمد لله ، الاستدلالُ بالأثر على المؤثِّر مما سَلَّمه الأَعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ؛ وهو الحُجَّة المُعْتمدَة حين تتفاضل الألباب ، وتتقاصر الأفهام ، وبه الاستمساك إنْ طَرَقَت الشكوك ، أو عرضت الأوهام . وحسْبُك بما يُسَلَّم فى هذا المقام المتعالى من الأدله ، وما يُعتَمد فى هذا المجال المتضايق من البراهين المستَقِلّه ؛ فحقيق أن يُتلَقَّى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفنّ المشار إليه بالقَبول ، ويُستَقبَلَ المُهْتَدِى لاستنباطه لما فيه من التَّبادر إلى الأفهام والتسابق للعقول ؛ وإذا ثبت أن المستدلّ بهذه الأدلة سالك على سواءِ سبيل ، ومنتمٍ من صحة النظر إلى أكرم قَبِيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذى الوزارتين[1] أبى عبد الله بن الخطيب رحمهُ الله ، من أثر هذه الدولة النّصْرية — أدامها الله — بكل اعتبار ، ومآثِرها التى هى عبرة لأولى الألباب ، وذكرى لأولى الأبصار .

أما الأول فلأن الأنباء التى أظهرت صحتها[2] ، وأوضحت حجّتها ، وشرّفت مَقصِدَها ، وكرّمت مَصعَدَها ، إنما هى مَناقب ملوكها الكِرام ، ومكارم خُلفائها الأعلام ، وأخبار[3] من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حَملة السيوف والأقلام ؛ وأفذاذ حفظة الدين والدنيا ، والشرف والعَلْيا ، والمُلْك والإسلام ؛ أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة المُلْك ، ويُنْظَمَ[4] نظم الجُمان[5] فى ذلك السِّلك ، من حَصانة قَلْعتها ، وأصالة[6] مَنَعتها ؛

(١) فى ط : « ذى الوزارة » . وهو تحريف .
(٢) فى ت : « ظهرت بهجتها » .
(٣) فى ت : « أو أخبار » .
(٤) فى ت : « ينتظم » .
(٥) فى ت : « الجمال »
(٦) فى ط : « وأصانة » . وهو تحريف .

وقَدِيم اختطاطها ، وكريم جهادها ورباطها ؛ وحُسْن ترتيبها ووَضْعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهلُ رَبْعها ؛ وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قَبيل القليل ، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ، ممن انتابها[١] من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل .

وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوه[٢] ، ومُبدع محاسنها المجلُوَّه ، وناقل صورتها من الفِعل إلى القوه ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمه ، ونشأة[٣] من نَشَآت جودها الشامل النعمه ، الهامل الديمه ؛ فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف[٤] هذه المكارم النَّصْرية أرضعته ، وعنايتها الجميلة أَسْمته ، فوق الكواكب ورفعته ؛ وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، [٢٨] ومن كريم تشريفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هي منشؤه الذى عظم فيه قدره ، بل أُفقه[٥] الذى أشرق فيه بدره ؛ والتشريفات السلطانية هي التى فَتَقَتِ اللَّهى باللُّهى[٦] ، وأحلّت من مراقى العزّ فوق السُّهَا[٧] ؛ وأمكنت الأيدى[٨] من الذّخائر والأعلاق ، وطوقت المِنن كالقلائد فى الأعناق ؛ وقلّدت الرياسةَ والأقلامُ أقلام ، وثنت الوزارةَ والأعلامُ أعلام ؛ فبهرت أنواعُ المحاسن ، وورد معين البلاغة غير المَطْروق ولا الآسن ؛ وبَرَعَتِ التواليف ، فى الفنون المتعدده ، واشتهرت التصانيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له

(١) كذا فى ط . وانتابها : قصدها . وفى ت : « انتهى بها » .
(٢) فى ط : « المتامرة » . وهو تحريف .
(٣) النشأة : السحابة الناشئة .
(٤) الأخلاف : جمع خلف ، وهو من ذوات الخف بمنزلة الثدى للإنسان .
(٥) فى ط : « بالفقه » وهو تحريف .
(٦) اللهى (بالفتح) : جمع لهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق ، واللهى (بالضم) : جمع لهية ، وهى العطية .
(٧) السها : كوكب خفى من بنات نعش ، ويضرب به المثل فى العلو والارتفاع .
(٨) فى ط : « الأيادى » .

من الأذمّة المتأكده . وإذا[١] ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتمه الإجمال ، فلنفصح[٢] الآن بما قَصَد ، ولنحقق من أنجُم السعادة ما رَصَد ، وذلك أن لمولاى[٣] أمير المؤمنين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، الغالب بالله ، المؤيد بنصره أبى عبد الله ، محمد بن الخلفاء النَّصْريين — أيده الله ونصره ، وسنَّى له الفتح المبين ويسّره — مآثرَ لم يُسبق إليها ، ومكارمَ لم يَجْرِ أحد ممّن وُسِم بالكرم عليها ، لجلالة قدرها ، وضخامة أمرها ؛ من ذلك هذا القَصْد الذى آثر لها كالكتاب المذكور وسوَاه ، ممـا هو واحد وفذّ[٤] فى معناه ؛ عَقَد فى جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العلية[٥] هنالك ، ليشمل به الإمتاع ، ويعم به الانتفاع ؛ والله ينفع بهذا القَصْد الكريم ، ويتولّى المثوبة على هذا العَقْد الجسيم .

وهذه النسخة فى اثنى عشر سِفْرا ، متفقة الخط والعمل ، اكْتُتِب هـذا على ظهر الأول منها بتاريخ[٦] رجبٍ الفَرْد ، عام تسعة وعشرين وثمَانِ مِئَة ، عرف الله بركته بمنّه ، آمين[٧] » . انتهى .

نبذة من كتاب الروض لابن عاصم عن ابن يوسف

وقال الوزير أبو يحيى بن عاصم المذكور ، قدّس الله روحه الطيبه ، وسقى[٨] مثواه غيثَ رحمته الصيّبه ، فى كتابه المسمى بـ « الروض الأريض[٩] ، فى ترجمة شموس العصر ، من ملوك بنى نصر » ، فى اسم الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن نصر الخزرجىّ ، بعد كلام ما نصه :

(١) فى ط : « إذا » بدون واو .
(٢) فى ت : « فالنصح » .
(٣) فى ت : « لمولانا » .
(٤) فى ت : « ... واحد فى فنه وفى معناه » .
(٥) فى ط : « العليا » .
(٦) فى ط : « وبتاريخ » .
(٧) هذه الكلمة « آمين » ساقطة فى ت .
(٨) فى ط : « وسقاه غيث » .
(٩) بقية الإسم فى نفح الطيب : « فى تراجم ذوى السيوف والأقلام والقريض » .

« كان قد جرى عليه التمحيص الذى أزعجه عن وطنه ، إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مَرِين ، فأفادته الحُنْكةُ والتجربة هـذه السيرة التى وقف شيوخنا على حقيقتها ، وانتهجوا واضح طريقتها ، و بلغَتْنا منقولة بألسنَة صدقهم ، معبّراً عنها فى عرف التخاطب بالعادة ، فلم يكن الوزير الـكيّس ، والرئيس الجِهْبِذ يجريان من الاستقامة على قانون ، ولا يَطَّردان من الصواب على أسلوب ، إلا بالمحافظة على ما رَسم من القواعد ، والمطابقة لما ثبَّت[1] من العوائد ؛ وكان ذوو النُّبل من هذه الطبقة ، وأولو الحِذْق من أرباب هذه المهن السياسية ، يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قعّد ، ويرون المَفسدة بالخروج[2] عنها ضربةَ لازب[3] ، وأن الاستمرار على مَراسمها آكدُ[4] واجب ؛ فيتحرّونها بالالتزام كما تُتَحَرَّى السُّنن ، ويتوخَوْنها بالإقامة كما تُتَوَخَّى[5] الفرائض ، وسواء تبادر لهم معناها ففهموه ، أو خفى عليهم وَجْه رَسْمها فجهلوه » .

[٢٩]

مثل من حرص ابن الخطيب على العوائد

حدثنى شيخُنا القاضى أبو العبّاس أحمد بن أبى القاسم الحسنى :

أن الرئيس أبا عبدالله بن زَمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبى عبدالله بن الخطيب يستأذنه فى جملة مسائل ، مما يتوقف[6] عادة على إذن الوزير ، وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبى عبدالله . قال الشريف : فأمضاها كلَّها له[7] ، ما عدا واحدة منها تضمّنت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذو الوزارتين

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « أثبت » .
(٢) فى ط : « فى الخروج » .
(٣) فى ط : « لازم » .
(٤) فى ط : « واكد » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين « تقام » .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « توقف » .
(٧) هذه الـكلمة : « له » ساقطة فى ت .

[ابن الخطيب] [١] : لا والله يا رئيس أبا عبد الله ، لا آذن لك فى هذا ، لأنَّا ما استقمنا فى هذه الدار إلا بحفظ العوائد .

اضطراب أمر الأندلس بالخروج على القواعد

[ثم] [٢] قال صاحب الروض :

فلما تأذّن الله [تعالى] [٣] للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهْن بتمكن الأسباب ؛ عُدِل عن هذه القواعد [٤] الراسخة ، واستُخِفّ بتلك القوانين [٥] الثابتة ؛ فنشأ من المفاسد ما أعوز رَفْعُه ، وتعدّد وِتْره وشَفْعه ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه ، وتعذّر فيه الدواء الذى يُرْجى نفعه ؛ وكان قد صَحِبه من الجد ما سنّى آمالَه ، وأنجح — بإذن الله — أقواله وأعماله ؛ فكان يُجرِى الأمر على رَسْم من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ؛ ثم يَحُفّه [٦] من الجد سياج لا يفارقه ، إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانيّة من فروعه وأصوله .

انتهى كلام ابن عاصم ، وإنما أتيت به لغرابته .

وصف البكرى للأندلس

وقال أبو عبيد البكرىّ رحمه الله :

[٣٠] « الأندلس شامية فى طيبها وهوائها ، يمانيَة فى اعتدالها واستوائها ، هندية فى عطرها وذكائها ، أهوازية فى عظم جباياتها ، صينية فى جواهر معادنها ، عدنية فى منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين » [٧] .

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) زيادة عن نفح الطيب .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : تلك « العوائد » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « القواعد » .
(٦) كذا فى ت . وفى ط : « يحبه » .
(٧) لكلام أبى عبيد البكرى بقية ذكرها المؤلف فى نفح الطيب (ج ١ ص ٦٤ طبعة المطبعة الأزهرية) .

وصف ابن الخطيب للأندلس

وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب :

خص الله بلاد الأندلس من الرَّيع ، وغَدق السُّقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودُرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحُّر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وابيضاض ألوان الإنسان[١] ، ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الإدراك ، وإحكام التمدن والاعتمار ، بما حرمه[٢] الكثير من الأقطار ، مما سواها .

ثم قال : وحديث الفتح ، وما فتح الله على الإسلام من المَنْح ، وأخبار ما أفاء الله من خير ، على موسى بن نُصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ، مَمْلول قُصّاص وأوراق ، وحديث أُفُول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ؛ وعَظْم[٣] اُمتشاش[٤] ، وآلة مُعلّقة فى دُكّان قَشّاش[٥] . انتهى .

أبو يوسف المرينى ودن جانجه ، ومثل من عز الإسلا

ولا خفاء بما كان لملوك المسلمين بالأندلس والعُدوة على النصارى — دمَّرهم الله — من الاستطالة والغلبة ، حتى وقع التخاذل والتدابر ، فانعكس الأمر . وقد حكى غير واحد أن دُن جانجه[٦] بن دُن أُلفُنْش ، استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المَرينى ، ولاذ به ، ورَهن عنده تاجَه[٧] ذخيرةَ النَّصارى ، ولقيه بصخرة عبّاد ، من أحْواز رُنْده ، فسلّم عليه ،

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأسنان » .
(٢) فى ت : « أحرمه » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وأعظام » .
(٤) امتشاش العظم : مصه ممضوغا لاستخراج ما فيه . يريد أن الحديث فى هذا مفروغ منه كالعظم الذى امتش ، فلم يبق فيه شىء .
(٥) القشاش : الذى يبيع القديم البالى من سقط المتاع . (عن دوزى)
(٦) كذا فى ط . وفى الاستقصا للسلاوى (ج ٢ ص ٢٧ طبع مصر) : « شانجة » وفى ت : « تجانجة » . ثم إن السلاوى ذكر أن المستنصر هو هرانده أبو شانجه . على العكس مما ساق المؤلف هنا .
(٧) فى ط : « تاج » .

ويقال إن أمير المسلمين[١] لما فرغ من ذلك، طلب بلسان زَناتة[٢] الماء، ليغسل يده به من قُبْلة أُلفُنْش، أو مصافحته[٣].

تعقيب لابن الخطيب على قصة أبي يوسف

ابن الخطيب :

« والشيء يذكر بالشيء ، فأُثْبِتُ حكاية اتفقت لى بسبب ذلك ، أَستدعِى بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها ، وهى أن اليهوديّ الحكيم ابن زَرْزار ، على عهد مَلِك النصارى ، حفيد هذا ألفنش المذكور ، وصل إلينا بغَرناطة فى بعض حوائجه ، ودخل إلىّ بدار سكناى ، مجاوراً لقصر السلطان بحمراء غرناطة ، وعندى القاضى اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة ، و بيده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبى[٤] عبد الرحمن بن السلطان الكبير المولى أبى الحسن ، وكان محمد هذا قد فرّ إلى صاحب قَشْتالة ، واسْتُدْعِىَ من قِبَلِه إلى المُلْك ، فسَهَّل له ذلك ، وشرط عليه ما شاء ؛ وربما وصله خطابه بما لم [٣١] يُقنعه فى إطرائه ، فقال [لى[٥]] : مولاى السلطان دُنْ بطره يُسلِّم عليك ، ويقول لك : اُنظر مخاطبة هذا الشخص ، وكان بالأمس كلباً من كلاب بابه ، حتى ترى خَسارة الكرامة فيه . فأخذت الكتاب من يده ، وقرأته وقلت له : أبلغه عنى أن هذا الكلام ما جرّك إليه إلا خُلُوُّ بابك من الشيوخ ، الذين يُعرِّفونك بالكلاب وبالأسود ، وبمن تُغْسَل الأيدى منهم إذا قَبَّلوها ، فتعلم مَن الكَلْب الذى تُغْسَل اليد منه ، ومَنْ لا ، وأنَّ جَدَّ هذا الولد هو الذى قَبَّل جَدُّك يده ،

---

(١) فى ط : « المؤمنين » .

(٢) فى ط : « الزناتية » .

(٣) فى ت : « ومصافحته » .

(٤) كذا فى ت والاستقصا . وفى ط : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ت .

واستدعَى الماءَ لغسل يده منه بمحضَر النصارى والمسلمين ؛ ونسبة الجدّ إلى الجدّ كنسبة الحفيد إلى الحفيد ؛ وكونه لجأ إلى بلادك ليس بعار عليه ، وأنت مُعَرَّض إلى اللَّجَإ إليه ، فيكافئُك بأَضعاف ما عاملته[1] به . فقام ابن الحسن المستقصى يبكى ، ويُقبِّل يدى ، ويَصِفُنِى بولىّ الله ، وكذلك مَنْ حضرنى . وتوجَّه إلى المغرب رسولا ، فقصَّ على بنى مَرِينَ خبر ما شاهده منى وسمعه ؛ وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه » . انتهى .

بعض ما كتب فى استنهاض الهمم ضد النصارى

ولما تقلَّص ظل[2] الإسلام بالجزيرة ، أعادها الله للإسلام ، واسترد الكفار ، دمرهم الله ، أكثرَ أمصارها وقراها ، على وجه العَنْوة والصلح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميّات[3] ذوى البصائر والأبصار ، ويستنهضون عزَماتهم من كل الأمصار .

لابن زمرك

فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زَمْرَك رحمه الله لما نزل المسلمون بآخر مَرْج غرناطة ، متوجهين لفتح خير :

« اعلموا أنا نَذْكر لكم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم ؛ إن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها ، وحَضَّهم عليها ؛ فالآيات فى المصاحف مسطوره ، والأحاديث مشهوره ؛ لبيع النفوس فيها من الرحمٰن ، وبذل المهج رغبة فى حصول ثواب الملك الدَّيَّان ، ينزِّل الله فيها الملائكة المسوَّمين . وتفرح الحُور العِين ، وتَسِح الرحمةُ من رب العالمين ، ويباهى الله ملائكته[4] بالمجاهدين ؛ وقد

(١) فى ط : « ما عملته » .

(٢) فى ط : « ذيل » .

(٣) فى ط : « حماة » .

(٤) فى ت : « الملائكة » .

تضافرت على ذلك النصوص ، وكفى شرفاً الفوز بمحبـة الله فى قوله (إنَّ اللهَ يُحِبّ الّذينَ يُقاتِلونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كأنّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ) ؛ فينبغى فيه الاستغفار من سالف الذنوب ، وتطهير السرائر والقلوب ، واجتماع الأيدى والكلمة فى مَرْضات عَلَّام الغيوب » . [٣٢]

لابن الخطيب

وأبلغ منه ما كتب به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب فى الحث على الجهاد ، والترغيب فيه ، وهو :

«أيها الناس ، رحمكم الله ، إخوانكم المسلمون قد دَهِمَ العدو — قَصَمهُ الله — ساحتهم ، ورام الكفر — قبحه الله — استباحتهم ؛ وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم(١) ، ومد الصَّليب ذراعيه إليهم ؛ وأيديكم بعزة الله أقْوَى ، وأنتم المؤمنون أهلُ البر والتقوى ؛ وهو دينكم فانصُرُوه ، وجوارُكم القريب فلا تُخْفِرُوه ، وسبيل الرُّشْد قد وضح فلتبصروه . الجهادَ الجهادَ ، فقد تَعَيَّن ؛ الجارَ الجارَ ، فقد قرر الشرع حقه وبَيَّن ؛ اللهَ اللهَ فى الإسلام ، اللهَ اللهَ فى أُمة محمد عليه السلام ؛ اللهَ اللهَ فى المساجد المعمورة بذكر الله ، اللهَ [اللهَ فى(٢)] وطن الجهاد فى سبيل الله ؛ قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهدُ الله وحاشاكم أن تَنْكُثُوه ؛ أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يَصِلِ اللهُ لكم(٣) جميل العوائِد ؛ صِلُوا رحِمَ الكلمه ، وآسُوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المُسْلِمه ؛ كتابُ الله بين أيديكم ، وألْسنة الآيات تناديكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه : (يأيها الّذين آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ) . ومما صح عنه قوله : « من اغْبَرَّتْ قدماه فى سبيل

(١) فى ط : « إليهم » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) فى ط : « إليكم » .

الله حرّمهما الله على النار » . « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودُخان جهنّم »[١] .
« ومن جهّز غازياً فى سبيل الله فقد غزا » . أدرِكوا رَمَق الدين قبل أن يفوت ،
بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت ؛ احفظوا وجوهكم مع الله يوم يسألكم
عن عباده ، جاهدوا فى الله بالألسُن والأموال حق جهاده :

ما ذا يكون جوابكم لنبيّكم   وطريقُ هذا العُذرِ غيرُ مُمهَّدِ
إنْ قالَ لِمْ فرَّطْتُمُ فى أُمّتى   وتركتموهم للعدوّ المُعتَدِى
تالله لو أنّ العقوبةَ لم تُخَفْ   لكفَى الحَيا[٢] من وجه ذاكَ السيِّد

[٣٣] اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بُثَّ لنا الحَمِيّة فى البلاد ، اللهم دافع
عن الحريم الضعيف والأولاد ؛ اللهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك
يا خير الناصرين ، اللّهُمّ أفرِغ علينا صَبْراً وثبِّتْ أقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين . وصلَّى الله على سيدنا [ومولانا[٣]] محمد ، وعلى آله وصحبه وسَلَّم
تسليما » . انتهى .

سقوط غرناطة فى يد العدو والخلاف فى تاريخ ذلك

واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مده ، والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا
والعدوُّ تَكالُبًا وشِدّه ؛ حتى استولى على الجزيرة بأسرها ، وشَرْح ذلك يطول .
وكان استيلاؤه على حمراء غَرناطة ، ودخول جيشه [لها[٣]] ثانىَ ربيع النبوىّ ،
من عام سبعة وتسعين وثمان مِئَة . هكذا رأيته فى تأليف لبعض المتأخرين ، ضَمَّنه
القضية ، وألّفه بسببها ؛ على أنى رأيت بخط الفقيه أبى عبد الله الوادى آشى
ما يخالف ذلك ، وهو[٤] أنه أورد رسالة لابن الخطيب يخاطب بها السلطان أبا سالم

(١) تتمة الحديث كما فى سنن النسائى : « فى منخرى مسلم أبدا » .
(٢) الحيا : مقصور من الحياء .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) فى ت : « وذلك » .

المَرِينىّ ، نَصُّ محل[١] الحاجة منها :

« ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلّت عُروة تأميلكم ، أو أعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه » . انتهى .

فكتب بطُرّته أبو عبد الله الوادى آشى المذكور[٢] ما نصه :

« كذلك وقع آخرَ الأمر . وكان الاستيلاء على غَرْناطة آخرِ ما بقى من بلاد الأندلس للإسلام ، فى محرّم [عام][٣] سبعة وتسعين وثمان مِئَة ، فرحم الله ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ، وغَفَر له برحمته » . انتهى كلام الوادى آشى .

على أنه قد يظهر من كلام بعضهم أن الصلح كان فى محرّم ، ودخول الجيش القَصَبة الحمراء كان فى ربيع ، فلا منافاة ، والله أعلم .

ورأيت بخط الإمام الوانشِريشىّ[٤] سيدى عبد الواحد رحمه الله ما نصه :

« استولى العدوّ على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمّة[٥] تاسع المحرم يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ؛ وفى عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى العدوّ على جميع [بلاد][٣] الأندلس ماعدا غَرْناطة و بشرتها[٦] ، وكان قبله فى عام اثنين وتسعين استولى على مالَقة فى رمضان منه ، وفى عام سبعة وتسعين استولى على غَرْناطة » . انتهى .

---

(١) هذه الكلمة « محل » ساقطة فى ت :

(٢) هذه الكلمة : « المذكور » ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا فى نفح الطيب طبعة أوربة . والوانشريشى : نسبة إلى وانشريش (بالنون وشينين معجمتين وراء ثم ياء) : جبل بين مليانة وتلمسان من نواحى المغرب . وفى الأصلين وهامش نفح الطيب : « الوانشريسى » .

(٥) الحمة : من أعمال مرسية . (عن تكملة كتاب الصلة) .

(٦) كذا فى نفح الطيب وفيما سيأتى فى الأصلين . وظاهر من سياق نفح الطيب أنها ضواح لغرناطة أو مواضع بها . وفى الأصلين هنا : « وبشاراتها » .

خروج أمير الحمراء ابن أبى الحسن إلى فاس

ولما دخل النصارى إلى الحمراء خرج أميرها أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن علىّ النَّصْرىّ ، واشترط المسلمون على العدو الكافر شروطاً أظهر قَبولها ، و بسط [٣٤] لهم جَناح العدل ، حتى بلغت بزعمهم نفوسُهم مَأمولها ؛ وكان من جملتها أن من شاء البقاء عنده أقام فى ظل الأمان[1] مُكرَّما ، ومَن أراد الخروج إلى برّ العُدْوة أُنزِل بأى بلاد شاء منها ، من غير أن يُعْطِىَ كِراء ولا مَغْرما ؛ وأظهر للمسلمين العِناية والاحترام ، حتى كان النصارى يَحْسُدُونهم فى ذلك ، و يقولون لهم : أنتم عند ملكنا أعز وأكرم مِنا ؛ ووضع عنهم المَغارم ، حيلة منه وكَيدا ، ليُغرَّهم بذلك ، و يُثبِّطهم عن الجواز . فوقع الطمع لكثير من الناس ، وظنوا أن ذلك البَرْق ليس بخُلَّب ، فاشترى كثير من المقيمين الرِّباع العظيمة ، ممن أراد الذهاب للعُدوة ، بأرخص الأثمان ، وأمر — لعنه الله — بانتقال سلطان غَرْناطة أبى عبد الله إلى قرية أنْدَرَش[2] ، من قُرى البشرة ، فارتحل أبو عبد الله بعِياله وحَشَمه ، وأقام بها ينتظر ما يُؤْمَرُ به ، ثم ظهر للطاغية أن يُجيزه إلى العُدوة ، فأمره بالجَواز ، وأعَدَّ له المَراكِب العظيمة ، وركب معه كثير من المسلمين ، ممن أراد الجواز ، حتى نزلوا بمَلِيلة[3] من رِيف المغرب ، ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس — حرسها الله — وما زال أعقابه بها إلى الآن من جملة الضعفاء السُّؤَّال ، بعد المُلْك الطويل العريض ، فسبحان المعزّ المذلّ ، المانح المانع ، لا إله إلا هو .

---

(١) هذه العبارة : « فى ظل الأمان » ساقطة فى ت .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب وتقويم البلدان . وفى ت : « أندرس » بالسين المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) مليلة (بوزن سفينة) : مدينة قديمة مسورة على بحر الزقاق (انظر المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

وفاته وشىء عنه وعن عقبه

وكان خلع أبيه أبى الحسن يوم الأحد ثالث جمادى الأُخرى من عام تسعين وثمان مئة ، خلعه أخوه[١] ، ودخل أبو عبد الله المذكور ، ابن أبى الحسن[٢] ، رَبَضَ البَيَّازين سادسَ عَشَرَ شوّال عام واحد وتسعين ، وافْتَكَّ مُلْكَ أبيه من يد عمّه ، وتُوُفِّىَ رحمه الله بفاس عام أربعة وعشرين وتسع مئة ، ودفن بإزاء المُصَلَّى ، خارج باب الشريعة ، وخلّف ولدين ، اسم أحدهما يوسف ، والآخر محمّد[٣] ، وعقبه الآنَ بها كما ذكرناه ، والله وارث الأرض ومن عليها ، والله خير الوارثين .

حال المسلمين بعده بالأندلس

وكان من قَدَرِ الله تعالى أنهم لما وصلوا مدينة فاس أصاب الناسَ بها شدة عظيمة ، من الجوع والغلاء والطاعون ، حتى فرّ كثير منها بسبب ذلك ، ورجع بعضُ أهل الأندلس إلى بلادهم ، فأخبروا بتلك الشدة ، فتقاعس من أراد الجَوَاز ، وعزَموا على الإقامة والدَّجْن[٤] ، ولم يُجِز النَّصارى أحدا بعد ذلك إلا بالكِراء والمَغرم وعُشْر المال ، فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجَواز وعزموا على الاستيطان والمُقام فى الوطن ، أخذ فى نقض الشروط التى اشترط عليه المسلمون أولَ [٣٥] مرة ، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا ، إلى أن نَقَضَ جميعَها ، وزالت حُرْمة المسلمين ، وأدركهم الهَوان والذِّلّة ، واستطال عليهم النصارى ، وفُرِضت عليهم المغارم الثقيلة ، وقُطِع عنهم الأذان فى الصوامع ، وأمرهم بالخروج من غَرناطة إلى الأَرباض والقُرى ، فخرجوا أَذِلّة صاغرين ، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصُّر ، وأكرههم عليه ، وذلك سنة أربع وتسع مِئَة ، فدخلوا فيه كَرْها ، وصارت الأندلس كلها

(١) فى ط : « وكان أبوه أبو الحسن خلع سنة تسعين وثمان مئة ، خلعه أخوه يوم الأحد ثالث جمادى الأخرى من العام » .

(٢) هذه العبارة : « ابن أبى الحسن » : ساقطة فى ت .

(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « أحمد » .

(٤) الدجن : الإقامة .

دار كُفر ، ولم يبق من يَجْهر بكلمة التوحيد والأذان ، وجُعلت فى المساجد والمآذن النواقيسُ والصُّلْبان ، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإنا لله و إنا إليه راجعون ، لا رادّ لما قضاه الله الملك الدّيّان .

رسالة فى ذكر ماجرى للمسلمين فى الأندلس

وقد رأيت لبعضهم رسالة ببعض شرح ذلك ، ونصها :

« وتعرّفنا من غير ما طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أن قُطْر الأندلس — نظر اللهُ إليه ، وعاد بنوره عليه — طَرَقَ أهلَه خَطْب لم يَجْر فى سالف الدّهر ، وذلك أنهم أُكْرِهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطقُ بما يقتضى فى الظاهر الكفر ، ولم يُقْبَل منهم الأسْر ؛ وكان الابتداء فى ذلك من أهل غَرْناطة — جدّد الله رَسْمها ، وأعاد إلى بلاد المسلمين[1] اسمها — وخصوصا أهلَ واسطتها ، لقلة الناس ، وكونهم من الرعيّة الدّهماء ، مع عدم العصبيّة ، بسبب اختلاف الأجناس ؛ وعلم النصارى — دمّرهم الله — بأن من بقى بها[2] من المسلمين إنما هم أُسارى فى أيديهم ، وعِيال عليهم ؛ و بعد أن انتزعوا منهم[3] الأسلحة والمعاقل ، وعَتَوْا فيهم بالخروج والجَلاء ، فلم يبق من المسلمين طائِل ؛ ونقض اللعين طاغية النصارى عُهوده ، ونشر بمحض الغدر بُنوده ؛ من غير مَعْذرة لَفَّقَها ، ولا كَذْبة فى مَعْرِض العُذر نمّقها ، إلا أَعْجازا من الكفر ، وصدورا من الغيظ والمكر ، وخالص الغدر ، جَمَعَها وفرّقها ؛ وكان الطاغية إذ ذاك بإشْبِيلِيَة — جبرها الله ، وجعل بها قبره ، ووقَى المسلمين والإسلامَ شرّه — و بعد أن كان [قبلُ[4]] قد انسلّ إلى غَرْناطة انسلال

(١) فى ت : « الإسلام » .
(٢) فى ت « منها » .
(٣) فى الأصلين : « لهم » .
(٤) زيادة عن ت .

القَطا إلى المـاء ، وطلع إليها طلوع الرقيب على خلوات الأحباء ؛ وأمر بإخلاء الأرباض ، وأذن فى السفر فى البحر للأبعاض ، ولم يُحضر من الأجفان[١] إلا القليل ، وما كان قصده إلا التفريق والتهويل ؛ على ما عُهِد من غدر النصارى وطغيانهم ، وفعلهم الذميم مع المسلمين وثَوَرَانهم ؛ والإعلان بمحنتهم ؛ والحرص على ارتدادهم [٣٦] وفتنتهم ؛ وأقام بعد انصرافه عنها ، وخروجه منها ، بإشبيليَة مُدَيْدَة ، وعقارب لأشياعه من النصارى بغَرناطة تَدِبّ وتسرِى ، ونفسه الخبيثة بالعاب[٢] تَفْرِى ؛ ثم انتقل عن الواسطة للبيّازين ، حيث الحَمِيّه ، والنُّصْرَة الإيمانيه[٣] ، مع السراجة والنحيه[٤] ، والعقل الرّصين ، والدين المتين ؛ فجعل صَعْبها ذَلُولَا ، وأعاد للـكفر كَرها من كان بحضرتها ، وتمتّع أحزاب الشيطان — قصمهمُ الله — بنَضْرتها ، نسأل الله تعالى أن يجعل تمتعهم قليلا » .

تنكيل طاغيـة قشتالة وأرغون بالمسلمين

وزيادة[٥] الخبر :

« أن طاغية قشـتالة وأرغون — قصمهُ الله — صدَم غَرناطة صـدْمه ، وأ كْرَهَ على الـكفر مَنْ بَقِى بها من الامّه ؛ بعد أن هِيض جَناحهم[٦] ، وركَدَت رياحهم ؛ وجعل بعدُ جندُه الخاسر على جميع جهات الأندلس يَنْثال ، والطاغية يزدهى فى الـكفر ويختال ؛ ودين الإسـلام تُنْثَر بالأندلس نجومه ، وتُطْمَس معالمُه ورُسومه ؛ فلو رأيتم ما صنع الـكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه ، لكان

(١) الأجفان : كلمة أندلسية ، بمعنى السفن . ذكرها دوزى فى معجمه .
(٢) كذا فى ط . وفى ت : « بالعار » .
(٣) فى ط : « الأمانية » .
(٤) كذا فى ط . وفى ت : « مع السداجة والقحية » ولا معنى للروايتين .
(٥) فى ت : « وزبدة » .
(٦) فى ت : « جنابهم » .

كل مسلم يندُبه ويبكيه ؛ فقد عَبِث البلاء برُسومه ، وعَفَّى على أقماره ونجومه ؛ ولو حضرتم من جُبِرَ بالقتل على الإسلام ، وتُوُعِّد بالنَّكال والمهالك العِظام ؛ ومن[1] كان يُعذَّب فى الله بأنواع العذاب ، ويُدْخَل به من الشدة فى باب ويُخْرَج من باب ؛ لأنساكم مَصرعُه ، وساءكم مَقْطعه ؛ وسيوف النصارى إذ ذاك على رءوس الشِّرْذِمة القليلة من المسلمين مَسْلوله ، وأفواه الذاهلين محاوله ؛ وهم يقولون : ليس لأحد بالتنصر أنْ يُمْطَل ، ولا يلبَثُ حيناً ولا يُمْهَل ؛ وهم يكابدون تلك الأهوال[2] ، ويطلبون لطف الله فى كل حال » . انتهى .

بعض من خرج من علماء الأندلس

وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تِلِمْسان ، منهم القاضى الشهير أبو عبد الله بن الأزرق ، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل ، وكتابِ السِّياسة الملخَّص من مقدّمة تاريخ ابن خَلدون ، وفيه زيادات بديعات[3] ، وكتاب روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، وغير ذلك ، وارتحل من تِلِمْسان إلى المشرق ، وسنُلِمّ بذكره . ومنهم بنو داودَ المذكورون فى فهْرَسةِ الشيخ ابن غازى ، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غَرناطة[4] ؛ ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها ، وأنه آخذها لا محالة ، قوّضوا رِحالهم عنها ، فنزلوا بتلِمْسانَ المحروسة ، وأُخِذت الحضرة الغرناطية[5] بعد ارتحالهم بقريب ، رحمهم الله . ومنهم الفقيه الأديب ، حائز قَصَب السَّبْق فى كثرة النَّسْخ والكتابة ، أبو عبد الله محمد بن الحَدّاد الشهير بالوادى آشِى، وسنذكره إن شاء الله ، رحم [٣٧]

(١) فى الأصلين : « ولمن » .
(٢) فى ط : « الأحوال » .
(٣) فى ت : « زيادة بديعة » .
(٤) فى ت : « أخذها » .
(٥) فى ت : « وأخذت غرناطة » .

الله الجميع[١] . وممن خرَج بفاس من العلماء ، الفقيه أبو العبّاس البَقّنِيّ[٢] ، ثم رجع إلى غَرناطة ، وقضيته معروفة .

كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس

ولا بأس أن نُورد كتاب السلطان أبى[٣] عبد الله بن الأحمر المخلوع المذكور ، الذى بعث به لصاحب فاس[٤] فى ذلك العهد ، تمهيداً لعُذْره ، وتوطئة لمقصده ؛ وتَطارُحا على تلك الأبواب وتملّقا ، وتمسّكا بذلك الجَناب وتعلّقا ؛ وهو فى الغاية[٥] من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناظم ، الناثر الكاتب ، المُجيد البارع البليغ ، أبى عبد الله محمد بن عبد الله العربىّ العقيلِيّ رحمه الله ، وسماه بالروض العاطر[٦] الأنفاس ، فى التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح[٧] :

« مَولَى الملوكِ ملوكِ العُرْب والعجَم رَعْيًا لِما[٨] مِثْلُه يُرْعَى من الذِّمَمِ

بك استجرْنا ونِعْمَ الجارُ أنتَ لمن جار الزمان عليه جَوْر مُنتقِم

حتى غدا مُلكُهُ بالرَّغْم مستلَبا وَأَفْظَعُ الخَطْبِ ما يأتى على الرَّغَم

حُكْمٌ من الله حَتْمٌ لا مَرَدَّ له وهلْ مَرَدٌّ لحكمٍ منه مُنْحَتِم[٩]

(١) فى ت : « جميعهم » .
(٢) فى ط : « الفقانى » .
(٣) فى ط : « أبا » وهو تحريف .
(٤) هو الشيخ الوطاسى سلطان فاس .
(٥) فى ت : « وفى الغاية » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب ، وفى ط : « العطير » .
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب ، وفى ط : « افتتاح » .
(٨) فى نفح الطيب : « لمن » .
(٩) كذا فى الأصلين وإحدى روايتى نفح الطيب ، ولم ترد صيغة « انحتم » فى المعاجم التى بين أيدينا . وفى رواية أخرى لنفح الطيب : « منحسم » .

وَهِيَ الليالى وقاكَ اللهُ صَوْلتها تَصُولُ حتى عَلَى الآساد فى الأَجَم

كنا مُلوكاً لنا فى أرضنا دُوَلٌ نِمْنَا[١] بها تحت أَفْنَانٍ من النِّعَم

فأيقظتنا سِهام للردى صُيُبٌ يُرْمَى بأَفْجَع حَتْفٍ مَنْ بِهِنَّ رُمِى

فلا تَنَمْ تحتَ ظِلِّ المُلْكِ نَوْمَتنا وأىُّ مَلْكٍ بظل المُلْك لم يَنم

يبكى عليه الذى قد كان يعرفه بأَدْمُعٍ مُزِجَتْ أَمْوَاهُهَا بدَم

كذلكَ الدهرُ لم يَبْرَحْ كما زَعَمُوا يُشِمُّ بَوَّ الصَّغَارِ[٢] الأنفَ ذا الشَّمِمِ[٣]

وَصِلْ أَوَامِرَ قد كانتْ لنا اشتبكتْ فالمُلْك بين ملوك الأرض كالرَّحِم

وابسُط لنا الخُلُقَ المرجوَّ باسطُه واعطِف ولا تنحرِف واعذِرْ ولا تَلُم

لا تَأْخُذَنَّا[٤] بأقوال الوُشَاةِ ولمْ نُذْنِبْ ولو كثرتْ أَقْوَالُ ذى الوَخَم

فما أطَقْنا دِفاعا للقضاء وما[٥] أرادتَ أنفسُنا ما حل من نِقَم

ولا رُكوباً بإزعاج لسابحة فى زاخرٍ بأَكُفِّ الموجِ مُلْتَطِم

والمرء ما لم يُعنه اللهُ أضيعُ من طِفل تَشَكَّى بفقد الأُمِّ فى اليُتُم

وكلُّ ما[٦] كانَ غيرُ اللهِ يحرُسُه[٧] فإنَّ محروسَه لَحْمٌ عَلَى وَضَم[٨]

[٣٨]

---

(١) فى ت « نما » ، وهو تحريف .

(٢) البو : جلد الحوار يحشى تبنا ونحوه لتعطف عليه أمه فتدر . والصغار : الذل .

(٣) فى ط « ذو الشمم » .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب طبعة أوربة . وفى ت ونفح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « لا تأخذونا » .

(٥) فى ت : « ولا » .

(٦) كذا فى ط : ونفح الطيب . وفى ت : « من » .

(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ما كان غير الله يحرصه فإن محروصه » ، وهو تحريف .

(٨) الوضم : خوان القصاب ، وهو ما يقطع عليه اللحم ويهيئه .

كُنْ كالسموءل إذ سار الهمام له ... فى جَحْفَلٍ كسواد اللَّيْل مُرْتَكِمِ (١)

فلم يُبِحْ (٢) أَدْرُعَ الكِندىّ وَهْوَ يَرى ... أن ابنه البَرَّ قد أشفَى عَلَى الرَّجَمِ (٣)

أو كالمُعَلَّى (٤) مع الضِّلِّيل الأرْوَعِ إذ ... أجاره من أعاريبٍ ومِنْ عَجَمِ

وصار يشكره شكرًا يكافئُ ما ... أَسْدَى إليهِ من الآلاءِ وَالنِّعَمِ

ولا تعاتبْ على أشياءَ قد قُدِرَتْ ... وخُطَّ مسطورُها فى اللوح بالقلمِ

وعَدِّ عما مضى إذ لا ارتجاع لهُ ... وعُدَّ أحرارَنا فى جُملة الخَدَمِ

إيهٍ حنانَيْك يابن الأكرمين على ... ضيفٍ ألم بفاسٍ غيرِ محتشِمِ (٥)

فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت ... بِنا (٦) إليها خُطَا الوَخَّادَة الرُّسُمِ (٧)

رُحماك يا راحما يُنْمَى إلى رُحَمَا ... فى النفس والأهل والأتباع والحَشَمِ

فكم مواقفِ صِدقٍ فى الجهاد لنا ... والخيلُ عالكةُ الأشداق لِلُّجُمِ

والسيف يَخْضِبُ بالمحمَرِّ من عَلَقٍ ... ما ابيضَّ من سَبَل واسودَّ من لِمَمِ (٨)

ولا ترى صَدْرَ عَضْبٍ غيرَ مُنْقَصِفٍ ... ولا ترى مَتْن (٩) لَدْنٍ غيرَ مُنْحَطِمِ

---

(١) الجحفل : الجيش الجرار . ومرتكم : متراكم .

(٢) فى ط : « فلا » .

(٣) الرجم : جمع رجمة ، وهى الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٤) المعلى : هو أحد بنى تيم ، وكان قد أجار امرأ القيس من المنذر بن ماء السماء .

(٥) إيه : أى حسبك .

(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « منا » .

(٧) الوخادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء .

(٨) يريد بالسبل : شعر اللحية . واللمم : جمع لمة ، وهى شعر الرأس الذى يلم بالمنكبين .

(٩) فى ت « مثل » .

حتى دُهينا بِدَهْيا لا اقتدارَ بها(١) سِوَى على الصَّوْن للأطفال والحُرَم

فقال من لم يشاهدْها فرُبَّتَمَا يُخال جامحُها يُقتاد بالخُطُمِ

هيهاتَ لَوْ زَبَنَتْه الحرب كان بها أعيا يدا من يد جالت على زَلَم(٢)

تالله ما أضمرت غِشًّا ضمائرنا ولا طَوَتْ صِحَّةً منها على سَقَم

لـكِنْ طلبنا من الأمر الذى طلبت وُلَاتُنا(٣) قبلنا فى الأعْصُر الدُّهُم

نخاننا عنده الجَدُّ الخَئون ومَن تَقْعُدْ به نَكَباتُ الدهر لم يَقُم

فاسودَّ ما اخضرَّ من عيش دَهَتْه عِدًا بالأسمر اللَّدْن أو بالأبيض الخَذِمِ(٤)

وشتَّت الْبينُ شَملا كان منتظما والبين أقطع للموصول من جَلَم(٥)

فرُبَّ مَبْنًى شـديد قد أناخ به رَكْب البَلَا فقرَته أدمع الدِّيَم(٦)

قمنا لديه أُصَيـلانًا نسائله أعيا جوابا وما بالربع من أَرَم(٧)

وما ظننا بأن نبقى إلى زمن نرى به غُرَر الأحباب كالحُمَم(٨)

لـكن رِضًا بالقضا الجارى وإن طُويت منا الضلوعُ على بَرْحٍ من الألم [٣٩]

---

(١) فى ت . « بدهى لا اقتدار بنا » .

(٢) كذا فى ت . والزلم (بفتحتين ، أو بضم ففتح) : سهام كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية . وفى ط و نفح الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفى نفح الطيب طبعة أوربة « رخم » . وما أثبتناه أوضح ، فهو يريد أن يد هـذا اللائم أضعف من يد تجيل قداح الميسر .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « ولاته » . وفى ط : « ولاية » .

(٤) الأسمر اللدن : الرمح . والأبيض الخذم : السيف القاطع .

(٥) الجلم : المقراض .

(٦) الديم : جمع ديمة ، وهى السحابة يدوم مطرها أياما .

(٧) أصيلانا : قرب الأصيل . وما بالربع من إرم : أى من أحد .

(٨) الغرر : جمع غرة ، وهى بياض الجبين . والحمم الفحم الأسود ، الواحدة حمة (بالضم).

لَبَّيْكَ يا مَنْ دعانا نحو حَضرته دعاء إبراهِمَ الحُجَّاج للحَرَمِ

وأَعْطِ الأُمْنَ[(١)] الذى رُصَّتْ[(٢)] قواعده على أسـاسٍ وفاءٍ غيرِ منهدِمِ

خليفةَ الله وافاكَ العَبيدُ فـكن فى كل فضلٍ وطَوْلٍ عند ظَنِّهِمِ

وبين أسلافنا ما قد علمتَ به مِنِ اعتقادٍ بحكم الإرث مُقْتَسَمِ

وأنت منهمْ كأَصلٍ مُطْلِعٍ غُصُناً أو كالشِّراكِ الذى قَدْ قُدَّ مِنْ أَدَمِ

وقد خَطوْتَ خُطاهم فى مآثرهم فلم يُذَمُّوا إذنْ فيها ولم تُذَمِ[(٣)]

وصِيتُ مَوْلَى الورى الشيخِ الإمامِ غدا فى الناس أشهرَ من نارٍ على عَلَمِ

سُـلالةِ الأمراءِ ، الجِلّةِ الـكبَرا ءِ ، العلِيـةِ الظُّهراءِ ، القادةِ البُهَمِ[(٤)]

بنو مَرِينَ لُيُوثٌ فى عرِينَ أبَوْا رؤيا قرينٍ لهم فى البأس والـكرم

النازلين من البيضاء[(٥)] وسْطَ حِمًى أَحْمَى من الأَبْلَقِ السامى ومن إرَمِ

والجائسينَ بدُهْمِ الخيل كل ذَرًى والدّاعسين بسُمْرِ الخط كل كَمِى[(٦)]

يريك فارسُهم إن هَزَّ عامِلَه[(٧)] فى مَأْزِقٍ[(٨)] بلظَى الهيجاء مُضْطَرِمِ

---

(١) فى نفح الطيب : « واعط الأمان » .

(٢) فى ت : « رست » .

(٣) لم تذم : لم تعب . يقال : ذامه يذيمه : إذا عابه .

(٤) الظهراء : جمع ظهير ، وهو النصير . والبهم : جمع بهمة (بالضم) وهو البطل الشجاع .

(٥) البيضاء : فاس الجديدة .

(٦) الجائسين : الذين يترددون خلال الدور والبيوت فى الغارة . وكل ذرى : كل ناحية . والداعسين : الطاعنين . وسمر الخط : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو مرفأ بالبحرين . والـكمى : البطل المتستر فى سلاحه .

(٧) عامل الرمح : صدره .

(٨) فى الأصلين ونفح الطيب : « مارق » ولعلها محرفة عما أثبتناه .

لَيثٌ على أجْدلٍ عار مِنَ أجنحةٍ يَسْطو بأرقمَ لَدّاغ بغــير فم (١)

فى اللام يُدْغِم من عَسّالِه ألِفاً ولم نجد ألِفاً أصـــلا بمدَّغَم (٢)

أهلُ الحفيظة يوم الرَّوع يحفظهم من عصمة الله ما يُرْبى على العِصَم (٣)

بَأسٌ (٤) تَطير شَرارٌ منه محرقة لكل مَدَّرعٍ بالحزْم مُحْـتَزِم

هُمُ (٥) بطائفة التثليث قد فتكوا كمثل ما يفتك السِّرْحان بالغَنَم (٦)

وإنْ يُلَثّمْهُمُ يومَ الوغَى رهَجٌ أنْسَوْك ما ذكروه عن ذوى اللُّثُم (٧)

تضىء آراؤهم فى كل مُعضِلة إضاءةَ السُّرْج فى داجٍ من الظُّلَم

هذا ولو من حياء ذاب محتَشِمٌ لذاب منهم حياءً كلُّ محتشم

طابت مدائحهمْ إذْطابتَ أنفسهُمْ فاشْتقّت النَّسَمات اسْما من النَّسَم

للهِ دَرُّهُمُ والسُّحْب باخــلة بدَرِّهِن على الأنْعام والنَّعَم

بحيث الأفقُ يُرى من لَوْن حُمْرَتِه كالشيب يُخْضَبُ بالحِنّاء والكَتَم (٨)

---

(١) الأجدل : الصقر ، شبه به الحصان فى سرعة انقضاضه . والأرقم : الثعبان ، شبه به الرمح .

(٢) اللام : مسهلة عن اللأم ، جمع لأمة ، وهى الدرع . والعسال : الرمح اللدن ، وقد شبهه فى استقامته بالألف . وفى البيت توريه .

(٣) العصم : ما يعتصم به الناس فى الحرب من معاقل وشبهها . يريد أنهم محوطون من عناية الله وحياطته بما لا تفى بمثله المعاقل والحصون .

(٤) فى ت ونفح الطيب : « يامن » .

(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ت : « وهم » .

(٦) السرحان : الذئب .

(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . والرهج : الغبار تثيره الحرب . وفى ط : « وهج » . وذوو اللثم : يريد الملثمين ، قبائل من البربر عرفوا بالشجاعة .

(٨) الكتم (كسبب) : نبت يستعمل فى خضاب الشعر . يصفهم فى هذا البيت والذى قبله بالجود فى أزمان القحط والشدة .

هناك تَنْهَلُّ أيديهمْ بصوب حَيًا يُحيي بالأجداث ما فيها من الرِّمم (١) [٤٠]

وإنَّ بَيْتَىْ زيادٍ طالما ذُكِرا إذا ألَمَّتْ أحاديث بذِكْرِهِم (٢)

« أحْلام عاد وأجساد مُطَهَّرَةٌ من المَعَقَّةِ والآفات والإِثَم (٣) »

يَرَوْنَ حقا عليهمْ حفظَ جارِهِم فلم يُضَرْ نَازِلٌ فيهم ولم يُضَم

فَرُوعُه (٤) بالدواهى لا يُرَاع وَلَا يُغَمُّ منها بما يعرو من الغُمَم (٥)

هم البحار سَماحا غير أنّ بها ما قد أناف على الأطواد (٦) من هِمَم

وليس يسلم من حَتْف محاربُهُمْ حتى يكون إليهمْ مُلْقِيَ السَّلَم

كم فيهمُ من أمير أوحَدٍ نَدُسٍ يُقرْطِسُ الغَرَضَ المقصود بالفَهَم (٧)

ولا كسِبْط أبى حَسُّونَ مَنْ حَسُنَتْ أمداحه حُسْنَ ما فيه من الشِّيَم (٨)

هَذَا كُمُ ابنُ أبى زَكْرِى (٩) الهمام فقلْ فى أصله المنتقى من مجده العَمَم (١٠)

---

(١) تنهل : تفيض . وصوب الحيا : ماء المطر . والأجدات : القبور .

(٢) زياد : هو النابغة الذبيانى .

(٣) المعقة : العقوق . والإثم : جمع إثمة ، وهى الإثم . وهـذا البيت من مقطوعة للنابغة أبياتها أربعة فى مدح الغساسنة ، وقبله :

هم الملوك وأبنـاء الملوك لهم فضل على الناس فى اللأواء والنعم

ولعل الناظم يعنى هذين البيتين .

(٤) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « فروعهم » .

(٥) الروع : موضع الفزع من القلب .

(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « الأطراء » .

(٧) الندس (كعضد وكتف وسهم) : الفطن الفهم . ويقرطس الغرض : يصيبه .

(٨) أبو حسون : هو أبو الحسن على بن محمد الشيخ بن أبى زكريا يحيى بن زيان الوطاسى ، يعرف بأبى حسون الباذسى ، بويع بفاس أول مرة سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئه . (انظر بقية أخباره فى الاستقصا للسلاوى) .

(٩) زكرى : يريد زكرياء وفيه لغات ، منها زكرىّ (كعربى) بتشديد الياء وتخفيفها ، وبهذه الرواية الأخيرة جاء هنا مع إسكان الكاف ، ليستقيم الوزن .

(١٠) العمم : التام .

خليفـــةُ الله حقا فى خليقته ... كتائب ناب فى حكم عَنِ الحَكَمِ
مهما تُنِرْ قَسِماتٌ[١] منـه نيِّرَةٌ ... تُنِلْ بَنانٌ له ما جَلَّ مِن نِعَمِ[٢]
فَوَجْهُـهُ بدُجًى وَكَفُّه بجَدًا ... أبْهَى من الزَّهر أوْ أنْدَى من الدِّيَمِ[٣]
وفضله وله الفضل المبينُ جرى ... كجرى الأمثال فى الأقطار والأُمم
وجودُه المتـــوالى للبريَّة ما ... وجوده بينهـا طُرًّا بمنهدم
إذا ابتغتْ نِعَمًا منه العُفاة لهُ ... لم يسمعوا كِلْمةً منه سِوَى نَعَمِ
وإنْ يُعَبِّسْ زمانٌ فى وُجُوهِهِمِ ... لم يُبصروا غير وجه منه مُبتسم
وجْهٌ تَبين سِماتُ المَكْرُمات به ... كما تَبين سماتُ الصِّدق فى الكَلِمِ
وراحةٌ لم تزل فى كل آونةٍ ... فى[٤] نَيْلها راحة الشاكى من العُدُمِ
لله ما التزمتْهُ من نوافله ... أيّامَ لا فَرْضَ مفروضٌ بملتزَم
أنْسَى الخلائفَ فى حلم وفى شرف ... وفى سـخاء وفى علم وفى فَهَمِ
فحاز معتمِداً منهم ومُعْتضِـدا ... وامتـاز عن قائم منهم ومعتصم
وناصِرَ الدين فى الإقبال فاقَ وفى ... مَحبَّة العلم أزْرَى بابنه الحَـكَمِ
أفعـــال أعدائه معتلة أبدا ... متى[٥] يَرُمْ جزمها بالحذف تَنْجزم

(١) رواية هذا البيت فى ط .

مهما تشم نسمات منـه نيرة ... تنـل بنازله ما جل من نعم

(٢) قسمات الوجه : ما أقبل منه ، أو محاسنه .

(٣) الجدا : العطاء . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم أياما .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « من » .

(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « حتى » .

فويلَ أهلِ الفَلَا من حَيَّةٍ ذَكَرٍ (١) [لِلْمُتْلَئِبِّ (٢)] اللُّهام المَجْرِ مُلْتَقِمِ (٣) [٤١]

رامُوا عداوةَ من إنْ شاء غادرهم مثلَ الأحاديث عن عادٍ وعنْ إرَمِ

فسوف يأكلهم من جيشه لَجِبٌ بكل قَرْمٍ إلى لُحْمَانِهِمْ قَرِمِ (٤)

وإنّ الأعرابَ إذْ ساروا لغابته لسائرون إلى لَقْمٍ على لَقَمِ (٥)

وهم كما قاله ماض : أرى قَدَمِى بسعيه نحو حَتْفِى قد أَرَاقَ دَمِى (٦)

فقل إذنْ للمُناوِى النّاوِى ألَانَ ألَاذَى ياغِرُّ (٧) غَرَّكَ ما أَبْصَرْتَ فى الحُلُمِ

له صوارم لو ناجتــك ألْسُنها لبشَّرتك بعُمْر منك مُنْصَرِمِ

وإن رُوحَك عن قرب سيَقْبضه قبضَ المُسَلِّمِ ما قد حاز من سَلَمِ (٨)

فَهْوَ الذى ما له نِدٌّ يشابهُهُ من كلّ مُتَّصف بالدَّهْى (٩) مُتَّسِمِ

يُدبّر الأمر تدبيراً يُخَلِّصُهُ مما عَسَى أن يُرَى فيه مِنَ الوَهَمِ

ويُبْصِرُ الغيبَ لحظُ الذهن منه إذا تَعْمَى عَنِ أدراكه ألحاظُ كُلِّ عَمِ

---

(١) حية ذكر : شهم .
(٢) كذا فى نفح الطيب ، ويريد بالمتلئب : الجيش الممتد . وفى ت : « لمنتئب » ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من ط .
(٣) اللهام والمجر : هما بمعنى الجيش العظيم .
(٤) اللجب الجيش الكثير ، والقرم : السيد . واللحمان . جمع لحم . وقرم (ككتف) : شديد الشهوة لأكل اللحم .
(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . واللقم : الأكل ، ويريد به الافتراس ، واللقم (بالتحريك) وسط الطريق . وفى ط : « ... نعم على لغم » .
(٦) يشير إلى قول أبى الفتح البستى :

إلى حتفى سعى قدمى أرى قدمى أراق دمى

(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « يغر » .
(٨) المسلم : المسلف ، الذى يعطى ذهبا أو فضة على سلعة معلومة إلى أجل معلوم . والسلم : البيع المبيع المؤجل قبضه .
(٩) الدهى والدهاء : الفكر وجودة الرأى .

وَيُنْعِمُ (١) النظرَ المُفْضِي بناظره ... لصوبِ وجهِ صوابٍ واضحِ اللَّقَمِ (٢)

ذو مَنطق لم تزل تجلو نتائجُهُ ... عن مُبْطِلٍ بخصام المبطِلِ الخَصِمِ (٣)

ومِسْمَعٍ ليس يُصْغى للوُشاة فلم ... يَنْفُق لديه الذى عنهم إليه نُمِى (٤)

فعَقله لا توازيه العقول وهَلْ ... يوازِنُ الطودَ ما قد طال من أَكَمِ

إيهٍ جميعَ الورى من بدوٍ أوْ حَضَرٍ ... نِدَاءَ مُرْتَبِطٍ بالنُّصْحِ مُرْتَسِمِ

شُدُّوا وجِدُّوا ولا تَعْنُوا ولا تَهِنُوا ... قد لَفَّها الليلُ بالسَّوَّاقَةِ الحُطَمِ (٥)

هذا الأَميرُ (٦) المَرِينِيُّ السعيدُ له ... سَعْدٌ يؤيِّده فى كلِّ مُصْطَدَمِ

قد أقسمَتْ أنه المنصورُ ألسنةٌ ... من نُخبة الأوْليا مَبْرورةُ القَسَمِ

فَشَيِّعوه ووالُوه تَرَوْا عَجَبا ... وتظفَرُوا معَه بالأَجْرِ والغَنَمِ (٧)

والحمد لله إذْ أبقى خلافتَه ... كَهْفاً لنا مَنْ يُخَيِّم فيه لَمْ يُرَمِ (٨)

حِرْزٌ حَرِيزٌ وعزٌّ قائم ونَدًى ... غَمْرٌ دِرَاكٌ بلا مَنٍّ ولا سَأَمِ (٩)

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وإنعام النظر : تدقيقه . وفى الأصلين : يمعن . وهو يتعدى بحرف الجر . يقال : أمعن فى الأمر ، أى أبعد فيه .

(٢) اللقم (كسبب) : وسط الطريق .

(٣) الخصم (ككتف) : الجدل الشديد الخصومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة بيانه .

(٤) ينفق : يروج . ونمى إليه : وصل إليه .

(٥) لا تعنوا : لا تخضعوا وتذلوا . ولا تهنوا : لا تضعفوا . ولفها : جمعها ، والضمير فى الأصل للإبل ، والسواقة : السواق ، والتاء للمبالغة . والحطم : الشديد السوق ؛ وهذا مثل . يريد أن متولى أمرهم ، وهو الممدوح ، رجل قوى شديد .

(٦) فى نفح الطيب : « الإمام » .

(٧) شيعوه : ناصروه . والغنم (بالتحريك) : المغنم ، كالغنم (بالضم) .

(٨) لم يرم : أى يعز على من يطلبه .

(٩) غمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

دامت ودام لها سَعْد يساعدُها فى كل مُبتدإ منه[1] ومختتَمِ
فالله — عزّ اسمه — قد زانها بحُلَى من غُرّ أمْداحه كالدُّر فى النُّظُم[2]
الواهب الألفَ بعد الألف من ذهب كالجَمْر يلمع فى مُستوقَد الضَّرَم[3] [٤٢]
والفاعلُ الفعلَ لم يَهْمُمْ به أحد والقائل القولَ فيه حكمةُ الحِكَم
ذا كم هو الشيخ فاعجب إنه هَرِمٌ[4] جُودا وحاشاه أن يُعْزَى إلى هَرَم[5]
وحسْبُنا أنّ أَيْدينا به اعْتصمتْ من حَبْله بوَثيق غيرِ مُنْفَصِم
فما مُخالفُه يومًا بمُضطهَدٍ ولا مُؤالفُه يوماً بمهتَضَم
ولا موافيه فى جَهْد بمطَّرَحٍ ولا مُصافيه فى وُدّ بمُتَّهم
ولا مُحيًّا مُحَيِّيه بمنكَسِفٍ ولا رجاء مُرَجِّيه بمنخَرِم[6]
وما[7] تَكَرُّمُه سِرًّا[8] بمُنكَشِفٍ ولا تنكُّرُه جهراً بمُكْتَتَم
وليس لامِحُ مَرْآه بمكتئِبٍ وليس راضع جَدواه بمنفَطِم
ولا مُقَبِّلُ يُمناه الكريمةِ فى محلِّ مُمْتهَنٍ بل دَسْتِ مُحْتَرَم[9]
وما وسيلتنا العُظْمى إليه سِوَى ما ليس يُنكَر ما فيها من العِظَم
وإنما هِىْ وَمَا أدراكَ ماهِىَ مِنْ وسيلةٍ ردُّها أدْهَى مِنَ الرَّضَم[10]

(١) فى نفح الطيب طبعة أوربة : « منها » .
(٢) النظم : جمع نظام ، وهو الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه .
(٣) فى ط : « الظلم » .
(٤) يريد أن الممدوح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبى سلمى ، المزنى .
(٥) فى نفح الطيب طبعة أوربة : « الهرم » .
(٦) بمنخرم : أى بمنقطع .
(٧) فى نفح الطيب (طبعتى أوربة ومصر) : « ولا » .
(٨) فى ط : « يوما » .
(٩) يريد بالدست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .
(١٠) كذا فى ط . والرضم : صخور عظام . وفى ت : « الوخم » .

نبيُّنا المصطفَى الهادى بخير هُدًى ... محمـــد خَيْر خلق الله كلِّهم

داعِى الورى مِنْ أُولِى خَيْمٍ وأَهْلِ قُرًى ... إلى طريق رشاد لاحِبٍ أَمَمِ(١)

عليه منّا صلاة الله ما ذُكِرَتْ ... « أَمِنْ تذكر جيرانٍ بذى سَلَمِ »(٢)

وما تَشَفَّع فيهـــا بالشَّفيع له ... دَخيلُ حُرْمته العَلْياءِ فى الحُرَمِ(٣)

« رَبَّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين » . « أنتَ وليُّنا فاغفرْ لنا وارحمْنا وأنت خير الراحمين » . « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » . « ذلك بأن اللهَ مولى الذين آمنُوا وأن الكافرين لا مولى لهم » . « نعم المولَى ونعم النصير » .

أما بعدَ حمد الله الذى لا يُحْمَدُ على السَّراء والضَّرّاء سِوَاه ؛ والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، الذى طلع طلوع الفجر بل البدْر فَلاح ، يَدْعو إلى سبيل كل فلاح ، أُولِى قلوب غافلة ، ونفوس سَوَاه ؛ والرِّضا عن آله وأصحابه ، وعِتْرته الأكرمين وأحزابه ، الذين تلقَّوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه ، وعزروه ونصروه فى حالَىْ قُرْبه ونَوَاه . [٤٣]

فيا مولانا ، الذى أولانا من النعم ما أولانا ؛ لاحَطَّ الله تعالى لكم من العزة رِواقا(٤) ، ولا أذوى لدَوْحة(٥) دولتكم أغصانا ولا أوراقا ؛ ولا زالت مخضرة العود ، [مبتسمة(٦)] عن زهرات البشائر مُتْحِفة بثمرات السُّعود ، ممطورة

(١) أهل خيم : أى ساكنى الخيام . واللاحب : الواضح . والأمم : البين . وقد ورد الشطر الأول من هذا البيت فى ط هكذا :
« داعى الورى من أولى من أهل خيم قرى »

(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة البردة المشهورة للبوصيرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) الدخيل : اللاجئ . والحرمة : الذمة .

(٤) الرواق : الخيمة . يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .

(٥) الدوحة : الشجرة الواسعة الظلال . وأذوى : أذبل وأضعف .

(٦) زيادة عن ت ونفح الطيب .

بسحائب البركاتِ المتدارِكات دون بُرُوق[١] ولا رعود :

هذا مقام العائذ بمَقامكم ، المتعلِّق بأسباب ذِمامكم ، المترجّى لعواطف قلوبكم ، وعوارف إنعامكم ، المقبِّل الأرضَ تحت أقدامكم ، المتلَجْلِج[٢] اللِّسان عند محاولة[٣] مفاتحة كلامكم ؛ وماذا الذى يقول مَنْ وجهُه خَجِل ، وفؤادُه وَجِل ، وقضيَّته المقضيّة عن التنصل والاعتذار تَحِلّ ؛ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربّى ، واجترائى عليه أكثر ، واجترامى[٤] إليه أكبر : اللهم لا بَرِىءٌ فأعتذر ، ولا قوى فأنتصر ، لكنّى مُسْتقيل[٥] مُسْتنيل[٦] مستعتب[٧] مستغفر ؛ « وَمَا أُبَرِّئُ نفسى ، إن النفس لأمَّارَةٌ بالسُّوء » . هذا على طريق التنزّل والاتصاف ، بما تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حيِّز الإنصاف ؛ وأمَّا على جِهة التحقيق ، فأقول ما قالته الأُمّ ابنةُ الصديق[٨] : « واللهِ إنى لأعلمُ أنّى إنْ أقررت بما يقوله الناس ، واللهُ يعلم أنِّى منه بريئة[٩] ، لأقولنّ[١٠] مالم يكن ، ولَئِن أنكرت ماتقولون لا تصدقوننى ، فأقول ماقاله أبو يوسف[١١] : صَبْرٌ جميلٌ ، والله المُسْتَعانُ على ماتصفون » .

على أنّى لا أنكر عيوبى ، فأنا مَعْدِن العيوب ، ولا أجْحَد ذُنوبى ، فأنا

---

(١) فى ت ونفح الطيب : « برق » .
(٢) فى ط : « والمتلجلج » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « عند مفاتحة » .
(٤) اجترامى : ذنبى .
(٥) مستقيل : طالب الإقالة من العثرة .
(٦) مستنيل : طالب النوال .
(٧) مستعتب : طالب العتبى ، وهى الرضا .
(٨) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .
(٩) كذا فى نفح الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برىء » .
(١٠) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفح الطيب وط : «لأقول» . وفى ت : «لاأقول» .
(١١) تريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

جَبَل الذنوب ؛ إلى الله أشكو عُجَرِى وبُجَرى[١] ، وسَقَطاتى وغَلَطاتى . نَعَم ، كلّ شىء ولا ما يقوله المتقوِّل ، المشنِّع المهوِّل ، الناطق بفم الشيطان المُسَوِّل . ومِن أمثالهم : « سُبَّنِى واصْدُق » ، ولا تَفْتَرِ ولا تَخْلُق ؛ فمِثْلى كان يفعل أمثالَها ، ويَحمل[٢] من الأوزار المضاعَفَة أحمالها ، ويُهْلِك نفسه ويُحْبِط أعْمالها ؛ عِياذًا بالله من خُسْران الدين ، وإيثار الجاحدين والمعتدين ، قد ضَلَلْتُ إذَن وما أنا من المهتدين . وأيمُ الله لو علمتُ شعرةً فى فَوْدى[٣] تميل إلى تلك الجهة لقَلَعْتُها ، بل لقطَفْتُ[٤] ما تحت عِمامتى من هامتى وقطعتها ؛ غيرأن الرِّعاع فى كل وقت وأوان ، المالك أعداء وعليه أحزاب وأعوان ، كان أحمقَ وأجهلَ من ابن ثَرْوان[٥] ، أو أعْقَلَ وأعلم من أشجِّ بَنِى مروان[٦] ؛ ورُبَّ مُتَّهَم بَرِى ، ومُسربَل بسربال وهو منه عَرِى[٧] ؛ وفى الأحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية مُنْتِجٌ وعقيم ، ولكن ثَمَّ ميزان عقل ، تُعتبر به أوزان النقل ؛ وعلى الراجح الاعتماد[٨] ، ثم إشاعَة الإحماد ، المتصل المُتَماد ؛ وللمرجوح الاطِّراح ، ثم الذم الصُّراح ، بعد النفض[٩] من الراح ؛ وأكثر ما تسمعه الكذبُ ، وطبع جمهور الخلق إلا من [٤٤]

(١) العجر والبجر (هنا) : العيوب والأحزان وما يبدى المرء وما يخفى . والعجر (فى الأصل) : العروق المتعقدة الناتئة . والبجر : ما تعقد منها على البطن خاصة .
(٢) فى ط ونفح الطيب : « ويحتمل » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : من « فؤادى » .
(٤) كذا فى ط . والقطف : القطع . وفى ت : « بل لقاعت » ، وهو تحريف .
(٥) كذا فى أخبار الحمق والمغفلين لابن الجوزى ، والمضاف والمنسوب للثعالبى . وهو هبنقة القيسى يزيد بن ثروان ، المعروف بذى الودعات ، وهو مثل فى الحمق والجهل. وفى ط : « من أبى ثوران » . وفى ت : « من أبى ثروان » . وكلاهما تحريف .
(٦) أشج بنى مروان : هو عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت به شجة .
(٧) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ومسربل بسربال عار وهو منه عرى » .
(٨) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وعلى الراجح على الاعتماد » .
(٩) فى ت : « النفاض » .

عصمهُ الله(١) إليه منجذب ؛ ولقد قُذِفنا من الأباطيل بأحجار ، ورُمينا بما لايُرْمَى(٢) به الكُفّار ، فضلا عن الفُجَّار ؛ وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ، ما لكم منه حفظ الجبّار(٣) ؛ وإذا عظم الإنكاء(٤) ، فعلى تُكَأَة التجلُّد الاُتكاء ؛ أكْثَرَ المكثرون ، وجَهَد(٥) فى تعثيرنا المتعثِّرون ؛ ورَمَوْنا عن قوس واحده ، ونظمونا فى سلك المَلاحِده ؛ أكُفراً أيضاً كُفرا ! غَفْراً اللّهمّ غَفْرا ؛ أَعِدْ نظراً يا عبدَ قيس ، فليس الأمر على ما خُيِّل(٦) لك لَيْس ؛ وهل زِدْنا على أن طَلَبْنا حَقّنا ، ممّن رام مَحْقه ومَحْقَنا ؟ فطاردنا فى سبيله عُداة كانوا لنا غائظين ؛ فانفتق علينا فَتْق ، لم يمكنا له رَتْق ، وما كنا للغيب حافظين .

و بعد ، فاسألْ أهل الحل والعقْد ، والتميز والنقْد ؛ فعند جُهَيْنتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يُؤْثِمنا فيُوبِقُنا ، أو يُبْرِئُنا فيَقينا . إيهِ يا مَنِ اشْرأَبَّ إلى مَلامنا ، وقَدَح حتى فى إسلامنا ؛ رُوَيْداً رويدا ، فقد وجدتَ قوة وأَيْدَا ؛ ويحك ، إنما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء إلينا ؛ لأن الزمان لنا مُصْغِر ، ولك مُكْبِر ، والأمر عليك مُقْبل ، وعَنَّا(٧) مُدْبِر ، كما قاله كاتب الحجاج المدبِّر(٨) .

---

(١) فى ط : « إلا من عظم الله » .

(٢) فى ت : « بما لم يرم » .

(٣) كذا فى ت . ورواية هذه العبارة فى ط : « وجرى ... وعمرو ما يريكم منه حفظ الجار » . وفى نفح الطيب : « وجرى ... وعمرو مالديكم منه حفظ الجار » ، وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .

(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . والإنكاء : شدة النيل من العدو . وفى ط : « وإذا علم الإنكار » .

(٥) فى ط : « وجهر » .

(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ما خيلت لك » .

(٧) فى ت : « علينا » وهو تحريف .

(٨) كاتب الحجاج : هو يزيد بن أبي مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان ابن =

وعلى الجملة ، فهبنا صِرْنا إلى تسليم مقالك جَدَلا ، وذَهبنا فأقررْنا بالخطأ في كل وِرْدٍ وصَدَر ، فلله دَرُّ القائل :

إن كنتُ أخطأتُ فما أخْطَا القَدَر[1]

وكأنّا[2] بمعتسِف[3] إذا وصل إلى هنا ، وعدم إنصافه يعلّمه الهنا[4] ؛ قد ازْوَرّ متجانفا[5] ، ثم افتَرَّ مُتَهانِفا[6] ، وجعل يتمثل بقولهم :

« إذَا عُيِّرُوا قالوا مَقاديرُ قُدِّرَتْ »

وبقولهم : « المرء يعجز لا مَحَالة[7] » ؛ فيعارض الحق بالباطل ، والحالىَ بالعاطل ، وينزِع بقول القائل : « رُبَّ[8] مُسْمِع هائِل ، وليس تحته من طائل[9] » . وقد فرغنا أَوَّلَ أمسِ[10] من جوابه ، وتركنا الضِّغْن يُلصِق حرارة

= عبد الملك حين دخل عليه فتنقصه سليمان وسب الحجاج : « إنك رأيتنى والأمر عنى مدبر ، ولو رأيتنى والأمر على مقبل استعظمت من أمرى ما استصغرت » . (انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ طبعة الفتوح سنة ١٣٣٢ هـ) .

(١) هذا عجز بيت لأبى العتاهية ، وصدره :

هى المقادير فلمنى أو فذر

(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وكان » .

(٣) فى ت : « بمتعسف » .

(٤) يريد بالهنا : جمع هنة ، وهى العيب . والذى فى كتب اللغة أنها تجمع على هنات وهنوات .

(٥) ازور متجانفا : مال متباعدا .

(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وافتر متهانفا : أى فتح فاه ضاحكا مستهزئا . وفى ت : « متهاتفا » وهو تصحيف .

(٧) فى ط : « لا المحالة » .

(٨) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين « ذى » . وهو تحريف .

(٩) كذا فى ط . وفى ت : « وليس من تحته من طائل » . وفى نفح الطيب : « وليس تحته طائل » .

(١٠) أول أمس : أى بكرته ومبتدأه . والمسموع من العرب عند إرادة اليوم السابق لأمسك « أول من أمس » .

الجَوَى به ؛ وسَنُلِمُّ[1] الآنَ بما يُوسِعُه تسكيتا ، ويَقْطعه تَبْكيتا . فنقول له : ناشدناكَ الله تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وعَرَض ، خروج أمر ما على القصد منك فيه والغرَض ؛ مع اجتهادكَ أثناءه فى إصدارك وإيرادك ، فى وقوعه على وَفْق اقتراحك ومُرادكَ ؟ أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك ؟ [٤٥] أو كل ما تقصده وتنويه ، تُحْرزه كما تشاء وتحويه ؟ فلا بُدّ أن يُقِرّ اضطرارا ، بأن مطلوبه يشِذّ عنه مِرارا ؛ بل كثيراً ما يُفْلِت صيدُه من أشراكه ، ويطلبه فيعجِز عن إدراكه ؛ فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النَّبيل ؛ ثم نسرُد له من الأحاديث النبوية ماشِينا ، مما يُسايرنا فى غرضنا منه ويماشينا ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شىء بقضاء وقدر حتى العَجْز والكَيْس » . وقوله أيضا : « لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض على أن ينفعوك بشىء ، لم يَقْضِ اللهُ لك ، لم يَقْدِرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يقضِ اللهُ عليك ، لم يقدروا عليه[2] » ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فأَخْلِقْ به أن يَلوذ بأكناف الإحجام ، ويَزُمّ على نَفْثة فيه كأنما أُلْجِم بالِجام ؛ حينئذ نقول له ، والحق قد أبان وجهَه وجَلَاه ، وقهره بحجته وعَلَاه : ليس لك من الأمر شىء قل إن الأمر كله لله . وفى محاجّة آدم موسَى[3] مايقطع لسان الخصم ، ويَرْحضُ[4] عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَن الوَصْم ؛ وكيفما كانت الحال ، وإن أساء الرأىَ والانتحال ، ووقعنا فى أوجال وأوحال ؛ فثُلَّ عَرْشنا ، وطويت فُرُشُنا ، ونُكِّس لواؤُنا ، ومُلِك مَثْوانا ، فنحن مِثْلُ من سِوانَا ؛ وفى الشر خِيار ،

(١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « ونسلم » ، وهو تحريف .

(٢) الذى فى الأربعين النووية : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك » .

(٣) راجع صحيح البخارى فى تفسير قوله تعالى « فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . ويرحض : يغسل . وفى ت : «يدحض» ، وهو تحريف .

ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار[١] ؛ فحتى الآنَ لم نفقد من اللطيف تعالى لُطفاً ، ولا عَدِمنا[٢] أدوات أدعيـة تعطِف بلا مُهْلة على جُمْلتنا المقطوعة جُمَلَ النعم الموصولة عَطْفا ؛ وإلا فتلك بغداد دار السلام ، ومتَبَوَّأ الإسلام ، المحفوفُ بفُرسان السيوف والأَقلام ؛ مَثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفُضلاء أُولى السير الاوَيْسِيّة[٣] ، والعقول الإياسية[٤] ؛ وقد نُوزِلت بالجيوش ونُزِلت ، وزُووِلت بالزّحوف[٥] وزُلْزِلَت ؛ وتَحَيَّفَ[٦] جوانبَها الحَيْف ، ودخلها كفار التّتار [عَنْوة][٧] بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ؛ أيام تجلّت عروس المنيه ، كاشفة عن ساقها مُبْديَه ، وجرت الدماء فى الشوارع والطرق [كالأنهار][٧] والأوديه ، وقِيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم فى رقابهم والأرديه ؛ وللنجيع[٨] سيول ، تخوضها الخيول ؛ فتخضبها إلى أرساغها ، وتَهُمّ ظماؤُها بوِرْدِها ، فتَنْكُل عن تجرُّعها ومَساغِها ؛ فطاح عاصمها ومستعصمها ، وراح ولم يَغْدُ ظالمُها ومتظلّمها ؛ وخَرِبت مساجدها وديارها ، واصْطُلِم[٩] بالحُسام أشرارها وخيارُها ؛ فلم يبق من جمهور أهلها عين تَطْرِف ، حسْبما عرفت أو حسبما تعرف ؛ فلا تكن مُتَشككاً متوقفا ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند

[٤٦]

(١) يريد بالأغيار : تقلبات الدهر وأحداثه .

(٢) فى ت : « ولعدمنا » وهو تحريف .

(٣) الأويسية : نسبة إلى أويس بن عامر القرنى ، وهو من سادات التابعين زهدا وعبادة ، وقد قتل بصفين .

(٤) الإياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية ، قاضى البصرة فى عهد عمر بن العزيز ، وكان معروفا بشدة زكانته ، وحسن قضائه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه .

(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بالزحاف » .

(٦) تحيفه : تنقصه .

(٧) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٨) النجيع : الدم الأحمر .

(٩) اصطلم : استؤصل .

المُؤَرِّخين من قِفَا[١] ؛ فأينَ تلك الحجافل ، والآراء المُدارَة فى المحافل ؛ حين أراد الله تعالى بإدالة الكفر ، لم تُجْد ولا قُلامة ظُفْر ؛ إذن فَمَنْ سَلِمتْ له نفسه التى هى رأس مالِه ، وعيالُه وأطفالُه ، اللذان هما من أعظم آمالِه ؛ وكلٌّ أو جُلٌّ أَوْ أَقَلُّ رياشه ، وأسباب معاشه ، الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ؛ ثم وَجَد مع ذلك سبيلا إلى الخَلاص ، فى حال مُياسرة ومساهلة ، دون تصعب واعتياص[٢] ، بعد ما ظن كل الظن أن لا مَحيدَ ولا مناص ؛ فما أحقه حينئذ وأَوْلاه ، أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه ؛ على ما أسداه إليه من رِفده وخيره ، ومعافاته مما ابْتُلِى به كثير من غيره ؛ ويَرْضَى بكل إيراد وإصدار ، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار ، فالدهر غدّار ، والدنيا دار مشحونة بالأكدار ؛ والقضاء لا يُرَدُّ ، ولا يُصَدُّ ؛ ولا يغالَب ، ولا يطالب ؛ والدائرات تدور ، ولا بد من نقص وكمال للبدور ؛ والعبد مطيعٌ لا مُطاع ، وليس يُطاع إلا المُسْتَطاع ، وللخالق القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب ، للأذهان عن مداه انقطاع ؛ ومالى والتكلّفَ لما لا أحتاج إليه من هذا القول ، بين يدى ذى الجَلالة والمَجادة والفضل والطَّوْل ؛ فله من العقل الأرجح ، ومن الخُلُق الأسجح ، ما لا تَلْتَاطُ[٣] معه تهمتى بصَفَرِه[٤] ، ولا تَنفُق عنده وشاية الواشى ، لا عُدَّ من نفَره ، ولافاز قِدْحُه بظَفَرِه ؛ والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب ، وتجرّ براحتها إلى المتاعب ؛ وقديما للأكياس من الناس خدَعَتْ ، وانحرفت عن وِصالهم أعقل ما كانوا وقطعت ،

---

(١) يشير إلى المثل المضروب : « أشهر من قفا نبك » . وهى مطولة امرئ القيس المشهورة .

(٢) اعتاص الأمر عليه : اشتد والتاث ، فلم يهتد للصواب .

(٣) تلتاط : تلصق .

(٤) الصفر (بالتحريك) : اللب والعقل .

وفعلت بهم ما فعلتْ ، بيَسَار الكواعب التى جَبَّتْ وجَدَعَتْ [١] ، ولئن رَهَصَت وهَصَرَتْ [٢] ، فقد نبَّهت و بصَّرَتْ ، ولئن قرَّعَتْ ومَعَّضَتْ [٣] ، لقد أرشَدَتْ ووعَظَتْ ؛ ويا وَيْلَنا مِنْ تَنَكُّرِها لنا بمرَّه ، ورميها لنا فى غَمرة أىِّ غمره ؛ أيامَ [٤] قَلَبَت لنا ظَهْرَ المِجَنّ ، وغيَّم أفقها المُصْحِى وأَدْجَن [٥] ؛ فسَرْعان ما عاينَّا حبالها مُنْبَتَّه ، ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغته ؛ [٤٧] فمَنِ استعاذ من شىء ، فليستعذ مما صِرْنا [٦] إليه ، من الحَوْر بعد الكَوْر [٧] ، والانحطاط من النَّجْد إلى الغوْر :

فبينا نَسُوس النَّاسَ والأمر أمرُنا إذا نحنُ فيهمْ سُوقَةٌ نتنصَّفُ [٨]
فَأُفٍّ لدُنْيــا لا يدوم نعيمها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

وأبيها لقد أرهقتنا إرهاقا ، وجرَّعتنا من صاب [٩] الأَوْصَاب كأساً دِهاقا [١٠] ؛ ولم نفزع إلى غير بابكم المنيع الجَناب ، المنفتح حين سُدَّتِ الأبواب ، ولم نلبَس غير لباس نَعْمائكم حين خَلَعْنا ما ألبسنا المُلْك من الأثواب ؛ و إلى أُمِّه يلجأ الطفل لَجَأَ اللَّهْفَان ، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الأَجْفان [١١] ، ووجه الله تعالى

(١) الجب والجدع : القطع . يشير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يسارا راود بنت مولاه عن نفسها ، فجبت مذا كيره (انظر كتاب المضاف والمنسوب للثعالبى) .
(٢) الرهص والهصر : العصر والأخذ الشديد .
(٣) معضت : أغضبت .
(٤) فى ط : « وإن قلبت » .
(٥) أدجن : أظلم .
(٦) فى ت : « سرنا » .
(٧) الحور : النقص . والكور : الزيادة .
(٨) نتنصف : نطلب النصفة ، وهى الإنصاف .
(٩) كذا فى ط ونفح الطيب . والصاب : عصارة شجر مر . وفى ت : « كأس » .
(١٠) دهاقاً : مملوءة .
(١١) فى ط : « تمتاز السيوف فى الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ، وهو الظلام .

يبقى ، وكلٌّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا[١] وكفان ؛ ولا ريب من اشتمال العِلْمِ الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم ؛ من الأخذ باليد عند زَلّة القَدَم ، وقرع الأسنان وعض البنان من النَّدم ؛ دينا به تَدَيَّنت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة اطَّردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عَرَض علينا صاحب قَشْتالة مواضعَ معتبرة ، خيَّر فيها وأعطى من أمانه ، المؤكَّد فيه خَطُّه بأَيمانِه ؛ ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصُّفْر ، ولا سَوَّغ لنا الإيمان الإقامة بين ظَهْرَانَىِ الكُفر ؛ ما وجَدْنا على ذلك مَنْدُوحة ولو شاسعه ، وأَمِنَّا من المُطَالِب المُشاغِب حُمَةَ شرٍّ لنا لاسعه ؛ وادَّكَرْنا أَىّ ادّكار ، قولَ الله تعالى المنكِرِ لذلك غاية الإنكار : « ألم تكن أرض الله واسعه » ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام : « أنا برىء من مُؤْمن مع كافر لا تتراءى ناراهما[٢] » ؛ وقول الشاعر الحاثّ على حَثّ المطيه ، المتثاقلة عن السير فى طريق مَنجاتها البَطِيّه :

[٤٨]

وَمَا أنا والتلَدُّدَ نحو نجْد وقد غُصَّت تِهامة بالرِّجَالِ[٣]

---

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الله » .

(٢) نص هذا الحديث فى النهاية لابن الأثير ولسان العرب (مادة رأى) : « أنا برىء من كل مسلم مع مشرك ؛ قيل : لم يا رسول الله ؟ قال : لاتراءى نارهما » . أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر مايرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٣) التلدد : التلفت . وفى الأصلين ونفح الطيب : « التلذذ » . وهو تصحيف .

ووصلت [أيضاً (١)] إلينا ، من الشرق (٢) كتب كريمة المقاصد لدينا ؛ تستدعى الانحياز إلى تلك الجَنَبات (٣) ، وتتضمن ما لا مَزِيد عليه من الرغبات ؛ فلم نختَرْ إلا دارنا ، التى كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض الانضواءَ إلا لمن بحبله وُصِلَ حَبْلُنا ، وبريش نَبله رِيش نبلُنا ؛ إدلالا على محلّ إخاء متوارَث لا عن كلاله ، وامتثالا لوَصَاةِ أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالةٌ وجَلاله ؛ إذ قد رَوَيْنا عمن سلف من أسلافنا ، فى الإيصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا ؛ ألّا يَبْتغوا إذا دَهَمهم داهم بالحضرة المَرينية بَدَلا ، ولا يجدوا عن طريقها فى التوجُّه إلى فريقها مَعْـدِلا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة الفِجاج ، وركبنا إلى البحر الفُرات ظهر البحر الأُجَاج ؛ فلا غرْو أن نرد منه على ما يُقِرّ العين ، ويشفى النفس الشاكية من ألم البَيْن ؛ ومن توَصَّل هـذا التوصُّل ، وتوسل بمثل ذلك التوسّل ؛ تطارُحا على سُدَّة أمير المؤمنين ، المحارب المحاربين ، والمؤمّن المستأمنين ؛ فهو الخليق الحقيق ، بأن يُسَوِّغ أصفى مشاربه ، ويُبَلِّغ أوفى مآربه ؛ على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويَخْلُص من الثُّبور إلى الحُبور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ؛ ولعلّ شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قَبول إقباله تسرى إلينا ؛ فتخامِرَنا أريحيّة تحملنا على أن نبادر ، لإنشاد قول الشريف الرضىّ فى الخليفة القادر :

عَطْفًا أميرَ المؤمنين فإنّنـا ... فى دَوْحة العلياء لا نتفرقُ
ما بيننا يوم الفَخار تفاوتٌ ... أبدًا كلانا فى المعالى مُعْرِق

---

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٢) فى ط : « المشرق » .
(٣) فى ط : « الجهات » .

إلا الخلافةَ مَيَّزَتْكَ فإننى أنا عاطل منها وأنت مَطوَّق

لا ، بل الأحرى بنا والأحْجَى ، والأنجح لسعينا والأرجى ؛ أن نعدِل [٤٩] عن هذا المِنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدى عُلاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج ، وينشد ما قال فى الشِّيرازى ابن حَجَّاج[١] :

الناس يَفْدونك اضْطِرَارًا منهم وأَفْديك باختيارى
وبَعْضُهم فى جوار بعض وأنتَ حتى أَمُوتَ جَارِى
فعِشْ لخُبزِى وعش لمـائى وعش لدارى وأهلِ دَارِى

ونستوهب من المَنَّان الوهَّاب تعالَى وجلت أسماؤه ، وتعاظمت نعماؤه ؛ رحمة تجعل فى يد الهداية أعِنَّتَنا ، وعِصْمة تكون فى مواقف المخاوف جُنَّتَنا ؛ وقبولا يُعَطِّف علينا نَوافر القلوب ، وصُنْعًا يُسَنِّى لنا كل مرغوب ومطلوب ؛ ونسأله ، وطالما بلَّغ السائلَ سُؤْلا ومأمولا ، مَتابا صادقا على موضوع النَّدم محمولا ، ثم عَزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده مُعْقِبا لهم ومُديلا ، وسادِلا عليهم من سُتور الإملاء[٢] الطويلة سُدولا ، « سُنةَ الله التى قد خَلَتْ من قبلُ ولنْ تجِدَ لسـنة الله تبديلا » . فليطِر طائرُ الوَسْواس المُرَفرِفُ مَطِيرا ، كان ذلك فى الـكتاب مسطورا ، ولم نستطع عن مورده صُدورا ، وكانَ أمرُ الله قَدَرًا مَقْدُورا .

---

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الـكاتب الشاعر . وهذه الأبيات من أبيات خمسة قالها فى أبى الفضل الشيرازى . (انظر يتيمة الدهر للثعالبى ، ووفيات الأعيان لابن خلـكان) .

(٢) الإملاء : الإمهال .

ألا ، وإن لله سُبحانه في مَقامكم العليّ الذي أيّده وأعانه ، سِرًّا من النصر ، يترجم عنه لسان من النَّصْل ، وتَرجع فروع البشائر الصادقه ، بالفتوحات المتلاحقه ، من قاعدته المتأصلة إلى أصْل ؛ فبمثله يجب اللِّياذ والعِياذ ؛ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمرٍ مّا آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا اللهَ تعالى واستخرناه ؛ ومنه جلّ جَلالُه نرغب أن يَخِير لنا ولجميع المسلمين ، ويُؤْوِينَا(١) من حِمايته ووقايته إلى مَعْقِل مَنيع ، وجناب(٢) [رفيع](٣) ، آمين ، آمين ، آمين .

[٥٠] نرجو أن يكون ربُّنا ، الذي هو في جميع الأمور حَسْبُنا ؛ قد خارَ لنا حيثُ أرشدنا وهَدَانا ، وساقنا توفيقه وحَدَانا ؛ إلى الاستجارة بمَلِكٍ حَفِيّ ، كريمٍ وَفِيّ ؛ أعزَّ جارا من أَبي دُواد(٤) ، وأَحْمَى أنْفا من الحارثِ بن عُباد(٥) ، يشْهد بذلك الداني والقاصي والحاضرُ والباد ؛ إن أغاث مَلهوفا فما الأسود ابن قنَان(٦) يذكر ، وإن أنعش حُشاشة هالك فما كَعْب بن مَامَةَ على فِعْله وحْدَهُ(٧) يُشكر ؛

(١) في ط : « ويوردنا » . وفي نفح الطيب : « ويثوب بنا » .
(٢) هذه الكلمة « وجناب » : ساقطة في ت .
(٣) زيادة عن نفح الطيب .
(٤) أبو دواد : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن الشرقي الإيادي . كان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فاجاره وأحسن إليه ، فضرب المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك في الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبي دواد) .
(٥) يشير إلى حمية الحارث بن عباد البكري في الحرب بين بكر وتغلب حين بلغه قتل مهلهل بجيرا ابنه وقوله له : بؤ بشسع نعل كليب ، فنادى بالرحيل وقال قصيدته المعروفة :
« قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيالي »
(٦) لم نجد شيئا عن الأسود بن قنان هذا في المظان التي رجعنا إليها .
(٧) يشير إلى ما أثر عن كعب بن مامة الإيادي من أنه آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمري ، فمات عطشا ، وضرب به المثل في الإيثار . (انظر الشعر والشعراء ص ١٢٠ طبعة أوربة ، والمضاف والمنسوب للثعالبي) .

جَليسه كجليس القَعْقاع بن شَور[١] ، ومُذاكره كمذاكر سُفْيان[٢] المنتسب من الرِّباب[٣] إلى ثَوْر ؛ إلى التحلّى بأمَّهات الفضائل ، التى أضدادها أمهاتُ الرذائل ؛ وهى الثلاث : الحِكمة ، والعدل ، والعفة ، التى تشملها الثَّلاث : الأقوال ، والأفعال ، والشمائل ؛ وينشأ منها ما شئت[٤] من عزْم وحزْم ، وعِلم وحِلم ، وتيقظ وتحفظ ، واتقاء وارتقاء ، وصَول وطَول ، وسَماح ونائِل ؛ فبنور حلاه المُشْرِق ، يفتخر المَغْرِب على المَشْرِق ؛ وبمحتِده[٥] السامى خطره فى الأخطار ، وبيته الذى ذكره فى النَّباهة والنجابة قد طار ، يُباهى جميع ملوك الجهات والأقطار ، وكيف لا وهو الرفيع المُنْتَمَى والنِّجار ، الراضع من الطَّهارة صفو أَلبان[٦] ، الناشئ من السَّراوة وسْط أحْجار ؛ فى ضِئْضِىء[٧] المجد ، ومُحبوح الكَرَم ، وسَرَاوةِ أُسرة المملكة التى أكنافها حَرَم ، وذُؤابةِ الشَّرَف التى مُجاذبتها لم تُرَم ؛ مِنْ مَعْشَر أىِّ مَعْشَرٍ ، بَخِلوا إن وَهَبُوا ما دون أعمارهم ، وجَبُنوا إن لم يَحْمُوا سِوى ذِمارهم ، بنو[٨] مَرِين ، وما أدراكَ ما بنو مَرِين :

---

(١) القعقاع بن شور : تابعى يضرب به المثل فى حسن المجاورة ؛ كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيبا من ماله ، وأعانه على عدوه ، وشفع له فى حوائجه . (انظر المضاف والمنسوب ، وشرح القاموس مادة قعقع) .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، تابعى من كبار رجال الحديث .

(٣) الرباب (بالراء المشددة المكسورة) : الجماعات ، وتطلق على قبائل عوف وثور وأشيب وضبة عمهم ، سموا بذلك لتفرقهم .

(٤) كذا فى ت ونفح الطيب والاستقصا للسلاوى . وفى ط : « ناشئة » .

(٥) فى نفح الطيب : « وبمحده » .

(٦) فى ت : « اللبان » .

(٧) الضئضئ : الأصل .

(٨) فى ط : « فبنو » .

سَمُّ العُـــــداةِ وآفَةُ الجُزْرِ (١)

النَّازلون بكلِّ مُعْــتَرَكٍ والطيِّبون مَعَاقِــدَ الأُزْرِ

لَهُمْ مِنَ الْهَفَواتِ انْتِفَاء ، وعندهم من السِّيَرِ النَّبوية اكتفاء ؛ انتسبوا إلى بَرِّ بن قَيْس (٢) ، فخرجوا فى البِرِّ عن القَيْس (٣) ؛ ما لُهم القديمُ المعروف ، قد نَفِدَ فى سبيل المعروف ، وحديثهم الذى نقلته رجال الزُّحوف (٤) ، مِن طُرُق القنا والسّيوف ، على الحَسَن من المقاصد موقوف (٥) ؛ تَحَمَّد من صغيرهم وكبيرهم ، ذابِلَهم ولَدْنَهم ، فلله آباءٌ أنجبوهم ، وأُمَّهَاتٌ وَلَدْنَهُمْ : [٥١]

شُمُّ الْأُنوف مِنَ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ (٦)

إليهم فى الشدائد الاستناد ، وعليهم فى الأَزَمات المُعَوَّل ، ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء ، والعناية (٧) والحماية والرعاية ، الخطو الواسع ، والباع الأَطول ، كأنما عناهم بقوله جَرْوَل (٨) :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَى وإِنْ عَاهَدُوا وفَّوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

(١) هذا عجز بيت ، وصدره : «لايبعدن قومى الذين هم» . وهذا البيت والذى يليه من قصيدة لخرنق بنت هفان ترثى زوجها وابنها علقمة وأخويه . (راجع الأمالى ج ٢ ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

(٢) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينتسب البربر . (انظر شرح القاموس مادة بر) .

(٣) القيس : القياس والتقدير .

(٤) الزحوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة .

(٥) فى ط : « موصوف » .

(٦) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الغساسنة ، وصدره :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

(٧) هذه الكلمة : « العناية » ساقطة فى ت .

(٨) جرول : اسم الحطيئة الشاعر المخضرم المعروف .

وإنْ كانتِ النَّعماءُ فيهم جَزَوْا بها[١] وإن أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا

وتَعْذُلُنِى أبناءُ[٢] سَعْدٍ عليهمُ[٣] وما قلتُ إلَّا بالتى علمتْ سَعْدُ

وبقوله الوثيق مبناه، البليغ معناه:

قَوْم إذا عَقَدوا عَقْداً لجارِهِم شَدُّوا العِناجَ وشدُّوا فوقه الكَرَبا[٤]

يُزيحون عن النزيل كل نازحٍ قاصِم، وليس له منهم عائبٌ ولا واصم، فهم[٥] أحق بما قاله فى مِنْقَرٍ قيسُ بن عاصم[٦]:

لا يَفْطُنُونَ لعيبِ جارِهِم وهُمُ لحِفْظِ جِوَارِه فُطُنُ[٧]

حَلَّاهم هذه الغريزةَ التى ليست باستكراه ولا جَعْل، أميرُ المؤمنين، دام نصره، قَسيمُهُمْ فيها حذوَ[٨] النعْلِ بالنعْل، ثم هو عليهم وعلى من سِوَاهم بالأوصاف المُلُوكية مُشْتَعِل؛ ارفَضَّ مُزْنُهُمْ منه عن غيث مُلِثٍّ يمحو آثار اللَّزْبه[٩]، وانشق غِيلُهُمْ منه عن ليث ضارٍ مُنقبض على بَرَاثنه للوَثْبه[١٠]، فقُل

(١) رواية هذا الشطر فى مختارات ابن الشجرى: «وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها».
(٢) فى مختارات ابن الشجرى: «أفناء». والأفناء: الأخلاط.
(٣) يروى: «وقد لامنى أفناء سعد عليهم».
(٤) العناج: عروة فى أسفل الغرب من باطن، تشد بوثاق إلى أعلى الكرب، وهو الحبل الذى تعلق فيه الدلو من عرقوتيها، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج الدلو أن تقع فى البئر. يريد أنهم إذا عقدوا عقدا لجارهم أحكموه.
(٥) كذا فى ط. وفى ت ونفح الطيب والاستقصا للسلاوى: «فهو».
(٦) بنو منقر: من تميم، منهم قيس بن عاصم هذا.
(٧) هذا البيت من أبيات لقيس مطلعها:

إنى امرؤ لا يعترى حسبى دنس يفنده ولا أفن

(٨) كذا فى ت ونفح الطيب: وفى ط: «حذوك».
(٩) اللزبة: الضيق والشدة.
(١٠) يشير إلى قول النابغة:

وقلت يا قوم إن الليث منقبض على براثنه للوثبة الضارى

لسكّان الفَلا : لا تغرَّنّـكُمْ أعدادُكم وأمدادُكم ، فلا يُبالى السِّرْحان المَواشى ، سواء مشى إليها النَّقَرَى أو الجَفَلَى[(١)] ؛ بل يصدمهُم صَدْمَةً تحْطِمُ منهم كلّ عِرْنين ، ثم يبتلع بعدُ أشلاءهم المُعَفَّرة ابتلاع التِّنِّين[(٢)] ؛ فهو هو كما عرفوه ، وعَهِدوه وألفوه ؛ أخو[(٣)] المنايا ، وابن جلا[(٤)] وطلاعُ الثّنايا[(٥)] ، مجتمعٌ أشُدُّه ، قد احتنكتْ سِنّه[(٦)] وبان رُشْدُه ؛ جادّ مجدّ ؛ محتزم بحزام من الحَزْم ، مُشَمِّر عن ساعد الجِدّ :

لا يَشْرَبُ الماءَ إلا مِنْ قَليب دمٍ ولا يَبيت له جارٌ على وَجَل[(٧)]

[٥٢] أَسَدىُّ القلب آدَمِىُّ الرُّواء ، لابس جلدَ النَّمر لذوى العِناد والنِّواء[(٨)] :

وليس بشاوىّ عليه دَمامة إذا ما سعى يسعى بقوس وأسْهُمِ[(٩)]
ولـكنَّهُ يسعَى عليه مُفَاضَةٌ[(١٠)] دِلاص كأعْيـان الجرادِ المنظَّمِ[(١١)]

---

(١) مشى إليها النقرى أو الجفلى . أى دهمها وحده أو مع غيره .
(٢) التنين (بكسر أوله) : الحية العظيمة .
(٣) فى ط : « وأخو » .
(٤) يقال : هو ابن جلا : للسيد الشريف الذى لا يخفى مكانه .
(٥) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ؛ وطلاع الثنايا : من يسمو لمعالى الأمور .
(٦) احتنكت سنه : قويت تجاربه .
(٧) القليب : البئر . وهذا البيت من قصيدة لأبى سعيد المخزومى . (انظر الأمالى ج ١ ص ٢٥٩ طبعة دار الـكتب المصرية) .
(٨) النواء : المناوأة ، وهى المعاداة .
(٩) شاوى : صاحب شاء ، وهى الغنم . ورواية هذا البيت فى اللسان مادة (شوه) :
ولست بشاوى عليه دمامة إذا ما غدا يغدو بقوس وأسهم
وهو والذى بعده ليزيد بن عبد المدان .
(١٠) رواية هذا الشطر فى اللسان مادة (عين) : « ولـكننى أغدو على مفاضة » .
(١١) المفاضة : الدرع . والدلاص : اللينة البراقة الملساء .

فالنجاءَ النجاءَ سامعين له طائعين ، والوَحاءَ الوحاءَ[1] لاحقين به خاضعين ؛ قبل أن تساقُوا إليه مُقَرَّنين فى الأَصفاد ، و يعيا الفِداء بنفائِس النفوس والأموال على الفاد[2] ؛ حينئذ يَعَض ذو الجهل والفَدامه[3] ، على يديه حسرة وندامه ؛ إذا رأى أبطال الجنود ، تحت خَوافق الرايات والبُنود ، قد لَفَحَتْهم نار ليست بذات خُمود ، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وثمود ؛ زَعَقَات سَبَطانات[4] تؤز[5] الـكتائب أزًّا ، وَهمزاً محققا للخيل بعد المدّ المشبع للأعنة هَمْزا ، وسَلاًّ للهندية سَلاًّ وهزا للخَطِّية هَزّا ، حتى يقول النَّسْر للذئب : هل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا[6] . ثِق خليفة الله بذاك ، فى كل من رام أَذَى رعيتك أو أذاك[7] ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشّقاق والنِّفاق ، الذين يَشُقّون عصا المسلمين ، ويقطعون طريق الوفاق[8] ؛ ويَنْصِبون حَبَائل البَغْى والفساد فى جميع النَّواحِى والآفَاق ؛ فلَنْ يجعلهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلّ من الآمنين ، أنَّى وكَيْف وقد أفسدوا وخانوا ؟ وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وُجوه صلواتِ التقديس والتعظيم ، بعد ما زيّنّا معاطفها باستعطافكم بدُرّ ثناء أبهى من دُرّ العِقد النظيم ؛ منتظمين

---

(١) كذا فى الأصلين . والوحاء : السرعة . وفى نفح الطيب : « والوجل الوجل » .
(٢) الفاد : الفادى ، وهو من يفديهم بالمال .
(٣) الفدامة : العى عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .
(٤) سبطانات : جمع سبطانة ، وهى آلة يرمى بها فى الحرب ، (مولدة) .
(٥) تؤزهم : تحركهم بشدة .
(٦) ركزا : صوتا خفيا .
(٧) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « وأذاك » .
(٨) فى ت ونفح الطيب : « الرفاق » .

فى سِلك أوليائكم [١] ، متشرفين بخدمة عَليائكم ؛ ولا فَقَد عزة ولا عدمها ، مَنْ قصد مَثَابَتكم العزيزةَ وخَدَمها ؛ وإن المترامىَ على سنائكم ، لجدير بحرمتكم واعتنائكم ؛ وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حِصْنا حصينا ، عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا ؛ وقد قيل فى بعض الكلام : من قعدت به نِكاية الأيام ، [٥٣] أقامته إغاثة الكرام ؛ ومولانا أيده الله تعالى ولىّ ما يَزُفّه إلينا من مكرُمة بِكْر ، ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلَّد فى صحائف [٢] حسنَ الذكر ، ويَرْوِى مُعنعنَ حديثِ حمدِه وشكرِه طِرْسٌ عن قَلَمٍ عن بَنَانٍ عن لسان عن فكر ؛ وغيره من ينام عن ذلك فيُوقَظ ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكَّر ويُوعَظ ؛ وما عُهِد مُنذ وجد إلّا سريعاً إلى داعى الندَى والتكرُّم ، بريئاً من الضَّجَر بالمطالبة والتبرّم ؛ حافظا للجار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه ، مستفرغا وسعه فى رَعْيه المستمرّ ولحظه ، آخذا من حسن الثناء فى جميع الأوقات والآناء بحظّه :

فهو من دَوْحة السَّنا فرعُ عِزّ ... ليس يحتاج مُجتنيه لهزِّ
كفُّه فى الإمحال أغزر وَبْل ... وذَراه فى الخوف أمنع حِرْزِ [٣]
حلمه يُسْفِر اسمه لك عنـه ... فتفهَّم يا مدعى الفهمِ لُغْزِى [٤]
لا تسله شيئا ولا تستنِلْه ... نَظْرة منه فيك تُغْنِى وتُجْزِى
فنَداه هو الفُرات الذى قـد ... عام فيه الأنام عَوْمَ الإوَزِّ
وحِمـاه هو المَنيعُ الذى تر ... جع عنه الخطوب مَرْجِعَ عَجْز

---

(١) فى ط : « ومنتظمين فى سلك أولائكم » .
(٢) فى ت : « الصحائف » .
(٣) ذراه : كنفه .
(٤) لعله يريد أن الحلم يلحظ فى اسمه (الشيخ) ، لأن مع الشيخوخة الرزانة والهدوء .

فَدَعُوا ذهنـه يزاول قَوْلِى فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يُحْيِي بكل صُنْع ومَنّ ويعافِى من كل بؤس ورِجْزِ

وكأنا به قد عَمِل على شاكلة جلالِهِ، مِن مدّ ظلاله، وتمهيد خِلاله، وتلقّى ورودنا بحسن تهلّله واستهلاله، وتأنيسنا بجميل قَبوله وإقباله، وإيرادنا على حوْض كَوْثره المُتْرَع بزُلاله. والله [سبحانه][1] يُسْعد مَقامه العَلِىّ، ويُسعِدُنا به فى حَلّه وارتحاله، ومآله وحاله؛ ويؤيد جنده المظفّر، ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوّه واستنزاله، وهَزّ الذوابل[2] لإطفاء ذُباله؛ وهو سبحانه وتعالى المسئول أن يُرِيه قُرّة العين فى نفسه وأهله وخُدّامه وأمواله، وأنظاره[3] وأعماله، وكافة [٥٤] شئونه وأحواله. وأحق ما نصل بالسّلام وأولى، على المقام الجليل مَقام الخليفة المَوْلَى: أزكى الصلاة والسلام على خاتمة[4] أنبياء الله وأَرْسَالِه[5]، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله، صلاةً وسلاما دائمين أبدا، موصولين بدوام الأبد واتصاله، ضامِنَيْنِ لِمُجَدِّدِهما ومردِّدهما صلاح فاسد أعماله، وبلوغ غاية آماله، وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وإفضاله.

انتهى الكتاب؛ وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار، بما فعلته الدنيا مع الملوك الأعاظم الكبار، ولأن الكلام جر إليه، والله تعالى الكفيل بخلاص من توكل عليه.

---

(١) زيادة عن نفح الطيب.
(٢) الذوابل: الرماح، جمع ذابل.
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب. والأنظار: جمع نظر، وهو مصدر، يراد به مايتولى النظر عليه من الأعمال. وفى ت: «أقطاره».
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب. وفى ت: «خاتم».
(٥) يريد رسله، والأرسال: غير مسموع فى هذا المعنى.

أبو عبد الله العربى وشىء من نظمه

وصاحب هـذا الإنشاء وصفه الإمام ابن داود بقوله : « الفقيه الخطيب الفاضل ، خاتمة الأدباء بالأندلس[(١)] ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح أبى محمد عبد الله العقيلى المعروف بالعربى .

ومن بديع نظمه هذه الأبيات[(٢)] :

جُزْ بالبساتين والرياض فما أبهج مَرْئيَّها[(٣)] وأجْلاهُ[(٤)]

واعْجَبْ بها لِلنَّبات ولْتَكُ فِى أسفلِهِ ناظرا وأعلاه

وقدِّسِ اللهَ عند ذاك وقُلْ سبحانه لا إلهَ إلا هُو

ورأيت بخط ابن داود المذكور أنه وقع بينه ، أعنى ابن داود ، وبين الفقيه المدرس أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل بن إبراهيم البَسطى ، نزاع فى مسألة نحوية ، قال : وطال فيها الكلام[(٥)] بما تقيَّد عنى فى غير هذا ، فقال الفقيه الخطيب الأديب العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى يُوَرِّى بالقضية ، ويشير إلى قصة نبى الله سليمانَ بن داود عليهما السلام :

نَدَّدَ البَسْطِىّ فى مسألة لابن داودَ وقد أحْكَمَها

وقديما وقعت مُعْضِلَةٌ وابن داود الذى فُهِّمَها[(٦)]

[٥٥] انتهى .

قصيدة الدقون فى ندب الجزيرة

ومن نظم الشيخ الفقيه ، الأستاذ المُقْرِئ الخطيب ، الفذّ الأوحد ، سيدى

(١) فى ت : « أدباء الأندلس » .
(٢) فى ت : « ومن بديع نظمه قوله » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « مرآها » .
(٤) فى نفح الطيب : « وأحلاه » .
(٥) فى ت : « القيام » .
(٦) يشير إلى قوله تعالى فى قصة الغنم والحرث : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

أبى العباس أحمد الدقون[1] رحمه الله ، قصيدة فى نَدْب[2] الجزيرة ، تذكر النفوس بشجوها ، فترسل العيون دموعها الغزيرة ، افتتحها بنثر نصه :

الحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل . أما بعد فيقول خديم[3] أهل الله تعالى ، عُبيد الله أحمد بن محمد الأندلسى ، الشهير بالدقون ، لطف الله به بمنه وكرمه :

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ، بأخذ الحمراء ؛ قَرَعْتُ باب النُّدْبه ، لما تقدم من الصحبه ؛ فقلت أبياتا صَدَرَتْ من قلب كئيب ، مُبْكِية كل[4] لبيب أريب ؛ وسميتها بالموعظة الغراء ، بأخذ الحمراء ، مبيحا لمن رغب فيها ، ولم يرغب عنها ، أو استحسن شيئا منها ، أن يحدِّث بها عنى ؛ وذلك بعد إتقان لفظها وحفظها ، وفهم وعظها ولحظها ؛ وإن كنت لا أحسن أن أقول ، وربما أُعْزَى بها إلى الفُضُول ؛ لكنّى لا أَعْدَم المثيل ، وفى مثل هذا قيل :

ومَنْ ذا الذى ترضى سجاياه كلُّها كَفَى المرءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ معايبهْ

والله حسبى وعُدَّتى ، وهو مُقيلُ عَثْرتى . وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :

أَمِنتَ من عكس آمال وأحوال وعشْتَ ما بين أعمام وأخوالِ
ولا ابتُليتَ بما فى القلب من نكدٍ فالجسمُ مشتغل من غير أشغال
وكيف لا وبِقاع الدين خالية من أرض أندلس من أجْل أهوال

---

(١) هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى المشهور بالدقون ، توفى مستهل شعبان سنة إحدى وعشرين وتسع مئة . (انظر كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكتى) .

(٢) فى ت : « ندبة » .

(٣) انظر حاشية رقم ٣ صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

(٤) فى ت : « لكل » .

عمّت فغمّتْ قلوب المسلمين فيا ... لَلْمسلمين مِنَ أعـــداء وأنـكالِ
جاشت بها من جيوش الكفر ما دَرَسَتْ ... بهم معالمُ أخيـــــار وأقيال[1]
أهل الشجاعة أهل العلم أهل تقًى ... أهل النفاســـة فى قول وأفعال
عنهم وفيهم أحاديث النبىّ بدت ... وهم معـاقلُ قول الله للتالى
رُهبان ليلٍ وفُرْسان النهار فمَنْ ... يُلْمِمْ بساحتهم يظفرْ بآمال
لا عيب فيهم سوى أن المضاف لهم ... يسلو عنَ أهل وأوطان وأموال
فهل ترى بعد هـذا النفسَ سائلة ... وكيف تَسأل عن وصف وعن حال

[٥٦]

تالله لا زال ما فى القلب من أسف ... ولو أكون حليفَ المنزل الخالى
أو يفتحَ الله فى نصر يَمُنّ به ... فالله باق يقى من كل مُختال
قد رام إطفاءَ نور الله مجتهدا ... وباذلا كل ما قد حاز من مال
سطا بجيش كموج البحر فى عُدَدٍ ... نعم ، وفى عَـدَدٍ من رَهْط أبطال
مُؤَيَّدا باجتماع المصر يتبعه ... شر الخلائق مسرورا بإقبـال
يَسْبى المسامعَ بالأنفاض[2] مُشْبِهَةً ... وقْعَ الصّواعق فى هَـدٍّ وزلزال
يَبْنى ليهدم ما الإسلام شـــيَّدَه ... والوصف يُعْجز مَنْ يُدْعَى بقَلْقال[3]
فهو المقاتِلُ فى الأبراج مُنْتَقِلٌ ... إلْفَ النُّحوسِ وتغيير[4] وتَرْحال
فاستوطن المرْجَ لا ينوى الرحيلَ ولا ... يَخْشَى المُغيثَ بسَهْل أو بأجبال
والمسلمون من الأضغان قد مُلِئت ... قُلوبُهُمْ وأبَوْا تَسْديد أخلال[5]

---

(١) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك دون الملك الأعظم .

(٢) كذا فى الأصلين : ولعلها محرفة عن الأنفاط (بالطاء) ، يريد بها الآلات التى ترمى بها الحصون والأسوار كالمدافع . (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .

(٣) يريد بالقلقال (هنا) : الفصيح اللسن ، كما هو شائع على ألسنة المغاربة حتى اليوم .

(٤) فى ط : « النجوس » .

(٥) الأخلال : جمع خال ، وهى الثغرة فى الصفوف ونحوها .

والحقّ مختلِف والحمقُ مؤتلِف والكل منصرف عن نصر أبطالِ
وهم لديه كطير وهو ينتفُه والطير يرجو البقا مع كَيْد قتّال
إذا تجرّدَ [١] من ريش يطير به أضحى يدافع عن رُوح بأوصال [٢]
سَدُّوا مسالك أرزاق ومنفعة كدودة القز فى نَسْجٍ لسِرْبال
ثم استغاثوا : ألَا فُرْسانَ عاديةٌ قال الصدى : لستَ ذا رمح ونَبّال
والصيفَ ضيعتَ ما أمّلتَ من لبَنٍ ففارِقِ الجَبْحَ من تدخين نحّال [٣]
وارْحَل بنحْلك [٤] نحو الغَرْبِ فى كرم من قبل وضعك فى قَيْدٍ وأغلال
فاستمكَنَ [٥] الرُّعبُ فى الأكباد واتفقت بعد اختلاف على تأمين أرذال
واحتل غَرناطةَ الغرّاءَ قد [٦] عَدِمت حَبَّ الحصيد ونصرَ الله والآل
كأنها الشمس فى أُفْق العُلى كُسِفتْ فهل على طَلَلٍ ترمى بأبطال ؟ [٧]
وهل تعود ليالٍ قد سَلَفْنَ بها ونحن لا نشتكى تنكيدَ ضُلّال ؟
وهل يعود لها الدين الذى أنِسَتْ به وقد أيستْ من فتح أبدال ؟ [٨]
فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكِنُهم كمثل عادٍ وما عادٌ بأشكال
قد فُرِّقُوا كَسَبًا فى كل منزلة وقد سبا عدّه من أيد أو عال [٩]

(١) كذا فى ط . وفى ت : « تجدد » وهو تحريف .
(٢) الأوصال : مجتمع العظام . يريد الأطراف .
(٣) الجبح : خلية النحل . والنحال : القائم على خلايا النحل .
(٤) فى ت : « بنحلك » .
(٥) فى ت : « واستمكن » .
(٦) فى ط : «مذ» .
(٧) كذا فى ط . وفى ت : « تومى بأطلال » ولا معنى له .
(٨) يشير إلى ما هو معروف فى الغرب من الاستنصار بالأولياء ، وهم الأبدال ، عند اشتداد الأزمات والخطوب .
(٩) كذا ورد هذا الشطر فى الأصلين .

فلا المساجدُ بالتوحيـــد عامرةٌ إذ عَمَّروها بناقوس وتِمثالِ
ولا المنــابرُ للوعّاظ بارزة الأمر والنهى أو تذكير آجال
ولا المكاتب بالصبيان آنسة تتلو القُرآن بأسحار وآصال
آهٍ على الدين والدنيا وما نفعت آهٍ إذا صدرت من قلب بَطّال (١)
[٥٧] إنّا إلى الله والرُّجْعَى له وبه تعلّق القلب فى تصحيح إعلال
وكان ما كان والألطاف شاملة لا حتّ بنُقْلة نِسوانٍ وأطفال
فلنكرم (٢) الآن مَنْ ينزلْ بمنزلنا فالدهرُ ذو دُول فاسمع لأمثال
وإذ ولا قدرة تدنى المنى فلهم حقّ الجِوار ولا تُوصف (٣) بإهمال
نلقاهم ولنا بِشْر ومَعــذِرة ورحمـــة يا حُماةَ العمّ والخال
ولا نذدْ عن وُرود الحوض وارده ولا ندعْ قولَ ذى نُصْح وإجمال
إخوانكم رفعوا أيدى الضراعة مع كسر القلوب فلا يُلْقَوْا بإخمال
وقل لوالٍ تلطفْ فى مغارمهم يَلْطفْ بك الله إذ تدعى لأحمال
هـذا النَّذير جِهارا جاء يُنْذِرنا والاذن فى صمم عن قيلٍ أوْ قال
ونحن فى غفـــلة عما يُراد بنا نمشى على مُهْلة من طول إمهال
يأهل فاسَ أما فى الغير موعظة إن السعيد لموعوظ بأمثال
فقل تعالَوْا إلى نصح وتذكرة فالأَمْر جِدٌّ فلا تصحبْ لِمكسال
كيف الحَياة إذِ الحيّات قد نَفَحَت على السواحل أو همّت بإرسال
ولا سبيل إلى التِّرياق غيرُ تُقًى والحزم فى سَعَةٍ من قبل إعجال
والأَخذ بالجِدّ فى جمع القلوب على بذل النصيحة أو إبراء أَدْخال

(١) فى ط : « آها على الدين ... * إلا إذا صدرت ... الخ » .
(٢) فى ت : « فنكرم » .
(٣) فى ت : « فلا يوصف » .

والزُّهد فى هذه الدنيا وزُخرفها — والأمر بالعرف مع تحسين مِقوالِ
ولا تَرُمْ فى أمان الروم منزلةً — خوفا على الدين أو بعدا مِنَ أُنْذَال
فمن يَبِتْ فى أمان الكلب منتصبا — لسخط مَوْلًى ولا عـذرٌ بأثقال
وارْبأْ بنفسك عن أَرْض تهان بها — فحيثما كنت لا تخشى مِنِ أُقْلال
فالموت عنـدىَ خير من حياة فتًى — قد اكتسى بعـد عز ثوبَ إذلال
والهِجرة الآن قد عادت كما سبقتْ — فافهم تفـاصيل أقوالٍ وإجمال
واحتلْ بذهنك ولتسمع نصائحَ مَنْ — قدطَبَّ مَنْ حَبَّ(١) لم يُوصَفْ بمُحْتال
فى صدر سبع على التسعين زائدة — شمسُ الجزيرة غابت بعـد إكمال
وبُلِّغَ الكلبُ ما قد شاء من أَرَبٍ — إذْ لم يجد ذائدا عن ديننا العـالى
ليقضىَ الله أمرا كان قدَّره — والأمرُ لله فى قول وأفعـال
وقد وعظتُ ولو أسمعتُ لانتشرتْ — سحائب الدمع لم تقلع عنِ انزال
فليشتغل كل مسكين بمهجته — والله يحفظنا مِـن كل مهْوال
ثم الصلاة على المختار سـيدنا — محمد والرضا عن آلٍ أوْ تالى [٥٨]

مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى بايزيد

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان أبى يزيدَ(٢) خان العُثمانى ، رحمه الله ، ما نصه بعد سطر الافتتاح :

الحضرة العلية ، وصلَ الله سعادتها ، وأعلى كلمتها ؛ ومهَّد أقطارها ، وأعزَّ أنصارها ، وأذل عُداتها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، السلطان الملك الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قامع أعداء الله

(١) من أمثال العرب فى التنوق فى الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من طب لمن حب . . . أى صنعة حاذق لمن يحبه .
(٢) فى ط : « بايزيد » .

الكافرين ؛ كهف الإسلام ، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام ؛ محيي العدل ، ومنصف المظلوم ممن ظلم[(١)] ، ملك العرب والعجم ، والترك والدَّيْلم ؛ ظِل الله فى أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ ملك البَرَّيْن ، وسُلْطان البحرين ؛ حامى الذِّمار ، وقامع الكُفَّار ؛ مولانا وعُمدتنا ، وكهفُنا وغياثنا[(٢)] ، مولانا أبو يزيد ، لا زال ملكه موفور الأنصار ، مقروناً بالانتصار ، مُخَلَّد المآثِر والآثار ، مشهور المعالى والفَخار ؛ مستأثِرا من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل ، فى الدار الآخرة والثناء الجميل ، والنصر فى هذه الدار . ولا بَرِحت عَزَماته العلية مختصة بفضائل الجِهاد ، مُجَرَّدةً على أعداء الدين من بأسها ، ما يُرْوِى صدور السُّمر والصِّفاح[(٣)] ، وألْسِنة السِّلاح ، باذلة نفائس الذخائر فى المواطن التى تألف فيها الأخيار مفارقة الأرواح للأجساد[(٤)] ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد :

سـلام كريم دائم متجدّد ... أخص به مولاىَ خيرَ خليفةِ
سلام على مولاى ذى المجد والعُلا ... ومَنْ ألبس الكفارَ ثوبَ المَذَلَّة
سلام على من وسّع الله ملكه ... وأيّده بالنصر فى كل وِجهة
سلام على مولاى من دار ملكه ... قُسْطَنْطِينةٍ أكرِمْ بها من مدينة
سلام على من زيَّن الله ملكه ... بجند وأتراك مِنَ أهل الرِّعاية
سلامٌ عليكُمْ شَرَّف الله قدركُمْ ... وزادكُمُ ملكا على كل مِلَّة[(٥)]

---

(١) فى ط : « من الظالم » .
(٢) فى ط : « غوثنا » .
(٣) الصفاح : جوانب السيوف ، الواحد : صفح .
(٤) هذه العبارة ، من قوله : «باذلة نفائس» إلى قوله : «للأجساد» : ساقطة فى ت .
(٥) رواية هذا الشطر فى ط : « وزادكم ملكا فى كل ملكة » وهو محرف .

سلام على القاضى ومَنْ كان مثلَه ... مِنَ العلماء الأَكْرمِينَ الأجِلّةِ
سلام على أهل الدِّيانة والتّقَى ... ومن كان ذا رأى مِن َاهل المشورة
ســلام عليكم من عَبيد تخلَّفوا ... بأندلس بالغَرْب(١) فى أرض غُرْبة
أحاط بهم بحر من الرُّوم زاخرٌ ... وبحر عميقٌ ذو ظلام ولُجَّة
سلام عليكم من عَبيد أصابهم ... مُصاب عظيم يالَها مِنْ مُصيبة
سلام عليكم من شُيوخ تمزقت ... شُيُوبهم بالنَّتف من بعد عِزّة
سلام عليكم من وجوه تكشَّفت ... على جملة الأعلاج من بعد سَتْرة
سلام عليكم من بناتٍ عواتقٍ ... يسوقهم اللَّبّــاط قهراً لخَلْوة(٢)
سلام عليكم من عجائزَ أُكْرِهَتْ ... على أكل خِنزير ولحمٍ لِجيفة
نقبل نحن الـكلُّ أرْض بِساطكم ... وندعو لـكم بالخير فى كل ساعة
أدام الإله(٣) ملككم وحياتكم ... وعافاكم من كل سُوء ومِحْنة
وأيَّدَكُمْ بالنصر والظَّفْر بالعِدا ... وأسكنكم دار الرضا والكرامة
شكونا لـكم مولاىَ ما قد أصابنا ... من الضُّر والبَلْوى وعظم الرّزية
غُــدِرْنا ونُصِّرنا وبُدِّل ديننا ... ظُلِمنا وعُوملنا بكلّ قبيحة
وكنا على دين النبى محمدٍ ... نقاتل عُمَّال(٤) الصليب بنيــة
ونلقى أُموراً فى الجهاد عظيمةً ... بقتلٍ وأسْرٍ ثم جُوع وقلّة
فجاءت علينا الروم من كلّ جانب ... بسيل عظيم جملةً بعد جُمْلة

---

(١) فى ط : « فى الغرب » .

(٢) اللبـاط : من رجال الدين بالـكنيسة ، كما فى معجم دوزى . يشـير إلى ما فعله نصـارى الأسبان من إكراه المسلمين على ترك دينهم .

(٣) فى ط : « إلهى » .

(٤) كذا فى ت . وفى ط : « أعمال » . وفى رواية : « عباد » .

ومالوا علينا كالجراد بجمعهم … بجد وعزم من خيول وعُدّةِ

فكنا بطول الدهر نَلْقَى جموعهم … فنقتلُ فيها فرقةً بعــد فرقة

وفُرسانُهم تزداد فى كل ساعة … وفُرْساننا فى حال[1] نقصٍ وقلة

فلمــا ضَعُفنا خَيَّموا فى بلادنا … ومالوا علينـا بَلدةً بعد بلدة

وجاءوا بأنفاط[2] عظام كثيرة … تهدم أسوار البــلاد المنيعة

وشدوا عليها فى الحِصار بقوة … شهوراً وأياماً بِجِــدٍّ وعَزْمَة

فلمــا تفانت خيلُنا ورجالنا … ولم نر من إخواننا من إغاثة

وقَلَّت لنا الأقوات واشتدّ حالنا … أطعناهُمُ بالـكَرْه خوف الفضيحة

وخوفاً على أبنائنـا وبناتنـا … مِن أن يؤْسَرُوا أوْ يقتلوا شر قِتْلة

على أنْ نكون مثلَ من كان قَبْلَنا … من الدَّجن من أهل البلاد القديمة

ونُبْقِى على آذاننا وصــلاتنا … ولا نتركَنْ شيئاً مِنَ أمر الشريعة

ومن شاء منا البحرَ جاز مُؤَمَّناً … بما شاء من مال إلى أرض عُدْوة

إلى غير ذاكَ من شروط كثيرة … تزيد على الخمسين شرطاً بخمسة

فقال لنا سُلْطانهم وكبيرُهم … لـكم ما شرطتم كاملا بالزيادة

وأَبْدى لنا كُتْباً بعهد وموثق … وقال لنا هذا أمانِى وذِمَّتى

فكونوا على أموالـكمْ ودِياركم … كما كُنتمُ من قبلُ دُونَ أَذِيَّة

فلما دخلنا تحت عَقْد ذِمامهم … بدا غَدْرُهُمْ فينا بنقض العزيمة

وخان عهوداً كان قد غرّنا بها … ونَصَّرَنَا كَرْها[3] بعُنْفٍ وسَطْوة

---

(١) فى ط : « فى كل » .

(٢) كذا فى ط . ويريد بالأنفاط : الآلات التى ترمى بها الحصون والأسوار كالمدافع . وفى ت : « بأنفاض » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ١٠٥ من هذا الجزء) .

(٣) فى ط : « قهرا » .

وأَحرقَ ما كانتْ لنامن مَصاحفٍ وخالَّطها بالزِّبل أو بالنجاسةِ
وكل كتاب كان فى أمر ديننا ففى النار أَلْقَوْهُ بهزْء وحَقْرة
ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم ولا مُصْحَفاً يُخْلَى به للقراءة
ومن صام أو صلى ويُعلم حالُه ففى النار يُلْقُوه على كل حالة
ومَنْ لم يَجِئْ مِنَّا لموضع كُفْرِهِمْ يعاقبُه اللّباط شَرَّ العقوبة
ويَلْطِمِ خَدَّيه ويأخذ ماله ويجعلُه فى السجن فى سُوء حالة
وفى رَمضانٍ يُفْسدون صيامنا بأكل وشُرْب مرة بعد مرة
وقد أَمرونا أن نَسُبَّ نبينا ولا نذكرنْه فى رَخاء وشدة
وقد سمعُوا قوماً يُغَنُّون باسمه فأدركهمْ منهمْ أَليمُ المَضَرَّة
وعاقَبَهُمْ حُكَّامُهُمْ وَوُلاتُهم بضرب وتغريم وسَجْنٍ وذِلَّة
ومن جاءه الموتُ ولم يَحْضرِ الذى يُذَكِّرُهُمْ لم يدفِنوه بحيلة
ويُتْرَكَ فى زِبْلٍ طريحاً مُجَدَّلا كمثل حِمارٍ ميّت أو بَهيمة
إلى غير هذا من أمور كثيرة قِباحٍ وأَفْعَالٍ غِزَارٍ رَدِيَّة
وقد بُدِّلتْ أسماؤنا وتحولتْ بغير رِضاً منا وغير إرادة
فآهاً على تبديل دين محمد بدين كلاب الروم شَرِّ البرية
وآهاً على أسمائنا حين بُدِّلَتْ بأسماء أعلاج مِنَ أُهل الغَباوة
وآهاً على أبنائنا وبَناتنا يَرُوحون للّباط فى كل غُدْوة
يُعَلِّمهم كفراً وزُوراً وفِرْية ولا يقدِروا أن يمنعوهم بحيلة
وآهاً على تلك المساجد سُوِّرَتْ مَزابلَ للكفَّار بعد الطَّهارة
وآهاً على تلك الصوامع عُلِّقَتْ نَوَاقِيسُهُمْ فيها نَظِيرَ الشَّهادة
وآهاً على تلك البلاد وحُسْنِها لقد أَظلمتْ بالكفر أَعظمَ ظُلْمة

وصارت لعُبَّاد الصَّليب مَعاقِلا   وقد أمِنوا فيها وقوع الإغارةِ
وصِرْنا عبيداً لا أُسَارَى فنُفْتَدَى   ولا مسلمينَ نطقُهُمْ بالشّهادة
فلَوْ أَبصرت عيناك ما صارَ حالُنا   إليه لجادتْ بالدُّموع الغزيرة
فيا ويلَنا ، يا بُؤْسَ ما قد أصابنا   من الضُّرّ والبَلْوَى وثوبِ المَذَلّة
سَأَلناكَ يا مولاىَ باللهِ ربّنا   وبالمصطفَى المختارِ خيرِ البَرِية
وبالسَّادة الأخيار آل محمد   وأصحابه أكرِمْ بهم مِنْ صَحَابة
وبالسَّيد العبَّاس عَمّ نبيّنا   وشَيْبته البيضاءِ أَفضلِ شيْبة
وبالصالحين العارفينَ بربّهمْ   وكلّ ولى فاضل ذى كرامة
عسى تنظروا فينا وفيما أصابنا   لعل إلٰهَ العرش يأتى برحمة
فقولُكَ مسموع وأمرك نافذ   وما قلت من شىء يكون بسرعة
ودينُ النصارى أصلُه تحتَ حكْمكمْ   ومن ثَمَّ يأتيهم إلى كل كُورَة
فبالله يا مولاىَ مُنّوا بفضلكم   علينا برأى أو كلام بحُجَّة
فأنتمْ أولو الإفضال والمجدِ والعلا   وغوثُ عباد الله فى كل آفة
فسلْ بابَهُمْ (١) أعنى المقيم برومةٍ   بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانة ؟
وما لَهُمُ مالوا علينا بغدرهمْ   بغير أذًى منا وغير جريمة
وجنسهمُ المغلوبُ فى حفظ ديننا   وأَمنِ ملوك ذى وفاء أجِلّة
ولم يُخْرَجوا من دينهم وديارهم   ولا نالهم غَدْر ولا هَتْكُ حُرْمة
ومَنْ يُعْطِ عهداً ثم يَغْدِر بعهدِه (٢)   فذاك حرامُ الفِعل فى كُلّ مِلّة
ولا سِيَما عندَ الملوك فإنه   قبيح شنيع لا يجوز بوجهة

(١) يريد البابا رئيس الدين المسيحى .
(٢) فى ط : « ثم يغدر بعده » .

وقد بَلَغَ المكتوب منكمْ إليهم فلم يَعملوا منــــه جميعاً بكلمة
وما زادهم إلا اعتــــداءً وجُرْأَةً علينا وإقداماً بكل مَســـاءة
وقَدْ بلَغَتْ أَرْسَالُ(١) مصرَ إليهم وما نَالهم غدر ولا هتك حُرمة
وقالوا لتلك الرُّسْل عنا بأننا رضينا بدين الكفر من غير قَهْرة
وساقوا عقود الزور ممن أطاعهم ووالله ما نَرْضَى بتلك الشهادة
لقد كَذَبوا فى قولهم وكلامهم علينا بهــــذا القول أكْبر فِرْية [٦٢]
ولكنّ خوفَ القتل والحَرْق رَدَّنا نقول كما قالوه من غير نِيــــة
ودينُ رسول الله ما زال عندنا وتوحيـــدُنا لله فى كلّ لحظة
ووالله ما نرضى بتبديل ديننـــا ولا بالذى قالوا مِنَ أمر الثلاثة
وإن زعموا أنّا رضينا بدينهم بغير أذى منهم لنا ومســـاءة
فسلْ وَحَرا(٢) عن أهلها كيف أصبحوا أسارَى وقتلى تحت ذل ومَهْنة
وسَلْ بلَفِيقا عن قضية أمرها لقد مُزِّقوا بالسَّيْف من بعد حَسْرة
ومنيافة(٢) بالسيف مزق أهلها كذا فعلوا أيضاً بأهل البُشُرَّة(٣)
وأندَرَش(٤) بالنار أحرق أهلها بجامعهم صاروا جميعاً كفحمة
فها نحن يا مولاى نشكو إليكم فهذا الذى نلناه من شرّ فرْقة
عسى ديننا يبقى لنا وصــــلاتنا كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
وإلا فيُجْلُونا جميعاً مِنَ أرضهم بأموالنا للغرْب دار الأحبـــة
فإجلاؤنا خير لنـــا من مُقَامنا على الكفر فى عز على غير مِلّة
فهذا الذى نرجوه من عِزّ جاهكم ومِنْ عندكم تُقْضَى لنا كلُّ حاجة

(١) يريد بالأرسال (هنا) : جمع الرسول .
(٢) وحرا ، ومنيافة : اسما بلدين ، ولم نعثر عليهما فى المعاجم .
(٣) البشرة : جهة تنتظم قرى كثيرة نزهة قرب غرناطة .
(٤) أندرش (أندراش) : بلدة بالأندلس من كورة ألبيرة .

ومِنْ عندكم نرجو زوال كُروبنا ... وما نالنا من سـوء حال وذِلّة
فأنتم بحمد الله خـير مُلوكنا ... وعزتُكمُ تعلو على كلّ عِزة
فنسأل مولانا دوامَ حياتكم ... بمُلك وعِز فى سرور ونَعْمة
وتهدين(١) أوطان ونصر على العِدا ... وكثرة أجنـاد ومال وثَرْوة
وثُمّ سـلام الله تتلوه رحمة ... عليكمُ مدى الأيّام فى كل ساعة

انتهت الرسالة بحمد الله ، وكتبتها وإن كانت ألفاظها غير بليغة ، تكميلا للفائدة ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

بلاغة أهل الأندلس

وكان أهل الأندلس فى عُنْفوان أمْرهم فى غاية البلاغة ، حتى قال الرئيس ابن الجَيّاب يفتخر(٢) بذلك :

أبى الله إلا أن تكون اليدُ العُلْيا ... لأندَلُس من غير شرط ولا ثُنْيا(٣)
وإنْ هى عَضّتها نيوب نوائب ... فَصَيَّرت الشَّهْد المَشُور بها شَرْيا(٤)
فما عَدِمت أهلَ البلاغة والحِجا ... يقيمون فيها الرسْم للدين والدُّنيا
إذا خَطَبُوا قاموا بكل بليغةٍ ... تُجَلِّى القلوبَ(٥) الغُلْف والأعين العُمْيا
وإن شَعَرُوا جاءوا بكل غريبة ... تخال النُّجُومَ النيِّراتِ لها حَلْيا
فنسألُ فى الدنيا من الله سَتْرةً ... علينا ، وفى الأخرى إذا حانت اللُّقْيا

[٦٣]

ولعمرى ، لقد صدق قائل هذه الأبيات ، فإن البلاغة لم تزَل شمسُها بالأندلس باهرة الإياة(٦) ، ظاهرة الآيات ، إلى أن استولى عليها العدو ، وعطّل

(١) كذا فى ت . والتهدين : التسكين وفى ط : « وتهذيب » .
(٢) فى ط : « مفتخرا » .
(٣) ولا ثنيا : ولا استثناء .
(٤) الشرى : الحنظل .
(٥) فى ت : « تحلى قلوب القلب » وهو تحريف .
(٦) إياة الشمس : ضوءها .

من أهل الإسلام الرَّواح إليها والغُدُوّ ، وفى أهلها بقية لسان ويراعة[١] ، وتصرف فى فنون الإجادة وبراعة ، وقد قصصنا عليك آنفاً الرسالة التى كتبها الملك[٢] المخلوع لصاحب المغرب فيما سردناه ، واطلعت منها على ما يؤيد ما [قلناه[٣]] ، من الغرض الذى انتحيناه وأوردناه : وقد كان ذلك الكاتب وطبقته تلقفوا كُرَة البلاغة من يد طبقة أخرى حازت[٤] مُعَلّى القِداح ، وتبرجت لها من الفصاحة كل خَوْد رَداح[٥] ، كالفقيه الكاتب أبى عبد الله الشّران ، المبرز فى أدواته على الأنداد والأقران ، وكالأديب الشهير [الفقيه عمر ، الذى لم تزل أخباره إلى الآن سَمَر ، وكفارس تلك الحلبة . الكاتب القاضى الرئيس ، الوزير[٦]] الفقيه ، أبى يحيى بن عاصم ، الذى حَلِيَتْ بعلومه اللَّبَّات والمعاصم ، وغيرهم من الجهابذة النُّقّاد ، والأعلام الذين تخضع لهم المحاسن وتنقاد ، إن جَدُّوا وصلوا مقطوع الأسباب ، وإن هَزَلوا ، على عادة الأفاضل فى مثل هذا الباب ، ملكوا النفوس ، وسحروا الألباب ؛ وقد سبق من كلام ابن عاصم ما يصحّح ما ادعيناه ، ولْنورد زيادةً إذا أبصرها المنصف المستفيد تَقَرعيناه ، فنقول :

مقامة الفقيه عمر : تسريح النصال إلى مقاتل الفصال

أما الفقيه عمر فهو أشهر من نار على عَلَم ، وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند العامة محفوظة ، وعند الخاصّة مرفوضة ، إلا القليل الذى يُسمح فى مثله لصاحب القلم ، كمقامته[٧] التى سماها بتسريح النِّصال ، إلى مقاتل الفَصَّال ، ونصها :

(١) اليراعة : قصبة القلم . والمراد أنهم أهل فصاحة إذا تكلموا أو كتبوا .
(٢) فى ط : «كتب ملكها» .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) فى ط : «جازت» .
(٥) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة ؛ والرداح : الثقيلة الأوراك والمآكم .
(٦) زيادة عن ت .
(٨) فى ط : «مقاماته» .

[٦٤] ياعماد السالكين ، ومحط رحال[1] المستفيدين والمتبركين ، وثمال الضعفاء والمساكين والمتروكين ، فى طريقتك يتنافس المتنافس ، وعلى أعطافك تُزْهَى العباءات وتروق الدَّلافس[2] ؛ وبكتابك تحيا جوامد الأفهام ، وبمذبّتك تُشَرِّد ذُباب الأوهام ؛ وفى زِنبيلك[3] يُدَسّ التالد والطارف ، وبعصاك يُهَشّ على بدائع المعارف ، اللهَ اللهَ فى سالك ، ضاقت عليه المسالك ؛ وشاد ، رُمِىبالبعاد[4] ، أدركته متاعب الحُرْفة[5] ، وأقيم من صَفّ أهل الصُّفَّة[6] ؛ فلا يجد نشاطاً على ما يتعاطى ، ولا يَلْقَى اغتباطا ، وإن حل زاوية أَوْ نَزَل رِباطاً ؛ أُقْصِى عن أهل القرب والتخصيص ، وابتُلِى بمثل حالة بَرْصِيص[7] ؛ فأُحيل عليك ، وتوقفت إقالته على توبة بين يديك ؛ فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك هداية ودعاء ؛ ليسير على ما سَوّيت ، ويتحمل عنك أشتات ماروَيت ؛ فيلقى الأكفاء الظُّرفاء عزيزاً ، ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزاً ، فاصرف إلى مُحَيَّا الرِّضا ، وأَعِدْ من إيناسك العهد الذى مَضَى، ولا تلقنى مُعْرِضاً ولا مُعَرِّضا ، وأصغ إلىَّ سمعك كما قدر الله وقضى :

تعالَ نجدِّدْها طريقة ساسانٍ[8] وعَضَّ عليها ما توالى الجديدانِ

(١) هذه الكلمة « رحال » : ساقطة فى ت .
(٢) الدلافس : جمع دلفاس (ويقال فيه دفاس أيضا) : نوع من اللباس خشن كالعباءة إلا أنه قصير ، يلبسه الصوفية والفقراء (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .
(٣) فى ط : « زبيلك » وهى لغة فى الزنبيل .
(٤) فى ت : « بإبعاد » .
(٥) الحرفة (بالضم والكسر) : الحرمان .
(٦) أهل الصفة : فقراء صحابة رسول الله كانوا يبيتون فى صفة مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهى موضع مظلل منه .
(٧) برصيص ، ويقال فيه برصيصا : كان من عباد بنى إسرائيل ، ثم فتنه الشيطان ، وقصته مشهورة تذكر عند تفسير قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) .
(٨) يريد بطريقة ساسان علم الحيل الساسانية . قال حاجى خليفة فى كشف الظنون : =

ونصرفُ إليها من مُثَار عَزَائِمٍ ونَحلف عليها من مُؤَكَّد أيمان
ونعقدُ على حكم الوفاء هواءنا لنأمَنَ مِنْ أقوال زُور وبُهْتان
ونقسمُ على أَلَّا نصدّقَ واشياً يروح ويغدو بين إثمٍ وعُدْوان
يطوف حوالينا ليفسد بيننا بمنطق إنسان وخُدْعة شيطان
على أننا من عالم كلما بدا تعوّذ منه عالمَ الإنس والجان
وحاشاك أن تُلْغَى عن الصلح مُعْرِضا[1] إلى الصلح آلتْ حرب عبس وذبيان
وإنّى أَهَمَّتْنِى شئونٌ كثيرة وصُلْحُك أَوْلَى ما أُقَدِّم مِنْ شانى
فأنتَ إمامى إنْ كَلِفتُ بِمَذْهَب وأَنت دليلى إنْ صَدَعْتُ ببُرهان
سأرعاك فى أهل العباءات كُلّما[2] رأيتك فى أهل الطَّيالس ترعانى
ويا لابسى تلك العباءات إنها لباس إمام فى الطريقة دِهْقان
تفرقتِ الألوانُ منها إشارة بأنك[3] تأتى من حِلاك بألوان
ويا بأبى الفَصّالُ شيخ طريقة خَلُوبٌ لألبابٍ لعوبٌ بأذهان
إذا جاء فى الثوب المحبَّر خِلتَه زُنَيْبِرةً[4] قدْ مُدَّ منها جَناحان
فما تأمنُ الأبدان آفة لَسْعِها وإن أقبلت فى سابغاتٍ وأبدان[5]

[٦٥]

= « ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال : علم يعرف به طريق الاحتيال فى جلب المنافع وتحصيل الأموال ، والذى باشرها يتزيا فى كل بلدة بزى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها فى أصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهاء ، وتارة يختارون زى الوعاظ ، وتارة يختارون زى الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم إنهم يحتالون فى خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها » .

(١) كذا فى ط . وفى ت : « على النصح » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « كلها » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « فانك » .
(٤) زنيبرة : تصغير زنبورة ، وأصله زنيبيرة ، وهى من الذباب اللساع .
(٥) السابغات والأبدان : الدروع .

سأدعوك فى حالات كَيْدى وَكديتى[1] بشيخَىَ ساسانٍ وعمىَ هامان
وإن كان فى الأنساب منا تباينٌ فما تنكرِ الآداب أنا نَسيبان
ألا فادع لى فى جنح ليلك دعوة لتنجح آمالى ويرجح ميزانى
لك الطائر الميمون فى كل وجهة سريت إليها غير نِكْسٍ ولا وانى[2]
فكَم من فقير بائس قد[3] عرفته فرفَّت عليه نِعْمة ذات أفنان
وكم من رفيع الجاه والبيتَ أنسه فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحبا لما خانه المقدار فى ليلة الخان[4]
ولو كنتَ للصابى صديقاً ملاطِفاً لما قُبلت فيه مَقالة بُهتان[5]
ولو كنتَ من عبد الحميد مُقرَّباً لما هَزَم السفاحُ أشياعَ مَرْوان[6]
ولو كنتَ قد أرسلتها دعوة على أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
ولو كنتَ فى يوم الغبيط مراسلا لبِسطامَ لم تهزم به آل شيبان[7]

---

(١) كذا فى نفح الطيب . والكدية : شدة الدهر . وفى ت : « كيد وكيدة » . وفى ط : « كيدى وكيدتى » .
(٢) النكس : الضعيف الجبان . والوانى : المقصر .
(٣) فى ت : « مذ » .
(٤) يشير إلى مقتل الفتح بن خاقان القيسى الأندلسى صاحب قلائد العقيان ومطمح الأنفس فى الفندق الذى نزل به بمدينة مراكش سنة تسع وثلاثين وخمس مئة (انظر وفيات الأعيان) .
(٥) الصابى : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء فى دولة بنى بويه . ويشير الشاعر إلى ما نال الصابى من اضطهاد وإبعاد من عضد الدولة بن بويه ، لمقالة نقلت إليه عنه فأغضبته . (انظر وفيات الأعيان) .
(٦) يشير إلى ما نال مروان بن محمد وعبد الحميد بن يحيى كاتبه من الهزيمة على يد السفاح
(٧) الغبيط : مكان بين الكوفة وفيد ، وبه كان يوم بنى تميم وشيبان ، غلبت فيه تميم شيبان ، وفيه أسر عتيبة بن الحارث بن شهاب بسطام بن قيس ، ففدى نفسه بأربع مئة ناقة . (انظر العقد الفريد وشرح القاموس) . ومراسلا (هنا) : معاونا ، من المراسلة بمعنى المتابعة .

ولو كنتَ فى حرب الأمين لطاهر لما هان فى يوم اللقاء ابن ماهان (١)
ولو كنتَ فى مَغْزى أبى يُوسُفٍ لَمَا رماه بغدر عبدُه فى تِلِمسان (٢)
ولو أنّ كسرى يَزْدَجِرْدَ عرفته لما طاح مَقْتولا على يد طحّان (٣)
ولو أنّ لُذْرِيقاً وطِئْتَ بساطَه لما أثّرت فيه مَكيدة أُلْيان (٤)
وفيما مَضَى فى فاسَ أوضحُ شاهد غنيٌّ لدينا عن بيَانٍ وتِبْيان
ولَمَّا اغتنى منك السعيدُ بكاتب رأى ما ابتغى من عِزّ ملك وسُلْطان
فلا تنسنى من أهل وُدِّك إننى أخاف الليالى أن تطول فتنسانى
ولا خير أن تجعل كِفاءَ قصيدتى كِفاء ابنَ درَّاج على مدح خَيْران (٥)
فجُد بدنانيرٍ ولا تكن التى ألمّ بها الكندىُّ فى شِعْب بوّان (٦)

(١) يشير إلى الوقعة التى كانت بين طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، وعلى بن عيسى ابن ماهان قائد جيش الأمين ، وقد انتهت بانتصار طاهر وقتل ابن ماهان .

(٢) لعله يريد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى فى غزوه تلمسان ، وإقامته على حصارها مئة شهر . وقد قتله عبده « سعادة » فى أثناء ذلك الحصار المشهور ، فى حديث فصله السلاوى فى كتاب « الاستقصا ج ٢ ص ٤١ » .

(٣) يشير إلى هرب يزدجرد آخر ملوك الفرس من أعدائه ، والتجائه إلى طاحونة لم يحسن الطحان ستره فيها ، حتى أدركه طالبوه وقتلوه (انظر غرر أخبار ملوك الفرس للثعالبى صفحتى ٧٤٦ — ٧٤٧) .

(٤) يشير إلى تمكين أليان : (يليان ، جليان ، أمير المغرب من قبل لذريق ملك القوط بالأندلس) العرب من دخول الأندلس انتقاما لشرفه من لذريق ، فى حديث مفصل فى كتب التاريخ (انظر نفح الطيب وغيره) .

(٥) هو خيران الصقلى أمير المرية ، وهو من موالى المنصور بن أبى عامر ، وقد مدحه ابن دراج القسطلى بقصيدة نونية مطلعها :
« لك الخير قد أوفى بعهدك خيران » ولعل خيران لم يحسن جائزة الشاعر كما يفهم من السياق هنا .

(٦) الكندى : هو أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر المعروف ، ونسب إلى محلة كندة بالكوفة . وشعب بوان : متنزه بفارس . يشير الشاعر إلى قول المتنبى فى القصيدة التى مدح فيها عضد الدولة ووصف شعب بوان :

وألقى الشرق منها فى ثيابى دنانيرا تفر من البنان =

[٦٦]

فجودكَ فينا الغيث فى رَمْلِ عالجٍ وفضلُك فينا الخبزُ فى دار عُثمان(١)
وما زِلتَ من قبل السؤال مقابِلا مُرادى بإحْساب وقصدى بإحسان(٢)
ولا تنس أياماً تقضّت كريمة بزاوية المحروق أو دار هَمْدان(٣)
وتأليفنا فيهــا لقبض إتاوة وإغرام مسنون وقِسمة حُلْوان
وقد جلس الطَّرقون بالبعد مُطْرِقا يقول نصيبى أو أبوح بكِتمان(٤)
عَريفىَ يَلْحانى إذا ما أتيتُه ولم أنصرف عنكم بواجب ألْحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا أئِمةَ حُسَّاب(٥) وأعلام كُهّان
إذا استنزلوا الأرواحَ باسم تبادرت طوائف ميمون وأشياع برقان(٦)
وإن بخّروا عند الحُلول تأرجت مجامرهم عن زَعفران ولُوبان(٧)
وإن فتحوا الدارات فى رد آبق ثنت عزمه أوهام خوف وخِذْلان(٨)

= يصف ضوء الشمس النافذ إليه من بين أوراق الأشجار ، فيرسم على ثيابه أشباه الدنانير صفرة واستدارة ، إلا أن اليد لا تقدر عليها .

(١) عالج : موضع بالبادية يصل إلى الدهناء ، والدهناء فيما بين اليمامة والبصرة . يقول : نحن متعطشون إلى جودك كتعطش رمال عالج إلى الغيث ، محتاجون إلى فضلك احتياج المحصورين فى دار عثمان بن عفان إلى الطعام والشراب وقد حرموها .

(٢) بإحساب : أى بما يكفينى ويرضينى .

(٣) زاوية المحروق : متعبد بفاس . ودار همدان بفاس أيضاً .

(٤) الطرقون (كلمة مغربية مولدة) : من بيده قبالة اللهو وقبض ضرائب الأعراس ونحوها ، مما تستعمل فيه الدفوف وآلات الملاهى (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .

(٥) كذا فى ت ونفح الطيب . ويريد بالحساب : المشتغلين بحساب الطوالع للناس . وفى ط : « أحساب » .

(٦) ميمون وبرقان : من أسماء ملوك الجن التى تدور على ألسنة المشعبذين . (انظر كتاب الجواهر اللماعة ، فى استحضار ملوك الجن فى الوقت والساعة) .

(٧) لوبان : لفظة مغربية محرفة عن «اللبان» وهو الكندر المعروف . (عن دوزى)

(٨) الدارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعبذين ومريدوهم عند استطلاع أمر خفى كإظهار مسروق ، وإرجاع آبق ، ونحو ذلك ، يقولون إذا سرق شىء : هلم نفتح الدارة .

فيحسب أن الأرض حيث ارتمت به ركائبه سَرْعَانَ رَجْل ورُكبان
وقد عاشرتنا أسرة كيموية[١] أقامت لدينا فى مكان وإمكان
فلله من أعيان قوم تألفوا على عَقْد سِحْر أو على قلب أعيان
ونحن على ما يغفر الله إنما نروح ونغدو من رباط إلى حان[٢]
مع الصُّبح نُضْفيها عباءَة صُفَّة وبالليـــل نُدْليها زنانيرَ رُهْبان[٣]
أتذكر فى سفح العُقاب مَبيتَكم ثمانين شخصاً من إناث وذُكْران[٤]
لديكم من الألوان ما لم يجئ به طُهُورُ ابن ذنُّون ولا عُرْسُ بُورَان[٥]

ثم ذكر خمسة أبيات أقذع فيها ، فلذا تركتها[٦] ، ثم قال :

فأقسم بالأيمـان لولا تعففى عن السوء لانحلت عقيدة إيمانى
فعدْ للذى كنا عليه فإنّ لى على الغير إن صاحبتَه حقدَ غَيْران
فمن يوم إذ صيرت ودى جانباً وأعرضت عنى ما تناطح عنزان
ولا روت الـكُتّابُ بعْدَ نِفارنا محاورةً من ثعلُبان لسِرحان

(١) كذا فى نفح الطيب : وفى ط : « كموية » وكلاهما يراد به النسب إلى الـكيمياء ، وفى ت : « كهوية » ، وهو تحريف .
(٢) كذا فى ت . وفى ط ونفح الطيب : « خان » .
(٣) كذا فى ت عباءة صفة : يريد بها زى الفقراء النساك . انظر الحاشية رقم ٦ صفحة ١١٧ من هذا الجزء . والزنانير جمع زنار ، وهو ما يشد به الراهب وسطه ؛ يريد أنه يعمل فى الليل ما لا يعمل فى النهار . وفى ط : « نلويها زنانير ... الخ »
(٤) العقاب : موضع بالأندلس ، كانت به وقعة مشهورة محص الله فيها المسلمين .
(٥) ابن ذنون (ابن ذنون) : هو المأمون أحد ملوك الطوائف فى طليطلة ، من بنى ذى النون ، وقد بلغوا فى البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذى يقال له : « الإعذار الذنونى » ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق ، والمأمون هو صاحب ذلك . وبوران هى بنت الحسن بن سهل ، وقد زفت إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد فى إعراس مشهور فى كتب التاريخ .
(٦) ذكر المؤلف القصـيدة كاملة من غير حذف فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٣ طبعة الأزهرية بمصر) .

وما هو قصدى منك إلا إجازةٌ تخولنى التفضـيل ما بين خُلانى
وإنك إن سَخَّرتَ لى وأجزتنى لنعم وَلِيًّا صان ودى وجازانى
ولِمْ لا تروِّينى وأنت أجل من سقانى من قبل الرحيق فروّانى
ألا فأجْزنى يا إمامى بكل ما رويت لمَدْغَلِّيسَ أو لابن قُزمان[1]
ولا تنْس للدبَّاغ نظما عرفته فإنكما فى ذلك النظم سِـــيَّان
ومزدَوَجات ينسبون نظامهـا إلى ابن شُجاع فى مديح ابن بطّان
وألم بشىء من خرافات عنتر وألمع ببعض من حكايات سُوسان
وإن كنتَ طالعت اليتيمة واسِنى بلاميّة فى الفحش من نظم واسانى[2]
أجِزْنى بكشف الدّك[3] أرضى وسيلةٍ وخيرِ جليس فى بساط ودكان
وناوِلْنىَ المِصباحَ[4] فهو لغُربتى مُيسِّرُ أغراضى ورائدُ سلوانى
وألحقْ به شمسَ المعارف[5] إننى أسائل عن إسناده كل إنسان
وقد كنتَ قبل اليوم عرفْتَنى به ولـكننى أُنسيته بعد عرفان

[٦٧]

(١) أبو بكر بن قزمان ومدغليس من أوائل الزجالين بالأندلس .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواسانى . ويشير الشاعر إلى قصيدته اللامية التى هجا بها أبا الفضل يوسف بن على ، وعرض فيه بابن القزاز ، ومطلعها :
يأهل جيرون هل لسامركم إذا استقلت كواكب الحمل
(انظر يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١ — ٢٧٤ طبعة دمشق) .

(٣) كذا فى نفح الطيب . يريد كتاب : « كشف الدك ، وإيضاح الشك » لأبى عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسى ، وهو كتاب مشهور فى الحيل والشعبذة . وفى الأصلين : « بكشف الديك » وهو تحريف .

(٤) فى الفهارس كتب كثيرة فى علوم مختلفة كل منها اسمه « المصباح » ، ولا ندرى أيها يريد . ولعله فى الروحانيات ، كما يفهم من السياق .

(٥) يريد كتاب : «شمس المعارف ، ولطائف العوارف» للشيخ أحمد بن على البونى ، المتوفى سنة ٦٢٢ ، وهو كتاب مشهور فى التعاويذ ونحوها من الروحانيات .

ولا بُدّ يا أستاذُ من أن تُجيزَنى ... ببدْء ابن سبعين وفصل ابن رضوانِ (١)

وكُتْبِ ابن أخلى كيف كانت فإنها ... لوزن رقيق القول (٢) أكرمُ ميزان

ولا تنس ديوان الصَّبابة (٣) والصفا ... لإخوان صِدْق فى الصفاخير إخوان

وزهر رياض (٤) فى صنوف أضاحك ... وجبذ كساء فى مكايد نسوان

كذاك فناولنى كتاب حُباحب ... وزدنى تعريفاً بها وببرجان

ولى أمل فى أن أروَّى رسالة ... مضمنة أخبار حىّ بن يقظان (٥)

وحبِّس على الكاسَ والكوزَ والعصا ... فإنك مُثْرٍ من عصىٍّ وكيزان

وصيِّر لىَ الدَّلفاسَ (٦) أرفعَ لِبْسةٍ ... فقد جلَّ قَدْرى عن حرير وكَتّان

وقد رقَّ طبعى واعترتنىَ خشية ... يكاد بها رُوحى يفارق جُثمانى

وخلِّ مفاتيح الطريقة فى يدى ... وسوِّغ لهم فيها (٧) مزيدى ونقصانى

فإنى لم أخدمك إلاّ بنيــــة ... وإنى لم أتبعك إلا بإحسان

فكن لى بالأسرار أفصح مُعْلن ... فإنىَ قد أخلصْتُ سرِّى وإعلانى

انتهت المقامة . وأثبتها لأنها أخف ما رأيت من هزليّات الفقيه عمرَ المالَقىّ ، رحمه الله وسامحه ، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل

---

(١) يريد ببدء ابن سبعين كتاب «بدء العارف» لأبى محمد عبد الحق بن إبراهيم الشهير بابن سبعين المرسى الأندلسىّ . وابن رضوان : هو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى من أهل ماهة .

(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : «دقيق القوم» .

(٣) يريد ديوان الصبابة لابن أبى حجلة أحمد بن يحيى التلمسانى الحنفى المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) فى الفهارس كتب كثيرة بهذا الاسم .

(٥) يريد كتاب : «أسرار الحكمة المشرقية» لأبى بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل ، وهو قصة خيالية فلسفية ، جمع فيها بين الفلسفة والشريعة .

(٦) الدلفاس (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء) .

(٧) فى نفح الطيب : «حكمى» .

الإحماض[1] ، ولم يَعْنُوا بها غالباً إلا إظهارَ البلاغة والاقتدار ، كما فعل الحريرى وغير واحد ، والأعمال بالنِّيات .

شىء من نظ

ومن نظم الفقيه عمرَ المذكور قوله عفا الله عنه :

إلى الله ربى أشتكى سوء حالتى عسى فرجٌ يأتى بأفضل حالى
وما أسفى إلا لمالى أبيعه وخائن مالى يشتريه بمالى

مقامة فى أمر الوبا

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة فى أمر الوباء ، رأيت أن أثبتها لغرابة مَنزِعها ، وإن كان بعض فصولها لا يجرى على المشهور من مذاهب العلماء ، ونصها :

[٦٨] إلى حمراء الملك وقلعته ، ومَقَر العز ومَنعته ، ومطْلَع كل قمر نصْرِىٍّ يُخجل الأقمار بطلعته ، أبقاها الله على تعاقب الزمان ، منزل أمان ودار إيمان ، وأمتعها بحياة المَلِك الخَزْرجي اليمان ، من مُوجبة إجلالها كما يجب ، المعترفة بفضلها وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب ، والواقفة عند إشارتها وطاعتها ، فإن تأْمُرْ أَمْتَثِلْ وإن تَدْعُ أَسْتَجِبْ ، مالقة ، المستمسكة بذمتها الوثيقة ، المتشوِّفة إلى أخبارها تشوف المُحبَّة الشفيقة ، إلى رَيحانة قلبها فى الحقيقة ، وإلى هذا يا سيدتى ويا عُدَّتى ، ويا ذخيرتى ويا عُمْدتى ، أمتعنا الله وإياك بحياة مَنْ استنقذنا من الوَرَطات ، وردّنا إلى الصواب مما كانَ منا من الغَلَطات ، مولانا الغالب بالله[2] وحدَه ، الموعود بعزيز النصر وقريب الفتح والله ميسِّر وعده .

سلام عليك يتعطَّر بذكر مولانا أمير المسلمين فَوْحُه[3] ، وينشق

(١) الإحماض : الانتقال من حال إلى حال ؛ مأخوذ من إحماض الإبل ، وهو نقلها من رعى الخلة إذا سئمتها إلى رعى الحمض والحمض : ما ملح وأمر من النبات ، وهى كفاكهة الإبل ، والخلة : ما حلا ، وهى كخبزها . (عن القاموس) .
(٢) فى ت : « الغالب بأمر الله » .
(٣) فى ط : « بوجه » .

كالمسك[(١)] الفتيت روحه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإنى أحمد إليك الله الذى إذا اسْتُكْفِى بعزّته كَفَى ، وإذا استُشْفى بكلمته شفى ، وإذا سئل بواسع رحمته عفا ؛ وأُصلّى على رسوله محمد الكريم المصطفى ، وعلى آله وأصحابه ، أكرم من نصح له وأخْلَص ووفَى .

كتبته إليكِ يا سيدتى عن نفس قلقة ، ساهرة أرقة ، حاذرة مشفقة ، مُلْهَبة بل محترقة ؛ وإنى أُقسم عليك بالرب الذى كرمك بالعز وشرفك ، وعرّفك من لطائف الفرج بعد الشدة ما عرفك ، أن تسعدينى على تسكين لوعتى ، وتأمين روعتى ، وتراجُع رقادى [بعد سُهادى ، وقضاء حاجة جلّت فى فؤادى ، وتفهّمى مراد إشارتى وإشارة مرادى][(٢)] ، وتتركى هوى النفس الذى هو للحق معاند وللرشد معادى .

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم : « الشفيق مولع بسوء الظن » ، ومن مِنَن الله على عبده الوقاية من المتالف جل الله العظيم المن ؛ وعلى قول المتنبى :

ربما ضر عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عقوقا[(٣)]

والمثل الأول لى ، والآخر لك . والله يُيَسِّر فى حفظ مولانا أملى وأملك . [٦٩]

وإنى أتعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بمنزل ، هذا المرض به فاش ، وهذا الهواء الفاسد بين دياره جاء وماش ، وسمعتُ أن حديث السفر لمالَقة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش ؛ وأنّ الآراء فى ذلك اختلفت ، ولم يُرْجع فيها إلى سُنَن تقدمت وعوائد سلفت ؛ والأوائل من المؤمنين رحمهم الله ماتركوا شيئاً سُدى ، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هُدى ؛ وسمعت

(١) فى ت : « وينتشق المسك » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) لم نجد هذا البيت فى نسخ ديوان المتنبى .

يا سيدتى أن القضية عُوِّل فيها على المُقام والاستسلام ، وخولفَ فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول فى مثلها عن سكنى دار السلام ، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام ؛ وقد سمعتُ فى الأجوبة الظريفة ، ما صدر من قوله : أخشى أن أكون أول خليفة ؛ وقد كنتُ يا سيدتى أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع ، أو يحصل بدخول فَصْل[1] البرد انتفاع ؛ فتركت الكُتْب منتظرة لذلك ، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك ، لا يمر الترحال بخاطرك ولا ببالك ؛ وأنا أقول : أما واجب التسليم ، لتقدير العزيز العليم ؛ فمتأكد شرعاً ، لا يضيق به المؤمن ذرعًا ؛ لكن ما يفعل المستسلم بالروح والجسد ، إذا قيل له اهرب من الأسد ؛ وقد أبصره مقبلا إليه ، أو مُنقضًا عليه ؛ أيأخذ فى تحفظه واحتراسه ، أم يصبر لافتراسه ؟ ومن قيل له فى ظلم الليل : ارتفع عن هذا المكان تنج من السيل ؛ أينام فى مكانه ، أم يبادر إلى السلامة بجهد إمكانه ؟ ومن نودى : هذه الخيل قد طلعت مغيرة ، والرعاة بالجبال مستجيرة ؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح ، فالوقت فى انفساح ؛ أيتركها تسرح ، ولا يبرح ؛ أم يرفعها لتسلم ، مما تدرب وتعلم[2] ؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفًا ، وأصابت سهامهم[3] من الخلق ألوفا ؛ أيرجِّح الحقُّ تباعداً أم وقوفًا ؟ وكذلك أيضاً المنازل ، التى تدوم بها الزلازل ؛ فأرضها [٧٠] فى كل يوم تميد ، ودَهَش القلوب بها حاضر عتيد ، والخسف بها فى يوم ينقص وفى يوم يزيد ؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار ، على ركن دار ؛ وانفكاك الأركان ، على السكان ؛ وإخراج ميت ، من تحت بيت ؛ وسقوط سارية ، على جارية ؛ أيُعزم على السكنى والاستيطان ، تحت هذه الحيطان ؛ أم يؤخذ فى الاحتيال ،

(١) فى ت : « وقت » .
(٢) فى ت : « مما تدرى وتعلم » .
(٣) فى ت : « بسهامهم » .

بالخروج بالأطفال والعيال ؟ يا سيدتى الحمراء ، سألتك فأخبرينى ، وإن تحيَّر فهْمى فاعذرينى ، ووصل إلىَّ الكتابُ الشريف ، من جِنان[1] العريف ؛ يذكر أن السلامة كانت [به][2] مستصحبة لمولانا ولناسه ، وأن العافية كانت بهم منتَشقة مع أنفاس رَنده وآسه ، ما عرضتْ به إلى طبيب حاجه ، ولا استدعى فيه المُعاوِر[3] للنظر فى زجاجه ؛ ولا لقول ولا عمل ، ولا بلغ من الجساوة والقساوة أقل أمل ؛ ولم ينتقص من الساكنين بهذا البستان ، من عبيد مولانا السلطان ، غير فتى من الخُصيان ، لا يساوى عشرة دراهم فى سوق الفتيان ، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه ، بطول أيام الإقامه ؛ وعرفنى أيضاً جِنان العريف فى وافد كتابه ، ووارد خطابه ، أن رغبته كانت فى انتقال مولانا نصره الله من صحيح هوائه ، وسلسبيل مائه ؛ ونفحة جنابه ، وتلاعب النسيم العاطر بين قبابه . إلى مالَقة حيث الجو الصقيل ، والروض الذى يطيب به المَقيل ، والراحة التى تمتزج بالأرواح كما قيل ؛ حيث العَرْف الأرِج ، والوادى المنعرِج ، والساحل الذى ينشرح به الصدر الحرِج ، حيث البنفسَج يدير كئوس البَهار ، والياسَمين نجوم طالعة بالنهار ؛ حيث يتمازج طيب الزهَر ، بعَرْف الأترجّ ونفحات السَّحَر ، حيث يشبه أنين السوانى ، حنينَ المتعشّقات من الغوانى ، إذا حُمِدَ الصباح ، وانفلق الإصباح ؛ وعمرت صغار القوارب ، ونادت بحْرية الشباك :

(١) جنان العريف ، أو جنة العريف : بستان فى خارج غرناطة ، ذكره لسان الدين فى الإحاطة ، صفحة ٢٥ ج ١ .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) كذا فى ط . ولعله يريد بالمعاور ، كما يظهر من السياق الذى يفحص عن قوارير بول المرضى ليقدر وزنه ونوعه ، وهو من عاور الشىء إذا قدره ، كما يؤخذ من اللسان مادة « عير » . وفى ت « المغاور » .

[٧١] إلى المضارب[1] ، وسالت أنوار المشارق على جوانب المغارب ، ونادى محرك الجيش : ظهورَ الخيل ، وصباح الخير ، واستقبلوا الوادى الكبير لمصيد الأرنب والحوت والطير ؛ شكر الله جِنان العزيف على ما قصد ونوى ، وعلى ما أظهر من اتباع حق ومخالفة هوى ، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفِظ وروَى . وقال لى يا سيدتى إنك وقفت مع الحديث المنصوص[2] ، الوارد فى مثل هذا المرض على الخصوص ؛ وفيه النهى عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه ، وعن القدوم على معتركاته ومصارعه ؛ والحديث صحيح ، والرشدُ فيه قول صريح ؛ ولكن للعلماء فيه أقوال طويلة التفصيل ، وقد لخصها و بينها الإمام ابن رشد فى كتابه الجامع من البيان والتحصيل[3] ؛ والاتفاقُ من الجميع أن النهى فى هذا الحديث ليس بنهى تحريم ، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم ؛ فلا إثم ولا حَرَج ، على من أقام ولا على من خرج . وقال عمرو بن العاص : الأفضل الخروج لأهل الفِطنه ، اتقاء من اعتقاد يؤدى إلى فتنه ؛ وكفى بعمرو بن العاص حُجَّة لمن أراد انتصارا ، والكلام كثير ، ولكنى اختصرته اختصارا ؛ وإنّ نظراً قدّمه كثير من الصحابة ورجّحه ، لخليق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه ! ياليت تفقهى كله يكون من هذا القبيل ، وجاريا على هذا السبيل ، مستنداً إلى قولِ صحابىّ جليل ، ومستدلّا بأرشَد عِلْم ودليل ، ولو كان على خلاف المشهور من قول

(١) المضارب (هنا) : الخيام تضرب على ساحل البحار ، ليباع فيها مايصاد من السمك .

(٢) ورد الحديث المشار إليه فى صحيح مسلم ، ونصه فى رواية أسامة : « الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بنى إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » . وفيه روايات أخر تختلف ألفاظها ، وتتفق معانيها ؛ وقد علق عليه النووى ، ونقل كلام القاضى عياض وغيره ، فلينظر ثمة (ج ١٤ ص ٢٠٤) .

(٣) اسم الكتاب : جامع البيان والتحصيل ، لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل .

خليل[١] . وهنا يقال : ما فى هذه القُلّة غير هذا الإغريل[٢] . يا سيدتى الحمراء ؛ أراكِ فى هذه القضية تفقّهتِ وتوقفت فيما بيّنه عالم وذو عِلْم ، ومنَعْت مما ليس فيه حَرَج ولا إثم ؛ ولو كنت حاضرة لكان لى مَعَك حديث طويل ، واحتجاج ينصره نَص وتأويل . وسمعتُ أنكِ أشفقتِ من عظيم النَّفقَه ، وليس هذا موضعَ الشفقه ؛ فالأمن ليس بغال ، ولو يُشترى بكل ذخيرة وكل مال ؛ والأولى بالملامه ، مَن[٣] يفضِّل شيئا على السلامه . القمح يأكله السُّوس ، والذهب تغنى عنه الفُلوس[٤] ، فكيف يُستعظَمان فيما تُؤمَّن به النفوس . وبلغنى أنكِ [٧٢] قلت : مالَقَة ليس بها زرع ، وبقليل المُقام يضيق لها صَدْر وذَرع[٥] ، وفلاحتها وحرثها ليس لهما أصل ولا فرع ؛ وعزّ علىّ هذا الكلام ، ولكننى سلّمت والسَّلام[٦] ؛ فإن سِعرى عن سعر[٧] غرناطة منحطّ ، وفى لمحة بصر يضيق منى بالطعام فى كثير من الأيام ساحل وشَطّ ، ولا يُعلم أنه دامت لى شدة قطّ . لى فى الاعتصام بالتوكل على الله ما يزيد على سبع مئة العام[٨] ، ما أشغلت فيها فكراً ولا قلباً بادخار قوت ولا باحتكار طعام ؛ أثق فى اليوم والغد ، بالرزق الرَّغَد ؛ تأتى به الرياح على الأعناق ، ويَفيض سيله على جوانب الدواوين وأكناف الأسواق ، وتجلبه الأحباب والأعداء بإذن اللطيف الخبير الوهّاب الرزاق.

---

(١) هو خليل بن إسحاق المالكى ، صاحب المختصر فى فقه المالكية .

(٢) كذا وردت هذه العبارة فى ط . وفى ت : « مافى هذه الغلة . . . الخ » . والعبارة على الروايتين ظاهرة التحريف .

(٣) فى ت : « نص » . وهو تحريف .

(٤) فى ط : « النفوس » .

(٥) فى ت : « وضرع » .

(٦) فى ت : « والإسلام » .

(٧) فى ت : « أسعار » .

(٨) فى الأصلين : « السبع مئة عام » .

قالت النملة : افتخارى ، بادخارى ؛ قالت العصفورة : توسلى ، بتوكلى ؛ قالت النملة : أعتمد على الحَبّ ؛ قالت العصفورة : أتوَكل على الرّب . فلما جَنّ الليل ، أقبل السيل ؛ فخرجت النملة بالعَوم ، و بقيت الحبوب بين الدَّوم ؛ فنزلت العصفورة وسجدت ، [والتقطت] [١] من مدَّخر النملة كل ما وجدت ؛ وقالت : خسِر المحتكِر ، وربح طالب الرزق المبتكِر ، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر .

وصح عندى أن الوزير أعزه الله ليس عنده فى هذا كله كلام ولا قول ، وأن الأمر عنده مفوّض إلى الرب الذى له القوة والحول . وسمعتُ يا سيدتى أنّ هذا السقم ، أعظمُ تأثيره إنَّما هو فى قطع الأكباد ، من صغار الأولاد : الذين من فوق السبع ودون العشر ، وهم فى هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشْر ؛ وهذا إلى كَتْبى لك أعظم داع ، فإن الأولاد سوائم والوالد راع ؛ والراعى لا يترك غنمه فى طريق سَبُع ضار ، ولا قريباً من حريق نار ؛ ونحن نشاهد الطير ينقل أفراخه من وكْر إلى وكْر ، و يسترها بملتف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح [٢] أو صاحب مَكْر ؛ فكيف لا نقتدى فى تأمين رَوعتنا بمن تقدّم من الأكابر ، ونقف فى حامل السيل [٣] بأولادنا الأصاغر ؛ فما عندكِ فى هذا كله من القول ومن الجواب ؟ وما يظهر لك من وجه الرأى والصواب ؟ اكتبى بذلك كتاباً أعتمد عليه ، وأستند إليــه ؛ وقبِّلى عنّى يدَ مولانا تقبيلا ، و يا ليتنى وجدت إلى ذلك سبيلا ؛ وأخبريه أنى [فى] [١] خدمتــه على نيتى الأولى ، عاكفةً على شكر مِنّته الطُّولَى ؛ أدام الله حِياطة البلاد والنفوس بحفظه وحِياطته ، وأسمعنى البشارةَ

[٧٣]

(١) زيادة عن ت .

(٢) فى ت : « جائح » .

(٣) حامل السيل : السيل الجارف .

بقدومه على مُحْدَث مالَقة من حمراء غَرناطتـه ؛ ويحفظه فى النفس والأولاد ، والملك والبلاد ، بمنّه وفضله .

وكُتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة . انتهت المقامة .

وكلام المذكور كثير ، ومحلّه من عذوبة المنطق أثير ؛ ونظمه أعلى طبقة من نثره طريقةً مَعَرّيّه ، حسبما يظهر ذلك بالتأمل لنفوس بالإنصاف حريّه ؛ وله [عدة] (١) تآليف أكثرها هزليّه ، ولذلك لم أجلب شيئاً منها سوى ما تقدم ، مما يقتضى ما أصّلناه من المزيه ، والفضيلة للبلاد الأندلسيه (٢) .

بعض مقطوعاته

ومن أحسن مقطوعاته (٣) التى تَطارَح بها على باب الكريم ، وتطفّل بها تطفّل من لا يبرح عن باب سيده ولا يَريم ؛ ويُرجى له بها كل جميل ، والله لا يخيّب ما أمّله من تأميل ؛ قوله رحمه الله :

عقيدة دينِ الحقّ أن محمدا ... له الفضل إطلاقاً (٤) على كل مخلوقِ

وإن سبقتْ رُسْلٌ بكتْبٍ وبَعثة ... فما هو فى مجد وفضل بمسبوق

فهذا إذا ما عشتُ أولى عقيدتى ... وهذا إذا ما متُّ آخر منطوق

[وقوله :

جئتك يا ربّ ولا عذر لى ... وهل لعبد السوء من معذرهْ ؟

أرجوك فيما أنت أهلٌ له ... فأنتَ أهلُ العفْو والمَغفره

وقوله فى مرضه :

يا سامعينَ الكلامَ مُختلطا ... نظماً ونثراً قلائداً ودُرَرْ

صلّوا على المصطفى وَسيلتِنا ... محمدٍ وارحموا الفقيـه عُمر] (٥)

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « من المزية للبلاد الأندلسية والفضلية » .
(٣) فى ط : « منظوماته » .
(٤) فى ط : « إجماعاً » .
(٥) ما بين القوسين المربعين زيادة عن ت .

تعريف بالشران

وأما الكاتب الرئيس أبو عبد الله الشّران[1]، فهو الشيخ الفقيه الرئيس الصدر، العلامة العِمَاد، الذخر الأرفع، العلم الأوحد، الأمجد الأسرى، الذى لا يجارى فى الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً، وقولاً فصلا، رئيس الكتبة بالحضرة العلية، أبو عبد الله، ابن الشيخ الفاضل الماجد الأعز الأرفع الأوجه أبى إسحاق، كان [٧٤] حيّا سنة سبع وثلاثين وثمان مئة. هذا كلام بعض الأندلسيين فيه.

وقال القَلَصَادى فى حقه: هو الفقيه الوجيه اللبيب اليقظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرئيس النبيل الأرق؛ وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأقرانه، أبو عبد الله محمد الشران الغرناطى، تغمده الله برحمته.

شىء من نظمه

وذكر هذا الشيخ القلصادى فى طالعة شرحه لأرجوزة أبى عبد الله الشران المذكور، التى أولها:

بحمد خير الوارثين أبتدى وبالسراج النبوىِّ أهتدى

وهى أرجوزة عذبة النظم، سهلة المأخذ مختصرة فى علم الفرائض.

ومن بديع نظم الكاتب أبى عبد الله الشران رحمه الله تعالى قوله:

[فلا تمنع العين انهمالاً فإنه غرام شَجٍ إسنادُه غير مُهْمَلِ
أحاديث تَرْويها الجفون عن الحشا ويثبت منها مُرْسَلٌ بمسلْسَل

وقوله يخاطب الفقيه الصالح سيدى أحمد بن حرشون، وقد أهدى له قُرص زعفران:

أهلاً بقُرصة زعفران أطلعت من حسنها للقلب باعث أنسهِ
حَيّا الخُلوصَ به وغير عجيبة للبدر أن حَيّا بقرصة شمسه
يا نيِّرا للمجد أهدى نيرا كل امرئ إهداؤه من جنسه

وقوله][2]:

(١) هو محمد بن ابراهيم. (انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج).
(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت.

لما اختفت شمسك عن ناظرى أرسلتُ منـــه مطر الدمع
وأقبلت ظُلمــة ليل النوى فما ترى فى رُخصة الجمع

طريقة لابن جماعة وقد تولى الشران مكانه

وحكى الحافظ أبو عبد الله التَّنَسى رحمه الله، أنه لما صُرِف الفقيه أبو الفضل ابن جَماعة عن رياسة الـكتابة بغرناطة، إلى قضاء الجماعة، وولى مكانه صاحب الترجمة أبو عبد الله الشَّران، لقى بعضُ رؤساء الدولة ابنَ جماعة يوماً، فقال له: يا سيدى، إن السر الذى عهدناه فى الحضرة غاب عنهـا بغيبتك. فقال له: وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع[1] وأخذتم الشَّر المـكرّر[2]!

شـــعر للشران يعاتب ابن جماعة على إهمال دعوته إلى إعذار

ثم إن ابن جماعة كان عنده إعذار[3]، فدعا أعيان البلد إليه ولم يدع الشَّران، فـكتب إليه الشران:

ماذا أعد المجدُ من أعذاره فى ترك دعوتنـــا إلى إعذارِه[3]
إن كان رسم دون محضرنا اكتفى لا بد أن يبقى على إعذاره[4]

ثم قال الشيخ التَّنَسي: والشران هذا ممن له باع مديد فى الشعر، وتصرف حسن. انتهى.

قصيدته اللامية

ومن بديع نظم الشرّان المذكور قوله رحمه الله:

دوام حال من قضايا المحالْ واللطف موجود على كل حالْ
والنصر بالصــــبر مُحلَّى الظُّبى والجَد بالجِدّ مَريش النِّبال [٧٥]
وعادة الأيام معهـــــودة حرب وسَلم والليـــالى سِجال
وما على الدهر انتقاد على حال فإن الحال ذات انتقال

(١) يشير إلى اسمه: «أبى الفضل بن جماعة».
(٢) يشير إلى لقب أبى عبد الله: «الشران». فكأنه تثنية: «شر».
(٣) الإعذار: طعام الختان.
(٤) الإعذار (هنا): التقصير.

مَن للليالى بائتلاف وكم من اعتبار باختلاف(١) الليالْ

أخذٌ عطاءٌ ، مِحنــةٌ منحةٌ تفرُّقٌ جَمْعٌ ، جَلال جمــال

حَالٌ(٢) انتظامٍ وانتثارٍ معاً كأنما هَذِى اللَّيــالى لآل

وهلْ سَنى الصبحِ وجُنحُ الدُّجى لحلقة الأضــداد إلاّ مِثال

والظُّلَمُ الحُلْكُ على نورها تدلّ والعُسر بيسر يُدَال

والسيف قد يصدأ فى غِمده ثم يُجَلِّى صفحتيه الصِّقال

والشمس بعد الغيم تُجْلَى كما للغيث من بعد القنوط انهمال

والفرَج الموهوب تجرى(٣) به لطائِف لم تجر يوما ببــال

فصابرِ الدهر بحاليه مِن حلو ومر واعتِــدا واعتدال

فما له صــبر على حالة وإنما الصــبر حُلِيُّ الرجال

ولا يضق صــدرك من أزْمة ضاقت فصنع الله رحبُ المجال

إلى هنا توجد هذه القصيدة بأيدى الناس ؛ ورأيت بخط بعض الأخيار بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك ، منسوبة لصاحب القصيدة ، وهى لا تبعد من نفسه ، على أنّ فيها إيطاء(٤) . وها أنا أيضاً أثبتها بجملتها لغرابتها وجزالتها ، ولاشتمالها على مديح المصطفى المجتبى ، صلى الله عليه وسلم ، ونصها بعد قوله : « رحب المجال » :

وانظر بلطف العقل كم كُرْبة فرّجها لُطْفٌ كحَلّ(٥) العِقال

وكِلْ إليه كلّ حاجٍ فما [لذى](٦) حِجًا إلا عليه اتكال

---

(١) فى نيل الابتهاج : « فى اختلاف » .
(٢) فى ت : « حلى » .
(٣) زيد فى ط فوق هذه الكلمة : « تأتى به » .
(٤) كذا فى ط . والإيطاء : تكرير القافية لفظا ومعنى . وفى ت : «على أنه فيها وها أنا» .
(٥) فى ط : « لحل » .
(٦) زيادة عن ت .

وكل بَدْء فـــله غاية وغاية الخَطْب الشديدِ انحلالْ
وكلّ عَوْد فـــله آية وآية العَقْـــل اعتبار المآل
وفى مآل الصَّبْر عُقْبى الرِّضَا من فَرَج يُدنِى وأجْر يُنَال
عجبت للعبـــد الضعيف القُوَى يُغرُّ(١) بالرب الشديد المِحال
يَهْوِى مع الآمال مســـترسِلاً طوع الهوى حيث أمالته مال
تخـــــدعه النفس بتخييلها وهل خيال النفس إلا خَبال [٧٦]
يخال أن الأمر جارٍ عَلَى تدبيره هيهاتَ ممـــــا يَخال
الخَلْق والأمر لمن لم يزل فى مُلْكه المَلْك وما إن يَزَال
والفعـــل والترك دليـــل عَلَى مراده والكلُّ طوعُ انفعال
يعطِى فلا مَنْعٌ ويقضِى فلا دَفْع ويُمضِى حكمه لا يُبـــال
يُدَبِّرُ الأمر فعن أمره تقدير ما فى الكون سُفْلٍ وعالٍ
يُضِل يَهْدِى حكمـــة أنْفذت فضلاً وعدلاً فى هُدًى أو ضَلال
وحكمة البـــارئ فى حكمه ما لمجال العقل فيهـــا مجال
والرب لا يُسألُ عن فعله قد قُضِيَ الأمر ففيم السؤال
فيا أخا الفكر اشتغالاً بما فى غيره للفكر حَقّ اشـتغال
سلِّم ففى التسليم من كل ما ينفـــــذ تسليم وتنعيم بال
وارض بما فاتك أو نلتـــه فعكسه ما لك فيه مجال
وفوِّض الأمر إلى الحق لا تركن من الدنيا لحال مُحال
فذو الحِجا فيما اتقى وارتجى بالعَدْل حالٍ ومن العَذْل خالٍ
يرضى بقسْم الرب كل الرضا فى كل حالٍ ما عن العهد حال

(١) ذكرت هذه العبارة أمام هذا البيت فى هامش ط : « يعترض الرب بدل يغر » .

يرى خلال الشكر والصبر فى ما سر أو ساء أبرّ الخلالْ
فهْو على الحالَيْن قد نال من مُناه فى الدارين أقصى مَنال
ما أقصر الدنيا على مَرّها كالظل ما أقصر مَدّ الظلال !
فافطَن لها حزما فنى ظلها ما قال يوما حازم حيث قال
ما يَقَظات العيش إلا كَرًى ولا مَرَائى العين إلا خيال[1]
يا ليت شعرى والمُنَى عِبرة[2] والشعر قول قد ينافى الفِعال
هل يستحيل العهد مِن صَبْوتى فقد مضى عهد الصِّبا واستحال
والشّيب هل يوقظنى صبحُه فالنّوم فى ليلٍ من[3] اللهو طال
وكِسرتى من عُسْرتى هل تقى وعَثْرتى من[4] عِبرتى هل تُقَال
هذا زمانى فى تولٍّ وفى عزمى توانٍ والهوى فى توال
حالُ من احتل بدار البَلا ولم يحدِّث نفسه بارتحال
يا رَبِّ ما المَخلَصُ من زَلّتى لا عملٌ لا حجةٌ لا احتيال
يا رَبِّ ما يلقاك مثلى به عن طاعة لم ألقها بامتثال
يا رَبِّ لا أحملُ حَرّ الصَّبا فكيف بالنار لضعفى احتمال
أم كيف عذرى وقد أعذرت لى[5] بأخذ حِذرى من دواعى النكال
رحمتَك اللّهم فهى التى لها على العاصين مثلى انثيال
ولا تعاملْنا بأعمالنا لكن رَجا آمالنا صِلْ ووال

[٧٧]

(١) يشير إلى قول أبى الحسن التهامى فى مرثيته ابنه :

فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى

(٢) فى ت : « عدة » .

(٣) فى ط : « وفى » .

(٤) فى ت : « فى » .

(٥) فى ت : « بى » .

وبامتداح المصطفى هَبْ لنا مآثم الفعل لبِرّ المَقال[١]
فما سوى حبِّ المصطفى وسيلةٌ لى بعُراها اتصال
ذلك تَجْرى[٢] وعلى فضله طمعت فى الفضل بلا رأس مال
فإن يفُز قِدْحى بمدحى له فقد يُجلِ النُّورُ قَدْرَ الذُّبال
ورائدُ الغُرّ الغوالى[٣] على مَوْثقة مما نوى من نَوال
أعظِم بأمداح نبى الهدى حبلَ اعتلاق أو شفاءَ اعتلال
خير الورى من بادٍ أو حاضرٍ أكرمهمْ من حافٍ أو ذى انتعال
فاديهمُ من فتكات الرّدى هاديهم فى هلكات الضّلال
حاميهمُ بالعَضْب إذ لا حمى كاليهم[٤] فى الخطب إذ ليس كال
مُنيلهم إذ لا جَدًى يُرْتجى مُقيلهم إذ لا عِثارٌ يُقال
قَريعهم فى طبقات العُلا شفيعهم فى عرَصاتِ السؤال
مُؤْويهمُ من حوضه من صَدًى مُؤْويهمُ من جاهه فى ظِلال
أطْول من صال بسَيْب النَّدى أصْول من فى الحق بالسيف صال
من خَصَّه الله بخَصْل المَدَى فى كل ما عم الهدى من خِصال[٥]
من باهِر الحسن وفضلِ التقى وحكمةِ النطق ومجدِ الفعال
حالٍ من العلم بأسنى حِلًى واف من الحلم بأزكى خِلال
نور مبين صادق فارق مبشّر هادٍ ختام كمال
أبيضُ يُستسقَى الحيا باسمه كَهْف الأيامَى ، لليتامى ثِمال

(١) فى ط : « الفعال » .
(٢) تجرى : تجارتى .
(٣) فى ت : « الغوادى » .
(٤) كاليهم : كالئهم ، أى حافظهم .
(٥) خصل المدى : إصابة الغاية .

الرحمة المُهْداة ضِمن احْتفًا والنعمة المُسْداة خَلْف احتفالْ

كم آية جَلَّى لنا أو تلا وغاية جَلَّى بها دون تال (١)

ذو العرش أسْمَى قدرَهُ فاسْمه فى العرش مقرون مع اسم الجلال

وذكره رَفّع فى ذكره حمداً ليتلو مدحَه كلُّ تال

[٧٨] أعطاه دون الرُّسْل خمساً كفتْ يدَ امتنانٍ فى العطايا الجِزال

لم يبعث الرُّسْلَ اشتمالا وفى بَعْثته للثَّقَلين اشتمال

وقسمةَ الأنفال حِلًّا وما مِن قبلُ كانت لنبيٍّ حَلال

والأرضَ طُهْراً ومصلًّى لِأن كان له كونٌ بها واحتلال

والنصرَ بالرعب لشهرٍ مَدًى يُنَازِل الأعداءَ قبل النزال

والنعمةُ الكبرى التى نالها شفاعة الأخرى ونعم المنال

وليلةَ المعراج أسرى فما أسْرَى وأسْنَى شرفًا فى الّليال

جالَ وجبْريل أنيسٌ له من السماوات العُلَى حيث جال

حتى انتهى من سِدْرة المنتهى إلى مَقام لم ينَلْه مقال

قال له الرُّوح مَقامى هُنا وأنتَ فاصعد لمَقام الوِصال

فقال : يا أُنْسِىَ أفردْتَنِى حيث دَهَتْنى (٢) مُدْهشات الجلال

فقال : كلاَّ إنما الأُنْسُ ما أنْتَ مُوالٍ ولك اللهُ وال

طَأْ حضرةَ القُدْس اتصالًا فما أُبيح منها لِسواك اتصال

فزَجَّه فى النُّور زَجًّا رَأى وراءه للحق نورَ الجمال

شاهدَ ما شاهدَ مما ارتقَى عن مَبلغ العقل وَوَهْم الخيال

فقال قوم بفؤادٍ رأى وعالِمٌ بالعين والقلب قال

(١) جلى بها : أتى فيها سابقا .
(٢) فى ط : « وهتنى » .

وليس ذا وهو مُحال على حَال مَقام الحب مما يُحالْ
حيث تدلّى قابَ قَوْسَيْن أوْ أَدْنى نجيًّا فى ظِلال الدّلال
وبعـد ما فى النجم يُتْلَى عَلاَ ثم أتى والنجمُ فى الأُفق عال
وباحتمال الجسم والروح فى مَسْراه صحّ القولُ دون احتمال
وبانشقاق الصـدر طِفلا فَقِس له انشقاقَ البدر عند اكتمال
لنسـبة بينهما فى الهدى والحسنِ والقرب وبُعـد المنال
فنور هذا كَمْ جلا من دُجًى ونورُ هذا كَمْ هَدَى من ضلال
كلا بل الأنوار حيثُ انجلتْ حِسًّا ومعنى منـه كُلاًّ تُنال
ولِانشقاق البدر من نوره أبْدَى انشـقاقاً وهْو تغيير حال
شُـقَّ هلالين على صفحتى ظَلمائه فى كل شِـقٍّ هلال
والشَّطْر منه لاستلام الثرى بين يديه بالسـلام استمال
بل أَخجَلَ البـدرَ لنقصانه فانحط مُنشقا لبـدر الكمال [٧٩]
هم سألوها آية أعْرضـوا عنهـا وقد جاءت وِفاق السؤال
قالوا وقد جالوا[1] بسحرٍ أتى فقلتُ هذا السحر سِحْر حلال
بل عجبوا من نُكْتَة الكونِ أَنْ أعطاه رَبُّ الكون ما منه سَال
وهِجْرة بل وُصْـلة للرضا وربما نِيل[2] بهجرٍ وِصال
ضفا لحِجْب السَّتر دُونَ العِدا فى الدار والغار عليـه انسدال
إذ غار بالحكمة نورُ الهدى فى الغار من غارة حزب الضلال
وما اختفى من خيفة بل لأن تظهر أسرارُ معانى المعال[3]

(١) كذا فى ت وفى ط « حالوا » . ولعل كليهما مصحف عن : « خالوا » .
(٢) فى ت : « يبلى » .
(٣) المعال : أى المعالى .

حيث ثَنَى بعدُ عِنانَ الرَّدَى ... سُرَاقَةٌ عما سَرَى واستقال[1]

هِيلَ كثيبُ الطِّرْف خَسْفاً به ... عن كَثَب والصنع للطرْف هال[2]

أهوى كما أهوت بميلاده ... من قصر كسرى الشُّرفات العَوال[3]

نِسبة حالٍ كان من سِرِّها ... أَنْ بِسِوارَيْه غَدا وهْوَ حال[4]

هناك هامتْ بالحِمام العِدا ... فَحام حوليه حَمام فَحال[5]

فاطَّرد الكَسْر على جمعهم ... واطَّرد الفتحُ له صدقَ فال

والعنكبوت اعتمدوا حُجَّة ... خالوا بها الغِيلَ من الليث خال

فاعجب لهم بالواهن استوثقوا ... ظَنًّا وللبرهان هُمْ فى جدال

ما أصدقَ الصِّديقَ فى قوله ... عدلٌ لنا فِى حُجج الصدق قال

أشْفَق لا حرصاً على نفسه ... بل غار من عِلْقٍ نَفيسٍ يُذَال

يأيها الصديق بشراك لا ... تحزن[6] وشِمْ للنصر أمضى النصال

لحكمة العِصْمة إحرازُها ... ما بين أظفار الظُّبى والعوال

لله ما أشرفها عِزَّةً ... ليس لغير الله منها ابتهال

نُبُوَّةٌ لاحتْ براهينها ... قطعيةً تُرْغم أنف الجِدال

(١) سراقة : هو سراقة بن مالك الكنانى الذى تبع النبي صلى الله عليه وسلم عند الهجرة ، ليرده إلى قريش . (انظر خبره فى كتب السيرة) .

(٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما روى فى كتب السير من أن سراقة لما أراد اللحاق بالرسول ، وكاد يدركه ، غاصت قوائم فرسه فى الرمال ، وأفزعه ما رأى من عجزه عن إدراك النبي أو إصابته بسوء ، حتى اضطر أن يعود من حيث أتى .

(٣) يريد أن فرس سراقة خر على الأرض كما سقطت شرفات قصر كسرى عند مولد النبي إرهاصا لنبوته .

(٤) يشير إلى لبس سراقة لسوارى كسرى أيام عمر تصديقا لقول النبي لسراقة لما خرج فى طلبه فى الهجرة : « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ! » . (انظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٤٨) .

(٥) يريد : أن أعداء النبي يوم الغار أرادوا قتله ، فحال الحمام دون غرضهم بتعشيشه فوقه .

(٦) فى ت : « تجزع » .

وهل جدال فى عُلَى أَوْجَبَتْ وآدم فى طِينـه ذو انجدالْ
وإذ بدت فى وجهـه غُرَّة خرت له الأملاكُ طوع امتثال
ونوحٌ إذ نُجِّيَ فى فُلْكه كان على أنوار هذا اشتمال
كذا خليل الله فى ناره من نوره أُهْدِيَ هَدْيَ الخلال
إذ قال جبريل له سَلْ تَنَلْ فقال علمُ الحال حَسْب السؤال
ونال إسماعيلُ منـه الفِدا بالذبح أو إسحاقُ إن صحّ نال [٨٠]
وهودٌ استجلى لديه الهُدى ويوسفٌ منها تحلَّى الجمال
وخِلْعَةَ الإشراق منها اكتسى بالطُّور موسى عند خلعِ النعال
والرُّوحُ روحُ الله لاقى بها بُشْرَى تلقتها صدور الرجال
فيا له نورَ انتقاء بدا فى غرر الآباء منـه انتقال
والشمسُ والبدر معاً والضُّحى والشُّهْبُ منه أشرقت والهلال
ونوره أجلَى ، وبرهانه أعلى ، وكم من دونها من مَعال
تفجرتْ أَنْمُلُه بالنَّدى معنًى وبالحسّ جرت بالزُّلال(١)
وأُنْطِق الطيرُ بتصديقه وأفصح الذئب به والغزال
وسبَّحت فى راحتيه الحصى وانهزم الجمع لحثْو الرمال
والجِذع إذ عُوِّض مِن وَصْلِه بفصله حَنَّ حنين الفِصال
وهل إلى آياته مُنْتهى وعن عُلَى غاياته النجمُ آل(٢)
فما بليغ بالغاً وصفه يقصُرُ عن ذاك المقام المقال
وبعد مبدا (نونَ) أو منتهى (براءةٍ) ماذا عسى أن يُقال(٣)

(١) فى ط : « لا محال » . بدل : « بالزلال » .
(٢) آل : رجع عاجزا .
(٣) يشير إلى ثناء الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم فى مفتتح سورة (نون) ومختتم سورة (براءة) .

يا سيدَ الكونين فضلا به   قد ساد فى الأولى ويومَ المآلْ
يا سابقَ الرسل اصطفاءً ويا   خاتِمَهُم جمعاً لمعنى الكمال
يا ملجأ الخلق ومَنجاهمُ   إذا بهم ضاق انفساحُ المجال
يا من به نال المحبُّ الرضا   ويا شفيعاً فى الذنوب الثقال
رُحماكَ فينا يا نبيَّ الهدى   فلم تزل رحماكَ ذاتَ انهمال
رحماكَ فى أوطاننا راعِها   مِن لحظك الأحمى بعين ابتهال
رُحماكَ فى سلطاننا وَالِهِ   من نصرك الأمضى بأرضى نوال
رحماكَ فى غربتنا كن لها   أُنْسًا فإن العهد بالأُنس طال
رحماكَ فى كُربتنا حُلَّها   منك بسرٍّ فهى رَهنُ اعتقال
رحماكَ فى عَيلتنا أغْنِها   إنا على رِفدكَ طُرًّا عِيال
رحماكَ فى قِلتنا زكِّها   زكاة تكثير لجاه ومال
صالت علينا بالوُفور العدا   وهل على راجيك غوثاً يُصال
صالت بعَدٍّ واعتداد معاً   وما على ذاكَ الحمى يُستطال
خَالَتْ بأنا لا غِياثٌ لنا   حاشى غياثَ الخلق مما يُخال
وبالغِنَى اختالتْ وما إنْ لنا   فى غير أفياء غِناكَ اختيال
فأنت للخلق مَلاذ الوَرَى   والوَزَرُ الأحْمَى لَدَى ذِى الجلال
صلى عليك الله نورَ الهُدَى   أزكى صلاةٍ قُرِنَتْ[1] باتصال

[٨١]

بعض شعر له

انتهت القصيدة . ومن ذلك قوله رحمه الله :

لكَ يافقيهُ وَضَعْتُ خدّى فى الثَّرى   طمعاً بوصلٍ منكَ غيرِ مؤجَّلِ
فأجاب ذلك لا يجوز لأنه   عندى رِبًا من باب ضَعْ وتعجَّل

(١) فى ط : « قورنت » .

وقوله :

لى سـيِّدٌ زار وما زرته فمِنِّىَ النقصُ ومنه التَّمامْ
إن يحتملْ سَهوى ففقهٌ مضى لأننى المأمومُ وهْو الإمامْ
[وطالما زار الغمامُ الثَّرى ولم يزرْ قطُّ الثرى للغمام][1]

وقوله رحمه الله ، وهو غاية فى بابه :

بعثتُ بها ذِكْرَى على ثقة إلى مؤمَّلٍ وعد من لقائك[2] مرقوبِ
فما زلتَ فَذًّا فى رءوس ذوى العُلى وما وعد رأس مثل مَوْعد عُرْقوب

[وقوله :

عاب منى العُداة شـعراً وثغراً رُميا فى الصِّبا بشَيْب وشَيْنِ
قلت : لا عيب فِىَّ ما دام فضل فى النُّهى واللسانِ والشفتين][1]

وقوله :

قلت لما جَبَرْتُ بالعاج ثغراً[3] ولقد رُمتُ بالمُحال احتجاجا
صاحِ لا بأس أن يعُوج شَبابى بالتلاقى[4] أمَا ترى الثغر عاجا

وقوله :

رأتنى أحُوطُ الثغر رَبْطاً فأضحكت وتاهت بثغر بالجفون يُحاطُ
فقلت لخوف الحَل منه[5] ربطته أيُنكَر فى الثغر المَخُوف رِباط

وقوله :

إلهى لك الشكوى وحَسْبِىَ رحمةً نداؤك فى شكوى الخطوب إلهى

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « وفائك » .
(٣) فى ط : « ثغرى » .
(٤) فى ط : « بالتلافى » .
(٥) فى ت : « منك » .

وحقك ما للهو أبدعتَ خلقتى وها أنا فى غَىّ البطالة[١] لاهى

بنفسى وشيطانى ودنياى والهوى فُتِنْتُ ولكن أنت حَسْبِىَ لاهى[٢]

ولنختم ما أردنا جلبه من نظمه الذى هو بحر لا ساحل له بقوله :

يا ربِّ قلتَ وقولُك الحق الذى أحكمتَ : إنك تستجيب لمن دعا

فاختم لعبدك بالرضَا واحكم له بالستر فى الدنيا وفى الأخرى معا

* * *

[٨٢] تعريف بالرئيس ابن عاصم

وأما الرئيس أبو يحيى بن عاصم فهو الإمام العلامة ، الوزير الرئيس ، الكاتب البليغ الجليل الخطيب الجامع الكامل ، الشاعر المفلق الناثر ، الحجة ، خاتمة رؤساء الأندلس بالاستحقاق ، القاضى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسى الأندلسى الغَرناطى ، قاضى الجماعة بها ، كان رحمه الله تعالى من أكابر[٣] فقهائها وعلمائها ، أخذ عن الإمام المحقق أبى الحسن بن سمعة[٤] ، والإمام القاضى أبى القاسم بن سراج ، والشيخ الراوية أبى عبد الله المَنتورى ، والإمام أبى عبد الله البَيانى وغيرهم ، وذكر فى شرحه تحفة والده أنه وُلِّىَ القضاء عام ثمان وثمانين وثمان مئة ، وله عدة تآليف منها شرحه العجيب على تحفة والده فى الأحكام ، وهو كتاب نافع ، فيه فقه متين ، ونقل صحيح ، وكانت بينه وبين عَصْرِيّه الإمام مفتى غرناطة أبى عبد الله السَّرَقُسْطِىّ ، مراجعات ومنازعات فى مسائل فقهية . ومن تآليفه رحمه الله : كتاب جنة الرّضى ، فى التسليم لما قدر الله وقضَى ؛ وكتاب الرّوض الأريض ، كأنه ذيّل به إحاطة ابن الخطيب ،

(١) فى ت : « البلاغة » .
(٢) لاهى : أى يا إلهى .
(٣) فى ط : « أكارم » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « سمعت » وهو تحريف .

وله غير ذلك ، وسنذكر شيئاً من كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قصيدة له تلد بنتين موشحتين فى مدح السلطان أبى الحجاج

ومن أغرب ما صدر عنه ، رضى الله عنه ، قصيدة ، تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان ، إحداهما من المكتوب بالأحمر ، والأخرى من المكتوب بالأخضر ، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة ، كما ستراه ، وقد ألفيتها بخط بعض أعلام سبته ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن فرج ، وجده محمد بن فرج هو الذى نأتى بجملة من نظمه فى النعْل النبوية ، عند ما نتعرض لذلك إن شاء الله تعالى ، فى محل هو أنسب من هذا الموضع ، وقد سقط من هذه القصيدة نحو ثلاثة أبيات ، فعوضتها بغيرها على ذلك السَّنَن(١) ، على أن بعض كلماتها لم تسقط إلى طرف(٢) .

ونص ما كتبه السبتى المذكور من نظم السيد الأستاذ العَلَم الصَّدْر المفتى القاضى رئيس الكُتّاب ، ومَعدِن السماحة ، ومنبع الآداب ، سيدى أبى يحيى [٨٣] ابن عاصم رحمه الله ، ورضى عنه ، يمدح السلطان العادل المقدّس المنعم المرحوم المجاهد ، أبا الحجاج يوسف بن نصر ، قدّس الله روحه ، ونضّر ضريحه ، قال : ونقلتها من خط ناظمها رحمه الله . انتهى . وهذه هى القصيدة(٣) :

أَمَاوالهوى(٤) «ما كنتُ» مذ بان عهدُهُ ... أهيم بلُقيـــا من (تناثر(٥)) وُدّهُ

رعى الله من «لو أنصف» الصبّ فى الهوى ... لما فاض منه (الدمعُ) مُذ(٦) بانَ صدّه

(١) فى ط : « النسق » .
(٢) يريد أن الأبيات الثلاثة الساقطة قد ظهر منها بعض كلمات .
(٣) وضعنا ما كتب بالمداد الأحمر فى الأصل بين هذين القوسين « » ، وما كتب بالأخضر بين هذين الهلالين ( ) اقتداء بما فى نسخة ت .
(٤) فى ت : « إمام الهدى » .
(٥) فى ط : « تأثر » .
(٦) فى ط : « إذ » .

ولو جاد من « بعد المِطال » بزَوْرة   لما شَبَّ أشواقِى وقلبىَ زَنْدُه
كما خان صبرى يوم أصبح وَ « اصلى   لظًى » زاد ماءُ (من جُفُونىَ) وَقْدُه
لذاك أسالَ الدمعَ (كالدرّ) مَدْمَعِى   من « الوَجْد » فاستولى على الجفن سُهْدُه
حكى لؤلؤاً (من سلكه) متناثرا   و « إلا اِيمّ » قد تتــابع مدُّه
ذخرتُ (الثمينَ) القدرَ منه بمقلتى   ومازلت من خوف « النَّكال » أُعِدُّه
ولاعجبٌ (مُذْ أعوز) القربُ أن غدا   و « كالقمر الزاهى » سَناه و بُعده
أيُلْحق باللُّقيا أو (الوصل) من يغو   رُ « فى نوره » بَدر السماء وجندُه
وصيَّر جسمى للصَّبابة (والتَّلا   ق) يُتيِّم قلبى إذ تمكن وَجدُه[(١)]
أُقَطِّع أنفاسى « عليه ك » آية   ولله (من بدر) لغيرىَ[(٢)] سَعْدُه
فمن شَعره « الليل البهيمُ » ومن سَنَى   مُقَبَّلِه لل (حُسْن) نُورٌ يُمِدُّه
(ب) حكْم « الدَّلالِ » الجَوْرحكم جَوْره   ومن شأنه أ (لا قرين) يرُدُّه
له مَعْطِفٌ « مستحسن القَدّ » ناعم   به (عَلِقَتْ فى الحب) بالرَّغم أُسْدُه
رمى فى فؤادى جمراً ا « ذكى » هيبةً   به (ظبى أُنس) قد تلهَّبَ خدُّه
فيَعْبَق من نار الحيا عاطر « الشذا   ك » أنى بذاكَ الخال قد نمَّ نَدُّه
ويبــدو بآفاق الـ (جمال ه) لاله   له « الليل فرعاو » الكوا كب عقده
كأن الظَّبىَ فى (مرتع) الطَّرف لحظه   كأن « القَنا فى » اللين والفعل قَدُّه
يروق (العيونَ) العِطْفُ منه فشُبِّهتْ   به قُضُبُ البان « اعتدال » ا وَمَلْده
ويانِعُ « م وَرْدُ الخد » لو جاز[(٣)] قطفه   وطيبُ رحيق الثغر لـ (وحل) وِرْدُه

---

(١) كذا فى ط . والشطر الثانى من هذا البيت غير مستقيم وزناً . وروايته فى ت :
وصير جسمى للصبابة وابتلى   يتيم قلبى إذ تمكن وجده
ولا تتفق ألفاظ هذه الرواية مع ألفاظ الموشحة التى تخرج من هذه القصيدة .
(٢) فى ت : « لعمرى » .
(٣) فى ت : « حان » .

يجول به ريق « شَهِىٌّ » يحيلنى إليه لظًى (فى القَلْب) قد شَبَّ وَقْدُه
ويَحْمِى المُحَيَّا و « اللَّمَى » بلواحظ (عن) الدَّنفِ المُغْرَى به[1] فتصُدُّه
فلله من رِيمٍ ضُلوعى (كِناس) ه وروض يُسَقِّيه من الدمع عَهْدُه
ويُمْنَع منه المُسْتَهام (فما له) و « فى لثمه » لو جادَ باللثم قصدُه [٨٤]
وبالحسن منه (يَستبيح) حِمَى النُّهَى و « كل المُنَى » واليُمْنِ يحويه بُرْدُه
ويُلْوِى بـ(لَدَيْنِى) فى الهوى وهو موسر له دُرُّ ثَغْرٍ « لو يُنَالُ » وعِقْدُه
أفى العدل أَنْ (يَحْكُمْ) بتحريم ريقه لِأَن « كانَ للشَّهْد » المعلَّل وِرْدُه
تَخَيَّلْتُه لو نيلَ (بالنَّهْب فى) السكَرى « وما ذقتُه » يشفِى منَ السُّقْمِ شَهْدُه
فأَجْنِى كما شاء الوِصال « رُضَابه » ويجنى على قلبى هواهُ وصَدُّه
ويشفِى بذاك المبسِم « العَذْب » ريقُه (فُؤَادِىَ إذ) يشفِى بلثمِىَ خَدُّه
وحُلْو « الجنى » مُرُّ الجَفَا باهرُ السـ(نى له نهب ه)ذا القلب قَسْرا[2] وردُّه
بدا « فى المِثال » كالغزال محاسناً وتخشاه أبطالُ (العرين) وأسده[3]
وللحب بدء « و لحظه الأوطف » الورى (أ) لا (هكذا) قلبُ المشوق أَقَدُّه
تملَّك رِقِّى طَرْفُه « معَ سُقْمِه » و بـ(الشرْع) فى حكم الغرام يَرُدُّه
وأظهر مكنون الهوى منذ جار (فى الْـ مُعَنَّى ا) لذى قد طال فى الحب جَهْدُه[4]
وقد كان تحت الكَتْمِ (عُذْرى و)وَجده فـ« أسهر منه » ما اختفى قبل صده
ويحسبه فى (الحكم) بالجور « كـ » الورى وهل بـا « لسليم » القلب يُحسب ضده
إذا (بالظنون) الكاذبات ينـاله ينام فـكم عم « الليالـ » ى سُهْدُه

(١) فى ط : « بها » .
(٢) فى ت : « سرا » .
(٣) هذا البيت ساقط فى ت .
(٤) فى ط : « جحده » .

يد « وح سن» ا «ه» للمَشُوق وقربه | عليــه حرام إذ (يحلل) بُعْدُه
وفي مجتلاه «الباهر» الْحُسْن والرُّوا | حياتي ، وشبه (القتل) للنفس فقده
وأُنعش بالإنصاف «مهما بدا» وإن | أرى (منه ظلماً) عاود القلب وَجْده
ويبديه نور الحسن وَهْناً « لمقلتي » | ويخفيه فرعٌ فاحم الوصف جَعْده
يميل على المشتاق (بالهجر) حكمة | ف « منه » استعار الميلَ عنيَ قدّه
فيا هاجري (والصدّ) للصب قاتل | وروض «نعيم» ى في رضاك وخُلْده
أما (والفتونِ) البابلي وسحرِه | لَيُقنعني هزل « الوِصال » وجِدّه
ويا مِقولي (مالي سوا) ك مؤازرٌ | ف «خلّ الهوى وامدح» لمن حَقَّ حمده
فصغ لؤلؤا من (مدحيَ ابْنَ) ملوكنا | «إمامَ الورى» الباهي على الخلق رِفْده[1]
مَنَ أُورثه الملك المؤصَّل (نصر) ه | وأكسبه المجـــدَ المؤثَّلَ سعده
لُبابُ العلى « قطب المعالي و » تاجُها | و(بدرالهدى ا)وضَّاحُ في الدَّهر[2] سعدُه
به قد غدا ثغر « الهدى » وهو باسم | منير سناه (مشرق) الأفق سعدُه
«و»أضحى «الكمال طود» ه فإن اعتدى | على البدر نقص ف (الجبين) يُمِدّه
ومهما عفا عاد « الحجا » وهو قائل | ك(ذا الحلم والصفح) الذي أستعدّه
و بالشّمّ يُزْري عقله «الأرجحُ» الذي | لنجـ(و[3] المعالي والمَجادة قصده
فمعنى الحُلى تهديه للقلب ذاته | و « سر العُلى » يبديه للعين مجده
ومن كفه (غيث الندى) وغمامه | و « معنى السماح » المستماحِ ورَغده
إذا انهل منه (الواكف ا)ثرٌّ للورى | فصغْ «و الندى و» الجود قد لذ وِرْده[4]

[٨٥]

(١) في ط : « الباهي على الخلق قده » .
(٢) في ت : « في البحر » .
(٣) في ت : « له والمعالي » .
(٤) هذا البيت ساقط في ط .

تخال (هَتُون) البذل منهن زائلا ... يُكَيِّفه برق « الجلال » ورعدُه[١]
وكل « نوال ه » امل من بنانه ... فأقصى صفات الجود (قد جاز) جوده
وفيض نداه « يشرح » الحال إنه ... يمد الحيا (فى السمح) إذ يستمده
(و)فى غيثه الثَّجاج «المعتفى» الغنى ... إذا ، (الأيادى) منه يبدأ رِفده
وللفضل والإحسان والبأس (سبقة) ه ... والملك والإسـلام والعلم عَضْدُه
وأفعاله عند استباق (المدا) شأتْ ... و « فعل ظُباه با » لكُماة وجُرده
له مشرفىّ (دائم اا) قطع للطُّلا ... فكل كمِىٍّ لـ « لعدا فيه » ه فقده
و بين (سكون) فى الندىِّ من الحجا ... (و) بين مَضاء ، « القتال » بعده
وزينه من (قصده الجمع) للعُلا ... كما زيَّن ا «لسيفَ» الصقيلَ فرِنده
وحزم وعَزْم (بين بِكْر) وثيب ... ، « ه المرهف » الماضى يفَلَّل حدُّه
فيوم الندى الإسلام يَسعد دهره ... و«يوم الوغَى» الإشراك يتعس جَدُّه
ومن بأسه « أضحى الحمامُ » تَمنُّعاً ... و (للفخر) منه صارم يستعده
وتُمْسى عداه « كالحميم » شرابهم ... وما شـيدوا (فى دهره) فيهده[٢]
و يغدو«الموالـ»ى«فى»سرور وغبطة ... من البشر أبكار (وعُون) تودُّه
قد اعتاد « ترك الكافر» ين وشأنَهم ... لهيب (وشأن ه)ا مل الدمع وِرْده
فأبطالهم « رهن الفنا » ء « و » مالهم ... إلى (البذل) عقباه و بالسيف ردُّه
ولم يبق إلا من حَمَى الحسنَ (للعطا) ... وشفَّع فى أحـ(يا)ئه[٣] منه خدّه
وأصبح فى العلياء (كالبحر) كفه ... كما « قد غدا مثل ا » جواهر رفده
فصَوْب الحيا (فى جوده) برقه الظُّبَى ... يريك « هشيم » الكفر مما يقدُّه

(١) هذا البيت ساقط فى ط .
(٢) فى ت : « لم يهده » .
(٣) فى ط : « أحبابه » .

نَداه (المَعين) الثَّر قد نعم الهدى ... ويشقى به حزب « الضلال » وجندهُ
وأحكَ « م رفع » الملك إذ نصب العدا ... على حال ذل (نال من) ضل (١) جهدهُ
أيا سامى « القدر » الذى جل ذكره ... ويا محرز (المجد) الذى عز نده
صفاتك فى العليا « عزيز » منالها ... لها (كل طبع) أحرز الفضل فرده
فما شئته من عزة الجار و « الحمى » ... « وقد » ر سما فوق السما كين مجده
[٨٦] وأبعدت فى (وصف العلى) عن مسابق ... لها و « تدانى » من نوالك رغدهُ
وجودك (فيه ذو) الرجا مغرم فإن ... حمى « جوده » ذم المهلَّبَ أزدهُ
وكم من (فنون) يستمد بها الضحى ... إذا ما تناءى « المنـــال » ممدّه
وكم بات يتلـ (و سور) ة الفتح عزمه ... ويحكَ « م مثل الأمر و » النهى وجدّه
وأصبح باستحقاقه (الحمد من) أولى الـ ... عدالة فى « الأحكام قد » بان رشده
بعدل و إحسان قدَ اخت كليهما ... (حِلاه) كما آخى المهنـــدَ غمدهُ
و بأس و بطش يحميان «حمى الهدى» ... فتى (لقد تـ) لقَى مع السَّرح أُسْدُهُ
وحلم « وجودها » تـ « ن » ومكارم ... ء (لاهن كل) الوصف عنها وجهده
وكيف « ينال » المدح أوصاف ماجد ... يود العـلا (حينـ)ا وحينا توَدُّه
يعم بعفـ « و خص بالـ » ـذنب نطقه ... و (تهدى إلى الرشد) المبينَ ألَدَّه
وللسيف نصر يا بن « نصر على » العدا ... فساعة (إذ يجلى) جلى الـكفرَ حدُّه
وللمُلْك عز أكسب الذل «مَنْ بغى» ... فحاقت به من مؤلم القهر نُـكْدُهُ
ففى ذمة العلياء (تلك الحلا) العُلى ... و « لمـا بدت » للدين أُنجز وَعدُهُ
أنَرْت بها من (فاحم الـ) ظلم ما دَجا ... فجلَّت « سعودُ ه » نّ الملك عَضْده
فزالت (دجون) الجور عن مطلع الهدى ... فنور سَناه « فى اقتبال » وسَعْدُه
هو « المَلْك » لم تغبطه إلا نزارهُ ... بما ليس فى إم (كانهـا) ومَعَدُّه

(١) فى ط : « كل » .

وفى منتهاك «الأشرف» الأصل للورى دليل يَحُوز (الشفعَ) فى المجد فردُه
ويُمناك يوم الجود «تِرْب الحيا» اغتدت ألا (فهى) أقسامُ السماح وحدُّه
لك المرهَفُ السفاح بالفتح (مُثَنًّى) مع العــلَمِ الموعود بالنصر جُندُه
وجمّعت شتى الجود (فى وتر) راحة ف «غيث الندى» منها قد انهل عَهْدُه
فكم كاملِ (الأوصاف وال)ذات ماجدٍ إلى ذلك « الهامى العميم » مَرَدُّه
علىّ (يمين قل) تهـا غير حانث لجودك تنظيم « النوال » ونَضْدُه
فقد عز فى الدنيا (له المِثْل) فى العلى فما «يوسفـا» لاّ الحيا طاب وِرْدُه
وأينَ المُسامى (والمُضاهِى) مَجادة « لناصر دين » الله والمجدُ مجدُه
كريم المساعى حافظ الدِّين و« الهُدى ذو » الِانعام والفضلِ المبجّل عَقْدُه
ففى الفخر أضحى «الفضل والمجد» طبعَه و (فى الدهر) أمسى ليس يُوجد نِدُّه
ومحتده السامى « الـكريم » يُجارُه يماثله (فى رفعة) القـــدر بَندُه
فشتى « الخلال » الغرّ جُمِّعْنَ عنده بمـا حاز من علم (ودين) يُمِدُّه
ودونَك يا مولاى حسناءَ غادةً مهذبةً كالدر نُظِّم عِقْــــدُه
مُرَنَّحَةَ الأعْطاف تلعب بالنُّهى فتَسْبى الحِجا طوْرا وطورا تَرُدُّه [٨٧]
هديةَ عبـــد مخلصٍ لك قلبُهُ وفى تلـكُمُ الذاتِ الـكريمةِ وُدُّه
فألفاظها تحكى جُمـان دُموعِه وقرْطاسها يَحكيه فى اللَّون خَدُّه

قال جامع هذا التصنيف : أشار الرئيس أبو يحيى بهذا الشطر الأَخير إلى الـكاغَد الأصفر الذى كانت فيه هذه القصيدة مكتتبة ، ثم قال :

وأنفاسها من كل لون غريبها وترتيبها من ذاته يســـــتعده
فأكْحَلُها من مقلتى أستميحهُ وأحمرها من أدْمعى أســتمدّه

وأخضرهامن طيب عيشى الذى مَضى لديك وأرجو بالرضـــا تستردُّه (١)

وأعجب شىء أنها بِكْر فِكْرتى وما بَلَغتْ مِعشار شهر نعدُّه

وقد ولدت بِنْتين ثِنتين مِثلها يروقك من معناها ما توَدُّه

وكلتاهما قد جُرِّدت من نظامها موشحة كالسَّيف راق فِرِنْدُه

نخذها ففيها للتواظر مَسْرح ومن مدحك (٢) الحسنُ الذى تَسْتَمِدُّه

بقيت كما تهواه ما هَبَّتِ الصَّبا فمالت بها بان العُذَيب ورَنْدُه

انتهت القصيدة الفريدة ، وهأنا أذكر البنتين اللتين وَلَدت ، ثم أذكر ما ولدت كل واحدة منهما بحول الله وقوته .

البنت الأولى

فأما القصيدة الخارجة من المكتوب بالأخضر [فهذا نصها ، وتوشيحها ينتظم من المكتوب فيها بالأخضر] (٣) وهى هذه :

(تَناثر الدَّمعُ) مِن جُفونى (كالدُّر) من سِلْكه الثّمينِ

(مُذْ أعوزَ الوصلُ) والتـلاقى (من بدر) حسن بلا قرين

(عَلِقْتُ فى الحب) ظَبْىَ أُنْس (جماله) مَرتَعُ العُيون

(وحلّ فى القلب) عن كِناسٍ (فماله) يَســتبيح دينى

(يَحْكُم بالنَّهب) فى فؤادى (إذ ناله) نَهْبَـه العرين

(أهكذا الشرع) فى المُعَنَّى (الـعذرىّ) والحكْمُ بالظنون

(يُحلّل القتلَ) منـه ظالما (بالهجْر) والصَّـدِّ والفتون

(مالى سوى مَدْحِىَ) ابنَ نصر (بدْرَ الهدى) المشرقَ الجبين

(ذا الحلم والصفح) والمعالى (غيثَ النّدى) الواكف الهتون

(١) فى ت : « نستمده » .
(٢) فى ط : « مدحها » .
(٣) زيادة عن ت .

(قد جاز فى السمح) وَالأيادى (سـبق المدى) دائم السكونِ

[٨٨] (وقصـده الجمع) بين بِـكر (للفخر) فى دهره وعُون

(وشأنُه البـــذلُ) للعطايا (كالبحر) فى جوده المعـين

(نالَ من المجـد) كل طبع (وصف العلا) فيه ذو فنون

(وسُوَرَ الحمدِ) مـن حلاه (لقد تلا) هُنَّ كلَّ حين

(تهدِى إلى الرُّشد) إذ تُجَلِّى (تلك الحِلَى) فاحمَ الدُّجون

(كأنها الشـفع) فهىَ مَثْنَى (فى وِتر) الأوصاف واليمـين

(قلَّ له المِثـلُ) والمُضَاهِى (فى الدهر) فى رِفعة ودِين

الموشحة الأولى انتهت البنت الخضراء ، وهذا نص بنتها الموشحة ، المستخرجة من الأخضر :

تنـاثَرَ الدَّمعُ ، كالدُّرِّ مُذْ أَعْوَزَ الْوَصْلُ ، مِنْ بَدْرِ

عَلِقْتُ فى الحُبِّ جَمَـــــالَهْ

وحـــل فى القَلْبِ فَمَـــــالَهْ

يحـــكُم بالنَّهْبِ إذْ نَـــــالَهْ

أهكذا الشرْع ، العُذْرِى يُحَلِّل القَتْـلَ ، بالهجْر

ما لى سِوَى مَدْحِى بَدْرَ الهُـــــدَى

ذا الحلمِ والصَّـفْحِ غيثَ النـــدى

قد جاز فى السَّمْحِ سَـبْقَ المَـدَى

وقصده الجمعُ ، للفخرِ وشَأْنُهُ البَذْلُ ، كالبحرِ

نال مِـن المجـد وصــف العـــلا

وسُـــوَرَ الحمـــدِ لقَـــدْ تَـلا

تَهدى إلى الرُّشْدِ تلكَ الحِـــــلَى

كأنها الشـفعُ ، فى وِترِ قَلَّ لها المِثْل ، فى الدَّهْرِ

[انتهت .

ويمكن أن تستخرج باختصار هكذا] [1] :

تنـــاثر الدمعُ ، مُذْ أعوزَ الوصلُ

عَلِقت فى الحبِّ ، وحَـلَّ بالقلبِ ، يحـكم بالنهبِ

أهـكذا الشرعُ ، يُحَلِّل القتـل ؟

مالى سوى مدحِى ، ذا الحلم والصفحِ ، قد حاز فى السَّمح

وقصـده الجمعُ ، وشـأنه البـذلُ

له من المجـدِ ، وسُـورِ الحمدِ ، تهدى إلى الرشدِ

[٨٩] كأنهـا الشـفعُ ، قَلَّ لهـا المِثـلُ

انتهت .

البنت الثانية

وأما البنت الحمراء فهى الخارجة من المكتوب بالأحمر ، وتوشيحها ينتظم من المكتوب فيها بالأحمر ، وهذا نصها :

« ما كنتُ لَوْ أنصف » بعد المطالْ	« أصْلَى لظَى الوجدِ الأَلِيم » النكالْ
« كالقمـــر الزاهى » فى نُوره	« عليه كالليـل البهيم » الدَّلال
« مستحسن القَد » ذَكِىُّ الشَّذا	« كالليل فَرْعا والقَنا » فى اعتدال
« مُورّدُ الخـد » شهىُّ اللَّمى	« فى لَثْمِه كلُّ المُنَى » لَوْ يُنال
« كأنّ للشهــــد » وما ذقتُه	« رضابَه العذبَ الجَنَى » فى المثال
« ولحظه الأوطفُ » مع سُقْمه	« أسْهرُ منــه كالسَّليم » الليال
« وحُسْـنه الباهرُ » مهما بدا	« لمقلتى منــه نعيمُ » الوصال
« خلِّ الهَوى وامدح » إمام الورَى	« قطب المعالى والهُدَى » والكمال

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت .

« طودَ الحِجا الأرجحَ » سرَّ العلى « مَعْنى السَّماحِ والنّدى » والجَلالْ

« نوالُه يَشرح » للمعتـــــفِى « فعلَ ظُباه بالعِدا » فى القتال

« لســـيفه المرهَفِ » يوم الوغَى « أضحى الحِمام كالحميم » المُوال

« فيتركُ الكافر » رَهْن الفَنا « وقد غدا مثلَ الهَشيم » الضَّلال

« مُرَفَّع القَـــدر » عزيز الحِمَى « وقد تدانَى جُودُه » للمنَال

« مُمَثِّلُ الأمْر » والاحكام قد « حَمَى الهُدَى وجُودُه » أَنْ يُنال

« وخُصَّ بالنصْر » على من بَغَى « لَمَّا بدت سُعوده » فى اقتبال

« الملكُ الأشرفُ » ترْبُ الحَيا «غيثُ النَّدى الهامى العميم» النَّوال

« يوسفُ الناصرُ » دينَ الهُدَى « ذوالفضل والمجد الكريمُ» الخِلال

انتهت البنت الحمراء .

الموشحة الثانية

وهذا نص مُوَشِّحَتِها ، وهى بنتها ، الخارجة منها من المكتوب بالأحمر :

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفْ أصْلَى لَظَى الوجدِ الأَليمْ
كالقَمَـــرِ الزاهى عليهِ كاللَّيلِ البَهِيمْ

* * *

مُسْتَحسن القـــدِّ كالليل فَرْعًا والقَنا
مُوَرَّدُ الخَـــدِّ فى لثمه كلّ المُنى
كأنّ للشهـــدِ رضابَه العـذبَ الجَنى

* * *

ولحظَـــه الأوطفْ أشهَرُ منـــه كالسَّليمْ
وحســـنهُ الباهرْ لمقلتى منـــه نعيمْ

* * *

[٩٠]

خَلِّ الهوى وامدحْ قطب المعالى والهدَى
طودَ الحِجا الأرجحْ معنى السماحِ والنَّدى
نوالُه يشرحْ فعلَ ظُباه بالعدا

* * *

لسيفه المرهفْ أضحى الحِمام كالحميمْ
فيترك الكافرْ وقد غدا مثل الهشيمْ

* * *

مُرَفَّعُ القدرِ وقد تدانى جودُهُ
مُمَثَّلُ الأمْرِ حَمَى الهُدَى وُجودُهُ
وخُصّ بالنصر لمّا بدتْ سعودُهُ

* * *

الملكُ الأَشرفْ غيث الندى الهامى العميمْ
يُوسفُ الناصرْ ذو الفضل والمجد الكريمْ

ويمكن اختصارها أيضاً هكذا :

ما كنتُ لو أنصفْ ، كالقمر الزاهرْ
مستحسَنُ القدّ ، مورد الخد ، كأن للشّهد
ولحظه الأوطف ، وحسنه الباهرْ
خل الهوى وامدحْ ، طودَ الحِجا الأَرجحْ ، نواله يشرحْ
لسيفه المرهف ، فيترك الكافرْ
مُرَفَّع القدر ، مُمَثَّل الأَمر ، وخُصّ بالنصر
الملكُ الأَشرفْ ، يُوسف الناصرْ

قلت : وإنما لم أجزم بهذه المختصَرة لأجل أن الناظم صرّح بأن كل واحدة من البنتين الحمراء والخضراء لم تلد إلا موشحة واحدة من البنتين ، ولو ولدت موشحتين لصرّح بذلك ، ولا شك أن الموشحة غيرَ المختصرة أتم معنى ، وأكمل مَساقا ، فالأصوب الاقتصار عليها ، وإن كان يمكن استخراج أكثر منها لمن تأمل حق التأمل ، والله تعالى أعلم .

موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان الشرف الشامى

[٩١] وعلى كل حال فقد أبدع هذا الرئيس فى هذه القصيدة ، وإن كان فيها بعض تكلّف ، وقصده أبدع من قصد صاحب عنوان الشرف الشامى[١] ، لأن هذا أخرج من الخارج شيئين[٢] على ما لا يخفى ، غير أن صاحب عنوان الشرف أطال ، واستخرج أربعة علوم متباينة ، من أول وهلة ، وكلاهما قد أبدع رحمهما الله ؛ ولم أتحقق : هل وقف ابن عاصم على كتاب عُنوان الشرف ، فاهتدى بأضوائه أم لا ؟ والله تعالى أعلم .

مختار من كتابه جنة الرضى

ومن كتاب جنة الرضى له رحمه الله ما نصه[٣] :

« الحمد لله الذى عوّض من الخلاف وِفاقاً ، وأعقب من الافتراق اجتماعا واتفاقا ، وهيّأ لأسواق الائتلاف برفع الخلاف[٤] نَفَاقا ، ويسّر لوطن الجهاد[٥] من توثير المِهاد أرفاقا ، وزيّن بأنجم السُّعود من النصر الموعود آفاقاً ، وعقد على جمع الكلمة من الأمة المسلمة إجماعا وإصفاقاً . نحمدُه سبحانه وهو المحمود بجميع اللغات ،

(١) كذا فى الأصلين . واسم الكتاب : « عنوان الشرف الوافى ، فى الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى » ، وهو لشرف الدين بن المقرى إسماعيل بن أبى بكر اليمنى ، المتوفى سنة ٨٣٧ هـ . (انظر كشف الظنون) .

(٢) فى ط : « أشياء أخر » .

(٣) العبارة « له رحمه الله ما نصه » : ساقطة فى ت .

(٤) فى ت : « الاختلاف » .

(٥) فى ت : « الاجتهاد » .

ونشكره على ما سَنَّى من آمال على وَفْقِ الأمنية مُبلَّغات ، ونُثْنى عليه بما أسْدَى من عوارفَ مُخَوَّلات ، ومواهبَ مُسَوَّغات ؛ حمدا نستكثر من دُرره النفيسة إنفاقاً ، وأمانته العظيمة فلا نأبى من حَمْلها إشفاقاً ؛ ونشهد أنه الله(١) لا إله إلا هو الواحد الأحد ، الفرد الصَّمَد ، الذى لم يلد ولم يُولَد ولم يكن له كُفْوًا أحد ؛ شهادةً نرفع لواءها المرنَّح(٢) العَذَبات خَفَّاقا ، فلا لاقى بعد هذه الشهادة لمقاصد السعادة إخفاقا(٣) ؛ ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، ونبيه المصطفى وخليله ؛ نبى الرحمة ، ونور الظُّلْمه ، وشفيع الأمّه ، والمبعوث بالكتاب والحكمه ، والمجموع له بيْن مزية السبق ومزية التتمه ؛ شهادة تستحفظ بقاع الأرض أرفاقا ، فلا تخشى معها القلوب ، وقد حصل منها الغرض المطلوب ، [٩٢] شكاًّ ولا نِفاقا ؛ ونصلى على النبى الكريم ، المبعوث بالخلق العظيم ؛ صلاة نَحُل بها من عُقْلة الذكر وَثاقا ، ونؤكد بها القَبول إذا عارض العمل المقبول ميثاقا ؛ ونَرْضَى عن آل محمد وصحبه ، وعشيرته وحزبه ، المختصين بقربه ، الفائزين بالرضا من ربه ؛ أكرم الناس أعراقا ، وأعظمهم من خشية الله إطراقا ، وأبهرهم فى مقامات الهداية إشراقا ؛ ونستوهب منه التأييد والنصر ، والفتح الذى تفوت عجائبه الحصْر ، والمَنْح الذى لا تعرف صَلاةُ صِلاتِه القَصْر ؛ لهذه الخلافة الغالبية ، التى أطبقت على الإغضاء أجداقا ، وأظهرت من الحلم لما كان من مكنون العلم صْداقا ؛ ونبتهل إلى الله فى دوام أيامها ، وإعلاء أعلامها ، وإمضاء ذابلها المرهوب وحُسامها ؛ حتى يتنفس الإسلام خِناقا ، وتسير بها الرِّفاق ، وقد تهادتها الآفاق ، وَخْداً وإعناقا ، وتخضع لها الجبابرة ، والملوك القياصرة ، رقابا وأعناقا ؛ ونمد إليه

(١) فى ط : « الذى » .

(٢) فى ط : « المترع » .

(٣) هذه العبارة ، من قوله : « فلا لاقى » إلى قوله : « إخفاقا » ساقطة فى ت .

يَدَ الافتقار ، ونبسط كف الضراعة والاضطرار ؛ فى كفّ الفتن ، عن هذا الوطن ؛ وكف الكفار ، عن هذه الديار ؛ وتيسير الفرج القريب ، لهذا القطر الغريب ؛ وتسهيل الصعب العسير ، لهذا الصقع النائى عن الولى والنصير ؛ فيجمع بين(١) القلوب النافره ، والنفوس المتنافره ، افتراقا ؛ ويجعل دم العُداة بسيوف الحُماة الكماة مُرَاقا ؛ ويُتحف بأنبائه المعجبه ، وأخباره المغربة المطربة ، شاما وعراقا .

أما بعد ، فإن الله على كل شىء قدير ، وإنه بعباده لخبير بصير ، وهو لمن أهَلّ نيته ، وأخلص طويّتــه ، نعم المولى ونعم النصير ؛ بيده الرفع والخفض ، والبسط والقبض ؛ والرشْدُ والغى ، والنشر والطىّ ؛ والمنح والمنع ، والضر والنفع ؛ والبطء والعَجَل ، والرزق والأجَل ؛ والمَسَرّة والمَساءه ، والإحسان والإساءه ؛ [٩٣] والإدراك والفَوْت ، والحياة والموت ؛ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، فهو الفاعل فى(٢) الحقيقة ، وتعالى الله عما يقول الآفكون ، وهو الكفيل بأن يُظْهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ؛ وإن فى أحوال الوقت الداهية ، لذِكرَى لمن كان له قلب أو ألْقى السمع وهو شهيد ، وعِبْرةً لمن تفهم قوله تعالى : إن الله يفعل ما يشاء ، وإن الله يحكم ما يريد ؛ فبينما الدُّسُوت عامره ، والوُلاة آمره ؛ والفئة مجموعه ، والدعوة مسموعه ؛ والإمرة مُطاعه ، والأجوبة سمعا وطاعه ؛ إذا بالنعمة قد كُفِرت ، والذِّمة قد خُفِرَت » .

ثم قال رحمه الله :

« والسعيد من اتعظ بغيره ، ولا يزيد المؤمنَ عمرُه إلاّ خيراً ، جعلنا الله ممن قضى بخيره ؛ وبينما الفُرْقة حاصله ، والقطيعة فاصله ، والمَضرّة واصله ؛ والحبل

(١) فى ت : « به من » .
(٢) فى ط : « على » .

فى انبتات ، والوطن فى شَتات ، والخلاف يمنع رَعْى مَتَات[١] ، والقلوب شتّى من قوم أشتات ؛ والطاغية يتطلّى لقصْم الوَطن وقَضْمه ، ويلْحَظه لَحْظَ الخائف على هَضْمه والأخْذ بكَظْمه ، ويتوقع الحسرة[٢] إن يأذنِ اللهُ بجمع شمله ونَظْمه ، على رَغْم الشــيطان ورغمه ؛ إذا بالقلوب قد ائتلفت ، والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ، والأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت ، والمتضرِّعة إلى الله قد ابتهلت ، فى إصلاح الحالة التى سلفت ؛ فألقت الحربُ أوزارها ، وأَدْنت الفِرْقة النافرة مَزَارها ، وجَلت الألفة الدينية أنوارَها ، وأوضحت العِصمة الشرعية آثارها ، ورَفَعَت الوحشة الناشبةُ أظفارُها أعذارَها ، وأرضت الخِلافة الفُلانية[٣] أنصارَها ، وغَضَّت الفِئَةُ المتعرِّضة[٤] أبصارها ، وأصلح الله أسرارها ؛ فتجمّعت الأوطان بالطاعه ، والتَزَمتْ نصيحةَ الدين بأقصى الأستطاعه ، وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعه ، وألقت إلى الإمامة[٥] الفُلانية يدَ التسليم والضراعه ؛ فتقبُّلَتْ فَيْئاتُهم ، وأُحمِدَت جَيْئاتهم ؛ وأُسْعِدَت آمالُهم ، وارتُضِيَت أعمالهم ؛ وكُمِّلَت[٦] مَطالبهم ، وتُمِّمَتْ مآربهم ؛ وقُضِيت حاجاتهم ، واسْتُمِعت مناجاتهم ؛ وألْسِنَتُهُمْ بالدعاء قد انطلقت ، ووِجهتهم فى الخُلوص قد صَدَقت ، وقلوبهم على جَمْع الكلمة قد اتَّفقت ، وأ كُفُّهُمْ بهذه الإمامة الفلانيــة قد اعتلقت ، وكانت الإِدالةُ فى الوقت على عدوِّ الدين قد ظهرت وبَرَقت » . [٩٤]

(١) المتات (بفتح الميم) : ما يتوسل به من حرمة أو قرابة أو نحو ذلك .
(٢) فى ت : « المسرة » .
(٣) يريد خلافة الغالب بالله صاحب غرناطة ، وقد سبق التصريح بذلك .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « المعترضة » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأمانة » .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وقلت » .

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

[وكفَّتْ[١] ، بقدرة ربه ، القدرةُ القاهره[٢] ، والعِزة الباهِره ، من عدوان الطاغية غوائل ، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل . ومعلوم بالضرورة أن الله لطيف بعباده حسبما شَهِد بذلك برهان الوجود ، وإن تعُدّوا نعمة الله لا تحصوها دليل على ما سَوَّغَ الكرمُ والجود ؛ وإن من أعظم نعمه التى يُعْجَزُ عن أداء شكرها ، وإن طالت آماد الأعمار ، ويُتناغَى فى الثناء عليه فى أمرها ، فلا يبلغون من ذلك مِعشار المِعشار ، وتتجارى الألسنة والأقلام فى تقرير وصفها ، فلا تصل من ذلك إلى حد يُقْنع ولا إلى مِقدار ؛ وفى مثلها قال الله تعالى][٣] : « واذكروا نِعْمة الله عليكم إذْ كنتم أعداء فألّفَ بين قلوبكم فأصْبحتم بنعمته إخوانا وكُنتم على شَفَا حُفْرة من النار » . وما ذلك إلّا مِنّةٌ قدرُها عظيم ، وخطرُها جسيم ، وصِراط العدل بها مستقيم ، وبها أُمتنّ الله فى قوله : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » إلى : « حكيم » . فهل يُستطاع شكرُ النعمة التى لا يكون إنفاق الأرض جميعا لها قيمه ، أو يختلف اثنان بوجه أو حال فى كون هذه النعمة عظيمه ، أو يتمارى أحدٌ فى كون جمع الكلمة فى هذا الوطن الغريب مِنَّة كبيرة ومنحة كريمه !

ومن استقرأ التواريخ المنصوصه ، وأخبار الملوك المقصوصه ؛ علم أن النصارى دمرهم الله لم يدركوا فى المسلمين ثارا ، ولم يرفعوا[٤] عن أنفسهم عارا » .

(١) كفت : صرفت ومنعت .

(٢) فى نفح الطيب : « وكفت القدرة القاهرة » .

(٣) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٤) فيما مر من هذا الجزء (ص ٥٠) : « ولم يرحضوا » .

قال جامع الموضوع وفقه الله :

قد قدّمتُ هذا من كلام الرئيس ابن عاصم ، وهوقوله : «ومن استقرأ التواريخ المنصوصة » فراجعه فيما سبق ، إلى قوله هناك : « وروِيّة وارتجال » .

ثم قال هنا بإثره ما نصه :

« إلى أن استقلّتْ هذه الدولة الفلانية على قواعدها ، واستقرت بأحلامها الراجحه ، وأعلامها الشامخه ؛ واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطةً نَشْر المملكة عن الافتراق ، واستظهرت أبناؤها الغرُّ من الوفاء بشِيَمٍ اعتلقت بها أتم الاعتلاق ؛ فحفظ الله الدولة الفلانية إلا فى النُّدْره ، ووقاها من ذلك الأمر الصعب بوقاية من الاِكتساب ووقاية من القدره ؛ وتطاولت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعة » . [٩٥]

وقال جامع الموضوع وفقه الله : راجع تمام هذا الكلام فيما قدمناه إلى قوله هنالك : « اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين » .

وقال هنا بإثره ما نصه :

« وإنما النعمة التى لا يُقْدَر قَدْرُها ، ولا يُوفَّى شُكرها ؛ هى التى تكفّلَتْ بتَبْيينها تكييفات [الأقدار ، وانجلت عن بَيانها تدبيرات الفاعل المختار ؛ فجمع الله بها القلوب ، وهيّأ] [١] الغرض المطلوب ؛ وتتابعت بيعاتُ البلاد ، وتوافقت أهواء العباد ؛ وانتظم الملك جسما واحدا له روح طاهر ، واستقل الإسلام رَسْما ثابتا حكْمُه نصّ وعدْلُه ظاهر ؛ وهدى الله المسلمين مع جمع الكلمة إلى القصد الشرعىّ ، ووفّقهم إلى القيام بحكمه المحتوم وحقّه المرعىّ ؛ فاتّخاذُ السلطان فى [مثل] [١]

(١) زيادة عن ت .

هذه الأوطان واجب قياسا وسماعا ، وتعذُّرُ الخلافة فى مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا .

أيها الملأ المشتمل على الشرفاء الذين بتقديمهم [يُسْتَنْجَز من البركة موعودُها ، والعلماء الذين هم حَفَظة الشريعة الحنيفيّة(١) أن تُتَعَدّى حدودُها ؛ والأشياخ الذين بجهادهم استقرّ واجبها(٢) ، واستقام واجبها ، واستند عمودها ، والقواد الذين بحمايتهم](٣) تقام أحكامها ، وتُحاط أعلامُها ، وتُوَفَّى عهودُها ؛ والفُرسان الذين هم حُماتُها وأمجادُها ، وأنصارُها وجنودها ؛ والخاصّة الذين بهم يرجح عملها ، وينجَح أمَلُها ، ويتم مقصودُها :

تعلمون حقّا أن هذا الوطن الفلانىّ كان قد تعَيَّن(٤) للهلاك ، بسبب هذا الخلاف ، وتوقّعت القلوب المُشْفِقة حُدوثَ الفاقِرة بسبب هذا الاختلاف ؛ وأن الشارع صلواتُ الله وسلامه عليه يَمْنع من كل ما يؤدّى إلى الفُرْقة بأتمّ الوجوه ، ويؤكّد الترغيب والترهيب بكل ما يخافُه المؤمن ويرجوه ؛ وأن الفقه(٥) المذهبى ، إذا [٩٦] حصلت البيعة فى الأعناق ، وتحلت بها تَحَلِّىَ الحَمام بالأطواق ، معروف ومعلوم ؛ وأن اشتداده فى سدّ باب الافتراق ، على العموم والإطلاق ، لازم محتوم ؛ والأقدار الإلهية قد هيّأت قصد الأُلْفه ، بلا كُلْفه ؛ ويسّرت سبب الاتفاق ، بحكم الوِفاق ؛ فاُقبلوها نعمة مُسْداه ، وتُحفة مُهداه ؛ وشُدّوا عليها أيدى الضِّنَّه ، واعلموا ما فيها لله عليكم من المنّه ؛ وتعاقدوا على ألّا تُبقْوا من الخلاف أثرا ، واتفقوا على القصد الذى يخلّصكم عند الله سمعاً ونظرا ؛ وفى هذا التيسير الذى ساعدَتْ به الألطافُ الخفيّه ، وساعفت به من قبل الربّ الصنائعُ الحفيه ؛ ما يتأكّد

(١) فى ت : « حفظ الشريعة الحنفية » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .
(٢) استقر واجبها : سكن روعها بعد اضطراب .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) تعين ، أى تهلهل وتمزق ؛ مأخوذ من تعين السقاء ، وذلك إذا بلى ورقت منه مواضع .
(٥) فى ط : « العقد » .

به الاعتبار ، ويرشد إلى أنه أراد الله نفوذه[(١)] ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .
ومما يستكمل هذا القصد الذى أشرنا إليه ويستوفيه ، قول تاج الدين رحمة الله عليه : ما ترك من الجهل شيئاً مَنْ أراد أن يُظْهِرَ فى الوجود غير ما أراد الله أن يُظْهِر فيه .

وفَرْض على كل إنسان فى نفسه ما طلبه [به][(٢)] الشارع ، وعَذُبت فيه بالتفويض لحكم الله[(٣)] المَشارع . فالواجب علينا أن نجتمع ونأتلف ، ونتفق ولا نختلف ؛ ونعتمد صريح الفقه أخذاً وتركا ، ونتبع صحيح النقل الذى لا يدع رَيْباً ولا شكا ؛ ونسأل من الله الهداية إلى سبيل السلف الذين سَبَقوا ، ونعزم العزم على أمر الله فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا » .

وإن أولى الناس فى ذلك بإرهاف العزيمه ، وتوخّى السبل المستقيمه ؛ والقيام بمَضْمون هذا الرسم المستقلّ ، والوفاء بتكميل قَصْد الكاتب فيه والمُمْل ؛ لَخَواصّ الدولة الفلانية الذين لحقهم التمحيصُ والاختبار ، وتخوَّلتهم بأبلغ الموعظة [٩٧] الأَقْضيةُ والأقدار ؛ وهم الذين ربحت منهم فى هذه السوق التجاره ، والمقصودون بالخطاب من باب إياكِ أعنى واسمعى يا جاره ؛ وهم الممنونُ عليهم باسترجاع المَغصوب المُستَحَقّ ، والواقفون من انكسار القلوب ، والتنصّل من الذنوب ، موقفَ الأَوْلى به والأحق ؛ والمَعْنِيّون بقوله : « ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نَزَل من الحق » . ويختص منهم عماد الدوله ، وعميد الجُمله ، بالحظ الأوفر ، مما يتضمّنه هذا التأنيب ؛ ويستمنح من الله عَقِب التذكره ، بهذه الموعظه : « وما يتذكر إلاّ من يُنيب » .

(١) فى ت : « إنفاذ نفوذه » .
(٢) زيادة عن ت .
(٣) فى ت : « لحكمه » .

فإنا إذا نظرنا إلى ما كان قد طَرَق من الابتلاء ، وشاهدنا ما كان مُعَرَّضا للوقوع من البلاء ؛ وراجعنا البصيرة فى النعم التى كنا عنها مَسْلو بين[١] ، والتُّربة[٢] التى كنّا عليها مغلو بين ، والأبواب التى كنا عنها مَحْجو بين ، والشِّرْذمة التى كنا بها مَرْبو بين ، [والأنفال][٣] التى كنّا فى عَدد مَنْ يُحيى رسومَها مَحْسو بين ؛ وقد سلّط الله علينا كثيرا من الظَّلَمة الذين أعنّاهم ، فعند ذلك لَعنَّاهم ، وأهاننا الذين كُنا أكرمناهم ، جزاء لما احترمناهم ؛ فنَسُونا ، أحوج ما كنا إلى أن يذكرونا ، وخذلونا ، أفقرَ ما كنا إلى أن ينصرونا ، وأسلمونا ، أشد ما كنا فاقة إلى أن يُنجدونا ، وتركونا ، أعظَم ما كنّا حاجةً إلى أن يُسْعِدونا ؛ وخانونا ، أظهر ما كنا اضطرارا إلى وفائهم ، وظاهروا علينا ، أتم ما كنا افتقارا إلى غَنائهم ؛ فلا شك أن المؤاخذة كانت بسبب تلك الذنوب ، وأن الجناية هى التى أوجبت ما طَرَقنا من الخطوب ؛ فأزف العذابُ ، وعاد من أعدى الأعادى الأحباب ، وتبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا وتقطعت بهم الأسباب ؛ وكادت العقوبة العظيمة أن تَلْحَق ، والأخذةُ الربانية أن تَمْحَق ؛ لولا أن الله تداركَنا بالعفو ، وتجاوز عن الهَفْو ؛ وأنالكم من الإدالة ما كنتم تؤمِّلون ، واستخلفكم فى الأرض لينظر كيف تعملون . فلنجعل ما وعظنا الله به من تلك الأزمات نُصْب الأعين ، ولنتخذ حمده على ما منحنا من الإنالة[٤] هِجِّيرَ الألسُن[٥] ؛ ولنعلم أن ذلك التمحيص إنما كان تنبيهاً من الله على ما عَطّلْنا من حُدوده ، وإيقاظاً من الغفلة عن القيام بحقوقه ، والوفاء بعهوده ؛ ولنتحقق أن ما مَنّ الله به من جَبْر الأحوال ، وخَلْف

[٩٨]

(١) فى ط : « مسئولين » .
(٢) فى ط : « الرتبة » .
(٣) زيادة عن ت :
(٤) فى ط : « الإقالة » .
(٥) هجير الألسن ، أى دأبها وشأنها .

الأموال ؛ واستقبال العز غَضًّا جديدا ، وصرف الهُون وقد كان عذاباً شديدا ؛ إنما هو إبلاغ فى الحجة علينا ، و إعذار بالموعظة إلينا ؛ ور بما عاهَدْنا الله لئن آتانا من فضـله لنصَّدَّقَنّ ولنكوننّ من الصالحين ، ولننزعن عما ارتكبناه من جرائر العاصين وجرائم الطالحين ؛ فالوفاءَ الوفاءَ حتما [إن أردنا] [1] أن نكون من المفلحين . وقلّما[2] أزِف العذاب فرُفع إلا عمن كان من المصلحين ، « فلولا كانت قرية آمنت » إلى قوله : « إلى حين » ؛ فلنَقْدُر [قدر] [1] هذا التدارك ، الذى أخذ بأيدينا من مَهاوِى الانتقام ، ولنتأمّل موقع هذا البَلاء الذى أحلّنا من تجديد النعمة بأسنى مَقام ؛ ولنحذر نسيان ما ذُكِّرنا به ، فلم نذكر تلك الشدائد بل نسيناها ، ولا نفرح بما أوتينا [فرح] [1] المغرور الذى لايتراجع ولا يتناهى ؛ فإن فى ذلك أمَلَ الشيطان وسؤله ، ولَعْنَ الله ومَقْتَه ، قال الله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء » إلى قوله : « بغتة » .

اللهم هل بلّغت ، و بالغت فى النصح وأبلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد .

[٩٩] و« يا قوم إن كان كَبُر عليكم مَقامى وتذكيرى بآيات اللهِ فعلى الله توكلت » ، و إليه أبرأ من حولى وتقصيرى عما فيه قَصَّرت ، وعما عنه نَكَلْت » .

ثم قال رحمه الله :

« و إن مولانا السلطان الملك الفاضل التالى الذاكر ، العفيف الطاهر ، المسترجع الصابر ، المجاهد المصابر ، المرابط المُشاغر[3] ؛ أمير المسلمين ابن نصر الخزرجىّ نسبا ، السَّعْدى[4] منشأ ، النصْرىّ جدا وأبا ؛ أيده الله على أعداء الدين ، وجعله

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « وربما » .
(٣) المشاغر ، من الشغار ، وهو (هنا) : المعاونة فى الحرب .
(٤) السعدى : نسبة إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وإليه ينتهى نسب بنى الأحمر ملوك غرناطة .

من الأئمة المهتدين ؛ ممن إذا جُنِى عليه غَفر ، لعِلْمنا به أنه حليم والله آخذ بيده كلما عَثَر ؛ فأرشدَنا بذلك إلى أنه كريم ؛ وممّن تطرُقه الخطوب ، وهو بالألطاف مصحوب ، وتُحَدِّق إليه النوائب وهو من نظرها الشَّزْر محجوب ؛ وممن جمع له الناس على أن يخشاهم فزاده إيمانا ، وقال : حسبى الله ونعم الوكيل ، فانقلب بفضل من الله ونعمه ، وممن صبر واسترجع فى نقص الأموال والأنفس والثمرات ، [فبُشِّر] (١) بصلوات من ربه ورحمه ؛ فتمالأت على أذيّته أصناف من الناس فى مرّات متعدده ، وآناء من الدهر متجدده ؛ فأتعس الله جدودهم ، وأضرع إليه خدودهم ، وأرغم بحَوْله وقوّته أنوفهم ، وردّ عنه بسيف (٢) من الأقدار رماحَهم وسيوفهم ، وأدنَى لهم بأسباب مختلفة الأنواع حُتُوفهم : فمِنْ آمنٍ أُخِذ من مَأمنه الذى كان يستند إليه ، ومِنْ خائف قد أدهشه الرَّوْع فهو يحسب كل صيحة عليه ؛ فكأنّ ألسنة الأقدار تَنْهاهم عن منازعة الإراده ، وكأنّ واعظ الاعتبار يحذّرهم من شقائهم الكفيل له بالسعاده ؛ وكأن شاهد الحال يقول هذه إرادة الله قضاها ، وسنّته السابقة أنفذها وأمضاها ؛ فَمَنِ المنازعُ فيما حكم الله به وقضى ، [١٠٠] ومَنِ الساخط فى المحل الذى يطلب فيه من الله الرضا ؟ ولو كان استيلاؤه على المُلْك بقوة عصبيّه ، وإهلاك مناوئه عن طبيعة غضبيه ؛ لارتاب فى ذلك الناظر ، ووجد السبيلَ إلى الاحتجاج المُناظِر ؛ ولكنه طالما عُورض فى المُلْك فكَبَا معارضه لِفيه ، وأُتيحت له النُّصْرة من محلّ لم يحسبها فيه ؛ وشَدَّ ما احتال على نصرته غير واحد ، فانعكست عليه حيلته ؛ وتوسَّل إلى مكروهه ، فطاحت فى قَليب الانقلاب عليه وسيلته ؛ وبُغِى عليه غيرَ ما مَرَّة فنصره الله على من بَغى عليه ،

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ط : « بدفاع » .

وابتغى بالسوء فردّه الله على من سَعَى[1] به إليه ؛ ولعل ذلك لغيب عن العِيان مكتوم ، وحُكم من الحكيم العليم محتوم ؛ أو لأثر من الاختصاص قد علمه الله وليس لنا بمعلوم ، أو لِأمر قد تقاصرت عنه مدارك العقول ، وكَلّت دونه رواجح الحُلوم ؛ ولهذه المعانى المقرّره ، والمقاصد المحرّره ، والمذاهب المفسّره ، والفوائد المسطّره ، وغرائب أحاديثها المشتهره ، خصّ الملأ المقصود فيه بالتذكره ، المعتمد منه بالإيقاظ والتبصره ؛ من أعضاد الدوله ، وسيوف الصّوله ؛ وأولياء الخُلوص الزكى الشيمه ، ومَوالى النعمة الفُلانية ، وهم الذين خولتهم موعظتُه الحسنه ، وأعجبتهم أغراضه المتعدده ، ومقاصده المستحسنه ؛ وعلموا أنه الحق ، فسألوا من الله التوفيق إليه ، والإرشاد إلى الاتصاف به والعمل عليه ، والهِداية إلى التماس رضا الله لديه ؛ ووقفوا على ما هو لهم فى هذا الكتاب منصوص ، وأن سلطانهم بمزية الدفاع عنه مخصوص ، وأنه قد تطابقت على إيثاره نصوص ، واستوى[2] فى تسليم الطاعة له عموم وخُصوص ؛ فجدّدوا له البيعةَ الوثيقة ، على ما أوجب فى ذلك الحكم المشروع ، [١٠١] وأعطوْه على ذلك العهدَ الأكيد حسْبما اتفقت عليه أصولٌ وفروع ؛ وعقدوا له مضمونها عقدا صحيحا ، وعُهدوا[3] على ما تقتضيه السُّنة صريحا ؛ وشَهدوا له فيه على أنفسهم أنهم بالوفاء بها قائمون ، ولشروطها المرعية حافظون ، وعلى أحكامها الشرعية محافظون ؛ وعلى ما بُويع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعه ، ولزوم السنة والجماعه ، وإمْحاض النصيحة جُهْد الاستطاعه ؛ فأيديهم فى السّلم والحرب مصروفة[4] فى مرضاته ، ونيتهم صادقة فى مسنونات الوفاء ومفترضاته ؛ ولقد شاهدوا الفرقة وما جَنَتْه ، والفتنة وما فتنته ، والألفة وما سنّته ، والهدنة

(١) فى ت : « وسمى » .

(٢) فى ت : « واستولى فى تسليم » . وفى ط : « واستو فى تسليم » . وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .

(٣) فى ط : « وعهدا » .

(٤) فى ت : « معروفة » .

وما قرّبت من إصلاح وأدْنته ؛ فليغتبطوا بها عهدا كريما ، وعقدا قد تضمّن فضلا [عظيما بل] [1] عميما ، واستلزم إنعاما جسيما ، وليوفوا بها الوفاء الذى يُولِيهم بها نعيما مقيما ، ويدفع عنهم عذابا أليما ، فإنه عز وجل يقول : « فمن نكث » إلى قوله : «عظيما» . وقد بسطوا أكُفَّهم إلى الله ضارعين ، وفى رحمته طامعين ، ولعظمته خاضعين ، ومن هيبته خاشعين ، ولخليفته طائعين ، وفى الخيرات مسارعين ؛ يَدْعونه رَغَبا وَرهَبا مستنزلين لرحمته بالإخلاص والإنابه ، واقفين على قدم الرجاء بباب الذى أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابه ؛ ويسألونه خير ماقدّره وقضاه ، والسلوك على ما فيه رضاه .

اللّهم بابَك قصَدْنا ، وقبولَك أردنا ، وعلى فضلك اعتمدنا ، وإلى عِزّتك استندنا ، وفى مَرْضاتك اجتهدنا ، وبهدايتك استرشدنا ؛ فلا تَكِلْنا إلى أنفسنا طَرْفة عين ، وأصلح لنا شأننا كلّه ؛ اللهم إنّا بك مستنصرون ، وبعزّتك مستظهرون ، ولغناك مفتقرون ، ومن تقصيرنا مستعيذون ، ومن ذنوبنا مستغفرون ، ولشامل [2] [١٠٢] عَفْوك منتظرون ، وفى خفيّ ألطافك مستبصرون ، ولعظيم انتقامك مستحضرون ، ولعميم صَفْحك مستشعرون ؛ فآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم انصر من بايعناه سلطانا ، ومهّد به بلاداً وأوطانا ، وأرغِم بتوخّيه للحق طاغيةً وشيطانا ، وآتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رَشَداً . اللهم اعْمُر بالمسَرّة ناديه ، وكافِ [3] عنّا أياديه ، واكبِت اللهم أعاديه ؛ وكن لنا وليّا ونصيرا ، فأنت نعم المولى ونعم النصير . وصلّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد النبى الأمى ، القرشى الهاشمى ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، فأنت اللطيف وأنت الخبير » .

(١) زيادة عن ت .
(٢) فى ت : « لشمول » .
(٣) الأصل : كافئ . سهل الهمزة ، ثم عامل الفعل معاملة الناقص .

انتهى ما أردت نقله من جنة الرِّضَا للرئيس أبي يحيى بن عاصم رحمة الله عليه .

شيء من كلا
ابن عاصم عن
ابن فتوح

ورأيت بخط الوادى آشي ناقلا من كتابه المسمى «بالروض الأريض» مانصه :

ابن فتوح إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي ، يكنى أبا إسحاق ، العالم المتفنّن ، صاحبنا ، محقِّقٌ نَظَّار ، وأستاذٌ فوائدُ تدريسِه لُجَيْن ونُضار ؛ كلا بل جواهر ويواقيت ، ومَناسك هُدًى لها من السعادة مواقيت ؛ فحسب الطالب الموثوق بفهمه ، المصروف للتحصيل مطالع مواقع سهمه [1] ، أن يلازم حَلْقة تعليمه ، وأن يشُدَّ يد الضِّنة بما يلقى من محصول تفهيمه ؛ فإكسير الإفادة ، إنما حصّله الوافدون ، من جابر [2] صنعته ؛ وكيمياء السعادة ، إنما يلقاها [3] الظافرون فى نَضْرة روضه المُخْضَلّ ونَبْعته ؛ وقرض الشعر مما يمكن دخوله تحت فرعه ، ويندرج تحت قُدْرة تصرفه بجنسه ونوعه ؛ إلا أنه لِمَا يَصْدُرُ منه عن قريحته كاتم ، وسالك من البخل به على طرف النقيض مما سلكه حاتم .

فمما عَلِق بحفظى منه خُطبةُ أرجوزةٍ صنَّفها فى النجوم :

[١٠٣]

سبحان رافع السماء سَقْفا ناصبها دلالةً لا تخفَى
مُبدعها فلا ترى فُروجا مُودعها الأفلاكَ والبروجا

انتهى . وإنما ذكرته لتعلم اصطلاحه فى كتاب الروض الأريض . وقد نقلت كلاماً آخر منه فيما سبق فراجعه ؛ ولو تتبعتُ ما حصل لدىَّ من نظمه ونثره لطال الكتاب جدا .

---

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ط . وفى ت : « المصروف للتحصيل مطامع...الخ » . وكلتاهما غامضة .

(٢) يورى باسم جابر بن حيان الصوفى من كبار الكيميائيين وتلميذ خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

(٣) فى ط : « يتلقفها » .

نشور سلطانى ولى ابن عاصم القضاء

وقد وقفت بتلمسان المحروسة(١) على ظهير منشور سلطانى أصدر للرئيس أبى يحيى بن عاصم المذكور، بتقديمه للنظر فى أمور القضاء وغيره، ونصه :

هذا ظهير كريم إليه أُنهيت(٢) الظهائر، شرفاً عليّا؛ وبه تقررت المآثر، برهاناً جليّا؛ وراقت المفاخر، قلائدَ وحُليّا؛ وتميّزت الأكابر، الذين افتخرت بهم الأقلام والمحابر، اختصاصاً مولوليّا(٣). فهو وإن تكاثرت المرسومات وتعددت، وتوالت المنشورات وتجددت، أكبرُ مرسوم تَمّم فى الاعتقاد نظراً خطيرا، وأحكم فى التفويض أمراً كبيرا، وأبرم فى الأُستخلاص(٤) عزماً أبيّا؛ اعتمد بمسطوره العزيز، واختص بمنشوره الذى تلقاه اليمن بالتعزيز، مَنْ لم يزل بالتعظيم حقيقا، وبالإكبار خَليقا، وبالإجلال حريّا؛ فهو شهير لم يزل فى الشهرة سابقا، هادٍ لم يزل بالهدى ناطقا، بليغ لم يزل بالبلاغة دريّا؛ عظيم لم يزل فى النفوس معظّما، عَلَم(٥) لم يزل فى الأعلام مقدما، كريم لم يزل فى الكرام سنيّا؛ اشتملت منه محافل الملك على [العِقد](٦) الثمين، وحلّت به المشورة فى الكَنَف المحوط والحَرَم الأمين، فكان فى مِشكاة الأمور هاديا، وفى ميدان المآثر(٧) جَرِيّا؛ فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص، وإلى مرتبته تنتهى مراتب الاختصاص؛ فيمن حاز فضْلا، وزيّن فعْلا(٨)، وشرّف نديّا؛ واستكمل هِمما، واستعمل قلما، واستخدم مَشْرفيّا؛ فلله! ما أعلى قدرَ هذا الشرف، الجامع بين المُتْلَد والمُطْرَف، السابق فى الفضل أمداً قصيّا؛ الحالّ من [١٠٤]

(١) الكلام من ابتداء هذه الكلمة إلى آخر نص الظهير ساقط من ت .
(٢) فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٤٨٩ طبعة الأزهرية) : « انتهت » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « قوليا » .
(٤) فى نفح الطيب : « الاختصاص » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « عالم » .
(٦) زيادة عن نفح الطيب .
(٧) فى نفح الطيب : « المراشد » .
(٨) فى نفح الطيب : « حاز خصلا ، وزين حفلا » .

الاصطفاء مظهرا ، الفارع من العَلاء مِنبرا ، الصاعد من العزّ كرسيّا ؛ حاز الفضل إرثاً وتعصيبا ، واستوفى الـكمال حظا ونصيبا ؛ ثناء أَرَجُه كالروض لو لم يكن الروض ذابلا ، وهدياً نوره كالبدر لو لم يكن البـدر آفلا ، ومجداً علوه كالسُّها لو لم يكن السُّها خفيا ؛ فما أشرفَ الملك الذى اصطفاه ، وكمّل له حق التقريب ووفّاه ، وأحلّه قرارة التمـكين ، ومَنَّ باختصاصه بالمكان المـكين ، فسبق فى ميدان التفويض وسَما ، ورأى من الأنظار الحميدة ما رأى ، صادعاً بالحق إماماً عَلَما ، موضحاً من الدين نَهْجاً أَمَمًا ، هادياً من الواجب صراطاً سويّا ؛ بانياً للمجد صرحاً مُشيَّدا ، مشهِراً للعدل قولا مؤيَّدا ، مُبرماً للخير سبباً قويّا ؛ فالله تعالى يصل لمقام هذا[1] الملك الذى أطلع فى سمائه بدراً دونه البدور ، وصدراً تلوذ به الصدور ، سعداً لا تماطله[2] الأيام فى تقاضيه ، ونصراً يَمْضى به نَصْل الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مَبْنيّا ؛ ويُوالى له عزّا يذود عن حرم الدين ، ويَمنحه تأييداً يُصبح فى أعناق الـكفر حديث سـيفه قَطْعيّا ؛ أمر به مرسوماً عزيزاً لا تبلغ المرسومات إلى مداه ، ولا تُبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ، عبدُ الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله ، ابن الأمير المقدس فلان أيّدالله تعالى مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسّر مَرامه ؛ لإمام الأئمة ، وعلم الأعلام ، وعماد ذوى العقول والأحلام ، وبَرَكة حملة السيوف والأقلام ، وقُدوة رجال الدين وعلماء الإسلام ؛ الشيخ الفقيـه أبى يحيى ابن كبير العلماء ، شهير العظماء ؛ حجة الأكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ؛ قاضى القضاة وإمامهم ، أوحد الجِلّة وطَوْد شَمامهم ، الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم ، أبقاه الله تعالى ؛ ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ، ومواهب الملك به معهودة الإحسان ،

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « يصل لهذا » .
(٢) فى نفح الطيب : « لا تملله » .

وقلائد الأيادى منه مُقلَّدة (١) بجيد كل إنسان ؛ قد تقرر والمفاخر لا تنسب إلا لبنيها ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيّد أركانها ويبنيها : والكمال لا يصفّى شِربه ، إلا لمن يُؤَمّن سِرْبه ؛ وإن هذا العلَم الكبير . الذى لا يفى بوصفه التعبير ؛ علَم بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ؛ وبإشارته يُستشهد ، وبإرادته يسترشد ؛ إذ لا أمَد علوّ إلا وقد تخطاه ، ولا مَرْكب فضل إلا وقد تمطّاه ؛ ولا شارقة هَدْى إلا وقد جَلّاها ، ولا لَبّة نحر إلا وقد حَلّاها ؛ ولا نعمة إلا وقد أسداها ، ولا سُومة (٢) إلا وقد أبداها ؛ لما له فى دار الملك من الخصوصية العظمى ، والمكانة التى تسوغ النعمى ؛ والرتب التى تسمو العيون إلى مرتقاها ، وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ؛ حيث سر الملك مكتوم ، وقِرطاسه مختوم ، وأمره محتوم ؛ والأقلام قد رَوّضت الطروسَ وهى ذاويه ، وقسّمت الأرزاق وهى طاويه ؛ شُقت ألسنتها فنطقت ، وقُطّت أرجلها فسبقت ؛ ويبست فأثمرت إنعاما ، ونُكّست فأظهرت قواما ؛ وخَطّت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومُشقت فدَفَقت (٣) ، وأبْرَمت فأنعمت ؛ فكم يسَّرت الجبر ، وعقرت الهزبر ؛ وشَنّفت المسامع ، وكيّفت المطامع ؛ وأقلّت فيما ارتفع من المواضع ، وأحلّت لما امتنع من المراضع ؛ فهى تنجز النعم ، وتحجُز النقم ؛ وتبث المذاهب ، وتحث المواهب ؛ وتروض المُرّاد ، وتُنْهض المُوادّ (٤) ؛ وتحرس الأكناف ، وتغرس الأشراف ؛ مُصيخة لنداء هذا العماد الأعلى ، طامحة لمكانه الذى سما واستعلى ؛ فيما يملى عليها من البيان ، الذى يقر له بالتفضيل ، الملك الضِّليل (٥) ؛ ويشهد له بالإحسان ، [١٠٥]

(١) فى نفح الطيب : « متقلدة » .

(٢) كذا فى نفح الطيب . والسومة (فى الأصل) : العلامة . وفى الأصلين : « حرفة » .

(٣) فى نفح الطيب : « فرفقت » .

(٤) فى ط ونفح الطيب : « المراد » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٥) الملك الضليل : لقب امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر المعروف .

لسان حسّان ؛ ويحكم له ببَرْى القوس ، حبيب بن أَوْس ؛ ويهيم بما مِنَ الأساليب عنده ، شاعر كنده[١] ؛ ويستمطر سحبه الثرّه ، فصيح المعره[٢] ؛ إلى منثور تزيل الفَقْر فِقَره ، وتَدِرّ الرِّزق دِرَرُه ؛ لو انْتهى إلى قُسّ إياد لشكر فى الصنيعة أياديَه ، واستمطر سُحبه وغواديَه ؛ أو بلغ إلى سَحْبان لسَحَره ، وما فارقه عشيّته ولا سَحَرَه ؛ ولو رآه الصابى لأبدَى إليه من صَبْوته ما أبدى ؛ أو سمعه ابنُ عَبّاد ، لكان له عبدا ؛ أو بلغ بديعَ الزمان لهجر بدائعه ، واستنزر بضائعه ؛ أو أُتحِف به البُسْتِيّ لاتخذه بستاناً ، أو عُرِض على عبد الحميد لأحمد من صَوْبه هَتّانا ؛ فأعظِمْ به من عالٍ لا تُرْقَى ثنيَّته ، ولا تُحاز مزيّته ؛ ولا يُرْجَم أفقه ، ولا يُكْتَم حقّه ؛ ولا يَنام له عن[٣] اكتساب الحمد ناظر ، ولا ينقاس به فى الفضل مناظر ؛ وهل تقاس الأجادل بالبُغاث ، أو الحقائق بالأضْغاث ؛ ألا وإنَّ بيْته هو البيت الذى طلع فى أفقه كلُّ كوكب وقّاد ، ممّن رَسَخ[٤] به للعلوم اتقاء واتقاد ، وتراءى[٥] به للمدارك ذكاء وانتقاد ؛ فأعظِمْ بهم أعلاما وصدورا ، وأهلّة وبدورا ؛ خلّدت ذكرَهم الدواوين المسطَّره ، وسرت فى محامدهم الأنفاسُ المعطره ، إلى أن نشأ فى سمائهم هذا الأوْحد ، الذى شُهرة فضله لا تُجْحد ؛ فكان قمرَهم الأزهر ، ونيِّرَهم الأظهر ؛ ووسيطةَ عِقْدهم الأنفس ، ونتيجةَ مَجْدهم الأقعس ؛ فأبعد فى المناقب آمادَه ، ورفع الفخر وأقام عِماده ؛ وبنى[٦] على تلك الآساس المَشيده ، وجرى لإدراك تلك الغايات البعيده ؛ فسبق وجَلّى ، وشنّف بذكره المسامع وحَلّى ؛ ورفع [١٠٦]

(١) شاعر كنده : أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي لأنه ولد بمحلة كندة بالكوفة .
(٢) فصيح المعرة : أبو العلاء المعرى .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « على » .
(٤) فى نفح الطيب : « وشج » .
(٥) فى نفح الطيب : « وترامى » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وبناه » .

المشكل ببيانه ، وحرّر الملتبس ببرهانه ؛ إلى أن أحلّه قضاءُ الجماعة ذروةَ أفقه الأصعد ، وبوأه عزيز ذلك المقعد ؛ فشرّف الخُطّه ، وأخذ على الأيدى المشتطه ؛ لا يراقب إلا ربه ، ولا يضمر إلا العدل وحبه ؛ والمجلس السلطانى أعلاه[1] الله تعالى يختصّه بنفسه ، ويفرغ عليه من حُلل الاصطفاء ولِبْسه ؛ ويستمطر فوائده ، ويجرى[2] بأنظاره حقوق الملك وعوائده ؛ فكان بين يديه حكما مُقْسِطا ، ومقسّما لحظوظ الإنعام مقسِّطا ، إلى أن خصّه بالكتابة المَوْلَوِيّه ، ورأى له فى ذلك حق الأَوْلَوِيّه ؛ إذ كان والدُه المقدّس نَعّم الله ثَراه ، ومنحه السعادة فى أُخراه ؛ مُشرِّف ذلك الديوان ، ومُعْلِى ذلك الإيوان ؛ يُحبِّر رقاع[3] المُلْك فتروق ، وتلوح كالشمس عند الشروق ؛ فحلّ ابنُه هذا الكبيرُ شرفا ، الشهير سلفا ؛ مرتبته التى سَمَت ، وافترّت به عن السعد وابتسمت ؛ فسَحبت به للشرف مَطارف ، [١٠٧] وأحرزت به من الفخر التالد والطارف ؛ فهو اليوم فى وجهها غُرّه ، وفى عَيْنها قُرّه ؛ ولله هو فى مُلاحظة الحقائق ورَعْيها ، وسَمْع الحُجج ووَعْيها ؛ فلقد فضل بذلك أهلَ الاختصاص ، وسَبقهم فى تَبْيين ما يُشكل منه وما يَعتاص ؛ إذ المشكلة معه جليّةُ الأغراض ، والآراء لديه آمنة من مآخذ الاعتراض ؛ فكم رُتبة عمَرها بذويها ، فأكسبها تشريفاً وتَنْويها[4] ؛ وعلى ذلك فأعلام قُضاة الوطن ، ومن عَبَر منهم وقَطن ؛ مع أقدارهم الساميه ، ومعاليهم التى هى للزُّهر مُساميه ؛ إنما رقّتهم[5] وساطتُه التى أحسَنت ، وزيّنت بهم المجالسَ وحَسّنت ؛ فبه أَمْضَوْا

(١) فى نفح الطيب : « أسماه » .
(٢) فى نفح الطيب : « يجرب » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وقائع » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « تنزيها » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « راقتهم » .

أحكامَهُم ، وأعملوا فى الأباطيل احتكامهم ؛ وكتبوا الرسوم ، وكَبتوا الخصوم ؛ وحلّوا دَسْت القضاء ، وسلّوا سيف المَضاء ؛ وفى زمانه تخرّجوا ، وفى بُستانه تأرّجوا ؛ ومن خُلُقه اكتسبوا ، وإلى طُرقه انتسبوا ؛ وعلى مَوارده حامُوا ، وحول فرائده[1] قَاموا ؛ وبتَعْريفه عُرِفوا ، وبتَشْريفه شَرُفوا[2] ؛ وبصِفَاته كَلِفوا ، وبعِرْفانه وقَفوا ؛ فأمِنوا مع انسكاب سُحُب إفادته من الجَدْب ، وقاموا بذلك الغرض بسبب ذلك النَّدْب ؛ وهل العلماء وإن عمّت فوائدهم ، وانتظمت بجياد الأذهان فرائدهم ؛ إلا من أنواره مُستمِدّون ، وإلى الاستفادة من أنظاره ممتدّون ، وببركاته معتدّون ، وبأسبابه مشتدّون ؛ فبه اجتُنِيت من أفنان المنابر ثمراتُهم ، وتأرّجت فى روضات المعارف زَهَراتهم ؛ وبه عَمَرُوا الحِلَق ، وَائتلق من أنوارهم ما ائتلق ؛ إذ كلٌّ من اصطناعه محسوب ، وإلى بركته منسوب ؛ فهو بَدْرهم الأهدى ، وغَيْثهم الأجدى ؛ وعِقْدهم المُقتنى ، ورَوْضهم المُجتنى ؛ وبدر منازلهم ، وصَدْر محافلهم ؛ وعلى ما أعلى المقام الْمَولوىّ من مكانه ، وقضى به من استمكانه ؛ واعتمد من إبرامه ، وأَبْرم من اعتماده ، ومهّد من إكرامه ، وأكْرم من مهاده ؛ واختصّ من عُلاه ، وأعلى من اختصاصه ، واستخلص من حُلاه ، وحَلّى من استخلاصه ؛ ووفّى من تكرّمه ، وكرّم من وَفائه ، واصطفى من مَجْده ، ومجّد [١٠٨] من اصطفائه ؛ وقدّم من براعته ، وحكّم من يراعته[3] ؛ وشقّق[4] من كتابته ، وأنطق من خطابته ؛ وسجّل من أنظاره ، وعدّل[5] من اختياره ؛ فذكا ذكْرُه ،

---

(١) فى نفح الطيب : « فوائده » .
(٢) فى ط : « ألفوا » .
(٣) فى ط : « بداعته » .
(٤) شقق ، يريد : افتن . مأخوذ من شقق الرجل الكلام ، وذلك إذا أخرجه أحسن مخرج .
(٥) فى ط : « عجل » .

وسطا سَطْرُه ؛ وأمعن مَعْناه ، وأغنى مَغْناه . أشار أيّده الله تعالى باستئناف خُصوصيَّته وتجديدها ، وإثبات مقاماته وتحديدها ؛ لتُعْرَفَ تلك الحدود فلا تُتَخطّى ، وتُكْبَرتلك المراتب فلا تُستعطَى؛ فأصدر له — شكر الله تعالى إصداره ، وعَمَر بالنصر دارَه — هذا المنشورَ الذى تأرّج بمحامده نشْرُه ، وتضمّن من مناقبه البديعَ فَرَاق طيّه ونَشره ؛ وغدًا وفرائدُ المآثر لديه مُوجدة مكوّنه ، وأصبح للمفاخر مالكا لما أتى به مُدَوّنه ؛ وخصّه فيه بالنظر المُطلق الشروط ، الملازم للتفويض ملازَمةَ الشرط للمشروط ؛ المستكمل الفروع والأصول ، المُستوفى الأجناس والفصول ؛ فى الأمور التى تختصّ بأعلام القُضاة الأكابر ، وكتّاب القضاة ذوى الأقلام والمحابر ، وشيوخ العلم وخطباء المنابر ، وسائر أرباب الأقلام القاطن منهم والغابر ؛ بالحضرة العليّه ، وجميع البلاد النصْريه ؛ تولّى الله جميعَ ذلك بمعهود سَتْره ، ووَصل له[١] ماتعوّد من شَفْع اللطف ووِتره ؛ يحوط مراتبَهم التى قُطفت من روضاتها ثمراتُ الحكم وجُنيت ، ويُراعى أمورهم التى أقيمت على القواعد[٢] وبُنيت ، وحقوقهم التى حُفظت لهم فى المجالس السلطانية ورُعيت ؛ ويُحلّ كل واحد منهم فى منزلته التى تليق ، ومَرتبته التى هو بها خليق ؛ على مُقْتَضَى ما يعلم من أدواتهم ، ويَخْبُر من تباين ذواتهم ؛ ويُرشّح كلَّ واحد إلى ما استحقّه ، ويُؤتى كل ذى حق حقّه ، اعتمادا على أغراضه التى عدَلت ، وصَدَحت على أفنانها من الأفواه طيورُ الشكر وهَدلت ؛ واستناداً فى ذلك إلى آرائه ، وتفويضاً له فى هـذا الشأن بين خُلَصاء الملك وظُهرائه ؛ وذلك لمُقتضَى ما كان عليه أعلامُ الرياسة الذين سبقوا ، وانتهضوا بهِمَمهم واستبقوا ؛ كالشيخ

(١) فى نفح الطيب : «لديه» .
(٢) فى نفح الطيب : « العوائد » .

الرئيس الصالح أبى الحسن بن الجيّاب ، والشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

[١٠٩] فليقم — أبقاه الله تعالى — بهذه الأعمال التى سَمَتْ واعتزّت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزت ؛ وسار بها الخبر حيث سرى [١] ، وصار بها الحقّ مَشْدودَ العُرَى : وعلى جميع القُضاة الأَصْفِياء ، والعُلماء الأَرْضِياء ، والخطباء الأولياء ، والمُقرئين الأذكياء ، وحَمَلة الأقلام الأَحْظِياء : أن يعتمدوا على هذا الولىّ العِمَاد فى كل ما يرجع إلى عوائدهم ، ويختصّ فى دار الملك من مَرتباتهم وفوائدهم : وما يتعلّق بولاياتهم [وأمنياتهم] [٢] ، ويليق بمقاصدهم ونيّاتهم [٣] ؛ فهو الذى يُسوّغهم المَشارب ، ويُبلّغهم المآرب ؛ ويستقبل العَلىّ بالعَلىّ ، والعاطل بالحُلِىّ ، والمُشْكِل بالجَلىّ ؛ والمَفْرِق بالتاج ، والمقدّمة بالإنتاج ؛ وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولايتهم [٤] وأبقاهم ، ولقّاهم من حفظ المراتب ما رقّاهم : فليجرُوا على ما هم بسبيله ، وليهتدوا برُشد [٥] هذا الاعتناء ودليله .

وكُتِب فى صفر عام سبعة وخمسين وثمان مئة » . انتهى .

وإنما كتبته برُمته لتعلم به مِصداقَ ما قدمناه من تمكّن ابن عاصم المذكور من مراتب الاصطفاء والاحتفاء [٦] .

تخميس لابن عاصم

ولنختم ترجمته ، رحمه الله ، بتخميس عجيب من نظمه :

سُبحانَ مَنْ أظهر الأنوارَ واحتجبَا وكُلّ حَمْـــد وتَمْجيد له وَجَبَا

(١) فى نفح الطيب : « ... الخبر حثيث السرى » .
(٢) زيادة عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وأقضياتهم » .
(٤) فى نفح الطيب : « ولاياتهم » .
(٥) فى نفح الطيب : « بمرشد » .
(٦) إلى هنا ينتهى الساقط من نسخة ت .

إذا ابتغى العقلُ فى إدراكه سَبَبَا جاء الحجابُ فألقى دونه الحُجُبَا
حتى إذا ما تَلَاشَى عنـدها ظَهَرا
سُبحان مَنْ كان والأكوانُ لم تكُنِ فى غير أينٍ ولا وَقْت ولا زَمَنِ[2]
حتى أتى الجودُ بالإيجاد والمِـنَنِ وكان ما[1] قد رَسَمْناه بما ومَنِ[3]
وأظهر الشمسَ ذاتَ النُّورِ والقمرَا
سُبحانَ من حَجَبَ الأبصارَ فاحتجبتْ وكم أراد مُرِيدٌ نَيْلَهـا فأبتْ
مَنْ حَدَّثته أمانيه فقـد كذَبتْ حَقيقة ذاتهـا عن ذاتها وَجَبَتْ
لا يُدْرِكُ العقلُ من أخبارها خَبَرَا
سُبحان مَنْ شأنه فى شأنه عجبُ يَخْفَى فيظهرُ أو يبـدو فيحتجبُ [١١٠]
يأيها العاكفون السادةُ النجُبُ هل فيكمُ مَنْ سعى سَعْيا كما يجبُ
فَفـاز بالغرض المَطْلوب أو ظفرَا
سُبحانَ مَنْ لم يزل بالعلم مُنْفردَا ومن تعالَى عن الأشـباه فاتَّحدَا
سبحانه وتعالى واحـداً صَمَدَا تبـارك الله لم يولد ولم يلدَا[4]
تَنزَّه اللهُ عمّـا يلْحَق البَشَرَا
سبحان من أخرج المَوْجودَ من عَدَمِ رَسْماً يرَى كَوْنَه فى غير مُرْتسمِ
فلا مَحَلَّ سِوى كُنْهٍ من الـكَلِمِ ولم يَزَلْ هو فى دَيْمومة القِـدمِ
مُؤثِّرا يخلُق التـأثيرَ والأثَرَا
سبحانَ من خلق الأشياء أجمعَهَا فمَـنْ رآها رأى أفعالَه معهَا

(١) الأبن : الإعياء .
(٢) فى ط : « من » .
(٣) بما ومن : يريد ماخلق الله مما لا يعقل ومن يعقل .
(٤) فى ط : « وما ولدا » .

وكان أتقنَها صُنْعا وأبْدعَها نفْسٌ إلى العالَم العُلْوِىّ رَفَّعها
وخصّها من معاليه بما بَهَرَا

سُبحان من عَمَّ بالإنعام ما خَلقَا وشفَّع العدلَ بالإحسان فاتّفقَا
وزاد بالذّكر فى قلب التّقِىّ تُقًى فاستكمل الدينَ والإيمان والخُلُقَا
وكان مدركُه الصديقَ أو عُمَرَا

سُبحان من سبَّحتْه كلُّ سابحةِ وكلُّ عائمة فى الماء سائحةِ
وكلُّ غادية تَغْدو ورائحةِ وسبَّحَتْه خَفايا كلُّ جانحةِ
لم تعرف السرّ حتى جاورت صُوَرَا

سبحان من حمدته أَلْسُن البَشرِ فى السرّ والجَهْر والآصال والبُكَرِ
وفى دُجًى تَشْدُو نصفَ الليل والسَّحَرِ بالشُّكر والذّكْر والآيات والسُّورِ
تُولِيه حَمْدا وتتلو بعده سُوَرَا

سُبحان من نزّهَتْه أَلْسُن عَرَفَتْ عَنْ كُلِّ مايُوهِمُ التَّشْبِيه إذ وَصَفَتْ
صَفا لها مَوْرِد التحقيق حين صَفَت فلم تُفَارقه حتى أَثْبتت ونفَتْ
ولم تَدَعْ شُبهةً تُؤْذِى ولا ضَرَرَا

سُبحان مَنْ شُكْره فى الدين مُفْتَرضُ وليس يُشْبهه جِسْم ولا عَرَضُ
يَنْهى ويأمُر ما فِى ذا وذا غَرَضُ فاذكُر لُنعْماهُ ذِكْراً ليس ينقرضُ
فمن تحدَّث بالنُّعْمى فقد شكَرَا

[١١١] سُبحان من خضع السَّبعُ الطِّباق لهُ وأَعْظمَتْه قلوبٌ حَشْوُها وَلَهُ
تريد أن تعلَم الأَبْقَى وتَعْقلهُ طُوبى لمن أمّل الأَبْقَى وأَمَّ لَهُ[١]
واستكثر الزاد لمّا آنس السَّفرا

(١) ورد هذا البيت محرفا هكذا فى ت :
تريد تعلم ما تق وتعمله طوبى لمن أمل الأتقا وأم له

سُبحان من زيّن الأفلاكَ بالشُّهُبِ وبَيَّن الدِّين بالآيات[١] والكُتبِ
ولم يَدَعْنا لدَى لَهْوٍ وفى لَعِبِ[٢] لكن نهانا وآتانا عَلِى الرّتب
حتى انتهينا وأذعنّا لِما أَمَرَا

سُبحان مَنْ جعل الأشياء تختلِفُ فتارةً تتنَــاءَى ثم تأتلفُ
هذا الظلام بنور[٣] الصُّبح يَنْصرفُ كما الضلالُ لنُورِ العلْمِ لا يَقِفُ
فسَلْه نُورًا يُنير السمعَ والبَصرَا

سُبحان مَنْ خلق الأخلاق والخِلَقا والشمسَ والبَدْرَ والظَّلْماء والغَسَقا
يَروقك الكُلُّ مجموعًا ومُفْتَرِقَا وانظرُ لنَفْسِك واسلُك نحوَه طُرُقَا
فأَسْعدُ النـاس مَنْ فى نفسه نَظَرا

سبحان مُنزِلِ ماء المُزْن فى المَطرِ يُرْوِى النباتَ ويَسْقِى يانِع الثَّمرِ
كأنمـا الزُّهْرُ تُهْدِيه إلى الزَّهَرِ إذا رأيتَ تلاقِيهـا على قَدَرِ
رأيتَ صُنع قَدِيرٍ أَحْكَمَ القَدَرَا

سُبحان مَنْ قَدّر الأقواتَ والأجَلاَ وتابعَ الوَحْى واستَتْلى به الرُّسُلاَ
فمن تَعدَّى حدودَ الفَوْق قيل غَلاَ ومن تَجوَّز مُنْحطًا فقد سَــفَلاَ
ومن تخطَّى خُطوط المُنْتهى كَفرَا

سُبحان مَنْ فجَّر الأنهـارَ فانفجرتْ وقدّر الخيرَ فى إجْرائهـا فَجَرتْ
فزينةُ الأرض بالأزْهار قد ظَهَرتْ وللبَصيرة عينٌ كُلَّمـا نظرتْ[٤]
رأتْ جمالا وإجمالا ومُعْتَبرَا

---

(١) فى ط : « فى الآيات » .
(٢) فى ت : « ولا لعب » .
(٣) فى ت : « بضوء » .
(٤) فى ت : « بصرت » .

سبحانَ من خَلَق الإنسان من عَلَقٍ   وأعْقَب الليـلةَ الليلاءَ بالغَسقِ
يابهجةَالشمس[1] دونى عُذْتُ[2] من فَلَقٍ   ويا سناَ البَدْر عارضْ حُمْرة الشَّفَقِ
حتى تُعِيد لنا من لَيْلِنا سَحَرَا

سُبحان من علَّم الإنسانَ بالقَـلمِ   وسـلَّط الهمَّ والبَلْوى على الهِمَمِ
فقاوَمَتْها جُنودُ الصَّبْر والكَرَمِ   ثُم ابتلى قلبَ غيرِ العارف الفَهِمِ
فما أطاق ولا أوفى ولا صَـبرَا

[١١٢] سبحان مَنْ خلق الإنسان من عَجَلٍ   فليس يَمْشى إلى شىء على مَهَلِ
ولا يقول سِوى هـذا وذلك لِى   مُقَسَّم الحال بين الحِرْص والحِيَلِ
فليس تَلْقاه إلا ضارعاً حَذِرَا

سبحان مَنْ زانه بالعِلْم والأدبِ   وبالفضائل والإيمان والطَّلَب
فلا يَزال حَليفَ الفِكْرِ والتَّعبِ   رامَ الكَمال فلم يَبْلُغ ولم يَخِب
ولم يَرِد بعدُ فى رِىٍّ ولا صَدَرَا

سبحان مَنْ شانَهُ بالكِبْر والأشَرِ   يُمْسى ويُصبح فى غَىٍّ وفى بَطَرِ
مُرَدَّد العَزْم بين الجُبْن والخَوَرِ   لا يَسْتفيق من الشَّكْوى إلى البَشَرِ
ولا يُزَحْزَح عن ظُلْم إذا قَدَرَا

سبحان مُحْرِقه فى وَقْدة الحسَدِ   فلا يزال أخا غَيْظ وفى نَـكَدِ
كالبحر يَرْمى إلى العينين بالزَّبَدِ   إذا رأى أثرَ النُّعْمى على أَحدِ
يَوَدّ لو كان أعمى لا يَرى ضَجَرَا

---

(١) فى ت : « النفس » .

(٢) فى ت : « عدت » بالدال المهملة .

سُبحان من أَمر الأرواح فأتمرتْ ثم استُديمت فلم تَنهض بما أُمرتْ
وكلُّ نَفْس إذا سامحتَها فجرتْ فلا تَصِلْها إذا خانتْك أو غَدرتْ
واقطعْ علائقَ مَنْ قد خان أو غَدَرَا

سبحان من بَسط التعليمَ ثم طوَى فأعْقب القلبَ وَجْدًا دائما وهوَى
وذابَ(١) فى مُلْتظى أشواقه وذَوَى وكان أَزْمع واستوفَى المُنى ونوَى
حَجًّا فلما أتى ميقاتَه حُصِرَا

سبحان مَنْ فى بِساط العَدْل أجلسناَ وباغتفار عَظِيم الذَّنْب آنسناَ
وزان بالعِلْم والإيمانِ أنفُسَناَ فكان أعظَمنا قدراً وأنفَسَناَ
من انتهى أو نُهِى أو خاف فازدَجرَا

سُبحان من خَصَّ بالإيمان أنفُسَناَ وخافَه من عذاب النار أَنْفَسُناَ
لولاه لم نعرف المعروف(٢) والحَسناَ ولا استَفَدنا لساناً ناطقاً لَسِناَ
ولا دَرَيْنا : أباحَ الشرعُ أو حَظرَا

سبحان مَنْ جعل الإيمان بالقَدَرِ والحشْرَ والنَّشْرَ مَنْجاةً من الضَّرَرِ
فلا خُلود مع الإيمان فى سَقَرِ ولا وُصول إلى أمْن بلا حَذَرِ
حتى تكونَ لأمْر الله مؤتمِرَا

[١١٣] سبحان من إن يشأ أعطاك أو مَنعاَ ومَنْ إذا شاء أمراً حادِثاً وَقعاَ
وتارةً يَخْفِض الأمرَ الذى رفَعاَ يوما يفرّق للإنسان ما جَمعاَ
ولا يُبالى بمن أثرى ومَنْ خَسِرَا

سبحان من هو يومَ الفصل يجْمعُناَ وللنَّعيم بِفَضْل منه يرْفعُناَ

---

(١) فى ط : « وزاد » .

(٢) فى ت : « المسنون » .

مِن بعـــد رُؤْية أهْوال تُرَوّعنا   يُرَى لهــا وَالهاً هَيْمانَ أورعُنَا
حَيرانَ عُرْيان يُبْدِى كلّ ما سُتِرَا

سُبحان مَنْ شاء فى الدنيا سعادتَنَا   بطاعةٍ أحسنت منّا إرادتَنَا
ويَبْتلينا ويَسْـــتحلِى عِبادتَنَا   حتى إذا شاء فى الأُخْرى إعادتَنَا
أعادنا مثـــلَ ما كنّا كما ذكَرَا

سبحان من يَحْشُر الإنسان مُكْتَئِباَ   خوفَ الجَزاء ويَجْزيه بما كَسَبَا
ويحكم الحُكْمَ يُمضيه كما وَجبَا   فالقاسِطون إلى نِيرانه عُصَبَا[1]
والمُقْسِطون إلى جنّـاته زُمَرَا

سُبْحان من فضَّل الإسلامَ فى الأُمَمِ   بالطَّيِّب الطاهر المَبْعوث فى الحَرَمِ
مُحمَّـدٍ خيرِ مَنْ يَمْشى على قَدَمِ   إذا عدَدْتَ بيوتَ المجد والكرمِ
فمنــه حتى إلى عَدْنانَ أو مُضَرَا

سُبحان مَنْ خَتم الأديانَ فى الأَزَلِ   بالمِلّة السَّمْحة البَيْضاء فى المِلَلِ
أَتَى بهـــا خيرُ مأمور ومُمْتثِلِ   محمـــدٌ خاتَمُ السادات والرُّسلِ
وخيرُ من حجّ بيتَ الله واعتمرَا

إذا وَصَـــفْنَا فبالتقصير نَعْترفُ   فكلُّ لفظٍ بليغ دونَه يَقِفُ
هو النبىّ الذى فى ذكره شَرَفُ   فإن طلبتَ رضاهُ بالذى تَصِفُ
فكُنْ على وَصْفه فى الذِّكْر مقتصرَا

صَـــلَّى الإلهُ عليه ما بدا قمـــرُ   وما سَرَت فى الدياجى أنجمٌ زُهُرُ
وما تباينَتِ الأشكالُ والصُّورُ   وما تُدُورِسَتِ الآيات والسُّوَرُ
وما قضى مُؤْمن من حاجة وطَرَا

---

(١) فى ت : « حطبا » .

وبالجملة فابنُ عاصم أبو يحيى كان يسمّيه أهْلُ زمانه ابنَ الخطيب الثانى ، حَسْبما قاله الوادى آشى وغيرُه .

تعريف بابن الخطيب

ولا بد أن نلِمَّ بنبذة من أخبار ابن الخطيب [السَّلْمانى الوزير] (١) : إذ هو [١١٤] لسان الدين ، ونخر الإسلام بالأندلس فى عصره ، فنقول : هو محمد بن عبد الله ابن سعيد [بن عبد الله بن سَعيد] (١) بن على بن أحمد السَّلْمانى ، قُرْطبى الأصل ، ثم لَوْشِيَّه (٢) ، يُكْنى أبا عبد الله ، ويلقّب من الألقاب المشرِّفة بلسان الدين ، الوزير الشهير ، الطائر الصيت ، المَثل المَضْروب فى الكتابة والشعر والمعرفة بالعلوم على اختلاف أنواعها ، رحمه الله .

أوليته ونسبه

أوليته :

قال ابن الأحمر (٣) فى نثير فرائد الجُمان فى حقه ما نصه : « ذو الوزارتين الفقيه الكاتب ، أبو عبد الله محمد ، ابن الرئيس الفقيه الكاتب المُفْتى (٤) ببلدة لَوْشة ، عبد الله ، ابن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح ولى الله الخطيب سَعِيدٍ السَّلْمانى اللَّوْشِىّ ، المعروف بابن الخطيب » . انتهى .

وقال غيره : إن بيتَهم يُعْرَف فى القديم ببنى الوزير (٥) ، ثم فى الحديث

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٢) لوشيه : نسبة إلى لوشة (بفتح فسكون) : مدينة بالأندلس غربى ألبيرة قبل قرطبة ، منحرفة يسيرا ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، وبينها وبين غرناطة عشرة فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٣) ابن الأحمر : هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد ابن الأحمر .

(٤) كذا فى ط . وفى ت : « المعتزى » . يريد المنتسب إلى بلدة لوشة . إلا أن هذا الفعل يتعدى بإلى . وفى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « المنتزى » .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « وزير » . وفى ت : « وزيد » .

بنى الخطيب . وسعيدٌ جدُّه الأعلى أول من تلقَّب بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ، وكذلك سعيد جده الأقرب كان على خلال حميدة ، من خطٍّ ، وتلاوة ، وفقه ، وحساب ، وأدب ، خيِّرا ، صَـــدْرا ، تُوُفِّى عام ثلاثة وثمانين وست مِئَة ؛ وأبوه عبدُ الله كان من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ عَلَى أبى الحسن البَلُّوطى ، وأبى جعفر بن الوزير[١] ، وغيرهما[٢] ، وأجازه طائفة من أهل المشرق ، وتُوُفِّى بطريف عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيداً يومِ الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام مفقودا[٣] ثابت الجأش ، شكر الله فعلَه .

قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة : أنشدتُ والدى أبياتاً من شعرى ، فسُرَّ وتهلَّل ، وارتجل رحمه الله تعالى :

الطبُّ والشِّعْر والكِتَابهْ سِماتُنا فى بَنِى النَّجابهْ
هى[٤] ثلاثٌ مُبَلِّغـــات مراتباً بعضُهـــا الحِجَابه [١١٥]

انتهى .

نشأته وشيوخه

نشأته :

ونشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سنَن أسلافه ، فقرأ القرآن على المكَتِّب ، الأستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد الولى العَوّاد ، تَكَتُّبا ، ثم حفظا ، ثم تجويدا ؛ ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبى الحسن القِيجاطى ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ؛ وقرأ على الخطيب أبى القاسم بن جُزَىّ ؛

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « زبير » .
(٢) كذا فى ت ونفح الطيب . والذى فى ط : « وقرأ على أبى الحسن البلوطى ، وأبى إسحاق بن زروال ، « وغيرهما » .
(٣) كذا فى الأصلين ونفح الطيب .
(٤) فى نفح الطيب : « هن » .

ولازم قراءة العربية والفقهِ والتفسير على الشيخ الإمام أبى عبد الله بن الفَخَّار الْبِيرى ، شيخ النحويين لعهده ؛ وقرأ على قاضى الجماعة أبى عبد الله بن بكر ؛ وتأدب بالرئيس أبى الحسن بن الجَيَّاب ؛ وروى عن كثير من الأعيان ، كالمحدِّث شمس الدين بن جابر ، وأخيه أبى جعفر ، والقاضى أبى البركات بن الحاجّ ، والشيخ أبى محمد بن سَلْمون ، وأخيه أبى القاسم بن سَلْمون ، وأبى عمرو بن الأستاذ أبى جعفر بن الزُّبَير ، وله رواية عالية ، والأستاذ اللغوى أبى عبد الله بن بيبش[(١)] ؛ والمحدّث الكاتب أبى الحسن التِّلِمْسانى المُسِنّ ، والقائد الكاتب أبى بكر بن ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم ، والقاضى المحدّث أبى بكر ابن شيرين[(٢)] ، والشيخ أبى عبدالله ابن الفقيه القاضى أبى عبدالله بن عبد الملك ، والخطيب أبى جعفر الطّنجالى ، والقاضى أبى بكر بن مَنْظور ، والراوية أبى عبد الله بن حزب الله ، وعن أشهر أسلافنا المتأخّرين القاضى أبى عبد الله محمد المقَّرِى القُرَشى ، التِّلِمْسانى المولد والمنشأ والمقبر ، قاضى الجماعة بفاس ، وعن [١١٦] الشريف أبى على حسن بن يوسف ، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبى عبد الله ابن مرزوق ، وعن المحدّث الفاضل الحسيب أبى العبّاس بن يَرْبوع السَّبتى ، والرئيس الكاتب أبى محمد بن عبد المُهيمن الحَضْرمى السَّبتى ، والشيخ المقرئ أبى محمد بن أيوبَ المالَقى ، آخر الرواة عن[(٣)] ابن أبى الأحوص ، وعن أبى عثمان ابن ليون من أهل المريّة ، وعن القاضى أبى الحجّاج المُنْتشافرى[(٤)] ، من أهل رُنْدة ، إلى غيرهم ممن يطول ذكره من أهل الأندلس ، والعُدْوة الغربية ،

---

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بيس » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بشرين » .
(٣) فى ت : « على » .
(٤) كذا فى نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٩٥ طبعة بلاق) . وفى ط : «المشتافرى» . وفى ت : « المنشافرى » .

والمشرِق و إفريقية بالإجازة ؛ وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبى زكريا يحيى بن هُذَيل ، ولازمه .

مؤلفاته

تآليفه :

قال ابن الأحمر رحمه الله : « [لابن الخطيب[١]] الأوضاع المصنفات ، التى آذانُ إحسانها هى المُقَرَّطات المشَنَّفات ، منها فى التصوف الذى أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوّف : روضة التعريف بالحب الشريف » . انتهى .

ثم سرد غيرها من كتبه ، ومنها : الإحاطة ، فى تاريخ غرناطة ، فى خمسة عشر سِفْرا ؛ واللَّمحة البدرية فى الدولة النَّصْرية ؛ والحُلَل المَرْقُومة ؛ ومُثْلى الطريقة ، فى ذم الوثيقة ؛ والسحر والشعر[٢] ؛ وريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب ، فى أسفار ؛ والصَّيِّب والجهام ، والماضى والكهام ، فى مجموع شعره ؛ ومِعْيار الاختيار[٣] ؛ ومفاضلَة مالَقة وسلا ؛ ورسالة الطاعون ؛ والمسائل الطبية ، فى سِفْر ؛ والرَّجَز فى عمل التِّرياق ؛ واليُوسُفِى فى الطب ، فى سفرين ؛ والتاجُ المحلَّى فى مساجلة القِدْح المُعَلَّى ؛ والكتيبة الكامنة ، فى أدباء[٤] المئة الثامنة ؛ ونُفاضة الجِراب ، فى أربعة أسفار ، وهى من أحسن تآليفه ، ولم أزل أكثر البحث فى هذا التاريخ عنها ، فلم أقف منها على عين ولا أثر ، إلا عدة أوراق متفرقة ، وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها . والبَيْزرة ، فى سِفْر ؛ والبَيْطرة ، فى سفر جامع ، لما يرجع إليه من محاسن الخيل وغيره ؛ ورِسالة تكَوُّن الجنين ؛ والوُصول لحفظ الصحة فى الفصول ؛ ورجز الطب ؛ ورجز الأغذية ؛ ورجز السياسة ؛

(١) زيادة عن نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٢) .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٤) . وفى ت : « والشحر » .
(٣) فى نفح الطيب : « الأخبار » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « فى شعراء » . وفى ط : « فى آداب » .

وكتاب الوزارة ؛ ومقامة السياسة ؛ والغيرة على أهل الحَيْرة ؛ وحمل الجمهور على [١١٧]
السَّنَن المشهور ؛ والزُّبدة الممخوضة ؛ والرد على أهل الإباحة ؛ وسد الذريعة ؛
فى تفضيل الشريعة ؛ وخَطْرة الطيف ؛ ورحلة الشتاء والصيف ؛ وطُرْفة العصر
فى دولة بنى نصْر ، فى ثلاثة أسفار ؛ وتقرير الشّبه ؛ وتحرير الشُّبه ؛ واستنزال
اللطف الموجود فى سر الوجود ؛ و بستان الدول ، وهو غريب فى معناه ، فى فنون
السياسة ، فى ثلاثين جزءاً ، ولم يكمل ؛ وأبيات الأبيات ، فيما اختاره رحمه الله
من مطالع ما له من الشعر ؛ ورَقْم الحُلَل فى نظم الدول ، فى غاية من الحلاوة
والعذوبة والجزالة ؛ وفُتات الخِوان ، ولَقط الصوان ، فى سفر يتضمن المقطوعات ؛
وعائد[(١)] الصِّلة ، فى سفرين ، وصل به صلة الأستاذ أبى جعفر بن الزُّبير ؛ وتخليص[(٢)]
الذهب فى اختيار عيون الكُتب الأدبيات ؛ وجيش التوشيح ؛ ورجز فى أصول
الفقه ، شرحه ولىّ الدين بن خَلدون ، صاحب التاريخ المشهور ؛ والإكليل
الزاهر[(٣)] ؛ وكُناسة الدُّكان بعد انتقال السُّكان ؛ وعمل مَنْ طب لمن حَبّ ؛
والدرر[(٤)] الفاخره ، واللُّجَج الزاخره ، جمع فيه نظم بن صفوان ؛ والمباخر الطِّيبيه
فى المفاخر الخطيبيه ؛ وخلع الرَّسَن فى أمر القاضى ابن الحسن ؛ وأعمال الأعلام ،
فيمن[(٥)] بويع من ملوك الإسلام ، قبل الاحتلام[(٦)] . وألَّف أيضاً فى الموسيقى ،
ومصنفاته زادت على الخمسين ، وقد ذكرنا نحو الخمسين[(٧)] .

---

(١) فى ط : « غاية » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « تلخيص الذهب ... الخ » .
(٣) اسم الكتاب كاملا كما فى نفح الطيب : « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » .
(٤) كذا فى نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٥) . وفى الأصلين : « والدرة » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « بمن » .
(٦) اسم الكتاب كما فى نفح الطيب : « إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يجر ذلك من شجون الكلام » .
(٧) تختلف مؤلفات ابن الخطيب المذكورة فى نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٣ — ٦٥٥) عنها هاهنا زيادة ونقصانا .

رأى ابن الأحمر فيــه

هاك :

قال ابن الأحمر :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم المُفْرَد والثُّنْيا ؛ وكاتب الأرض ، إلى يوم العرض ؛ لا يدافع مَدْحه فى الكُتب ، ولا يُجْنَحُ فيه إلى العَتْب ؛ آخر من تقدّم فى الماضى ، وسيف مَقُولة ليس بالكَهام إذ هو الماضى ؛ و إلا فانظر [١١٨] كلام الكُتَّاب الأول من العُصْبه ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحبَ القصبه ؛ للبراعه ، باليراعه ؛ وبه أسْكِتَ صائلُهم ، وما حُمدت بُكَرهم وأصائلهم : المشوبة(١) بالحلاوه ، المُمكنة من مفاصل الطّلاوه ؛ وهو نفيس العُدوتين ، ورئيس الدولتين ؛ بالاطلاع على العلوم العقليه ، والإمتاع بالفهوم النقليه ؛ لَكِنَّ صِلَّ لِسانه فى الهجاء لَسَع ، ومجاد نِطاقه فى ذلك اتسع ؛ حتى صَدَمنى ، وعلى القول فيه أقدمنى ؛ بسبب هجوه فى ابن عمى ملك الصّقع الأندلسى ، سلطان ذلك الوطن فى النفر الجنسى ، المعظم فى الملوك بالقول الجنِّى والإنسى ؛ ثم صفحت عنه صفحة القادر ، الوارد من مياه الظفر غير الصادر ؛ لأن مثلى لا يليق به إظهار العورات ، ولا يجمل به تتبع العثرات ؛ اتباعاً للشرع فى تحريم الغِيبه ، وضرباً عن الكريهة ، و إثباتاً لحظوظ النقيبة الرّغيبه ؛ فما ضرّه لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما شرب من ماء الهجو بذَنوبه . وقد قال بعض الناس : من تعرض للأعراض ، أرسى عِرْضه هدفاً لسهام الأغراض » . انتهى كلام ابن الأحمر .

توليه الكتابة

وقال غيره :

تقلد(٢) الكتابة أيام السلطان أبى الحجَّاج ، فى أُخريات دولته ، بعد

(١) فى ت : « المشربة » .

(٢) أبو الحجاج : هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الأنصارى الخزرجى ، من أمراء المسلمين بالأندلس .

شيخه ابن الجَيَّاب .

كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة بديهته

قال ابن الصباغ العقيلى : « كان أبو الحسن بن الجياب رئيسَ كتاب الأندلس ، وهم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصاً تاما ، وأورثه رتبته من بعده ، وعَهِد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الحجَّاب عند حضور(١) عمره . وتدَرَّب بذكائه ، حتى استحق أزمَّته ، فأنسى بحسن سياسته شيخَه المذكور ، ونال التى لا فوقها من الحُظْوة ، وبُعد الصيت ، وسعادة البخت .

اتفق له يوماً بعد ما عزم النصرانى على ورود البلاد(٢) ، وضاقت به الصدور ، [١١٩] فأنشد ابن الجياب بديهاً بمحضر الكتاب :

هــذا العدوّ قد طغى وقد تعــدَّى وَبَغَى

[وقال لابن الخطيب : أجز أبا عبد الله ، فأنشده بديهاً](٣) :

وأظهر السِّلْم وقد أسَرَّ حَسْوًا فى ارْتِغَا

فبلَّغ الرحمنُ سيْــفَ النصْر فيه ما ابتغى(٤)

وردَّه ردَّ ثمودَ والفصيلُ قد رَغا

حتى يُرى ولِيمَــةً لكلّ مَرْهوب الثُّغَا(٥)

---

(١) فى ت : « ظهور » .
(٢) فى ت : « البلد » .
(٣) زيادة عن ت .
(٤) رواية هذا البيت فى ت :

فأبلغ الرمح بسيــف النصر فيه ما ابتغى

(٥) الثغاء (ممدودا وقصر للشعر) : صوت الشاء والمعز وما شاكلها ، ويريد به صوت المفترس من الحيوان ، أو صوت الرماح والسيوف .

فقال ابن الجيّاب : هكذا و إلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة » .

انتهى كلام ابن الصباغ .

أيام ابن الخطيب مع السلطان أبى عبد الله

ولما توفى أبو الحجاج ازدادت[١] منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبى عبد الله ، إلى أن كانت عليه الدائرة ، فقُبض على ابن الخطيب وعلى أملاكه ، ثم تخلَّص منها نَكْبةً مُصْحفيةً[٢] بشفاعة السلطان المستعين بالله أبى سالم إبراهيم ابن السلطان الشهير الكبير أبى الحسن المَرينى ، صاحب المغرب ، وكان[٣] تحريك عزائم السلطان أبى سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب الرَّحَّال أبى عبد الله بن مرزوق . ولما تخلص ابن الخطيب من هذه الأنشوطة لحق بسلطانه أبى عبد الله ، كما نذكره قريبا ، وورد صُحْبَته المغربَ ، واستقرّ أبو عبد الله بن الخطيب بسَلَا تحت الجِرَاية التامة ، متكلِّفا خدمة ضريح الملوك من بنى مَرِين ، لِيَمُتّ بذلك إلى صاحب المُلْك من بينهم ، كيما يقضى له ما بقى من مآربه[٤] بالأندلس ، بشفاعة غير مردودة ؛ وفى أثناء هذه المدة كان يتطوف ببلاد المغرب مثل مراكش وأنظارها[٥] . ثم لما رجع مخدومه لغَرناطة عاد هو فى صُحبة أولاده ، فألقى إليه مقاليد رياسته ، وأزمة سياسته ، ورقّاه إلى الذّروة

(١) فى ت : « زادت » .

(٢) مصحفية : نسبة إلى المصحفى جعفر بن عثمان الحاجب . ويشير إلى نكبته على يد ابن أبى عامر التى انتهت بسجنه فى المطبق ثم موته . وإلى هذه النكبة يشير ابن الخطيب ببيته :

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقدانى المنصور من آل عامر

(انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٥٩ — ٦٤ طبعة أوربا ، ج ٣ ص ٤٢ طبعة بلاق)

(٣) نص هذه العبارة فى ت : « وكان من تحريك السلطان أبى سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولة أبى سالم الحاجب .. الخ » .

(٤) فى ط : « أغراضه » .

(٥) هذه العبارة من قوله « وفى أثناء » إلى قوله « وأنظارها » ساقطة فى ت .

التى لا فوقها ؛ ثم سَئِم الخدمة ، وتسخَّط النِّعمة ، وأضمر الفرار عند ما سمع بأن [١٢٠] المُلْك استوثق للسلطان أبى فارس بن أبى الحسن المَرِينى ، وأنه مَلَكَ تِلِمْسان ، فأظهر الذهاب إلى تفقّد أحوال بعض الثغور ، فكان آخرَ عهد الأندلس به ، وخرج بتِلِمْسان ، واهتزّت دولة السلطان أبى فارس لقُدومه ، ثم كان من أمره ما سنذكره .

تفصيل لنكبة السلطان أبى عبد الله وذهابه إلى فاس

ولنُورد بعض تفصيل لما سبق الإلمام به ، وما لم يسبق ، فنقول :

قال فى كتابه المسمى باللَّمحة البدرية ، فى الدولة النصرية ، عند ذكره خلع السلطان أبى عبد الله ، وقيام الأمير إسماعيل عليه ، وذلك فى شهر رمضان المعظّم من عام ستين وسبع مئة ، ما نصه :

« وكان السلطان أبو عبد الله عند تصيُّر الأمر إليه قد ألزم أخاه إسماعيلَ قصْراً من قصور أبيه بجوار داره ، مُرفّها(١) عليه ، متمّمةً وظائفه له ، وأسكن معه أمّه وأخواته منها ، وقد أستأثرت يومَ وفاة والده بمال جمّ من خزائنه الكائنة فى بيتها ، فوجدت السبيلَ إلى السعى لولدها ، فجعلت تُواصل زيارة ابنتها التى عقد لها الوالد مع ابن عمّه الرئيس أبى عبد الله ابن الرئيس أبى(٢) الوليد ، ابن الرئيس أبى عبد الله المبايع له بأندَرَش ، ابن الرئيس أبى السعيد جدّهم الذى تجمعهم جُرثومته ، وشمّر الصِّهْر المذكور عن ساعد عَزْمه وجِدّه ، وهو [على](٣) ما هو من الإقدام ومُداخلة ذُؤبان الرجال ، وأستعان بمن آسفته(٤) الدولة ، وهفَت به الأطماع ، فتألّف منهم زُهاء مئة قصَدوا جهة

(١) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٥) . وفى ت : « صرفها » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « ابن » .
(٣) زيادة عن نفح الطيب .
(٤) آسفته : أغضبته .

من جهات القلعة مُتَسَنِّمين شَفًا صَعْبَ المُرتقى ، واتخذوا آلة تُدْرِك ذروته لصعود[١] [بِنْيَة][٢] كانت به عن التمام ، وكبسوا حَرَسِيًّا بأعلاه بما اقتضى صُماته[٣] ، فاستَوَوْا به ، ونزلوا إلى القلعة سَحَر[٤] الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبع مئة ، فاستظهروا بالمشاعل والصُّرَاخ ، وعالجوا دار [١٢١] الحاجب رِضوان ، ففَضُّوا أغلاقها ودخلوها ، فقتلوه بين أهله وولده ، وانتهبوا ما اشتملت عليه داره ، وأسرعت طائفة مع الرئيس ، فاستخرجت الأمير المعتقل إسماعيل وأركبته ، وقُرِعت الطبول ، ونُودى بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان مُتحوِّلا بولده إلى سُكْنى الجنّــه المنسوبة للعَريف ، لِصْق داره ، وهى المَثل المضروب فى الظلّ الممدود ، والماء المسكوب ، والنسيم البَليل ، يفصل بينها و بين مَعْقل الملك السُّور المنيع ، والخَندق المصنوع ؛ فما راعه إلا النداء والعجيج ، وأصوات الطبول ، وهَبّ[٥] إلى الدخول إلى القلعة . فألفاها قد أُخذت دونه شِعابُها كلّها ونقابها . وقذفته الحِراب ، ورشقته السِّهام ، فرجَع أدراجَه ، وسدّده الله فى محل الحَيْرة ، ودسّ له عِرْق الفحول من قومه ، فامتطى صَهوة فرس كان مرتبطاً عنده ، وصار لوجهه فأعيا المتّبع ، وصَبَّح مدينة وادى آش ، ولم يشعر حافظ قصبتها إلا به ، وقد تَوَلَّجَ عليها ، فالتفّ به أهلها ، وأعطوه صَفْقتهم بالذّبّ عنه ، فكان أملكَ بها ؛ وتجهّزت الحشود إلى منازلته ، وقد جدّد

(١) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب (المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٠ تاريخ) . وفى ط والنسخة المطبوعة فى بلاق من نفح الطيب : « لقعود » . وفى ت : « لعقود » .

(٢) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٣) الصمات (بالضم) : الصمت والسكوت . ولعله يريد : موته .

(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « سحور » .

(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وذهب » .

أخوه المتغلِّب على ملكه عقد السلم مع طاغية قَشتالة ، باحتياجه إلى سلم المسلمين ، لجرّاء فتنة بينه و بين البَرْجَلُونيين من أمّته ؛ واغتبط به أهل المدينة ، فذبّوا عنه ، ورضوا بهلاك نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام التاريخ ، ووصله رسول صاحب المغرب[١] [مستنزلا منها[٢] ، ومستدعياً إلى حضرته لما عجز عن إمساكها . وراسل[٣] ملك الروم][٤] فلم يجد عنده من مُعَوَّل ، فانصرف ثانى يوم عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمعُ الوافر من أهل المدينة خَيْلا ورَجْلا إلى مَرْبلة من ساحل إجازته . وكان وصوله إلى مدينة فاس ، مُصْحَبا من البِرِّ والكرامة بما لا مزيد عليه ، فى السادس من شهر محرم ، فاتح عام واحد وستين وسبع مِئَة ، وركب السلطان للقائه ، ونزل إليه عند ما سلّم عليه ، وبالغ فى الحِفَاية به . [١٢٢]

قصيدة ابن الخطيب بين يدى السلطان أبى سالم يستصرخه لمولاه

وكنت قد لحقت به مُفْلِتاً من شَرَكِ النكْبة التى استأصلت المال ، وأوهمت سوء الحال ، بشفاعة السلطان أبى سالم قدّس الله روحه ، فقمت بين يديه فى المَحْفِل المشهود حينئذ ، وأنشدته :

سَلَا هل لَدَيْها من مُخَبِّرة ذِكْرُ ... وهل أعشب الوادى ونَمَّ به الزَّهرُ
وهل باكَرَ الوسمىُّ داراً على اللِّوَى ... عَفتْ آيُها إلا التَّوهُّمُ والذكْر
بلادى التى عاطيتُ مشمولةَ الهوى ... بأكنافها والعيشُ فينانُ مُخْضَرُّ
وجَوِّى الذى رَبَّى جَنَاحِىَ وكْرُه ... فها أنا ذا مالى جَناح ولا وَكْر

(١) هو السلطان المولى أبو سالم ، كما سيأتى قريبا .
(٢) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب . وفى ت والنسخة المطبوعة : « عنها » . يريد : من وادى آش ، أو عن وادى آش .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « وأرسل » .
(٤) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفح الطيب .

نَبتْ بِیَ لا عن جَفوة ومَلالة ... ولا نَسَخَ الوصلَ الهنیّ بها هَجْرُ
ولكنّها الدنيا قليلٌ متاعُها ... ولَذّاتُها دَأْبا تزور وتَزْوَرّ
فمن لى بقُرب العَهْد منها ودُوننا ... مَدًى طال حتى يومُه عندنا شهر
ولله عَيْنا من رآنا وللأسى ... ضِرام له فى كل جارحة جَمْر
وقد بدَّدَتْ دُرَّ الدموع يَدُ النوى[1] ... ولِلشوق أشجان يضيق لها الصَّدْر
بَكَيْنا على النَّهر الشَّروب عشيّةً ... فعاد أجاجًا بعـدَنا ذلك النَّهر
أقول لأظعانى وقد غالَها السُّرَى ... وآنسها الحادِى وأوْحشها الزَّجْر
رويدَكِ بعد العُسْرِ يُسْرٌ أَنَ ابْشِرِى ... بإنجاز وَعْد الله قد ذَهب العُسْر
ولله فينا سِرُّ غَيْب ورُبما ... أتى النّفعُ من حال أُريد بها الضُّرّ
وإن تَخُنِ الأيامُ لم تَخُنِ النُّهَى ... وإن يَخذُلِ الأقوامُ لم يَخذُلِ الصبر
وإن عَرَكَتْ منّى الخطوبُ مجرِّبا ... نِقابا تَساوَى عنـده الحُلْوُ والمُرّ[2]
فقد عَجَمَتْ عوداً صَلِيباً على الردى[3] ... وعَزْماً[4] كما تَمضى المهنّدة البُتْر
إذا أنتَ بالبيضاء قَرّرت[5] مَنْزِلى ... فلا اللحْم حِلٌّ ما حييتُ ولا الظَّهْر
زَجَرْنَا بإبراهيمَ بُرْءَ[6] همومنا ... فلما رأينا وَجْهه صدَق الزَّجر
بمُنْتَخَب من آل يعقوبَ كلّما ... دجا الخَطبُ لم يَكْذِب لعَزْمته فَجْر
تناقلت الرُّكبانُ طِيب حَديثه ... فلما رأته صَدّق الخبرَ الخُبْر
ندًى لو حواه البحر لَذَّ مَذَاقُه ... ولم يَتَعَقَّبْ مَدَّه أبدا جَزْر

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الهوى » .
(٢) النقاب : الفطن العالم بالأشياء .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « النوى » . وفى ت : « الندى » .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « وعرفا » .
(٥) كذا فى النسخة الخطية والمطبوعة من نفح الطيب . وفى الأصلين : « قدرت » .
(٦) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « جل » .

وبأسٌ غدا يرتاع من خَوْفه الرَّدَى ... وتَرْفُل فى أثوابه الفَتْكة البِكْرُ
أطاعته حتى العُصْم فى قُنَن الرُّبا ... وهَشَّتْ إلى تأميله الأنجُم الزُّهْر [١٢٣]
قَصَدناك يا خيرَ المُلوك على النَّوى ... لتُنصِفنا مما جَنَى عبدُك الدَّهر
كَفَفْنا بك الأيامَ عن غُلَوائها ... وقد رَابَنا منها التعسُّفُ والكِبْر
وعُذْنا بذاك المَجْد فانصرَم الرَّدَى ... ولُذْنا بذاك العِزّ [فانهزم الذُّعر
ولما أتينا البحرَ يُرْهَبُ مَوْجُه ... ذكرنا نَداكَ الغَمْرَ(١)] فاحتُقِر البَحر
خِلافتُك العُظْمى ومَنْ لم يَدِن بها ... فإيمانُه لَغْوٌ وعِرْفانه نُكْر
ووَصْفك يَهْدِى المدحَ قَصْدَ صوابه ... إذا ضلّ فى أوصافِ مَنْ دُونك الشِّعر
دَعتك قلوبُ المؤْمنين وأخلصتْ ... وقد طاب منها السرُّ لله والجَهر
ومُدَّت إلى الله الأكُفّ ضَراعةً ... فقال لهُنّ اللهُ قَدْ قُضِىَ الأمر
وألْبَسها النُّعْمى بِبَيْعَتِك التى ... لها الطائرُ المَيْمُونُ والمَحتِد الحرّ
فأصبح ثغرُ الثَّغر يَبْسِم ضاحكا ... [وقد كان مما نابَه ليس يَفْترّ
وأَمّنْتَ بالسِّلم البلادَ وأهلَها ... فلا ظُبة تَعْرَى ولا رَوْعة تَعرو
وقد كان مولانا أبوك مُصرِّحا(٢)] ... بأنك فى أبنائه الوَلد البَرّ
وكُنتَ خَليقاً بالإمارة بعده ... على الفَوْر لكنْ كلُّ شىء له قَدْر
وأَوْحشتَ من دار الخِلافة هَالةً ... أقامتْ زماناً لا يلوحُ بها(٣) البَدْر
فَردَّ عليك اللهُ حقّك إذ قَضَى ... بأن تَشمل النُّعمَى و ينسدل السِّتر
وقاد إليك المُلْكَ رِفقاً بخَلْقه ... وقد عَدِموا رُكْنَ الإمامة واضطُرّوا

(١) ما بين القوسين ساقط فى ط .
(٢) ما بين القوسين ساقط فى ط .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٣ ص ٤٧ طبعة بلاق) . وفى ت : « لها » .

وزادك بالتَّمْحيص عِزًّا ورفعة ... وأجْراً ولولا السَّبْكُ ماعُرف[1] التِّبْر

وأنت الذى تُدْعى إذا دَهِم الرَّدَى ... وأنت الذى تُرْجَى إذا أُخْلَف القَطْر

وأنتَ إذا جار الزمانُ مُحَكَّمٌ ... لك النقضُ والإبرامُ والنهْيُ والأمر

وهذا ابنُ نصْرٍ قد أتَى وجَناحُه ... مَهِيضٌ ومِنْ عُلْياك يُلْتَمَس الجَبْر

غريب يُرَجِّى منك ما أنتَ أهلُه ... فإن كنتَ تبغِى الفخرَقدجاءك الفَخْر

ففُزْ يا أمير المسلمين[2] ببَيْعة[3] ... مُوَثَّقة قد حلّ عُرْوَتها الغدر

ومثلك مَنْ يَرْعَى الدَّخيلَ ومن دَعا ... بَيا لَمَرِينٍ جاءه العِزّ والنَّصْر

وخُذ يا إمامَ الحقّ[4] بالحق ثأرَه ... فنى ضِمْن ما تأتى به العِزُّ والأجر

وأنت لها ياناصرَ الحق فلتقُم ... بحقّ فما زيدٌ يُرجَّى ولا عَمْرو

فإن قِيل مالٌ مالُك الدهرَ وافرٌ ... وإن قيل جيشٌ عندك العَسْكَر المَجْر

يُكَفُّ بك العادِى ويَحْيا بك الهُدى ... ويَبْنِى بك الإسلامُ ما هدَم الكُفْر

أعِدْه إلى أوطانه عنك راضياً ... وطَوِّقه نُعْماك التى مالها حَصْر

[١٢٤] وعاجل قلوبَ الناس فيه بجَبْرها ... فقد صدّهم عنه التغلُّبُ والقَهْر

وهم يرقبون الفِعْل منك وصَفْقةً ... تُحاولها يُمناك ما بعدها خُسْر

مَرامُك سَهْل لا تؤودُك كُلْفة ... سِوَى عَرَض ما إنْ له فى العُلا خَطْر

وما العُمْر إلا زينة مُستعارة ... تُرَدّ ولكنَّ الثناءَ هو العُمْر

ومَنْ باع ما يَفْنَى بباقٍ مخلّد ... فقد أنجح المَسْعَى وقد رَبح التَّجْر

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « لم يعرف » .
(٢) فى ط : « المؤمنين » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « لبيعه » .
(٤) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « الخلق » .

ومِنْ دون ما تَبغيه يا مَلِكَ الهُدى ... جيادُ المَذاكى والمُحجَّلةُ الغرُّ
ورَادٌ وشُقْر واضحات شياتها ... فأجسامُها تِبْر وأرْجلها دُرّ
وشُهبٌ إذا ماضُمِّرتْ يومَ غارةٍ ... مَطهَّمةٌ غارتْ بها الأنجمُ الزُّهْر
وأُسْدُ رجالٍ من مَرِينٍ مُخيفةٌ ... عمائمها بيضٌ وآسالها سُمْر
عليها من الماذىّ كلّ مُفاضةٍ ... تدافعُ فى أعطافها اللججُ الخُضْر
هُمُ القومُ إن هَبُّوا لكشْف مُلمَّة ... فلا المُلتقَى صَعْبٌ ولا المُرْتقى وَعْر
إذا سُئلوا أعْطَوْا وإن نُوزِعوا سَطَوْا ... وإن واعدُوا وفَّوْا وإن عاهدوا برُّوا
وإن مُدِحوا اهتزّوا ارتياحاً كأنَّهم ... نَشَاوَى تَمشَّتْ فى مَعاطِفِهم خمْر
وإن سَمِعوا العَوراءَ فرُّوا بأنْفُس ... حرامٌ على هِمَّاتها فى الوَغَى الفرّ(١)
وتبسِمُ ما بين الوَشيج ثغورُهم ... وما بين قُضْب الدَّوْح يبتسِم الزَّهْر(٢)
أمَولاىَ غاضت فِكرتى وتبلَّدت ... طِباعى فلا طَبْعٌ يُعين ولا فِكْر
ولولا حَنانٌ مِنْك داركْتَنى به ... وأحيَيْتنى لم تبقَ عينٌ ولا أثْر
فأوجَدْتَ منّى فائتًا أىَّ فائت ... وأنْشرتَ مَيْتاً ضَمَّ أشلاءَه قَبْر
بدأتَ بفضل لم أكُن لعَظيمه ... بأهل فجلّ اللُّطْف وانفرج الصَّدْر
وطَوَّقْتنى النُّعمَى المضاعَفةَ التى ... يَقِلّ عليها مِنّىَ الحمدُ والشُّكر
وأنت بتَتْميم الصَّنائع كافلٌ ... إلى أن يعودَ الجاه والعِزّ والوَفْر
جَزاكَ الذى أسنَى مَقامَك عِصْمةً ... يُفَكُّ بها عانٍ ويُنْعش مُضْطرّ
إذا نحن أثنينا عليك بمِدْحة ... فهَيْهات يُحصَى الرَّمل أو يُحصَرُ القَطْر
ولكنَّنا نأتِى بما نَسْتطيعه ... ومَنْ بذَلَ المجهود حَقّ له العُذْر

---

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

(٢) الوشيج : الرماح .

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض(١) ، وسَداد أنحاء فى التأثر لنا وأغراض ، والله غالب على أمْره .

انصراف السلطان أبى عبد الله إلى الأندلس

وفى صَبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوّال عام اثنين وستين [١٢٥] وسَبع مِئَة كان انصرافه إلى الأندلس ، وقد ألح صاحب قَشتالة فى طلبه ، وترجَّح الرأى على قصده ، فقعد السلطان بقُبّة العَرْض من جنة المصارة ، وبرز الناس وقد أسمعهم البُريح(٢) ، واستُحْضِرت البُنود ، والطبول والآلة ، وألبس خِلعة الملك ، وقِيدت له مَراكبه فاستقلّ ، وقد التف عليه كل من جلا عن الأندلس من لَدُنِ الكائنة فى جملة كثيفة ، ورئى من رقة الناس وإجهاشهم وعلوّ أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد ، إذ كان مَظِنة ذلك سكوناً وعطافاً(٣) وقربا ، قد ظلله الله برواق الرحمة ، وعطف عليه وشائج المحبة ، إلى كونه مظلوم العَقد ، منتزع الحق ، فتبعته الخواطر ، وحَميت عليه الأنفس ، وانصرف لوجهته ؛ وهو الآن برُندةَ مستقل بها وبجهاتها ، ومقتنع برسم [سلطنتها(٤)] وقد قام له برسْم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على بن يوسف بن كَمَّاشة الحضْرمى ، وبكتابته الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرَك ، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرّب والتيقظ للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يُنكر ، كان الله له ولنا بفضله » .

انتهى كلام ابن الخطيب فى اللمحة البدرية .

(١) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفى الأصلين : « وانتفاض » .

(٢) البريح (كلمة دخيلة وهى كما فى دوزى) : بمعنى الصريخ ، أو إعلان الحرب ، أو الهتاف بالتعبئة .

(٣) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب . وفى المطبوعة والأصلين : « وعفافا » .

(٤) زيادة عن نفح الطيب . ومكان هذه الكلمة فى ط : « الوزارة » .

وقد عرفت أنه فى ذلك التاريخ لم يكن دخل السلطان غرناطة ، ولم يلحق به ابن الخطيب حتى دخلها .

خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون

وقد ذكر ولى الدين بن خَلْدون هذه الواقعة فى تاريخه الكبير ، وأحسن سَرْدها ، فقال فى ترجمة أيام السلطان أبى سالم ما نصه :

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غَرناطة
ومقتل رضوان ومَقْدَمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجّاج سنة خمس وخمسين [وسبع مئة[1]] ونصب ابنه محمد الأمر ، واستبدَّ عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من مَحبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حجَبوه ببعض قصورهم ، وكان له صِهْر من ابن عمه محمد بن إسماعيل بن الرئيس أبى سعيد ، فكان يدعوه سرًّا إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصةٌ فى الدولة بخروج السلطان [١٢٦] إلى بعض مُتنزّهاته برياضه ، فصعِد سورَ الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين فى [بعض][2] أوشاب جمعهم من الطَّغام لثورته ، وعَمَد إلى دار الحاجب رضوان ، فاقتحم عليه الدار ، وقتله بين حرَمه و بناته ، وقرّبوا إلى إسماعيلَ فرسَه فركب ، فأدخلوه القصر ، وأعلنوا ببيعته ، وقرعوا طُبولَهم بسور الحمراء ، وفرّ السلطانُ من مكانه بمتنزّهه ، فلحق بوادى آش ، وغدا[3] الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه ، واستبدّ عليه هذا الرئيس ابن عمه ، فخلعه لأشهر[4] من بيعته ، واستقل

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٠٦ طبعة بلاق) .
(٣) الكلام من قوله «وغدا» إلى قوله « بوادى آش » ساقط فى تاريخ ابن خلدون .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « فخلعه لشهرين » .

بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادى آش ، بعد مَقتل حاجبه رضوان ، واتّصل الخبرُ بالسلطان المولى أبى سالم ، امتعض لمهلك رضوان ، وخلْع السلطان رَعْيا لما سلف له فى جِوارهم ، وأَزعج لِحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجالسه لاستقدامه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخْلُوع من وادى آش إلى المغرب ، وأطلق مِن اعتقالهم الوزيرَ الكاتب أبا عبدالله ابن الخطيب ، كانوا اعتقلوه لأول أمرهم ، لما كان رَديفا للحاجب رضوان ، ورُكْنا لدولة المخلوع ، فأوصى المولَى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ؛ ولحق مع الرسول أبى القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للإجازة إلى المغرب ، وأجازَ لِذى القَعدة من سَنته ، وقَدِم على السلطان بفاس ، وأجَلّ قدومَه ، وركب للقائه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه وغُصّ بالمشيخة والعِلْية ، ووقف وزيره ابن الخطيب ، فأنشد السلطان قصيدته الرائية يَستصْرِخُه لسلطانه ، ويستحثُّه لمظاهرته على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس ، شفقة له ورحمة .

ثم سَرَد ولىّ الدين بن خلدون القصيدة التى قدمنا ذكرها إلى آخرها ، [١٢٧] قال[١] : ثم انفض المجلس ، وانصرف ابن الأحمر إلى نزله[٢] وقد فُرِشت له القصور ، وقُرِّبت الجياد بالمراكب الذهبية ، وبُعِث إليه بالكُسى الفاخرة ، ورُتبت الجرايات له ولمواليه من المعْلوجى[٣] ، وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه فى الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة[٤] ،

(١) فى ت : « ثم قام ثم انقضى ... الخ » .
(٢) كذا فى ت ونفح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفى ط : « منزله » .
(٣) يريد العلوجيين ، أى الموالى من النصارى . (عن تكملة المعجمات لدوزى) .
(٤) فى تاريخ ابن خلدون : « الأداة » .

أدبا مع السلطان ، واستقر فى جُمْلته إلى أن كان من لَحاقه بالأندلس . وارتجاع مُلْكه سنة ثلاث وستين ، ما نحن نذكره .

انتهى كلام ابن خلدون ، وفيه بعض مخالفة يسيرة لكلام ابن الخطيب فى اللمحة البدرية .

شىء عن أحوال ابن الخطيب كما رواها ابن خلدون

ولا بد أن نسرد كلام ابن خلدون فى شأن ابن الخطيب ، إذ ذكره فى ترجمة السلطان أبى فارس ابن السلطان أبى الحسن المَرينى بما نصه :

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان
نازعا إليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لَوْشة ، على مرحلة من غَرناطة ، فى الشمال من البسيط الذى فيه ساحتها ، المسمى بالمَرْج ، على وادى شَنْجيل ، ويقال شنبيل [1] ، المخترق [2] فى ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ، كان له بها سلفٌ معدود فى وزرائها ، وانتقل أبوه عبدُ الله إلى غَرناطة ، [واستُخْدِم لملوك بنى الأحمر ، واستعمل على مخازن الطعام ، ونشأ ابنه محمد بغَرناطة [3]] وقرأ وتأدّب على مشيختها ، واختُصّ بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هُذَيل ، وأخذ عنه العلوم الفَلسفية ، وبرّز فى الطبّ ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، وامتلأ حوض [4] السلطان من نظمه

(١) كذا فى الأصلين وابن خلدون . وظاهر أن الكلمتين محرفتان عن « شنيل » وهو اسم نهر غرناطة الشهير ، وقد ولع الشعراء بوصف هذا الوادى وتفضيله على النيل بزيادة الشين ، وهى ألف من العدد ، أى أنه يفضل النيل بألف ضعف . (راجع نفح الطيب ج ١ ص ٩٤ طبعة أوربا والإحاطة ج ١ ص ٢٦) .
(٢) فى تاريخ ابن خلدون : « المنحرف » .
(٣) هذه العبارة ساقطة فى ط .
(٤) كذا فى تاريخ ابن خلدون . وفى الأصلين ونفح الطيب : « وامتلأ من حول السلطان نظمه » .

ونثرُه ، مع انتقاء الجيد منه ، ونبغ فى الشعر والترسيل ، بحيث لا يجارى فيهما ، وامتدح السلطان أبا الحجّاج من ملوك بنى الأحمر لعصره (١) ، وملأ الدنيا بمدائحه ، وانتشرت فى الآفاق ، فرقّاه السلطان إلى خدمته ، وأثبته فى ديوان الكُتّاب ببابه ، مرءوسا بأبى الحسن بن الجَيّاب ، شيخ العُدْوتين فى النظم والنثر ، وسائر العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه ، [١٢٨] عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبدّ عليه ، كما مرّ فى أخبارهم . فاستبد [ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فولّى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد] (٢) ابن الخطيب رياسة الكتاب (٣) ببابه ، مُثَنَّاة بالوزارة ، ولقّبه بها ، فاستقل بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل فى مكاتبات جيرانهم من ملوك العُدوة ، ثم داخله السلطان فى تولية العُمّال على يده بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ، وبلغ به فى المخالطة (٤) إلى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله ؛ وسَفَر عنه إلى السلطان أبى عِنانٍ ملك بنى مَرِين بالعُدْوة ، معزِّيا بأبيه السلطان أبى الحسن ، فجلّى فى أغراض سفارته . ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه بعض الزعانف [يوم الفطر بالمسجد] (٢) فى سجوده للصلاة ، وطعنه فأشواه ، وفاظ لوقته (٥) وتعاورتْ سيوف الموالى المعلوجىّ (٦) هذا القاتل ، فمزّقوه أشلاء ،

(١) هذه الكلمة : « لعصره » . ساقطة فى ت وتاريخ ابن خلدون .
(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الكتابة » .
(٤) كذا فى ت والنسخة الخطية من نفح الطيب . وفى ط وابن خلدون والنسخة المطبوعة من نفح الطيب : « فى المخالصة » .
(٥) هذه العبارة : « وفاظ لوقته » ساقطة فى ت . وفاظ : مات .
(٦) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

وبويع ابنه محمد [بالأمر] [١] لوقته ، وقام بأمره مولاهم رِضوان ، الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم ، وكفالة الأصاغر من ملوكهم . واستبد بالدولة ، وأفرد ابن الخطيب بوزارته . كما كان لأبيه . [واتخذ لكتابته غيره] [١] وجعل ابن الخطيب رَدِيفا له فى أمره [٢] ، ومشاركا فى استبداده معه ، فجرت الدولة على أحسن حال ، وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان أبى عنان ، مستَمِدِّين له على عدوهم الطاغية ، على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومَثَل بين يديه ، تقدم الوفدَ الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها ، واستأذنه فى إنشاد شعر [٣] قدَّمه بين يدى نَجْواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خَليفةَ الله ساعَدَ القدرُ عُلاكَ ما لاح فى الدجى قمرُ
ودافعَتْ عنك كَفُّ قُدْرته ماليس يَستطيع دفعه البَشَر
وجهك فى النائبات بَدْر دُجًى لنا وفى المَحْل كفُّك المطَر [١٢٩]
والناسُ طُرًّا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عَمَروا
وجملةُ الأمر أنه وَطَن فى غير عُلياك ما له وَطَر [٤]
ومن به مذ [٥] وصلْتَ حبلَهم ما جَحدوا نعمةً ولا كفروا
وقد أهمَّتْهُم بأنفسِهِمْ فوجَّهونى إليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له فى الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :

---

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٢) كذا فى ط وتاريخ ابن خلدون . وفى ت ونفح الطيب : « رديفا لرضوان فى أمره » .
(٣) فى تاريخ ابن خلدون : « شىء من الشعر » .
(٤) هذا البيت ساقط فى تاريخ ابن خلدون .
(٥) كذا فى نفح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفى الأصلين : « قد » .

ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ، ثم أثقل كاهلَهم بالإحسان ، وردّهم بجميع ما طلبوه . وقال شيخُنا القاضي أبو القاسم الشريف ، وكان معه في ذلك الوفد : لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ومكثَتْ دولتهم هذه بالأندلس خمْسَ سنين ، ثم ثار بهم محمدٌ الرئيس ابن عم السلطان ، شَرِكه في جَدّه الرئيس أبي سعيد ، وتحيَّن خروج السلطان إلى متنزهه خارجَ الحمراء ، وتسوروا دار المُلْك المعروفة بالحمراء ، وكَبس رضوان في بيته ، فقتله ونصَب المُلْك إسماعيل بن السلطان أبي الحجاج ، بما كان صِهْرَه على شقيقته ، وكان معتَقَلا بالحمراء ، فأخرجه ، وبايع له ، وقام بأمره مستبدا عليه ، وأحسّ السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ، فركب ناجياً إلى وادي آش ، وضبَطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثْر ما استولى على مُلْك آبائه بالمغرب ، وقد كان مَثْواه أيام أخيه أبي عِنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيسُ القائم بالدولة هذا الوزيرَ ابن الخطيب ، وضيَّق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مُقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم ، فزيّن له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش ، يعُدّه زَبوناً[1] على أهل الأندلس ، ويكُفّ به عادية القرابة المرشحين هنالك ، متى[2] طمحوا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبعَثَ مِنْ أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التِّلِمْساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحلّ مُعْتَقَله ، فأُطْلِق ؛ وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب سلطانه ، وقدِموا على [١٣٠]

(١) زبونا ، أي حربا وقوة . (انظر تكملة المعجمات لدوزي مادة زبن) .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « كما » . وفي ت : « ممن » .

السلطان أبى سالم ، فاهتزَّ لقدوم ابن الأحمر ، وركب فى الموكب لتلقّيه ، وأجلسه إزاءَ كُرسيّه ، وأنشد ابنُ الخطيب قصيدَته كما مر ، يَستصرخ السلطان لنصره ، فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مثواه ، وأرغد نُزُلَه ، ووفّر أرزاق القادمين فى ركابه ، وأرغد عيشَ ابن الخطيب فى الجِراية والإقطاع . ثم استأنس[١] واستأذن السلطان فى التَّجوال بجهات[٢] مَرّاكُش ، والوقوف على آثار المَلِك بها ، فأَذن له وكتب إلى العُمَّال بإتحافه ، فتبارَوْا[٣] فى ذلك ، وحَصَلَ منه على حظ . وعند ما مر بسَلا إثْر قُفوله من سفره ، دخل مَقْبرة الملوك بشالة ، ووقف على قبر السلطان أبى الحسن ، وأنشد قصيدة على روى الراء [الموصولة][٤] ، يرثيه ويستجير به فى استرجاع ضياعه بغرناطة ، مطلعها :

إنْ بان منزله وشَطَّت دارُهُ   قامت مَقامَ عِيانه أَخبارُهُ
قَسِّم زمانك عِبْرَةً أَوْ عَبْرَةً   هذا ثَراه وهـذه آثاره

فكتب السلطانُ أبو سالم فى ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة ، فَشَفَّعوه ، واستقر هو بسلا ، مُنْتَبذا عن سُلْطانه طول مُقامه بالعُدْوة . ثم عاد السلطانُ محمد المخلوعُ إلى مُلْكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مُخَلَّفه بفاس من الأهْل والولد ، والقائم بالدَّولة يومئذ عمرُ بن عبد الله بن علىّ ، فاستقدم ابن الخطيب من سَلَا ، وبعثهم لنظره ، فسُرَّ السلطان بقدومه ، وردَّه إلى منزلته ، كما كان مَعَ رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغُزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية فى ركاب أبيه ، عندما أحسَّ بالشرّ من الرئيس

(١) فى ط ونفح الطيب : « استيأس » .
(٢) فى تاريخ ابن خلدون : « فى التحول إلى جهات . . . الخ » .
(٣) فى تاريخ ابن خلدون : « فتبادروا » .
(٤) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

صاحب غَرْناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى العُدْوَة ، وأقام عثمانُ بدار الحَرْب ، فصَحِبَ السلطانَ [فى مَثْوى اغترابه هنالك ، وتقلَّب فى [مذاهب] (١) خِدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد(٢) ما يَئِسوا من الفتح على يده ، فتحوَّلوا عنه إلى ثُغور بلادهم ، وخاطبوا [الوزير] (١) عمر بن عبد الله فى أن يمكِّنهم من بعض الثغور الغربية(٣) التى لطاغيتهم(٤) بالأندلس ، يرتقبون منها الفتح ، وخاطبنى السلطانُ المخلوع فى ذلك ؛ وكانت بينى و بين عمر بن عبد الله أذِمَّة مَرْعِيَّة ، وخاصَّة متأكِّدة ، فوفَّيت] (٥) للسلطان بذلك من عُمَرَ بن عبد الله ، وحملته على أن يَرد عليه مدينةَ رُنْدة ، إذ هى من تُراث سَلَفه ، فقَبِل إشارتى فى ذلك ، وتَسَوَّغها السلطانُ المخلوع ، ونزل بها وعثمانُ بن يحيى فى جُمْلَته ، وهو المقدَّم فى بطانته ، ثم غزوا منها مالَقة ، فكانت ركابا للفتح ، وملكها السُّلطانُ ، واستولى بعدها على دار ملكه بغَرْناطة ؛ وعثمان بن يحيى متقدم القوم فى الدولة ، عريق فى المخالصة ، وله على السّلطان دَالّة ، واستبداد على هواه . فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعاده إلى مكانه فى الدولة ، من عُلُوِّ يده ، وقبول إشارته ، أدركته الغَيْرة من عثمان ، ونَكِر على السلطان الاستكفاء به ، و [أراه] (١) التخوف من هؤلاء الأعياص(٦) على ملكه ، فحذِرَه السلطان ، وأخذ فى التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته فى رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم(٧) المُطْبِق ، ثم غرَّبهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى تاريخ ابن خلدون . وفى الأصلين : « عند » .
(٣) كذا فى نفح الطيب وابن خلدون . وفى الأصلين : « القريبة » .
(٤) فى تاريخ ابن خلدون . « أطاعتهم » .
(٥) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأعياس » .
(٧) فى ط : « وأوعدهم » .

الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ، وخلط بَنِيه بنُدَمائه وأهل خَلْوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد ، وانصرفت إليـه الوجوه ، [١٣٢] وعلِقَتْ به الآمال ، وغَشِي بابَه الخاصة والكافّة ، وغَصَّتْ به بِطانة السلطان وحاشيته ، فتفننوا[١] فى السّعايات فيه ، وقد صُمّ السلطان عن قَبولها ؛ ونَمى الخبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمّر عن ساعده فى التفويض ، واسْتُخْدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن ، ملك العُدوة يومئذ ، فى القبض على ابن عمّه عبد الرحمن بن أبى يَفْلُوسن ابن السلطان أبى علىّ ، كانوا قد نَصَّبوه شيخاً على الغُزاة بالأندلس ، لما أجاز من العُدوة بعد ما جاسَ خِلالها ، لطلَب الملك ، وأَضْرم بها نار الفتنة فى كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله ، القائم حينئذ بدولة بنى مرين ، فاضطُرّ إلى الإجازة إلى الأندلس ، فأجاز هو ووزيره مسعود بن ماساى ، ونزلوا على السلطان المخلوع عام سبعة وستين ، فأكرم نُزُلَهُمْ ، وتُوُفِّى علىّ بن بدر الدين شيخ الغزاة ، فقدم عبد الرحمن مكانه . وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله ، فغصّ بما فعله السلطان المخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرّ بها فى بنى مَرين ، فجزع لذلك ، وداخله ابن الخطيب فى اعتقال ابن يفلُوسَن وابن ماساى ، وإراحة نفسه من شغبهم ، على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له العهد بخطه ، على يد سفيره إلى الأندلس وكاتبه أبى يحيى بن أبى مدين[٢] ؛ وأغرَى ابنُ الخطيب سُلْطانه بالقبض على ابن يفلوسن وابن ماساى ، فقبض عليهم [١٣٣] واعتقلهم ، وفى خلال ذلك استحكمت نُفْرة ابن الخطيب لِما بلغه عن البطانة ،

(١) فى تاريخ ابن خلدون : « فتوافقوا على ... الخ » .

(٢) العبارة من قوله : « فجزع » إلى هنا ساقطة فى تاريخ ابن خلدون .

من القدح فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قَبولها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان فى تفقّد الثغور [الغربية] [(١)] ، وسار إليها فى لُمَّة من فُرسانه ، ومعه ابنه علىّ الذى كان خالصة للسلطان ، وذهب لِطِيَّته ، فلما حاذى جبلَ الفتح ، فرضةَ المجاز إلى العدوة ، مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . [وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك ، وجهز له الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سَبتة ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة ، وامتثال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين ، بمُقامه بتِلِمسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركبَ السلطانُ خاصَّته لتلقيه] [(٢)] ، وأحلّه من مجلسه بمحلّ الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس فى أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر [(٣)] المنافِسون له فى شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عَثَراته ، وإبداء ما كان كامناً فى نفسه من سقطاته ، وإحصاء معايبه ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزَّندقة ، أحصوها عليه ونسبوها [إليه] [(٢)] ، ورُفِعت إلى قاضى الحضرة أبى الحسن بن الحسن فاسترعاها ، وسَجَّل عليه بالزَّندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضى ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السِّجِلّات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصَمّ عن ذلك ، وأَنِفَ لذمّته أَنْ تُخْفَر ، ولجواره أن يُرَدّ ، وقال لهم : هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ! وأما أنا فلا يخاص إليه بذلك أحد ما كان فى جوارى ؛ ثم وفَّر

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٢) زيادة عن ت وابن خلدون ونفح الطيب .
(٣) فى ابن خلدون : « لفظ » .

الجِراية والإقطاع له ولبنيه ، ولمن جاء من أهل الأندلس فى جملته . فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا [١٣٤] تِلِمْسان ، سار هو فى ركاب الوزير أبى بكر بن غازى ، القائم بالدولة ، فنزل بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنّق فى بناء المساكن ، واغتراس الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التى رسمها له السلطان المتوفَّى ، واتصلت حاله على ذلك ، إلى أن كان ما نذكره .

انتهى كلام ابن خلدون وأكثره بلفظه .

كتاب القاضى أبى الحسن إلى ابن الخطيب

قلت : وقد وقفت على كتاب للقاضى أبى الحسن بن الحسن المذكور يخاطب به ابن الخطيب ويعظه ، ويشير إلى ما اشتغل به من البنيان ، وفيه ما يبين كلام ابن خلدون السابق وزيادة ، وما يدل على ما ذكره ابن خلدون من أنه سَجَّل عليه بأمور منكرة ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وقد أسقطت بعضه اختصارا ، ونص ما تعلق به الغرض قوله يخاطب الوزير ابن الخطيب :

فشرعتم فى الشراء ، وتشييد البناء ؛ وتركتم الاستعداد لهادم اللذات ، هيهات هيهات ؛ تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتؤملون مالا تدركون ؛ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مُشَيَّدة ، فأين المهرب مما هو كائن ! ونحن إنما نتقلّب فى قدرة الطالب ، شرّقتم أو غرّبتم ، [والأيام تتقاضى الدَّين ، وتنادى بالنفس الفرّارة إلى أين إلى أين ! ونترك الكلام مع الناقد] (١) فيما ارتكبه من تزكيته نفسه ، وعَدِّ ما جلبه من مناقبه ، ما عدا ما هدَّد به من حديد لسانه ، خشيةَ اندراجه فى نَمَط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفح الطيب .

وسلم : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه »[١] . ولا غِيبة فيمن ألقى جلباب الحَياء عن وجهه ؛ ونرحمه على ما أبداه وأهداه من العيوب التى نَسبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكّره على طريقة نصيحة الدين ، بالحديث الثابت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : [١٣٥] « أتدرون مَنِ المُفْلِس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال : إن المُفْلِس مِن أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ؛ و يأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم ، فطُرِحت عليه ، ثم طرح فى النار » . و يعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق ، هو الذى حملنى على نُصحكم ومُراجعتكم فى كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به فى التاريخ وأمثاله ، فإنكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغِيبة المحرّمة أحياءً وأمواتاً ، لغير شىء حصل بيدكم ، وضررتم نفسكم بما رتّبتم لهم من المطالبات بنصّ الكتاب والسنة قِبَلكم ، والرضا بهذه الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير ما مرّة عن أطْراسكم المسودّة ، بما دعوتم إليه من البِدْعة ، والتلاعب بالشريعة : إن حقها التخريق والتحريق ، وإنّ من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدَعكم ، والله الشهيد بأنى نصحتكم وما غششتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقيلا عليكم ، بمُخالف كلّ المخالفة لما ذنبتم[٢] به من تقدم المواجهة بالملاطفة ، والمعاملة بالمكارمة ، فليست المداراة بقادحة فى الدين ، بل هى محمودة

(١) الحديث كما فى الجامع الصغير للسيوطى (ج ١ ص ٢٢٨) : « إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه » .

(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . ولعلها محرفة عن « زننتم به » ، أى ظننتم به .

فى بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بيّنه العلماء ، إذ هى مقاربة[١] فى الكلام ، أو مجاملة بأسباب الدنيا ، لصلاحها أو صلاح الدين ، وإنما المذموم المداهنة ، وهى بذل الدين لمجرد الدنيا ، والمصانعة به لتحصيلها ؛ ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله بأخلاقه ، ونصحه مخاطبة ومكاتبة ، واستدل له بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته ، فقد سَلِم والحمد لله من مداهنته ، وقام لله [١٣٦] بما يجب عليه فى حقكم من التحذير والإنكار ، مع الإشفاق والوجل . وأكثرتم فى كتابكم من المنّ بما ذكرتم أنكم صنعتم ، وعلى تقدير الموافقة لكم ، ليتكم فعلتم فسلمنا من المعَرّة وسلمتم ، وجلّ القائل سبحانه : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم » . وقلما شاركتم أنتم فى شيء إلا بأعراض حاصلة فى يدكم ، أو لأغراض دنيوية خاصة بكم ، فالملام إذاً فى الحقيقة إنما هو متوجّه إليكم . وأما ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم ، من التندم[٢] على فراق محلّكم ، والتعلل بأخبار قُطْركم وأهلكم ، فتناقضٌ منكم ، وإن كنتم فيه بغدركم[٣] :

أتبكى على لبنى وأنتَ تركتَها ... فكنتَ كآتٍ حَتْفَه[٤] وهو طائعُ

وما كل ما منّتك نفسُك خاليا[٥] ... تُلاقِى ولا كلّ الهوى أنت تابع

فلا تبكيَنْ فى إثر شىء ندامةً ... إذا نزعتْه من يديك النوازع[٦]

(١) فى النسخة الخطية من نفح الطيب . « متقاربة » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الشؤم » .
(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والخطى . وفى الأصلين : « بعذركم » .
(٤) كذا فى الأغانى (ج ٩ ص ٢١٧ طبعة دار الكتب) . وفى الأصلين ونفح الطيب : « غيه » .
(٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصلين ونفح الطيب : « مخليا » .
(٦) البيت كما فى الأغانى :
فلا تبكين فى إثر لبنى ندامة ... وقد نزعتها من يديك النوازع
وهذه الأبيات من شعر لقيس بن ذريح فى زوجته لبنى بنت الحباب الكعبية .

وعلى أن تأسفكم[1] لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم ، والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى التمتع لغيرها عينيكم . ولو لم يكن لهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خصت به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفاها فخراً على مايجاورها من سائر البلاد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه » ، وقال عليه السلام : « الرَّوْحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها » .

وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخى فراركم من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكمّلة والاستغفار ، مع الانقطاع فى أحد المواطن المكرمة المعظمة بالإجماع ، وهى طِيبة أو مكة أو بيت المقدس ، فقد خَسِرتم صَفقة رحلتكم ، وتبين أنّ لغير وجه الله العظيم كانت نية هِجْرتكم ؛ اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مَئة نفس ، وسأل أعلم أهل الأرض ، فأشار [١٣٧] عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب ، واكتسب بها العيوب ؛ فأمرٌ آخر ، مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف[2] ؛ ويقال لكم من الجواب الخاص بكم : فعليكم إذاً بترك القيل والقال ، وكسر حربة الجدال والقتال ، وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الأعمال . ووقعت فى مكتوبكم كلمات أوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء ، والجهالة بمقادير الأشياء ، منها : ريح صرصر ، وهو لغة القرآن ، وقاعٍ قرقرٍ ، وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم . ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله ، « قيل : يا رسول الله ، والبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم

(١) فى ت : « أسفكم » .

(٢) انظر القرطبي (ج ٦ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب) عند تفسير قوله تعالى : « أو ينفوا من الأرض » .

لايؤدى منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاع قرقر لايفقد منها شيئاً ، تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها[١] . الحديث الشهير . قال صاحب المعلم[٢] : بُطِح لها بقاع قَرْقر ، أى ألقى على وجهه ، والقاع : المستوى من الأرض ، والقرقر : كذلك ؛ هذا ما حضر من الجواب . و بقى فى مكتو بكم حَشْو كثير من كلام الإقذاع ، وفُحْش بعيد من الحِشمة والحياء ، رأيت أن من الصواب الإضراب عن ذكره ، وصَوْن اليد عن الاستعمال فيه ، والظاهر أنه إنما صدر عنكم وأنتم بحال مَرَض ، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله ، أجلّكم ، ومكّن أمنكم ، وسكن وَجَلكم ، ومنه جلّ اسمه[٣] نسأل لى ولكم حسن الخاتمة ، والفوز بالسعادة الدائمة ، والسلام الأتم يعتمدكم ، والرحمات والبركات من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن ، وفقه الله .

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مئة .

وقيد رحمه الله فى مُدْرَج طى هذا الكتاب ما نصه :

[١٣٨] يا أخى ، أصلحنى الله وإياكم ، بقى من الحديث شىء ، الصواب الخروج عنه لكم ، إذ هذا أوانه ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه ، وليكن البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله ، وحاصله :

أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات ، وقطعتم بنسبة الأمور كلها لنفسكم[٤] ، وأنها إنما صدرت عن أمركم و بإذنكم ، من غير مشاركة فى شىء منها لكم ، ثم مننتم بها المنّ القبيح ، المبطل لعمل بركم ، على تقدير

(١) ارجع إلى مسلم والبخارى فى باب الزكاة ففى لفظ الحديث روايات .
(٢) لعله يريد : المعلم بفوائد مسلم ، وهو شرح على صحيح مسلم للإمام أبى عبد الله محمد التميمى .
(٣) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « ومنه سبحانه نسأل . . . الخ » .
(٤) فى نفح الطيب : « إلى أنفسكم » .

التسليم فى فعله لكم ، ورميتم غيركم بالتقصير فى حاله كله ، طريقة من يبصر القذى فى عين أخيه ويدع الجِذْع فى عينه ، وأقصى ما تسنّى للمحب أيام كونكم بالأندلس ، تقلّد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلا أن وُليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد إلا الله ، وإذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه ، من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ، ولكنه ، جلت قدرته ، وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه ، وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه ، وكأنى بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكدة[1] من النكاية ، باستحقاركم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمور الدينية ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك فى جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزُّبير المقتول على الزندقة بعد تقصّى موجباته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبى العيش المثقف[2] فى السجن على آرائه المضلة ، التى كان منها دخوله على زوجه إثر تطليقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، فحملتم أحد ناسكم تناول إخراجه من الثقاف[3] ، من غير مُبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه مطالبة بدم قتيل ، وسيق المدعى عليه للذبح[4] بغير سكين ، فما وسعنى بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكمته السنة ، فأنفتم لذلك ، وسجنتم الطالب[5] ولىّ الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يجمل بى ولا بكم [١٣٩]

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « المنكرة » .
(٢) المثقف : المسجون . (عن تكملة المعجمات لدوزى) .
(٣) الثقاف : الحبس والسجن . (عن دوزى) .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الذبيح » .
(٥) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « المطالب » .

ذكره . والمسألة الأخرى أنتم توليتم كِبْرها ، حتى جرى فيها القدر بما جرى من الانفصال ، والحمد لله على كل حال . وأما الرمى بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق فى التكلم به ، فشىء قلما يقع مثله من البهتان ، ممن كان يرجو لقاء ربه ، وكلامكم فى المدح والهجو هو عندى من قبيل اللغو الذى نمر به كراما ، والحمد لله فكثّروا[1] أو أقلوا من أى نوع شئتم ، أنتم وما ترضونه لنفسكم[2] ، وما فُهْت لكم بما فُهْت من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فمذهبى غير مذهبكم ، وعندى ما ليس عندكم .

وكذلك رأيتكم تكثرون فى مخاطبتكم من لفظ الرُّقية فى مَعْرِض الإنكار لوجود نفعها ، والرمى بالمنقصة والحمق لمستعملها ، ولو كنتم قد نظرتم فى شىء من كتب السنة ، وسير الأمة المسلمة ، نظر مصدّق ، لما وَسِعكم إنكارُ ما أنكرتم ، وكَتْبه بخط يدكم ، فهو قادح كبير فى عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع فى سورة الفَلَقَ أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بها هو وآحاد أمته ؛ وفى أمهات الإسلام الخمس أن رسول صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى رقاه جبريل ، فقال : بسم الله يُبريك[3] ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شرّ حاسد إذا حسد ، [١٤٠] ومن شر كل ذى عين . وفى الصحيح أيضاً أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فى سَفَر ، فمروا بحىّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحىّ لديغ أو مصاب ؛ فقال رجل من القوم : نعم ، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فأُعْطى قطيعا من

(١) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « أكثروا أو قللوا » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « لأنفسكم » .
(٣) يريد : « يبرئك » فسهل .

غنم ، الحديث الشهير . قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرُّقية والطب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك والشافعى وأحمد وأبى ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز المقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفى هذا القدر كفاية . وما رَقَيت قط أحداً على الوجه الذى ذكرتم ، ولا استرقيت ، والحمد لله ، وما حَمَلَنى على تبيين ما بينته الآن لكم فى المسأله ، إلا إرادة الخير التام لجهتكم ، والطمع فى إصلاح باطنكم وظاهركم ، فإنى أخاف عليكم من الإفصاح بالطعن فى الشريعة ، ورمى علمائها بالمَنْقصة ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هُذَيْل شيخكم ، منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام ، قلما تجوز عليهم ، حَفِظَهُمُ الله ، المغالطات ، فتأسركم شهادة العدول التى لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من دَرْك الشقاء ، وشماتة الأعداء ، وجَهْد البلاء .

وكذلك أحذركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجناب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد الغُرّ المحجَّلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكرة ، يكبر فى النفوس التكلم بها ، أنتم تعلمونها ، وهى التى زرعت فى القلوب ما زَرَعت من بغضكم ، وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من [١٤١] وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم ، لكانت الأمة المسلمة ، امتعاضاً لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خُدّام الدول ما صدر عنكم ، من العبث فى الأبشار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال المكر والحيل والغدر فى غالب[1] الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخديم والمخدوم ، ولو لم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة ما رضيتم به لنفسكم ، من

(١) فى ط : « فى سائر » .

الاتسام بسوء العهد ، والتجاوز المحض ، وكفران النعم ، والركون إلى ما تحصل من الحطام الزائل[١] ، إلا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم ، أيده الله بنصره ، وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه ، وفى الكثير من أهل قطره ، لكفاكم وَصْمة لا يَغْسل دَنَسها البحر ، ولا يَنسى عارَها الدهر ، فإنكم تركتموه أولا بالمغرب عند تلوّن الزمان ، وذهبتم للكديه[٢] ، والأخذ بمقتضى المقامة الساسانية ، إلى أن استدعاه المَلك ، وتخلصت له بعد الجهد الأندلس ، فسقطتم عليه سقوط الذُّباب على الحَلواء ، وضربتم وجوه رجاله بعضاً ببعض ، حتى خلا لكم الجو ، وتمكن الأمر والنهى ، فهمزتم ولَمَزْتم ، وجمعتم من المال ما جمعتم ، ثم وَرّيتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء ، مكراً منكم ، فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة ، وهربتم بأثقالكم الهروب الذى أنكره عليكم كل من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر فى العُدوتين ، من مؤمن وكافر ، وبَرّ وفاجر ، فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرّفاتكم حازم ، أو يثق بكم فى قول أو فعل صالح أو طالح . ولو كان قد بقى لكم من العقل [١٤٢] ما تتفكرون به فى الكيفية التى ختمتم بها عملكم بالأندلس ، من الزيادة فى المغرم وغير ذلك ، مما لكم وِزْره ووِزْر من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة ، حسبما ثبت فى الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن ، وملازمة الأسف والندم على ما أوقعتم فيه نفسكم الأمّارة ، من التورط والتنشّب فى أشطان الآمال ، ودسائس الشيطان ، ونعوذ بالله من شرور الأنفس ، وسيئات الأعمال .

وأما قولكم عن فلان : إنه كان حشرة فى قشور[٣] اللّوز ، و إن فلاناً كان

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « الحطام باليد » .

(٢) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى النسخة الخطية : « للكذبة » . وفى الأصلين : « للكيدة » .

(٣) فى نفح الطيب : « فى قلوب » .

بُرْغوثاً فى تراب الخمول ، فكلام سَفْسَاف ، يقال لكم من الجواب عليه : وأنتم يا هذا ، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلا ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم ولا استكثاراً ، وأنشأهم كما قدر أحوالا وأطواراً ، واستخلفهم فى الأرض بعد أمة أمماً ، و بعد عصر أعصاراً ، وكَلَّفهم شرائعه وأحكامه ، ولم يتركهم هَمَلا ، وأمرهم ونهاهم ، ليبلوهم أيُّهم أحسن عملا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، و بكل اعتبار فلا نعلم فى نَمَط الطلبة تدريجا كان أسمح فى تدريجكم ، ونبدأ من كذا ، فإنه كان كذا وكذا ، وأكثر أهل زمانه تحملا وتقللا فى نفسه بالنسبة إلى منصبه ، كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ، ولكنه حين علم رحمه الله من نشأتكم ؛ وحالتكم ما علم ، نبذ مصاهرتكم ، وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت جُزَىّ زوج الرهيصى معكم ، حسبما هو مشهور فى بلدكم ، وذكرتم أنكم ما زلتم من أهل الغِنى حيث نقرتم بذكر العَرَض [وهو بفتح العين والراء : حُطام الدنيا ، على ما حكى أبو عبيد ، قال أبو زيد : هو بسكون الراء : المال الذى [١٤٣] لا ذهب فيه ولا فضة] ، وأى مال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج من الثقاف[1] ، على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية مترايل ، ثم من العدد الذى برز قبلكم ، أيام كانت أشغال الطعام بيدكم ، على ما شهد به الجمهور من أصحابكم ؛ وأما الفلاحة التى أشرتم إليها ، فلا حق لكم فيها ، إذ هى فى الحقيقة لبيت مال المسلمين ، مع ما بيدكم ، على ما تقرر فى الفقهيات ، والمعدوم شرعا كالمعدوم حِسًّا ، ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سَقطاتكم فى القال والقيل ، ولم يُصْرف إلى دفع معرتها عنكم وجهُ التأويل ، لكانت مسألتكم ثانية لمسألة أبى الخير بل أبى الشر ، الحادثة أيام خلافة الحكم ، المسطورة فى نوازل

(١) يريد : الحبس والسجن . (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .

أبى الأصبغ بن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتى عليكم قديماً وحديثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التَّبِعات ، إنَّ وعد الله حَقّ ، فلا تغرَّنَّــكم الحياةُ الدنيا ، ولا يَغُرَّنَّــكم بالله الغَرور .

وقلتم فى كتابكم : أين الخُطط المتوارثة عن الآباء والأجداد ؟ وقد أذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية غيبة الجاهلية ، فى التفاخر بالآباء ، ولـكننى أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى المجيب بهذا ، فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أماثل قطره . قال القاضى أبو عبد الله ابن عسكر : وقد ذكر فى كتابه من سَلَفى فلان بن فلان ما نصه : و بيته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر ، استقضى جده المنصور ابن أبى عامر . وقال غيره وغيره ، و بيدى من عهود الخلفاء ، وصُـكوك الأمراء المكتتبة بخطوط أيديهم ، من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ، [١٤٤] ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد ، والمنة لله وحده . و إن كانت الإشارة إلى الغير(١) من الأصحاب فى الوقت ، حفظهم الله ، فكل واحـد منهم إذا نُظِر إليه بعين الحق ، وُجِد أقرب منكم نسباً للخطط المعتبرة ، وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب ، أو مساوياً على فرض المسامحة لـكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه .

ونرجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يافلان من قومكم فى عمود نسبكم فقيهاً مشهوراً ، أو كاتباً قبلـكم معروفاً ، أو شاعراً مطبوعاً ، أو رجلا نبيهاً مذكوراً ، ولو كان يا لَوْشِيّ وكان ، لـكان من الواجب الرجوع إلى التناصف

(١) فى النسخة المطبوعة من نفح الطيب : « للغير » .

والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتفاطع ، إن الله لا ينظر إلى صُوَركم وأبدانكم ، ولـكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالـكم .

وكذلك العَجَب كل العجب من تسميتكم الخَرِبات التى شرعتم فى بنائها بدار السلامة ، وهيهات هيهات ، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجَلاء ، وعَناء وفناء ، ولو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار فى الوقت إلا موت سعيدكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقينى بمآلها ، وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتم حيث أنتم من الشهوات التى ذكرتم أن منها الإكثار من الأكل والخرق ، والقعود بإزاء جارية المـاء على نِطْع الجلد ، والإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيـه من الخِسة والخبائث والخبث ، وبالجملة ، فسرور العاقل إنما ينبغى أن يكون بما يجمل تقديمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا عيش الآخرة ، فقدموا إن قبلتم وَصاة الحبيب أو البغيض بَعْضاً ، عسى أن يكون لكم ، ولا تخلفوا كيلا[1] يكون عليكم ، هذا الذى قلته لكم وإن كان لدى من يقف عليه من نمط[2] الـكثير ، فهو فى اعتبار المكان ، وما مر من الزمان فى حيّز اليسير ، وهو فى نفســه قول حق وصدق ، ومُستنَدُ أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبيائه ، فاحمدوا الله العلى العظيم على تذكيركم به ، إذ هو مجرى النصيحة الصريحة ، يسّرنى الله وإياكم لليُسْرَى ، وجعلنا ممن ذُكِّر فانتفع بالذكرى ، والسلام . [١٤٥]

انتهى كلام القاضى ابن الحسن النُّباهى رحمه الله .

قلت : ولعل هذا الكلام وأشباهه هو الحامل لابن الخطيّب على هجو القاضى

(١) كذا فى ط . وفى ت ونفح الطيب : «كلا» .

(٢) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : «وغط» .

ابن الحسن المذكور فى الكتيبة الكامنة ، حيث ذكره ولقبه بجُعْسوس[1] ، ووصفه بما لا يليق ذكره ، ثم ألف فى ذلك تأليفاً مستقلا ، سماه بخلع الرَّسَن ، فى وصف القاضى ابن الحسن ، حسبما ألفيت ذلك بخط شيخ شيخنا القاضى سيدى عبد الواحد الوانشريسى رحمه الله ، ولا يخلو كلام كل واحد منهما من تحامل على صاحبه ، والله يسمح لنا ولهما بجاه النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال ولى الدين بن خلدون فى تاريخه ، فى موضع آخر ما نصه :

كان محمد بن الأحمر المخلوع قد رجع من رُندة إلى ملكه بغرناطة ، فى جمادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على ملكهم ، حين هرب من غرناطة إليه ، وفاءً بعهد المخلوع ، واستوى على كرسيه ، واستقل بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ، فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه فى القيام بملكه ، فاستولى عليه ، [١٤٦] وملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكناه إلى إن نزلت به آفة فى رياسته ، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه ، وكان لأبناء السلطان أبى الحسن كلهم غيرةٌ من[2] ولد عمهم السلطان أبى على ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق الأمير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بالأندلس ، اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه لنجواه ، ورفع فى الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له على الغُزاة المجاهدين من زناتة ، مكان بنى عمه من الأعياض[3] ، فكانت له آثار فى الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره ، واستقل بملكه ، وكان ابن الخطيب ساعياً فى مرضاته عند سلطانه ، فدس[4] إليه باعتقال عبد الرحمن

(١) الجعسوس : القصير الدميم .

(٢) فى تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٣٧ طبعة بلاق) : « على » .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأعياص » .

(٤) كذا فى ط وتاريخ ابن خلدون ونفح الطيب . وفى ت : « فأسر » .

ابن أبي يفلوسن ، ووزيره [المطارد به][١] مسعود بن ماساى ؛ وأدار ابنُ الخطيب فى ذلك مكرَه ، وحمل السلطان عليهما ، إلى أن سطا بهما ابن الأحمر ، واعتقلهما سائرَ أيام السلطان عبد العزيز ؛ وتغيّر الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم ، وتنكّر له ، فنزع عنه إلى عبد العزيز[٢] سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين ، لِمَا قدّم من الوسائل ، ومهّد من السوابق ؛ فقبله السلطان ، وأحلّه من مجالسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابنَ الأحمر فى أهله وولده ، فبعثهم إليه ، واستقر فى جملة السلطان . ثم تأكدت العداوة بينه و بين ابن الأحمر ، فرغّب السلطانَ [عبد العزيز][٣] فى ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تِلْمِسان إلى المغرب ؛ ونَمَى ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان [عبد العزيز][٣] بهديّة لم يُسْمَع بمثلها ، انتقى فيها من متاع الأندلس وماعونها ، وبغالها الفارهة ومَعْلوجيّ[٤] السَّبْي وجواريه ، وأوفد بها رسله ، يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك ونَكِره . ولما هلك واستبد الوزير ابن غازى بالأمر ، تحيز إليه ابن الخطيب وداخله ، وخاطبه ابن الأحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان [عبد العزيز][٣] ، فلجّ واستنكف عن ذلك وأقبح الردّ ، وانصرف رسوله إليه وقد رَهِب سطوته ؛ فأطلق ابن الأحمر لحينه عبدَ الرحمن بن أبي يفلوسن ، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية[٥] ، ومعه الوزير مسعود بن ماساى ، ونهض — [يعنى ابن الأحمر] —[٣] إلى جبل الفتح ، فنازله بعساكره ، ونزل عبد الرحمن ببطوية . [١٤٧]

---

(١) زيادة عن ابن خلدون .

(٢) العبارة من قوله « وتغير الجو » إلى قوله « عبد العزيز » ساقطة فى تاريخ ابن خلدون .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٥) بطوية : من حصون ورباطات سفاقس ، وهى على البحر وبها منار مفرط فى الارتفاع . (عن المغرب للبكرى) .

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا ، تركته لطوله ، وملخصه : أن الوزير أبا بكر ابن غازى ، الذى كان معه[1] ابن الخطيب ، ولّى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة ، خوفا عليها من ابن الأحمر ، ونهض هو ، أعنى الوزير ، إلى منازلة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ببطوية ، إذ كانوا قد بايعوه ، فامتنع عليه ، وقاتله أياما ، ثم رجع إلى تازا[2] ، ثم إلى فاس ، واستولى عبد الرحمن على تازا ، و بينما الوزير أبو بكر بفاس يدبّر الرأى ، إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبى سالم ، وهو المعروف بذى الدولتين ، وهذه هى دولته الأولى ، وذلك أن ابن عم الوزير ، وهو محمد بن عثمان ، لما تولى سبتة ، كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح ، وأخذ بمخَنَّقه ، وتكرّرت المراسلة بينه و بين محمد بن عثمان والعتاب ، فاستعتب له ، وقبّح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازى ، من الاستغلاظ له فى شأن ابن الخطيب وغيره ، فوجد ابن الأحمر بذلك السبيل إلى غرضه ، وداخله فى [١٤٨] البيعة لابن السلطان أبى سالم ، من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحَوْطة والرِّقبة ، وأن يقيمه للمسلمين سلطانا ، ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبى الذى لم يبلغ ، ولا تصح ولايته شرعا ، وهو السعيد بن أبى فارس ، الذى بايعه الوزير أبو بكر بن غازى بتلمسان حين مات أبوه ، واستبد عليه ، واختص ابن الأحمر أحمدَ ابن أبى سالم من بين أولئك الأبناء ، لِمَا سبق بينه و بين أبيه أبى سالم من الموالاة . وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا ، منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح ، الذى هو محاصر له ، وأن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بنى مَرِين ، ليكونوا تحت حَوْطته ، وأن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدَروا

---

(١) فى نفح الطيب : « الذى كان تحيز إليه ابن الخطيب » .

(٢) تازا : موضع من أعمال بنى العافية ، فى جبل منه الذهب . (عن المغرب للبكرى) .

عليه ؛ فانعقد أمرهم على ذلك ، وتقبّل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبتة إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله ، فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها ، فقدموا وبايعوا ، وخاطب أهل جبل الفتح ، فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم . و بعث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح ، وخاطب أهله بالرجوع إلى طاعته ؛ فارتحل ابن الأحمر من مالقة إليه ، ودخله ، ومحا دعوة بني مرين ، مما وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبي العباس ، وأمده بعسكر من غُزاة الأندلس ، وحمل إليه مالاً للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر بن غازي ، قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب إليه يُموّه بأن هذا عن أمره ، فتبرأ من ذلك ، ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتل له [١٤٩] بانعقاد البيعة لأبي العباس . و بينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى ما رامه منه ، بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمه ، ونهض إلى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، فاهتبل[1] في غيبة ابن عمه محمد بن عثمان مُلْكَ المغرب ، ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة[2] نحو ستمائة ، وعَسْكَرٌ آخر من الغُزاة . و بعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ، ومظاهرته ، واجتماعهما على مُلْك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، و بلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من

---

(١) اهتبل : غنم .
(٢) الناشبة ، يريد : الرماة .

تازا ، فانفضّ معسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكُدْية العرائس ؛ وانتهى السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون[١] ، فصمد إليه الوزير بعساكره ، فاختل مَصافّه ، ورجع على عقبه مفلولا ، وانتهب عسكره ، ودخل البلد الجديد البيضاء ، وجأجأ[٢] بالعرب أولاد حسين ، فعسكروا بالزَّيْتون ظاهر فاس ، فنهض إليهم الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشرّدهم إلى الصحراء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بمجموعة من العرب وزناتة ، وبعثوا إلى وليّ دولتهم ونزمار بن عريف ، بمكانه من قصره الذى اختطه بملويّة[٣] ، فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ، فاجتمعوا بوادى النجا ، وتحالفوا ، ثم ارتحلوا إلى كُدْية العرائس فى ذى القعدة من سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بعساكره ، فانهزمت جموعه ، [١٥٠] وأحيط به ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غص الريق . واضطرب معسكر السلطان أبى العباس بكُدْية العرائس ، ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ؛ ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكموا الحصار ، وتحكموا فى ضِياع ابن الخطيب بفاس ، فهدموها ، وعاثوا فيها . ولما كان فاتحَ سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابنَ عمّه الوزير أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد ، والبيعة للسلطان ، لكون الحصار قد اشتد به ويئس ، وأعجزه المال ، فأجاب ، واشترط عليهم الأمير

---

(١) الذى فى المغرب للبكرى : « زرهونة » .
(٢) كذا فى ت ونفح الطيب : وجأجأ : أهاب ودعا . وفى ط : « وجاء » .
(٣) ملوية : نهر كبير مشهور فى المغرب الأقصى ويصب إليه نهر سجلماسة ويصيران نهرا واحدا يصب فى بحر الروم فى شرقى سبتة وجنوبها على ثلاث مئة وعشرة أميال . (عن تقويم البلدان) .

عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة ، فعقدوا له على كره ، وطَوَوْا على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبى العباس وبايعه ، واقتضى عهده بالأمان وتخلية سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد سابع المحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراكش ، واستولى عليها .

نكبته ووفاته

محنة ابن الخطيب ووفاته :

ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال :

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه [فاتح] (١) سنة ست وسبعين ، استقلّ بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن أعراب كبير بنى عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب ، وإسلامه إليه ، لِماَ نَمَى إليه عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز المرينى (٢) بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ، ولقيه أبو بكر بن [١٥١] غازى بساحة البلد الجديد ، فهزمه السلطان ، ولازمه بالحِصار ، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد ، خوفا على نفسه . فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وطيّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ؛ وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى ت ونفح الطيب .

الغزاة بالأندلس ، متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز له سليمان سفيرا عن [الوزير] [١] عمر بن عبد الله ، ومقتضيا عهده من السلطان ، فصده ابن الخطيب عن ذلك ، [محتجا] [١] بأن تلك الرياسة إنما هى لأعياض الملك من بنى عبد الحق ، لأنهم يعسوب زَناتة ؛ فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لمحل إمارته من جَبَل الفَتْح ، فكانت تقعُ بَيْنه وبينَ ابنِ الخطيب مُكاتباتٌ ، يشير [٢] كلٌّ واحد منهما لصاحبه بما يُحْفِظه ، مما كَمَن فى صدورهما . وحينَ بلغ خبرُ القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعثَ كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله ابن زَمْرك ، فقدِم على السلطان أبى العباس ، وأحضر ابنَ الخطيب بالمَشْوَر [٣] فى مجلس الخاصة ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه فى المحبة [٤] ، فعظُم النَّكِير فيها ، فوُبِّخ ونكِّل ، وامتُحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ ، ثم نُقِل [٥] إلى محبسه ، واشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجَّلة عليه ، وأفتى بعضُ الفقهاء فيه ، ودسّ سليمانُ بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانفة جاءوا فى لفيف الخدم ، مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خَنْقا فى محبسه ، وأُخرج شِلْوه من الغد ، فدُفن فى مقبرة باب المحروق ، [١٥٢] ثم أصبح من الغد على شافة [٦] قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت

(١) زيادة عن نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « ينفث » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . والمشور : يريد مجلس المشورة . (راجع تكملة المعجمات لدوزى) . وفى ط : « بالمنشور » .
(٤) فى ت : « بالمحبة » .
(٥) كذا فى ط ونفح الطيب المطبوع . وفى ت والنسخة الخطية من نفح الطيب « ثل » .
(٦) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب المطبوع والخطى : « سافة » . وفى الاحاطة : « ساقة » . ولعل الكلمة محرفة عن : « حافة » .

عليـه نار ، فاحترق شعره ، واسودّ بَشَره ، فأُعيد إلى حفرته ، وكان فى ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه الشنعاء التى جاء بها سليمان ، واعتدُّوها من هَناته ، وعظُم النَّكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد .

شعره فى محبسه يبكى نفسه

وكان ، عفا الله عنه ، أيام امتحانه بالسجن يتوقَّع مصيبة الموت ، فتجهش هواتفه بالشعر ، يبكى نفسَه ، ومما قال فى ذلك :

بَعُدْنا وإنْ جَاورتْنا البُيوتْ وجئْنا بوَعْظ ونحن صُموتْ
وأنفاسُنا سكنت دَفعــةً كجَهْر الصلاة تلاه القُنوت
وكُنّا عِظامًا فصِرْنا عظاما وكنا نَقُوت فهـا نحن قُوت
وكنّا شموسَ سماءِ العُــلا غَرَبْن فناحت علينا السّموت(١)
فكم خَذَلَتْ ذا الحُسام الظُّبا وذو البُخت كم جَدَّلَته البُخوت
وكم سِيقَ للقبر فى خِرْقة فتًى مُلِئت من كُساه التُّخوت
فقُلْ للعدا ذهب ابن الخطيب وفات ومَنْ ذا الذى لا يفوت
ومَنْ كان يفرح منهم له فقُل : يفرح اليومَ من لا يموتْ

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر .

تخميس لبعض بنى الصباغ

ورأيت تخميسا لبعض بنى الصباغ على هذه القطعة ، لكنّه زاد فيها بعضَ أبيات على ما ذكره ابن خلدون ، وها أنا أثبتُه تتميما للفائدة ، وهو :

أيا جاهـلا غرّه ما يفوتْ وألْهاه حالٌ قليـلُ الثبوتْ
تأمّل لمن بعد أنسٍ يَصُوتْ(٢) بعـدنا وإن جاورتنا البيوتْ
وجئنا بوعظ ونحن صموتْ

(١) السموت : الطرق ؛ الواحد : سمت . ولعله يريد : مدارات النجوم .
(٢) فى ط ونفح الطيب : « يفوت » .

لقد نِلتُ من دَهْرنا رِفعــةً تقضَّت كبَرْق مضَى سُرْعةً
فهيهات ترجو لهـا رجعــةً وأصواتنا[(١)] سَكنت دَفعــةً
كجهر الصلاة تلاه القنوتْ

بدا لى من العِزِّ وجهُ شـبابُ يُؤَمَّــل سَيْبى وبأسى يُهابُ[(٢)] [١٠٣]
فسَرعان مُزِّق ذاك الإهابُ ومَدّت وقــد أنكرتنا الثيابُ
علينا[(٣)] نسائجَها العنكبوتْ

فآها لعزٍّ تقضَّى مَنــامَا مُنِحْنا به الجاه دَوْما[(٤)] كِرامَا
وكنّا نَسُوس أمورًا عظامَا وكنّا عِظاما فصِرْنا عِظامَا
وكنّا نقوتُ فها نحن قُوتْ

وكنّا لذا المُلْك حَلْىَ الطُّلاَ فآها عليه زمانًا خــلاَ
نُعوَّض من جِــدَّة بالبِلَى وكنا شُموسَ سماء العُــلاَ
غَرَبْن فناحت علينا السُّموتْ

تعوّدْتُ بالرغم صرفَ الليالِى وحَمَّلْتُ نفسِىَ فوقَ احتمالِى
وأيقنتُ أنْ سوف يأتى ارتحالِى ومَنْ كانَ مُنتظراً للزوالِ
فكيف يُؤَمَّل منه الثبوتْ

---

(١) فيما مر : « وأنفاسنا » .

(٢) كذا فى نفح الطيب . والسيب : العطاء . وفى ت : « يؤمن شيبى » . وفى ط : « يؤمن سيفى وسيبى .. الخ » .

(٣) فى ط : « عليها » .

(٤) كذا فى ت . وفى ط : « قدما » . وفى نفح الطيب : « قوما » .

هو الموت يا ما له من نبَا[١] يجوز الحجابَ إلى مَنْ أبَى
ويألف[٢] أخذ سنيّ الخبا[٣] فكم أسلَمتْ ذا الحُسام الظُّبَا

وذا البخت كم جدَّلته البُخوتْ

هو الموتُ أفصحَ من عُجْمةٍ وأيقظَ بالوعظ من نَوْمةٍ
وسلَّى عن الحزن ذا حُرْقةٍ فكم سِيق للقبْرِ[٤] فى خِرْقةٍ

فتى مُلئتْ من كُساه التُّخوتْ

تقضَّى زمانى بعَيْشٍ خَصيبِ وعندى لذَنْبِى انكسارُ المُنيبِ
وها الموتُ قد صُبْت منه نصيبى[٥] فقل للعدا ذهب ابن الخطيبِ

وفات ومن ذا الذى لا يفوتْ

مضَى ابنُ الخطيب كمن قبلَهُ ومَنْ بعده يَقْتفِى سُبْلَهُ
وهذا الرَّدى ناثر شملَهُ[٦] فمن كان يفرح منهم لَهُ

فقل يفرح اليوم من لا يموتْ

---

(١) يريد : « نبأ » فسهل للشعر .
(٢) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى الأصلين والنسخة الخطية من نفح الطيب : « ويأنف » .
(٣) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب ، يريد : الخباء ، وقصره للشعر . ويريد بسنى الخباء : الشريف العزيز المتمنع فى خبائه . وفى الأصلين ونفح الطيب المطبوع : « الحبا » .
(٤) فى ت (هنا) : « للموت » .
(٥) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفى ت : « قد ضقت منه نصيب » . وفى ط : « قد ضعت منه نصيب » .
(٦) موضع هذا الشطر فى الأصلين بياض . وقد زدناه عن نفح الطيب .

هو الموتُ عَمّ فما للعِدَا يُسَرُّون بى حين[١] ذُقتُ الردَى
ومن فاته اليومَ يأتى غدَا سَيَبْلى الجديدُ إذا ما المدَى

[١٠٤] تتابع آحادُه والسُّبوتْ

أُخَىَّ توخَّ طريقَ النجاةِ وقدِّم لنفسك قبل المماتِ
وشمّر بجِدٍّ لما هو آتِى ولا تغترِرْ بسَراب الحياةِ

فإنك عمّا قريب تموتْ

انتهى . وقد تذكرت بقوله :

سيبلى الجديد إذا ما المدا تتابع آحاده والسبوت

قول الآخر :

نَطوِى سُبوتا وآحادا ونَنْشرها ونحن فى الطَّىِّ بين السَّبْتِ والأحدِ
فَعُدَّ ما شئتَ من سَبْتٍ ومن أحدٍ لا بُدّ أن يدخل المطْوِىُّ فى العَدَدِ

شعر ابن الخطيب

شعره :

قال بعض الأعلام : شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطامع ، ولا مُعَرَّج على شاعر بعده للآذان والمَسامع ؛ فمن ذلك قوله سامحه الله :

عسى خَطْرَةٌ[٢] بالرَّكْب ياحادىَ العِيسِ على الهضْبةِ الشَّماء من قَصْر باديسِ[٣]

---

(١) فى ت : « حيث » .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٨٤) . وفى ت : « نظرة » .
(٣) باديس : فرضة بينها وبين سبتة مئة ميل ، ويقابلها من الأندلس مالقة . (عن تقويم البلدان) .

لَنظفر من ذاك الزُّلال بعَـــلّة ‏ وَنَنعم فى تلك الظِّلال بتَعْريس[١]

حَبَسْت بها رَكْبى فُواقاً وإنّمـــا ‏ عَقَدْت على قلبى لها عَقْد تَحْبيس[٢]

لقد رسخت آىُ الجَوا فى جَوانحى ‏ كما رَسخ الإنجيل فى قلب قِسّيس

بمَيْدان جَفْنى للسّهاد كَتيبةٌ ‏ تُغيرعلى سَرْح الكَرَى فى كَراديس[٣]

وما بىَ إلا نَفْحـــــة حاجرِيّة ‏ سَرَتْ والدجَى مابين وَهْن وتَغْليس[٤]

أَلاَ نَفَسٌ ياريحُ من جانب الحِمَى ‏ تُنفِّس من نار الجوى بعضَ تَنْفيس

وياقلب لا تُلْقِ الســـــلاح فربما ‏ تعـذَّر فى الدهر اطِّرادُ المقاييس

وقد تُعْتِب الأيامُ بعـــد عِتابها ‏ وقد يُعْقِب الله النعيمَ من البُوس

ولا تخشَى لُجَّ الدمع يا خَطْرة الكَرَى ‏ إلى الجفن بل قِيسى على صَرْح بِلْقِيس[٥]

تقول سُلَيْمَى : ما لجسمك شاحباً ‏ مقالةَ تأنيب يُشـــاب بتأنيس

وقد كنتَ تعطو كلما هبّت الصَّبا ‏ بريّانَ فى ماء الشَّبيبة مغموس

ومن رَابَح الأيام يا بنتَ عامر ‏ يَجُوب الفَـلا راحت يداه بتَفْليس[٦]

---

(١) التعريس : النزول للاستراحة آخر الليل .

(٢) الفواق (بالضم والفتح) : ما بين الحلبتين من الوقت ؛ أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع . يريد : وقتا قصيرا .

(٣) الكراديس : القطع العظيمة من الخيل . يريد : جيوش السهاد .

(٤) حاجرية : نسبة إلى حاجر . وهو منزل من منازل الحاج . والوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . والتغليس : آخره .

(٥) لا تخش : الصواب فيه فتح الشين وإسكان الياء ، إلا أن الوزن لا يستقيم بهذا الضبط . ويشير بصرح بلقيس إلى الآية الكريمة : « قيل لها ادخلى الصرح » .

(٦) رابح الأيام : غالبها ، يرجو أن ترجح كفته .

فلا تحسبي والصدقُ خيرُ[(١)] سجيّة ظُهورَ النّوَى إلاّ بطونَ النواميسِ[(٢)]

وقفـــــراء أما رَكْبها فمُضلَّل وَمَرْبعَها من آنس غيرُ مأنوس[(٣)]

سَـــنحنا[(٤)] بها من هضْبة لقرارة ضَلالا ومِلْنا من كِناس إلى خِيس[(٥)]

إذا مانهضنا عن[(٦)] مَقيلِ غَزالة نزلنا فعرّسنا بساحة عِرِّيس[(٧)] [١٠٥]

أدرنا بها كأساً دِهاقاً من السُّرَى أملنا بها عند الصَّباح من الروس

وحَانة خَمَّار هدانا لقَصْدها شَميمُ الحُمَيَّا واصطكاك النَّواقيس

تَطَلّع رَبَّانيُّها من جِـــــداره يُهيْنِمُ فى جُنح الظلام بتَقْديس

بكرْنا وقُلْنا إذْ نزلنا بساحة عن الصافنات الجُردِ والضُّمَّرِ العِيس

أيا عابدَ الناسوت إنا عِصـــابة أتينا لتَثْليث بَلَى ولِتَسْـــديس

وما قَصْـــدنا إلا المقام بحَانة وكم أُلبِسَ الحقّ المبينُ بتَلْبيس

فأنزلنا قَوراء فى جَنَباتهـــا[(٨)] محاربب شتّى لاختلافِ النواميس

بَدَرْنا بها طين الختام بسَـجْدة أردنا بها تجـــديد حَسْرة إبليس

ودار العَذارى بالمُدام كأنها قطاً تتهادى فى رياش الطّواويس

وصارَفنا فيها نُضارا بمثـــله كأنا ملأنا الكأس ليلا من الكِيس

---

(١) فى ت : « غير » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب المخطوط والمطبوع . ولعلها محرفة عن « النواويس » بمعنى القبور .

(٣) المربع : الموضع الذى يرتبع فيه فى الربيع .

(٤) فى نفح الطيب : « سحبنا » .

(٥) الكناس : بيت الظبي . والخيس : موضع الأسد .

(٦) فى ت : « من » .

(٧) العريس : مأوى الأسد .

(٨) فى نفح الطيب المخطوط والمطبوع : « فأنزلنا فورا على جنباتها » .

وقُمنا نَشَاوَى عندما[1] متعَ الضُّحى ... كما نهضت غُلْبُ الأُسود من الخِيسِ[2]

فقال : لبئس المُسلمون ضيوفنا ... أما وأبيك الحَبْرْ[3] ما نحن بالبيس[4]

وهل فى بنى مَشْــواك إلا مُبرّز ... بِحَلْبة شُورَى أو بحَلْقة تدريس

إذا هز عَسَّالَ اليَراعة فاتــكاً ... أسالَ نجيعَ الحِبْر فوق القراطيس

يقلِّب تحت النَّقْع مُقْلة ضاحك ... إذا التفتَ الأبطالُ عن مُقَل شُوس[5]

سَبينا عُقارَ الروم فى عُقْر خاننا[6] ... بحيلة[7] تَمْوِيه وخُدعة تَدْليس

لئن أنكرتْ شَكْلى ففضلىَ واضحٌ ... وهل جائز فى العَقْل إنكار محسوس!

رسبت بأقصى الغرب ذُخْرَ مَضَنَّةٍ[8] ... وكم دُرّة علياء فى قاع قاموس

وأغريت سُوسِى[9] بالعُذَيْب وبارق ... على وَطن دانى الجِوار من السُّوس[10]

قصيدة لابن الخطيب فى المولد النبوى

ومن ذلك قوله رحمه الله فى الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام يمدح مخدومه أبا عبد الله المخلوع :

ما على القلب بعدكم من جُناح ... أن يُرَى طائراً بغَـــير جَناحِ

---

(١) فى ت : « بعدما » .

(٢) متع الضحى : بلغ آخر غايته .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « الخير » .

(٤) بالبيس : يريد : بالبئس ، أى لسنا ممن يقال لهم : بئس المسلمون .

(٥) شوس ، أى تنظر بمؤخر العيون غضبا .

(٦) فى نفح الطيب : « دارها » .

(٧) فى ط ونفح الطيب : « بحلية » .

(٨) فى نفح الطيب : « ثغر مضلة » .

(٩) كذا فى الأصلين ونفح الطيب المطبوع . والسوس (هنا) : السجية والطبع . وفى النسخة الخطية من نفح الطيب : « موسى » .

(١٠) العذيب وبارق : موضعان بالكوفة وفيهما يقول أبو الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

والسوس : كورة بالمغرب مدينتها طنجة .

وعلى الشوق أن يُشَبّ إذا هــبّ بأنفاسكم نسيمُ الصباحِ
جيرةَ الحى والحديث شُجون والليالى تلينُ بعـــد الجِماح
أتَرون السّـــلوَّ خامَرَ قلبى بعدكم ؟ لا ، وفالقِ الإصباح
ولَوَ أنى أُعْطَى اقتراحى على الأيّـــام ما كان بُعْدُكم باقتراحى [١٠٦]
ضايقتنى فيكُمُ صروفُ الليالى واستدارت عَلَىّ دَوْر الوُشاح(١)
وسَقَتنى كأس الفراق دِهاقاً فى اغتباق مُواصِلٍ واصْطباح(٢)
واستباحت من جِدّتى وفتَائِى حَرَمًا لَمْ أَخَلْهُ بالمُسْتَبَاح

ومنها :

ياتُرَى والنفوس أسْرَى أمانى مالها من(٣) وَثاقها من سَراح
هل يُباح الوُرود بعـــد ذِياد أو يُباح اللّقاء بعد انتزاح
وإذا أعوزَ الجسومَ التـلاقى نابَ عنـه تعارفُ الأرواح

قصيدة لأبى زكريا ابن خلدون يحاكى بها قصيدة ابن الخطيب

وهى طويلة ، ولم يحضرنى منها فى هذا التاريخ سوى ما كتبته . قلت : وأظن أن الفقيه الكاتب أبا زكريا يحيى بن خَلدون كاتب الإنشاء بتِلِمْسان المحروسة ، أيام السلطان أبى حمو(٤) موسى بن يوسف الزَّيانى رحمه الله نسج على مِنوال هذه القصيدة فى قصيدة بديعة له ، ورفعها إلى السلطان أبى حمو فى مولد سنة

(١) الوشاح (بالضم والكسر) : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .
(٢) الاغتباق : شرب الغبوق ، وهو شراب العشى . والاصطباح : شرب الصبوح ، وهو شراب الصبح .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٦٠٢) . وفى ت : « عن » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين هنا : « حم » .

ثمان وسبعين وسبع مئة . وهذا ابن خلدون أخو ولى الدين صاحب التاريخ المشهور ، ونص القصيدة :

ما على الصَّب فى الهوى من جُناحِ أَنْ يُرَى حِلفَ عَبْرة وافتضاحِ
وإذا ما المُحِبّ عِيلَ اصطبارا كيف يُصغِى إلى نصيحة لاحى
يا رَعَى الله بالمُحصَّب رَبْعــا آذنتْ عهدَه النوَى بانتزاح[1]
كم أدرنا كأسَ الهوى فيه مَزْجا رُبَّ جِدٍّ من الجَوى فى المُزاح
هل إلى رَسمــه المُحِيل سَبيل يا حُداة المطِىِّ تلك الطِّلاح[2]
نسأل الدار بالخَليط ونسقى ذلك الربع بالدُّموع السِّفاح
أىَّ شَجْو عاينتُ بعــد نَواها من أسًى لازم وصَــبْرٍ مُزاح[3]
أَهْلَ وُدّى إنْ رابَكم بَرْحُ وَجْدى من صَـبًا بارحٍ وبَرْق لِياح
فاسألوا البرق عن خُفوق فؤادى والصَّبَا عن سَقام جِسْمى المُتاَح
ياأُهيــل الحمى نداء مَشُوق ما له عن هوى الدُّمى من بَرَاح
طالمـا استعذب المَدامعَ وِرْداً فى هواكم عن كلِّ عَذب قَراح
[١٠٧] عاده بالطُّلول للشوق عِيــدُ من حَمـام بدَوْحهن صِدَاح
مَنْ لقلبٍ من الجَوى فى ضِرام ولجَفْن من البُـكا فى جِراح
ولصَبٍّ يَهِيجه الذكرُ شوقاً فهو سُـكْراً يرتاح من غـير راح
ولَيال قضيتُ للَّهو فيهـــــا وَطَرا والشباب ضافِى الجَناح

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب .(عن معجم البلدان) .
(٢) الطلاح : الإبل التى أعياها السفر وأضناها .
(٣) مزاح : بعيد .

راكباً فى الهوى ذَلُول تَصابٍ[(١)] ساحباً فى الغرام ذيلَ مَراحِ
ونجومُ المُنى تُنير إلى أن رَوَّع الشيْبُ سِرْبَها بالصباح
أىّ مسْرًى حَمِدتُ لم أخل[(٢)] منه بسوى حسرةٍ وطول افتضاح
وَاخَسارِى يوم القيامة إنْ لم يغفرِ اللهُ زَلّتى واجــتراحى
لم أقدِّم وســيلةً فيه إلا حُبَّ خيرِ الورَى الشفيع الماحى
سيّدِ العالمين دُنيا وأخرى أشرفِ الخلق فى العُلا والسَّماح
سيدِ الـكون من سَماء وأرض سِرُّه بين غاية وافتتـــــاح
زَهْرةِ الغَيْب مَظْهَر الوَحْى معنَى النـــور كُنْه المِشْكاة والمِصْباح
آية المـكرُمات قُطْب المَعالى مصطفى الله من قُريش البِطاح
أوّل الأنبياء تَخْصيص زُلْفى آخر المرسلين بعثَ نجاح
صفوةِ الخلق أرفع الرسْل قَدْرا وسراج الهدى وشمسِ الفلاح
مَنْ لميلاده بمكة ضاءت من قُرَى قَيصَرٍ جميعُ الضواحى
وخَبَتْ نار فارسٍ وتداعتْ مِنْ مَشيد الإيوان كلُّ النواحى
من رَقِى فى السماء سبْعاً طِباقا ورأى آىَ ربّه فى اتضاح
ودنا منه قابَ قوسين قُرْبا ظافراً فى العُلى بكلّ اقتراح
من هَدَى الخلقَ بين حُمْر وسُودٍ وجلَا ليـــلَ غيّهم بالصّباح
من يُجير الورى غدا يوم يُجْزَى كلُّ عاص وطائع باجتراح

---

(١) فى نفح الطيب : « نقاب » .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب الخطى والمطبوع . وفى ت : « لم أنل » .

مَن إلى حَوْضِه وظلِّ لِواه[1] | يلجأ الناسُ بين ظامٍ وضَاحِى[2]
أحمدَ المجتَبَى حبيباً وأنَّى | فوق عِزِّ الحبيب مَرْمى طِماح
فى أناجيله المَسِيحُ تلاه | باسمه والكليمُ فى الألواح
ولكمْ حُجّةٍ وبرهانِ صدق | فى سَماعٍ أتَى بها والْتِماح
إنّ فى النَّجم والنباتِ لآياً | بَهرَتْ والجمادِ والأرواح
معجزات فُتْن المَدارك وصْفاً | وحِسَابا كالزُّهْر أو كالصَّباح
يا رُواة القَرِيض والشِّعر عجزاً | ما عسى تُدْرِكون بالأمداح
[١٥٨] إنما حَسْبنا الصلاةُ عليه | وهى للفوز آيةُ أستفتاح
يا إلهى بحق أحمدَ عفواً | عن[3] ذُنوبٍ جنيتُهنَّ قِباح
وأدِمْ دولةَ الخليفةِ موسى | ذى المَعالى المُبِينَة الأوضاح
مفخَرُ المُلْكِ مستقرّ المزايا | مَظْهر اللُّطف ذو التقى والصّلاح
ناصرُ الحق خاذل الجَور عَدْلا | ملجأ الخائفين بحرُ السَّماح
يَتلقَّى النَّدى بوجهٍ حَيِيّ | ويُلاقى العِدا ببأس صِفَاح
وله المَكْرُمات إرثاً ولُبْساً[4] | حاز حَمْدا بها مُعَلَّى القِدَاح
مِنْ عُلًا باذخٍ وفَخْرٍ صَمِيم | وكمالٍ بحْتٍ ومَجْدٍ صُراح
وأحاديثَ فى المَعالى حِسانٍ | رُويتْ عنه فى العَوالى الصِّحاح
عاقد صفْقَةَ العُلَا كُلَّ حِين | فائز فيه سعْيُه بالرَّباح

(١) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « حماه » .
(٢) الضاحى : الذى يبرز للشمس ويصلى حرها .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « من » .
(٤) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . ولعلها : « كسبا » .

للنَدى والهُدى يَرُوح ويَغْدُو أىَّ مَغْـدًى إلى العُلَا وَمَرَاحِ
مَلِكٌ تُشْرِق الأسِرّة منـه فى سَماء السَّرير نُور صَـباح
وإذا ما عَـلَا بعَالى العوالى صَهوةَ الجُرْد فهْو ليثُ الكِفاح
لَبِس الدهرُ منه حُـلّةَ حُسْن وثَنَى للسُّرور عِطفَ مِرَاح
وعَلَا عاتِقَ الخِلافة منـه طِرْز فَخْرٍ سَـبَى النُّهَى بالتماح
وَرِث المُلْكَ شامخاً عن سَراةٍ شيّدوا رُكْنه بأيدى الصِّـفاح
مِنْ بَنِى القاسم الذين تحلّوا بالمعالى واسـتأثَروا بالفلاح
فرَعُوا هَضْبةَ الخِلافة مجـداً رَفَعوا سَـقْفه على الأرماح
نَشروا رايةَ المفاخر حَمْـداً خافقَ النور بالرُّبَا والبِطاح
يا إماما بَذّ المـلوكَ جلالاً وجَمَـالا فُدِّيتَ بالأرواح
أنت شمسُ الكمال دُمْتَ عَلِيّا فى اغتباق من المُنى واصْطِباح
وبَنُوكَ الأعلوْن أنجُمُ سَـعْدٍ زاهِراتٌ بنُـورِك الوضّاح
وأبو تاشَـفِين بَدرٌ مُنير زانهُ الله بالخِلال الصِّـباح
أكْمل العالمين خَلْقاً وخُلْقاً أشرف الناس فى النَّدى والكِفاح
وبكم زُيِّنَتْ سمَاء المعالى واهتدى الناسُ فى الدُّجى والصباح

قلت : قوله :

أكمل العالمين خلقا وخلقا أشرف الناس فى الندى والكفاح

لا يخلو من قلة تحفظ ، ومثل هذا فى الحقيقة إنما يُطلق على رسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كان المتكلّم أراد أهل عصره . [١٥٩]

وصف ليالى مولد النبى أيام السلطان أبى حمو

وكان السلطان أبو حَمو(١) موسى بن يوسف الممدوح فى هذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس فى ذلك العصر وما قبله يَعْتنون بذلك ، ولا يقع منهم فيه إغفال ؛ وقد تقدم أن العَزْفِىّ صاحب سبتة هو الذى سَنّ ذلك فى بلاد المغرب ، وأتى بزُلْفى تُدنيه إلى الله وتُقرّب ؛ واقتفى الناس سَنَنَه ، وتقلدوا مِنَنَه ؛ تعظيما للجناب الذى [وَجب] له السموّ والعلو ، على أن بعضهم قد خرج فى ذلك إلى حدّ الإسراف والغلو ؛ وكل يعمل على شاكلته .

ومن جملة احتفال السلطان أبى حمو(١) المذكور ما قاله صاحب راح الأرواح(٢) : « إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوىّ ، على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشورة من تِلِمْسان المحروسة ، مَدْعاةً حَفيلة ، يحشُر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شئت من نمارق مصفوفه ، وزَرَابِىّ مبثوثه ؛ وبُسُط مُوَشّاه ، ووسائد بالذهب مُغَشّاه ؛ وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالهالات ؛ ومَباخر صُفْر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تِبْر [مذاب](٣) ؛ ويُفاض على الجميع أنواع الأطعمه ، كأنها أزهار الربيع المنمنمه ؛ تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حُسن ريّاها(٤) الأرواح ويُخامر ؛ رُتّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أُبّهة الوقار والإجلال ؛ وبعقب ذلك يحتفل المُسْمِعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومُكَفّرات ترغّب فى الإقلاع عن الآثام ؛ يخرجون فيها من فن إلى فن ، ومن أسلوب إلى أسلوب ؛ ويأتون من ذلك بما(٥) تطرب له [١٦٠]

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « أبو حم » .
(٢) صاحب راح الأرواح هو أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى .
(٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « رؤياها » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ما » .

النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب ؛ وبالقرب من السلطان ، رضوان الله عليه ، خزانة [المِنْجانة[١] ، قد زُخْرِفت كأنها حُلّة يمانيه ، لها أبواب مُرْتَجَة[٢] ، على عدد ساعات][٣] الليل الزمانيـه ؛ فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من أبوابها ؛ وبرزت منه جارية صُوّرت فى أحسن صوره ، فى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطوره ؛ فتضعها بين يدى السلطان بلطافه ، ويُسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافه ؛ هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادى حىّ على الفلاح » .

انتهى كلام صاحب راح الأرواح .

وقال[٤] فى نظم الدرر والعقيان فى هذا المعنى ما نصه :

« وكان ، يعنى السلطان أبا حمو ، يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يُقيم مَدْعاة ، يحشر لها الأشراف والسُّوقة ، فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزَرابىّ مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخزّ الملون ، وبأيديهم مباخر ومِرشّات ، ينال كل منها بحظه ، وخزانة المنجانة ذات تماثيل لُجين محكمة الصنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائرا ، فَرْخاه تحت جناحيه ، ويَخْتِله فيهما[٥] أرقم ، خارج من كَوّة بجذر الأيكة صُعُدا[٦] ، وبصَدْرها أبواب مُرْتجة

(١) المنجانة : آلة لرصد الوقت . (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .
(٢) كذا فى النسخة الخطية من نفح الطيب وفيما سيأتى فى الأصلين . وفى الأصلين هنا ونفح الطيب المطبوع : « موجفة » .
(٣) التكملة عن ت ونفح الطيب .
(٤) يريد أبا عبد الله التلمسانى ثم التنسى صاحب راح الأرواح .
(٥) فى نفح الطيب : « فيها » .
(٦) فى نفح الطيب : « صاعدا » .

بعدد ساعات الله الزمانية ، يصاقب طَرَفيها بابان كبيران ، وفوق جميعها دُوَيْن رأس الخِزانة ، قمرأ كمل ، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك ، و يُسامت أول كل ساعة بابُها المرتَج ، فينقَضُّ من البابين الكبيرين عُقَابان ، بِفِي[1] كل واحد منهما صَنْجة صُفْر ، يلقيها إلى طَسْت من الصُّفْر مجوّف ، بوسطه ثقب يفضى بها إلى داخل الخِزانة فيرنّ ، و ينهَش الأرقم أحد الفَرخين ، فيصفِر له أبواه ، فهنا [١٦١] يفتح باب الساعة الذاهبة ، وتبرز منه جارية محتزِمة ، كأظرف ما أنت راء ، يمناها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، و يُسراها موضوعة على فيها ، كالمُبايعة بالخلافة ، والمُسْمِع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يُؤْتَى آخرَ الليل بموائد كالهالات دَوْرا ، والرياض نَوْرا ؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس ، وتستحسنها الأعين ، وتَلَذّ بسماع أسمائها الأذن ، و يَشْره مُبْصِرها للقرب منها والتناول و إن كان ليس بغَرْثان ؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذى ابتدأ جلوسه فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلّى هنالك صلاة الصبح .

على هذا الأسلوب تمضى ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جميع أيام دولته ، أعلى الله مَقامه فى علّيين ، وشكر له فى ذلك صنعه الجميل ، آمين .

وما من ليلة مولد مرت فى أيامه إلا ونظم فيها [قصيدا][2] فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أول ما يبتدئ المُسْمع فى ذلك المحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلوه إنشاد مَنْ رفع إلى مَقامه العلى فى تلك الليلة نظما » .

انتهى كلام صاحب نظم الدرر والعقيان ، وهو أتم مَساقا من كلامه فى راح الأرواح .

(١) فى نفح الطيب : « فى يد » .
(٢) زيادة عن ت ونفح الطيب .

شعر لأبى زكريا ابن خلدون فى المنجانة

أقول : ولا بد أن نذكر جملة من القطع التى أنشأها الكاتب أبو زكرياء يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبى حمو المذكور ، على لسان جارية المَنْجانة ، مخاطبة بما مر من الليل ، وكانت الجارية تأتى بها فى يدها اليمنى ، كما ذكرناه ؛ فمن ذلك [قوله رحمه الله فى مضىّ ساعتين من الليل :

أخليفةَ الرحمن والملكَ الذى تعنو لعزّ عُلاه أملاكُ البَشَرْ

لله مجلسُك الذى يحكى عُــلاً بك مالِكى أفقَ السماء لمن نظر

أوَ ما ترى فيـه النجومَ زواهرا وجهُ الخليفة بينهن هو القمر

والليل منه ساعتان قد انقضت تُثْنى عليك ثَنا الرياض على المَطر

لا زال هذا المُلْك منصوراً بكم و بلغتَ ممّا ترتجى أسنى الوطر

و] قوله رحمه الله فى انقضاء ثلاث ساعات من الليل : [١٦٢]

أمولاى يابن المـلوك الأُلى لهم فى المَعالى سَنِىّ الرتَبْ

تولت ثلاثٌ من الليل أبْــقت لك الفخرَ فى عُجْمها والعرب

فدُمْ حجةَ الله فى أرضــه تنالُ الذى شئته من أرب

وقوله رحمه الله فى مضى ست ساعات :

يا ماجدا وهو فردُ تخاله فى عَساكرْ

سِتٌّ من الليل ولَّت ما إن لها من نظائر

دامت لَياليك حتى إلى المَعاد نَواضر

وقوله رحمه الله فى مُضِىّ ثمان ساعات :

يا أكرمَ الخلق ذاتاً وأشرفَ الناس أُسْرَهْ

مرّتْ ثمانٌ وأبقتْ فى القلب مِنّى حَسْره

فيهنّ كان شبابى أخا نعيمٍ ونَضْره
وَلَّى بها الدهرُ عَنِّى تُرَى لها بَعْدُ كَرَّه
فالله يُبقيك مَوْلًى يُطيل فى السعد عُمْره

وقوله رحمه الله فى مضى عشر ساعات :

يا مالك الخير والخيل التى حكمتْ له بعزٍّ على الأيام مُقْتَبَلِ
هذا الصباح وقد لاحت بشائرُه والليلُ وَدَّعنا توديعَ مُرْتحِل
لله عشرٌ من الساعات باهرةٌ مَضَيْن لا عن قِلًى منّا ولا مَلَل
كذا تمرُّ ليالى العُمْر راحلةً عنّا ونحن مَعَ الآمال فى شُغُل
نُمْسِى ونُصْبح فى لَهْوٍ نُسَرُّ به جهلاً وذلك يُدْنينا من الأَجَل
[١٦٣] والعمر يَمضى ولا نَدرِى فوا أَسَفَا عليه إذ مَرَّ فى الآثام والزَّلَل
ياليت شعرى غدًا(١) كيف الخلاص به ولم نُقَدِّم له شيئا من العمل
يا رَبِّ عفوَكَ عما قد جنته يدى فليْس لى بجزاء الذنب من قِبَل
يا ربِّ وانصر أمير المسلمين أبا حَمو الرِّضا وأَنِلْه غاية الأَمَل
وأَبْقِ فى العز والتمكين مدّته وأَعْلِ دولته الغَرّا على الدُّول

موشحة للتلاليسى يخاطب بها أبا حمو

ومن الموشّحات التى خوطب بها السلطان أبو حمو رحمه الله فى مولد سنة سبع وستين وسبع مئة ، قولُ طبيب دولته أبى عبد الله محمد بن أبى جمعة الشهير بالتلاليسى ، رحمه الله تعالى :

لى مَدْمَع هَتَّانْ يَنهَلّ مثلَ الدُّرَرْ
قد صيَّر الأجفانْ ما إن لها من أثَرْ

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « ياليت أن غدا » . وفى ت « ياليت غدا » . وهما ظاهرتا التحريف .

حُقَّ له يجــــرِى دَمًا على طــول الدوامْ
مُذْ جَــدَّ فى السيرِ ناسٌ إلى خــير الأنامْ
وعاقــنى وِزْرِى يا صاحِ عن ذاك المَقامْ
وسارت الأظْعانْ يُحْدى بها فى السَّحَرِ
فاستبشر الركبانْ بقرب نَيْل الوطَرِ

يا ســعدَهُ مَنْ زارْ قــبرَ النبىِّ المصطفَى
محمـــد المختارْ قُطبِ المعالِى والوفا
فى مدحه قــد حازْ الخَلْقُ طُرًّا وكَفَى
فى مُحْكَمَ القرآنْ وشَرحِه والسِّــيَرِ
فَضَّله الرحمنْ على جميع البشَرِ

يا حادىَ الركبِ باللهِ إن جئتَ البقيعْ
تحيــةَ الصَّــبِّ بلِّغْ إلى الهادى الشفيعْ
غُرِّبْتُ بالغــربِ عن ذلك المَغْنَى الرفيعْ
وليس لى إمكانْ يُنهِضنى للسفرِ
إلا من السلطانْ الملكِ المظفَّــرِ

من لم يزل يسمُو إلى المعالى كلَّ حِينْ
ذاك أبو حمّــو المولَى أمــيرُ المسلمينْ
طاعتُه غُــنمُ نِلْنا بها دنيــا ودينْ
أظهرَ فى البُلْدانْ من عـدله المُشْتَهَرِ
وعَمَّ بالإحسانْ للبـدوِ ثم الحضَرِ

[١٦٤]

قابلَه إســــعادْ تكلّ عنـــه الألسنهْ
قَبيلُ عبـــدِ الوادْ[1] به غـــدت فى سلطنه
أيامُــــه أعيــادْ يا ليتها ألفا سَـــنَهْ
مُلْكُ بنى زَيّانْ بالمشرَفِيّ الذَّكَرِ
أحياه إذْ قد كانْ ليس لَه مِنْ خبَرِ
تاهتْ تِلِمْسانْ بملكه على البـــلادْ
صار لهـــــا شان وسعدُها حِلْفُ ازديادْ
قد ضـــل إنسان قال بها يشكو السُّهادْ
ليلُ الهوَى يقظانْ والحِبُّ تِرْب السَّهَرِ
والصبر لى خوّانْ والنوم من[2] عينى بَرِى[3]

شىء عن السلطان أبى حمو

وكان هذا السلطان أبو حمو رحمه الله يَقرض الشعر، ويحب أهله، وله رحمه الله تأليف حسن فى السياسة، لخص فيه «سُلْوان المُطاع» لابن ظَفَر، وزاد عليه فوائد، وأورد فيه جملة من نظمه، وأمورا جرت له مع معاصريه من ملوك بنى مَرِين وغيرهم، وصنّفه برسم ولى عهده أبى تاشَـفِين، وسمّاه «نظم السلوك، فى سياسة الملوك».

قصيدة ابن الخطيب للسلطان أبى حمو يستعيذ به

وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا [١٦٥] ما يوجّه إليه بالأمداح، ومن أحسن ما وَجّه له[4] قصيدة سينية فائقة، وذلك عند ما أحسّ بتغير سلطانه عليه، فجعلها مقدمة بين يدى نجواه، لتمهد له مثواه:

(١) فى ط: «الجواد».
(٢) كذا فى ط. وفى ت: «عن».
(٣) برى: يريد: «برىء» فسهل للشعر.
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٢٧ طبعة بلاق). وفى ت: «إليه».

وتحصل له المستقرّ ، إذا ألجأه الأمر إلى المفرّ ؛ فلم تساعده الأيّام ، كما هو شأنها فى أكثر الأعلام ؛ وهى هذه :

أَطلعْن فى سُدَف الفُروع شُموسَا ضحِك الظلام لها وكان عَبُوسَا
وعَطَفْن قُضْبا للقُدود نواعِمًا بُوِّئْن أدواح النعيم غُرُوسا
وعَدَلْنَ عن جَهْر السلام مَخافةَ الْـ ـواشى فجِئْن بلفظه مَهموسا
وسَفَرْن من دَهَش الوداع وقومهن إلى الترحّل قد أناخوا العِيسا
وخَلَسْن من خَلَل الحِجال إشارة فتركن كلّ حِجالها مخلوسا
لم أَنْسَها من وَحْشةٍ والحىُّ قد زَجَر الحمولَ وآثرَ التَّغْليسا
لا المُلْتَقَى من بعدها كَثَبٌ[1] ولا عُوجُ الركائب تَسْأم التخييسا[2]
فوقَفْتُ وِقْفة هائم بُرَحاؤهُ وَقَفتْ عليه وحُبِّسَتْ تَحْبِيسا
ودَعَوْتُ عينى عاتبا وعُيونها بعصا النَّوى قد بُجِّسَتْ تبجيسا
نَافَسْت يا عينىَّ دُرَّ دُموعِهِمْ فعرضت دُرًّا للدُّموع نفيسا
ما لِلْحِمَى بعد الأحبَّة مُوحِشاً ولَكَمْ تَراءى آهلاً مَأْنُوسا
ولِسِرْبه حَوْلَ الخميلة نافراً عمّن يُحِسّ به وكانَ أنيسا
ولِظِلِّه المورودِ غَمْرُ قَلِيبه لا يقتضِى وِرْدًا ولا تَعْرِيسا[3]
حَيَّيْتُه فَأَجابنى رجْعُ الصَّدَى لا فَرْق بينهما إذا ما قِيسا
ما إن يَزيد على الإعادة صوته حَرْفا فيشفى بالمَزِيد نَسِيسا[4]

(١) كثب ، أى قريب .
(٢) كذا فى ط . والتخييس : أن تذلل الدابة وتراض بالركوب . وفى ت ونفح الطيب : « التجنيسا » .
(٣) القليب : البئر . وغمره : أى ماؤه الغامر . والتعريس : النزول آخر الليل .
(٤) النسيس : غاية جهد الإنسان .

نَصَب المَعِين وقَلّص الظلُّ الذى ظَلْنا وُقُوفا عنـــده وجُلُوسا

نتواعد الرُّجْعَى ونَغْتَنِم اللّقا ونُدِيرُ مِنْ شكْوى الغرام كؤوسا

فإذا سألتَ فلا تسائِلْ مخـبِرا وإذا سَمِعتَ فلا تُحِسَّ حَسِيسا

عَهْدِى به والدهرُ يُتْحِفُ بالمُنَى وقـد اقتضتْ نُعماه أن لا بُوسا(١)

والعيْش غَضُّ الرَّيْع والدُّنيا قَدِ اجْـــتُلِيَتْ بمغناه(٢) علىَّ عَرُوسا

أتُرَى يُعيدُ الدَّهْرُ عَهْـدًا للصِّبا دَرَسَتْ مَغانى الأنس فيه دُروسا

[أوطانُ أوطارٍ تعَوَّضَ أُفْقُها من رَوْنَق البِشر البهىِّ عُبوسا] (٣)

هيهاتَ لا تُغْنِى لَعَـلَّ ولا عَسَى فى مِثْلها إلا لآية عِيسى

والدّهر فى دَسْت القضاءِ مُدَرِّسٌ فإذا قضى يستأنف التَّـدريسا

[١٦٦] تفْـتَنّ فى جُمـــل الورَى أبحاثه لا سيَّما فى باب نِعْم وبِيسا

وسَجيةُ الإنسان ليسَ بناصِلٍ من صِبْغها حتَّى يُرَى مَرْمُوسا

يغترّ مَهْمـا ساعدتْ آمالُه فإذا عَرَاه الخَطْبُ كان يئُوسا

فلَوَ أنَّ نفسا مُـكِّنَتْ من رُشْدها يوما وقدَّسها الهُدَى تقديسا

لم تستفزّ رسوخَها النُّعْمَى ولا هَلَعَتْ إذا كَشرت(٤) إليها البُوسا

قل للزمان إليك عن متذمّم(٥) بضمان عِزّ لم يكن ليَخِيسا(٦)

---

(١) لا بوسا : لا بؤسا ، فسهل .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « بمعناه » .
(٣) التكملة عن ت ونفح الطيب .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « كسرت » . وفى ط : « كثرت » وكلاهما تحريف .
(٥) المتذمم : المستنكف .
(٦) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « تبخيسا » .

فإذا استحرّ جِلادُه فأنا الذى اسـ ـتغشيت مِن سَرْد[(١)] اليقين لَبُوسا[(٢)]

وإذا طغا فِرْعونه فأنا الذى مِنْ ضُرّه وأذاه عُذْتُ بموسى

أنا ذا أبومثواه[(٣)] من يَحْمِى الحِمَى لَيْثا ويُعْلِم بالزَّئير الخِيسا

بِحِمَى أبى حَمُّو حَطَطْتُ ركائبى لما اختبرتُ الليْثَ والعِرِّيسا

أَسَد الهِياج إذا خطا قُدُمًا سَطَا فيُخَلِّف الأَسَدَ الهِزَبْرَ فَرِيسا

بَدْر الهُدَى يَأبَى الظَّلاَلَ ضِياؤه أبداً فيجلو الظلمةَ الحِنْديسا[(٤)]

جَبَل الوَقار رَسَا وأَشْرَف واعْتَلى وسَمَا فطأطأتِ الجبالُ رُءوسا

غَيْث النوال إذا الغمامُ حَلوبةٌ مَثَلَتْ بأيدى الحالبين بَسُوسا[(٥)]

تلقاه يوم الأُنس روضًا ناعما وتراه بأساً فى الهِياج بَئيسا

كَمْ غَمْرةٍ جَلَّى وكم خَطْبٍ كفى إن أوطأ الجُرْد العِتاق وَطيسا

كَمْ حِكمةٍ أبدَى وكم قَصْدٍ هَدَى للسالكين أبان منه دَريسا[(٦)]

أَعلَى بَنى زَيَّانَ والفَـذّ الذى لَبِس الكمال فزيّن المَلْبوسا

جَمَع النَّدى والباسَ والشيمَ العُلاَ والسُّودَدَ المتواتِرَ القُدْموسا[(٧)]

والحِلْمَ ليس يُبايِن الخُلُق الرِّضا والعِلْمَ ليس يعارض الناموسا

---

(١) سرد اليقين : أى درع من اليقين .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « البوسا » .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « مثواى » .

(٤) الحنديس : الشديد الظلمة .

(٥) البسوس : الناقة التى لا تدر إلا على الإبساس ، أى التلطف ، بأن يقال لها : بس بس ، تسكينا لها .

(٦) الدريس : الطريق الخفى .

(٧) القدموس : القديم .

والسعدَ يغنى حكمه عن نَصْبةٍ تستخبرُ التربيعَ والتّسديسا
كم راضَ صعباً لا يُرَاضُ مُعاصيا كم خاض حَرْباً لا يُخاض ضَرُوسا
بلَغ التّى لا فَوْقَها متمهِّلا وعَلَا السُّهَا واستسفلَ البِرْجيسا(١)
يا خيرَ مَنْ خفقت عليه سَحابة للنصر تُمْطره أجشَّ بجيسا(٢)
وأجلَّ مَنْ حَمَلَتْه صَهْوَةُ سابح إنْ كَرَّ ضعضع كَرُّه الـكُردوسا(٣)
قَسَماً بِمَنْ رفع السماءَ بغيرِ ما عَمَـدٍ ورَفَّع فوقَها إدريسا
ودَحَا البَسيطة فَوْق لُجٍّ مُزْبِدٍ ما إنْ يَزال على القرار حَبِيسا
حتّى يُهيب بأَهْلِه الوعدُ الذى حَشَرَ الرئيسَ إليْه والمرءوسا
[١٦٧] ما أنْتَ إلا ذخرُ دهرِك دُمْتَ فى الصَّـوْن الحريزِ مُمَتَّعا محروسا
لو ساومته الأرضُ فيك بمـا حوتْ لَرَآكَ مُسْتاماً بها مَبْخُوسا
حلف(٤) البُرور بها أَلِيَّـةَ صادقٍ ويمينُ مَنْ عقد اليمين غَمُوسا(٥)
مَن قاسَ ذاتَكَ بالذواتِ فإنَّه جَهِلَ الوزان وأَخطأ التقييسا
لا تستوِى الأعيانُ فضلَ مَزِيَّةٍ وطبيعة فَطَرَ الإلٰه وَسُوسا(٦)
لعنايةُ التَّخصيص سرٌّ غامض من قبلِ ذرءِ الخلقِ خَصَّ نُفوسا
مَن أَنْـكَر الفضل الذى أُوتيتَه جَحَدَ العِيانَ وأنـكرَ المحسوسا

---

(١) البرجيس (بالكسر) : نجم ، أو هو المشترى .
(٢) بجيسا : غزيرا .
(٣) الـكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « كاف » .
(٥) غين : يكذب . واليمين الغموس : التى تغمس صاحبها فى الإثم ثم فى النار ، وهى الـكاذبة التى يتعمدها صاحبها عالما بأن الأمر بخلافه .
(٦) السوس : الطبيعة والسجية .

من دَان بالإخلاص فيكَ فعقْدُه لا يقبلُ التمويه والتلبيسا
والمنتمَى العَلَوِىّ عِيصُك لم تكن لِتُرى دَخيلا فى بنيه دسيسا[1]
بَيْتَ البَتولِ ومُنْتَمَى الشرَفِ الذى تَحْمِى الملائكُ دَوْحَهُ المغْروسا
أمّا سياستك التى أحْكمتها فرَمَيْتَ بالتقصيرِ أسْطَالِيسا
فلَوَأنْ كِسرَى الفرسِ أبصر بعضَها ما كان يَطْمع أن يُعدّ سَؤوسا[2]
لوسار عدلُك فى السنين لما اشتكتْ بخسا ولم يكُ بعضُهُنّ كبيسا
ولَوِ الجوارى الخُنّسُ انتسبت إلى أقوامِ عِزِّك ما خَنَسْن خُنوسا[3]
قُدْتَ الصِّعاب فكل صَعْبٍ سامحٌ لكَ بالقِياد وكانَ قبلُ شَمُوسا
تَلْقَى الليوثَ وللقَتام غَمامة قدحَ الصفيحُ وَميضَها المَقْبوسا
وكأنّها تحتَ الدُّروع أراقِمٌ يَنظُرْنَ من خَلَل المغافر شُوسا[4]
ما لابن مامةَ فى القديم وحاتمٍ ضرَبَ الزمانُ بجودهم ناقوسا[5]
من جاء منهم مثلَ جُودك كلّما حَسِبُوا المكارم كُسوة أوْ كِيسا
أنتَ الذى افْتَكّ السفينَ وأهلَه إذْ أوسَعَتْ سُبُل الخلاص طُمُوسا
أنت الذى أمددت ثغر الله بالصَّـدَقاتِ تُبْلِسُ كَرّةً إبْليسا
وأعَنْتَ أندلُسا بكل سَبيكةٍ مَوْسومةٍ لا تَعرِف التّدْليسا

(١) العيص : الأصل .
(٢) فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « بسوسا » .
(٣) الجوارى الخنس : منها زحل والمريخ والمشترى وعطارد والزهرة ؛ وخنوسها : اختفاؤها .
(٤) شوسا : ناظرة بمؤخر العين غضبا .
(٥) ابن مامة : هو كعب ، وهو من أجواد العرب .

وشَحنته بالبُرّ فى سُبل الرضا   والبرّ قارب قاعُها القامُوسا
إن لم تجرّ بها الخَميسَ فطالما   جَهّزْت فيها للنّوال خميسا
ومَلأْتَ أيدِيَها وقد كادتْ على   حُكْم القضاء تُشابه التّفليسا
[١٦٨] صدّقْتَ للآمال صَنْعة جابرٍ[1]   وكفيْتَها التشميع والتشميسا[2]
والحَلّ والتقْطير والتّصْعيد والتّـ   ـخميرَ والتّصْويل والتكْليسا[3]
فسبكت من آمالها مالا ومِنْ   أوراقها وَرِقًا وكُنّ طُرُوسا
بُهِتُوا فلمّا استَخْبروا لم يُنْكِروا   وَزْنا ولا لَوْنا ولا مَلمُوسا
تَدْبير مَنْ قلَب السُّطورَ سَبائِكا   منها ومن طَبَع الحُروف فُلُوسا
ونَحَوْت نَحْوَ الفضل تَعْضِد منه بالـ   ـمَسْموع ما ألفيتَ منه مَقيسا
وجَبَرْت بعد الكسرِ قومَك جاهدا   تُغنِي العَديمَ وتُطْلق المَحْبوسا
ونَشَرْت راية عِزِّهم مِنْ بعدما   دَال الزمان فسامَها تَنْكِيسا
أحكمتَ حيلة بُرْئِهِمْ بلطافةٍ   قد أَعْجَزَتْ فى الطِّب جالينوسا
وفَلَلْتَ من حَـدّ الزمان وإنه   أَوْحَى وأَمْضَى من غِرار المُوسَى
وشَحذْتَ حَـدًّا كان قبلُ مُثَلَّما   ونَعَشْت جَـدًّا كان قبلُ تَعيسا

---

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء).
(٢) التشميع: تليين الشيء وتصييره كالشمع. (عن مفاتيح العلوم للخوارزمى).
(٣) الحل: أن تجعل المنعقدات مثل الماء. والتقطير: مثل صنعة ماء الورد، وهو أن يوضع الشيء فى القرع ويوقد تحته، فيصعد ماؤه إلى الأنبيق، وينزل إلى القابلة، ويجتمع فيه. والتصعيد: شبيه بالتقطير، إلا أن أكثر ما يستعمل فى الأشياء اليابسة. والتصويل: أن يجعل الشيء الذى يرسب فى الرطوبات طافيا، وذلك أن يصير مثل الهباء حتى يصول على الماء. والتكليس: أن يجعل جسد فى كيزان مطينة ويجعل فى النار حتى يصير مثل الدقيق. والشيء يكلس ثم يصول. (عن مفاتيح العلوم).

لم تَرْجُ إلا اللهَ جــلّ جلالُه ... فى شِـدّة تُـكْفَى وجُرْح يُوسَى

قدمتَ صُبْحا فاستضأت بنوره ... ووجدت عنـد الشدة التنفيسا

ما أنتَ إلا فالح[1] متيقّن ... بالنُّجْح تعمُرُ مُمْرِعا ويَبِيسا

ومُتَاجِرٌ جَعَلَ الأريكة صَهْوة ... عَرَبيـــة والمُتَّكَا القَرَبُوسا[2]

ما إنْ تُبايع أو تُشارِى[3] واثقا ... بالربح إلا المالكَ القُـــدُّوسا

والعزمُ يفـترع النجومَ بناؤه ... مَهْما أَقام على التُّقَى تأسيسا

ومَقام صَبرِك واتكالك مُذْ كَرَبْ ... بحديثـــه الشِّبْلِيَّ أو طاووسا[4]

ومَـن ارتضاه اللهُ وفّق سعيَهُ ... فرأى العظيمَ من الحظوظ خسيسا

ما ازددتَ بالتمحيص إلا جِدَّة ... ونضوتَ من خِلَـع الزمان لَبيسا

ولطالما طرقَ الخسوفُ أهِـــلَّة ... ولطالما اعترض الـكُسوف شُموسا

ثم انجلتْ نسماتُها عن مَشْرِق ... للسّعد ليسَ بحاذر تتعيسا

خُـذْها إليك على النَّوَى سِينِية ... تُرْضِى الطِّباق وتشكُر التَّجْنيسا

إنْ طُوولت[5] بالدّر من حول الطُّلى ... يوما تشكَّت حَظَّها المَوْكُوسا

لولاك ما أُصْغِت لخِطْبة خاطب ... ولعَنَّسَتْ فى بيتهـا تَعْنيسا

قصدَتْ سليمانَ الزمانِ وقاربت ... فى الخطو تحسِبُ نفسها بلْقيسا

---

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . وفى ت : « واجِ » .

(٢) القربوس : حنو السرج .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ما إن يبايع أو يشارى » .

(٤) الشبلى : هو أبو بكر دلف بن جحدر الصوفى وكانت وفاته سنة ٣٣٤ هـ . وطاوس : هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو سعيـد المالينى الصوفى وكانت وفاته سنة ٤١٢ هـ .

(٥) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « طولت » .

لى فيك ودٌّ لم أكن من بعد ما أعطيتُ صَفقةَ عهده لأخيسا

كَمْ لى بصحّة عَقْده مِنْ شاهدٍ لا يحذَر التجريحَ والتَّدْليسا

يَقفو الشَّهادةَ باليمين وإنّه لمؤَمَّنٌ من أن يُعَدَّ فَسيسا[1]

لا يستقرّ قَرارُ أفكارى إلى أنْ أَسْتقر لَدى عُلاك جَليسا

[١٦٩] وأرَى تجُاهك مستقيمَ السيرِ للـقَصْد الذى أعملتُه معكوسا

هى دَين أيامى فإن سمحت به لم يبق من شىء عليه يُوسَى

لا زال صُنْع الله مجنوبا إلى مَثواك يُهْدى البِشر والتأنيسا

متتابعا كتتابع الأيام لا يَذَرُ التعاقُبَ جُمعة وخَميسا

فلَوَ أنصفتك إيالة المُلك التى رُضْت الزمان لها وكان شَرِيسا

قَرَنَتْ بذكرك والدعاء لك الذى تختارُه التسبيحَ والتقديسا

القلبُ أنت لها رئيس حياتها لم تعتبر مهما صَلَحْتَ رئيسا

قال الحافظ أبو عبد الله التَّنَسِيّ ، رحمه الله ورضى عنه : حذا ابن الخطيب فى هذه السينية حَذْو أبى تمام فى قصيدته التى أولها :

أقَشيبَ رَبْعِهِمُ أراكَ دَرِيسَا تَقْرِى ضُيوفَك لَوْعة ورَسيسا

واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها . انتهى .

نثر له أيضا وصل به القصيدة

ووصل ابن الخطيب هذه السينية بنثر بارع يخاطب به السلطان أبا حَمّو المذكور ، ونصه :

(١) الفسيس : الأحمق الضعيف العقل . وفى ت : « قسيسا » بالقاف بدل الفاء ، وهو تصحيف .

« هذه القصيدة ، أبقى الله أيام المَثابة المَوْلوية المُوسَوِية ممتعة بالشمل المجموع ، والثناء المسموع ، والملك المنصور الجُموع ؛ نَفْثَة من باح بسرّ هواه ، ولبّى دعوة الشوق العابث بلبه[1] وقد ظفِر بمن يهدى خبر جَواه إلى محل هَوَاه ؛ ويختلس بعث تحيَّته ، إلى مُثير أريحيته ؛ وهى بالنسبة إلى مايعتقد من ذلك الكمال ، الشاذّ عن الآمال ؛ عُنْوان من كتاب ، وذَوَاق من أوقار ذات أقتاب ؛ وإلا فمن يقوم بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئْ إحسانها إحسانه ؛ أو يستقل بوصفها يراعه ، أو تنهض بأيسر وَظيفها ذراعه ؛ ولا مكابرة بعد الاعتراف ، والبحر لا ينفَد بالاغتراف ؛ لا سيا وذاتكم اليوم والله يُبقيها ، ومِن المكاره يقيها ، وفى معارج القُرْب من حضرة القُدْس يُرَقّيها ، ياقوتة اختارها واعتبرها ، ثم بلاها بالتمحيص [١٧٠] فى سبيل التخصيص واختبرها ، وسَبيكة خلّصها وسَجَرها ، تخلصها بِسَجْره من الشَّوْب ، وأبرزها من لُباب الذَّوْب[2] ؛ وقصرت عن هذه الأثمان ، وسُرَّ بصدق دعواه[3] البَهْرمان[4] ؛ ليفاضل بين الجَهام والصَّيِّب ، ويَميزَ الله الخبيثَ من الطيِّب ؛ فأراكم أن لا جَدْوَى للعديد ولا للعُدَّه ، وعرّفكم بنفسه فى حال الشِّده ، ثم فَسَح لكم بعد ذلك فى المُدَّه ؛ لتعرفوه إذا دال الرَّخاء ، وهَبَّت بعد تلك الزعازع الرِّيحُ الرُّخاء ؛ ومَلّاكم من التجارب ، وأوردكم من ألطافه أعذب المشارب ؛ ونقلكم بين إمرار الزمان وإحلائه ، ولم يسلبكم إلا حقيرا عند أوليائه ؛

---

(١) وردت هذه العبارة محرفة فى ت هكذا : « ودعوة الشوق الثابت بلبه » .

(٢) وردت هذه العبارة فى الأصلين هكذا : « وسبيكة خلصها وشحرها تخلصته الشحيرة من الشوب وأبرزتها من ... الخ » . وفى نفح الطيب : وسبيكة خلصها وسخرها ، تخلصها لتسخيره من الشوب ... الخ » . والعبارة فى كل ذلك قلقة ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى المعنى المراد . والسجر : مصدر سجر التنور ونحوه ، إذا أحماه .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « دموعه » . وفى ط : « دعوته » .

(٤) البهرمان : العصفر ، وهو دون الأرجوان شدة حمرة .

وأعادكم المعاد المطهّر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المُعلَمَ المشهّر ؛ فأنتم اليوم بعين العنايه ، بالإفصاح والكنايه ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجنايه ؛ فإن كان المُلك اليوم عِلْما يُدْرَس ، وقوانين فى قوة الحفظ تُغْرَس ، وبضاعة برصَدِ التجارب تُحْرَس ؛ فأنتم مالك دار هجرته المحسوبه ، وأَصْمَعِىّ شُعوبه المنسوبه ؛ إلى ما حُزتم من أشتات الكمال ، المُرْبية على الآمال ؛ فالبيت عَلَوىّ المنتَسب ، والمُلك بين الموروث والمكتَسب ؛ والجود يعترف به الوجود ، والدِّين يشهد به الركوع والسجود ؛ والبأس تعرفه التهائم والنّجود ، والخُلُق يحسده الروض المَجُود ؛ والشِّعْر يغترف من عَذْب نمير ، ويصدق من قال بُدِئ بأمير وخُتِم بأمير ؛ وإن مملوككم حَوَّم من بابكم على العَذْب البَرود ، فعاقه الدهر عن الوُرود ؛ واستقبل أُفقه ليحقِّق الرّصْد ، ولكنه أخطأ القصْد ؛ [١٧١] ومن أخطأ الغرض أعاد ، ورجا من الزمان الإسعاد ؛ فربما خَبِئ نصيب ، أو كان مع الخواطئ سهم مُصيب ؛ وكانَ يؤمّل صحبة ركّاب الحِجاز ، فانتقلت الحقيقة منه إلى المجاز ؛ وقَطَعَت القواطع التى لم يَنَلْها الحساب ، ومنعت الموانع التى خَلَص منها إلى الفتنة الانتساب ؛ ومن طَلَب الأيام أن تجرىَ على اقتراحه ، وجب العمل على اطِّراحه ؛ فإنما هى البحر الزاخر ، الذى لا يُدرك منه الآخِر ؛ والرّياح متغايره ، والسفينة الحائره ؛ فتارة يتعذر من المُرْسَى الصَّرْف ، وتارة تَقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتدّ الطَّرف ؛ هذا إن سالمها عَطَبُها ، وأُعْفِى من الوَقود حطبُها ؛ ولقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك المَقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ، ممن[١] يجبر كسر القلوب ؛ فإنه مما انعقد على كماله الإجماع ، وصح فى عوالى معاليه السماع ، وارتفعت فى وجود مثاله الأطماع ؛ أخلاقا هذّبها الكرم الوضّاح ،

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « فمن » .

وسجية كَلِف بها الكمال الفضّاح ؛ وحِرصا على الذكر الجميل ، وما يتنافس فيه إلا من سمت همه ، وكَرُمت ذممه ، وألِفت الخلد رِمَمُه ؛ إذ الوجود سراب ، وما فوق التراب تراب ؛ ولا يبقى إلا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسطَّر فى أوراق[١] ؛ حسبما قلت من قصيدة كتبتها على ظهر [مكتوب][٢] موضوع ، أشار به من كانت له طاعه ، فوفت بمقترحه استطاعه :

يمضى الزمان فكلٌّ فانٍ ذاهبٌ ... إلا جميلَ الذكر فهو الباقِى

لم يبق من إيوان كِسْرى بعد ذا ... ك الحفل إلا الذِّكرُ فى الأوراق

هل كان للسفّاح والمنصور والـ ... مهدىّ مِنْ ذِكْر على الإطلاق

أو للرشيد وللأمين وصِنْوه ... لولا شَباةُ يَراعَةِ الورّاق

رجَع التراب إلى التراب بما اقتضتْ ... فى كلِّ خَلْق حِكْمة الخَلَّاق [١٧٢]

إلا الثناءَ الخالدَ العِطرَ الشذا ... يُهْدِى حديث مكارم الأخلاق

والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ، أن يمكّنها من حُسْن المثاب[٣] ؛ فتحظى بحلول ساحته ، ثم بلثم راحته ؛ ثم بالإصغاء ، ولا مزيد للابتغاء ؛ إلى أن ترتفع الوَساطه ، وتغنى عن التركيب البساطه ؛ ويُنْسَى الأثَر بالعين ، ويُحْسِن الدهر قضاء الدَّين ؛ ونسأل الذى أغرى بها القريحه ، ولم يجعل الباعث إلا المحبة الصريحه ؛ أن يُبقى تلك المَثَابة زيناً للزمان ، وذُخْرا مكنوفا باليمن والأمان ، مظلّلا برحمة الرحمن ، بفضله وكرمه » . انتهى .

بعض مقطوعات لابن الخطيب فى السلطان أبى حمو

ومن مقطوعاته ، أى ابن الخطيب ، البديعة فى مخاطبة هذا السلطان أبى حَمُّو صاحب تِلِمْسان ، قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس :

(١) فى ط : « أو ذكر جميل » .
(٢) زيادة عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « المناب » .

لقد زارَ الجزيرة منكَ بحرٌ يُمِدّ فليس تعرف منه جَزْرا
أعدْتَ لها بعهدك عهد موسى سميّك فهى تتلو منه ذِكرا
أقمتَ جِدارها وأفدت كَنْزا ولو شئت اتخذت عليه أجْرَا

وقوله :

وقالوا الجزيرة قد صَوَّحَتْ فقلت : غمامَ النَّدى تنتظرْ
إذا وكَفَتْ كَفُّ موسى بها غَماما يعود الجنابُ الخَضِر

ومخاطبات الوزير ابن الخطيب للسلطان أبى حمو كثيرة جدا ، ولنقتصر منها على ماذكرناه .

ومن نظم ابن الخطيب رحمه الله :

يا إمام الهدى وأى إمام أوضَحَ الحقَّ بعد إخفاء رَسْمِهْ
أنتَ عبد الحليم حلمَكَ نرجو فالمسمّى له نصيبٌ مِن اسمه

شعر له يودع به عبد الواحد ابن سلطان إفريقية

[وله يخاطب عبد الواحد بن زكرياء بن أحمد اللّحيانى أبا مالك ابن سلطان إفريقية مُوَدِّعا :

أبا مالك أنت نجل الملوكِ غيوثِ الندى وليوثِ النِّزالِ
ومثلك يرتاح للمكْرُماتِ وما لكَ بين الورى مِنْ مثال
عزيز بأنفسنا أَنْ نَرى رِكابك مُؤْذِنة بارتحال
وقد خبَرَتْ منك خُلْقا كريما أناف على درجاتِ الكمال
وفازت[1] لديك بساعاتِ أُنْس كما زار فى الليل طيفُ الخيال
ولولا تَعَلُّلنا أننـا نزورك[2] فوق بساط الجَلال

---

(١) كذا فى نفح الطيب (ج ٤ ص ١٧٦) . وفى الأصلين : « وجازت » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « بزورك » .

ونبلغُ فيك الذى نبْتغى   وذاك على الله سَهْل المنال
لما فَتَرَتْ أَنْفُسٌ مِنْ أَسًى   ولا بَرِحت أَدْمُعٌ فى انهمال
تلقتك حيثُ احتللت السعودُ   وكان لك الله فى كل حال

وتوفى أبو مالك المخاطب بهذا ببلد الجَرِيد سنة خمسين وسبع مئة][1] .

ومن أبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التى أولها :

* الحق يعلو والأباطل تسفل *

من قصيدة «المنح الغريب» له

قال ابن حِجّة فى شرح بديعيته ، الذى سماه بتقديم أبى بكر ، ما نصه :

« ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء ، براعة الاستهلال للعلامة إمام المغرب ، ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وهى :

الحق يعلو والأباطل تسفل   والله[2] عن أحكامه لا يُسْأَل   [١٧٣]

فإنه قال : نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سَلا ، لما انفصل طالباً حقه بالأندلس ، قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها[3] ، ووجهت بها إليه إلى رُنْدة قبل الفتح ، ثم لما قَدِمْتُ أنشدْتها [بين يديه][4] بعد الفتح وفاء بنذرى ، وسَمَّيتها : « المنح الغريب ، فى الفتح القريب » ، منها قوله رحمه الله :

وإذا استحالت حالة وتبدّلت   فالله عزّ وجلّ لا يتبدّلُ
واليسرُ بعد العُسْر موعود به   والصبر بالفَرَج القريب مُوَكَّل
والمستعِدّ لما يؤمّل ظافر   وكفاك شاهد « قيّدوا وتوكلوا »

(١) فى نفح الطيب : سنة ٧٤٠ .
(٢) فى شرح بديعية ابن حجة : « والحق » .
(٣) فى شرح البديعية المذكور : « كان صنع الله مطابقا لاستهلالها » .
(٤) الزيادة عن شرح البديعية لابن حجة .

أمحمد والحمـــد منك سجية بحُلِيِّها دون(١) الورَى تتجَمّلُ
أمّا سُعودك فهو دون مُنازع عَقْـد بأحكام القَضاء مُسَجَّل
ولك السجايا الغُرّ والشِّيَم التى بغريبهـــا يَتمثّل المُتَمَثِّل
ولك الوَقار إذا تَزَلْزَلَتِ الرُّبا وهَفَتْ من الرَّوْع الهِضاب المُثَّل
عَوِّذْ كمالك ما استطعتَ فإنه قد تنقصُ الأشياء مما تكمُل
تاب الزمان إليك مما قد جَنَى والله يأمُر بالمَتاب ويَقْبَل
إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى بإساءةٍ قد سَرّك المُسْتَقبل
هذا بذاك فشفع الثانى(٢) الذى أرضاك(٣) فيما قد جناه الأوّل
والله قد ولّاك أمرَ عبـــاده لمـا ارتضاك ولايةً لا تُعْزَل
وإذا تغمّدك الإله بنصره وقضى لك الحُسْنى فمن ذا يخذُل
وظعنت عن أوطان ملكك راكبا مَتْن(٤) العُباب فأىُّ صبر يحمل ؟
والبحرُ قد حُنِيَت(٥) عليك ضلوعه والريح تقطع للزفيرِ(٦) وتُرْسِل
ولك الجوارى المنشآت قدِ اُغتدت تختالُ فى بُرْدِ الشباب وترفُل
جَوفاء يحملها ومن حملت به من يعلم الأنثى وماذا تحمل
صبَّحتَهم غُرَرَ الجِياد كأنما سَدّ(٧) الثنيّـــة عارضٌ متهلّل

(١) فى شرح البديعية : « بين » .
(٢) كذا فى البديعية . وفى الأصلين : « الجانى » .
(٣) كذا فى ط . وفى ت : « ارتضاك » .
(٤) كذا فى البديعية . وفى الأصلين : « بين » .
(٥) كذا فى نفح الطيب ، وفى ط : « خفقت » وفى ت : « خفت عليه » .
(٦) فى البديعية : « تبتلع الزفير » .
(٧) كذا فى البديعية . وفى ت : « كأنها بيد الثنية » أى بطريق الثنية . وفى ط : « كأنها أسد الثنية » وهى محرفة عما أثبتناه فى صلب الكتاب .

مِنْ كل منجَرِد أغرّ مُحَجَّل يرمى الجياد[1] به أغرُّ محجَّل
زَجِل الجَناح إذا أجدّ لغارة[2] وإذا تغنّى للصهيل فبُلبُل
جيـد كما التفتَ الظَّلِيم وفوقه أُذُن ممشّقة وطَرْف أكْحل

ومنها :

[١٧٤]

وخليج هندٍ راق حسنُ صفائه حتى يكاد يعوم[3] فيه الصيقل
غرقت بصفحته النِّمال وأوشكت تبغى النجاةَ فأوثقتها الأرجل
فالصرح منهُ ممرَّد ، والصفح منْـــه مُوَرَّد ، والشطُّ منـه مُصَنْدَل[4]
وبكل أزرق إن شكت ألحاظُه مَرَهَ العُيون فبالعَجاجَة يُكْحَل[5]
مُتَأوِّد أعْطافه فى نَشْـوة مما يُعَلّ من الدماء ويُنْهل
عجباً له أنْ النجيع بطرفِهِ رَمَدٌ ولا يخفى عليـه مُقتَل
لله موقفك الذى وثبـــاته وثبـــاته مَثَلٌ به يُتَمَثَّل
والنَّصْل خط ، والمَجَال صحيفـة والسمْر تنقُط ، والصوارم تَشْكُل
والبِيض قد كُسِرَتْ حروفُ جُفونها وعوامل الأَسَل المثقّف تَعْمَل

وهى طويلة ، وجميعها فرائد ؛ ولم أكثر منها إلا لعلمى أن كلام لسان الدين ابن الخطيب غريب فى هذه البلاد » . انتهى كلام ابن حِجَّة رحمه الله .

ومِن هذه بعد قوله « وطرف أكحل » :

فـكأنما هو صورة فى هيكل من لُطفه وكأنما هو هيكل

---

(١) كذا فى البديعية . وفى الأصلين : « الجلاد » .
(٢) فى ت والبديعية : « لغاية » .
(٣) فى البديعية . « يقول » .
(٤) فى ط والبديعية ونفح الطيب : « مهدل » .
(٥) مره العيون : خلوها من الـكحل ، أو فسادها لتركه .

ومنها ، بعد قوله : « والبيض قد كسرت » البيت ، قوله :

لله قومُك عنــد مُشْتَجَر القَنا إذ ثَوَّب الدَّاعى المُهِيب وأقبلوا
قوم إذا لَفَح الهَجير وُجُوههمْ حَجَبوا برايات الجهاد وظَلَّلوا

من مقطوعات له لما أشرف على مراكش

ومن مقطوعات ابن الخطيب قوله لما أشرف على مراكش :

ماذا أُحدّث عن بحرٍ سَبَحْت به من البحار فلا إثم ولا حَرَجُ
دَحاه مبتــدع الأشياء مستويا ما إن به دَرَك كَلاًّ ولا دَرَج
حتى إذا ما المنار الفرد لاح لنا صِحْتُ ابشرى يامطايا(١) جاءك الفرج
قَرُبْتِ من عامر داراً ومَنْزِلة والشاهدُ العدل هذا الطِّيبُ والأرج

وقال رحمه الله :

كأنَّا بتامِسْنا نجوسُ خلالهَا وممدودها فى سيرنا ليس يُقْصَر
مراكبُ فى البحر المحيط تخبَّطتْ ولا جهة تدرى ولا البر يُبْصَر

كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب

[١٧٥] قال ابن الخطيب : ولمـا قضى الله عز وجل بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا من العُدوة ، واشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة ، والتِّيــه على السلطان ، والدالّة(٢) والتكبّر على أعلى رُتَب الخدمة ، وتطارحْتُ على السلطان فى استنجاز وَعْد الرحلة ، ورغبت فى تبرئة(٣) الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالجملة ، خاطبنى ، يعنى أبا جعفر بن خاتمة ، بعد صدر بلغ من حسن الإشارة ، وبراعة الاستهلال الغاية ، بقوله :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ت .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « والدولة » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ت : « تفدية » وفى ط : « تفويت » .

« وإلى هـذا يا سيدى ومحل تعظيمى وإجلالى ، أمتع الله تعالى بطول بقائكم ، وضاعف فى العز درجات ارتقائكم[(١)] ؛ فإنه من الأمر الذى لم يغب عن رأى العقول ، ولا اختلف فيه أرباب المعقول ؛ أنكم بهـذه الجزيرة شمْس أُفقها ، وتاج مَفْرِقها ؛ وواسطة سِلْكها ، وطِراز ملكها ؛ وقِلادة نحرها ، وفريدة دُرّها[(٢)] ، وعِقْد جيدها [المنصوص][(٣)] ، وكمال زينها[(٤)] على العموم والخُصوص ؛ ثم أنتم مَدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ؛ وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب[(٥)] مارَسْتانها ؛ والذى عليه عَقْد إدارتها ، وبه قِوام إمارتها ؛ فلدَيْه يُحَل المشكل ، وإليه يلتجأ فى الأمر المعضِل ؛ فلا غَرْو أن تتقيد بكم الأسماع والأبصار ، وتحدّق نحوكم الأذهان والأفكار ؛ ويُزْجَر عنكم السانح والبارح ، ويُسْتنبأ ما تَطرِف عنه العينُ وتختلج الجوارح ؛ استقراء لمرامكم ، واستطلاعا لطالع اعتزامكم ، واستكشافا عن مرامى سهامكم ؛ لا سيما مع إقامتكم على جَناح خُفوق ، وظهوركم فى مُلْتَمَع بُروق ، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق ؛ حتى تستقر بكم الديار ، ويلقِى عصاه التَّسْيار ؛ ولها العذر فى ذلك ، إذ صَدْعها بفراقكم لم يندمل ، وسرورها بلقائكم لم يكتمل ؛ فلم يَبْرَ بَعْدُ جناحها المَهِيض ، ولا جَمّ ماؤها المغيض ، [١٧٦] ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ؛ ولا استوى نهارها ، ولا تألقت أنوارها ؛ ولا اشتملت نعماؤها ، ونسيت غماؤها ؛ بل هى كالناقه ، والحديث العهد بالمكاره ، تستشعر نفس العافيه ، وتتمسح منكم باليد الشافيه ؛ فبحنانكم عليها ، وعظيم

(١) فى ط : « ارتفاعكم » .
(٢) فى ط : « دهرها » .
(٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) فى نفح الطيب : « وتمام زينتها » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وطب » .

حرمتكم على من لديها ؛ لا تشوبوا لها عذب المُجاج بالأُجاج ، وتفطموها عما عُوِّدت من طيب المِزاج ؛ فما لدائها — وحياة قربكم — غير طِبِّكم من عِلاج ؛ وإنى ليخطُر بخاطرى محبةً فيكم ، وعناية بما يَعْنيكم ، ما نال جانبكم — صانه الله — بهذا الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ؛ وأن الوطن إحدى الحواضن الأظْآر ، التى يحق لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأودّاء الصفاء : فيغلب على ظنى أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق نفسكم عن حق أوليائكم أسمح ، وللتى هى أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجح . وهب أن الدُّرّ لا يحتاج فى الإثبات ، إلى شهادة النحور واللَّبّات ؛ والياقوت غنىّ المكان ، عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعِيان ، وأبعد عن مكابرة البُرْهان ، تألقها فى تاج المَلِك أنوشِرْوان ؛ فالشمس وإن كانت أم الأنوار ، وجِلاء الأبصار ، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؛ وكما فى علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ؛ مواطن استقرارهم ، وأماكن قرارهم ، إلا برَغْمهم واضطرارهم ، واستبدال دار خير من دارهم ؛ ومتى توازن الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعُباد ، وما فوقه مرَابِط جهاد ، ومَعاقِد ألوية فى سبيل الله ومَضارب [١٧٧] أوتاد ؛ ثم يُبَوِّئُ ولده مُبَوَّأ أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتِلاده ؛ أعيذ أنظاركم المسدَّدة من رأى فائل ، وسَعْى طويل لم يحْلَ منه بطائل ، فحسبكم من هذا الإِياب السعيد ، والعَوْد الحميد » . وهى طويلة .

رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة

قال ابن الخطيب : فأجبته بقولى :

لُمْ فى الهوَى العُـذْرىّ أو لا تَلُمْ	فالعـــذلُ لا يدخل أسماعى
شأنُك تَعْنِيفى وشأنى الهوى	كلّ امرئٍ فى شأنه ساعى

أهلا بتُحفَة القادم ، ورَيحانة المُنادِم ، وذِكرى الهوى المتقادم ؛ لا يُصفِر[1] الله مَسراك ، بما أسراك ؛ لقد جُبْتَ[2] إلىّ من همومى ليلا ، وجست رَجْلا وخيلا ، ووَفَّيت من صاع الوفاء كَيْلا ، وظَنَنْت بى الأسف على ما فات فأعملتَ الالتفاتَ لكيلا ؛ فأُقسم لو أنّ أمرى اليوم بيدى ، أو كانت اللِّمة السوداء من عُدَدِى ؛ ما أفلتَّ شراكى المنصوبة لأمثالك ، حول المياه و بين المسالك ، ولا علمت ما هنالك ؛ لكنكَ طرقتَ حِمًى كَسَعَتْه الغارةُ الشَّعواء ، وغيَّرت ربعه الأنواء ؛ نخمد بعد ارتجاجه ، وسكت أذينُ دَجاجه ، وتلاعبت الرياح الهُوج فوق فجاجه ؛ وطال عهده بالزمان الأوّل ، وهل عند رسم دارس من مُعوَّل ؛ وحَيّا الله نَدْبا إلى زيارتى نَدَبك ، و بآدابه الحكمية أدَّبك :

فكان وقد أفاد بك الأمانى كمن أهدى الشفاء إلى العليل

وهى شيمة بوركت من شيمه ، وهبة الله قِبَلَه مِن لَدُن المشيمه ، ومن مثله فى صِلة رَعْى ، وفَضْل سَعْى ، وقولٍ ووَعْى ؟

قسما بالكواكب الزُّهْر والزهر عاتمه
إنما الفضل مِلّة ختمت بابن خاتمه

[١٧٨]

كسانى حُلّة فضله ، وقد ذهب زمان التجمّل ، وحمّلنى شكره وكَتِدى واهٍ عن التَّحمُّل ، ونظرنى بالعين الكليلة عن العيب فهلا أجاد التأمّل ، واستطلع طِلع نَثّى ، ووالى فى مَبرَك المَعْجَزة حَثّى ، إنما أشكو بَثّى :

* ولو تُرِكَ القطا ليلا لناما *

(١) فى ط ونفح الطيب : « لا يصفر » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « جئت » .

وما حال شَمْل وِتدُه مفروق ، وقاعدته فَرُوق ، وصُواع بنى أبيه مسروق ؛ وقلبٍ قرحُه من عضة الدهر دام ، وجمرة حَسْرته ذات احتدام ؛ هذا وقد صارت الصغرى ، التى كانت الكبرى ؛ لمشيب[(١)] لم يَدَع أن هجم لما نجم ، ثم تهلل عارضه وانسجم :

لا تجمعى هَجْرا علىَّ وغُرْبةً فالهجر فى تَلَف الغريب سريع

نظرتُ فإذا الجنب ناب ، والنفس فريسة ظُفُر وناب ، والمال أكيلة انتهاب ، والعمر رَهْن ذهاب ، واليد صِفر من كل اكتساب ، وسوق المَعاد مترامية والله سريع الحساب :

ولو نُعْطَى الخيارَ لما افترقْنا ولكنْ لا خيارَ مع الزَّمانِ

وهبْ أن العمرَ[(٢)] جديد ، وظل الأمن مديد ، ورأى الاغتباط بالوطن سديد ، فما الحُجة لنفسى إذا مرت بمَطارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ؛ ومثاقف قناتها ، ومظاهر عُزَّاها ومَناتها ؛ والزمان ولود ، وزناد الكون غير صَلُود !

وإذا امرؤ لَدَغَتْهُ أفعَى مرة تركته حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَق

ثم إن المرغِّب قد ذهب ، والدهر قد استرجع ماوَهَب ، والعارض قد اشتهب ؛ وآراء الاكتساب مرجوحة[(٣)] مرفوضه ، وأسماؤه على الجوار مخفوضه ، والنية مع الله على الزهد فيما بأيدى الناس معقوده ، والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده ، [١٧٩] غير معترضة ولا منقوده[(٤)] ؛ والمعاملة سامريه ، ودروع الصبر سابريه ؛ والاقتصاد

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « لمسيب » وهو تصحيف .
(٢) فى ط : « الأمر » .
(٣) فى ط : « مرجومة » .
(٤) منقودة (الأولى) : من نقد الثمن ، وهو تعجيله . و(الثانية) : من النقد ، وهو تمييز ما فى الشىء من حسن وقبح .

قد قرت العين بصحبته ، والله قد عوّض حب الدنيا بمحبته ؛ فإذا راجعها مثلى من بعد الفراق ، وقد رَقَى لَدْغَتها ألف راق ؛ وجمعتنى بها الحجره . فما الذى تكون الأجره ؟ جل شانى ، وإن رضى الوامق[1] وسخِط الشانى : إنى إلى الله مهاجِر ، وللعَرَض الأدنى هاجِر ، ولأَظْعان السُّرَى زاجر ، لَنَجْدٍ إن شاء الله تعالى أوحاجر ؛ لـكن دعانى للهوى ، إلى هذا المولى المنعم هوى ؛ خلعتُ نعلَى الوجود وما خلعته ، وشوقى أمرنى فأطعته ، وغالَبَ صبرى والله فما استطعته ؛ والحال أغلب ، وعسى ألَّا يخيب المَطلب ؛ فإن يسّر رضاه فأمل كَمَل ، وراحل احتمل ، وحادٍ أشجى الناقة والجمل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جم العوائق ، والتسليم بمقامى لائق :

ما بين غَمضة عين وانتباهتها يصرّف الأمرُ من حال إلى حال

وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، ليُمْن طيره ، وعموم خيره ؛ وبركة جهاده ، وعُمران رُباه ووِهاده . بأشلاء عُبّاده وزُهاده ؛ حتى لا يفضله إلا أحد الحرمين ، فحق برئ من المين ؛ لـكننى للحرمين جَنَحْت ، وفى جو الشوق إليهما سَنَحْت ؛ فقد أفضتْ إلى طريق قصدى مَحَجَّته ، ونصرتْنى والمنةُ لله حُجَّته ؛ وقصد سيدى أسْنَى قَصْد توخاه الحمد والشكر ، ومعروف عُرِف به النُّـكْر ؛ والآمال من فضل الله بعد تُمتار ، والله يخلق ما يشاء ويختار ؛ ودعاؤه بظهر الغيب مَدَد ، وعُدّة وعَدَد ، وبره حالَى الظَّعْن والإقامة معتمل ومعتمد ، ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد . والسلام . انتهى .

من رثاء السلطان أبى سالم

وقال فى الإحاطة فى ترجمة السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى ، بعد كلام كثير ، ما نصه :

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « الموافق » .

[١٨٠] « فلقد كان بقيّة البيت ، وآخر القوم دَماثة وحياء ، و بعداً عن الشر ، وركونا للعافية ، وأنشدت على قبره الذى وُوريت به جُثته بالقلة من ظاهر المدينة ، قصيدة أديت فيها بعض حقه ، وهى :

بنى الدنيا بَنى لَمْعِ السَّرابِ | لِدوا للموت وابنوا للخرابِ

انتهى المقصود منه .

شعر له فى الرغبة إلى الله

ومن نظم ابن الخطيب فى الرغبة إلى الله تعالى :

إِلٰهِىَ بالبيت المقدَّس والمسعَى | وجَمْعٍ إذا ما الخلق قد نزلوا جَمْعا
وبالموقف المشهود يا ربّ فى مِنًى | إذا ما أسال الناسُ من خوفك الدمعا
وبالمصطفى والصَّحْب عَجِّلْ إقالتى | وأنجحْ دُعائى فيك يا خير من يُدْعَى
صَدَعْتُ وأنتَ المستغاث جنابه | أقِلْ عثرتى يا مأمَلِى واجْبُرِ الصدعا

شعر له بعد عودته من الرحلة المراكشية

وقال رحمه الله عقب الإياب من الرحلة المراكشية :

أفادت وِجْهتى بِنَداك مالا | قضى دَيْنى وأَصْلح بعضَ حالى
ومَتعتُ الخواطر بانشراح | وأطرفْتُ النواظَر باكتحال
وأُبْتُ خفيفَ ظَهرٍ والمطايا | بجاهك تشتكى ثِقَل الرِّحال
وشانى للمعالم غير شانى | وحالى بالمكارم جِدُّ حال
فحُب عُلاك إيمانى وعَقْدى | وشكر نداك دينى وانتحالى
كأنْ قد صحّ لله انقطاعى | بتأميلِى جنابَك وارتحالى
وما يبقى سوى فعل جميل | وحالُ الدهر لا تبقى بحال
وكل بداية فإلى انتهاء | وكل إقامة فإلى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر | فقد وقفَ الرجاء على المُحال

وقال رحمه الله فى الضراعة إلى مولاه :

مولاى إن أذنبت ، يُنْكَر أن يُرَى منك الكمالُ ومنى النُّقصان ؟
والعفو عن سَبب الذنوب مُسبَّب لولا الجِنَاية لم يَكُن غُفْران

وله فى مدرسة

[وقال سامحه الله مما كُتب فى حيطان المدرسة التى بناها السلطان أبو الحجاج :

ألا هكذا تُبنَى المدارس للعِلْم وتبقَى عهود المجد ثابتة الرسْمِ
ويُقْصد وجه الله بالعمل الرّضا وتُجْنَى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما تقدّم خصم فى الفخار إلى خصم
فأجدَى إذا ضن الغمامُ من الحيا وأهدَى إذا جَنَّ الظلام من النجم
فيا ظاعناً للعِلم يطلب رِحلة كُفيتَ اعتراض البِيد أو لُجج اليمّ
ببابىَ حُطَّ الرحْل لا تنو وجهة فقد فزت فى حال الإقامة بالغُنم
فكم من شِهاب فى سمائىَ ثاقب ومن هالة دارت على قمر تِمّ
يُفيضون من نور مبين إلى هُدًى ومن حكمة تجلو القلوب إلى حُكْم
جزى الله عنى يوسُفا خير ما جَزى ملوكَ بنى نصْر عن الدين والعلم

وله فى غرناطة

وقال ابن الخطيب مررت يوماً مع شيخنا أبى البركات ببعض مسالك غَرناطة ، فأنشد من نظمه :

« غرناطة ما مثلها حَضْرَهْ الماء والبهجة والخُضْرَه

واستجازنى رحمه الله تعالى ، فقلت »(١) :

سكانها قد أُسْكِنوا جَنَّةً فَهُمْ يُلقَّوْن بها نَضْره](٢)

وله يخاطب قبر الولى السبتى

وكتب رحمه الله عن سلطانه أبى عبد الله بن نصر يخاطب الضريح المقصود ، والمنهل المورود ، والمرعى المنتجع ، والخِوان الذى يكفى الغَرْثَى ، ويمرّض المرضَى ،

(١) ما بين هذين القوسين « » من نفح الطيب وهو ساقط من ت .
(٢) ما بين القوسين ساقط فى ط .

[١٨١] ويقوت الزَّمنَى ، ويتعداهم إلى أهل الجِدَة زعموا والغِنَى ، قبر ولىّ الله سيدى أبى العباس السبتى[١] ، نفعنا الله به وجبر حالنا ببركاته النعم ، ودفع علينا النقم :

يا ولىّ الإله أنت جَــواد   وقَصَدْنا إلى حِمَاكَ المنيعِ

راعنا الدهر بالخطوب فجئنا   نرتجى من عُلاكَ حُسْنَ الصنيع

فمددنا لك الأكف نرجِّى   عودة العز تحت شمل جميع

قد جعلنا وسيلةً تُرْبكَ الزا   كى وزُلْفَى إلى العَلِيم السميع

كم غريب أسرَى إليك فوافَى   برضاً عاجلٍ وخــير سريع

ياولىَّ الله الذى جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ، وتصريفه باقياً بعد الممات ، وصدَّق نقلَ الحـكايات ظهور الآيات ؛ نفعنى الله بنيتى فى بركة تربك ، وأظهر علىَّ أثَر توسلى بك إلى الله ربك ؛ مُزِّق شملى ، وفُرّق بينى و بين أهلى ؛ وتُعُدّى علىّ ، وصرفت وجوه[٢] المكايد إلىّ ؛ حتى[٣] أخرجت من وطنى و بلدى ، ومالى وولدى ؛ ومحل جهادى ، وحتى الذى صار لى طوعاً عن آبائى وأجدادى ؛ عن بَيعة لم يَحُلّ عُقدتها الدين ، ولا ثبوت جريمة تَشين ؛ وأنا قد قرعت باب الله بتأميلك ، فالتمس لى قبوله بقَبولك ؛ ورُدَّنى إلى وطنى على أفضل حال ، وأظهر علىّ كرامتك التى تُشد إليها ظهور الرحال ؛ فقد جعلت وسيلتى إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ؛ والسلام عليك أيها الولى الـكريم ، الذى يأمن به الخائف وينتصف الغَريم ، ورحمة الله .

---

(١) أبو العباس السبتى هو الولى الصالح الشيخ أحمد بن جعفر السبتى الخزرجى ، وهو غير أبى العباس الشريف السبتى الذى تقدم ذكره فى هذا الجزء فى صفحة ٣٢ وما بعدها .

(٢) فى ت : « وجهة » .

(٣) فى ت : « حين » .

وله يورى بدم الأخوين

وقال سامحه الله فى معنى التورية الطبية ، بالدواء المسمى بدم الأخوين ، فى شأن سلطان الأندلس القائم عليهم وأخيه ، وشأن ذلك الدواء النفع من الجراح :

بإسماعيل ثم أخيه قيس تأذَّن هم ليلى بانبلاجِ
دم الأخوين داوى جُرْح قلبى وعالجنى وحَسْبك من عِلاج

وله فى اقتباس

وقال مقتبساً فى غير ذلك :

يامن بأكناف فؤادى رَبَعْ(١) قد ضاق بى فى حبك المتسعْ
ما فيك لى جَدْوَى ولا أرعوِى شُحٌّ مُطاعٌ وهَوًى مُتَّبَع

شعر له فى التورية بالطب

وقال فى التورية بالطِّب :

إنى وإن كنتُ ذا اعتلالِ رَثَّ القُوى بَيِّن الهُزالِ
فى «عارضِ التَّيس» لى شِفَاء فكيف فى عارِض الغَزال

وقال يخاطب ابن مرزوق

وقال يُخاطب الحاجبَ الفقيهَ الخطيبَ ، سيِّدى أبا عبد الله بن مَرْزوق ، وطغا على بيت المشارقة فى العِذَار : [١٨٢]

أمَا والذى تُبْلَى لديه السَّرائرُ لمَا كنتُ أرضَى الخَسْفَ لولا الضرائرُ
غدوتُ لضَيْم ابن الرَّبيب فَريسةً أمَا ثار من قومى لنصرىَ ثائر(٢)
إذا التمستْ كفِّى لديه جِرايتى كأنىَ جانٍ(٣) أوْبقَتْه الجرائر
وما كان ظنِّى أن أنال جِراية يُحَكِّم من جَرَّائها فِىَّ جائر
متى جاد بالدِّينار أخضرَ زائفاً ودارتْه دارتْ عليها الدوائر
وقد أخرج التعنيتُ كِيسَ مَرارتى ورقَّت لِبَلْواى النفوسُ الأخاير

(١) ربع : أقام وسكن .
(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « ناصر » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « جار» وهو تحريف .

تذكرت بيتاً فى العِذَار لبعضهم له مَثَل بالحُسْن فى الأرض سائر :

« وما اخضرّ ذاك الخدّ نبتا وإنما لكَثْرة ماشُقّت عليه المرائر »[1]

وجاهُ ابنِ مرزوق لدىّ ذخيرةٌ وللشــدّة العُظمَى تُعَدّ الذخائر

ولو كان يدرِى مادهانى لساءه وأنكر ما صارت إليــه المصاير

وكان ابن الربيب هذا من خُدّام السلطان أبى سالم ، وكانت جِراية ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لايوفّى بحقهم ، فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله ترجع الأمور .

شعر له فى مخاطبة أحد الشرفاء

وقال رحمه الله يخاطب أحد الشرفاء الكرام :

أعْيـا اللقاء علىّ إلا لمحةً فى جُملةٍ لا تقبـل التفصيلاَ

فجعلت بابَك عن يمينك نائباً أُهديه عنـد زيارتى تقْبيلا

فإذا وجدتُك نِلْتُ ما أمّلته أولم أجدك فقد[2] شَفَيت غليلا

[١٨٣]

وقال يشكر السلطان أبا سالم على تخليصه إياه

وقال فى مخاطبة السلطان أبى سالم رحمه الله فى سبيل الشكر ، عند ما خلّصه من الورْطة بشفاعته التى قدّمنا ذكرها :

سَمِىَّ خليل الله أحييتَ مُهجَتى وعاجَلنى منك الصّريخُ على بُعْدِ

فإن عشتُ أُبلغْ فيك نَفسى عُذْرَها وإن لم أعش فالله يجزيك من بعدى

وله فى التغزل

قال : وقلت فى التغزّل ، وما أبعده عنّى فى الوقت ، والحمد لله :

---

(١) هذا البيت لعيسى بن سنجر المعروف بالحاجرى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ من قصيدة مطلعها :

على دمع عينى من فراقك ناظر يرقرقه إن لم ترقه المحاجر

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « فما » .

أصبح الخدّ منك جَنّــة عَدْن مُجْتلَى أعــيُنٍ وشَمَّ أُنوفِ
ظَلَّلتها من الجُفون سُـــيوف جَنةُ الخُلْد تحت ظلّ السيوف

من رســالة له فى تهنئة ابن أبى مدين بتقلد الخطة

وخاطب صاحب الأشغالِ أبا عبــد الله بن أبى القاسم بن أبى مدين يهنئه بتقلد الخُطة من رسالة :

تَعُود الأمانىُّ بعد انصراف ويعتدل الشىء بعد انحرافِ
فإن كان دهرُك يوماً جنَى فقد جاء ذا خَجل واعتراف

طلع البشير ، أبقاك الله ، بقَبول الخلافة المَرينيَّه ، والإمامة السَّنيه (١) ، خصّها الله بنَيل الأُمنيه ؛ على تلك الذات التى طابت أُرومتها وزكت ، وتأوَّهت العلياء لتذكر عهدها وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث الذى تركت ؛ فلولا العذر الذى تأكّدت ضرورته ، والمانع الذى ربما تقرّرت لديكم صورته ؛ لـكنت أولَ مُشافه بالهناء ، ومُصارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ، فنقول والحمد لله والثناء . وهى طويلة .

رسالته إلى السلطان أبى سالم مستعينا به

وقال يخاطب السلطان أبا سالم عند انقطاعه بضريح والده بشالة سلا ، حيث مدفنُ مُلوك بنى مرين :

عن باب والدك الرّضا لا أبرحُ يَأسو الزمانُ لأجل ذاك ويَجرحُ (٢)
ضُرِبَتْ خيامى فى حِماه فصِبْيَتى تجنِى الجميمَ (٣) به وبَهِى تَسْرح
حتى يُراعَى وجهُه فى وِجْهتى بعناية تَشفِى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيرى خائبا ومَنابر الدنيا بذكرك تَصْدح

(١) فى ط : « السريه » :
(٢) فى ط : « لأجل ذا أو يجرح » .
(٣) كذا فى الأصلين والسلاوى ، ولعلها مصحفة عن « الجميم » وهو النبت الـكثير . يريد أنهم فى بسطة من العيش .

أنا فى حماه وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجحُ
فى مثلها سيف الحَمِية يُنْتضَى فى مثلها زَنْد الحفيظة يُقْدح
وعسى الذى بدأ الجميل يُعيده وعسى الذى سد المذاهب يفتح

[١٨٤] ومما كتب به إلى السلطان أبى سالم من مدينة سلا ، بعد عودته من مَرّاكش .

مولاى المرجو لإتمام الصنيعة ، وصلة النعمة ، وإحراز الفخر ، أبقاكم الله تُضْرَب بكمُ الأمثال فى البر والرِّضا ، وعلوّ الهمة ، ورعْى الوسيلة .

مقبِّل مَوْطئ قدمكم ، المنقطع إلى تُرْبة المولى والدكم ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة ، وقد حَطّ رحل الرجاء فى القبة المقدسة ، وتَيَمّم[1] بالتربة الزكية ، وقعد بإزاء لحد المولى أبيكم ، ساعة إيابه من الوجهة المباركة ، وزيارة الرُّبُط المقصودة ، والتُرَب المعظمة ، وقد عزم ألاَّ يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم ، والدخيل المرعىّ ، حتى يصله من مَقامكم مايناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى ، العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم ، لا يجر إنفاذَ[2] مال ، ولا اقتحام خَطر ، إنما هو إعمال[3] لسان ، وخَط بَنان ، وصرف عزم ، وإحراز فخر وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم ، أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدّس بلسان المقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ، ما يتلقى عنه من الجواب . وقال لى صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدى الخطيب ، سَنَّى الله أمله ، من

(١) كذا فى السلاوى (ج ٢ ص ١١٥) . وفى الأصلين : « وتذمم » .
(٢) فى السلاوى : « إنفاد » .
(٣) فى ت : « عمل » .

سعادة مقامكم ، وطول عُمركم : يا فلان ، أنت والحمد لله ممن لا يُنكَر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البِشْر والقَبول والإنعام ما صدر ، جزاكم الله جزاء المحسنين . وقد تقدم تعريف مولاى بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم ، حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الآن يَعرِض عليكم الجواب ، وهو أنى لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملأ الكبير ، والجم الغفير ، أكببت على اللحد الكريم ، داعياً ومخاطباً ، وأصغيت [١٨٥] بأذنى نحو[١] قبره ، وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنى به يقول لى : قل لمولاك : يا ولدى ، وقرة عينى ، المخصوص برضاى و برى ، الذى ستر حريمى ، ورد ملكى ، وصان أهلى ، وأكرم صنائعى ، ووصل عملى ، أُسلِّم عليك ، وأسأل الله أن يرضى عنك ، ويُقبل عليك ؛ الدنيا دار غُرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وابن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاءَ بالرحمة ، ومثلك من ذُكِّر فتذكر ، وعُرِّف فما أنكر ؛ وهذا ابن الخطيب [قد][٢] وقف على قبرى ، وتهمّم بى ، وسبق الناس إلى رثائى ، وأنشدنى ومجّدنى ، و بكانى ودعا لى ، وهنأنى بمصير أمرى إليك ، وعفّر وجهه فى تربى ، وأمّلنى لما انقطعَتْ منى آمال الناس ، فلو كنتُ يا ولدى حيّا لما وَسِعنى أن أعمل معه إلا ما يليق بى ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحتقر العظيم ، لكن لما عجزتُ عن جزائه ، وَكَلْتُهُ إليك ، وأحلته يا حبيب قلبى عليك ، وقد أخبرنى أنه سَليب المال ، كثير العِيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر فى عَدَم[٣] نشاطه أثر السن ، وأمّل أن ينقطع بجوارى ، ويستتر بدخيلى

(١) كذا فى السلاوى . وفى الأصلين : « عند » .

(٢) التكملة عن السلاوى .

(٣) فى ط : « فى عظيم » .

وخدمتى ، ويُرَدّ عليه حقُّه بحرمتى ، ووجهى ووجوه من ضاجعنى من سلفى ، ويَعبدَ الله تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه فى الحياة ، حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القُرْبة ، أبو عبد الله ابن مرزوق ، فسله يذكّرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا [١٨٦] الرجل خديمى بعد الممات ، إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله ورحمته التى وسعت كل شيء ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم ببابك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت كُتّابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعيّن بأمرك مَرْتَبهُ ودِثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خَديمَ الشاب ، هذه رغبتى منك ، وحاجتى إليك . واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويُتَحَدّث به فى الدنيا ، وبين أيدى الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك فخره ، ويتخلد ذكره ، وقد أقام مجاوراً ضريحى ، تالياً كتاب الله علىّ ، منتظراً ما يصله منك ، ويقرؤه علىّ ، من السعى فى خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره ، وإجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فاللهَ اللهَ يا إبراهيم ، اِعمل ما يُسْمع عنى وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال » . [انتهى][1] .

والعبد يا مولاى مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ، ولتعلموا وتتحققوا أنى لو ارتكبت الجرائم ، ورَزَأت الأموال ، وسفكت الدماء ، وأخذت حسائف[2] الملوك الأعزة ممن وراء النهر من التتر ، وخلف البحر من الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله منى من غير عهد ، بعد أن بلغهم تذمُّمى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ، ما وسع أحداً منهم من حيث الحياء والحِشْمة من الأموات والأحياء ، وإيجاب الحقوق ، التى

(١) التكملة عن السلاوى .
(٢) الحسائف : العداوات ، جمع حسيفة .

لا يغفلها الكبار للكبار ، إلا الجود الذى لا يتعقبه البخل ، والعفو الذى لا تفسده المؤاخذة ، فضلا عن سلطان الأندلس ، أسعده الله بموالاتكم ، فهو فاضل ، وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ، مافيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم ، لاسيما مولاى والدكم ، الذى أتوسل به إليكم وإليهم ، فقد كان يتبنَّى مولاى أبا الحجاج ، ويشمله بكنفه ، وصارَخَه بنفسه ، وأمده بأمواله ، ثم صيّر الله ملكه إليكم ، وأنتم من [١٨٧] أنتم ذاتا وقبيلا ، فقد قرّت يا مولاى عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى ، من وفور حشودكم ، وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله من فضله . ولا شك عند عاقل ، أنكم إن انحلت عروة تأميلكم ، وأعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه ، وقد عُلِم تطارحى بين الملوك الكرام ، الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلّقى بثوب الملك الصالح ، والد الملوك [الكرام] (١) ، مولاى والدكم ، وشهرة حُرْمة شالة معروفة ، حاشَ لله أن يضيعها أهل الأندلس ، وما تُوُسِّل إليهم قَطُّ بها إلا الآن ، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملى منكم أن يتعين من بين أيديكم خديم ، بكتاب كريم ، يتضمن الشفاعة فى رد ما أخذ لى ، ويخبر بمثواى مترامیا على قبر والدكم ، ويقرر ما لزمكم بسبب هذا الترامى ، من الضرورة المهمة ، والوظيفة الكبيرة ، عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة ، ومن المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من طيب (٢) مالهم ، ما وسعهم بالنظر العقلى إلا حفظ هذا الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأبيان العذر عن هذا فى كل مِلّة ونِحلة ، وإذا تم هذا الغرض ، ولا شك فى إتمامه بالله ، تقع صدقتكم على القبر الكريم

(١) التكملة عن السلاوى .

(٢) فى ت : « صلب » .

بى ، وتعينوننى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره ، و بين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا ، مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذِمتى بالأندلس ذمة بهذا الرِّباط المبارك ، يرثها ذريتى ، وقد ساوَمتُ فى شىء من ذلك ، منتظرا ثمنه ، مما يباع بالأندلس [١٨٨] بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هـذا ، أو يُتَوَقّع فيه وَحشة أو جفاء ، واللهِ ما طلبته ، لـكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدَكم إلا عملُ ما يليق بكم فيه ، وهأنا أرتقب جوابكم ، بما لى عندكم من القَبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب ، وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض ، والله يطَّلع من مولاى على ما يليق به . والسلام .

وكتبه فى الحادى عشر من رجب ، عام أحَد وستين وسبع مئة .

وفى مدرج الـكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

مولاى هأنَا فى جوار أبيــكا ... فابذل من البر المقــدّر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى ... والله يسمعك الذى يُرضيكا
واجعل رضاه إذا نهدْتَ كَتيبة ... تهدى إليك النصر أو تَهْديكا
واجبرْ لجبرى قلبه تنــل المنى ... وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذى سن البُرور بأمّــه ... وأبيــه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منـذرا ومحذرا ... وبما تؤمل نيــــلَه يأتيكا
قد هز عزمك كل قطر نازح ... وأخاف مملوكا به ومليــكا
فإذا سموتَ إلى مرام شاسع ... فغضونه ثمرَ المـــنى تجنيكا
ضِمنت رجالُ الله منك مَطالبى ... لما جعلْتك فى الثواب شريكا

فلئن كَفَيتَ وُجوهها فى مقصِدى ورَعيتها بركاتها تكفيك
وإذا قضيت حوائجى وأريتنى أملى فربك ما أردتَ يريكا
واشدد على قولى يدا فهو الذى برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاى ما استأثرت عنك بمُهجتى أنى ومهجتى التى تفديكا
لكن رأيت جناب شالةَ مغنما يُضْفِى علىّ العزّ فى ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقتها باق إذا استجزيته يَجزيكا
ووعدتنى وتكرر الوعد الذى أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله سِتر عناية من كل محذور الطروّ يقيكا
ببقائك الدنيا تُحاط وأهلها فالله جل جلاله يُبقيكا

رد السلطان أبى سالم على ابن الخطيب

[١٨٩] ولما وصل هذا السلطان أبا سالم رحمه الله راجعه بما نصه ، بعد البسملة والصلاة :

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، [أبى الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين] (١) أبى سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ، وأعزّ نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأحظى ، الأوجه الأنوه ، الصدر الأحفل ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكمل ، أبى عبد الله ابن الشيخ الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع الأنجد ، الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور أبى محمد بن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى نعمته (٢) .

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وعن السلاوى .
(٢) فى ت : « رفعته » .

سلام عليكم ورحمة الله و بركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام ، وأئمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلى العزيز المنصور المستعينى ، بالنصر الأعز ، والفتح الأسنى .

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بلوغ الأمل ، ونُجْح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد ، بضَفة وادى ملويه ، يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومنُّه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المُتَكَفّلة[1] برعى الوسائل ، ذلكم لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوىّ العلوىّ ، جدد الله عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، و بما أهديتم إلينا ، من التقرب لدينا ، بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتمال بمَطارف حُرْمته السامية المظاهر ، و إلى [١٩٠] هذا وصل الله حظوتكم ، ووالى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابَل بالإسعاف المستعذَب ورده ، فوقفنا على ما نصَّه ، واستوفينا ما شرحه وقَصَّه ، فآثرنا حسن تلطفكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفى الحين[2] عَيَّنّا لكمال مطلبكم ، وتمام مأربكم ، والتوجه بخطابنا فى حقكم ، والاعتمال بوفقكم ، خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء بن فرقاجة ، أنجدهما الله وتولاهما ، وأمسِ تاريخه انفصلا مودّعين إلى الغرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، و إنا لنرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم ، و برء اعتلالكم ، والله سبحانه يصل

(١) فى ت : « المتكافئة » .

(٢) فى ت : « فى الحسن » ، وهو تحريف .

مَبرتكم ، ويتولى تكرمتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

كتب فى الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبع مئة .

رد ابن الخطيب على السلطان أبى سالم شاكرا

فراجعه ابن الخطيب بما نصه :

مولاى خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة والرحمة ، ببرهان وحكمة ، أبقاكم الله عالى الدرجة فى المنعمين ، وافر الحظ عند جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم فى البنين ، وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الآليم من أراد فى مثابتكم بإلحاد .

عبدكم الذى ملكتم رِقَّه ، وآويتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنيتم رزقه ، وجبرتم قلبه ، يُقبّل مَوْطِىء الأخمص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة بفضل الله لموقف النصر ، الفارعة هضْبةَ العز ، المعملة الخطو فى مجال السعد(١) ، ومسير(٢) الحظ ، ابن الخطيب من شاَلة التى توَكَّد بملككم الرضىّ احترامها ، وتجدد برعيكم عهدها ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، [١٩١] وقد ورد على العبد الجواب المولوى ، البر الرحيم ، المنعم المحسن ، بما يليق بالملك الأصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القَعْساء ، من رعى الدخيل ، والنصرة(٣) للذمام ، والاهتزاز(٤) ابر الأب الكريم ، فثاب الرجاء ، وانبعث الأمل ، وقوى العضُد ، وزار اللّطَف ، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعْى ذمام الصالحين ، المتوسّل إليكم أولا بقبورهم

(١) فى ط : « السعة » .
(٢) كذا فى السلاوى . ذا الأصلين : « وميسر » .
(٣) فى ت : « والمعرة » .
(٤) فى ت : « والاعتزاز » .

ومتعبداتهم ، وتراب أجداثهم ، ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين ، الذى تسبب فى وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهيأتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة ، بعد طول المدى ، وانفساح البقاء ، وفى علومكم المقدمة ما تضمنت الحكايات عن العرب ، من النصرة(١) عن طائر داست أفراخه ناقة فى جِوار رئيس منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك ، مما أهينت فيه الأنفس ، وهلكت الأموال ، وقُصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خُدّامكم ، من عرب تامِسْنا ، فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم [ابن الكريم] فيمن لجأ أولا إلى حِماكم بالأهل والولد ، عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم الحرية على بذلها ، ثم فيمن حَطَّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم ، دامع العين ، خافق القلب ، دامى القُرْحة(٢) ، يتغطى بردائه ، ويستجير بعليائه ، كأننى تراميتُ عليه فى الحياة أمام الذعر الذى يُذهل العقل ، ويحجب عن التمييز ، بقصر داره ، ومضجع رقاده ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة : [١٩٢] يا لَيعقوب ، يا لَمرين ، نسأل الله ألّا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسْلُبنى عِنايتكم ، ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعته بإزائه ، وقلت : يا مولاى ، يا كبير الملوك ، وخليفة الله ، وبَرَكة بنى مَرِين ، صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المترامى بين يدى قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولدِك ما يليق بمقامه ، من رعى وجهك ، [والتقرب إلى الله برَعْيك] ، والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من

(١) كذا فى ط والسلاوى . وفى ت : « النعرة » .
(٢) فى السلاوى بدل هذه العبارة : « واهى الفزعة » .

أنتم ، من إذا صنع صنيعة كمَّلها ، وإذا بدأ مِنّة تمّمها ، وإذا أسدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعدُ تحت ذيل حرمتك ، وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ، ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ، ويطمئن إلى مأمنك قلبى .

ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بينى وبينكم [تلاوة] كتاب الله منذ أيام ، ومناسبة النِّحلة ، وأُخوّة التألف بهذا الرِّباط المقدس ، والسّكنى بين أظهركم ، فأمِّنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم ، واندفعت فى الدعاء والتوسل ، الذى نرجو أن يتقبله الله ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكراً لنعمته ، مُشيدا بصنيعته ، مسرورا بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطارح شأنه ، حتى يكْمُلَ القصد ، ويتم الغرض ، معمور الوقت بخدمة يرفعها ، ودعاء يردده ، والله المستعان .

تهنئته للسلطان أبى سالم بفتح تلمسان

وفى يوم الخميس سابع عشر من شعبان ، من العام المؤرخ ، ورد كتاب فتح تِلمْسان ، فأصدر ابن الخطيب إلى باب السلطان أبى سالم ما نصه : [١٩٣]

مولاى فتّاح الأقطار والأمصار ، فائدة الزمان والأعصار ، أثيرَ هبات الله الآمِنة مِنَ الاعتصار ، قدوة أولى الأيدى والأبصار ، ناصر الحق عند قعود الأنصار ، وهى طويلة ، انظرها فى الريحانة ، وبعدها قصيدة بديعة مطلعها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى   وقد لهِجت نفسى بفَتح تلمسانِ

من مخاطباته لابن مرزوق

ومن مخاطباته للحاجب ابن مَرزوق .

سيدى ، بل مالكى ، بل شافعى ، ومنتشلى من الهفوة ، ورافعى وعاصمى عند تجويد حروف الصنائع ، ونافعى الذى بجاهه أجزَاتِ المنازل قِراى ، وفضلت أولاى ، والمنة لله أخراى ، وأصبحتُ وقول الحسن هِجِّيراى :

عَلِقتُ بحَبْل من حِبَال محمد أمِنْتُ به من طارق الحـدَثَانِ
تَغَطَّيت من دهرى بظل جَناحه فعيْنى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الأيام ما اسمى ما درتْ وأين مكانى ما عَرَفْن مكانى

وصلت مِكناسة ، حرسها الله تعالى ، تحت غيثٍ حَذانى حَذو نداك ، وسحائب لولا الخصال المبرة قُلْت يداك ، وكأن الوطن لاغتباطه بجوارى ، وما رآه من انتياب زُوَّارِى ، أوعز إلى بهت يقطع الطريق ، وأطلق يده على التغريق ، وأشراق القوافل مع كثرة المـاء بالريق ، فلم يسع إلا المُقام أياما ، قُعودا فى البر وقياما ، واختيارا لضروب الأنس واعتياما ، ورأيت بلدةً معارفها أعلام ، وهواؤها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها ألْسنة وأقلام ، فحيا الله سيدى ، فلكم من فضل أفاد ، وأنس أحياه وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذخْر والعتاد ، كما [١٩٤] مَلَّـكه زِمام الكمال فاقتاد ، وأنا أتطارح عليه فى صلة تفقده ، وموالاة يده ، بأن يسهمنى فى فرض مخاطباته مهما خاطب ، معتبرا فى هذه الجهات ، ويصحبنى من مناصحته بكئوس مسرة ، يعمل فيها هاك وهات ، فالعز بعزه معقود . والسعد بوجوده موجود ، ومَنهل السرور بسروره مورود ، والله عز وجل يبقيه ببقـاء الدهر ، [ويجعل حبه وظيفة السر ، وحمده وظيفة الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه زين الدهر] ويصل لنا تحت إيالته العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين . انتهى.

وقال رحمه الله :

شىء من صراحة ابن الخطيب فى مجلس السلطان أبى عنان

حضرت يوما بين يدى السلطان أبى عِنان فى بعض وفاداتى عليه ، لغرض الرسالة ، وجرى ذكر بعض أعدائه ، فقلت ما اعتقدت فى اطراء ذلك العدو ، وما عرفته من فضله ، وأنكر على بعض الحاضرين ، ممن لا يحطِب إلا فى حبل السلطان ، فصرفت وجهى وقلت : أيدكم الله ! تحقير عدو السلطان بين يديه

ليس من السياسة فى شىء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالبا عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشد للحسرة ، وأوكد للفضيحة . فوافق رحمه الله على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض . انتهى .

شعر له فى مكناسة

ومن نظمه رحمه الله :

مِكناسةٌ جُمعت بها زُمَرُ العِدا فمدى بريدٍ فيه ألف بريد
من واصلٍ للصوم لا لرياضة أو مدمن للجوع غيرِ مُريد
فإذا سلكت طريقها متصوفا فابن السلوك بها على التجريد

شعر له فى مدينة آنفى

ولما دخل رحمه الله مدينة آنفى ، ومر منها على دار عظيمة ، تنسب إلى والى جبايتها « عبو » من بنى الترجمان ، قارون قومه ، وغنى صنفه ، قال :

قد مررنا بدار « عبو » الوالى وهى ثَكْلَى تشكو صروف الليالى
أقْصَدَتْ ربها الحوادث لما رشقته بصائبات نِبال
كان بالأمس واليا مستطيلا وهو اليوم ما له من وال

شعر له فى ابن بطان

ومن نظمه رحمه الله فى الشيخ ابن بطان الصنهاجى :

[١٩٥]

لله درك يا ابن بطان فما لشهير جودك فى البسيطة جاحد
إن كان فى الدنيا كريم واحد يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريتَ فضلك جعفرا يحيا به ما كان من مجد فذكركَ خالد
فالقوم منك تجمعوا فى مُفرد ولد كما شاء العلاء ووالد
وهى الليالى لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد

شعر له في البرغوث

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

زَحَفَتْ إلىّ ركائبُ البُرغوث | نمّ الظلام برَكْبها المحثوثِ
بالحبّة السوداء قابل مَقدمى | لله أىُّ قِرًى أعدّ خبيث
كسحَتْ بهن ذباب سرح تجلّدى(١) | ليلا فحَبْل الصبر جِدُّ رَثيث
إن صابرت نفسى أذاه تعبّدت | أوْ صحْت منه أَنِفت من تحنيثى
جَيْشان من ليل و برغوث فهل | جيش الصباح لصَرْختى بمُغيث

شعر له في ابن روح

[ومن نظمه رحمه الله فى عثمان بن يحيى بن عمر بن روح :

أسَمِىّ ذى النورين وجهُك فى الوغى | شمس الضحى حلّت بليث عَرين
إن تفتخر بمَرِينَ أرضُ العُدوة الْـ | ـقُصوى فإنك أنت نخر مَرين](٢)

شعر له صدر به رسالته إلى ابن حسون

وقال يخاطب الوالى محمد بن حسُّون بن أبى العلاء ، وصدّر بها رسالة :

لم يُبق لى جودُ الولاية(٣) حاجةً | فى الأمن أو فى الجاه أو فى المالِ
بعـد اللقاء أولو الفضائل بغيتى | ورأيت هـذا القصدَ شرط كمال
أجملتـه وتشوفت لبيـانه | هِمَم فكنت مفسر الإجمـال
وخصصت بالإلغاء غيرك غَيرة | وجعلت ذكرك شاهدَ الأعمال
أُلبِست(٤) يابْنَ أبى العَلا قُشُبَ المُلا | وتركت أهلَ الأرض فى أسمال
إن دوّن الفُضلاء فضلا مُعْلَما | فلقد أتيتَ عليـه بالإكمال
تُثنى عليك رعيّـة آمالها | فى أن تفوز يداك بالآمال

(١) كذا فى نفح الطيب والسلاوى . وفى الأصلين : « به ديباج » . وهو محرف عما أثبتناه .
(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .
(٣) فى الأصلين : « الخلافة » . وقد أثبتنا رواية نفح الطيب لملاءمتها السياق .
(٤) فى نفح الطيب : « للبست » .

أَرْعيتَها هَمَـــلا فلم يَطْرق لها ... بمَنيع سُـــورك طارقُ الإهمالِ
من كنتَ واليه تولّته العُـــلاَ ... ومن اطَّرحت فمـــا له من والى

شعر له فى تدب مراكش بعد الموحدين

وقال رحمه الله عند وقوفه على مَرّاكش ، واعتباره بما صار إليه أمرُها[1] :

بَلَد قد غزاه صَرْفُ الليالى ... وأباح المَصُونَ منـــه مُبيحُ
فالذى خَرّ من بِناه قتيل ... والذى خرَّ منه بعضٌ جَريح
وكأنّ الذى يزورُ طبيبٌ ... قد تأتّى له بهـا التشريح
أُعْجِمت منـــه أربعُ ورُسوم ... كان قِدْما بها اللسان الفَصِيح
كم مَعانٍ غابت بتلك المَغانى ... وجمالٍ أخْفاه ذاك الضريح
ومُلوكٍ تعبّـدوا الدهرَ لمّا ... أصبح الدهرُ وهو عَبْد صَرِيح
دوّخوا نازح البَسيطة حتى ... قال ما شاء ذابِل وصَفِيح
حَيْث[2] شُبَّتْ لهم من البأس نار ... ثم هَبَّتْ لهم من النَّصْر رِيح
أَثَر يَنْـــدُب المؤثِّر لمّا ... طال[3] بعد الدنوّ منه النُّزوح
سا كنُ الدار رُوحها كيف يبقى ... جَسَد بعـــد ما تولّى الروح

[١٩٦]

شعر له يخاطب به عامرا الهنتاتى

وقال يخاطب عَميد مَرّاكش[4] ، المتميِّز بالرأى والسياسة والهِمّة ، وإفاضة العدل، وكفّ اليد ، والتجافى عن مال الجباية ، عامر بن محمد بن على الهَنتاتى :

تقول لى الأظعانُ والشوق فى الحشَى ... له الحُـكْم يَمْضى بين ناهٍ وآمرِ
إذا جبلَ التوحيد أصبحتَ فارعا ... فخيِّم قريرَ العين فى دار عامرِ

(١) كذا فى الأصلين وفى نفح الطيب . وفى السلاوى زيادة فى هذه العبارة يتضح بها المقام ، قال : « ولما وقف على مصانع مراكش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار إليه أمرها بعد الموحدين قال » .
(٢) فى ط : « حين » .
(٣) فى ط : « كان » .
(٤) فى السلاوى : « عميد البلاد المراكشية » .

وزُرْ تربة المعلوم إنّ مَزارها هو الحجّ يُفضِى نحوَه كلُّ ضامر
سَتَلْقَى بمَثْوَى عامر بن محمد ثغورَ الأمانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجْهة ولله ما تَلْقاه من يُمْن طائر
وتُستعمل الأمثال فى الدهر منكما بخير مَزُور أو بأغبط زائر

تعريف بعامر الهنتاتى

أقول : عامر بن محمد هذا ، هو قَريع[1] هَنْتاتة ، وكانت له مع أبى الحسن المَرينى فى الوفاء أحاديث ، صَحّحت عند أبى عِنان وغيره مُتاته ، ولم يزل فى رياسته مدة أبى عِنان ومَن بعده من ملوك بنى مَرين ، إلى زمن أبى فارس عبد العزيز ابن أبى الحسن ، فنازله بجنوده ، وحاصره بمعتقَله ، حتى استولى عليه وقتله .

وقد ساق أمرَه ابنُ خَلدون واستوفاه ، ومنعنى من الإتيان به ما حصل من التطويل فى هذه الترجمة ، وقد أشار إليه ابن الأحمر فى « نَثير فرائد الجُمان » عند ما ذكر الشريف الشبوكى ، ونصه :

شئ عن الشريف الشبوكى

[١٩٧] « صاحبنا الفقيه ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ، يُكْنَى أبا عبد الله ، ويعرف بالشبوكى ، رأيته وصحبته ، ونِسْبته حسْبما نقلته من خطه على متن كتاب ، وأخبرنى هو به ، وسمعته أيضا بفاس ، من بعض الناس ، وهو محمد ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن شعيب بن على بن أبى محمد بن حَيّان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد ابن محمد بن الحسن[2] بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، ويعرف بالشبوكى . وشبوكة : قرية بينها وبين مدينة فاس ثلاثة أميال[3] ؛ وأخبرنى أن جده عبد الرحيم

(١) القريع : السيد الرئيس .
(٢) فى ط : « الحسين » .
(٣) فى ت : « أيام » .

أتى من المشرق إلى المغرب ، واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ؛ ويوسف أبوه كان رحمه الله جميل الوجه جدا ، شاعرا مجيدا فقيها ، وبرّز عَدْلا فى سماط شهود فاس ، واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عِنان المرينى شاهدا فى دار صناعته ؛ وأحمد والد يوسف كان فقيها صوفيا ؛ ومحمد والد أحمد كان فقيها صالحا ؛ ويوسف والد محمد كان فقيها عالما صالحا مكاشفا مجاب الدعوة ، من أهل الطبقة العليا فى الصلاح ؛ وأبو عبد الله هذا كتب الوثيقة بشهود فاس .

شعر للشبوكى فى مدح أبى فارس والتحريض على الهنتاتى

حاله أكرمه الله : هو فارس القَريض ، وحامل لوائه الطويل العريض ، وله وجه وسيم ، وحياء جسيم ، وسُمُوّ همته لم يبلغها إنسان ، ولم يُسْمع بمثلها فى سالف الأزمان ، ويُؤْثِر عزة نفسه على هواه ، ويختار مَهْيَع السمو على ما سواه ، وأنشدنى لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المَرينى ، بعد قتله لوزيره المتغلب على أمره ، عمر بن عبد الله بن على اليابانىّ ، ويحرضه على قتال الشيخ [١٩٨] أبى ثابت عامر بن محمد بن على الهِنْتاتى ، صاحب جبل هَنْتاتة ، من حوز مراكش ، حين خرج عليه به ، بالسلطان المعتمد على الله أبى الفضل محمد بن أخى السلطان عبد العزيز هذا :

أبانَ فى حبّــــه ما قال عاذلهُ ... دمعٌ جرى فوق صَفْح الخد هاملهُ

فبات من وطأة التفريق ذا وجل(١) ... يستنجد الصـبر عونا وهو خاذله

صَبٌّ إذا ما بدا بالرَّقمتين له ... وَميض برق الحِمى هاجت بلابله

يبكى لمنزل أنس بان آهــــله ... وظاعن عنه قــد شَطَّت منازله

يا حسن عصر بهم قضّيته زمنا ... رقّت حواشيه إذ رقّت أصائله

(١) فى ط : « فى وجل » .

كأنّ صوبَ دموعى بعد بُعْدِهِمِ سَيْب المليك إذا وافاه ســـائلهُ
عبد العزيز الذى عزت بدولته مراتب الحق والتاحت دلائله
وأصبح الملك فى أمن وفى دَعــة مِنَ الذى كان غالتـــه غوائله
عادت بِعِيـــدٍ لنا منه نَضارته فعاد يافعه واشـــــتد كاهله
كالروض باكَره طَلٌّ على ظمأ وجادَه بعـــد ذاك الطَّلِّ وابله
هو الإمام الذى من أَمَّ ساحَته جادت عليه بجـــدْواها أنامله
ومن تخلّف جهلا عن إجابته سارت إليه على علم صـــواهله
قُلْ للذى عنــه أقصَتْه جرائمه وعَقَّلته عن العَليا مَعاقله
زُرْ حضرةَ الملكِ الميمون طالعُه تَحْظ بما أنت فى دنياك آمله
فطَبْعه الصفح والمعروف شيمته والحِلْم والصَّوْن والتقوى شمائله
أبلغ جميع العِدا أن سوف يشملُهم من الظُّبَى كلُّ ماضى الحد فاصله
هـــذا المليك أتاهم فى كتائبه لنَسْخ آجالهم تُنْضَى رَواحـــله
بكل خِرْق طويل البـاع مُتَّئد مقصِّر عمرَ من تَلْقى مناصله(١)
وجحفلٍ فيه سُمْر الخط مُشْرَعةٌ قد حَجَّبت أنجُمَ الشِّعْرَى قَساطله
سيعلم الغُمْر عُقْبَى ما جنـــاه إذا كَلَّت مواضيه وانفضّت كلا كله
وحاط بالجبـل البحر المحيط ولا حت فوق أرؤسهم منــه جداوله
فانهض إليهم أميرَ المسلمين فقد أُعْطيت كل المُـــنى فيما تحاوله
[١٩٩] من ذا يُنـازل جيشًا أنت قائده يومَ الـكريهة أو مَنْ ذا يُناضله

(١) المناصل : السيوف ؛ الواحد : منصل (بضم الميم وسكون النون مع ضم الصاد وفتحها) .

ألا ترى المارقَ الرِّعديدَ حين عتا وأضمر المكر صادَتْه حبائلُه
ظنَّ الضنين بأن يسمو ويعلوَ فى دنيا سَمَتْ وعلت فيها بواطله
فغادرته الصِّعاد الزُّرْق منْجَدِلا فوق الصَّعيد تُنـاديه جنادله
دنياه تَضْحك من أحواله عجبا به وفى الحىّ تبـكيه أرامله
فلْيَهْنِ دين الهدى من بعـد مدته أنْ أنت يا ذا الُمحيَّا الطَّلْق كافِله
لم ينتصب قَطُّ فى الدنيا لواءُ عُلاً إلاّ ومِن آل عبد الحق حامله
مولاى مولاىَ دُم ماعشت مُصطحِبا عُـلاً ونخرا وعِزًّا لا تزايله
إن سار جيشك فالتأييد يَقْدُمه والنصر عاجله يقفوه آجله

انتهى كلام ابن الأحمر .

وأقارب هذا الشريف الشبوكىّ لم يزالوا إلى الآن ، ولهم مصاهرة مع وليّنا الفقيه المحدِّث ، الحاج الرَّحال البَرَكة ، القدوة الصالح الناصح ، أبى عبد الله سيدى محمد بن الولىّ الصالح سيدى أبى بكر بن محمد ، صاحب الدّلا(١) ، أبقى الله علاهم ، وأعانهم على ما أولاهم .

شعر لابن الخطيب على قبر السلطان أبي الحسن المريني

ولنرجع إلى ابن الخطيب فنقول :

وقال رحمه الله ، وقد شاهد بجبل هَنتاتة محل وفاة السلطان أبى الحسن المَرينى ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذى فَصَل الخُطَّة ، وأصمت الدّعوة ، ورفع المنازعة ، وعاينه مُرَفَّها(٢) عن الابتذال بالسكنى ، مفترَشا بالحصباء ، مقصودا بالابتهال والدعاء ، فلم يبرح يومَ زيارة محل وفاته أنْ قال :

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصلين ، ولم نفهم المراد منها ، ولم نعثر على مرجع آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحمر ، لنعارض به هذا النص .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « مرفعا » .

يا حسنَها من أرْبُعٍ وديار ... أضحت لباغى الأمن دارَ قرارِ
وجبال عزّ لا تذِل أنوفُها ... إلا لعز الواحد القهار
ومقر[1] توحيدٍ وأُس خلافة ... آثارُها تُنْبى عن الأَخْبار
ما كنت أحسب أنَّ أنهار النَّدَى ... تجرى بها فى جملة الأنهار
ما كنت أحسب أن أنوار الحِجا ... تلتاح فى قُنَنٍ وفى أحجار
مَجَّت جوانبُها البَرود وإن تكن ... شَبَّتْ بها الأعداء جَذوة نار
هدّت بناها فى سبيل وفائها ... فكأنّها صَرْعى بغير عُقار
لمّا توعَّدها على المجد العدا ... رضِيَتْ بعَيْث النار لا بالعار
عَمرت بجِلّة[2] عامر وأعزَّها ... عبد العزيز بمُرهَفٍ بتّار

[٢٠٠]

فرسَا رِهان أحرزا قَصَب النَّدى ... والبأسَ فى طَلَق وفى مِضمار
وَرِثا عن النَّدْب الكبير أبيهما ... محضَ الوفاء ورفعةَ المقدار[3]
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة ... بالأصل فى وَرَق وفى أثمار
أزْرَتْ وجوهُ الصِّيد من هنتاتة ... فى جوِّها بمطالع الأقمار
لله أى قبيلة تركت لها النظراء دَعْوى الفخر يوم فخار
نصرتْ أميرَ المسلمينَ[4] وملكَه ... قد أسلمته عزائمُ الأنصار
وارَتْ عليًّا عندما ذهب الرَّدَى ... والروعُ بالأسماع والأبصار
وتخاذل الجيشُ اللُّهام وأصبح الـ ... أبطال بين تقاعُد وفِرار

(١) فى ط : « ومحل » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين والسلاوى : « بجلة » . ويريد بعامر : عامر بن محمد الهنتاتى .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الأقدار » .
(٤) فى ط : « المؤمنين » .

كُفِرَتْ صنائعُه فيمَّم دارها مُسْتظهِرا منها بِعِــز جِوارِ
وأقام بين ظهورها لا يتّقى وقْع الردى وقـد ارتمى بشرار
فكأنهـا الأنصارُ لمّا آنست فيما تقــادم[(١)] غُربة المختار
لمــا غـــدا لحظًا وهم أجفانُه نابتْ شِــفارهمُ عن الأشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهـــم فأجاب مُمتثِلا لأمر البــارى
لو كان يُمنع من قضاء الله ما خلصتْ إليه نوافــذُ الأقدار
قد كان يأمُل أن يكافئ بعض ما أولَوْه لولا قاطعُ الأعمــار
ما كان يقنعه لو امتدّ المَدَى إلا القيامُ بحقّها من دار
فيعيد ذاك المـاءَ ذائبَ فِضّة و يعيد ذاك التربَ تِبْرَ[(٢)] نُضَار
حتى تفوز على النوى أوطانُها من مُلْكه بجلائل الأوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههمْ أثَرُ العناية ســاطعَ الأنوار
ويُسَوِّغَ الأملَ القصىَّ كِرامَها من غـــير ما ثُنْيا ولا استعصار[(٣)]
ما كان يَرْضَى الشمسَ أو بدرالدجى عن دِرْهم فيهم ولا دينـار
أو أن يُتَوَّج أو يقـــلِّد هامَها ونحورَها بأهِـــلّة ودَرارى
حقٌّ على المولى ابنه[(٤)] إيثـارُ ما بذلوه من نصر ومن إيثـار
فلمثلها ذُخِر الجزاء ومثـــلُه من لا يُضِيع صــنائع الأحرار
وهو الذى يقضى الديونَ و بِرُّه يُرضِيه فى عَلَن وفى إسرار

---

(١) فى ط ونفح الطيب : « تقدم » .

(٢) فى نفح الطيب والسلاوى : « ذوب » .

(٣) الثنيا : الاستثناء . والاستعصار : استفعال من العصر بمعنى المنع . ولم ترد صيغة « استفعل » من العصر فى المعاجم التى بأيدينا .

(٤) يريد بالمولى : ابنه السلطان أبا سالم بن أبى الحسن المرينى .

[٢٠١]

حتى تُحَج مَحِلَّةٌ رَفعوا بها عَلَمَ الوفاء لأعْيُن النُّظارِ
فيصير منها البيتُ بيتا ثانيا للطائفين إليه أى بِدار
تغْنِى قلوب القوم عن هَدْى به ودموعُهم تكفى لرمى جمار
حُيِّيتِ من دار تكفّل سعيها الـمحمود بالزُّلْفى وعُقْبى الدار
وضَفَت عليكِ من الإله عناية ما كَرَّ ليلٌ فيك إثْر نَهار

شعر لابن الخطيب على قبر المعتمد

وقال رحمه الله ، حين زار بخارج أغماتَ قبر المعتمد بالله أبى القاسم ابن عَبَّاد ، أمير حِمْصٍ(١) وقُرطبة والجزيرة ، وما إلى ذلك الصُّقع الغربى ، ونص كلامه الذى رتبه فى ذلك أنه قال :

وقفت على قبر المعتمد بالله بمدينة أَغْمات ، فى حركة راحة أعملتها إلى الجهات المَراكشية ، باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار عام واحد وستين وسبع مئة ، وهو بمقبرة أغمات ، فى نَشَز من الأرض ، قد حَفّت به سِدرة ، و إلى جنبه قبر اعتماد حَظِيّته مولاة رَميك ، وعليهما هيئة(٢) التغرب ، ومعاناة الخمول من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت فى الحال :

قد زُرت قبرَكَ عن طوع بأَغمات رأيتُ ذلك من أُولى المهماتِ
لِمْ لا أزورك يا أندى الملوك يدا ويا سراجَ الليالى المدلَهِمَّات
وأنت مَنْ لو تَخطَّى الدهرُ مَصْرَعَه إلى حياتى لجادت فيه أبياتى
أناف قبرُكَ فى هَضْب يميِّزه فتنتحيه حَفِيَّات التَّحيات
كرُمت حياً وميْتاً واشتهرت عُلًا فأنت سلطان أحياء وأموات

(١) يريد بحمص (هنا) : مدينة إشبيلية بالأندلس ، لأن العرب الذين نزلوها عند الفتح أسموها باسم بلدهم فى الشرق .
(٢) فى نفح الطيب : « أثر » .

مارِىء[1] مثلك فى ماض، ومُعْتَقدى أن لا يُرَى الدهرَ فى حالٍ ولا آتِى

شعر له فى مخاطبة ابن يوسف

وقال رحمه الله مخاطباً أحمد بن يوسف حفيد الولى الصالح سيدى أبى محمد صالح النائم فى ظل صيته ، رحمهم الله :

يا حفيدَ الولىّ يا وارث الفخـــر الذى نال فى مقال[2] وحالِ

لك يا أحمد بن يوسف جُبنا كل قفر[3] يعيى أكف الرحال

[٢٠٢] ولما خرج رحمه الله من آسِفَى[4] سار إلى منزل ينسب لأبى خدو[5] ؛ فيه رجل من بنى المنسوب إليه ، اسمه يعقوب ، قال فى نُفاضة الجراب ، فألطف وأجزل وآنس فى الليل ، وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوبَ نجل أبى خَدُّو فعرّفنا الفضل الذى ما له حَدُّ

وقابلَنا بالبشر واحتفل القِرى فلم يبق لحم لم ننله ولا زُبد

يحق علينا أن نقوم بحقـــه ويلقاه منا البر والشكر والحمد

وله فى مخاطبة السلطان

وقال يخاطب السلطان :

أنت للمسلمين خـــير عِماد ومَلاذ وأىّ حِـــرْزٍ حريزِ

لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمرُ الفاضلُ ابن عبـد العزيز

لجزى ملكَكَ المبارك خـيرا وقضى بالشّـــفوف[6] والتبريز

فاشكر الله ما استطعت بفعل وبقول مُطَوَّل أو وجـــيز

(١) رىء : أصله (رُئى) بالبناء للمجهول ، قدمت اللام على العين .

(٢) فى ت : « مقام » .

(٣) فى نفح الطيب : « قطر » .

(٤) آسفى : من الثغور المراكشية .

(٥) فى نفح الطيب : « حذو » .

(٦) يريد بالشفوف (هنا) : الزيادة .

كل مَلْكٍ يُرَى بصُحْبة أهل الـعلم قد باء بالمحـل العزيزِ
فإذا ما ظفرت منهم بإكسيـر ملأت البلاد من إبريز
والبرايا تَبِيد والمُـلْك يفنى أين كسرى الملوك مَعْ أَبْرَويز

وله فى مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته

وقال : أنشدت ابنى عبد الله وقد وصل لزيارتى من الباب السلطانى ، حيث [جرايته ووظيفته ، وانجر حديث] (١) ما فُقِد بغرناطة فى شجون الكلام :

يا بنىَّ عبـدَ الإله احتسابا عن أثاث ومـنزلٍ وعَقارِ
كيف يَأْسَى على خَسارة جزء من يرى الكلَّ فى سبيل الخَسار
هَدَف لا تَنِى سِهامُ الليـالى عن سِـباق تجاهَه و بِدار
واحد طائش وثان مصيبٌ ليس ينجى منها اشتمالُ حِذار
غير ذى الدار صُرِّفَ الهمُّ فيها فمناخ الرحيـل ليس بدار

وقال : أنشدته وأمرته بحفظه ، والتأدب به ، واللَّهَج بحكمته :

إذا ذهبتْ يمينُكَ لا تُضيِّع زمانكَ فى البكاء على المصيبهْ
ويُسراك اغتنم فالقوس ترمِى وما تدرِى أرشقتها قريبه
وما بغريبة نُوَب الليـالى ولـكن النَّجاةَ هى الغريبه [٢٠٣]

بعض مقطوعات له

وقال رحمه الله :

يَأهل هذا القُطْر ساعده القَطْر بُليتُ فدُلُّونى لمن يُرْفع الأمرُ
تشاغلتُ بالدنيـا ونمتُ مفرِّطا وفى شُغُلى أو نَوْمتى سُرِق العمر

وقال رحمه الله :

مالى أهذِّبُ نفسى فى مطالبِها والنفسُ تأنفُ تهذيبى وتَهذِى بى

---

(١) ما بين القوسين تكملة عن ت .

إذا استعنتُ على دهرى بتجربة تأبى المقاديرُ تجريبى وتجرى بى

وله فى مشرف الدار حين أكل القابض

وقال رحمه الله مورّيا حين أكل مُشْرف الدار القابض[1] ، أى أخذ ماله :

مُشْرِف دار الملك ما بالُه منتفخَ الجوف شكا نافضا

فقيل لى ليس به علة لكنه قد أكل القابضا

وقال رحمه الله :

يا نفس لا تُصغى إلى سَلْوة كم أخلف الموعدَ عُرقوبُ

وأنت يا قلبىَ وَصَّاك إبراهيم بالحزن ويعقوب

وله فى رأس الغادر بالدولة

قال : وقلت فى رأس الغادر بالدولة حين عرض على :

فى غير حفظ الله مِن هامة هام بها الشيطان فى كل وادْ

ما تركتْ حمداً ولا رحمة فى فم إنسان ولا فى فؤادْ

وله فى الغزل

وقال رحمه الله :

يا كوكبَ الحسن يا معناه يا قمرَهْ يا روضه المتناهى الرّيْع يا ثمرَهْ

أَمرتَنى بِسُلُوٍ عنكِ ممتنع مأمور حسنك لمّا يَقْضِ ما أَمرَه

شعر له فى السعيد أبى بكر

[وقال رحمه الله فى السعيد أبى بكر ابن السلطان أبى عنان :

أميراً كأن قُمَير الدجى أفاض الضياء على صفحتيه

تملّأ قلبىَ من حبه غداةَ نظرت بعينى إليه

فلا بسط الدهر كفَّ الرّدى لذاك الشُّخَيص وذاك الوُجَيه][2]

---

(١) القابض : من الألفاظ الأندلسية ، وهى هنا بمعنى المال المأخوذ .

(٢) ما بين القوسين ساقط فى ت .

وله فى توديع ابنه لما انصرف عنه إلى فاس

وقال عند ما انصرف عنه ابنه إلى مدينة فاس ، لإقامة رسمه من الخدمة ، قال : وأشجانى انصرافه لوقوع قَرحه على قرح ، والمستعان الله :

بان[1] يومَ الخميس قرةُ عينى حسْبىَ الله أىُّ موقف بَيْنِ !

لو جنى موقف النَّوى حَيْنَ حَىٍّ حانَ يومَ الودَاع والله حينى

ضايقتنى صروف هذى اللّيالى وأطالت همى وألْوَتْ بدينى

وطن نازح وشَمْل شَتيت كيف يبقى مُعذَّب بين ذَيْن ؟

[٢٠٤] يا إلهى أدرك بلطفك ضعفى إن ما أشتكيه ليس بهيْن

وله فى السيادة الخطيبية

قال : وخاطبت السيادة الخطيبية[2] مع طيفور طعام :

تَعلَّمَ طيفورى خِــلال سميّه[3] وإن كان منسوباً إلى غير بِسْطَام

وجاءَ فقيرَ الوقت لابسَ خِرقة فليس براض غير صحبة صَوَّام

فدَيْتك لا ترده عنك مخيَّبا ودَرِّسْــه يا مولاى قِصّــة بِلْعام[4]

قال : وكتبت إلى السيادة الخطيبية ، ووصل ولدها إلى سلا ، ومنعنى عن لقائه عذر من مرض ، وكان نزوله بزاوية النساك :

صَدّنى عــن لقاء نَجْلك عذر يمنع الجسم عن تمــام العبادهْ

واختصرت القِرى لأن حَطّ رحلا فى محل الغِنى ودار الزّهاده

(١) فى ت : « فات » .
(٢) يريد بالسيادة الخطيبية ، الخطيب ابن مرزوق حاجب الدولة الغرناطية .
(٣) طيفورى : يريد طبقا عليه مأكول . وسميه : يريد به القطب طيفور بن عيسى ابن سروشان ، المكنى بأبى يزيد البسطامى ، شيخ الصوفية ، وصاحب الأحوال المشهورة . (انظر شرح القاموس) .
(٤) لعله يريد بلعام بن باعوراء من بنى إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، وله قصــة مشهورة .

ولَوَ أنى احتفلتُ لم يُعنِ الدهـــرُ ولا نِلْت بعضَ بعضٍ أراده
وعلى كل حالة فقُصورى عادة إذ قبُولك العـذرَ عاده
لا عدمتَ الرضا من الله والحُسْـــنى كما نص وحيُه والزياده

وقال يخاطبه من ضريح السلطان أبى الحسن بشالة ، لاستنهاض عزيمته فى قضاء غرضه :

برِئت لله من حولى ومن حِيَلِى إن نام عنى وَلِيِّى فهوَ خيرُ وَلِى
أصبحت مالىَ من عَطف أؤمّله من غيره فى مُهِمّات ولا بَدَل
ما كنتُ أَحْسِب أن أُرْمَى بقاصية للهجر أقطعُ فيها جانب الأمل
من بعد ما خَلَصت نحوى الشفاعة ما بين الفلا[1] والدّجى والبيض والأَسَل
إن كنتُ لستُ بأهل للذى طمحتْ إليـه نفسى وأهْوَى نحوه أملى
فكيف يُلْغَى ولا تُرْعَى وسيلتُه دَخيلُ قبر أمير المسلمين عَلِى
من بعد ما اشتهرت حالى به وسَرَتْ بها الركائب فى سهل وفى جبل
والرسـل تَتْرى ولا تخفى نتائجها عنـد التأمُّل من قول ولا عمل
ولا لليلِىَ من صُبح أطالعه كأن هَمِّىَ قد مد الدُّجُنَّـة لى
لو أننى بابن مرزوق عقدتُ يدى وكان محتكما فى خيرة الدُّول
لكان كربِىَ قَدْ أفضَى إلى فرج وكان حُزْنىَ قد أوفى على جَذَل
ألْمَتْ[2] بالعتب لم أحذَرْ مواقعه « أنا الغريقُ فما خوفى من البلل » [٢٠٥]
ولستُ أجحد ما خُوِّلْتُ من نِعَم لـكنها النفسُ لا تنفكّ عن أمل
ولست أيأسُ من وعد وُعِدْت به وإنما « خُلِق الإنسانُ من عَجَل »

(١) فى نفح الطيب : « العلا » .
(٢) فى نفح الطيب : « ألحت » .

وله فى مخاطبة السلطان أبى الحجاج

وقال رحمه الله يخاطب السلطان أبا الحجاج :

أمولاى إن الشعرَ ديوانُ حكمة ... يفيد الغنَى والعزّ والجاه مَنْ كانا
وقد وُجِد المختارُ فى الحَفْل مُنْصِتا ... له وَحبا كَعبا عليه وحَسّانا
وفيما رواه الناقلون وأثبتوا ... بذلك ديواناً صحيحاً فديوانا
بأن أبا بكر خليفتَه الرّضا ... وفاروقَه الأدنى إليه وعثمانا
وأن عليا قدس الله جمعَهم ... وكرمنا بالقُرب منهم وحَيَّانا
لهم فى ضروب القول إذْ هُمْ فحولُه ... خطاب وشِعْر يستقِرّان تبيانا
وفاض على أهل القريض نوالُهم ... فرُوِّض رَوْضُ القول سَحًا وتَهتانا
وأنتَ أحقُّ الناس أن تفعل التى ... بها(١) فعل المختار ديناً وإيمانا
فما زلتَ تَهْدِى فى البرية هديَه ... وتقضى بما يُرْضيه سِرًّا وإعلانا
وإن قيل قدر المرء ما هو محسنٌ ... فصنعة نظم القول أرفعه شانا

وله فى التورية

وقال رحمه الله فى فن التورية :

بنفسى حبيب فى ثناياه « بارق » ... ولكنها للواردين عِذابُ
إذا كان لى منه عن الوصل «حاجر» ... فدمعى « عقيق » بالجفون مُذاب

وقال :

عَذَّبتَ قلبى بالهوى فقيامه ... فى نار هجرِكَ دائماً وقعودهُ
ولقد عَهِدتُ القلب وهو موحِّد ... فعلام يُقْضَى فى العذاب خلوده

وله فى التجنيس

وقال فى التجنيس :

دَعَوْتُك للود الذى جَنَباته ... تداعتْ مبانيها وهَمّت بأن تَهِى

(١) فى نفح الطيب : « الذى به » .

وقلتُ لعهد الوصل والقرب بعد ما تناءى أأسلو عن حياتى[1] وأنت هى
ومن شام من جو الشبيبة بارقا ولم تنهه عنه النُّهَى كيف ينتهى ؟

وقال أيضاً :

ناديتُ دمعىَ إذْ جدَّ الرحيلُ بهم والقلبُ من فرَق التوديع قد وَجَبا
سَقَطْتَ يادمعُ من عينى غَداة نأى عنى الحبيبُ ولم تقض الذى وجبا

[٢٠٦]

وله فى التورية أيضا

وقال مُوَرِّيا :

كتبتُ بدمع عينى صفحَ خدِّى وقد مَنَع الـكَرى هجرُ الخليل
وراب الحاضرين فقلت هـذا كتاب « العين » ينسب للخليل

وتذكرت بهذا قول الشيخ أبى حيان :

سـبقَ الدمع بالمسير المطايا إذ نوى من أحب عنّىَ نُقْلَهْ
وأجاد السطور فى صفحة الخـدّ ولمْ لا يجيـد وهو ابن مُقْله

والبيتَ الثانى أردت ، ولـكن ابن الخطيب قد قصد تورية أخرى لم يقصدها أبو حيان ، وكلاهما قد أحسن فى توريته .

بعض شعره

وقال ابن الخطيب :

ولما رأت عزمى حثيثاً على السُّرَى وقد رابها صَبْرى على موقف البينِ
أتت بصِحاح الجوهرى دموعُها فعارضتُ من دمعى بمختصَر العين

وقال أيضا :

بحق ما بيننا يا ساكنى القصَبهْ رُدُّوا علىَّ حيـاتى فهْى مغتصَبهْ
ماذا جنيتم على قلبى ببَيْنِكُمُ وأنتمُ الأهلُ والأحباب والعصَبهْ

(١) فى نفح الطيب : « وهل أسلو حياتى » .

وقال عفا الله عنه :

مَضجعى فيك عن قتادة يَرْوى ورَوى عن أبى الزّناد فؤادى
وكذا النوم شاعر فيك أمسى من دموعى يَهيم فى كل وادى

وقال رحمه الله :

حين ساروا عنى وقد خنقتنى عَبَرات قد أعربت عن وَلُوعى
صِحْت من ينصر الغريبَ فلمّا لم أجد ناصراً بلغت دموعى

وقال عفا الله عنه :

قال لى والدموع تَنهلُّ سُحْبا فى عِراض[1] من الخدود مُحولِ
بك ما بى فقلت مولاىَ عافا كَ الْمعافى من عَبْرتى ونُحولى
أنا جفنى القريحُ يَرْوِى عن الأعـــمش والجفنُ منك عن مكحول

وله فى جلوس السطان فى يوم برد للسلام

وقال ، وقد جلس السلطان فى يوم شديد البرد للسلام :

جلس المولَى لتسليم الوَرَى ولفصل البرد فى الجو احتكامْ
فإذا ما سألوا عن يومنا قلت هـذا اليومُ بردٌ وسلامْ

[٢٠٧]

وله فى الغزل

وقال رحمه الله تعالى :

بأبى بدر[2] غزانى مستبيحاً سَرْح[3] صدرى
فأنا اليوم شهيـد الـــحب من غزوة بدْر

وقال :

أشكو لمبسِمه الحريقَ وقد حَمَى عنِّى لَمَاه المشتهَى ورحيقَــهُ
يا ريقَـــه حيّرتنى ومَطلتَنى ما أنت[4] إلا باردٌ يا ريقَــهُ

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ، ونميل إلى أن هذه الكلمة محرفة عن «عراص» بالصاد المهملة ، فهى أليق بهذا المقام .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « ظبى » .
(٣) كذا فى ت . والسرح : فناء الدار . وفى ط : « صرح » . والصرح : القصر .
(٤) فى ط : « ما كنت » .

أبيات له فى المحسنات البديعية

وقال فيمن ركب البحر وماد :

ركب السفينة واستقلّ بأفقها فكأنما ركب الهلالَ الفرقدُ
وشكوا إلىّ بمَيْدهم فأجبتُهم[1] لا غروَ أنْ ماد القضيب الأملد

وقال أيضاً :

يا مالكى بخــــلال تُهدِى إلى الفكر[2] حَيْرهْ
أضرمتَ قلبىَ نارا يا مالكُ بنَ نُوَيرهْ

وقال عنـد ما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس اطلب حقه :

ولما حثثتَ السيرَ والله حاكم لملكك فى الدنيا بعزّ وفى الأخرى
حكى فرسَ الشِّطْرنج طِرفُكَ لا يُرى يُنَقَّل من بيضاءَ إلا إلى حمرا

وقال رحمه الله تعالى :

تعجلتُ وخْطَ الشَّيْب فى زمن الصبا لخوضى غِمارَ الهمّ فى طلب المجدِ
فمهما رأيتم شَيبة فى مفارقى[3] فلا تنكروها إنها شَيبة الحمد

وقال رضى الله عنه :

يا من تقلد للعَلاَء سُلوكا والفضلُ أضحى نهجُه مسلوكا
كاتبتنى متفضِّلا فملكتنى لا زلتُ منك مكاتَبا مملوكا

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى ط . وفى ت : « وشكا إلى بعيده فأجبته » ؛ وفى نفح الطيب : « وشكوا إليه بميدهم فأجبتهم » .
(٢) فى نفح الطيب : « القلب » .
(٣) فى نفح الطيب : « فوق مفرقى » .

وقال عفا الله عنه :

أجاد يراع الحسن خَطَّ عِذارهِ وأوْدَعه السرَّ المصون الذى يَدْرِى
ولم يفتقر فيـــه لختم وطابع فبسمه أغناه عن طابع السر

[٢٠٨] وقال فى رجل حلف وأقسم أنه ذو مال وأمانة ، وطلب من السلطان الخدمة :

حلفتَ لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر فى اليمين
ليستندوا إليك بحفظ مال فتأكل باليسار وباليمين

وقال فى الفخر :

ما ضرنى أن لم أكن[1] متقدما فالسبق يُعرَف آخرَ المِضمارِ
ولئن غدا رَبْع البلاغة بلْقعا فلرُبَّ كنزٍ فى أساس جِدار

وقال فى مديح السلطان أبى الحجاج :

فى مصر قلبى من خزائن يوسُفٍ حَبٌ وعِـيرُ مدائحى تمتارهُ
حلّيْت شـــعرى باسمه فكأنه فى كل قُطْر حَـــلَّه ديناره

وقال يخاطب ابنه السلطانَ أبا عبد الله :

قالوا لخدمته دعاك محمـــدٌ فكرهتُها وزهِـــدتُ فى التنويهِ
فأجبتهم أنا والمهيمنِ كاره فى خـــدمة المولى مُحِبٌّ فيه

ومن قوله فى غرناطة :

أحبُّكِ يامغنى[2] الكمال بواجب[3] وأقطع فى أوصافك الغُرِّ أوقاتى
تقسَّم منك التربَ قومى وجيرتى ففى الظَّهر أحيائى وفى البطن أمواتى

(١) كذا فى الأصلين ؛ وفى نفح الطيب : « أن لم أجئ » .
(٢) فى نفح الطيب : « أحبيك يامغنى » .
(٣) الواجب : القلب .

وقال فى غرض ينحو به نحو المشارقة :

رمَوْا بالسُّلوِّ حليفَ الغرامِ وأدمعه كالحيا الهاطلِ
أعوذ بعزكَ يا سيدى لذلىَ من دعوة الباطل

وقال أيضاً :

يا ليلُ طُلْتَ ولم تجُد بتبسُّم وأرَيتنى خُلُقَ العبوس النادمِ
هلاّ رحمتَ تغرُّبى وتفرُّقى لله ما أقساك يا بن الخادم

وله فى سكين الأضاحى

وقال فى سكين الأضاحى للسلطان أبى الحجاج رحمه الله :

لىَ الفضلُ أَن شاهدتنى واختبرتنى على كل مصقول الغِرارين مُرْهَفِ
كفانىَ فخراً أن ترانىَ قائماً بسنة إبراهيم فى كف يوسف

وله فى مروحة سلطانية

وقال فى مِرْوحة سلطانية :

كأنىَ قوس[1] الشمس عندطلوعها وقد قَدِمت من قبلها نَسمةُ الفجْرِ
وإلا كما هبّت بمُحْتَدِمِ الوغى بنَصْرٍ ولكن من جُنود بنى نَصْرِ[2]

[٢٠٩]

وله يخاطب ابن الجياب

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب :

بين السِّهام وبين كُتْبكَ نسبة فيها يُصاب من العدو المَقْتلُ
وإذا أردت لها زيادة نِسبة هذى وهذى فى الكِنانة تُجْعَل

وله فى الغزل

وقال يتغزَّل ، وفيه معنى غريب :

إن اللّحاظ هى السيوف حقيقة ومن استرابَ فحجتى تكفيهِ
لم يُدْع غمدُ السيف جَفناً باطلا إلا لشِبه اللحظ يُغْمَد فيه

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إن العيون النُّجْل أمضى موقعا من كل هندىّ وكل يمانِ

(١) فى ت : « ظل » .
(٢) بنو نصر : هم بنو الأحمر ملوك غرناطة .

فضل العيون على السيوف بأنها(١) قَتَلَتْ ولم تخرُج من الأجفان

وأصل ما قال ابن الخطيب قول الآخر :

بين السيوف وعينيه مشاركة(٢) من أجلها قيل للأغماد أجفانُ

وله فى البراغيث أيضا

وقال ابن الخطيب أيضا فى البراغيث :

بِتْنا نكابدُ هَمَّ القَحْطِ ليلَتنا وأنجد السُّهد والكَرْب البراغيثا(٣)

وكان يُحْمَلُ ما كنّا نكابده من المشــــقّة لو أنَّ البرا غيثا(٤)

وله فى خالد البلوى

وقال فى خالد البَلَوِى صاحب الرحلة ، وقد استكثر من سرقة كتاب « البرق الشامى » للعماد الأصبهانى :

خليــــلىَّ إن يُلْفَ اجتماع بخالد فقولا له قولا ولن تَعْدُوَا الحقّا

سرقتَ العِماد الأصبهانىَّ برقَه وكيف ترى فى شاعرٍ سَرَق البرقا ؟

وله فى المنجانة

وقال فى المنجانة :

تأمّلِ الرمْلَ فى المَنجان منقطعاً يجرى وقَدِّره عمراً منك منتهياً

والله لو كان وادى الرمل يُنجده ما كان(٥) كامله إلا وقد ذهبا

وله فى الغزل

وقال :

أقول لعاذلى لمــــا نهانى وقد وجد المقالة إذ جفانى

علمتَ بأنه مُرُّ التجنى وفاتك أنه حُلْو اللسـان

---

(١) فى ت : « لأنها » .

(٢) فى ط : « بين اللحاظ وعينيه مناسبة » .

(٣) رواية هذا البيت فى نفح الطيب :

بتنا نطارح هم القحط ليلتنا وأيد الهم والسهد البراغيثا

(٤) البرى : التراب . ورسمت (البرى) بالألف ليتم الجناس بين البيتين . وغيث : أصابه الغيث .

(٥) فى ت : « ماطال » .

وله فى التصوف

وقال فى غرض صُوفى :

لا تنكروا أن كنتُ قد أحْبَبْتُكم أو أننى استولى علىَّ هواكُمُ
طوعاً وكرهاً ما ترَوْن فإننى طُفْتُ الوجود فما وجدتُ سواكم

[٢١٠]

وله فى المديح موريا

وقال يمدح وفيه تورية :

وإن نظرتَ إلى لألاء غُرَّته يوم الهِياج رأيت الشمس فى الأسدِ

شعر له يشك أنه للمشارقة

ونسب إليه الحافظ أبو عبد الله التَّنَسى رحمه الله ، قصيدة يخرج منها أكثر من ثلاث مِئَة بيت ، ونسبها غير التَّنَسى إلى بعض المشارقة ، فالله أعلم ، وهى :

داءٌ ثوى بفؤادى شفَّه سَقَمَ(١) لمِحنتى من دواعى الهمّ والكمدِ
بأضلعى لَهَبٌ تَذْكُو(٢) شَرارته من الضنى فى محل الرُّوح من جسدى(٣)
يومَ النَّوى حل فى قلبى له ألمٌ(٤) وحُرْقتى وبلائى فيه بالرصَد
توجُّعى من جوًى شُبَّت حرارته مع العنا قَدْ رَثَى لى فيه ذو الحسد
أصل الهوى مُلْبسى وجْدا به عَدَم لمهجتى من رشاً بالحسن منفرد
تَتَبُّعى وَجْه(٥) من تزهو نضارته إذا انثنى قاتلى عمداً بلا قَوَد
مُهْدِى الجوى مُولَعٌ بالهجر منتقم ما حيلتى قد كوى قلبى مع الكبد
لمصرعِى معتمد تحلو مرارته يا قومنا(٦) آخذ نحو الرَّدَى بيدى
قلبى كَوى ملكٌ فى النفس محتكم اقصَّتى فهو سؤلى وهو معتمَدى
مُرَوِّعى قمر تسبى إشارته إذا رنا ساطع الأنوار فى البلد

(١) فى ت هنا : « ألم » .
(٢) فى ط : « تبدو » .
(٣) فى ت هنا : « ... الروح والجسد » .
(٤) فى ت : « يوم النوى ظل فى قلبى به ألم » .
(٥) فى ت : « وجد » .
(٦) فى ط : « ياقومنا » .

هَدَّ القُوَى حَسَن كالبدر مبتسم لِفتنتى مُوهِن عند النَّوى جَلدِى
مُودِّعى النار قد شَبَّت زيارته لمـا جَنى مُورثى وجدا مع الأبد

قلت : وعندى أنها بعيدة من نَفَس ابن الخطيب ، مع أن الحافظ التَّنَسى نسبها له ، وغيره نسبها لبعض المشارقة ، وذكر التَّنَسى أنه يخرج منها ثلاث مئة بيت ونيف وستون بيتاً[1] ، والله ولى التوفيق .

ثم وقفت بعد هذا على كراسة من بعض تآليف الصَّفَدى بخطه ، عبّر[2] فيها أنها لبعض المشارقة ، وأورد القطعة مع تقديم وتأخير ، فأردت أن أذكره إتماماً للفائدة ؛ ونصه :

صالح بن أحمد بن عثمان صلاح الدين القَوّاس الشاعر الخِلاطى ثم البعلبكى ، توفى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، كان رجلا خيّراً متواضعاً ، صحب [٢١١] الفقراء ، وسافر الكثير ، وكان يعبُرُ الرؤيا ؛ قال الصَّفَدى : أنشدنى من لفظه الشيخ الحافظ الذهبى ، قال : أنشدنى المذكور قصيدته السائرة ذات الأوزان ، وهى :

داءٌ ثَوى بفؤادى شَـــفَّه سَقَمُ لِمحنتى من دواعى الهم والكمدِ
بأضْلُعى لَهَب تذكو شَرارته من الضَّنَى فى محل الرُّوح من جسدى
يومَ النَّوَى ظلّ فى قلبى به أَلمَ وحُرْقتى وبلائى فيـه بالرَّصَد
توجعى من جوًى شبّت حرارته مع[3] العنا قدْ رثى لى فيه ذو الحسد
أصل الهوى مُلْبِسى وجدا به عَدَم لمهجتى من رَشًا بالحسن منفرد

---

(١) طريقة ذلك أن يؤخذ الشطر الأول من كل بيت كما هو أو مع تغيير فى بعض كلماته ، ثم يوضع مع ما يناسبه معنى من الشطور الثوانى فى القصيدة كلها ، فتخرج من ذلك صور كثيرة للبيت الواحد .

(١) فى ت : « عين » .

(٢) فى ط : « من » .

تتبعى وَجْه[١] من تزهو نضارته ... لما جنى مُورثى وجدا مع[٢] الأبدِ

هَدَّ القوى حسَن كالبــدر مبتسم ... لفِتْنتى مُوهِن عند النّوى جَلَدى

مُودِّعِى قمر تَسْبِى إشارته ... إذا رنا ساطع الأنوارِ فى البَلَد

مُهْدِى الجوى مُولَع بالهجر مُنتقِم ... ما حياتى قد كوى قلبى مع الكَبِد

لمصرعى مُعْتَدٍ تحلو مرارته ... يا قومَنا آخذ نحو الردَى بيدى

قلبى كوى مَالِكٌ فى النفس محتكم ... لقصتى وهو سُؤلِى وهو معتمدى

مولِّعى النار قد شَطَّت[٣] زيارته ... لما انثنى قاتلى عمداً بلا قَوَد

قال الصَّفَدى : قلت : هذه القصيدة تقرأ على ثلاث مئة وستين وجهاً .

وله فى المشيب

[وقال فى المشيب :

إنى لَمُبْلًى بالهوى من بعد ما ... للوخْط بالفَودين أى دبيبِ

لَبِس البياضَ وحلَّ ذِروةَ مِنبر ... منى ووالَى الوعظَ فِعْل خطيب

وله وقد أجاز بسبتة

وكتب ببعض الحيطان لما أجاز بِسَبتة :

أقمنا بُرْهة ثم ارتحلنــا ... كذاك الدهرُ حالا بعد حالِ

وكل بِداية فإلى انتهــاء ... وكل إقامــة فإلى ارتحال

ومن سام الزمانَ دوام أمر ... فقد وقف الرجاءَ على المُحال

وقد قدّمنا بعض هذه المقطوعة على غير هذا الوجه][٤] .

وله فى طاق الماء

وقال مما يكتب فى طاق الماء بباب القبة :

أنا طاق تزهو بىَ الأيامُ ... تَعِبت فى بدائعى الأفهامُ

(١) فى ت : « متبعى وجد » .
(٢) فى ت : « وجدى مدى » .
(٣) فى ت : « مروعى سار لا شطت » .
(٤) ما بين القوسين جاء متأخرا فى ط بعد قوله : « قلبى الثانى » .

وتبــدّيت للنواظر مِحرا ... بًا كأن الإناء فىّ إمامُ[1]

واقف للصــلاة حتى إذا ما ... جئت للشُّرب حان منى السلام

وقال فى ذلك أيضاً :

ياصانعى لله ما أحكمتــه ... فلأنتَ بين العــالَمين رئيسُ

أحْـكمتَ تاجى يوم صُغت رُقوشه ... فصَبَت إليــه مَفارقٌ ورءوس

وأقمتُ فى محرابه فــكأنه ... مُجلَى[2] إناء المــاء فيه عَروس

بين ابن الجياب وابن الخطيب

وكتب إليه شيخه ابن الجَيّاب بقوله :

أيا كتابى إذا ما جئت ما لَقَةً ... دارَ المكارم من ثِنْيٍ ووُحدانِ

فلا تُسَلِّم على رَبْع بذى سَلَمَ ... بها وسَلِّم على ربع لسَلْمان

[٢١٢]

فأجابه ابن الخطيب بقوله :

يا ليت شعرىَ هل يُقْضَى تألُّفنا ... ويثنىَ الشوقَ عن غاياته الثانى

أو هل يحن على نفسى معذبُها ... أو هل يرق لقلبى قلبىَ الثانى

بعض أبيات له

وقال رحمه الله :

عَدِّ عن كيتَ وكيتْ ... ما عليهــا غيرُ ميتْ

كيف تُرْجَى حالة البُقــيَا ... لمِصباح وزَيْت

وقال رحمه الله :

والله ما جانٍ على ماله ... أو جاهه مَن ذاد عن عرضهِ[3]

---

(١) فى ط : « الإمام فى قيام » .

(٢) فى ط : « يحكى » .

(٣) فى ط : « من حاط من عرضه » .

والناس فى خير وفى[1] ضده هُمْ شهداء الله فى أرضـه

موشحة له فى مدح السلطان يوسف أبى الحجاج

وقال رحمه الله : ومما قلته من الموشّحات التى انفرد باختراعها الأندلسيون ، وطمس الآن رسمُها :

رُبَّ ليل ظفرتُ بالبدرِ ونجوم السماء لم تدْرِ

حفـظ الله ليلنا ورَعى

أىَّ شمل من الهوى جَمَعا

غفلَ الدهرُ والرّقيب معا

ليت نهرَ النهار لم يجرِ حكمَ الله لى على الفجْرِ

عَلّل النفس يا أخا العربِ

بحديث أحلى من الضَّرَبِ

فى هوى مَنْ وِصالُه أرَبِى

كلَّما مرَّ ذكر من تدْرِى قلتُ يا بردَه على صدرِى

صاحِ لا تهْتَمِمْ بأمرِ غَدِ

وأَجِزْ صِرْفَها يداً بِيَـدِ

[٢١٣]

بين نهر و بلبـــــل غَرِدِ

وغصون تميد من سُكْرِ أَعْلَنَتْ يا غمامُ بالشكْرِ

يا مرادى ومنتهى أمـلى

هاتها عَسْـجدية الحُلَلِ

حلّت الشمسُ مَنْزِل الحَمَلِ

وبُنُـــود الربيع فى نشْرِ والصَّبا عنـــبرية النَّشْرِ

(١) فى ت : « وإن » .

غُرّةُ الصبح هذه وضحتْ
وقيان الغصون قد صدحتْ
وكأن الصَّبا إذا نفَحَتْ
وهفا طيبها عن الحصْرِ مِدحـــة في عُلا بنى نَصْرِ
هُمْ ملوك الورى بلا ثُنْيا
مَهّدوا الدين زَيَّنوا الدنيا
وحَمَى اللهُ منهمُ العَلْيـــا
بالإمام المرفَّع الخَطَرِ والغمام المبـــارك القَطْرِ
إنمـا يوسفٌ إمام هُدَى
حاز فى المَعْلُوات كلَّ مدَى
قلْ لدهر بمُلْـكِه سَعِدا
افتخر جمـــلة على الدهْرِ كافتخار الربيع بالزّهْرِ
يا عمـاد العـــلاء والمجدِ
أطلع العيـدُ طالع السعدِ
ووفى الفتح فيـــه بالوعد
وتجلت فيـــه على القصرِ غُرَر من طلائع النّصرِ
فتهنّأ من حسـنه البَهِجِ
بحيـاة النـفوس والمُهَجِ
واستمعْها ودعْ مقال شجي
قَسَماً بالهوى لِذِى حِجْرِ ما لليلِ المَشوق مِنْ فجرِ
ومن بديع موشّحاته رحمه الله قوله :

[٢١٤] كم ليوم الفراق من غُصَّهْ فى فؤاد العميـــدْ
نَرفع الأمر فيه والقِصّهْ للولىّ الحميـــدْ

رحل الركب يقطع البِيدا بسفين النِّيـــاقْ
كل وَجْناء تُتْلِعُ الجيدا وتَبُــــذّ الرِّفاقْ
حَسبتْ ليـلة اللقا عيداً فهْىَ ذات اشتياقْ
صائمات لا تقبل الرخصهْ قبل فِطْرٍ وعيـــدْ
فهى مذ أمَّلَتــه مختصه بجهـاد جهيـــد

ومنها وهو آخرها :

يا إمام العُـــلا والفَخْرِ ذا السَّـــنا الأَبهــج
ها كها لا عَدِمتَ فى الدهرِ آمِـــلاً يَرْتَجِى
عارضَتْ قول بائع التمر بمقـــــال شَجِ
غَرّبوكِ الجمالُ يا حفصـــهْ من مكان بعيدْ
من سجلماسة ومن قَفْصهْ وبـــلاد الجَرِيد

ولـه فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

ومن بديع نظمه رحمه الله فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة المشهورة وهى :

سَلْ ما لِسَلْمَى بنار الهجر تَـكْوِينى وحبُّها فى الحَشى مِنْ قَبْلِ تـكوينى
وفى مُنَاها تمنَّيتُ المُنَى فغَــدَا قلبى كئيباً ببَـلْوَاه يُنَاجِينى
وفى قِباب قُبَا قامَتْ لنا بقَبا طرازُها مُذْهبٌ فى حُسْن تَزْيين
لمّا انثنَت فى الحِلى تَزْهُو ببَهْجتها وبالغـــزالة تُزْرِى والسَّراحِين
لمّا تفنَّنْتُ فى أفنان قامتهـــا تفنّنَتْ بفنون الصَّـــدِّ تُفْنينى
ويحسبُ الصبُّ يُسلينى محبّتَها هيهات لو أن جمّ النار يُصْلينى
النارُ فى كَبِدى والشَّوْق يُقْلقنى والقُربُ يَنْشُرنى والبُعْد يَطوينى

ورُكْن صَبْرى تَخَلَّى فى الغرام وقد … تمكَّن الحبُّ فِىَّ أىّ تمكين
وقد رأيتُ مَسيرى عزَّ مطلبُه … والطَّرف والظَّرف يُبكينى ويكوينى
نصَبت حالى لِرَفْع الضَّم منجزم … بالكسْر عَلَّ بِرَشْف الضَّم تُحيينى
ياصاح عُجْ بالحِمَى وانزل بهم سحَرا … وانظر لِعُجْب أُثيلاث البساتين
[٢١٥] وفوق سَفْح عَقيق الدمع عُجْ لِترَى … جآذر الحىّ بين الخُرَّد العِين
ومِلْ على أَثَلاتِ البان مُنْعطفا … وحَىِّ سَلْعا وسَلْ عن حال مِسكين
ثم أْتِ جَزْعاً وجُزْ عن حىّ كاظمة … واقْرَ السَّلام على خير النبيِّين
محمد المصطفى المختار مَنْ ظهرت … آياته فتسلَّى كلُّ محْزون
مَنْ خَصَّه الله بالقرآن معجزةً … ما نالها مُرْسَلٌ قد جاء بالدين
ومن شهاب بدا من نوره رُجِمَت … شُهْب الدياجى رُجُوماً للشَّياطين
وفوق راحته صُمُّ الحصَى نطقتْ … والماء مِنْ كفه يُزْرِى بجيْحُون
وهْو الذى اختاره البارى وأرسَله … بَرًّا رءوفاً رَحِيماً بالمساكين
إنْ سار فى الرَّمْل لم يَظهر له أثرٌ … وإنْ علا الصَّخرَ عادَ الصخرُ كالطين
كأنَّ بالرَّمْل ما بالصخر من جَلَدٍ … شوْقاً وبالصخر ما بالرَّمْل من لِينِ
وفى الصَّحِيحيْن أنَّ الجِذْعَ حَنَّ له … والعِذْق أنَّ إليه أىَّ تأْنين
وقد سَمِعنا بأنّ الطير خاطَبَه … فى مَنطِق مُفْصِح مِنْ غيْر تلكين
والظبىَ والضَّبَّ جاءا يشهدان بأنْ … لا شىء أعظم من طه ويسين
فكيف أُحْسِن مَدْحا فى محاسنه … لكنَّ لى قَبولاً مِنهُ يكفينى
أُقبِّل الأرض إجلالاً لهيبته … وألثِمُ التُّربَ علَّ الوصل يحيينى
وقد أقول ابنُ حَمْدانَ الغريبُ أتَى … مُنادياً بفؤادٍ منه محزون
ياأكرمَ الخَلْق من عُرْب ومن عَجم … وأحسنَ الناس من حُسنٍ وتزيين

إنِّى أتيتُك فاقبلنى وخُذْ بيـــدى ... ومن لهيب لَظًى جِرْنى[(١)] وسجِّين

وقد مَدَحْتُك فارحمنى وجُدْ فعسى ... من هَوْلِ يوم اللقا والحشْر تنجينى

وكن شفيعى من النِّيران ياأملى ... لعلّ أحظى بأجرٍ غير مَمْنون

صلَّى عليكَ إله العرش ما صَدَحت ... قُمْرِيّةٌ فوق أفنــانِ الرَّياحين

صلَّى عليك إله العَرش ما غَرَدت ... حَمائمٌ فوق أغصان البسـاتين

صلَّى عليك إلَهُ العرش ما وفدت ... نُوَيقة لِحِمَى الأطلال تبرينى

صلَّى عليك إلَه العرش ما هَطَلت ... مدامع السّحب أو عيْن المحِبِّين

صلَّى عليك إله العرش ما ضحكت ... مَبَاسِم الزَّهر فى ثَغْر الأفانين

وألْفُ ألفِ صلاةٍ لا نفادَ لهـــا ... مضروبة فى ثمان ألفَ تسعين [٢١٦]

عليك ياخـــيرَ خَلْق الله قاطبةً ... وألفُ ألفِ ســـلام فى ثمانين

وَآلِك الغُرّ وَالأصحـــابِ كلّهم ... وَتابعيهم ليوم الحشْرِ والدِّين

ماعطّرالرَّوْض فى الأسحارعُرف صَبا ... وَفاح نَشْر خُزَامى منه نَسْرين

وَما شَدَا مُنْشِد صبٌّ لفَرْط جوًى ... سَلْ ما لِسَلْمى بنار الهَجْر تَكْوينى

ولە فى الرجوع إلى الله

[وقال رحمه الله :

لَبِسْـــنا فلم نُبْلِ الزمان وأبلانا ... يُتابع أخرانا على الغىّ أولانَا

ونغـــترّ بالآمال والعُمْرُ ينقضى ... فما كان بالرُّجْعَى إلى الله أولانا

وماذا عسى أن ينظر الدهرُ ما عسى ... فما انقاد للزجر الحثيث ولا لانا

جَزَينــا صنيعَ الله شرَّ جزائه ... فلم نَرْعَ ما مِنْ سابق الفضل أوْلانا

فيارَبِّ عاملْنا بمـا أنت أهـلُه ... من العفو واجبُر صَدْعنا أنتَ مولانا][(٢)]

انتهى .

---

(١) يريد : « أجرنى » .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

ولنقتصر من نظمه على هذا القدر ، فإنه طويل عريض ، وإنما أطلت النفَسَ فى ترجمة ابن الخطيب ، رحمه الله ، عِلْما منّى بأن الذين رغبوا فى تأليف هذا الموضوع ، لهم تشوّف إلى أنباء ابن الخطيب ، وكلامه وجلية أحواله ليست عندهم ، وإنما يحفظون بعضَ نظمه ونثره ، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهاءه ، وقد حكى غير واحد أنه رِئِىَ رحمه الله بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى بسبب بيتين ، وهما :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكونُ لم تُفتح له أغلاقُ
أيروم مخلوق ثناءك بعد مَا أثنَى على أخلاقِك الخلّاق

تخميس للغسانى على بيتين لابن الخطيب

وقد رأيت على هذين البيتين تخميساً لا بأس به ، لأبى عبد الله بن جابر الغسّانى المِكناسى ، رحمه الله ، وهو :

يا سائراً لضَريح خير العالَمِ يُنْهِى إليه مَقالَ صبٍّ هائم
بالله نادِ وقلْ مقالَة عالم يامصطفى من قبلِ نشأةِ آدم
والكون لم تُفتح له أغلاق
بثَناك قد شَهِدت ملائكةُ السّما والله قد صلّى عليك وسلّمَا
يا مجتبَى ومعظّماً ومُكرّماً أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلّاقُ

انتهى .

* * *

أولاد ابن الخطيب

وأولاد ابن الخطيب رحمه الله ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلىّ . وكلهم حدّث عن أبيه وعن ابن الجَيّاب ، وعلىٌّ منهم هو صاحب السلطان أحمد المَرينى الملقّب بالمستنصر . [٢١٧]

على بن الخطيب والمستنصر فى بستان

وحُكى أنه حضر معه فى بستان ، سحّ فيه ماء المذاكرة الهتّان ؛ وقد أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزمع النهار لمّا قدِم الليلُ على الفرار ؛ فقال المستنصر[1] لمّا لان جانبه ، وسالت بين سَرَحات البستان جداوله ومَذانبه :

يا فاسُ إنّىَ وأيْمُ الله ذو شَغفٍ   فى كلّ ربع له معناه يَسْبِينى
وقد أنِسْت بقُرب منك يا أملى   ونظرة فيكم بالأنس تحيينى

فأجابه على بن الخطيب بقوله [العذب المُصيب][2] :

لا أوحش الله رَبعاً أنت زائرُه   يا بَهجة المُلْك والدنيا مع الدِّينِ
يا أحمدَ الحمد أبقاك الإله لنا   فخر الملوك وسُلطانَ السلاطين

شىء عن عبد الله ومحمد ابنى الخطيب

وأما عبد الله فقد كتب بالعُدوتين ، عن ملوك الحضرتين . وأما محمد فقد نال حظاً من التصوّف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف .

وصية ابن الخطيب لأولاده

ولا بد أن نُلمّ بوصية ابن الخطيب ، رحمه الله ، لأولاده المذكورين ، لما فيها من الحِكم والوصايا النافعة لمن عمل بها ، وهى :

الحمد لله الذى لا يَروعه الحِمَام المرقوب ، إذا شِيم نجمه المثقوب ، ولا يَبْغَته الأجل المكتوب ، ولا يَفْجَؤه الفراق المعتوب ، مُلْهِم الهُدى الذى تطمئن به القلوب ، وموضّح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة فى قِسْم الوجوب ، لاسيّما للولىّ المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل فى كتابه المعجز الأسلوب ، « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ » ، « ووَصَّى بِهَا إبراهيمُ بَنِيهِ ويَعْقُوب » ؛ والصلاة

(١) فى ط : « السلطان » .
(٢) زيادة عن ت .

والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرّت على نوره جُيوب الغيوب ، وأشرفِ من خُلعت عليه حُلَل المَهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ولا تَصِمُه[1] العيوب ، والرّضا عن آله وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل للمرغوب ، والعز والأمن من اللُّغوب . [٢١٨]

وبعد ، فإني لمّا عَلانى المشيب بغُمّته[2] ، وقادنى الكِبَر فى رُمّته ، وادّكرتُ الشباب بعد أُمّته ؛ أسِفتُ لِمَا أَضَعْت ، ونَدِمت بعد الفِطام على ما رَضِعت ؛ وتأكّد وُجوب نُصْحى لمن لزمنى رَعْيُه ، وتعلّق بسعيى سَعْيه ، وأمّلت أن تَتَعَدّى إلىّ ثمراتُ استقامته ، وأنا رهين فَوات ، وفى برزخ أموات ؛ ويأمنَ[3] العثور فى الطريق التى اقتضت عِثارى ، إن سلك — وعسى ألاّ يكون ذلك — على آثارى : فقلت أخاطب الثلاثة الوَلَد ، وثمرات الخَلَد ؛ بعد الضراعة إلى الله فى توفيقهم[4] ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ؛ وأن يَمُنَّ علىّ فيهم بحسن الخَلَف ، والتلافى من قبْل التَّلَف ، وأن يرزق خَلَفهم التمسك بهَدْى السَّلَف ؛ فهو ولىّ ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم مَنْ بأنواره[5] يهتدى الضُّلّال ، وبرضاه تُرفع الأغلال ، وبالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأُخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها الشِّمال ؛ أنى مودعكم وإن سالمنى الردَى ، ومُفارقكم وإن طال المدَى ، وما عدا

(١) كذا فى نفح الطيب ؛ وفى ط : « ولا تصفه » ، وهو تحريف .
(٢) فى ط : « الهرم » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وليأمن » .
(٤) فى ط : « تفضيلهم » .
(٥) فى نفح الطيب : « هداكم الله تعالى الذى بأنواره ... الخ » .

مما بدا(١) ؛ فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومنادِى الرحيل يُسْمَع ؛ ولا أقل للحبيب المودِّع من وصية محتضَر ، وعُجالة مقتصِر ؛ ورَتيمة تُعقد فى خِنصَر ، ونصيحة تكون نَشيدة واعٍ ومُبْصِر ؛ تتكفل لكم بحُسْن العواقب من بعدى ، وتوضّح لكم فى الشفقة والحنو قَصْدى ، حسْبَما تضمن وعْدُ الله من قبل وعدى ؛ فهى أَرَبكم الذى لا يتغيّر وقفُه ، ولا ينالكم المكروه ما رَفّ عليكم سَقْفه ؛ وكأنى [٢١٩] بشبابكم قد شاخ ، و براحلكم قد أناخ ؛ و بنشاطكم قد كسِل ، واستبدل الصابَ من العسَل ، ونُصول الشيب ترُوع بأَسَل ، لا بل [السَّام](٢) من كل حَدَب قد نَسَل ، والمَعاد اللَّحْد ولا تسَل ؛ فبالأمس كنتم فِراخ حَجْر ، واليوم آباء(٣) عَسْكر مَجْر ، وغدا شيوخ مَضْيعة وهَجْر ؛ والقبور فاغره ، [والنفوس عن المألوفات صاغره](٤) ؛ والدنيا بأهلها ساخره ، والأُولى تعقبها آخره ؛ والحازم من لم يُتَّعظ به فى أمر ، وقال : بيدى لا بيد عمرو ؛ فاقتنُوها من وصيّه ، ومَرامٍ فى النصح قَصيه ؛ وخُصُّوا بها أولادكم إذا عقَلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ؛ وحسبى وحسبُكم الله الذى لم يخلق الخلق همَلا ، ولكن ليبلُوَهم أيُّهم أحسن عملا ؛ ولا رضِى الدنيا منزلا ، ولا لطَف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ؛ ولْتُلَقنوا تلقينا ، وتَعْلموا علماً يقينا ؛ أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرِدَ بذنبى ، و يفترش الترابَ جنبى ؛ و يسُح انسكابى ، وتهرول عن المصلَّى ركابى ؛ أحرصَ منى على سعادة إليكم تُجلب ، أو غاية كمال بسببكم تُرتاد وتطلب ؛ حتى لا يكون فى الدين والدنيا أوْرَفَ

(١) ماعدا مما بدا : أى ما الذى يصرف الإنسان عن إتمام ما بدا منه . يريد أنه لا يمنعه من الرحيل عن هذه الدنيا مانع .

(٢) زيادة عن نفح الطيب . والسام (بتخفيف الميم) : الموت .

(٣) فى نفح الطيب : « أبناء » .

(٤) زيادة عن نفح الطيب .

منكم ظِلاّ ، ولا أشرف مَحلّا ، ولا أغبط نَهلا وعَلاّ ؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تُصيخوا إلى قولى الآذان ، وتتلمحوا صُبْح نصحى فقد بان ، وسأعيد عليكم وصيّة لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » . [٢٢٠]

وأعيد وصيّة خليل الله وإسرائيله ، حسبما تضمّنه محكم تنزيله : « يا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون » . والدين الذى ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفّاه ، وقرّره مصطفاه ، من قبل أن يتوفّاه ، إذا أُعمل فيه افتقاد ، فهو عمل واعتقاد ؛ وكلاهما مقرّر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ؛ والعقل متقدّم ، و بناؤه مع رفض أخيه متهدم ؛ فالله واحد أَحَد ، فرد صَمَد ، ليس له والد ولا ولد ؛ تَنَزّه عن المكان والزمان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ؛ خالق الخلق وما يعملون ، والذى لا يُسْأل عن شيء وهم يُسْأَلون ؛ الحى العليم المدبّر القدير . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد[١] إلى النجاة من الشقاء ، وتُوَجِّهَ[٢] الحجة فى مصيرهم

(١) فى ط : « توجب » .
(٢) فى نفح الطيب : « الناس » .

إلى دار البقاء ، مؤيَّدَة بالمعجزات التى لاتتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ؛ ثم ختم ديوانَهم بنبىّ مِلّتنا المُرْعية للهَمَل ، الشاهدة على المِلَل ، فتلخّصت الطاعه ، وتبينت[1] له الإمرة المطاعه ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعه ؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشرا ، وترك دينه يضم من الأمة نَشَرا ؛ فمن اتبعه لحِق به ، ومن حاد عنه تورّط فى مُنْتَسَبِه[2] ، وكانت نجاته على قدر سببه .

روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم[3] تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى ، فعَضوا عليهما بالنواجذ » . [٢٢١]

فاعملوا يا بَنِىَّ بوصيةٍ مِنْ ناصح جاهد ، ومُشْفِق شفقة والد ؛ واستشعِروا حبه الذى توفرت دواعيه ، وعُوا مَراشد هديه فيافَوْز واعيه ؛ وصِلُوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجملا [أو مفصلا][4] على حَسَبه ، وأوجبوا التجلّة لصحبه ؛ الذين اختارهم الله لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ؛ واشملوهم بالتوقير ، وفضّلوا منهم أولى الفضل الشهير ؛ وتبرءوا من العصبية التى لم يدعكم إليها داع ، ولا تعِ التشاجرَ بينهم أُذنٌ واع ؛ فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء المله ، وأئمتها الجِله ؛ فهم صَقَلَة نصولهم ، وفروعٌ ناشئة عن أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ؛ واعلموا أنى قطعت فى البحث زمانى ، وجعلت النظر شانى ، منذ برانى الله وأنشانى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ؛ فلم أجد خابط وَرق ، ولا مصيب عَرَق ؛ ولا

(١) كذا فى ط . وفى ت : « تيقنت » . وفى نفح الطيب : « تعينت » .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « ومن تركه نوط عنه فى منسبه » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « لن تضلوا » .
(٤) زيادة عن نفح الطيب .

نازع خِطام ، ولا متكلف فِطام ، ولا مقتحم بحر طَام ؛ إلا وغايته التى يقصدها قد فَضَلتها الشريعة وسبقتها ، وفَرَعت ثنيتها وارتقتها ؛ فعليكم بالتزام جادّتها السابله ، ومصاحبة رُفقتها الكافله[1] ، والاهتداء بأقمارها غير الآفله ؛ والله يقول وهو أصدق القائلين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ » ؛ وقد علت[2] شرائعُه ، وراع الشكوكَ رائعُه ؛ فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فِعل المهتدين ، فلن ينفع مَتاعٌ بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ، ولا يضرّ مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ، [٢٢٢] ومتاع الحياة الدنيا أخسّ ما ورث الأولاد عن الوالِدين ، اللهم قد بلّغت ، فأنت خير الشاهدين ؛ فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء الخلود ، وتستدعى شَوْه الوجوه ونُضْج الجلود ؛ واستعيذوا[3] برضا الله من سُخْطه ، واربئوا بنفوسكم عن غمطه ؛ وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تَحْمَدوا على جيفة العَرَض الزائل ائتلافكم ؛ واقنعوا منه بما تيَسّر ، ولا تأسَوْا على ما فات وتعذّر ؛ فإنما هى دُجنة[4] ينسخها الصباح ، وصَفقة يتعقّبها الخسار والرباح ؛ ودونكم عقيدةَ الإيمان ، فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا الشُّبَه أن تدنو إليها ؛ واعلموا أن الإخلال بشىء من ذلك خَرْق لا يرفؤه عمل ، وكل ما سوى الراعى هَمَل ، وما بعد الرأس فى صلاح الجسم أَمَل ؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوه ، واجعلوا حمله على حمل التكليف عِلاوه ؛ وتفكروا فى آياته ومعانيه ، وامتثلوا أوامره وانتهوا عن مناهيه ، ولا تتأوّلوه ولا تَغْلُوا فيه ؛ وأَشْرِبوا قلوبكم حب

(١) فى نفح الطيب : « الكاملة » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « علمت » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « واستعتبوا » .
(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « دجية » .

من أُنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ؛ وصونوا شعائر الله صَوْن المحترِم ، واحفظوا القواعد التى ينبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرِم .

اللهَ اللهَ فى الصلاة ذريعة التجلّه ، وخاصة الملّه ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجَر المستخدَم ؛ وأم العباده ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهاده ؛ والناهية عن الفحشاء والمنكر مهما[1] عرض الشيطان عرضهما ، ووطّأً للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما ؛ والوسيلة إلى بَلّ الجوانح ببَرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ؛ وضابطة[2] حسن العشرة من الجار ، وداعية المسالمة من الفُجّار ؛ والواسمة بسِمَة السلامه ، والشاهدة للعقد برفع الملامه ؛ وغاسول الطبع [٢٢٣] إذا شانه طَبَع ، والخير الذى كل خير له تبَع ؛ فاصبِروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعاده ، [فالخير عاده][3] ؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنيه ، [وتُؤثِروا على العَلِية الدنيّه][4] ؛ فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تَنبْس[5] ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ؛ وإذا قرنت[6] بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذى لا يغيره الغدو ولا الأصيل ؛ والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت ، من حق الحى الذى لا يموت ؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما أطقتموها ؛ فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استُحِقّ[7] الكمال ،

---

(١) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « وإن » .

(٢) فى نفح الطيب : « ضامنة » .

(٣) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٤) زيادة عن نفح الطيب .

(٥) تنبس : تسرع .

(٦) فى ط : « قورنت » .

(٧) فى نفح الطيب : « استحقت » .

ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ؛ وثابروا[١] عليها فى الجماعات ، و بيوت الطاعات ؛ فهو أرفع للملام ، وأظهر لشرائع الإسلام ؛ وأبرّ بإقامة الفَرْض ، وأدْعى إلى مساعدة البعضِ البعض .

والطهارة التى هى فى تحصيلها سبب موصِّل ، وشرط لمشروطها محصِّل ؛ فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ؛ والحُجول والغُرر فأطيلوها ، والنيات فى كل ذلك فلا تهملوها ؛ فالبناء بأساسه ، والسيف برِئاسه[٢] . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطُهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ؛ تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ؛ فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعِقال ، وكان فى درجة الرجولة ذا انتقال[٣] ، واستعاض صَدأه بصِقال ؛ و إن تراخى تقهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشَمَل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولِدَتُها القريبة ؛ مِفتاح السماحة بالعرَض الزائل ، وشُكْران المسئول على الضد من درجة السائل ؛ وحق الله فى مال من أغناه ، لمن أجهده فى المعاش وعنَّاه ؛ من غير استحقاق مَلْء يده و إخلاء يد أخيه ، [٢٢٤] ولا عِلَّة القدر الذى يخفيه ، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ؛ فاسمحوا بتفرقتها للحاضر لإخراجها ، واختيار عرضها ونِتاجها ؛ واستحيُوا من الله أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ؛ واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تَمْلِكون ، ولا تدرون أين تسلُكون ؛ فوهَب وأَقدَر ، وأورد

(١) العبارة عن قوله : « وثابروا » إلى قوله : « وأبر » ساقطة فى نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « بمراسه » .
(٣) هذه الجملة ساقطة فى نفح الطيب .

بفضله وأصدر ؛ ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ؛ فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقرَّبة إلى الله زُلْفى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ؛ والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ؛ وإن وَسِـع الاعتكافُ فهو من سننه [المرعيه ، ولواحقه](١) الشرعيه ؛ فبذلك تَحْسُن الوجوه ، وتحصل النفوس من الرقة على ما ترجوه ؛ وتهذَّب الطباع ، ويمتد فى ميدان الوسائل إلى الله الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لايحجبه الحاجب ؛ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسَنّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنه .

ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله إن كانت لـكم قوة عليه ، وغنى لديه ؛ فكونوا ممن يسمع نفيرَه ويُطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عُمُد الإسلام وفروضه ، ونقود مَهره وعُروضه ؛ فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُناوئكم ظاهرين ، وتلقَوُا الله لا مبدِّلين ولا مغيرين ، ولا تضيّعوا حقوق الله فتهلـكوا مع الخاسرين .

واعلموا أنّ بالعلم تُستكمَلُ وظائف هـذه الألقاب ، وتُجْلى محاسنها من بعد الانتقاب ؛ فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدى الشافع ؛ فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصِّل إلى اللُّباب ؛ والله عز وجل يقول : « هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ » . والعلم وسيلة النفوس [٢٢٥]

(١) التكملة عن ت ونفح الطيب .

الشريفه ، إلى المطالب المُنيفه ، وشرطه الخشـية لله والخِيفه ؛ وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله فى كتبه التى تُتْلى ؛ والسبيل فى الآخرة إلى السـعاده ، وفى الدنيا إلى التَّجِلّة عاده ؛ والذُّخر الذى قليله يشـفع وينفع ، وكثيره يُعْلِى ويرفع ؛ لايغصبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جَمّ ماله ؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابَكم ، وتخطّى حسابكم ؛ فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ؛ واحْملوهم على جمعه ودرسـه ، واجعلوا طباعهم ثرًى لغرسه ؛ واستسهلوا ماينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر يهجُر له الجفن كراه ؛ تَعْقِدوا لهم ولاية عِزّ لا تُعزل ، وتحِلّوهم مَثابةَ رفعة لا يُحط فارعها ولا يستنزل ؛ واختاروا من العلوم التى يُنْفِقها الوقت ، ما لا يناله فى غيره المقت ؛ وخير العلوم علوم الشريعه ، وما نجم بمنابتها المَريعه ؛ من علوم لسان لاتستغرق الأعمارَ فصولُها[1] ، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها ؛ فإنما هى آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ؛ فمن كان قابلا منها لازدياد ، وألفى فهمَه ذا انقياد ؛ فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ؛ ثم الشروع فى أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المِنّه ، المُهْدِى كنوز الكتاب والسُّنَّه ؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله ، والتدرب فى طرق النظر وتصحيح الأدلّه ، وهذه هى الغاية القصوى فى المِلّه ؛ ومن قصّر إدراكُه عن هذا المرمَى ، وتقاعد عن التى هى أسمى ؛ فليرْوِ الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ؛ وإياكم والعلوم القديمه ، والفنون المهجورة الذميمه ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيًا ركيكا ؛ ولا يثمر فى [٢٢٦]

(١) فى ط : « فضولها » .

العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ؛ وتطويق الاحتقار ، وسِمة الصَّغار ، وخمول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ؛ وجادة الشريعة أعرق فى الاعتدال ، وأوفق[١] من قطع العمر فى الجدال ؛ هذا ابن رشد قاضى المصر[٢] ومفتيه ، وملتمس الرشد ومؤتيه ؛ عادت عليــه بالسَّخطة الشنيعه ، وهو إمام الشريعه ؛ فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورُّط فى ازدحامها ، ولا تخلطوا سامكم بحامها ؛ إلا ما كان من حساب ومساحه ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحه ؛ وما سوى ذلك فمحجور ، وضَرَم مسجور ، وممقوت مهجور .

وأْمروا بالمعروف أمراً رفيقا ، وانهَوْا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا ، واغبطوا من كان من سِنَة الغَفَلات مُفيقا ، واجتنبوا ما تُنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا ؛ وأطيعوا أمر من ولاّه الله من أموركم أمرا ، ولا تقرّبوا من الفتنة جمرا ، ولا تداخلوا فى الخلاف زيداً ولا عمْرا .

وعليكم بالصدق فهو شِعار المؤمنين ، وأهم ما أَضْرَى[٣] عليه الآباء ألسنة البنين ؛ وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شىء عرف به . وإياكم والكذبَ فهو العورة التى لا توارى ، والسَّوْءة التى لا يُرْتاب فى عارها ولا يُتمارى ؛ وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدى ما أعدَّ الله له من العذاب ، ألّا يُقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعوّل عليه إن كان بالحق قد نطق . [٢٢٧]

وعليكم بالأمانة فالخيانة لُوم ، وفى وجه الديانة كُلُوم ؛ ومن الشريعة التى

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وأشفق » .

(٢) كان ابن رشد قاضى الجماعة بقرطبة .

(٣) يقال : أضراه بالشىء إذا أغراه به وعوده إياه ، وكأنه ضمن الفعل معنى : مرنه على الشىء .

لا يُعذَر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ؛ وحافظوا على الحِشمة والصيانه ، ولا تَجزُوا من أقرضَكم دَين الخيانه ؛ ولا توجدوا للغدر قَبولا ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولا ؛ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ؛ ولا تستأثروا بكنز ولا خَزْن ، ولا تَذهبوا لغير مناصحة المسلمين فى سَهْل ولا حَزْن ، ولا تَبْخَسوا الناس أشياءهم فى كيل أو وزن ؛ واللهَ اللهَ أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ؛ واعلموا أن الإنسان فى فُسحة ممتدّه ، وسبيل الله غير منسدّه ؛ مالم يَنْبِذ إلى الله بأمانه ، ويغمس فى الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سَنَناً قويماً ، وجلّى من الجهل والضلال ليلا بهيما : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيما » .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتد فى سبيل السعادة باعه ، ولو لم تتلق[1] نور الله الذى لم يهد[2] شعاعه ، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فلينظر هل يحب أن يُزنَى بأهله ؟ والله قد أعد للزانى عذاباً وبيلا ، وقال : « وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً » .

والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ؛ واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطا ، والمحرّم قد أغنى عنه بالحلال الذى سَوّغ وأعطى ؛ وقد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضَوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضَرّة فى مَرْضاة [٢٢٨]

(١) فى ط : « تتلو » .

(٢) فى ت : « يهده» .

الأجساد ، والله قد جعلها رِجْساً محرماً على العباد ، وقَرَنها بالأنصاب والأزلام فى مباينة السَّداد .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهى الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِه » فى الكتاب المبين . ولا تأكلوا مال أحد [بغير حق يبيحه](١) ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ؛ والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يَكِلِ اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تَلْجَئوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ؛ فهو فى السلوك إلى الله أصل مشروط ، والمحافظ عليه مغبوط .

وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر لله بصريح العصيان ، والظلم ظُلمات يوم القيامة كما ورد فى الصِّحاح الحِسان ؛ والنميمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه مُتاَت ، وفى الحديث : « لا يدخلُ الجنة قتَّات » . واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغِيبة فباب الخير عنها مسدود ، والبخلَ فما رُئى البخيل وهو مودود(٢) ؛ وإياكم وما يُعتذر منه ، فمواقف الخزى لا تستقال عثراتها ، ومَظِنّات الفضائح لا تُؤْمن غَمَراتها ؛ وتفقَّدوا أنفسكم مع الساعات ، وأفشوا السلام فى الطرق والجماعات ، ورِقُّوا على ذوى الزَّمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يُربحكم فى البضاعات ؛ وعَوِّلوا عليه وحده فى الشدائِد ، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائِد ؛ وتقربوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ؛ وارْعَوْا حقوق الجار ، [٢٢٩]

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .
(٢) كذا فى نفح الطيب وفى الأصلين : « إلا وهو مردود » .

واذكروا ما ورد فى ذلك من الآثار ؛ وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائجَ البادية الالتحام ؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ؛ والرّشَا فإنها تَحُطّ الأقدار ، وتستدعى المذلة والصَّغار ؛ ولا تَسامحوا فى لُعْبَة قَمْر ، ولا تشاركوا أولى البطالة فى أمْر ؛ وصونوا المواعد من الإخلاف ، والأيمان من حِنْث الأوغاد والأجلاف ، وحقوقَ الله من الازدراء والاستخفاف ، ولا تَلْهَجُوا بالآمال العِجاف ، ولا تَكلّفوا بالكَهانة والإرجاف ؛ واجعلوا العُمر بين مَعاش ومَعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله بمرصاد ، وأن الخلق بين زرع وحصاد[1] ؛ وأَقِلُّوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر فى الدنيا محال أن يدوم ؛ وقابلوا بالصبر أذية المُؤْذِين ، ولا تقَارضوا[2] مَقالاتِ الظالمين ، فالله لمن بُغى عليه خير الناصرين ؛ ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا[3] للأمراض إذا أعْضَلَتْ ؛ فكل منقرض حقير ، وكل منقضٍ وإن طال فقصير ؛ وانتظروا الفرَج ، وانتشقوا من جناب الله الأرَج ؛ وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، [واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبَى لعبد إليه جانح][4] ، وتضرعوا إلى الله بالدعاء ، والجئوا إليه فى البأساء والضراء ؛ وقابلوا نِعم الله بالشكر الذى يقيِّد منها الشارد ، ويُعذِب الموارد ؛ وأسهموا منها المساكين ، وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسنى جِوار

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « وأن الخلق زرع حصاد » .
(٢) فى نفح الطيب : « ولا تعارضوا » .
(٣) كذا فى ت ونفح الطيب . وفى ط : « تضجروا » .
(٤) زيادة عن نفح الطيب .

[٢٣٠] نِعَمَ الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » . ولا تُطْغكم النعم فتقصروا فى[1] شكرها ، وتلفكم الجهالة بسكرها ؛ وتتوهموا أن سعيكم جَلَبها ، وجِدَّكم حلبها ؛ فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين .
واللهَ اللهَ لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذهبوا بذهابه زَيْنكم ؛ وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ؛ بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة فى علانية وسر ؛ وللإنسان مزية لا تجْهل ، وحق لا يُهْمل ؛ وأظهروا التعاضد والتناصر ، وصِلُوا التعاهد والتزاور ؛ تَرْغِموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوِدّاء ؛ ولا تَنافسوا فى الحظوظ السخيفه ، ولا تَهارَشوا تهارُش السباع على الجيفه ؛ واعلموا أن المعروف يُكدَّر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ؛ فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمرا فاحتقروه ؛ واللهَ اللهَ لا تنسَوا مقارضة سَجْلِي ، وبَرُّوا أهل مودتى من أجْلى ؛ ومن رُزق منكم مالا بهذا الوطن القَلِق المِهاد ، الذى لا يصلح لغير الجهاد ؛ فلا يستهلكْهُ أجمعَ فى العَقار ، فيصبح عرضة المذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تَغلَّب العدو على بلده فى الافتضاح والافتقار ؛ ومُعوّقاً عن الانتقال ، أمام النُّوب الثقال ؛ وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال فى الطلب أولى ؛ وازهدوا جُهْدكم فى مصاحبة أهل الدنيا ، فخيرها لايقوم بشرها ، ونفعها لا يفى بضُرها ؛ وأعقاب من تقدم شاهِدَه ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ؛ ومن بُلِي منكم بها فليستظهر بسَعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، ويحذر مُعاداة الرجال ، ومزَلات الإذلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ؛ وإفشاء الأسرار ، وسكر الاغترار[2] ؛ [٢٣١]

---

(١) فى نفح الطيب : « ولا تطغوا فى النعم فتقصروا عن شكرها » .
(٢) فى نفح الطيب : « وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دأب الغر » .

وليصن الديانه ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانه ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ؛ وليقف فى التماس أسباب الجلال ، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال ، فما بعد الكمال غير النقصان ، والزعازع تسالم اللَّدْن اللطيف من الأغصان . وإياكم وطلبَ الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الحظوظ[1] وغِلاباً ؛ فذلك ضرر بالمُروءات والأقدار ، داع إلى الفضْح[2] والعار ؛ ومن امتُحن منكم بها اختياراً ، أو جُبِر عليها إكراهاً وإيثاراً ؛ فليتلق وظائفها بسَعة صدره ، ولْيبذل من الخير فيها ما يشهد أنّ قدرها دون قدره ؛ فالولايات فِتنة ومِحنه ، وأسْر وإحْنه ؛ وهى بين إخطاء سعاده ، وإخلال بعاده ؛ وتوقّع عزل ، وإدالة رخاء بأَزْل ، وبيع جِدّ من الدنيا بهزْل ؛ ومَزَلَّة قدم ، واستتباع ندمْ ؛ ومآل العمر كله فَوْت ومَعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ؛ جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرْتُها ؛ فتلقَّوها بالقَبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ؛ وبقدر ما أمضيتم من فروعها ، واستغشيتم من دروعها ؛ اقتنيتم من المناقب الفاخره ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخره ؛ وبقدر ما أضعتم من لآليها النفيسة القِيَم ، استكثرتم من بواعث الندم ؛ ومهما سئمتم إطالتها ، واستغزرتم مقالتها ؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب ؛ كان الله خليفتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مُنَاخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ؛ فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ؛ [٢٣٢]

(١) فى نفح الطيب : « الخطوب » .

(٢) فى نفح الطيب : « الفضيحة » .

جعلها[١] الله من وراء خُطة[٢] النجاه ، ونفَّق بضائعها المُزْجاه ، بلطائفه المرتجاه ؛ والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله يَلْأَمُهُ[٣] حيث شاء من شمل متصدِّع ؛ والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته .

انتهت الوصية ، وهى غريبة فى معناها .

قلت : ولأجل ذلك كان شيخ شيخنا الفقيه الإمام القاضى العلامة سيدى عبد الواحد الوانشريشى رحمه الله ، كثيراً ما يُدخِل منها فى خطبه ، على مالا يخفى على من طالعها ، وإلى الله ترجع الأمور .

وإذ بلغنا فى ترجمة ابن الخطيب إلى هذا الحد الذى يستطيله الناظر فيه ، وهو والله لا يتم التعريف بابن الخطيب ولا يوفيه ، فلنذكر القاضى النُّباهىّ والكاتب ابن زَمْرك ، اللذين كان لهما مع ابن الخطيب أول الأمر مصافاة ومُتَات ، ثم استحالت إلى ما علمت من العداوة ذات البتات .

انتهى الجزء الأول من أزهار الرياض فى أخبار عياض

ويليه الجزء الثانى ، وأوله : أخبار القاضى النباهى

---

(١) فى ط : « جعله » ، وفى نفح الطيب : « جعل » .

(٢) فى نفح الطيب : « خطته » .

(٣) كذا فى نفح الطيب . ولأم الصدع من باب منع : أصلحه . وفى الأصلين : « يلمه » .

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ج)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

فهرس الشعراء

فهرس القبائل

فهرس الأماكن

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

فهرس الكتب

(ن)

(و)

(ى)

فهرس القوافى

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

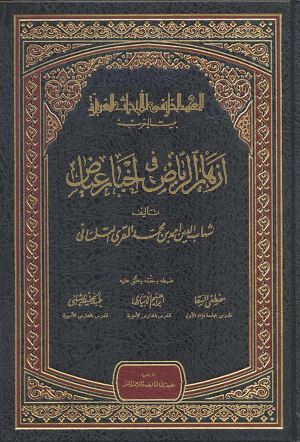
(ى)

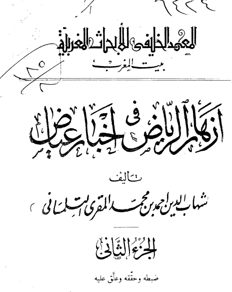
فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الموضوعات

تصويب أخطاء مطبعية

خطأ	صواب	ص	س
محمد بن الخلفاء	محمد ابن الخلفاء	٥٨	٤
لسان العربى	لسان العرب	٩٢	١٧
الأسود ابن قنان	الأسود بن قنان	٩٥	١٠
نظم بن صفوان	نظم ابن صفوان	١٩٠	١٣
ابن يفلوسن	ابن أبى يفلوسن	٢١٠	١٧
آسِفَى	آسَفِى	٢٩٨	٩


المعهد الخليفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب
أزهار الرياض في أخبار عياض
تأليف
شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني
ضبطه وحققه وعلق عليه
مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول
ابراهيم الابيارى
المدرس بالمدارس الأميرية
عبد الحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية
القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر



المعهد الخليفي للأبحاث المغربية

بيت المغرب

أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الثاني

ضبطه وحققه وعلق عليه

مصطفى السقا — المدرس بجامعة فؤاد الأول

إبراهيم الأبياري — المدرس بالمدارس الأميرية

عبد الحفيظ شلبي — المدرس بالمدارس الأميرية

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م

الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا فى مقدمة الجزء الأول من أزهار الرياض بعض الأصول التى اعتمدنا عليها فى تحقيق الكتاب ، ونذكرها فى مفتتح هذا الجزء تذكيراً للقراء مع ما وقع إلينا من أصول جديدة ؛ وقد استعملنا فى الدلالة على هذه الأصول الحروف الآتية :

(ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

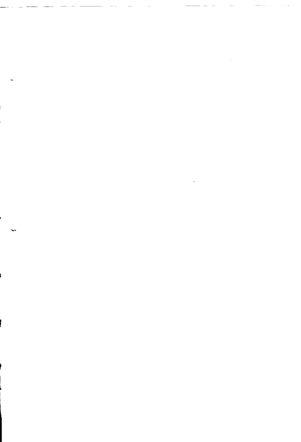
للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب فى تونس سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد انتهت بانتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهى بخط مغربى واضح ، فى ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .





الجزء الثانى

من كتاب

أزهار الرياض، فى أخبار عياض

[القاضى النباهى]

التعريف به

أما القاضى النُّباهى فهو علىُّ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن[1] الجُذامى المالقى النُّباهى ، أبو الحسن الشهير بابن الحسن ، قاضى الجماعة بغَرناطة ، الإمام العالم العلّامة . كان رحمه الله من أكابر المشهورين بها ، ممن له الفصاحة والبلاغة والجلالة ، إلى الاتصاف بالعلم والمعرفة ، والتفنّن فى العلوم مَعقولها ومنقولها .

ذكره ابن الخطيب فى الإحاطة وأثنى عليه ، وذكر أن ولادته عام ثلاثة عشَرَ وسبع مئة ، على ما ذكره بعضُهم ، وتأخرت وفاته عن ابن الخطيب ، بحيث إنه كان حيًّا عام اثنين وتسعين وسبع مئة .

من كلام لابن الخطيب عنه

وقال ابن الخطيب فى ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصه[2] :

ثم قدَّم للقضاء الفقيهَ الحسيب أبا الحسن ، وهوعين الأعيان بمالَقة ، المخصوصُ [٢٣٣] برسم التجلّة ، والقيام بالعَقد والحل ، فسدّد وقارَب ، وحمل الكَلّ ، وأحسن

(١) فى نفح الطيب طبعة الأزهرية والمخطوطتين المحفوظتين بدار الكتب المصرية (برقمى ٣٥٩ و ٣٦٠ تاريخ) : « على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن » .

(٢) انظر كتاب الإحاطة (ج ٢ صفحة ١٩ ، ٢٠ طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩) .

مصاحبة الخُطبة والخُطة[1]، وأكرم المشيخة، مع النزاهة، ولم يقف فى حسن التأتى عند[2] غاية ؛ فاتُّفِق على رجاحته، ولم يقف فى النصح عند غاية ؛ أعانه الله. انتهى ملخصا.

وكم بين ما قال فيه هنا وبين ما فى «الكتيبة الكامنة» من تلقيبه بجُعْسُوس[3]، ووَصْمِه بما لا يليق سماعه. وعلى كل حال فقد انتصف كل واحد منهما من صاحبه بلسانه، وعفو الله وراء الجميع.

من كلام للسراج عنه

وقال فى حقه الشيخ أبو زكرياء يحيى السّراج فى فَهْرسته :

الشيخ الفقيه الراوية، قاضى الجماعة بالأندلس وخطيبها، أبو الحسن ؛ أخذ عن أبى محمد عبد الله بن أحمد التُّجيبى المُوَطَّأَ والشفاء، وأكثرَ الصحيحَيْن ؛ وعن الخطيب أبى جعفر الطَّنجالى، والقاضى العارف أبى القاسم بن سعيد الحُميدى، والوزير أبى بكر بن الحكيم، والقاضى أبى جعفر أحمد بن عبد الحق، والحاجّ الراوية أبى القاسم بن المهنى[4] ؛ وقرأ على الفقيه الحاج أبى القاسم بن أحمد[5] بن محمد بن عمران الحَضْرمى بعضَ مختصر ابن الحاجب، والتسهيلَ البديع فى اختصار التفريع ؛ والحاج أبى عبد الله محمد بن على السَّكونى، والخطيب أبى عبد الله الساحلى، والقاضى أبى الحجاج المُنْتشافرى. قَدِم رسولاً لفاس عام سبعة وستين، ثم عام ثمانية وثمانين. انتهى.

---

(١) يريد أنه تولى الخطابة وخطة القضاء، وأحسن العمل فيهما.

(٢) كذا فى الإحاطة. وفى الأصول «على». وهو تحريف.

(٣) الجعسوس (كعصفور) : اللئيم الخلقة والخلق ؛ ويقال : اللئيم القبيح ؛ ويقال : رجل جعسوس، إذا كان قصيرا دميا. (عن لسان العرب).

(٤) ورد هذا الاسم مضطربا فى الأصول ونفح الطيب بين «المهنى» و «الهنا» و «البنا». وقد أورد لسان الدين بن الخطيب فى جملة مشيخته ذكر الحاج أبى القاسم ابن المهنى المالقى، فلعله المراد هنا.

(٥) فى (س) : «أبى القاسم بن محمد بن أحمد ... الخ».

قلت : تقدم من كلام ابن خلدون أنه جاء رسولا فى شأن ابن الخطيب[1] ، وذلك خلاف هذين التاريخين معاً ، فتأمله .

من تآليفه

وله رحمه الله بحث فى مسألة الدعاء بعد الصلاة ، رام فيه الرد على الشيخ الإمام أبى إسحاق الشاطبى ، حسبما نقله صاحب المعيار . ومن تآليفه رحمه الله : « كتاب المرقبة[2] العُليا ، فى مسائل القضا والفُتيا » فى جزأين ، وهو كتاب ممتع إلى الغاية ، وقفت على الجزء الأول منه ، وقد ذكر فى أثنائه أخبار سلفه رحمه الله ، ولم أقف من أمره على غير ما ذكرته فى هذا الموضوع . وقد قدّمنا أنه كان مع السلطان أبى عبد الله بن الأحمر المخلوع حين رجع إلى طلب ملكه من المغرب ؛ ورأيت لبعض المتأخرين وصفَه بالقاضى الأجل ذى الوزارتين . والله أعلم .

[٢٣٤]

[ابن زمرك]

نسبه

وأما ابن زَمرك فهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصّريحى ، أبو عبد الله ، ويعرف بابن زَمرك . هكذا ذكر غير واحد من المحققين ، وسيأتى فى كلام ابن الأحمر حذف « محمد » فيما بين « أحمد » و « يوسف » ، ولعله من باب النسبة إلى الجد ، والله أعلم .

بعض ما كتبه ابن الخطيب عنه فى الإحاطة

قال ابن الخطيب فى الإحاطة[3] : وُلد هذا الفاضل بغَرناطه ، ونشأ بها ،

(١) قدم لسان الدين بن الخطيب على السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٣ ، وتوفى السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ فيكون قدوم القاضى النباهى على السلطان عبد العزيز فى شأن ابن الخطيب فيما بين سنتى ٧٧٣ و ٧٧٤ (انظر أزهار الرياض ج ١ ص ٢١١ والاستقصا للسلاوى ص ١٣٢ ج ٢) .

(٢) كذا فى الأصول . وفى بعض الفهارس : « المرتبة » .

(٣) ترجمة ابن زمرك فى الإحاطة فى الصفحات (٢٢١ — ٢٤٠) من الجزء الثانى . وقد عارضنا ما نقله المقرى هنا على ترجمة الإحاطة ، فوجدناه قد تصرف فى النقل بعض التصرف .

وهو من مفاخرها ، وكان صدراً من صدور طلبة الأندلس ، وأفراد نُجبائها ، مختصًا مقبولا ، هَشًّا خَلوبا ، عذبَ الفكاهة ، حُلو المجالسة ، حسن التوقيع ، خفيف الروح ، عظيمَ الانطباع ، شَرِه المذاكرة ، فطناً بالمعاريض ، حاضرَ الجواب ، شُعْلة من شعل الذكاء ، تكاد تحتدم جوانبه ، كثير الرقة ، فكهاً غَزِلا ، مع حياء وحشمة ، جواداً بما فى يده ، مشاركا لإخوانه ؛ نشأ عفًّا طاهرا ، كلفاً بالقراءة ، عظيم الدُّءوب ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، ظاهر النُّبل ، بعيدَ مدى الإدراك ، جيّد الفهم ؛ اشتهر فضله ، وذاع أَرَجه ، وفشا خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض ، وشارك فى جملة من الفنون ، فأصبح متلقّف كُرَة البحث ، وصار خَ الحلْقة ، وسابقَ الحَلْبة ، ومَظِنة الكمال ؛ ثم ترقّى فى درج المعرفة والاطلاع[1] ، وخاض لُجّة الحفظ ، وركَضَ قلَمَ[2] التسويد [٢٣٥] والتقييد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلّما فوق الكرسىّ [المنصوب][3] ، وبين الحَفْل المجموع ، مستظهراً بالفنون التى بَعُدَ فيها شأوه ، من عربيّة وبيان ، وما تقذف به لُجّة النقل من أخبار وتفسير ، مُتشوّفا مع ذلك[4] إلى السلوك ، مصاحباً للصوفية ، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ؛ ثم عانَى الأدب ، فكان أملكَ به .

ورحل فى طلب العلم والازدياد ، فترقّى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبى سالم بن أبى الحسن ، وعُرِف فى بابه بالإجادة . ثم رجع مع السلطان ابن الأحمر فى طلب ملكه ، فلطُف محلّه منه ، وخصّه بكتابة سرّه ، [وثابت

---

(١) كذا فى الإحاطة . وفى الأصلين ونفح الطيب : « الاضطلاع » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٢) فى الأصلين : « ركَض فى التسويد » . وما أثبتناه عن الإحاطة ونفح الطيب .

(٣) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٤) كذا فى نفح الطيب والإحاطة . وفى الأصلين : « معها » .

الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائلة ، فأقرّه على رسمه][1] ، معروف الانقطاع والصاغية ، كثير الدّالة ، مضطلعاً بالخُطَّة : خطاً ، وإنشاء ، ولَسَناً ، ونقداً ؛ فحَسُن مَنابُه ، واشتهر فضلُه ، وظهرت مشاركته ، وحَسُنَت وَساطته ، ووسع الناسَ تخلقه ، وامتد فى ميدان النظم والنثر باعُه ، فصدر عنه من المنظوم قصائد[2] بعيدة الشأو فى مدى الإجادة ، من الأغراض المتعدّدة ، من ميلاديّات وغيرها ، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن ، أعانه الله وسدّده .

وأخذ العربية عن رُحْـلَة الوقت[3] فى فنّها ، أبى عبد الله [بن الفَخّار ؛ ثم على إمامها القاضى الشريف ، إمام الفنون اللسانية ، أبى القاسم محمد بن أحمد الحَسَنى ؛ والفقهَ والعربيةَ على الأستاذ المفتى أبى سعيد بن لُبّ ؛ واختص بالفقيه المحدث الصدر أبى عبد الله][4] بن مرزوق ، روى عنه كثيراً ؛ ولقى الحافظ القاضى أبا عبد الله المَقَّرى لمّا قَدِم الأندلس رسولا ، وذاكره ؛ وقرأ الأصول على أبى على منصور الزَّواوى ؛ وروى عن القاضى أبى البركات بن الحاجّ ، والمحدّث أبى الحسـين بن التِّلِمْسانى ، والخطيب ابن اللَّوْشى ، والمقرئ أبى عبد الله بن بيبش ؛ وقرأ بعضَ الفنون العقلية بفاس على الشريف الرُّحْلَة أبى عبد الله العَلَوى [٢٣٦] التلمسانى ، واختص به اختصاصاً لم يخْلُ فيه من استفادة ، وحُنْكَة فى الصناعة .

وأما شـعره فترامى إلى نَمَط[5] الإجادة ، خَفاجيّ[6] النَّزْعة ، كلف بالمعانى البديعة ، والألفاظ الصَّقيلة ، غزير المادة .

---

(١) ما بين القوسين زيادة عن نفح الطيب والإحاطة .

(٢) فى الأصلين : (قصيدة) . وما أثبتناه عن نفح الطيب والإحاطة .

(٣) فى الإحاطة ونفح الطيب : « المغرب » .

(٤) ما بين القوسين ساقط فى (ط) .

(٥) فى الإحاطة ونفح الطيب : « هدف »

(٦) نسبة إلى شاعر شرق الأندلس أبى إسحاق إبراهيم بن خفاجة أشهر وصاف الطبيعة فى الأدب العربى (٤٥٠ — ٥٣٣) ه .

مولده فى رابع عشر شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة .

انتهى كلام ابن الخطيب

شعر له أورده ابن الخطيب

وأورد له ابن الخطيب فيما يرجع إلى الفخر قولَه — قال ابن الخطيب : ولقد صدق — :

ولا تَمْنِى فى الجُود والجودُ شيمتى[(١)] جُبِلْتُ على إيثارها[(٢)] يومَ مَوْلِدى

ذَرِينى فلو أنى أُخَلَّدُ بالغِنى لكنت ضَنيناً بالذى ملكت يدى

وأورد له أيضاً قولَه :

لقد عَلِمَ اللهُ أنى امرؤ أُجَرِّرُ ثوب[(٣)] العَفافِ القَشِيبِ

فكم غمَّض الدهرُ أجفانَه وفازت قِداحى بوصل الحبيب

وقيل رقيبُك فى غفلة فقلت أخاف الإلهَ الرَّقيب

وله أيضاً رحمه الله :

مالى بحَمْل الهوى يَدانِ من بعد ما أعوزَ التدانى

أصبحتُ أشكو إلى[(٤)] زمانِ ما بِتُّ منه على أمانِ

ما بال عَيْنيك تَسْجُمانِ والدمعُ يرفضُّ كالجُمانِ

ما ذاك والإلف عنك وانٍ والبعدُ من بعده كَوانى ؟

يا شِقْوة النفس ، مِنْ هوانٍ لَجَجْتُ[(٥)] فى أبْحُر الهوان

(١) فى نفح الطيب : « ألائمة » ... « شيمة » .
(٢) فى ط والإحاطة : « آثارها » .
(٣) فى الإحاطة ونفح الطيب : « ذيل » .
(٤) فى رواية : « أشكوك من زمان » .
(٥) فى الأصلين : « لجج » ، والتصويب عن « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » لأحمد بابا التنبكتى .

لم يَثْنِنِي عن هواك ثانٍ يا بُغية القلب قد كفاني

انتهى .

ثم أظلم الجو بينه و بين ابن الخطيب ، وتولّى مكانَه بعد فراره كما قدمناه ، وحظى عند ابن الأحمر جدا ، و بقى على ذلك مدة .

حظوته عند ابن الأحمر بعد تنكره لابن الخطيب

قلت : وقد رأيت بتلمسان كتاباً مُلوكيا[1] من تأليف بعض سلاطينها بنى الأحمر ، وهو حفيد ابن الأحمر المخلوع ، سلطان الأندلس ، الذى كتب له ابن زمرك المذكور بعد ابن الخطيب ، أورد فيه كلام ابن زَمرك ، وسمّاه : « البَقيّة والمُدْرَك ، من كلام ابن زَمْرك » ، وهو سِفْر ضخم ، ليس فيه إلا نَظْمه فقط ؛ وذكر فيه أن ابن زَمرك مات قتيلا بعد التسعين وسبع مئة ، فكان ذلك الواقع له مساوياً لما وقع لابن الخطيب شيخه ، حسبما قدمناه .

من كتاب لبعض بنى الأحمر عنه

[٢٣٧]

ونصُّ ما قيّدت من ذلك الكتاب من أوله :

« أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى فى كل حال ، وشكره على ما أوْلَى ويسّر من صلاح الأحوال ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد صَفْوة الأنبياء ، وسيد الأرسال[2] ، والرضا عمّن له من صَحْب وأنصار وآل ؛ فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس عَلاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثّر من اشتهر به بالملاحظة بلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان ؛ ولا خفاء أن أيام مولانا الجد المقدّس ، الغَنيّ بالله ، تولاه الله برضوانه ، كانت غُرَرا فى وجوه الأيام ، ومَواسم تجمع الطمّ والرّم[3]

(١) النسبة إلى الملوك : « ملكى » بفتح الميم واللام ، وشاع على أقلام بعض الفصحاء كالجاحظ « ملوكى » ، ولعله للفرق بين النسبة إلى الملك (بكسر اللام) والملك (بفتحها) .

(٢) نبهنا فى الجزء الأول فى أكثر من موضع على أن المغاربة يستعملون « الأرسال » جمعا لرسول ، ولم يرد السماع بذلك .

(٣) الطم والرم : كناية عن العدد الكثير .

من الرؤساء الأعلام ؛ الآخذينَ بأعنَّة الكلام ، السابقين فى حَلْبة النثار والنظام ؛ وأن الفقيه الرئيس المُدْرِك ، الناظم الناثر أبا عبد الله محمد بن يوسف ابن زَمْرك ؛ عفا الله عنه — وحسبك بمن ارتضاه مولانا [الجد] [(١)] رحمه الله لكتابته ، وصرَّفه فى الوجوه المتعددة من رسالته وحجابته ؛ فكان بذلك خليقاً ، لما جُمِع فيه من أدوات الكمال علماً وتحقيقاً ؛ وإدراكا ونُبلا ، وفقها [(٢)] وأصولا ، وفروعاً وأدباً وتحصيلا ، و بياناً وتفسيراً ونظما وترسيلا — انما [(٣)] كان قد أخفت الأيام سَنَى صبحه [(٤)] ، وخابت وسائل نصحه ، وعادت بُعْدوانها بعد فوز قِدْحه ؛ وعثَّر بين أقدام أقوام لا يعرفون أىَّ ذُخر فقدوا ، ولا أىَّ مُطْلَق من تصرفاته الجليلة قيَّدوا ؛ مستبصرين بالجهل فى دياجى غَيِّهم ، مُعْجَبين بما ارتكبوه من جياد بَغْيهم ؛ جميعهم يلحظه بمُقَل دامية ، وألفاظ حامية ؛ يُصابحونه بأوجه خَلَت عن الوجاهة ، سِيمَاها الحسد ، وضميرها السَّخط بما قدَّره الواحد الصَّمد .

[[(٥)] فَخَرَّ على الألاءة لم يُوَسَّد كأنَّ جبينَه سيفٌ صَقِيلُ [(٦)]

فيالله من أشلاء ، هنالك ضائعة ، وأعلاق غير مَصونة ، ووسائل مخفورة ؛ وأذِمَّة قُطِعت أرحامُها ، ولم يُرْعَ ذِمامُها ؛ وعاثت الأيدى الفاتكة حينئذ على بَنيه ، وارتكبوها شَنْعاء فى أهله وذويه] [(٥)]

---

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٢) كذا فى (س ، م) ، ونفح الطيب . والذى فى (ط) : « وفهما » .

(٣) خبر لقوله : « وأن الفقيه الرئيس المدرك ... الخ » .

(٤) كذا فى س ونفح الطيب . وفى ت : « من » .

(٥) مابين القوسين زيادة عن نفح الطيب و (س) .

(٦) البيت لابن عنمة الضبى ، من مقطوعة له فى رثاء بسطام بن قيس . قال التبريزى فى شرح الحماسة : « خر : سقط . والألاءة : شجرة . لم يوسد ، يستعملونه كثيراً فى القتيل ، وليس بجيد ، لأن القتلى بعضهم يوسد . وشبه جبينه ، لصفائه وانحسار الشعر عنه ، بسيف مصقول ، أى لم يكن أغم ؛ والغمم عندهم مذموم » .

هل كان إلا حَيًا تحيا العبادُ به ... هل كان إلا قَذًى فى عين ذى عَوَرِ

إن قال قولا تَرَ الأبصارَ خاشعةً ... لِماَ يُخبِّر من وَحْيٍ ومن أثَرِ

يا لَهْف نفسىَ لو قد كنتُ حاضرَه ... غداةَ جُرِّعه أدهى مِنَ الصَّبِر

لَماَ تركتُ لَهُ شِلْوا بِمَضْيعةٍ ... ولا تولّى صريعَ النـاب والظُّفُرِ

« وكان ما كان مما لست أذكره ... فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخَبَرِ »[1]

وإن سأل سائل عن الخبر الذى ألمعنا بذكره، وضَمَّنَّا هذا البيت ذَرْوًا[2] من فظيع أمره؛ فذلك عند ما نَسَبَ صاحب الأمر إليه ما راب، وتَلَّه [وابنيه][3] للجبين مُعَفَّرين بالتراب: وصَدمه فى جُنح الليـل والمصحف بين يديه يتوسّل بآياته، ويتشفع بعظيم بركاته: فأخذته السيوف، وتعاورته الحُتوف؛ وأذهبه سَليباً قتيلا، مُصَيَّرًا مِصراع منزله كثيباً مَهِيلا، وكنا على بُعْد من هذه الآزفة التى أورثت القلوب شَجَناً طويلا؛ وذكّرتنا بعناية مولانا [الجدّ][4] الغنىّ بالله بجانبه أعظم ذكرى، فأغْرَينا برثائه خَلَدا وفكرا: وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الأبياتَ إشارة مُقْنِعه، وكناية فى السُّلوان مُطمِعه: وأرضينا بالشفقة أودّاءه، وأرغمنا بتأبينه أعـداءه. ولمـا تبلّج الصبحُ لذى عينين، وتلقّينا راية الفَرَج بالراحتين: عَطَفَتنا على أبنائه عواطف الشفقه، وأطْلقنا لهم ما عاثت الأيدى عليه[5] صلةً لرحم طالما أضاعها من جهل الأذِمّه، وأخفرعهود تَخَدمه[6] لمن سلف من الأئمه؛ وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا، وجعلناَ ضمَّ ما نثرته الحوادث

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن المعتز.

(٢) ذروا: طرفا من القول. وفى الأصلين ونفح الطيب: « درا ». وظاهر أنه محرف عما أثبتناه.

(٣) هذه الكلمة عن (ص) ونفح الطيب.

(٤) هذه الكلمة عن نفح الطيب.

(٥) المسموع: عاثت به.

(٦) يريد بتخدمه: خدمته. والمسموع من هذا: تخدمت خادماً: إذا اتخذته.

من منظوماته من أكيد أعمالنا ؛ وكان تَعَلَّقَ بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه ، مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه ؛ فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه اجتهادنا من رقاعه ، الحائلة المنتهبة بأيدى النوائب ، الدائرة المستلبة بتعدى النواهب ؛ نخلص من الجملة قلائد عقيان ، وعقود دُرّ ومَرْجان ؛ ترتاح النفوس [٢٣٩] النفيسة لإنشادها ، وتحسد الأبصارُ الأسماعَ عند إيرادها ؛ إلى مايتخللها من تخليد مآثر سلفنا ، والإشاده بعظيم مُلْكنا ؛ فشرعنا فى تقييد أوابدها الشارده ، وإحياء رسومها البائده ؛ كَلَفا بالأدب ؛ لوضوح فضله ، وتأدية لما يجب من رعاية أهله .

ولنبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبّه عليه ، ونُظهر ماكنّا نُضمره من الميل إليه ، فى كل ماله أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب ، الفذ الأوحد . أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن محمد ابن أحمد بن يوسف الصُّرَيحىّ ، ويعرف بابن زمرك ؛ أصله من شرق الأندلس ، وسكن سلفه بالبيّازين من غرناطة ، وبها ولد ؛ فنشأ ضئيلا كالشّهاب يتوقد ، مختصر الجرْم والأعين بإطالة فواضله تشهد ، ومُكتّب[1] الفئة القرآنية يؤثره بالجَناب الممهَّد ، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم ، والدءوب على القراءة ، وأخذ نفسه بملازمة حَلَقات التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب المفترضات إلا وهو متحمل الرواية ، وملتمس لفوائد الدرايه ؛ مُصابِحٌ كل يوم أعلام العلوم ، ومستهدٍ بمصابيح الحدود العلمية والرُّسوم . فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبى عبد الله ابن الفخّار ، الآية الكبرى فى فن العربية ، وتردّد الأعوام العديدة إلى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف ؛ فأحسن الإصغاء ، وبَذّ النُّحاة البُلغاء ؛ بما أوجب رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة ، التى أولها :

---

(١) المكتب الذى يعلم الصبيان الكتابة . قال الحسن البصرى : وكان الحجاج مكتبا بالطائف ، أى معلما . (عن تاج العروس) .

« أغرى مَراة الحى بالإطراق »

[٢٤٠] حسبما تأتى مستوفاة إن شاء الله تعالى . واهتدى فى طريق الخُطبة ومناهج الصوفية ، بالخطيب المعظَّم أبى عبد الله بن مرزوق ، الوافد على مولانا الجد أبى الحجاج رضى الله تعالى عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبع مئة ، وإليه جنح ، وإياه قصد ، عند تغرُّبه إلى المغرب ، فى دولة السلطان أبى سالم ، فتوَّجَهُ بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها :

تَوَّجتنى بعمامـــهْ   تُوِّجْتَ تاجَ الكرامهْ

فَرَوْض حمدك يُزْهَى   متى بسجع الحمامه

وأخذ علمَ الأصلين عن الحافظ الناقد أبى علىّ منصور الزَّواوى ، وبرع فى الأدب ، أثناء الانقطاع وأول الطلب لأبى عبد الله بن الخطيب ، ولكن لم يُحْمد بينهما المآل . واقتدى فى العلوم العقلية بالشريف أبى عبد الله التلمسانى ، قُدوة الزمان ؛ وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضى الجماعة ، وشيخ الجلة ، أبى البركات بن الحاج ، وبالخطيب البليغ أبى عبد الله اللَّوشى ، وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيش العَبْدَرى ، رضى الله عن جميعهم . وبواجب محافظتنا على عهدهم ، إذ نحن واردون بالإجازة التامة عذبَ وردِهِم ، وَصَل سببنا بهم الكثيرُ من شيوخنا ، مثلُ الإمام المعظَّم أبى محمد عبد الله بن جُزَىّ ، ومعلّمنا الثقة المجتهد أبى عبد الله الشريشى ، والقاضى الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن عَلّاق ، وغيرهم رحمة الله عليهم . لذلك صار صدراً فى نوادى طلبة الأندلس ، وأفراد نجبائها ؛ فما شاء المحاضر يجده فى خَضْله [١] ، ويتلقاه من باهر فضله ؛ فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعه ، ومحادثة أريضة مزهره ، وجوابا مُطَبِّقاً للمَفْصل [٢] ، وذهنا

(١) الخضل : الدر واللؤلؤ ، يشبه بهما كلامه .

(٢) فى نفح الطيب : « شافياً للمعضل » .

[٢٤١] سابقا لإيضاح المشكل ؛ مع انقياد الطبع ، وإرسال الدّمعة ، فى سبيل الخشوع والرقة ، ورشح الجبين عند تلقى الموعظة ، وصوْن الوجه بجلباب الحياء ، ومقابلة الناظر إليه بالاحتشام ، والمبادرة للاستدعاء ، على طهارة ، وبذل وُسْع ، وكرم نفس ، لم يُعْهد أجمل مشاركة منه لإخوانه ، ولا أمتع منه بجاهه ، إلى مبالغة فى الهَشَّة والمبَرَّة والإيثار بما مُنح ، وجُنوح إلى حبّ الصالحين ، ذلك بالانضواء إلى شيخ الفِرق الصوفية ، الولىّ أبى جعفر بن الزيّات ، وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبى مهدىّ ، قدّس الله مَغناه ، وسواهما من أهل الأندلس والعُدْوة ، وحَمْله أشد الحمل على كل مُتَلَبِّس[1] كأبى زكرياء البَرْغُواطِى وسواه .

ومن تنديداته — زعموا — على أبى الحسن المحروق لمَيْله عنه :

وَلَدُ الفقر[2] والرِّباط ولـكنْ نفسُه للملوك ذاتُ افتقارِ

وخَطَب الأدب يافعاً وكهلا ، وحاز عِلْمَه إدراكا ونُبلا .

ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه الله ، واجتاز إلى المغرب ، كما تقرر فى غير هذا ، كَلِف به ، وأنِس إليه ، لحلاوة منطق ، ورَفْع استيحاش ، ومُراوضة خُلْق ؛ ثم كرّ فى صحبة رِكابه ، فعلت مَنزلته ، وَلطف محلّه .

وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد ، ويقول : « خدمته سبعاً وثلاثين سنة ، ثلاثة بالمغرب ، وباقيها بالأندلس ، أنشدته فيهاستاوستين قصيدة ، فى ستة وستين عيداً ، وكل ما فى منازله السعيدة ، من القصور والرياض والدّشار[3] والسبيكة ، من نظم رائق ، ومدح فائق ، فى القِباب والطاقات والطُّرُز[4] وغير

(١) المتلبس : الذى يظهر النسك والعبادة ، ويبطن الغش والفساد (عن نفح الطيب ج ٣ ص ٣٨٧ — أزهرية) .

(٢) فى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠) : « ولد الثغر » .

(٣) الدشار : يريد به الدسكرة ، وهى فى معنى الضيعة .

(٤) الطرز : جمع طراز ، وهى الثياب تنسج للسلطان ، أو هى الدور تصنع فيها الثياب .

[٢٤٢] ذلك [فهو لى] (١) ، وكنت أوْا كله وأوْا كل ابنه مولاى أبا الحجّاج وهما كبيرا ملوك أهل الأرض ، وهنأته بكذا وكذا قصيدة ، وفوّض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالمدونين، وصلحُ النصارى عقدتُه تسع مرات ، ألحِسّة (٢) فوض إلىّ ذلك » ؟

قلنا : صدق فى جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له .

وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام فى السِّفارة بينه و بين ملوك عصره ؛ فحمِد منابُه ، ونمت أحواله ، ورغد جنابه . وكان هنالك بعض تقوّلات تَشين وجه اجتهاده ، وتُومئ بما احتقبه من سوء مقاصده ، وما صرَّفه من قبيح أغراضه ، وهاجت الفتنة ، فكانت سِفارته أعظم أسبابها . وعند الأشُدّ من عُمُره عرضت لأفكاره تقلبات ، وأقعدته عن قداح السياسة آفات مختلفات ، وأشعَرته حدّةُ ذهنه أنه متخبط فى أشراك وَقَمات (٣) : فقعد بمجامع مالَقة ، ثم بمسجد الحمراء ، ملقيًا على الكرسىّ فنونا جمّة ، وعلوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجلّة : فانحاز إلى مادّة أم بمالقة طَامنهم البحر ، وتراءى لأبصارهم و بصائرهم الفخر ؛ وكان التفسير أغلب عليه لقَرْط ذكائه ، وما [كان] قيّده وحصله أيام قراءته [و إقرائه] ؛ فما شئتَ من بيان ، و إعجاز قرآن ؛ وآيات توحيد وإخلاص ، ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص ، يومَ الأخذ بالنواص . ومراراً عدة سمع ما يلقيه ولىُّ الأمر ، و باشدَّة البلوى التى أذاقه مُرّها ، وأمطاه إلى طيّة الهلاك ظهر ها ؛ ويا قُرب ما كان الفوت ، والحُسام الصَّلْت ، من تباعد هذه القُرب التى أُلفيت (٤) .

(١) هذه التكملة عن نفح الطيب .
(٢) فى الأصلين : « الحُسة » ، والتصويب عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « توقفات » ، ومؤدى العبارتين مختلف .
(٤) فى س ، و نفح الطيب : « من متباعد هذه القرب التى ألفيت » . وفى العبارة غموض .

قلنا : لقد جَمَح جواد القلم ، فأطلقنا[١] ونحن نشير إلى هـذا الرئيس وتبدُّل طباعه ، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعه ؛ وإحراز شِيَم أدَّت إلى علوّ مقداره ، واستقامة مداره ؛ فآل عُمْرُ مولانا جدِّنا إلى النفاد ، ورمت رئيسَ كتابه هذا أسهمُ الحسّاد ؛ فظهر الخفيّ ، وسقط به الليل على سِرْحان[٢] قد طالما جرب الوفيّ والصفيّ. [٢٤٣]

وكان من شأنه الاستخفافُ بأولياء الأمر من حُجّاب الدوله ، والاسترسال فى الرد عليهم بالطبع والجبلَّه[٣] مع الاستغراق فى غِمار الفتن أندلساً وغرباً ، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصْباً ؛ أما الجراءة فانتضى سيوفها ، وأما إكفاء السماء على الأرض فتواصم نوّع صنوفها[٤] ، وأما المجاهدة فوقفَ بميدان الاعتراض صفوفَها ، وأما المجاملة فنكَّر معروفها . أدّاه هذا النبأ العظيم إلى سكنى المعتقل بقصَبة المَرِيّة ، وعلى الأثَر كان الفرج قريباً ، وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفوُ تضريباً . ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنيّ بالله — وكانت وفاته غُرّة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبع مئة[٥] — لأسباب يطول شرحها، أظهرُها شراسةٌ[٦] فى لسانه ، واعتزاز[٧] بمكانه ، وتضريب بين خدّام السلطان وأعوانه ، فكبا[٨]

---

(١) كذا فى الأصول ونفح الطيب المطبوع والمخطوط ، ولعله يريد: « فأطلنا » ، أو : « فأطلقنا له العنان » .

(٢) هذا مثل ، قال الميدانى : « سقط به العشاء على سرحان » قال أبو عبيد : وأصله أن رجلا خرج يتلمس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله — يضرب فى طلب الحاجة يؤدى صاحبها إلى التلف .

(٣) كذا فى ص ونفح الطيب . والذى فى ط : « الجلة » . وهو تحريف .

(٤) كذا فى ط ، ونفح الطيب . وفى ص : « فرع حتوفها » .

(٥) إلى هنا ينتهى ما أوردته نسخة (ص) من الروضة الأولى ، وسقطت منها بقيتها .

(٦) فى ط : « شواهة » . وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة من نفح الطيب المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠ تاريخ).

(٧) فى نفح الطيب : « واغترار » .

(٨) فى ط : « فكفا » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

لليدين وللفم ، إلى أن منَّ الله بسَراحه ، وأعاده إلى الحضرة فى أول شهر رمضان المعظم عامَ أربعة وتسعين وسبع مئة ، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله ، وقيام[(١)] أخينا [محمد] مقامه الأمر . فاستمر الحال أياماً قلائل ، وقَدَّم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد المذكور إلى خُطَّته ، وقد دَمِثَت[(٢)] بعض أخلاقه ، وخَمَدت شراسته[(٣)] . وحلا بعضُ مذاقه . فما كان إلا كَلَاوَلَيْت[(٤)] ، و إذابه قدساء مشهداً وغيباً ، وأوسع الضمائر شكا وريباً ؛ وغلبت الإحَن عليه . وغَلَت مراجلها لديه[(٥)] ؛ وصار يتقلّب على[(٦)] جمر الغضَى ، ويتبرّم بالقضا ؛ ويظهر النصح وفى طيه التشفى[(٧)] ، ويَسِم نفسه بالصلاح ، ويعلن بالخشوع ، ويُشير بأنه الناصح الأمين ، ويتلو قول الله سبحانه : « ولـكن لا تُحِبُّون الناصحين » . ورتّب على [٢٤٤] المُشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوباً لم يقترفوها ، ونسب إليهم نِسَباً من التضييع لم يعرفوها : وأنهم احتجَنُوا الأموال ، وأساءوا الأعمال[(٨)] والأقوال ؛ فلم يَظفر من ذلك بكبير طائل ، ولا حصل — على تفاوت أعداده — على حاصل ؛ هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ، وعدم اضطلاعه[(٩)] بالأمور [الجبائية][(١٠)] ؛ فمن نفس يُرَوِّع سِربها ، ويكدِّر[(١١)] بالامتحان والامتهان شِرْبها ؛ ومن ضارعة

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « مقام » .
(٢) فى ط : « صميت » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « شراهته » .
(٤) كذا فى الأصل . ويقال : ما كان إلا كلا ولا : كناية عن الزمن القليل . (انظر لسان العرب)
(٥) فى ط : « وغلبت من أجلها عليه » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « إلى » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٧) فى ط : « فى طية الشفتين » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٨) فى ط : « الأجال » والتصويب عن نفح الطيب .
(٩) فى ط : « اطلاعه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(١٠) التكملة عن نفح الطيب .
(١١) فى ط : « ولا يكدر » . والتصويب عن نفح الطيب .

خاتمة لله سُلِبَتْ ، وطُولبت بغير ما اكتسبتْ ، وتعدّت الأيدى إلى أقوام جِلّة سَعِدوا بشقائه ، وامتُحِنوا وهم المُبرَّءُون من تزويره واعتدائه ، وسَيُسألون ، يوم لا يُغنى مال ولا بنون ؛ وصار بصرف أغراضه ، ويُظهر أحقاده ، بين إفصاح بما كان الإعجام خيراً من إلقائه ، وأن عُمُر المسكين المستضعف لا حاجة فى طول بقائه ؛ إلى مجاهرة عُهِد منه أيامَ شبيبته نقيضُها ، وانعكس فى شاخته [(١)] تصريحها المُنَغّص وتعريضها ؛ لا يريح نفسه من جهد ، ولا يقف من اللَّجاجة عند حد . وقد كان ثَقُل سمعه ، فساءت إجابتُه [(٢)] ، وطغت أخلاقه ، فسئم الناسُ وسَاطته ، وربما استُحلف ؛ فلم يكن بين اللازمة واللازمة [(٣)] إلا الحِنْث عن قصد وغير قصد ، ودعا على نفسه و أبنائه بانجاز وعد ، وأن يُقيِّض [(٤)] الله له ولهم قاتل محمد . فسُبحان القاهر فوق عباده ، الرحيم بهذا الشخص و بالأموات من شيعته وأولاده .

فاستمر على ذلك إلى إحدى الليالى ، فهلك [فى جُنْح الليل] [(٥)] فى جوف داره ، على يدى مخدومه ؛ تلقاه — زعموا — عند الدخول عليه ، وهو بالمصحف رافع به يديه ؛ فجَدَّلَته [(٦)] السيوف ، وتناولته الحُتُوف ؛ فقُضِى عليه ، وعلى من وُجِد من خدّامه وابنيه : كل ذلك بمرأى عين من أهله و بناته ، ولم يتقوا الله فيه حق تُقاته ؛ فكانت أنكى الفجائع ، وأفظع الوقائع ؛ وساءت القالة ، وعَظُم المصاب ، وكل شىء إلى أجل نافذ وكتاب [(٧)] . [٢٤٥]

(١) كذا بالأصل ونفح الطيب ، ولا معنى لها . ولعله يريد شيخوخته .
(٢) أخذه من المثل العربى : « أساء سمعا فأساء جابة » . والجابة : اسم بمعنى الإجابة .
(٣) اللازمة : المراد بها هنا اليمين التى يمتنع انفكاكها عما عقدت عليه . وفى ط : « الملازمة » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « يكيف » ، والتصويب عن نفح الطيب .
(٥) التكملة عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « فجدلته » . والتصويب عن نفح الطيب وكتب اللغة .
(٧) قال المؤلف فى النفح : « وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وتسعين وسبع مئة » .

ولما تلخصت هذه المقدمة بين يدى نظامه ، وتم جميع ما أبرزه البحث والاجتهاد من خير كلامه ؛ اخترنا له اسماً يوافقه ، ويوضح مَشارقه ، وهو « البَقيّة والمُدْرَك ، من شعر ابن زَمْرَك[١] » . أما البقية فلما بقى بعد هلاكه ، وتخطته الحوادث وشحّ الدهر بامساكه ؛ والمُدرَك : لأجل ما تَرَكَ من مُبَيّضاته ، ولم يخرجه فى حياته . وها نحْنُ نُنظِّم[٢] درره الرائقة ، ونطابق فى مراتب التآليف كل شارقة .

فمن ذلك قوله فى ذكر الحضرة[٣] العليه ، وتهنئة مولاه الجد رحمة الله عليه ببعض المواسم العيديه ؛ ووصف كرائم من جياده ، وآثار ملكه وجهاده :

يا من يَحِنُّ إلى نجد ونادِيها ... غَرناطةٌ قد ثَوَتْ نَجْدٌ بواديها
قِفْ بالسَّبيكة وانظرْ ما بساحتها ... عَقيلةٌ والكثيبُ الفَرْد جاليها
تقلّدتْ بوِشاح النَّهر وابتسمت ... أزهارُها وهى حَلْى فى تَراقيها
وأعينِ النرجس المطلول يانعة ... تَرَقْرَقَ الطَّلُّ دمعاً فى مآقيها
وافترَّ ثغرُ أقاحٍ من أزاهرها ... مُقبَّلاً خَدُّ وردٍ من نواحيها
[كأنما الزهر فى حافاتها سَحَرًا ... دراهمٌ والنسيمُ اللَّدْن يَجبيها][٤]
وانظر إلى الدَّوْح والأنهار تكنُفُها ... [مثل النّدامَى سواقيها][٥] سواقيها
كم حولها من بُدور تَجْتَنى زَهَرًا[٦] ... فتحسب الزَّهر قد قبَّلن أيديها
حَصباؤها لؤلؤ قد شَفّ جوهرُهُ ... والنَّهر قد سال ذَوْبًا من لآلِيها

(١) فى بعض مواضع من ط : « البقية والمدرك الظاهر من شعر ابن زمرك » . ولعل كلمة : « الظاهر » زيادة من الناسخ .
(٢) كذا فى م ، وفى ط : « سأتحف بنظم » .
(٣) يريد غرناطة .
(٤) هذا البيت عن نفح الطيب .
(٥) التكملة عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « وحولها من زهور تختنى نهراً » والتصويب عن نفح الطيب .

[نهر المنجِّم] (١) والزَّهرُ المُطِيف به ... زُهْرُ النُّجوم إذا ماشِئْت تَشْبيها
يَزِيد حُسْناً على نهر (٢) المَجَرَّة قد ... أغناه دُرُّ حَبَابٍ عن دَرارِيها
يُدْعى المُنْجِّمَ رائيـه وناظرُه (٣) ... مُسـمَّيَاتٌ أبانَتْها أسامِيها
إن الحِجاز مَغانيه (٤) بأندلسٍ ... ألفاظُها طابقت منها معانيها
فتلك نَجْد سقاها كلُّ مُنسجم ... [من الغَمام يُحَيِّيها فيُحييها] (١)
[وبارقٌ وعُذيب كل مُبتسِم] (١) ... من الثغـور يحلِّيها مجلِّيها
وإن أردت ترَى وادى العقيق فرِدْ ... دُموع عُشّاقها حُمراً جواريها
وللسّبيكة تاجٌ فوق مَفْرِقها ... تودّ دُرُّ الدَّرارى لو تُحَلِّيها
كأنْ حمراءها والله يَـكلؤُها ... ياقوتةٌ فوق ذاك التاج يُعْليها
إنَّ البُـدورَ لتيجان مُـكلّلة ... جواهرُ الشُّهْب فى أبهى مَجاليها (٥) [٢٤٦]
لكنها حَسَدت تاج السبيكة إذ ... رأت أزاهره زَهْراً يجليها
بُروجها لبُروج الأُفْق مُخْجِلة ... فشُهْبُها فى جمال لا تُضاهيها
تلك القُصور [التى] راقتْ مظاهرُها ... تَهْوِى النجومُ قُصوراً عن مَعاليها
لِله لِله عيناً من رأى سَحَرًا ... تلك المَنارةَ قد رقّت حواشيها
والصبحُ فى الشّرق قد لاحت بشائره ... والشُّهْب تسْتَنُّ (٦) سَبْقًا فى مَجاريها
تَهْوِى إلى الغرب لما هالَهَا (٧) سَحَرٌ ... وغمَّض الفَجْرُ من أجْفان واشيها

---

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) فى ط : « زهر » . والتصويب عن نفح الطيب
(٣) فى ط : « فنظر » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) فى ط : « معاليه » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٥) فى ط : « جواهر الشيب تجلى من مجاليها » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٦) فى ط : « يستر » والتصويب عن نفح الطيب . و« تستن » : تعدو .
(٧) فى نفح الطيب : « غالها » .

وساجعُ العُودِ فى كف النّديم إذا ماستوقفت[1] ساجعاتُ الطيرِ يُغريها

يُبْدِى أفانينَ[2] سِحرٍ فى ترنُّمه يُصْبِى العقول بها حسنا ويَسْبِيها

يَجُسُّه ناعمُ الأطرافِ تحسبها لآلئا وهى نُور فى تلاليها[3]

مُقاتِلٌ بلِحاظٍ قوسُ حاجِبها ترمى القلوبَ بها عمداً فتُصميها

فيا كَرَ الروضَ والأغصانُ مائلة يَثْنى النفوسَ لها شوقا تثنِّيها

لم يرْقُصِ الدَّوْحُ بالأكمام من طرب حتى شدا من قِيان الطير شاديها

وأسمعتْها فُنونَ السحر مُبدعة وُرْقُ الحمام وغنّاها مغنّيها

غَرناطة آنسَ الرحمنُ ساكنها باحت بسرّ معانيها أغانيها

أعدَى نسيمُهُمُ لُطفا نفوسَهم فرِقّة الطبع طبع منه يُعديها

نخلّد الله أيامَ السرور بها صُفراً عشيّاتُها بيضاً لياليها

ورَوّض المحلَ منها كلُّ منبجِسٍ إذا اشتكت بغليل الجدب[4] يُرويها

يحْكِى[5] الخليفةَ كفًّا كلما وكَفت بالجود فوق مَواتِ الأرض يُحييها

تُغْنِى العُفاةَ وقد أمّت مكارمَه عن السؤال وبالإحسان تُغنيها

لها بَنانٌ فما غيث يساجلُها جُوداً ولا سُحْبه يوما تدانيها

فإن تَصُبْ سُحْبُه بالماء حين همَتْ بعسْجَد ولُجين صاب هاميها

يأيها الغَيْث أنت الغوثُ فى زمن ملوكه تَلِفتْ لولا تلافيها

إن الرعايا جَزاكَ الله صالحة مَلَكْتَ شرقا وغربا مَنْ يُراعيها

---

(١) فى نفح الطيب : « ما استوقف الطير يدنيها ويغريها »

(٢) فى ط : « بين الأفانين » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٣) فى ط : « يجسها » ... « فى تجليها » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٤) فى ط : « بقليل الجرى » . والتصويب عن نفح الطيب .

(٥) فى ط : « على » . والتصويب عن نفح الطيب .

إن الخلائق فى الأقطار أجمعها ... سوامٌ أنت فى التحقيق راعيها(١)

فكل مَصْلحة للخلق تحكمها ... وكل صالحة فى الدين تنويها

إذا تيممت أرضاً وهى مُجْدِبة ... فرحمة الله بالسُّقيا تُحَيِّيها

يارحمة بثّت الرُّحْمَى بأندلس ... لولاك زُلْزِلت الدنيا بمن فيها

[٢٤٧]

فى فضل جودك قد عاشت مَشِيخَتُها ... فى ظل أمنك قد نامت ذَرَاريها

فى طول عمرك يرجو اللهَ آملُها ... بنصر ملكك يدعو اللهَ داعيها

عوائد الله قد عُوِّدْتَ أفضلَها ... لتُبلِغَ الخلقَ ما شاءت أمانيها

سُلَّ السعود وخَلِّ البيض مُغمدة ... واضرب بها فِرْقة(٢) التثليث تَفْرِيها

لله أيامك الغُرّ التى اطردت ... فيها السُّعودُ بما تَرْضَى وتُرْضِيها

لله دولتك الغراء إن لها ... لَكافلاً من إله العَرْش يَكفيها

هيهات أن تبلغَ الأعداء مأربَةً ... فى جَرْيها وجنودُ الله تحميها

هذى سيوفُك فى الأجفان نائمة(٣) ... والمشركون سيوفُ الله تُفْنيها

سريرة لك فى الإخلاص قد عَرَفَتْ ... حُسْنَى عواقبها حتى أعاديها

لم تحتجب شُهُبُ الآفاق عن بَصَرٍ(٤) ... إلا وهَدْيُك للأبصار يَهْديها

يابن الملوك وأبناء الملوك إذا ... تدعو الملوكُ إلى طَوْع تُلبِّيها

أبناء نَصْرٍ ملوكٌ عزَّ نَصْرُهُمُ ... وأوسعوا الخلق تَنْويها(٥) وترفيها

---

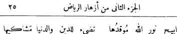
(١) فى ط : « نمائم ... واعيها » والتصويب عن نفح الطيب المطبوع والمخطوط .

(٢) فى ط : « فرقة » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٣) فى ط : « قائمة » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٤) فى نفح الطيب : « لم يحجب الصبح شهب الأفق عن بصر »

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « تنزيهاً » .



هُمُ المصابيح نور الله مُوقِدُها   تضىء للدين والدنيا مَشاكيها

هُمُ النجومُ وأُفْق الهَدْى مَطلعُها   فوزاً لَمهْــدِيِّها عِزًّا لهاديها

هُمُ البــدور كمالٌ ما يفارقها   هُمُ الشموس ظلامٌ لا يواريها

قَضَتْ قواضبُها أنْ لا انقضاء لها   وأمضت الحُكْمَ فى الأعدا مَواضيها

وخَلّدت فى صِفاح الهند سِــيرتَها   وأسندت عن عواليها مَعاليهـا

وأورثتْك جهاداً أنت ناصره   والأجر منك يُرضِّيها ويُحْظِيها

كَمْ موقفٍ تَرْهَبُ الأعداء موقِفَه[1]   والخيل تَرْدِى ووَقْع السُّمْر[2] يُرْديها

ثارتْ عَجاجتُــه واليومُ مُحتجب   والنَّقْع يؤْثر غَيما من دياجيها

وللأسِــنَّة شُهْب كلما غَرَبت   فى الدّارعين تَجلَّت من عواليها

وللسيوف بُروق كلما لَمَعت   تُزْجِى الدماء وريح النصر يُزْجيها

أطلعت وجهاً تَريك الشمسَ غُرّتُه   تبارك الله ما شمسٌ تساميها

من أين للشمس نُطْق كله حِكَمٌ   يُعيدها كلّ حين منك مُبْديها

لك الجياد إذا تجرى سوابقها   فللرياح جياد ما تجاريها

إذا انبرتْ يومَ سَبْق فى أعِنّتها   ترى البروق طِلاحاً لا تُباريها

[٢٤٨] من أشْهَبٍ قد بدا صُبْحا تُراعُ لهُ   شُهْب السماء فإنَّ الصبح يخفيها

إلاّ التى فى لِجَامٍ منــه قَيّدَها   فإنه سامَها عِزًّا وتَنْويها

أو أشقرٍ مُرْعِبٍ شُقْرَ[3] البُروق وقد   أبْقى لها شَفَقا فى الجو تنبيها

أو أحمرٍ جَمْرُه فى الحرب متقدٌ   يعلو لهـا شَرر من بأس مُذْكيها

---

(١) فى نفح الطيب : « موقعه » .

(٢) فى نفح الطيب : « السيف » .

(٣) كذا فى النسخة المطبوعة من نفح الطيب . وفى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب (برقم ٣٥٩ تاريخ) : « أو أشقر مر عن شقر البروق وقد » . والذى فى (ط) : « أو أشقر ضامر سبق البروق وقد » .

لونُ العقيق وقد سال العقيق دما ... بعِطفه من كُماة كَرّ يُدْميها[١]

أو أدهمٍ مِثلِ[٢] صدر الليل تَنْعَلُه ... أهِلّة فوق وجه الأرض يُبديها

إن حارت الشُّهْب ليلا فى مُقَلَّده ... فصُبْح غُرّته بالنور يَهديها

أو أصفرٍ بالعَشِيات ارتدى مَرَحًا ... وعُرْفه بتمادى الليل يُنْبيها

مُمَوَّهٍ بنُضَار تاهَ من عَجَب ... فليسَ يَعْدَم تَمويها ولا تِيها

وربَّ نَهرِ حُسامٍ رَاق[٣] رائقُهُ ... متى تَرِدْه نفوس الكفر يُرْديها

تجرى الرءوس حَباباً فوق صفحته ... وما جرى غير أن البأس يُجْريها

وذابلٍ من دم الكفار مَشْرَبُه ... يُجْنِى الفتوحَ وكفُّ النصر تَجنيها

وكم هلالِ اقوس كلّما نَبضت ... ترى النجوم رُجوما فى مَرَاميها

أئمة الكفر ما يَمّمْتَ ساحتها ... إلا وقد زُلْزِلَتْ قَسْرا صَياصيها

يا دولةَ النَّصْرِ هل من مُبْلغٍ دُوَلاً ... مَضَين أنك تُحييها وتُنْسيها

[أو مُبلغٍ سالف الأنصار مَأْلُكَةً ... والله بالخُلْد فى الفِرْدوس يَجزيها][٤]

أنّ الخلافة — أعلى اللهُ مظهرها — ... أبقتْ لنا شرفًا والله يُبقيها

يابن الذين لهم فى كل مَكرُمة ... مَفاخرٌ ولسانُ الدَّهر يُمليها

أنصارُ[٥] خيرِ الورى مختار هِجرته ... جيران روضته أكرِمْ بأهليها

أسمتهم المِلةُ السَّمْحاء[٦] تكرِمةً ... أنصارَها وبهمْ عَزّت أواليها[٧]

---

(١) فى ط : « كى يربيها » وما أثبتناه عن نفح الطيب المخطوط (رقم ٣٠٩ تاريخ) . وفى المطبوع : « كاد يدميها » .

(٢) فى نفح الطيب : « ملء » .

(٣) فى نفح الطيب : « رق » .

(٤) هذا البيت عن نفح الطيب .

(٥) فى ط : « أصحاب » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٦) المسموع : « السمحة » .

(٧) أواليها : أوائلها ، جمع أول . قدم اللام على العين ، ثم سهل الهمزة .

فى حُنين وفى بدْر وفى أُحُد ... تُلْفِى مفاخرَهم مشهورةً فيها

ولْتسألِ السِّيَرَ المرفوعَ مُسْنَدُها ... فعن مواقفهم تُرْوَى مَغازيها

مآثرٌ خلَّد الرحمن أثْرتَها ... [يَنُصُّها[1]] من كتاب الله قاريها

ماذا يُجيد بليغ أو يُنمِّقه ... من الكلام ووحْى الله تاليها

له الجهاد به تَسرى الرياحُ إلى ... ممالكِ الأرضِ من شتّى أقاصيها

تُحْدَى الركابُ إلى البيت العتيق به ... فمكةٌ عمَرَت منه نواديها

بشائر تُسْمِع الدنيا وساكنَها ... إذا دعا باسمك الأعلى مُناديها

كفى خلافتَك الغرّاء مَنْقبةً ... أنّ الإلهَ يُوالى من يُواليها

[٢٤٩] وقد أفاد بَنيه الدهرُ تجربةً ... أن السُّعود تعادى من يعاديها

إذا رَمَيْتَ سِهامَ العزم[2] صائبةً ... فما رميتَ بل التوفيقُ راميها

شكراً لمن عَظُمت منّا مواهبُه ... وإن تُعَدَّ فليس العدّ يُحْصيها

عمّا قريب ترى الأعياد مُقبلةً ... من الفُتوح ووَفْد النَّصر حاديها

وتبلغ الغايةَ القُصوى بشائرُها ... فقد أظلَّتْ بما ترْضَى مَباديها

فاهْنأ بما شئتَ من صُنْع تُسَرّ به ... وأْنو الأمانىَّ فالأقدار تُدْنيها

مولاى خُذْها كما شاءت بلاغتُها ... ولو تُباع لكان الحسنُ يَشْريها

أرسلتُها حيثما الأرواحُ مُرْسَلَةً[3] ... نوادرا تَنْشُر البُشْرَى أماليها

جاءت تُهَنّيك عيدَ الفطر[4] مُعْجَبَةً ... بحسنها ولسانُ الصدق يُطْرِيها[5]

البِشْر فى وجهها واليُمْن فى يَدِها ... والسِّحْر فى لفظها والدّر[6] فى فِيها

---

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب وعن م .

(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين ط ، م : « العز » .

(٣) الأرواح : الرياح ؛ يريد أنه أطلقها مع الرياح تسير بها فى كل ناحية .

(٤) فى نفح الطيب : « النحر » .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « يقريها » .

(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « الشهد » .

لو رَصّع البدرُ منها تاجَ مَفْرِقه لم يَرْضَ دُرَّ الدَّرارى أن تحلّيها
فإن تكن بنتُ فكرى وهو أوجدَها نعماك فى حِجْره كانت تُرَبّيها
فى روض جُودك قد طوَّقتنى مِنَناً طوقَ الحمام فما سَجْعِى مُوفّيها
ولو أُعِرْتُ لسانَ الدهر يشكرها لكان يقصر عن شكرٍ يُوفّيها
بَقِيتَ للدين والدنيا إمامَ هُدًى مُبلغَ النفس ما ترجو أمانيها
والسعد يجرى لغاياتٍ[١] تؤمّلها مادامت الشمس[٢] تجرى فى مجاريها

ومن ذلك أيضاً قوله هَنَاء لمولانا الجدّ رحمه الله بالفتح المغربى للسلطان[٣] أبى العباس بن السلطان أبى سالم المَرِينىّ :

هِىَ نَفْحةٌ هَبَّتْ من الأنصار أهدتْك فتحَ ممالك الأمصار
فى بِشْرها وبِشارة الدُّنيا بها مُسْتَمْتَعُ الأسماع والأبصار
هَبَّتْ على قُطْر الجهاد فَرَوَّحَتْ[٥] أرجاءَهُ بالنَّفْــحة المعطار
وسَرَتْ وأمرُ الله طَيَّ بُرودها يُهْدِى البريةَ صُنعَ لُطفِ البارى
مَرَّتْ بأدواح المنابر فانبرتْ خُطَباؤها [مُفْتَنَّةً][٦] الأطيار

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى (ط) : « لآيات » .

(٢) فى نفح الطيب : « ما دامت الشهب ... الخ » .

(٣) يريد أن فتح المغرب كان على يد السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم المرينى ، وكان السلطان ابن الأحمر يشد أزره فى ذلك .

(٤) ق ط : « الجهات » . وفى نفح الطيب : « الجياد » . والمعنى غير واضح على الروايتين ، وفى م : « الجهاد » . ويريد بـ « قطر الجهاد » الأندلس ، لما كان عليه أهله من استمرار الجهاد مع أعدائهم .

(٥) روحت أرجاءه ، أى جعلتها معطرة بالرائحة الطيبة . وفى الأصول : « روضت » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٦) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

حَنَّت مَعارجُها[١] إلى أعشارها[٢] لمّا سمعن بها حنين عِشار[٣]

لو أنصفتك لكلَّلَت أدواحَها تلك البشائرُ يانعَ الأزهار

[٢٠٠] فَتح الفُتوح أتاك فى حُلَلِ الرِّضا بعجائب الأزمان والأعصار

فتح الفتوح جَنَيْتَ من أفنانه ما شئت من نصر ومن أنصار

كم آيةٍ لك فى السُّعود جليّةٍ خَلَّدت منها عِبرة استبصار

كم حكمةٍ لك فى النفوس جَلِيَّةٍ خفيتْ مداركها عن الأفكار

كم من أميرٍ أمَّ بابك فانثنى يُدْعَى الخليفةَ دَعْوة الإكبار

أعطيتَ أحمدَ رايةً[٤] منصورة بركاتُها تَسْرى[٥] من الأنصار

أركبته فى المُنْشَآت كأنما جَهَّزته فى وِجهـة لِمَزار

من كل خافقة الشِّراع مُصَفَّقٍ منها الجَناحُ تَطير كل مَطار

ألقَتْ بأيدى الريح فضلَ عِنانها فتكاد تسبق لَمْحَةَ الأبصار

مثلَ الجياد تدافعتْ وتسابقتْ من طافح الأمواج فى مِضمار

لله منها فى المَجاز سَـوابح وقفتْ عليك الفخرَ وهى جوارى

لما قصدتَ بها مراسىَ سِبْتة عَطَفَتْ على الأسوار عَطْف سِوار

لما رأتْ من صُبْح عزمك غُرَّة محفوفة بأشـعة الأنوار

ورأت جَبيناً دُونه شمس[٦] الضُّحى لَبَّتك بالإجلال والإكبار

(١) كذا فى نفح الطيب . والمعارج : جمع معرج ، وهو الدرج والمصعد ؛ يريد أن الأغصان فى تفرعها وركوب بعضها بعضاً كالدرج . وفى الأصول : « معاشرها » .

(٢) الأعشار : جمع عشر ، ولعله يريد به هنا أجزاء الألحان التى ترددها الأطيار .

(٣) العشار : جمع عشراء ، وهى الناقة الحديثة العهد بالنتاج .

(٤) المراد بأحمد : السلطان أحمد بن أبى سالم المرينى الذى فتح المغرب بنصرة ابن الأحمر له ، وأزال منه دولة أبى زيان بن عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى .

(٥) فى نفح الطيب : « تروى عن » مكان : « تسرى من » .

(٦) فى الأصول : « صبح » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

فأفضْتَ فيها من نداكَ مواهباً[١] حَسُنَتْ مواقعها على التكرار
وأريْتَ أهل الغرب[٢] عزم مُغرِّب قد ساعدته غرائب الأقدار
وخطَبْتَ من فاسَ الجديدِ عقيلةً لَبَّتكَ طوْعَ تسرُّعٍ وبدار
ما صدَّقُوا مَتْنَ الحديث بفتحها حتى رأوه فى متون شفار
وتسمَّعوا الأخبار باستفتاحها والخُبْرُ قد يغنى عن الأخبار
قُولوا لقِرْدٍ[٣] فى الوزارة غَرَّه حِلْمٌ مَنَنْت به على مقدار
أسكنته من فاس جنةَ مُلْكها مُتنعماً منها بدار قرار
حتى إذا كَفَر الصنيعةَ وازدرى بحقوقها ألحقته بالنار
جرَّعت نجلَ الكاس كأساً مُرَّةً[٤] دَسَّت إليه الحتف فى الإسكار
كَفَر الذى أوليته من نعمْة لا تأنس النعماء بالكفار
فطرحته طَرْح النواة فلم يَفُزْ من عِزِّ مُغرِّبه بغير فرار
لم يتفق لخليفة مثلُ الذى أعطى الإلَهُ خليفةَ الأنصار

(١) فى الأصول : « مواسما » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٢) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصلين ط ، م : « الشرق » .

(٣) يريد به الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وكان ابن الأحمر « الغنى بالله » قد سمح له بسكنى فاس بقية حياته ، إلا أنه لما بلغه عنه أنه يغرى سلطان بنى مرين بتملك غرناطة أرسل فى طلبه، إلى أن كان ما كان من محنة ابن الخطيب التى مرت فى الجزء الأول من هذا الكتاب، فى حديث مفصل . (انظر صفحة ٢٢٥ وما بعدها ، من الجزء الأول).

(٤) نجل الكاس : هو أبو بكر بن غازى بن الكاس ، وزير السلطان عبد العزيز ابن أبى الحسن المرينى والقائم بدولة ابنه أبى زيان من بعده ، وقد كان ابن الأحمر الغنى بالله طلب من السلطان ووزيره أن يسلما إليه لسان الدين بن الخطيب ، لما بلغه أنه يحرض السلطان عبد العزيز على تملك غرناطة ، فامتنع السلطان ، وامتنع وزيره من تسليم ابن الخطيب ، فكان ذلك سبباً فى مساعدة ابن الأحمر أبا العباس أحمد بن أبى سالم بن أبى الحسن المرينى على إقامة دولة بالمغرب الأقصى ، وانتزاع الملك من ابن عمه أبى زيان بن عبد العزيز الذى تولى بعد أبيه وكان طفلا، نكاية فى وزيره أبى بكر ابن الكاس . (اقرأ تفصيل الموضوع فى تاريخ ابن خلدون وفى الاستقصا للسلاوى).

لم أدْرِ والأيامُ ذاتُ عجائب ... تَردادها يحلو على التَّذكار
ألواء صُبْحٍ فى ثَنِيَّة مَشْرِق ... أم راية فى جَحْفل جَرّار
[٢٥١] وشهابُ أُفْقٍ أمْ سِنانٌ لامع ... ينقضُّ نجماً[١] فى سماء غُبار
ومناقبُ المولى الإمامِ محمدٍ ... قد أشرقت أم هُنَّ زُهْر دَرارِى
فاق الملوكَ بهمّة عُلْوية ... مِنْ دونها نَجْمُ السماء السارى
لو صافح الكفَّ الخضيبَ[٢] بكفه ... فَخَرت بنهر المجرَّة جارى
والشُّهْب تطمع فى مطالع أُفْقها ... لو أحرزتْ منه مَنيع جِوار
سَلْ بالمشارق صُبْحها عن وجهه ... يفترُّ منه عن جبين نَهار
سَلْ بالغمائم صَوْبَها عن كَفِّه ... [تُنْبيكَ عن بَحْرٍ بها زَخَّار][٣]
[سَلْ بالبُروق صِفاحها عن عزمه[٣]] ... تُخبرْكَ عن أمْضى شَبًا وغِرار
قد أحرز الشِّيَمَ الخَطيرة عند ما ... أمْطَى العزائمَ صَهْوَةَ الأخطار[٤]
إن يَلْق ذو الإجرام صَفحة صفْحِهِ ... فَسَح القَبولُ له خُطا الأعمار
يا من إذا هبّت نَواسِمُ حَمْدِهِ ... أزرت بعَرف الروضة المِعطار
[يامَنْ إذا افْتَرَّت مَباسِمُ بِشْره ... وهَبَ النفوسَ وعاش فى الإقتار][٥]
يامن إذا طلعت شمِوس سُعوده ... تُعْشى أشعتُها قوى الأبصار
قَسماً بوجهك فى الضياء وإنه ... شمسٌ تُمِدّ الشمس بالأنوار

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصول : « نارا » .
(٢) الكف الخضيب : المخضوبة ، ويطلق الكف الخضيب على نجم فى السماء ، تشبيها له بالكف .
(٣) هذا الشطر عن نفح الطيب .
(٤) يريد بالشطر الثانى من هذا البيت أنه جعل ظهر الأخطار مطية لعزائمه . وروايته فى الأصول ونفح الطيب : « أمضى ... » الخ . وما أثبتنا أشبه بالمعنى .
(٥) هذا البيت عن نفح الطيب وم . وروايته : « عاث فى الإقتار » وفيها غموض ، وفى م: « عاش فى الإقتار » . يريد أنه إذا سئل يجود بأعز مايملك ويعيش مضيقا على نفسه .

قسَماً بعزْمك فى القضاء وإنّه (١) سيفٌ تجرّده يدُ الأقدار
لَسماحُ كفّك كلما استوهبْتَه يُزْرِى بغيث الدِّيمة المدرار
لله حَضْرتك العليةُ لم تَزلْ يُلقِى الغريبُ بها عصا التَّسْيار
كم من طريد نازح قذفت به أيدى النوى فى القفر رَهْن سِفار
بلّغته ما شاء من آماله فَسَلا عن الأوطان بالأوطار
صيّرت بالإحسان دارَكَ دارَه متّعْتَ بالحُسْنَى وعقبى الدّار
والخلْق تعلم أنك الغوث الذى يُضْفِى عليهـا واقِىَ الأستار
كم دعوة لك فى المُحول مُجابَة أغرت جُفونَ المُزن باستعبار
جارت مجارى الدمع من قَطْر الندى فَرَعى الربيعُ لها [حُقوقَ الجار] (٢)
فأعاد وَجْهَ الأرض طلْقاً مُشْرِقاً متضاحكاً بمَباسِم النُّوّار
يا مَن مآثره وفضْل جهاده تحدى القِطار بها إلى الأقطار
حُطْتَ البلاد ومَن حوَتْه ثُغورها وكَفَى بسَعْدك حامياً لذمار (٣)
فلرُبّ بِكْر للفتوح خطبتَها بالمشرفيّة والقنا الخَطّار
وعقيلة للكُفْر لمّا رُعْتَها أخرستَ من ناقوسها المِهْذار
أذهبتَ من صَفْح الوجود كِيانَها ومَحَوْتَها إلّا من التَّذْكار
عَمَروا بها جنّات عَدْن زُخْرِفت ثم انثنَوْا عنهـا ديارَ بَوار
صَبَّحت منها روضةً مَطْلُولة فأعدتَهـا للحَيْن مَوقد نار
وأسودّ وجه الكفر من خِزْى متى ما أحمرّ وجهُ الأبيض (٤) البَتّار

[٢٠٢]

(١) فى الأصول: « قسما بوجهك فى اللقاء وإنه ». والتصويب عن نفح الطيب.
(٢) التكملة عن نفح الطيب.
(٣) جاء هذا البيت فى الأصول متقدما على موضعه هنا بعد قوله: « صيرت بالإحسان ».
وقد راعينا الترتيب الذى ورد فى نفح الطيب.
(٤) فى الأصول: « المرهف ». وما أثبتناه عن نفح الطيب.

وَلَرُبَّ رَوْضٍ للقِنا[1] متأوِّدٍ ... نابَ الصَّهيلُ به عن الأطيارِ

مهما حَكَت زُهْرُ الأسنّة زَهرَه ... حَكَتِ السيوفُ مَعاطِفَ الأنهار

متوقِّد لَهبُ الحديد بجَوِّه[2] ... تَصْلَى به الأعداء لَفْحَ أُوار

فبكُلِّ مُلتفتٍ صُقالٌ مُشْهَرٌ ... قَدَّاحِ زَنْدٍ للحفيظة وَارِى

فى كفِّ أروعَ فوق نَهْدٍ سابحٍ ... مُتموِّجِ الأعطاف فى الإحْضار

من كل مُنحفز بلمحة بارقٍ ... حُمِلَ السلاحُ به على طَيّار

من أشهبٍ كالصبح يَطْلُع غُرَّةً ... فى مستهَلِّ العَسْكر الجَرَّار

أو أدهمٍ كالليل إلا أنه ... لم يرضَ بالجَوْزاء حَلْىَ عِذار

أو أحمرٍ كالجَمر يُذْكِى شُعلةً ... وقدِ ارتمى من بأسه بشَرار

أو أشقرٍ حَلّى الجمالُ أديمَهَ ... وكساهُ من زَهْوٍ جلالَ نُضار

أو أشعلٍ[3] راق العيونَ كأنه ... غَلَسٌ يخالِطُ سُدْفةً بِنَهار

شُهْبٌ وشُقْرٌ فى الطِّراد كأنها ... رَوْض تَفَتّح عن شَقيق بَهار

عَوَّدْتَها أن ليس تَقْرَبُ مَنهلاً ... حتى يُخالَطَ [بالدم المَوّار][4]

يأيّهـا الملكُ الذى أيامُه ... غُرَرٌ تلوح بأوجه الأعصار

يَهْنِى لواءَك أن جَدَّك زاحف ... بلواء خير الخلق للكُفّار[5]

لا غَرْوَ أنْ فُقْتَ الملوكَ سيادةً ... إذ كان جَدّك سيِّدَ الأنصار

السابقون الأولون إلى الهُدى ... والمُصْطَفَوْن لنُصْرة المُختار

---

(١) القنا ، أى القناء (بالمد) فقصره للشعر .

(٢) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل « بحده » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) الأشعل : من الشعلة (بالضم) ، وهى البياض فى ذيل الفرس والناصية والقذال .

(٤) التكملة عن نفح الطيب .

(٥) يريد سعد بن عبادة الأنصارى سيد الخزرج ، وبنو الأحمر من سلالته . ويشير إلى حمل سعد لراية الرسول يوم فتح مكة .

مُتهلِّلون إذا النّزيلُ عراهمُ ... سَفَروا له عن أوجه الأقمار
من كل وَضّاح الجبين إذا احْتَبَى ... تلقاه مَعصوباً بتاج فَخَار[1]
قد لاث صُبْحاً فوق بَدْر بعد ما ... لَبِس المكارمَ وارتدى بوَقار
فاسأل ببَدْر عن مواقف بأسهمْ ... فهُمُ تلافَوْا أمره ببِدار
لهمُ العوالى عن مَعالى فخْرِها ... نَقَل الرواة عَوالىَ الأخبار
وإذا كتابُ الله يتلو حَمْدَهمْ ... [أوْدَى القُصورُ بمُنّة الأشعار
يا بْنَ الذين إذا تُذُوكر فخرُهم ... فَخَروا بطيب أرُومةٍ ونِجار
حقًّا لقد أوضحتَ من آثارهم[2]] ... لمّا أخذتَ لدينهم بالثّار
أصبحتَ وارثَ مجدِهم وفخارِهم ... ومُشرِّفَ الأعصار والأمصار
يا صادراً فى الفتح عن ورد المُنَى ... ردْ ناجحَ الإيراد والإصدار
واهناً بفتح جاء يشتمل الرِّضا ... جَذلانَ يَرْفُل فى حلَى استبشار
وإليكَها ملءَ العيون وَسامةً ... حيَّتْك بالأبكار من أفكارى
تُجْرِى حُداةُ العيس طيبَ حديثها ... يتعلّلون به على الأكوار
إن مَسَّهم لَفْحُ الهجير أبلّهم ... منه نسيمُ ثنائك المِعْطار
وتُميل من أصغى لها فكأنّنى ... عاطيتُه منها كئُوس عُقار
قَذَفَتْ بحورُ الفكر منها جوهراً ... لمّا وصَفْتُ أناملاً ببِحار
لا زلتَ للإسلام ستراً كُلَّما ... أمَّ الحَجيجُ البيتَ ذا الأستار
وبَقيتَ بابْدرِ الهُدَى تجرى بما ... شاءتْ عُلاك سوابقُ الأقدار

[٢٥٣]

شعر اختاره المؤلف أيضاً من كتاب ابن الأحمر

انتهى ما تعلق به الغرض من هذا التأليف المُلوكى ، وقد أتيت به بحروفه

(١) يريد إذا جلس فى ندى قومه محتبيا على عادة العرب ، كان على رأسه تاج الفخار والرياسة والشرف .

(٢) التكملة عن نفح الطيب .

من أوله إلى هذا الموضع ، وتتبعه يطول ، ولكنى أنتقى منه نُبذة زائدة على ما سبق ، من مواضع شتى ، فنقول :

في مدح الغني بالله وتجديد الدولة الأحمدية

قال المؤلف رحمه الله : ومن ذلك[1] أثناء ، وجّهه مولانا الجد رحمه الله لتجديد الدولة الأحمدية[2] ، صدر عام تسعة وثمانين وسبع مئة :

هَبَّ النسيمُ على الرياض مع السَّحَرْ ... فاستيقظتْ فى الدَّوْح أجفانُ الزَّهَرْ

ورمَى القَضيبُ دَراهماً مِن نَوْره ... فاعتاض من طَلِّ الغمام بها دُرَر

نَثَرَ الأزاهرَ بعد ما نظم النَّدى ... يا حُسْنَ ما نَظَم النسيمُ وما نَثَر

قُمْ هاتِها والجوُّ أزهرُ باسمٌ ... شَمْساً تحُلُّ من الزجاجة فى قَمَر

إنْ شَجَّها بالماء كفُّ مُديرها ... تَرميهِ من شُهُب الحَباب بها شَرَر

ناريّة نُوريّة من ضـــــوئها ... يَقِدُ[3] السِّراجُ لنا إذا الليلُ اعتكر

[٢٠٤] لم يُبْقِ منها الدهرُ إلا صِبْغةً ... قدأُرعِشَتْ فى الكأس من ضَعْف الكِبَر

من عهد كِسْرى لم يُفَضَّ خِتامها ... إذ كان يَذخَرُ كَنزَها فيا ذَخَر

كانت مُذابَ التِّبْر فيما قد مضى ... فأحالها ذَوبَ اللُّجَين لِمَنْ نظر

جَدِّدْ بها عُرْسَ الصَّبُوح[4] فإنها ... بِكرٌ تُحيِّيها الكرامُ مع البُكَر

وابلُل بها رِيقَ[5] الأصيلِ عَشيّة ... والشمس من وَعْد الغروب على خَطَر

---

(١) يريد : من شعر ابن زمرك فى سلطانه الغنى بالله .

(٢) تولى أبو العباس أحمد بن أبى سالم المرينى سلطنة المغرب الأقصى مرتين ، بمساعدة الغنى بالله بن الأحمر ملك غرناطة ، الأولى من سنة ٧٧٦ إلى سنة ٧٨٦ ؛ والثانية من سنة ٧٨٩ إلى سنة ٧٩٦ وهذه هى المشار إليها هنا . (انظر الاستقصا للسلاوى) .

(٣) فى نفح الطيب : « قدح » .

(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « العروس » .

(٥) فى نفح الطيب : « رتق » . وهو تحريف .

مُحمرَّةٌ مُصفرَّةٌ قــــد أظهرتْ | خَجَلَ المُريبِ يشوبه وَجَلُ الحَذِرْ
من كفِّ شــــادٍ تَجسَّد نورُه | من جوهرٍ لألاءِ بَهْجته[1] بَهَرْ
تَهوَى البــدورُ كمالَه وتودُّ أن | لو أوتيتْ منه المحاسنَ والغُرر
قد خطَّ نونَ عِــذارِه فى خدِّه | قلمانِ من آسٍ هنــاك ومن شَعَر
وأتى عليك بها الكئوسَ وربَّما | يَســقيك من كأسِ الفُتورِ إذا فَتَر
سُكْرُ النَّدامَى من يدَيْه ولحظه | مُتعاقِبٌ مهما سَقَى وإذا نظر
حيث الهَديلُ مع الهدير تناغيا | فالطيرُ تشــدو فى الغصون بلا وَتَر
والقُضْبُ مالت للعِناق كأنها | وَفْدُ الأحبّــة قادمين من السَّفَر
مُتلاعباتٍ فى الحُلَى يَنوب فى | وجناتهن الوَرْدُ حُسْــنًا عن خَفَر
والنَّرجسِ المَطلولُ يَرنُو نحوها | بلواحظٍ دمعُ النَّــدَى منها انهمر
والنهر مَصقولُ الحُسام متى يَرِد | درعَ الغديرِ مُصفَّقًا فيه [صَدَر][2]
يَجرِى على الحَصْــباء وهى جواهرٌ | مُتكسِّرًا منْ فوقها مهما عَثَر
هل هذه أم روضــة البُشرَى التى | فيها لأربابِ البصائرِ مُعتَــبَر
لم أدرِ مِن شَغَفٍ بها وبهــذه | مَنْ منهما فَتَن القــلوب ومن سَحَر
جاءت بها الأجفانُ[3] مِلْءَ ضلوعها | مِلْءَ الخواطرِ والمَسامِعِ والبَصَر
ومُسافِرٍ فى البحرِ مِلْءَ عِنانه | وأتَى مع الفتحِ المُبين على قَدَر
قادته نحوك بالخِطامِ كأنه | جَمَلٌ يُساق إلى القِيادِ وقد نفر
وأراه دينُ اللهِ عِزَّةَ أهــــله | بك يا أعفَّ القادرين إذا قَدَر

(١) فى نفح الطيب : « مهجته » .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) يريد بالأجفان : المراكب ؛ الواحد : جفن . وهى كلمة أندلسية ، ذكرها دوزى بهذا المعنى فى تكملة المعاجم العربية .

[٢٠٠]

يا فخرَ أندلس وعصمة أهلها ... لله سِرٌّ فى اختصاصك قد ظهرْ
كم مُعْضِل من دائِهـــا عالجتَه ... فشفيتَ منــــه بالبدار وبالبدَر
ما ذا عسى يصف البَليغُ خليفةً ... والله مَا أيامُـــــه إلا غُرَر
وُرِّثْتَ هذا الفخرَ يا ملِكَ الهُدى ... عن كل مَنْ آوى النبيَّ ومَنْ نصر
من شاء يعرفُ فخرهم وكمالَم ... فلْيتلُ وحْىَ الله فيهم والسِّيَر
أبناؤُم أبناء نصرٍ بَعـــدَهُمْ ... بسيوفهم دينُ الإله قد انتصر
مولاىَ سعدُك والصباحُ تَشابها ... وكلاهما فى الخافقَين قد اشتهر
هذا وزير الغَرْب عَبْـــدٌ آبِق ... لم يُلْفِ غيرَك فى الشدائد مِنْ وَزَر[1]
كَفَر الذى أوليتَه من نعمــةٍ ... والله قد حَتَم العـــذاب لمن كفر
إن لم يَمُت بالسيف مات بغيظه ... وصَــلِى سعيراً للتأسف والفِكَر[2]
ركب الفرار مَطيّةً ينجو بهـا ... فجَرَتْ به حتى استقر على سَقَر
وكذا أبو حَمُّو وكان حِمامـــه ... قد حُمَّ وهو من الحياة على غَرر[3]
بَلَّغتَه — واللهُ أكبرُ شاهدٌ — ... ما شاء من وطن يَعِزّ ومن وَطَر
حتى إذا جحدَ الذى أوليتَه ... لم تُبْقِ منــــه الحادثاتُ ولم تَذَر
فى حاله والله أعظمُ عــــبْرةٍ ... لله عَبْــــد فى القضاء قد اعتبر
فاصْــــبِر تَنَلْ أمثالَها فى مثله ... إنّ العواقب فى الأمور لمن صــبَر
رِدْحيث شئت مُسَوَّغا وِردَ المُنَى ... فالله حسبُك فى الوُرود وفى الصَّدَر

---

(١) يريد : الوزير لسان الدين بن الخطيب .

(٢) يشير إلى ما جرى على الوزير ابن الخطيب من الخنق ثم الحرق .

(٣) هو : أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى سلطان المغرب الأوسط ، من بنى عبد الواد ، وكان بينه وبين ملوك المغرب الأقصى من المرينيين محاذبات وحروب كثيرة فصلها ابن خلدون فى تاريخه ، والسلاوى فى الاستقصا .

لا زالتَ محروساً بعين كلاءة ... مادام عينُ الشمس تُعشِى مَن نَظَرْ

ومنها، وقد أضاف إلى ذلك من التغزل طوعَ بداره، وحُجَّةَ اقتداره، فقال:

والعودُ فى كفِّ النديم يسرّ ما ... تُلقِى لنا منه الأناملُ قد جَهَرْ
غنَّى عليه الطيرُ وهو بدَوْحه ... والآنَ غنَّى فوقه طَيٌّ أغرّ
عُود ثَوَى حِجْرَ القضيب رَعَى له ... أيام كانا فى الرياض مع الشَّجَر
لاسيما لما رأى من ثغره ... زهراً وأين الزَّهر من تلك الدُّرَر!
ويظُن أنّ عِذارَه من آسِه ... ويظنّ تُفّاحَ الخُدود من الثَّمَر
يَسْبِى القلوبَ بلفظه وبلَحْظه ... [وافتنِّه] [1] بين التكلّم والنظر
قد قيّدَته لأنسنا أوتارُه ... كالظبى قُيِّد فى الكِناس إذا نَفَر [٢٠٦]
لم يُبْلِ قلبى قبلَ سَمْع غنائه ... بمُعَذِّر سَلَب العقولَ وما اعتذر
جَسَّ القلوبَ بجَسّه أوتارَه ... حتى كأنْ قلوبنا بين الوَتَر
نَمّتْ لنا الحانُه بجميع ما ... قد أودعتْ فيه القلوبُ من الفِكَر [2]
يا صامتاً والعودُ تحت بَنانه ... يُغْنيك نُطْقُ الخُبْر فيه عن الخَبَر
أغنَى غِناؤكَ عن مُدامِك يا تُرى ... هل من لحاظك أم بنانك ذا السَّكَر
باحتْ أناملُكَ اللِّدانُ بكلّ ما ... كان المُتَيَّمُ فى هواه قد سَتَر
ومُقاتِلٍ ما سَلَّ غير لحاظه ... والرمحُ هزٌّ من القَوام إذا خَطَر
دانت له منّا القلوب بطاعة ... والسيف يَملكُ ربُّه فيمن قَهَر [3]

ثم قال بعد إيراد جملة من كلامه:

في شكر السلطان لنعمة وصلته فى عاشوراء

وقال شاكراً لنعمة وصلته من مولانا رحمة الله عليه فى عاشوراء:

---

(١) تكملة عن نفح الطيب.
(٢) ورد هذا البيت فى الأصل محرفا ومحذوف بعض الكلمات. وقد أثبتناه عن نفح الطيب.
(٣) فى نفح الطيب: « مهما قهر ».

مولاىَ يا بْنَ السابقين إلى العُلا ... والرافعين لواءها المنشُورَا

إن لوحِقُوا[1] فى المَلُوات[2] فإنهم ... طلَعوا بآفاق العَلاء بُدورا

أو فُوخِروا فى المكْرُمات فإنهم ... نَظَمُوا بأسلاك الفخار شُذورا

أبناء أنصار النبىّ وصحبه ... فى الذكر أصبح فخرُهم مذكورا

والمؤثرين ورُبَّما أنَّى بهــا ... فى الحشر خُلِّد وَصْفُهُمْ مَسْطورا[3]

فاضت علينا من نَداك غمائمٌ ... وتفجرتْ مِن راحتَيْك بُحورا

مِن كفِّ شَفّافِ الضياء تخالُهُ ... لصفاء جوهره تَجَسَّد نُورا

نِعَمٌ مُنوَّعــة تــدّد وَفْرها ... أعجزتَ عنها شُكْرَىَ الموفورا

فى مَوْسِمٍ للدِّين قد جــدّدته ... وأقمْتَ فينا عيــدَه المشهورا

أضْعافَ ما أهديتنا[4] من منَّة ... تُهْدَى إليك ثوابُها عاشورا

وعلى الطريق بشائرٌ محمودة ... أَلقاكَ جَذْلاناً بهــا مسرورا

ثم قال : ومن لفظه فى وصف القرنفل الصعْب الاجتناء بجبل الفتح ، وقد وقَع له مولانا الغنى بالله بذلك ، فارتجل قطعاً ، منها :

ف وصف قرنفل بجبل الفتح

أتونى بنوَّارٍ يَروق نَضارَةً ... كخد الذى أهوى وطيب تنفّسُه

[٢٥٧] وجاءوا به من شاهق مُتمنِّع ... تَمنُّعَ ذاك الظَّبى فى ظِل مَكْنِسه

رعى الله منّى عاشِقاً متقنِّعاً ... بزَهْرٍ حكَى فى الحُسن خدّ مُؤَنِّسه

---

(١) كذا فى (ط) وفى نفح الطيب « : لوحظوا » .

(٢) الملوات : جمع ملوة (كمكرمة) . يريد بها المعالى ، ولم نجد الملوة (بوزن مكرمة) فى المعاجم التى بين أيدينا .

(٣) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الحشر فى مدح أنصار النبي : (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

(٤) فى النسخة المخطوطة من نفح الطيب المحفوظة بدار الكتب (برقم ٣٦٠) : «حملتنا»

وإن هبَّ خفّاق النسيم بنفحة حكت عرفه طيباً قضى بتأنُّسه

ومنها :

رعى الله زهراً ينتمي لقرنفُل حكى عرفَ من أهوى وإشراقَ خدّه
ومنبته في شاهقٍ متمنّعٍ كما امتنع المحبوب في تيه صدّه
أميلُ إذا الأغصانُ مالتْ بروضة أعانق منها القضْبَ شوقاً لقدّه
وأهفو لخفّاق النسيم إذا سرَى وأهوى أريجَ الطيب من عرف ندّه

ومنها :

يقرُّ بعيني أن أرى الزهر يانعاً وقد نازعَ المحبوبَ في الحسن وصفَهُ
وما أبصرتْ عيني كزهر قرنفُلٍ حكى خدّ من يَسْبي الفؤاد وعرفَه
تمنّع في أعلى الهضاب لمجتنٍ تمنُّعَه مني إذا رُمْتُ إلفَه
وفي جَبل الفتح اجتنوه تفاؤلا بفتح لباب الوصْل يمنح عطفَه
وما ضرّ ذاك الغصْنَ وهو مُرنّحٌ إذا ما ثنى نحو المتيّم عِطفَه[1]

في تهنئة مولاه بوصـول القائد خالد من تلمسان

ثم قال : ومن قصائده التي يودُّ الصَّباح سناها ، والنسيم اللّدْن رقّة معناها ، يهنّئ مولانا الجد رضي الله عنه ، عند وصول خالصة مقامه ، وكبير خدّامه ، القائد خالد ، رحمه الله تعالى ، من تلمسان بالهديه ، وتجديد المقاصد الوديه ، ووافق استئناف راحة من الذات العليّه ، ومن بعض فروع دوحتها الزكيّه :

أدِرْها ثلاثاً من لحاظك واحبس فقد غالَ منها السُّكرُ أبناءَ مجلسِ
إذا ما نهاني الشَّيبُ عن أكؤسِ الطِّلا تُديرُ عليَّ الخمرَ منها بأكؤسِ
عذيريَ من لحظٍ ضعيف وقد غدا يحكّمُ منّا في جسوم وأنفسِ

(١) هذا البيت عن نفح الطيب .

وروض شباب ماس غُصْنُ قَوامه ... وفتّح فيــه اللحظُ أزهارَ نَرجس

وما زال وَرْد الخدّ وهو مُضعّف ... يُعير أقاحَ الثغر طيبَ تنفّس

وكم جال طَرْف الطَّرف في روض حُسْنه ... يُقيّدُهُ فيـــه العذارُ بسُنْدس

أما ولياليِ الوَصْل في رَوضة الصِّبا ... ومألَف أحبـابى وعَهد تأنّسى

لئن نَسيتْ تلك العهودَ أحبّتى ... فقلبى عهودَ العـامرية ما نسى

[٢٠٨] وحاشا لنفسى بعد ما افترّ فَوْدُها ... من الشَّيب عن صُبْح به مُتَنَفَّس

وألبَسهـا ثوبَ الوَقار خليفةٌ ... [به لَبس الإسلامُ أشرفَ مَلْبَس][1]

وجدّد للفتح المُبين مَواسمًا ... أقام بهـا الإيمانُ أفراحَ مُعْرِس

وأوْرَثه العَلْياء كلُّ خليفة ... نَماهُ إلى الأنصار كلُّ مُقدَّس

فيا زاجرَ الأظعان وهى ضَوامرٌ ... بغير الفَلا والوحش لم تتأنّس

إذا جئتَ من دار الغَنيّ برَبّه ... مُناخ العُلا والعزّ فانزل[2] وعَرِّس

فإن شئتَ من بحر السّماحة فاغترف ... وإن شئتَ من نُور الهداية فاقبس

أمولاىَ والى السعدُ منك ولاية[3] ... أنارتْ بها الأكوانَ جَذْوة مُقْبس

إذا شئتَ أن ترمى القَصيَّ من المُنى ... تدورُ لك الأفلاكُ مرفوعة القِسى

فتَرمى بسهم من سُعودك صائب ... سديدٍ لأغراض الأمانى مُقَرْطِس[4]

أهنّيك بالإبلال ممن شفاؤه ... شفاؤك فاسكر مَن تُلاقِ وقَدِّس

ودَعْنى أرِد يُمناكَ فهى غَمامة ... تُبَجَّل صوبَ العارض المُتبجِّس[5]

---

(١) التكملة عن نفح الطيب .

(٢) فى نفح الطيب : « فاعقل » .

(٣) رواية هذا الشطر فى نفح الطيب : « أمولاى إن السعد منك لآية » .

(٤) يقال : رمى فقرطس ، إذا أصاب الغرض .

(٥) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . والمتبجس : السحاب المنهمر .

أُقبّلُ منها راحةً إثْرَ راحــةٍ ... أتتك بها الرُّكْبان من بَيْت مَقْدسِ
ومَن نَسَبَ الفتحَ المُبينَ وِلادةً ... إليـــه بغير الفخر لم يتأسّس[1]
فيأيهـــــا المولى الذى بكماله ... خلائفُ هذا العصر فى الفخْر تأتَسى
[لآمنتَ[2]] موسى[3] من عوادى سَمِيِّه ... ولولاك لم يبرح بِخِيفة مُوجِسِ
بعثتَ بميمون النَّقيبة ، فى اسمه ... خُـلودٌ لعزٍّ ثابتٍ متأسس
فجاءك بالمال العريض هَـديَّةً ... بها الدينُ أثوابَ المسرّة يكتسى
وشَفّعها بالصافنات كأنهـــا ... وقد راق مَرْآها جآذر مَـكْنِس
تَنُصُّ من الإشراف جِيدَ غَزالة ... وتَرْنو من الإيجاس عن لحظ أشوس
لك الخيرُ، موسى مثلُ موسى كلاهما ... بغير شِــعار الوُدِّ لم يتلبَّس
فلا زِلْتَ فى ظِل النّعيم وكلٌّ من ... يعاديك لا ينفكُّ يَشْقَى بأبؤس
عليكَ سـلامٌ مثل حمدك عاطرٌ ... تنفَّس وجه الصبح عنه بمعْطِس

فى مولد عام خمسة وستين

ثم قال بعد ذكر كثير من نظمه و بعض ميلادياته :

وأنشد فى مولد عام خمسة وستين :

لعلَّ الصَّبا إن صافحت رَوض نَعمانِ ... تُؤَدِّى أمان القلب عن ظَبية البانِ
وماذا على الأرواحِ وهى طَلِيقة ... لو احتملتْ أنفاسُها حاجَة العانى
وما حالُ من يستودعُ الريحَ سرَّه ... ويطلبها وهْىَ النَّموم بكِتمان
وكالطيفِ أستقرِيه فى سِنَة الكَرى ... وهل تنقَع الأحلامُ غُلّة ظمآن

[٢٠٩]

(١) أى لم يقم دعواه على أساس .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) موسى : هو موسى بن أبى عنان بن أبى الحسن المرينى ، قامت له دولة بالمغرب الأقصى بمساعدة ابن الأحمر من سنة ٧٨٦ إلى سنة ٧٨٨ هـ . أما سميه فلعله يقصد به أبا حمو موسى بن يوسف الزيانى من بنى عبد الواد ، سلطان المغرب الأوسط ، وكان كثير الشغب على ملوك المغرب الأقصى .

أسائلُ عن نجد وسَرْحَى صَبابتي ... مَلاعب غزلانِ الصَّريم بنَعمانِ
وأبدي إذا ريح الشمال تنفَّستْ ... شمائلَ مُرتاحِ المَعاطف نشوانِ
عُرفتُ بهذا الحبِّ لم أدرِ سَلوة ... وأنَّى لمسلوب الفؤاد بسُلوانِ
فيا صاحبيْ نجواي والحبُّ غاية ... فمِنْ سابقٍ جَلَّى مَداه ومن وانِي
وراءكما ما اللوم يَثْني مَقادتي ... فإنِّيَ عن شان المَلامة في شانِ
وإنِّي وإن كنتُ الأبيَّ قيادُه ... ليأمُرني حُبُّ الحِسان ويَنهاني
ولا زلتُ أرعى العهدَ فيمن يُضيعه ... وأذكر إلفي ما حييت وينساني
فلا تُنكرا ما سامني مَضَضُ الهوى ... فمِنْ قبلُ قد أودى بقيس وغَيلانِ[1]
لِيَ اللهُ إمّا أومض البرقُ في الدُّجى ... أُقلِّب تحت الليل مُقلة وَسنانِ
وإن سُلَّ من غِمد الغَمام حُسامُه ... يَرى كبدي الشوقُ المُلِمُّ وأضناني
تراءى بأعلام الثَّنيّـــــةِ باسماً ... فأذكرني العهدَ القديمَ وأبكاني
أُسامِرُ نجمَ الأفق حتى كأننا ... وقد سَدلَ الليلُ الرِّواقَ حليفانِ
ومِمّا أُناجي الأفْقَ أُعديه بالجوى ... فأرعى له سَرْحَ النجوم ويرعاني
ويُرسلُ صوبَ القطرِ من فيض أدمُعي ... ويَقدح زَندُ البَرقِ من نار أشجاني
وضاعف وجدي رَسْمُ دارٍ عهِدتُها ... مَطالعَ شُهبٍ أو مَراتعَ غِزلانِ
على حينِ شِربُ الوصل غيرُ مصرَّدٍ ... وصفوُ الليالي لم يُكدَّر بهجرانِ
لئن كَدَّرت عيني الطُّلولُ فإنها ... نَمَتْ إلى قلبي بذكرٍ وعِرفانِ
ولم أرَ مثلَ الدمع في عَرَصاتها ... سَقَى تُربَها حينَ استهلَّ وأظماني
ومماشَجاني أن سَرى الركبُ مَوْهِناً ... تُقاد به هُوجُ الرِّياح بأرسانِ
عَوارِبَ في بحر السَّراب تخالُها ... وقد سَبحت فيه مَواخِرَ غُربانِ

---

(١) قيس: المراد به قيس بن الملوح مجنون بني عامر. وغيلان: ذو الرمة الشاعر.

على كل نِضْو مثلِه فكأنما ... رَمَى منهما صدرَ المَفازة سَهمانِ
ومِن زاجرٍ كَوْماء مُخْطَفة الحشى ... تَوَسَّد منها فوقَ عَوجاء مِرْنان
نَشاوَى غَرامٍ يَسْتميل رءوسَهمْ ... من النوم والشوق المبرِّح سُكْران
أجابوا نداء البين طَوعَ غرامِهم ... وقد تُبْلِـغُ الأوطارَ فُرقةُ أوطان
يَؤُمُّون مِن قبر الشفيعِ مثابةً ... تَطَلَّعُ منها جنةٌ ذاتُ أفنان
إذا نزلوا من طَيبة بجواره ... فأكرمُ مَولًى ضَمَّ أكرم ضِيفان [٢٦٠]
[بحيثُ عَلا الإيمانُ وامتد ظلّه ... وزان حِلَى التوحيد تعطيلُ أوثان] [١]
مَطالعُ آياتٍ مَثابةُ رحمـــةٍ ... مَعاهدُ أملاكٍ مَظاهر إيمان
هنالك تصفو للقَبول موارد ... يُسَقَّون منها فَضلَ عفو وغُفران
هناكَ تُؤدَّى للســـلام أمانة ... يُحييهمُ عنها برَوْح وريحان
يُناجون عن قُربٍ شفيعَهم الذى ... يُؤمله القاصِى من الخلق والدّانى
لئن بلغُوا دُونِى وخُلِّفْتُ إنه ... قَضاءٌ جرى من مالك الأمر ديَّان
وكم عَزْمةٍ مَنيْتُ نفسىَ صَرْفها ... وقد عرَفَتْ منى مَواعدَ ليَّان [٢]
إلى الله نشكوها نفوساً أبِيَّة [٣] ... تَحيد عن الباقى وتغترُّ بالفانى
ألا ليتَ شِعرى هل تُساعدُنى المُنَى ... فأتركَ أهلى فى رِضاه وجيرانى
وأقضِى لُباناتِ الفؤاد بأن أرى ... أُعفِّر خدِّى فى ثَراه وأجفانى
إليكَ رسولَ الله دَعوةَ نازحٍ ... خَفُوقِ الحَشَى رهنِ المطامع هَيْمان
غريبٍ بأقصى الغَرب قيَّدَ خَطْوَه ... شَبابٌ تَقَضَّى فى مَراحٍ وخُسران

---

(١) هذا البيت عن نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٥ طبعة الأزهرية) .
(٢) الليان (بكسر اللام وفتحها) : المطل .
(٣) كذا فى نفح الطيب . يصف النفوس بالجموح والامتناع . والذى فى الأصل : « أبة » . ولا معنى لها .

يُجِدُّ اشتياقاً للعقيق وبانِه ... ويَصبو إليها ما استجدَّ الجديدانِ
وإنْ أومض البَرْقُ الحِجازىّ مَوْهِناً[(١)] ... يُرَدِّدُ فى الظَّلماء أنَّة لَهْفانِ
فيامُولِىَ الرُّحْمى ويا مُذْهِب العَمى ... ويامُنجِد الغَرْقَى ويامُنقِذَ العانى
بسطتُ يدَ المحتاج ياخيرَ راحم ... وذنبىَ ألجانى[(٢)] إلى موقف الجانى
وَسيلتىَ العُظمى شفاعَتُك التى ... يلوذ بها عيسى وموسى بن عِمران
فأنت حبيبُ الله خاتَم رُسْله ... وأكرمُ مخصوصٍ بزُلْفَى ورِضوان
وحَسْبُك أن سَمّاك أسماءه العُلا ... وذاك كمال لا يُشاب بنُقْصان
وأنت لهذا الكون عِلّة كَوْنِه ... ولولاك ما امتاز الوجود بأكوان
ولولاك للأفلاك لم تَجْلُ نَيِّراً ... ولا قُلِّدَتْ [لَبّاتُهُنّ بشُهْبان][(٣)]
خُلاصة صَفْو المَجْد[(٤)] من آل هاشم ... ونُكتة سِرِّ الفخر من آل عَدْنانِ
وسيّد هذا الخَلق من نسلِ آدمٍ ... وأكرم مبعوثٍ إلى الإنسِ والجان
وكم آيةٍ أطلعْتَ فى أُفُق الهُدى ... يَبِين صباح الرشد فيها ليَقظان
وما الشمسُ يَجلوها النهارُ لُمبصرٍ ... بأجلَى ظهوراً أو بأوضح برهانِ
وأكْرِمْ بآياتٍ تَحَدَّيْتَنا بها ... ولا مِثْل آيات لمحكم فُرقان
وماذا عسى يُثْنِى البليغُ وقد أتى ... ثناؤك فى وَحىٍ قديم[(٥)] وقرآن
[٢٦١] فصلَّى عليك اللهُ ما انسكب[(٦)] الحيا ... وما سَجعَتْ وَرْقاء فى غُصُنِ البان

---

(١) الموهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه .
(٢) ألجانى : يريد : « ألجأنى » بالهمز ، فسهل للشعر .
(٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « الحلق » ، ويستقيم المعنى بهذا أيضا ، غير أن ما أثبتناه يلائم الشطر الثانى من البيت .
(٥) فى نفح الطيب : « كريم » .
(٦) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل : « انسبك » ، ولعله تبديل من الناسخ .

وأيّد مولانا ابنَ نصر فإنه | لأشرفُ مَنْ يُنْمَى لمُلْك وسُلطان
أقام — كما يُرضيك — مولكَ الذى | به سَفَرَ الإسلام عن وجه جَذْلان
سَمِيُّ رسول الله ناصر دينه | مُعظِّمُه فى حال سرٍّ وإعلان
ووارثُ سرِّ المجد من آل خَزْرجٍ | وأَكْرِمْ من تَنْمي قبائلُ قحطان
ومُرْسِلُها ملءَ الفضاء كتائباً | تَدينُ لها غُلْبُ الملوك بإذعان
حدائقُ خُضْرٌ والدُّروعُ[1] غدائرٌ | وما أنبتت إلا ذَوابلَ مُرَّان
تَجاوبُ فيها الصاهلاتُ وتَرْتمى | جوانبها بالأُسْد مِنْ فوق عِقْبان
فَمِن كل خَوَّار العِنانِ قد ارتَمى | به كلُّ مطْعام العشيّات مِطْعان
ومَوْرِدِها ظَمْآى الكُعوبِ ذوابلا | ومُصْدِرها من كل أملدَ رَيّان
ولله منها والرُّبوعُ مَواحِلٌ | غمامُ ندًى كَفَّتْ به المَحْلَ كفّان
إذا أخلف الناسَ الغمامُ وأمحلوا | فإنَّ نداه والغمامَ لَسِيّان
إمامٌ أعادَ المُلْكَ بعــد ذَهابه | إعادةَ لا نابى الحُسام ولا وانى
فغادر أطلالَ الضَّلال دَوارسًا | وجدّد للإسلام أرفعَ بُنيان
وشَيَّدها والمجدُ يشهد دولةً | محافلُها تُزْهَى بِيُمْنٍ وإيمان
وراق منَ الثَّغر الغريب ابتسامُهُ | وهَزَّ له الإسلام أعطافَ مُزْدان
لك الخيرُ ما أسْنَى شمائلَكَ التى | يُقصِّر عن إدراكها كلُّ إنسان
ذَكاءُ إياس فى سَماحة حاتم | وإقدام عمرو فى بَلاغة سَحْبان
أمولايَ ما أسْنَى مَناقِبَكَ التى | هىَ الشُّهْبُ لا تُحْصَى بعدٍّ وحُسبان
فلا زلتَ يا غوث البلاد وأهلها | مُبلِّغَ أوطار مُمهِّــد أوطان

ثم قال بعدَ سَرْد ميلاديَّة، وأنشد ذلك فى مولد سنة سبع وستين وسبع مئة — فى مولد سنة سبع وستين وسبع مئة

وألم فى أُخرياتها بوصف المَشْوَر الأسْنَى، الرفيع المَبْنَى:

(١) كذا فى نفح الطيب. وفى الأصل: «والدموع». وهو تحريف.

[٢٦٢]

زار الخيال [بأيْمَنِ الزَّوراء] (١) فجلا سَناه غياهبَ الظلْماء
وسَرى مع النَّسمات يَسحب ذيله فأتتْ تَنِمّ بعَنْبَر وكِباء (٢)
هــذا وما شىء ألذّ من المُنَى إلا زيارته مــع الإغفاء
بِتْنا خَيالين الْتَحفنا بالضَّنَى والسُّقم ما نخشَى من الرُّقباء
حتى أفاق الصبح من غَمراته وتجاذبت أيدى النسيم ردائى
يا سائلى عن سِرّ من أحْببته السرُّ عنـــدى مَيِّتُ الأحياء
تالله ما أشكو المحبة والهوى لسوَى الأحبة أو أموتَ بدائى
يا زَين (٣) قَلْبى لستُ أبرح عانياً أرضَى بسُقمى فى الهوى وعَنائى
أبكى وما غيرُ النَّجيع مدامعى أذْكى ولا ضَرَمٌ سوى أحشائى
أهْفُو إذا تهفو البروق وأنْثَنِى لِسُرَى النواسِم من رُبا تَيْماء
بالله يا نَفس الحِمَى (٤) رِفقا بَمن أغْريته بتنفس الصُّعَداء
عجبًا لهُ يَنْدَى على كَبدى وقد أذكى بقلبى جَمْـــرةَ البُرَحاء
يا ســاكنى البطحاء أىُّ لُبانة لى عنــدكم يا ساكنى البَطحاء
أتُرَى النَّوى يوما تَخيبُ قِداحها ويفوزَ قِدْحى منكمُ بلقاء
فى حَيِّكم قَرُّ فؤادى أفْقُهُ تَفْديه نفسى من قريب نائى
لم تُنْسنى الأيامُ يومَ وَداعــه والرَّكبُ قــد أوْفَى على الزَّوراء
أبكى ويَبْسِم والمحاسنُ تُجْتَلَى فعلقْتُ بين تَبَسُّم وبُكاء
يا نظرة جادت بهــا أيدى النوى حتى استهلّت أدمُعى بدماء

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) الكِباء (بالكسر) : عود البخور ، أو ضرب منه .
(٣) فى النسختين المخطوطتين من نفح الطيب : « يادين » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . طبعة الأزهرية ، أى يا ريح الحمى . وفى ط : « يا ناسنا نسم الحمى » .

مَن لى بثانيةٍ تُنادى بالأَسَى : «فَذَكَ اتَّئِد أسْرَفْتَ فى الغُلَواء»[1]
ولَرُبَّ ليلٍ بالوِصال قطعتُه أجلو دُجاه بأوْجهِ النُّدماء
أنسَيْتُ فيه القلبَ عادةَ حِلمه وحَثَثْتُ فيه أَكْوُس السَّرّاء
وَجرَيْت فى طَلَق التصابى جامحا لا أنثنِى لمَقادةِ النُّصَحاء
أطوِى شَبابى للمشيب مَرَاحِلاً بِرَواحِلِ الإصباح والإمساء
يا ليتَ شعرى هل أرَى أطوِى إلى قَبْرِ الرسول صحائفَ البيداء
فتطيبَ فى تلك الربُوع مَدائحى ويطولَ فى ذاك المَقام ثَوائى
حيث النبوّة نورُها متألّق كالشمس تُزْهى فى سَنًى وسَناء
حيثُ الرسالة فى ثَنِيّة قُدْسها رَفَعتْ لِهَدْىِ الخلق خيْرَ لواء
حيثُ الضريحُ ضريحُ أكرمِ مُرسَلٍ فَخْرِ الوجود وشافعِ الشفعاء
المُصْطَفَى والمرتَضَى والمجْتَبَى والمُنْتَقَى من عُنصرِ العَلياء
خيرِ البرية مجتباها ذُخرِها ظِلِّ الإلٰه الوارفِ الأفياء
تاجِ الرّسالة خَتْمِها وقِوامِها وعمادِها السّامى على النُّظراء
لولاه للأفلاك ما لاحتْ بها شُهُبٌ تُنير دَياجيَ الظَّلْماء
ذو المعجزاتِ الغُرّ والآيِ الّتى أُكْبِرنَ عن عَدٍّ وعن إحصاء
وكَفاكَ رَدُّ الشمس بعْد غروبها وكفاكَ ما قد جاء فى الإسراء
والبدر شُقّ له وكَمْ من آيةٍ كأناملٍ جادت[2] بنَبْع الماء
وبليلة المِيلاد كم من رحمة نَشَر الإلٰهُ بها ومِن نَعماء
قد بَشَّر الرسْلُ الكرامُ ببعثه وتقدّم الكُهّانُ بالأنباء

[٢٦٣]

---

(١) هذا صدر بيت لأبى تمام ، وتمامه : «كم تعذلون وأنتم سجرائى» . وفى الديوان «اتئب أربيت» مكان : «اتئد أسرفت» . وهو بمعناه .

(٢) فى نفح الطيب : «جاءت» .

أَكْرِمْ بها بُشْرى على قَدَرٍ سَرَتْ ... فى الكون كالأرواح فى الأعضاء
أمسى بها الإسلام يُشْرِق نُورُه ... والكفر أصبحَ فاحمَ الأرجاء
هو آيةُ الله التى أنوارُها ... تجلو ظلام الشكّ أيَّ جـــلاء
والشمسُ لا تَخْفَى مَزِيَّةُ فضلها ... إلا على ذى المُقْلـــةِ العمياء
يا مصطفًى والكونُ لم تَعْلَق به ... من بعـدُ أيدى الخلقِ والإنشاء
يا مَظْهَر الحقِ الجلىّ ومطلعَ الـ ... ـنُّـور السنىّ السّافر [1] الأضواء
يا مَلْجأ الخَلْقِ الشّفيعَ فيهـــمُ ... يا رحمـــةَ الأموات والأحياء
يا آسِىَ المَرْضَى ومُنْتَجَع الرِّضا ... ومؤاسِىَ الأيتـــام والضُّعفاء
أشكو إليك وأنت خير مُؤَمَّل ... داء الذنوب وفى يديك دوائى
إنى مددتُ يدى إليك تَضَرُّعا ... حاشى وكلّا أن يخيب رجائى
إن كنتُ لم أُخْلِصْ إليك فإنّما ... خَلَصَت إليك محبتى وندائى
وبسعْد مولاى الإمام محمـــدٍ ... [تَعِدُ] الأمانى أن يُتاح لقائى
ظِلّ الإله على البـــلاد وأهلها ... فخر الملوك السّادة الخلفاء
غَوثُ [2] العباد ولَيْثُ مُشتجر القنا ... يومَ الطِّعان وفارج الغَمّاء
كالدهر فى سَطَواته وسَماحـــه ... تجرى صَباه بزَعْزع ورُخاء
رَقَّتْ سَجاياه وراقتْ مُجْتَلًى ... كالنهر وَسْطَ الرّوضـــة الفيحاء [3]
كالزَّهر فى إبراقه والبـــدر فى ... إشراقه والزُّهر فى الّلألاء
[٢٦٤] يا بْنَ الأُلَى إجمالهم [4] وجمالهم ... فَلَقُ الصباح وواكف الأنواء

(١) فى نفح الطيب : « الساطع » .
(٢) فى نفح الطيب : « غيث » .
(٣) فى م ونفح الطيب : « الغناء » .
(٤) إجمالهم ، أى توسعهم فى المعروف والإنعام . وفى البيت لف ونشر غير مرتبين .

أنصار دين الله حزب رسوله … والسابقين بحَلْبة العلياء

يا بن الخلائف من بنى نَصْر ومَنْ … حاطوا ذِمارَ المِـلّة السَّمحاء

من كل مَن تَقِف الملوكُ ببابه … يَسْتَمْطِرون سَحائب النَّعْماء

قوم إذا قادُوا الجيوشَ إلى الوَغَى … فالرُّعب رائدهم إلى الأعـداء

والعزُّ مَجْلوب بكل كَتيبة … والنَّصر معقود بكل لواء

يا وارثا عنها مَناقِبها التى … تسمو مَراقيها على الجَوْزاء

يا فخر أندلس وعصمة أهلها … يَجزيك عنها الله خَيْر جزاء

كم خُضْتَ طَوْعَ صلاحها من مَهْمَهٍ … لا تهتدى فيـه القَطا الماء

تَهْدِى بها حادى السُّرَى بعزائم … تُهدى نجوم الأفق فَضْلَ ضياء

فارفع لواء الفخر غـيرَ مُدافَع … واسْحبْ ذيول العِزّة القَعْساء

واهنأ بمَبْناك السعيد فإنه … كَهْفٌ ليوم مَشُورة وعطاء

لله منه هَالة قـد أصبحت … حَرَم العُفاة ومَصْرَع الأعـداء

تَنْتابُها طَيْرُ الرَّجاء فتَجْتنى … ثَمَرَ المُنَى من دَوْحة الآلاء

لله منـه قُبَّةٌ مَرْفُوعة … دون السماء تفوتُ لَحْظَ الرَّائى

راقَتْ بدائع وَشْيها فكأنَّها … وَشْىُ الربيع بمَسْقَط الأنداء[1]

عَظَّمتَ ميلادَ النبىِّ محمد … وشَفَعْتَه بالليـلة الغَرّاء

أحييتَ ليلك ساهرا فأفَدْتنا … قُوتَ القلوب بذلك الإحياء[2]

يأيُّها المَلِكُ الهُمام المُجتبَى … فاتتْ عُلاك مَدارِكَ العُقَلاء

مَنْ لى بأن أُحْصِى مَنَاقِبكَ التى[3] … ضاقتْ بهن مَذاهب الفُصَحاء[4]

(١) فى م: «الأنواء».
(٢) فى هذا البيت تورية بكتابى: «قوت القلوب لأبى طالب المكى» و«الإحياء للغزالى»، وكلاهما فى التصوف.
(٣) كذا فى م ونفح الطيب. وفى ط: «... أحصى مدائحك التى».
(٤) كذا فى نفح الطيب. وفى ط: «طرفت بهن مدائح الفضلاء».

وإليكَ منى رَوْضـةً مطْلُولةً أرجتْ أزاهرُها بطيب ثَنَاء

فافْسحْ لها أكنافَ صَفْحِك إنها بِكْرٌ أتتْ تمْشِى على استحياء

ما أنشده فى مولد عام ثمانية وستين

قال : وأنشد من ذلك فى مولد عام ثمانية وستين ، وقد كان مولانا رضى الله عنه أبى أن يُرْسَل العِنان فى مدح مقامه ، مبالغة فى توقير جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم وإعظامه ؛ فلهذا القصد الأدبىّ الكريم أتى من المدح[1] السلطانىّ [٢٦٥] فى آخرها الملتمح القريب ، واكتفى من القلادة بما أحاط بالتريب[2] ؛ ومَدَّ القولَ فى ذكر الرسول وعجائب مجده ، حسبما اقتضاه الاختيار من مولانا كافأ الله جميلَ قصده ، آمين :

هذا الصَّباحُ صَباحُ الشَّيْب قد وضَحا سَرْعانَ ما كان ليلاً فاستنار ضُحَى

للدهر لَوْنان من نُورٍ ومن غَسَقٍ هذا يُعاقِب هـذا كُلّما بَرِحا

وتلك صِبْغَتُه أعْدَى[3] بَنيه بها إذا تراخَى مَجالُ العُمر وانفسحا

ما يُنكِرُ المرء من نورٍ جَلاَ غَسَقاً[4] ما لم يكن لأمانى النفس مُطَّرِحا

إذا رأيتَ بروقَ الشيبِ قد بسمت[5] بمَفرِقٍ فمُحيّا العيش قد كَلَحا

يَلقى المشيبَ بإجلالٍ وتَكْرِمَةٍ مَنْ قد أعدَّ من الأعمال ما صَلَحا

أمّا ومِثْـلِىَ لم يَبرحْ بِعلّته مِنَ النسيم عليـلٌ كلّما نَفَحا

والبرقُ ما لاح فى الظَّلْماء مُبْتَسِما من جانب السَّفْح إلا دَمْعُه سَفَحا

فما له برقيب الشيب من قِبَـلٍ من بعد ما لام فى شأن الهوَى ولَحَا

(١) كذا فى م . وفى ط : « بالمدح » .

(٢) التريب واحد الترائب . وهى ما يلى الترقوتين من عظام الصدر ؛ يشير إلى المثل المعروف : « يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق » . والذى فى الأصلين : « بالترتيب » وهو تحريف .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « أهدى » .

(٤) الغسق : ظلمة أول الليل .

(٥) كذا فى م . وفى ط : « لمعت » .

يأبى وفائى أن أصغى للائمة ... وأن أطيع عذولى غشّ أو نصحا
يأهل نجد سقى الوسمىّ ربعكمُ ... غيثاً يُبلّ غليل التُّرْبِ ما اقترحا[1]
ما للفؤاد إذا هبّت يمانية ... تُهديه أنفاسُها الأشجان والبرحا
يا حبّذا نسمةٌ من أرضكم نفحت ... وحبّذا زربٌ من جوِّكم سنحا
يا جيرةً تعرِف الأحياء جودهمُ ... ما ضرَّ من ضنَّ بالإحسان لو سمحا
ما شِمْتُ بارقةً من جو كاظمة[2] ... إلا وبتُّ لزند الشوق مقتدحا
فى ذمّة الله قلبى ما أعلّله ... بالقرب إلا وعاد القرب منتزحا
كم ليلةٍ والدُّجى راعت جوانبها ... قلبَ الجبان فما ينفك مطّرحا
سريتُها ونجومُ الأفق فيه طفت ... جواهراً وعُباب الليل قد طفحا
بسابحٍ أهتدى ليلا بغرّته ... والبدرُ فى لُجّة الظلماء قد سبحا
والسُّحْب تنثر درَّ الدمع من فَرَقٍ ... والجوّ يخلع من برق الدُّجى وُشُحا
ما طالبت همّتى دهرى بمأمولة[3] ... إلّا بلغتُ من الأيام مقترحا
ولا أدرتُ كؤوس العزم مغتبقاً ... إلا أدرتُ كؤوس العز مصطبحا
هذا وكلّ الذى قد نلتُ من أمل ... مثل الخيال تراءى ثمّت انتزحا[4] [٢٦٦]
كم يكدح المرء لا يدرى منيّته ... أليس كلّ امرئ يُجزى بما كدحا
وارحمتا لشبابى ضاع أطيبه ... فما فرحت به قد عاد لى ترحا
أليس أيامنا اللاتى سلفن لنا ... منازلاً أعملت فيها الخطا مرحا

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « عيشا يحل غليل الثوب ما اقترحا » وهو تحريف .
(٢) كاظمة : موضع على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وبها ركايا كثيرة وماؤها شروب . وقد أكثر الشعراء من ذكرها .
(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٣٩) من هذا الجزء .
(٤) كذا فى م . وفى ط :
هذا وكل الذى أملت من أمل ... مثل الخيال تراه ثمت انتزحا

إنّا إلى اللهِ ، ما أولَى المتابَ بنا[1] ... لو أنّ قلبا إلى التوفيق قد جَنَحا

الحقُّ أبلجُ والمَنجاةُ عن كَثَبٍ ... والأمرُ للهِ والعُقْبى لمن صَلَحَا

يا وَيحَ نفسٍ توَانت عَنْ مَراشدها ... وطرْفُها فى عِنان الغَىّ قد جَمَحا

ترجو الخلاصَ ولم تَنهجْ مسالكَها ... من باع رُشـداً بغىّ قلّما رَبحا

يارَبِّ صفْحَكَ يَرْجو كلُّ مُقتَرِفٍ ... فأنت أكرمُ مَنْ يَعفو ومن صفَحا

يارَبِّ لا سبَبٌ أرجو الخَلاصَ به ... إلا الرسولَ والطفاً منك إنْ نَفَحا

فمـا لجأتُ له فى دَفْعِ مُعضِـلةٍ ... إلا وجدتُ جَنابَ اللُّطْفِ مُنْفَسِحا

ولا تضايقَ أمرٌ فاستجرتُ به ... إلا تَفرّجَ باب الضِّيق وانفتحا

ياهَلْ تُبَلِّغُنى مَثواه ناجيـةٌ ... تَطْوِى بِىَ القَفْرَ مهما امتدَّ وانفَسَحَا

حيثُ الرُّبوعُ بنورِ الوحْىِ آهـلةٌ ... مَنْ حلَّها احتسبَ الآمالَ مُقْتَرَحا

حيثُ الرسالةُ تجلو من عَجائبها ... مِنَ الجَمال بِنُورِ اللهِ مُتَّضِحا[2]

حيثُ النبوةُ تتـلو مِنْ غرائبها ... ذِكراً يغادرُ صَدْرَ الدين مُنْشرِحا

حيثُ الضريحُ بما قد ضمّ من كرَمٍ ... قد بذَّ[3] فى الفخْرِ مَن سادَ ومَنْ نجَحَا

يا حبّذَا بَلدَةٌ كان النـبىُّ بها ... يَلقَى الملائك فيهـا أيَّةً سَرَحا

يا دارَ هِجْرَته يا أُفْقَ مَطْلِعِـه ... لى فيكِ بدرٌ بغير الفِكْرِ ما لمَحا

مِنْ هاشمٍ فى سماء العِزِّ مَطلعُه ... أكْرِمْ به نسباً بالعزِّ مُتَّشِحا

مِنْ آل عَدْنان فى الأشراف من مُضر ... مِنْ مَحْتِدٍ تطمَحُ العَلْياء إنْ طَمَحا

من عهدِ آدمَ مازالت أوامرُه[4] ... تُسَام بالمجد[5] من آبائه الصرَحا

(١) فى ط : « بما » وفى م : « لنا » . والظاهر أن كلاهما محرف عما أثبتناه .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « تزين إجمال نور الله متضحا » . ولعل « تزين » محرفة عن : « تريك » أو كلمة بهذا المعنى .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « مر » وهو تحريف .

(٤) كذا فى الأصلين . ولعلها محرفة عن : « أواصره » أو كلمة بهذا المعنى .

(٥) تسام بالمجد : تعرف وتشتهر . من السومة وهى العلامة .

عنايةٌ سبقت قبلَ الوجود له ... والله لو وُوزنت بالكون ما رَجَحا
يا مصطفًى وَكِمام الكون ما فُتِقَتْ ... يا مُجْتَبًى وَزِناد النُّورِ ما قُدِحا
لولاكَ ما أشرقتْ شمسٌ ولا قَمر ... لولاكَ ما راقتِ الأفلاكُ مُلتمِحا
صَدَعْتَ بالنُّور تجلو كلَّ داجيةٍ ... حتّى تَبَيَّنَ نَهْجُ الحقّ واتَّضحا
يا فاتحَ الرُّسْلِ أوْ يا خَتْمَها شَرَفًا ... بُورِكْتَ مُخْتَتِمًا قُدِّسْتَ مُفْتَتِحا
دنوتَ للخلق[1] بالألْطافِ تَمْنَحُها ... والقلبُ فى العالَمِ العُلْوِىّ ما بَرِحا
كالشَّمس فى الأُفُقِ الأعْلى مجرَّتُها ... والنُّورُ منها إلى الأبصار قدْ وَضَحا
كَمْ آيةٍ لِرَسول الله مُعْجِزَةٍ ... تَكِلّ عن مُنْتَهاها ألسنُ الفُصَحا
إنْ رُدَّتِ الشمسُ مِنْ بعد الغُروب لهُ ... قدْ ظَلَّلَتْهُ غمامُ الجوّ حيثُ نَحا
يا نِعمةً عَظُمَتْ فى الخَلق مِنَّتُها ... ورَحمةً تَشْمَلُ الغادِينَ والرَّوَحا[2]
اللهُ أعطاكَ ما لَمْ يُؤتِه أحدًا ... واللهُ أكرمُ مَنْ أعطى ومَنْ مَنَحا
حبيبُــه مُصطفاه مجتَباه وَفِى ... هذا بلاغٌ لِمَنْ حَلّاك ممتَدِحا
أثنى عليكَ كتابُ اللهِ مُمتَدِحًا ... فأيْنَ يبلغ فى عَلياكَ مَنْ مدَحا
قد أبْعَدَتنِي ذُنوبى عَنْكَ يا أملِى ... فجُهْدِىَ اليومَ أنْ أهْدِى لكَ المِدَحا
لَعلَّ رُحْماكَ والأقدارُ سابقــةٌ ... تُدْنِى مُحِبًّا بأقْصى الغرب مُنْتَزِحا
نَفْسٌ شَعاعٌ وقَلْبٌ خانَ أضْلُعَه ... مما يُعانِى من الأشواقِ قدْ بَرِحا
إذا البُروق أضاءتْ والغَمام هَمتْ ... فزَفْرَتِى أُذْكِيَتْ أوْ مدْمَعِى سَفحا
لِمْ لَا أحِنُّ وهذا الجِذْعُ حَنَّ لهُ ... لما تباعَدَ عنْ لُقياه وانتَزَحا
كَمْ ذا التَّعَلُّل والأيام تَمْطُلُنى ... كأنَّها لم تجِد عن ذاك مُنْتَدَحا
ما أقدرَ اللهُ أن يُدْنِى على شَحَطٍ ... وأنْ يُقرِّب بعد البَيْن مَنْ نَزَحا

[٢٦٧]

---

(١) فى م : « للحق » .

(٢) الروح (بتحريك الواو) : الرائحون . الواحد : رائح .

يا سيِّدَ الرُّسْلِ يا نِعْمَ الشفيعُ إذا طال الوقوفُ وحرُّ الشمس قد لَفَحَا
أنت المُشَفَّع والأبصارُ شاخصةٌ أنت الغياثُ وهَوْلُ الخَطْب قد فَدَحا
حاشَى العُلا—وجميلُ الظنِّ يشفع لي— أَنْ يُخْفِقَ السَّعْيُ مِنّي بعد ما نَجَحا
عَساكَ يا خيرَ مَنْ تُرْجَى وسائلُهُ تُنْجِي غريقًا ببحر الذنب قد سَبَحا
ما زال معترفًا بالذنب مُعْتَذِرا لعلَّ حُبَّكَ يَمْحُو كل ما اجْتَرَحا
عسى البشيرُ غداةَ الرَّوْعِ يُسْمِعُني بُشْرَى تعودُ لِيَ البُؤْسَى بها فَرَحا
لا تَيْأَسَنَّ فإنَّ اللهَ ذو كَرَمٍ وحُبُّكَ العاقبَ الماحي[1] الذنوبَ مَحا
صلّى الإلهُ على المختـــار صفوتِهِ ما العارضُ انْهَلَّ أو ما البارقُ التَمَحا
وأَيَّدَ اللهُ مولانا بعصمتـــه بأيِّ باب إلى العَلياء قد فَتَحا
وهَنَّأَ الدِّينَ والدنيا على مَلِكٍ لِسَعْدِه الطائرُ الميمونُ قد سَنَحا
أنا الضَّمِينُ لمكحولٍ بغُرَّتِهِ ألّا تَرَى عينُـه بؤسًا ولا تَرَحا
مَوْلايَ خُذْها كما شاءتْ بلاغتُها غرّاءَ لم تَعْدَمِ الأَحْجالَ والقَرَحا
كأنَّ سِرْبَ قوافيها إذا سَنَحتْ طيرٌ على فَنَنِ الإحسان قد صَدَحا

[٢٦٨] قال: ومن إعذاراته المُحكَمة نسْقًا ورصفًا، المتناهيــة في كل فَنٍّ حُسْنَ تَحْلِيةٍ غريبةٍ ووَصْفًا — حسْبما اقتضته ملاحظة النّسبة الرفيعة لصنائع مولانا رحمة الله عليه، واحتفاله المناسب لعزّ ملكه، من تعميم الخلق بالجَفَلَى في دَعواهم، واستدعاء أشراف الأمم من أهل المغرب وسواهم؛ تَفنُّنًا في مكارمَ مُتَعَدِّده، آيامُها عن أصالة المجد مُعْربه، وإغراء لِهِمَم المُلْك بما يُتمِّم الأمنَ من أوضاع مُغْربه؛ ومباهاةً بعَرْض الجيوش والـكتائب للعدو الكافر، ومكاثرًا من مماليك دولته

ومن إعذاراته سنة أربع وستين وسبع مئة

[1] العاقب والماحي: من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وسمي عاقبا لمجيئه آخر الرسل؛ وماحيا لأن الله يمحو به الـكفر.

بالعدد الوافر ؛ مما ألجم اللَّسِنَ الذكيّ عيًّا ، وغادر الإعذار الذّنُونيّ [1] منسيًّا ؛ كافأ اللهُ أبوّته المولوية عنا وعن آبائنا ، وتلقّى بالقبول الكفيل بتجديد الرّضوان ما نصل إليه من خالص دعائنا ؛ إنه مُنعِم جَواد — قولُه فى الصّنيع المختصّ من ذلك بمولانا الوالد قدس الله روحه ، وذلك سنة أربع وستين وسبع مئة :

مَعاذَ الهوى أن أصْحبَ القلبَ ساليًا ... وأن يَشْغَلَ اللُّوّامُ بالعَذْلِ باليًا

دعانىَ أُعْطِ الحبَّ فضلَ مَقادَتى ... ويَقضى عَلَىَّ الوجدُ ما كان قاضيا

ودُونَ الذى رام العواذلُ صَبْوةٌ ... رَمَتْ بىَ فى شِعْبِ الغرامِ المَراميا

وقلبٌ إذا ما البَرْقُ أومضَ مَوْهِنًا ... قَدَحْتُ به زَنْدًا من الشّوق واريا

خليـــلىَّ إنّى يومَ طارقةِ النّوَى ... شَقِيتُ بمَنْ لو شاءَ أنْعَمَ باليا

وبالخَيْفِ يومَ النَّفْرِ يا أُمَّ مالكٍ ... تَخَلَّفْتُ قلبى فى حِبالِكِ عانيا

وذى أُشُرٍ عَذْبِ الثَّنايا مُخَصَّرٍ ... يُسَقّى به ماءَ النعيمِ الأقاحيا

أحومُ عليه مادَجَا الليلُ ساهرًا ... وأُصبِحُ دُونَ الوِرْدِ ظمآنَ صاديا

يُضىء ظلامُ الليلِ ما بين أضلعى ... إذا البارقُ النّجديُّ وَهْنًا بدا ليا

أُجيرتَنا بالرّملِ والرملُ منزلٌ ... مَضَى العيشُ فيـه بالشّبيبةِ حاليا

ولم أرَ رَبْعًا منــه أقْضَى لُبانةً ... وأشجَى حَماماتٍ وأحْلَى مَجانيا

سَقَتْ ظِلَّه الغُرُّ الغوادِى ونَظَّمتْ ... من القَطْرِ فى جِيدِ الغُصون لآليا

أُبُثُّكُمُ أنّى على النّأْى حافظٌ ... ذِمامَ الهوَى لو تَحْفَظون ذِماميا

أناشِــدُكمْ والحُرُّ أوْفَى بعهده ... وإن يَعْدَمَ الإحسانَ والخيرُ جازيا

[٢٦٩]

[1] الذنونى : نسبة إلى ابن ذنون (ابن ذنون) وهو المأمون أحد ملوك الطوائف فى طليطلة من بنى ذى النون، وقد بلغوا فى البذخ والترف الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذى يقال له الإعذار الذنونى ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق .

هَل الوُدُّ إلا ماتَحاماهُ كاشِحٌ ... وأخفقَ فى مَسعاهُ مَن جاء واشيا
نأوْنِى والليلُ يُذْكى عُيونَه ... ويسحبُ مِنْ ذيل الدُّجُنَّة ضافيا
وقد مَثَلتْ زُهْرُ النجوم بأُفْقه ... حَبابا على نَهْر المَجَرّة طافيا
خيالٌ على بُعْد المَزار أَلمَّ بى ... فأذكرنى مَنْ لم أَكُنْ عنه ساليا
عجبتُ له كيف اهتدى نحو مَضْجعى ... ولم يُبْق منى السُّقمُ والشوقُ باقيا
رَفعتُ له نارَ الصَّبابة فاهتدى ... وخاض لها عرضَ الدُّجُنَّة ساريا
وممّا أجدَّ الوجْدَ سِربٌ على النَّقَى ... سوانحُ يصْقُلْن الطُّلَى والتّراقيا
نَزَعْن عن الألحاظ كلَّ مُسدَّد ... فغادرْن أفلاذ القلوب دواميا
ولما تراءى السِّرْبُ قلتُ لصاحبى ... وأيقنتُ أنَّ الحُبَّ ماعشْتُ دائيا
حَذارِكَ من سُقْم الجُفُون فإنَّه ... سَيُعْدى بما يُعْيى الطبيبَ المُداويا
وإن أميرَ المسـلمين محمّدا ... ليُعْدى نَداه السّاريات الهَواميا
تضىء النجومَ الزّاهرات خِلالُه ... وتَنفُثُ فى رُوعِ الزَّمانِ المَعاليا
مَعال إذا ماالنجم صَوَّب طالبا ... مبالغَها فى العز خُلِّفَ[1] وانيا
يسابق عُلوىَّ الرِّياح إلى النَّدَى ... وتَفضح جَدْوَى راحتيه الغَواديا
ويُغضى عَن العَوراء إغضاء قادر ... ويَرْجَحُ فى الحِلْمِ الجبالَ الرّواسيا
هُمامٌ يَرُوع الأُسْدَ فى حَوْمة الوَغَى ... كما راعت الأُسْدُ الظّباءَ الجَوازيا[2]
مناقبُ تسمو للفَخار كأنّما ... تُجارى إلى المجد النجومَ الجَواريا
إذا استبَقَ الأملاكُ يوما لغاية ... أبيتَ وذاك المجد إلا التَّناهيا
بهرْتَ فأخفيتَ الملوكَ وذِكْرَها ... ولا عَجَبٌ فالشمس تُخْفى الدَّراريا
جَلوْتَ ظلامَ الظُّلْم من كل مُعْتَد ... ولا غَرْوَ أن تَجْلُو البدورُ الدَّياجيا

(١) فى نفح الطيب : « حاق » .
(٢) الجوازى أصله : الجوازئ (بالهمز) ، وسهل للشعر ؛ والجوازئ من الظباء التى تجزأ بالرطب عن الماء .

هَدَيتَ سبيلَ اللهِ مَنْ ضَلَّ رُشْدَه ... فلا زِلتَ مَهْدِيًا إليها وهاديًا

أَفدْتَ وحتّى المُلْكُ مما أفدتَهُ ... وطَوّقت أشرافَ المُلوك الأياديا

وقد عرفَتْ منها مَرِينُ[1] سوابقا ... تُقِرُّ لها بالفضل أُخْرى اللياليا

وكان أبو زَيّانَ جِيدا مُعَطَّلا ... فزينتَه حتى اغتدى بك حَالِيا

لكَ الخيرُ لم تَقْصِد بما قد أفدتَهُ ... جزاءً ولكن همةٌ هِىَ ماهيا [٢٧٠]

فما تُكْبِرُ الأملاكُ غيرَك آمِراً ... ولا تَرهَبُ الأشرافُ غيرَك ناهيا

ولا تشتكى الأيامُ مِنْ داء فِتْنَةٍ ... فقد عرفَتْ منك الطبيبَ المُداويا

وأندلُساً أوليتَ ما أنتَ أهلُه ... وأوْردتَها وِرْداً من الأمن صافيا

تلافَيْت هذا الثَّغْرَ وهو على شَفًى ... وأصبحْتَ مِن داء الحوادث شافيا

ومِنْ بعد ما ساءتْ ظُنونٌ بأهلها ... وحامُوا على وِرْد الأمانى صواديا

فما يأمُلون العيش إلا تَعَلُّلا ... ولا يَعرفون الأمْن إلا أمانيا

عَطَفتَ على الأيّامِ عِطْفَة راحم ... وألبستَها ثوبَ امتنانك ضافيا

فآنَسَ من تِلقائك المُلْكُ رُشدَه ... ونالَ بك الإسلامُ ما كان راجيا

وقفتَ على الإسلام نفساً كريمة ... تَصُدَّ عَدُوّا عَنْ حِماهُ وعاديا

فرأْىٌ كما انشقَّ الصباحُ وعَزْمَةٌ ... كما صقلَ القَينُ الحُسامَ اليَمانيا

وكانتْ رِماح الخطِّ خُمْصًا ذَوَابِلا ... فأَنْهلتَ منها فى الدماء صَواديا

وأوْرَدْتَ صَفْح السيف أبيضَ ناصِعاً ... فأَصْدرته فى الرَّوْع أحمرَ قانيا

لك العزمُ تُسْتَجْلَى الخُطوبُ بِهَدْيِه ... ويُلْفَى إذا تنبو الصوارمُ ماضيا

إذا أنتَ لم تفخَر بما أنتَ أهلُه ... فما الصُّبحُ وضاحَ المشارقِ عاليا

ويَهْنيك دونَ العيد عيدٌ شَرَعْتَه ... تَبُثُّ به فى الخافِقيْن التهانيا

---

(١) مرين : قبيلة معروفة ، وهى فرع زناتة من قبائل البربر .

أقمتَ به من فطرةِ الدين(١) سُنَّةً ... وجدَّدْتَ من رسْمِ الهداية عافيا
صَنيعٌ تَوَلَّى اللهُ تشييدَ فخرِه ... وكان لِما أوْليتَ فيه مُجازِيا
تَوَدُّ النجومُ الزُّهْرُ لو مَثَلَتْ به ... وقضَّت من الزُّلْفَى إليك الأمانيا
وما زالَ وجه اليومِ بالشمس مُشرِقا ... سُروراً به والليلُ بالشُّهْبِ حاليا
على مثلِه فليَعقِدِ الفخرُ تاجَهُ ... ويسمو به فوقَ النجوم مَرَاقيا
به يَعْمُرُ الأَنْدَاءَ(٢) كلُّ مُفَوَّهٍ ... ويَحدو به من بات بالقَفْرِ ساريا
ويوسُفُ(٣) فيه بالجمال مُقَنَّعٌ ... كأنَّ له مِنْ كلِّ قلبٍ مُناجيا
وأقبلَ قدْ شابَ الحياءَ مَهابةٌ ... يُقلِّبُ وجهَ البدرِ أزهرَ باهيا
وأقدمَ لا هَيَّابةَ الحفْلِ واجماً ... ولا قاصراً فيه الخُطا متوانيا
شمائلُ فيه من أبيه وجدِّه ... تَرى العزَّ فيها مُسْتَكِنًّا وباديا
فيا عَلَقًا(٤) أشجَى القلوبَ لو أنَّنا ... فَدَيناكَ بالأعلاقِ ما كنتَ غاليا
جَرَيْتَ فأجريتَ الدُّموعَ تَعطُّفاً ... وأطلعتَ فيها للسرور فَواشيا
وكم مِنْ وَلِيٍّ دُونَ بابكَ مُخلِصٍ ... يُفدِّيه بالنفس النفيسة واقيا
وصِيدٍ من الحَيَّيْنِ أبناءِ قَيْلَةٍ ... تكُفُّ العوادي(٥) أو تُبيدُ الأعاديا

[٢٧١]

بَهاليلُ غُرٌّ إنْ أعَدُّوا لغارةٍ ... أعادُوا صَباحَ الحيِّ أظلمَ داجيا
فواللهِ لولا أنْ توخَّيْتَ سُنَّةً ... رضيتَ بها أنْ كان ربك راضيا
لكانت بها الأعوجيّاتُ(٦) جَولةً ... تُشيبُ مِنَ الغُلْبِ الشَّبابِ النواصيا

(١) فى م : « حظوة الدين » .
(٢) الأنداء (هنا) : الأندية . والذى فى نفح الطيب : « تعمر الأنواء » . وفيها تحريف ظاهر .
(٣) يوسف : هو ابن الغنى بالله ملك غرناطة الممدوح بهذه القصيدة .
(٤) العلق (بالتحريك) : الذى تتعلق به القلوب .
(٥) فى الأصلين وكل نسخ نفح الطيب : « تكف الأعادى » ولعله محرف عما أثبتناه .
(٦) الأعوجيات : نسبة إلى أعوج ، فرس كان لبنى هلال .

وتتركُ أوصالَ الوشيجِ مُقَصَّدًا ... وبيضَ الظُّبى حُمْرَ المُتون دواميا
ولما قَضى من سنّةِ اللهِ ما قَضى ... وقد حَسَدَتْ منه النجومُ المَساعيا
أفضنا نُهَنِّى منكَ أكرمَ مُنْعِم ... أبَى لعميم الجُودِ إلا تَواليا
فَيَهْنِى صِفاحَ الهِنْدِ والبأسَ والنَّدى ... وسُمْرَ العوالى والعِتاقَ المَذاكيا
ويَهْنِى البُنودَ الخافقاتِ فإنَّها ... [سَيَعْقِدها فى ذِمَّة النَّصرِ غازيا
كأنِّى به يَشْفِى الصَّوارِمَ والظُّبَى ... ويَحْطِمَ فى لَأْمِ الضَّلال العواليا
كأنى به قد تُوِّجَ المُلْكَ يافعاً][1] ... وجَمَّعَ أشتاتَ المَكارِم ناشيا
وقَضَّى حُقوقَ الفخرِ فى مَيْعة الصِّبا ... وأحسنَ من دَيْنِ الكمالِ التّقاضيا
وما هُوَ إلّا السَّعدُ ، إن رُمْتَ مَطْلَعا ... وسَدَّدْتَ سهماً كان رَبُّك راميا
فلا زِلتَ يا فخر[2] الخِلافة كافلا ... ولا زِلتَ يا خيرَ الأئمةِ كافيا
ودُمْتَ قَريرَ العَيْنِ منه بغِبْطَة ... وكان لهُ رَبُّ البرِيّة واقيا
نظمتُ لَهُ حُرَّ الكلام تمائما ... جعلتُ مكانَ الدُّرِّ فيها القوافيا
لآلٍ بها باهَى المُلوكَ نَفاسَةً ... وجَلَّت لَعمْرِى أن تكونَ لآليا
أرَى المالَ يَرْميهِ الجديدانِ بالبِلَى ... وما إنْ أرى إلا المَحامدَ باقيا

من شعره فى صنيع المختص بالأميرين سعد ونصر

ثم قال : ومن ذلك ما أنْشَد فى الصَّنيع الثانى المختصّ بعمَّيْنا السَّيِّدين الأَميرين سَعْدٍ ونَصْر ، رحمة الله عليهما ، وأجاد فى وصف الجُنْد والجُرْدِ والطَّلْبة[3] وغَرائبِ الأَوْضاع .

أ لِمْحَة[4] من بارق مُتَبسِّمِ ... أرسلتَه دَمْعًا تَضَرَّجَ بالدَّمِ[5]

---

(١) ما بين القوسين عن م .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب وفى ط : « يا كهف » .
(٣) الطلبة : يعنى بها بعض آلات الحرب . (راجع معجم دوزى) .
(٤) فى نفح الطيب : « وللمحة » .
(٥) فى ط : « أمن الوميض البارق المتبسم * أرسلت دمعاً قد تضرج بالدم » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

ولنفحةٍ تهفو بسـانات اللّوى ... يهفو فؤادك عن جوانح مُغْرَمِ

هى عادة عُذْريةٌ من يَوْم أنْ ... خُلق الهوى تعتاد كلَّ متيَّمِ (١)

قد كنتُ أعذلُ ذا الهوى من قبلِ أنْ ... أدرى الهوى واليومَ أعذل لُوَّمى

كمْ زفرةٍ بيْن الجوانح ما اتّقتْ ... حَذَرَ الرَّقيب ومدمعٍ لم يَسْجُمِ

إنْ كان واشِي الدَّمعِ قد كتَم الهوى ... هيهاتَ واشى السُّقم لمّا يَكْتُمِ (٢)

[٢٧٢] ولقـد أجَدَّ هَوايَ رَسْمٌ دارسٌ ... قد كادَ يَخْفَى عن خَفِيِّ توَهُّمِ

وذكرتُ عهدًا فى حِماه قد انقضى ... فأطلتُ فيـه تردُّدى وتلوُّمى

ولرُبَّما أشجى فؤادى عنـده ... ورْقاءُ تنفُثُ شجوَها بترنُّمِ

لا أخْرَبَ اللهُ الطُّلولَ فطالما ... أشْجَى الفَصيحَ بها بُكاءُ الأبكمِ

يا زاجرَ الأظعانِ يحْفِزُها السُّرى ... قفْ بى عليها وقفةَ المتلوِّمِ

لِتَرَى دُموعَ العاشقين برسْمِها ... حُمْرًا كحاشيةِ الرِّداء المُعْلَمِ

دِمَنٌ عَهِدتُ بها الشَّبيبةَ والهوى ... سَقْيًا لها ولعهدِها المتقدِّمِ

وكتيبةٍ للشَّوْق قد جهَّزتُها ... أغزُو بها السُّلوانَ غزْوَ مُصمِّمِ

ورفعْتُ فيها القلبَ بَنْدًا خافقا ... وأريتُ للعُشَّـاق فضْلَ تهجُّمِ

فأنا الّذى شابَ الحماسـةَ بالهوى ... لكنَّ منْ أهوَى مُضايقُ مَقدمى

فطُعِنْتُ منْ قدِّ القوام بأسْمَرٍ ... ورُميتُ من غنَجِ اللّحاظ بأسْهُمِ

يا قاتَلَ اللهُ الجفونَ فإنهـا ... مهْما رَمتْ لم تُخْطِ شاكلةَ (٣) الرَّمى

ظلَمَتْ قتيلَ الحُبِّ ثم تَبَيَّنَتْ ... للسُّقْم فيهـا فترةُ المتظلِّمِ

يا ظَبيةً سَنَحَتْ بأكنافِ الحِمى ... سُقِّى الحِمى صَوْبَ الغَمام المُسْجِمِ (٤)

---

(١) فى ط : « فى قلب » مكان قوله : « تعتاد » ، وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « هيهات واشى السقم لا يتكتم » .

(٣) الشاكلة : الناحية .

(٤) المسجم : المصبوب .

ما ضرَّ إذْ أرسلَتْ نظرةَ فاتكٍ ... أنْ لَوْ عطفَتْ بنظرة المُترحّمِ

فرأيتِ جسْمًا قدْ أُصيبَ فؤادُه ... مِنْ مقْلتيكِ وأنتِ لمْ تتألَّمي (١)

ولقد خشيتُ بأن يُقادَ بجُرْحه ... فوهَبْتُ لحظَكِ ما أحلَّكِ مِنْ دَمي (٢)

كَمْ خُضْتُ دونكِ مِنْ غمارِ مَفازةٍ ... لا تَهتدي فيها الأُسودُ لمجثمِ

والنجمُ يَسري من دُجاهُ بأدْهَمِ (٣) ... رَحْبِ المُقلَّدِ بالثريا مُلْجَمِ

والبدرُ في صفْحِ السَّماءِ كأنَّهُ ... مرآةُ هِنْدٍ وسْطَ لُجٍّ ترْتمي (٤)

والزَّهرُ زَهرٌ والسماءُ حديقةٌ ... فُتِقَتْ كمائمُ جُنحها عنْ أنجُمِ

والليلُ مُرْبَدُّ الجوانحِ قد بدا ... فيه الصباحُ كغُرَّةٍ في أدْهَمِ

فكأنَّما فَلَقُ الصَّباحِ وقد بدا ... مرأى ابن نصر لاحَ للمتوسِّمِ

مَلِكٌ أفاضَ على البسيطة عدلَهُ ... فالشاةُ لا تخشى اعتداءَ الضَّيغَمِ

هو مُنتهى آمالِ كلِّ موفَّقٍ ... هو مَوْرِدُ الصادي وكنزُ المُعْدِمِ

لاحتْ مَناقبُهُ كواكبَ أسْعُدٍ ... فرأتْ مَلامحَ نوره عينُ العَمي

ولقد تراءى بأسُه وسَماحُهُ ... فأتى الجلالُ من الجمال بتوْءَمِ

مِثْلَ الغمامِ وقد تضاحك برقُه ... فأفادَ بينَ تجهُّمٍ وتبسُّمِ

أنسَى سَماحةَ حاتمٍ وكفاكَ في ... يومِ اللقاء ربيعةَ بن مُكدَّمِ (٥)

سيْرٌ تسيرُ النيِّراتُ بهَدْيِها ... وعبيرُ عَرْفِ الرَّوضِ طيبَ تنسُّمِ

فالبدرُ دُونكَ في عُلاً وإنارةٍ ... والبحرُ دُونَكَ في ندًى وتكرُّمِ

ولكَ القبابُ الحُمْرُ تُرْفَعُ للنَّدى ... فترى العِمامَ تحتها كالأنجمِ

---

(١) في بعض نسخ نفح الطيب: « لم تتألمي » .

(٢) يقاد: من القود، وهو القصاص. وأحلك: جعلك في حل.

(٣) الأدهم: الأسود، وهو من أوصاف الخيل، كأن النجم ركب أدهم الليل.

(٤) شبه البدر بمرآة هند في الصفاء. والعرب تضرب المثل في الصفاء بمرآة الغريبة.

(٥) ربيعة بن مكدم: فارس جاهلي معروف.

يُذْكَى الكِباءُ بها كأنّ دُخانه ... قِطَعُ السحاب بجوِّها المُتغيِّم[١]

ولك العوالى السُّمْرُ تُشْرَع[٢] للعِدا ... فتخِرُّ صرْعَى لِليَدَين وللفم

ولك الأيادى البيضُ قد طوَّقْتَها ... صِيدَ الملوك ذوى التِّلاد الأقدم

شِيَمٌ يُقِرُّ الحاسِدُون بفضلِها ... والصُّبْح ليس ضِياؤُه بمُكتَّم

ورِثَ السَّماحةَ عن أبيه وجَدِّه ... فالأكرمُ ابن الأكرم ابن الأكرم

نَقلوا المَعالِيَ كابِراً عن كابرٍ ... كالرُّمح مُطَّرِد الكُعوب مُقوَّم

وتَسنَّمُوا رُتَبَ العَلاء بحقِّها ... بأبٍ وجَدٍّ فى الخلافة وابْنِمِ[٣]

يا آل نصر أنتمُ سُرُجُ الهُدَى ... فى كل خَطْبٍ قد تجهَّم مُظلِمِ

الفاتحون لكل صَعْب مُقْفَلٍ ... والفارجون لكل خَطْبٍ مُبْهَمَ

والباسِمون إذا الكُماة عوابسٌ ... والمُقْدِمُون على السَّواد الأعظم

أبناء أنصارِ النبيِّ وحِزْبِهِ ... وذَوى السوابق والجِوار الأعصَم[٤]

سَلْ عَنهُمُ أُحُدا وبَدْرا تُلْفِهِمْ ... أهلَ الغَناء بها وأهلَ المَغْنَم

وبفتح مكّةَ كَمْ لَهُمْ فى يومه ... بِلِواء خيرِ الخَلق من مُتقدَّم

أقسمتُ بالحَرَم الأمين ومكّةٍ ... والرُّكْنِ والبيْت العَتيق وزَمْزَم

لولا مآثِرُهم وفضلُ عُلاهُمُ ... ما كان يُعْزَى الفَضْلُ للمُتَقدِّم

ماذا عَسَى أُثْنِي وقد أثنتْ عَلَى ... عَلْيائهم آيُ الكِتاب المُحْكَم

ياوارثاً عنها مآثِرَها الّتِي ... قَدْ شَيَّدَتْ للفخرِ أشرَفَ مَعْلَمَ

يا فَخرَ أَنْدُلُسٍ لقَدْ مَدَّتْ إلى ... عَلْياك كَفَّ اللائذِ المُسْتَعْصِم

---

(١) الكباء (ككساء) : عود البخور أو ضرب منه .

(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « ترفع » .

(٣) فى نفح الطيب : « ما بين جد فى الخلافة وابنم » .

(٤) الجوار الأعصم ، أى الممتنع على من يريده بأذى .

أما سُعُودُكَ فى الوَغَى فتكفَّلَتْ بسلامةِ الإسلامِ[١] فاخلُدْ واسْلَمِ
وافيتَ هـذا الثغرَ وهو على شَفًى فشَفَيْتَ مُعْضِلَ دائِهِ المُستحكِمِ
ورَعَيْتَهُ بسياسةٍ دارتْ على مُخْتَطِّهِ دَوْرَ السِّوارِ بمِعْصَمِ
كم ليـلةٍ قد بِتَّ فيها ساهِراً تُهْدِى الأمانَ إلى العُيونِ النُّوَّمِ
يا مَظهَرَ الألطافِ وهْىَ خَفِيَّةٌ ومَهَبَّ ريحِ النَّصرِ للمُتَنَسِّمِ
تِهِ دَوْلَتُك الَّتِى آثارُها سِيَرُ الرِّكاب لمُنجِدٍ أوْ مُتْهِمِ
ما بعْدَ يومك فى المواسِمِ بعد ما أتبعتَ عيدَ الفطرِ أكرَمَ مَوْسِمِ
وافتك أشرافُ البـلاد بيومِهِ من كلِّ نَدْبٍ للعُلا مُتَسَنِّمِ
صَرَفوا إليكَ رِكابَهُمْ وتَيَمَّموا من بابك المُنْتَابِ خـيرَ مُيَمَّمِ
وتَبوَّءوا منـــه بدارِ كرامة فالكُلُّ بين مُقَرَّبٍ ومُنَعَّمِ
ودَّتْ نُجومُ الأُفْقِ لو مَثَلَتْ به لتَفُوزَ فيـــه برُتبة المُستَخْدَمِ
والروضُ مُختالٌ بحُلَّةِ سُنْدسٍ من كل مَوْشِيِّ الرُّقوم مُنَمْنَمِ
ورياحُه نَسَمَتْ بنَشْرِ لَطِيمةٍ[٢] وأقاحُه بَسَمَتْ بثغرٍ مُثْلَمِ[٣]
وأرَيْتَنَا فيـــهِ عجائبَ جَمَّةً لم تَجْرِ فى خَـلَدٍ ولم تُتَوَهَّمِ
أرْسَلْتَ سَرْعانَ الجيادِ كأنَّها أسْرابُ طـيْرٍ فى التَّنُوفة حُوَّمِ[٤]
مِنْ كلِّ مُنْحَفِزٍ بخَطْفةِ بارقٍ قـد كادَ يَسبِقُ لَمْحَةَ المُتَوَهِّمِ[٥]

(١) فى م : « بسلامة الأملاك » .
(٢) اللطيمة : الطيب ، أو وعاء المسك ؛ وتطلق اللطيمة أيضاً على سوق المسك والعبير التى تحمله .
(٣) فى الأصلين وبعض نسخ نفح الطيب « مسلم » . وفى النسخة الخطية (رقم ٣٦٠) من نفح الطيب : « ملثم » . وظاهر أن كلا اللفظين محرف عما أثبتناه . والمثلم : المفلج الأسنان .
(٤) سرعان الجياد : أوائلها . والتنوفة : المفازة ، وهى الأرض البعيدة الواسعة الأطراف .
(٥) فى ط : « منحرف » . ولا معنى له هنا وما أثبتناه عن النسخة المطبوعة من نفح الطيب .

طرْفٌ يشكُّ الطَّرْفُ فى اشتباهه فكأنّهُ ظنٌّ بصَدْرِ مُرَجِّمِ
ومُسافِرٍ فى الجو تحسب أنّه يَرْقَى إلى أوْجِ السّماء بسُلّمِ
رامَ اسْتِراقَ السَّمع وهو مُمنَّعٌ فأصيب من قُضُب العِصِيِّ بأسْهُمِ
رَجَمَتْه منْ شُهُبِ النِّصالِ حواصِبٌ[1] لولا تعرُّضُه لها لم يُرْجَمِ
ومُدارة الأفلاك أعجزَ كُنْهُها إبداعَ كلِّ مهندِسٍ ومُنَجِّمِ
يَمْشِى الرجالُ بجوفها وجميعُهم عن مُسْتوَى قَدَمَيْه لم يتقدّمِ
ومُنوِّعِ الحركات قد رَكِبَ الهوا يمشى على خَطٍّ به مُتوهَّمِ
فإذا هَوَى مِنْ جوّه ثم اسْتوَى أبصرتَ طيرًا حلّ[2] صورةَ آدمى
يَمْشِى على قَنَنِ الرِّشاء كأنّهُ نَيِّهٌ مُساوِرُ ذابلٍ أو أرقمِ
وإليك مِن صَوبِ العُقول عقيلةً وقفتْ ببابك وقفةَ المسْتَرْحِمِ
ترجو قبولك وهو أعظم مِنْحةٍ فاسمحْ به خُلِّدتَ مِنْ مُتكرِّمِ
طاردتُ فيها وصفَ كلّ غريبة فنظمتُ شاردةَ الذى لم يُنْظَمِ
ودَعَوْتُ أربابَ البيان أرِيهمِ «كَمْ غادر الشعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ»[3]
ما ذاكَ إلا بعضُ أنْعُمِك التى قد علَّمتْنا كيفَ شُكْرُ المُنعِمِ

ومنه في صنيع الأمير أبي عبد الله

ثم قال : وأنشَدَ من ذلك فى الصَّنيع المخصوص بعمِّنا الأمير أبى عبد الله رحمة الله تعالى عليه ، وأطنبَ فى وصف دار المُلْك وغير ذلك من ضخامة آثار مولانا الجدّ رضى الله عنه :

سَلِ الأُفْقَ بالزُّهْرِ الكواكبِ حاليَا فإنّيَ قد أودعتُه شرحَ حاليَا

(١) كذا فى النسخة الخطية (رقم ٣٥٩) من نفح الطيب . وفى الأصلين وسائر نسخ نفح الطيب : « قواضب » . وما أثبتناه أولى بالسياق .
(٢) فى نفح الطيب : « حول » .
(٣) هذا صدر مطولة عنترة المشهورة .

وحمَّلتُ مُعْتلّ النسيم أمانةً قطعتُ بها عُمْرَ الزمان أمانيا
فيا من رأى الأرواحَ وهْيَ ضعيفة أُحمِّلها ما يَسْتخِفُّ الرواسيا
وساوسُ كمْ جدّتْ وجدَّ بيَ الهوى فعدَّ بها القلبُ المقلّبُ هازيا
ومَنْ يُطِع الألحاظَ فى شِرْعةِ الهوى فلا بُدَّ أنْ يَعْصِى نَصيحاً ولاحيا
عَـدلْتُ بقلبى عن ولايةِ حُكْمِه غداةَ ارتَقَى من جائر اللحظ والِيا
وما الحُبُّ إلّا نظرةٌ تبعثُ الهوى وتُعقِب ما يُعْيِى الطبيبَ المُداويا
فيا عجبًا للعَــيْنِ تمشى طَليقةً ويُصْبِح مِنْ جرّائها القلبُ عانيا
أَلَا فى سبيل اللهِ نفسٌ نَفِيسة يُرَخِّصُ منها الحُبُّ ما كانَ غاليا
ويا رُبَّ عَهْــدٍ للشَّباب قضَيْتُهُ وأحسنتُ من دَيْن الوصال التّقاضيا
خَلَوْتُ بمَنْ أهْواه من غَيْرِ رقْبةٍ ولـكن عَفافى لم أَكُنْ عنهُ خاليا
ويوم بمُشْتَنِّ الظِّباء شَهِدْتُه أَجَدَّ وِصالاً بالياً فيه بالِيا[1]
ولم أُصْحِ من خَمْرِ اللّحاظ وقد غدا بهِ الجوّ وضَّاحَ الأسِرَّة ضاحيا
وجَرَّد من غِمْــدِ الغَمامة صارما من البَرْقِ مَصْقولَ الصَّفيح يَمانيا[2]
تبسّم فاستَبْكَى جُفونِيَ عَبْرةً[3] مَــلأتُ بدُرِّ الدَّمع منها ردائيا
وأَذْكَرَنى ثغْرًا ظَمِئْتُ لِوِرْدِه ولا والهوى العُذْرىِّ ما كنتُ ناسيا
وراح [خَفُوقٍ[4]] القَلْبِ مِثْلِى كأنّما بِبَرْقِ الحِمَى من لَوْعة الحُبِّ ما بيا
وليلةَ باتَ البــدرُ فيها مُضاجعى وباتت عُيون الشُّهْب نَحوى رَوانيا
كَرَعْتُ بها بين العُذَيبِ وبارقٍ بمَوْرِد ثَغْــرٍ باتَ بالدُّرِّ حاليا

(١) مشتن الظباء : مكان عدوها . وأجد : أحدث وجدد .

(٢) فى نفح الطيب : « مصقول الصفيحة صافيا » . وفى م : « مصقول الصفاح » .

(٣) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « ثمرة » .

(٤) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

رَشَفْتُ بها شَهْدَ الرُّضابِ سُلافَةً ... وقَبَّلْتُ فى ماءِ النَّعيمِ الأقاحِيَا
فيا بَرْدَ ذاكَ الثَّغْرِ رَوَّيتَ غُلَّتِى ... ويا حَرَّ أنفاسِى أَذَبْتَ فؤاديا
وروضـةِ حُسْنٍ للشَّباب نَضيرة ... هَصَرْتُ بغُصْنِ البانِ فيها المَجانيا
وقد بِتُّ أسقِى وَرْدَةَ الخَدِّ أدمُعِى ... فأَصْبَحَ فيها نَرْجِسُ اللَّحظ ذاويا
ومالتْ بقلبِى مائلاتُ قُدودِها ... فما للقُدود المـائلاتِ وماليا
جزَى اللهُ ذاكَ العهدَ عَوْدًا فطالما ... أعادَ على رَبْعِ الظِّباء الجوازيا[1]
وقُلْ لِليالِ فى الشـباب نَعِمْتُها ... وقَضَّيتها أُنْسا سُقِيتِ ليـاليا
ويا وَادياً رَفَّت عليَّ ظِـلالُه ... ونحنُ نُديرُ الوَصـلَ فُدِّيتَ واديا
رَمَتْنِى عُيونُ السِّرب فيهِ وإنما ... رَمَيْن بقلْبِى فى الغرام المَرامِيا[2]
فلولا اعتصامى بالأمـــير محمدٍ[3] ... لما كنتُ مِنْ فَتْك اللواحظ ناجيا
فقلْ للّذى يَبْنِى عَلَى الحُسْن شِعْره ... عليه مع الإحسان لا زِلْتَ بانيا
فكَمْ من شَكاةٍ فى الهوَى قد رَفَأْتُها ... ورقَّعتها بالمدح إذ جاء تاليا
وكَمْ ليلةٍ فى مدحه قد سَهِرْتُها ... أُباهِى بِدُرِّ النظم فيــه الدَّرارِيا
ولاحَ عمودُ الصُّبْحِ مثلَ انتسابه ... رَفَعْتُ عليه للمــديح المبانيا
إمامٌ أفادَ المكْرُماتِ زَمانَهُ ... وشاد له فوق النجوم المعاليا
وجاوز قَدْرَ البَدْرِ نُورًا ورِفعةً ... ولم يَرْضَ إلا بالكمال مُواليا
هو الشمس بَثَّتْ فى البَسيطة نَفْعها ... وأنوارُها أَبْدَتْ[4] قريبا وقاصيا
هو البحرُ بالإحسانِ يَزْخَرُ مَوْجُه ... ولكِنَّه عــذْبٌ لِمَنْ جاء عافيا

---

(١) الجوازى : جمع جازية ، وهى الجزاء ، يريد بها النعمة والسيقا ونحوها .
(٢) فى م : « المراسيا » .
(٣) فى م : « الإمام محمد » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « أمدت » . وفى نفح الطيب : « أهدت » . وكلاهما تحريف .

هو الغيث مهما[1] يُمْسِكِ الغيثُ سُحْبه ... يُرَوِّى بسُحْب الجود من كان صاديَا
شمائلُ لو أنَّ الرياض بحسنها ... لمَا صارَ فيها زَهرُها الغَضُّ ذاويا
فيا بن الملوك الصِّيد من آلِ خَزْرَجٍ ... وذا نسَبٍ كالصُّبح عَزَّ مُساميا
أَلَسْتَ الَّذى تَرْجُو العُفاةُ نَوالَه ... فَتُخْجِلَ جدواهُ السَّحابَ الغواديا
أَلَسْتَ الذى تخشَى البُغاةُ صِياله ... فتُنْزِلَ عَلياهُ الصعابَ العواديا[2]
وهَدْيُكَ مَهْمَا ضَلَّتِ الشُّهْبُ قصدَها ... توَلَّتْه فى جُنحِ الدُّجُنَّة هادِيا
[وعزمُكَ أمضَى من حُسامِكَ فى الوغَى ... وإن كان مصقولَ الغِرارين ماضيا][3]
فكَمْ قادحٍ فى الدِّين يَكْفرُ ربَّه ... قَدَحْتَ لَهُ زَند الحفيظة واريا
وما راعه إلا حُسامٌ وعَزْمة ... يُضيئان فى ليل الخطوب الدَّواجيا
فلولاكَ يا شمس الخلافة لم يَبِنْ ... سبيلُ جِهادٍ كان من قبلُ خافيا
ولولاكَ لم تُرْفَع سَماءُ عَجاجةٍ ... تَلُوح بها بِيضُ النُّصُول دَرارِيا
ولولاكَ لم تُنْهَلْ غُصُونٌ من القَنا ... وكانت إلى وِرْد الدِّماء صواديا
فأثمرَ فيها النَّصْلُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[4] ... فأجْنَى قِطافَ الفَتح غضًّا ودانيا
ومَهْما غدَا سَفَّاحُ سَيْفِك عاريا ... يُغادِرُ وجْهَ الأرض بالدَّم كاسيا
قَضَى اللهُ مِنْ فوق السَّمواتِ أنه ... على من أبَى الإسلامَ فى الأرض قاضيا
فكَمْ مَعْقِلٍ للكفر[5] صَبَّحتَ أهله ... بجيشٍ أعاد الصُّبْحَ أظلَمَ داجيا
رَقِيتَ إليه والسُّيوفُ مُشِيحةٌ ... وَقَدْ بَلغَتْ فيه النفوسُ التَّراقيا

---

(١) فى ط ونفح الطيب : « يهمى » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) فى نفح الطيب : « فتوجل علياه الصعاب »

(٣) هذا البيت عن نفح الطيب .

(٤) فى م : « موردا » .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « فكم معقل فى الأرض » .

فَفَتَّحَتْ مَرْقاةَ المنَّع عَنْــوَةً — وبات به التَّوحيـــدُ يعْلو مُناديًا

[٢٧٧] أوناقوسُه بالقسْر[1] أمسى مُعطَّلا — ومِنْبَرُه بالذِّكر أصْــبحَ حاليا

عجائب لم تخطُرْ ببال وإنما — ظَفِرْنا بها عن هِمَّةٍ هى ماهِيَا

فمنكَ استفادَ الدهرُ كلَّ عجيبة — يباهى بها الأملاكَ أُخرى لَياليا

وعنك يُرَوِّى النَّاسُ كلَّ غَريبَةٍ — تَخُطُّ على صَفْحِ الزمان أماليا

ولله مَبناكَ الجميــلُ فإنّهُ — يَفوقُ عَلى حُكْم السُّعُود المَبانيا

فَكَمْ فيه للأبصار مِن مُتَنَزَّه — تُجدُّ به نَفْسُ الحليم الأمانيـا

وتَهْوَى النجومُ الزُّهْرُ لَوْ ثَبَتَتْ به — ولم تَكُ فى أُفْقِ السَّماء جواريا

ولو مَثَلَتْ فى ساحتيه[2] لسابَقَتْ — إلى خِدْمة تُرْضيك منها الجواريا

به البَهْوُ قد حاز البَهاء وقد غَدَا — به القَصْرُ آفاقَ السَّماء مُباهيا

وكَمْ حُلَّةٍ جَلَّلْتَــهُ بحُلِيِّها — من الوَشْى تُنسى السَّابِرىَّ[3] اليمانيا

وكم مِن قِسِيٍّ فى ذَراه تَرَفَّعتْ — على عَمَدٍ بالنُّور باتَتْ حَواليا

فتحسبها الأفلاكَ دارتْ قِسِيُّها — تُظِلُّ عمودَ الصُّبح إذ لاح[4] باديا

سَوارِىَ قد جاءت بكل غريبة — فطارت بها الأمثالُ تجرى سواريا

به المرمرُ المَجلُوُّ قد شفَّ نُورُه — فيجلو من الظَّلماء ما كانَ داجيا

إذا ما أضاءَتْ بالشُّعاع تخالُها — على عِظَمِ الأجرام منها لآليا

به البحرُ دَفَّاعُ العُباب تخالُهُ — إذا ما انبرى وَفْدُ النَّسيم مُباريا

---

(١) فى م، ط: « بالقس » وهو تحريف من الناسخ. وما أثبتناه عن نفح الطيب المخطوط (رقم ٣٥٩).

(٢) فى نفح الطيب: « فى سابقيه ».

(٣) السابرى: ثوب رقيق جيد.

(٤) فى نفح الطيب: « بات ».

إذا ماجَلَتْ أيدى الصَّبا صَفْح مَتْنه ... أرتْنا دُرُوعًا أَكسَبَتْنَا الأيادِيَا[(١)]

ورَاقصةٍ فى البحْرِ طَوْعَ عِنانِها ... تراجِـعُ أَلحانَ القِيانِ الغوانيا[(٢)]

إذا ماعلَتْ فى الجَوّ ثم تحدَّرت ... تُحَلِّى بمَرْفَضّ الجُمانِ النّواحيا

يَذوبُ لُجَيْنٌ سالَ بين جواهرٍ ... غَدَا مثلَها فى الحُسْنِ أبيضَ صافيا

تَشابه جارٍ للعُـــيونِ بجامدٍ ... فلمْ أدرِ أيًّا منهما كانَ جاريا

فإنْ شِئْتَ تَشْبيهاً له عَنْ حَقِيقةٍ ... تُصِيبُ بها المَرْمَى وبُورِكْتَ راميا

فَقُل أرْقَصتْ منها البُحَيْرَةُ بِنْتَها[(٣)] ... كما يُرْقِصُ المولودَ مَنْ كانَ لاهيا

أرتْنا طِباعَ الجُودِ وهى وليدة ... ولمَ ترضَ فى الإحسان إلاّ تَعَالِيا

سقَتْ ثغرَزَهْرالرَّوْض عَذْبَ بَرُودِها ... وقامتْ لكى تُهْدِى إلى الزَّهْرِ[(٤)] ساقيا

كأنْ قَدْ رأتْ نهرَ المَجَرّة نَاضِباً ... فَرامتْ بأن تُجْرِى إليه السَّواقيا

وَقامت بناتُ الدَّوْح فيه مَوائلا ... فُرَادَى ويتلو بعضُهن مثَانِيا [٢٧٨]

رَوَاضعَ فى حِجْرِ الغمام تَرَعْرَعَتْ ... وشَبَّت فشبَّت[(٥)] حُبَّها فى فؤاديا

بها كلُّ ملْتَفّ الغدائر مُسْبَل ... تُجيلُ به أيدِى النَّسيم مَدَارِيا[(٦)]

وأَشْرفَ جيدُ الغُصْن فيها مُعَطَّلاً ... فقَلَّدتِ النُّوَّارَ منــهُ التَّراقيا

إذا ما تَحَلَّتْ دُرَّ زَهْرِ غُروسه[(٧)] ... يَبيت لهـا النمام بالطِّيب واشيا

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصل : « أرتنا الدرارى واكتسينا ... » الخ .

(٢) فى نفح الطيب المطبوع : « الأغانيا » . وفى المخطوطتين منه : « المغانيا » .

(٣) فى نفح الطيب المطبوع والمخطوطتين : « متنها » .

(٤) فى نفح الطيب المطبوع : « الدهر » . وهو تحريف .

(٥) شبت : أشعلت وأوقدت .

(٦) المدارى : جمع مدرى ، وهو المشط .

(٧) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « إذا ما أقلت در ثغر بروده »

مُصارَفَةُ النَّقْدَيْنِ فيها بمِثْلِها ... أجازَ بها قاضى الجمالِ التّقاضيا[١]

فإنْ مَلأَت كَفَّ النسيمِ مَعَ الضّحَى[٢] ... دَرَاهِمَ نَوْرٍ ظَلَّ عنها مكافِيا

فَيملأُ حِجْرَ الرَّوض حَوْلَ غصونها ... دنَانيرَ شَمْس تتركُ الرَّوضَ حاليا

تُغَرِّدُ[٣] فى أفْنانها الطَّيْرُ كُلّما ... تَجُسُّ به أيدِى القِيان المَلاَهيا

تُراجِعُها سَجْعاً فَتَحْسِب أنّهـــا ... بأصْواتها تُمْلِى عليها الأغانيا

فلم نَدْرِ[٤] رَوْضاً مِنه أنعمَ نَضْرَةً ... وأعطرَ أرجاءً وأحْلَى مَجانيا

ولم نَرَ قَصْراً منه أعلى مَظاهِرا ... وأرْفَعَ آفاقاً[٥] وأفْسَح ناديا

مَعَانِىَ مِن نَفْسِ الكمالِ انْتَقَيتَها ... وزيَّنْتَ منها بالجمــالِ المَغَانيا

وفاتَحْتَ مَبْناهُ بعيدِ شَرَعْتَهُ ... تَبُثُّ بِهِ فى الخافِقَيْنِ التهانيا[٦]

ولما دَعَوْتَ النـاسَ نحوَ صَنِيعِه ... أجابُوا لَهُ مِنْ جَانبِ الغَور[٧] دَاعِيا

وأَمُّوهُ مِنْ أقصى البِلادِ تَقرُّبا ... وما زالَ مِنْكَ السَّعْدُ يُدْنِى الأَقاصِيا

وأَذْكَرْتَ يومَ العرْضِ جُوداً ومَنْعَةً ... بمَوْقِفِ عَرْضٍ كنتَ فيه المُجازِيا

جَزَيْتَ به كُلاًّ عَلَى حالِ سَعْيِهِ ... فما غَرَسَتْ يُمْناهُ أَصْبَحَ جانِيا

وأَطْلَعْتَ مِنْ جَزْلِ الوَقُودِ هَوَادِجًا ... تذكّرُ يومَ النَّفْرِ مَنْ كانَ ساهِيا

وحِينَ غدَا يُذْكَى بِبَابِكَ[٨] للقِرَى ... فلا غرو أنْ أجْريتَ فيه المَذَاكيا[٩]

(١) فى نفح الطيب : « أجاز بها النقدين منها كما هيا » .
(٢) فى نفح الطيب : « بمثالها » مكان قوله : « مع الضحى » .
(٣) فى نفح الطيب : « تعود » .
(٤) فى ط : « فلم نر » وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٥) فى ط : « وأوضح إبانا » مكان قوله : « وأرفع آفاقا » ولا معنى له ، والتصويب عن نفح الطيب .
(٦) فى الأصلين : « التناهيا » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٧) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « الفوز » .
(٨) كذا فى م . وفى ط : « يذكى المنائر » . وفى نفح الطيب : « يذكى منائر » .
(٩) المذاكى من الخيل : التى أتى عليها بعد اكتمال قوتها سنة أو سنتان .

وطامحةٍ فى الجوِّ غيرِ مُطالقٍ ... يَرُدُّ مَداها الطَّرْفَ أَحْسَرَ عانيَا

تَمُدُّ لها الجَوْزاءُ كفَّ مُصافِحٍ[1] ... ويَدْنو لها بدرُ السماء مُناجيا

ولا عَجَبٌ أَنْ فاتت الشُّهْبَ بالعُلا ... وأَنْ حاوَرَتْ منها المَدَى المُتَناهيا

فَبيْنَ يَدَيْ مَثْواكَ قامت لخدمةٍ ... ومَنْ خَدَمَ الأَعْلَى استفادَ المَعاليا

وشاهدُ ذا أَنِّي ببابِكَ واقِفٌ ... وقد حَسَدَتْ زُهْرُ النُّجوم مكانيا

وقد أَرْضَعَتْ ثَدْيَ الغَمامِ[2] قبلَها ... بحِجْرِ رياضٍ كُنَّ فيه نَواشيا

فلما أُبينَتْ عَنْ قرارةِ أَصْلِها ... أَرادَتْ إلى مَرْقَى الغَمامِ تَعاليا

وعَدَّتْ لقاءَ السُّحْبِ عيداً ومَوْسِمًا ... لذاكَ اعْتَدَتْ بالزَّمْرِ تُلْهِي الغَوادِيا [٢٧٩]

فأَضْحَكَتِ البَرْقَ الطَّرُوبَ خِلالَها ... وباتَ لأَكواسٍ[3] الدَّرارِي مُعاطيا

رأَتْ نفسَها طالَتْ فظنَّتْ بأَنَّها ... تَفوتُ عَلَى رَغْمِ اللَّحاقِ المَرَاميا

تخِفُّ إليها الذَّابلاتُ[4] كأنَّها ... طُيورٌ إلى وَكْرٍ أطَلْنَ تَهاوِيا

حَكَتْ شَبَهًا للنخْلِ والنخلُ حَوْلَهُ ... عِصِيٌّ إلى مَثْواهُ تَهْوِي عَوالِيا

فمِنْ مُثْبِتٍ منها الرَّمِيَّةَ مُدْرِكٍ ... ومِنْ طائشٍ فى الجوِّ حلَّقَ وَانِيا

وحِصْنٍ منيعٍ فى ذُراهُ قد ارْتَقَى ... فأَبْعَدَ فى الجوِّ الفضاءِ المَرَاقِيا

كأَنَّ بُرُوجَ الأُفْقِ غارَتْ وقد رأَتْ ... بُروجَ قُصورٍ شِدْتَهُنَّ سَوامِيا

فأَنشأْتَ بُرْجًا صاعداً مُتَنزِّلا ... يكونُ رسولًا بينهنَّ مُدارِيا

تَطَوَّرَ حالاتٍ أَتَى فى ضُروبِها ... بأنواعِ حَلْيٍ تَسْتَفِزُّ الغَوانيا

---

(١) فى نفح الطيب : « مسارع » .

(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « الفاخر » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . والذى فى ط : « بانت » . ولم يسمع : « أكواس » جمعاً لـ« كأس » . وإنما المسموع : « أكؤس وكئوس وكئاس » .

(٤) يريد بالذابلات « النيازك » وهى الرماح . والذى فى نفح الطيب : « الزائلات » .

فَحِجْلٌ بِرِجْليها ، وِشاحٌ بخَصْرِها … وتاجٌ إذا[١] ما حلَّ منها الأعاليَا

وما هُوَ إلا طَيرُ سَعْدٍ بذِرْوَةٍ … غَدَا زاجِرًا من أشْهَبِ الصُّبْحِ بازِيا

أمولاىَ يا فخرَ الملوكِ ومَنْ به … سَيَبلُغُ دينُ اللهِ ما كان راجيا

بَنُوكَ على حكمِ السَّعادة خمسةٌ … وذا عَدَدٌ لِلعيْنِ ما زال واقيا

تَبيتُ لهمْ كَفُّ الثرَّيا مُعيذةً … ويصبحُ مُعْتَلُّ النَّسيمِ رَوَاقيا[٢]

أسامٍ عليها للسَعادةِ مِيسَمٌ … ترَى العِزَّ فيها مُسْتَكِنًّا وباديا

جعلْتَ أبا الحجَّاج فاتحَ طِرْسِهِمْ … وقد عرَفتْ منك الفُتُوحُ التَّواليا

وحَسْبُك سَعْدٌ ثم نَصر يَليهمُ … مُحمَّدُ الأرْضَى فما زِلتَ رَاضيا

أقمتَ بِهِ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ سُنَّةً … وجَدَّدْتَ مِنْ رسْمِ الهِداية عافيا

وجاءوا به مِلْءَ العُيونِ وَسامةً … يُقَلِّبُ وَجْهَ البَدْرِ أزْهَرَ باهِيا

فيا عاذلا ما كانَ أَجْرَأَ مِثْلَهُ … فَمِثلك لا يُدْمِى الأسودَ الضَّواريا[٣]

وجاءتْكَ مِن مِصْرَ التَّحايا كرائما … كما فَتَقَتْ أيدِى التِّجَارِ الغَواليا

ووافَتْكَ من أرض الحجاز تَميمةٌ … تُتَمِّمُ صُنْعَ اللهِ لا زالَ باديا

ونَادَاكَ بالتَّهْويل سُلْطانُ طَيْبَةٍ … فيا طِيبَ ما أهدَى إليكَ مُناديا

وقامَ وقد وافَى ضريحَ مُحَمَّدٍ … لِسلطانِك الأعلى هُنالك داعِيا

سَرِيرَتُكَ الرُّحْمَى جَزاكَ بِسعْيِها … إلهٌ يُوَفِّى فِى الجزاءِ المَساعِيا

فواللهِ لولا سُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ … عَهِدْنَاهُ مَهْدِيًّا إليها وهاديا

وعُذْرٌ مِنَ الإعذار قَرَّرَ حُكْمَهُ … من الشَّرْعِ أخبارٌ رُفِعْنَ عواليا

---

(١) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « إلى » .

(٢) فى م : « ويصبح معتل النواسم راقيا » .

(٣) فى ط : « فياغادراً . . . * فمثلك لايرى . . . الخ . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

[٢٨٠] لراعَتْ بهالِلحَرْبِ(١) أهوالُ مَوْقِفٍ ... تُشيبُ بمُبيضّ النُّصول العواليا
لكَ الحمدُ فيه من صَنِيعٍ تمُدُّه ... فتأتيه فى الفخر عزَّزَ ثانيا
تَشُدُّ له الجَوْزاءُ عِقْدَ نطاقها ... لتخدُمَ فيه كىْ تنالَ المعاليا
وهُنِّئتَ بالأمداحِ فيه وقد غدا ... وُجُودُكَ(٢) فيه بالإجادةِ وافيا
ودُونَكَ مِنْ بَحْرِ البيانِ جواهراً ... كَرُمْنَ فما يُشرَيْنَ إلاّ غواليا
وطارَدْتُ فيها وَصْفَ كلِّ غريبةٍ ... فأعْجَزْتُ مَنْ يأتى ومن كانَ ماضيا
فيا وَارِثَ الأنصارِ لا عَنْ كَلالَةٍ ... تُراثَ جَلالٍ يستخِفُّ الرَّواسيا
بأمداحِه جاءَ الكِتابُ مفصَّلا ... يُرتِّلُه فى الذِّكْرِ مَنْ كانَ تاليا
لَقدْ عَرَفَ الإسلامُ مِمَّا أفَدْتَه(٣) ... مكارمَ أنصـارِيَّةً وأياديا
عليكَ سلامُ اللهِ فاسلمْ مُخلَّداً ... تجـدِّدُ أعياداً وتُبْلِى أعاديا

فى صنيع للغنى بالله لإعذار بعض حفدته

ثم قال : ومِنْ ذَلِكَ أيضاً فيما اعْتَمُدْنا به نَحْن وأخونا المتولّى بالأمر بعد مولانا الوالد رحمة الله تعالى على الجميع من تلك الصنائع ، وهى جامعة لجمّ الأوصاف والبدائع :

نُجُومٌ أمَدَّتْها بُدورٌ كَوامِلُ ... لَهَا النُّورُ من شمْسِ الخِلافَةِ شامِلُ
وفى الشُّهْبِ مِنْ بدرِ السماءِ مَشَابِهٌ ... وفى البَدْرِ مِنْ شمْسِ النَّهارِ مَخايِلُ
وتُعْرَفُ فيها مِنْ أبيها شمائلٌ ... كما فى أبيها مِنْ أبيه شمائلُ
مَراتِبُ فى عَدِّ الحِسابِ ثلاثةٌ ... وهُنَّ لأقمارِ العَلاءِ منازِلُ
طَلَعْنَ عَلَى حُكْمِ السُّعودِ أهِلَّةً ... وسَرْعانَ ما تَبْدُو وهُنَّ كَوامِلُ

(١) فى نفح الطيب : « للجزر » .
(٢) فى الأصل : « وفودك » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوطتين وفى الأصلين : « أجدته » .

تجلّتْ إلى الأبصار مِنْ أُفُقِ الهُدى ... وبُثّتْ إلى الأنصارِ منها وسائلُ

فيأيُّها المولَى الذى شادَ آخرًا ... مِنَ الفَخْرِ ما لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائل

بنُوكَ كأمثالِ الأناملِ عِـدّةً ... فزانتْ يدَ الإسلامِ تِلْكَ الأنامل

غُصونٌ بروْضِ الجودِ مِنْكَ ترعْرعَتْ ... وقَدْ جادَهَا مِن صَوْب نُعْماكَ وابل

فواللهِ ما أدرِى إذَا ما تُذُوكِرَتْ ... أأخلاقها(١) تُجْلَى لنا أمْ شمائِل

غُيوثُ سَماحٍ والعُـفاة مَسايِلٌ ... لُيوث كِفاح والكُماةُ تُنازِل

سُيوفٌ مُحلّاةٌ عَلَى عاتِق الهُدَى ... إذا تُنْتضَى تمضِى وتَنْبو المَناصل(٢)

تَخاف عُداةُ الدِّين مِنْهُمْ وتتّقى ... كما تتقى الأُسْدَ الظباء الجوافل(٣)

وإنَّ أبا الحَجّاج وهْوَ كبيرُهم ... مَحلٌّ كثير دونَهُ مُتَضائِل

[٢٨١] مَليكٌ إذا استقبلْتَ غُرّةَ وجْهِهِ ... تخيّلْتَ أنَّ الشمسَ فيما تُقابِل

إذا استُمْطِرتْ فى المَحْلِ سُحْبُ بَنانه ... فهُنَّ لمستجدٍ هَوامٍ هَوامِل

وإنْ سالَ ماء البِشْر فوقَ جَبِينِهِ ... فلَيسَ بمَدْفوعٍ عن الوِرْد سائل

تَقلّد منـه عاتِقُ المُلْكِ صارِما ... لهُ العَزْم نَصْلٌ والسُّعودُ حَمائل

وأبناؤُه دُرٌّ تَناسَقَ عِقْدُه ... يُحلَّى بهم من لَبّةِ الفخر عاطِل

أزاهِرُ فى روض المحاسن أَيْنَعَتْ ... فلا رَوْضُها ذاوٍ ولا الزَّهْر ذابِل

زَواهِرُ فى أُفْقِ العَلاءِ تَطَلّعَتْ ... يُشابِهُ بعضٌ بعضَها ويُشاكِل

فما مِنْهُمُ إلّا أغَرُّ مُحَجَّلٌ ... بوِرْد المعالِى فى الشَّبيبةِ ناهِل

أقَتَ لها الإعذارَ مَوْسمَ رَحْمَةٍ ... تسنّتْ به للمتّقين المآمل

وما هُوَ إلا مَوْرِدٌ لِسَعادَةٍ ... تَفيضُ لها مِنهُ المُنَى والفَواضِل

---

(١) فى الأصلين : « لأخلاقها » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، ليستقيم الكلام .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « المفاصل » .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « الجوازل » جمع جوزل ، وهو الفتى من الظباء .

وأَجْرَيْتَ سَرْعانَ الجِياد بمَلْعَبٍ تذَكَّرَ فيه مَوْقِفَ الجِدِّ هازِلُ
نُجومٌ وآفاقُ الطِّرادِ مَشارِقٌ عليها بُدورٌ من وُجوهٍ كَوامِلُ
مَفاتيحُ أبوابِ الفُتوحِ فطالما أُبيحتْ بها للكافرينَ المَعاقِلُ
فأَشْهَبُ كالإصباحِ راقَ أديمُه وغالتْ به شُهْبَ السماءِ الغَوائلُ
أَلَمْ تَرَ أنَّ الشُّهْبَ فى الأُفْقِ كُلَّما تَجَلَّى له الإصْباحُ فهْىَ أَوائِلُ
وأحْمَرُ زانَ الوَرْدَ منْهُ خَميلةٌ يَحُفُّ به نَهْرٌ منَ السَّيْفِ سائلُ
جَرَتْ لَوْنَه منْ فَوْقِه مُهَجُ العِدَا فَلَلَّهِ منه الجامِدُ المُتَسايلُ[1]
تَلاقَى به أمْثالُهُ فكَأنّها جِمارٌ وقدْ أَذْكَى بها البأسَ باسلُ
إذا قَبَسَتْ بالرَّكْضِ فى حَوْمةِ الوغَى[2] تُثيرُ بها لَيْلَ القَتامِ مشاعلُ
وأشْقَرُ مَهْمَا جاوَلَ البَرْقَ فى مَدًى[3] يَفُوتُ جَوادَ البَرْقِ منهُ المُجاولُ
تَجَلَّى بمَحْلولٍ[4] النُّضارِ أديمُه فكلٌّ مُحَلًّى دُونَهُ فهْوَ عاطلُ
وَأَدْهَمُ فى مِسْحِ الدُّجَى مُتلَفِّعٌ وَقدْ خاضَ منهُ فى الصَّباحِ الأسافلُ
يُكَلَّلُ بالجَوْزاءِ حَلْيُ لِجامِهِ فَدُرُّ الدَّرارِى منْ حِلاه عَواطلُ
ولمْ يُرْضِهِ سَرْجُ الهلالِ مُفَضَّضًا فأعرضَ عنْها للأهِلَّةِ ناعلُ
وأصْفَرُ فى ثوبِ الأصيلِ قد ارْتَدَى ورَبَّتما وَدَّتْ حِلاهُ الأصائلُ
وقد قُدَّ منْ بُرْدِ العَشِيِّ جِلالُهُ وفى ذَيْلِهِ صِبْغٌ منَ اللَّيْلِ حائلُ

(١) هذا البيت ساقط فى ط .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « إذا اقتبست بالركن » .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « جاوز » .

(٤) كذا فى م . وفى ط : « بمجوال » .

[٢٨٢]

وصاعدةٌ فى الجو ملء عنانها تُسامت أعنانَ السَّما وتُطاولُ
طَلَمتْ تُحَيِّي البَدْرَ منها بصَعْدَةٍ عليها لِوَاء الصُّبح فى الأفق مائل
وقد أُغرِبَتْ بالرَّفع عن طيبِ فَخْرِها[1][2] متى نَصَبَتْها فى الفَضاء العوامل
يَمُدُّ لها الكفُّ الخَضيبُ بساعدٍ وبشكي السِّماك الأعزل الرُّمحَ عامل
مُنَتِّقتُها هيفُ العصىِّ كأنَّها سهامٌ رَمَاها للرَّمِيَّة نابل
تُرَاوِغُها طَوْراً وطَوْراً تُضيفُها فسام[3] لأَعْلَى مُرْتقاها ونازل
وبالأمس كانت بعضَ أغصان دَوحها فَنَقَّلَهَا عنها عَلَى الرَّغْم ناقل
فحَنَّت إلى أوطانها وتَسابَقَتْ تُعاوِدُ مَسْراها بها وتُواصل
وبُرجٌ مُنيفٌ فى ذُرَاها قد ارتقى اتَّرفَّعَ منهُ للبُروج الرَّسائل
تَطوَّرَ حالاتٍ أَتَى فى جميعها بأوضاع[4] حَلْيٍ وَصفُه مُتغافِل
فَتَاجٌ بأعلاها، وشاحٌ بخَصْرِها وفى الساق منه قد أُديرتْ خَلاخل
وما هو إلا قائمٌ مَدَّ مُلْكَهُ إلى الله فى البُقيا لما صَدَّ سائل
ولله عَيْنًا مَنْ رَأَى القصرَ حَوْلَهُ منازلُ فيها للسُّعود منازل
تَروقُكَ فيه للبُدُور مطالعٌ إذا مَثَلَتْ فى ساحتَيْه الأماثل
مَظاهرُ أقمارٍ مَرَاتِبُ أَنْجُمٍ منازلُ بالنَّصر العزيز أواهل
وقد كانَ هَوْلُ الحَفْل رَوَّعَ أَهلَهُ وأُشعِرتِ الإشفاقَ تلك المحافل

(١) كذا فى م . وفى ط : « بالفخر » .
(٢) فى م : « فخرها » .
(٣) فى الأصلين : « حسام » ولا معنى لها هنا .
(٤) فى م : « بأنواع » .

فأبدتْ به أبناءُ نَجْلِكَ أوْجُهاً تبينُ إلى السَّارين منها المَجَاهِلُ
فلا الحفل مَرْهُوبٌ ولا الخطوُ قاصِرٌ ولا السِّرْبُ مُرْتاعٌ ولا الرَّوْعُ هائِل
وَلا القَلْبُ مَنْخُوبٌ وَلا الحِلْمُ طائشٌ ولا العقل مَعْقول ولا الفِكر ذاهل
أولئكَ أبناءُ الخلافةِ بُورِكُوا وتَجْرى عَلَى أعدائِهن الصَّواهِل
هَنيئاً بها مِنْ سُـنَّةٍ نبَوِيَّةٍ زَهَا الفخرَ مَحْصُولٌ لَدَيْهَا وَحَاصِل
ورُحْمى له مِنْ عاذِرٍ بانَ عُذْرُهُ وأَوْهَمَ نَقْصًا فَضْلُهُ مُتطَاوِل
فَنقْصُ هِلالِ الأُفْقِ ما زَالَ مُؤْذِناً لمَرْآهُ أَنْ يَبْدو لنا وَهْوَ كامل
ومِنْ نَقْصِ ظِلِّ الشَّمسِ تَزْدادُ رِفْعَةً إلى أن تُرَى والظِّلُّ فى الشَّرْق مَائل
وإن تابعَ النَّقْصُ الشُّهورَ فإنَّها عَلَى إثْرِهِ تأتى وَهُنَّ كَوَامِل
ونَقْصُ صلاةِ الظُّهْر يَوْمَ عَرُوبةٍ لِمَعنى كمَالٍ أوضحَتْهُ الدَّلائِل
وإن نَقَصَ البازِى رِياشَ جَنَاحِهِ يزيدُ اسْتِباقًا وهْو للصَّيد خاتِل
وتَسْتَفْرِغُ الأَنْعَامُ ما فى ضروعِها عَشِيًّا لِتَغدُو والضروعُ حَوافل
ونَقْصُ زَكَاةِ المالِ فيهِ وُفورُهُ ومَشْق ذُباب السَّيف يَخْشَاهُ صاقِل
لكَ الخيرُ مِن صُنْعٍ جلوتَ مَحَاسِناً يُحَدِّى بها حادِى السُّرَى ويُناقِل
ألا هَكَذَا فليَعْقِدِ الفَخْرُ تاجَهُ ويَسْمو إلى أَوْجِ العُلا ويُطَاوِل [٢٨٣]
بأَبلَجَ غارَ الصُّبْحِ منهُ بطَلْعَةٍ لهَا البَدْرُ تاجٌ والنُّجومُ قَبائل
إذا خَطَبَ العَلياَ تَخطَّتْ بِرَكْبِهِ عَلَى خَطَرِ المَسْعَى القَنَا والقَنابِل
ولوْ رامَ إدراكَ النُّجومِ بحِيلةٍ لأَحرزَ مِنْ إدراكِها ما يُحاوِل
وإن طلبَتْ زُهْرُ النُّجومِ لَحاقَهُ فمِنْ دُونِ مَا تبغِى المَدى المُتطاوِل
وتَخْفُقُ بالنَّصرِ العَزيزِ بنُودُهُ إذا خَفَقَتْ فيها الصَّبا والشَّمائل
وليلِ جِهادٍ باتَ يرعَى نُجومَهُ فَلاَ الليلُ مُنْجابٌ ولا النَّجْمُ آفِل

يُرَاعِي حُمَاةُ الدِّينِ فِيهِ بِمُقْلَةٍ   يُرَاعِي بِهَا الإِسْلَامَ كَافٍ وَكَافِلُ
إِذَا اشْتَاقَ هَزَّ الرِّيحُ خَافِقَ بَنْدِهِ   وَإِنْ حَنَّ غَنَّتْهُ الْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ
وَفِي اللهِ عَنْ وَصْلِ الأَحِبَّةِ مَرْغَبٌ   وَفِي الْغَزْوِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنَازِلِ[1] شَاغِلُ
مِنَ الْخَزْرَجِيِّينَ الَّذِينَ نَمَتْهُمُ   عَشَائِرُ مِنْ قَحْطَانِهَا وَفَصَائِلُ
تَسَامَى إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ[2] فَجُودُهُ   بِمَاءِ سَمَاءٍ فِي الْبَسِيطَةِ حَائِلُ[3]
أَقُولُ لِمُسْتَامِ الرَّبِيعِ وَقَدْ غَدَا   يَرُودُ مَصَابَ[4] الْغَيْثِ وَالْعَامُ مَاحِلُ
أَمَامَكَ دَارٌ لِلْغَنِيِّ بِرَبِّهِ   بِأَرْجَائِهَا لِلْمُعْتَفِينَ مَنَاهِلُ
تَفَجَّرَ مِنْ كَفَّيْهِ عَشْرَةُ أَبْحُرٍ   يَغَصُّ بِهِنَّ الْبَحْرُ[5] وَهْيَ أَنَامِلُ
فَتَجْرِي بِهَا سُفْنُ الرَّجَاءِ إِلَى مَدًى   وَلَيْسَ إِلَى الْجُودِيِّ مِنَ الْجُودِ سَاحِلُ[6]
فَرَاجِيهِ تَسْتَجْدِي الْعُفَاةُ نَوَالَهُ   وَسَائِلُهُ تُزْجَى إِلَيْهِ الْوَسَائِلُ
أَحَادِيثُ عَنْهُ فِي السَّمَاحِ غَرِيبَةٌ   يُرَوِّي عَوَالِيهَا عَطَاءٌ وَوَاصِلُ
لَكَ اللهُ مِنْ نُولِ غَمَامُ بَنَانِهِ   أَقَامَتْ فُرُوضَ الْبِرِّ مِنْهَا النَّوَافِلُ
طَلَعْتَ بِأُفْقِ الْغَرْبِ نَيِّرَ رَحْمَةٍ   وَقَدْ شَرُفَتْ مِنْكَ الْعُلَا وَالْفَضَائِلُ
فَحَمْدُكَ أَحْرَى مَا أَفَادَتْ حَقَائِبٌ   وَذِكْرُكَ أَسْنَى مَا أَقَلَّتْ رَوَاحِلُ

---

(١) فى م : « المعاهد » .

(٢) ماء السماء : لقب عامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مزيقيا ، ويقال لولده : بنو ماء السماء ، وهم ملوك الغساسنة الذين منهم الأنصار ، قبيلة الممدوح . قال بعض الأنصار :

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدى   أبوه عامر ماء السماء

(٣) فى م : « جائل » بالجيم المعجمة .

(٤) كذا فى م . ويرود مصاب الغيث ، أى يتطلب مساقط المطر . والذى فى ط : « يروم خصاب » .

(٥) فى ط : « النهر » .

(٦) فى م : « سوى » مكان قوله : « إلى » .

تَرُومُ جَواريَ الشُّهْبِ شأْوَكَ فى العُلا ... ومِنْ دُونِه للنَّيِّراتِ مَرَاحِلُ
وفى الصُّبح مِن ذاكَ الجبينِ أشِعَّةٌ ... وفى الشمسِ من ذاكَ المُحَيَّا دَلائلُ
وفى الرَّوْضِ مِن رِياكَ عَرْفٌ ونَفْحةٌ[(1)] ... وَفى الغيثِ مِن يُمْناكَ جُودٌ ونَائِلُ
إذا أَنتَ لم تَزْحَمْ الجنودَ إلى العُلا ... فإنَّ جُنودَ اللهِ عنكَ تُقَاتِلُ
وإن لم تُقَوِّمْها سِهاماً مَرِيشةً ... فإن سِهامَ اللهِ عنكَ تُناضِلُ
تَرِيشُ لكَ الأقدارُ أسْهُمَ أسْعُدٍ ... تُصَابُ بها للدَّارِعِينَ مَقاتِلُ
لكَ العِزُّ تَسْتَجلِى الخُطوبَ بنُورِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ إلا الصَّباحَ مماثِلُ
إذا العَزْمُ لم يَصْقُلْ حُسامَ كَمِيِّهِ ... فما نافعٌ ما قَدْ جَلَتْهُ الصَّيَاقِلُ

فَقَبْلَ مَضاءِ السَّيفِ تُمْضَى عَزائِمٌ ... وبَعْدَ بِناءِ الرَّأْىِ تُبْنَى المعاقِلُ
وما يَستوِى ـ والعِلْمُ للهِ وحدَهُ ـ ... عليمٌ بأعقابِ الأمورِ وجاهِلُ
تُظَلِّلُ سُحْبُ الطَّيْرِ جيشَكَ حيثُما ... تَميلُ به الرَّاياتُ وَهْيَ حَوامِلُ
فَلاقَى بها عِقْبانَ طيرٍ ورايةٍ ... تُبِيدُ الأعادى والرِّماحُ حَبائِلُ
فَقُل لِعَميدِ الرُّومِ دُونَكَ فارتقِبْ ... طَلائعَ فيها للمنايا رَسائِلُ
وَشِمْ بارِقَ السَّيْفِ اللَّمُوعِ جُفُونُهُ ... سَحابٌ[(2)] فتَمَّ تَحْتَهُ الدَّمُ سائِلُ
ولا تَزْجُرِ الغِرْبانَ فى البحرِ إنَّها ... سَفائِنُ والبحرُ المُذَلَّلُ حامِلُ
ولكنَّها واللهُ يُنْجِزُ وَعْــدَهُ ... جَوارٍ بآسادِ الرِّجالِ حَوامِلُ
ومُخْضَرَّةُ الأرجاءِ فى جَنَباتِها ... مَسارِحُ تَحْمِيها الرِّماحُ الذَّوابِلُ
تَرَى الدَّوْحَ مِنْها بالأسِنَّةِ مُزْهِرًا ... إذا ما سَقَتْهُ للسُّيوفِ الجَداوِلُ
تَبُلُّ غَلِيلَ الرُّمحِ مِن مُهَجِ العِدا ... إذا ما كَسَتْ منها الرِّماحَ غَلائِلُ

(١) فى ط : « نعمة » ولا يستقيم بها الكلام هنا ، وما أثبتناه عن م .
(٢) فى ط : « حسام » . وفى م : « سجام » ولعلهما محرفتان عما أثبتناه .

فياعجبًا للرُّمحِ روَّيتَهُ دمًا — وقد راقَ منه العينَ ريَّانُ ذابلُ
لقدْ كمَلَتْ فيكَ المحاسنُ كلُّها — وما كلُّ مَنْ يُعْطَى الخلافة كاملُ
فعندَ جميعِ الخلقِ شكرُكَ عاجلٌ — وعندَ الإلهِ الحقِّ أجرُكَ آجِلُ
ودُونكَ مِنْ نَظْمِى جَواهرَ حِكمةٍ — يُفاخِرُ منها السِّحْرَ بالشِّعرِ بَابِلُ[1]
وما هُو إلَّا ذِكْرُ أوصافِكَ العُلا — فَتَفعَلُ[2] يا مَوْلاىَ والعبْدُ قائلُ
فتَتلُو عَلَى الأسْماعِ منها بدائعٌ — وتُجْلَى عَلَى الأبصارِ منها عقائلُ
ولَوْ أنَّنِى أدْرَكْتُ أعْصارَ مَنْ مَضى — لَمَا قالَ فيها الشاعرُ المتخايلُ
«وإنِّى وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ — لآتٍ بما لم تَستَطِعْهُ الأوائلُ»[3]
ولا افتخرتْ قِدمًا إيادٌ بقُسِّها — ولا استُصْحِبَتْ سَحْبانُ فى المحوافلِ
فلا زِلْتَ يامَوْلاىَ مَوْرِدَ رحْمةٍ — عِطاشُ الأمانى فى رضاكَ[4] نَواهلُ
تُقيمُ رُسومَ المَعْلُواتِ[5] بمَغْرِبٍ — وذِكْرُكَ فى أقصَى البَسِيطَةِ جائلُ
وأدركتَ فى الأعداءِ ما أنتَ طالبٌ — وبُلِّغْتَ فى الأبناءِ ما أنتَ آملُ

في صنيع لبعض أمراء بنى الأحمر

ثم قال : ومن ذلك فى الصَّنيع المختصِّ بالأمراء الجِلة ، أخينا المعزّ لدولتنا [٢٨٥] أبى الحسن ، وأخينا أبى العباس ، وابن عمنا أبى عبد الله ، وصل الله سعودهم ، ولقد أبدع فى تشييده وتأسيسه ، وبسط يد الحسن من براعة تخميسه ، وذلك عام عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبتة لما عادت إلى ملكه ، قال :

---

(١) كذا فى م . وفى ط « نائل » والمعنى لا يستقيم على هذه الرواية .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « فتنقل » .
(٣) البيت من قصيدة فى الفخر لأبى العلاء المعرى .
(٤) فى م : « الأمانى فى توال نواهل » .
(٥) المعلوات : جمع معلوة (كمكرمة) من العلو ، يريد معالى الأمور ، ومكاسب الشرف . وقد عثرنا عليها فى اللسان نقلا عن ابن برى ، فليُصحح ما جاء بالحاشية الثانية صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

أرقتُ لِبَرْقٍ مِثْلِ جَفْنِىَ ساهرًا يُنظِّمُ من قطرٍ[١] الغَمامِ جَواهرًا
فأضحَكَ زَهْرُ الرَّوضِ منه أزاهرًا وصبح حكى وجهَ الخليفةِ باهرًا

تجسَّم من نورِ الهُدَى وتجسَّدا

شفانِىَ مُعْتلُّ النسيم إذا انبَرى وأسْندَ عَن دَمعِى الحديثَ الذى جَرَى
وَقد فتقَ الأرْجاءَ[٢] مِسكًا وعَنبرًا كأنَّ الغَنِىَّ بالله فى الرَّوْضِ قد سَرَى

فبثَّتْ بِهِ الأرْواحُ عاطِرَةَ الرِّدَا

عَذيرِى مِنْ قلبٍ إلى الحُسْنِ قد صَبَا تُهيِّجُهُ الذِّكْرَى ويَصْبُو إلى الصَّبَا
ويَجْرِى جِيادَ اللَّهْوِ فى مَلْعبِ الصِّبا ولَوْلا ابْنُ نَصرٍ مَا أفاقَ وأعْتَبا[٣]

رأَى وَجْهَهُ صُبْحَ الهدايةِ فاهتَدَى

إليكَ أميرَ المُسلِمينَ شِكايَةً جَنَى الحُسْنُ فيها للقُلوبِ جِنايَةً
وَأعْظمَ فيها بالعُيونِ نِكايةً وأطْلعَ فى لَيْلٍ من الشَّعْرِ آيَةً

مُحيَّا جَميلا بالصَّباحِ قد ارْتَدى

بِهَدْيكَ تَهْدِى النَّيِّراتُ وتَهْتَدِى وأنْواءُها جَدْوَى يَمينِكَ تَجْتَدِى
وعَدْلُكَ للأمْلاكِ[٤] أوضحُ مُرْشِدِ بآثارِهِ فى مُشْكِلِ الأمرِ تَقْتَدِى

فَما بالُ سُلْطانِ الجمالِ قد اعْتَدَى

تحكَّمَ مِنَّا فى نُفوسٍ ضَعيفةٍ وسَلَّ سُيُوفًا مِنْ جُفُونٍ نَحيفةٍ
ألَمْ يَدْرِ أنَّا فى ظِلالِ خَليفةٍ ودَوْلَةِ أمْنٍ لا تُراعُ مُنيفةٍ

بِهَا قد رَسا دِينُ الهُدَى وتمهَّدا

---

(١) فى ط : « نظم » . وما أثبتناه عن م والمخطوطتين من نفح الطيب : وهو أولى بالسياق .
(٢) فتق الأرجاء : طيبها وخلطها بمسك وعنبر .
(٣) كذا فى نفح الطيب . وأعتب (هنا) : رضى . وفى (ط) : « ما أفاق ولا اجتبى » . وفى م : « وما اجتبى » .
(٤) كذا فى ط . والأملاك : جمع ملك (بكسر اللام) . وفى م : « للأفلاك » .

خُذوا بدم المُشْتَاق لَحْظًا أرَاقَهُ وَرِقُّوا بأعْلامِ الثَّنِيَّةِ شَاقَهُ
وإن كلفُوهُ فَوْقَ ما قدْ أطَاقَهُ يَبُثُّ حَدِيثًا ما ألَذَّ مَسَاقَهُ(١)

خَليفَتنا المولى الإمامَ محمَّدا

تَقلَّدَ حكمَ العَدْلِ دِينًا وَمَذْهَبَا وجَوْرَ اللَّيالى قَدْ أزاحَ وأذْهَبا
فَيا عَجَبًا للشَّوْقِ أذْكَى وألْهَبَا وَسلَّ صَبَاحًا صَارمَ البَرْقِ مُذْهَبَا

وقَدْ باتَ فى جَفْنِ الغَمامَةِ مُغْمَدَا

[٢٨٦]

يُذكّرُنى ثَغْرًا لأسماءَ أشْنَبا إذَا ابْتَسَمَتْ تَجلُو من الَّليْلِ غَيْهَبَا
كَعَزْمِ أميرِ المسْلمين إذا احتَبى وأجْرَى به طِرْفًا من الصُّبْحِ أشْهَبَا

وأصْدَرَ فى ذاتِ الإلهِ وَأوْرَدَا

فَسُبْحَانَ مَنْ أجْرَى الرِّياحَ بِنَصرِهِ وعَطَّرَ أنفاسَ الرِّياضِ بشُكْرِهِ
فَرَدَّ الصَّبَا يَطْوِى عَلَى طيبِ نَشرِهِ ومَهْمَا تَجَلَّى وجْهُهُ وَسْطَ قَصرِهِ

تَرَى هَالَةً بَدْرُ السَّماءِ بها بَدَا

إمامٌ أفَادَ المَعْلُوَاتِ(٢) زَمَانَهُ فَمَا لحِقَتْ زُهْرُ النُّجُومِ مَكانَهُ
وَمَدَّ عَلَى شَرْقٍ وغَرْبٍ أمَانَهُ وَلاَ عَيْبَ فِيــهِ غَيْرَ أنَّ بَنَانَهُ

تُغَرِّقُ مُسْتَجْدِيهِ فى أبْحُرِ النَّدَى

هُوَ البَحْرُ مَدَّ العارِضَ المُتَهلِّلا هُوَ البَدْرُ لكِنْ لاَ يَزَالُ مُكمَّلا
هُوَالدَّهْرُ لاَيَخْشَى الخُطُوبَ وَلاَ وَلاَ(٣) هُوَ العَلَمُ الخَفَّاقُ فى هَضْبَةِ العُلا

هُوَ الصَّارِمُ المَشْهُورُ فى نُصرَةِ الهُدَى

---

(١) فى م : « مذاقة » .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٨١ من هذا الجزء .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « ولا الولا » .

أَمَا وَالَّذِى أَعْطَى الوُجُودَ وُجُودَهُ   وَأَوْسَعَ مِنْ فَوْقِ البَسِيطَةِ جُودَهُ
لَقَدْ أَصْحَبَ النَّصرَ العَزِيزَ بُنُودَهُ   وَمَدَّ بِأَمْلَاكِ السَّمَاءِ جُنُـــودَهُ
وَأَنْجَزَ لِلْإِسْلَامِ بِالنَّصرِ مَوْعِدَا

أَمَوْلَاىَ قَدْ أَنْجَحْتَ رَأْياً وَرَايَةً   وَلَمْ تُبْقِ فى سَبْقِ المَكَارِمِ غَايَةً
فَتَهْدِى سَجَايَاكَ ابْنَ رُشْدٍ[1] نِهَايَةً   وَإِنْ كَانَ هَذَا السَّعْدُ مِنْكَ بِدَايَةً
سَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُخَلَّدَا

سُعُودُكَ تُغْنِى عَنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ   وُجُودُكَ يُزْرِى بِالْغَمَامِ السَّوَاكِبِ
وَإِنْ زَاحَمَتْهَا شُهْبُهَا بِالمَنَاكِبِ   وَوَجْهُكَ بَدْرُ المُنْتَدَى وَالمَوَاكِبِ
وَقَدْ فَسَحَتْ[2] فى الفَخْرِ أَبْنَاؤُكَ المَدَى

بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الأَنَامِلِ عِـدَّةً   أَعَدَّتْ لِمَا يُخْشَى مِنَ الدَّهْرِ عُدَّةً
وَزِيدَ بِهِمْ بُرْدُ الخِلَافَةِ جِدَّةً   أَطَالَ لَهُمْ فِى ظِلِّ مُلْكِكَ مُدَّةً
إِلٰهٌ يُطِيلُ العُمْرَ مِنْكَ مُؤَبَّدَا[3]

بُدُورٌ بِأَوْصَافِ الكَمَالِ اسْتَقَلَّتِ   غَمَامٌ بِفَيَّاضِ النَّوَالِ اسْتَهَلَّتِ
سُيُوفٌ عَلَى الأَعْدَاءِ بِالنَّصرِ سُلَّتِ   نُجُومٌ بِآفَاقِ العَلَاءِ تَجَلَّتِ [٢٨٧]
وَلَاحَتْ كَمَا شَاءَتْ سُعُودُكَ أَسْعُدَا

وَإِنَّ أَبَا الحَجَّاجِ سَيْفُكَ مُنْتَضَى   وَبَدْرٌ بِآفَاقِ الْجَمَالِ تَعَرَّضَا
بِنُورِكَ يَا شَمْسَ الْخِلَافَةِ قَدْ أَضَا   وَرَاقَتْ عَلَى أَعْطَافِهِ حُلَلُ الرِّضَا
فَحَلَّ مَحَلًّا مِنْ رِضَاكَ[4] مُمَهَّدَا

(١) يريد : إذا كان ابن رشد قد جاء بـ « بداية المجتهد » ، فقد جاءت هممك وسجاياك بالنهاية التى لا مطلب وراءها لمجتهد .
(٢) فى الأصلين : « سبحت » ، ولا يستقيم بها المعنى ، وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) فى ط : « مؤيدا » . بالمثناة التحتية .
(٤) فى نفح الطيب : « علاك » .

مَلِيكٌ لَهُ تَعْنُو المُلُوكُ جَلَالَةً ... يُجَرِّرُ أَذْيَالَ الفَخَارِ مُطَالَةً
وتَفْرَقُ أُسْدُ الغَابِ مِنْهُ بَسَالَةً ... وتَرْضَاهُ أَنْصَارُ الرَسُولِ سُلَالَةً
فَأَبْنَاؤُهُ طَابُوا فُرُوعاً وَمَحْتِدَا

أَزَاهِرُ في رَوْضِ الخِلَافَةِ أَيْنَعَتْ ... زَوَاهِرُ في أُفْقِ العَلَاءِ تَطَلَّعَتْ
جَوَاهِرُ أَعْيَتْ في الجَمَالِ وَأَبْدَعَتْ ... وعَنْ قِيمَةِ الأَعْلَاقِ قَدْراً تَرَفَّعَتْ
يُسَرُّ بِهَا الإِسْلامُ غَيْباً وَمَشْهَدَا

بِعَهْدِ[(١)] وَلِيِّ العَهْدِ — كُرِّمَ عَهْدُهُ ... وأَنْجِزَ في تَخْلِيدِ مُلْكِكَ وَعْدُهُ —
تَنَظَّمَ مِنْهُمْ تَحْتَ شَمْلِكَ[(٢)] عِقْدُهُ ... وَأَوْسَطُهُمْ فَخْرًا أَبُوهُ وَجَدُّهُ
فَأَعْلِ عَلِيًّا حِينَ أَحْمَـــدَ أَحْمَدَا

تَحُوطُ بِهِمْ مُلْكاً عَزِيزاً وَمِلَّةً ... وتَلْحَظُ عَيْنُ السَّعْدِ مِنْهُمْ أَهِلَّةً
سَتَبْدُو عَلَى أُفْقِ العُلَا مُسْتَقِلَّةً ... وَسُحْبًا بِفَيَّاضِ النَّدَى مُسْتَهِلَّةً
تُفَجِّرُ بَحْرًا لِلسَّمَاحَةِ مُزْبِدَا

ونَجْلُكَ نَصْرٌ يَقْتَفِي نَجْلُ[(٣)] رَسْمِهِ ... أَمِيرٌ يَزِينُ العَقْلَ رَاجِحُ حِلْمِهِ
أَتَاكَ بِنَجْلٍ يُسْتَضَاءُ بِنَجْمِهِ ... لِحُبِّ رَسُولِ اللهِ سَمَّاهُ بِاسْمِهِ
وبِاسْمِكَ في هَذِي المُوَافَقَةِ اقْتَدَى

أَقَمْتَ بِإِعْذَارِ الإِمَارَةِ سُـــنَّةً ... وَطَوَّقْتَهَا مِنْ حَلْيِ فَخْرِكَ مِنَّةً
وَأَسْكَنْتَهَا في ظِلِّ بِرِّكَ جَنَّةً ... وَأَلْحَفْتَهَا بُرْدَ اعْتِنَائِكَ جُنَّـةً
وَعَمَّرْتَ مِنْهَا بِالتِّلَاوَةِ مَسْجِدَا

(١) كذا في نفح الطيب . والذي في الأصلين : « أبوهم » . وهو أبو الحجاج يوسف ابن الغني بالله .
(٢) في م : « ظلك » .
(٣) كذا في ط . وفي م : « تقتفي نجل » .

فَلِلّهِ عَيْنَا مَنْ رَآهُمْ تَطَلَّعُوا غُصُوناً بِرَوْضِ الجُودِ مِنْكَ تَرَعْرَعُوا
وَفى دَوْحَةِ الْعَلْيَاءِ مِنْكَ تفرَّعُوا مُلوكٌ بِجِلْبَابِ الْحَيَاءِ تَقَنَّعُوا
أضَاءَ بِهِمْ مِنْ أُفْقِ قَصْرِكَ مُنْتَدَى

وَقدْ أشْعَرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ نُفُوسَهُمْ وَقدْ أفْرَغُوا[1] فَوْقَ الْحُلَى لَبُوسَهُمْ
وَقدْ زَيَّنُوا بالْبِشْرِ فِيهِ شُمُوسَهُمْ وعَاطَوْا كُئُوسَ الأُنْسِ[2] فِيهِ جَلِيسَهُمْ [٢٨٨]
وَأبْدَوْا عَلَى هَوْلِ المَقَامِ تَجَلُّدَا

شَمَائِلُ فِيهِمْ مِنْ أَبِيهِمْ وَجَدِّهِمْ تُفَصِّلُ آىُ الفَخْرِ فِيهَا بِحَمْدِهِمْ
وَتَنْسُبُهَا الأنْصَارُ قِدْمًا لِسَعْدِهِمْ تُضِىءُ بِهَا نُورًا مَصَابِيحُ سَعْدِهِمْ
وَلِمْ لاَ وَمِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ تَوَقُّدَا

فَوَ اللهِ لَوْلاَ سُنَّةٌ قَدْ أقَمْتَهَا وَسِيرَةَ هَدْىِ لِلنَّبِىِّ عَلِمْتَهَا
وَأحْكَامَ عَدْلٍ لِلجُنُودِ رَسَمْتَهَا لَجَالَتْ بِهَا الأَبْطَالُ تَقْصِدُ سَمْتَهَا
وَتَتْرُكُ أوْصَالَ الوَشِيجِ مُقَصَّدَا[3]

وَيَا عَاذِرًا أبْدَى لَنَا الشَّرْعُ عُذْرَهُ طَرَقْتَ حِمًى قَدْ عَظَّمَ اللهُ قَدْرَهُ
وَأَجْرَيْتَ طِيباً يَحْسُدُ الطِّيبُ نَشْرَهُ لَقَدْ جِئْتَ مَا تَسْتَعْظِمُ الصِّيدُ أمْرَهُ
وَتَفْدِيهِ إنْ يَقْبَلْ خَلِيفَتُهَا فِدَا

رَعَى اللهُ مِنْهَا دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً أفَادَتْ نُفُوسَ المُخْلِصِينَ إنَابَةً
وَلَمْ تُلْفِ مِنْ دُونِ القَبُولِ حِجَابَةً وَعَاذِرُهَا لَمْ يُبْدِ عُذْرًا مَهَابَةً
فَأَوْجَبَ عَنْ نَقْصٍ كَمَالًا تَزَيُّدَا

---

(١) فى نفح الطيب : « وأضفوا به » مكان قوله : « وقد أفرغوا » .
(٢) فى م : « الأمن » .
(٣) الوشيج : شجر الرماح ، ويريد به هنا الرماح نفسها . والمقصد : المكسر .

فَنَقْصُ زَكاة (١) المَالِ وَفْرُ نِصابِهِ وَمَا السَّيْفُ إلاَّ بَعْدَ مَشْقٍ ذُبابِهِ
وَمَا الزَّهْرُ إلاَّ بَعْدَ شَقِّ إهابِهِ بِقَطْعِ يَرَاعِ الخَطِّ حُسْنُ كِتابِهِ
وبالقَصِّ يَزْدادُ الذُّبَالُ تَوَقُّدَا

وَلَمَّا قَضَوْا مِنْ سُنَّةِ الشَّرْعِ وَاجِبَا وَلَمْ نَلْقَ مِنْ دُونِ الخِلافَةِ حَاجِبَا
أفَضْنَا تُهَنِّى مِنْكَ جَذْلانَ وَاهِبَا أفَاضَ عَلَيْنَا أنْعُمًا وَمَوَاهِبَا
تَعَوَّدَ بَذْلَ الجُودِ فِيما تَعَوَّدَا

هَنِيئًا بِهذَا (٢) قَدْ بَلَغْتَ مُؤمَّلَا وَأطْلَعْتَ نُورًا يَبْهَرُ المُتَأمِّلَا
وَأحْرَزْتَ أجْرَ المُنْعِمِينَ مُكَمَّلَا تَبَارَكَ مَنْ أعْطَى جَزِيلاً وَأجْمَلَا
وَبَلَّغَ فِيكَ الدِّينَ وَالمُلْكَ مَقْصِدَا

ألَا فى سَبِيلِ العِزِّ وَالفَخْرِ مَوْسِمُ يَظَلُّ بِهِ ثَغْرُ المَسَرَّةِ يَبْسِمُ
وَعَرْفُ الرِّضَا مِنْ جَوِّهِ يَتَنَسَّمُ وَأرْزَاقُ أرْبَابِ السَّعَادَةِ تُقْسَمُ
فَفِى وَصْفِهِ ذِهْنُ الذَّكِىِّ تَبَلَّدَا

وَجَلَّتْ فى هَذا الصَّنِيعِ مَصَانِعا تَمَنَّى بُدُورُ التِّمِّ مِنْهَا مَطَالِعا
[٢٨٩] وَأبْدَيْتَ فِيهَا لِلْجَمَالِ بَدَائِعا وَأجْرَيْتَ (٣) لِلْإحْسَانِ فِيهَا مَشَارِعا
يَوَدُّ بِهَا نَهْرُ المَجَرَّةِ مَوْرِدَا

وَأجْرَيْتَ فِيهَا الخَيْلَ وَهْىَ سَوابِقُ وإنْ طَلَبَتْ فى الرَّوْعِ فَهْىَ لَوَاحِقُ
نُجُومٌ وَآفَاقُ الطِّرَادِ مَشَارِقُ يَفُوتُ التِمَاحَ الطَّرْفِ مِنْهَا بَوَارِقُ
إذَا مَا تُجارِى الشُّهْبَ تَسْتَبِقُ المَدَى

(١) فى نفح الطيب : « كمال » .
(٢) فى نفح الطيب : « هنيئا » مكان قوله : « بهذا » .
(٣) فى م : « وأعذبت » .

وَتَطْلُعُ فى لَيْلِ القَتَامِ كَوَاكِبَا وَقَدْ وَرَدَتْ نَهْرَ النَّهَارِ مَشَارِبَا
تَعُودُ إلى الأعْدَاءِ مِنْها كَتَائِبَا فَتَرْسُمُ مِنْ فَوْقِ التُّرَابِ مَحَارِبَا
تَخِرُّ رُءوسُ الرُّومِ فِيهِنَّ سُجَّدَا

سَوَابِحُ بِالنَّصْرِ العَزِيزِ سَوَانِحُ وَهُنَّ لأَبْوَابِ الفُتُوحِ فَوَاتِحُ
تَقُودُ إلَيْكَ النَّصْرَ وَاللّٰهُ مَانِحُ فَمَا زِلْتَ بَابَ الخَيْرِ وَاللّٰهُ فَاتِحُ
وَمَا ثَمَّ شَىْءٌ قَدْ عَدَا بَعْدَ مَا بَدَا

رِيَاحٌ لَهَا مَتْنُ البُرُوقِ أَعِنَّةٌ ظِبَاءٌ فَإِنْ جَنَّ الظَّلَامُ فَجِنَّةٌ
تَقِيهَا مِنَ البَدْرِ المُتَمِّمِ جُنَّةٌ وَتُشْرِعُ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ أَسِنَّةٌ
فَتَقْذِفُ شُهْبَ الرَّجْمِ فى ثَغْرِ العِدَا

فَأَشْهَبُ مِنْ نَسْلِ الوَجِيهِ إِذَا انْتَمَى جَرَى فَشَأَى شُهْبَ الكَوَاكِبِ فى السَّمَا
وَخَلَّفَ مِنْهَا فى المَقَلَّدِ أَنْجُمَا تَرَدَّى جَمَالاً بِالصَّبَاحِ وَرُبَّمَا
يَقُولُ لَهُ الإصْبَاحُ نَفْسِى لَكَ الفِدَا

وَأَحْمَرُ قَدْ أَذْكَى بِهِ البَأْسُ جَمْرَةً وَقَدْ سَلَبَ اليَاقُوتَ وَالوَرْدَ حُمْرَةً
أَدَارَ بِهِ سَاقِى مِنَ الحَرْبِ خَمْرَةً وَأَبْدَى حَبَابًا فَوْقَهَا الحُسْنُ غُرَّةً
يَزِينُ بِهَا خَدًّا أَسِيلاً مُوَرَّدَا

وَأَشْقَرُ مَهْمَا شَعْشَعَ الرَّكْضُ بَرْقَهُ أَعَارَ جَوَادَ البَرْقِ فى الأُفْقِ سَبْقَهُ
بَدَا شَفَقًا قَدْ جَلَّلَ الحُسْنُ أُفْقَهُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَبْدَعَ خَلْقَهُ
فَسَالَ عَلَى أَعْطَافِهِ الحُسْنُ عَسْجَدَا

وَأَصْفَرُ قَدْ وَدَّ الأَصِيلُ جَمَالَهُ وَقَدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ العَشِىِّ جِلَالَهُ

إذا أسرجوا جُنحَ الظلام ذُبالَهُ فغُرَّتُهُ نجمٌ تضيء مَجالَهُ
وفي ذيله ذيلُ الظلام قد ارتدى

وأدهمُ في مِسْحِ[(1)] الدُّجَى مُتجرِّدٌ يجيشُ به بحرٌ من الليل مُزبِدُ
[٢٩٠] وغُــرَّتُهُ نجمٌ به مُتوقِّدٌ له البدرُ سَرجٌ والنجومُ مُقلَّدُ
وفي فَلَقِ الصُّبحِ المُبينِ تقيَّدا

وأبيضُ كالقِرطاس لاحَ صَباحُهُ على الحُسنِ مَغداهُ وفيه مَراحُهُ
[وللظَّبْيات الآنسات][(2)] مِراحُهُ تَراهُ كنشوانٍ أمالَتْهُ راحُـــهُ
وتحسبُهُ وسْطَ الجمالِ مُعربدا

وذاهبةٍ في الجوِّ ملءَ عِنانِها وقد ألقمتْها السُّحْبُ بُرْدَ عَنانِها
يفوتُ ارتدادَ الطَّرْفِ لمحُ عِيانِها وختَّمتِ الجوزاءُ سُبْطَ بَنانِها
وصاغتْ لها حَلْيَ النجومِ مُقيَّدا

أراها عَمودُ الصُّبحِ غَوْرَ المَصاعدِ وأوهمَها قُربَ المدى المُتباعدِ
فَفاتتْهُ سَبْقًا في مَجالِ الرَّواعدِ وأنْجمتِ الكَفُّ الخضيبُ بِساعدِ
فطوَّقتِ الزُّهرُ النُّجومَ بها يَدا

وقد قذفتها للمعيّ حواصبُ قد انتشرتْ في الجوِّ منها ذوائبُ
تزاورَ منها في الفضاءِ حَبائبُ فبينهما من قبلِ ذاك مُناسبُ
لأنهما في الروضِ قبلُ تولَّدا

بناتُ لأمٍّ قد حيينَ بروحها[(3)] دعاها الهوى من بعدِ كَتْمِ لِبوحِها

(١) في م : « جنح » .
(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .
(٣) كذا في م . والذي في ط : « حلين بدوحها » .

فأقلامُها تَهوِى لِخطِّ بلوحِها فبالأمسِ كانت بعضَ أغصانِ دَوْحِها
فعادتْ إليها اليومَ مِنْ بعدُ عُوَّدَا

ويَا رُبَّ حِصْنٍ فى ذُراها قد اعتَلَى أنارتْ بُروجُ الأُفقِ فى مَظهرِ العُلا
بُروجُ قُصورٍ شِدْتَها مُتطوِّلا فأنشأتَ بُرجًا صاعدًا مُتنزِّلَا
يَكونُ رسُولًا بينَها مُترَدِّدا(١)

وهلْ هِيَ إلّا هالةٌ حَوْلَ بَدْرِها يَصوغُ لها حَلْيًا يَليقُ بنَحْرِها
تَطوَّرَ أنواعًا تَشـــيدُ بفَخرِها فحجَّلَ رِجْلَيْها وشاحُ بخصْرِها
وتَاجٌ بأعلَى رأسِها قد تَنضَّدَا

أرادَ استراقَ السَّمْعِ وهْوَ مُمنَّعُ فقـــامَ بأذيالِ الدُّجى يَتلفَّعُ
وأصْغَى لأخبـــارِ السَّما يَتسمَّعُ فأتبَعَهُ منهــــا ذَوابلُ شُرَّعُ
لِتَقْذِفَهُ بالرَّجْمِ مَثْنَى ومَوْحَدَا

وما هُوَ إلّا قائمٌ مَدَّ كَفَّـــهُ لِيسألَ مِنْ رَبِّ السَّمواتِ لُطفَهُ
لِمَوْلَى تَوَلَّاهُ وأحْكَمَ رَصْـــفَهُ وكلَّفَ أربابَ البلاغةِ وصْـــفَهُ [٢٩١]
وأُرْغِمَ منْهُ القانِتُ الْمُتهجِّدَا

مُلاقٍ رَكْبٍ مِنْ وُفودِ النَّواسِمِ مُقَبِّـــلُ ثغرٍ للبُرُوقِ البَواسِمِ
مُخَتَّمٍ كَفٍّ بالنُّجُومِ العَواتِمِ مُبلَّغُ قَصْدٍ مِنْ حُضُورِ المَواسِمِ
تُجَدِّدُهُ مهْمَا صَنيعٌ تَجدَّدَا

ومُضْطَرِبُ فى الجوِّ أثبتَ قامةً تقدَّمَ يمشِى فى الهَواءِ كَرامةً
تَطلَّعَ فى غُصْنِ الرِّشاءِ كمامةً وتَحْسَبُهُ تحتَ الغَمامِ عَمامةً
يَسيلُ علَى أعطافِهِ عَرَقُ النَّدَى

(١) فى م : « متوددا » .

هَوى وَاسْتَوَى فِي حَالِه وَتَقَلَّبَا ... كَخَاطِفِ بَرْقٍ قَدْ تَأَلَّقَ خُلَّبَا
وَتَحْسَبُهُ قِنْدِيلاً فِي الأُفْقِ كَوْكَبا ... وَمَهْمَا مَشَى وَاسْتَوْقَفَ العَقْلَ مُعْجَبا
تَقَلَّبُ فِيهِ العَيْنُ لَحْظاً مُرَدَّدَا

لَقَدْ رَامَ رَقْيَ لِلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ ... فَيَمْشِي عَلَى خَطٍّ بِهِ مُتَوَهَّمِ
أَجِلْ فِي الَّذِي يُبْدِيهِ فِكْرَ تَوَسُّمِ ... تَرَى طَائِراً قَدْ حَلَّ صُورَةَ آدَمِي
وَجِنًّا بِمَهْوَاةِ الفَضَاءِ تَمَرَّدَا

وَمُنْتَسِبٍ لِلْخَالِ[1] سَمَّوْهُ مُلْجِمَا ... لَهُ حَكَمَاتٌ حُكْمُهَا فَاهُ أَلْجَمَا
تَخَالَفَ جِنْساً وَالدَّاءُ إِذَا انْتَمَى ... كَمَا جِنْسُهُ أَيْضاً تَخَالَفَ عَنْهُمَا
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ لَمْ يَلِدْ وَتَوَلَّدَا

ثَلاَثَتُهَا فِي الذِّكْرِ جَاءَتْ مُبِينَةً ... مِنَ اللهِ سَمَّاهَا لَنَا اللهُ زِينَةً
وَأَنْزَلَ فِيهَا آيَةً مُسْتَبِينَةً ... وَأَوْدَعَ فِيهَا لِلْجَهُولِ سَكِينَةً
وَآلاَءَهُ فِيهَا عَلَى الخَلْقِ عَدَّدَا

كَسَوْهُ مِنَ الوَشْيِ اليَمَانِيِّ هَوْدَجَا ... يَمُدُّ عَلَى مَا فَوْقَهُ الظِّلَّ سَجْسَجَا
وَكَمْ صُورَةٍ تُجْلَى بِهِ تُبْهِرُ الحِجَا ... وَجَزْلٍ وَقُودٍ نَارُهُ تَصْدَعُ الدُّجَى
وَقَلْبِ حَسُودٍ غَاظَ مُذْكِيهِ[2] مُوقَدَا

وَمَا هِيَ إِلاَّ مَظْهَرٌ لِجِهَادِهِ ... أَرَتْنَا[3] بِهَا الأَفْرَاحُ فَضْلَ اجْتِهَادِهِ
مَلاَعِبُهَا هَزَّتْ قُدُودَ صِعَادِهِ ... وَأَذْكَرَتِ الأَبْطَالَ يَوْمَ طِرَادِهِ
فَمَا ارْتَدَّتْ فِيهِ اليَوْمَ صَدَّقْتُهُ غَدَا

(١) يريد به البغل .
(٢) في م « تذكيه » .
(٣) في الأصلين : « هدى » وما أثبتناه عن نفح الطيب .

أَلَا جَدَّ الرَّحْمٰنُ صُنْعًا حَضَرْتُهُ وَدَوْحُ الأَمانِي فى ذَرَاهُ هَصَرْتُهُ
بَقَصرٍ طوِيلِ الوَصْفِ فيهِ اختصرْتُهُ يُقَيِّدُ طَرْفَ الطَّرْفِ[1] مهما نظَرْتُهُ
« وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا »[2]

دَعَوْتَ لَهُ الأَشْرافَ مِنْ كلِّ بَلْدَةٍ فَجَاءوا بآمالٍ له مُسْتَجِدَّةٍ
وَحُضُّوا بألطافٍ لَدَيْهِ مُعَدَّةٍ أَيَادٍ بفيَّاضِ النَّدَى مُستمِدَّةٍ
فكلُّهُمُ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ تَزَوَّدَا

وَجَاءَتْكَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ عِصابَةٌ لَهَا في مَرَامِي الْمَكْرُماتِ إِصابَةٌ
أَحَبَّتْكَ حُبًّا لَيْسَ فيهِ اسْتِرَابَةٌ وَلَبَّتْ دَوَاعِي الخيرِ[3] منها إِجابَةٌ
وَنَادَاهُمُ التخصيصُ فابْتَدَرُوا النَّدَى

[٢٩٢]

أَجازُوا إِلَيْكَ الْبَحْرَ وَالْبَحْرُ يَزْخَرُ بِبَحْرٍ سَحٍ مَدُّهُ لَيْسَ يَجْزُرُ
فَرَوَّاهُمُ مِنْ عَذْبِ جُودِكَ كَوْثَرُ وَوَالَيْتَ مِنْ نُعْماكَ مالَيْسَ يُحْصَرُ
وَعَظَّمْتَهُمْ تَرْجُو النَّبِيَّ مُحَمَّدَا

عليهِ صلاةُ اللهِ ثُمَّ سَلامُهُ بِهِ طَابَ مِنْ هَذَا النِّظَامِ اخْتِتَامُهُ
وَجاءَ بحمدِ اللهِ حُلْوًا كلامُهُ يَعِزُّ عَلَى أَهْلِ الْبَيَانِ مَرامُهُ
وَتُمْسِي لهُ زُهْرُ الْكَوَاكِبِ حُسَّدَا

أَبُثُّ بِهِ حَادِي الرِّكَابِ مُشَرِّقَا حَدِيثَ جِهَادٍ لِلنُّفُوسِ مُشَوِّقَا
رَمَيْتُ بِهِ مَنْ بالعِرَاقِ مُفَوِّقَا وَأَرْسَلْتُ مِنْهُ بالبَديعِ مُطَوَّقَا
حَمَامًا عَلَى دَوْحِ الثَّناءِ مُغَرِّدَا

---

(١) طرف الطرف : تحريك البصر .
(٢) هذا عجز بيت المتنبى ، وصدره : « وقيدت نفسى فى دراك محبة » .
(٣) فى نفح الطيب : « الفوز » .

رَكَضْتُ بِهِ خَيْلَ الْبَيَانِ إِلَى مَدَى ... فَأَحْرَزْتُ فَضْلَ السَّبْقِ[1] فِي حَلْبَةِ الْهُدَى
وَنَظَّمْتُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِي مُقَلَّدًا[2] ... وَطَوَّقْتُ جِيدَ الْفَخْرِ عِقْدًا مُنَضَّدَا
وَقُمْتُ بِهِ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ مُنْشِدَا
نَسَقْتُ مِنَ الإِحْسَانِ فِيهِ فَرَائِدَا ... وَأَرْسَلْتُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ رَائِدَا
وَقَلَّدْتُ عِطْفَ الْمُلْكِ مِنْهُ قَلَائِدَا ... تَعَوَّدْتُ فِيهِ لِلْقَبُولِ عَوَائِدَا
فَلَا زِلْتَ لِلْفَضْلِ الْجَزِيلِ[3] مُعَوَّدَا
وَلَا زِلْتَ لِلصُّنْعِ الْجَمِيلِ مُجَدِّدَا ... وَلَا زِلْتَ لِلْفَخْرِ الْعَظِيمِ مُخَلَّدَا
وَعُمِّرْتَ عُمْرًا لَا يَزَالُ مُجَدَّدَا ... وَمُتِّعْتَ بِالأَبْنَاءِ أَوْحَدَ أَوْحَدَا
وَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنَاكَ مَا سَائِقٌ حَدَا

ومن العيديات :

من عيدياته

هَذِي الْمَعَالِمُ لَفْظُ أَنْتَ مَعْنَاهُ ... كُلٌّ يَقُولُ — إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ — اللهُ
بَحْرُ الْوُجُودِ وَفُلْكُ الْكَوْنِ جَارِيَةٌ ... وَبِاسْمِكَ اللهُ مُجْرَاهُ وَمُرْسَاهُ
مِنْ نُورِ وَجْهِكَ ضَاءَ الْكَوْنُ أَجْمَعُهُ ... حَتَّى تَشَيَّدَ بِالأَفْلَاكِ مَبْنَاهُ
[٢٩٣] عَرْشٌ وَفَرْشٌ وَأَمْلَاكٌ مُسَخَّرَةٌ ... وَكُلُّهَا سَاجِدٌ لِلَّهِ مَوْلَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ ... وَأَوْسَعَ الْكَوْنَ قَبْلَ الْكَوْنِ نُعْمَاهُ
مَنْ يَنْتَسِبْ[4] النُّورُ وَالأَفْلَاكُ قُلْتُ لَهُ ... مِنْ أَيْنَ أَطْلَعَتِ الأَفْلَاكُ لَوْلَاهُ
مَوْلَايَ مَوْلَايَ بَحْرُ الْجُودِ أَغْرَقَنِي ... وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ فِي ذَا الْبَحْرِ قَدْ تَاهُوا
فَالْفُلْكُ تَجْرِي كَمَا الأَفْلَاكُ جَارِيَةٌ ... بَحْرُ السَّمَاءِ وَبَحْرُ الأَرْضِ أَشْبَاهُ

(١) في نفح الطيب : « خصل » وهما بمعنى :
(٢) في ط : « مقلدا » .
(٣) في م : « للفضل الجليل » ونفح الطيب .
(٤) في م : « يثبت » .

وكُلُّها نِعَمٌ لِلْخَلْقِ شــــامِلَةٌ   تَبارَكَ اللهُ لاَ تُحْصَى عَطاياه

يافاتِقَ الرَّتْقِ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ كما   فِي سابِقِ العِلْمِ قَدْ خُطَّتْ قضاياهُ

كُنْ لِي كما كُنْتَ لِي إِذْ كُنْتُ لاَ عَمَلاً   أَرْجُو ولاَ ذَنْبَ قَدْ أَذْنَبْتُ أَخْشاه

وأَنْتَ فِي حَضَرَاتِ الْقُدْسِ تَنْقُلُنِي   حَتَّى اسْتَقَرَّ بِهَذَا الْكَوْنِ مَثْوَاه

مَا أَقْبَحَ الْعَبْدَ أَنْ يَنْسَى وتَذْكُرُهُ   وأَنْتَ بِالْلُّطْفِ والْإِحْسانِ تَرْعاه

غُفْرَانَكَ اللهُ مِنْ جَهْلٍ بُلِيتُ بِهِ   فِيمَنْ أَفادَ وُجُودِي كَيْفَ أَنْساه

مِنِّى عَلَيَّ حِجابٌ لَسْتُ أَرْفَعُهُ   إِلاَّ بِتَوْفِيقِ هَدْى مِنْكَ تَرْضاه

فَعُدْ عَلَيَّ بِما عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمٍ   فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَمَّلْتُ رُحْماه

ثُمَّ الصَّلاةُ صَلاةُ اللهِ دَائِمَةً   عَلَى الَّذِي بِاسْمِهِ فِي الذِّكْرِ سَمَّاه

الْمُجْتَبَى وزِنَادُ النُّورِ مَا قُدِحَتْ   ولاَزَكَا مِنْ نَسِيمِ الرَّوْضِ مَسْرَاه

والْمُصْطَفَى وكِمامُ الْكَوْنِ مَا فُتِقَتْ   عَنْ زَهْرِ زُهْرٍ يَرُوقُ الْعَيْنَ مَرْآه

ولاَ تَفَجَّرَ نَهْرٌ لِلنَّهــــــارِ عَلَى   دُرِّ الدَّرَارِى فَغَطَّاهُ وأَخْفَــاه

يا فاتِحَ الرُّسْلِ أَوْ يا خَتْمَهَا شَرَفًا   واللهُ قَدَّسَ فِي الْحالَيْنِ مَعْنَاه

لَمْ أَدَّخِرْ غَيْرَ حُبٍّ فيك أَرْفَعُهُ   وسِـيلَةً لِـكَرِيمٍ يَوْمَ أَلْقاه

صَلَّى عَلَيْكَ إِلٰهٌ أَنْتَ صَفْوَتُهُ   مَا طُيِّبَتْ بِلَذِيذِ الذِّكْرِ أَفْوَاه

وعَمَّ بِالرَّوْحِ والرَّيْحانِ صُحْبَتَهُ   وجَادَهُمْ مِنْ نَمِيرِ الْعَفْوِ أَصْفاه

وخَصَّ أَنْصارَهُ الْأَعْلَيْنَ صَفْوَتَهُ   وأُسْكِنُوا مِنْ جِوارِ اللهِ أَعْلاه

أَنْصــارَ مِلَّتِهِ أَعْلامَ بَيْعَتِهِ   مَنَاقِبٌ شَرُفَتْ أَثْنَى بِها الله

وأَيَّدَ اللهُ مَنْ أَحْيَا جِهادَهُمُ   وأَوْصَلَ الْفَخْرَ أُولاهُ بِأُخْرَاه   [٢٩٤]

الْمُنْتَقَى مِنْ صَمِيمِ الْفَخْرِ جَوْهَرُهُ   مَا بَيْنَ نَصْرٍ وأَنْصارٍ تَهَادَاه

العِلْمُ والْحِلْمُ والْإِقبالُ شِيمَتُهُ   والْبَأْسُ والْجُودُ بَعْضٌ مِنْ سَجَاياه

وهى طويلة ، سَرَدها هذا المؤلف كلُّها ، ومنها :

يَهْنِى زَمَانَكَ أَعْيادٌ مُجَدَّدَةٌ ... مِنَ الْفُتُوحِ مَدَى الأَيَّامِ تَغْشاهُ

غَضِبْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِحَقِّهِمَا ... يَا حَبَّذَا غَضَبٌ فِى اللهِ أَرْضاه

فَوَّقْتَ لِلْغَرْبِ سَهْمًا رَاشَهُ قَدَرٌ ... وَسَــدَّدَ اللهُ لِلْأَعْداءِ مَرْماه

سَهْمٌ أَصابَ وَرَامِيهِ بِذِى سَلَمٍ ... لَقَدْ رَمَى الْغَرَضَ الْأَقْصَى فَأَصْماه

مَنْ كَانَ بَنْدُكَ يَا مَوْلاىَ يَقْدُمُهُ ... فَلَيْسَ يُخْلِفُهُ فَتْحٌ تَرَجَّاه[1]

مَنْ كانَ جُنْدُكَ جُنْدُ اللهِ يَنصُره ... أَناله اللهُ ما يَرْجُو وأَسْناه

مَلَّـكْتَهُ غَرْبَهُ خُلِّدْتَ مِنْ مَلِكٍ ... لِلْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ ما تَمَنَّاه

وسامَ أَعْداءَكَ الأَشْقَيْنَ ما كَسَبُوا ... وَمَنْ تَرَدَّى رِداءَ الْغَدْرِ أَرْدَاه

قُلْ لِلَّذِى رَمِدَتْ جَهْلاً بَصِيرَتُهُ ... فَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ شَمْسَ الْهُدَى عَيْناه

غَطَّى الْهَوَى عَقْلَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ ... لَهُ الْمَرَاشِــدُ أَعْشاهُ وأَعْماه

هَلْ عِنْدَهُ وذُنُوبُ الغَـدْرِ تُوبِقه ... أَنَّ الَّذِى قَدْ كَساهُ الْعِزَّ أَعْرَاه

لَوْ كانَ يَشْكُرُ ما أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... مَا زِلْتَ مَلْجَأَهُ الأَحْمَى ومَنْجاه

سُلَّ السُّعُودَ وخَلِّ البِيضَ مُغْمَدَةً ... فَالسَّيْفُ مَهْمَا مَضَى فالسَّعْدُ أَمْضاه

واشْرَعْ مِنَ البَرْقِ نَصْلاً رَاعَ مُصْلَتُهُ[2] ... وارْفَعْ مِنَ الصُّبْحِ بَنْدًا راقَ مَجْلاه

فَالعُدْوَتانِ وَمَا قَدْ ضَمَّ مُلْكُهُمَا ... أَنْصارُ مُلْكِكَ صانَ اللهُ عَلْياهُ[3]

لاَ أَوْحَشَ اللهُ قُطْرًا أَنْتَ مالِكُهُ ... وآنَسَ اللهُ بِالأَلْطافِ مَغْناه

لاَ أَظْلَمَ اللهُ أُفْقًا أَنتَ نَيِّرُهُ ... لاَ أَهْمَلَ اللهُ سَرْحًا أَنتَ تَرْعَاه

(١) كذا فى م . وفى ط : « نصر شرحناه » .

(٢) فى م : « مقتله » .

(٣) فى م : « معلاه » .

واهْنَأْ بِشَهْرِ صِيَامٍ جَاءَ زَائِدُهُ(١) (مُسْتنزِلًا) مِنْ إِلٰهِ العَرْشِ رُحْمَاهُ
أَهْلًا بِالسَّعْدِ فَانْهَلَّتْ بِهِ مِنَنٌ وَأَوْسَعَ الصُّنْعَ إِجْمَالًا وَوَفَّاهُ
أَمَا تَرَى بَرَكَاتِ الأَرْضِ شَامِلَةً وَأَنْعُمَ اللهِ قَدْ عَمَّتْ بَرَايَاهُ
وَعَادَكَ العِيدُ تَسْتَحْلِي مَوَارِدَهُ وَيُجْزِلُ الأَجْرَ وَالرُّحْمَى مُصَلَّاهُ
جَهَّزْتَ جَيْشَ دُعَاءٍ فِيهِ تَرْفَعُهُ لِذِي المَعَارِجِ وَالإِخْلَاصُ رَقَّاهُ
أَفَضْتَ فِيهِ مِنَ النَّعْمَاءِ أَجْزَلَهَا وَأَحْسَنُ البِرِّ مَا الإِحْسَانُ زَكَّاهُ [٢٩٥]
والَيْتَ لِلْخَلْقِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ وَالَى لَكَ اللهُ مَا أَوْلَى وَوَالَاهُ

عيدية أخرى ثم قال بعد سرد عدّة قصائد : ومن بدائعه المنيفة عيديّة ميلاديّة ، وافقتها وجهته من غزوات مولانا الجد أيضا :

لَوْ كُنْتُ أُعْطَى مِنْ لِقَائِكَ سُؤْلَا لَمْ أَتَّخِذْ بَرْقَ الغَمَامِ رَسُولَا
أَوْ كُنْتُ أَبْلُغُ مِنْ قَبُولِكَ مَأْمَلِي لَمْ أُودِعِ الشَّكْوَى صَبًا وَقَبُولَا
لَكِنْ مُعْتَلُّ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى مَازَالَ يُوسِعُ ذَا الهَوَى تَعْلِيلَا
وَبِمُلْتَقَى الأَرْوَاحِ دَوْحَةُ أَيْكَةٍ جَاذَبْتُهَا عِنْدَ الهُبُوبِ مِيلَا(٢)
عَهْدِي بِهَا سَدَلَتْ عَلَيَّ ظِلَالَهَا فَسَدَلْتُ ظِلًّا لِلشَّبَابِ ظَلِيلَا
رَتَعَتْ بِهِ حَوْلِي الظِّبَاءُ أَوَانِسًا فَنَعِمْتُ فِيهِ مُعَرَّسًا وَمَقِيلَا
وَصَقَلْتُ لِلْحَسْنَاءِ صَفْحَ مَوَدَّتِي لَمَّا اجْتَلَيْتُ العَارِضَ المَصْقُولَا
ثُمَّ انْتَشَيْتُ(٣) وَقَدْ تَعَاطَيْتُ الهَوَى رِيمًا أَغَرَّ وَجُؤْذُرًا مَكْحُولَا
كَمْ فِيهِ مِنْ مُلَحٍ لِمُرْتَادِ الهَوَى تَرَكَتْ فُؤَادَ مُحِبِّهِ مَتْبُولَا

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « زائره » .
(٢) فى م : « مهيلا » .
(٣) فى م : « انثنيت » .

لم تَرْوِ لِي عَيْنَاهُ حِكْمَةَ بابلِ ... إِلَّا أَخَــذْتُ حَدِيثَها مَقْبُولَا
ولقَدْ أَجِــدُّ جَوَايَ لَمَّا زُرْتُهُ ... رَسْمًا كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ مُحِيلا
قَدْ أَنْــكَرَتْهُ الْعَيْنُ إِلا لَمْحَةً ... عَرَفَتْ بِهِ آثارُهُ تَخْيِيــلا
وإذَا الطُّلُولُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيَّمٍ ... غَادَرْنَ دَمْعَ جُفونِهِ مَطْلُولا
مَنْ يُنْجِدِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فإنَّهُ ... بَعْدَ الأحِبَّــةِ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلا
كَيْفَ التَّجَمُّلُ[1] بَعْدَهُمْ وأنَا الَّذِى ... أَنْسَيْتُ قَيْسًا فِي الْهَوَى [وَ] جَمِيلا
مَنْ عَاذِرِى والْقَلْبُ أَوَّلُ عَاذِلٍ ... فِيمَنْ أُفَنِّدُ[2] لَائِمًا وعَــذُولا
أَتْبَعْتُ فِي دِينِ الصَّبابَةِ أُمَّـةً ... مَا بَدَّلُوا فِي حُبِّهِمْ تَبْــدِيلا
يا مَوْرِدًا حَامَتْ عَلَيْــهِ قُلُوبُنا ... لَوْ نِيلَ لَمْ تَجْرِ[3] الْمَدَامِعُ نِيلا
مَا ضَرَّ مَنْ رَقَّتْ[4] غَلَائِلُهُ ضُحًى ... لَوْ بَاتَ يَنْقَعُ لِلْمُحِبِّ غَلِيلا
كم ذَا أُعَلِّلُ بالْحَــدِيثِ وبِالْمُنَى ... قَلْبًا كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ عَلِيــلا
أَغْدَيْتُ واصِلَةَ الهَدِيلِ بِسُحْرَةٍ ... شَجْوًا وجَانِحَةَ الأصِيلِ نُحُولا
وسَرَيْتُ فى طَيِّ النَّسِيمِ لَعَلَّنِى ... أَخْتَــالُ حَيًّا بالعَقِيق حُلولا
هَذَا وَوَجْدِى مِثْلُ وجْدِىَ عِنْدَ مَا اسْــتَشْعَرْتُ مِنْ رَكْبِ الْحِجَازِ رَحِيلا [٢٩٦]
قَدْ سَدَّدُوا الأَنْضَاءَ ثُمَّ تَتَابَعُوا ... يَتْلُو رَعِيلٌ فى الفَلَاةِ رَعِيــلا
مِثْلُ القِسِيِّ ضَوَامِرٌ قَدْ أُرْسِلَتْ ... يَذْرَعْنَ عَرْضَ الْبِيدِ مِيلًا مِيلا
مُتَرَنِّحِينَ عَلَى الرِّحَالِ كَأَنَّمَــا ... عَاطَيْنَ مِنْ فَرْطِ الْكَلَالِ شَمُولا
إِنْ يَلْتَبِسْ عَلَمُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمُ ... جَعَلُوا التَّشَوُّقَ لِلرَّسُولِ دَلِيــلا

---

(١) كذا فى م . ولدى ط : « التحمل » بالحاء المهملة .
(٢) كذا فى م . والذى فى سائر الأصول : « أقيد » .
(٣) فى ط : « وموارد » و « لم ألف » . مكان قوله « ياموردا » و « لم تجر » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « راقت » .

يا رَاحِلِينَ وَمَا تَحَمَّلَ رَكْبُهُمْ ... إلَّا قُلُوبَ العَاشِقِينَ حُمُولا

نَاشَدْتُكُمْ عَهْدَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا ... والعَهْدُ فِينا لم يَزَلْ مَسْئُولَا

مَهْمَا وصَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... أَنْ تُوسِعوا ذَاكَ الثَّرَى تَقبِيلا

يَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ أُعَرِّسُ لَيْلَةً ... فأَشَمَّ حَوْلِى إِذْخِرًا وجَلِيلا[1]

أَوْ تَرِدُونِى[2] يَوْمًا مِياهُ مَجَنَّةٍ ... وَيَشِيمُ طَرْفِى شَامَةً وطَفِيلا[3]

وأُحُطَّ فى مَثْوَى الرَّسُولِ رَكَائِبِى ... وأَبِيتُ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ نَزِيلا

بِمَنَازِلِ الْوَحْيِ الَّتِى قَدْ شُرِّفَتْ ... قَدْ شَافَهَتْ أَعْلامُهَا التَّنْزِيلا

بمَعَاهِدِ الإِيمانِ والدِّينِ الَّتِى ... قَدْ صَافَحَتْ عَرَصَاتُهَا جِبْرِيلا

وَمُهَاجَرِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ ... حَيْثُ اسْتَقَرَّ بِهِ الأَمَانُ دَخِيلا

دَارِ الرَّسُولِ وَمَطْلَعِ القمرِ[4] الَّذِى ... إِبْدَاؤُهُ مَا فَارَقَ التَّكْمِيلا

يَا حَبَّذَا تِلْكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّبَا ... يَا حَبَّذَا تِلْكَ الطُّلُولُ طُلُولا

حَيْثُ النُّبُوَّةُ قَدْ جَلَتْ آفَاقُهَا ... وَجْهًا مِنَ الحَقِّ الْمُبِينِ[5] جَمِيلا

حَيْثُ الرِّسَالَةُ فُصِّلَتْ أَحْكَامُهَا ... لِتُبَيِّنَ التَّحْرِيمَ والتَّحْلِيلا

حَيْثُ الشَّرِيعَةُ قَدْ رَسَتْ[6] أَرْكَانُهَا ... فَالنَّصُّ مِنْهَا يَعْضُدُ التَّأْوِيلا

---

(١) الإذخر (بكسر الهمزة والخاء) : حشيش طيب الريح وإذا جف ابيض والجليل : الثمام.

(٢) كذا فى الأصلين .

(٣) مجنة (بفتح الميم وكسرها) : موضع قرب مكة . وشامة وطفيل : جبلان بمكة .
وقد أخذ معنى هذا البيت والذى قبله من قول بلال رضى الله عنه :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بفج وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيل

(٤) فى ط : « المخر » .

(٥) فى ط : « الصبح الجميل » .

(٦) فى م : « قدست » .

حَيْثُ الْهُدَى والدِّينُ والحَقُّ الّذِى ... مَحَقَ الضَّلالَ وأَذْهَبَ التَّضْلِيلا

حَيْثُ الضَّرِيحُ يَضُمُّ أَكْرَمَ مُرْسَل ... وأَجَلَّ خَلْقِ اللهِ جِيلاً جِيلا

إنَّ الإلٰهَ اخْتَارَهَا[1] لِمُقامِهِ ... واخْتارَهُ لِلْعالَمِينَ رَسُـــولا

رَحِمَ الْإلٰهُ الْعالَمِينَ بِبَعْثِهِ ... فِيهِمْ وفَضَّلَ جِنْسَهُ تَفْضِـيلا

بِدُعائِهِ انْقَشَـعَ الغَمامُ[2] وقَبْلَها ... والَتْ بِدَعْوَتِهِ الْغَمامُ هُمُولا

والشَّمْسُ قَدْ رُدَّتْ لَهُ ولَطالَما ... قَدْ ظَلَّلَتْهُ سَحابُها تَظْلِيلا

لِمْ لاَ يُطاوِعُهُ الْوُجُودُ وَقَدْ غَدَا ... مِنْ نُورِهِ فِى خَلْقِهِ مَعْلُولا

[٢٩٢] يَا نُـكْتَةَ الْأَكْوَانِ يَا عَلَمَ الْهُدَى ... آيَاتُ فَضْلِكَ رُتِّلَتْ تَرْتِيلا

لَوْلاَكَ لَمْ يَكُ لِلْكِيانِ حَقِيقَةٌ ... ولَـكانَ بَابُ وُجُودِها مَقْفُولا[3]

لَوْلاَكَ لِلزُّهْرِ الْكَوَاكِبِ لَمْ تَلُحْ ... مِثْلَ الْأَزَاهِرِ مَا عَرَفْنَ ذُبُولا

لَوْلاَكَ لَمْ تَجْلُ السَّماءُ شُمُوسَها ... وَلَـكانَ سَجْفُ ظَلامِها مَسْبُولا

لَوْلاَكَ مَا عُبِدَ الإلٰهُ وَما غَدَا ... رَبْعُ الجِنانِ بِأَهْــلِهِ مَأْهُولا

يَا رَحْمَـــةَ اللهِ الّتى أَلْطافُها ... سَحَبَتْ عَلَيْنَا لِلْقَبُولِ ذُيُولا

يَا حُجَّـــةَ اللهِ الّتى بُرْهانُها ... ما كانَ يَوْمًا صِدْقُهُ مَجْهُولا

كَمْ آيَةٍ لَكَ قَدْ صَدَعْتَ بِنُورِها ... لَيْلَ الضَّلالِ وإِفْكَهُ المَنْحُولا

أَوْضَحْتَها كالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِها ... وَعَقَلْتَ عَنْ إِدْرَاكِهِنَّ عُقُولا

وَأَتَيْتَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُبَيِّنًا ... قَدْ فُصِّلَتْ آيَاتُه تَفْصِيلا

أَثْنَى عَلَيْكَ بِكُتْبِهِ مَنْ أَنْزَلَ الْـــقُرْآنَ وَالتَّـــوْرَاةَ والإنْجِيلا

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « اختاره » .

(٢) فى ط : « الظلام » .

(٣) ورد « قفل الباب » ثلاثيا فى أساس البلاغة .

فإذَا البَليغُ يَرُومُ مَدْحَكَ جاهِدًا ... أضحَى حُسَامُ لِسَانِهِ مَفْلُولا
يَا شَافِعَ الرُّسْلِ الكِرامِ ومَنْ بِهِ ... يَرْجُونَ فِي يَوْمِ الحِسَابِ قَبُولا
رِفقًا بِعَبْدٍ مَلَّكَ القَضَاءُ زِمَامَهُ ... فَغَدَا بِقَيْدِ ذُنوبِهِ[1] مَعقولا
واحَسْرتَا ضَيَّعْتُ عُمْرِي فِي الهَوَى ... والتَّوبُ أضحَى دَيْنُهُ مَمْطولا
وجَرَيْتُ فِي طَلَقِ البَطَالَةِ جَامِحًا ... حَتَّى انْثَنَى طَرْفُ الشَّبابِ كَليلا
وعَثَرْتُ فِي طَلَبِ المَفازِ جَهالَةً ... لَكِنْ وجَدْتُكَ لِلعِثَارِ مُقِيلا
يَا صَفْوَةَ اللهِ الأَمِينَ لِوَحْيِهِ ... مَنْ أمَّ جَاهَكَ أحْرَزَ التَّأمِيلا
واللهِ مالِي لِلخَلاصِ وسِيلَةٌ ... إلاَّ رِضاكَ وعَفْوُكَ المَأمُولا
إنْ كُنْتُ ما أعْدَدْتُ زادًا نافِعًا ... أعْدَدْتُ حُبَّكَ شافِعًا مَقْبُولا
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا رَكْبٌ سَرَى ... فَأجَدَّ وخْدًا[2] فِي المَفَازَةِ مِيلا
وأعَزَّ مَنْ وَلاَّهُ أمْرَ عِبادِهِ ... فَحَبَاهُمُ إحْسَانَهُ الموصُولا[3]
وأقَامَ مَفْرُوضَ الجِهادِ بِعَزْمَةٍ ... تَرَكَتْ بِأفْئِدَةِ العُدَاةِ[4] فُلُولا
واللهِ ما أدْرِي وقَدْ حَضَرَ الوَغَى ... أحُسَامُهُ أمْ عَزْمُهُ مَصْقُولا
مَلِكٌ إذَا أمَّ الوُجُودُ يَمِينَهُ ... فالبَحْرُ عَذْبًا والرِّياضُ بَلِيلا
أوْ يُخْلِفُ النَّاسَ الغَمَامُ وأمْحَلُوا ... فَنَدَاهُ لا يُخْشَى العُفَاةُ مُحُولا
مِنْ دَوْحَةٍ نَصْرِيَّةٍ يَمَنِيَّةٍ ... وشِجَتْ فُرُوعًا فِي العُلا وأُصُولا [٢٩٨]
فإذَا سَأَلْتَ الكُتْبَ نَقْلَ فَضِيلَةٍ ... لَمْ تُلْفِ إلاَّ فَخْرَها مَنْقُولا

(١) فى ط : « زمامه » .
(٢) فى ط : « وجدا » .
(٣) فى ط : « المأمولا » .
(٤) فى ط : « العباد » .

يا أيهـــــا الملكُ الذى أيامُهُ وضَحَتْ بأوْجه دحرز[1] تُحُولا
والله ما آثار هَدْيك عنـــدنا إلاّ نجـــومًا ما عَرَفْنَ أُفُولا
لم يَعْرِفِ التَّرْكيبَ سَيْفُكَ في الوَغَى فاعْجَبْ لهُ قدْ أَحْكَمَ التحْليلا
كَمْ صُورَةٍ لكَ في الفُتُوحِ وسُورَةٍ تُجْلَى ، وتُتْلى بُكْرَةً وأَصيلا
لم تَسْرِ سَارِيةُ الرِّياحِ بطَيْبَةٍ إلّا لتحْمِلَ ذِكْرَكَ المَعْسُولا
وكأنَّ صَفْحَ البَرْقِ سَيْفُكَ ظَلَّ من غِمْدِ الغَمَامَةِ مُرْهَفًا مَسْلولا[2]
كمْ بَلْدةٍ للكُفْرِ قدْ عَوَّضْتَ مِنْ نَاقُوسِهَا التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلَا
صدَقَتْ مُقدِّمَةُ الجُيوشِ نَتيجَةً مِنْ حِينها موضُوعَهَا محْمُولا
كَسَرُوا تَماثيلَ الصّليبِ ومَثَّلُوا بِمَنِ انْتَمَى لِوَلَائِهِ تَمْثِيلا
لمّا أحَطْتَ بها وحَانَ دَمَارُها[3] أَخْرَجْتَ مُتْرَفَهَا الأعَزَّ ذَلِيلا
تَجْرى الدُّمُوعُ وما تَبُلُّ غَلِيلَهُ فمُصَعِّدًا يَبْكِى هُناكَ قَتِيلاَ
إِ سَلَّتْ يمينُ المُلْكِ منك على العدا عَضْــباً مَهِيبَ الشَّفْرَتَين صقيلا
لم يَرْضَ سيفُكَ أن يُحَلَّى جوهراً حتى يُحلى عسْجداً محْـــلولا
لم ترضَ هِمّتُكَ القليلَ من التقى حتى أتتْ بالصالحات قبيـــلا [4]
فأَقَمْتَ ميلادَ الرّسُولِ بليْلَةٍ أَوْضَحْتَ فيها للجِهادِ سَبيلا
حيْثُ القِبابُ البِيضُ جَلّتِ الرُّبا أَزْهارَ رَوْضٍ مَا اكْتَسَيْنَ ذُبُولا
ومَوَاقِدُ النيرانِ تُذْكِى حَوْلَهَا فيُنيرُ مَشْعَلُها رُبًا وسُهُولا
والأُفْقُ فَوْقَكَ قُبَّةٌ مَحْبُوكَةٌ مَدّتْ عليْكَ طِرَافَهَا المسدولا[5]

---

(١) كذا في الأصلين وفيه تحريف ظاهر .

(٢) في م : « معلولا » .

(٣) في م : « وهان ذمارها » .

(٤) الأبيات الثلاثة زيادة عن م .

(٥) في ط : « المسولا » . وما أثبتناه عن م .

ورَمَى[1] إليكَ بِبَدْرِهِ ونُجُومِهِ يُهْدِيكَ مِنهُ التَّاجَ والإكْليلا
حَيْثُ الـكَتَائِبُ قَدْ تلاَطَمَ مَوْجُها وتَدفَّقَتْ فيها الخُيولُ سُيُولا
زَخَرَت بأمْواجِ الحَديدِ ورُبَّما ضَاقَ الفَضاء فَمَا وجَدْنَ مَسِيلا
يَتجاوبُ التَّـكْبِيرُ فى جنَبَاتِها فَتُعِيدُهُ غُرُّ الجِيَادِ صَهِيلا
حمَلَتْ مِنَ الأَبْطَالِ كُلَّ مُشَمِّرٍ لا يقتَنِى[2] سُمْرَ القَنَا ونُصُولا
آسَادُ مَلْحَمَةٍ إذا اشْتَجَرَ الوَغَى دَخَلوا مِنَ الأَسَلِ[3] المُثقف غيلا
إن شَمَّرُوا يَوْمَ الحُرُوبِ ذُيُولَهُمْ سَحَبُوا مِنَ الزَّرَدِ المُفاضِ ذُيُولا
أو قَصَّرُوا يَوْمَ الطِّعَانِ رِمَاحَهُمْ وصَلوا بها الخَطْوَ الوَسَاعَ طويلا
يَالَيْلَةَ ظَفِرَتْ يَدَاىَ بأَجْرِها وسَهِرْتُ فيها بالرِّضا مَشْمُولا
والله لَوْ عُوِّضْتُ عنْكِ شَبِيبتى مَا كُنْتُ أرضَى بالشَّبَابِ بَدِيلا ٩٩
يَا ناصِرَ الإسْلامِ يَامالِكَ العُلا اللهُ يُؤْتِيكَ الجَزَاءَ جَزِيلا
جَهِّزْ جُيُوشَكَ للجِهَادِ مُوَفَّقًا وكَفَى بِرَبِّكَ كافِيًا وكَفيلا
ولْتُبْعِدِ[4] الغَارَاتِ فى أَرْضِ العِدَا واللهُ حَسْبُكَ نَاصِرًا ووكِيلا
وإليْكَ مِنْ سُمْرِ الجِهادِ غَرِيبَةً جاءتكَ تُقَرِّضُكَ[5] الثَّناءَ جَمِيلا
وأطَلْتُ لـكِنِّى أطبْتُ وعادَتِى أُلْفَى مُطيباً فِى المَدِيحِ مُطِيلا
لا زَالَ نَصْرُكَ كُلَّمَا اسْتَنْجَدْتَهُ لِمُهِمِّ دِينِكَ عائِدًا مَوْصُولا

(١) فى م : « أوى » .
(٢) فى الأصول : « الأسد المنقب » ، وهو تحريف .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « لا يعتنى » .
(٤) فى م : « واستعمل » .
(٥) كذا فى م . وفى ط : « جاءت تقرظك » .

ثم قال بعد ذكر جملة من قصائد :

ومن ذلك وقد عاد من وِجهة للصيد أعملها ، وأعنَّة للجياد فى ميادين ذلك الطّراد أرسلها ، ما أنشده :

حيَّاكِ يا دارَ الهوى مِنْ دارِ ... نَوْءُ[1] السّماكِ بديمةٍ مِدْرارِ
وأعادَ وجهَ رُباكِ طلقًا مُشرِقًا ... متضاحِكًا بمباسِمِ النوّار
أمُذكِّرِى دارَ الصّبابةِ والهوى ... حيثُ الشّبابُ يَروقُ حُسْنَ[2] نُضار
عاطيْتَنِى عنها الحديثَ كأنّما ... عاطيْتَنى منها كُئوسَ عُقار
إيهٍ وإنْ أذكيْتَ نارَ صبابتى ... وقدحْتَ زَنْدَ الشّوقِ بالتّذْكار
يا زاجِرَ الأظعانِ وَهْىَ مَشُوقةٌ ... أشْبَهْتَها فى زَفْرةٍ وأُوار
حَنّتْ إلى نجْدٍ وليستْ دارَها ... وصَبَتْ إلى هِنديّةٍ والقار
لكنّها شامَتْ بِهِ برْقَ الحِمى ... واعْتادَها طَيْفُ الكَرَى بمزار[3]
هلْ تُبلِغُ الحاجاتِ إنْ حُمِّلْتَها ... إنَّ الوفاءَ سجيّةُ الأحرار
عرِّضْ بِذِكْرِى فى الخِيامِ وقلْ إذا ... جئْتَ العقيقَ مُبلِّغَ الأوْطار
[عارٌ] بقومِكِ يابْنَةَ الحيَّينِ أنْ ... تُلوى الدُّيُونَ وأنْتِ ذاتُ يَسار
أمَنَعْتِ مَيْسُورَ الكلامِ أخا الهوى ... وبخِلْتِ حتّى بالخيالِ السّارى ؟
وأبانَ جارِى الدّمعِ عُذْرَ هُيامِهِ ... لكنْ أضعْتِ حُقُوقَ[4] ذاكَ الجار
هذا وقومُكِ — ما علِمْتِ خِلالَهم — ... أوْفَى الكِرامِ بذِمّةٍ وجِوار

(١) فى م : « موق » .
(٢) فى م ونفح الطيب : « يرف غصن » .
(٣) فى نفح الطيب والإحاطة :
شاقت به برق الحمى واعتادها ... طيف الكرى بمزارها المزوار
(٤) فى نفح الطيب : « لكن أضعت له حقوق الجار » .

اللهَ فى نفسٍ شـــــاعٍ كلَّمَا · هَبَّ النَّسِيمُ تطيرُ كلَّ مَطار

باللهِ يا لَمياءُ ما مَنَعَ الصَّـــــبا · ألاَّ تَهُبَّ بعَرْفِكِ المِعْطـــار

يا بِنْتَ مَنْ تَشْدُو الحُداةُ بذكرِهِ · مُتَعَالِّينَ بهِ عَلَى الأكْوار

مَا ضَرَّ نَسْمَةَ حاجرٍ لَوْ أنهـــــا · أهْدتْ لنا خَبَرًا مِنَ الأخبار [٣٠٠]

هل بانُهُ مِنْ بَعْدِنا مُتَأَوِّدٌ · مُتَجـــاوِبٌ مُتَرَنِّمُ الأطيار

وهَلِ الظِّباءُ الآنِساتُ كَعَهْدِها[(١)] · يَصْرَعْنَ أُسْدَ الغابِ وَهْيَ ضَوارِى

يَفْتِكْنَ مِنْ قامَاتِها ولِحاظِهـــا · بالمَشْرِفيَّـــةِ والقَنا الخَطَّار

أشْعَرْتَ قَلْبِى حُبَّهُنَّ صَـــبابَةً · فَرَمَيْنَنِى مِنْ لَوْعَتِى بجمار

وعَلَى الكَثِيبِ سَوَانِحٌ حُمْرُ الحُلَى · بِيضُ الوُجُوهِ يَصِدْنَ بالأفكار

أدْنَى الحَجِيجُ مَزَارَهُنَّ ثلاثةً · بمِنًى لَوَ انَّ مِنًى دِيارُ[(٢)] قرار

لكِنْ يومَ النَّفْرِ جُدْنَ لنا بما · عَوَّدْنَنا مِنْ جَفْوَةٍ ونِفار

يَا بنَ الأُلَى قد أحْرَزُوا فَضْلَ[(٣)] العُلا · وسَمَوْا بطيبِ أُرُومةٍ ونِجـــار[(٤)]

وتَنُوبُ عن صَوبِ الغَمامِ أكُفُّهُمْ · وتَنُوبُ أوْجُهُهُمْ عن الأقمار

مِنْ آلِ سَعْدٍ[(٥)] رافِعِى عَلَمِ الهُدَى · المُصْطَفَيْنَ لِنُصْرَةِ المُخْتار

أَصْبَحْتَ وارِثَ مَجْدِهِمْ وفَخارِهِمْ · ومُشَرِّفَ الأعْصارِ والأمْصار

وجْهٌ كما حَسَرَ الصَّـــباحُ نِقابَهُ · ويَدٌ تَمُدُّ أنامِلاً ببحـــــار

جَرَّدْتَ دون الدِّينِ عَزْمَةَ أَرْوَعٍ · جَدَّدْتَ منها سُنَّةَ الأنصار

(١) فى م ونفح الطيب : « كعهدنا » .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « بدار » .
(٣) فى نفح الطيب : « خصل » .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « ونخار » .
(٥) يريد سعد بن عبادة سيد الخزرج ، من كبار أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

حُطتَ البلادَ ومنْ حَوتْهُ ثُغُورها ... وكَفَى بسَعْدِكَ حَامِياً لِذِمار
لله رِحلتُكَ[1] التى نِلْنَا بها ... أَجْرَ الجِهادِ ونُزْهَةَ الأبْصارِ
أَوْرَدْتَنَا فيها لِجُودِكَ مَوْرِدًا ... مُسْتَعْذَبَ الإيرادِ والإصدارِ
وَأَفضْتَ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا ... حَسُنَتْ مَوَاقِعُهَا عَلَى التَّكرار
أَضْحكْتَ ثَغْرَ الثَّغْرِ لَمَّا جِئْتَهُ ... وَخَصَصْتَهُ بِخَصَائِصِ الإيثارِ
حَتَّى الفَلَاةُ تُقِيمُ يَوْمَ وَرَدْتَهَا ... سُنَنَ القِرَى بِتَلَاؤُ[2] الأنْوارِ
وسَرَتْ عُقَابُ الجوِّ تُهْدِيكَ الذى ... تَصطَادُ مِنْ وَحْشٍ وَمِنْ أَطْيارِ
والأرْضُ تَعْلَمُ أَنَّكَ الغَوْثُ الذى ... تُضْفِى عليْهَا وَافِى[3] الأستَارِ
ولرُبَّ مُمْتَدِّ الأبَاطِحِ مُوحِشٍ ... عالِى الرُّبَا مُتَباعِدِ الأقْطارِ
هَمَلِ المَسارحِ لا يُرَاعُ قَنِيصُهُ ... إلَّا لِنَبْأةِ فارسٍ مِغْوارِ
سَرَحَتْ عِنانَ الرِّيحِ فيهِ ورُبَّمَا ... أَلْقَتْ بِساحَتِهِ عَصَا التَّسْيارِ
بَاكَرْتَهُ والأُفْقُ قَدْ خَلَعَ الدُّجَى ... مسْحًا لِيَلْبَسَ خِلْعَةَ[4] الإسْفارِ
وجَرَى بِهِ نَهْرُ النَّهارِ كأنَّمَا ... سَكَبَ النَّدِيمُ سُلافَةً مِنْ قارِ[5]
عَرَضَتْ بِهِ المُسْتَنْفَراتُ كأنَّها ... خَيْلٌ عِرَابٌ جُلْنَ[6] فى مِضْمَارِ
أَتْبَعْتَهَا غُرَرَ الجِيادِ كَوَاكِبًا ... تَنْقَضُّ رُجْمًا فى سَمَاءِ غُبَارِ
والهادياتُ يَؤُمُّهَا عَبْلُ الشَّوَى ... مُتَدَفِّقٌ كَتَدَفُّقِ التَّيّارِ
أَزْجَيْتَهَا شَقْرَاءَ رَائِقَةَ الحِلَى ... فرَمَيْتَهُ منها بِشُعْلَةِ نارِ

[٢٠١]

(١) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل : « رحمك » .
(٢) كذا فى الإحاطة : والذى فى الأصلين : « بتلاءة » .
(٣) فى نفح الطيب المطبوع : « واق » .
(٤) فى م ونفح الطيب : « حلة » .
(٥) كذا فى م ونفح الطيب ، وفى ط : « نار » .
(٦) فى م : « خلن » .

أثبتَّ فيهِ الرُّمحَ ثمَّ تركتَهُ ... خضِبَ الجوانحِ بالدَّمِ الموّار

حامتْ عليهِ الذابلاتُ كأنَّها ... طيرٌ أوتْ منهُ إلى أوكار

طفِقتْ أرانبُه غداةَ أثرتَها[1] ... تَبغِى الفِرارَ ولاتَ حِينَ فِرار

هلْ ينفعُ الباعُ الطويلُ وقدْ غدتْ ... يومَ الطِّرادِ قصيرةَ الأعمار

مِنْ كلِّ منحفزٍ بلمحةِ بارقٍ ... فاتتْ خُطاهُ مدارِكَ الأبصار

[وجوارحٍ سبقتْ إليهِ طِلابَها ... فكأنما طالبْنَهُ بالثّار

سُودٌ وبيضٌ فى الطِّرادِ تتابعتْ ... كالليلِ طارَدَهُ بَياضُ نهار][2]

ترمِى بها وهىَ الحنايا ضُمّرًا ... مِثلَ السِّهامِ نزعْنَ عنْ أوتار

ظنّتْ بأنْ تنجُو بها[3] كلّا ولوْ ... أغرَيْتَهُ بأرانبِ الأقمار

وبكلِّ فتخاءِ الجناحِ إذا ارتمتْ ... فكأنَّها نجمُ السَّماءِ السّارى

زَجِلُ الجناحِ مُصفَّقٌ كمَنَ الرَّدى ... فى مِخلبٍ منهُ وفى منقار

أجْلى الطّريدَ[4] منَ الوحوشِ وإنْ رَمى ... طيرًا أتاكَ بهِ على مِقدار

وأريْتَنا الكسْبَ الذى أعدادُهُ ... ملأتْ جمالًا أعيُنَ النُّظّار

بِيضٌ وصُفْرٌ خِلتَ مَطرَحَ سرْحِها ... روْضًا تفتَّحَ عنْ شقيقِ بهار

مِنْ كلِّ موْشِيِّ الأديمِ مُفوَّفٍ ... رَقَمتْ بدائعَهُ يدُ الأقدار

خُلِطَ البياضُ بصُفْرةٍ فى لوْنهِ ... فترَى اللُّجيْنَ يشُوبُ ذوْبَ نُضار

أوْ أشْعَلٍ راقَ العيُونَ كأنَّهُ ... غَلَسٌ يُخالِطُ سُدْفَةً بنَهار

---

(١) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصل : « تركتها » .

(٢) البيتان عن نفح الطيب .

(٣) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « ينجو لها » والضمائر فى البيت خفية الدلالة .

(٤) فى الأصل : « الطريق » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

سَرَحَتْ بمُخضرِّ الجوانبِ يانعٍ تَنْسابُ فيه أراقِمُ الأنهارِ
قد أرضعَتْهُ السارياتُ لِبانَها وحَلَلْنَ فيه أزِرَّةَ النُّوّارِ
أخذتْ سُعودُكَ حِذْرَها فَلِحكمةٍ أغرتْ جُفونَ المُزْنِ باسْتِعْبارِ
لمّا أرتْكَ(١) الشمسُ صُفرةَ حاسدٍ لِجَبينِكَ المُتألِّقِ الأنوارِ
نَفَثَتْ عليكَ السُّحْبُ نَفْثَ مُعوِّذٍ(٢) مِنْ عَيْنِها المُتوقَّعِ الأضرارِ
فارْفَعْ لِواءَ الفَخْرِ غيرَ مُدافَعٍ واسْحَبْ ذُيولَ العَسْكَرِ الجرّارِ
وأهْنَأْ بمَقْدَمِكَ السَّعيدِ مُخَوَّلًا ما شِئْتَ مِنْ عِزٍّ ومِنْ أنصارِ
قد جِئْتَ دارَكَ مُحْسِنًا ومُؤمَّلًا مُتِّعْتَ بالحُسْنَى وعُقْبَى الدّارِ [٣٠٢]
وإليكَها مِنْ رَوْضِ فِكْرِيَ نَفْحَةً شَفَّ الثَّناءُ بها على الأزهارِ

ثم قال: ومن ذلك ما أنشده، رضي الله تعالى عنه، في رحلة ركاب المجاهد إلى المرية بالقصر الصُّمادحي في حدود عشر سنين وسبع مئة:

حمولٌ تحِنُّ للأطلالِ ويشُوقُها ذِكْرُ الزَّمانِ الخالي
يَثْني أزِمَّةَ هِيمِها شوقٌ إلى ظِلِّ الأراكِ وأزرقٍ سَلْسالِ
ذكَرَتْ بها الحيَّ الجميعَ كَعَهْدِها والرَّبعُ منها أخضرُ السِّربالِ
والدارُ حاليةُ المَعاطفِ والرُّبا ومَرادُها بالرَّوضةِ المِخْضالِ
أيّانَ ما لَعِبَتْ بها أيدي النَّوى وتَراهَنَتْ في الحلِّ والتَّرْحالِ(٣)

---

(١) في الأصل: «رأتك». والتصويب عن نفح الطيب.
(٢) في نفح الطيب: «نفثة معوذ».
(٣) كذا في م. وفي ط:
«أيان ما لعبت به أيدي الهوى ذهب الغرام بحيلة المحتال».

وَجَرَتْ بِسدَّتِها[1] الحُدَاةُ كأنَّها ... قِطَعُ السَّفائِنِ خُضْنَ بَحْرَ لَيالِ
دَعْنِى أُطارِحْهَا الحَنِينَ فإنَّنِى ... لا أَنْثَنِى[2] لِمَقالَةِ العُـذَّالِ
وهِىَ المَنَازِلُ أَشْبَهَتْ سُكَّانَها ... أَعْمارُهَا تَفْضِى إلى الآجالِ
بَلِيَتْ مَحَاسِنُها وخَفَّ أَنِيسُها ... والشَّوْقُ والتَّذْكارُ لَيْسَ بِبَالِى
ولَقَدْ أَقُولُ وما يُعَنِّفُ ذُو الهَوَى ... ذَهَبَ الغَرَامُ بِحِيلَةِ المُحْتالِ
أَحَشًى تَذُوبُ صَبابَةً ومَدَامِعٌ ... تُغْرِى جُفُونَ المُزْنِ باسْتِهْلالِ
ووَرَاءَ مُطَّلَعِ الخُدُورِ جَآذِرٌ ... تُجْلَى شُمُوسًا فِى غَمامِ حِجَالِ
يَا ساكِنِى نَجْدٍ وما نَجْدٌ سِوَى ... نادِى[3] الهَوَى ومُخَيَّمِ الآمالِ
مَا لِلظِّبَاءِ الآنِساتِ بِرَبْعِكُمْ ... عُطُلًا وهُنَّ مِنَ الجَمالِ خَوَالِى
أَوْ لِلرِّيَاحِ تَهُبُّ وهِىَ بَلِيلَةٌ ... فَتَهِيجُ مِنْ وَجْدِى ومِنْ بَلْبالِى
هِىَ شِيمَةٌ عُذْرِيَّةٌ عَوَّدْتُها ... قَلْبًا شَعاعًا[4] مَا يُرَى بالسَّالِى
يَا بِنْتَ مَنْ غَمَرَ العُفاةَ نَوالُهُ ... هَلاَّ سَمَحْتِ[5] ولَوْ بِطَيْفِ خَيالِى
فَلَكَمْ بَعَثْتُ مَعَ النَّسِيمِ تَحِيَّتِى ... عَوَّدْتُ سارِى البَرْقِ مِنْ أَرْسالِى
باللهِ يَا رِيحَ النُّعامَى جَرِّرِى ... فَوْقَ الخُزَامَى عاطِرَ الأَذْيالِ
وإذَا مَرَرْتِ عَلَى الكَثِيبِ بِرَامَةٍ[6] ... صافِحْ مُحَيَّا الرَّوْضَةِ المِخْضالِ
فِيها المَعاهِدُ قَدْ طَلَعْنَ بأُفْقِها ... زَمَنًا ولَمْ أَجْنَحْ لِوَقْتِ زَوالِ

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « بشدة » .
(٢) فى ط : « لك أنثنى » .
(٣) فى م : « دار » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « شغافا » .
(٥) فى ط : « سمعت » .
(٦) كذا فى م . ورمة : موضع بالعقيق ، أو وراء القريتين فى طريق البصرة إلى مكة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى) . وفى ط : « زابة » .

أَمُذَكِّرِى عَهْدَ الشَّبِيبَةِ جادَهُ ... صَوْبُ العِهادِ بوَاكِفٍ هَطَّال

[٣٠٣] عاطَيْتَنِى عنهُ الحَدِيثَ كأَنَّما ... عاطَيْتَنِى منهُ ابْنَةَ[1] الجِرْيال

هذا عَلَى أَنِّى نَزَعْتُ عَنِ الصِّبَا ... وصَرَمتُ مِنْ حُبِّ الحسانِ حِبالِى[2]

حَسْبِى وَقارًا فِى النَّدِىِّ إِذَا احْتَبَى ... وتَجاوَلُوا فِى الفَخْرِ كُلَّ مَجال

أَنِّى أَلُوذُ بِدَوْلَةٍ نَصْرِيَّةٍ ... حَلِيَتْ مَحاسِنُها بِكُلِّ كَمال

حيثُ الوُجُوهُ صَبِيحةٌ والمَكْرُما ... تُ صَرِيحَةٌ والعِزُّ غَيْرُ مُزال[3]

حيْثُ المَكارِمُ سَنَّها أَعْلامُها ... مِنْ كلِّ فَيَّاضِ النَّدَى مِفْضال

بِيضُ الأَيادِى والوُجوه أَعِزَّةٌ ... قَدْ شَيَّدُوا العَلْيا بِسُمْرٍ عَوالى

هُمْ آلُ نصْرٍ ناصَرُوا دِينَ الهُدَى ... والمُصْطَفَوْنَ لِخِيرَةِ الأَرْسال

ما شئْتَ مِنْ مَجْدٍ قديمٍ شادَهُ ... أَبْناءُ قَيْلَةَ أَشْرَفِ الأَقْيال

ما مِنهُمُ إِلاَّ أَغَرُّ مُحَجَّلٌ ... يَلْقَى العَظائِمَ وهْوَ غَيْرُ مُبالى

مُتَبَسِّمٌ واليومُ أَكْلَحُ عابِسٌ ... والحَرْبُ تَدْعُو بالكُماةِ نَزَال

قد عَوَّدُوا النَّصْرَ العَزِيزَ وخَوَّلُوا ال ... فَتْحَ المُبِينَ بِمُلْتَقَى الأَبْطال

بذلوا لدى[4] الهَيْجا كَرائِمَ أَنفُسٍ ... قد أُرْخِصَتْ فِى اللهِ وهِىَ غَوالى

يَأَيُّها المَلِكُ الهُمامُ المُجْتَبَى ... ومُنِيلَ دِينِ اللهِ خَيْرَ مَنال

أَصْبَحْتَ وارِثَ مَجْدِهِمْ وفَخارِهِمْ ... ومُشَرِّفَ الأَمْصارِ والأَبْطال

وطَلَعْتَ فِى أُفْقِ الخِلافَةِ نَيِّرًا ... تَجْلو ظَلامَ الظُّلْمِ والإِضْلال

---

(١) فى ط : « ابتدا » .

(٢) كذا فى . م وفى ط : « وصرعت من حب الحنان حيالى » وفيه تحريف ظاهر .

(٣) فى ط : « والعذر غير نوال » .

(٤) فى ط : « الدما » . والتصويب عن م .

فُقْتَ المُلوكَ جَلالةً وبَسالةً ... وَشَأَوْتَهُمْ(١) فِى الحِلْمِ والإجمال
أعْدَتْ محاسنُكَ المَحاسنَ كُلَّها ... فَجَمالُها يُزْرى بِكُلِّ جمال
فالشَّمْسُ تأْخُذُ عَنْ جَبِينِكَ نورَها ... والرَّوْضُ يَنفَحُ عنْ كريمِ خِلال
والرِّيحُ تحْمِلُ عنْ ثنائكَ طِيبَها ... فِى مُلتَقاها من صَبًا وشَمال
والغَيْثُ إلاَّ منْ نَداكَ مُبَخَّلٌ ... فالغَيثُ يُقْلِعُ والندى مُتَوالى
تُعْطِى الذِى لا فَوْقَهُ لِمؤَمِّلٍ ... وَتَجُودُ بالإحْسَانِ قبلَ سُؤال
طَاوَلْتَ عُلْوِىَّ النُّجُومِ بِهِمَّةٍ ... لا فَاقِدًا عِزًّا ولا مِكْسَال(٢)
وَبلغْتَ مِنْ رُتَبِ السَعادَةِ مَبْلَغاً ... أبْعَدْتَ فِيهِ مُرْتَقاكَ العالى(٣)
وَقِيَاسُ سَعْدِكَ فى مَرَامِكَ كلِّهِ ... يَقْضِى مُقَدِّمُهُ بِصِدْقِ التَّالى
لِمَن الجِيادُ الصَافِنَاتُ كأنَّها ... فى الوِرْدِ أسْرَابُ القَطَا الأرْسال
مِنْ كلِ مَلْمُومِ القُوَى عَبْلِ الشَّوَى ... مُرْخَى العِنَانِ مُحَفَّزٍ(٤) جَوَّال
لِمَنْ القِبابُ الحُمْرُ تُشْرَعُ لِلنَّدَى ... فتَفِيضُ لِلعافِينَ فَيْضَ سِجَال
لِمَنْ الخِيامُ البِيضُ تَحْسَبُ أنَّها ... زُهْرُ الكَواكِبِ أُطْلِعَتْ بِحِلَال(٥) [٣٠٤]
مُنْداحَةُ الأرْجاءِ عَالِيَةُ الذُّرَى ... فكأنَّها فى الوَهْدِ شُمُّ جِبال
هُوَ مَظهَرُ المُلْكِ العَلِىِّ وَمَطلَعُ النُّورِ الجَلِىِّ بمَرْقَبٍ مُتعالى
آثارُ مَوْلانَا الإمامِ مُحَمَّدٍ ... بَدْرِ الهُدَى لازالَ حِلْفَ كَمال

(١) كذا فى م . وفى ط : « ورأستهم » .
(٢) المكسال (كما فى كتب اللغة) : من صفات الإناث . والوجه فى مكسال النصب . ولـكنه عدل عنه للقافية . وقد وقع منه هذا فى غير موضع من القصيدة .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « مرتقى المعالى » .
(٤) فى ط : « محفن » .
(٥) فى ط : « بجلال » .

لله وجهتك التي نلنا بها ... أجر الجهاد وبغية الآمال
ما شئت من حسن يفوق كماله ... ويروق منظره الجميل الحالي
كم من عجائب جمة أظهرتها ... ما كان يخطر وصفهن ببال
أمت وفود الناس منك ممكنا ... قد خص بالتعظيم والإجلال
جاءوا مواقيت اللقاء كأنهم ... وفد الحجيج برامة وألال[1]
لله عينا من رأى ملك الملا ... حف الوقار جماله بجلال
في موكب لبسوا الخلوص شعاره ... وتميزوا منه بزي جمال
بلغوا به العدد الكثير وكلهم ... أرضاهم إحسانك المتوالي
يهنى المرية نعمة سوغتها ... جادت بها الأيام بعد مطال
قدست واديها وزرت خلالها ... فلها الفخار بها على الآصال[2]
وكسوتها برد الشباب مفوفا ... وشفيت ما تشكو من الأوجال
مولاي لا أحصي ثناءك إنه ... أربى على التفصيل والإجمال
أعليت في أفق العناية مظهري ... وخصصته بعوارف الإفضال
ظفرت يداي بكل ما أملته ... في النفس أو في الجاه أو في المال
لم تبق لي أملا وما بلغته ... بلغت ما ترجو من الآمال

ثم قال بعد ذكر بعض العيديات : ومن ذلك :

بشرى كما وضح الصباح وأجمل ... يعشى سناها كل من يتأمل[3]

---

(١) رامة : نطاق على أكثر من مكان . (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٠٨ من هذا الجزء) . وألال : جبل بعرفات .
(٢) كذا في م . وفي ط : « الأمثال » .
(٣) في نفح الطيب : « يتهلل » .

أَبْدَى لها[1] وَجْهُ النَّهارِ طَلَاقَةً وَافْتَرَّ من ثَغْرِ الأَقاحِ مُقبِّل

وَمنابِرُ الإِسْلامِ يا مَلِكَ الْوَرى[2] بِحُلاكَ أَوْ بِحُلِيِّها تَتَكمّل

تَجْلو لنا الأَكْوانُ مِنْكَ محاسِنًا تُرْوَى عَلَى مَرِّ الزّمانِ وَتُنقَل

فالشَّمْسُ تأخُذُ مِنْ جَبِينِكَ نُورَها وَالْبِشْرُ مِنْكَ بِوَجْهِها يَتَهَلَّلُ

والرَّوْضُ يَنْفَحُ عَنْ ثَنائِكَ طِيبُهُ والوُرْقُ فيهِ بالمَدائِحِ تَهْدِل [٢٠٥]

والبَرْقُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ مُنْتَضًى والسُّحْبُ تَهْمِي مِنْ يَدَيْكَ وَتَهْمُلُ

يأَيُّهـــا المَلِكُ الذى أَوْصافُهُ دُرٌّ عَلَى جِيدِ الزّمانِ مُفَصَّـل

اللهُ أَعْطَاكَ الَّتِى لا فَوْقَها وَحَباكَ بالْفَضْلِ الذى لا يُجْهَـل

وَجْهٌ كما حَسَرَ[3] الصَّباحِ نِقَابَهُ لِضِيائِهِ تَعْشُو البُدُورُ الكُمَّل

تَلْقاهُ فى يَوْمِ السَّماحَةِ وَالْوَغَى وَالْبِشْرُ فِى وَجَنَاتِهِ[4] يَتَهَلَّل

كَفٌّ أَبَتْ أَلَّا تَكُفَّ عَنِ النَّدَى أَبَدًا فإنْ ضَنَّ الحَيَا تَسْتَرْسِل

وَشَمائِلٌ كالرَّوْضِ بَاكَرَهُ الحَيَا وَسَرَتْ بِرَيَّاهُ الصَّبَا والشَّمْأَل

خُلُقُ ابن نصرٍ فى الجمالِ كَخَلْقِهِ ما بَعْدَها مِن غايةٍ تُسْتَكمل

نُورٌ عَلَى نُورٍ بأَبهى منظرٍ فى حُسْنِهِ لِمُؤَمِّلٍ ما يأْمُل

فاقَ الملوكَ بسيفِهِ وبِسَيْبِهِ فَبِعَدْلِهِ وبفضـلِهِ يُتَمَثَّل

وإذا تطاوَلَ لِلْفخَارِ[5] عَميدُهُمْ فلَهُ عليهِ تَطَاوُلٌ وَتَطَوُّل

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « لنا » .

(٢) فى نفح الطيب طبعة الأزهرية : « العلا » .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « حسن » . وقد مر هذا التشبيه فى قصيدته الرائية حيث يقول :

وجه كما حسر الصباح نقابه ويد تمد أناملا ببحار

(٤) فى نفح الطيب : « جنباته » .

(٥) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « للعميد » .

يا آيَةَ اللهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا ... يُهْدَى بِها قَصْدَ الرَّشَادِ الضُّلَّلُ

قُلْ لِلَّذِي الْتَبَسَتْ مَعَالِمُ رُشْدِهِ ... هَيْهَاتَ قَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ الأَمْثَلُ

قَدْ نَاصَحَ الإِسلامَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ ... وَحَمَى عَرِينَ المُلْكِ أَغْلَبُ مُشْبِلُ[1]

فَلَقَدْ ظَهَرْتَ مِنَ الكَمَالِ بِمُسْتَوًى ... ما بَعْدَهُ لِذَوِي الخِلافَةِ مَأْمَلُ

وَعِنَايَةُ اللهِ اشْتَمَلْتَ رِدَاءَهَا ... وَعَلِقْتَ مِنْهَا عُرْوَةً لا تُفْصَلُ

فالجودُ إِلَّا مِنْ يَدَيْكَ مُقَتَّرٌ ... وَالغَيْثُ إِلَّا مِنْ نَدَاكَ مُبَخَّلُ

وَالعُمْرُ إِلَّا تَحْتَ ظِلِّكَ ضَائِعٌ ... والعَيْشُ إِلَّا فى جَنابِكَ مُمْحِلُ

حيْثُ الجِهَادُ قَدِ اعْتَلَتْ رَايَاتُهُ ... حيْثُ المَغَانِمُ لِلْعُفَاةِ تُنَفَّلُ

حيْثُ القِبابُ الحُمْرُ تُرْفَعُ لِلْقِرَى ... قَدْ قَامَ[2] فى أَرْجَائِهِنَّ المَنْدَلُ[3]

يَا حُجَّةَ اللهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا ... عَزَّ المُحِقُّ بِهِ وَذَلَّ المُبْطِلُ

قُلْ لِلَّذِي نَاوَاكَ يَرْقُبُ يَوْمَهُ[4] ... فَوَرَاءَهُ مَلِكٌ يَقُولُ وَيَفْعَلُ

وَاللهُ جَلَّ جَلالُهُ إِنْ أَمْهَلَتْ ... أَحْكَامُهُ مُسْتَدْرَجاً لا تُهْمِلُ

يا نَاصِرَ الإِسْلامِ وَهْوَ فَرِيسَةٌ ... أُسْدُ العِدَا[5] مِنْ حَوْلِهَا تَتَسَلَّلُ

يا فَخْرَ أَنْدَلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا ... لَكَ فِيهِمُ النُّعْمَى التى لا تُجْهَلُ

لاَ يُهْمِلُ اللهُ الذينَ رَعَيْتَهُمْ ... فَلأَنْتَ أَكْفَى وَالعِنَايَةُ أَكْفَلُ

[٣٠٦]

لا يَبْعُدُ النَّصْرُ العَزِيزُ فَإِنَّهُ ... آوٍ إِلَيْكَ وَأَنْتَ نِعْمَ المَوْئِلُ

لَوْلاَ نَدَاكَ لَهَا لَمَا نَفَعَ النَّدَى ... وَلَجَفَّ مِنْ وِرْدِ الصَّنَائِعِ مَنْهَلُ

---

(١) فى ط : « مشمل » . وفى نفح الطيب : « أشمل » . والتصويب عن م .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « عام » .
(٣) المندل : العود .
(٤) فى نفح الطيب المطبوع : « يدفع نومه » . وفى المخطوط : « يرفع رأسه » .
(٥) فى نفح الطيب : « الفلا » .

لولاكَ كانَ الدِّينُ[١] يُغمطُ حقَّهُ ... وَلكانَ دِينُ النَّصرِ فيهِ يُمْطَلُ
لكنْ جَنيْتَ الفتحَ منْ شجَرِ القنا ... وجنى الفتوحِ لمنْ عَداكَ مُعلَّلُ[٢]
فلطالما[٣] استفتحتَ كلَّ مُمنَّعٍ ... منْ دُونهِ بابُ المطامعِ مُقفَلُ
وَمتى نزَلتَ بمعقِلٍ متأشِّبٍ ... فالعُصمُ منْ شَعَفاتهِ[٤] تُستَنزَلُ
وإذا غزوتَ فإنَّ سَعدكَ ضَامنٌ ... ألا تخيبَ وأنَّ قصدكَ يَكْمُلُ
فمنَ السُّعودِ أمامَ جيشكَ موكبٌ ... ومنَ الملائكِ دُونَ جُندكَ جحفلُ
وَكتيبةٍ أردفتَها بكتيبةٍ ... والخيلُ تَمرحُ فى الحديدِ وَترفُلُ[٥]
منْ كلِّ منخفِزٍ كلمحةِ بارقٍ ... بالبدرِ يُسرَجُ والأهلَّةِ ينعلُ
أوفى بهادٍ كالظليمِ وخلفهُ ... كفَلٌ كما ماجَ الكثيبُ الأهيلُ
حتَّى إذا ملكَ الكميُّ عِنانَهُ ... يَهوِى كما يهوى بجوٍّ أجدلُ
حمَلتْ أُسودَ كريهةٍ يومَ الوغى ... ما غابُها إلا الوشيجُ الذُّبَّلُ
لبِسوا الدُّروعَ غدائراً مصقُولةً ... والسُّمرُ قُضبٌ فوقَها تتهدَّلُ
منْ كلِّ مُعتدِلِ القوامِ مُثقَّفٍ ... لكنَّهُ دُونَ الضَّريبةِ يَعسِلُ
أذكيْتَ فيهِ شُعلةً منْ نصلِهِ ... يُهدَى بها إنْ ضلَّ عنهُ المقتَلُ
وكريمِ لمَّاعِ الصِّقالِ[٦] مُشهَّرٍ ... ماضٍ ولكنْ فِعلُهُ مُستقبَلُ
رقَّتْ مضاربُهُ وراقَ فرِندُهُ ... فالحُسنُ فيهِ مُجمَلٌ ومُفصَّلُ
فإذا الحروبُ تسعَّرتْ أجزالُها ... ينسابُ فى يُمناكَ منهُ جدوَلُ

---

(١) كذا فى نفح الطيب المخطوط والمطبوع. وفى ط: «الطير». وفى م: «الطين».
(٢) فى نفح الطيب: «مؤمل».
(٣) كذا فى نفح الطيب. وفى الأصلين: «ولقبل ما».
(٤) الشعفات: رءوس الجبال؛ الواحدة: شعفة (بالتحريك).
(٥) كذا فى نفح الطيب. وفى الأصل: «ترقل».
(٦) كذا فى نفح الطيب. وفى الأصلين: «الصقيل».

وَإذَا دَجا لَيلُ الْقَتَامِ رَأَيْتَهُ ... وَكَأَنَّهُ فِيهِ ذُبَالٌ مُشْعَلُ

فاعْجَبْ لَهَا مِنْ جَذْوَةٍ لا تَنْطَفِى ... فى أَبْحُرٍ زَخَرَتْ وَهُنَّ الأَنْمُلُ

هِىَ سُنَّةٌ أَخْيَيْتَهَا وَفَرِيضَةٌ ... أَدَّيْتَهَا قُرُبَاتُهَا تُتَقَبَّلُ

فَإذَا الْمُلُوكُ تَفَاخَرَتْ بِجِهَادِهَا[1] ... فَلأَنْتَ أَحْفَى بِالجِهَادِ وَأَحْفَلُ

يَابْنَ الَّذِينَ جَمَالُهُمْ وَنَوَالُهُمْ ... شَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ

يابْنَ الأَمامِ ابْنِ الإمامِ ابنِ الإما ... مِ ابْنِ الإمامِ وَقدرهَا[2] لايُجْهَلُ

آباؤُكَ الأَنْصَارُ تِلْكَ شِعَارُهم ... فَلِحَيِّهِمْ آوَى النَّبِىُّ الْمُرْسَلُ

[٢٠٧] فَهُمُ الأُلَى نَصَرُوا الْهُدَى بِعَزَائِمٍ ... مَصْقُولَةٍ وَبَصَائِرٍ لاَ تُخْذَلُ

مَاذَا يُحَبِّرُ شَاعِرٌ فى مَدْحِهِمْ ... وَبِفَضْلِهِمْ أَثْنَى الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

مَوْلاَىَ لا أُحْصِى مَآثِرَكَ الَّتِى ... بِحَدِيثِها تَمْضِى[3] الْمَطِىُّ الذُّلَّلُ

وَإذَا الحقَائِقُ لَيْسَ يُدْرَكُ كُنْهُها ... سِيَّانِ فِيها مُكْثِرٌ وَمُقَلِّلُ

فَإلَيْكَ مِنْ شَوَّالَ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... أَهْدَا كَها يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ

عَذْراء راقَ العِيدَ رَوْنَقُ حُسْنِها ... فغدا بنَظْمِ[4] حُلِيِّهَا يَتَجَمَّلُ

رَضَعَتْ لِبانَ العِلْمِ فى حِجْرِ النُّهى ... فَوَفَتْ لها مِنهُ ضُرُوعٌ حُفَّلُ

سَلَكَ الْبَيانُ لها سَبِيلَ إجادَةٍ ... لَوْلاَ صِفَاتُك كانَ عنها يَعْدِلُ

جاءَت تُهَنِّى العِيدَ أَيْمَنَ قادم[5] ... وافى بشهرِ صِيامِهِ يَتَوَسَّلُ

وَطَوَى الشُّهُورَ مَرَاحِلاً مَعْدُودَةً ... كَيْما يُرَى بِفِنَاءِ جُودِكَ يَنْزِلُ

---

(١) فى نفح الطيب : « بجدودها » .

(٢) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصلين : « ومثلها » .

(٣) فى م ونفح الطيب : « تنضى » .

(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « بحسن » .

(٥) فى الأصلين : « قائم » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

وأَنَى وَقَدْ شَفَّ النُّحولُ هلالَه وَلِشَوْقِهِ لِلقَاءِ وَجْهِكَ يَنْحَلُ
عَقَدَتْ بِرَقْبِهِ العُيُونُ مَسَرَّةً فَمُكَبِّرٌ لِطُلوعِــه وَمُهَلِّلُ
فَاسْلَمْ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ فى غِبْطَةٍ ظِلُّ الْمُنَى مِنْ فَوْقِها يَتَهدَّلُ
فإذا بَقِيتَ لنا فكلٌّ سَعادَةٍ فى الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهَا تَتَكَفَّلُ

ثم قال بعد إيراد جملة قصائد :

من أناشيده فى المواسم العقيقية

ومن جياد أناشيده المتميزة بالسبقية ، وبارقات تهانيه فى المواسم العقيقية ، قوله يهنئه ، رضوان الله تعالى عليه ، بطلوع مولانا الوالد قدّسه الله تعالى :

طَلَعَ الهـــلالُ وأُفْقُهُ مُتَهَلِّلُ فَمُكَبِّرٌ لِطُلُوعِـــه وَمُهَلِّلُ
أَوْفَى عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ بِغُرَّةٍ فغَدَا الصَّباحُ بِنُورِهَا يَتَجَمَّلُ
شَمْسُ الخِلافَةِ قَدْ أَمَدَّتْ نُورَه وَبِسَعْدِها يَرْجُو التَّمَامَ وَيَكْمُلُ
لله مِنْهُ هـــلالُ سَعْدٍ طالعٌ لِضِيائِهِ تَعْشُو البُدُورُ الكُمَّلُ
وأَلَحْتَ يَاشَمْسَ الهِدايَةِ كَوْكَبًا يُعْشِى سَناهُ كلَّ مَنْ يَتأمَّلُ
والتَّاجُ تاجُ البَدْرِ فى أُفُقِ العُلا[1] ما زَالَ بالزُّهْرِ النُّجُومِ يُكلَّلُ
ولَئِنْ حَوَى كلَّ الجمالِ فإنَّهُ بالشُّهْبِ أَبْهَى ما يَكُونُ وأَجْمَلُ
أَطْلَعْتَ يا بَدْرَ السَّماحِ هِـلالَهُ والمُلْكُ أُفْقٌ والخِلافَةُ مَنْزِلُ
يَبْدُو بِهالَاتِ السُّرُوجِ وإِنَّهُ مِنْ نُورِ وجْهِكَ فى العُلا يَسْتَكمِلُ
قلدتَ عِطْفَ المُلْكِ منــهُ صارمًا بِغَنائِهِ ومَضَــائِهِ يُتَمَثَّلُ [٣٠٨]
حَلَّيْتَهُ بِحُلَى الكَمالِ وجَوْهَرِ الـــخُلُقِ النَّفِيسِ وكلُّ خَلْقٍ يَجمُلُ
يَغْزُو أَمَامَكَ والسُّعُودُ أَمَامَهُ وملائِكُ السَّبْعِ العُلا تَتنزَّلُ

(١) فى الأصلين : « السما » ، وما أثبتناه عن نفح الطيب .

مَنْ مُبْلِغُ الأَنْصارِ مِنهُ بِشارَةً غُرُّ البَشائِرِ بعْدَها تَسْتَرْسِلُ
أَحْيَا جِهادَهُمُ وجَدَّد فَخْرَهُمْ بَعْدَ المِئِينَ فَمُلْكُهُمْ يَتَأَثَّل
فِيهِ إلى الأَجْرِ الجزيلِ تَوَصَّلُوا وبهم إلى رَبِّ السَّما يُتَوَسَّل
مَنْ مُبلِغُ الأَذْوَاء مِنْ يَمنٍ وَهُمْ قَدْ تُوِّجوا وتَمَلَّكوا وَتَقَيَّلوا
أَنَّ الخِلافَةَ فى بَنِيهِمْ أَطْلَعَتْ قمراً[1] بهِ سَعْدُ الْخَلِيقَةِ يَكمُل
من مُبْلِغٌ قحْطَانَ آسَادَ الشَّرَى مَا غابُها إلّا الوشيجُ[2] الذُّبَّل
أَنَّ الخليفَةَ وهْوَ شِبْلُ لُيُوثِهِمْ قَدْ حاطَ مِنْهُ الدِّينَ لَيْثٌ مُشْبِل
يَهْنِى بَنِى الأَنْصارِ أَنَّ مَلِيكَهُمْ[3] قَدْ بَلَّغَتْهُ سُعُودُهُ ما يَأْمُل
يَهْنِى البُنُودَ فإنّها سَتُظِلُّهُ وجَنَاحُ جِبْرِيلَ الأمينِ يُظَلِّل
يَهْنِى الجِيادَ الصَّافناتِ فإنّها بِفُتُوحِهِ تَحْتَ الفوارِسِ تَهْدِل
يَهْنِى المَذَاكِىَ والعَوالِىَ والظُّبَى فَبِهَا إلى نَيْلِ المُنَى يَتَوَصَّل
يَهْنِى المَعالىَ والمَفاخرَ أنّه فى مُرْتَقَى أَوْجِ العُلا يَتَوَقَّل
سَبَقَتْ مُقَدِّمَة الفتوح قدومَهُ وأتاكَ وهو الوادع المُتَمَهِّل[4]
وبَدتْ نُجومُ السعدِ قبل طُلُوعِهِ تجلو المَطالعَ قبلَهُ لاَ تَأْفُل[5]
وروَتْ أحاديث الفتوح غرائبا والنصرُ يُملِى والبشائر تَنْقُل
أَلقَتْ إليكَ به السُّعودُ زِمامها فالسعد يُمضِى ما تقولُ ويفعل
فالفتح بين مُعجَّل ومُؤجَّلٍ يُنسيك ماضيَه الذى يُستقبل

---

(١) فى الأصلين : « نخراً » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٢) فى ط : « الشحيح » . والتصويب عن نفح الطيب .

(٣) فى م ونفح الطيب : «إمامهم» .

(٤) فى الأصلين : «المتمل» . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٥) كذا فى ط . والذى فى م ونفح الطيب : «وتؤثل» .

أَوَلَيْس فى شأن المسير دلالة ... أن المقاصدَ من طِلابك تكملُ

ناداهُمُ داعى الضَّلال فأقبلوا ... ودعاهُمُ داعِي المَنون فجُدِّلوا

عَصَوُا الرسولَ إبايةً وتحكمتْ ... فيهم سيوفُك بعـدها فاستمثلوا

كانوا جبالا قـد عَلَتْ هَضَباتها ... نَسَفَتْهُمُ ريحُ الجِلاد فزُلزلوا

كانوا بحارا من حـديدٍ زاخرٍ ... أذكتهمُ نارُ الوَغى فتَسَيَّلُوا

رَكِبَتْ أرجُلَها الأداهمَ كلّمَا ... يتحركون إلى قيـام تَصْهَل

كان الحديدُ لباسهم وشعارهم ... واليوم لم تلبسه إلا الأرجـل

اللهُ أعطاكَ التى لا فوقَها ... فتحًا به دِينُ الهُدَى يَتأثَّل

جَـدَّدت للأنصار حَلْيَ جهادهمْ ... فالدين والدنيـا به تتجمَّل

مَنْ يُتْحِفُ البيْتَ العتيقَ وزَمزَما ... والوفد وفْدَ اللهِ فيـه يَنْزِل

مُتَسابقين إلى مَثابة رَحْمَةٍ ... من كل ما حَـدَبٍ إليه تَنْسِل

هِيمًا كأفواج القطا قـد ساقها ... ظمأ شـديد والمطاف المَنْهَل

مِنْ كل مرفوع الأكفِّ ضراعةً ... والقلب يخفِقُ والمدامعُ تَهمُل

حتى إذا رَوَت الحديث مُسَلْسَلا ... بيض الصوارم والرماحُ المُسَّل

عَنْ فَتحكَ الأسنى عن الجيش الذى ... بثباته أهل الوَغى تَتَمَثَّل

أهْدَتهُمُ السَّراء نُصْرة دِينهمْ ... واستبشروا بحـديثها وتهلَّلوا

وتناقَلُوا عنك الحديث مَسَرَّةً ... بسَماعه واهتز ذاكَ المَحْفِل

ودَعَوْا بنصركَ وهو أعْظمُ مَفخراً ... إن الحجيج بنصر ملكك يَحْفِل

فاهنأْ بملكك واعتمدْ شكرا به ... لُطفَ الإله وصُنْعه تَتَخَوَّل

شُرِّفتْ منه باسم والدك الرِّضَا ... يحيا به منـه الكريم المُفْضِل

[٣٠٩]

---

(١) فى نفح الطيب : «فتبتلوا» .

أبديتَ مِنْ حسن الصنيع عجائبا تُرْوَى على مَرِّ الزمان وتُنْقَلُ
خَفَقَتْ به أعلامُكَ الحُمْرُ التى بخفوقها النصر العزيز مُوَكَّل
هَدَرَتْ طبول العز تحت ظلالها عنوان فتح إثْرَها يُسْتَعْجَل
ودَعَوْتَ أشراف البلاد وكُلُّهُمْ يُثْنِى الجميلَ وصُنْعُ جودِكَ أجمل
وردُوا ورود الهيم أجهدها الظَّما فصفا لهم من وِرد كَفِّكَ مَنْهَل
وأثرتَ فيـه للطراد فوارسًا مثل الشموس وجُوهُهُمْ تتهلَّل
من كلِّ وضّاح الجبين كأنّه نجم وجنح النقع لَيْلٌ مُسْبَل
يَرِد الطِّرادَ على أغرَّ مُحَجَّلٍ فى سَرْجِه بطلٌ أغرُّ مُحَجَّل
قَدْ عَوَّدُوا قَنْصَ الكُماة كأنَّما عِقْبانُها يَنْقَضُّ منها أجْدَل
يَسْتَتْبِعون هوادجا مَوْشِيـةً من كل بدع فوق ما يُتَخَيَّل
قد صُوِّرَتْ منها غرائبُ جَمَّةٌ تُنْسِى عُقولَ النـاظرين وتُذْهِل
وتضمنتْ جَزْلَ الوُفُود حُمولُها والنصر فى التحقيق ماهى تحمل
والعادياتُ إذا تَلَتْ فُرسانُها آىَ القتال صُفُوفُها تَتَرتَّل
[لله خيلُكَ إنهـا لسوابح بحرَ القتام وموجه مَتَهيِّل]
من كل برق بالثُّرَيَّا مُلْجَم بالبدر يُسْرَج والأهلة يُنْعل
أو فى بهاد كالظَّلام وخلفه كَفَلٌ كما ماجَ(١) الكثيبُ الأهْيَل
[٣١٠]
هن البوارق غير أن جيادها عن سَبْقِ خيلِكَ يا مؤيد تَنْـكُلُ(٢)
مِنْ أشْهَبٍ كالصبح يعلو سَرْجَهُ صُبْح به نجم الضلالة يأفُل
أو أدْهَمٍ كالّليل قُلِّدَ شُهْبَهُ خاضَ الصَّباحَ فأثْبَتَتْهُ الأرجل

(١) فى نفح الطيب : «لاح» .
(٢) كذا فى ط و نفح الطيب ؛ وفى م : «تشكل» .

أو أشقر سال النُّضَارُ بعطفه وكساه صبغة بهجة لا تَنْصُلُ
أو أحمر كالجمر أضرم بأسُهُ بالركض فى يوم الحفيظة يُشعَل
كالخمر أُتْرِعَ كأسها لندامها وبها حَبَابة غُرَّة تتسيّل
أوْ أصفر لبس العَشِيَّ مُلاءة وبذيله لليل ذيل مُسْبَل
أجملتَ فى هـذا الصنيع عوائدا الجود فيهـا مُجْمَل ومفصَّل
أنشأت فيها من نَداكَ غمائما بالفضل تَنْشَأ والسَّماحة تَهْمُل
فَجَرت من كفيك عشرة أبحر تُزْجِي سحاب الجود وهى الأنمل
من قاس كفك بالغمام فإنه جهل القياس ومثلها لا يجهل
تسخو الغمام ووجهها متجهم والوجه منـه مع الندى يتهلل
والسحب تسمح بالمياه وجوده ذهب به أهل الغنى تتموّل
من قاس بالشمس المنيرة وجهَه ألفَيْتَهُ فى حكمه لا يَعْدل
من أين للشمس المنيرة مَنْطق ببيانه دُرّ الكلام يُفَصَّل
مِنْ أيْن للشمس المنيرة راحـة تسخو إذا بخل الزمان المُمْحِل
مَنْ قاس بالبـــدر المنير كماله فالبدرُ ينقص والخليفة يكمُل
مِنْ أين للبـــدر المنير شمائل تسرى برَيّاها الصَّبا والشَّمْأل
مِن أيْنَ للبـــدر المنير مَناقب بجهادها تُنْفَى الطغاة الذُلَّل
يا من إذا نفحت نواسم حمـده فالمسك يعبَق طيبه والمَنْدل
يا مَن إذا لُمِحَتْ محَاسن وجهه تعشو العيون ويُبْهَر المتأمل
يا مَنْ إذا تليت مفاخر قومه آى الكتاب بذكرها تتنزَّل
كَفَلَ الخلافة منْكَ يا ملاكَ العُلا والله جل جلاله بك أكفلُ
مَأمونُها وأمينها ورشـيدها منصورها مَهْدِيُّها المتوكل

[٣١١]

حَسْبُ الخلافة أن تكون وليَّها ... ومجيرها من كل من يتخيل
حَسْبُ الزمان بأن تكون إمامه ... فله بذلك عزة لا تهمل
حَسْبُ الملوك بأن تكون عميدها ... ترجو الندى من راحتيك وتأمل
حَسْبُ المعالى أن تكون عمادها[1] ... فعليك أطنابُ المفاخر تُسْدل
يا حُجة الله التى برهانُها ... عن الحق به وذل المُبْطِلُ
أنت الإمام ابن الإمام ابن الإما ... م ابن الإمام وفخرها لا يُعْدَل
عَلَّمْتَ حَتّى لم تدَعْ من جاهلٍ ... أعْطَيْتَ حَتّى لم تَدَعْ مَنْ يَسْأل
وعنايةُ الله اشتملت رداءها ... وعلقت[2] منها عُرْوَةً لا تُفصَل

اتصل بهذا البيت جملة أبيات من القصيدة المترجمة[3] فى العبديات التى أولها :

بشرى كما وضح الصباح وأجمل

وحذفناها من هذه اقتصاراً للتكرار ، وزاد فى هذه :

أخذتْ قلوبَ الكافرين مَهَابَةٌ ... فعقولهم من خوفها لا تعقِلُ
حَسِبُوا البُرُوقَ صَوَارِماً مسلولةً[4] ... أرواحُهُمْ من بأسها تتسَلّل[5]
وترى النجومَ مَناصلاً مرهوبةً ... فيفر منها الخائفُ المتنصِّلُ
يابْنَ الألى إجمالُهُمْ وجمالُهُمْ ... شمسُ الضحى والعارضُ المتهلِّلُ
مَوْلاىَ لا أحْصِى مآثِرَكَ التى ... بجهادها يتوسّـلُ المتوسّل

(١) كذا فى م وفى ط : «عميدها» . وفى نفح الطيب : «إمامها» .

(٢) فى الأصل هنا : « وملكت » .

(٣) كذا فى م . وفى ط : «المتوجهة بالعبديات » .

(٤) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : «مصفولة» .

(٥) فى م : «تتسيل» .

أَصبحتُ في ظلِّ امتداحك ساجعا ظِلٌّ[1] أَنَّى مِن فَوقِه يتَهدَّل
طَوَّقْتَه طوقَ الحَمائم أنعُماً فغدا بشكرِك فى المحافل يهدِل
فإليكَ مِن صَوْن[2] العقول عقيلةً أهدى كما صنعَ أغرُّ محجَّل
عذراءَ راقَ الصُّنعُ رونقَ حسنها فغدا بنظم حليِّها يتكلَّل
خيَّرتُها بين المُنى فوجدتُها أقصى مُناها أنها تتقبَّل
لا زلتَ شمساً فى سماءِ خلافةٍ وهلالُكَ الأسمى تمٌّ ويكمل

ثم قال بعد ذكر جملة من نظمه : ومن رقيق منازعه فى بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطانى من شنيل قوله :

وله فى بعض نزه مولاه فى شنيل

نفسى الفداءُ لشادنٍ مهما خطر فالقلبُ من سهم الجفون على خطَر
فضحَ الغزالةَ والأقاحةَ والقنا مهما تثنَّى أو تبسَّم أو نظَر
عجباً لليلِ ذوائبٍ من شعره والوجهُ منهُ عن صباحٍ قد سفَر
عجباً لعقد الثغر منهُ منظَّماً والعقدُ من دمعى عليه قد انتثَر

[٣١٢]

ما رمتُ أن أجنى الأقاحَ بثغرِه إلا وقد سلَّ السيوفَ من الحوَر
لم أنسهُ ليلَ ارتقابِ هلالِهِ والقلبُ من شكِّ الظهور على غرَر
بتنا نراقبــــه بأوَّلِ ليلةٍ فإذا به قد لاح فى نصف الشهر
طالعتُهُ فى روضةٍ كخلالِهِ والطيبُ من هذى وتلك قد اشتهر
وكلاهما يبدى محاسنَ جمَّةً ملءَ المشامِ[3] والمسامع والبصر
والكأسُ تطلعُ شمسُها فى خدِّه فتكادُ تعشى بالأشعةِ من نظر

(١) فى نفح الطيب : «ظل» .
(٢) فى نفح الطيب : «صوغ» .
(٣) كذا فى م وط . وفى نفح الطيب المخطوط والمطبوع : «التنسم» .

نُورِيَّةٌ كَجَبِينِهِ وَكِلاَهُمَا [1] ... يَجْلُو ظَلاَمَ اللَّيْلِ بِالْوَجْهِ الأَغَرّ

هِيَ شِيمَةٌ [2] لِلشَّيْخِ فِيها نِسْبَةٌ ... ما إن يَزَالاَ يَرْعَشَانِ مِنَ الـكِبَرْ

أَفْرَغْتَ فى جسمِ الزُّجَاجَةِ رُوحَهَا ... فَرَأَيْتَ رُوحَ الْأُنْسِ مِنها قَدْ بَهَر

لاَ تَسْقِ غَيْرَ الرَّوْضِ فَضْلَةَ كَأْسِها ... فَالغُصْنُ فى ذَيْلِ الأَزَاهِرِ قَدْ عثر [3]

مَا هَبَّ خَفَّاقُ النَّسِيمِ مَعَ السَّحَر ... إِلّا وَقَدْ شَاقَ النُّفُوسَ وَقَدْ سَحَر

نَاجِي القُلُوبَ الخَافِقَاتِ كَمِثْلِهِ [4] ... وَوَشَى بِمَا تُخْفِي الـكِمَامُ مِنَ الزَّهَر

وَرَوَى عَنِ الضَّحَّاكِ مِنْ [5] زَهْرِ الرُّبا ... مَا أَسْنَدَ الزُّهْرِيّ عَنْهُ عَنْ مَطَر

وَتَحَمَّلَتْ عَنْهُ صَحِيحَ حَدِيثِهِ ... رُسُلُ النَّسِيمِ وَصَدَّقَ الْخُبْرُ الخَبَر

يا قَصْرَ شَنِّيلٍ وَرَبْعُكَ آهِلٌ ... والرَّوْضُ مِنْكَ عَلَى الجَمَالِ قَدِ اقْتَصَر

للهِ بَحْرُكَ وَالصَّبَا قَدْ سَرَّدَتْ ... مِنْهُ دُرُوعاً تَحْتَ أَعْلاَمِ الشَّجَر

وَالآسُ حَفَّ عِذَارُهُ مِنْ حَوْلِهِ ... عَنْ كُلِّ مَنْ يَهْوَى العِذَارَ قَدِ اعْتَذَر

قَبِّلْ بِثَغْرِ الزَّهْرِ كَفَّ خَلِيفَةٍ ... يُغْنِيكَ صَوْبُ الجُودِ مِنْهُ عَنِ المَطَر

وافْرِشْ خُدُودَ الوَرْدِ تَحْتَ نِعَالِهِ ... وَاجْعَلْ بِهَا لَوْنَ المصاعَفِ [6] عَنْ خَفَر

وانْظِمْ غِنَاءَ الطَّيْرِ فِيهِ مَدَائِحاً ... وانثُرْ مِنَ الزَّهْرِ الدَّرَاهِمَ والدُّرَرْ

المُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الشَّرَفِ الذى ... فى مَدْحِهِ قد أُنْزِلَتْ آيُ السُّوَرْ

والمُجْتَبَى مِنْ عُنْصُرِ النُّورِ الذى ... فى مَطْلَعِ الْهُدَى المُقَدَّسِ قد ظَهَرْ

---

(١) فى نفح الطيب . « وهلالها » .

(٢) كذا فى ط . وفى نفح الطيب : « نسخة » . ولعل كلا اللفظين محرف عن « شيخة » .

(٣) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفى ط و م : « زهر » .

(٤) فى م : كشكله . وفى نفح الطيب : « لمثله » .

(٥) فى نفح الطيب : « عن » .

(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى م : « المخفف » . ومكان هذه الـكلمة بياض فى ط .

ذُو سَطْوَةٍ مَهْمَا كَفَى ذُو رَحْمَةٍ ... مَهْمَا عَفَا ذُو عِفَّةٍ مَهْمَا قَدَرْ

كَمْ سائِلٍ لِلدَّهْرِ أَقْسَمَ قَائِلاً ... وَاللهِ مَا أَيَّامُـــهُ إِلَّا غُرَرْ

مَوْلَاىَ سَعْدُكَ كَالمهَنَّدِ فى الوَغَى ... لَمْ يُبْقِ مِنْ رَسمِ الضَّلَالِ ولم يَذَرْ

مَوْلَاىَ وَجْهُكَ والصَّبَاحُ تَشَابَهَا ... وَكِلَاهُمَا فى الخافِقَيْنِ قد اشتهَرْ

إِنَّ الملوكَ كَوَاكِبٌ أَخْفَيْتَهَا ... وطَلَعْتَ وَجْهُكَ[1] فى مظاهرها[2] قَمَرْ

فى كلِّ يَوْمٍ مِنْ زَمَانِكَ مَوْسِمٌ ... فى طَيِّـهِ لِلخَلْقِ أَعْيادٌ كُبَرْ

فاسْتَقْبِلِ الأَيَّامَ يَنْدَى رَوْضُهَا ... ويَرِف والنَّصْرُ العَزِيزُ لهُ ثَمَرْ

قد ذَهَبَتْ مِنْهَا العَشَايَا ضِعْفَ مَا ... قد فَضَّضَتْ منها المحاسنُ فى السَّحَرْ

يابْنَ الَّذِينَ إِذَا تُعَدُّ خِلَالُهُمْ ... نَفِدَ الحِسابُ وأَعجزَتْ عنها القُدَرْ

إِنْ أَوْرَدوا هِيمَ السيُوفِ غَدَائِرًا ... مَصْقولَةً فلطَالَما حَمِدوا الصَّدَرْ

سائِلْ بِبَدْرٍ عَنهُمُ بَدْرَ الهُدَى ... فبِهِمْ[3] عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ قد انتصَرْ

واسْأَلْ مَوَاقِفَهُمْ بِكُلِّ مَشَاهِدٍ[4] ... وَاقْرَ المَغَازِى فى الصَّحِيحِ وفى السِّيَرْ

تَجِدَ الثَّنَاءَ بِبَأْسِهِمْ وبِجُودِهِمْ ... فى مُصْحَفِ الوَحْيِ المُنَزَّلِ مُسْتَطَرْ

فبِمِثْلِ هَذَيكَ فَلْتَنِرْ شَمْسُ الضُّحَى ... وبِمِثْلِ قَوْمِكَ فَلْيُفَاخِرْ مَنْ فَخَرْ

مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ وَصْفٍ مُعْجِزٌ ... والقَوْلُ فيكَ معَ الإِطَالَةِ مُخْتَصَرْ

تِلْكَ المَنَاقِبُ كالثَّوَاقِبِ فى العُلَا ... مَنْ رَامَهَا بالحَصْرِ أَدْرَكَهُ الحَصَرْ

إِن غابَ عَبْـدُكَ عَنْ حِمَاكَ فَإِنَّهُ ... بالقَلْبِ فى تِلْكَ المَشَاهِدِ قد حَضَرْ

---

(١) فى نفح الطيب : « وحدك » .

(٢) فى ط : « فى جوانبها » .

(٣) فى م : « كل » مكان قوله : « فبهم » .

(٤) فى نفح الطيب : « مشهر » .

فاذ كُرْهُ إنَّ الذِّكْرَ منْكَ سَعَادَةٌ | وبهَا عَلَى كلِّ الأنَام قد افْتَخَرْ
ورضَاكَ عنْهُ غَايَةٌ مَا بَعْدَهَا | إلَّا رضا الله الذى ابْتَدَعَ البَشَرْ
فاشْكُرْ صَنِيعَ اللهِ فيكَ فإنَّهُ | سُبْحانَه ضَمِنَ المَزِيدَ لمَنْ شَكَرْ
وعليكَ منْ رُوحِ الإلَهِ تَحِيَّةٌ | تَهفُو إليكَ معَ الأصَائِلِ والبُكَرْ

ثم قال : ومن أغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهى ، فى الشكر على ضروب من التُّحَف التى يَقْتَضِيها[1] التحقّى السلطانى بأولياء خدمته ، نُبَذٌ متعددة فيما يظهر : فمنها قوله :

وله فى الشكر على ضروب من التحف

يا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ المُلوكَ بجُودِهِ | وبفَضْلِهِ قدْ أشْبَهَ الأمْلاكَا
واللهِ مَا عَرَفَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ | أمْنًا وَيُمْنًا دائمًا لَوْلاكَا
وافَيْتُ[2] أهْلِي بالرِّياضِ عَشِيَّةً | فى رَوْضِ جاهِكَ تَحْتَ ظِلِّ رِضَاكَا[3]
فَوَجَدْتُهُ قدْ طَلَّهُ صَوْبُ النَّدَى | بسَحَائِبٍ تَنْهَلُّ منْ يُمْنَاكَا
وسَفَائِنٍ مَشْحُونَةٍ أُلْقِي بِهَا | بَحْرُ السَّماحِ يجيشُ منْ نُعْمَاكَا
رُطَبٌ مِنَ الطَّلْعِ النَّضِيدِ كأنَّها | قدْ نُظِّمَتْ منْ حُسْنِها أسْلاكَا
مِنْ كلِّ ما كانَ النَّبِيُّ يُحِبُّها | وَأَحَبَّها الأنْصَارُ مِنْ أوْلاكَا
وَبَدَائِعِ التُّحَفِ التِّي قَدْ أطْلَعَتْ | مِثْلَ البُدُورِ أنارَتِ الأحْلاكَا[4]
نُطَفٌ[5] مِنَ النُّورِ المُبينِ تَجَسَّمَتْ | حَتَّى حَسِبْنا أنَّهُنَّ هُدَاكَا

[٣١٤]

(١) فى ط : « يتنقيها » . وفى م : « يقتنيها » . والتصويب عن نفح الطيب .
(٢) فى ط : « ولقيت » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .
(٣) فى نفح الطيب « ذراكا » .
(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « فنارت الأفلاكا » .
(٥) كذا فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط . وفى الأصلين : « لطف » .

يَجْلُو عَلَى الأفْوَاهِ طِيبُ مَذَاقِها لَوْلَا التَّجَسُّـدُ خِلْتَهُنَّ سَنَاكَا[1]
طَافَتْ بِهَا النَّشأُ الصِّغَارُ كَأَنَّها سِرْبُ القَطَا لَمَّا وَرَدْنَ نَدَاكَا
نَجْوَاهُمُ مِنْهَـا سَمِعْتَ كَلَامَهُمْ وَنِدَاهُمُ : مَوْلَاىَ أوْ مَوْلَاكَا
أَبْلَغْتَ فى الأبْنَاءِ عَبْدَكَ سُؤْلَهُ لَا زِلْتَ تَبْلُغُ فى بَنِيكَ مُنَاكَا
يَتَدَارَسُونَ مِنَ الدُّعَاءِ صَحَائِفًا كَيْمَا يُطِيـلَ اللهُ فى بُقْيَاكَا
فَبَقِيتَ شَمْسًا فى سَمَاءِ خِـلَافَةٍ وَهُمُ البُـدُورُ أَمَدَّهُنَّ سَنَاكَا

فى هدية من حب الملوك

ثم قال : ومنها وقد أهداه — رحمه الله — أطباقا من حب الملوك[2] :

كَتَبَ الإِلٰهُ عَلَى العِبَادِ مَحَبَّةً لَكَ كَانَ فَرْضُ كِتَابِها مَوْقُوتَا
وَأَنَا الَّذِى شَرَّفْتَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ حَتَّى جَعَلْتَ لَهُ المَحَبَّـةَ قُوتَا
ما زِلْتَ تُتْحِفُهُ بِكُلِّ ذَخِـيرَةٍ حَتَّى لَقَدْ أَتْحَفْتَـهُ اليَاقُوتَا
وَإِلَى المُلُوكِ قَدْ اعْتَزَى مِنْ عِزِّه فَغَدَا لَهُ يَاقُوتُها مَمْقُـوتَا

فى هدية أخرى منه

ومنها فى مثل ذلك :

يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ المُلُوكْ أَهْـدَيْتَنِى حَبَّ المُلُوكْ
فَكَأَنَّمَا يَاقُوتُهَـــا نُظِمَتْ لَنَا نَظْمَ السُّلُوكْ
إِنَّ المُـلُوكَ إِذَا لَجَوْا فَغِيَاثُهُــمْ أَنْ أَمِّلُوكْ
وَكَذَا العُفَاةُ إِذَا شَكَوْا فَغِنَاهُمُ أَنْ يَسْـأَلُوكْ
فَاللهُ يَقْبَـلُ مَنْ دَعَا لِعُلَاكَ مِنْ أَهْلِ السُّلُوكْ

---

(١) فى ط ونفح الطيب : « تناكا » . وما أثبتناه عن م .

(٢) حب الملوك ، ويقال له أيضاً حب الزلم ، هو المعروف عند عامة أهل القاهرة بحب العزيز ، لأن العزيز بن المعز الفاطمى كان مولعا به .

لَا زِلْتَ تَطْلُعُ غُـرَّةً كَالشَّمْسِ فِى وَقْتِ الدُّلُوكْ

ومنها وقد أهداه صيداً مما صاده بنوه رضى الله تعالى عنه :

فى صيد أهدى إليه

يا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ السَّماحَ عن الأُلَى نَصَرُوا الهُدَى وتَبَوَّءُوا الإيمانَا

فى كلِّ يَوْمٍ مِنْكَ تُحْفَةُ مُنْعِمٍ وَالِى الجَمِيلَ وَأَجْزَلَ الإِحْسَانَا

قَدْ أَذْكَرَتْ دَارَ النَّعِيمِ عَبِيدَهُ وَتَضَمَّنَتْ مِنْ فَضْلِهِ رِضْوَانَا

[٣١٠] تُهْدِى مَوَالِيكَ الّذِينَ[1] تَفَرَّعُوا عَنْ دَوْحِ فَخْرِكَ فى العُلَا أَغْصَانَا

لِجَلَالِكَ الأَعْلَى قَنِيصاً أَتْعَبُوا فى صَيْدِهِ الأَرْوَاحَ وَالأَبْدَانَا

فَتَخُصُّنِى مِنْهُ بِأَوْفَرِ قِسْمَةٍ فَسَحَتْ لِعَبْدِكَ فى الرِّضَا مَيْدَانَا

لِلّهِ مِنْ مَوْلًى كَرِيمٍ بِالّذِى تُهْدِى المَوَالِى يُتْحِفُ العُبْدَانَا

تَدْعُو بَنِيَّ إِلَى الغَنِيِّ بِرَبِّهِ يا رَبَّنَا أَغْنِ الّذِى أَغْنَانَا

وَعَلَيْكَ مِنْ قُدْسِ الإِلَهِ تَحِيَّةٌ تُهْدِيكَ مِنْهُ الرَّوْحَ وَالرَّيْحَانَا

ومنها وقد أهداه رحمه الله تعالى أصنافا من الفواكه :

فى أصناف من الفواكه أهديت إليه

يا مَنْ لَهُ الوَجْهُ الجَمِيلُ إِذَا بَدَا فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ البُدُورَ كَمَالَا

وَالمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الفَخْرِ الّذِى فَاقَ الخَلَائِفَ عِزَّةً وَجَلَالَا

مَا أَبْصَرَتْ عَيْنَايَ مِثْلَ هَدِيَّةٍ أَبْدَتْ لنا صُنْعَ الإِلَهِ تَعَالَى

فِيها مِنَ التُّفَّاحِ كُلُّ تَحِيَّةٍ تُذْكِى بِرَيَّاهَا صَبًا وَشَمَالَا

تُهْدِى لنا نَهْدَ الحَبِيبِ وَخَدَّهُ وَتُرِى مِنَ الوَرْدِ الجَنِيِّ مِثَالَا

وَبِها مِنَ الأُتْرُجِّ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ مِنْ كُلِّ شَطْرٍ لِلعُيُونِ هِلَالَا

وَبِحُقِّهَا وَرَقٌ يَرُوقُ كَأَنَّهُ وَرَقُ النُّضَارِ وَقَدْ أَجَادَ نِبَالَا[2]

(١) فى ط : «تهدى موالى للبنين» .

(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ولم يظهر لنا معنى لهذه الكلمة .

لَوْنُ المَشِيئَةِ ذُهِّبَتْ صَفَحَاتُهَا رَقَّتْ وَرَاقَتْ بَهْجَةً وَجَمَالَا
وبها مِنَ النُّقَلِ الشَّهِيِّ مُذَكِّرٌ عَهْداً تَوَلَّى لَيْتَهُ يَتَوَالَى
للهِ مِنْهَا خُضْرَةٌ مِنْ حَضْرَةٍ تُغْنِي العُفَاةَ وَتُحْسِبُ الآمَالَا
أَذْكَرْتَنِي العَهْدَ القَدِيمَ وَمَعْهَداً كانَتْ شُمُوسُ الرَّاحِ فِيهِ تَلَالَا
فَأَرَدْتُ تَجْدِيدَ العُهُودِ وَإِنَّمَا كَتَبَ المَشِيبُ عَلَى عِذَارِيَ لَا لَا
فَأَدَرْتُ مِنْ ذِكْرَاكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ وشَرِبْتُ مِنْ حُبِّي لها جِرْيَالَا
فَبَقِيتَ شَمْساً فى سَمَاءِ خِلَافَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ لها الزَّمَانُ زَوَالَا

ولهُ فى يوم عاشوراء

ثم قال: ومنها يوم عاشوراء:

يا أَيُّهَا المَوْلَى الذى بَرَكَاتُهُ رَفَعَتْ لِوَاءً لِلنَّدَى مَنْشُورَا
لَكَ رَاحَةٌ تُزْجِي الغَمَامَ بِأَنْمُلٍ فَجَّرْتَ مِنْهَا بِالنَّوَالِ بُحُورَا
وَاليَوْمَ مَوْسِمُ قُرْبَةٍ وَعِبَادَةٍ[1] وَغَدًا ظَفِرْتَ بِأَجْرِهِ عاشُورَا
رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةً نَبَوِيَّةً يَرْوِى الثِّقَاتُ حَدِيثَهَا المَشْهُورَا
لَا زِلْتَ عَامَكَ كُلَّهُ فى غِبْطَةٍ لُقِّيتَ منها نَضْرَةً وَسُرُورَا [٣١٦]

ومن بعض قطعه

ومنها فى بعض قطعه:

وَالَيْتَ ما أَوْلَيْتَ يا بَحْرَ النَّدَى ووحَقِّ وَجْهِكَ[2] ما رَأَيْتُ كَهٰذِهِ
فإذَا يَهُزُّ لها اللِّسَانُ حُسَامَهُ فَصَفَاتُ فَخْرِكَ قد قَضَتْ بِنَفَاذِهِ
عَلَّمْتَ فُرْسَانَ الكَلَامِ نِظَامَهَا كَتَعَلُّمِ التِّلْمِيذِ مِنْ أُسْتَاذِهِ
وَالبَحْرُ تَمْتَارُ السَّحَائِبُ مَاءَهُ فَتَجُودُهُ مِنْ غَيْثِهَا بِرَذَاذِهِ

(١) فى م: «شهادة» وما أثبتناه عن ط ونفح الطيب.
(٢) فى نفح الطيب: «جودك».

في باكور أهداه إليه

ومنها وقد أهداه باكورا :

يا وارث الأنصار وهى مزيّةٌ ... بفخارها أثنى الكتاب المنزلُ
أهديتنى الباكور وهى بشارةٌ ... ببواكر الفتح الذى تستقبل
وبولادة هلال تمّ[1] طالعٍ ... وجهُ الزمان بوجهه يتهلّل
هو أوّل الأنوار فى أفق الهدى ... وترى الأهلّة بعده تسترسل
مولاى صدق الفأل قد جرّبته ... من لفظ عبدك والعواقب أجمل

في جفنة ثريد

ثم قال : ومنها فى جفنة ثريد :

طعامك من دار النعيم بعثته ... فبشّر فتنى من حيث أدرى ولا أدرى
بهضبة نعمى قد سمونا لأوجها ... فصدنا بأعلاها الشهىّ من الطير
وقوراء قد درنا بهالة بدرها ... كما دارت الزهر النجوم على البدر
وقد حملت فوق الرءوس لأنها ... هديّة مولى حلّ فى مفرق الفخر
فما شئت من طعم زكىّ مهنّأ ... وما شئت من عرف ذكىّ ومن نشر
فلو أنها قد قدّمت لخليفة ... لأعظمها قدرا وبالغ فى الشكر
وكم لك من نعمى علىّ عميمة ... يقلّ لأدناها الجميل من الذكر
فلا زلت يا مولى الملوك مبلّغا ... أمانىّ ترجوها إلى سالف الدهر

في الشكر عن كتاب

ومنها شكرا عن كتاب :

مولاى يوم الجمعة ... سعوده مجتمعه
فانعم صباحا واغتنم ... أوقاته المجتمعه
وابشر بصنع عاجل ... أعلامه مرتفعه

(1) فى م ونفح الطيب : « سر » .



وانتظِرِ الفتحَ الّذى يأتيكَ بالنّصرِ معَهْ [٣١٧]
وبيضُهُ وسُمرُهُ إلى العُداةِ مُشرَعَه
واللُّطفُ مرجُوٌّ فردٌ بفضلِ ربِّى مَشرَعَه
فامتحنى شرَّفتنى برُقعةٍ مُرقَّعَه
بلْ روضةٍ ممطورةٍ أزهارُها منوَّعَه
حديقةٍ قدْ جُدْتَها بصَوبِ جودٍ مُترَعَه
ورايةٍ منشورةٍ وآيةٍ مُستبدَعَه
كمْ حكمةٍ لطيفةٍ فى طيِّها مُستودَعَه
عقيلةٍ صوَّرتَها منَ الجمالِ مُبدَعَه
سقيْتَنى بفضلِها من فضلِ كأسٍ مُترَعَه
فدُمْ وأملاكُ الورى على عُلاكَ مُجمِعَه

فى الشكر على خلعة

ومنها شكرا على خلعة :

يا بدرَ تِمٍّ فى سَماءِ خلافةٍ حفَّتْ نجومُ السَّعدِ هالةَ قصرِهِ
ألبسْتَ عبدَكَ مِنْ ثيابِكَ مَلبَسًا قدْ قصَّرتْ عنهُ مدارِكُ شُكرِهِ
ورضاكَ عنهُ خيرُ ما ألبسْتَهُ فلقدْ أشادَ بجاهِهِ وبِبرِّهِ
ألبستَنى، أرْ كبتَنى، شرَّفتنى أهدَيتَنى ما لا أقومُ بحصرِهِ
نظرى لوجهِكَ وهوَ أجملُ نيِّرٍ يُزرى على شمسِ الزَّمانِ وبدرِهِ
أعلى وأعظَمُ منَّةً لا سيَّما وأنا المنعَّمُ فى الحضورِ بِشرِهِ
لا زلتَ مولًى للملوكِ مؤمَّلًا وعلاكَ(١) الإسلامِ مفخرَ دهرِهِ

---

(١) فى م ونفح الطيب : « وحلاك » .

ثم قال : ومنها وقد خلع — رضوان الله عليه — على رسول من أرساله :

أَبْحُرٌ سَمَاحٍ مَدَّ عَشْرَةَ أَبْحُرٍ ... تُفِيضُ غَمَامَ الجُودِ وَهِيَ الأَنَامِلُ

بِكَفِّكَ غَيْثٌ لِلْبِـلَادِ وَأَهْلِهَا ... يُرَوِّضُ مَحْلَ الأَرْضِ وَالعَامُ مَاحِلُ

لَكَ الخَيْرُ إِنْ أَصْبَحْتَ بَحْرَ سَمَاحَةٍ ... يَعُمُّ نَدَاهُ فَالمَوَاهِبُ سَـاحِلُ

خَلَعْتَ عَلَى هٰذَا الرَّسُولِ مَلَابِسًا ... بِهَا تَتَسَنَّى فِى إِعْلَاكَ[1] الْآمِلُ

وَبَلَّغْتَهُ آمَالَهُ كَيْفَ شَـــاءَهَا ... فَبُلِّغْتَ يَا مَوْلَاىَ مَا أَنْتَ آمِلُ

ثم قال بعد إيراد عدة مقطوعات وقصائد من نمط ما سبق :

وله فى السؤال عن حاله وقد مرض بعض أبنائه

[٣١٨] وأنشده وقد مرض بعض أبنائه — رحمة الله عليه وعليهم — سائلا عن حاله :

أُسَائِلُ بَدْرَ التَّمِّ كَيْفَ هِلَالُهُ ... وَأَدْعُو لَهُ الرَّحْمٰنَ جَلَّ جَلَالُهُ

وَأَسْأَلُهُ تَعْجِيـلَ رَاحَتِـهِ الَّتِى ... وَسِيلَتُنَا فِيهَا النَّبِىُّ وَآلُه

سَتَبْلُغُ فِيهِ مَا تُؤَمِّلُ مِنْ مُنًى ... وَيُرْضِيكَ يَا بَدْرَ الكَمَالِ كَمَالُه

فى مثل ذلك

وفى مثله يقول رحمه الله :

أَقُولُ لِبَدْرِ التَّمِّ كَيْفَ هِلَالُكَا ... نَعِمْتَ صَبَاحًا بِالسُّرُورِ[2] وَآلُكَا

وَبُلِّغْتَ فِى النَّجْلِ السَّعِيدِ[3] سَعَادَةً ... تَقَرُّ بِهَـا عَيْنًا وَيَنْعَمُ بَالُكَا

وَخُصِّصْتَ بِالبُشْرَى مِنَ اللهِ رَبِّنَا ... كَمَا عَمَّ أَقْطَارَ الْجِهَاتِ نَوَالُكَا

---

(١) فى م ونفح الطيب : « فى عداك » .

(٢) فى نفح الطيب : « بالسعود » .

(٣) فى م ونفح الطيب : « الكريم » .

فى التورية باسم قائد

وفى التورية باسم قائد ولأه مولانا — رضى الله عنه — على جماعة من الجند .

يأيُّها المَوْلَى(١) الذى أَيّامُهُ تَهْمِى بِسُحْبِ الجُودِ مِنْ آلائِهِ
أَبْشِرْ لجَيْشِكَ بالسَّعادَةِ كُلَّمَا يَغْزُو فنصرُ اللهِ تحتَ لوائِهِ

فى ملبس اتخذه

وأنشده — رضى الله عنه — فى ملبس اتخذه :

أمَوْلَاىَ يا بْنَ السَّابِقِينَ إلى العُلَا وَمَنْ نَصرُوا الدِّينَ الحَنِيفَ أَوّلَا
غَنِيتَ بنُورِ اللهِ عَنْ كلِّ زِينَةٍ وَأَلْبِسْتَ مِنْ رِضْوَانِهِ أَشْرَفَ الحِلَى
وَقارَكَ زادَ المُلْكَ عِزًّا وَهَيْبَةً وَسَوَّغَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ مَنْهَلَا
وَيا شَمْسَ هَدْىٍ فى سَماءِ خِلَافَةٍ وَأَبْنَاؤُهُ الزُّهْرُ المُنِيرَةُ تُجْتَلَى
تَبارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فى كُلِّ مَظْهَرٍ جَمِيلًا جَلِيلًا مُسْتَعَاذًا(٢) مُؤَمَّلا
فَيَخْجَلُ مِنْكَ الشَّمْسُ شَمْسُ هِدَايَةٍ وَيَحْسُدُ مِنْكَ البَدْرُ بَدْرًا مُكَمَّلَا
إذا أَنْتَ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مَلَابِسَ عِزٍّ لَيْسَ يُدْرِكُها البِلَى
وَطَوَّقْتَ أَجْيَادَ المُلوكِ أَيادِيًا وَتَوَّجْتَهُمْ بالفَخْرِ تَاجًا مُكَلَّلَا
فَاشْئْتَ فَالْبَسْ فالشَّاهِدُ قائِلٌ : تَبارَكَ ما أَسْنَى وَأَبْهَى وَأَجْمَلَا !
أَلا كُلُّ مَنْ صَلَّى وَضَحَّى وَمَنْ دَعا وَمَدَّ يَدَيْهِ ضارِعًا وَتَوَسَّلَا
وُجُودُكَ شَرْطٌ فى حُصولِ قَبُولِهِ وَجُودُكَ أَثْرَى كَفَّهُ مُتَنَفِّلَا(٣)

---

(١) فى م « الملك » .
(٢) فى م : « مستفادا » .
(٣) كذا فى م وط . وفى نفح الطيب : « فتنفلا » .

فيما يرسم على ثوب مهدى للسلطان أبى العباس

[٣١٩] وقال برسم مايُرْقَمُ على ثوب فى بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان أبى العبّاس:

أُهْـدِى أَبَا الْعَبَّاسِ مَلِكَ النَّدَى وَالْبَاسِ
نَوْبَ السَّـمَاءِ لِأَنَّهُ بَدْرٌ بَدَا لِلنَّـاسِ
فَلَقُ الصَّبَاحِ بِوَجْهِهِ عَوَّذْتُهُ بِالنَّــاسِ
يَكْسُو إِمَامًا لَمْ يَزَلْ بِحُلَى الْمَحَامِدِ كَاسِ
فَيَالَهُ مِـنْ مُرْتَدٍ ثَوْبَ التُّقَى لَبَّاسِ[١]
أَذْيَالُهُ مِنْ حمده[٢] مِسْـكِيَّةُ الْأَنْفَاسِ
وَبِطَرْزِهِ مَدْحٌ زَرَى بِالْمَدْحِ فِى الْقِرْطَاسِ
إِنْ كُنْتُ فِى لَوْنِ السَّمَا ءِ بِنِسْـبَةٍ وَقِيَاسِ
فَلِأَنْتَ يَا بَدْرَ الْعُلَا شَرَّفْتَنِى بِلِبَاسِ
أَنَا مُنْشِدٌ «مَا فِى وُقُو فِكَ سَاعَةً مِّنْ بَاسِ»
لِتَرَى رِيَاضًا أَطْلَعَتْ زَهْرًا عَلَى أَجْنَاسِ
أَوْرَاقُهَا نَوْرِيقُهَـا بِقَضِيبِهَـا الْمَيَّاسِ
وَمِنَ الْمَدِيحِ مَدَامَتِى وَمِنَ الْمَحَابِرِ كَاسِى
فَاللهُ يُمْتِـعُ لَابِسِى بِالْبِشْرِ وَالْإِينَاسِ

فى مثل ماتقدم

وفى مثل ذلك قوله رحمه الله:

إِنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا أَهْدَى الْخَلِيفَةَ أَحْمَدَا

(١) كذا فى نفح الطيب. وفى الأصلين: «والباس».
(٢) فى ط: «مزجه». وما أثبتناه عن نفح الطيب.

[لِلبَاسِـهِ ثَوبًا وقَدْ لَبِس المَحامِدَ وارْتَدَى][(١)]
وَعِمامَةَ التقوى[(٢)] التى مِنْ فَوْقِهَا شَمْسُ الهُدَى
يَاحُسنَهَا إذْ أرْسلت مِن كَفِّهِ غَيْثَ النَّدَى
وكَأَنَّ وَشْيَ رُقُومِهَا بِالبَرْقِ طُرِّزَ عَسْجِدا
وَبِطَرْزِهِ لَوْنُ السَّمَا ءِ وَوَجْهُهُ[(٣)] قَمَرٌ بَدَا
لِلّهِ مِنْـهُ نَـيِّرٌ حَـلَّ المَنَازِلَ أَسْعُدَا
مُسْتَنْصِرٌ أَعْـلَى لَهُ فَوْقَ الكَوَاكِبِ مَصْعَدَا

ولهُ فى الغنى بالله وهو على جواد أدهم

ثم قال بعد ذكر قصيدة فى المدح :
وأنشده وهو على جواد أدهم :

تَجَـلى لنَا المَوْلَى الإمَامُ مُحَمَّدٌ عَلَى أدْهَمٍ قَدْ رَاقَ حُسْنُ أديمِهِ
فَأَبصَرتُ صُبْحًافوقَ ليلٍ وَقدْ حَكَى[(٤)] مُقَلَّدُ ذَاكَ الطِّرْفِ بَعْضَ نُجومه

[٣٢٠]

وله مع هدية زهرية

وكتب له مع هدية زهرية :

أَمَوْلَايَ تَقبِيلِي لِيُمْنَاكَ شَاقَنِى وَلَا يُنْـكِرُ الظَّمآنُ شَوْقًا إلَى البَحْرِ
وَلَمَّا رَأيْتُ الدَّهْرَ مَاطَلَنِى بِهَا وَشَوْقِى مِنْ حَيْثُ أَدْرِى وَلَا أَدْرِى
بَعَثْتُ لَكَ الزَّهْرَ الجَنِيَّ لَعَلَّهَا يُقَبِّلُهَا عَنِّى ثُغُورٌ مِنَ الزَّهْرِ

وله متشوقا إلى الغنى بالله

وكتب إليه أيضًا متشوقًا :

كَتَبْتُ وَدَمْعِى بَلَّلَ الرَّكْبَ قَطْرُهُ وَأَجْرَى بِهِ بَيْنَ الخِيَامِ السَّوَاقِيَا

(١) البيت عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « الشفق » .
(٣) فى ط : السما . . . . وبوجهه . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « تحت ليل » ولا يستقيم به المعنى .

حَنِيناً لمولًى أتلفَ المالَ جُودُهُ ... ولكنَّهُ قدْ خلَّدَ الفخرَ باقِيا
وَمَا عِشْتُ بَعْدَ البَيْنِ إلا لأنَّنى ... أُرَجِّى بفضْلِ اللهِ مِنْهُ التَّلاقِيا

وما كتبه إليه وهو فى حال تألم

وأنشده أيضاً وهو بحال تألم :

كأنِّى بلُطفِ اللهِ قدْ عمَّ خَلْقَهُ ... وعافَى إمامَ المُسْلِمِينَ وَقَدْ شَفَى
وَقاضِى القضاءِ الحَتْمِ سَجَّلَ حكمَهُ[1] ... وخطَّ على رسْمِ الشِّفاءِ لهُ : اكْتَفَى

فى مثل ذلك أيضا

وفى مثل ذلك :

لكَ الخيرُ يا مولاىَ أبشِرْ بعِصْمَةٍ ... عقَدْتَ مَعَ الأيَّامِ فى حِفْظِها صُلْحَا
وَعافِيَةٍ فى صِحَّةٍ مُسْتَجَدَّةٍ ... تُجَدِّدُ للدِّينِ السَّعادَةَ والنُّجْحَا
فوَجْهُ التَّهانِى مُشْرِقٌ مُتَهَلِّلٌ ... وَجَوُّ الأمانِى بعدَ ما غامَ قدْ أصْحَى
وَقَدْ ظَهَرَتْ للبُرْءِ منكَ علامةٌ ... علامتُكَ العُظمَى تقولُ لنا : صَحَّا

فى ذلك أيضا

وفى مثل ذلك :

يا إماماً قدْ تخذْنا ... هُ منَ الدَّهرِ مَلاذَا
خطُّ يُمْناكَ يُنادِى ... صَحَّ هَذَا ، صَحَّ هَذَا

وله فى التهنئة بالشفاء

وقال مهنئاً بالشفاء :

الحمْدُ للهِ بلَغْنا المُنَى ... لمَّا رأيناكَ وَزالَ العَنَا
وَفُزْتَ بالأجْرِ وكَبْتِ العِدَا ... وَفُزْتَ بالعِزِّ وطِيبِ الثنا
فالحمْدُ للهِ عَلَى ما بِهِ ... مَنْ عَلَيْنا من ظُهُورِ السَّنَى

(١) فى نفح الطيب : « ختمه » .

في هذا أيضا — وقال أيضا في نحو منه :

نَعَمْ قَرَّتِ العَيْنَانِ وَانشرَحَ الصَّدْرُ … وَقَدْ لَاحَ مِنْ وَجْهِ الإمامِ لنا البَدْرُ

سَرَيْنَا بليْلِ التِّيهِ يَكْذِبُ فَجْرُهُ … فَلَمَّا تَجَلَّى بِشْرُهُ صَدَقَ الفَجْرُ [٣٢١]

أَغَرُّ المُحَيَّا بالحَيَاءِ مُقَنَّعٌ … زَهَاهُ الكَلامُ الحُرُّ وَالنَّسَبُ الحُرُّ

إمامُ الهُدَى قَدْ خَصَّهُ بخِلافَةٍ … إلَهٌ لَهُ فِي خَلْقِهِ النَّهْيُ وَالأمر

في مثل ما سبق — وقال في مثله وقد ركب رحمة الله عليه لمعاهد حضرته :

هَنِيئًا هَنِيئًا لَا نَفَادَ لِعَدِّهِ … وَبُشْرَى لِدِينِ اللهِ إنجازُ وَعْدِهِ

فَقَدْ لَاحَ بَدْرُ التِّمِّ فِي أُفُقِ العُلا … وَحَلَّ كَمَا يَرْضَى مَنَازِلَ سَعْدِهِ

وَطَافَ إمامُ[1] المُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ … بِحَضْرَتِهِ العُلْيا مُبَلَّغَ قَصْدِهِ

ولاحت بها الأنوارُ من بِشْرِ وجهه … وفاح بها النوارُ من نَشْرِ حمده

[وأبصرت الأبصارُ شمسَ هداية … وأشرقت الأرجاء من زُهْرِ وفده][2]

وَلَوَّحَتِ الأَعْلامُ فِيهَا بِنصرِه … كما لَوَّحَ الصبحُ المنيرُ[3] بِبَنْدِهِ

سَتَهْدِي لَهُ الأيَّامُ كُلَّ مَسَرَّةٍ … وَيُحْيِي بِهِ الرَّحْمَنُ آثارَ جَدِّهِ

فَسُلَّ حُسَامَ السَّعْدِ واضرِبْ بِحَدِّهِ[4] … وَخَلِّ حُسَامَ الهِنْدِ فِي كِنٍّ[5] غِمْدِهِ

فَسَيْفُكَ سَيْفُ اللهِ مَهْمَا سَلَلْتَهُ … يُقِيمُ حُدُودَ اللهِ قَائِمُ حَدِّهِ

---

(١) فى م ونفح الطيب : « أمير » .

(٢) هذا البيت عن نفح الطيب .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « النصر المبين » .

(٤) فى نفح الطيب : « به العدا » مكان قوله : « بحده » .

(٥) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « كنز » .

وله يصف البازى ويشكر ما أهدى إليه من صيده

وأنشده رضى الله عنه فى طَرد مولانا الوالد، رحمة الله تعالى عليه، و يصف البازى، ويشكر ما أهداه من صيده :

يا مَنْ تَمُدُّ لهُ المُلوكُ أكُفَّها ... تَدْعُو الإلهَ لهُ بطُولِ بَقَاءِ
أضْحَى وليُّ العَهْدِ نجْلُكَ صَائِداً ... شأنَ المُلوكِ العِلْيَةِ العُظَماءِ
ورَمَى البُزاةَ عَلَى القَناةِ[1] يَصِيدُهُ ... صَيْدَ الحَلِيفَةِ شَارِدَ الأعْدَاءِ
منْ كلِّ خَافِقَةِ الجَنَاحِ إذا مَشَتْ ... تُبْدِى اخْتِيالَ الغَادَةِ العَذْراءِ
أهْدتْ لنا سَبَجَ[2] العُيُونِ وطَوَّقَتْ ... أرْجَاءها بعَقِيقَةٍ حَمْرَاءِ
وَاسْتاقَتِ اليَاقُوتَ فى مِنْقارِها ... وَمَشَتْ عَلَى المَرْجَانِ فى اسْتِحْيَاءِ
وَوَشَتْ يَدُ الأقدارِ فى أعْطافِها ... وَشْياً زَرَى بالحُلَّةِ السِّيَرَاءِ
ملِكُ الطُّيُورِ أتَى إلى ملِكِ الوَرَى ... فاسْتاقَها لِمُؤمّلِ الخُلَفاءِ
وقضَى سَمَاحُكَ أنْ تَجُودَ ببَعْضِها ... لِلْعَبْدِ تُعْلِيهِ عَلَى الجَوْزَاءِ
لله هَلْ شرَفٌ يُضاهِى ذَا الذى ... أوْليتَه مِنْ مِنَّةٍ غَرَّاءِ
هَيْهاتَ أيْنَ جَزاؤُها منْ شُكْرِهِ ... يَجْزِيكَ عَنَّا اللهُ خَيْرَ جَزَاءِ
أوَلَسْتَ قدْ أوْلَيْتَ كلَّ خَلِيقَةٍ ... شرقاً وغرْباً أصْوَبَ الآرَاءِ
فلِصَاحِبِ الصَّفْراءِ[3] فَخْرٌ خالِدٌ ... يَحْظَى بهِ منْ صَاحِبِ الحَمْرَاءِ
بيضاً وسُمْراً قدْ شرَعْتَ لنصرِه ... وأعَنْتَ بالبَيْضاءِ والصَّفْرَاءِ[4]

[٣٢٢]

لَا زِلْتَ شَمْسَ خِلَافةٍ أبْناؤُهُ ... مِثْلُ البُدُورِ بمَرْقَبِ العَلْيَاءِ

(١) كذا فى م وط، والكلمة كما يظهر محرفة عن اسم طير أو نحو ذلك.
(٢) السبج : خرز أسود، شبه عيون الطير به.
(٣) الصفراء : موضع قرب المدينة. ولعله يريد بصاحب الصفراء سعد بن عبادة جد الممدوح إذ كان موطنه المدينة وما جاورها.
(٤) البيضاء والصفراء هنا : كنايتان عن الفضة والذهب.

وأجاب عن أبيات خمس، كتب — رضى الله عنه — بها إليه :

لكَ فى الخلافةِ مَظهرٌ لا يُفْرَعُ ... مِنْ دونِ مَرْقَبِهِ النُّجومُ الطُّلَّعُ
يا أيها الملكُ الذى أيامُهُ ... غُرَرٌ بوجهِ الدهرِ لا تتقنَّعُ
سُبحانَ مَنْ حلَّاكَ بالخُلُقِ الرِّضا ... وكَسَاكَ منهُ حُلَّةً لا تُخلَعُ
أمَّا المدامُ فمذْ تُطلِعُ شمْسَها ... بَيْنَ البُدورِ وشمسُ وجهِكَ تَسْطعُ
أغْنَيْتَنى عنها بخمرِ بلاغةٍ ... فالطِّيبُ مِنْ نفحاتِها يتضوَّعُ
بوَّأتَنى مِن عزِّ نظمِكَ روضةً ... طابَ الجنَى منها ولَذَّ المشرعُ
وأريتنى جُنْحَ الدُّجُنَّةِ غُرَّةً ... فالنورُ مِنْ قَسَماتِها يتطلَّعُ
يعنو لها البدرُ المنيرُ وقد علا ... والبدرُ تاجٌ بالنجومِ مُرصَّعُ
فاتحفتنى منها بخمسٍ وَلائِدٍ ... لِتُعيذَها مِن كلِّ عينٍ تَلْقَعُ (1)
قبَّلتُها ألفًا وبتُّ لربِّها ... أدْعُو لهُ حتَّى الصَّباحِ وأضرعُ

وله يصف غربانا ويتفاءل

وقال يصف غربانًا أجراها — رحمة الله عليه — ويتفاءل له بالراحة من شكاية ثلاثة.

أعلامُكَ الحمْرُ فوقَ السُّفنِ خافقةٌ ... وريحُ سعدِكَ تُجريها على قَدَرِ
ما إنْ رَفعتَ قِسيَّ السُّفنِ فى وطنٍ ... إلَّا ونلتَ قَصيَّ السُّؤلِ والوَطَرِ
قالوا السَّفائنُ فوقَ البحرِ ذا عجبٌ ... منْ غيرِ بحرٍ ولا موجٍ ولا غَرَرِ
فقلتُ آثارُ مولانا التى سفرتْ ... لنا العنايةُ عنْ آياتِها الكُبَرِ
تجرى بريحِ سعودٍ فى بحارِ ندًى ... تُغنى بنانُكَ عن بحرٍ وعن مطرِ
للهِ يومٌ عجيبُ الصُّنعِ ذو أثرٍ ... مُحجَّلٌ رائقُ الأوضاحِ والغُرَرِ
استبشرَ الناسُ فيه بالصَّنيعِ وقدْ ... تضمَّنَ البِشرَ فى وِرْدٍ وفى صَدَرِ

(1) يقال : لقع فلان فلانا بعينه : أصابه بها.

زَجَرْتُهُ بِشِــفاء قَدْ أَتاكَ كَمَا يُرْضِى عُلاكَ جَمِيل الخُبْرِ وَالْخَبَرِ
إذا شَكَوْتَ فكُلُّ الكَوْنِ ذُو وَصَبٍ فَأَنْتَ مِنْهُ مَكانَ السَّمْعِ والبصر
[٣٢٣] وَمَنْ شَكَا بِأَلِيمِ الوَجْدِ فى بصرٍ فقَدْ تَعَوَّدَ غيرَ السهدِ والسّــفَرِ [1]
فأَسْأَلُ اللهَ رَبَّ العَرْشِ فى لُطْفٍ يَسرِى إِلَيْكَ بِها إِنْعامُ مُقْتَدِرِ
وأَنْ يُدافِعَ عَنْ ذاتٍ بِحُرْمَتِها تَعَوَّدَ الخَلْقُ لُطْفَ اللهِ فى القَدَرِ

ثم قال بعد إيراد جملة من نظمه :

فى التهنئة بعودة الأميرين من جبل الشوار

وأنشده وقد عاد — رحمة الله عليه — من بعض متوجهاته الجهادية لجبل الشّوار .

عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ والطَّالِعِ السَّعْدِ قَدِمْتَ معَ الصُّنْعِ الجميلِ عَلَى وَعْدِ
وَقَدْ عُدْتَ مِنْ جَبَلِ الشَّوَارِ لِتَجْتَلِى عَقَائِلَ لِلْفَتْحِ المُبِينِ بِلا [2] عَدِّ

ثم قال بعد ذكر جملة :

فيما يرسم بطيقان الأبواب

وقال مما رسم فى طيقان الأبواب بالمبانى الســعيدة التى ابتناها مولانا رضى الله عنه .

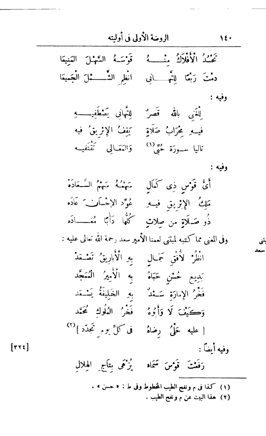
أَنَا تَاجٌ كهِلالٍ أَنَا كُرْسِىُّ جَمالِ
يَنْجَلِى الإِبْرِيقُ فيهِ كعروسٍ ذى اخْتِيالِ
جُودُ مَوْلانَا ابْنِ نصرٍ قَدْ حَبَانِى بالكَمالِ

فى مثل هذا

وفى المعنى :

مَنْ رَأَى التَّاجَ الرَّفِيعَا قَدْ حَوَى الشَّكْلَ البَدِيعَا

(١) كذا ورد البيت فى الأصلين ، وفيه غموض .
(٢) فى م ونفح الطيب : « على عد » .



تَحْسُدُ الْأَفْلَاكُ مِنْــهُ قَوْسَهُ السَّهْلَ الْمَنِيعَا
دمْتَ رَبْعًا لِلتَّهَــانِى انظِمِ الشَّــمْلَ الْجَمِيعَا

وفيه :

لِلْغَنِى بِاللهِ قَصرٌ لِلتَّهانِى يَصْطَفِيـــهِ
فيـهِ مِحْرَابُ صَلَاةٍ يَقِفُ الإِبْرِيقُ فيه
تاليا سـورَةَ حُبٍّ[1] وَالْمَعَالِى تَقْتَفِيـه

وفيه :

أَىُّ قَوْسٍ ذِى كَمَالٍ سَهْمُهُ سَهْمُ السَّعَادَهْ
مَلِكُ الإِبْرِيقِ فيـهِ عُوِّدَ الإِحْسَانَ عَادَه
ذُو صَلَاةٍ من صِلاتٍ كُلُّها دَأْبًا مُعَـــادَه

[٣٢٤]

فى مبتى للأمير سعد

وفى المعنى مما كتبه لمبتى لعمنا الأمير سعد رحمة الله تعالى عليه :

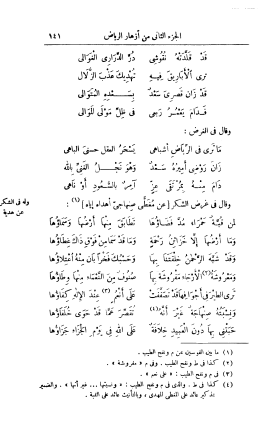
انْظُرْ لأُفْقِ جَمَالٍ بِهِ الْأَبَارِيقُ تَصْعَدْ
بَدِيع حُسْنٍ حَبَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ الْمُمَجَّد
فَخْرُ الإِمارَةِ سَعْدٌ بِهِ الخَلِيفَةُ يَسْعَد
وَكَيْفَ لَا وَأَبُوهُ فَخْرُ الْمُلُوكِ مُحَمَّد
[عليه حَلْىُ رِضاهُ فى كلِّ يومٍ تَجدَّد][2]

وفيه أيضاً :

رَفَعْتَ قَوْسَ سَمَاهُ يُزْهَى بِتَاجِ الهِلالِ

---

(١) كذا فى م ونفح الطيب المخطوط وفى ط : « حسن » .
(٢) هذا البيت عن م ونفح الطيب .



قَدْ قَلَّدَتْهُ نُقُوشِى دُرَّ الدَّرَارِى الغَوَالى

ترى الأَبَارِيقَ فِيهِ تُهْدِيكَ عَذْبَ الزُّلَالِ

قَدْ زَانَ قَصرِىَ سَعْدٌ بِسَعْدِهِ المُتَوالى

فَدَامَ يَعْمُرُ رَبعى فى ظِلِّ مَوْلَى المَوَالى

وقال فى الغرض :

مَا تَرى فى الرِّيَاضِ أشباهى يَسْحَرُ العقل حسنىَ الباهى

زَانَ رَوْضِى أميرُهُ سَعْدٌ وَهْوَ نَجْلُ الغَنِىِّ بِاللهِ

دَامَ مِنْهُ بِمُرْتَقَى عِزٍّ آمِرٌ بالسُّعُودِ أَوْ نَاهى

وقال فى غرض الشكر [عن مُغَطًّى صِنهاجىّ أهداه إياه] (١) :

ولهُ فى الشكر عن هدية

لمن قُبَّةٌ حَمْرَاء مُدَّ فَضَاؤُهَا تَطَابَقَ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا

وَمَا أَرْضُهَا إِلَّا خَزَائِنُ رَحْمَةٍ وَمَا قَدْ سَمَا مِنْ فَوْقِ ذَاكَ غِطَاؤُهَا

وَقَدْ شَبَّهَ الرَّحْمٰنُ خِلْقَتَنَا بِهَا وَحَسْبُكَ فَخْراً بَانَ مِنْهُ اعْتِلاؤُهَا

وَمَعْرُوشَةُ(٢) الأَرْجَاءِ مَفْرُوشَةٌ بِهَا صُنُوفٌ مِنَ النَّعْمَاءِ مِنْهَا وِطَاؤُهَا

تَرى الطيْرَ فِى أَجْوَافِهَا قَدْ تَصَفَّفَتْ عَلَى أَنْعُمٍ (٣) عِنْدَ الإِلٰهِ كِفَاؤُهَا

وَنِسْبَتُهُ صِنْهَاجَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ(٤) تُقَصِّرُ عَمَّا قَدْ حَوَى خُلَفَاؤُهَا

حَبَتْنِى بِهَا دُونَ الْعَبِيدِ خِلَافَةٌ عَلَى اللهِ فِى يَوْمِ الْجَزَاءِ جَزَاؤُهَا

---

(١) ما بين القوسين عن م ونفح الطيب .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م « مفروشة » .

(٣) فى م ونفح الطيب : « على نعم » .

(٤) كذا فى ط . والذى فى م ونفح الطيب : « ونسبتها ... غير أنها » . والضمير تذكير عائد على المغطى المهدى ، وبالتأنيث عائد على القبة .

وفى مثله :

مَا لِلْعَوَالِمِ جُمِّعَتْ فِي قُبَّةٍ قَدْ شَادَهَا كَرَمُ الإِمَامِ مُحَمَّدِ
فِي صَفْحِ صَرْحٍ بِالزُّجَاجِ مُمَوَّهٍ وَبِجُودِ مَوْلاَىَ الإِمَامِ مُمَهَّدِ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِطَائِرٍ (١) عَنْ ثَوْبِ مُوْشِيِّ الرِّيَاشِ مُجَرَّدِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الطُّيُورُ تَغَرَّدَتْ فَلِشُكْرِ هَذَا العَبْدِ سَجْعُ مُغَرِّدِ
صُفَّتْ عَلَيْهَا لِلْفَوَاكِهِ كُلُّ مَا قَدْ عَاهَدَتْهُ بِدَوْحِهَا المُتَعَوَّدِ
لَوْ أَبْصَرَتْ صِنْهَاجَةٌ أَوْضَاعَهُ دَانَتْ لَهُ أَمْلاَكُهَا بِتَعَبُّدِ (٢)
عَوَّدْتَنِى الصُّنْعَ الجَمِيلَ تَفَضُّلاً لاَ زِلْتَ خَيْرَ مُعَوِّدٍ وَمُعَوَّدِ
وَبِسُورَةِ الأَنْعَامِ كَمْ مِنْ آيَةٍ فِيهـــا لِقارٍ بِالنَّوَالِ مُجَوِّدِ [٣٢٥]

وقال تذييلا لبيتى ابن المعتز :

له فى التذييل على بيتى ابن المعتز

« سَقَتْنِى فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةُ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ لِلشَّعْرِ وَالدُّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَخَدِّ حَبِيبِ »
إِلَى إِنْ بَدَا الصُّبْحُ المُنِيرُ كَأَنَّهُ مُحَيَّا ابْنِ نَصْرٍ لَمْ يُشَنْ بِغُرُوبِ
شَمَائِلُهُ مَهْمَا أُدِيرَتْ كُئُوسُهَا قَلاَئِدُ أَسْمَاعٍ وَأُنْسُ قُلُوبِ

وقال مُذَيِّلا على بيت ابن وَكِيع أيضاً :

له فى التذييل على بيت ابن وكيع

« هِيَ فِي أَوْجُهِ النَّدَامَى عَقِيقٌ وَهِيَ مِثْلُ النُّضَارِ فِي الأَقْدَاحِ »
كَابْنِ نَصْرٍ تَرَاهُ فِي الحَرْبِ لَيْثاً وَهُوَ بَدْرُ الهُدَى وَغَيْثُ السَّمَاحِ

(١) فى نفح الطيب : « كطائر » .
(٢) الضمير فى أوضاعه للمغطى وهو القبة الموصوفة ؛ وفى دانت له يعود على المهدى ، وهو محمد الغنى بالله .

ذِكْرُهُ قَدْ نَبَّى قُدُودَ النَّدَامَى وَأَعَادَ الْحَيَاةَ فِي الأَشْبَاحِ (١)

وممـا يرسم للغنى بالله

وقال مما يُرسَمُ للغنى بالله :

لِلْغَنِي بِاللهِ مُلْكٌ بُرْدُهُ بِالْعِزِّ مُذْهَبْ

دَامَ فِي رِفْعَــــةِ شَأْنٍ مَاجَلَا الإِصْبَاحُ غَيْهَبْ

وقال أيضاً :

يَابْنَ نَصْرٍ لَكَ مُلْكٌ لَيْسَ تَعْدُوهُ الْفُتُوحُ

دُمْتَ رُوحاً لِلْمَعَالِي مَاسَرَى فِي الْجِسْمِ رُوحُ

من مقطوعة

وقال من مقطوعة :

وَابْنُ نَصْرٍ لَهُ مُحَيًّا كَصُبْحٍ إِنْ تَجَلَّى جَلَا دُجَى (٢) كُلِّ كَرْبِ

ذُو حُسَامٍ كَأَنَّهُ لَمْعُ بَرْقٍ فِي بَنَانٍ كَأَنَّهَا غَيْثُ سُحْبِ

ومن أخرى :

وَكَأَنَّ النُّجُومَ فِي غَسَقِ اللَّيْـــلِ جُمَانٌ يَلُوحُ فِي آبَنُوسِ

وَكَأَنَّ الصَّبَاحَ فِي الأُفْقِ يُجْلَى بِحُلِيِّ النُّجُومِ مِثْلُ الْعَرُوسِ

وَكَأَنَّ الرِّيَاضَ تُهْدِى ثَنَاءً لِلْغَــنِي بِاللهِ فَوْقَ الطُّرُوسِ

في عيدية

ثم قال بعد قصائد كثيرة عيدية :

وقال من أخرى عيدية شاركتها في كثير [من أبياتها قصيدة] (٣) فتحيةٌ تقدّمت ، أولها :

---

(١) في م ونفح الطيب : « في الأرواح » .

(٢) في نفح الطيب : « لنا » مكان « دجى » .

(٣) التكملة عن م .

* هِيَ نفحةٌ هَبَّتْ مِنَ الأَنْصَارِ *

والمختص بهذه :

أَضِياءُ هُدًى أَمْ ضِياءُ نَهارٍ   وَشَذَا المَحَامِدِ أَمْ شَذَا الأَزْهارِ

ومنها بعد كثير :

[٣٢٦] قَسَمًا بِهَدْيِكَ فى الضِّيَاءِ وَإِنَّهُ   شَمْسٌ تُمِدُّ الشُّهْبَ بالأَنْوارِ

ومنها أيضاً :

كَمْ مِنْ لَطَائِفَ لِلْهُدَى أَوْضَحْتَها   خَفِيَتْ مَدَارِكُها(١) عَلَى الأَفْكارِ

كَمْ مِنْ جَرائِمَ قَدْ غَفَرْتَ عَظِيمَهَا   مُسْتَنْزِلاً مِنْ رَحْمَـــةِ الغَفَّارِ

عَلَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا   فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ فى مِضْمارِ

وصف جيش   ومنها يصف الجيش :

سَالَتْ بِهِ تَحْتَ العَجَاجِ سَفِينَةٌ   نُفِحَتْ بِرِيحِ العَزْمِ(٢) مِنْ أَنْصَارِ

أَرْسَتْ بِجُودِى الجُودِ فى يَوْمِ النَّدَى   وَجَرَتْ بِيَوْمِ الحَرْبِ فى تَيَّارِ

ومنها :

أَلْقَى بِأَيْدِى الرِّيحِ فَضْلَ عِنانِهِ   فَيَكادُ يَسْبِقُ لَمْحَةَ الأَبْصَارِ

ومنها :

فَهْىَ الغُرابُ مَتَى أُثِيرَتْ فى الوَغَى   قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ صُنْعِ لُطْفِ البَارِى(٣)

(١) فى نفح الطيب : « لطائفها » .
(٢) فى نفح الطيب : « العز » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب المخطوط . وفى م ونفح الطيب المطبوع : « ابىرت » .

ومنها :

إنْ خاضَ فى بَحْرِ العَجاجِ(١) رأيتَهُ ... يَجْلُو دُجُنَّتَهُ بوَجْـهِ نَهارِ

ومنها :

كم فيهمُ مِنْ قارِى ضَيْفٍ طارقٍ ... وَضحَتْ شَواهِدُ فَضْلِهِ لِلقارِى

ومنها :

يأيُّها المَلِكُ الَّذِى أيّامُـهُ ... غُرَرٌ تَلوحُ بأوْجُهِ الأعْصارِ

قدْ زارَكَ العِيدُ السَّعِيدُ مُبَشِّرًا ... فاسْمَحْ لأُنْفِ مِثـالِهِ بمَزارِ

لمّا أزْدهَتْهُ عَواطِفُ ألطفتها(٢) ... عَطَفَ الإِلٰهُ عليكَ عَطْفَ سِوارِ

[فأَتَى](٣) يُؤَمِّمُ مِنْكَ هَدْيًا صالحًا ... كَىْ(٤) يَسْتَمِدَّ النُّورَ بَعْدَ سِرارِ

وأَتاكَ يَسْحَبُ ذَيْلَ سُحْبٍ أغْدَقَتْ ... تَغْرِى جُفُونَ المُزْنِ باسْتِعْبارِ

جادَتْ مَجارِى الدَّمْعِ(٥) مِنْ قَطْرِ النَّدَى ... فَرَعَى الرَّبيعُ لها حُقُوقَ الجارِ

فأَعادَ وَجْهَ الأرْضِ طَلْقًا مُشْرِقًا ... مُتَضاحِكًا بمَباسِمِ النُّـوَّارِ

لمّا دَعاكَ إلى القِيامِ بسُـنَّةٍ ... حَكَمَتْ دَواعِى الجُودِ والإيثارِ

فأَفَضْتَ فِينا مِنْ نَداكَ مَواهِبًا ... حَسُنَتْ مَواقِعُها عَلَى التَّكْرارِ

فاهْنَأْ بعِيدٍ عادَ يَشْتَمِلُ الرِّضا ... جَذْلانَ يَرْفُلُ فى حُلَى اسْتِبْشارِ

---

(١) فى نفح الطيب : « فى ليل العجاج » .

(٢) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « لقيتها » .

(٣) التكملة عن نفح الطيب .

(٤) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « إذ يستمد » .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « بحار الدمع » .

ومنها :

لا عُذْرَ لى أنْ كنْتُ فِيهِ مقصِّرًا سَدَّتْ صِفَاتُكَ أوْجهُ الأعذارِ
فإذا نَظَمْتُ مِنَ المَنَاقِبِ دُرَّهَا شرَّفتَنى منْها بنَظْمِ دَرَارى
فلذاكَ أنظمُهَا قلائدَ لؤلؤٍ لألاؤهَا قد شفَّ بالأنوارِ

من قصيدة له ميمية

ثم أورد هذا المؤلف قصيدة ميمية طويلة ، أولها :

هَنَاءٌ لهُ ثغرُ الهُدَى يتَبسَّمُ وبُشرَى بهَا عَرْفُ الرِّضَا يتَنَسَّمُ
تَبَسَّمَ ثغرُ الثَّغْرِ عنْهَا بِشارَةً فأغدَى ثغورَ الزَّهْرِ منْهُ التَّبسُّمُ
ولاعجبٌ مِنْ مَبْسِمِ الزَّهْرِ فى الرُّبَا فلِلبَرْقِ مِنْ خَلْفِ السَّحائِبِ مَبْسِمُ
عنايَةُ مَنْ أعْطَى الخَلِيفَةَ رُتبَةً عَلَيهَا النُّجُومُ النيِّرَاتُ تُحوِّمُ
فَمِنهُ استَفادَ المُلْكُ كلَّ غَريبَةٍ تُخطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ وتُرْسَمُ
ومِنْهُ تَلَقَّى الهُدَى كُلُّ خَليفةٍ كأنَّهُمُ ممَّا أفادَ تَعَلَّمُوا

[٣٢٧]

ومنها بعد نيِّف على ستين بيتاً :

وكَمْ مِنْ لِواءٍ فى الفُتُوحِ نَشَرْتَهُ وَللرُّعْبِ جَيْشٌ دونَهُ يتَقدَّمُ
فَقُلْ لِلمُلوكِ الأرْضِ دونَكُمُ فَقَدْ أعلمَ مَالاً زَالَ بِالنَّصْرِ يُعلِمُ
تَسامَتْ بِهِ للنَّصْرِ أشْرَفُ ذِمَّةٍ لَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ عَهْدٌ مُكَرَّمُ
وكَمْ مِنْ جِهادٍ قَدْ أقَمْتَ فُرُوضَهُ يُزَارُ بِهِ البَيْتُ العَتِيقُ وزَمْزَمُ
وكَمْ عَزْمَةٍ جَرَّدْتَ مِنْهَا إلى العِدا حُسَاماً بِهِ دَاءُ الضَّلالَةِ يُحسَمُ
وكَمْ بَيْتِ مَالٍ فى الجِهادِ بَذَلْتَهُ وأقْرَضْتَ مِنْهُ اللهَ مَا اللهُ يَعْلَمُ
وكَمْ لَيلَةٍ قَدْ جِئْتَ فِيهَا بِلَيْلَةٍ مِنَ النَّفْعِ فِيهَا للأسِنَّةِ أنجُمُ
سَهِرْتَ بِهَا واللهُ يَكْتُبُ أجْرَهَا تُؤَمِّنُ فِيهَا الخَلْقَ والخَلْقُ نُوَّمُ

وَفَوْقَكَ[1] مِنْ سَعْدٍ لِوَاءٌ مُشَهَّرٌ ... وَدُونَكَ مِنْ عَزْمٍ حُسَامٌ مُصَمِّمُ
إِذَا أَنْتَ جَهَّزْتَ الْجِيَادَ لِغَارَةٍ ... فَإِنَّ صَبَاحَ الْحَىِّ أَغْبَرُ أَقْتَمُ
فَمِنْ أَشْهَبٍ مَهْمَا يَكُرَّ رَأَيْتَهُ ... صَبَاحاً بِلَيْلِ النَّقْعِ لَا يُتَكَتَّمُ
وَأَحْمَرَ قَدْ أَذْكَى بِهِ الْبَأْسُ جَذْوَةً ... إِذَا ابْتَلَّ عِطْفاً فِى الْوَغَى يَتَضَرَّمُ
وَأَشْقَرَ أَعْدَى الْبَرْقَ لَوْناً وَسُرْعَةً ... وَلٰكِنْ لَهُ دُونَ الْبُرُوقِ التَّقَدُّمُ
وَأَصْفَرَ فِى لَوْنِ الْعَشِىِّ وَذَيْلُهُ ... وَلَوْنُ الَّذِى بَعْدَ الْعَشِيَّةِ يُعْلَمُ
وَأَدْهَمَ مِثْلِ اللَّيْلِ وَالْبَدْرُ غُرَّةٌ ... وَبِالشُّهْبِ فِى حَلْىِ الْمُقَلَّدِ مُلْجَمُ
وَأَشْهَبَ كَالْقِرْطَاسِ قَدْ خَطَّ صَفْحَهُ ... كِتَابٌ مِنَ النَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ مُحْكَمُ
وَرُبَّ جِلَادٍ مِنْ جِدَالٍ سَطَرْتَهُ ... يَرَاعُ الْقَنَا[2] فِيهِ تَخُطُّ وَتَرْسُمُ
وَقَامَ خَطِيبُ السَّيْفِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ ... فَأَعْجَبُ مِنْهُ أَعْجَمٌ يَتَكَلَّمُ
فَكَمْ مِنْ رُءُوسٍ عَنْ جُسُومٍ أَزَالَهَا ... فَأَشْكَلَ مِنْهَا كُلُّ بَاغٍ يُجَسَّمُ
وَزُرْقِ عُيُونِ الْأَسِنَّةِ قَدْ بَكَتْ ... وَلَا دَمْعَ إِلَّا مَا أُسِيلَ بِهِ الدَّمُ
وَنَهْرِ حُسَامٍ كُلَّمَا أَغْرَقَ الْعِدَا ... تَلَقَّتْهُمُ مِنْهُ سَرِيعاً جَهَنَّمُ
فَأَصْلَيْتَ عُبَّادَ الْمَسِيحِ مِنَ الْوَغَى ... سَعِيراً بِهِ يَرْضَى الْمَسِيحُ وَمَرْيَمُ
أَبَرَّ[3] مِنَ التَّثْلِيثِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... فَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَاللَّهُ يَعْصِمُ
وَنَبَّهْ سُيُوفاً مَاضِيَاتٍ عَلَى الْعِدَا ... وَخَلِّ جُفُونَ الْمُرْهَفَاتِ تُهَوِّمُ

[٣٢٨]

وَلِلَّهِ مِنْ شَهْرِ الصِّيَامِ مُوَدَّعٌ ... عَلَى كُلِّ مَخْتُومِ السَّعَادَةِ يُكْرَمُ
تَنَزَّلَ فِيهِ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ... فَيُبْدَأُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَيُخْتَمُ

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « وسعدك » .
(٢) فى ط : « الغنى » .
(٣) كذا فى ط ، وفى م : « أبرز » وفى اللفظ تحريف .

وللهِ فيـــهِ من ليَالٍ مُنيرةٍ أضاءَ بنُورِ الوَحْىِ منْهُنَّ مُظْلِمُ
وصابَتْ سَحابُ الدَّمْعِ يُمْحَى بمائها مِنَ الصُّحْفِ أوْزارٌ تُخَطُّ ومأْثَمُ
وللهِ فيهِ ليْلةُ القَدْرِ قدْ غدتْ عَلَى ألْفِ شَهْرٍ فِى الثَّوابِ تقدَّمُ
تَبِيتُ بهَا حَتَّى الصَّباحِ بإذْنِهِ مَلائِكَةُ السَّبْعِ الطِّبَاقِ تُسَلِّمُ
وبُشْرَى بعِيدِ الفِطْرِ أيْمَنِ قَادِمٍ عَلَيْكَ بِمَجْمُوعِ البَشَائِرِ يَقْدَمُ
جَعَلْتَ قِرَاهُ سُـــنَّةً نَبَوِيَّةً لَهَا فِى شِعَارِ الدِّينِ قَدْرٌ مُعَظَّمُ
ومِنْ دَعَواتٍ لِلإِلَهِ رَفَعْتَهَا تُسَدَّدُ مِنْهَا لِلإِجَابَةِ أسْهُمُ
وفِى كلِّ عَيْنٍ مِنْ مُحَيَّاكَ قُرَّةٌ وفِى كلِّ كَفٍّ مِنْ نَوَالِكَ أنْعُمُ
إذَا أنْتَ لَمْ تَفْخَرْ بِمَا أنْتَ أهْلُهُ فَلَا أبْصَرَ المِصْبَاحَ مَنْ يَتَوَسَّمُ[1]
فَمَا مَهَّدَ الإسْلَامَ غَيْرُ خَلِيفَةٍ عَلَى عِطْفِهِ دُرُّ المَحَامِدِ يُنْظَمُ
فَكَمْ بيتِ شِعْرٍ قَدْ عَمَرْتُ بِذِكْرِهِ فَبَاتَ بِهِ حَادِى السُّرَى يَتَرَنَّمُ
ولَسْنَ بُيُوتًا بَلْ قُصُورًا مَشِيدَةً تُطِلُّ عَلَى أوْجِ العُـــلَا وَتُخَيِّمُ
ومَا ضَرَّهَا أنْ قَدْ تَأَخَّرَ عَهْدُهَا إذَا طَالَ مَبْنَاهَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
وَإذْ[2] أنْتَ مَوْلَاهَا وعَامِرُ رَبْعِهَا فَكُلُّ فَخَارٍ تَدَّعِيهِ مُسَلَّمُ
أنَا العَبْدُ قَدْ أسْكَنْتَهُ جَنَّةَ الرِّضَا فَلَا زِلْتَ فِيهَا خَالِدًا تَتَنَعَّمُ
وَلَا زِلْتُ فِى الأعْيَادِ ساجِعَ[3] رَوْضِهَا إذَا احْتَفَلَتْ أشْرَافُهَا أتَرَنَّمُ
بَقِيتَ[4] مَتَى يَبْلَ الزَّمَانُ تُجِدُّهُ وَفِى كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عِيدٌ ومَوْسِمُ

---

(١) فى ط : « من يتوهم » . وما أثبتناه عن م .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « ومذ أنت » .
(٣) فى ط : « ساكن » . وما أثبتناه عن م .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « أقت » .

ودُمْتَ لألفِ مِثْـلِهِ فى سَعَادَةٍ ... يَذِلُّ بِهَا بَاغٍ وَيَعْتَزُّ مُسْلِمُ
ولمَّا رأيتُ الفخرَ جُهْدَ مُقصِّرٍ ... وأنَّكَ أعلى مِنْ مديحى وأعظمُ
خَتَمْتُ ثَنَائِى بالدُّعاءِ وهأنا ... أُقلِّبُ فى كفِّ النَّدى وأُسلِّمُ

في رثاء النبي بالله

ثم قال : ولمّا انتقل مولانا الجد إلى رضوان الله ونعيم خُلده ، وقام مولانا [٢٢٩] الوالد وليّ عهده بالأمر من بعده ، أنشده رثاء فى السَّلَف ، وهناء فى الخَلَف ، رحمة الله تعالى عليهما :

[عَزَاءٌ فإنَّ الشَّجْوَ قَدْ كَانَ يُسْرِفُ ... وبُشْرَى بِهَا الدَّاعى عَلَى الفَوْزِ يُشْرِفُ][1]
لَئِنْ غَرَبَ البَـــدْرُ المُنيرُ مُحَمَّدٌ ... لَقَدْ طَلَعَ البَـــدْرُ المُكَمَّلُ يوسُف
وإنْ رُدَّ سيفُ المُلْكِ صَوْنًا لِغِمْدِهِ ... فَقَدْ سُلَّ مِنْ غِمْدٍ[2] الخلافةِ مُرْهَف
وَإِنْ طَوَتِ البُرْدَ اليَمانِى يَدُ البِلَى ... فَقَدْ نُشِرَ البُرْدُ الجَدِيدُ المُفَوَّف
وَإِنْ نَضَبَ الوَادِى وَجَفَّ مَعِينُهُ ... فَقَدْ فَاضَ بَحْرٌ بِالجَوَاهِرِ يَقْذِف
وإنْ صَوَّحَ الرَّوْضُ الذى يُنْبِتُ الغِنَى ... فَقَدْ أزْهَرَ الرَّوْضُ الذى هُوَ يُخْلِف
وَإِنْ أقْلَعَتْ سُحْبُ الحَيَا وَتَقَشَّعَتْ ... فَقَدْ نَشَأَتْ مِنْهَا غَمَائِمُ وُكَّف
وإنْ صَدَعَ الشَّمْلَ الجَميعَ[3] يدُ النَّوى ... بِيُوسُفَ فَخْرِ المُنْتَدَى يَتَأَلَّف
وإنْ رَاعَ قَلْبَ الدِّينِ نَعْىُ إمامِهِ ... فَقَدْ هَزَّ مِنْـهُ بِالبِشارَةِ مَعْطِف
وَقَدْ مَلَكَ الإسْــلامَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ ... مِنَ البَدْرِ أبْهَى بَلْ مِنَ الشَّمْسِ أشْرَف
يُعِيـــرُ مُحَيَّاهُ الصَّبَاحَ إذا بَدَا ... وَتُخْجِلُ يُمْنَاهُ الغَمَامَ وَتُخْلِف
فَمِنْ نُورِ مَرْآهُ الكَوَاكِبُ تَهْتَدِى ... وَمِنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ الحَيَا تَتَوَكَّف

(١) هذا البيت عن م .
(٢) فى ط : « سيف » . والتصويب عن م .
(٣) فى ط : « الجليل » والتصويب عن م .

وَلَمَّا قَضَى الْمَوْلَى الإمَامُ مُحَمَّدٌ تَحَكَّمَ فِى النَّاسِ الأَسَى وَالتَّأَسُّفُ
فَلاجَفْنَ إلَّا مُرْسِلٌ سُحْبَ دَمْعِهِ وَلَا قَلْبَ إلَّا بِالجَوَى يَتَلَهَّفُ
وَقَدْ كَادَتْ الدُّنْيَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا وَقَدْ كَادَتْ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ تَرْجُفُ
وَقَدْ كَادَتْ الأَفْلَاكُ تَرْفَضُّ حَسْرَةً وَكَادَتْ بِهَا الأَنْوَارُ تَخْفُو وتُكْسَفُ
وَلَكِنْ تَلَافَى اللهُ أَمْرَ عِبَادِهِ بِوَارِثِهِ وَاللهُ بِالنَّاسِ أَرْأَفُ
فَلِلدِّينِ وَالدُّنْيَا ابْتِهَاجٌ وَغِبْطَةٌ وَلِلثَّغْرِ ثَغْرٌ بِالْمُنَى يُتَرَشَّفُ
أَمَانٌ كَمَا تَنْدَى الشَّبِيبَةُ نَضْرَةً[1] يُمَدُّ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الأَرْضِ أَوْرَفُ
طَلَعْتَ عَلَى الإسْلَامِ فى دَوْلَةِ الرِّضَا فَأَمَّنْتَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَتَخَوَّفُ
بِوَجْهٍ يُرِينَا الْبَدْرَ عِنْدَ طُلُوعِهِ وفِى وَجْنَةِ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ التَّكَلُّفُ
وَعَزْمٍ كَمَا انْشَقَّ الصَّبَاحُ مُصَمِّمٍ وَرَأْيٍ بِهِ بِيضُ الصَّوَارِمِ تُرْهَفُ
وَحَوْلَكَ مِنْ حِفْظِ الإلَهِ كَتَائِبٌ وفَوْقَكَ مِنْ ظِلِّ السَّعَادَةِ رَفْرَفُ
فَوَاللهِ مَا نَدْرِى وَلِلْعِلْمِ عِنْدَنَا بَرَاهِينُ عَنْ وَجْهِ الْحَقَائِقِ تَكْشِفُ
أَوَجْهُكَ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ تَطَلَّعَتْ وَكَفُّكَ أَمْ سُحْبُ الحَيَا تَتَوَكَّفُ
فَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرٍ جَمِيلٍ وَمَفْخَرٍ عَمِيمٍ عَلَى أَوْجِ الْكَوَاكِبِ يُشْرِفُ
يُزَارُ بِهِ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَزَمْزَمٌ وَيَعْرِفُهُ حَتَّى الصَّفَا وَالْمُعَرَّفُ
وَمَنْ يَسْأَلِ الأَيَّامَ تُخْبِرْهُ أَنَّهَا بِقَوْمِكَ تُزْهَى فى الفَخَارِ وَتَشْرُفُ
وَهَلْ تَهْدِمُ الأَيَّامُ بُنْيَانَ مَفْخَرٍ تُشَيِّدُهُ آىٌ كِرَامٌ وَمُصْحَفُ
وَلَوْ كَانَتِ الأَيَّامُ قَبْلُ تَنَكَّرَتْ فَبِأَسْمِكَ يَا بَدْرَ الهُدَى تَتَعَرَّفُ
أَلَا لَا تَرُعْنَا الحَادِثَاتُ فَإِنَّنَا عِصَابَةُ تَوْحِيدٍ بِهِ نَتَشَرَّفُ

[٣٣٠]

(١) فى م : « ترضى الشبيبة روضة » .

وليس لنا إلّا التوكل عادة … وظنٌّ جميلٌ وعدهُ ليس يُخلَفُ

فمن مُبلغٌ عنّا الغنىّ بربّه … وقد سار للفردوس يحيا ويتحف

بآية ما بلّغت دين محمّد … أمانىّ للرحمن تُدنى وتُزلف

وعنك يروّى الناس كل غريبة … يروّى لنا منها الغريبُ المصنّف[1]

فكسّرت تمثالاً وهدّمت بيعةً … وناقوسها بالكفر يهذى ويهتف

وكم من منار بالأذان عمرته … فصارت به الآذانُ بعدُ تُشنّف

وسرت وقد خلّفت خير خليفة … لك الفخرُ منهُ والثناء المخلّف

أيوسف قد أرضيته أجمل الرضا … وكان بما ترضى وتختار يكلف

وكنت له ياقرّة العين قرّةً … على برّه المختوم تحنو وترأف

ستجرى على آثاره سابق المدى … فيهدى له منك الثناء المضعّف

سيلقى عدوّ الدين منك عزائماً … إليه بجرّار الكتائب تزحف

ويأسف لمّا يبصر البرّ يرتمى … بفرسانه والبحرَ بالسّفن يقذف

وتفتح من بُلدانه كلّ مُقفل[2] … يعبّد عبّاد الصليب ويوسف

فما أروسُ الكفّار إلا حصائدٌ … بسيفك سيف الله تجنى وتقطف

حسامك رقراقُ الصفيح كأنّه … بكفّك من ماء السماء[3] ينطّف

ضعيفٌ يصحّ النصرُ من فتكاته … فيروى لنا منه الصحيح المضعّف[4]

ورمحك مرتاح المعاطف هزّةً … كأن قد سقته من دم الكفر قرقف

ولا عيب فيه غير أنّ سنانه … إذا شمّ ريح النقع فى الحرب يرعف

---

(١) فى البيت تورية بكتاب « الغريب المصنف » فى اللغة ، لأبى عبيد القاسم بن سلام .

(٢) فى م : « معقل » .

(٣) فى م . : « ماء السماحة » .

(٤) فى م : « المصحف » .

فإن كَعّتْ[١] الأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الوَغَى ... يُشِيرُ لَنَا مِنْهُ البَنَانُ المُطَرَّفُ[٢]

لَقَدْ فَخَرَ الإِسْلَامُ مِنْكَ بِبَيْعَةٍ ... وَزَالَ بِهَا عَنْهُ الأَسَى والتَّخَوُّفُ

وَأَلْبَسْتَهُ بُرْداً مِنَ الفَخْرِ ضَافِياً ... عَلَى عِطْفِهِ وَشْيُ المَدِيحِ يُفَوَّفُ

وقَدْ نُظِمَتْ فِيهِ السُّعُودُ[٣] مَيَامِناً ... كَمَا يُنْظَمُ العِقْدُ النَّفِيسُ ويُرْصَفُ[٤] [٣٣١]

فَدُمْتَ قَرِيرَ العَيْنِ فِي كُلِّ غِبْطَةٍ ... بِمَا شِئْتَ مِنْ آمَالِكَ الغُرِّ تُسْعَفُ

وله على لحد الغنى بالله

وأنشد على لحده المقدس — رحمه الله تعالى — فى المعنى قوله :

ضَرِيحَ أَمِيرِ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدِ ... يَخُصُّكَ رَبِّى بِالسَّلامِ المُرَدَّدِ

وَحَيَّاكَ[٥] مِنْ رُوحِ الإِلهِ تَحِيَّةٌ ... مَعَ المَلَإِ الأَعْلَى تَرُوحُ وَتَغْتَدِى

وشَقَّتْ جُيُوبَ الزَّهْرِ فِيكَ[٦] كَمَائِمٌ ... يَرِفُّ بِهَا الرَّيْحَانُ عَنْ خَضِرٍ[٧] نَدِى

وَصَابَتْ مِنَ الرُّحْمَى[٨] عَلَيْكَ غَمَائِمٌ ... تُرَوِّى ثَرَى هَذَا الضَّرِيحِ المُنَجَّدِ

وَزَارَتْكَ مِنْ حُورِ الجِنَانِ أَوَانِسٌ ... نَوَاعِمُ فِى كُلِّ النَّعِيمِ المُخَلَّدِ

وَجَاءَتْكَ بِالبُشْرَى مَلائِكَةُ الرِّضَا ... كَمَا جَاءَ فى الذِّكْرِ الحَكِيمِ المُمَجَّدِ

وَصَافَحَ مِنْكَ الرَّوْضُ أَطْيَبَ تُرْبَةٍ ... وعاهَدَ مِنْكَ المُزْنُ أَكْرَمَ مَعْهَدِ

رِضَا اللهِ والصفحُ الجميلُ وعفوُهُ[٩] ... يُوَالَى عَلَى ذَاكَ الصفيحِ المُنَضَّدِ

---

(١) كعت : جبنت .

(٢) طرفت المرأة بنانها : إذا خضبته بالحناء ، يشبه سنان الرمح المخضب بالدم بالبنان المخضب بالحناء .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « وقد نظمت فيه المدح » .

(٤) فى الأصلين : « يوصف » بالواو . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٥) فى م : « وجاءتك » .

(٦) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « فيه » .

(٧) فى نفح الطيب : « خضل » .

(٨) فى ط : « وطابت من المولى » والتصويب من نفح الطيب .

(٩) فى ط : « والعفو الجميل وصفحه » .

ويا صَدَفاً قد حازَ مِنْ جَوهرِ العُلاَ لِـكلٍّ[1] نَفيسٍ بالنَّفاسَةِ مفْرَدِ
أعِندكَ أنَّ الحِلْمَ وَالعِلْمَ وَالحِجَا وَزَهْرَ الحِلَى قد أُدْرِجَتْ طَيَّ مُلْحَد
وَهَلْ أَنْتَ إِلاَّ هَالَةُ القَمَرِ الذي بنورِ هُداهُ الشُّهْبُ تُهْدَى وَتَهْتَدِي[2]
ويا عَجَباً من ذلكَ التُّرْبِ كيفَ لا يَفِيضُ بِبحرٍ للسَّماحَةِ مُزْبِدِ
لقدْ ضاقَتِ الأَكْوانُ وَهْيَ رَحِيبَةٌ بما حُزْتَ مِنْ فَخْرٍ عَظيمٍ وَسُؤْدُدِ
قَدِمْتَ عَلَى الرَّحْمَنِ أَكرَمِ[3] مَقْدَمٍ وَزُوِّدْتَ مِنْ رُحْمَاهُ خَيْرَ مُزَوَّدِ
أَقَامَ بِكَ المَوْلَى الإمَامُ مُحَمَّدٌ مُؤَمَّلَ فَوْزٍ بالشفيعِ مُحَمَّـــدِ
فَجاءَ كما يَرْضَى وَتَرْضَى بهِ العُلاَ وأَنْجَزَ إِلاَّ مالَ[4] أَكْرَمَ مَوْعِدِ
ومَدَّ ظِلاَلَ العَـدْلِ فى كُلِّ وِجْهَةٍ وكَفَّ أَكُفَّ البَغْيِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِي
وقَامَ بِمَفْرُوضِ الجِهادِ عَنِ الوَرَى وعَوَّدَ دِينَ اللهِ خَــيْرَ مُعَوَّدِ
قَضى بَعْدَ مَا قَضَّى الخِلافَةَ حَقَّها وعَامَلَ وجْهَ اللهِ في كلِّ مَقْصِــدِ
وفَتَّحَ بالسَّيْفِ المَالِكَ عَنْــوَةً ومَدَّتْ لهُ أَمْلاَكُهَا كَفَّ مُجْتَدِي
وكَسَّرَ تِمْثَالَ الصَّليبِ وأَخْرَسَتْ نَوَاقِيسُ كَانَتْ لِلضَّلاَلِ بِمَرْصَدِ
وطَهَّرَ مِحْرَاباً وجَدَّدَ مِنْــــبَرَا وأَعْلَنَ ذِكْرَ اللهِ فى كلِّ مَسْجِدِ
ودانَتْ له الأمْلاكُ شَرْقاً ومَغْرِباً وكُلُّهُمُ أَلْقَى لَهُ المُلْكَ بِاليَــدِ
[٣٣٢] وطَبَّقَ مَعْمُورَ البَسِيطَةِ ذِكْرُهُ وسارَتْ بهِ الرُّكْبَانُ فى كلِّ فَدْفَدِ
وسافَرَ عَنْ دَارِ الفَنَاءِ لِيَجْتَنِي بما قَدَّمَ اليومَ السَّعادَةَ فى غــدِ

---

(١) فى نفح الطيب : « فاز من جوهر ... بكل » .
(٢) فى ط : « وتقتدى » .
(٣) فى م : « أين » . وما أثبتناه من ط ونفح الطيب .
(٤) فى الأصلين : « الأملاك » . وما أثبتناه من نفح الطيب .

وقامَ بأمرِ اللهِ حَقَّ قيـــامِهِ بعزْمــــةِ لا وانٍ ولا مُتَرَدِّدِ
لئنْ سارَ للرَّحمنِ خـــيرُ مُوَدَّعٍ وحلَّ مِنَ الفِرْدَوْسِ أشرفَ مَقْعدِ
فقدْ خلَّفَ المَوْلَى الخليفةَ يوسفاً يُعيدُ له غُرَّ المَساعِي ويَبْتَدِي
سَبِيلكَ فى سُبُلِ المَكارمِ يقْتَفِى وهدْيَكَ يا خـــيْرَ الأئمةِ يَقتدى
محمدُ جَلَّى الخطبَ مِنْ بعدِ يوسفٍ ويُوسفُ جَلَّى الخطبَ بعد محمدِ
ولوْ وَجَدَ الناسُ الفداءَ مُسَوَّغاً فَدَاكَ بِبَذْلِ النفسِ كلُّ مُوحِّدِ
ستَبْكيكَ أرضٌ كُنْتَ غيْثَ بلادِها وتبكيكَ حتَّى الشُّهْبُ فى كلِّ مَشْهَدِ
وتَبكِى عليكَ السُّحْبُ مِلءَ جُفونِها بدمْعٍ يُرَوِّى غُلَّةَ المُجْدِبِ الصَّدِى
وتَلْبَسُ فيكَ النيِّراتُ ظَلامَها حداداً ويُذْكِى النجمُ جَفْنَ مُسَهَّدِ
وما هِيَ إلاَّ أعيُنٌ قد تسهدتْ فَـكَحَّلَها نَجْمٌ[1] الظلامِ بإثمِـدِ
فلا زِلْتَ فى ظِلِّ النعيمِ مخـــلَّداً ونَجْلُكَ يَحيا بالبقاءِ المُخَلَّدِ
وأوْرَدَكَ الرَّحْمنُ حَوْضَ نَبِيِّــــهِ وأصْدَرَ من خلَّفْتَ عَنْ خَيْرِ مَوْرِدِ
عليْكَ سلامٌ مِثْلُ حَمْدِكَ عاطِرٌ يَفُضُّ خِتامَ المِسْكِ عَنْ تُرْبِكَ النَّدِى
وصلَّى على المُخْتارِ مِنْ آلِ هاشِمٍ صلاةً بها نرجُو الشفاعةَ فى غدِ

وفى رثاء الغنى بالله أيضاً

ثم قال : وقال أيضاً فى هـذا الغرض من رثائه ، ومدح مولانا الوالد فى أثنائه :

سَـــلامٌ عَلى الدُّنْيا جميعاً وَمَا فيهَا غَداةَ نَعَتْ شَمْسَ الخِلافةِ مَنْ فِيها
نَعَتْ مَلِكَ الأمْلاكِ والكامِلَ الذى يَكُفُّ عَوَارِى الحادِثاتِ ويَكْفِيها
عَميدَ بَنِى الأنْصارِ غيْرَ مُدافَعٍ ومُحْيِي مَعاليها ومَــــوْلَى مَوَالِيها

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « جفن » .

وَبَدْرَ دَيَاجِيهَا وَشَمْسَ نَهَارِهَا ... وَبِشْرَ مُحَيَّاهَا وَنورَ مَجَالِيهَا

خفا الكَوكَبُ الوَقَّادُ قَدْ كانَ نورُهُ ... يُجَلِّى مِنَ الدُّهْمِ الخُطوبِ دَيَاجِيهَا

هَوَى[1] القَمَرُ الوَضَّاحُ مِنْ أُفُقِ العُلا ... فَأَظْلَمَ جَوُّ النَـيِّرَاتِ بِسَارِيهَا

وَقَدْ كُسِفَتْ شَمْسُ الهِدَايَةِ بعدَمَا ... أَبَانَ سَبِيـلَ الْحَقِّ لِلْخَلْقِ هَادِيهَا

هُوَ الجبَلُ الرَّاسِى تَصَدَّعَ بَعْدَ مَا ... أَقَرَّتْ بِهِ شُمُّ الجِبَالِ رَوَاسِيهَا

يَعِزُّ عَلَى دِينِ الْهُدَى أَنَّ شَمْسَهُ ... يَطُولُ بِأَطْبَاقِ التُّرَابِ تَوَارِيهَا[2]

يَعِزُّ عَلَى زُهْرِ النُّجُومِ مَتَى سَرَتْ ... وَلَا تَلْمَحُ الهَدْىَ الّذِى كَانَ يَهْدِيهَا

لِأَنْدَلُسٍ ثُكْلٌ عَلَيْـهِ مُرَدَّدٌ ... لَهُ لَبِسَتْ سُودَ المُسُوحِ نَوَاحِيهَا[3]

ثَلَاثِينَ حَوْلًا بَعْدَ خَمْسٍ تَعَوَّدَتْ ... يُدَافِعُ عَنْهَا كُلَّ خَطْبٍ وَيَحْمِيهَا

أُبَكِّيهِ لِلرَّايَاتِ يَخْفُقُ بَنْدُهَا ... وَفِى مَرْقَبِ النَّصْرِ المُؤَزَّرِ يُعْلِيهَا

أُبَكِّيهِ لِلْخَيْلِ المُغِيرَةِ بِالضُّحَى ... وَقَدْ أَبْعَدَ الفَتْحُ المُبِينُ مَرَامِيهَا

وَيَبْكِيهِ مَعْمُورُ البَسِيطَةِ كُلُّهَا ... وَمَا ضَمَّ مِنْ دَانِى البِلَادِ وَقَاصِيهَا

وَتَبْكِيهِ سُحْبٌ أَخْجَلَتْهَا بَنَانُهُ ... وَتُرْسِلُ دَمْعَ الغَيْثِ حُزْنًا مَآقِيهَا

وَتَبْكِيهِ حَتَّى الشُّهْبُ فِى أُفُقِ العُلَا ... وَتَلْبَسُ جِلْبَابَ الظَّلَامِ جَوَارِيهَا

عَزَاءً أَمِيْرَ المُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا ... مَقَادِيرُ رَبِّ الخَلْقِ فِى الخَلْقِ يُجْرِيهَا

هُوَ المَوْتُ وِرْدٌ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا ... أَوَاخِرُهَا تَقْـفُو سَبِيلَ أَوَالِيهَا

وَمَا بَيْنَنَا حَىٌّ وَمَا بَيْنَ آدَمٍ ... أَلَا هَكَذَا سَوَّى البَرِيَّةَ بَارِيهَا

---

(١) فى ط : « هو » وهو تحريف .

(٢) كذا فى م ، وفى ط : « رواسيها » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط . وفى م : « لياليها » .

وفى مَوْتِ خيرِ الخلقِ أكبرُ أسوةٍ ... تُصَبِّرُ أحرارَ النفوسِ وتُسْليها
أمَوْلايَ لو كانَ الفداءُ مُسَوَّغاً ... فدَيْناكَ بالدُّنيا جميعاً وما فيها
أمَوْلايَ كم من نعمةٍ لكَ عندنا ... إذا نحنُ رُمْنا حصرَها ليس نُحصِيها
أمَوْلايَ خلَّفْتَ العبيدَ إلى الأسى ... يُناجيكَ من فَرْطِ الشجونِ مُناجيها
وقد ماتَ منّا الصبرُ إلّا صُبابةً ... بذِكْرِكَ فى جُنْحِ الدُّجُنَّةِ نُحْيِيها
أمَوْلايَ يامَوْلايَ هل أنتَ سامعِى ... أبُثُّكَ ما يُشْجِى القلوبَ ويُدْمِيها
تحَفيتَ بى حتّى نَضَوْتُ شَبيبتى ... عزيزاً وجيهاً حيثما رُمْتُ تَوْجِيها
وقد كانَ ظنّى أن تكونَ جنازتى ... يُشَيِّعُها منكَ الرضا ويُواريها[1]
[وقدعشْتُ حتّى ذُقْتُ فقْدَكَ قلَّما ... تُبلِّغُ نفسٌ ما تُريدُ أمانيها]
ولولا أبو الحجّاجِ نجلُكَ لم يكن ... لدينِ الهُدى كَرّاتُ بحرٍ يُزَجِّيها
ولكنَّهُ واللهُ يُجمِلُ[2] صبرَهُ ... منَاقبُكَ الغُرُّ الكرامُ سيُحْيِيها
فخَلَّفْتَنا منهُ لأكرمِ كافلٍ ... يُحمِّلُ أعباءَ الخلافةِ كافيها
سريرتُهُ الرُّحْمَى وسيرتُهُ الرضا ... وأخلاقُهُ الغُرُّ الكريمةُ تَدْرِيها
وسيلتُكَ المُظْمَى وظلُّكَ فوقَنا ... وعُمدتُنا واللهُ فى العِزِّ يُبقيها
فما كنتَ إلّا الشمسَ قدغَرُبَتْ لنا ... وأنوارُها بدرُ التمامِ يُجلِّيها
وما أنتَ إلّا المسكُ إنْ تَخفَ ذاتُهُ ... يَنِمُّ بها العَرْفُ الذكىُّ فيُفشِيها
ألا قدَّسَ الرحمنُ نفساً كريمةً ... بكلِّ عزيزٍ فى الوُجودِ نُفَدِّيها
وبُشْرى لنا أنَّ السعادةَ نُزْلُها ... وأنَّ رضا اللهِ الكريمِ يُرضِّيها
وحاشا وكلّا أن تضيعَ وسائلُ ... سيَذخَرُها الربُّ الكريمُ ويُنشِيها

[٣٣٤]

(١) كذا فى م . وفى ط : « ويواليها » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « يحمد » .

فكم مِنْ جهادٍ قد رَفعتَ بُنودَهُ — وقد أثمرتْ فيها المعالي[1] عَوَاليها
كَسَرتَ تماثيلَ الصليبِ وأخرستْ — نَوَاقيسُ كانتْ بالضَّلالِ تُناغيها
وكم مِنْ منارٍ قد أعدْتَ أذانَهُ — وأعْلَنَ فيهِ دعوةَ الحقِّ داعيها
وكم مِنْ رياضٍ للكتائبِ قد غدَتْ — تضيقُ بمُتْنِ الجِيادِ نواحيها
ومُلتفِّ زرعٍ بالأسنَّةِ مُزهرٍ — ولكن به المُرَّانُ تحلو مَجانيها
إذا ظَمِئتْ منها الذوابلُ في الوغى — جداولُ أنهارِ السيوفِ تُروِّيها
غِراسٌ زكتْ للجهادِ غرستَهُ — فصرتَ إلى دارِ السعادةِ تجْنيها
ولو لم يكنْ إلا سنينَ قطعتَها — رهينَ شكاةٍ لا تزالُ تُعانيها
صَبرْتَ لها صبرَ الكرامِ وإنَّما — ذخرتَ أُجوراً فضلُ ربِّك جازيها
أماثلُكَ في الأنصارِ خيرُ وسيلةٍ — وقد كنتَ بالنصرِ العزيزِ تُحيِّيها
وحسْبُكَ بالمُختارِ كرمِ[2] شافعٍ — وسنَّتُهُ واللهِ لا زلتَ تُحييها
على عَالَمِ الدُّنيا وفخرِ مُلوكها — تحيَّةُ ربٍّ لا يزالُ يُواليها
سأبكيه ما دامَ الحمامُ مُطوَّقاً — وما سجعتْ تبكي الهديلَ قماريها
وأهديهِ مِنْ طيبِ السلامِ مُعطَّراً — كما فتقتْ أيدي التِّجارِ غواليها
وأستَنزِلُ ربَّ العرشِ[3] سُحْبَ كرامةٍ — تسحُّ على ذاكَ الضريحِ غواديها
ونسألُ فتحاً للخليفةِ يوسفٍ — يملِّكُهُ أقصى البلادِ ومَنْ فيها

ثم ذكر هذا المؤلف جملة نظم ابن زمرك في السلطان أبي الحجاج واستعطافه ، وما يهزّ له الرضا من شمائل أعطافه ، ومنها :

وله في استعطاف السلطان أبي الحجاج

بما قد حُزتَ مِنْ كرمِ الخلالِ — بما أدركتَ مِنْ رُتبِ الجلالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « العوالي » .
(٢) في م : « أكبر » .
(٣) في م : « وأسأل رب العرش » .

[٣٣٠]

بما خُوِّلْتَ من دين ودُنيا … بما قد حُزْتَ من شرفِ المعالي[1]
بما أوليتَ من صُنْعٍ جميلٍ … يُطابقُ لفظُهُ معنى الكمالِ
تغمَّدْني بفضلِكَ واغتفرْها … ذُنُوبًا في الفِعالِ وفي المَقالِ

ولَه في خطاب السلطان أبي عبد الله

ثم قال: ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبد الله رحمة الله تعالى عليه، متوسلا بقديم ذِمامه، والخِدَم المتعددة من نظامه:

أيَعْطَشُ أولادي وأنت غَمامةٌ … تعمُّ جميعَ الخلقِ بالنفعِ والسُّقيا
وتُظلِمُ أوقاتي ووجهُك نيِّرٌ … تفيضُ به الأنوارُ للدينِ والدُّنيا
وجَدُّكَ قد سمّاكَ ربُّكَ باسمِه … وأوْرثكَ الرحمنُ رتبتَه العُليا
وقد كان أعطاني الذي أنا سائلٌ … وسوَّغني من غيرِ شرطٍ ولا ثُنْيا[2]
وشِعْري في غُرِّ الصنائعِ خالدٌ … يُحَيِّيه عَنِّي في المَماتِ وفي المَحْيا
ومازلْتُ أُهدي المدحَ مِسكًا مُفتَّقًا … فتحمِلُه الأرواحُ عاطرةَ الرَّيَّا
وقد أكثرَ العبدُ[3] التشكِّيَ وإنَّه … وحقِّكَ يا فخرَ الملوكِ قد استحيا
وما الجُودُ إلَّا ميِّتٌ غيرَ أنَّه … إذا نفخَتْ يُمناكَ في رُوحِه يَحيا
فمن شاءَ أن يدعو لدينِ محمَّدٍ … فيدعو لمولانا الخليفةِ بالبُقْيا

ومن شعره في أبي عبد الله

ثم ذكر قصائد كثيرة ومقطوعات في مدحه لأخيه أبي عبد الله، إلى أن قال:

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة.

مَنْزِلُ اليُمْنِ والرِّضا والسُّعُودِ … أنجزتْ فيه صادقاتُ الوُعُودِ

(١) في نفح الطيب: «الجمال».
(٢) ولا ثنيا: أي من غير استثناء.
(٣) في الأصلين: «أضمر». وما أثبتناه عن نفح الطيب.

كلَّ يومٍ نزاهةٌ إنْ تقضَّتْ   أنشدَتْها السُّعودُ بالله عُودِى
جمعَ المُستعينُ وصفَ كمالٍ   بيْنَ بأسِ عمِّ الملوكِ وجُودِ
فاهنَ فى غِبطةٍ وعِزّةِ مُلْكٍ   أنتَ والله فخرُ هذَ الوُجودِ

وقال أيضاً مشيراً لتوليته العلامة :

لكَ غُرَّةٌ ودَّ الصَّباحُ جمالَها   ومحاسنٌ تَهوى البُدورُ كمالَها
وشمائلٌ تَحكى الرياضُ خِلالَها   وأناملٌ ترجو الأنامُ خلالَها[1]
[٣٢٦] لِلْمُستعينِ خلافةٌ[2] نَصريَّةٌ   عرفَتْ ملوكُ العالَمينَ جمالَها[3]
وأنا الذى قدْ نالَ منكَ معالياً   تَهوى النُّجومُ الزّاهراتُ منالَها
تُهديهِ ما قدْ نِلتَهُ منْ بَعضِها   والفخرُ كلُّ الفخرِ فيمنْ نالَها
فى كلِّ يومٍ منكَ منّةُ مُنعِمٍ   لوْ طاولَتْ سَمْكَ العُلا[4] ما طالَها
بلّغْتَ آمالَ العبيدِ فبلّغَتْ   فيكَ العبيدُ منَ البَقا آمالَها

ثم قال : وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أيا ملِكاً لمْ يُبْدِ للعَيْنِ حُسْنُهُ   سوى مَلَكٍ قد حلّ منْ عالَمِ القُدْسِ
لكَ الخيرُ خُذْها كالأناملِ[5] خَمسةً   تعوّذُ منْ آكَ المُكمَّلِ بالخَمْسِ
فمنْ أبصرَتْ عيناهُ منْ آكَ فليَقُلْ   أعوذُ بربِّ النّاسِ أوْ آيةِ الكُرْسى

ولـه فى خطاب مولاه الوالد

ثم قال بعد ذكر قصيدة : وقال يخاطب مولانا الوالد — رحمة الله عليه —

(١) فى م : « ترجى الأنام حلالها » . وفى نفح الطيب : « ترجى الأنام خلالها » .
(٢) فى ط : « جلالة » . وما أثبتناه عن م ، ونفح الطيب .
(٣) فى نفح الطيب : « جلالها » .
(٤) فى نفح الطيب : « السما » .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « من أنامل » .

وقد مرّ معه بفحص ريّة ، والثلج قد عم أنديتـه ، وبسط أرديته ، فى وجهة تَوَجُّهِها مولانا الجد — تغمده الله تعالى — برحمته إلى مالقة :

يَامَنْ بِهِ رُتَبُ المَعالِي[1] تَعْتَلِي ... وَمَعَالِمُ الْفَخْرِ الْمَشِيدَةِ تَبْتَنِي
ازْجُرْ بِهذَا الثَّلْجِ فَألاً إنَّهُ ... ثَلْجُ الْيَقِينِ بِنَصْرِ مَوْلَانَا الْغنى
بَسَطَ الْبَيَاضَ كَرَامَةً لِقُدُومِهِ ... وافْتَرَّ ثَغْرًا عَنْ مَسَرَّةِ مُعْتَنى
فَالْأَرْضُ جَوْهَرَةٌ تَلُوحُ لِمُجْتَلِ ... والدَّوْحُ[2] مَزْهَرَةٌ تَفُوحُ لِمُجْتَنى
سُبْحَانَ مَنْ أعْطَى الْوُجُودَ وُجُودَهُ ... لِيَدُلَّ مِنْهُ عَلَى الْجَوَادِ الْمُحْسِن
وَبَدَائِـع الْأَكْوَانِ فِى إتْقَانِهَا ... أَثَرٌ يُشِيرُ إلَى الْبَدِيـع الْمُتْقِن

ثم قال : ومن غير السّلطانيات ، مما بزّ فيه سبقاً وتبريزاً ، وعَرضه على نَقَدة البيان ، فرأت منه كل مُذْهَبَة خلصَت إبريزاً ، مرثيَّته للقاضى المعظم الشريف

مرثيته لأبى القاسم الحسنى

أبى القاسم الحسنىّ من شيوخه ، أنجزها الوعد السابق فى المقدّمة بها :

أغْرَى سَرَاةَ الحىِّ بِالإطْرَاقِ ... نَبَأٌ أصَمَّ مَسَامِـعَ الآفَاقِ
أمْسَى بِهِ لَيْلُ الْحَوَادِثِ دَاجِياً ... وَالصُّبْحُ أصْبَحَ كَاسِفَ الإشْرَاق
فُجِـعَ الْجَمِيعُ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ ... شَتَّى الْعُلاَ وَمَكَارِمِ الأَخْلاَق
هُبُّوا لِحُكْمِكُمُ الرَّصِين فإنَّهُ ... صَرْفُ الْقَضَاءِ فَمَا لَهُ مِنْ وَاق
نَقَشَ[3] الزَّمَانُ بِصَرْفِهِ فِى صَفْحِهِ : ... كُلُّ اجْتِمَاعٍ مُؤْذِنٌ بِفِرَاق
مَاذَا تَرَجِّى مِنْ زَمَانِكَ بَعْدَمَا ... عَلِقَ الْفَنَاءُ بِأنْفَسِ الأَعْـلاَق
مَنْ تَحْسُدُ السبعُ الطبَاقُ علاءَهُ ... عَالَوْا عَلَيْهِ فِى الثَّرَى بِطِبَـاق

[٣٣٧]

(١) فى نفح الطيب المخطوط : « الإمامة » . وفى المطبوع : « الإمارة » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « والأرض » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « نهر » .

إِنَّ المَنَايَا لِلْبَرَايَا غَايَةٌ سَبَقَ الكِرَامُ لِخَصْلِهَا بِسِبَاقِ
لَمَّا حَسِبْنَا[١] أَنْ تَحُولَ أَبُوسَنَا كَشَفَتْ عَوَانُ حُرُوبِهَا عَنْ سَاقِ
مَا كَانَ إِلَّا البَدْرَ طَالَ سِرَارُهُ حَتَّى رَمَتْهُ يَدُ الرَّدَى[٢] بِمُحَاقِ
[أَنِفَ المُقَامَ مع الفناءِ نَزَاهَةً فنوى الرحيلَ إلى مُقَامٍ بَاقِ]
عَدِمَ المُوافِقَ فى مُرَافَقَةِ الدُّنَا فَثَنَى[٣] الرِّكَابَ إلى الرَّفِيقِ البَاقِى
أَسَفًا عَلَى ذَاكَ الجَلَالِ تَقَلَّصَتْ أَفْيَاؤُهُ وَعُهِدْنَ خَيْرَ رِوَاقِ
يَا آمِرِى بِالصَّبْرِ عِيلَ تَصَبُّرِى دَعْنِى عَدَتْكَ لَوَاعِجُ الأَشْوَاقِ
وَذَرِ[٤] اليَرَاعَ تَشِى بِدَمْعِ مِدَادِهَا وَشْىَ القَرِيضِ يَرُوقُ فى الأَوْرَاقِ
يَا حَسْرَتِى لِلْعِلْمِ أَقْفَرَ رَبْعُهُ وَالعَدْلِ جُرِّدَ أَجْمَلَ الأَطْوَاقِ
وَكَدَتْ رِيَاحُ المَعْلُوَاتِ لِفَقْدِهَا كَسَدَتْ بِهِ الآدَابُ بَعْدَ نَفَاقِ
كَمْ مِنْ غَوَامِضَ قَدْ صَدَعْتَ بِفَهْمِهَا خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا عَلَى الحُذَّاقِ
كَمْ قَاعِدٍ فى البِيدِ فَوْقَ قُعُودِهِ قَعَدَتْ بِهِ الآمَالُ دُونَ لَحَاقِ
لِمَنِ الرَّكَائِبُ بَعْدَ بُعْدِكَ تُنْتَضَى مَا بَيْنَ شَأْمٍ تَرْتَمِى وَعِرَاقِ
تَفْلِى الفَلَا بِمَنَاسِمٍ مَفْلُولَةٍ تَسِمُ الحَصَى بِنَجِيعِهَا الرَّقْرَاقِ
كَانَتْ إِذَا اشْتَكَتِ الوَجَى وَتَوَقَّفَتْ يَهْفُو نَسِيمُ ثَنَائِكَ الخَفَّاقِ
فَإِذَا تَنَسَّمَتِ الثَّنَاءَ أَمَامَهَا مَدَّتْ لَهَا الأَعْنَاقَ فى الإِعْنَاقِ
يَا مُزْجِىَ البُدْنِ القِلَاصِ خَوَافِقًا رِفْقًا بِهَا فَالسَّعْىُ فى إِخْفَاقِ

---

(١) فى م : « لما خشينا » . وفى النفح المخطوط : « حبسنا » .
(٢) فى ط : « الدجى » .
(٣) فى م والنفح المخطوط : « فنضا » .
(٤) فى م : « ودع » .

مَاتَ الذِى وَرِثَ العُلَا عَنْ مَعْشَرٍ وَرِثُوا تُرَاثَ المَجْدِ باسْتِحْقَاق

رُفِعَتْ لهمْ رَايَاتُ كلِّ جَلَالَةٍ فَتَمَيَّزُوا فى حَلْبَةِ السُّبَّاق

عَلَمُ الهُدَاةِ وَقُطْبُ أعْلامِ الوَرَى[1] حَرَمُ العُفاةِ لِمُجْتَنَى الأَرْزَاق

رَقَّتْ سَجَاياهُ وَرَاقَتْ مُجْتَلًى كالشَّمْسِ فى بُعْدٍ وَفى إِشْرَاق

كالزَّهْرِ فى لألائِهِ وَالبَدْرِ فى عَلْيائِهِ وَالزُّهْرِ فى الإبْرَاق

[٣٣٨] مَهْمَا مَدَحْتُ سِوَاهُ قَيَّدَ وَصْفَهُ وَصِفَاتُه حَمْدٌ عَلَى الإطْلَاق

يا وَارِثاً نَسَبَ النُّبُوَّةِ جَامِعاً فى العِلْمِ وَالأَخْلَاقِ وَالأَعْرَاق

يَابْنَ الرَّسُولِ وَإِنَّها لَوَسِيلَةٌ يَرْقَى بِهَا أَوْجَ المَصَاعِدِ رَاقِ

وَرَدَ الكِتَابُ بِفَضْلِكُمْ وكَمَالِكُمْ فَكَفَى ثَنَاهُ الوَاحِدِ الخَلَّاق

مَوْلَاىَ إِنِّى فى عُلَاكَ مُقَصِّرٌ قَدْ ضَاقَ عَنْ عِلْمٍ[2] النُّجُومِ نِطَاقى

وَمَنِ الذى يُحْصِى مَنَاقِبَ فَضْلِكُمْ[3] عَدَّ الحَصَى وَالرَّمْلِ غَيْرُ مُطَاق

يَهْنِى قُبُورًا زُرْتَهَا فلَقَدْ ثَوَتْ مِنَّا مَصُونَ جَوَانِحٍ وحِدَاق

خَطَّ الرَّدَى مِنْهَا سُطُورًا نَصُّها[4]: لا بُدَّ أَنَّكَ لِلفَنَاءِ مُلَاق

وَلَحِمْتَ تَرْجَمَةَ الكِتَابِ وصَدْرَهُ وفَوَائِدُ المَكْتُوبِ فى الإلْحَاق

كَمْ مِنْ سَرَاةٍ فى القُبُورِ كَأَنَّهُمْ فى بَطْنِهَا دُرٌّ ثَوَى بِحِقَاق

قُلْ لِلسَّحَابِ اسْحَبْ ذُيُولَكَ نَحْوَهُ والعَبْ بِصَارِمِ بَرْقِكَ الخَفَّاق

أَوْدَى الَّذِى غَيْثُ العِبَادِ بِكَفِّهِ يُزْرِى بِوَاكِفِ غَيْثِكَ الغَيْدَاق

(١) فى م ونفح الطيب : « النهى » .

(٢) فى م ونفح الطيب : « حصر » .

(٣) فى نفح الطيب : « مجدكم » .

(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « قبورا زرتها »

إنْ كانَ صَوْبُكَ بالمِيَاهِ فَدَرُّهَا ... دُرٌّ يُرَوِّضُ ما حلَّ الإمْلاقِ

بَشَرٌ كثيرٌ قد نَعُوا لمَّا نُعِي(١) ... قاضِي القُضاةِ وغابَ في الأطْباقِ

ألْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الكرامَةِ ضافِياً ... وأرَحْتَ مِنْ كَدٍّ ومِنْ إرْهاقِ

يَتَفَيَّئُونَ ظِلالَ جاهِكَ كُلَّما ... لَفَحَتْ سَمُومُ الخَطْبِ بالإحْرَاقِ

عَدِمُوا المُوافِقَ في فِرَاقِكَ وانْطَوَى ... عَنْهُمْ بِساطُ الرِّفْقِ والإرْفاقِ

رَفَعُوا سَرِيرَكَ خافِضِينَ رُءوسَهُمْ ... ما مِنْهُمُ إلَّا حَلِيفُ سِـــياقِ(٢)

لكِنْ مَصِيرُكَ للنَّعِيمِ مُخَلَّدًا ... كانَ الذى أبْقَى عَلَى الأرْمَاقِ

وَمِنَ العَجائِبِ أنْ يُرَى نَحْوَ النَّدَى ... طَوْدُ الهُدَى يَسْرِى عَلَى الأعْناقِ

إنْ يَحْمِلُوكَ عَلَى الكَواهِلِ طالَمَا ... قَدْ كُنْتَ مَحْمُولًا عَلَى الأحْداقِ

أوْ يَرْفَعُوكَ عَلَى العَوَاتِقِ طالَمَا ... رُفِعَتْ ظُهُورُ مَنابِرٍ وعِتاقِ

وَلَئِنْ رَحَلْتَ إلى الجِنانِ فإنَّنا ... نَصْلَى بنارِ الوَجْـــدِ والأشْواقِ

لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ حُزْنَ مَنْ خَلَّفْتَهُ ... لَثَنَى عِنانَكَ كَثْرَةُ الإشْـفاقِ

إنْ جَنَّ لَيْلٌ جُنَّ مِنْ فَرْطِ الأسَى ... وَسِوَى كَلامِكَ مالَهُ مِنْ رَاقِ

[٣٣٩] فابْعَثْ خَيالَكَ في الكَرَى يَبْعَثْ بِهِ ... مَيْتَ السرُورِ(٣) لِثَا كُلِّ مُشْتَاقِ

أغْلَيْتَ يا رُزْءُ التَّصَبُّرَ مِثْلَما ... أرْخَصْتَ دُرَّ الدَّمْعِ فى الآماقِ

إنْ يُخْلِفِ الأرْضَ الغَمامُ فإنَّنِى ... أسْقِى الضَّرِيحَ بِدَمْعِيَ المُهْرَاقِ

---

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « قضى » .

(٢) يقال : ساق المريض سياقا : إذا أخذ فى نزع الروح ، والمراد هنا الجهد والحزن .

(٣) كذا فى نفح الطيب . وفى ط : « النشور » .

وله فى مدح شيخه ابن الخطيب

ومن أوّليّات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى مادحا ، قوله من قصيدة مطلعها :

* أمَا وَانْصِدَاعِ النُّورِ مِنْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ *

يقول فيها بعد أبيات :

لكَ اللهُ مِنْ فَــذِّ الجَلالَةِ أَوْحَدِ ... تُطَاوِعُهُ الآمالُ فِي النَّهْيِ وَالأَمْرِ

لكَ القَلَمُ الأَعْلَى الذي طَالَ فَخْرُهُ ... عَلَى المُرْهَفَاتِ البِيضِ وَالأَسَلِ السُّمْرِ

يُقَلِّدُ أَجيــادَ الطُّروسِ تمائمًا ... بِصِنْفَيْ لآلٍ من نظامٍ وَمِن نَثْرِ

تُهَيِّبُكَ القِرْطَاسُ فَاحْمَرَّ إِذْ غَـدَا ... يُقِلُّ بُحُوراً مِن أَنَامِلِكَ العَشْرِ

كَأَنَّ رِيَاضَ الطِّرْسِ خَـدٌّ مُوَرَّدٌ ... يُطَرِّزُهُ وَشْيُ العِــذَارِ مِنَ الحِبْرِ

فَشَارَةُ هَـذَا المُلْكِ رَائِقَةُ الحُلَى ... بِأَوْرَقَ خُمْرٍ وَبِالصُّحُفِ الحُمْرِ

وَمَا رَوْضَــةٌ غَنَّاءُ عَاهَدَهَا الحَيَا ... تَحُوكُ بِهَا وَشْيَ الرَّبِيعِ يَدُ القَطْرِ

تُغَنِّي قِيَانُ الطَّــيْرِ فِي جَنَبَاتِهَا ... فَيُرْقِصْنَ غُصْنَ البَانِ فِي حُلَلٍ خُضْرِ

تَمُدُّ لِأَكْوَاسِ[1] القِرَارِ أَنَامِلاً ... مِنَ السَّوْسَنِ الغَضِّ المُخَتَّمِ بِالتِّبْرِ

وَيَحْرُسُ خَـدَّ الوَرْدِ صَارِمُ نَهْرِهَا ... وَيُمْنَعُ ثَغْرُ النَّوْرِ بِالذَّابِلِ النَّضْرِ

يُفَاخِرُ مَرْآهَا السَّمَاءَ مَحَاسِــنًا ... فَتُزْرِي[2] نُجُومَ الزَّهْرِ مِنْهَا عَلَى الزُّهْرِ

إِذَا مَسَحَتْ كَفُّ الصَّبَا جَفْنَ نَوْرِهَا ... تَنَفَّسَ ثَغْرُ الزهرِ عَنْ عَنْبَرِ الشَّحْرِ

بِأَعْطَرَ مِنْ رَيَّا ثَنَائِكَ فِي السُّرَى ... وَأَبْهَــرَ حُسْنًا مِنْ شَمَائِلِكَ الغُرِّ

عَجِبْتُ لَهُ يَحْـكِي خِــلالَ حَمِيلِهِ ... وَتَفْرَقُ مِنْهُ الأُسْدُ فِي مَوْقِفِ الذُّعْرِ

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ، ولم نجد الأكواس جمعا للكأس فى معاجم اللغة .

(٢) فى نفح الطيب : « وترى » .

إذا أضرمَتْ من بأسها الحربُ جاحماً ... تأجّج منهُ العضبُ في لجّة البحر
وإن كلَحَ الأبطالُ في حومة الوغى ... ترقرقَ ماءُ البِشر في صفحة البدر
لكَ الحسبُ الوضّاحُ والسؤددُ الذي ... يضيقُ نطاقُ الوصفِ فيه عن الحصر
تشرّفَ أُفْقٌ أنتَ بدرُ كماله ... فمَن ناطَهُ تختال تيهاً على مصر
تكلّل تاجُ المُلْكِ منكَ محاسناً ... وفاخرتِ الأملاكَ منكَ بنو نصر
بعزمةِ مضمونِ السعادةِ أوحدٍ ... وغرّة وضّاح المكارمِ والنّجر (١)
[٣٤٠] طوى الخيفَ منشورُ اللواء مؤيّداً ... فعزّ حمى الإسلامِ بالطيِّ والنّشر
ومدَّ ظلالَ الأمنِ إذ قصر (٢) العدا ... فيُتْلى ثناءُ المُلْكِ بالمدّ والقصر
إذا احتفلَ الإيوانُ يومَ مشورةٍ ... وتضطربُ الآراءُ من كلّ ذي حِجر
صدعتَ بفصلِ القولِ غيرَ منازعٍ ... وأطلعتَ آراءً قبسنَ من الفجر
فإنْ تظفرِ الخيلُ المغيرةُ بالضحى ... فمن رأيكَ الميمونِ تظفرُ بالنصر
فلا زلتَ للعلياءِ تحمي ذمارها ... وتسحبُ أذيالَ الفخارِ على النسر
وللعلمِ فخرَ الدينِ والفتكِ بالعدا ... تأوّتْ به يابن الخطيبِ على الفخر
يهنّيكَ عيدُ الفطرِ منْ أنتَ عيدُهُ ... ويثني بما أوليتَ من نِعَمٍ غُرّ
جبرتَ مهيضاً من جناحي ورشتَهُ ... وسهّلتَ لي من جانبِ الزمنِ الوعر
وبوّأتني من ذروةِ العزِّ معتلىً ... وشرّفتني من حيثُ أدري ولا أدري
وسوّغتني الآمالَ عذباً مسلسلاً ... وأسميتَ من ذكري ورفّعتَ من قدري
فدهري عيدٌ بالسرورِ وبالمنى ... وكلُّ لياليِّ العمرِ لي ليلةُ القدر

---

(١) في الأصلين : « وتجود » و « الفخر » موضع : « وغرة » . « والنجر » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٢) ق ط : « ومد ظلال العدل إن قصد » .

فَأَصْبَحَتْ مَغْبُوطًا عَلَى خَيْرِ نِعْمَةٍ ... يَقِلُّ لِأَدْنَاهَا الكَثِيرُ مِنَ الشُّكْرِ

قال :

وكتب إليه جوابا عن رسالة خاطب أولاده بها ، صدرها :

* مالى بحمل الهوى يدان *

قال جامع هذا الموضوع ، وفقه الله تعالى :

هذه قد تقدمت فى هذا الموضوع ، فراجعها .

وله مما خاطب به ابن الخطيب أيضا

ثم قال : وكتب إليه جوابا عن آخر كذلك :

حَيَّيْتَ صَبَاحًا فَأَحْيَيْتَ سَاكِنِي[1] الْقَصَبَهْ ... وَاسْتَرْجَعْتَ أَنْفُسًا بِالشَّوْقِ مُغْتَصَبَهْ

قَضَى الْبَيَانُ لَهَا أَلَّا نَظِيرَ لَهَا ... فَأَحْرَزَتْ مِنْ مَعَانِي فَضْلِهِ[2] قَصَبَهْ

نَاجَتْ طَلِيحَ[3] سُرًى لَا يَسْتَفِيقُ لَهَا ... هَدَّتْ جَوَارِحَهُ وَاسْتَوْهَنَتْ عَصَبَهْ

فَحَرَّكَتْهُ عَلَى فَتْكِ الْكَلَالِ بِهِ ... وَأَذْهَبَتْ بِسُرُورِ الْمُلْتَقَى نَصَبَهْ

وَأَذْكَرَتْ عَهْدَ مُهْدِيهَا عَلَى شَحَطٍ ... فَعَاوَدَ الْقَلْبُ مِنْ تَذْكَارِهِ وَصَبَهْ

مَا كُنْتُ أَسْمَحُ مِنْ دَهْرِي بِجَوْهَرِهِ ... لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي بِالْقَلْبِ مَنْ غَصَبَهْ

سَلْ أَدْمُعَ الصَّبِّ مَنْ أَغْرَى السَّحَابَ بِهَا ... وَقَلْبَهُ بِجِمَارِ الشَّوْقِ مَنْ حَصَبَهْ

فَاللهُ يَحْفَظُ مُهْدِيهَا وَيَشْكُرُهُ ... فَوَجْهُهَا بِعِصَابِ الْحُسْنِ قَدْ عَصَبَهْ

مَنْ كَانَ وَارِثَ آدَابٍ[4] يُشَعْشِعُهَا ... بِالْفَرْضِ إِنِّيَ فِي إِرْثِي لَهَا عَصَبَهْ

هَذَا الْمَلَاذُ مَلَاذُ النَّاسِ قَاطِبَةً ... سُبْحَانَ مَنْ لِغِيَاثِ الْخَلْقِ قَدْ نَصَبَهْ

---

(١) فى ط : « صاحب » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٢) فى نفح الطيب : « خصله » ، وهما بمعنى .

(٣) فى ط : « نجت طريح » وفيه تحريف ظاهر .

(٤) فى نفح الطيب المخطوط : « يحفظ آدابا » .

[٣٤١] وخاطبه كذلك [1] :

طَالَعْتُهَا دُونَ الصَّبَاحِ صَبَاحَا ... لَمَّا جَلَتْ غُرَرَ الْبَيَانِ صِبَاحَا

وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كَحُسْنِهَا ... وَجْهاً أَغَرَّ وَمَبْسِماً وَضَّاحَا

عَذْرَاءَ أَرْضَعَهَا الْبَيَانُ لِبَانَهُ ... وَأَطَالَ مَغْدًى عِنْدَهَا وَمَرَاحَا

فَأَتَتْ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ نَجِيُّهَا ... تُذْكِي الْحِجَا وَتُنَعِّمُ الْأَرْوَاحَا

لَا بَلْ كَمِثْلِ الرَّوْضِ بَاكَرَهُ الْحَيَا ... وَسَقَى بِهِ زَهْرَ الْكِمَامِ فَفَاحَا

وَطَوَتْ بِسَاطَ الشَّوْقِ مِنِّيَ بَعْدَمَا ... نَشَرَتْ عَلَيَّ مِنَ الْقَبُولِ جَنَاحَا

وخاطبه كذلك :

يُكَلِّفُنِي مَوْلَايَ رَجْعَ جَوَابِهِ ... وَمَا لِتَعَاطِي الْمُعْجِزَاتِ وَمَالِيَا

أُجِيبُكَ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَأَكْتُبُ مِمَّا قَدْ أَفَدْتَ الْأَمَالِيَا

فَأَنْتَ الَّذِي طَوَّقْتَنِي كُلَّ مِنَّةٍ ... وَأَحْيَيْتَ [2] آمَالِي وَأَكْسَبْتَ مَالِيَا

وَأَنْتَ الَّذِي أَعْدَى الزَّمَانَ كَمَالُهُ ... وَصَيَّرْتَ أَحْرَارَ الزَّمَانِ مَوَالِيَا

فَلَا زِلْتَ لِلْفِعْلِ الْجَمِيلِ مُوَاصِلاً ... وَلَا زِلْتُ لِلشُّكْرِ الْجَزِيلِ مُوَالِيَا

وخاطبه كذلك :

ذَرُونِي فَإِنِّي بِالْعَلَاءِ خَبِيرُ ... أَسِيرُ فَإِنَّ النَّيِّرَاتِ تَسِيرُ

وَكَمْ بِتُّ أَطْوِي اللَّيْلَ فِي طَلَبِ الْعُلَا ... كَأَنِّي إِلَى نَجْمِ السَّمَاءِ سَفِيرُ

بِعَزْمٍ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ ... يَكُرُّ عَلَى ظَلْمَائِهِ فَيُنِيرُ

أَخُو كَلَفٍ بِالْمَجْدِ لَا يَسْتَفِزُّهُ ... مِهَادٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَثِيرُ

ذَا مَا طَوَى يَوْماً عَلَى السِّرِّ كَشْحَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ نُشُورُ

---

(١) هذه القطعة متأخرة فى النسخة التيمورية عن التى بعدها .

(٢) فى ط ونفح الطيب : « وأحسبت » . وما أثبتناه عن م .

وَإِنِّى وَإِنْ كُنْتُ الْمُمَنَّعَ جَارُهُ ... لَتَسْبِي فُؤَادِى أَعْـيُنٌ وَثُغُورُ

وَمَا تَعْـتَرِينِي فَتْرَةٌ فِي مَدَى الْعُلَا ... إِلَى أَنْ أَرَى لَحْظًا عَلَيْهِ فُتُور

وَفِي السِّرْبِ مِنْ نَجْدٍ تَعَلَّقْتُ ظَبْيَةً ... تَصُولُ عَلَى أَلْبَابِنَا وَتُغِـير

وَتَمْنَعُ مَيْسُورَ الْكَلَامِ أَخَا الْهَوَى ... وَتَبْخَلُ حَتَّى بِالْخَيَالِ يَزُور

أَسُكَّانَ نَجْدٍ جَادَهَا وَاكِفُ الْحَيَا ... هَوَاكُمْ بِقَلْبِي مُنْجِد وَمُغِير

وَيَاسَـكِنِي بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ مِنْ مِنًى ... وَأَيْسَرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكِ كَثِير

ذَكَرْتُكِ فَوْقَ الْبَحْرِ وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا ... فَمَدَّتْهُ مِنْ فَيْضِ الدُّمُوعِ بُحُور

وَأَوْمَضَ خَفَّاقَ الذُّؤَابَةِ بَارِقٌ ... فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّةٌ وَزَفِير [٣٤٢]

وَيَهْفُو فُؤَادِى كُلَّمَا هَفَتِ[1] الصَّبَا ... أَمَا لِفُؤَادِى فِي هَوَاكِ نَصِير

وَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَذِكْرُكِ هَزَّنِى ... أَمِ الْكَأْسُ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ تَدُور

فَمَنْ مُبْلِـغٌ عَنِّى النَّوَى مَا يَسُوءُهَا ... وَلِلْبَـيْنِ حُـكْمٌ يَعْتَدِى وَيَجُور

بِأَنَّا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ سَوْفَ نَلْتَـقِى ... وَنُمْسِى وَمِنَّا زَائِرٌ وَمَزُور

إِلَى كَمْ أَرَى أَبْكِى وَوَجْدِى مُصَرِّحٌ ... وَأُخْفِى اسْمَ مَنْ أَهْوَاهُ وَهُوَ شَهِير

أَمُنْجِدَ آمَالِى وَمُغْلِىَ كَاسِدِى ... وَمَصْدَرَ جَاهِى وَالْحَدِيثُ كَثِير

أَأَنسَى — وَلَا أَنسَى — مَجَالِسَكَ الَّتِى ... بِهَا تَلْتَقِينِى نَضْرَةٌ وَسُرُور

نَزُورُكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ وَنَنْثَنِى ... وَبَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ حَدِيثِكَ نُور

عَلَى أَنَّنِى إِنْ غِبْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَغِبْ ... لَطَائِفُ لَمْ يُحْجَبْ لَهُنَّ سُفُور

نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَعِنْدَهَا ... رَوَاحٌ عَلَيْنَا دَائِم وَبُكُور

فَظِلُّكَ فَوْقِى حَيْثُمَا كُنْتُ وَارِفٌ ... وَمَوْرِدُ آمَالِى لَدَيْكَ نَمِير

---

(١) في نفح الطيب : « هبت » .

وعُذرًا فإنّى إن أطلْتُ فإنّما ... قُصارَاىَ مِنْ بَعْدِ البَيانِ قُصُورُ

وكتب إليه خاتمة رسالة كذلك :

وحمِّلتُ ما استطعمتُ بعدكَ غُصَّةً ... مِنَ النومِ حتَّى آذَنَ النجمُ بالغروبِ[1]

وعارضتُ مسرى الريحِ قُلتُ لعلَّها ... تَنِمُّ بريًّا منكَ عاطرةِ الهبوبِ

إلى أنْ بدا وجهُ الصَّباحِ كأنَّهُ ... محيّاكَ إذْ تُجلَى بغُرَّتِهِ الخُطوبُ

فقلتُ لقلبى استشعرِ الأُنسَ وابتهجْ[2] ... فإنْ تَبعُدِ الأجسامُ لم تَبعُدِ القلوبُ

وسرْ فى ضمانِ اللهِ حيثُ توجَّهتْ ... ركابُكَ لا تَخشَى الحوادثُ أنْ تنوبُ

ثم قال : وقال — بعد إيراد جملة من نظمه فى النسيب وما يناسبه — يصف مصباحا :

وله فى وصف مصباح

لقدْ زادنى وَجْدًا وأغرى بى الجوى ... ذُبالٌ بأذيالِ الظلامِ قد التفَا

تُشيرُ وراءَ الليلِ منهُ بنانَةٌ ... مُخضَّبةٌ والليلُ قدْ حَجبَ الكفَّا

تلوحُ سِنانًا حينَ لا تنفحُ الصَّبا ... وتبدو سوارًا حينَ تثنى لهُ العطفَا

[٣٤٣] فآونةً يبدو وآونةً يخفى ... قطعتُ بها ليلى بطارحُ الجوى

إذا قلتُ لا يبدو أشالَ لسانهُ ... وإنْ قلتُ لا يخبو[3] الضياءُ به كفا

إلى أنْ أفاقَ الصُّبحُ من غمرةِ الدجى ... وأهدى نسيمُ الروضِ من طيبهِ عَرفَا

لكَ اللهُ يا مصباحُ أشبهتَ مهجتى ... وقدْ شفَّها من لوعةِ الحبِّ ما شفَّا

---

(١) عقب المقرى على هذه الأبيات فى نفح الطيب ج ٣ ص ٤٤٨ طبعة الأزهرية بقوله : « قلت : هذه غاية فى معناها لولا خروجها عن القواعد فى ترتيب قافيتها ومعناها » . والأبيات من الطويل ، إلا أن التفعيلة الأخيرة تختلف عن تفعيلات الطويل .

(٢) فى م : « الأمن » .

(٣) فى نفح الطيب : « لا يخفى » .

وله فى صدر رسالة إلى ابن الخطيب

ثم قال وكتب له صدر رسالة :

أَزُورُ بِقَلْبِي مَعْهَدَ الانسِ وَالْهَوَى وَأَنْهَبُ مِنْ أَيْدِي النَّسِيمِ رَسَائِلَا
وَمَهْمَا سَأَلْتُ الْبَرْقَ يَهْفُو مِنَ الْحِمَى يُبَادِرُ بِهِ دَمْعِي مُجِيبًا وَسَائِلَا
فَيَالَيْتَ شِعْرِي وَالْأَمَانِي تَعَلُّلٌ أَيَرْعَى لِيَ الْحَيُّ الْكِرَامُ الْوَسَائِلَا
وَهَلْ جِيرَتِي الْأُولَى كَمَا قَدْ عَهِدْتُهُمْ يُوَالُونَ بِالْإِحْسَانِ مَنْ جَاءَ سَائِلَا

ثم قال بعد أن ذكر عدة قطع :

وله يصف الزرافة ويمدح السلطان أبا سالم

وقال يصف الزَّرَافة فى قصيدة مدح بها السلطان أبا سالم ملكَ المغرب — رحمه الله — وقد ورد عليه بها وَفْد الأحابش فى هدية من ملـكهم ، ونصُّها :

لَوْلَا تَأَلُّقُ بَارِقِ التَّـــذْكَارِ مَا صَابَ وَاكِفُ دَمْعِيَ الْمِدْرَارِ
لَـكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا قَدَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ زَنْدَ أُوَارِي
عَلِّ[1] الْشُّوقَ إِذَا تَذَكَّرَ مَعْهَدًا أَنْ يُغْرِيَ الْأَجْفَانَ بِاسْتِعْبَارِ
أَمُذَكِّرِي غَرْنَاطَةً حَلَّتْ بِهَا أَيْدِي السَّحَابِ أَزِرَّةَ النُّـوَّارِ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ لِلْحَدِيثِ وَدُونَهَا[2] عَرْضُ الفَـلَاةِ وَطَافِحٌ زَخَّارِ
هَـذَا عَلَى أَنَّ التَّغَرُّبَ مَرْكَبِي وَتَوَلُّجَ الفِيحِ الفِسَاحِ شِعَارِي
فَلَكَمْ أَقَمْتُ غَدَاةَ زُمَّتْ عِيسُهُمْ أَبْغِي القَرَارَ وَلَاتَ حِينَ قَرَارِ
وَطَفِقْتُ أَسْتَقْرِي الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ يَمْحُو الْبُكَاءُ مَوَاقِعَ الْآثَارِ
إِنَّا بَنِي الْآمَالِ تَخْـدَعُنَا الْمُنَى فَنُخَادِعُ الْآمَالَ بِالتَّسْيَارِ
نَتَجَشَّمُ الْأَهْوَالَ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَنَرُوعُ سِرْبَ النَّوْمِ بِالْأَفْكَارِ

---

(١) فى نفح الطيب : « وعلى » .

(٢) فى نفح الطيب : « وبيننا » .

لايُحْرِزُ المجدَ الخَطيرَ سوى امرِئٍ | يُعْطِى العَزائمَ صَهوَةَ الأخطارِ
إلا[1] بفاخِرِ بالعتادِ فَفَخْرُهُ | بالمَشْرفِيّـــةِ والقَنا الخَطّارِ
مُسْتَبْصِرٍ مَرْمَى العَواقِبِ واصِلٍ | فى حَمْلِهِ الإيرادَ بالإصْـــدارِ
فأشَدُّ ما قادَ الجَهُولَ إلى الرَّدَى | عَمَـهُ البَصائرِ لا عَمَى الأبْصارِ
وَلَرُبَّ مُزْبِدِ الجَوانحِ مُزْبِدٍ | سَبَحَ الهِلالُ بلُجِّهِ الزَّخّارِ
فُتِقَتْ كَمائِمُ جُنْحِهِ عَنْ أنجُمٍ | سَفَرَتْ زَواهِرُهُنَّ عَنْ أزْهارِ
مَثَلَتْ عَلَى شاطِى المَجَرَّةِ نَرْجِسًا | تَطْفَتُ مِنْـهُ عَلَى خَليجٍ جارى
فكأنّما بَدْرُ التَّمامِ بِجُنْحِهِ | وجْـهُ الإمامِ بجَحْفَلٍ جَرّارِ

[٣٤٤]

وكأنَّما خَمْسُ الثُّرَيّا راحَـــةٌ | ذَرَعَتْ مَسيرَ اللَّيْلِ بالأشْبارِ
أسْرَجْتُ مِنْ عَزْمِى مَصابيحًا بِها | تَهْدِى السُّراةَ لها مِنَ الأقْطارِ
وأرْتاعَ مِنْ بازى الصَّباحِ غُرابُهُ | لَمّا أطَلَّ فَطارَ كُلَّ مَطارِ

[ومنها] :

وغَريبَةٍ قَطَعَتْ إليكَ عَلَى الوَنَى | بِيـــدًا تَبيدُ بِها هُمومُ السّارِى
نُنْسيهِ طِيَّتَهُ التى قَـــدْ أمَّها | والرَّكْبُ فيها مَيِّتُ الأخْبارِ
يَقْتادُها مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلِ الدُّجَى | وكأنَّما عَيْناهُ جُـــذْوَةُ نارِ
تَشْدُو[2] بحَمْدِ المُسْتَعِينِ حُداتُها | يَتَعَلَّلُونَ بِهِ عَلَى الأكْوارِ
إنْ مَسَّهُمْ لَفْحُ الهَجيرِ أبَلَّهُـمْ | مِنْــهُ نَسيمُ ثَنائِكَ المِعْطارِ
خاضُوا بِها لُجَجَ الفَلا فَتَخَلَّصَتْ | مِنْها خُلوصَ البَــدْرِ بَعْدَ سِرارِ

(١) فى ط : «من لايفاخر» . وفى م ونفح الطيب : «إلامفاخر» ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) فى الأصلين : « تحدو » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

سَلِمَتْ بِسَعْدِكَ مِنْ غَوائِلِ مِثْلِها ... وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِياً لِذِمارِ
وَأَتَتْكَ يَا مَلِكَ ٱلزَّمَانِ غَرِيبَةٌ ... قَيْدُ ٱلنَّواظِرِ نُزْهَــةُ ٱلْأَبْصَارِ
مَوْشِيَّةُ الأَعْطَافِ رَائِعَةُ الحِلى ... رَقَمَتْ بَدَائِعَهَا يَدُ ٱلْأَقْـدَارِ
رَاقَ ٱلْعُيُونَ أَدِيمُهَا فَـكَأَنَّهُ ... رَوْضٌ تَفَتَّحَ عَنْ شَقِيقِ[1] بَهارِ
مَا بَيْنَ مُبْيَضٍّ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ ... سَالَ ٱللُّجَيْنُ بِهِ خِـلَالَ نُضَارِ
يَحْكِي حَدَائِقَ نَرْجِسٍ فِي شَاهِقٍ ... تَنْسَابُ فِيــهِ أَرَاقِمُ الأَنْهارِ
تَحْدُو[2] قَوائِمُ كَالْجُذُوعِ وَفَوْقَهَا ... جَبَلٌ أَشَمُّ بِنَــوْرِهِ مُتَوارِى
وَسَمَتْ بِجِيدٍ مِثْلِ جِذْعٍ مَائِلٍ ... سَهْلِ التَّعَطُّفِ لَيِّنٍ خَــوَّارِ
تَسْتَشْرِفُ الجُدْرَانُ مِنْهُ تَرَائِباً ... فَكَأَنَّمَا هُــــوَ قَائِمٌ بِمَنَارِ
تَاهَتْ بِكَلْكَلِهَا وَأَتْلَعَ جِيدُهَا ... وَمَشَى بِهَا الإِعجابُ مَشْىَ وَقَارِ
خَرَجُوا لَهــا الْجَمَّ الغَفِيرَ وَكُلُّهُمْ ... مُتَعَجِّبٌ مِنْ لُطْفِ صُنْعِ البَارِى
كُلٌّ يَقُولُ لِصَحْبِهِ قُومُوا ٱنْظُرُوا ... كَيْفَ ٱلجِبَالُ تُقَادُ بِالأَسْــيَارِ
أَلْقَتْ بِبَابِكَ رَحْلَهَا وَلَطَالَمَا ... أَلْقَى ٱلْغَرِيبُ بِهِ عَصَا ٱلتَّسْيَارِ
عَلِمَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا ... فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ[3] فِي مِضْمَارِ
يَتَبَوَّءُونَ بِهِ وَإِنْ بَعُدَ ٱلْمَدَى ... مِنْ جَاهِكَ الأَعْلَى أَعَزَّ جِوَارِ
فَارْفَعْ لِوَاءَ ٱلْفَخْرِ غَيْرَ مُدَافَعٍ ... وَاسْحَبْ ذُيُولَ ٱلْعَسْكَرِ ٱلجَرَّارِ
وَاهْنَأْ بِأَعْيَادِ ٱلْفُتُوحِ مُخَوَّلاً ... مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارِ
وَإِلَيْكَهَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِى نَفْحَةً ... شَفَّ ٱلثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الأَزْهَارِ

[٣٤٥]

(١) كذا فى الأصلين ونفح الطيب ولعلها : « شتيت » .
(٢) كذا فى الأصلين ونفح الطيب .
(٣) فى ط : « لعلاك » .

فى فضلِ مَنْطِقِها ورَوْنَقِ (١) رَسْمِها   مُسْتَمْتَعُ الأسماعِ والأبصارِ
وَتُمِيلُ مَنْ أَصْغَى لَهَا فَكَأَنَّنِي   عاطَيْتُهُ مِنْهَا كُئُوسَ عُقَارِ

وله يستنجز كتاب المغرب ميلادياتهم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب كتّاب الإنشاء بالمغرب وقد حضر هنالك ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنشدت قصائدهم ، واستنجز بعد ذلك وعدهم بتقييد نسخها بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها ، منها :

أَ كَتيبةَ الكُتَّابِ أَيَّدَ جَمْعَكُمْ   بِعِنايَةِ المَوْلَى الخَلِيفَةُ أَحْمَدُ
لا تَمْطُلُوا دَيْنَ الغَرِيبِ فَإِنَّنِي   مِنْكُمْ وَإِنْ رَغِمَتْ لِذَلِكَ حُسَّدِي
زَيَّنْتُمُ حَفْلَ البَيَانِ بِسِحْرِكُمْ   اليَوْمَ زِينَةَ سِحْرِكُمْ مِنْ مَوْعِدِ
فَلْتَسْمَحُوا لِي بِالقَصَائِدِ عَاجِلاً   وَلْتَبْلُغُوا مِمَّا أُؤَمِّلُ مَقْصِدِي

وقال أيضاً :

أَيَا عِلْيَةَ الكُتَّابِ دَعْوَةَ مُنْصِفٍ   عَلَيْكُمْ بِكُمْ فِي مَقْطَعِ الحَقِّ يَسْتَعْدِي
سَمَحْتُمْ بِنَظْمِ الدُّرِّ فِي لَيْلَةِ العُلَا   فَكَمْ رَاقَ مِنْ سِمْطٍ هُنَالِكَ وَمِنْ عِقْدِ
فَمَا ضَرَّكُمْ أَنْ تَسْمَحُوا لِي بِكَتْبِهَا   فَتَسْتَنْجِزُوا شُكْرِي وَتَسْتَوْجِبُوا حَمْدِي

وقال أيضاً :

مَاعُذْرُكُمْ (٢) أَنْ لَمْ تَجُودُوا بَعْدَمَا   مُلِّكْتُمُ كَفَّ الخَلِيفَةِ أَحْمَدَ
فَلْتَبْعَثُوا لِي كُلَّ بِكْرٍ فَذَّةٍ   تَأْتِي بِفَخْرٍ خِلالَهَا وَسْطَ النَّدِي

وله إليهم أيضاً فى المعنى المتقدم

وكتب إليهم فى المعنى أيضاً وقد كان السلطان أبو العباس أعطاه قصيدة من نظمه [تلك الليلة] :

(١) فى نفح الطيب : « ورائق » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « ما ضركم » .

ظِلَالُكُمُ تندُو[1] وَمَوْرِدُكُمْ عَذْبُ ... وَتَرْضَوْنَ أَنْ أَضْحَى وَبِالْمِلْحِ لِى شُرْبُ
وَأَنْتُمْ وَمَا أَنْتُمْ غَمَائِمُ رَحْمَةٍ ... تَصُوبُ وَأَحْلَامُ الْعُفَاةِ لَهَا تَصْبُو
أَفِيضُوا عَلَيْنَا وَانْظُرُونَا بِفَضْلِكُمْ ... لِنَقْبِسَ نُورًا لَا يَخِيبُ وَلَا يَخْبُو
أَلِفْتُ الْهَوَى حَتَّى أَنِسْتُ بِجَوْرِهِ ... فَكُلُّ عَذَابٍ نَالَنِى فِى الْهَوَى عَذْبُ [٣٤٦]
وَقُلْتُ لِجِسْمِى إِنَّهُ ثَوْبُكَ الضَّنَى ... وَقُلْتُ لِقَلْبِى إِنَّهُ إِلْفُكَ الْحُبُّ
وَقَالُوا صَبَا وَالشَّيْبُ لَاحَ صَبَاحُهُ ... فَقُلْتُ بِبِيضٍ كَالصَّبَاحِ أَنَا صَبُّ
نَهَبْتُ عَذَارَى الْحَىِّ لَيْلَةَ عَرْضِهَا ... وَقَدْ جُلِيَتْ مِنْهَا لِمُبْصِرِهَا شُهْبُ
وَلَمْ أَرَ مِنْهَا غَيْرَ رَجْعِ حَدِيثِهَا ... فَتَجْهَلُ مِنْهَا الْعَيْنُ مَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ
عِرَابٌ إِذَا اسْتَنَّتْ بِشَأْوِ بَلَاغَةٍ ... تُقَصِّرُ مِنْ دُونِ اللَّحَاقِ لَهَا الْعُرْبُ
وَإِنْ أَسْنَدَتْ مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَحَاجِرٍ ... تَقُولُ رُوَاةُ الشَّرْقِ يَا حَبَّذَا الْغَرْبُ
فَمَنْعَمَةُ صِدْقٍ لِلْخِلَافَةِ قَدْ صَفَتْ ... عَلَى مَنْ حَوَاهُ مِنْ مَهَابَتِهِ حُجْبُ
وَجَوٍّ صَقِيلٍ قَدْ جَلَتْهُ يَدُ الصَّبَا ... يُسَافِرُ طَرْفُ الطَّرْفِ فِيهِ فَمَا يَكْبُو
فَلَوْلَا الَّتِى مِنْ دُونِهَا طَاعَةُ الْهَوَى ... لَحَفَّتْ بِهَا حَوْلِى الْأَبَارِيقُ وَالشَّرْبُ
وَلَكِنْ نَهَانِى الشَّيْبُ أَنْ أَقْرَبَ الْهَوَى ... إِذَا لَمْ يُتَحْ مِمَّنْ أُحِبُّ لِىَ الْقُرْبُ
فَلَا تَمْطُلُوا دَيْنَ الْمُعَلَّلِ عَنْ غِنًى ... فَجَانِبُكُمْ سَهْلٌ وَمَنْزِلُكُمْ رَحْبُ
وَإِنْ لَمْ تَرَوْنِى كُفْأَهُنَّ تَرَفُّعًا ... وَصَدَّكُمُ مِنْ دُونِ خِطْبَتِهَا خَطْبُ
فَمَوْلَاىَ قَدْ أَهْدَى الْعَمِيدَ عَقِيلَةً ... يُكَلِّلُهَا مِنْ لَفْظِهَا اللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ
أَدَارَتْ كُئُوسًا مِنْ مُدَامِ صَبَابَةٍ ... كَمَا امْتَزَجَ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
فَوَاللهِ لَوْلَا مَوْعِدٌ يَوْمُهُ غَدٌ ... لَوَاجَهَكُمْ مِنِّى عَلَى مَطْلِى الْعَتْبُ

---

(١) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « تندى » .

أَكُتّابَ مَوْلَانَا الخَلِيفَةِ أَحْمَدٍ وَحَسْبُكُمُ الفَخْرُ العَمِيمُ بِهِ حَسْبْ
بِهِ اعْتَزَّتِ الآدَابُ وَامْتَدَّ بَاعُهَا وَطَالَتْ يَدَاهَا وَاسْتَخَفَّ بِهَا العُجْبْ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِالفَضْلِ تَنْفُقُ سُوقُهَا لَكَانَ يُقَالُ التِّبْرُ فِى أَرْضِهِ تُرْبْ
بَقِيتُمْ بِهِ فِى ظِلِّ جَاهٍ وَغِبْطَةٍ تَحُبُّ إِلَى لُقْيَا نَجِيبِكُمُ النُّجْبْ

وله فى مراجعة الكاتب أبى زكريا بن أبى دلامة

وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبى دُلامة منهم، وقد أجابه رحمة الله تعالى عليه :

عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ أَتَتْنِى مَعَ الصُّنْعِ الجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَأَحْيَيْتَ يَا يَحْيَى بِهَا نَفْسَ مُغْرَمٍ يُجِيلُ جِيَادَ الدَّمْعِ فِى مَلْعَبِ السُّهْدِ
نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى وَفَائِى وَخُلَّتِى وَأَقْفَرَ رَبْعُ القَلْبِ إِلَّا مِنَ الوَجْدِ
وَمَا الطَّلُّ فِى ثَغْرٍ مِنَ الزَّهْرِ بَاسِمٍ بِأَذْكَى وَأَصْفَى مِنْ ثَنَائِى وَمِنْ وُدِّى
فَأَصْدَقْتُهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِى جَوَاهِرًا تُنَظِّمُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِى فِى عِقْدِ
وَكُنْتُ أُطِيلُ القَوْلَ لَوْلَا ضَرُورَةٌ دَعَتْنِى إِلَى الإِيجَازِ فِى سُورَةِ الحَمْدِ [٣٤٧]

***

وله فى السلطان أبى العباس

وأنشد السلطان أبا العباس المذكور فى غُراب من إنشائه :

أَإِنْسَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفْنُكَ قَدْ غَدَا يَحُفُّكَ مِنْهُ طَائِرُ اليُمْنِ وَالسَّعْدِ
إِذَا مَا هَفَا فَوْقَ الرُّءُوسِ شِرَاعُهُ أَرَاكَ جَنَاحًا مُدَّ لِلْجَزْرِ وَالمَدِّ

وأنشدهُ فيه أيضاً :

لكَ الخَيْرُ شَأْنُ الجَفْنِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ وَهَذَا بِعَيْنِ اللهِ يُحْرَسُ دَائِمًا
تَبِيتُ لَهُ خَمْسُ الثُّرَيَّا مُعِيذَةً تُقَلِّدُهُ زُهْرَ النُّجُومِ تَمَائِمَا

فيَا جَفْنُ لاَ تَنفكُّ فى الحِفْظِ دَائِمًا وَإِنْ كُنْتَ فى لُجٍّ مِنَ ٱلبَحْرِ عَائِمَا

انتهى ما انتقيته من هذا التأليف الملوكى مع أنى تركت أكثره .

للمؤلف فى سبب إطالة الحديث عن ابن زمرك

قلت : وإنما أطلت فى كلام الرئيس ابن زمرك رحمه الله تعالى لوجوه :

أولها : أن الذى ألّفتُ الكتاب من أجله راغبٌ فى ذلك .

الثانى : ولوع كثير من الناس بكلامه ، حتى قال شيخنا سيدى الإمام العلامة المؤلف الكبير أبو العباس أحمد الشهير ببابا السودانى رحمه الله ، بعد أن ذكر فى التعريف به نحو عشرين سطراً[1] : إنى لم أقف فى أمره على غير هذا ، ولم أقف على وفاته . وبالجملة فالذى تكلم خواص الناس فيه من أمره هو ما فى الإحاطة والكتيبة ؛ وأما الجم الغفير فهم بمعزل عما فى الكتابين فضلا عن غيره .

الوجه الثالث : أن ما نقلته من ذلك كان عندى مقيداً فى عدة أوراق ، نخفت عليه الدروس ، فلذا جمعت بعضه هنا .

الرابع : ما اشتمل عليه من أوصاف الجهاد والخيل وغير ذلك من الغرائب ، وليس الخبر كالعيان .

الخامس : ما فى بعضه من أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو المقصود بالذات وغيره تبع ، وهو فى مسك ختام هذه الأوجه الخمس ، وليس يحتاج إلى دليل نور القمر والشمس .

من موشحات ابن زمرك

وقد عنَّ لى أن أذكر جملة من موشحاته لغرابتها ، ولأن جل ما وقفت عليه منها ينخرط فى سلك المغرب ، إذ أكثره من مخلع البسيط .

(١) يشير المؤلف إلى كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبى العباس أحمد بابا ، وهو تذييل على كتاب الديباج المذهب فى علماء المذهب لابن فرحون .

فمن ذلك قوله تشوقاً إلى غرناطة — أعادها الله — ومادحاً الغنىّ بالله :

موشحة له فى الشوق إلى غرناطة

بِاللهِ يا قَامَةَ القَضِيبِ وَمُخْجِلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرْ
مَنْ مَلَّكَ الحُسنَ فى القُلُوبِ وأيَّدَ اللَّحْظَ بالحَوَرْ

مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُهُ رَقِيقَا لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ الصِّبَا
فَرُبَّ حُرٍّ[1] غَدَا رَقِيقَا تَمْلِكُهُ نَفْحَةُ الصَّبَا
نَشْوَانَ لَمْ يَشْرَبِ الرَّحِيقَا[2] لَكِنْ إِلَى الحُسْنِ قَدْ صَبَا

فَعَذَّبَ القَلْبَ بالوَجِيبِ وَنَعَّمَ العَيْنَ بالنَّظَرْ
وَبَاتَ وَالدَّمْعُ فى صَبِيبِ يَقْدَحُ مِنْ قَلْبِهِ الشَّرَرْ

أَوَّاهُ[3] مِنْ قَلْبِيَ المُعَنَّى يَهْفُو إِذَا هَبَّتِ الرِّيَاحْ
لَوْ كَانَ لِلصَّبِّ مَا تَمَنَّى أَطَارَ شَوْقًا بِلَا جَنَاحْ
وَبُلْبُلُ الدَّوْحِ إِنْ تَغَنَّى أَسْهَرُ لَيْلِى إِلَى الصَّبَاحْ

عَسَاكَ إِنْ زُرْتَ يَا طَبِيبِى بِالطَّيْفِ فِى رَقْدَةِ السَّحَرْ
أَنْ تَجْعَلَ النَّوْمَ مِنْ نَصِيبِى والعينَ تَحْمِى مِنَ السَّهَرْ

كَمْ شَادِنٍ قَادَ لِى الحُتُوفَا بِمَرْبَعِ القَلْبِ قَدْ سَكَنْ
يَسُلُّ مِنْ لَحْظِهِ سُيُوفَا فَالقَلْبُ بِالرَّوْعِ مَا سَكَنْ
خُلِقْتُ مِنْ عَادَتِى أَلُوفَا أَحِنُّ لِلإِلْفِ والسَّكَنْ

غَرْنَاطَةٌ مَنْزِلُ الحَبِيبِ وَقُرْبُهَا السُّؤْلُ وَالوَطَرْ

---

(١) فى الأصلين : « من قد » مكان قوله : « حر » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٢) فى الأصلين : « الرقيقا » . والتصويب عن نفح الطيب .

(٣) فى نفح الطيب « عجبت » مكان قوله : « أواه » .

تَبْهَرُ بالمنظَرِ الْعَجِيبِ فَلَا عَـدا رَبْعَـا المطَر
عَرُوسـةٌ[١] تَاجُها السَّبِيكَهْ وَزَهْرُهَا الحَـلْى والْحُلَلْ
لَمْ تَرْض مِنْ عِزِّهَا شَرِيكَهْ بِحُسْنِها يُضْرَبُ الْمَثَلْ
أَيَّدَها الله مِنْ مَلِيكَهْ تَمَلُّكُهَا أَشْرَفُ الدُّوَلْ
بدَوْلَةِ الْمُرْتَجى المَهِيبِ[٢] الْمَلِكِ الطَّاهِرِ الأَغَرْ
تَخْتَالُ مِنْ بُرْدِهَا القَشِيبِ فِى حُلَّةِ النَّوْرِ وَالزَّهَرْ
كُرْسِيُّها جَنَّـــةُ العَرِيفِ مِرْآتُهـا صَفْحَةُ الغَـدِيرْ
وَجَوْهَرُ الطلِّ فى[٣] شُـنُوفِ تُحْكِمُهُ صَـنْعَةُ الْقَدِيرْ
والانْسُ فيهـا عَلَى صُـنُوفِ فَمِن هَـدِيلٍ ومِنْ هَـدِيرْ
كَمْ خَرَّقَ[٤] الزَّهْرُ مِنْ جُيُوبِ وَكَلَّلَ الْقُضْبَ بالدُّرَرْ
فَالغُصْنُ كَالكَاعِبِ اللَّعُوبِ وَالطَّيْرُ تَشْدُو بِلا وَتَرْ
وَلَانُمُ النَّصْرِ فِى احْتِفَالِ وَفَرْحُ دِينِ الهُـدَى[٥] جَدِيدْ
سلطانهـا مُعْمِلُ[٦] العَوَالِى مُحَمَّدُ الظَّافِرُ السَّـعِيدْ
وَمُخْجِلُ البَـدْرِ فِى الـكَمَالِ سُـلْطَانُها الْمُجْتَـبَى الفَرِيدْ
أَصْفَحُ مَوْلَى عَنِ الذُّنُوبِ أَكْرَمُ عَافٍ إِذَا قَدَرْ
وَشَمْسُ هَدْىٍ بِلَا مَغِيبِ وَبَحْرُ جُودٍ بِلاَ حَسَرْ

[٣٤٩]

---

(١) فى ط : « فهى عروس » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب المطبوع .
(٢) فى نفح الطيب المخطوط : « المجيب » .
(٣) فى ط ونفح الطيب « عن » .
(٤) فى ط : « مزق » .
(٥) فى نفح الطيب : « الهوى » .
(٦) فى ط : « يعمل » .

مَوْلاَىَ يَا عَاقِدَ الْبُنُودِ تُظَلِّلُ الأَوْجُهَ الصِّبَاحْ
أَوْحَشْتَ يَا نُخْبَةَ الْوُجُودِ غَرْنَاطَةً هَالَةَ السَّمَاحْ
سَافَرْتَ بِالْيُمْنِ وَالسُّعُودِ وَعُدْتَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحْ
يَا مُلْهَمَ الْقَلْبِ لِلْغُيُوبِ وَمُطْعَمُ[1] النَّصْرِ وَالظَّفَرْ
أَسْمَعَكَ اللّٰهُ عَنْ قَرِيبِ «عَلَى السَّلاَمَا مِنَ السَّفَرْ»

وقال أيضاً من المُوَشَّحات الفائقة[2]، فى مثل أغراض هذه السابقة، وأشار إلى محاسن مِنْ وَصْف «الرَّشاد»:

ومن موشحاته فى وصف مبنى الرشاد

نَسِيمُ غَرْنَاطَةَ عَلِيلُ لَكِنَّهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلْ
وَرَوْضُهَا زَاهِرٌ بَلِيلٌ[3] وَرَشْفُهُ يَنْقَعُ الْغَلِيلْ
سَقَى بِنَجْدٍ رُبَا الْمُصَلَّى مُبَاكِرًا رَوْضَهَا[4] الْغَمَامْ
فَجَفْنُهُ كُلَّمَا اسْتَهَلاَّ تَبَسَّمَ الزَّهْرُ فِى الْكِمَامْ
وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى[5] وَجَرَّدَ النَّهْرُ عَنْ حُسَامْ
وَدَوْحُهَا ظِلُّهُ ظَلِيلُ يَحْسُنُ فِى رَبْعِهِ الْمَقِيلْ
وَالْبَرْقُ وَالْجَوُّ مُسْتَطِيلُ يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلْ
عَقِيلَةٌ تَاجُهَا السَّبِيكَهْ تُطِلُّ[6] بِالْمَرْقَبِ الْمُنِيفْ
كَأَنَّهَا فَوْقَهُ مَلِيكَهْ كُرْسِيُّهَا جَنَّةُ الْعَرِيفْ

---

(١) كذا فى ط ونفح الطيب المطبوع . وفى م : « مطام » .
(٢) فى نفح الطيب : « الرائقة » .
(٣) كذا فى ط . وفى م : « مزهر جليل » . وفى نفح الطيب : « زهره بليل » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « روضة » ، وفى نفح الطيب : « روضه » .
(٥) فى نفح الطيب المخطوط : « تحلى » .
(٦) كذا فى نفح الطيب المطبوع . والذى فى الأصلين والنفح المخطوط : « تظل » .

تُطْلِعُ[١] مِنْ عَسْجَدٍ سَبِيكَهْ شُمُوسُها كُلَّمَا تُطِيفْ
أَبْدَعَكَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ يَا مَنْظَرًا كُلُّهُ جَمِيلْ
قَلْبِى إِلَى حُسْنِهِ يَمِيلُ وَقَبْلَنَا قد صبا جَمِيلْ
وَزَادَ لِلْحُسْنِ فِيكَ حُسْنَا مُحَمَّدُ الْحَمْدِ وَالسَّماحْ
جَدَّدَ لِلْفَخْرِ فِيكَ مَغْنَى[٢] فى طَالِعِ الْيُمْنِ وَالنَّجَاحْ
تُدْعَى رَشَادًا[٣] وَفِيكَ مَعْنَى يَخُصُّكَ الْفَأْلُ بِافْتِتَاحْ
فَالنَّصْرُ وَالسَّعْدُ لاَ يَزُولُ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ أَصِيلْ
سَعْدٌ وَأَنْصارُهُ قَبِيلُ آبَاؤُهُ عِتْرَةُ الرَّسُولْ
أَبْدَى بِهِ حِكْمَةَ الْقَدِيرِ وَتَوَّجَ الرَّوْضَ بِالْقِبَابْ
وَدَرَّعَ الزَّهْرَ بِالْغَدِيرِ وَزَيَّنَ النَّهْرَ[٤] بِالْحَبَابْ
فَمِنْ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ مَا أَوْلَعَ الْحُسْنَ بِالشَّبَابْ
هَبَّتْ عَلَى رَوْضِهَا الْقَبُولُ وَطَرْفُها[٥] بِالسُّرَى كَلِيلْ
فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَهَا يَجُولُ حَتَّى تَبَدَّتْ لَهُ حُجُولْ
لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهَا رُقُومُ تَلُوحُ لِلْعَيْنِ كَالنُّجُومْ
وَلِلنَّدَى بَيْنَهَا رُسُومُ عِقْدُ النَّدَى فَوْقَهُ نَظِيمْ
وَكُلُّ وَادٍ بِهَا يَهِيمُ وَلَمْ يَزَلْ حَوْلَهَا يَحُومْ

---

(١) فى نفح الطيب : « تطبع » .

(٢) فى نفح الطيب المطبوع : « مبنى » .

(٣) فى ط (هنا) : « دثارا » .

(٤) فى ط : « الزرع » وفى م : « الدرع » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٥) فى نفح الطيب المخطوط : « وروضها » .

شَنَبُها مُدَّ منهُ نيلُ | وَالشَّنِيبُ ألفٌ لُمِسْتَقيلِ
وَعَيْنُ وَادٍ بهَا[1] تَسيلُ | مِنْ فَوْقِ خَدٍّ لَهُ أَسيلِ
كَمْ مِنْ ظِلالٍ بِهِ تَرِفُّ | تَضْفُو لها فَوْقَهُ سُتُورْ
ومِنْ زُجاجٍ بِهِ يَشِفُّ | ما بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نُورْ
ومِنْ شُموسٍ بِها تَصِفُّ | تُدِيرُهَا بَيْنَنَا البُدُورْ
مِزاجُها العَذْبُ سَلْسَبِيلُ | يَاهَلْ إلى رَشْفِها سَبِيلِ
وَكَيْفَ والشَّيْبُ لِى عَذُولُ | وصِبْغُهُ صُفْرَةُ الأَصِيلِ
يا سَرْحَةَ فى الحِمَى ظَلِيلَهْ | كَمْ نِلْتُ فى ظِلِّكِ الْمُنَى
رَوَّضَكِ اللهُ مِنْ خَمِيلَهْ | يُجْنَى بِهَا أَطْيَبُ الْجَنَى
وَبَرُّهَا صادِقُ الْمَخِيلَهْ | ما زالَ بالغَيْثِ مُحْسِنَا
أُنْجِزَ لِى وَعْدُكَ الْقَبُولُ | فَلَمْ أَقُلْ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ
شَرْحُ الذى بَيْنَنا يَطُولُ»[2] | «يا سَرْحَةَ الحيِّ يا مَطُولُ

[٣٥١] ومن ذلك ما كتب به للغنىّ بالله :

ومن موشحاته إلى الغنى بالله

أَبْلِغْ لِغَرْناطَةَ سَلامِى | وصِفْ لها عَهْدِىَ السَّلِيمْ
فَلَوْ رَعَى طَيْفُها ذِمامِى | ما بِتُّ فى لَيْلَةِ السَّلِيمْ
كَمْ بِتُّ فِيها عَلَى اقتِراحِ | أَعَلُّ مِنْ خَمْرَةِ الرُّضابْ
أُدِيرُ مِنْها كُئُوسَ راحِ | قَدْ زانَت[3] الثَّغْرَ بالحَبَابْ

(١) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى الأصلين والنفح المخطوط : « به » .
(٢) هذا البيت مطلع مقطوعة للسان الدين بن الخطيب ، أوردها المقرى فى نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٠) طبعة الأزهرية .
(٣) فى م ونفح الطيب : « زانها » .

أَخْتَالُ كَالْمُهْرِ فى الْجِمَاحِ ... نَشْوَانَ فى رَوْضَةِ الشَّبَابْ

أُضَاحِكُ الزَّهْرَ فى الكِمَامِ ... مُبَاهِيًا رَوْضَةُ الوَسِيمْ

وأَفْضَحُ الغُصْنَ فى القَوَامِ ... إنْ هَبَّ مِنْ جَوِّهَا نَسِيمْ

بَيْنَا أَنَا والشَّبَابُ ضَافِى ... وظِلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدْ

ومَوْرِدُ الأُنْسِ فِيهِ صَافِى ... وبُرْدُهُ[1] رَائِقٌ جَدِيدْ

إذْ لاَحَ فى الفَوْدِ غَيْرَ خَافِى ... صُبْحٌ بِهِ نُبِّهَ الوَلِيدْ

أَيقَظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامِ ... لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ البَهِيمْ

وأَرْسَلَ الدَّمْعَ كَالْغَمَامِ ... فى كلِّ وَادٍ بِهِ أَهِيمْ

يا جِيرَةً عَهْدُهُمْ كَرِيمُ ... وفِعْلُهُمْ كُلُّهُ جَمِيلْ[2]

لاَ تَعْذِلُوا الصَّبَّ[3] إذْ يَهِيمُ ... فَقَبْلَهُ قَدْ صَبَا جَمِيلْ

القُرْبُ مِنْ رَبْعِكُمْ نَعِيمُ ... وَبُعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلْ

كَمْ مِنْ رِيَاضٍ بهِ وِسَامِ ... يُزْهَى بها الرَّائِدُ[4] المُسِيمْ[5]

غَدِيرُهَا أَزْرَقُ الْجِمَامِ ... وَنَبْتُها كُلُّهُ جَمِيمْ[6]

أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِى بِنَاسِ ... أُكَابِدُ الشَّوْقَ والْحَنِينْ

أَذْكُرُ أَهْلِى بِهَا ونَاسِى ... فاليَوْمُ فى الطُّولِ كَالسِّنِينْ

---

(١) فى الأصلين : « وبرقه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

(٢) فى م : « وكل فعل لهم جميل » .

(٣) فى م : « القلب » .

(٤) فى نفح الطيب : « الرائض » .

(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى م : « السليم » وفى ط : « الوسيم » .

(٦) كذا فى نفح الطيب المطبوع . وفى ط : « تميم » . وفى م : « بهيم » .

اللهُ حَسْبِى فكم أقاسِى مِنْ وَحشةِ الصَّحْبِ والبَنِينْ
مُطارِحًا ساجِعَ الحَمَام شَوقًا إلى الإلفِ والحَمِيمْ
والدَّمْعُ قدْ لجَّ فى انْسِجَامِ وقدْ وَهَى عِقْدُهُ النَّظِيمْ
يا ساكِنى جَنَّةِ العَرِيفِ أسْكَنتُمُ جَنَّةَ الخُلودْ
كَمْ ثَمَّ مِنْ مَنْظرٍ شرِيفِ قَدْ حُفَّ باليُمْنِ والسُّعُودْ
ورُبَّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفِ أدْوَاحُهُ الخضرُ كالبُنُودْ
والنَّهْرُ قدْ سُلَّ كالحُسَامِ لِراحةِ الشَّرْبِ مُسْتدِيمْ
[٢٠٢] والزَّهْرُ قدْ رَاقَ بابْتِسَامِ مُقَبِّلًا رَاحةَ النَّدِيمْ
بلِّغْ عُبَيْدَ المَقَامِ صَحْبِى لا زِلْتُمُ إِلدَّهْرَ فى هَنا
لِقاكُمُ بُغْيَةُ المُحِبِّ وقُرْبُكمْ غايَةُ المُنَى
فمُنْذُ كمْ قَدْ تَرَكْتُ قَلْبِى فَجَدَّدَ اللهُ عَهْدَنَا
وَدارَكَ الشَّمْلُ بانْتِظَامِ مِنْ مُرْتَجَى[١] فَضْلِهِ العَمِيمْ
فى ظِلِّ سُلْطانِنَا الإِمَامِ الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ الحَلِيمْ[٢]
مُؤَمِّنِ المُذْنِبِينَ مِمَّا يُخافُ مِنْ سَطْوَةِ العِدَا
وفارِجِ الكَرْبِ إنْ ألَمَّا ومُذْهِبِ الخَطْبِ[٣] والرَّدَى
قدْ رَاقَ حُسْنًا وفاقَ حِلمًا وما عَدَا غَيْرُ ما بَدَا
مَوْلاىَ يا نُخْبَةَ الأَنامِ وحائزَ الفَخْرِ فى القَدِيمْ
كَمْ أرْقُبُ البَدْرَ فى التَّمامِ شَوْقًا إلى وَجْهِكَ الكَرِيمْ

(١) كذا فى ط . وفى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « من يرتجى » .
(٢) فى م ونفح الطيب : « الحِلم » .
(٣) فى م : « الكرب » .

ومن موشحاته معارضا ابن سهل

ومن موشحاته فى غير المخلع ، موطئاً على موشَّحة ابن سهل التى أولها :

« ليل الهوى يقظان »

قوله :

نَوَاسِمُ البُسْتَانْ ... تَنْثُرُ سِلْكَ الزَّهَرِ
وَالطَّلُّ فى الأَغْصَانْ ... يَنْظِمُــهُ بِالْجَوْهَرِ
وَرَايَةٌ [1] الإِصْبَاحْ ... أَضَاءَ مِنْهَا المَشْرِقُ
تَنْشُرُهَـــا الأَرْوَاحْ ... فَــلَا تَزَالُ تَخْفِقُ
والزَّهْرُ زَهْــرٌ فَاحْ ... لَهَا عُيُونٌ تَرْمُقُ
فَأَيْقِظِ النُّــدْمَانْ ... تُبْصِرُ مَا لَمْ يُبْصَرِ
جَوَاهِرَ الشُّهْبَانْ [2] ... قَدْ عُرِضَتْ لِلْمُشْتَرِى
قَدَحْتَ لِى [3] زَنْدَا ... يَأَيُّهَــذَا البَــارِقُ
أَذْكَرْتَنِى عَهْــدَا ... إِذِ الشَّــبَابُ رَائِقُ
فَالشَّــوْقُ لَا يَهْدَا ... وَلَا الفُؤَادُ الخَافِقُ
وكَيْفَ بِالسُّلْوَانْ ... والقَلْبُ رَهْنُ الفِكَرِ
وسُحْبُ الهِجْرَانْ ... تَحْجُبُ وَجْهَ القَمَرِ
لَوْلَا شُمُوسُ الكَاسْ ... نُدِيرُهَا بَيْنَ البُدُورْ
وَعَرَّجَ الإِينَــاسْ ... مِنَّا عَلَى رَبْعِ الصُّدُورْ

[٣٠٣]

---

(١) فى نفح الطيب : « وراحة » .
(٢) كذا فى م . والشهبان : جمع شهاب . وفى نفح الطيب : « الشبان » ، وهو تحريف . وفى ط : « المليان » .
(٣) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « له » .

لَكِنْ لها وَسْوَاسْ يُغْرِى بِرَبَّاتِ الخُدُورْ
كَمْ وَالِهٍ هَيْمَانْ بِصُبْحٍ وَجْهٍ مُسْفِرِ
ضِيَاؤُهُ قَدْ بَانْ مِنْ تَحْتِ لَيْلٍ مُقْمِرِ
يا مَطْلَعَ الأنْوارْ كَمْ فِيكَ مِنْ مَرْأًى جَمِيلْ
وَنُزْهَةَ الأبْصَارْ ما ضَرَّ لَوْ تَشْفِى الغَلِيلْ
يا رَوْضَةَ الأزْهَارْ وعَرْفُها يُبْرِى العَلِيلْ
قَضِيبُكَ الفَيْنَانْ يُسْقَى بِدَمْعٍ هَمِرِ
فَلاعِجُ الأشْجَانْ فَيْضَ الدُّمُوعِ يُجْرِى[1]
هَلْ فِى الهَوَى نَاصِرْ أَوْ هَلْ مُجِارُ الهَائِمْ
لَوْ كَانَ لِى زَائِرْ طَيْفُ الخَيَالِ الحَائِمْ
مَا بِتُّ بالسَّاهِرْ وَدَمْعُ عَيْنِى سَاجِمْ
وَالحُبُّ ذُو عُدْوَانْ يَجْهَدُ فى ظُلْمِ البَرِى
وصَارِمُ الأجْفَانْ مُؤَيَّدٌ بِالحَوَرِ
رُحْمَاكَ فى صَبِّ أَذْكَرْتَهُ عَهْدَ الصِّبَا
بَوَاعِثُ الحُبِّ قَادَتْ إِلَيْهِ الوَصَبَا
لَمْ تَهْفُ بالقَلْبِ رِيحُ الصَّبَا إِلَّا صَبَا[2]
بِلَيْلَةِ الأرْدَانْ قَدْ ضُمِّخَتْ بِالعَنْبَرِ
يُشِيرُ غُصْنُ البَانْ مِنْها بِفَضْلِ المِئْزَرِ

(١) ف ط : « يغتر » . ولعلها محرفة عن : « يغرى » .
(٢) فى نفح الطيب : « هبا » .

طَيَّبَهَا حَمَّـــــدْ فَخْرَ الْمُلُوكِ الْمُجْتَبَى

مَنْ يَرْجُحُ الطَّوْدُ مِنْ حِلْمِهِ إِذَا احْتَبَى

قَدْ جَرَّدَ السَّـــعْدُ مِنْـهُ حُسَامًا مُذْهَبًا

فَالْبَأْسُ وَالْإِحْسَانُ وَالْغَوْثُ لِلْمُسْتَنْصِرِ

تَحْمِلُهُ الرُّكْبَانُ تَحِيَّـــةً لِلْمِنْبَرِ

عِصَابَةُ الْكُتَّابْ حُقَّ لَهَا الْفَوْزُ الْعَظِيمْ

تَخْتَالُ فِي أَثْوَابْ أَلْبَسَهَا الطَّوْلُ الْجَسِيمْ

فَحَسْبُهَا الْإِطْنَابْ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمِيمْ [٣٠٤]

خَلِيفَةَ الرَّحْمٰنْ لَازِلْتَ زَاهِي[1] الْمَظْهَرِ

يَا مَوْرِدَ الظَّمْآنْ وَرَأْسَ مَالِ الْمُعْسِرِ

خُـــذْهَا بِلَا دَعْوَى تُزْهَى عَلَى الرَّوْضِ الْوَسِيمْ

جَاءَتْ كَمَا تَهْـوَى أَرَقَّ مِنْ لَدْنِ النَّسِيمْ

قَدْ طَارَحَتْ شَـكْوَى مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمْ[2]

«لَيْـلُ الْهَوَى يَقْظَانْ وَالْحُبُّ تِرْبُ السَّهَرِ

وَالصَّـبْرُ لِي خَوَّانْ وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرِي»

ومن مُخَلَّع البسيط فى الصَّبُوحيَّات قوله سامحه الله تعالى ورحمه ورضى عنه : ومن موشحاته فى الصبوحيات

رَيْحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطَلَّتْ خَضْرَاءَ بِالزُّهْرِ تَزْهَـرْ

(١) ق م ونفح الطيب : « سامى » .

(٢) فى ط : « السقيم » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

وَرايةُ الصُّبحِ إذْ[(١)] أظَلَّتْ في مَرْقَبِ الشَّرقِ[(٢)] تُنْشَرْ
فالشُّهْبُ مِنْ غارةِ الصَّباحِ تَرْعَـــدُ خَوفاً وتَخفِقْ
وأدْهَمُ اللَّيـــلِ في جِماحِ أعِنَّـــةَ البَرْقِ يُطْلِقْ
والأفْقُ في مُلْتَقَى الرِّياحِ بأدْمُـــعِ الغَيْثِ يَشْرَقْ
والسُّحْبُ بالجَوهَرِ استهَلَّتْ فالبَرْقُ سَــيْفٌ مُجَوهَرْ
صِفاحُهُ المُذْهَبَاتُ حَلَّتْ في راحَـــةِ الجَوِّ تُشْهَرْ
كَمْ لِلصَّبا ثَمَّ مِنْ مَقِيــلِ بِطيبِـــهِ الزَّهرُ يَشْهَدْ
والنَّهرُ كالصَّارِمِ الصَّــقِيلِ في حِلْيَـــةٍ[(٣)] النَّورِ يُغْمَدْ
ورُبَّ قَالٍ بِهِ وقِيـــلِ لِلطَّيْرِ في حِينِ تُنْشِـــدْ
فألْسُنُ الوُرْقِ قَدْ أمَلَّتْ مَدائِحاً عَنْــهُ تُشْكِرْ[(٤)]
وَنَسْمَةُ الصُّبحِ حِينَ كَلَّتْ[(٥)] في سُنْدُسِ الرَّوضِ تَعْثُرْ
والكأسُ في راحَةِ النَّـدِيمِ يَجْلُو بِها غَيْهَبَ الهُمُومْ
أقْدَسَتِ النَّـارَ[(٦)] في القَدِيمِ مِن قَبلِ أنْ تُخْلَقَ الكُرُومْ
والغُصنُ[(٧)] في مَلْعَبِ النَّسِــيمِ لِلزَّهْـــرِ في عِطْفِهِ رُقُومْ
كَلَبَّةِ القُضْبِ قَدْ تَحَلَّتْ والطَّلُّ في الحَلْيِ جَوهَرْ

---

(١) فى نفح الطيب : « قد » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « الصبح » . وفى نفح الطيب : « الشمس » .
(٣) كذا فى نفح الطيب . والذى فى الأصلين : « فى حلبة » .
(٤) فى ط ونفح الطيب : « تسكر » .
(٥) فى نفح الطيب : « قد تجلت » .
(٦) فى رواية : « النور » .
(٧) فى نفح الطيب المطبوع : « والنهر » .

وَبَهجَةُ الكَونِ قد تجلَّتْ والرَّوضُ بالحُسْنِ يَبْهَرْ
يُذْكِرُنِي وَجْنَةَ الحَبِيبِ والآس فى صَفْحَةِ العِذارْ
وشَارِبَ الشَّارِبِ العَجِيبِ بَينَ أَقاحٍ وجُلَّنـــارْ
يُدِيرُ مِن ثَغرِهِ الشَّنِيبِ سُـــلافَةً دُونَها العُقارْ
حَلَتْ لِأَهلِ الهوَى وَجَلَّتْ بالذِّكْرِ وَالوَهْمِ تُسكِرْ
كَمْ مِن نُفُوسٍ بها تَسلَّتْ فما لِما الدَّهرُ مُنْكِرْ
يا غُصنَ بانٍ يَمِيلُ زَهْوَا رَيَّانَ فى رَوضَـةِ الشَّبابْ
لَوْ كُنْتَ تُصْغِي لِرَفْعِ شَكْوَى أَطَلْتُ مِنْ قِصَّةِ العِتَابْ
وَمَنْ لِمِثْـلِي بِبَثِّ نَجْوَى لِلبَدْرِ(١) فى رَفْرَفِ السَّحَابْ
عَزائِمُ الصَّبْرِ فِيكَ حُلَّتْ وَعُقْـدَةُ الصَّبْرِ تُذْخَرْ
قَدْ كَثُرَتْ مِنكَ مَا استَقَلَّتْ وَلَيْتَ لَوْ كُنْتَ تَشْـعُرْ
كَمْ لَيْلَةٍ بِتُّها وَبِتَّا ضِـدَّيْنِ فى السُّهْدِ والرُّقَادْ
عَلِمْتَ أَجْفانَهُ(٢) السُّهادْ أُسامِرُ النَّجمَ فِيـكَ حَتَّى
أَرْقُبُ بَدْرَ الدُّجَى وَأَنْتَا قَدْ لُحْتَ فى هَالَةِ الفُؤادْ
نَفْسِي وَلَيْتَ مَا تَوَلَّتْ دَعْهَا عَلَى الشَّوْقِ تَصبِرْ
لَوْ سُمْتَها الهَجْرَ ما تَوَلَّتْ ولمْ تَكُنْ عَنكَ تَنفِرْ
عَلَّمَها الصَّبْرَ فى الحُرُوبِ سُـلطَانُنا عَاقِدُ البُنُودْ
مُعَفِّـرُ الصِّيدِ لِلجُنُوبِ أَعَزُّ مَنْ حُفَّ بِالجُنُـــودْ

---

(١) فى نفح الطيب المخطوط: «البرق».
(٢) فى م: «أجفانها».

نُصِرْتَ بالرُّعْبِ فى القُلُوبِ وَالبِيضُ لَمْ تَبْرَحِ الغُمُودْ
عِنَايَةُ اللهِ فِيهِ حَلَّتْ(١) بِسَعْدِهِ الدِّينُ يُنْتَصَرْ
وَالخَلْقُ فى عَصْرِهِ تَمَلَّتْ غَنَائِمًا لَيْسَ تُحْصَرْ
مَوْلَاىَ يَا نُكْتَةَ الزَّمَانِ دَارَ بِمَا تَرْتَضِى الفَلَكْ
جَلَّتْ بِالْيُمْنِ وَالأَمَانِ كُلَّ مَلِيكٍ وَمَا مَلَكْ
لَمْ يَدْرِ وَصْفِى ولا عِيَانِى أَمُلْكُ(٢) أَنْتَ أَمْ مَلَكْ
جُنُودُكَ الغُلْبُ حَيْثُ حَلَّتْ بِالنَّصْرِ وَالفَتْحِ تُخْفَرْ
وَعَادَةُ اللهِ فِيكَ دَلَّتْ أَنَّكَ بِالكُفْرِ تَظْفَرْ
يَا آيَةَ اللهِ فِى الكَمَالِ وَمُخْجِلَ البَدْرِ فِى التَّمَامْ
قَدِمْتَ بِالعِزِّ وَالجَلَالِ وَالدَّهْرُ فِى ثَغْرِهِ ابْتِسَامْ
تَخْتَالُ فِى حُلَّةِ الجَمَالِ وَالبَدْءُ قَدْ عَادَ فِى اخْتِتَامْ

[٣٠٦]

رَيْحَانَةُ الفَجْرِ قَدْ أَطَلَّتْ خَضْرَاءَ بِالزَّهْرِ تَزْهَرْ
وَرَايَةُ الصُّبْحِ إِذْ أَظَلَّتْ فِى مَرْقَبِ الشَّرْقِ تُنْشَرْ

ومن موشح فى الصبوح أيضا

وقال رحمه الله تعالى وسامحه :

قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ الصَّبَاحِ وَآذَنَ اللَّيْلُ بِالرَّحِيلْ
فَبَاكِرِ الرَّوْضَ بِاصْطِبَاحِ وَاشْرَبْ عَلَى زَهْرِهِ البَلِيلْ
فَالْوُرْقُ هَبَّتْ مِنَ السِّنَاتِ(٣) لِمِنْبَرِ الدَّوْحِ(٤) تَخْطُبْ

(١) فى نفح الطيب : « جات » .
(٢) فى ط : « أملك » .
(٣) فى م والنفح المخطوط : « الثبات » . وظاهر أنها محرفة عن « السبات » .
(٤) فى ط : « الروض » .

تسجع مفتنة اللغات ... كل عن الشوق يعرب

والغصن بعد الذهاب يأتى ... لأكؤس الطل يشرب

وأدمع السحب فى انسياح ... فى كل روض لها سبيل[(١)]

والجو مستبشر النواحى ... يلعب بالصارم الصقيل

قم فاغتنم بهجة النفوس ... ما بين نور وبين نور

وشفع الصبح بالشموس ... تديرها بيننا البدور

ونبه الشرب للكئوس ... تمزج من ريقه الثغور

ما أجمل الراح فوق راح ... صفراء كالشمس فى الأصيل

تغادر الصدر ذا انشراح ... للأنس فى طيفه[(٢)] مقيل

ولا تذر خمرة الجفون ... فسكرها فى الهوى جنون

ولتخش من أسهم العيون ... فإنها رائد المنون

عرضت منها إلى الفتون ... وكل خطب لها يهون

أهيم بالغادة الرداح ... والجسم من حبها عليل

لو بت منها على اقتراح ... نقعت من ريقها الغليل

أواعد الطيف للمنام ... ومن لعينى بالمنام

أسهر فى ليلة التمام ... وأنت يا بدر فى التمام

وألثم الزهر فى الكمام ... عليه من ثغرك ابتسام

---

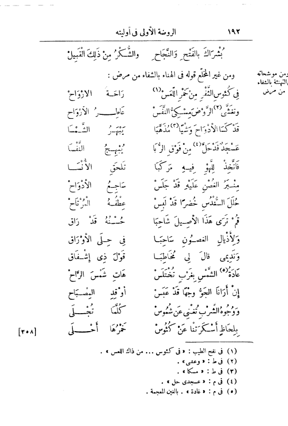
(١) كذا فى النفح المطبوع والمخطوط . وفى ط : « مثيل » . وفى م : « يميل » . وظاهر أن كلتا الروايتين محرف عما أثبتناه .

(٢) كذا فى ط . وفى م : « طبعه » . وفى النفح المطبوع والمخطوط : « طيه » .

سَفَرَتْ عَنْ مَبْسِمِ الأَقَاحِ ... وَرِيقُكَ العَذْبُ سَلْسَبِيلْ
قُلْ لِي يَارَبَّةَ الوِشَاحِ ... هَلْ لِي إِلَى الوَصْلِ مِنْ سَبِيلْ
يَا كَعْبَةَ الحُسْنِ زِدْتِ حُسْنَا ... وَلِلهَوَى حَوْلَكِ الْمَطَافْ
وَغُصْنَ بَانٍ إِذَا تَثَنَّى ... لَوْ حَانَ[1] مِنْ زَهْرِكِ القِطَافْ
[٣٧٥] أَلَا انْعِطَافٌ عَلَى الْمُعَنَّى ... فَالْغُصْنُ يَزْهُو بِالانْعِطَافْ
أَصْبَحْتَ تَزْهُو عَلَى المِلَاحِ ... بِذَلِكَ الْمَنْظَرِ الجَمِيلْ
وَوَجْهُكَ الشَّمْسُ فِي اتِّضَاحِ[2] ... لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَمِيلْ
مَا الزَّهْرُ إِلَّا بِنَظْمِ دُرِّ ... تَحْسُدُ[3] فِي حُسْنِهِ العُقُودْ
لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ الأَغَرِّ ... أَكْرَمِ مَنْ حُفَّ بِالسُّعُودْ
مُحَمَّدِ الحَمْدِ وَابْنِ نَصْرِ ... وَبَاسِطِ العَدْلِ فِي الوُجُودْ
مُسَاجِلِ السُّحْبِ فِي السَّمَاحِ ... بِالغَيْثِ مِنْ رِفْدِهِ[4] الجَلِيلْ
وَمُخْجِلِ البَدْرِ فِي اتِّضَاحِ ... بِغُرَّةٍ مَا لَهَا مَثِيلْ
يَا مُشْرِبَ الحُبِّ فِي القُلُوبِ ... وَوَاهِبَ الصَّفْحِ لِلصِّفَاحْ
نُصِرْتَ بِالرُّعْبِ فِي الحُرُوبِ ... وَالرُّعْبُ أَجْدَى[5] مِنَ السِّلَاحْ
قَدْ لُحْتَ مِنْ عَالَمِ الغُيُوبِ ... لَمْ تَعْدَمِ الفَوْزَ وَالنَّجَاحْ[6]
مَرَّاكُشُ نُهْبَةُ افْتِتَاحِ ... وَالصُّنْعُ فِي فَتْحِهَا جَلِيلْ

---

(١) فى ط : « كان » .
(٢) فى م : « فى اتضاح » .
(٣) فى ط « تسكر » وهو تحريف .
(٤) فى ط : « رفقه » وهو تحريف .
(٥) فى الأصلين : « أجرى » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٦) فى م ونفح الطيب المطبوع : « والفلاح » .



بُشْرَاكَ بالفَتْحِ وَالنَّجَاحِ   والشُّكْرُ مِنْ ذَلِكَ القَبِيلْ

ومن موشحاته فى التهنئة بالشفاء من مرض

ومن غير المخلّع قوله فى الهناء بالشفاء من مرض :

فِي كُئُوسِ الثَّغْرِ مِنْ خَمْرِ اللَّعَسْ[(١)]   رَاحَـةُ الارْوَاحْ

وتغشَّى[(٢)] الرَّوْضَ مِسْكِيُّ النَّفَسْ   عَاطِــرُ الأَرْوَاح

قَدْ كَسَا الأَدْوَاحَ وَشْيًا[(٣)] مُذْهَبَا   يَبْهَـرُ الشَّـمْسَا

عَسْجَدٌ قَدْ حَلَّ[(٤)] مِنْ فَوْقِ الرُّبَا   يُبْهِـجُ النَّفْسَا

فَاتَّخِذْ لِلَّهْوِ فِيـهِ مَرْكَبَا   تَلحَقِ الأُنْسَـا

مِنْـبَرُ الغُصْنِ عَلَيْهِ قَدْ جَلَسْ   سَاجِـعُ الأَدْوَاحْ

حُلَلَ السُّنْدُسِ خُضْرًا قَدْ لَبِسْ   عِطْفُـهُ المُرْتَاحْ

قُمْ تَرَى هَذَا الأَصِيلَ شَاحِبَا   حُسْـنُهُ قَدْ رَاق

وَلِأَذْيَالِ الغصُونِ سَاحِبَا   فِي حِلَى الأَوْرَاق

وَنَدِيمِى قالَ لِي مُخَاطِبَا   قَوْلَ ذِى إِشْـفَاق

عَادَةُ[(٥)] الشَّمْسِ بِغَرْبٍ تُخْتَلَسْ   هَاتِ شَمْسَ الرَّاحْ

إِنْ أَرَانَا الجَوُّ وجْهًا قَدْ عَبَسْ   أَوْقِدِ المِصْبَاح

وَوُجُوهُ الشَّرْبِ تُغْنِي عَنْ شُمُوسْ   كُلَّمَا تُجْــلَى

بِلِحَاظٍ أَسْكَرَتْنَا عَنْ كُئُوسْ   خَمْرُهَا أَحْــلَى

[٣٠٨]

---

(١) فى نفح الطيب : « فى كئوس ... من ذاك اللعس » .
(٢) فى ط : « وعشى » .
(٣) فى ط : « مسكا » .
(٤) فى م : « عسجدى حل » .
(٥) فى م : « غادة » . بالغين المعجمة .

مُظهِرَاتٍ مِنْ خَبَايَا[1] فِي النفوسْ ... سُـورًا[2] تُتْـلَى

مَا زَمَانُ الأُنْسِ إِلَّا مُخْتَلَسْ ... فَاغْتَنِمْ يَا صَاحْ

وَعُيُونُ الشُّهْبِ تُذْكِى عَنْ حَرَسْ ... تَخْصِمُ النُّصَّاحْ

مَا تَرَى ثَغْرَ الوَمِيضِ بَاسِمَا ... يُظْهِرُ البِشْرَا

وَثَنَاءَ الرَّوْضِ هَبَّ نَاسِمَا ... عَاطِـرًا نَشْرَا

بَثَّ مِنْ أَزْهَارِهِ دَرَاهِمَا ... قَائِلًا بُشْرَى

رَكِبَ الْمَوْلَى مَعَ الظُّهْرِ الفَرَسْ ... وَشُفِي[3] وَارْتَاحْ

بِجُنُودِ اللهِ دَأْبًا يُحْتَرَسْ ... إِنْ غَـدَا أَوْ رَاحْ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا وَالْهَنَا ... بَعْضُنَا بَعْضَـا

فَزَمَانُ السَّعْدِ وَضَّاحُ السَّنَى ... وَجْهُـهُ الْأَرْضَى

أَثْمَرَتْ فِيهِ العَوَالِى بِالْمُنَى[4] ... ثَمَـرًا غَضًّا

يَجْتَنِى الإِسْلَامُ مِنْهَا مَا اغْتَرَسْ ... سَيْفُهُ السَّـفَّاحْ

فِي ضَمِيرِ النَّقْعِ مِنْهَا قَدْ هَجَسْ ... شُهُبٌ تَلْتَاحْ

يَا إِمَامًا بِالْحُسَامِ الْمُنْتَضَى ... نَصَرَ الْحَقَّا

ثَغْرُكَ الوَضَّاحُ مَهْمَا أَوْمَضَا ... أَخْجَـلَ البَرْقَا

وَدُيُونُ السَّعْدِ مِنْهُ تُقْتَضَى ... تُوسِعُ الحَقَّا

لَكَ وَجْهٌ مِنْ صَبَاحٍ مُقْتَبَسْ ... بِشْرُهُ وَضَّـاحْ

---

(١) فى نفح الطيب : « خفايا » .

(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « سورة » .

(٣) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « وسق » .

(٤) فى الأصلين : « بالهنا » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .

وَجَمِيلُ الصَّفْحِ مِنْهُ مُلْتَمَسْ مُنْعِمٌ صَــفَّاحْ
هَاكَهَا تُمْزَجُ لُطْفًا بِالنَّسِيمْ كُلَّمَا هَبَّا
قَدْ أَتَتْ بِالبُرْءِ وَالصُّنْعِ الجَسِيمْ تَشْكُرُ الرَّبَّا
أَخْجَلَتْ مَنْ قَالَ فِي الصُّبْحِ الوَسِيمْ مُغْرَمًا صَـبًّا
«غَرَّدَ الطَّيْرُ فَنَبِّهْ مَنْ نَعَسْ» يَا مُـدِيرَ الرَّاحْ
«وَتَعَرَّى الفَجْرُ عَنْ ثَوْبِ الغَلَسْ»(١) وَانْجَلَى الإِصْبَاحْ

موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء

وقال فى الهناء بالشفاء أيضاً ، من مُخَلَّع البسيط :

قَدْ أَنْعَمَ اللهُ بِالشِّـفَاءِ وَاسْتَكْمَلَتْ رَاحَــةُ الإِمَامْ [٣٠٩]
فَلْتَنْطِقِ الطَّـيْرُ بِالهَنَاءِ وَلْيَضْحَكِ الزَّهْرُ فِي الكِمَامْ
وُجُودُهُ بَهْجَــةُ الوُجُودِ وَبُرْؤُهُ رَاحَــةُ النُّفُوسْ
قَدْ لَاحَ فِي مَرْقَبِ السُّعُودِ وَاسْتَبْشَرَتْ أَوْجُهُ الشُّمُوسْ
فَالدَّوْحُ يُومِي إِلَى السُّجُودِ أَكْمَامُهُ حَطَّتِ(٢) الرُّءُوسْ
وَالزَّهْرُ فِي رَوْضَةِ السَّمَاءِ كَالزَّهْرِ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامْ
وَالصُّبْحُ مُسْتَشْرِفُ اللِّوَاءِ وَالبَدْرُ مُسْتَقْبِلُ التَّمَامْ
مَحَاسِنُ الكَوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ جَمَالُهَا العَقْــلَ يَبْهَرُ
عَرَائِسٌ بِالبَهَا تَحَلَّتْ وَالطَّلُّ فِي الحَلْيِ جَوْهَرُ
وَأَلْسُنُ الوُرْقِ قَدْ أَمَلَّتْ مَدَائِحًا عَنْــهُ تَشْكُرُ
تَسْتَوْقِفُ الخَلْقَ بِالغِنَاءِ كَأَنَّهَا تُحْسِنُ الكَلَامْ

---

(١) هــذا الشطر والذى فوقه من بيتين لابن وكيع فى مقطوعة له وردها ابن منظور فى كتاب « نثار الأزهار فى الليل والنهار » ، ونص البيتين فيه (صفحة ٨٤ طبعة الجوائب) :

« غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى وتعرى الصبح من قمص الغلس »

(٢) فى الأصلين ونفح الطيب : « غطت » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

تُطْنِبُ لِلّهِ فِي الثَّنَـاءِ تَقُولُ : سَلِمْتَ يَا سَـلَامْ
كَمْ مِنْ ثُغُورٍ لَهَا ثُغُورُ تَبْسِمُ إِذْ جَاءَهَا الْبَشِـيـرُ
وَمِنْ خُـدُورٍ بِهَا بُدُورُ يُشِيرُ مِنْهَا لَهُ الْمُشِـيـرُ
تَقُولُ إِذْ حَفَّهَا السُّرُورُ تَبَارَكَ الْمُنْعِمُ الْقَـدِيـرُ
قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ بِالْبَقَاءِ فِي ظِلِّ مَوْلًى بِهِ اعْتِصَامْ
قَدْ صَادَفَ النُّجْحَ فِي الدَّوَاءِ فَالدَّاءُ عَنَّا لَهُ انْفِصَامْ
يَهْنِيـكَ مَوْلَايَ بَلْ يُهَنَّا بُرْؤُكَ الدِّينُ وَالْهُـدَى
فَالْقُرْبُ وَالشَّرْقُ مِنْكَ يُعْنَى بِمَذْهَبِ الْخَطْبِ وَالرَّدَى
وَاللّهِ لَوْلَاكَ مَا تَهَنَّا مَنْ فِيهِ مِنْ سَطْوَةِ الرَّدَى
يَا مَوْرِدَ الْأَنْفُسِ الظِّمَاءِ قَدْ كَانَ يَشْتَفِهَا الْأُوَامْ
وَقُرَّةَ الْعَـيْنِ بِالْبَهَاءِ رَدَدْتَ لِلْأَعْيُنِ الْمَنَامْ
لَوْ أَبْذُلُ الرُّوحَ فِي الْبِشَارَةْ بَذَلْتُ بَعْضَ الَّذِي مَلَكْ
فَأَنْتَ يَا نَفْسُ مُسْـتَعَارَةْ مَوْلَاكَ بِالْفَضْـلِ جَمَّـلَكْ
لِمْ أَدْرِ إِذْ أَسْطُرُ الْعِبَارَةْ أَمَلَاكُ هُـوَ أَمْ مَلَكْ
لَازِلْتَ مَوْلَايَ فِي هَنَاءِ تَبْلُغُ الْقَصْـدَ وَالْمَرَامْ
وَدُمْتَ لِلْمُلْكِ فِي اعْتِلَاءِ تَسْحَبُ أَذْيَالَهُ الْغَمَامْ

[٣٦٠]

موشحة له فى وصف مالقــة ومدح الغنى بالله

وقال أيضاً يصف مالقة ويمدح الغنيّ بالله :

عَلَيْـكِ يَا رَبَّةَ السَّـلَامْ وَلَا عَدَا رَبْعَكِ الْمَطَرْ
مُذْ حَلَّ فِى قَصْرِكِ الْإِمَامْ فَقُرْبُكِ السُّؤْلُ وَالْوَطَرْ
كَمْ فِيـكِ لِلْمُغْرَمِ الْمَشُوقِ مِنْ مَنْظَرٍ يُبْهِجُ النُّفُوسْ

وَالدَّوْحُ فِي رَوْضِكَ الأَنِيقِ ... لِلشُّكْرِ قَدْ حَطَّتِ الرُّءُوسْ
وَالجَوُّ مِنْ وَجْهِكَ الشَّرِيقِ ... تَحْسُدُهُ أَوْجُهُ الشُّمُوسْ
وَأَعْيُنُ الزُّهْرِ لَا تَنَامُ ... تَسْتَعْذِبُ السُّهْدَ وَالسَّهَرْ
تَنْفُثُ مِنْ تَحْتِهَا الغَمَامُ ... تَرْقِيكَ مِنْ أَعْيُنِ الزَّهَرْ[1]
عَرُوسَةٌ أَنْتَ يَا عَقِيلَهْ ... تُجْلَى عَلَى مَظْهَرِ الكَمَالْ
مُدَّتْ لَكَ الكَفُّ مُسْتَقِيلَهْ ... تَمْسَحُ أَعْطَافَكَ الشَّمَالْ
وَالبَحْرُ مِرْآتُكَ الصَّقِيلَهْ ... تَشِفُّ عَنْ ذَلِكَ الجَمَالْ
وَالحَلْيُ زَهْرٌ لَهُ انْتِظَامُ ... يُكَلِّلُ القُضْبَ بِالدُّرَرْ
قَدْ رَاقَ مِنْ ثَغْرِهِ ابْتِسَامُ ... وَالوَرْدُ فِي خَدِّهَا خَفَرْ
إِنْ قِيلَ مَنْ بَعْلُهَا المُفَدَّى ... وَمَنْ لَهُ وَصْلُهَا مُبَاحْ
أَقُولُ أَسْنَى[2] المُلُوكِ رِفْدَا ... مُحَمَّدٌ الفَخْرِ بِالصِّفَاحْ
مُحَمَّدُ الحَمْدِ حِينَ يُهْدَى ... تُنَاوِؤُهُ عَاطِرَ الرِّيَاحْ
تُخْبِرُ عَنْ طِيبِهِ الكِمَامُ ... وَالخُبْرُ يُغْنِي عَنِ الخَبَرْ
فَالسَّعْدُ وَالرُّعْبُ وَالحُسَامُ ... وَالنَّصْرُ آيَاتُهُ الكُبَرْ
ذُو غُرَّةٍ تَسْحَرُ البُدُورَا ... وَطَلْعَةٍ تُخْجِلُ الصَّبَاحْ
كَمْ رَايَةٍ سَامَهَا ظُهُورَا ... تُظَلِّلُ الأَوْجُهَ الصِّبَاحْ
وَكَمْ ظَلَامٍ[3] جَلَاهُ نُورَا ... أَظْفَرَ بِالفَوْزِ وَالنَّجَاحْ
الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الهُمَامُ ... أَعَزُّ مَنْ صَالَ وَافْتَخَرْ

(١) فى م : « البقر » .
(٢) فى ط : « أهنا » .
(٣) فى نفح الطيب : « جهاد » .

[٣٦١]

لِسَيْفِهِ فِي الْعِدَا احْتِكَامُ　　جَرَى بِهِ سَابِقُ الْقَدَرْ
يَا مُرْسِلَ الْخَيْلِ فِي الغِوَارِ[١]　　لَوْ تَطْلُبُ الْبَرْقَ تَلْحَقُ
لَكَ الْجَوَارِى إِذَا تُجَارِى　　سَوَابِقَ الشُّهْبِ تَسْبِقُ
تَسْتَنُّ فِي لُجَّةِ الْبِحَارِ　　فَالْكُفْرُ مِنْهُنَّ يَفْرَقُ
فَالدِّينُ وَلْيُقْصِرِ الْكَلَامُ　　بِسَيْفِكَ اعْتَزَّ وَانْتَصَرْ
كَذَاكَ أَسْلَافُكَ الْكِرَامُ　　هُمْ نَصَرُوا سَيِّدَ الْبَشَرْ

موشحة له فى وصف بناء المحدث بمالقة

وقال من غير هذا البحر فى المحدَث[٢] بمالَقَة :

قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ انْتِظَامْ　　وَاغْتَنَمَ الأَحْبَابُ قُرْبَ الْحَبِيبْ
وَاسْتَضْحَكَ الرَّوْضُ ثُغُورَ الكِمَامْ[٣]　　عَنْ مَبْسِمِ الزَّهْرِ الْبَرُودِ الشَّنِيبْ
وَعَمَّمَ النَّوْرُ رُءُوسَ الرُّبَا　　وَجَلَّلَ النُّورُ صُدُورَ الْبِطَاحْ
وَصَافَحَ الْقُضْبَ نَسِيمُ الصَّبَا　　فَالزَّهْرُ يَرْنُو عَنْ عُيُونٍ وِقَاحْ
وَعَادَ لِلرَّوْضِ زَمَانُ الصِّبَا　　فَقَلَّدَ النَّهْرَ[٤] مَكَانَ الْوِشَاحْ
وَأَطْلَعَ الْقَصْرُ بُدُورَ التَّمَامْ　　فِي طَالِعِ الْفَتْحِ الْقَرِيبِ الغَرِيبْ
خُدُورُهَا قَامَتْ مَقَامَ الغَمَامْ　　لَا أَشْتَكِى مِنْ بُعْدِهَا بِالْمَغِيبْ
أَصْبَحْتِ يَا رَبَّةَ مَجْلَى الشُّمُوسْ　　جَمَالُكِ الْعَيْنُ بِهِ تُبْهَرُ
وَالْبِشْرُ يَسْرِى فى جَمِيعِ النُّفُوسْ　　وَرَايَةُ الأُنْسِ بِهَا تُنْشَرُ
وَالدَّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحُطُّ الرُّءُوسْ　　وَأَنْجُمُ الزُّهْرِ بِهَا تَزْهَرُ

---

(١) الغوار (بالكسر) : الإغارة .
(٢) المحدث : اسم مبنى عجيب كان بمالقة .
(٣) فى الأصلين ونفح الطيب : « الغمام » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .
(٤) فى الأصلين ونفح الطيب : « وعاود النهر ... فقلد الزهر » ، وما أثبتناه أولى بالسياق .

وَرَاجَعَ النَّهْرُ غِنَاءَ الحَمَامْ وَقَدْ شَدَتْ تَسْجَعُ سَجْعَ الخَطِيبْ
بِمِنْبَرِ الغُصْنِ الرَّشِيقِ القَوَامْ لَمَّا انْثَنَى يَهْفُو بِقَدٍّ رَطِيبْ
يَا حَبَّذَا مَبْنَاكَ فَخْرُ القُصُورْ بِدَوْحِهِ طَالَتْ بُرُوجُ السَّمَا
مَا مِثْلُهُ فِي سَالِفَاتِ العُصُورْ وَلَا الَّذِي شَادَ ابْنُ مَاءِ السَّمَا
كَمْ فِيهِ مِنْ مَرْأًى بَهِيجٍ[1] وَنُورْ فِي مُرْتَقَى الجَوِّ بِهِ قَدْ سَمَا
خَلِيفَةُ اللهِ وَنِعْمَ الإِمَامْ أَتْحَفَكَ الدَّهْرُ بِصُنْعٍ عَجِيبْ
يَهْنِيكَ شَمْلٌ قَدْ غَدَا فِي التَّمَامْ مُمَهَّدٌ فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَصِيبْ
نَوَاسِمُ الوَادِي بِمِسْكٍ تَفُوحْ وَنَفْحَةُ النَّدِّ بِهِ تَعْبَقُ [٣٦٢]
وَبَهْجَةُ السُّكَّانِ فِيهِ تَلُوحْ وَجَوُّهُ مِنْ نُورِهِمْ[2] يُشْرِقُ
وَرَوْضُهُ بِالسِّرِّ مِنْهُ تَبُوحْ بَلَابِلٌ عَنْ وَجْدِهِ تَنْطِقُ
لَوْ أَنَّ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهَا الكَلَامْ فَهْيَ تُهَنِّيكَ هَنَاءَ الأَدِيبْ
وَنَهْرُهُ قَدْ سُلَّ مِنْهُ الحُسَامْ يَلْحَظُهُ النَّرْجِسُ لَحْظَ المُرِيبْ
فَأَجْمَلُ الأَيَّامِ عَصْرُ الشَّبَابْ وَأَجْمَلُ الأَجْمَلِ يَوْمُ اللِّقَا
يَا دُرَّةَ القَصْرِ وَشَمْسَ القِبَابْ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ فِي المُلْتَقَى
بَشَّرَكَ الرَّبُّ بِحُسْنِ المَآبْ مَتَّعَكَ اللهُ بِطُولِ البَقَا
وَلَا يَزَالُ القَصْرُ قَصْرُ السَّلَامْ يَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ القَشِيبْ
يَتْلُو عَلَيْكَ الدَّهْرُ فِي كُلِّ عَامْ: « نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ »

(١) فى ط : « جيل » .
(٢) فى م : « وبهجة الشكاة ... نوها » .
(٣) فى م : « ما أجل » .

موشحة أخرى في الهناء بالشفاء

وقال — رحمه الله — من المُخَلَّع في الشفاء :

فِي طَالِعِ الْيُمْنِ وَالسُّعُودِ قَدْ كَمُلَتْ رَاحَةُ الإِمَامْ
فَأَشْرَقَ النُّورُ فِي الْوُجُودِ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ فِي الْكِمَامْ
قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ النَّجَاحِ وَانْهَزَمَ الْبَأْسُ وَالْعَنَا
وَقَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ مُؤَذِّنُ الْفَوْزِ[1] بِالْمُنَى
فَالدَّهْرُ يَأْتِي بِالاقْتِرَاحِ مُسْتَقْبِلاً أَوْجُهَ الْهَنَا
تَخْفِقُ مَنْشُورَةَ الْبُنُودِ وَالسَّعْدُ يَقْدُمُ مِنْ أَمَامْ
وَالأُنْسُ مُسْتَجْمِعُ الْوُفُودِ وَاللُّطْفُ مُسْتَعْذَبُ الْجِمَامْ
وَأَكْؤُسُ الطَّلِّ مُتْرَعَاتْ بِأَنْمُلِ السَّوْسَنِ النَّدِي
وَالطَّيْرُ مُفْتَنَّةُ اللُّغَاتْ تَشْدُو بِأَصْوَاتِ مَعْبَدِ
وَالْغُصْنُ يَذْهَبُ ثُمَّ يَاتْ بِالسُّنْدُسِ الْغَضِّ مُرْتَدِي
وَالدَّوْحُ يُومِي إِلَى السُّجُودِ شُكْرًا لِذِي الأَنْعُمِ الْجِسَامْ
وَالرِّيحُ خَفَّاقَةُ الْبُنُودِ تُبَاكِرُ الرَّوْضَ بِالْغَمَامْ
مَظَاهِرُ الْجَمَالِ تُجْتَلَى قَدْ هَزَّ أَعْطَافَهَا السُّرُورْ
وَبَاهِرُ الْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نُورْ
قَدْ هَنَّأَتْ بِالشِّفَاءِ مَوْلَى بِعَصْرِهِ تَفْخَرُ الْعُصُورْ
مَا بَيْنَ بَاسٍ وَبَيْنَ جُودِ قَدْ مَهَّدَ الأَمْنَ لِلأَنَامْ
فَالدِّينُ ذُو أَعْيُنٍ رُقُودِ وَكَانَ لَا يَطْعَمُ الْمَنَامْ
وَالْكَأْسُ فِي رَاحَةِ السُّقَاةِ تَرُوحُ طَوْرًا وَتَغْتَدِي

[٣٦٣]

---

(١) فى نفح الطيب : « الفوم » .

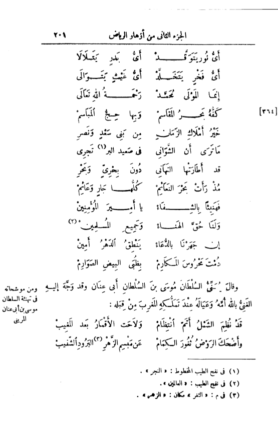
يُهْدِيكَهَا رَائِقُ السِّمَاتِ ... مَا بَيْنَ بَرْقٍ وَفَرْقَـــدِ
وَالشَّمْسُ تَذْهَبُ الْبَيَانِ ... قَدْ لَبِسَتْ ثَوْبَ عَسْجَدِ
وَالزَّهْرُ فِي الْيَانِعِ الْمَجُودِ ... يُقَابِلُ الشَّرْبَ بِابْتِسَامِ
وَالرَّوْضُ مِنْ حِلْيَةِ الْغُمُومِ ... قَدْ جَرَّدَ النَّهْرَ عَنْ حُسَامِ
مَوْلَايَ يَا أَشْرَفَ الْمُلُوكِ ... وَعِصْمَةَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينْ
أَهْدِيكَ مِنْ جَوْهَرِ السُّلُوكِ ... يَقْذِفُهُ بَحْرُكَ الْمَعِـــينْ
جَعَلْتُ تَنْظِيمَهُ سُـــلُوكِي ... وَأَنْتَ لِي الْمُنْجِدُ الْمُعِينْ
تَحِيَّةَ الْوَاحِدِ الْمَجِيـــدِ ... وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّـــلَامْ
عَلَيْكَ مِنْ رَاحِمٍ وَدُودِ ... يَا مُخْجِلَ الْبَدْرِ فِي التَّمَامْ

موشحة أخرى فى الهناء بالشفاء

وقال رَحِمَهُ اللهُ تعالى من الرمل المَجْزُوء :

وَجْهُ هَذَا الْيَوْمِ بَاسِمْ ... وَشَـذَا الْأَزْهَارِ نَاسِمْ
هَاتِهَا [صاح] (١) كُئُوسَا ... جَالِبَـــاتٍ لِلسُّرُورْ
وَارْتَقِبْ مِنْهَا شُمُوسَا ... طَالِعَـــاتٍ فِي بُدُورْ
مَا تَرَى الرَّوْضَ عَرُوسَا ... فِي حُلَى نَوْرٍ وَنُورْ
وَأَتَتْ رُسْلُ النَّوَاسِمْ ... تَجْتَـلِي هذى الْمَوَاسِمْ
قَدْ أَهَلَّتْ بِالْبِشَائِرْ ... أَضْحَكَتْ ثَغْرَ الْأَزَاهِرْ
سَنَحَتْ فِي يُمْنِ طَائِرْ ... وَنُظِمْنَ كَالْجَـوَاهِرْ
فَانْشُرُوهَا فِي الْعَشَائِرْ ... إِنَّ هَذَا الصُّنْعَ بَاهِرْ
وَأَشِيعُوا فِي الْعَوَالِمْ ... الْغَنِيُّ بِاللَّهِ سَـــالِمْ

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .



[٣٦٤]

أَىُّ نُورٍ يَتَوَقَّدْ أَىُّ بَدرٍ يَتَلَالَا

أَىُّ فَخرٍ يَتَخَلَّدْ أَىُّ غَيثٍ يَتَوَالَى

إنَّمَا المَوْلَى مُحَمَّدْ رَحْمَةُ اللهِ تعَالَى

كَفُّهُ بَحرُ المَقَاسِمْ وَبِهَا حِجُّ المَبَاسِمْ

خَيْرُ أَمْلَاكِ الزَّمَانِ مِن بَنِى سَعْدٍ وَنَصرِ

مَا تَرَى أن الشَّوَانِى فى صَعِيد البر(١) تَجرِى

قد أَطَارَتْهَا التَّهَانِى دُونَ بِخرِىّ وَبَحْرِ

مُذْ رَأَتْ بَحْرَ النعَائِمْ كُلُّهَا جَارٍ وَعَائِمْ

فَهَنِيئاً بِالشِّفَاءْ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينْ

وَلَنَا حُقَّ الهَنَاءْ وَجَمِيعِ المُسلِمِين(٢)

إن جَهَرْنَا بالدُّعَاءْ يَنْطِقُ الدَّهرُ أَمِينْ

دُمْتَ مَحْرُوسَ المَكَارِمْ بِظُبَى البِيضِ الصَّوَارِمْ

ومن موشحاته فى تهنئة السلطان موسى بن أبى عنان المرينى

وقالَ يُهَنِّئُ السُّلْطَانَ مُوسَى بنَ السُّلْطانِ أَبِى عِنَان وقد وَجَّهَ إليهِ الغَنِىُّ بالله أُمَّهُ وَعِيَالَهُ عِنْدَ تَمَلُّكِهِ المَغرِبَ مِنْ قِبَله :

قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ انْتِظَامْ وَلَاحَت الأَقْمَارُ بعد المَغِيبْ

وأَضْحَكَ الرَّوْضُ ثُغُورَ الكِمَامْ عَنْ مَبْسِمِ الزَّهرِ(٣) البَرُودِ الشَّنِيبْ

---

(١) فى نفح الطيب المخطوط : « النجر » .

(٢) فى نفح الطيب : « العالمين » .

(٣) فى م : « الثغر » مكان : « الزهر » .

وَعَاوَدَ الغُصْنَ زَمَانُ الصِّبَا وَأُشْرِبَ الأُنْسَ جَمِيعُ النُّفُوسْ
وعَمَّ[1] النَّوْرُ رُءوسَ الرُّبَا وَجَلَّلَ[2] النَّوْرُ وُجُوهَ الشُّمُوسْ
وأَطْرَبَ الغُصْنَ نَسِيمُ الصَّبَا فَالدَّوحُ لِلشُّكْرِ[3] حُطُّ الرُّءوسْ
وَاسْتَقْبَلَ البَدْرُ لَيَالِي التَّمَامْ وصَافَحَ الصُّبْحَ بِكَفٍّ خَضِيبْ
وَرَاجَعَ الأَطْيَارُ سَجْعَ الحَمَامْ بِكُلِّ ذِى لَحْنٍ بَدِيعٍ غَرِيبْ
نَوَاسِمُ الوَادِى بِمِسْكٍ تَفُوحْ وَنَفْحَةُ النَّـــدِّ بِهِ تَعْبَقُ
وَبَهْجَةُ السُّكَّانِ مِنْهُ تَلُوحْ وَجَوُّهُ مِنْ نُورِهِمْ يُشْرِقُ
وَعَرْفُهُ بِأَطْيَبٍ مِنْهُمْ يَفُوحْ كَأَنَّهُ عن عَنْــبَرٍ يُفْتَقُ
وَالنَّهْرُ قَدْ سُلَّ كَمِثْلِ الحُسَامْ حَبَابُهُ تَطْفُو وَطَوْرًا تَغِيبْ
وَثَغْرُهَا قَدْ رَاقَ مِنْـهُ ابْتِسَامْ يُهْدِى الأَحْبَابَ قُرْبَ الحَبِيبْ
كَوَاكِبُ أَبْرَاجُهُنَّ الخُـدُورْ يَلُوحُ عَنْهَا كُلُّ بَدْرٍ لِيَاحْ
جَوَاهِرُ أَصْـدَافُهُنَّ القُصُورْ نَظَامُهَا السَّعْدُ كَنَظْمِ الوِشَاحْ
يَا حَبَّذَا وَاللهِ رَكْبُ السُّرُورْ يُبَشِّرُ المَوْلَى بِنَيْـلِ اقْتِرَاحْ

[٣٦٥]

ابْتَهَجَ الكَوْنُ بِمُوسَى الإِمَامْ وَاخْتَالَ فِى بُرْدِ الشَّبَابِ القَشِيبْ
وَعَادَهُ يَخْدُمُ مِثْلَ الغُـلَامْ شَبَابُهُ قَدْ عَادَ بَعْدَ المَشِيبْ
أَكْرِمْ بِهِ وَاللهِ وَفْدِ الكَرِيمْ مَوْلَانُنَا «الحُرَّةُ» فِى مَقْدَمِهْ
مَرْضَاتُهَا[4] نُحظِى بِدَارِ النَّعِيمْ وَتُوجِبُ التَّوْفِيقَ مِنْ مُنْعِمِهْ

(١) فى نفح الطيب : «وجم» .
(٢) فى ط : «جل» ، وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .
(٣) كذا فى الأصلين والنفح المطبوع . وفى النفح المخطوط : «للسكر» .
(٤) فى ط : «مرضاته» . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

بَشَّرَ بالنَّصرِ [1] وفتحٍ جَسِيمْ ... وَخَيْرُهُ أجمعُ فى مَقْدَمِهْ

لِقَاؤُهَا المَبْرُورُ مِسْكُ الخِتَامْ ... بَشَّرَكَ اللهُ بِصُنْعٍ عَجِيبْ

وَقصرُكَ المَيْمُونُ قصرُ السَّلامْ ... خُصَّ بحِفْظٍ مِنْ سَمِيعٍ مُجِيبْ

مَوْلَاىَ يَهْنِيكَ وَحَقَّ الهَنَا ... قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ كَنَظْمِ السُّعُودْ

قَدْ فُزْتَ بالفخرِ وَنَيْلِ المُنَى ... وَأَنْجَزَ السَّعْدُ جَمِيعَ الوُعُودْ

وَقَرَّتِ العَيْنُ وَزَالَ العَنَا ... وَكُلَّمَا مَرَّ صَنِيعٌ يَعُودْ

فَلَا يَزَلْ مُلْكُكَ حِلْفَ الدَّوَامْ ... يَحُوزُ فى التَّخْلِيدِ أَوْفَى نَصِيبْ

يَتْلُو عَلَيْكَ الدَّهْرُ بَعْدَ السَّلَامْ : ... « نَصرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ »

وقال رحمه الله فى وصف غَرناطة والطَّرد وغيرهما :

ومن موشحاته فى وصف غرناطة والطرد وغيرذلك

لِلّهِ مَا أَجْمَلَ رَوْضَ الشَّبَابْ ... مِنْ قَبلِ أَنْ يُفْتَحَ زَهْرُ المَشِيبْ

فِى عَهْدِهِ أَدَرْتُ كَأْسَ الرُّضَابْ ... حَبَابُهَا الدُّرُّ بِثَغْرِ الحَبِيبْ

مِنْ كلِّ مَنْ يُخْجِلُ بَدْرَ التَّمَامْ ... مَهْمَا تَبَدَّى وَجْهُهُ لِلْعُيُونْ

وَيَفْضَحُ الغُصْنَ بِلِينِ القَوَامْ ... وَأَيْنَ مِنْهُ لِينُ قَدِّ الغُصُونْ

وَلَحْظُهُ يَمْضِى مَضَاءَ الحُسَامْ ... وَيُذْهِلُ القَلْبَ بِسِحْرِ الجُفُونْ

أَبْصَرْتُ مِنْهُ إِذْ يَحُطُّ النِّقَابْ ... شمْساً وَلَكِنْ مَالَهَا مِنْ مَغِيبْ

إِذَا تَجَلَّتْ بَعْدَ طُولِ ارْتِقَابْ ... صَرَفْتُ عَنْهَا اللَّحْظَ خَوْفَ الرَّقِيبْ

مَنْ عَاذِرِى مِنْهُ فُؤَادٌ صَبَا ... لِلَامِعِ البَرْقِ وَخَفْقِ الرِّيَاحْ

يَطِيرُ إِنْ هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا ... تُعِيرُهُ الرِّيحُ خُفُوقَ الجَنَاحْ

(١) فى ط : « بالنصح » . والتصويب عن م ونفح الطيب .

مَا أَوْلَعَ الصَّبَّ بِعَهْدِ الصِّبَا ... وَهَلْ عَلَى مَنْ قَدْ صَبَا مِنْ جُنَاحْ
فَقَلْبُهُ مِن شَوْقِهِ فِى الْتِهَابْ ... قَدْ أَحْرَقَ الأَكْبَادَ مِنْهُ الوَجِيبْ
وَالْجَفْنُ مِنْهُ سُحْبُهُ فِى انْسِكَابْ ... قَدْ رَوَّضَ الخَدَّ بِدَمْعٍ سَكِيبْ

[٣٦٦]

غَرْنَاطَةٌ رَبْعُ الهَنَا وَالمُنَى ... وَقُرْبُهَا السُّولُ وَنَيْلُ الوَطَرْ
وَطِيبُهَا بِالوَصْلِ لَوْ أَسْكَنَا ... لَمْ أَقْطَعِ اللَّيْلَ بِطُولِ السَّهَرْ
عَمَّا قَرِيبٍ حُقَّ فِيهِ الهَنَا ... بِيُمْنِ ذِى الأَوْبَةِ بَعْدَ السَّفَرْ
وَيَحْمَدُ النَّاسُ نَجَاحَ الإِيَابْ ... بِكُلِّ صُنْعٍ مُسْتَجَدٍّ غَرِيبْ
وَيَكْتُبُ الفَأْلُ عَلَى كُلِّ بَابْ: ... «نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ»
مَا لَذَّةُ الأَمْلاكِ إِلا القَنَصْ ... لأَنَّهُ الفَأْلُ بِصَيْدِ العِدَا
كَمْ شَارِدٍ جُرِّعَ فِيهِ الغُصَصْ ... وَأُورِدَ المَحْرُوبُ وِرْدَ الرَّدَى
وَكَمْ بِدَا(١) القَحْصِ لنَا مِن حِصَصْ ... قَدْ جُمِعَ البَأْسُ بِهَا وَالنَّدَى

ومنها بعد أبيات سقطت:

مَوْلاَىَ مَوْلاَىَ وَأَنْتَ الَّذِى ... جَدَّدْتَ لِلأَمْلاكِ عَهْدَ الجَلالْ
وَالشَّمْسُ وَالبَدْرُ مِنَ العُوَّذِ ... لَمَا رَأَتْ مِنْكَ بَدِيعَ الجَمَالْ
وَالرَّوْضُ فِى نَعْمَتِهِ يَقْتَدِى ... بِطِيبِ مَا قَدْ حُزْتَهُ مِن خِلالْ
بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ بِحُسْنِ المَآبْ ... تَسْتَضْحِكُ الرَّوْضَ بِثَغْرٍ شَنِيبْ
وَدُمْتَ مَحْرُوسَ العُلا وَالجَنَابْ ... بِعِصْمَةِ اللهِ السَّمِيعِ المُجِيبْ

(١) فى الأصلين ونفح الطيب: «بدا»، ولعله محرف عما أثبتناه.

آخر موشحاته وهى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد طال الكلام ؛ ولنجعل آخر مُوَشَّحَة له رحمهُ اللهُ تعالى زَهْرِيَّة فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تكون مسكَ الختام ، وهى :

لَوْ تَرجِعُ الأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهابْ ... لَمْ تَقْدحِ الأَشْوَاقَ ذِكْرَى حَبِيبْ

وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبابْ ... يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ المَشِيبْ

يَارَاكِبَ العَجْزِ أَلَا نَهْضَةٌ ... قد ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ المَجَالْ

لَا تَحْسِبَنْ أَنَّ الصِّبَا رَوْضَةٌ ... تَنَامُ فِيهَا تَحتَ فَيْءِ الظِّلَالْ

فالعَيْشُ نَوْمٌ والرَّدَى يَقْظَةٌ ... والمَرءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالخَيَالْ

والعُمر قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابْ ... والمُلْتَقَى بالله عَمَّا قَرِيبْ

وأَنْتَ مَخْدُوعٌ بِلَمعِ السَّرابْ[1] ... تَحْسَبُهُ مَاء ولَا تَستَرِيبْ

واللهِ مَا الكَوْنُ بِمَا قَدْ حَوَى ... إلَّا ظِلَالٌ تُوهِمُ الغَافِلَا

وعَادَةُ الظِّلِّ إذَا مَا اسْتَوَى ... تُبصِرُهُ مُنْتَقِلًا زَائِلَا

إنَّا إلَى اللهِ عَبِيدُ الهَوَى ... لَمْ نَعرِفِ الحَقَّ وَلَا البَاطِلَا

فَكُلُّ مَنْ يَرجُو سِوَى اللهِ خَابْ ... وإِنَّمَا الفَوزُ لِعَبدٍ مُنِيبْ

يَسْتَقْبِلُ الرُّجْعَى بِصِدْقِ المَتَابْ ... وَيَرْقُبُ اللهَ الشَّهِيدَ القَرِيبْ

يَاحَسرتَا مَرَّ الصِّبَا وانْقَضَى ... وأَقْبَلَ الشَّيْبُ يَقُصُّ الأَثَرْ

واختَلَتَا وَالرحلُ قَدْ قُوِّضَا ... وَمَا بَقِي فِي الخُبْرِ غَيْرُ الخَبَرْ

وَلَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى ... أَدَّخِرُ الزَّادَ لِطُولِ السَّفَرْ

قَدْحَانَ مِن رَكْبِ التَّصَابِي إِيَابْ ... ورَائِدُ الرُّشْدِ أَطَالَ المَغِيبْ

يَا أَكْمَهَ القَلْبِ بِغَيْنِ الحِجَابْ ... كَمْ ذَا أُنَادِيكَ فَلَا تَستَجِيبْ

[٣٦٧]

(١) فى ط : « السحاب »

هَلْ يُحَمِّلُ الزَّادَ لِدارِ الكَرِيمْ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِى شَفِيعٌ مُطَاعْ
فَجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمْ وَحُبُّهُ زَادِى وَنِعْمَ الْمَتَاعْ
وَاللهُ سَمَّاهُ الرَّءوفَ الرَّحِيمْ فَجَارُهُ الْمَكْفُولُ مَا إِنْ يُضَاعْ
عَسَى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابْ وَمَلْجَأُ الْخَلْقِ لِدَفْعِ الْكُرُوبْ
يَلْحَقُنِى مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابْ يَشْفَعُ لِى فِى مُوبِقَاتِ الذُّنُوبْ
يَا مُصْطَفَى وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْعَدَمْ وَالْكَوْنُ لَمْ يَفْتِقْ كِمَامَ الْوُجُودْ
مَزِيَّةٌ أُعْطِيتَهَا فِى الْقِدَمْ بِهَا عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسُودْ
مَوْلِدُكَ الْمَرْقُوبُ لَمَّا نَجَمْ أَنْجَزَ لِلْأُمَّةِ وَعْدَ السُّعُودْ
نَادَيْتُ لَوْ يَسْمَحُ لِى بِالْجَوَابْ شَهْرَ رَبِيعٍ : يَارَبِيعَ الْقُلُوبْ
أَطْلَعْتَ لِلْهُدَى بِغَيْرِ احْتِجَابْ شَمْساً وَلَكِنْ مَالَهَا مِنْ غُرُوبْ

وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ ما أرَدْناه ، وقصدناه من شأن ابن زمرك وسَرْدناه .

***

كلام ابن خلدون فى الموشحات والأزجال

وسَنَح لِى أن أنْتَقى بعض كلام ابن خلدونَ فى تاريخه الكبير فى ذكر المُوَشّحات والأزجال ، فنقول :

قال رحمه الله : وأما أهل الأندلس فلمّا كثر الشعر فى قُطرهم وتهذَّبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنا منه ، وسموه «بالموشّح» ، ينظمونه أسماطاً أسماطاً ، وأغصاناً أغصانا ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدِّد منها بيتاً واحداً ، ويلتزمون عدد قوافى [٣٦٨] تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد ، إلى آخر القطعة ؛ وأ كثر ما ينتهى عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الأغراض والمذاهب ، ويَنْسِبُون فيها ويمدحون كما يُفعَل فى القصائد ، وتجاوَزُوا

فى ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جُمْلةً[(١)] الخاصّة والكافّة ، لسهولة تناوله ، وقرب طريقه .

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقدَّم بن مُعافَى القَبْرِىّ[(٢)] من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المَرْوَانى ؛ وأخذ عنه ذلك ابنُ عبدِ رَبِّهِ صاحبُ كتاب العقد ، ولم يَظهر لهما مع المتأخرين ذِكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان أولَ من برع فى هذا الشأن بعدهما عُبَادَةُ القزَّاز ، شاعر المعتصم بن صُمادح صاحب المَرِيَّةَ ؛ وقد ذكر الأعْلَمُ البَطَلْيَوْسِىُّ أنه سمع أبا بكر بنَ زُهْر يقول : كل الوشّاحين عيال على عُبادة القزّاز فيما اتفق له من قوله :

بَدْرُ تِمّ شَمْسُ ضُحَى غُصْنُ نَقَا مِسْكُ شَمّ

مَا أَتَمّ مَا أَوْضَحَا مَا أَوْرَقَا مَا أَنَمّ

لاَ جَرَمْ مَنْ لَمَحَا قَدْ عَشِقَا قَدْ حُرِمْ

وزعموا أنه لم يَسبق عُبادة وَشَّاح من معاصريه ، الذين كانوا فى زمان ملوك الطوائف ؛ وجاء مُصلِّيا خلفَه منهم ابن ارفع رأسه[(٣)] شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طُلَيْطِلَةَ[(٤)] . قالوا : وقد أحسن فى ابتدائه فى الموشحة التى طارت له حيث يقول :

---

(١) فى الأصلين وبعض المراجع : « وحمله » .

(٢) كذا فى ط وبغية الملتمس . وهو شاعر معروف فى أيام عبد الرحمن الناصر أيضا . والقبرى (بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة) : نسبة إلى قبرة ، بلدة بالأندلس بقرب قرطبة . (انظر نفح الطيب ج ١ ص ٦٠٤ طبعة أوربة) . وفى م : « العبرى » . وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

(٣) هو أبو بكر محمد بن ارفع رأسه (انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٥١٣ طبعة أوربة) .

(٤) اسم بلد كبير بالأندلس ، ضبطه صاحب القاموس والصاغانى بضم الطاءين ، وخطأه الشارح فضبطه بضم الأولى وكسر الثانية ، وصوبه نقلا عن مؤرخى المغرب وابن السمعانى وغيرهم .

العُودُ قَدْ تَرَنَّم بأَبْدَعِ تَلْحِينْ
وَسَقَتِ(١) المَذَانِبْ رِيَاضَ البَسَاتِينْ

وفى انتهائه حيث يقول :

تَخْطِرْ وَلَا تُسَلِّمْ عَسَاكَ المَأْمُونْ
مُرَوِّعُ الكُتَّابْ يَحْيَى بنُ ذِي النُّونْ

ثم جاءت الحَلْبة التى كانت فى مدة المُلثَّمين ، فظهرت لهم البدائع ؛ وفُرسان حَلْبتهم الأعمى التُّطَيْلِيّ(٢) ، ثم يحيى بن بَقِيّ ، وللتُّطَيْلِيّ من المُوشَّحات المُذْهَبَة(٣) قوله :

كَيْفَ السَّبِيلُ إلَى صَبْرِي وَفِي المَعَالِمْ أَشْجَانْ [٣٦٩]
وَالرَّكْبُ وَسْطَ الفَلَا بالخُرَّدِ النَّوَاعِمْ قَدْ بَانُوا

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوَشَّاحين اجتمعوا فى مجلس بإشبيلية ، وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة ، وتأنق فيها ، فتقدم الأعمى التُّطَيْلِيّ للإنشاد ، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

ضَاحِكٌ عَنْ جُمَانْ سَافِرٌ عَنْ بَدْرِ
ضَاقَ عنهُ الزَّمَانْ وَحَوَاهُ صَدْرِي

خَرَّقَ(٤) ابن بَقِيّ مُوَشَّحته ، وتبعه الباقون .

(١) كذا فى ط . وفى م ونفح الطيب ومقدمة ابن خلدون : « وشقت » .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب ؛ وهو منسوب إلى تطيلة « بضم فكسر وياء ساكنة ولام » مدينة بالأندلس فى شرق قرطبة » راجع معجم البلدان لياقوت . وفى ط والمقدمة : « الطليطلى » .
(٣) فى م : « المذهبية » .
(٤) فى م : « مزق » .

وذكر الأعلم البَطَلْيَوْسِيّ أنه سمع ابن زُهْر يقول : ما حسدت قَطُّ وشّاحا على قول إلا ابن بَقِيّ حين وقع له :

أَمَا تَرَى أَحْمَدْ ... فِي مَجْدِهِ العالي لا يُلْحَقْ

أَطْلَعَـهُ المَغْرِبْ ... فَأَرِنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقْ

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر بن الأبيض[1] ، وكان في عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجّه صاحب التلاحين المعروفة .

ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تِيفَلْوِيت صاحب سَرَقُسْطة ، فألقى على بعض [قَيْنَاتِهِ][2] موشحته [التي أولها][2] :

جَرِّرِ الذَّيْلَ أيَّما جَرِّ

فَطَرِبَ الممدوح لذلك ، وختمها بقوله :

عَقَدَ اللهُ رَايَةَ النَّصْرِ ... لأمير العُلا أبي بَكْرِ

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تِيفَلْوِيت صاح : واطرباه ! وشَقّ ثيابه ، وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ! وحلف بالأيمان المغلظة[3] ألّا يمشي ابن باجّة إلى داره إلا على الذَّهب ، فخاف الحكيم سُوء العاقبة ، فاحتال بأن جعل ذهبا في نعله ، ومشى عليه .

ثم قال ابن خلدون بعد كلام : واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شَرَف . ثم قال : وابن هردوس[4] الذي له :

يَا لَيْلَةَ الوَصْلِ والسُّعُودِ ... باللهِ عُـودِي

(١) كذا في م . وفي ط والمقدمة : « أبو بكر الأبيض » .

(٢) ما بين القوسين عن مقدمة ابن خلدون .

(٣) في ط : « المعظمة » .

(٤) في مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق : « ابن بهرودس » .

وابن موهل[1] الذى له :

[٣٧٠]

مَا العِيدُ فِي حُلَّةٍ وَطَاقٍ ... وشَمِّ طِيبْ
وإنَّمَا العِيدُ فِي التَّلَاقِى ... مَعَ الحَبِيبْ

وأبو إسحق الدُّوَيْنى . قال ابن سَعيد : سمعت أبا الحسن سَهل بن مالك يقول إنه دخل على ابن زُهر وقد أسَنَّ وعليه زِىّ البادية ، إذ كان يسكن بحصن إشتِبّه[2] ، فلم يعرفه ، فجلس حيث انتهى به المجلس ، وجرَّت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كُحْلُ الدُّجَى يَجْرِى ... مِنْ مُقْلَةِ الفَجْرِ ... عَلَى الصَّبَـــاحْ
ومِعْصَمُ النَّهْـــرِ ... فى حُلَلٍ خُضْرِ ... مِنَ البِطَـاحْ

فتحرك ابنُ زُهر ، وقال : أنت تقول هـذا ؟ قال : اختبر ؛ قال : ومن تكون ؟ فعرَّفه ، فقال : ارتفع ، فَوَاللهِ ما عرفتك . قال ابن سعيد : وسابق الحَلبة التى أدركت هؤلاء أبو بكر ابن زُهْر ، وقد شرَّقَتْ موشحاتُه وغرَّبَتْ .

قال : وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول : قيـل لابن زُهر : لو قيل لك ما أبدعُ ما وقع لك فى التوشيح ؟ فقال : كنتُ أقول :

مَا لِلْمُـــوَلَّهْ ... مِنْ سُكْرِهِ لا يُفِيقْ ... يالَهُ سَكْرانْ !
[مِنْ غيْرِ خَمرِ ... ما لِلْكئيبِ المَشُوقْ ... يَنْدُبُ الأوطانْ][3]
هَلْ تُستعادْ ... أيامُنَـــــا بالخليجْ ... وَلَيالِينـــــا
إذْ يُستَفَادْ ... مِنَ النَّسِيمِ الأَرِيجْ ... مِسْكُ دَارِينَا

(١) فى نفح الطيب المطبوع : « مؤهل » بالهمز .
(٢) كذا فى مقدمة ابن خلدون . وهى من أعمال إشبيلية . وفى ط : « سبتة » . وفى م : « أشبه » . وهو تحريف .
(٣) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .

وَإِذْ يَكَادُ حُسْنُ المكانِ البَهيجْ أَنْ يُحَيِّيَــــا
نَهْرٌ أَظَلَّهْ دَوْحٌ عَلَيْهِ أَنِيقْ مُورِقٌ فَيْنَانْ
والماءُ يَجْرِى وعــــائمٌ وغَرِيقْ مِنْ جَنَى الرَّيْحَانْ

واشتهر بعده ابنُ حَيُّون . إلى أن قال ابن خلدون : وبعد هؤلاء ابنُ حَزْمون بمُرْسِيَة . ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجى[1] دخل عليه فى مجلسه ، فأنشده موشحة لنفسه ، فقال له ابن حزمون : ما المُوَشَّحُ بموشح حتى يكون عاريا عن التكلُّف ؛ فقال : على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولى :

يا هاجرى[2] هَلْ إلى الوصالِ مِنْكَ سَبِيلُ
أَوْ هَلْ تَرَى عن هَوَاكَ سَالِى قَلْبَ العَلِيلْ

[٣٧١] وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة . قال ابن سعيــد : كان والدى يُعْجَب بقوله :

إنَّ سَيْلَ الصَّبَاحِ فى الشَّرْقِ عادَ بَحْرًا فى أَجْمَعِ الأُفُقِ
فتــــداعتْ نوادبُ الوُرْقِ أَتُرَاهَا خافَتْ مِنَ الغَرَقِ
فبَكَتْ سُحْرَةً عَلَى الوَرَقِ

واشتهر بإشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفَضْل . قال ابن سعيد عن والده : سمعتُ سهلَ بن مالك يقول له : يا بن الفضــل ، لك على الوَشَّاحين الفضل بقولك :

وَا حَسْرَتَا لِزَمَانٍ مَضَى عَشِيَّةَ بَانَ الهَوَى وانْقَضَى
وأُفْرِدْتُ بالرَّغْمِ لاَ بالرِّضَا وبِتُّ عَلَى جَمَرَاتِ الغَضَى

(١) فى م : « يحيى بن الخزرجى » .
(٢) فى ط : « ياساحرى » .

أُعَانِقُ بِالفِكْرِ تِلْكَ الطُّلُولْ وأَلْثِمُ بِالوَهْمِ تِلْكَ الرُّسُومْ

قال : وسمعت أبا بكر بن الصابونىّ يُنشدُ الأستاذَ أبا الحسن الدَّبّاج موشحاته غير ما مرة ، فما سمعته يقول : لله دَرُّك إلا فى قوله :

قَسَمًا بِالهَوَى لِذِى حِجْرِ ما لِلَيْلِ المَشُوقِ مِن فَجْرِ
جَمَدَ الصُّبْحُ لَيْسَ يَطَّرِدُ ما لِلَيْلِى — فِما أَظُنُّ — غَدُ
صَحَّ يَا لَيْلُ أَنَّكَ الأَبَدُ
أَوْ قُصِّصَتْ(١) قَوادِمُ النَّسْرِ فَنُجُومُ السَّماءِ لَا تَسْرِى

ومن [محاسن] (٢) موشحات ابن الصابونىّ قوله :

ما حالُ صَبٍّ ذِى ضَنًى واكتِئابْ أَمْرَضَــهُ يا وَيْلَتَاه الطَّبِيبْ
عَامَـــلَهُ مَحْبُـــوبُهُ باجْتِنابْ ثُمَّ اقْتَدَى فِيهِ الكَرَى بِالحَبِيبْ
جَفَا جُفُونِى النَّوْمُ لٰكِنَّنِى لَمْ أَبْكِهِ إِلاَّ لِفَقْدِ الخَيَالْ
وَذَا الوِصَالُ اليَوْمَ قَدْ غَرَّنِى مِنــهُ كما شاء وشاء الوِصَالْ
فَلَسْتُ بِاللاَّئِمِ مَنْ صَدَّنِى بِصُــورَةِ الحَقِّ ولا بِالمُحَالْ

واشتهر بِبِرِّ العُدْوة ابنُ خَلَفٍ الجزائرىُّ صاحب الموشحة المشهورة :

يَدُ الإِصْبَاحْ قَدَحَتْ زِنَادَ الأَنْوَارْ مِن مَجامِرِ الزَّهَرْ

وابنُ خرز(٣) البجائى ، وله من موشحة : [٣٧٢]

ثَغْرُ الزَّمانِ مُوَافِقْ حَيَّاكَ مِنــهُ بِابْتِسَام

---

(١) كذا فى إحدى روايات المقدمة طبعة باريس ؛ وقد وردت هذه الكلمة مضطربة فى الأصلين ونفح الطيب .
(٢) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .
(٣) فى المقدمة طبعة بلاق : « ابن هزر » . وفى نفح الطيب : « خزر » .

ومن محاسن الموشحات [المتأخرين] (١) ، موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبتة من بعدها ، [فمنها قوله] (١) :

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمى أَنْ قَدْ حَمى ... قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِسِ
فَهْوَ فِي نَارٍ (٢) وَخَفْقٍ مِثْلَمَا ... لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالقَبَسِ

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس [والمغرب لعصره] (٣) ، فقال :

جَادَكَ الغَيْثُ إذَا الغَيْثُ هَمَى ... يَا زَمَانَ الوَصْلِ بِالأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إلَّا حُلُمَا ... فِي الكَرَى أَوْ خُلْسَةَ المُخْتَلِسِ
إذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ المُنَى ... تَنْقُلُ الخطوَ عَلَى مَا يَرْسُمُ
زُمَرًا بينَ فُرَادَى وَثُنَى ... مِثْلَمَا يَدْعُو الوُفُودَ المَوسِمُ
والحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرَّوْضَ سَنَى ... فَثُغُورُ الزَّهْرِ (٤) فيه تَبْسِمُ
وَرَوَى النُّعمانُ عَنْ مَاءِ السَّمَا ... كَيفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسِ
فَكَسَاهُ الحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمَا ... يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي لَيَالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الهَوَى ... بالدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الغُرَرِ
مَالَ نَجْمُ الكَأْسِ فيها وهَوَى ... مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ
وَطَرٌ مَا فيه مِنْ عَيْبٍ سِوَى ... أَنَّهُ مَرَّ كَلَمْحِ البَصَرِ
حِينَ لَذَّ النَّوْمُ (٥) مَعْ حُلْوِ اللَّمى (٦) ... هَجم الصُّبْحُ هُجُومَ الحَرَسِ

---

(١) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون .
(٢) فى نفح الطيب : « فى حر » . (٣) التكملة عن نفح الطيب .
(٤) فى الأصلين ومقدمة ابن خلدون : « فسنى الأزهار » وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٥) كذا فى الأصلين ومقدمة ابن خلدون طبعة بلاق ؛ وفى النفح المطبوع والمخطوط ، والمقدمة طبعة باريس : « الأنس » .
(٦) كذا فى كتاب « العذارى المائسات فى الأزجال والموشحات » . والذى فى الاصلين ونفح الطيب ومقدمة ابن خلدون : « شيئا أو كما » .

غَارَتِ الشُّهبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا أَثَّرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّرْجِسِ
أَىُّ شَىْءٍ لامْرِئٍ قَدْ خَلَصَا فَيَكُونُ الرَّوْضُ قَدْ مُكِّنَ(١) فِيهْ
تَنْهَبُ الأَزْهَارُ منه الفُرَصَا أَمِنَتْ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَتَّقِيهْ
فَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالحصَى وَخَلا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهْ
تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بَرِمَا يَكْتَسِى مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِى
وَتَرَى الآسَ لَبِيبًا فَهِمَا يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذْنَىْ فَرَسِ
يَاأُهَيْلَ الحَىِّ مِنْ وَادِى الْغَضَى وَبِقَلْبِى مَسْكَنٌ(٢) أَنْتُمْ بِهِ
ضَاقَ عَنْ وَجْدِى بِكُمْ رَحْبُ الفَضَا لا أُبَالِى شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أُنْسٍ قَدْ مَضَى تُعْتِقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
وَاتَّقُوا اللهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمَا يَتَلاشَى نَفَسًا فِى نَفَسِ [٣٧٣]
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمَا أَفَتَرْضَوْنَ عَفَاءَ(٣) الحبسِ
وَبِقَلْبِى مِنْكُمُ مُقْتَرِبُ بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهْوَ بَعِيدْ
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ شِقْوَةَ الْمُغْرَى بِهِ وَهْوَ سَعِيدْ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ فِى هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدْ
سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى جَالَ فِى النَّفْسِ مَجَالَ النَّفَسِ
سَدَّدَ السَّهْمَ وَسَمَّى وَرَمَى فَفُؤَادِى نُهْبَةُ الْمُفْتَرِسِ
إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الأَمَلُ وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبْ

---

(١) فى الأصلين : « كن » . وما أثبتناه عن نفح الطيب والمقدمة طبعة باريس .
كذا فى م ونفح الطيب المخطوط والمقدمة . وفى ط : « سكن » .
(٣) فى المقدمة طبعة بلاق : « خراب » .

فَهْوَ لِلنَّـــفسِ حَبيبٌ أَوّلُ لَيْسَ فى الحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنوبْ
أَمرُهُ مُعْتَمَـــدٌ(١) مُمتَثَلُ فى ضُلوعٍ قَدْ بَرَاهَا وقُلوبْ
حَكَّمَ اللَّحْظَ بِها فاحْتَكَمَا لَمْ يُرَاقِبْ فى ضِعَافِ الأَنْفُسِ
مُنْصِفَ المَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَـــا ومُجازِى البَرِّ مِنْهــا والمُسِى
مَا لِقَلْبِى كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عِيدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدْ
كانَ فى اللَّوحِ لهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ : «إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدْ»
جَلَبَ الهَمَّ لهُ وَالوَصَـــبَا فَهْوَ لِلأَشْجَانِ فى جَهْدٍ جَهِيدْ
لاَعِجٌ فى أَضْلُعِى قَدْ أُضْرِمَا فَهْىَ نَارٌ فى هَشِــيمِ اليَبَسِ
لَمْ يَدَعْ فى مُهْجَتِى إِلاَّ ذَمَا كَبَقاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الغَلَسِ
سَلِّمِى يَا نَفْسُ فى حُكْمِ القَضَا وَاعْمُرِى الوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَابْ
دَعْكِ مِن ذِكْرَى زَمَانٍ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُتْبَى قد تَقَضَّتْ وَعِتَابْ
وَاصْرِفِى القَوْلَ إِلى المَوْلَى الرِّضَا مُلْهَمِ التَّوفيقِ فى أُمِّ الكِتَابْ
الكَرِيمِ المُنْتَهَى والمُنْتَمَى أَسَدِ السَّرْجِ(٢) وَبَدْرِ المَجْلِسِ
يَنْزِلُ النَّصْرُ عليْــهِ مِثْلَمَا يَنْزِلُ الوَحْىُ بِرُوحِ القُدُسِ

قال : وأما المشارقة فالتكلّف ظاهر على ما عانَوْه من الموشّحات . ومن أحسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سَـنَاء المُلْكِ المِصْرِىّ ، التى اشتهرت شرقاً وغرباً ، أولها :

[٣٧٤] حَبِيبِى ارْفَعْ حِجَابَ النُّــورْ عَنِ العِذَارْ

(١) فى النفح والمقدمة : « معتمل » .
(٢) فى المقدمة طبعة باريس : « السرح » .

نَنْظُمُ المِسْــكَ عَلَى الكافُورْ فى جُلَّنَارْ
كَلِّلِى يَا سُحْبُ تِيجَانَ الرُّبَا بِالحُلِى
وَاجْعَلِى سِــوَارَهَا[1] مُنْعَطِفَ الجَــدْوَلِ

ولما شاع فن التوشيح فى أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه، وتصريع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا على طريقته بلغتهم الحَضَرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا فنًّا سموه بالزَّجَل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال، بحسب لغتهم المستعْجِمة.

وأول من أبدع فى هذه الطريقة الزَّجَلية أبو بكر بن قُزْمان، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، لكن لم تظهر حِلاها، ولا انسبكت معانيها، ولا اشتهرت رَشاقتها إلا فى زمانه، وكان لعهد المُلَثَّمين[2]، وهو إمام الزجالين على الإطلاق.

قال ابن سعيد: ورأيت أزجاله مَرْوِيَّة ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب. قال: وسمعت أبا الحَسَن[3] بن جَحْدَر الإشبيلي إمام الزجالين فى عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثلُ ما وقع لابن قُزْمان شيخ الصناعة، وقد خرج إلى متنزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أَسَد من رُخام يَصُبّ الماء من فيه على صفائح من الحجر، فقال:

وَعَرِيشْ قَدْ قَامْ عَلَى دُكَّانْ بِحَالْ رِوَاقْ
وأسَـــدْ قَدِ ابتلعْ ثُعْبَانْ فِى غِلَظْ سَاقْ

---

(١) كذا فى م وط. وفى كثير من الأصول الأخرى: «ســوارك». ولا يستقيم به المعنى، لأن المراد أن تجعل السحب النهر المنعطف سوار للربا.

(٢) هو أبو بكر محمد بن قزمان، توفى سنة ٥٥٥ هـ.

(٣) فى م ونفح الطيب المخطوط: «أبا الحسين».

وَفتحْ فَتُو مجالْ إنْسَانْ بهِ الْفُــوَاقْ
وانطَلَقْ بجْرِى[1] عَلَى الصِّفَاحْ وَأَلْقَى الصِّيَــاحْ[2]

وكان ابن قُزْمان مع أنه قُرْطِبِيُّ الدار كثيرا ما يتردد إلى إشبيلية ، ويَنْتاب نهرها .

[٢٧٠] ثم ذكر ابن خلدون عنه وعن جماعة حكاية وكلاما ، إلى أن قال : وجاءت بعدهم حَلَبَة كان سابقها مَدْغَلِيس ، وقعت له العجائب فى هـذه الطريقة ، فمن قوله فى زَجَلِه المشهور :

وَرَذَاذْ دقِّ يــنْزِلْ وَشُعَاع الشَّمْس يضْرِبْ
فَتَرَى الْوَاحِـدْ يفَضِّضْ وتَرَى الآخَرْ يذَهِّبْ
وَالنَّبَاتْ يشْرَبْ ويسْكَرْ وَالْغُصُونْ ترْقُصْ وتطْرَبْ
وتريدْ تجى إلينَــــا ثُمَّ تَسْتَحِى وتهْرَبْ[3]

ومن محاسن أزجاله قولُه :

* لاحَ الضِّيا والنجوم حَيارَى[4] *

ثم قال ابن خلدون : وظهر بعد هؤلاء فى إشبيلية ابن جَحْدر ، الذى فُضِّل على الزجالين فى فتح مَيُورْقَة بالزَّجَل المشهور الذى أوله :

مَنْ عَانَدَ التَّوْحِيدْ بالسَّيْفِ يُمْحَقْ أَنَا بَرِى مِمَّنْ يُعَـانِد الْحَقْ

قال ابن سـعيد : لقيته ولقيت تلميذه البعبع[5] صاحب الزجل المشهور الذى أوله :

---

(١) كذا فى المقدمة طبعة بلاق . والذى فى الأصلين وسائر المراجع : « ثم » .
(٢) فى بعض المراجع : « ولتى » . كما أن فى بعضها « الصباح » .
(٣) فى الأصلين : « وترجع » . والتصويب عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .
(٤) فى م والنفح « سكارى » .
(٥) كذا فى الأصلين ونفح الطيب . وفى المقدمة طبعة باريس : «اليعتع» . وبهامشها روايات أخر . وفى المقدمة طبعة بلاق : « المعمع » .

يَا لَيْتَنِى إِنْ رِبت(١) حَبِيبِى أَفْتِل(٢) اذْنُو بِالرُّسَيـلَا(٣)
لِيشْ أَخَذ عُنْق الْغَزَيِّل وَسَرَقْ فَمّ الْحُجَيلَا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سَهْل بن مالك إمام الآداب ، ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبُنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب ، إمام النظم والنثر فى الملة الإسلامية غير مدافَع ، فمنْ محاسنه فى هذه الطريقة :

امزُجِ الأكْوَاسْ وامْلَالِى نجدّدْ مَا خُلِق المَالْ إِلَّا أَنْ يُبدَّدْ

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الشُّشْتَرِىّ منهم :

بينْ طُلُوعْ وبينْ نُزُولْ اخْتَلَطَت الغزولْ
وَمَضَى مَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَقَى مَنْ لَمْ يَزُولْ

ومن محاسنه أيضا قوله فى ذلك المعنى :

البُعْدْ عنَّكْ يَابُنِى أَعظَمْ مَصَائِبِى
وحِينْ حَصَلْ لِى قُرْبَكْ نسِيتْ أَقَارِبِى

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم ، من أهل وادى آش ، وكان إماما فى هذه الطريقة ، وله من زجل يعارض به مَدْغَلِّيس [٣٧٦] فى قوله :

* لَاحْ الضِّيَا والنُّجُومْ حَيَارَى *

بقوله :

حَلّ الْمُجُونْ يَاأَهْلْ الشَّطَارَا مُذْ حَلَّت الشَّمْس بِالْحَمَلْ

(١) كذا فى م . وط والمقدمة طبعة بلاق : «رأيت» . وفى النفح المخطوط : «لقيت» .
(٢) فى الأصلين : « أقبل » . وما أثبتناه عن المقدمة طبعة باريس .
(٣) الرسيلا (فى الأصل) : الرسيلة ، مصغر الرسالة (بالكسر) ، وهى التؤدة والرفق . يريد أنه يعرك أذن حبيبه فى لين ورفق .

ثم ذكر ابن خلدون جملة من هذا الزَّجَل ، وقال بعد ذلك : وهذه الطريقة الزَّجلية لهذا العهد ، هى فنّ العامّة بالأندلس من الشعر ، وفيها نظمهم ، حتى إنهم لينظمون بها فى سائر البحور الخمسة عشر ، لكنْ بلغتهم العامّية ، ويسمّونه الشّعر الزّجَلىّ . إلى أن قال : وكان من المجيدين فى هذه الطريقة لأول هذه المئة ، الأديب أبو عبد الله اللّوْشى ، وله من قصيدة يمدح فيها السلطان ابنَ الأحمر :

طَلّ الصّبَاحْ قُمْ يَا نَدِيمْ نِشْربُو ونِضْحكُو مِنْ بَعْدِ مَا نِطْربُو

ثم سَرَدها ابن خلدون ، وهى طويلة جدًّا .

ثم قال : ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنًّا آخر من الشعر ، فى أعاريضَ مُزْدوجة كالموشّح ، نظموا فيه بلغتهم الحَضَرية أيضا ، وسمّوه عَروض البلد ، وكان أوّلَ من استحدثه بينهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس ، يُعْرف بابن عُمَير ، فنظَمَ قطعة على طريقة المُوشَّح ، ولم يخرج فيها عن مذهب الإعراب [إلا قليلا] (١) ، مطلعها :

أبكَانِى (٢) بشَاطِى النّهَرْ نَوْحُ الحَمَامْ على الغُصْن فى البُسْتَانْ قريب الصَّبَاحْ

وكَفُّ السَّحَرْ تَمْحُو مِدَادَ الظَّلامْ وماء النَّدَى يجْرِى بثَغْر الأقَاحْ

باكَرْتُ الرِّيَاضْ والطَّلّ فيها افتِرَاقْ سَرَ (٣) الجَوَاهِرْ فى نُحُور الجوَارْ

وَدَمْع النّوَاعِرْ يَنْهرِق انْهِرَاقْ يحاكى ثَعَابِينْ حَلَّقَتْ بالثِّمَارْ

لَوَوْا (٤) بالغُصُونْ خَلْخَالْ على كل سَاقْ وَدَارَ الجَمِيعْ بالرَّوضْ دوْر السِّوَارْ

---

(١) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .

(٢) فى م : « بكانى » .

(٣) كذا فى المقدمة طبعة بلاق . وفى ط والمقدمة طبعة باريس : « كثير » . وفى م : « كلس » .

(٤) فى م : « لو ترى » .

وأيدى النّدى تخرقُ جيوبَ الكمامْ | وتحمل نسيم المسك عنها رياحْ
وعاج الصَّبا يطلى بمسك الغمامْ | وجرّ النسيم ذيلُو عليها وفاحْ
رايت الحمام بين الورق فى القضيبْ | قد ابتلّت ارياشُو بقطر النّدى
ينوح مثل ذاك المستهام الغريبْ | قد التف من ثوبو الجديد فى ردا
ولكن بقاه أحمر وساق خضيبْ | ينظم سلوك جوهر وينقلدا
جلس بين الاغصان جلسة المستهامْ | جناحا توسّد والتوى فى جناحْ
وصار يشتكى مافى الفؤاد من غرامْ | منها ضمّ منقارو لصدرو وصاحْ
فقلت احمامْ أحرمت عينى الهجوعْ | أدى ماتزال[1] تبكى بدمع سفوحْ
قال لى بكيت حتى صفت لى الدموعْ | بلا دمع ينبقى طول حياتى ننوحْ
على فرخ طار لى لم يكن لو رجوعْ | ألفت البكا والحزن من عهد نوحْ
كذاك هو الوفا كذا هو الذمام[2] | انظر للجفون صارت بحال الجراحْ
واتم من بكى منكم إذا تمّ عامْ | يقول قد عيانى[3] ذا البكا والنواحْ
فقلت احمام لو خضت بحر الضنى | كان تبكى وترثى لى بدمع هتونْ
ولو كان بقلبك ما بقلبى أنا | رماد كان يصير تحتك فروع الغصونْ
اليوم لى نقاسى الهجر كم من سنا | حتى لا سبيل جملة ترانى العيونْ
وممّا كسا [جسمى] النحول والسقامْ | أخفانى نحولى عن عيون اللوّاحْ

[٣٧٧]

---

(١) كذا فى م . وفى بعض المراجع : « أراك ما تزال » .

(٢) كذا فى ط . وفى المقدمة طبعة باريس : « كذا هو الوفا قلت كذا هو الذمام » ، وكذا ورد فى المقدمة طبعة بلاق بنقص كلمة : « قلت » . وفى م : كذا هو الوفا قل لم كذ هو الذمام » .

(٣) فى المقدمة طبعة بلاق : « عنانى » .

لَوْ جَنَّنِي المَنَايَا كَانْ نِمُوتْ فِي المَقَامْ   وَمَنْ مَاتْ بَعْد يَا قَوْمْ لَقَدِ اسْترَاحْ

ثم قال ابن خلدون : فاستحسنه أهل فاس ، وَوَلِعُوا به ، ونَظَمُوا على طريقته ، وتركوا الإعراب الذى [لَيْس] (١) من شأنهم ، وكثر شياعُه بينهم ، واستفحل فيه كثير منهم ، ونوعوه أصنافا ، إلى المزدوج ، [والكازى] (١) ، والملعبة ، والغَزَل ؛ واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها ، وملاحظاتهم فيها .

فن المزدوج ما قاله ابن شجاع ، من فحولهم ، وهو من أهل تازا :

اِلْمَالْ زِينَــةُ الدُّنْيَا وعِزّ النُّفُوسْ	يِبَهِّي وُجُوهًا لَيْسَ هِي بَاهِيَـــا
فَهَا كُلّْ مَنْ هُوَ كْثِير الفُلُوسْ	وَلُوه (٢) الـكَلَام والرُّتبَـة العَالِيَا
يِكَبِّرُوا مِن كْثُرْ مَالُو وَلَوْ كَانْ صَغِيرْ	ويِصَغَّرُوا عَزِيزَ القَوْم إِذَا يِفْتَقِرْ
مِنْ ذَا يِنْطِبِقْ صَدْرِي وَمِنْ ذَا يِغِيرْ	وكَادْ يِنفقِـع لَوْلَا الرُّجُوعُ لِلْقَدَرْ
حَتَّى (٣) يِلْتِجِي مَنْ هُوَ فِي قُومُهْ كبِيرْ	لِمَنْ لَا أَصْلَ عِنْدُو وَلَا لُو خَطَرْ
لَقَدْ يِنْبَغِي نِحزَنْ عَلَى ذِي العُكُوسْ	ونُصْبُغ عليه ثُوبِي مِن رَاس (٤) خَابِيَا
أَدِي صَارَتِ الأذْنَابْ أَمَام الرُّءُوسْ	وصَارْ يِستَفِيدْ الوَادْ مِنَ السَّاقِيَا
ضَعْف النَّاس عمل ذَا أَو فَسَاد الزَّمَانْ	مَا يِدْرِيُو عَلَى مَن نِكَثَّرُو ذَا العِتَابْ
أَدِي [صَار] فُلَان اليُوم يِصْبَحْ بُو فُلَانْ	وَلَوْ رِيتْ وكِيف حَتَّى يِرُدْ الجَوَابْ

[٣٧٨]

---

(١) هذه الكلمة زيادة عن المقدمة .

(٢) كذا فى مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق . وفى الأصلين : « ألوه » .

(٣) فى المقدمة طبعة باريس : « أدى » .

(٤) فى م والمقدمة طبعة باريس : « فراس » .

(٥) هذه الكلمة عن المقدمة .

عِشنا والسلام⁽¹⁾ حتى رأينا عِيانَ أَنْفَاسِ السلاطين⁽²⁾ في جُلودِ الكلابْ
كِبارُ النفوس جداً ضِعافُ الأُسُوسْ هُمُ في نَاحِيا والجد في نَاحِيـا
يروا أَنَّهم - والنَّاسُ يروهم تُيوس - وُجوه البَلَد والعُمَد⁽³⁾ الرَّاسيَا

ثم ذكر ابن خلدون كلاما آخر لابن شُجاع . ثم قال : وكان منهم على بن المؤذن بتِلِمْسان . [وكان]⁽⁴⁾ لهذهالعصور القريبة من فحولهم بزَرْهون من نواحى مِكناسة⁽⁵⁾ رجل يعرف بالكفيف ، أبدع فى مذاهب هذا الفن ؛ ومن أحسن ما علق له بمحفوظى قوله فى رحلة السلطان أبى الحسن و بنى مَرِين إلى إفريقية ، يصف هزيمتهم بالقَيْروان ، ويُعزِّيهم عنها ، ويُؤنسهم بما وقع لغيرهم ، بعد أن عَيَّبهم⁽⁶⁾ على غزاتهم إلى إفريقية فى مَلْعَبة من فنون هذه الطريقة ، يقول فى مُفْتَتحها ، وهو من أبدع مذاهب البلاغة فى الإشعار بالمقصد فى مطلع الكلام وافتتاحه ، ويُسمَّى براعة الاستهلال :

سُبْحانْ مَالِكْ خَواطِر الأَمْرَا بِنْوَاصيها فى كلّ حِينْ⁽⁷⁾ وزَمَانْ
إِنْ طِعْناهُ أَعْظَمْ لنا نَصْرا وإِنْ عَصيناهُ عاقبْ بكلّ هَوَانْ⁽⁸⁾

إلى أن يقول فى السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص :

كُنْ مَرْعِى قُلْ وَلَا تَكُنْ رَاعِى فَالرَّاعِى عَنْ رَعِيَّتُهْ مَسْئُولْ

(1) كذا فى المقدمة . وفى ط : « بيخل بالسلام » . وفى م : « بيخل بالجواب » .
(2) كذا فى المقدمة . وفى ط « الشياطين » . وفى م : « شياطين » .
(3) كذا فى المقدمة طبعة باريس . وفى الأصلين والمقدمة طبعة بلاق : « والعمدة » .
(4) هذه الكلمة عن المقدمة .
(5) فى م . والمقدمة طبع بلاق : « ضواحى » .
(6) فى المقدمة طبعة باريس : « عتبهم »
(7) فى م : « فىكل » .
(8) كذا فى المقدمة طبعة باريس . وقد ورد هذا البيت مضطربا فى الأصلين .

واسْتَفْتِحْ بالصَّلَاة عَلَى الدَّاعِى ... لِلْإِسْلَامْ وَالرِّضى السَّنِى المَكْمُولْ

لِلْخُلَفَا الرَّاشِدِينَ وَالأَتْبَاعِ ... وَاذْكُرْ بَعْدَهُمْ إذَا تحبّ وَقُولْ

أُحُجَّاجًا تخلّوا الصَّحْـــرَا ... ودَرُوا شَرْح البلاد مع السكانْ

عَسْكَرُ فاسَ المنِيرَةِ الغرَّا ... أَيْنَ سارت به عَزَائمُ السُّلْطَانْ

[٣٧٩] أُحُجَّاجْ بالنَّبى الَّذِى زُرْتمْ ... وَقَطَعتمْ لُو كَلَاكِل البِيْدَا

عَنْ جِيْش الغربْ جيتْ نِسْأَلْـكمْ ... الْمَتْلوفْ فِى أُفْرِيقيَا السَّودَا

وَأَمِيرْ كَانْ بالعطَا يِزَوِّدْكمْ ... وَيَدَعْ بَرِّيَّةَ الحِجازْ رَغْـدا

قَامْ كُلّ[1] كَلَسَدْ صَادف الجَزَرَا ... وَيعجزْ[2] شُوْطْ بَعْدْ مَا لِحْقَانْ[3]

وتركوا دَمّ ولهَبْ فِى الْغَـبْرَا ... أَدِى صارْ إِذْ غَارْ لُهْ سَيحانْ[4]

لَوْ كانْ مَا بِيْنْ تُونِسِ الغرْبَا ... وبِلَادِ الغَرْبْ سَدّ الِاسكَندَرْ

مَبْنِى مِنْ شَرْقها إِلَى غرْبَا ... طَبقًا بحْدِيدْ وثانياً بصفرْ[5]

لَابُدّ لِلطَّيْرْ كانْ يِجِى بِنبَا ... أَوْ يأْتِى الرِّيحْ عنهمْ بفرْدْ خبَرْ

مَا أَعْوَضْها مِنْ أموزْ وما شَرَّا ... لَو تُقرَا كل يوم على الويدان[6]

لَجَرتْ بالدَّمْ وانْصَدَعْ حَجَرَا ... وهَوَتْ الَاجْرافْ وجَفّتْ الغُدْرانْ

اِذْرِى لى بِعقْلكْ الفَحَّاصْ ... وَتفكّر لِى بخاطرك جْمْمَا

---

(١) كذا فى ط . وفى م والمقدمة : « قل » .

(٢) كذا فى المقدمة طبعة بلاق . وفى الأصلين والمقدمة طبعة باريس : « وتفجر » .

(٣) كذا فى م والمقدمة طبعة باريس . وفى ط : « يحفان » . وفى المقدمة طبعة بلاق : « يخفان » .

(٤) ورد هذا البيت مضطربا فى ط والمقدمة . وما أثبتناه عن م .

(٥) يريد الصفر (بضم الصاد وسكون الفاء) وهو نوع من النحاس .

(٦) كذا فى الأصلين والمقدمة طبعة باريس . وفى المقدمة طبعة بلاق : « الديوان » . ولعله يريد : « الوديان » ليستقيم المعنى بها فى البيت الآتى .

إن كانْ يِعْلَمْ[١] حمَامْ ولاَ رَقّاصْ ... عَنْ السُّلطانْ شَهرْ وقَبلَهُ سَبْعَا

بكْتَابْ عَبْد المُهَيْمِنْ القوّاص[٢] ... وَعلاَمَاتْ تُنْشَرْ عَلَى الصُّمْعَا[٣]

إلاَّ قُوْم عَازِبِينْ بِلاَ سِــتْرَا ... مَجهُولِينْ لاَ مكانْ وَلاَ إمكانْ

لَمْ يدْرِيُوا كيفْ يصَوّرُوا الـكَسْرَا ... أَوْ كِيف دَخَلوا مدِينَة القيْرَوَانْ

أمُولاَىْ بُو الحَسَنْ خطِينَا البَابْ ... بقَضِيّة ســـيْرنَا إلى تُونسْ

فى غِنَى كنّا عَنْ الجرِيدْ وَالزّابْ ... وايْشْ لَكْ بعَرب إفْرِيقيَة القُونِس[٤]

ما بَلغَكْ عن عُمَرْ بن الخَطّابْ ... الْفَارُوق فَاتِـح القُرَى المُونِس[٥]

ملَكْ الشَّامْ وَالحِجَازْ وَتَاج كِسرَى ... ولَمْ يِفتَح مِنِ أُفْرِيقِيا دُكّانْ

كانْ إذَا تُذْكَرْ لهُ كِرهْ ذِكْرَا ... وِيقُولْ اِسمُهَا[٦] يُفَرّقِ الإخْوَانْ

هٰذَا الفَارُوقْ زُمُرُّدْ الاَكْوَانْ ... صَرّحْ فِي أُفْرِيقيا بذا التّصريحْ

وَبقَتْ حِمَى إِلَى زَمَنْ عُثْمَانْ ... وفتَحْها ابن الزُّبيْرْ عن تَصحِيحْ

لَمَّا دَخلتْ غَنَايمهَا الدِّيوَانْ ... مَاتْ عُثْمَانْ وانقلَبْ عَلينا الرِّيحْ

وافترَق النَّاس عَلَى ثَلاَثْ أُمَرَا ... وبَقَى ماهو السُّكُوتْ عَنُّو إيمَانْ[٧]

إِذَا كانْ ذَا فى مُدَّة البَرَرَا ... إيشْ نِعمِلْ فى أَوَاخِر الأَزْمَانْ

وأَصْحَاب الجَفْر فى كُتَيْبَاتَا ... وَفى تَارِيخ كَاتْبَا وكيـــوَانَا[٨]

---

(١) فى ط : « توجد » .

(٢) فى المقدمة طبعة باريس : « الغواص » . وفى طبعة بلاق : « القصاص » .

(٣) يريد الصومعة .

(٤) كذا فى م : « القونس » وفى ط : « القوبس » .

(٥) كذا فى المقدمة طبعة باريس . وفى ط والمقدمة طبعة بلاق : « المولس » . وفى م : « البولس » .

(٦) فى ط : « فيها تفرق » مكان قوله : « اسمها يفرق » .

(٧) فى ط والمقدمة طبعة بلاق : « ونبق ما هو للسكوات عنوان » .

(٨) كاتب : عطارد . وكيوان : زحل .

[٣٨٠]

تذكُرُ فى صُحفِها[1] وأبياتَا ... شِق وسَطِيحْ وابن مرّانَا[2]

ابن مَرِينْ إذَا انكَبتْ بِرَايَاتَا[3] ... لِجْدَارْ تُونسْ فَقَدْ سقطْ شَانَا

قد ذكَرْنَا ما قَالْ سيِّد الوُزرَا ... عِيسَى بن الحَسَن الرَّفيع الشَّانْ

قَالْ لِى رِينَا وَانَا بها أدرَى ... لكِنْ إذَا جَا القَضَا عِمِتْ الاَجْفَانْ

وِ يقُولْ لك مَا رَمَى المَرِينيَّا ... مِن حَضْرَةْ فَاسْ إلى عَرَبْ دِيابْ[4]

رَادْ المَوْلَى يِمُوتْ أَبُو يَحيَى ... سُلْطَانْ تُونِسْ وصَاحِب العنَّابْ[5]

ولقَدْ كانْ قَبْـل ذَا الأشْيَا ... جعَلَ أُولَادْ أَبُو الحَسَنْ أَنْسَابْ

ثم أخذ فى ترحيل السلطان وجيوشه إلى آخر رحلته، ومنتهى أمره مع أعراب إفريقية، وأتى فيها بكل غريبة من الإبداع.

وأما أهل تونس فاستحدثوا أيضا فنّ المَلْعبة أيضا على لغتهم الحَضَرية، إلا أن أكثره رديء، ولم يَعلَق بمحفوظى [منه شىء][6] لرداءته.

وكان لعامّة بغداد أيضا فنٌّ من الشعر يسمونه المَوَالِيَا، وتحته فنون كثيرة، يُسَمُّون منها القُومَا، وكان وكان، و [منه مفرد، ومنه فى بيتين، ويسمونه][6] دُوبَيْت، على اختلاف الموازن المعتبرة عندهم فى كل واحد منها، وغالبها مُزْدَوجة من أربعة أغصان، وتبعهم فى ذلك أهل مصر والقاهرة، وأتوا فيها بالغرائب،

(١) كذا فى ط والمقدمة. وفى م: «شعرها».
(٢) فى المقدمة طبعة باريس: «مروانا».
(٣) كذا فى م. وفى ط: «نكس».
(٤) فى المقدمة طبعة باريس: «ذباب».
(٥) كذا فى المقدمة طبعة باريس. وفى ط: «العتاب». ولعله يريد: الأعتاب.
وفى المقدمة طبعة بلاق: «الأبواب».
(٦) التكملة عن المقدمة.

وتجاروا[1] فيها بأساليب البلاغة ، بمقتضى لغتهم الحضرية ، فجاءوا بالعجائب .

ورأيت فى ديوان الصَّفِىّ الحِلِّىّ من كلامه[2] أن المواليّا من بحر البسيط ، وهو ذو أربعة أغصان وأربع قواف ، ويسمى صوتا وبيتين ، وأنه من مخترعات أهل واسط ، وأنّ « كانْ وكانْ » فى قافية واحدة ، وأوزان مختلفة فى أشطاره ، والشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثانى ، ولا تكون قافيته إلا مُرْدَفة[3] بحرف العلة ، وأنه من مخترعات البغداديين ، وأنشد فيه .

ثم ذكر ابن خلدون عدة مقطعات من المواليّا ، ومنها :

[٣٨١] نَادَيتُهَا وَمَشِيبِى قَـدْ طَوَانِى طَىّ جُودِى عَلَىَّ بِقُبْلَهْ فى الهَوَى يَا مَىّ
قَالَتْ وقَدْ تَرَكَتْ[4] دَاخِلْ فُؤَادِى كَىّ مَاظُنّ ذَا القُطنِ يَغْشَى[5] قُمَ مَن هو حَىّ

ومنها :

يا حادِىَ العِيس أُزْجُرْ بالمَطَايا زَجْر وقِفْ عَلَى مَنْزِل أَحْبَابِى قُبيل الفَجْر
وصِـحْ فِى حَيِّهِم يَا مَن يُرِيد الأَجْر يَنْهَض يصَلِّى عَلَى مَيِّت قتيل الهَجْر

ومنها :

عينى التى كُنْتُ أَرْعَاكُم[6] بها بَاتَتْ تَرْعَى النُّجُومَ وبالتَّسهِيد اقْتَاتَتْ
وأَسهُمُ البَين صابَتْنِى ولاَ فَاتَتْ وسَلُوتِى[7] ـ عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكم ـ مَاتَتْ

---

(١) فى م والمقدمة طبعة بلاق : « تبحروا » .
(٢) راجعنا ديوان صفى الدين الحلى المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٢ م ، فلم نجد ذكرا لما أشار إليه ابن خلدون هنا .
(٣) فى ط : « مزدوجة » . وما أثبتناه عن م والمقدمة طبعة باريس .
(٤) فى المقدمة طبعة بلاق : « كوت » .
(٥) فى المقدمة طبعة بلاق : « يحمى » .
(٦) فى ط : « أنظركم » .
(٧) فى ط : « ومهجتى » .

ثم قال: ومن الذى يسمونه دُو بيت:

قَدْ أَقْسَمَ مَنْ أُحِبُّهُ بِالْبَارِي أَنْ يَبْعَثَ طَيْفَهُ مَعَ الأسحارِ
يَا نَارَ أَشْواقِي(١) بِهِ فَاتَّقِدِي لَيْـلاً عَسَاهُ يَهْتَدِي بِالنَّارِ

واعلم أن الذوق فى معرفة البلاغة منها كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة، وكثر استعماله لها، ومخاطبته بين أجيالها، حتى يُحَصِّل ملكتها، كما(٢) قلناه فى اللغة العربية، فلا يشعر الأندلسى بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب، ولا المغربىّ بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرقى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمغرب؛ لأن اللسان الحضرى وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته، وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته، وفى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ آيَاتٌ لِلْعَالِمِينَ.

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر، ببعض الاختصار.

اعتذار المؤلف عن ذكره الأزجال

قلت: كأنّ بمنتقد ليس له خِبره، يُسَدِّدُ سهام الاعتراض ويتولى كِبْرَه، ويقول: ما لنا وإدخال الهزل فى معرض الجد الصُّراح؟ وما الذى أحوجنا إلى ذكر هذا المَنْحَى والأليقُ طرحه كلَّ الاطِّراح؟ فنقول فى جوابه على الإنصاف:

[٣٨٢] لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف، وليس مرادهم إيثارَ الهزل على غيره، وإنما ذلك من باب ترويح القلب، وهو أعون على خيره، وللسَّـلَف فى مثل ذلك حكايات يطول جَلْبها، ولا يَقدَح ذلك فى سكينتهم، ولا يُتَوَهَّمُ لسببه سلبُها، ورحم الله تعالى عياضا إذ قال:

قُلْ لِلأَحِبَّةِ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ مَا ضَرَّ أَنْ شَابَ الوَقَارَ مُجُونُ

الأبيات الآتية فى محالها.

(١) فى الأصلين: «شوق». وما أثبتناه عن المقدمة. (٢) فى م: «لما».

وليس قصدُنا نحن بهذا ، علِم الله ، غرَضًا فاسدا ، فنُفِقُ منه فى سُوق الهزل كاسدا ، وإنما غرَضُنا صحيح ، وزَنْدنا غير شحيح . على أن المقصود الأعظم مدح النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الأوزان ، وكلُّ ما سبق وسيلة إلى ذلك مما راق أو زان .

موشحتان غير منسوبتين فى مدح الرسول

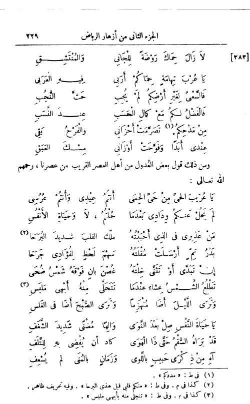
واعلم أيها الناظر ، أذهبَ اللهُ عن ساحتك الأشجان ، أنّ كثيرا من الأئمة مَدَحوا بذلك المبعوثَ رحمة إلى الإنس والجانّ ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، صلاةً وسلاما يتضوع نَشْرُها فى المشارق والمغارب ، ويتألق نورهما ، فيهتدى به قائلهما لقضاء الأغراض والمآرب . فمن ذلك قول بعض مَن كرَع من مَنهَل حبه العذب المشارب ، من مُوَشَّح لم أقف منه إلّا على قوله :

اَلْبُلْبُلُ فى الرِّياضِ لَمّا نَشَدا	بالقَوْلِ شَـــدا
والغُصْنُ لهُ يَميلُ حتّى سَجَدا	ممّا وَجَـــدا
قَدْ مَدَّ لهُ الأكُفَّ مِنْ غيرِ نَدا	يَمتـــاحُ نَدَى
والوُرْقُ شَدَتْ بِصَوْتِها المِلحانِ	دُونَ العَلَقِ[1]
لمّا ذُكِرَ بأطيَبِ[2] الألحانِ	رَبُّ الفَـــلَقِ
يا أشْرَفَ مُرْسَلٍ بِهِ اللهُ هَدَى	مَنْ رامَ هُدَى
بالمَدْحِ لَدَيْكَ عَبْدُ وَهّابٍ غَدَا	يَرْجُوكَ غَـــدا
يا مَنْ مَدِيحُهُ جَلا كلَّ صَدَا	ممّن رصَـــدا[3]
يا مَلْجأَ كلِّ خائفٍ أوْ جانِي	بالذَّنْبِ شَـــقِى

(١) العلق : الهوى .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « بطيب » .

(٣) كذا فى ط . يريد اتجه إليك وقصدك . وفى م : « صدا » .



[٣٨٣] لاَ زَالَ حِمَاكَ رَوْضَةً لِلْجَانِي ... وَالْمُنْتَشِــــقِ

يَا عُرْبَ تِهامَةٍ حِماكُمْ أَرَبِي ... فِيــهِ الْعَرَبِى

فَالسَّعْىُ لِغَيْرِ أَرْضِكُمْ لَمْ يُجِبِ ... حَثَّ النُّجُبِ

فَالْفَضْلُ لَكُمْ مَعْ كَمَالِ الْحَسَبِ ... عِنْــدَ النَّسَبِ

مِنْ مَدْحِكُمُ(١) تَصَرَّمَتْ أَحْزَانِي ... وَالْفَرْحُ بَقِى

عِنْدِى أَبَدًا وَفَوَّحَتْ أَوْزَانِي ... مِسْــكَ الْعَبِقِ

ومن ذلك قول بعض العُدول من أهل العصر القريب من عصرنا ، رحمهم الله تعالى :

يَا عُرَيْبَ الْحَيِّ مِنْ حَيِّ الْحِمَى ... أَنْتُمُ عِيدِى وَأَنْتُمْ عُرُسِى

لَمْ يَحُلْ عنكمْ وِدَادِي بَعْدَمَا ... حُلْتُمُ ، لاَ وَحَيَاةِ الأَنْفُسِ

مَنْ عَذِيرِى فى الذِى أَحْبَبْتُهُ ... مَلَّكَ الْقَلْبَ شَدِيدَ الْبُرَحَا(٢)

بَدْرُ تِمٍّ أَرْسَلَتْ مُقْلَتُهُ ... سَهْمَ لَحْظٍ لِفُؤَادِي جَرَحَا

إِنْ تَبَدَّى أَوْ تَثَنَّى خِلْتَهُ ... غُصْنَ بَانٍ فَوْقَهُ شَمْسُ ضُحَى

تَطْلُعُ الشَّـمْسُ عِشاءً عِنْدَمَا ... تَتَحلَّى مِنْهُ أَبْهَى مَلْبَسِ(٣)

وَتَرَى اللَّيْـلَ أَضَا مُنْهَزِماً ... وَتَرَى الصُّبْحَ أَضَا فى الْغَلَسِ

يَا حَيَاةَ النَّفْسِ صِلْ بَعْدَ النَّوَى ... وَالِهًا مُضْنًى شَدِيدَ الشَّغَفِ

قَدْ بَرَاهُ السُّقْمُ حَتَّى ذَا الْهَوَى ... كَادَ أَنْ يُفْضِى بِهِ لِلتَّلَفِ

آهِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ بِاللِّوَى ... وَزَمَانٍ بِالْمُنَى لَمْ يُسْعِفِ

---

(١) فى ط : « مددكم » .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « منكم قلبي قبل هذى البرحا » . وفيه تحريف ظاهر .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « تنجلى منه بأبهى ملبس » .

كُنْتُ أَرْجُو الطَّيْفَ يَأْتِي حُلُمَا عائداً يا نَفْسُ مِنْ ذَا فَايْأَسِي
هَلْ يَعُودُ الطَّيْفُ صَبًّا مُغْرَمَا ساهِرًا أَجْفَانُهُ لَمْ تَنْعَسِ

هِمْتُ فِي أَطْلَالِ لَيْلَى وَأَنَا لَيس فِي الأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرَبِ
مَا مُرَادِي رَامَةٌ وَالْمُنحَنَى لَا وَلَا لَيْلَى وَسُعْدَى مَطْلَبِي
إِنَّمَا سُؤْلِي وَقَصْدِي وَالْمُنَى سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَاجُ الْعَرَبِ
[أَحْمَدَ الْمُخْتَارُ طَهَ مَنْ سَمَا الشريفُ ابنُ الشريفِ الكَيِّسِ][1]
خَاتَمُ الرُّسْلِ الْكَرِيمُ الْمُنتَقَى طَاهِرُ الأَصْلِ زَكِيُّ النَّفَسِ

ولم أقف من هذه الموشّحة على غير هذا القدر ، وهو عجيب ، عارض مُوشَّحَى ابن سَهْل وابن الخطيب السابقى الذكر .

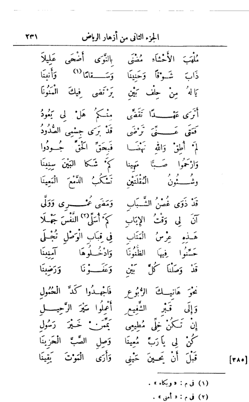
موشحات لابن الصباغ الجذامى فى مدح الرسول أيضاً

[٣٨٤] ومن ذلك جملة مُوَشَّحات ، انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكى الصوفى ، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الصَّبَّاغ الجُذَامِي ، وقد ألّف ذلك بعضُ الأئمة فى تأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراكش ، وأطال فيه من مُوشّحات هذا الشيخ وسائر نظمه ، ولم أذكر من مُوشّحاته هنا إلا الغُرَر[2] ، على أنها كلّها غرر ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

أَلِفَ الْمُضْنَى الشُّجُونَا وَارْتَضَى الأَحْزَانَ دِينَا
فَوْقَ صَفْحِ الْوَجْنَتَيْنِ أَهْمَلَ الدَّمْعَ الْهَتُونَا

يَقْطَعُ الأَيَّامَ حُزْنَا وَبُكَاءً وعـــويلا
فَارْحَمُوا صَـــبًّا مُعَنًّى قَلْبُهُ يُذْكِى غَليـــلا

(١) هذا البيت عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « هنا على القدر » .



مُلْهَبَ الأَحْشَاءِ مُضْنًى بِالنَّوَى أَضْحَى عَلِيلاَ
ذَابَ شَـوْقًا وَحَنِينًا وَسَـقامًا(1) وَأَنِينَا
يَا لَهُ مِنْ حِلْفِ بَيْنٍ يَرْتَضِى فِيكَ الْمَنُونَا

أَتُرَى عَهْــدًا تَقَضَّى مِنْكُمْ هَلْ لِى يَعُودُ
فَمَتَى عَــنِّى تَرْضَى قَدْ بَرَى جِسْمِى الصُّدُودُ
لِمْ أُطِقْ وَاللهِ نَهْضًـا فَبِحَقِّ الْحَقِّ جُـودُوا
وَارْحَمُوا صَـبًّا مَهِينًا كَمْ شَكَا الْبَيْنَ سِنِينَا
وشُــئُونُ الْمُقْلَتَيْنِ تَسْكُبُ الدَّمْعَ الْمَعِينَا

قَدْ ذَوَى غُصْنُ الشَّـبَابِ وَمَضَى عُمْــرِى وَوَلَّى
آنَ لِى وَقْتُ الإِيَابِ كَمْ أُسَلِّى(2) النَّفْسَ جَهْـلاَ
هَـذِهِ عِرْسُ الْمَتَابِ فِى قِبَابِ الْوَصْلِ تُجْلَى
حَسِّنُوا فِيهَا الظُّنُونَا وَادْخُـلُوهَا آمِنِينَا
قَدْ وَصَلْنَا كُلَّ بَيْنٍ وَعَفَــوْنَا وَرَضِينَا

نَحْوَ هَاتِيــكَ الرُّبُوعِ فَاجْهَـدُوا كَدَّ الْحُمُولِ
وَإِلَى قَبْرِ الشَّفِيعِ أَعْمِلُوا سَيْرَ الرَّحِيــلِ
إِنْ تَكُنْ خِلِّى مُطِيعِى يَمِّمَنْ خَيْرَ رَسُولِ
كُنْ لِى يَا رَبِّ مُعِينًا وَصِلِ الصَّبَّ الْحَزِينَا
قَبْلَ أَنْ يَحِينَ حَيْنِى وَأَرَى الْمَوْتَ يَقِينَا

[٣٨٥]

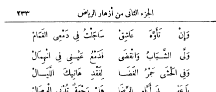
(1) فى م : « وبكاء » .
(2) فى م : « أمنى » .

نَمَّ رَيْحَانُ التَّدَانِي وَسَرَتْ رِيحُ الْوِصَالِ
قَدْ صَفَا وِرْدُ الأَمَانِي فَانْتَهِضْ نَحْوَ الْمَعَالِي
صَاحِ كَمْ هَذَا التَّوَانِي فَاسْتَمِعْ عَذْبَ الْمَقَالِ
وَبَلِينَا وَابْتُلِينَا وَاشْ يَقُولِ النَّاسِ فِينَا
قُمْ بِنَا يَا نُورَ عَيْنِي نَجْعَلِ الشَّكَّ يَقِينَا

وقوله في التشوق إلى مكة وطيبة ، على ساكنها الصلاة والسلام :

زَهْرُ شَيْبِ الْمَفَارِقْ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الْكِمَامْ
فَابْكِ الزَّمَانَ الْمُفَارِقْ وَحَاكِ فِي النَّوْحِ الْحَمَامْ
عُوِّضْتُ بِالصُّبْحِ الأَصِيلْ وَقَدْ عَرَا الْبَدْرَ انْكِسَافْ
أَلِمَّ بِالْغُصْنِ الذُّبُولْ وَكَانَ لَدْنًا ذَا انْعِطَافْ
رِيحُ الصَّبَا كَانْ[1] نُمِيلْ كَأَنْ سُقِي صِرْفَ السُّلاَفْ[2]
حَتَّى[3] رَمَى الْقَلْبَ رَاشِقْ وَفُوِّقَتْ نَحْوِي السِّهَامْ
وَلِسَانُ الْحَالِ نَاطِقْ يُخْبِرُنِي أَنْ لاَ دَوَامْ
يَا بَدْرَ أَيَّامِ الشَّبَابْ هَلْ لِلأُفُولِ مِنْكَ[4] طُلُوعْ
أَضْحَى فُؤَادِي ذَا الْمُذَابْ حَلِيفَ أَشْجَانٍ فَزُوعْ
وَنَارُ حُزْنِي فِي الْتِهَابْ تُذْكَى بِأَحْنَاءِ الضُّلُوعْ
فَإِنْ هَفَا الْبَرْقُ خَافِقْ ذَكَرْتُ عَهْدِي بِالْخِيَامْ

(١) في ط : « فيها » .
(٢) في الأصلين : « الزلال » ، وظاهر أنه خطأ من النساخ .
(٣) في م : « حين » .
(٤) في ط : « من » .



وَإِنْ تَأَوَّهَ عَاشِقْ   سَاجَلْتُ فِي دَمْعِي الغَمَامْ

وَلَّى الشَّبَابُ وَانقضَى   فَدَمْعُ عَيْنِي فِي انْهِمَالْ

وَفِي الْحَشَى جَمْرُ الغَضَا   لِفَقْدِ هَاتِيكَ اللَّيَالْ

يَا عَهْـدَ أَيَّامِ الرِّضَا   هَلْ رَجْعَةٌ تُدْنِي الْوِصَالْ

تَحْيَا بِهَا نَفْسُ وَامِقْ   مُضْنَى الفُؤَادِ مُسْتَهَام

نَحْوَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقْ   يَحْدُو بِهِ حَادِي الغَرَامْ

يَهِيجُهُ[1] لَمْعُ البَوَارِقْ   مِنْ طَيْبَةٍ حِينَ تُشَامْ

فَإِنْ تَعُقْنِي الْعَوَائِقْ   أَلْصَقْتُ خَدِّي بِالرَّغَامْ

[٣٨٦]

يَا دَارُ هَلْ يَدْنُو الْمَزَارْ   فَيَعْقُبَ اللَّيْلَ الصَّبَاحْ

لَهْفِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَارْ   وَقَصِّ أَرْيَاشِ الْجَنَاحْ

مَتَى أَرَى أَحْدُو القِطَارْ   فَقَدْ بَرَانِي الِانْتِزَاحْ

أَشْدُو الْمَطَايَا السَّوَابِقْ[2]   مُزَمْزِمًا عِنْدَ الْمَقَامْ :

ثَغْرُ الزَّمَانِ الْمُوَافِقْ   حَيَّاكَ مِنْهُ بِابْتِسَامْ

وقوله رحمه الله :

رُسُومُ ظَاهِرِ الْبِلَى   بِكُلِّ رَسْمٍ طَاسِمْ[3] عُنْوَانْ

وَرَبْعُهُمْ[4] مَا أَشْكَلَا   مِنْهَا لِكُلِّ حَازِمْ تِبْيَانْ

---

(١) جاءت هذه « القفلة » فى ط دون م . وكان من حقها أن تسبق بدور ذى ستة أغصان على نظام أدوار هذه الموشحة . أو لعلها زائدة .

(٢) فى م : « بالسوائق » .

(٣) فى ط : « ظاهر » .

(٤) فى م : « وعنهم » .

قِفْ بِالدِّيَارِ وَاعْتَبِرْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ العِبَرْ
وَانظُرْ[١] لَهَا وَازْدَجِرْ فَإِنَّ فِيهَا الأُجُرْ
كَمْ مَعْلَمٍ قَدْ دَثَرْ فَلَمْ يَبِنْ مِنْهُ أَثَرْ
تَبْكِيهِ وُرْقُ الفَلَا وَفِي بُكَا الحَمَام أَشْجَانْ
فَلْنَنْتَدِبْ إِلَى الطَّلَا فَفِي فُؤَادِ الهَائِمْ أَحْزَانْ

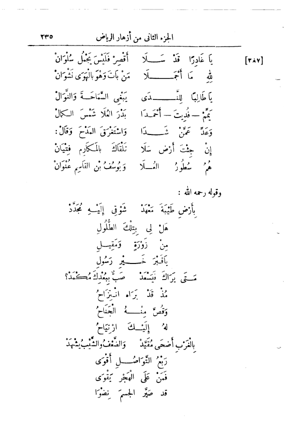
سَمَاعا من الوُجُودْ[٢] عَنْهُ تَفَاهم العُقُول[٣]
فَغَيْبَةٌ وَشُهُودْ كِلَاهُمَا عينُ الدَّلِيلْ
حَتَّى مَتَى يَا مُرِيدْ تَخْتَالُ فِي ثوب الخُمُولْ
تَشْكُو لَنَا العِلَلَا وَأَنْتَ بِالْمَآتِم جَذْلَانْ
فَلُذْ بِعِزِّ العُلَا فَعِنْدَنَا لِلنَّادِمِ إِحْسَانْ

فَنَاءُ أَهْلِ الطَّرِيقْ هُوَ الوُجُودُ المُطْلَقُ
فَكُلُّ مَعْنًى دَقِيقْ بِوَصْفِهِمْ يُحَقَّقُ
أَنْوَارُهُمْ فِي شَرِيقْ بِهَا اسْتَضَا المُوَفَّقُ
قَدْ أَوْضَحُوا السُّبُلَا فَهُمْ لَنَا فِي العَالَمِ بُرْهَانْ
فَاجْنَحْ إِلَيْهِمْ وَلَا تُغْفِلْ لِلْمَوَاسِمْ إِبَّانْ

يَا نَاسِيًا لِوَصْلِنَا أَيقِظْ مِنَ النَّوْمِ الجُفُونْ
سَلِّمْ إِلَيْنَا فِعْلَنَا مَا كَانَ مِنْهُ أَوْ يَكُونْ
لَا حَوْلَ إِلَّا حَوْلُنَا فَانْفِ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونْ

---

(١) فى ط : « وانطق » .
(٢) كذا ورد هذا الشطر بالأصلين .
(٣) فى م : « عنه نبا فهم العقول » .



[٣٨٧] يَا غَادِرًا قَدْ سَـــلَا أَقْصِرْ فَلَيْسَ يَجْمُلُ سُلْوَانْ
لِلّٰهِ مَا أَجْمَـــــلَا مَنْ بَاتَ وَهْوَ بِالْهَوَى نَشْوَانْ

يَا طَالِبًا لِلنَّــــدَى يَبْغِى السَّمَاحَـةَ وَالنَّوَالْ
يَمِّمْ — فُدِيتَ — أَحْمَـدَا بَدْرَ الْعُلَا شَمْسَ الْكَمَالْ
وَعَدِّ عَمَّنْ شَـــدَا وَاسْتَغْرِقَ الْمَدْحَ وَقَالْ:
إِنْ جِئْتَ أَرْضَ سَلَا تَلْقَاكَ بِالْمَكَارِمِ فِتْيَانْ
هُمْ سُطُورُ الْعُـــلَا وَيُوسُفُ بْنُ الْقَاسِمِ عُنْوَانْ

وقوله رحمه الله :

بِأَرْضِ طَيْبَةَ مَعْهَدْ شَوْقِى إِلَيْـهِ مُجَدَّدْ
هَلْ لِى بِتِلْكَ الطُّلُولِ
مِنْ زَوْرَةٍ وَمَقِيـلِ
يَاقَبْرَ خَـــيْرِ رَسُولِ
مَـتَى يَرَاكَ فَيَسْعَدْ صَبٌّ بِبُعْدِكَ مُكْمَدْ؟
مُذْ قَدْ بَرَاه انْتِزَاحُ
وَقُصَّ مِنْـــهُ الْجَنَاحُ
لَهُ إِلَيْـكَ ارْتِيَاحُ
بِالْغَرْبِ أَضْحَى مُقَيَّدْ وَالضَّعْفُ وَالشَّيْبُ يَشْهَدْ
رَبْعُ التَّوَاصُـــلِ أَقْوَى
فَمَنْ عَلَى الْهَجْرِ يَقْوَى
قد صَيَّرَ الجسمَ نِضْوَا

سَهْمُ بِعادٍ مُسَـدَّدْ لَقَدْ[1] رَمانِى فَأَقْصَدْ

مَتَى يُتَـــاحُ التَّدانِى

لِمُكْمَدِ القَلْبِ عانِى

يَشْـــدُو بكلِّ لِسَانِ

عَسَى الذى كُنْتُ أعْهَدْ مِمَّا تَقَضَّى يُجَدَّدْ

يَا بُغْيَـــتِى يا مُرادِى

أَشْكُوكَ فَرْطَ بِعَادِى

فى كلِّ وَادٍ أُنادِى :

مالِىَ غَيْرُكَ مَقْصِدْ فَكَيْفَ بالهَجْرِ أُقْصَدْ

فَوَّضْتُ أَمْرِى إليْــكَا

فَذَاكَ وَقْفٌ عَلَيْــكَا

مالِى شَــفِيعٌ لَدَيْـكَا

إلَّا بُكائِىَ سَرْمَــدْ فَمَنْ عَلَى الحُسْنِ[2] يُسْعِدْ

بِى فَافْعَلْ ما تَشَــا

أَضْحَى لِى مِنْــكَ الرَّجَا

فَـكُلُّ دَاءٍ دَوَا

وَكُلُّ رَأْيٍ[3] مُسَدَّدْ وكُلُّ أَمْرٍ مُرَشَّدْ

---

(١) فى ط : « حين » .

(٢) كذا فى الأصلين ؛ ولعلها : « الحزن » .

(٣) فى م : « رأى » .

وقوله رحمه الله :

قُمْ وَنَاجِ اللهَ فِي دَاجِي الغَلَسْ تَنْتَشِي الأَرْوَاحْ(١)
وَالتَمِس لِلْعَفْوِ فِيهِ مُلْتَمَسْ وَانْتَبِهْ قَدْ فَاحْ
عَرْفُ أَزْهَارِ الرِّضَا ثُمَّ اقْتَبِسْ نُورَ رُشْـدٍ لَاحْ
وَانْتَشِقْ يَا صَاحِ أَرْوَاحَ السَّحَرْ يَا لَهَا مَشْمُومْ
عَرْفُهُ إِنْ هَبَّ فِي إِثْرِ الزَّهَرْ يُنْعِشُ المَزْكُومْ

[٣٨٨]

مَرِّغِ الخَدَّ وَنَادِ بِالنَّحِيبْ وَاهمِلِ الأَجْفَانْ
قِفْ بِمَغْنَاهُمْ وُقُوفَ مُسْتَرِيبْ حَالِفَ الأَشْجَانْ
وَاشْـكُ إِنْ وَافَقْتَ إِسْعَافَ الطَّبِيبْ عِلَّةَ الهِجْرَانْ
فَعَسَى بِالوَصْـلِ تُحْيِي مَا دَثَرْ وَيَطِيبُ النَّعِيمْ
فَالنَّوَى مَا إِنْ عَلَيْـهِ مُصْطَبَرْ وَالبِعَادُ أَلِيمْ

يَا رَحِيمَ الخَلْقِ رُحْمَـــــاكَ فَقَدْ جِئْتُ مُغْنَى رَحِيبْ
لَيْسَ لِلعَبْدِ عَلَى النَّارِ جَـــــلَدْ وَهْوَ عَبْدٌ مُرِيبْ
عَبْدُ سَوْءٍ [لحاك] (٢) قَدْ قَصَدْ يَشْتَكِي بِالذُّنُوبْ
مَنْ لَهُ يَوْمَ ترامى بِالشَّرَرْ زَفَرَاتُ الجَحِيمْ
فَبِجَاهِ الخَلْقِ(٣) مِنْ خَيْرِ البَشَرْ عَافِنِي يَا رَحِيمْ
أَنَا مَا بَيْنَ مَقَامَيْنِ مُقِـــــيمْ أَوْرَثَانِي شَجَا

(١) فى م : « تفتنى الأرياح » .
(٢) السياق ووزن البيت يقتضيان هذه الكلمة أو ما فى معناها .
(٣) فى ط : « فبها ندا الخلق » .

فِى فُؤَادِى مِنْ دُمُوعِى كُلُومْ قَلَّمَا تُرْتَجَى
وَاعْتِلاقِى بِجَنَابِ الكَرِيمْ مُشْعِرٌ بِالنَّجَا
هَا أَنَا فِى الحَالَتَيْنِ فِى خَطَرْ وَالفُؤَادُ سَلِيم
سَالِكٌ التَّوْحِيدَ فِيهِ بِالنَّظَرْ سُبْلَ نَهْجٍ قَوِيم

أَحْلِفُ الحُزْنَ تَشْكُو بِالبِعَادْ لَذَّ مَجْدٍ[1] أَثِيل
فِى قِبَابِ المَجْدِ تَحْظَى بِالمُرَادْ حَيْثُ حَلَّ[2] الرَّسُول
عِنْدَهُ يَشْفِى صَدَاهُ الفُؤَادْ وَاسْأَلَنْ مَنْ يَقُول:[3]
«لَيْتَنِى رَمْلَةُ الحَرَّةْ»[4]

وقوله رحمه الله :

نَأَتْ بِىَ الأَوْطَانْ عَنْ حَضْرَةِ الإِحْسَانْ وَلَا مُعِينْ
فَمَنْ لِذِى أَحْزَانْ لِطَيْبَةٍ قَدْ كَانْ لَهُ حَنِينْ

شَطَّتْ بِىَ الدَّارْ فَيَا شَوْقَاهُ إِلَى يَثْرِبْ
أَحْبَابُهُ[5] سَارُوا وَالبَيْنُ أَقْصَاهُ بِالمَغْرِبْ
فِى قَلْبِهِ نَارْ تُذْكِيهِ أَمْوَاهُ فَلْتَتَعَجَّبْ
لَوْ سَابَقَ الإِخْوَانْ فِى ذَلِكَ المَيْدَانْ أَضْحَى مَكِينْ

---

(١) كذا فى ط . وفى م : « لذ بذى مجد » .
(٢) فى م : « حيثما حل » .
(٣) فى ط : « واسأل عمن » . وفى م : « وسل عما » . ولعلهما مبدلتان عما أثبتناه ، ليجرى الوزن مع ما سبق .
(٤) كذا وردت هذه العبارة فى م ، ولم ترد فى ط .
(٥) فى ط : « أخدانه » .

فَحَالَفَ[1] الأَشْجَانْ	وَاصْحَبْ مَعَ الأَحْيَانْ[2]	قَلْبًا حَزِينْ
لِلْمَوْرِدِ العَــذْبِ	وَالمَنْهَلِ السَّلْسَلْ	شُدُّوا الرَّحِيلْ
فَيَا ظَمَا قَلْـبِى	لِذٰلِكَ المَنْهَـلْ	هَلْ مِنْ مَقِيلْ
بِسَاحَةِ القُرْبِ	فِيــبَرْدِ السَّلْسَلْ	حَرُّ الغَلِيلْ
إنْ أَمْكَنَ الإمْكَانْ	أَنْ يَكْرَعَ الظَّمْآنْ	مِنَ المَعِينْ
فِى مَشْرَبِ الرِّضْوَانْ	فَذَاكَ سَعْدٌ دَانْ	لِلرَّائِدِينْ
يَا حَادِىَ الظُّعْنِ	وَسَائِقَ الرَّكْبِ	إلَى العَقِيقْ
أَسِفْتُ لِلبَيْنِ	فَهَلْ إلَى القُرْبِ	يُلْفَى طَرِيقْ
مَتَى النَّوَى تُدْنِى	مِن مَطْلَعِ الشُّهْبِ	قَلْبًا خَفُوقْ
فَيَتْرِبُ بُسْتَانْ	لِلرَّوْحِ والرَّيْحَانْ	فِيــهِ فُنُونْ
وَدَوْحُهُ المُزْدَانْ	تَحْيَا بِهِ الأَكْوَانْ	فى كلِّ حِينْ
يَا خَيْرَ مَرْسُولِ	لِلحُرِّ وَالعَبْـدِ	بِالمُعْجِزَاتْ
نِدَاءُ مُحِبٍّ مَــــولِ	نَادَى عَلَى بُعْـدِ	خَوْفَ المَمَاتْ
أَنْتَ مُنَى سُولِى	وَأَنْتَ قَصْـــدِى	وَلِى صِفَاتْ
تَمُجُّهَا الآذَانْ	وَتَقْتَضِى الهِجْرَانْ	فَمَا يَكُونْ
مِنْ ذِى شُجُونٍ عَانْ	يَحْكِى بِدَوْحِ البَانْ	شَادِى الغُصُونْ
يَا صَاحِ وَالقَصْدُ	أَنْ يَظْفَرَ الأَوَّاهْ	بِقَصْـــدِهِ

[٣٨٩]

(١) فى ط: «تخالف».
(٢) فى ط: «الأعيان».

إنْ شَفَّكَ البُعْدُ فَثِقْ بِعَفْوِ اللهْ عَنْ عَبْدِهِ
وَدَعْ فَتًى يَشْدُو وَاللَّهْوُ قَدْ أَلْهَاهْ عَنْ رُشْدِهِ
جِنَّانُ يَا جَنَّانْ اِجْنِ مِنَ البُسْتَانْ اليَاسَمِينْ
وَخَلِّ الرَّيْحَانْ بِحُرْمَةِ الرَّحْمٰنْ لِلعَاشِقِينْ

وقوله[1] رحمه الله تعالى :

لِأَحْمَدَ المُصْطَفَى مَقَامُ
جَلَّ عُلاً فَلَا يُرَامُ
بِنُورِهِ يَهْتَدِي الأَنَامُ
فَأَيُّ شَمْسٍ وَأَيُّ بَدْرٍ قَدْ أَطْلَعَتْهُ لَنَا السُّعُودُ
بِنُورِهِ تُشْرِقُ الشُّمُوسُ
فِي حُبِّهِ تَخْلَعُ النُّفُوسُ
يَا أَيُّهَا المُسْمِعُ الرَّئِيسُ
أَدِرْ عَلَيْنَا كُئُوسَ فَخْرٍ مِنْ ذِكْرِهِ نُعْطَ مَا نُرِيدُ
أَمْدَاحُ خَيْرِ الوَرَى نَعِيمُ
نَحْنُ أُنَاسٌ بِهَا نَهِيمُ
يَا مَادِحِيهِ بِاللهِ قُومُوا
خُوضُوا بِنَا مَوْجَ بَحْرِ فَخْرٍ مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهْوَ شَهِيدُ
الشَّطْحُ فِي حُبِّهِ مُبَاحُ
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا ارْتِيَاحُ
قُلُوبُنَا حَشْوُهَا جِرَاحُ

---

(١) هذه الموشحة من م .

مِنْ نَأْيِ مَغْنَاهُ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَرَى قَبْرَهُ العَمِيدُ

إِنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِالوُصُولِ

لِقَبْرِ خَيْرِ الوَرَى الرَّسُولِ

السَّيِّدِ الأَرْفَعِ الجَلِيلِ

فَثَمَّ نَخْلَعُ ثِيَابَ طُهْرٍ وَتُوفِي رُوحِي لِمَنْ تُرِيدُ

وقوله أيضا :

لَهْفِي عَلَى عُمْرِي[1] مَضَى وَالشَّيْبُ فِي الفَوْدِ بَدَا وَمَا قَضَيْتُ الغَرَضَا

أَيَّامَ رَيْعَانِ الشَّبَابْ وَلَّتْ وَلَمْ تَنْوِ الإِيَابْ

فَنَارُ حُزْنِي فِي التِهَابْ وَدَمْعُ عَيْنِي فِي انسِكَابْ

يَا عَهْدَ أَيَّامِ الرِّضَا هَلْ رَجْعَةٌ تَشْفِي الصَّدَى حَقًّا وَتَنْفِي المَرَضَا

إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا دَعْ عَنْكَ أَوْصَافَ الجَفَا

وَاذْكُرْ لِرَسْمٍ قَدْ عَفَا وَهِمْ بِمَدْحِ المُصْطَفَى

الهَاشِمِيِّ المُرْتَضَى تَاجِ العُلَا شَمْسِ الهُدَى لَا تَبْغِ مِنْهُ عِوَضَا

[٣٩٠] وشِمْ رُبُوعًا لِلحَبِيبْ وَأَنْزِلْ بِمَغْنَاهُ الرَّحِيبْ

وَلُذْ بِمَرْعَاهُ الخَصِيبْ فَهْوَ لِمَا تَشْكُو الطَّبِيبْ

نَادِ بِهِ مُعْــرِضًا هَلْ تَقْبَلُونَ مُكْمَدًا قَدْ كَانَ عَنْكُمْ أَعْرَضَا

رَمَتْ فُؤَادِيَ النَّــوَى وَغُصْنُ عُمْرِي قَدْ ذَوَى

وَالشَّوْقُ قَلْبِيَ قَدْ كَوَى وَاهًا عَلَى فَقْدِ القُــوَى

(١) في م : « عمر » .

قَفَى النَّوَى مَا قَدْ قَفَى هَلْ يَسْتَطِيعُ الجَلَدَا قَلْبٌ عَلَى جَمْرِ الغَضَى

لَقَــدْ تَنَاءَتِ الدِّيَارْ وَشَــطَّ بِى عَنْهَا المَزَارْ

لَوْ كَانَ لِى حُكْمُ اخْتِيَارْ مَا قَرَّ بِى عَنْهَا قَرَارْ

مَا شَاءَهُ حُكْمُ القَضَا يَجْرِى وَلَوْ طَالَ المَدَى فَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضَا

وقوله رحمه الله :

أَطْلَعَ الصُّــبْحُ رَايَةَ الفَجْرِ فَتَبَدَّى المَكْتُومُ مِنْ سِرِّى

إِنْ تَكُنْ بَاحِثًا عَنِ الأَسْرَارْ فَانْتَشِقْ صَاحِ نَفْحَةَ الأَسْحَارْ

وَأَطِلْ فِى الأَصَائِلِ الأَذْكَارْ فَهْىَ أَذْكَى مِنْ عَاطِرِ الأَزْهَارْ

أَيْنَ طِيبُ المِسْكِ وَشَذَا(١) الزهْرِ فِى دُجَى اللَّيْلِ مِنْ شَذَا الذِّكْرِ

آهِ مِنْ أَدْمُعِى وَمِنْ حُزْنِى فَجْعَةُ البَيْنِ كَمْ تَرَى تُضْنِى

جِسْمَ مُشْتَاقٍ دَمِى الجَفْنِ يَا عَذُولِى عليهم عَــنِّى(٢)

عَــبَرَاتِى تَنْهَلُّ كَالْقَطْرِ وَفُؤَادِى يُذْكِى عَلَى الجَمْرِ

شَفَّنِى الوَجْدُ فَاجْبُرُوا صَدْعِى يَوْمَ بِنْتُمْ عَنْ سَاحَتِى سَلْعِ

خَدَّدَ الخَدَّ سَاكِبُ الدَّمْعِ إِنْ تَعُودُوا مُتَيَّمَ الجِزْعِ

بُدِّلَ العُسْرُ مِنْــهُ بِاليُسْرِ وَأَتَـــهُ السُّعُودُ بِالبِشْرِ

لَيْسَ لِلعَبْــدِ مِنْكُمُ بُدُّ قَدْ بَرَانِى وَشَـــفَّنِى البُعْدُ

(١) كذا فى الأصلين . والصواب : « شذا » بدون واو العطف ، ليجرى مع الطام ، وهو من الخفيف .

(٢) كذا فى ط . وفى م : « غنى » .

مَنْ لِصَبٍّ أَذَابَهُ الوَجْدُ بَاتَ فِي دَوْحِ حُزْنِهِ يَشْدُو
فِي هَوَاكُمْ لَقَدْ فَنِي عُمْرِي فَالطُفُوا بِي وَأَمِّنُوا ذُعْرِي
سَيِّدِي أَنْتَ مَلْجَأُ الصَّبِّ فَأَجِرْ مِنْ ضَنَى النَّوَى قَلْبِي
إِنْ تَكُنْ لِي أَوْ إِنْ تَكُنْ حَسْبِي فِيكَ أَشْدُو مَقَالَ ذِي عُجْبِ :
(١) جَرِّرِ الذَّيْلَ أَيَّمَا جَرِّ وَصِلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ(٢)

[٣٩١] وقوله رحمه الله تعالى :

لِأَحْمَدَ بَهْجَةٌ كَالقَمَرِ الزَّاهِرْ فِي أَبْرُجِ السَّعْدِ
عَلَاؤُهَا يَسْبِي بِنُورِهِ البَاهِرْ كُلَّ سَنَى مَجْدِ

فِي عَالَمِ القُدْسِ قُدِّسَ عَلْيَاهُ فَفَاقَ فِي الخُلْدِ
بِالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ يُزْرِي مُحَيَّاهُ فَجَلَّ عَنْ نِدِّ
لِلْجِنِّ وَالإِنْسِ أَرْسَلَهُ اللهُ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
أَدَلَّ بِالحُجَّةْ وَأَمْرِهِ الطَّاهِرْ(٣) مَنْ خَانَ لِلْعَهْدِ
بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ ثَنَاؤُهُ العَاطِرْ أَنْدَى مِنَ النَّدِّ

يَا خَيْرَ مُرْسُولِ مِنْ خِيرَةِ الخَلْقِ أَذَابَنِي البُعْدُ
إِلَيْكَ يَا سُؤْلِي قَدْ قَادَنِي شَوْقِي فَكَمْ أَرَى أَشْدُو
بِصَوْتِ مَخْبُولِ حَكَى غِنَا وُرْقِ هَيَّجَهَا الوَجْدُ
غَرِقْتُ فِي لُجَّةْ وَلَيْسَ لِي نَاصِرْ عَلَى جَوَى البُعْدِ

(١) هذا مطلع موشحة لأبى بكر بن باجة .
(٢) فى رواية : « وصل السكر منك بالسكر » .
(٣) فى م : « القاهر » .

إلاكَ يا حسْبِى وأدْمُعُ النّاظِرْ تَنْهلُ فى الخَدِّ

إنْ عاقنى ذَنْبِى عنْ ذلكَ المَغْنَى فليْسَ لى حوْلُ

وكيْفَ بالقُرْبِ للهائِمِ المُضْنَى وبيْننا سُبْلُ

تذيبُ بالكَرْبِ جِسْماً ذوى حُزْنا وشفّهُ الخَبلُ

إليْكُمُ وجْدُهْ وجْهاً غدا حائرْ والدّمعُ فى الخَدِّ

يَنْهلُ كالسُّحْبِ وزفْرةُ الخاطِرْ تُلْهِبُ بالوقْدِ

يا سامِعَ النّجْوَى إليْكَ أوْصابِى تَشْكُو بأوْجالِى

ترَكْتنى نِضْوَا أَلوذُ بالبابِ مُقسَّمَ البالِ

إنْ كانَ بالبَلْوَى لطُولِ أغْيابِى أساأْتُمُ حالِى

فقلْبُكُم[١] رجْعَهْ بها أرَى حاسِرْ[٢] إنْ لمْ تكُنْ ندّى[٣]

أَعُوذُ بالحُبِّ مِنْ أمْرِكَ الآمِرْ بالبُعْدِ للعَبْدِ

مُحِبٌّ مَنْ تُحْدَى لِقَبْرِهِ النُّجْبُ السّيِّدِ الطّاهِرْ

هُمْ دائماً وجْدا يأيُّها الصّبُّ وعَدِّ عنْ خاطِرْ

مَنْ قالَ إذْ أوْدَى بقلْبِهِ الحُبُّ قوْلاً غدا سائِرْ

بدائعُ[٤] البهْجَهْ ونُزْهةُ النّاظِرْ وجنّةُ الخُلْدِ [٣٩٢]

وبُغْيةُ القلْبِ وراحةُ الخاطِرْ فى ذلكَ الخَدِّ

---

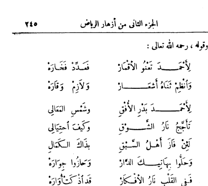
(١) كذا فى م . وفى ط : « قبلكم » . والمعنى — على كلتا الروايتين — غير واضح .

(٢) فى ط : « خاسر » .

(٣) فى م : « رندى » .

(٤) فى الأصلين : « براكم » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وقوله ، رحمه الله تعالى :



لِأَحْمَـــدَ تعنو الأقمارْ فَمَـدِّدْ فَخَارَهْ
وَانظِمْ ثَنَاهُ أشعَـــارْ وَلَازِمْ وَقَارَهْ

لِأَحْمَـــدَ بَدْرِ الأُفْقِ وشَمْسِ المَعَالِي
تَأَجَّجُ نَارُ الشَّـــوْقِ وكَيفَ احتِيَالِي
لَئِنْ فَازَ أَهْـلُ السَّبْقِ بذَاكَ الـكَمَالِ
وَحلُّوا بِهَاتِيـــكَ الدَّارْ وَحَازُوا جِوَارَهْ
فَـفِى القَلْبِ نَارُ الأفْـكَارْ قَد أَذْكَتْ أُوَارَهْ

حَادِى الرَّكْبِ بَلِّغْ عَنِّى سَـلَامًا كَثِيرًا[1]
وَقُلْ مُغْرَمٌ ذُو حُزْنٍ قَدْ أَضْحَى أَسِيرًا
أَصْمَتْهُ سِهَامُ البَيْنِ لَمْ يُلْفِ نَصِيرًا
وَقَدْ أَبْعَـدَتْهُ الأَقْدَارْ وَالحُزْنُ أَثَارَهْ
فِى القَلْبِ تَنَائِى الأَقْطَارْ يُضْرِمُ نَارَهْ

إِذَا لَاحَ لَمْعُ الـبَرْقِ مِنَ اَكْنَافِ نَجْدِ
دَعَانِى إِلَيْهِ شَـوْقِى وَ إِفْرَاطُ وَجْدِى
إِلَى قَـبْرِ خَـيْرِ الخَلْقِ سَأَجْهَدُ جَهْدِى
لَعَـلِّى أَقْضِى الأَوْطَارْ وأُعْطَى مَزَارَهْ

(١) كذا فى م . وفى ط : « أسيرا » . ولعلها هذه الأخيرة محرفة عن « أثيرا » .

فَمَتَى تُمْحَى الأَوْزَارْ إِذَا زُرْتُ دَارَهْ

يَا حَادِىَ شَوْقِى زَمْزِمْ بِذِكْرِ الحَبِيبْ
يَا حَرَّ وَجْدِى ضَرِّمْ نِيرَانَ الوَجِيبْ
يَا دَمْعَ عَيْنِى أَرْزِمْ بِخَدِّ الكَئِيبْ
رُسُومَ سُطُورِ التِّذْكَارْ لِرَبْعٍ أَنَارَهْ
سَنَا نُورِ وَجْهِ المُخْتَارْ قَدْ أَعْلَى[1] مَنَارَهْ

أَيَا رَبِّ بِالمُخْتَارْ والصَّحْبِ الكِرَامْ
قَرِّبْ قُرْبَ نَائِى الدَّارْ[2] مِنْ ذَاكَ المَقَامْ
وأَغْفِرْ قَوْلَ[3] ذِى إِصْرَارْ غَنِّى فِى هُيَامْ
مَنْ يُرِونِى دَارَ العَطَّارْ بِذُرَا المَنَارَهْ
ثِيَابِى وَمَا تَحْوِى الدَّارْ[4] نُعْطِيهِ البِشَارَهْ

وقوله ، رحمه الله تعالى :

آهِ مِنْ فَرْطِ الوَجِيبِ أَوْرَثَتْ قَلْبِى خَبَـلَا
زَفَرَاتُ شَوْقِ مُدْنَفِ مِنْكُمُ لَمْ يُعْطَ وَصْلَا

قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ والبُكَاهُ والأَنِينْ
نَحْوَكُمْ لَهُ حَنِينْ أَبَدًا بِهِ يَدِينْ

---

(١) فى م : « ضيا » .
(٢) فى م : « قرب نائى الديار » .
(٣) فى ط : « قوى » .
(٤) رواية هذا الشطر فى ط : « وما تحوى الدار » . والتصويب عن م .

دَمْعُ خَــدَّيْهِ الهَتُونُ دَمِيَتْ منـــه[١] الجُفُونُ
يَا سَقَامِى[٢] يَا طَبِيبِى عَفْوُكُمْ عَــنِّىَ أَوْلَى
لم تَزَلْ[٣] بِاللُّطفِ تُوصَفْ فأَنِلْ عبْـدَكَ فَضْــلاَ

لمْ تزَلْ بِى فِى أُمُورِى سَـيِّدِى مَوْلًى لَطِيفَا
أَنْتَ مَوْلاَىَ نَصِـيرِى فَاجْـبُرِ العَبْـدَ الضَّعِيفَا
مَنْ عَذِيرِى أَوْ مُجِيرِى إِنْ أَطَلْتَ بِى الوُقُوفَا
يَا لِيَـوْمِىَ العَصِيبِ وَسِـجِلُّ الصُّحْفِ يُتْلَى
وقُلوبُ الخَلْقِ تَرجُفْ وَلِنَارِ الخَوْفِ تَصْلَى

بِالنَّـــبِىِّ بِالعَــلِىِّ [بالرَّفيع][٤] القَدْرِ أَحمَدْ
وَعَتِيـــقِ الرَّضِىِّ وَأَبى حَفْصِ المُمَجَّدْ
والشَّهِيــــدِ وَعَلِىٍّ غُرَرِ الفَخْرِ المُؤَبَّدْ
نحْوَ سَاحَاتِ الحَبِيبِ فَلْتُيَسَّرْ لِىَ سُــبْلَا
فَمَتَى بِالقُرْبِ أَسْعَفْ أَوْ أُرَى لِذَاكَ أَهْلَا
يَا حُدَاةَ العِيسِ عَنِّى فَاحمِـلُوا نَحْوَ العَقِيقِ
أَسَــفِى وَطُولَ حُزْنِى وَبُكَائى وَشَهِيـــقِى
عَلِّنِى بِالخَيْفِ[٥] أَجْنِى زَهْرَ إِبَّانِ اللُّحُوقِ [٣٩٤]

---

(١) فى ط هنا : « به الجفون » وفى عجز البيت الذى قبله : « منه يدين » . ولعل الناسخ وضع كلا من حرفى الجر مكان الآخر .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « ياشقائى » .
(٣) فى ط : « لا تزال » . وما أثبتناه من م .
(٤) هذه الكلمة أو ما فى معناها يقتضيها السياق .
(٥) فى ط : « بالخوف » .

هَلْ لِصَبٍّ مِنْ نَصِيبِ فَيَعُودَ الْهَجْرُ وَصْلَا
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ اعْطِفْ وَأَنِلْ مُضْـنَاكَ شَمْلَا(١)

سَـيِّدِى قَدْ ذُبْتُ حُزْنَا لَا تُخَيِّبْ فِيكَ قَصْدِى
وَأَنِلْنِى مِنْكَ حُسْنَى(٢) قَدْ بَرَانِى طُولُ بُعْدِى
وَاغْتَفِرْ قَوْلَ مُعَــنَّى هَائِمًا يَشْكُو بِوَجْدِى
يَا فُلَانُ إِنْ زُرْتَ حَيِّى اِفْتِلِ اذْنُو بِالرُّسِيلَا
لِيشْ أَخَذْ عُنُقَ الْخُشَيْفْ وَسَرَقْ فَمَّ الْحُجَيلَا(٣)

انتهى ما قصدته من مُوَشَّحات هذا الشيخ النبوية .

نظم الجبذامى فى غير الموشحات

وأما نظمه فى غير الموشحات ، فمنه قوله رحمه الله :

هَبَّ النَّسِيمُ بِطِيبِ ذِكْرِ الْهَادِى فَتَأَرَّجَتْ نَفَحَاتُ عَرْفِ النَّادِى
يَا شَادِيًا يَشْدُو بِمَدْحِ مُحَمَّدٍ كَرِّرْ فَدَيْتُكَ مَدْحَهُ يَا شَادِى
كَرِّرْ عَلَى الْأَسْمَاعِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ فَلِذِكْرِهِ بَرْدٌ عَلَى الْأَكْبَادِ
وَأَعِدْ عَلَيْنَا نَظْمَ فَخْرِ هِلَالِ مَنْ بَهَرَ الْوَرَى مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِى
هُوَ ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ وَقُطْبُهُ هُوَ صَـفْوَةُ الْأَشْرَافِ وَالْأَمْجَادِ
هُوَ بَحْرُ جُودٍ فَاضَ عَذْبُ نَوَالِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ لَدَى الْوُرَّادِ
هُوَ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ وَالْمُخْتَارُ مِنْ أَعْلَى نِجَارٍ(٤) جَلَّ عَنْ أَنْدَادِ

---

(١) فى م : « نيلا » .
(٢) فى الأصلين : « حسنا » . وما أثبتناه أولى .
(٣) هذه الخرجة من زجل للبعبع ، وقد وردت فى صفحة ٢١٨ من هذا الجزء باختلاف فى بعض الكلمات ، فلتراجع .
(٤) فى الأصلين « نجار » . وما أثبتناه أحق بالسياق .

هُوَ مُنْتَهَى أَمَلِي وَمَلْجأُ مَفْزَعِي ... هُوَ شَمْسُ إِيمانِي وَبَدْرُ رَشادِي
هُوَ عِصْمَتِي مِمَّا أَخافُ وَحُبُّهُ ... يَوْمَ القِيامَةِ لِلْخُطُوبِ عِمادِي
إِشْرَاقُ كُلِّ النَّيِّرَاتِ وَحُسْنُهَا ... مِنْ نُورِ حُسْنِ شِهابِهِ الوَقَّادِ
لاَ تَعْجَبُوا فَعِنايَةُ المُخْتَارِ قَدْ ... خَرَقَتْ قِياسَ العَقْلِ فِي المُعْتادِ
شَوْقِي إِلَى ذَاكَ المَقَامِ أَثارَهُ ... حُزْنٌ تَلَهَّبَ لَفْحُهُ بِفُؤَادِي
يَا وَيْحَ مُكْتَئِبٍ وَمَا قَدْ شَفَّهُ ... مِنْ فَرْطِ أَحْزانٍ وَطُولِ بِعادِ
كَمْ رَامَ قُرْبَ الدَّارِ مِنْ أَحْبَابِهِ ... لَوْ أَسعفَ المَقْدُورُ بالإِسْعادِ
كَمْ رَامَ أَنْ يَشْفِي بِزَوْرَتِه ظَمَا ... قَلْبٍ إِلَى تِلْكَ المَعاهِدِ صادِي
أَيَّامَ أَطْلعَ بَدْرُ حُسْنِ شَبابِهِ ... مِنْ فَوْقِ نَاعِمِ غُصْنِهِ المَيَّادِ
[٣٩٥] فَالآنَ قَدْ لَعِبَتْ بِهِ أَيَّامُهُ ... وَعَدَتْ عَلَيْهِ لِلْمَشِيبِ عَوادِي
شَيْبٌ وَضَعْفٌ وَانْتِزَاحُ مَواطِنٍ ... فَمَتَى يُتِيحُ الدَّهْرُ نَيْلَ مُرادِي
لَهْفِي عَلَى عُمْرٍ تَصَرَّمَ وَانْقَضَى ... أَفْنَيْتُ فِيهِ طَارِفِي وَتِلادِي
فَلأُنْزِحَنَّ مَدامِعِي أَسَفًا عَلَى ... مَا قَدَّمَتْهُ يَدِي لِيَوْمِ مَعادِي
يَا حادِيَ الأَظْعَانِ يَأْمُلُ طَيْبَةً ... أُقْصُصْ فَدَيْتُكَ قِصَّتِي يَا حادِي
وَانْزِلْ بِهاتِيكَ الرُّبُوعِ وَقِفْ عَلَى ... نَادِي النَّدامَى إِنْ عَرَضْتَ وَنادِ:
هَذَا أَسِيرُ بِعادِكُمْ أَجْفانُهُ ... تَحْكِي بِفَيْضِ الدَّمْعِ سُحْبَ عِهادِ
فَمَتَى عَلَى بُعْدِ الدِّيارِ وَشَحْطِها[1] ... يَحْظَى بِوَصْلِكُمُ حَلِيفُ سُهادِ
فَعَلَيْكُمُ مِنِّي سَلاَمٌ طَيِّبٌ ... مَا نَاحَ غِرِّيدٌ بِسَرْحَةِ وَادِي

وقوله رحمه الله :

سَأَنْظِمُ مِنْ فَخْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... لآلِئَ لاَ يَبْلَى جَدِيدُ نِظامِهَا

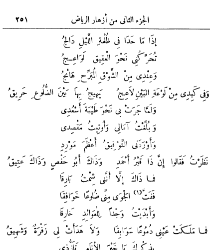
(١) فى م : «وشطها».

تَضَــوَّعَ طِيباً عَرْفُهَا فَكَأَنَّهُ تَضَوُّعُ أَزْهَارٍ بدَتْ مِنْ كِمَامِهَا
سَجَايَا أَبَتْ إِلاَّ السَّمَا كَيْنَ مَنْزِلاً فَفَاقَ عَلَى العَلْيَاءِ عِلْقٌ[1] مَقَامِهَا
خِلاَلٌ إِذَا لاَحَتْ قِبَابٌ لَدَى عُلاً تُنِيفُ فتعلُوها قِبَابُ خِيَامِهَا
إِذَا يَمَّمُوا يَوْماً إِمَامَ مَكَارِمٍ فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى إِمَامَ إِمَامِهَا
فَكَمْ ذُو عُلاً أَوْمَا لِدَرْكِ مَقَامِهَا فَمَرَّ وَلَمْ يُدْرِكْ مَرَامِي مرامِهَا
وَكَمْ ظَامِئٍ قَدْ رَامَ رُوَى رِيِّهَا فَآبَ وَقَدْ أَضْحَى عَلِيلَ[2] أُوَامِهَا
لِذَاكَ الْمَلاَ قَلْبِي مَشُوقٌ بِحُبِّهِمْ وَقَدْ شَوَّقَتْ[3] نَفْسِي بطُولِ مُقَامِهَا
فَللهِ عَيْنٌ لاَ تَمَلُّ بُكَاءَهَا وَقَدْ حُرِمَتْ فِيهِ لَذِيذَ مَنَامِهَا
وَنَفْسٌ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ قَرِيحَةٌ تُطَارِحُ فِي البَلْوَى حَمَامَ حِمَامِهَا
وَعمرٌ مَضَتْ أَيَّامُ شَرْخِ شَبَابِهِ وَقَدْ قَصَّرَ فِ الدَّهْرِ غُصْنَ قَوَامِهَا
فَيَا نَسْمَةَ الأَسْحَارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبٍ أَلِمِّي بِنَفْسٍ قَدْ دَوَتْ بِضِرَامِهَا
وَيَا حَادِيَ الأَظْعَانِ نَحْوَ قِبَابِهِمْ أَلاَ فَاخْصُصِ العَلْيَا بِطِيبِ[4] سَلاَمِهَا

ومن تخميسه — ومن ذلك قوله رحمه الله مُخَمِّسًا شعراً لغيره :

أَلاَ هَلْ إِلَى وَادِي العَقِيقِ طَرِيقُ
فَقَدْ هَاجَ شَوْقًا[5] لِلدِّيَارِ مَشُوقُ
يَقُولُ وَفِي الأَكْبَادِ مِنْهُ خُفُوقُ
دُمُوعِي عَلَى وَادِي العَقِيقِ عَقِيقُ وَلِي زَفْرَةٌ تَحْدُو بِهَا وَتَسُوقُ [٣٩٦]

(١) كذا فى م . وفى ط : « علو » .
(٢) فى ط : « غليل » .
(٣) فى ط : « سوك » .
(٤) فى ط : « بطول » .
(٥) فى م : « شوق » .



إذَا مَا حَدَا فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَالِجُ

تُحَرَّكُ كَى نَحْوَ العَقِيقِ لَوَاعِجُ

وَعِندى مِنَ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ هَائِجُ

وَفِى كَبِدِى مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ لَاعِجُ   يَهِيجُ بِهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ حَرِيقُ

وَلَمَّا جَرَتْ بِى نَحْوَ طَيْبَةَ أَسْعُدِى

وَ بَلَغْتُ آمَالِى وَأَوْتِيتُ مَقْصِدِى

وَأَوْرَدَنِى التَّوْفِيقُ أَعْظَمَ مَوْرِدِ

نَظَرْتُ فَقَالُوا إِنَّ ذَا قَبْرُ أَحْمَدِ   وَذَاكَ أَبُو حَفْصٍ وَذَاكَ عَتِيقُ

فَما ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِى شِمْتُ بَارِقَا

فَفَتْ[1] الجَوَى مِنِّى ضُلُوعًا خَوَافِقَا

وَأَبْدَيْتُ وَجْدًا لِلْعَوَائِدِ خَارِقَا

فَما مَلَكَتْ عَيْنِى دُمُوعًا سَوَابِقَا   وَلَا هَدَأَتْ لِى زَفْرَةٌ وَشَهِيقُ

بِذِكْرِكَ يَا خَيْرَ الأَنَامِ تَلَذُّذِى

وَبِاسْمِكَ مِنْ خَطْبِ البِعَادِ تَعَوُّذِى

وَمَا زَالَ قَلْبِى بِامْتِدَاحِكَ يَغْتَذِى

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ حُبُّكَ مُنْقِذِى   وَإِنِّى لَفِى بَحْرِ الذُّنُوبِ غَرِيقُ

عَلَيْكَ مَدَى[2] الأَحْيَانِ تَنْهَلُّ أَدْمُعِى

وَفِيكَ وَإِنْ أَبْعَدْتُ مَا زَالَ مَطْمَعِى

شَفِيعِى حَبِيبِى لِلنَّبِىِّ المُرَفَّعِ

وَهَلْ تُحْرِقَنَّ النَّارُ قَلْبِى وَأَضْلُعِى   وَحُبُّكَ فِى قَلْبِى وَأَنْتَ رَفِيقُ

(١) كذا فى م . وفى ط : « ففرت » . (٢) فى م : « مع » .

ثَنَاؤُكَ رَيْحَانِى وَمِسْكِى وَمَنْدَلِى
عَلَيْكَ رَسُولَ اللهِ كُلُّ مُعَوَّلِى
حَنَانَيْكَ لِلْقَلْبِ الْمُتَيَّمِ فَابْذُلِ
فَكَمْ فِيهِ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلِ وَرَبُّكَ بِالوَعْدِ الكَرِيمِ حَقِيقُ

من نظمه فى مدح النبى

قلتُ : ولنجعل آخر ما أوردنا[1] من أمداحه النبوية قولَه :

تَرَكْتُ امْتِدَاحَ الْعَالَمِينَ وَلُذْتُ مِنْ مَدَائِحِ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالعُرْوَةِ الْوُثْقَى
سَأَجْعَلُهَا كَهْفِي وَحِصْنِي وَمَلْجَئِي لَعَلِّي بِالأَمْدَاحِ أَسْتَوْجِبُ العِتْقَا

نسأل الله ، بجاه هذا النبى الشريف القدر ، العظيم المَزِيَّة ، أن يُعتِقَنا من النار ، ويُجيرنا فى الدنيا والآخرة من كلِّ مصيبة ورَزِيَّة ، وأن يُسهِّل علينا زيارته العظيمة البَرَكات ، وأن يَلْطُف بنا فى السَّكَنات والحَرَكات .

***

لابن خاتمة فى الموشحات

وقد عنَّ لى لمَّا ذكرت كلام ابن خلدونَ فى الموشَّحات أن أذكر كلام الإمام ابن خاتمة .

[٣٩٧]

قال رحمه الله تعالى فى كتابه « مَزِيَّة المَرِيَّة » فى باب محمد ، ما نصه :

« محمَّد[2] بن عُبادة ، يكْنَى أبا بكر ، ويُعرف بالقزَّاز ، وأحسبُه من أهل مالَقة ، كان من صدور الأُدباء ، ومشاهير الشعراء الألِبَّاء ؛ وممن له باع فسيح ، فى طريقة التوشيح ؛ حتى طار اسمه فيها كلَّ مَطار ، واشتهر بها نظمه أيَّ اشتهار . وهذه الطريقة من مخترعات أهل الأندلس ، ومُبْتَدَعاتهم الآخذة

(١) ق ط : « أردناه » .
(٢) انظر ترجمة محمد بن عبادة هذا فى القسم الثانى من الذخيرة لابن بسام .

بالأنْفُس ؛ هم الذين نَهَجُوا[1] سبيلها ، ووضعوا مَحْصُولها .

قال أبو الحسن بن بَسَّام : وأول [من صنع أوزان هذه الموشّحات بأُفقنا ، واخترع طريقتها][2] ، فيما بلغنى ، محمد بن محمود[3] القَبْرِىّ الضرير ، وكان يصنعها[4] على أعاريض أشطار الأشعار ، غير أنّ أكثرها على الأعاريض المهملة ، غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامىّ أو العَجَمىّ ، يسميه المَرْكَز ، ويضع عليه الموشّحة ، من غير تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن أبا عمرَ أحمد بن عبد ربّه ، صاحب كتاب « العقد » هو أول من سبق إلى هذا النوع من الموشّحات .

وحكى الكاتب أبو الحسن على بن سعيد العَنْسىّ فى كتابه « المُقْتَطَفُ من أزاهر الطُّرَف » : أن الحجارىّ ذكر فى كتابه « المُسْهِب فى غرائب المَغْرب » أن المخترع لها بجزيرة الأندلس المُقَدَّم بن مُعَافَى[5] القَبْرِىّ ، من شعراء الأمير عبد الله المروانى ، وأخذه عنه أبو عُمَرَ بن عَبْد رَبِّه ، صاحب « العقد » ، ثم غلبهما عليه المتأخرون . وأول من برع فيــه منهم عُبادة بن القَزّاز ، شاعر المعتصم صاحب المَرِيّة .

قال الأستاذ أبو الحسن على بن سَعْد الخير البَلَنْسىّ فى كتابه : « نُزْهَة الأنْفُس ، وروضة التأنُّس ، فى توشيح أهل الأندلس » ضمنه عشرين وشّاحا ، على طبقاتهم فى الإجادة والإحسان :

العُبادِيُّون ثلاثة : ابنُ ماء السماء ؛ وهو عُبادة بن عبد الله بن محمد بن عُبادة

(١) فى م : « نحوا » .
(٢) مكان مابين القوسين فى الأصلين : « وأول من اخترعها » وما أثبتناه من الذخيرة لابن بسام ، طبعة الجامعة المصرية (ج ٢ ص ١) .
(٣) فى الذخيرة : « حمود » .
(٤) فى م : « يضعها » .
(٥) فى الأصلين هنا : « المقدم أبو معافى » .

ابن ماء السماء بن أفلح بن الحسين بن سعيد بن قيس بن سعد بن عُبادة الخَزْرَجى [٣٩٨]
الأنصارى ، من أهل مالَقَة . وعُبادة بن محمد بن عُبادة الأقرع ، ومحمد بن[1]
عُبادة القزّاز هذا .

قال الأستاذ أبو جعفر : وكان محمد بن عُبادة من شعراء المعتصم ، فوشحه
منها بكل دُرّ مُنتظم ، وعقد بمعنى البلاغة والبراعة مُلْتَم . ومن أظرف ما وقع له
فى للمديح من التوشيح ، موشّحتُه التى أوّلها :

كَمْ فى القُدُودِ اللِّيَانْ تَحْتَ اللِّمَمْ مِنْ أَقْمُرٍ عَوَاطِى

ومن أظرف ماوقع له فى خلالها من حسن الالتئام ، وسهولة النظام ، ماينذُر
وجود مثله فى منثور الكلام ، وذلك فى أحد مراكزها حيث يقول :

لَمَّا غَـــــدَا قَادِرًا أَضْحَى قَلِيلْ[2] المَعْدَلَهْ
يا حاكِمًا جائِرًا قَتَلْتَ مَنْ لا ذنبَ لَهْ
سَطَوْتَ بِالْهَيْمَانْ[3] ظُلْمًا وَلَمْ تَسْتَبْصِرِ يا ساطِى
خَفْ سَطْوَةَ الرَّحْمَنْ إذا حَكَمْ بَيْنَ البرى والخاطِى

ويخرج فى هذه الموشحة على قوله :

مَا أَمْلَحَ المِهْرَجَانْ وَقُلْ نَعَمْ كالعَنْبَرِ لِلْسَوَاطِى
والفُلْكُ كالعِقْبَانْ والمعتصِمْ بِالْعَسْكَرِ فى الشَّاطِى»

ثم قال ابن خاتمة : « ومن شعره ما أنشده الأديب أبو أحمد ، جعفر بن إبراهيم
ابن الحاجّ اللَّمَاوِىّ فى كتابه « محك[4] الشعر » ونَسَبه إليه :

(١) فيا مر من عبارة ابن سعيد « ... عبادة بن القزاز » . وفيا نقل عن ابن خلدون
فى هذا الجزء (ص ٢٠٧) : « عبادة القزاز » .
(٢) فى ط « عزيز » ، وهى بمعناها .
(٣) فى ط : «بالهيمان» .
(٤) فى م : « مجد » .

أَوْدِعْ فُؤَادِي حُرَقًا أَوْ دَعْ ... ذَاتُكَ تَرْدَى أَنْتَ فِي أَضْلعِي
وَارْمِ بِسِهَامِ اللَّحْظِ أَوْ كُفَّهَا ... أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابٌ مَعِي
مَوْقِعُهَا قَلْبِي وَأَنْتَ الَّذِي ... مَسْكَنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ

وله رحمه الله :

[٣٩٩] أُنْظُرْ إِلَى الْبَدْرِ الَّذِي لَاحَ لَكْ ... فِي وَسَطِ اللُّجَّةِ تَحْتَ الْحَلَكْ
قَدْ جَعَلَ الْبَحْرَ سَمَاءً لَهُ ... وَاتَّخَذَ الْفُلْكَ مَكَانَ الْفَلَكْ

وحضر مجلس المعتصم ابن صُمادح وبين أيديهم ورد مَصْبُوب ، فبرز من داخل وردة منها الحيوان الأخضر ، الموجود في الورد ، وتسميه العرب القيقزان[1] فقال له المعتصم : صفه ، فقال :

وأَخضرَ حمّاديّ[2] في الوَرْدِ لَائحٌ ... على صَفْحِ وَرْدٍ حُسْنُهُ مُتَنَاهِي
كما أخذتْ حسْناء فصّ زُمُرُّدٍ ... بِصُفْرَةِ مِسْوَاكٍ وَحُمْرِ شِفَاهِ

وكتب يوما إلى المعتصم وقد تأخرت صلات شعرائه :

يَأَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْعُلَا ... مَمَّنْ أَبُوهُ وَخَالُهُ الْمَنْصُورُ
بِفِنَاءِ قَصْرِكَ عُصْبَةٌ أَدَبِيَّةٌ ... لَا زَالَ وَهُوَ بِشَمْلِهِمْ مَعْمُورُ
زَفُّوا إِلَيْكَ بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ ... وَاسْتَبْطَئُوكَ فَهُمْ لَهُنَّ قُصُورُ»

انتهى كلام ابن خاتمة ، رحمه الله تعالى :

---

(١) كذا في ط . وفي م : « القيقوان » . ولم نجد في المعاجم اسم دويبة تكون في الورد بأحد هذين اللفظين . ووجدنا لفظة «قشبان» اسما لدويبة كالخنفساء تكون في النبات .

(٢) كذا في ط . وفي م : « سماوي » . والمعنى غير ظاهر على الروايتين .

رجـــع

وحيث انتهينا إلى هذا المقدار ، من الخروج عن أصل الترجمة ، فَلْنَثْنِ العِنان إلى ما ألممنا به أولا من ذكر سَبْتة . أعادها الله ، فنقول :

بعض ما ورد من الأثر فى سبتة

إن بعض الفقهاء يذكر فى شأن سَبْتة حـديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اختلف الناس فى أمره ، وقد حدَّث به الفقيه أبو عبد الله محمدُ [بن محمد] (١) ابن يحيى السَّرَّاج ، عن جده العلامة أبى زكريا السَّرَّاج ، قال أخبرنا أبو البركات محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إبراهيم بن أحمد الغافقى (٢) ، حدثنا (٣) محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدى ، حدثنا محمد (٤) بن حسن بن عطية ، هو ابن غازى ، حدثنا أبو الفضل عياض ، [حدثنا] (١) أحمد بن قاسم أبو العباس الصِّنْهاجى ، شيخ لا بأس به ، أنبأنا أبو على بن خالد ، وأبو عبد الله محمد بن عيسى ، قالا [حدثنا] (١) أبو عبد الله محمد بن على بن الشيخ ، [حدثنا] (١) وهب بن مَيْسَرة ، عن محمد بن وَضَّاح ، عن سُحْنون ، عن ابن القاسم ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : [٤٠٠]

« مَدِينَةٌ بالمغرب سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنها على مجمع بَحْرَى المَغْرب ، وهى مدينة بناها سَبْتُ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام ، واشتق لها اسما من اسمه ، فهى سَبْتة ، ودعا لها بالبركة والنصر ، فلا يريد أحد بها سوءا إلا رَدَّ الله دائرة السوء عليه » .

(١) التكملة عن م .
(٢) فى م : « الشافعى » .
(٣) فى ط « ابن » مكان قوله حدثنا . والتصويب عن م .
(٤) فى ط : « بن عمر » مكان قوله : « حدثنا محمد » :

هكذا ذكره الشيخ الإمام الحافظ ، سيدى أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم الربانى ، سيدى الحسن بن مخلوف التِّلمسانى — رحمه الله — فى شرحه للشفاء ، ورواه عن شيخه أبى عبد الله السَّرَّاج المذكور ، بالسَّند المذكور ، وقال إثْرَه : تَرَدَّدَ رأى القاضى عياض فى هذا الحديث ، ففى الغُنْية(١) : « أنا بَرَاء(٢) من عُهدة هذا الحديث » . وفيه : « هذا حديث موضوع . وابن الشيخ لا يُتَّهم ، ولا أدرى من [أين] (٣) دخل عليه(٤) هذا » . وفى المدارك(٥) : « هو حديث رواه ابن الشيخ عن وهب بن مَيْسَرَة ، يرفعه إلى مالك ، عن نافع ، عن ابن عُمر :

أنَّ فى أقصى المغرب ، على ساحل من سواحل البحر ، مدينةً تسمى سَبْتَة ، أسسها رجل صالح اسمه سبت ، واشتق لها اسماً من اسمه ، ودعا لها بالنَّصر والظَّفَر ، فما رامها أحد بسوء ، إلا ردَّ الله بأسه عليه » .

وذكر أشياء على من رامها بسوء ، ثم قال : وهذا كله يصدّق هذا الحديث . انتهى .

الخليفة الناصر وسبتة

وكانت سَبْتة مَطمَح هِمَم ملوك المُدَوَّنين ، وقد كان للناصر المَرْوَانىّ صاحب الأندلس عناية ، واهتمام بدخولها فى إيالته ، حتى حصَّل له ذلك ، ومنها مَلَكَ المَغرب ، حسْبما هو مذكور فى أخباره ، وكان تملكه إياها سنة تسع عشرة وثلاث مئة ، وبها اشتدَّ سلطانه ، وملك البحرَ بعُدْوَتيه ، وصار المجاز فى يده ، [٤٠١] وتوطّدَتْ طاعته بأرض المغرب ، وكان أولَ من سما إلى ذلك من أملاك

(١) الغنيــة : كتاب لعياض ، وقد سبقت إشارة المؤلف إليه فى مقدمة الجزء الأول وسيأتى الكلام عليه عند ذكر مؤلفات عياض .

(٢) كذا فى ط . وفى م : « أبرأ » .

(٣) التكملة عن م . (٤) فى ط : « عليهم » .

(٥) كذا فى م . يريد كتاب المدارك لعياض . وفى ط : « المذكور » . وهو تحريف .

الأندلس ، منذ سكنها الإسلام ، فاستظهر بها على أمره ، وخلّفها[1] ميراثاً لمن بعده من وُلاة الأندلس ، وأ كرم وجوه أهل سَبتة الذين جَنَحوا إلى طاعته ، ورفع منازلهم ، وقضى حوائجهم ، ووَصَلهم ، وخلع عليهم وعلى قاضيهم حُسَيْن ابن فتح .

خلافة الناصر

والناصر أول من تسمَّى بأمير المؤمنين من بنى أمية بالأندلس ، لأن الدولة عظمت فى أيامه ، حين اختلّ[2] نظام ملك العباسيين بالمشرق ، وتغلّبت عليه الأعاجم ، ولم يَتَسمّ أحد من سَلَفه[3] بالأندلس إلا بالأمير . وكان مُلكه بالأندلس فى غاية ما يكون من الضخامة[4] ورفعة الشأن ، وهادَنه الرُّوم ، وأزدلفت إليه ، تطلب مُهادنته ومُتاحفته بعظيم الذخائر ، ولم تَبْقَ أُمّةٌ سمعتْ به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجّهت إليه ، أو وفدت خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية . وقد سَرَد الإمام ابن حَيّان من ذلك فى تاريخه الكبير ما هو معلوم ، وذكر هو وغيره أن صاحب مدينة القُسْطَنْطِينيّة العُظمى هاداه ، ورغب فى مُوادعته .

رسل ملك الروم إليه

وكان وُصُول أرسال صاحب القسطنطينية عظيم الروم قُسْطَنْطِين بن ليونَ فى شهر صفر سنة ثمان وثلاثين[5] وثلاث مئة ، وتأهب الناصر لورودهم ، وأمر أن يُتَلَقَّوا أعظم تَلقٍ وأفخمه ، وأحسن قبول وأكرمه ، وأخرج إلى لقائهم ببَجّانة يحيى بن محمد بن اللّيث وغيره ، لخدمة أسباب الطريق ، فلما صاروا بأقرب المحلات من قُرطبة ، خرج إلى لِقائهم القوّاد ، فى العَدد والعُدّة

---

(١) فى ط : « وخلاها » . (٢) فى ط : « اختلط » .
(٣) فى ط : « ممن سلف » . (٤) فى ط : « الفخامة » .
(٥) كذا فى م ونفح الطيب ، وفيه أيضاً نقلا عن ابن خلدون ، أنها كانت سنة ست وثلاثين ، ولم يرجح المؤلف إحدى الروايتين . وفى ط : « ثلاث وثلاثين » .

والتَّعبية، فتلقوّهم قائداً بعد قائد، وكمّل اختصاصهم بعد ذلك بأن أخرج [٤٠٢] إليهم الفتيَيْن الكبيرين الخَصِيَّين: ياسرا وتمّاما، إبلاغا في الاحتفاء بهم، فلقياهم بعد القُوّاد، فاستبانا لهم بخروج الفتيين إليهم بَسْطُ الناصر وإكرامه[1]، وأنزلوا بمُنْيَة وليّ العهد الحَكَم، المنسوبة إلى نُصَير[2]، بعُدْوَة قُرْطبة في الرَّبَض، ومُنِعوا وحُمُوا من لقاء الخاصّة والعامّة، ومُلابسة الناس جُملة، ورُتّب لحجابتهم رجال تُخُيّروا من الموالي ووُجوه الحَشَم[3]، فصُيّروا على باب قصر هذه المُنْية ستة عشرَ رجلا، لأربع دُوَل، لكل دولة أربعة منهم، ورحل الناصر لدين الله من قَصْر الزَّهْراء إلى قصر قُرطبة، لدخول وفود الروم عليه، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، من السنة المذكورة، في بَهْو المجلس الزاهر، قُعوداً حسَنًا نبيلا؛ فقعد عن يمينه من بنيه، وليّ العهد الحَكَم، ثم عبد الله، ثم عبد العزيز، ثم الأصبغ، ثم مَرْوان؛ وقعد عن يساره المُنذر، ثم عبد الجبّار، ثم سليمان؛ وتخلّف عبد الملك، لأنه كان عليلا لم يُطِق الحضور؛ وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا، ووقف الحُجّاب من أهل الخِدْمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم، وقد بُسط صحن الدار أجمع بعِتاق البُسط وكرائم الدَّرانك[4]، وظُلّلت أبواب الدار وحناياها بظُلَل الدِّيباج ورَفيع السُّتور، فوصل [رُسُل][5] ملك الروم حائرين مما[6] رأوه

(١) ذكر المقري بعد هذا في النفح هذه العبارة: « لأن الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة، لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه، وبيدهم القصر السلطاني ».

(٢) كذا في نفح الطيب. وفي م « نصر ». وفي ط « مضر ».

(٣) في ط: « المشيخة ».

(٤) الدرانك: ضروب من البسط.

(٥) هذه الكلمة عن نفح الطيب.

(٦) في ط: « حائرين لمنعة ما رأوه ». وفي م: « حائرين لشنعة ما رأوه ». وما أثبتناه عن نفح الطيب.

من بَهجة المُلك ، وفَخامة السلطان ، ودفعوا كتابَ مَلِكهم صاحب القسطنطينية ، وهو فى رَقّ مَصْبوغ لونًا سماويًا ، ومكتوب بالذهب بالخط الإغريقى ، وداخل الكتاب مُدْرجة مصبوغة أيضا ، مكتوبة بفضّة بخط إغريقىّ أيضاً ، فيها وصف هديته التى أرسل بها وعددُها ، وعلى الكتاب طابَع ذهب ، وزنُه أربعة مثاقيل ، على الوجه الواحد منه صورة السيح ، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة [٤٠٣] ولده . وكان الكتاب بداخل دُرْج فضّة منقوش ، عليه غِطاء ذهب ، فيه صورة قسطنطين الملك ، مَعْمولة من الزجاج الملوّن البديع ، وكان الدُّرْج داخل جَعْبَة[1] مُلْبسة بالدِّيباج ، وكان فى تَرجمة عُنوان الكتاب فى سَطر منه :

« قُسطنطين ورُومانُس[2] ، المؤمنان بالمسيح ، المَلِكان العظيمان ، مَلِكا الروم » .

وفى سطر آخر :

« العظيم الاستحقاق للفخر ، الشريف النسب ، عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس ، أطال الله تعالى بقاءه » .

وفى خمس بقين منه نُقِل هؤلاء الرُّسُل من منزلهم بمُنْية نُصَير[3] بالرَّبَض ، إلى دار إبراهيم الفتى ، بداخل قُرطبة .

وفى آخر هذا الشهر أعاد الناصر لدين الله القُعود الثانىَ لرُسُل مَلِك الروم ، بقصر الزهراء ، فاحتفل لذلك أيضاً ، واستكمل له الأُهْبة ، وبالغ فى الزينة ، وقعد على باب السُّدة صاحب المدينة ، مع من ضُمَّ إليه من العُرَفاء والشُّرَط والحَرَس ، وهم صفوف قيام ، وقام مع سُور القصر سِماط من الموالى ، فى

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « جفنة » .
(٢) كذا فى إحدى روايات نفح الطيب (طبعة أوربة) . وقد ورد هذا الاسم مضطربا فى الاصلين وكثير من المراجع ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) انظر الحاشية رقم (٣) صفحة (٢٥٧) من هذا الجزء .

اللابس الحسان والسلاح الشاكّ ، وأَزْمَ[1] الفصْلان[2] كلّها جُملا من العبيد والحشم والبوَّابين وغيرهم ، فى أشكل زيهم .

ثم أعاد القعود لهم بالزهراء ، وهذا[3] القعود الثالث ، كان يوم الخميس لثلاث بقين منه ، على ما تقدم فى[4] الأهبة والاحتفال فى الزينة .

وفى النصف من جُمادى الأولى منها أدخل الناصر لدين الله هؤلاء الرسل على نفسه ، فى مجلس خاص ، قعد لهم فيه بقصر الزّهراء ، فى المجلس المشرف على الرياض ، فلما خرجوا من عنده ، أُدخلوا فى[5] ديار الصّناعات والعُدّة بأكناف الزهراء ودار السّكّة ، وطيف بهم بأرجائها ، ثم صُرفوا إلى دار نُزولهم ، فاتصل مُقامهم بقُرطبة فى كرامة موصولة ، وعطايا متوالية ، إلى أن كَمَلت الهدية التى كوفئ بها الطاغية مُرْسِلهم ، وأُسلمت إليهم ، مع أجوبتهم ، وأُمروا بالرحيل . [٤٠٤]

وجلس لهم الناصر لدين الله فى النصف من شوال من السنة بعدها ، فدخلوا للوَداع ، وجُدّدت لهم الخلع ، وانطلقوا لسبيلهم ، متعجبين مما رأوا من عزّ الإسلام .

هدية ابن شهيد إلى الناصر

وفى سنة سبع وعشرين وثلاث مئة ، لثمان خَلَون من شهر جُمادى الأولى ، وردت على الناصر لدين الله هدية وزيره أحمدَ بن عبد الملك بن شُهَيد ، العظيمة الشأن ، التى اشتهر ذكرها إلى الآن ، ووقع الإجماع على أنه لم يُهادَ أحد من ملوك الأندلس بمثلها ، فأعجبتِ الناصر وأهل مملكته جميعاً ، وأقروا أن نَفْساً

---

(١) كذا فى م . وفى ط : « والروم » . ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الفصلان ، كما فى كتب اللغة : جمع فصيل ، وهو حائط قصير دون الحصن أو دون سور البلد . وقد توسع المغاربة فى استعماله ، فأطلقوه على ما نسميه « الجناح » وهو القسم المستقل من بناء يجمع عدة أقسام . وسترد هذه الكلمة بهذا المعنى بعد قليل فى هذا الجزء .

(٣) فى ط : « وهو » . (٤) فى م : « من » .

(٥) زادت م هنا : « رياض » .

لم تسمح بإخراج مثلها ضربة عن[١] يدها ، وكتب مع هديته هذه رسالة حسنة ، بالاعتراف للناصر لدين الله بالنعمة ، والشكر عليها ، استحسنها الناس وكتبوها .

وزاد الناصر وزيرَه هذا حُظْوَةً واختصاصاً ، وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعاً ، فأضعف له رِزق الوِزارة ، وبَلَّغه ثمانين ديناراً فى الشهر ، وبلغ مصروفه إلى ألف دينار فى السنة[٢] ، وثَنَّى له العظمة ، لتثنيته له الرزق ، فسماه ذا الوزارتين لذلك ، وكان أولَ مَن سُمِّى بذلك بالأندلس ، امتثالا لاسم صاعد بن مَخْلَد الوزير ، وزير بنى العباس ببغداد ، وأمر بتصدير فِراشه فى البيت ، وتقديم اسمه فى زِمام[٣] الارتزاق فى أول التسمية ، فعظُم مِقداره فى الدولة جِدًّا .

وتفسير هديته هذه ، على ما ثبت فى كتابه للناصر : وذلك من المال العَين خمسُ مِئة ألفِ دينار ؛ ومن العُود المرتفع أربعُ مِئة رِطل ، منها فى قطعة [٤٠٥] واحدة مئة وثمانون رطلا ؛ ومن المسك الذكى المفضَّل فى جنسه مِئتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ؛ ومن العنبر الأشهب الذى بقى على خلقته ولم تدخله صناعة مِئة أوقية ، منها قطعة عجيبة الشكل أربعون أوقية ؛ ومن الكافور المرتفع النقى الذكى ثلاث مِئة أوقية ؛ ومن أنواع الثياب ثلاثون شُقَّة ، وبُقَج[٤] خاصِّية للباسه ، بيضا وملوّنة ، وخمس ظهائر شُعَيْبِيَّة[٥] خاصّية له ، وعشرة فِراء من عالى الفَنَك ، منها سبعة بيض خُراسانية ، وثلاثة مُلوَّنة ، وستة مَطارف عراقية خاصّية له ، وثمانى وأربعون مِلحَفَة زَهْرية لِكُسوته ، ومِئة مِلحفة زهرية

(١) فى م والنفح طبعة أوربة : « على » .

(٢) كذا فى م . وفى ط : «وبلغه ثمانين ألف دينار فى السنة» ، ونص هذه العبارة فى جميع نسخ النفح التى تحت أيدينا : « وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية ، وبلغ معروفه إلى ألف دينار » .

(٣) فى نفح الطيب : « فى دفتر » .

(٤) كذا فى ط . وفى م : « فتح » . وفى جميع نسخ نفح الطيب : « خنج » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

(٥) كذا فى الأصلين ونفح الطيب .

لرقاده ، وعشرة قناطير شُدَّ فيها مئة جلد سَمُّور ، وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول ، وألف رطل من لون الحرير ، قبض جميع ذلك صاحب الطِّراز ، وثلاثون بساطاً من صوف مختلفة الصناعات ، طول كل بساط منها عشرون ذراعاً ، ومئة مُصَلَّى من وجوه الفُرُش المختلفة الصناعات ، من جنس البُسُط ، وخمسة عشر نخاً[1] من عمل الخز المقطوع شَطرها ، وسائرها من جنس البُسُط الوجوه ؛ ومن السلاح والعُدَّة مئة تجفاف[2] ، بأبدع الصناعات[3] وأغربها وأكملها ، وألف تُرْس سُلطانية ، ومئة ألف سهم ؛ ومن الخيل مئة فرس ، منها من الخيل العِراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا ، وخمسة من عُرْض هذه الخيل مسرجة ملجمة ، لمراكب الخلافة ، مجالس[4] مسروجها خز عراقي ، وثمانون فرساً مما يصلح للوُصَفاء والحَشَم ، وخمسة أبغل عالية الركاب ، وأربعون وصيفا ، وعشرون جارية من مُتَخيَّر الرقيق ، بكسوتهم وجميع آلاتهم .

وفي الكتاب : كان قد أمرني أيده الله بابتياعهم من مال الأخماس قبلُ ، فابتعتهم من نعمته عندي ، وصيرتهم من بيتي[5] ، ومع ذلك عشرة قناطير سُكَّر طَبَرْزَذ ، لا سُحاق[6] فيه .

[٤٠٦]

وفي آخر الكتاب : ولما علمت تطلع مولاي — أيده الله تعالى — إلى قرية كذا بالعقبانية[7] المنقطعة الغَرْس في شَرَفها ، وتَرداده — أيده الله

(١) في الأصلين والنفح المخطوط « نوخا » . وفي النفح المطبوع « نخاخا » ، والكلمة محرفة عما أثبتناه .
(٢) التجفاف (بالكسر) : آلة للحرب ، يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب .
(٣) كذا في ط ونفح الطيب . وفي م : « الصياغات » .
(٤) كذا في جميع نسخ نفح الطيب . وفي الأصلين : « ملابس » .
(٥) في ط : « وبقي » .
(٦) يريد بالسحاق (السكر الناعم) . ولم نجد هذه الكلمة في معاجم اللغة .
(٧) كذا في الأصلين . وفي نفح الطيب طبعة أوربة : « القبتانية » . وفي النفح المخطوط وطبعة القاهرة : « القبنانية » .

تعالى — لذكرها ، لم أهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة فى ابتياعها بأحوازها ، وأكتبت وكيله ابن بقيّة الوثيقة فيها باسمه ، وضمّها إلى ضياعه ، وكذلك صنعت فى قرية شيرة من نَظَر[1] جَيّان ، عندما اتصل بى من وصفه لها ، وتطلّعه إليها ، فما زلت أتصدى لمسرّته بها ، حتى ابتعتها الآن بأحوازها ، وجميع منازلها وربوعها[2] ، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقيّة ، وصار فى يده له أبقاه الله سبحانه ، وأرجو أنه سيُرْفع فيها فى هذه السنة آلافُ أمداد من الأطعمة إن شاء الله تعالى .

ولما علمت نافذ عزمه — أبقاه الله تعالى — فى البُنيان ، وكَلَفه به ، وفكرت فى عدد الأماكن التى تَطلّع نفسه الكريمة إلى تخليد آثاره فى بنيانها ، مدّ الله فى عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله ، علمت أن أسّه وقوامه الصخر ، والاستكثار منه ، فأثارت لى همتى ونصيحتى حكمة حيلة أحكمها سعدُك وجَدك ، اللذان يبعثان ما لا يُتَوهّم عله ، حيلة أقيم لك بها فى عام واحد عدد ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عاما ، وينتهى تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفا ، أعجّل شأنه فى عام ، سوى التوفير العظيم الذى يبديه العيان ، إن شاء الله تعالى ؛ وكذلك ما ثاب إلى فى أمر الخشب لهذه المُنْية المكرّمة ، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدءوب انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج إليه ، ثلاث مئة ألف عود ، ونيّف على عشرين ألف عود ، على أنه لا يدخل منه فى السنة إلا نحو الألفى عود ، ففتح لى سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هذا الخشب العام على كماله ، بورود الجَلْبية لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفا إلى الستين[3] ألفا . [٤٠٧]

(١) كذا فى جميع نسخ نفح الطيب . وفى الأصلين : « قطر » .
(٢) فى الأصلين : « وزروعها » . وما أثبتناه عن نفح الطيب .
(٣) كذا فى ط . وفى م والنفح : « والستين » .

انتهى ما بعث به الوزير ابن شُهيد ملخَّصاً[1] .

الناصر وقد أراد الفصد يوما

ومن غريب ما يُحكى أن أمير المؤمنين أراد الفَصد ، فقعد فى البهو بالمجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء ، واستدعى الطبيب لذلك ، وأخذ الطبيب المِبضَع ، وجَسّ عَضُد[2] الناصر ، فبينما هو كذلك إذ أطلّ زُرزور ، فصعد على إناء ذهب بالمجلس ، وأنشد :

أيُّها الفاصِدُ رِفقًا بأميرِ المؤمنينَا
إنَّما تفصِدُ عِرقًا فيهِ محْيَا العالمينَا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة ، فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف ، وسُرّ به غاية السرور ، وسأل عمن اهتدى إلى ذلك وعلّم الزُّرزور ، فذُكر له أن السيدة الكبرى مَرجانة ، أم ولده وولىّ عهده الحَكم المستنصر بالله ، صنعت ذلك ، وأعدته لذلك الأمر ؛ فوهب لها ما يُنيِّف على ثلاثين ألف دينار .

بناء الناصر جامع الزهراء

والناصر المذكور هو البانى لمدينة الزّهراء العظيمة المقدار . وكان يَعمل فى جامعها حين شرع فيه من حُذّاق الفَعَلة كلّ يوم ألفُ نَسَمة ، منها ثلاث مئة بنّاء ، ومئتا نجار ، وخمس مئة من الأجراء وسائر أهل الصنائع ، فاستُتِمّ بنيانُه وإتقانه فى مدة ثمانية وأربعين يوما ، وجاء فى غاية الإتقان ، من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة . وطوله من القبلة إلى الجوف ، حاشى المقصورة ، ثلاثون ذراعا ، وعرض البهو الأوسط من أبهائه ، من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعا ، وعَرض كل بهو من الأربعة المكتنفة له اثنتا عشرة ذراعا ، وطول

(١) ورد الخبر عن هدية ابن شهيد لعبد الرحمن الناصر فى نفح الطيب نقلا عن تاريخى ابن خلدون وابن الفرضى ، فارجع إليه .
(٢) فى م ونفح الطيب : « يد » .

صحنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب إحدى وأربعون ذراعا ، وجميعه مفروش بالرُّخام الخَمْرِيّ ؛ وفى وسطه فَوَّارة يجرى فيها الماء ؛ فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف — سوى المحراب — سبع وتسعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسع وخمسون ذراعا ، وطول صَوْمعته فى الهواء أربعون ذراعا ، وعرضها عشر أذرع فى مثلها .

وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد ، فصُنع فى نهاية من الحسن ، ووُضع فى مكانه منه ، وحُظِّرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة . وكان وضع هذا المِنْبر فى مكانه من هذا المسجد عند إكماله ، وذلك يوم الخميس لسبع بَقِين من شعبان من سنة تسع وعشرين وثلاث مئة .

بناؤه القناة

وكان فى صدر هذه السنة كمل الناصر بُنيان القناة الغريبة الصنعة ، التى أُجْرِىَ فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربىّ قرطبة ، فى المناهر المهندسة ، وعلى الحنايا المعقودة ، يجرى ماؤها بتدبير عجيب ، وصنعة غريبة محكمة ، إلى بِرْكة عظيمة ، عليها أسد عظيم الصورة ، بديع الصنعة ، شديد الروعة ، لم يُشاهَد أوفى منه ولا أبهى منه فيما صوّر الملوك فى غابر الدهر ، مطلىّ بذهب إبريز ، وعيناه جوهرتان ، لهما وميض شديد . يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد ، فيمجه فى تلك البركة من فيه ، فيَبْهر الناظر بحسنه وروعة منظره ، وثجاجة[1] صبّه ؛ فتُسْقَى من مُجاجه جنان هذا القصر على سعتها ، ويستفيض على ساحاته وجَنَباته ، ويُمِدّ النهر الأعظم بما فَضَل منه ، فكانت هذه القناة وبِرْكتها ، والتمثال الذى يصب فيها ، من أعظم آثار الملوك فى

(١) لم نجد هذه الكلمة من مصادر : ثج الماء ، بمعنى انصب .

غابر الدهر ، لبعد مسافتها ، واختلاف مسالكها ، وفخامة بنيانها ، وسُموّ أبراجها ، التي يترقى الماء فيها ، ويتصوّب من أعاليها .

[٤٠٩] وكان مدة العمل فيها ، من يومَ ابتُدِئت من الجبل إلى أن وصلتْ [أعني القناة] (١) إلى هذه البركة ، أربعة عشر شهراً . وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي اتصل واستمر ، يومَ الخميس غُرة جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة ، أفضل فيها على عامّة أهل مملكته ، ووصل المهندسين والقُوّام بالعمل بصلات حسنة جزيلة .

تشييد الناصر مدينة الزهراء

واستمر العمل في مدينة الزّهراء من عام خمسة وعشرين وثلاث مئة [إلى آخر دولة الناصر وابنه الحَكَم ، وذلك نحو من أربعين سنة] (١) .

ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما ذكرناه آنفاً ، كانت أول جماعة صُلِّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان ، وكان الإمام لها فيه القاضي [أبا عبد الله] (١) محمد بن عبد الله بن أبي عيسى . ومن الغد صَلّى الناصر فيه الجمعة ؛ وأول خطيب خَطَب به القاضي المذكور .

ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة ، أطبق الناس على أنه لم يُبْن مثله في الإسلام ألبَتّة ، وما دخل إليه أحد قط من سائر البلاد النائية ، والنِّحَل المختلفة ، من ملك وارد ، ورسول وافد ، وتاجر ، وجِهْبِذ ، وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة ، إلا وكلهم قطع أنه لم ير له شبيهاً ، بل لم يَسْمع به ، بل لم يتوهم كون مثله ، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله القاطع إلى الأندلس في تلك العصور النظر إليه ، والتحدث عنه ؛ والأخبار عن هذا تتسع جداً ، والأدلة عليه تكثر ، ولو لم يكن فيه إلا السطح المُمَرَّد ،

(١) التكملة عن نفح الطيب .

المشرف على الروضة ، المباهى بمجلس الذهب والقبّة وعجائب ما تضمنته من إتقان الصنعة ، وفخامة الهمّة ، وحسن المستشرف ، وبراعة الملبس والحُلّة ، ما بين مَرْمَر مَسنون ، وذهب مَوْضون ، وعَمَدٍ كأنما أُفرغت فى القوالب ، ونقوش كالرياض ، وبِرَك عظيمة محكمة الصنعة ، وحياض وتماثيل عجيبة الأشخاص ، لا تهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ؛ فسبحان الذى أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة ، كما يُرى الغافلين عنه من عباده ، مثالاً لما أعده لأهل السعادة فى دار المُقامة ، التى لا يتسلّط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الرَّمّ ، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم . [٤١٠]

وذكر المؤرخ أبو مروان بن حيّان صاحب الشرطة ، أن مبانى قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة ، حاملة ومحمولة ، ونَيّف على ثلاث مئة سارية زائدة ؛ وفسّر بعضهم هذا النّيف بثلاث عشرة ، منها ما جُلِب من مدينة رُومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ؛ وأن مصاريع أبوابها ، صغارها وكبارها ، كانت تنيّف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها مُلَبَّسة بالحديد والنحاس المموّه ، والله أعلم ، فإنها كانت من أهول ما بناه الإنس ، وأجله خطرا ، وأعظمه شأنا .

وقال بعض المؤرخين : وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى ، وسبع مئة وخمسين فتى ، ودخالتهم[1] من اللحم كل يوم ، حاشى أنواع الطير والحوت ، ثلاثة عشر ألف رطل ؛ وعدّة النساء بقصر الزهراء ، الصغار والكبار وخدم الخدمة ، ستة آلاف وثلاث مئة امرأة وأربع عشرة . ورأيت فى بعض الدواوين

(١) الدخالة بمعنى الراتب : لفظة أندلسية مولدة لم تذكرها المعاجم العربية ، وذكرها دوزى فى تكملة المعاجم العربية .

— وهو الصواب إن شاء الله — أن عدد الفِتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبع مئة وخمسون ، [وجعل بعضهم مكان الخمسين سبعة وثمانين] [(١)] ، وعدد النساء بقصر الزهراء مثل ما ذكرنا أولا .

[٤١١] ثم قال بإثره : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسّم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدّجاج والحَجَل وصنوف الطير وضروب الحِيتان . والله تعالى أعلم .

وقال ابن حيان : ألفيت بخط ابن دحون الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله ببنيان الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة ، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدّل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المنصرف فى التبليط ، فإنه لم يدخل فى هذا العدد . وكان يخدم فى الزهراء كل يوم ألف وأربع مئة بغل ، منها أربع مئة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دوابّ الأكرية الراتبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل فى الشهر ، يجب لها فى الشهر ثلاثة آلاف مثقال . وكان يرد الزهراء من الجير والجصّ فى كل ثالث من الأيام ألف ومئة حِمْل [(٢)] ، وكان فيها حمامان ، واحدة للقصر ، وثانية للعامّة .

وذكر بعض أهل الخدمة فى الزّهراء أنه قدّر النفقة فيها فى كل عام بثلاث مئة ألف دينار ، مدة خمسة وعشرين عاماً [التى بقيت من دولة الناصر ، من حين ابتدأها ، لأنه تُوفّى سنة خمسين] [(٢)] ، وحصّل جميع الإنفاق فيها ، فكان مبلغه خمسة عشر بيتَ مال .

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى نفح الطيب : وفى الأصلين : « جمل » .

قال : وجلب إليها الرُّخام من قَرطاجَنَّة وإفريقية وتونس ، وكان الذين يجلبونه عبدُ الله بن يونس عَريف البنائين ، وحسنٌ وعليٌّ[1] ابنا جعفر الإسكندراني . وكان الناصر يصلهم على كل رخامة ، صغيرة أو كبيرة بعشرة دنانير .

وقال بعض المؤرخين الأثبات : كان يصلهم على كل رُخامة صغيرة بثلاثة دنانير ، وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلماسية[2] ، وكان عدد السَّواري المجلوبة من إفريقية ألف سارية ، وثلاث عشرة سارية ، ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية . وأهدى إليه ملكُ الروم مئة وأربعين سارية ، وسائرها من [٤١٢] مقاطع الأندلس : طَرَّكونة وغيرها ، فالرُّخام المجزَّع من رَيَّة ، والأبيض من غيرها ، والورديُّ والأخضر من إفريقية ، من كنيسة سَفَاقُس . وأما الحوض المنقوش المُذهَب الغريب الشكل ، الغالي القيمة ، فجلبه إليه أحمد اليوناني من القُسطنطينية ، مع ربيع الأسقفّ القادم من إيلياء ؛ وأما الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان ، فجلبه أحمد من الشام ، وقيل من القسطنطينية مع ربيع الأسقفّ أيضاً ، وقالوا إنه لا قيمة له ، لفرْط غرابته وجماله ، وحُمل من مكان إلى مكان ، حتى وصل في البحر ، ونصبه الناصر في بيت المنام ، في المجلس المستشرف الشرقي ، المعروف بالمؤنس ، وجعل عليه اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر ، مرصَّعة بالدر النفيس الغالي ، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد إلى جانبه صورة غزال ، إلى جانبه صورة تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعُقاب ، وفي

---

(١) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « عامر » .

(٢) في ط : « سلجماسية » وفي م : « سلجمانية » . وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .

المُجَنَّبتين حمامة ، وشاهين ، وطاوس ، ودجاجة ، وديك ، والثانى عشر [(١)] لم يحضرنى اسمه الآن ؛ وكل هذا من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ، [ويخرج الماء من أفواهها] [(٢)] . وكان المتولّى لهذا البنيان المذكور ابنه الحَكَم ، لم يتّكل فيه الناصر على أمين غيره ، وكان يُخبز فى أيامه كل يوم برسم حيتان البحيرة [(٣)] ثمان مئة خُبْزة [وقيل أكثر] [(٢)] ، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه [(٤)] .

وكان الناصر قد قسّم الجباية أثلاثا ، ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مُدَّخر . وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكُور والقرى خمسة آلاف ألف [(٥)] ، وأربع مئة ألف ، وثمانين ألف [دينار] [(٢)] ، ومن السُّوق والمستخلص سبع مئة ألف ، وخمسة وستين ألف دينار ؛ وأما أخماس الغنائم فلا يحصيها ديوان . وقيل إن مبلغ تحصيل النفقة فى بُنيان الزهراء مئة مُدْى [(٦)] [٤١٣] من الدراهم القاسمية ، بكيل قرطبة . وقيل إن مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مُدْيا وستة [(٧)] أقفزة ، من الدراهم المذكورة . واتصل بُنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة ، شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته **خلافة ابنه** الحَكَم كلّها ، وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا . فسبحان الباقى بعد **فناء الخلق** ، لا إله إلا هو .

(١) لم يذكر المؤلف (هنا) غير عشرة ، وقد ذكرها فى نفح الطيب وزاد على ما ذكره هنا : الفيل ، والحدأة ، والنسر .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) فى نفح الطيب : « البحيرات » .
(٤) ورد فى كتاب « إعمال الأعلام » للسان الدين بن الخطيب (قسم ثان) فى ترجمة عبد الرحمن الناصر ذكر بناء الزهراء باختلاف فى بعض التفاصيل .
(٥) فى نفح الطيب : « خمسة آلاف ألف ألف » .
(٦) المدى : مكيال ، وهو غير المد .
(٧) فى نفح الطيب : « سبعة » .

شيء عن عمران قرطبة

وكانت قرطبة إذ ذاك أم المدائن ، وقاعدة الأندلس ، وقرارة الملك . وكان عدد شُرطاتها أربعة آلاف وثلاث مئة ، وكانت عدّة الدور التى فى القصر الكبير أربع مئة دار [ونيفا وثلاثين] [١] ، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها ، الواجب على أهلها المبيت فى السور ، مئة ألف دار ، وثلاثة عشر ألف دار ، حاشى دور الوزراء وأكابر الناس والبياض [٢] ، وعدد أرباضها ثمانية وعشرون ، وقيل أحد وعشرون ؛ ومبلغ [٣] المساجد بها ثلاثة آلاف وثمان مئة وسبعة وثلاثون مسجدا ؛ وعدد الحمامات المُبرَزة للناس سبع مئة حمام ، وقيل ثلاث مئة ؛ ووسط الأرباض قَصَبة [٤] قرطبة ، التى تختص بالسور دونها . وأما اليتيمة التى كانت فى القصر فى المجلس البديع ، فإنها كانت من تُحَف [٥] قصر اليونانيين ، بعث بها صاحب القسطنطينية إلى الناصر مع تحف كثيرة سنية .

احتفال الناصر لمقدم ملك الروم وظهور البلوطي على سائر الخطباء

وكان القاضى مُنذرُ بن سعيد البَلُّوطى ممن يُكرمه الناصر ويُجلّه ، وولاّه قضاء جماعته ؛ وكان أولَ الأسباب فى معرفته بالناصر ، وزُلفاه لديه ، أنّ الناصر لما احتفل بالجلوس لدخول [رسل] [٦] ملك الروم الأعظم صاحب القسطنطينية عليه بقصر قُرطبة ، الاحتفالَ الذى اشتهر ذكره فى الناس ، حسبما تقدم بعضُ [٤١٤] الإلماع به ، أحبّ أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكُر جلالةَ مقعده ، وعظيمَ سلطانه ، وتَصِف ما تهيأ له من توطيد الخلافة فى دولته . وتقدّم إلى الأمير الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، ويقدمه أمام نشيد

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) يريد بالبياض : خاصة الناس ، وهو فى مقابل السواد والجمهور .
(٣) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « وبلغ » .
(٤) فى نفح الطيب : « قبة قرطبة التى تحيط بالسور » ، وفى العبارة تحريف ظاهر .
(٥) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « فكأنها كانت تحف »
(٦) زيادة يقتضيها السياق .

الشعراء ، فأمر الحكم صَنيعه (١) الفقيه محمد بن عبد البر الكُسْنْبانى بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدى الخليفة ، وكان يدَّعى من المقدُرة على تأليف الكلام ما ليس فى وسع غيره ، وحضر المجلس السلطانىّ ؛ فلما قام يحاول التكلم بما رآه ؛ بهره هول المقام ، وأبّهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غُشِىَ عليه ، وسقط إلى الأرض ؛ فقيل لأبى على البغدادىّ إسماعيل بن القاسم القالى ، صاحب الأمالى والنوادر ، وهو [حينئذ] (٢) ضيف الخليفة ، الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبحر اللغة : قُمْ فارقع هذا الوَهْى ؛ فقام ، فحمد الله وأثنى عليه ، بما هو أهله ، وصلّى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القوْل ، فوقف ساكتاً مُفكِّرا فى كلام يدخل به إلى ذكر ما أُريد منه ، فلما رأى ذلك مُنذر بن سعيد ، وكان ممن حضر فى زمرة الفقهاء ، قام من ذاته ، [بدرجة من مرقاته] (٢) ، فوصل افتتاح أبى على لأول خطبته بكلام عجيب ، وفصل مصيب (٣) ، يَسُحُّه سَحًّا (٤) ، كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذى انتهى إليه أبو على البغدادى ، فقال :

أمّا بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والتعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصَّلاة على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مَقاماً ؛ ولكل مَقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضَّلال ؛ وإنى (٥) قمت فى مَقام كريم ، بين يدى ملك [٤١٥]

(١) فى ط : « ضيفه » . والتصويب عن م ونفح الطيب .

(٢) التكملة عن نفح الطيب .

(٣) مكان هذه العبارة : « وفصل مصيب » فى نفح الطيب : « ونادى من الإحسان فى ذلك المقام كل مجيب » .

(٤) فى م : « نسجه نسجاً » .

(٥) فى ط : « فقد » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

عظيم ، فأصغُوا إليَّ مَعشرَ الملإ بأسماعكم ، وأقنُوا[1] عنى بأفئدتكم ؛ إن من الحقِّ أن يقال للمُحقّ صدقت ، وللمُبطل كذبت ؛ وإن الجليل تعالى فى سمائه ، وتقدّس بصفاته وأسمائه ، أمر كليمه موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى جميع أنبيائه ، أن يُذكّر قومه بأيام الله عزّ وجل عندهم ، وفيه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسوَة حسنة ؛ وإنى أُذكّركم بأيام الله عندكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ، التى لَمَّتْ شَعَثكم ، وأمَّنَتْ سِربكم ، ورفعت قُوتكم ، بعد أن كنتم قليلا فكثّركم ، ومُستضعفين ففوّاكم ، ومستذلين فنصركم ، ولّاه الله رعايتكم ، وأسند إليه إمامتكم ، أيام ضربت الفتنة سُرادقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعَل النفاق ، حتى صرتم فى مثل حَدَقة البعير[2] ، من ضيق الحال ، ونَكَد العيش والتقتير[3] ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرَّخاء ، وانتقلتم بيُمن سياسته إلى تمهيد [كَنف][4] العافية بعد استيطان البلاء . أنْشُدكم بالله معاشرَ الملإ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسُّبُل مخوفة فأمّنها ، والأموال مُنتَهبة فأحرزها وحصّنها ، ألم تكن البلاد خَرابًا فعمّرها ، وثغور المسلمين مُهتضمة فحماها ونصرها ، فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمعَ كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشَفَى صدوركم ، وصرتم يدًا على عدوّكم ، بعد أن كان بأسُكم بينكم ، فأنْشُدكم الله ألم تكن خلافته قُفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها ، ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ، ولم يَكِلْ ذلك إلى القواد والأجناد ، حتى باشره [بالقوة][4] والمهجة [٤١٦]

---

(١) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « وأنفتوا » .
(٢) فى م : « العين » .
(٣) فى نفح الطيب : « التغيير » .
(٤) هذه الكلمة من نفح الطيب .

والأولاد ، واعتزل النّسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدَّعة وهي محبوبة ، وترك الرّكون إلى الراحة وهي مطلوبة ، بطويّة صحيحة ، وعزيمة صريحة ، وبصيرة نافذة ثاقبة ، وريح هابّة غالبة ، ونُصْرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجَدّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحمّلا للمنصب ، مستقلا لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة عند حدّتها ، ولم يبق لها غارب إلا جبّه ، ولا نجم لأهلها قَرْن إلا جذّه ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، وبلمّ أمير المؤمنين الشَّعْث على أعدائه أعوانا ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب [الخيرات و] (1) البَرَكات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصَيْن والأدنين مُستخدَمةً إليه وإليكم ، يأتون من كل فجّ عميق ، وبلد سحيق ، لأخذ حَبْل بينه وبينكم ، جملة وتفصيلا ، « ليقضيَ اللهُ أمراً كان مَفْعولا » ، ولنْ يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجَفْنها غير نائم : « وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الآية . وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرّ ، ولكل أجَل كتاب ، فاحمدوا الله ، أيُّها الناس ، على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد [٤١٧] أصبحتم في خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسَّداد ، وألهمه مخالص التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالا ، وأنعمهم بالا ، وأعزهم قَرارا ، وأمنعهم دارا ، وأكثَفَهُمْ جمعا ، وأجملهم صُنعا ، لا تُهاجون ولا تُذادُون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم ، بالمناصحة

(1) التكملة عن نفح الطيب .

لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يداً من الطاعة ، وسعى فى تفريق الجماعة ، ومَرَق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ؛ وقد علمتم أن فى التعلق بعصمتها [والتمسك بعروتها] [١] ، حفظَ الأموال وحَقْنَ الدماء ، وصلاح الخاصة والدَّهْماء ، وأَنَّ بقوام الطاعة تقام الحدود ، وتُوَفَّى العهود ، وبها وُصلت الأرحام ، ووضحت الأحكام ، وبها سَدَّ الله الخَلَل ، وأَمَّن السُّبُل ، وَوَطَّأَ الأكناف ، ورفع الاختلاف ، وبها طاب لكم القَرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ » الآية . وقد علمتم ما أحاط بكم فى جزيرتكم هذه من ضُروب المُشركين ، وصُنوف المُلحدين ، الساعين فى شَقّ عصاكم ، وتفريق مَلَئِكم ، الآخذين فى مخاذلة دينكم ، وهَتْك حَريمكم ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولى هذا ، وأختتم بالحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الغفور الرحيم ، فإنه خير الغافرين .

[٤١٨] فخرج الناس يتحدثون عن حسن مَقام مُنذر ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه [٢] . وكان الخليفة الناصر لدين الله أشدَّهم تعجبا منه ، فأقبل على ولى عهده ابنه الحَكَم يسائله عنه ، ولم يكن يُثْبِت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال له الحكم : هو منذر بن سعيد البَلُّوطِيّ [٣] . فقال : والله [٤] لقد أحسن ما شاء ؛ فَلَئِنْ كان حبَّر خطبته هذه وأعدها ، مخافة أن يدور ما دار ، فيتلافى الوهى ،

(١) هذه العبارة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « منطقه » .
(٣) نسبة إلى فحص البلوط قرب قرطبة .
(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « له » .

فإنه لبديع من قدرته واحتياطه ؛ ولئن كان أتى بها على البديهة لوقته ، إنه لأعجب وأغرب ؛ فكان ذلك سبب اتصاله به ، واستعماله له .

من خطبة البلوطي

وذكر ابن أصبغ الهَمْداني عن منذر القاضي ، أنه خطب يوماً وأراد التواضع ، فكان من فصول خطبته أن قال :

حَتَّى مَتَى و إلى متى أعظ غيري[1] ولا أتعظ ، وأَزْجُر ولا أزدجر ، أدل الطريق على المستدلين[2] ، وأبقى مُقيما مع الحائرين ، كلاَّ ، إن هذا لهو البلاء المبين ، « إن هى إلا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء » الآية . اللهم فرّغنى لما خلقتنى له . ولا تَشْغَلْنى بما تكفّلت لى به ، ولا تَحْرمنى وأنا أسألك ، ولا تعذّبْنى وأنا أستغفرك ، يا أرحم الراحمين . قال :

بينه وبين الناصر فى التزهيد فى تنميق البناء

وكان الخليفة الناصر لدين الله كلفا بعمارة الأرض ، و إقامة معالمها ، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك ، وعزّة السلطان ، فأفضى به الإغراق فى ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزّهراء ، البناء الذى شاع ذكره ، واستفرغ وُسْعه فى تنميقها ، و إتقان قصورها ، وزخرفة مصانعها[3] ؛ فأراد القاضى منذر أن يَغُضّ منه ، بما يتناوله من الموعظة ، بفصْل الخطاب والحكمة ، والتذكير بالإنابة والرجوع[4] ، فأدخل فى خطبتـه فصلا ، مبتدئاً بقوله تعالى : « أتَبْنُونَ بكلّ رِيعٍ آية تَعبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَ إذا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارين . فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعون . وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بما تعلمون . أَمَدَّكُمْ بأنعام وَبَنِين . [٤١٩]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من نفح الطيب .

(٢) كذا وردت هذه العبارة فى الأصلين ونفح الطيب .

(٣) زاد المقرى فى نفح الطيب (هنا) العبارة الآتية : « وانهمك فى ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذى اتخذه ، ثلاث جمع متواليات » وقد آثرنا إثباتها هنا توضيحا للمقام .

(٤) فى ط : « والرجعة » .

وَجَنَّاتٍ وَعُيُون . إنى أَخَافُ عَلَيكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم » . ولا تقولوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِين » . « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ؛ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى » ؛ وهى دار القرار ، ومكان الجزاء .

ووصل ذلك بكلام جَزْل ، وقول فَصْل ، ومضى فى ذم تشييد البنيان ، والاستغراق فى زخرفته ، والإسراف فى الإنفاق [عليه] [1] : مَجْرَى طَلْقًا ، وانتزع فيه قوله [2] تعالى : « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ » الآية ؛ وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت ، والتحذير من فَجْأته ، والدعاء إلى الزهد فى هذه الدار الفانية ، والحض على اعتزالها ، والرفض لها ، والندب إلى الإعراض عنها ، والإقصار عن طلب اللذات ، ونَهْى النفس عن اتباع هواها ؛ فأسهب فى ذلك كله ، وأضاف إليه من آى القرآن ما يطابقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ، حتى اذَّكر من حضره من الناس ، وخضعوا ورَقُّوا ، واعترفوا وبكوا ، وضَجُّوا ودَعَوْا ، وأعلنوا التضرع إلى الله والتوبة ، والابتهال فى المغفرة ، وأخذ خليفتُهم من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود ، فبكى وندم على ما سلف له [من فَرْطه] [3] ، واستعاذ بالله من سُخْطه ؛ إلا أنه وَجَد على مُنذر بن سعيد ، لغلاظ ما تَقَرَّعه به ، فشكا ذلك إلى ولده الحَكَم بعد انصرافه ، وقال : والله لقد تَعَمَّدَنى منذر بخطبته ، وما عَنَى بها غيرى ؛ فأسرف علىَّ ، وأفرط فى تقريعى ، ولم يُحْسِن السياسة فى وعظى ، فزعزع قلبى ، وكاد بعصاه يَقْرعنى [4] ؛ واستشاط غيظا عليه ، فأقسم ألَّا يُصَلِّى [٤٢٠]

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٢) فى ط : « بقوله » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٣) التكملة عن نفح الطيب .

(٤) فى ط : « يصرعى » . وما أثبتناه عن م والنفح .

خلفه صلاة الجمعة خاصّة ، فجعل يلتزم صلاتَها وراء أحمد بن مطرّف[(١)] ، صاحب الصلاة بقرطبة ، ويُجانب الصلاة بالزّهراء ؛ وقال له الحكم : وما الذى يمنعك من عزل المنذر من الصلاة بك ، والاستبدال منه إذ كرهته ؟ فزجره وانتهره ، وقال له : أمثل مُنذر بن سعيد فى خيره وفضله وعلمه — لا أم لك — يُعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، [سالكة غير القصد] [(٢)] ؟ هذا ما لا يكون ؛ وإنى لأستحيى من الله ألا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعاً مثل مُنذر ، فى ورعه وصدقه ، ولكنه قد أحرجنى فأقسمت ؛ ولَوَدِدْتُ أنى أجد سبيلا إلى كفارة يمينى بملكى ؛ بل يصلّى بالناس حياتَه وحياتَنا إن شاء الله تعالى .

خطبة لمنذر فى الاستسقاء

وقحَط الناس آخر مدة الناصر ، فأمر القاضىَ المذكورَ منذرَ بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فتأهّب لذلك ، وصام بين يديه أياما [ثلاثة] [(٢)] ، تنفلا وإنابة ورهبة ، فاجتمع له الناس فى مصلّى الرَّبَض بقرطبة ، بارزين إلى الله تعالى فى جمع عظيم ، وصعد الخليفة الناصر فى أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ، ليشارف[(٣)] الناس ، ويشاركهم فى الخروج إلى الله تعالى ، والضراعة له ؛ فأبطأ القاضى حتى اجتمع الناس ، وغَصّت بهم ساحة المصلّى ؛ ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا ، مُخْبِتا متخشّعا ، وقام ليخطب ، فلما رأى بدار الناس إلى ارتقابه[(٤)] ، واستكانتهم من خِيفة الله ، وإخباتَهم له ، وابتهالم إليه ، رقّت نفسه ، وغلبته عيناه ؛ فاستعبر وبكى حينا ، ثم افتتح خطبته بأن قال :

يأيها الناس ، سلام عليكم . ثم سكت ، ووقف شبيهَ الحَصِر ، ولم يكُ من

---

(١) ق ط : « معتوف » . وما أثبتناه عن م والنفح .
(٢) التكملة عن نفح الطيب .
(٣) ق ط : « ليعرف الناس » . وما أثبتناه عن م والنفح .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « ارتفاعه » . وفى النفح : « ارتقائه » .

عادته ؛ فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، لا يدرون ما عراه ، ولا ما أراد بقوله ؛ ثم اندفع تاليا لقوله تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » ؛ استغفروا ربكم إنه كان غفّارا ، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، وتزلّفوا بالأعمال الصالحات لديه . [٤٢١]

قال الحاكى : فضجّ الناس بالبكاء ، وجأّروا بالدعاء ؛ ومضى على تمام خطبتـه ، فقرّع النفوس[1] بوعظه ، وانبعث الإخلاص بتذكيره ، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر ، روّى الثرى ، وطرد المَحْل ، وسكّن الأزْل ، والله لطيف بعباده .

من خطبة له أخرى فى ذلك

وكان له فى خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ؛ ومنه أن قال يوما وقد سرّح طرْفه فى ملأ الناس ، عند ما شخصوا إليه بأبصارهم ، فهتف بهم كالمنادى : « يأيها الناس » ، وكررها [عليهم][2] ، مشيرا بيـده فى نواحيهم : « أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ » . فاشتد وجد الناس ، وانطلقت أعينهم بالبكاء ، ومضى فى خطبته .

بعض أخبـاره مع الناصر وحديث القبيبة

قال القاضى أبو الحسن[3] : ومن أخبار مُنذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر ، فى إنكاره عليه الإسراف فى البناء ، أن الناصر كان اتخذ لسطح القُبَيْبة ، المصغرة الاسم بالخصوصية ، التى كانت مائلة على الصّرح المردّ المشهور شأنه بقصر الزهراء ، قراميدَ مُغشّاة ذهبا وفضة ، أنفق عليها مالا جسيما ، وقرْمَد

(١) كذا فى م . وفى ط والنفح : « الناس » .
(٢) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٣) هو القاضى أبو الحسن بن الحسن النباهى ، الذى مر التعريف به فى صدر هذا الجزء .

سقفها به ، وجعل سقفها صَفْراء فاقعة ، إلى بيضاء ناصعة ، فتستلب الأبصار بأشعة أنوارها ، وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته ، فقال لقرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة ، مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك : هل رأيتم

[٤٢٢] أو سمعتم مَلِكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا : لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنك لأوحدُ في شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه مَلِك رأيناه ، ولا انتهى إلينا خبرُه ، فأبهجه قولهم وسره . فبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي مُنْذِر بن سعيد واجما ناكس الرأس ، فلما أخذ مجلسه ، قال له كالذي قال لوزرائه ، من ذكر السقف المذهب ، واقتداره على إبداعه ، فأقبلت دموع القاضي تتحدر على لحيته ، وقال له : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أن تمكنه من قيادك[(١)] هذا التمكين ، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته ، وفضّلك به على العالمين ، حتى يُنْزِلك منازل الكافرين . قال : فانفعل عبد الرحمن لقوله ، وقال له : انظر ما تقول ، وكيف أنزلتني منزلتهم . فقال له : نعم ، أليس الله تعالى يقول : « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ » . فوَجَم الخليفة ، وأطرق مليا ، ودموعه تتساقط ، خشوعا لله سبحانه . ثم أقبل على منذر ، وقال له : جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً ، وعن الدين والمسلمين أجمل جزائه ، وكثّر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو الحق . وقام عن مجلسه ذلك [وهو يستغفر الله

(١) في م : « قلبك » .

تعـالى] [(١)] ، وأمر بنقض سقف القُبيبة ؛ وأعاد قرمدها [(٢)] تراباً على صفة غيرها . انتهى .

الناصر وأيام سروره

وحكى غيرُ واحد أنه وُجد بخطِّ الناصر رحمه الله : أيامُ السرور التى صفت له دون تكدير يومُ كذا من شهر كذا من سنة كذا ، ويومُ كذا من كذا . وعُدَّت تلك الأيام ، فكانت أربعة عشر يوماً .

فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها ، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها . هذا الخليفة الناصر حِلْف السعود ، المضروب به المثل فى الارتقاء [٤٢٣] فى الدنيا والصعود ؛ مَلَكها خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تَصْفُ له إلا أربعة عشر يوماً ، فسُبحان ذى العزة القائمة ، والمملكة الدائمة ، تبارك اسمه وتعالى ، لا إله إلا هو .

إعذار الناصر لأولاد ابنه وما كان بينه وبين الفقيه أبى إبراهيم لتخلفه

وحُكى أنه — أعنى الناصر — لما أَعْذَرَ لأولاد ابنه أبى مَرْوانَ الأ كبر عبيدِ الله ، اتخذ لذلك صنيعاً عظيماً بقصر الزهراء ، لم يتخلف عنه أحد من أهل مملكته ، وأمر أن يُنْذَر لشهوده الفقهاء المشاوَرون ، ومن يليهم من العلماء والعُدول ، ووجوه الناس ، فتخلَّف من بينهم الفقيه المشاوَر أبو إبراهيم المذكور الذكر فى كتب النوادر [(٣)] والأحكام ، وافتُقِد مكانُه ، لارتفاع منزلته ، فساء ذلك الخليفةَ الناصر ، ووجد على أبى إبراهيم ، وأمر ابنه وليَّ العهد الحَكَم بالكتاب إليه ، والتَّفنيد له [(٤)] ، فكتب إليه الحكم رقعة ، نسختها :

(١) الزيادة عن نفح الطيب .
(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى إعمال الأعلام لابن الخطيب : « وإعادة قراميدها ترابا على غير تلك الصفة » . وفى ط : « وأعاد سقفها ... الخ » .
(٣) فى ط : « النوازل » . وما أثبتناه عن م .
(٤) فى م : « والتفنيذ إليه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظكَ الله وتولاَّك ، وسددك ورعاك ، لما امتَحن أمير المؤمنين مولاى وسيدى أبقاه الله الأولياء الذين يستمدُّ بهم ، وجَدَك متقدما فى الولاية ، متأخرا عن الصِّلة ، على أنه قد أنذرك ، أبقاه الله ، خصوصا للمشاركة فى السرور الذى كان عنده ، لا أعدمه الله توالى المسرة ؛ ثم أنذرْتَ من قبلُ إبلاغا فى التكرمة ، فكان ، على ذلك كله ، من التخلف ما ضاقت عليك فيه المعذرة ، واستبلغ أمير المؤمنين فى إنكاره ، ومعاتبتك عليه ، فأعْيتْ عليك عنك الحجة . فعرِّفْنى أكرمكَ الله ، ما العــذر الذى أوجب توقُّفكَ عن إجابة دعوته ، ومشاهدة السرور الذى سُرَّ به ، ورغب المشاركة فيه [لنعرِّفه] (١) ، أبقاه الله بذلك ، فتسكن نفسه العزيزة إليه ، إن شاء الله تعالى » .

[٤٢٤]

فأجابه أبو إبراهيم :

« سلام على الأمير ورحمة الله وبركاته .

رأيتُ ، أبقى الله سيدى ، هذا الكتاب وفهمته ، ولم يكن توقفى لنفسى ، إنما كان لأمير المؤمنين سيِّدنا ، أبقاه الله وسلطانه ، لعلمى بمَذْهبه ، واسكونى إلى تقواه ؛ واقتفاره لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم ، فإنهم كانوا يستبْقون من هذه الطبقة بقيّةً ، لا يَمْتهنونها بما يَشِينها ، ولا بما يَغُضّ منها ، ويَطرُق إلى تنقُّصها ، فيستمدُّون بها لدينهم ؛ ويَتزَيَّنون (٢) بها عند رعاياهم ؛ ومن يَفِدُ عليهم من قُصَّادهم ، فلهذا تخلَّفت ، ولعلمى بمذهبه توقفت ، إن شاء الله تعالى .

قال : فلما أقرأ الحَكَمُ أباه الناصر لدين الله جواب أبى إبراهيم إسحاق ،

(١) التكملة عن نفح الطيب .
(٢) فى م ونفح الطيب : « ويتزينون » .

أعجبه واستحسن اعتذاره ، وزال ما بنفسه عليه . وكان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم ، وحُقّ لهما أن يعظاه .

بين الحكم والفقيه أبي إبراهيم

وقد حكى الفقيه أبو القاسم مفرّج بن محمد بن مفرّج قال : كنت أختلف إلى الفقيه أبي إبراهيم — رحمه الله — فيمن يختلف إليه للتفقه والرواية ، فإنى لعنده فى بعض الأيام فى مجلسه ، بالمسجد المنسوب لأبى عثمان ، الذى كان يصلّى فيه قرب داره ، بجَوْفيّ قصر قرطبة ، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة ، وذلك بين الصّلاتين ، إذ دخل عليه خَصِى[1] من أصحاب الرسائل ، جاء من عند الخليفة الحكم ؛ فوقف وسلّم ، وقال له : يا فقيه ، أجب أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فإن الأمر خرج فيك ، وها هو قاعد ينتظرك ، وقد أُمرْت بإعجالك ، فاللهَ اللهَ . فقال له : سمعًا وطاعة لأمير المؤمنين ، ولا عَجَلة ؛ فارجع إليه — وفقه الله — وعَرّفه عنى أنك وجدتنى فى بيت من بيوت الله عز وجل ، مع طلاب العلم ، أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم يقيّدونه عنى ، [٤٢٥] وليس يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتمّ المجلس المعهود لهم ، فى رضاء الله وطاعته ، فذلك أوكد من مسيرى إليه الساعة ، فإذا انقضى أمر من اجتمع إلىّ من هؤلاء المحتسبين فى ذات الله ، الساعين فى مرضاته ، مشيت إليه إن شاء الله تعالى .

ثم إنه أقبل على شأنه ، ومضى الخَصِىّ يُهَيْنِم متضاجرا من توقفه ؛ فلم يك إلا ريثما أدّى جوابه وانصرف سريعا ساكن الطّيش . فقال له : يا فقيه ، أنْهيتُ قولك على نصّه إلى أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فأصغى إليه وهو يقول [لك][2] : جزاك الله خيراً عن الدين ، وعن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ،

(١) فى م هنا : « الفتى » .

(٢) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

وأمتعهم بك ، و إذا أنت أوْعَبْت ، فامض[1] إليه راشدا ، إن شاء الله تعالى ، فقد أُمِرْتُ أن أَبْقَى معك حتى ينقضِىَ شغلك ، وأُذَكِّرك تمضى معى . فقال له : حسن جميل ، ولكنى أضْعُف عن المشى إلى باب السُّدة ، و يصعب علىّ ركوب دابة لشيخوختى ، وضعف أعضائى ، وباب الصناعة الذى يقرب إلىّ من أبواب القصر المكرم أحوط لى ، وأرفق بى ؛ فإن رأى أمير المؤمنين ، أيّده الله تعالى ، أن يأمر بفتحه ، لأدخل إليه منه ، هَوّن علىّ المشى ، وودُع جسمى ؛ وأحب أن تعود ، فتنهى إليه ذلك عنى ، حتى تعرف رأيه فيه ، وكذلك تعود إلىّ ، فإنى أراك فتى شديدا ، فكن على الخير معينا .

ومضى عنه الفتى ، ثم رجع بعد حين ، وقال : يا فقيه ، قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت ، وأمر بفتح باب الصناعة ، وانتظارك من قِبَله ، ومنه خرجتُ إليك ، وأُمرت بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك ؛ وقال : افعل راشدا ؛ وجلس الخَصِىّ جانبا ، حتى أكمل أبو إبراهيم مجلسه ، بأكمل وأفسح ما جرت[2] به عادته ، غير منزعج ولا قلِق ؛ فلما انفضضنا عنه قام إلى داره ، فأصلح من شأنه ، ثم مشى إلى الخليفة الحَكَم ، فوصل إليه من ذلك الباب ، وقضى حاجته من لقائه ، ثم صرفه على ذاك الباب ، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه . [٤٢٦]

قال مفرّج : ولقد تعمّدْنا فى تلك العشية ، إثر قيامنا عن الشيخ أبى إبراهيم ، المرورَ بهذا الباب المعهود إغلاقه ، بدير القصر ، لنرى الذى تجشم[3] الخليفة له ، فوجدناه كما وصف الخَصِىّ مفتوحا ، قد حفّه الخدم والأعوان منزعجين ، ما بين

---

(١) فى م : « فانهض » .
(٢) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « كأفسح ما جرت » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « لنرى تحشم » .

كنَّاس وفرَّاش ، متهيئين لانتظار أبى إبراهيم ؛ فاشتد عجبنا لذلك ، وطال تحدثنا عنه . انتهى .

هـكذا تكونُ المَعالى طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طرقِ المُزاحِ

بيعة الحكم المستنصر

وكان الخليفة الحَكَمُ المستنصر المذكور قد قام بأعباء الملك أحسن قيام ، لما توفى والده الناصر فى يوم الأربعاء لثلاث — وقيل لاثنتين — مضين[1] من شهر رمضان ، من سنة خمسين وثلاث مئة ، واستقرت الخلافة به ، حتى لم يُعْدَم من الناصر إلا شخصه ، واعتلى سرير الملك ثامن وفاة أبيه ، يوم الخميس ، وأنفذ الـكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس إلى بيعته ، واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه ، وتثقيف مملـكته ، وضَبْط قصوره ، وترتيب أجناده .

وأولُ ما أخذ البيعة على صقالبة قصره ، الفتيان المعروفين بالخلفاء ، الأكابر ، كجعفر صاحب الخيل والطِّراز ، وغيره من عظمائهم ، وتكفّلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم ، من طبقتهم [وغيرهم][2] ؛ وأوصل إلى نفسه فى الليل دون هؤلاء ، [٤٢٧] الأكابرَ من الـكتاب والوُصَفاء ، والمقدَّمين والعُرَفاء ، فبايعوه ؛ فلما كملت بيعتهم وبيعة أهل القصر تقدم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان ، بالنهوض فى أخيه شقيقه أبى مروان عبيد الله ، المتخلف لملته ، بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة ؛ وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حُدَير بالنهوض أيضا فى أبى الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى ، فمضيا إليهما ، كل واحد منهما فى قطيع من الجند ، وأتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء ؛ ونَفذ غيرُهما من وجوه الرجال فى الخيل ، للإتيان بغيرهما من الإخوة ، وكانوا يومئذ ثمانية ، فوافى جميعهم الزهراء فى الليل ، فنزلوا فى مراتبهم

(١) فى م : « بقين » .

(٢) هذه الـكلمة عن نفح الطيب .

بفُصلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرقي والغربي ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك ، في البهو الأوسط من الأبهاء الذهبية القبلية ، التي في السطح الممرد ؛ فأول من وصل إليه الإخوة ، فبايعوه ، وأنصتوا لصحيفة البَيعة ، والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ؛ ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ، ثم أصحاب الشُّرطة ، وطبقات أهل الخدمة ؛ وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس ، فإنه كان قائما بأخذ البيعة على الناس ؛ وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة ؛ فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا ، إلى آخر البهو ، كل منهم على قدره في المنزلة ، عليهم الظهائر البيض ، شعار الحزن ، قد تقلدوا فوقها السيوف ، ثم تلاهم الفتيان الوُصفاء ، عليهم الدروع السابغة ، والسيوف الحالية ، صفين منتظمين في السطح ، وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان ، [٤٢٨] لابسين البياض ، بأيديهم السيوف ، يتصل بهم مَنْ دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرُّماة متنكبين قسيَّهم وجعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفُحول ، شاكين في الأسلحة الرائقة ، والعُدة الكاملة ، وقامت التعبية في دار الجند والترتيب من رَجَّالة العبيد ، عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رءوسهم البيضات الصَّقْلبيَّة[1] ، وبأيديهم التِّراس الملونة ، والأسلحة المزينة ، انتظموا صفين إلى آخر الفصيل[2] . وعلى باب السُّدَّة الأعظم البوابون وأعوانهم ، ومن خارج باب السُّدة فُرسان العبيد إلى باب الأقباء ، واتصل بهم فُرسان الحشَم ، وطبقات الجند والعبيد والرُّماة ، موكبا

(١) في م : « الصقلية » .
(٢) الفصيل : واحد الفصلان (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٦١ من هذا الجزء) . وفي الأصلين والنفح : « الفصل » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

إثر موكب ، إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء ، فلما تمت البيعة أذن للناس بالانفضاض ، إلا الإخوة والوزراء و [أهل] [١] الخدمة ، فإنهم مكثوا بقصر الزهراء ، إلى أن احتمل جسد الناصر رحمه الله إلى قصر قرطبة ، للدفن هنالك فى تربة الخلفاء .

وفى ذى الحجة من سنة خمسين المذكورة تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد ، للبيعة والتماس المطالب ، من أهل طليطلة وغيرها من قواعد الأندلس وأصقاعها ؛ فتوصلوا إلى مجلس الخليفة ، بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر ابن سعيد والملأ ، وأخذت عليهم البيعة ، ووقعت [٢] الشهادات فى نسخها .

وفود أردون عليه وحديث ذلك

وفى آخر صفر من سنة إحدى وخمسين أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليبه محمدا وزيادا ابنى أفلح الناصرى ، فى كتيبة من الحشم والخدم ، لتلقى غالب [٤٢٩] الناصرى ، صاحب مدينة سالم ، المورد للطاغية أردون بن أدفونش الخبيث فى الدولة ، المتملك على طوائف من أمم الجلالقة ، والمنازع لابن عمه المملك قبله شانجه بن رذمير ؛ وتبرع هذا اللعين أردون بالمسير إلى باب المستنصر بالله من ذاته ، غير طالب إذن ، ولا مستظهر بعهد ، وذلك عندما بلغه من اعتزام المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو إليه ، وأخذه فى التأهب له ، فاحتال فى تأميل المستنصر بالله ، والارتماء إليه ، وخرج قبل أمان يعتقد له ، أو ذمة تعصمه ، فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه ، تكنفهم غالب الناصرى ، الذى خرج إليه ؛ فجاء بهم نحو مولاه الحكم ؛ وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور ؛ فأنزلاهم ؛ ثم تحركا بهم ثانى يوم نزولهم إلى قرطبة ، فأخرج المستنصر بالله إليهم هشام بن محمد بن عثمان المصحفى ، فى جيش عظيم كامل التعبية ، وقدموا إلى باب قرطبة ،

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب . (٢) فى م : « ووقفت » .

فمروا بباب قصرها . فلما انتهى أُردون[1] إلى ما بين السُّدة و باب الجنان ، سأل عن مكان رَمس الناصر لدين الله ، فأشير إلى ما يوازى موضعه من داخل القصر فى الروضة : فخلع قلنسوته ، وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قلنسوته إلى رأسه .

وأمر المستنصرُ بإنزال أُردون فى دار[2] الناعورة ، وقد كان تقدّم فى فرشها بأنواع الغطاء والوطاء ، وانتهى من ذلك إلى الغاية ؛ وتوسع له فى الكرامة ولأصحابه ، فأقام بها الخميس والجمعة ، فلما كان يومُ السبت ، تقدم المستنصر بالله باستدعاء أُردون ومن معه ، بعد إقامة الترتيب ، وتعبية الجيوش ، والاحتفال فى ذلك ، من العُدد والأسلحة والزينة ؛ وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى المجلس الشرقى من مجالس السطح ، وقعد الإخوة و بنوهم ، والوزراء ، ونظراؤهم صفًّا[3] فى المجلس ، فيهم القاضى منذر بن سعيد ، والحكام والفقهاء ؛ فأتى محمد بن القاسم بن طملس[4] بالملك أُردون وأصحابه ، وعالى[5] لَبوسه ثوب ديباجٍ روميٌّ أبيض ، وبَليُوال من جنسه وفى لونه ؛ وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر ، وقد حفَّته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس ، يؤنسونه ويبصرونه ، فيهم وليد بن حيزون[6] قاضى النصارى بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مُطران طليطلة ، وغيرهما[7] ؛ فدخل بين صَفّي الترتيب ، يقلب الطَّرْف فى نَظْم الصفوف ، ويجيل النظر[8] فى كثرتها ، وتظاهر أسلحتها ، ورائق حليتها ، فراعهم ما أبصروه ، [٤٣٠]

(١) تقدم قريبا هذا الاسم مضبوطا (بفتح الهمزة) . والصواب (بضمها) .
(٢) فى م : فى منية « الناعورة » .
(٣) فى الأصلين : « معاً » . وما أثبتناه عن نفح الطيب طبعة مصر والمخطوط . وفى نفح الطيب طبع أوربة : « جفا » . أى : جماعة .
(٤) كذا فى الاستقصا للسلاوى (ج ١ صفحة ٨٧) وفيا سيأتى من م . وفى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « طميس » . وفى ط وم هنا : « طمس » .
(٥) فى م : « وعلى » . (٦) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « خيزران » .
(٧) مكان هذه الكلمة « وغيرهما » فى م : « وأصبغ بن نبيل وعبد الرحمن بن لب » .
(٨) فى ط : « الفكر » وما أثبتناه عن م والنفح .

وصلّبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسى رءوسهم ، غاضّين من جفونهم ، قد سُكِّرت أبصارهم ، حتى وصلوا إلى باب الأقباء ، أول باب قصر الزهراء ، فترجّل جميع من كان خرج إلى لقائه ، وتقدم الملك أردون وخاصة قوامِسه[1] على دوابهم ، حتى انتهوا إلى باب السُّدَّة ، فأمر القوامس بالترجُّل هنالك ، والمشى على الأقدام ، فترجّلوا ، ودخل الملك أردون وحده ، راكبا مع محمد بن طماس[2] ، فأُنزل فى بَرْطَل[3] البهو الأوسط ، من الأبهاء القبلية ، التى بدار الجند ، على كرسىّ مرتفع ، مكسو الأوصال بالفضة ، وفى هذا المكان بعينه نزل قبله عدوُّه ومناوئه شانجة بن رُذْمير ، الوافد على الناصر لدين الله ، رحمه الله تعالى ، فقعد أردون على الكرسىّ ، وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن لأردون الملك من المستنصر بالله ، بالدخول عليه ، فتقدم يمشى وأصحابه يتبعونه ، إلى أن وصل إلى السطح ، فلما قابل المجلس الشرقى ، الذى فيه المستنصر بالله ، وقف وكشف رأسه ، وخلع بُرْنُسَه ، وبقى حاسراً ، إعظاما لما بان له من الدنو إلى السرير ، واستُنْهض ، فمضى بين الصفّين المرتّبين فى ساحة السطح ، إلى أن قطع السطح ، وانتهى إلى باب البَهْو ، فلما قابل السرير خر ساجدا سُوَيعة ، ثم استوى قائما ، ثم نهض خطوات ، وعاد إلى السجود ، ووالى ذلك مرارا ، إلى أن قَدُم[4] بين يدى الخليفة ، وأهوى إلى يده ، فناوله إياها ، وكَرّ راجعا ، مقهقرا على عقبه ، إلى وساد ديباج مُثقَّل بالذهب ، جُعل له هنالك ، ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير ، فجلس عليه والبُهْرُ قد علاه ؛ وأُنهض خلفه من استُدنى من قوامسه وأتباعه ، فدَنَوْا ممتثلين [٤٣١]

(١) القوامس : الأمراء ، الواحد : قومس بوزن جعفر .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٤) صفحة (٢٨٩) من هذا الجزء .

(٣) البرطل (كجعفر وبرثن) : كلمة إسبانية ومعناها : سقيفة عند باب البيت ، أو فى أحد جوانب الفناء ، ولا تزال تستعمل فى المغرب . (راجع تكملة المعاجم العربية لدوزى) . (٤) فى م : « قام » .

فعله فى تكرير الخنوع ، وناولهم الخليفة يده ، فقبلوها وانصرفوا مُقهْقرين ، فوقفوا على رأس ملكهم ، ووصل بوصولهم وليد بن خيزون قاضى النصارى بقرطبة[(١)] ، فكان الترجمانَ عن الملك أردون ذلك اليوم ، وأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك أردون إثر قعوده [أمامه وقتا] [(٢)] ريثما [(٣)] يُفرخُ رَوْعُه ، فلما رأى أن قدخُفّض عليه ، افتتح تكليمه ، فقال : لِيَسُرّكَ إقبالك ، ويُغَبِّطْك تأميلُك ، فلدينا لك من حسن رأينا ، ورُحب قبولنا ، فوق ما قد طلبته .

فلما تُرجِم له [كلامه] [(٢)] إياه ، تطلّق وجه أردون ، وانحط عن رتبته ، فقبّل البساط ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين مولاى ، المتوركُ على فضله ، القاصد إلى مجده ، المحكِّم فى نفسه ورجاله ، فحيث وضعنى من فضله ، وعوّضنى من خدمته ، رجوت أن أتقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة . [٤٣٢]

فقال له الخليفة : أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا ، وسينالك من تقديمنا لك ، وتفضيلنا إياك على أهل ملتك ، ما يُغَبِّطك ، وتتعرّف به فضل جنوحك إلينا ، واستظلالك بظل سلطاننا .

فعاد أردون إلى السجود عند فهمه مقالة الخليفة ، وابتهل داعيا ، وقال : إن شانجة ابن عمى تقدم إلى الخليفة الماضى مستجيراً به منى ، فكان من إعزازه إياه ما يكون من مثله من أعاظم الملوك ، وأكارم الخلفاء ، لمن قصدهم وأملهم ؛ وكان قصده قصد مضطرّ ، قد شَنَأَتْه رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارتنى لمكانه ، من غير سعى منّى — علم الله ذلك — ولا دعاء إليه ، فخلعته وأخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا ؛ فتطوّل عليه رحمه الله ، بأن صرفه إلى ملكه ،

(١) زادت م بعد هذه الكلمة : « وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة » .

(٢) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٣) فى ط : « كيا » ، وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

وقوّى سلطانه ، وأعزّ نصره . ومع ذلك فلم يقم بفرض النعمة التى أسديت إليه ، وقصّر فى أداء المفروض عليه وحقه وحق أمير المؤمنين مولاى من بعده ؛ وأنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة ، من قرارة سلطانى ، وموضع احتكامى[1] ، مُحكّمًا له فى نفسى ورجالى ومَعاقلى ، ومن تحويه من رعيتى ؛ فشتّانَ ما بيننا من قوة الثقة ، ومَطرَح الهمة .

فقال الخليفة : قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزاك ، وسوف يظهر من إقراضنا إيّاك على الخصوصية فوق شأنه ، ويترادف من إحساننا إليك به أضعافُ ما كان من أبينا رضى الله عنه إلى نِدّك ، وإن كان له فضل التقدم بالجنوح إلينا ، والقصد إلى سلطاننا ، فليس ذلك مما يؤخرك عنه ، ولا يَنْقصك مما أملناه ، وسنصرفك مغبوطا إلى بلدك ، [ونشدّ أواخىّ ملكك][2] ، ونملكك جميع من انحاش إليك من أمتك ، ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك ، نُقرر به حدّ ما بينك وبين ابن عمك ، ونقبضه عن كل ما يُصرّفه من البلاد إلى يدك ، وسيُرادف عليك من إفضالنا فوق ما احتسبته . والله على ما نقول وكيل .

[٤٣٣]

فكرر أردون الخضوع ، وأسهب فى الشكر ، وقام للانصراف مقهقرا ، لا يولّى الخليفة ظهره ، وقد تكنّفه الحَفَدة من جلّة الفتيان ، فأخرجوه إلى المجلس الغربىّ فى السطح ، وقد علاه البُهْر ، وأذهله الرَّوع ، من هول ما باشره ، وجلالة ما عاينه ، من فخامة الخليفة ، وبهاء العزة . فلما أن دخل المجلس ، ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه ، انحط ساجداً إعظاما له ، ثم تقدّم الفتيان به إلى البهو الذى بجوفىّ هذا المجلس ، فأجلسوه هنالك على وساد مثقّل بالذهب ، وأقبل نحوه الحاجب جعفر ، فلما بَصُر به قام إليه ، وخضع له ،

(١) فى نفح الطيب « أحكامى » . (٢) التكملة عن نفح الطيب .

وأومأ إلى تقبيل يده ، فقبضها الحاجب عنه ، وانحنى إليه ، فعانقه ، وجلس معه ، فنشَّطه ، ووعده من إنجاز عدات الخليفة له بما ضاعف سروره ؛ ثم أمر الحاجب جعفرٌ ، فصُبَّت عليه الخِلَع التى أمر له بها الخليفة ، وكانت دُرَّاعة منسوجة بالذهب ، وبُرْنُسا مثلها ، له لوزة مُفرَغة من خالص التِّبْر ، مرصَّعة بالجواهر والياقوت ، ملأت عين العِلْج تجِلّة ، فخرَّ ساجدا ، وأعلن بالدعاء ؛ ثم دعا الحاجب أصحابه رجلا رجلا ، فخلع عليهم ، على قدر استحقاقهم ؛ فكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم ، وخرّ جميعهم خاضعين شاكرين ، ثم انطلق الملك [أُردون] [1] وأصحابه ، وقدِّم لركابه فى أول البهو الأوسط فرس من عتاق خيل الركاب ، عليه سرج حَلْى ، ولجام حَلى مفرَغ ، وانصرف مع ابن طملس إلى قصر الرُّصافة ، مكان تضييفه ، وقد أعد له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفُرُش والماعون ، واستقر الملك أُردون وأصحابه فيما لا كِفاء له من سَعة التضييف ، وإرغاد المعاش ، واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الإسلام فيه ، ما أفاضوا فى التبجُّح به ، والتحدث عنه أياما . [٤٣٤]

وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة فى هذا اليوم مقامات حسان ، وإنشادات لأشعار محكمة متقان ، يطول القول فى اختيارها .

شعر المرادى فى هذا المقام

فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المراديّ من قصيدة طويلة :

مُلْكُ الخليفة آيةٌ [2] الإقبال ... وسعوده موصولة بنوال

فالمسلمون بعزة وبرفعة ... والمشركون بذلة وسفال

ألقت بأيديها الأعاجم نحوه ... متوقِّعين لصَوْلَة الرئبال

هذا أميرهمُ أتاه آخذا ... منه أواصرَ ذمّة وحبال

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .
(٢) فى نفح الطيب : « غاية » .

متواضعا لجلاله متخشّعا ... متبرّعا لمّا يُرَعْ بقتال
سينال بالتأميل للملك الرضا ... عزا يعم عداه بالإذلال
لا يوم أعظم للولاة مسرة ... وأشد غيظا على الأقيال
من يوم أردون الذى إقباله ... أمل المدى ونهاية الإقبال
ملك الأعاجم كلها ابن ملوكها ... وال نماه للأعاجم وال
إن كان جاء ضرورة فلقد أتى ... عن عز مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المنيل إمامنا ... حظ الملوك بقدرة المتعالى
هو يوم حشر الناس إلا أنهم ... لم يسألوا فيه عن الأعمال
أضحى الفضاء مُقعَّا[1] بجيوشه ... والأفق أقتم أغبر السِّربال
لا يهتدى السارى لليل قتامه ... إلا بضوء صوارم وعوالى
وكأن أجسام الكماة تسربلت ... مذ غُبِّرت منه[2] جسوم صلال[3]
وكأنما العقبان عقبان الفلا ... منقضة لتخطّف الضلال
وكأن منتصب القنا مهتزة ... أشطان نازحة بعيدة جال[4]
وكأنما خُيِّل التجافيف[5] اكتست ... نارا توهّجها بلا إشعال

وتتبُّع مثل هذه الأخبار لا آخر له ؛ والله المستعان .

شىء عن منذر ابن سعيد البلوطى

[٤٣٥] وكان القاضى مُنذر بن سعيد السابق ذكره ، سمع بالأندلس من عبيد الله ابن يحيى بن يحيى ونظرائه ، ثم رحل حاجًّا سنة ثمان وثلاث مئة ، فسمع من عدّة أعلام ، منهم محمد بن المنذر النّيسابورى ، سمع عليه كتابه المؤلف فى

(١) فى نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « مخيا » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « غبرت » . وفى نفح الطيب : « غربت عنه » .
(٣) كذا فى الأصلين ونفح الطيب المطبوع والمخطوط . (٤) يريد بالجال : قعر البئر .
(٥) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « قبل التجافيف » . والتجافيف : جمع تجفاف (بالكسر) وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه فى الحرب .

اختلاف العلماء ، المسمى بالإشراف ، وروى بمصر كتاب العين للخليل ، عن أبي العباس بن وَلّاد ، وروى عن أبي جعفر بن النحاس . وكان متفننا في ضروب العلوم ، وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن عليّ الأصْبَهانيّ ، المعروف بالقياسيّ[1] وبالظاهريّ ؛ فكان منذر بن سعيد يؤثر مذهبه ، ويجمع كتبه ، ويحتجّ لمقالته ، ويأخذ به في نفسه وذويه ؛ فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، بالذى استقر عليه العمل في بلدهم ، وحَمل عليه السلطانُ أهل مملكته .

وله تواليف مفيدة ؛ منها كتاب أحكام القرآن ؛ والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك في الفقه والكلام والرد على أهل المذاهب ؛ وكان خطيبا بليغا ، عالما بالجدل ، حاذقا فيه ، شديد العارضة ، حاضر الجواب ، عتيده ، ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ، ومنظر جميل ، وخُلُق حميد ، وتواضع لأهل الطلب ، وانحطاط لهم ، وإقبال عليهم ؛ وكان مع وقاره التامّ فيه دُعابة مستملحة ، وله نوادر مستحسنة ، لولا السآمة لجلبنا منها طَرَفا . وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر ، في شهر ربيع الآخر[2] سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة ، ولبث قاضيا من ذلك [٤٣٦] التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته ، ثم للخليفة الحَكَم المستنصر ، إلى أن تُوُفِّي رحمه الله ، عقب ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ؛ فكانت ولايته لقضاء الجماعة ستة عشر عاما كاملة ، لم يُحفظ عليه فيها جَور في قضية ، ولا قَسْم بغير سَوِيَّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية ، رحمه الله ورضي عنه . ودُفن بمقبرة قريش ، بالرَّبَض الغربي من قرطبة ، أعادها الله ، جوفيّ مسجد السيدة الكبرى ، بقرب داره .

---

(١) في م : «بالعباسي» . (٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي م : «الأول» .

بعض مأثور كلامه

قال القاضى أبو الحسن[1] : كان شيخنا القاضى أبو عبد الله بن عياش الخزرجى يستحسن من كلام القاضى مُنذر قولَه فى التزكية :

اعلم أن العدالة من أشد الأشياء تفاوتاً وتبايناً ، ومتى حصَّلت ذلك عرفت حالة الشهود ، لأن بين عدالة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعدالة التابعين رضى الله عنهم فَوْتاً[2] عظيما ، وتباينا شديدا ؛ و بين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك مثلُ ما بين السماء والأرض ؛ وعدالة أهل زماننا على ما هى عليه بعيدة التباين أيضاً . والأصل فى هذا عندى ، والله الموفق ، أن من كان الخير أغلبَ عليه من الشر ، وكان متنزِّهاً عن الكبائر ، فواجب أن تُعْمَل[3] شهادته ، فإن الله تعالى قد أخبرنا بنص الكتاب أن من ثَقُلَتْ موازينه فهو فى عيشة راضية ، وقال فى موضع آخر : «فأولئك هم المفلحون» ؛ فمن ثقلت موازين حسناته بشىء لم يدخل النار ؛ ومن استوت حسناته وسيئاته لم يدخل الجنة فى زمرة الداخلين أولا ، وهم أصحاب الأعراف ، فذلك عقوبة لهم ، إذ تخلفوا عن أن تزيد حسناتهم على سيئاتهم ؛ فهذا حكم الله فى عباده . ونحن إنما كُلِّفنا الحكم بالظاهر ، فمن ظهر لنا أن خيره أغلب عليه من شره حكمنا له بحكم الله فى عباده ، ولم نطالب له علم الباطن ، ولا كُلِّفه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت عنه أنه قال : «إنما أنا بَشَر ، وإنكم تختصمون إلىَّ ، فلعلَّ بعضكم أن يكون ألْحَن بحجته من بعض ، فأحكم له على نحو مما أسمع» . فأحكام الدنيا على ما ظهر ، وأحكام الآخرة على ما بطن ؛ لأن الله تعالى يعلم الظاهر والباطن ، ونحن لا نعلم إلا الظاهر ؛ ولأهل كل بلد قوم قد تراضى عليهم عامتهم ، فهم تنعقد منا كحهم و بيوعهم ، وقد قدموهم فى مساجدهم ولجُمَعهم وأعيادهم ، فالواجب على من اسْتُقْضِىَ على [٤٣٧]

---

(١) هو أبو الحسن النباهى السابق الذكر . (٢) ق م : « بونا » .
(٣) إعمال الشهادة : قبولها والعمل بها .

موضع أن يُعمِل شهادة أمثالهم وفقهائهم ، وأصحاب صلواتهم ، وإلا ضاعت حقوق ضعيفهم وقويهم ، و بطلت أحكامه . ويجب عليه أن يسأل إن استراب فى بعضهم فى الظاهر والباطن عنهم ، فمن لم يثبت عنده عليه اشتهار فى كبيرة ، فهو على عدالة ظاهرة ، حتى يثبت غير ذلك . انتهى .

نقد الونشريسى فى تشنيع ابن الخطيب على الموثقين

قلت : تذكرت هنا ما رأيته بخط الإمام الحافظ سيدى أحمد الونشريشى رحمه الله على ظهر كتاب ابن الخطيب : « مُثْلَى الطريقة فى ذم الوثيقة » ، وقد مدّ فيه ابن الخطيب الباع فى ذم المُوَثّقين[1] ، وذكر مثالبهم ، ونصّ ما ألفيته بخط المذكور :

الحمد لله . جامعُ هـذا الـكلام المقيَّد هنا بأول ورقة منه ، قدْ كدَّ نفسه فى شىء لا يَغْنى الأفاضل ، ولا يعود عليه فى القيامة ولا فى الدنيا بطائل ، وأفنى طائفة من نفيس عمره فى التماس مساوئ طائفة ، بهم تُستباح الفروج ، وتُملك مُشيَّدات الدور والبُروج ، وجعلهم أضحوكة لذوى الفتْك والمجانة ، وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة ، سامحه الله وغفر له . قال ذلك وخطَّه بيُمنى يديه عُبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن على الونشريشى ، خار الله سبحانه له . انتهى .

رجع إلى سبتة وما كان بين ابن خميس وبعض طلبتها

ولنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار سَبْتة ، فنقول :

كان أهل سَبْتة فى غاية الذكاء والفطنة ، والعلم والمعرفة ؛ وقد حكى الشيخ النظّار أبو إسحاق الشاطبىّ فى شرحه على ألفية ابن مالك ، عن شيخه أبى عبد الله الفخّار ، عن بعض أهل سبتة ، أن الشيخ أبا عبد الله بن خميس التِّلِمْسانىَّ لما ورد على سَبْتة بقصد الإقراء بها ، اجتمع عليه عيون طلبتها ؛ فألقوا عليه [٤٣٨]

(١) كذا فى ط . وفى م : « الموقعين » .

مسائل من غوامض باب الاشتغال ، فحاد عن الجواب ، بأن قال لهم : أنتم عندى كرجل واحد . يَعْنى أن ما ألقوا عليه من المسائل إنما تلقوها من رجل واحد ، وهو ابن أبى الربيع ؛ فكأنه إنما يُخاطب رجلا واحداً ، ازدراء بهم . فاستقبله أصغر القوم سِنًّا وعلما ، بأن قال له : إن كنت بالمكان الذى تزعُم ، فأجبنى عن هذه المسائل ، من باب معرفة علامات الإعراب ، التى أذكرها لك ؛ فإن أجبت فيها بالصواب ، لم تحظ[1] بذلك فى نفوسنا ، لصغرها بالنظر إلى تعاطيك من[2] الإدراك والتحصيل ، وإن أخطأت فيها لم يسعْك هذا البلد ؛ وهى عشرة :

الأولى : أنتُمْ يا زَيْدُون تغزُون .

والثانية : أنتُنَّ يا هندات تغْزُون .

والثالثة : أنتُم يا زيدُونَ ويا هندات تغزُون .

والرابعة : أنتنَّ يا هندات تَخشَيْن .

والخامسة : أنتِ يا هِنْدُ تَخْشَيْنَ .

والسادسة : أنتِ يا هِنْدُ تَرْمِين .

والسابعة : أنتنَّ يا هِنْداتُ تَرْمِين .

والثامنة : أنتُنَّ يا هِنْداتُ تَمْحُون أوْ تَمْحَيْن [كيفَ تقُول][3]

والتاسعة : أنتِ يا هندُ تَمْحِين أوْ تَمْحُون[4] كيفَ تقول .

والعاشرة : أنتُما تَمْحُوان أو تَمْحَيَان ، كيف تقول .

---

(١) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « لم تحط » .

(٢) فى نفح الطيب المخطوط والمطبوع : « تعاميك عن » .

(٣) التكملة عن نفح الطيب .

(٤) فى هذه الصيغة خطأ سيعرض له ابن مرزوق (فى صفحة ٣٠١) من هذا الجزء . عند قوله : « وليس ما وقع فى السؤال ... الخ »

وهل هذه الأفعال كلّها مَبْنيّة أو مُعْرَبة ؟ أو بعضها مبنيّ وبعضها معرب ؟ وهل كلها على وزن واحد أم على أوزان مختلفة ؟ علينا السؤال ، وعليك التمييز ، لنعلم الجواب . فبُهت الشيخ وشغَل المحَل بأن قال : إنما يُسْأل عن هذا صغار الولدان . فقال له الفتى : فأنت دونهم إن لم تجب . فانزعج [الشيخ] [1] وقال هذا سوء أدب ، ونهض منصرفا ، ولم يصبح إلا بمالقة ، متوجها إلى غرناطة ، فلم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم ، إلى أن مات . تغمده الله برحمته . انتهى .

[٤٣٩] وأورد هذه الحكاية أيضا عالم الدنيا ، سيدي أبو عبد الله بن مرزوق ، في شرحه على الألفية لابن مالك ، وهو شرح متسع جدا ، وقفت منه على بعضه بتلمسان ، وكان آخر السِّفر الأول اسمُ الإشارة ، وذلك السِّفر أعظم جرما من جميع شرح المُرَادِيّ ، ونص [محل] [1] الحاجة منه :

وقد حُكي أن بعض طلبة سَبتة أورد على أبي عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع ، وهي : أنتُم يا زيدُون تغزُون ؛ وأنتُنَّ يا هندَاتُ تغزُون ؛ وأنتُم يا زيدون ويا هنداتُ تغزُونَ ؛ وأنتُنّ يا هندات تَخشَيْن ؛ وأنتِ ياهندُ تَخشَيْن ؛ وأنتِ يا هندُ تَرمين ؛ وأنتنّ يا هندات ترمين ، وأنتنّ يا هندات تَمحُون أو تَمحَيْن كيف تقول . وأنتِ ياهندُ تَمحِين أو تَمحَيْن كيف تقول ؛ وأنتما تَمحُوان أو تَمحيَان ، على لغة من قال محوت كيف تقول ؟ وهل هذه الأمثلة كلها مبنية أو معربة أو مختلفة ؟ وهل وزنها واحد أو مختلف ؟

قالوا : ولم يجب بشيء . قلت : فلعله استسهل أمرها .

فأما المثال الأول فمعرب ، ووزنه تَفْعُون [2] ، إذ أصله تَغْزُوُون ،

(١) هذه الكلمة عن نفح الطيب .

(٢) في الأصلين : « تفعلون » وهو ظاهر التحريف .

كتنظرون[١] ، فاستثقلت ضمة الواو ، التى هى لام ، فحذفت ، ثم حُذفت الواو أيضا ، لالتقائها ساكنة مع واو الضمير ، وكانت أولى بالحذف ، لأن واو الضمير فاعل ، ولغير ذلك مما تقدم بعضه .

وأما الثانى فمبنى ، ووزنه تَفْعُلْن ، كتخرُجْنَ .

وأما الثالث فكالأول إعراباً ووزناً ، لأن فيه تغليبَ المذكر على المؤنث .

وأما الرابع فمبنىّ ، ووزنه تَفْعَلْن ، مثل تَفْرَحْن ، لأنه لما احتيج إلى تسكين آخر الفعل ، لإسناده إلى نون جماعة النسوة ، رُدَّت الياء إلى أصلها ، لأنها إنما قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون . [٤٤٠]

وأما الخامس فمعرب ، ووزنه تَفْعَيْن ، وأصله تَخْشَيِين ، كتفرَحِين ، فقلبت الياء ألفاً ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ياء الضمير ، وتركت فتحة الشين دالة على الألف .

وأما السادس فمعرب ، ووزنه تَفْعِينَ . وأصله تَرْمِيِينَ ، كتضربين ، حذفت كسرة الياء لاستثقالها ، ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير .

وأما السابع فمبنى ، ووزنه تَفعِلْنَ كتضرِبْن .

وأما الثامن والتاسع ، فمضارع مَحَى ورد بالأوزان الثلاثة ، فمن قال يَمحو [قال فى المضارع من جماعة النسوة : تَمْحُون ، مثله من غزا بناء ووزنا . ومن قال يَمحِى][٢] قال فيه : تَمْحِين كتَرْمِين ، بناء ووزنا . ومن قال يَمْحَى قال

(١) وردت هذه الكلمة فى الأصلين بعد قوله : « تفعون » على أنهما تنظير للوزن . وهكذا جرى المؤلف فى المثالين الخامس والسادس . وقد أخرناها إلى موضعها الصحيح فيا ساقه المؤلف ليستقيم الكلام .

(٢) التكملة عن نفح الطيب .

فيه تَمْحَيْنَ كتَخْشَيْنَ، بناء ووزنا . ويقال فى مضارع الواحدة على اللغة الأولى تَمْحِين كتَدْعِين : إعراباً ووزنا وتصريفا . وقد تقدم فى كلام المصنف . وعلى الثانية ، كما يقال لها من رمى إعراباً ووزناً وتصريفاً . وعلى الثالثة كما يقال لها من تخشى أيضاً ، وقد تقدما .

وليس ما وقع فى السؤال كما نُقل من خطّ بعض الشارحين أنه يقال فيها « تَمْحَوْن » كتَفْرَحْن بشىء .

وأمر التثنية ظاهر . انتهى بحروفه .

قلت : وقد جزم غير واحد بأن ابن خميس لا يجهل مثل هذه المبادئ ، إذ هو من أكابر الأعلام العارفين بالنحو واللغة وغيرهما من أنواع العلوم ؛ وقد نقل بعض من له خبرة بأحواله أنه كان يُحسن علم السيمياء . والله أعلم .

التعريف بابن خميس ، ومقتله

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحَجْرى[1] (بفتح الحاء وسكون الجيم) ، الرُّعَيْنى ، نسبة إلى حَجْر ذى رُعَين[2] . وهو من أهل تِلِمْسان ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس .

[٤٤١]

قال ابن الخطيب فى «عائد الصلة» : كان رحمه الله نسيجَ وَحْدِه زهدا وانقباضا وأدبا وهمة ، حسن الشيبة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الرياء والهوى ، عاملا على السياحة والعُزْلة ، عارفا بالمعارف القديمة ، مضطلعا بتفاريق النِّحل ، قائما على العربية والأصلين ، طَبَقَة الوقت فى الشعر ، وفحل الأوان فى المطوّل ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب .

ثم ذكر ابن الخطيب من أحواله جملة ، إلى أن قال : وبلغ الوزيرَ أبا عبد الله

(١) فى م : « محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحميرى الحجرى » .

(٢) حجر ذى رعين : أبو قبيلة من اليمن .

ابن الحكيم أنه يروم السفر، فشق ذلك عليه، وكلّفه تحريكَ الحديث بحضرته، وجرى ذلك فقال الشيخ : أنا كالدم بطبعى أُتحرك فى كل ربيع . انتهى .

وقال ابن خاتمة فى حقه، بعد أن وصفه بالشاعر المجيد : إنه رحل من تلمسان بلده إلى سَبتة، فأقام بها مدة، ومدح رؤساءها من بنى العَزَفى، ثم أجاز البحر إلى الأندلس، فاحتل بحضرة غَرناطة فى أواخر سنة ثلاث وسبع مئة، فى جوار الوزير أبى عبد الله بن الحكيم، فتقارضا حُلل الحمد. وتباريا فى الرِّفْد والحمد، فأدنى له ذو الوزارتين أخلاف بره وإكرامه، وخلع عليه ابن خميس أثواب نثره ونظامه، فله فيه القصائد التى حليت بها لَبّات الآفاق، وتنفست عنها صدور الرّفاق .

وكان رحمه الله من فحول الشعراء، وأعلام البلغاء، يُصرّف العويص، ويرتكب مستصعبات القوافى، ويطير فى القريض مَطار ذوى القوادم الباسقة والخوافى، حافظاً لأشعار العرب وأخبارها، له مشاركة فى العقليات، واستشراف على الطالب[1] ؛ وقعد لإقراء العربية بحضرة غَرناطة، وكان ما ينتحله من العلم فوق ما يحصله . ومال بأَخَرة إلى التصوّف والتَّجْوال، والتحلى بحُسن السَّمْت، وعدم الاسترسال، بعد طى بساط ما فَرَط له فى بلده من الأحوال، وكان صَنَع اليدين. حدثنى بعض من لقيه[2] من الشيوخ أنه صنع قدحاً من الشمع على أبدع [٤٤٢] ما يكون فى شكله، ولطافة جوهره، وإتقان صنعته، وكتب بدائرة شفته :

وما كنتُ إلا زهرةً فى حديقةٍ تبسَّمُ عن ضاحكاتِ الكمائمِ
فَقُلِّبْتُ[3] من طور لطور فهأنا أقبِّلُ أفواه الملوك الأعاظمِ
وأهداه خدمةً للوزير أبى عبد الله بن الحكيم .

وأنشدنا شيخنا القاضى أبو البركات ابن الحاج وحكى لنا، قال :

---
(١) فى م : « الطب » . (٢) فى ط : « لقيت » .
(٣) كذا فى م . وفى ط : « فنقلت » .

أنشدنى أبو عبد الله بن خميس وحكى لى ، قال : لما وقفت على الجزء الذى ألفه ابن سَبْعين ، يعنى أبا محمد عبد الحق بن أحمد بن إبراهيم بن نصر ، وهو الذى سماه بالفقيرية[1] ، كتبت على ظهره :

الفقرُ عندىَ لفظ دَقَّ مَعناهُ ... من رامه من ذوى الغايات عَنّاهُ

كَمْ مِنْ غَنِيٍّ بعيد عن تصوره ... أراد كشفَ مُعَمَّاه فَعَمَّاهُ

وأنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن ليون غير مرة ، قال : سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد ، وكان يحسب أنهما له ، ويقال إنهما لابن الرومى :

ربَّ قوم فى منازلهم ... غُرَرٍ صاروا بها غُررا

ستر الإحسانُ ما بهمُ ... ستَرى لو زالَ ما سَتَرَا

ثم قال ابن خاتمة بعد كلام : وقد جمع شعره ودوّنه صاحبنا القاضى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمى فى جزء سماه : « الدر النفيس من شعر ابن خميس » ، وعرّف به صدرَ الجزء . وقد نقلت منه هنا :

وقدم أبو عبد الله بن خميس المَرِيَّة سنة ست وسبع مئة ، فنزل بها فى كَنَف القائد الحاضر[2] بها حينئذ ، أبى الحسن بن كماشة ، من خدام الوزير أبى عبد الله ابن الحكيم ، فوسع له فى الإيثار والمَبَرَّة ، و بسط له وجه الكرامة طَلْق الأسِرَّة ؛ وبها قال فى مدح الوزير أبى عبد الله بن الحكيم قصيدته التى أولها :

العشىُّ نُعْمَيا والتَّوابعُ ... عن شكر أنعمك السوابغ

ووجّه بها إليه من المرية . ومنها :

ودسائع ابن كماشة ... معْ كل بازغة و بازغ

(١) فى م : « بالفقيرة » .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « الحافد » .

تأتى بما تَهْوَى النُّفَا نعم من شهيات اللّغالغ

ويقال إن الوزير أبا عبد الله بن الحكيم اقترح عليه أن يَنظم له قصيدة هائية ، فابتدأ منها مطلَعها ، وهو قوله :

لِمَنِ المنازلُ لا تجيب هواها[1] مُحِيَت معالمها بِصُمِّ صَدَاها

وذلك فى أواخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبع مئة . ثم لم يزد على ذلك إلى أن توفى ؛ فكان آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد أشار معناه إلى معناه ، وقد آذن أولاه بحضور أخراه ، فكانت وفاته بحضرة غَرناطة قتيلا ، ضحوة يوم الفطر ، مستهلّ شوال ، سنة ثمان وسبع مئة ، وهو ابن نيِّف وستين سنة ، وذلك يوم مَقتل مخدومه الوزير أبى عبد الله بن الحكيم ، أصابه قاتله لحقده على مخدومه .

ويقال إنه لما هم به قاتله قال له : أنا دخيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلتفت إليه ، وجعل يُجْهِز عليه . فقال له : لم تقبل الدخيل بينى و بينك ؟ فكان آخر ما سُمِع منه : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ ثم إنه استفاض بعد ذلك من حال القاتل أنه هلك قبل أن يُكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه ؛ فكان يصيح و يستغيث : ابن خميس يطلبنى ، ابن خميس يعذبنى[2] ، ابن خميس يقتلنى . وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال . [٤٤٤]

نعوذ بالله من الوَرَطات ، ومواقعات المَعَرّات . انتهى كلام ابن خاتمة .

وحكى غيره أنّ مطلعَ تلك القصيدة نظمه ليهنئ بها ابن الحكيم فى ذلك العيد الذى قتل فيه ، فلم يقدر على زيادة شيء ، فلما قُتل كتب بعضهم بعد قوله :

* لِمَنِ المنازلُ لا تجيبُ هواها *

لابن الحكيم .

(١) فى م هنا وفيما سيأتى : « صداها » .

(٢) فى م : « يضربنى » .

ونقل غير واحد فى شأن قاتله خلافَ ما حكاه ابن خاتمة . والله أعلم .

ومن مشهور نظمه رحمه الله قصيدته التى أولها :

مَشُوقٌ زَارَ رَبْعكِ يا أُمامَا ... محا آثارَ دِمْنَتِها الشَّآمَا

تَتَبَّعَ رِيقَةَ الطَّلِّ ارْتِشافا ... فلا نَفَعَتْ ولا نَقَعَتْ أُواما

وهى طويلة، ولكنها من غُرَر القصائد، يمدح بها أبا سعيد بن عامر، ويذكر الوحشة الواقعة بينه و بين أبى بكر بن خطاب .

ومن بديع شعره قولُه مطلع قصيدة :

تُراجِعُ من دُنياكَ ما أنتَ تاركُ ... وتسألها العُتْبَى[1] وها هى فاركُ

تُؤمِّل بعد التَّرْكِ رَجْعَ وِدادِها ... وشَرُّ وِدادٍ ما تَوَدُّ التَّرائكُ

حَلالَكَ[2] منها ماحَلالكَ فى الصِّبا ... فأنْتَ عَلَى حَلْوائِه مُتَهالِكُ

تَظاهَرُ بالسُّلْوانِ عنها تَجمُّلا ... فقلبُكَ محزون وثغرك ضاحكُ

تَنَزَّهْتَ عنها نَخْوَةً لا زَهادةً ... وشَعْرُ عِذاري أسودُ اللونِ حالكُ

وهى من القصائد الطَّنَّانة، وتركتُها لطولها؛ وفى آخرها يقول :

فلا تَدْعُوَنْ غيرى لدفعِ مُلِمَّةٍ ... إذا مادَهَى من حادثِ الدَّهرِ داهِكُ[3]

فما إنْ لذاكَ الصَّوْتِ غيرِيَ سامعٌ ... وما إنْ لبيتِ المجد بَعْدِيَ سامِكُ

يَغُصُّ ويَشْجَى بى نَهْشَلٌ ومُجَاشِعٌ ... بما أورثَتْنى حِميرٌ والسَّكاسِكُ

تُفارِقُنى الرُّوحُ التى لَسْتُ غيرَها ... وطيبُ ثَنائى لاصِقٌ بى َ صائكُ

(١) فى ط : «العقبى» . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٢) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : «خلالك» .

(٣) كذا فى ط . ودهكه (كمنعه) : طحنه وكسره . وفى نفح الطيب : «داعك» .

وَمَاذَا عَسَى تَرْجُو لِدَانِى وَأَرْتَجِى ... وَقَدْ شَمِطَتْ مِنِّى اللِّحَى والأَفَانِكُ[١]

يَعُودُ لِنَاشِرِخُ الشَّبَابِ الَّذِى مَضَى ... إِذَا عَادَ لِلدُّنْيَا عَقِيلٌ وَمَالِكُ

[٤٤٥]

وممـا اشتهر من نظمه قوله :

أَرَّقَ عَيْنِى بَارِقٌ مِنْ أُثَالْ ... كَأَنَّهُ فى جُنْحِ لَيْلِى ذُبَالْ

أَثَارَ شَوْقًا من صَمِيمِ[٢] الحَشَى ... وَعَبْرَتِى فى صَحْنِ خَدِّى أَسَالْ

حَكَى فُؤَادِى قَلَقًا وَاشْتِعَالْ ... وجَفْنَ عَيْنِى أَرَقًا وانْهِمَالْ

جَوَانِحٌ تَلْفَحُ نِيرَانُهـــا ... وأَدمُعٌ تَنْهَلُّ مِثْلَ العَزَالْ[٣]

قُولُوا وُشَاةَ الحُبِّ ما شَأْنُمُ[٤] ... ما لَذَّةُ الحُبِّ سوى أَنْ يُقالْ

أَعْذِرُ لُوَّامِى[٥] وَلَا عُذْرَ لِى ... فَزَلَّةُ العالِمِ ما إنْ تُقَالْ

قُمْ نَطْرُدِ الهَمَّ بِمَشْمُولَةٍ ... تُقَصِّرُ الليلَ إذا الليـلُ طالْ

وعاطِها صَفْرَاءَ ذِمِّيَّـــــةً ... تَمْنَعُها الذِّمَّةُ مِنْ[٦] أَنْ تُنَالْ

كالمِسْكِ رِيحًا وَالَّلمَى مَطْعَمًا ... والتِّبْرِ لَوْنًا والهَوَا في اعْتِدالْ

عَتَّقَهَا فى الدَّنِّ خَمَّارُها ... والبِكْرُ لا تَعْرِفُ غَيْرَ الحِجَالْ

لَا تُثقِبِ المِصْبَاحَ لَا واسْقِنِى ... عَلَى سَنَى البَرْقِ وضَوْءِ الهِلالْ

---

(١) الأفانك : جمع إفنيك ، وهو مجمع اللحيين أو طرفهما عند العنفقة . وفى الأصلين : « الأفاتك » بالتاء بدل النون ؛ وفى نفح الطيب : « الأفائك » ؛ وظاهر أن فى كلتا الروايتين تصحيفا .

(٢) فى النفح : « ضمير » .

(٣) العزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من الراوية ونحوها .

(٤) فى ط : « ما شأنكم » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٥) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب : « عذرا للوامى » .

(٦) فى النفح المخطوط : « ما » مكان قوله : « من » .

فالْعَيْشُ نَوْمٌ والرَّدَى يَقظَةٌ   وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كالْخَيَالْ

خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمِ مُسْطَارِها[1]   بَين خَوابِيها وَبين الدَّوَالْ

فِي رَوْضَــةٍ باكِرُ وَسْمِيِّها   أَخملَ دَارِينَ وأَنْسَى أَوَالْ[2]

كأَنَّ فَأْرَ المِسْكِ مَفْتُوقةٌ[3]   فِيها إذا هَبَّتْ صَبًا أَوْ شَمَالْ

مِنْ كَفّ ساجِى الطرف ألحاظه   مُفَــوَّقات أبدًا لِلنِّضَالْ

مَنْ عاذِرى والكلُّ لى عاذِرٌ   مِنْ حَسَنِ الوجه قبيح الفِعالْ

مِنْ خُلَّبِيِّ الوعْــدِ كذّابِهِ   لَيَّانَ لا يعرِفُ غيرَ المِطالْ

كأَنهُ الدَّهْرُ وأَىُّ امرِئٍ   يبقَى على الدّهْرِ إذا الدَّهْرُ حَالْ

أمَا تَرانى آخِــذًا نَاقِضًا   عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنى[4] مِنْ مُحَالْ

ولَمْ أكُنْ قَطُّ له عائبا   كمثْلِ ما عابَتْهُ[5] قبلى رجالْ

يَأبى ثَرَاءَ المالِ عِلْمِى وهَلْ   يجتمع الضِّدّانِ عِلْمٌ ومَالْ

وتأنفُ الأَرضُ مُقَامى بها   حَتَّى تَهَادَانى ظهورُ الرِّحَالْ

لَوْلَا بَنُو زَيَّانَ مَا لَذَّ لِى الــعَيْشُ وَلَا هَانَتْ عَلَىَّ اللَّيَالْ

هم خَوَّفُوا الدَّهْرَ وهم خَفَّفُوا   على بَنى الدُّنيا خُطاهُ الثِّقَالْ

أَلْفَيْتُ[6] مِنْ عامِرِهِم سَـيِّدًا   غَمْرَ رِداءِ الحمدِ جَمَّ النَّوَالْ

---

(١) المسطار (بضم الميم) : الخمرة الصارعة لشاربها ، لشدة حموضتها .

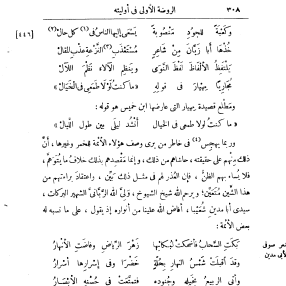
(٢) دارين : فرضة بالبحرين ، كان بها سوق للمسك . وأوال (كسحاب) : جزيرة كبيرة بالبحرين ، عندها مغاص اللؤلؤ .

(٣) فى النفح المطبوع : « مفتوتة » .

(٤) فى النفح المطبوع : « سوفنى » .

(٥) فى النفح المخطوط : « عاتبا ... عاتب » .

(٦) فى النفح وم : « لقيت » .



[٤٤٦]

وكَعْبَةً للجودِ مَنصُوبةً ... يَسْعَى إليها الناسُ فى[1] كل حالْ[2]

خُذْهَا أبا زَيّانَ مِنْ شَاعِرٍ ... مُسْتَعْذَبِ[3] النَّزْعةِ عذبِ المقالْ

يَلْتَفِظُ الألْفَاظَ لَفْظَ النَّوى ... ويَنظِمِ الآلاءَ نَظْمَ اللآلْ

مُجارِيًا مِهْيارَ فى قولِهِ ... «ما كنتُ لَوْلا طَمَعِى فى الْخَيالْ»

ومَطْلَع قصيدة مِهيار التى عارضها ابن خميس هو قوله :

« ما كنتُ لولا طمعى فى الخيال ... أَنْشُد ليلَى بين طول اللّيالْ »

وربما يهجِس[4] فى خاطر من يرى وصف هؤلاء الأئمة للخمر وغيرها ، أَنَّ ذلك مِنْهم على حقيقته ، حاشاهم من ذلك ، وإنما مَقْصِدهم بذلك خلافُ ما يُتَوَهَّمُ ، فلا يُساء بهم الظنُّ ، فإن العُذر لهم فى مثل ذلك بَيِّن ، واعتقادَ براءتهم من هذا الشَّين مُتَعَيِّن؛ ويرحم الله شيخ الشيوخ ، وَلِيَّ الله الرَّبَّانِيَّ الشهير البركات ، سيدى أبا مدينٍ شُعَيْبا ، أفاض الله علينا من أنواره إذ يقول ، على ما نسبه له بعض الأئمة :

شعر صوفى لأبى مدين

بَكَتِ السَّحابُ فأضحكتْ لبُكائِها ... زَهْرَ الرِّياضِ وفاضَتِ الأنْهارُ

وقدَ أقبلَتْ شَمْسُ النهارِ بِحُلّةٍ ... خَضْرَا وفى إسْرارِها أسْرارُ

وأتى الربيعُ بخَيلِهِ وجُنودِهِ ... فتمتَّعَتْ فى حُسْنِهِ الأبْصارُ

والوردُ نادَى بالوُرودِ إلى الجَنَى ... فتسابقَ الأطيارُ والأشجارُ

والكأسُ تَرْقُصُ والعُقار تَشَعْشَعتْ ... والجوّ يَضحَكُ والحبيبُ يُزَارُ

(١) كذا فى النفح المخطوط . وفى ط « عن » . وفى م والنفح المطبوع « من » .

(٢) فى النفح المطبوع والمخطوط : « بال » .

(٣) فى نفح الطيب : « مستملح » .

(٤) فى م : « ينجم » .

والعُودُ للغيدِ الحِسَانِ مُجاوِبٌ والطَّارُ أَخْفَى صَوْتَهُ المِزْمَارُ
لا تَحْسَبُوا الزَّمْرَ الحَرَامَ مُرَادَنَا مِزْمَارُنَا(١) التَّسْبِيحُ والأَذْكَارُ
وشَرَابُنَا مِنْ لُطْفِهِ وغِنَاؤُنَا نِعْمَ الحَبِيبُ الواحِدُ القَهَّارُ
والعُودُ عاداتُ الجميلِ وكَأْسُنَا كَأْسُ الكِيَاسَةِ والفَقَارُ وَقَارُ
فتأَلَّفُوا وتَطَيَّبُوا واسْتَغْنِمُوا قَبْلَ المَاتِ فَدَهْرُكُمْ غَــدَّارُ
واللهَ أَرْحَمُ بالفقــيرِ إذا أَتَى مِنْ وَالِدَيْهِ فإِنَّهُ غَفَّارُ
ثم الصَّلاةُ على الشفيعِ المُصطَفَى ما رَنَّمَتْ بلغــاتِها الأَطْيَارُ

تخميس على قصيدة لسيدى ابراهيم التازى

وقد تَذَكَّرْتُ بلاميّة ابن خَميس المذكورة ، قصيدة على رويّها ووَزْنها ، أولها قوله :

ما حالُ مَنْ فارقَ ذاكَ الجمالْ وذاقَ طعمَ الهجْرِ بَعْدَ الوِصالْ

[٤٤٧] وهى من نظم الشيخ العارف الصالح سيدى إبراهيم التَّازِىّ ، رضى الله عنه ، رأيت أن أذكرها هنا كفَّارة لما يتوهَّمه السامع فى لامية ابن خميس ، وقد كنت رأيت بتلمسان تخميساً لبعض الأكابر على قصيدة سيدى إبراهيم هذه ، وأنشدته الشيخ مولانا العمّ ، شيخ الإسـلام ، سيدى سعيد بن أحمد المَقَّرِيّ رضوان الله عليه ، فانفعل لذلك غايةً واهتز ، وها أنا أذكر القصـيدة ضمن التخميس ، وهو :

بَدَتْ كغُصْنٍ ناعمٍ فى اعتدالْ
وأبدلتْ وَصْـلى بصادٍ ودالْ
قُلْتُ كصَبٍّ عاشقٍ حيث قالْ

---

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « فرادنا » .

ما حالُ مَن فارقَ ذاكَ الجمالْ وذاقَ طعمَ الهَجْرِ بَعْدَ الوِصالْ

صَبٌّ صَبَا مِنْ وَجْدِ لَحْظِ الرَّشا

مِنْ حُبِّه عن لُبِّه يُنْتَشَى [1]

وسِرُّه بِدَمْعِه قَدْ فَشَا

والعَقلُ منهُ ذاهبٌ والحَشَى مُلْتَهِبٌ والجِسْمُ يَحْكِى الخَيالْ

شَأنى بها ما دُمْتُ فى رِقِّها

رَاقٍ ولا رَغبةَ فى عِتْقِها

دُمْتُ لَها عَبْدًا ومِن حَقِّها

أَبِيتُ أَرْعَى النَّجمَ فى أُفْقِها وليلُ أهلِ الحُبِّ رَحْبٌ طُوالْ

جاءَ بها التَّنصيصُ فى جُمْلَتِى [2]

أَقْضِى بها فَرْضِى وَهِىَ مِلَّتِى

نَأتْ بصبرِى صِحَّتُ واخجلتى

والدَّمعُ كالمِدْرارِ مِنْ مُقْلَتِى يَجرِى على الوَجْنةِ يا لَلرِّجالْ

ما عَمَرَتْ لى بالهوى رَاحةٌ

مِنْ بُعْدِها وَلاَ خَلَتْ ساحَةٌ

مِنْ حُسنِها إذ هىَ وَضَّاحةٌ

ولَيْسَ لى عَيْشٌ ولا رَاحةٌ والحالُ يُغْنِى ذا الحِجا عَنْ سُؤالْ

الوَصْلُ قد أَبْدَى لنا حُسْنَهُ

---

(١) انتشى : سكر . وفى الأصلين : « يختشى » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٢) فى م : « التنضيض فى حلق » .

والبُعْدُ (١) قَدْ أَبْدَى لنا شَيْنَهُ (٢)

قُولُوا لِمَنْ ليلُ الهَوَى جَنَّـهُ

يا قَبَّحَ اللهُ النَّـوَى إنَّهُ قَتْلٌ بلا سَيْفٍ وداءٌ عُضَالْ

إِلْفِيَ مُذْ حَلَّ بِقلبى قَضَى (٣)

أعادَهُ اللهُ لنـا (٤) بالرِّضا

بِطالِعِ السَّعْدِ ونور أَضَا

[٤٤٨] ويا رَعَى اللهُ زمانًا مَضَى بالأُنْسِ فى وارِفِ تلكَ الظِّلالْ

لِلّه أَطْلالٌ بهـا خَيَّمَتْ

فكَمْ بها مِنْ أُمَّةٍ أَحْرَمَتْ

ويا رَعَى اللهُ بها ما حَمَتْ

ظِلالُ ثَنْياء التى تَيَّمَتْ قَلْبى وخَلَّتْ مُهْجَتِى فى نَكالْ

نِلْتُ لذِيذَ الوَصْلِ فى تُرْبِها

لو دامَ ما غُيِّبْتُ عَنْ قُرْبِها

فكيفَ لا أُعْلِنُ مِنْ حُبِّها

آهًا لَهَا مَنْ لِى بِأُنْسٍ بها خوفَ الوَجَى (٥) ما بينَ تلكَ الجِبالْ

تلكَ رُبوعٌ فازَ مَنْ حَلَّها

---

(١) فى م : « والصد » .

(٢) فى الأصلين « سنه » ، والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٣) كذا فى الأصلين ولعلها : « مضى » .

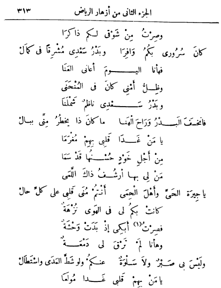
(٤) فى ط : « علينا » .

(٥) فى ط : « خوف الرجا » وفى م : « عرف الرجا » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

وعُقــــدَة الإبعاد قَدْ حَلّها
مَنْ لى بقربٍ أجتنى وَصْلَهَا
أَلْزَمُهَا أَبُثُّ أَمْرِى لَهَا أَنْعَمُ[1] الطَّرْفَ بذاكَ الجمال
ما فازَ إلَّا مَنْ غـــدَا خِلَّهَا
ومَنْ أتَاهَا قاصـــدًا أهْلَهَا
يا عاشقِينَ استعطفُوا دَلَّهَا
لله مَا أحْسَن خَالًا لَهـــا تَقْبِيلُه المحظور عَيْنُ الحَـــلَال
نَفسِى فِدَا مَنْ حَـــلَّ فى رَكْبِها
ومرَّغَ الخَـــدَّيْنِ فى تُرْبِها
ونالَ ظِـــلَّ الأَمْنِ فى حِزْبِها
وما ألذَّ العيشَ فى قُرْبِهـــا فى ربَّةٍ بَذْلُ[2] العطَا والنَّوال
يَاأهـــلَ ذاكَ المَنْصِبِ المَوْلَوِى
عَنْ حُبِّكُمْ قلبىَ ما يَرْعَوِى
لأننى مِنْ مائكُمْ أرْتَوِى
يا سَادَتِى يا صَـــفْوَتِى يا ذَوِى بِرِّى وشُكْرِى يا كِرامَ الفِعَال
كَمْ بِتُّ لَيْــلِى[3] بِكُمْ ساهِرَا
سامَرْتُ فيـــه كوكَبًا زاهِرا

---

(١) فى م : « وأنعم » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « تجدبه بعد » مكان قوله : « فى ربه بذل » .
(٣) فى م : « من ليل » مكان قوله : « ليلى » .



وصِرْتُ مِنْ شَوْقى لكم ذاكرًا

كانَ سُرُورى بكُمُ وَافِرًا وبَدْرُ سَعْدِى مُشْرِقًا فى كَمَالْ

فهأنا اليومَ أعانى العَنَا

وظِلُّ أمْنِي كانَ فى المُنْحَنَى

وبَدْرُ سَعْدِى ناظمٌ شَمْلَنَا

[٤٤٩] فانخسفَ البَدْرُ وَرَاحَ الْهَنا ما كانَ ذا يخطُرُ مِنِّى ببالْ

يا مَنْ غَدَا قَلبِي بِهِمْ مُغرَمَا

مِنْ أجْلِ خَوْدٍ حُسْنُها قَدْ سَمَا

مَنْ لِى بها أرشُفُ ذاكَ اللَّمَى

يا جِيرَةَ الحَىِّ وأهْلَ الحِمَى أنتُمْ مُنَى قَلبِى على كلِّ حالْ

كانتْ بكمُ لى فى الهَوى نُزْهَةٌ

فصِرْتُ[1] أبكِى إذْ بَدَتْ وَحْشَةٌ

وهأنا لَمْ تَرْقَ لى دَمْعَةٌ

ولَيْسَ بى صَبْرٌ ولاَ سَلْوَةٌ عنكمُ ولو شَطَّ المَدَى واسْتَطَالْ

يا مَنْ بِهِمْ قَلبى غَدا مُولَعَا

وحَقِّ مَنْ طافَ ومَنْ قَدْ سَعَى

ما العبدُ إلاَّ صادِقٌ ما ادَّعَى

فارْعَوْا ذِمامِى واجْهَدُوا فى الدُّعَا لِلْمُذْنِفِ المُضْنَى عَسى ذُو الْجَلاَلْ

مَتَى أرَى رَكْبِى بِهِمْ قافِلاَ

---

(١) فى ط : « فكنت » ، وما أثبتناه عن م .

وربّكمُ أضحى به آهلا
فالله أرجو داعيا سائلا
أنْ يجمعَ الشَّمْلَ بكمْ عاجلا في ذلكَ المغنى القديم المثال

ومن نظم ابن خميس التِّلِمْسَانيّ المذكور قوله :

نَظَرَتْ إليكَ بمثلِ عَيْنَيْ جُوذَرِ وَتَبَسَّمَتْ عَنْ مِثْلِ سِمْطَيْ جَوْهَرِ
عَنْ ناصعٍ كالدُّرِّ أو كالبَرْقِ أوْ كالطَّلْعِ أو كالأقْحوانِ مُؤَشَّرِ
تَجْرِي عليهِ مِنْ لَماها نُطْفَةٌ بل خَمْرَةٌ لكنَّها لم تُعْصَرِ
لو لَمْ يَكُنْ خَمْرًا سُلافًا رِيقُها تُزْرِي وتَلْعَبُ بالنُّهى لَمْ تُحْظَرِ
وكذاكَ ساجِي جَفْنِها لو لم يَكُنْ فيه مُهَنَّدُ لَحْظِها لَمْ يُحْذَرِ
لو عُجْتَ طَرْفَكَ في حديقةِ خَدِّها وأَمِنْتَ سَطْوةَ صُدْغِها المتنمِّرِ
لرَتَعْتَ مِنْ ذاكَ الحِمَى في جَنَّةٍ وكَرَعْتَ مِنْ ذاكَ اللَّمَى في كَوْثَرِ
طَرَقَتْكَ وَهْنًا والنُّجومُ كأنَّها حَصْباءُ دُرٍّ في بِساطٍ أخْضَرِ
والرَّكْبُ بيْنَ مُصَمِّدٍ ومُصَوِّبٍ والنَّوْمُ بيْنَ مُسَكِّنٍ ومُنَفِّرِ
بَيْضَا إذا اعتكَرَتْ ذوائبُ شَعْرِها سَفَرَتْ فأَزْرَتْ بالصَّباحِ المُسْفِرِ
سَرَحَتْ غَلائِلَها[1] فقلْتَ سَبيكَةٌ مِنْ فِضَّةٍ أوْ دُمْيَةٌ مِنْ مَرْمَرِ
مَنَحَتْكَ ما مَنَعَتْكَ يَقْظانًا فَلَمْ تُخْلِفْ مَواعِدَها وَلَمْ تَتَغَيَّرِ
وكأنَّما خافَتْ بُغاةً وُشاتِها فأتَتْكَ من أرْدافِها في عَسْكَرِ
وبِجِزْعِ ذاكَ المُنْحَنَى أدْمانَةٌ تَعْطُو فتَسْطُو بالهِزَبْرِ القَسْوَرِ

[٤٠٠]

(١) سرحت غلائلها : أى خرجت منها .

وتحيةٌ جاءتكَ فى طىِّ الصَّبا … أزكى وأعطرُ من نَسيم العَنْبَرِ
جرَّتْ عَلَى واديكَ فضْلَ ردائها … فتعرّفَتْ فيها عَرْفَ ذاكَ الإذْخِرِ
هاجَتْ بَلابلَ نازحٍ عن إلْفه … مُتشوّقٍ ذاكى الحَشَى مُتَسَعِّرِ
وإذا نسيتُ ليالىَ العَهْد الَّتى … سَلَفَتْ لنَا فتذكّرِيها تَذْكُرى
رُحْنَا نُفَيِّئُها ونَرْشُفُ ثغرَها … والشمسُ تنظرُ مثلَ عيْنِ الأخْزَرِ
والرَّوضُ بيْنَ مُفضَّضٍ ومُمَسْجَدٍ … والجوُّ بيْنَ مُمَسَّكٍ ومُعَصْفَرِ

قصيدة لابن مرج الكحل تشبه قصيدة لابن خميس

وقد تذكرت بهذه القصيدة قول الأديب ابن مَرْج الكُحْل :

عَرِّجْ بمُنْعَرَجِ الكَثيبِ الأعْفَرِ … بيْنَ الفُراتِ وبيْنَ شطِّ الكَوْثَرِ
ولْتَغْتَبِقْها قَهْوةً ذَهَبِيَّـــةً … من راحَتَىْ أحْوَى المَراشفِ[1] أحْوَرِ
وعَشيّةٍ قدْ كنتُ أرقُبُ وَقْتَها … سَمَحَتْ بهـا الأيامُ بَعْدَ تعذُّرِ
نِلْنا بها آمالَنا فى رَوْضَـــةٍ … تُهْدِى لنـــاشقِها شَميمَ العَنْبَرِ
والدَّهْرُ مِنْ نَدَمٍ يُسَفِّهُ رأيَهُ … فيما مَضَى منْهُ بغيرِ تَـكدُّرِ[2]
والوُرْقُ تَشْدُو والأراكةُ تَنْثَنِى … والشمسُ تَرْفُلُ فى قَميصٍ أصفَرِ
والرَّوضُ بيْنَ مُفضَّضٍ ومُمَسْجَدٍ … والزَّهْرُ بيْنَ مُدَرْهَمٍ ومُدَنَّرِ
والنهرُ مَرْقومُ الأباطحِ والرُّبَا[3] … بمُصَنْدَلٍ من زَهْرِهِ ومُعَصْفَرِ
وكأنَّهُ وكأنَّ خُضْرَةَ شَطِّهِ … سَيْفٌ يُسَلُّ على بِساطٍ أخضرِ

(١) كذا فى ط والإحاطة (ج ٢ ص ٢٥٣) . وفى م : « المدامع » .
(٢) كذا فى الإحاطة . وفى الأصلين :
« والدهر من ندم ... * فيما صفا ... الخ »
(٣) فى ط : « بالربا » . وما أثبتناه عن م .

وكأنَّما ذاكَ الحَبَابُ فِرِنْدُه مَهْما طَفَا[1] فى صَفْحِهِ كالجَوْهَرِ
وكأنَّهُ وجِهَاتُه[2] مَحْفُوفَةٌ بالآسِ والنُّعْمانِ خَدٌّ مُعَذَّرِ
نَهْرٌ يَهِيمُ بِحُسْنِه مَنْ لَمْ يَهِمْ ويُجِيدُ فيه الشِّعْرَ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
ما اصْفَرَّ وجْهُ الشَّمْسِ عندَ غُرُوبِها إلّا لِفُرْقَةِ حُسْنِ ذاكَ المَنْظَرِ

ولابن مرج الكحل

وما أحسن قول ابن مَرْج الكُحْل المذكور :
رَأَوْا بالجِزْعِ بَرْقًا فَاشْتَهَامُوا ونامَ العاذلونَ ولَمْ يَنَامُوا
وعندِي من مَرَاشِفِها[3] حديثٌ يُخَبِّرُ أَنَّ رِيقَتَهَا مُدَامُ
وفِي أجفانِها السَّكْرَى دَليلٌ وما ذُقْنَا ولا زَعَمَ الهُمَامُ
تَعالَى اللهُ مَا أَجْرَى دُمُوعِي إذا عَرَضَتْ[4] لِمُقْلَتِيَ الخِيَامُ
وأَشْجَانِي إذا لاحَتْ بُرُوقٌ وأَطْرَبَنِي إذا غَنَّى الحَمَامُ

[٤٥١]

السلطان أبو عنان يروى شعر ابن خميس

وكان السلطانُ أبو عِنَانٍ المَرِينيُّ رحمه اللهُ كثيرَ الاعتناء بنظم الشيخ أبي عبد الله بن خميس وحفظه وروايته . قال رحمه الله : أنشدنى بلفظه الشيخ الفقيه القاضي المحدّث ، الراوية العالم المدرّس ، خطيب حضرتنا العلية ، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الأجل ، الصالح المبارك الراوية ، المرحوم أبي الحسن بن عبد الرزاق ، وذلك بقصر المَصَارَة يَمَّنه الله ، فى يوم الاثنين خامسَ عشرَ من شهر المحرم المبارك ، مفتتح عام خمسة وخمسين وسبع مئة ؛ قال أنشدنا بلفظه شيخ الأدباء ، وفحل الشعراء ، أبو عبد الله محمدُ بن عمر بن محمد بن خميس الحِمْيَرِيّ ، ثُمَّ الحَجْرِيّ : حَجْر ذِي رُعَيْن ، لنفسه ، رحمه الله تعالى :

---

(١) فى الأصلين : « صفا » . والتصويب عن الإحاطة .
(٢) فى الأصلين : « وكأنما وجناته » . والتصويب عن الإحاطة .
(٣) فى الأصلين : « معاطفها » ، والتصويب عن الإحاطة .
(٤) فى الإحاطة والنفح المطبوع فى مصر : « عنت » .

أَنِبْتُ ولـكنْ بعد طُولِ عِتابِ ... وفَرْطِ[1] لَجاجٍ ضاع فيهِ شَبَابِي

وما زِلتُ والعَلْيا تُعَنِّى غَرِيمَها ... أُعلّل نفسى دائمًا بعتـــابِ

وهيهاتَ مِنْ بَعْدِ الشَّبابِ وشَرخِه ... يلَذُّ طَعامِي أَوْ يسوغُ شَرابِي

خُدِعت بهذَا الْعَيْش قبْل بَلائِه ... كَمَا يُخْدَع الصادِى بلَمْع سَراب

تقولُ هُوَ الشَّهد المَشُور جَهَالَةً ... وما هو إلا السَّمُّ شيبَ بِصَاب

وما صَحِبَ الدنْيا كَبَـكْرٍ وتَغْلِبِ ... ولا كَـكُلَيْبٍ رِىءِ فَحْلُ ضِراب

إذا كَمَّت الأبطالُ عَنْها تقدَّموا ... أعارِيبَ غُرًّا فى مُتُونِ عِراب

و إن نابَ خَطْبٌ أو تفاقم مُعْضِلٌ ... تلقَّاهُ منهُمْ كُلُّ أَصْيدَ نَاب

تَرَاءتْ لجسّاسٍ مَخيلَةُ فُرْصَةٍ ... تأَتَّتْ لَهُ فى جَيْئَـةٍ وذَهَاب

فجاءَ بهـا شَوْهاءَ تُنْذِرِ قَوْمَها ... بتَشييدِ أَرْجامٍ وهَـدْم قِباب

وكانَ رُغاءُ السَّقْبِ فى قوم صالح ... حَديثًا فأَنساهُ رُغاءُ سَرَاب

فما تَسمعُ الآذانُ فى عَرَصاتِهِمْ ... سِوَى نَوْحِ ثَكلَى أو نَعيبِ غُرابِ

وسَلْ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ[2] عَنْ صِدْقِ بأْسِهِ ... وعَنْ بَيْتِهِ فى جَعْفَرِ بْنِ كِلابِ

---

(١) فى م : « وطول » .

(٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، كان سيد هوازن ، ويلقب بالرحال ، وقد قتله البراض بن قيس الضمرى ، فجرت بين هوازن وقريش حرب الفجار الآخر ، وقد شهدها النبي وله من العمر أربع عشرة سنة ، وكان ينبل فيها على أعمامه . وسبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، كان يبعث إلى سوق عكاظ فى كل عام ، لطيمة فى جوار رجل شريف من العرب يجيرها له ، حتى تباع هناك ، ويشترى له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه ؛ فجهز النعمان عير اللطيمة ، ثم قال : من يجيرها ؟ فقال البراض بن قيس الضمرى : أنا أجيرها على بنى كنانة . فقال له النعمان : ما أريد إلا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل هوازن كلها : أنا أجيرها لك على أهل الشيح والقيصوم ، فى أهل =

وكانتْ على الأملاكِ منهُ وِفادةٌ ... إذا آبَ منها آبَ خيرَ مآبِ [٤٠٢]
يُجيرُ على الحيَّيْنِ قَيسٍ وخِنْدِفٍ ... بفضْلِ يَسارٍ أو بفَضْلِ خِطابِ
زَعامةُ مَرْجُوِّ النَّوالِ مُؤمَّلٍ ... وعزْمةُ مسموعِ الدُّعاءِ مُجابِ
فَمَرَّ يُزجِّيها حَوامِسَ ظُلَّعاً ... بما حَمَّلُوها مِنْ مُنًى ورِغابِ
إلى فَدَكٍ والموتُ أقربُ (١) غايةً ... وهذا المُنى يأتى بكلِّ عُجابِ
تَبَرَّضَ صَفْوَ العيشِ حتَّى استشَفَّهُ ... فَدافَ له البَرّاضُ قَشْبَ حُبابِ
فأصبحَ فى تلكَ المَعاطفِ نُهزَةً ... لِنَهْبِ ضِباعٍ أو لِنَهْشِ ذِئابِ
وما سَهْمُهُ عندَ النِّضالِ بأَهْزَعٍ ... ولا سيفُه عنـد المِصاعِ (٢) بنابى
ولكنَّها الدنيا تكُرُّ على الفَتَى ... وإن كانَ منها فى أعزِّ نِصابِ
وعادَتُهـا ألَّا تَوسُّطَ عندها ... فإمَّا سماءٌ أوْ تُخومُ تُرابِ
فلا تَرْجُ من دُنياكَ ودًّا وإن يكُنْ ... فما هو إلَّا مِثْلُ ظِلِّ سحابِ
وما الحزمُ كلُّ الحزمِ إلا اجتنابُها ... فأشْقَى الورَى مَنْ تَصْطفِي وتُحابِي
أبَيْتُ لَهَا ما دامَ شخصِيَ أن تُرَى ... تَمُرُّ ببـابى أوْ تَطُورُ جَنابِى
فكَمْ عَطَّلَتْ مِنْ أربُعٍ ومَلاعِبٍ ... وكَمْ فرَّقَتْ مِنْ أسْرةٍ وصِحابِ
وكم عَفَّرت من حاسِرٍ ومُدَجَّجٍ ... وكم أثْكَلَتْ من مُعْصِرٍ وكَعابِ
إليكمُ بنى الدُّنيا نصيحةَ مُشْفِقٍ ... عليكُمْ بصيرٍ بالأمورِ نِقابِ (٣)

= نجد وتهامة . فدفعها النعمان إلى عروة ، فخرج بها وتبعه البراض وعروة لا يخشى منه شيئا ، لأنه كان بين ظهرانى قومه من غطفان ، إلى جانب فدك ، إلى أرض يقال لها أوارة ، فنزل بها عروة ، فشرب وغنته قينته ؛ فجاء البراض فدخل عليه وقتله . وإلى هذه القصة تشير الأبيات التسعة التى ابتدأت بهذا البيت. (انظر تفصيل الخبر فى العقد الفريد لابن عبدربه فى أيام العرب ، عند الكلام على يوم « الفجار الآخر » .

(١) فى نفح الطيب : « أغرب » . (٢) المصاع : المجالدة بالسيوف . والذى فى نفح الطيب : « الصراع » . (٣) النقاب (بالكسر) : الرجل العلامة .

طويل مِراس الدّهر جَزْلٌ نُماحك عريض مَجال الهَمّ حِلْسٌ رِكاب
تَأَتَّتْ لُهُ الأهوالُ أدهَمَ سابقا وغَصّت به الأيامُ أشهبَ كابى
ولا تَحسَبوا أنّى على الدّهرِ عاتِبٌ فأعظمُ ما بى منـهُ أيسرُ ما بى
وما أسَفِى إلّا شَبابٌ خَلَعْتُـه وشيْب أبى إلا نُصولَ خِضاب
وعُمْرٌ مضى لم أَحْلَ منـهُ بطائلٍ سِوَى ما حَلا(١) من لَوْعة وتَصابى
ليالىَ شيطانى على الغَىّ قادرٌ وأعذبُ ما عنـدى أليمُ عَذاب
عكسنا قضايانا على حكم عادنا وما عكسُها عند النُّهى بصَواب
على المصطفى المختار أزكَى تَحِيّتى فتلك التى أعتدّ(٢) يومَ حِسابى
فتلكَ عَتادى أوْ ثنـاءٌ أصوغُه كَدُرٍّ سَحاب أو كدُرِّ سِخاب

ومن مشهور نظم ابن خميس رحمه الله تعالى :

[٤٠٣] عَجَبًا لها أيَذوقُ طَعمَ وِصالها من لَيس يأْمُل أنْ يَمُرّ ببالها
وأنا الفقيرُ إلى تَعِلّةِ ســاعةٍ منْها وتَمنَعنى زكاةَ جَمالها
كَمْ ذاد عَنْ عَينى الكَرى مُتألّقٌ يبدو ويَخفَى فى خَفِيّ(٣) مِطالها
يسـمو له بدرُ الدُّجَى مُتضائلا كتَضاؤُل الحسـناء فى أسمالها
وابنُ السّبيل يجىء يَقبِس نارَها ليْلا فتَمنَحُـه عَقيلة مالها
يَعتادنى فى النوم طَيْفُ خَيالها فتُصيبُنى الحاظُهـــا بنِبالها
كَمْ ليلةٍ جاءتْ به(٤) فكأنّما زُفّت عَلَىّ ذُكاءُ وقْتَ زَوالها

---

(١) فى ط والنفح : « ما خلا » . وما أثبتناه عن م .
(٢) فى م : « أعتدت » .
(٣) فى م : « فى حبى » . والحبى : السحاب .
(٤) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « جادت » .

أَسْرَى فعطَّلَهَا وعطّلَ شُهْبَها ... بِأَبِي شَذا المعطارِ من مِعطالها

وسَوادُ طُرّته كجُنحِ ظَلامِها ... وبَياضُ غرّته كضَوْء هِلالِها

دَعْنى أَشِمْ بالوَهْمِ أَدْنَى لَمْعَةٍ ... مِنْ ثَغرها وَأَشَمّ مِسْكَةَ خالها

ما رَادَ طَرْفى فى حقيقة خدِّها ... إلا اِفْتِنَتِه[1] بحسن دَلالها

أَنسيبَ شِعرى رِقَّ مثلَ نسيمها ... فشَمولُ رَاحِك مثلُ ريحِ شمالها

وانقلْ أحاديثَ الهوى واشرحْ غريــــب لُغاتها وأذكر ثِقاتِ رجالها

وإذا مَرَرْتَ برامَةٍ فتوقَّ مِنْ ... أطْلانِهـا وتَمشَّ فى أطْلَالها

وانصِبْ لِغُزّالِها[2] حِبالَةَ قانِصٍ ... ودَعِ الكَرَى شَرَكاً لصَيْد غزالها

وأَسِلْ جَداولَهَا بفَيض دُموعِها ... وانْضَح جَوانحها بفضل سِجالها

أنا من بقيّةِ مَعْشَر عرَكتهمُ ... هَذِى النَّوَى عرْكَ الرّحى بثِفالها

أَكْرِمْ بها فِئةً أريقَ نجيعُها ... بَغْيًا فَرَاقَ العَيْنَ حُسْنُ مَآلها

حَلَّت مُدامَةُ وَصْلِها وحَلَتْ لَهُمْ ... فإن انتشَوْا فَبِحُلْوها وحَلالها

بَلغَتْ بهُرْمُسَ غايةً ما نَالَها ... أَحَدٌ ونَاءَ لها لبُعْـــد مَنالها

وَعَدَتْ على سُقراطَ سُوْرةُ كأسِها ... فهُريق ما فى الدَّنّ من جِرْيالها

وسَرتْ إلى فَارابَ منها نَفْحة[3] ... قُدْسِيَّةٌ جاءت بنُخْبة آلها

لِيصوغَ من أَلحانِهِ فى حَانِها ... ما سُوِّغَ القِسِّيسُ مِنْ أَرْمَالها

وتَغلْغَلَتْ فى سُهْرَوَرْدَ فأسْهرتْ ... عَيْنًا يؤرِّقها طُروقُ خَيالها

---

(١) فى الأصلين: « اتفتنه » . وما أثبتناه عن نفح الطيب المطبوع .
(٢) كذا فى م . وفى ط ونفح الطيب المطبوع : « لمغزلها » . وفى المخطوط : « بمغزلها » .
(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى م : « نغمة » .

[٤٥٤] نجَما شهابُ الدِّين لما أشرقَتْ | وخَوى[1] فلمْ يثْبُتْ لنور جلالها
ما جُنَّ مثلَ جُنونه أحَدٌ ولا | سمحتْ يد بيضا[2] بمثل نوالها
وبَدَت على الشُّوذِي[3] منها نشوةٌ | ما لاحَ منهـا غيرُ لَمْعَة آلها
بطلتْ حقيقتُه وحالَتْ حالُه | فيما يُعبِّر عن حقيقة حالها
هـذي صُبابتهم ترقّ صَبابةً | فيَروقُ شاربَها صفاء زُلالها
اعلم أبا الفضل بن يَحيى أنني | منْ بَعْـدِها أحرى على آمالها[4]
فإذا رأيتَ مُدامًا مثلي فخُذْ | فى عَذْلِه إن كنتَ منْ عُذّالها
لا تَعجبنّ لِما ترى منْ شأنها | فى حَلِّها إن كانَ أوْ تَرحالها
فصلاحُها بفسـادِها ونعيمُها | بعذابها ورشـادُها بضَلالها
ومن العَجائب أنْ أقيمَ ببلدةٍ | يومًا وأسْلَمَ من أذَى جُهَّالها
شُغلوا بدُنيـاهم أمَا شَغَلتهمُ | عنّى فكَمْ ضَيَّعْتُ منْ أشغالها
حُجِبوا بجهلِهمُ فإن لاحت لهمْ | شمسُ الهُدَى عِيثُوا بضَوء ذُبالها
وإن انتسبْتُ فإنّني من دَوْحة | يتفيأ الإنسان[5] بَرْدَ ظِلالها
من حِمْيَرٍ منْ ذى رُعَيْنٍ منْ ذَوى | حَجْرٍ منَ العُظماء منْ أقيالها
وإذا رَجَعتُ لطينَتي مَعْنًى فما | سَلْسالُه بأرقّ منْ صَلْصالها
لله دَرُّكَ أيُّ نجْلٍ كريمةٍ | ولدَتْهُ فاسِ منك بَعْدَ حِيالها

(١) كذا فى نفح الطيب. وفى الأصلين: «وضوى».
(٢) فى ط: «سمحت به أيضاً». وفى م: «سمحت يد أيضا»: وما أثبتناه عن النفح المطبوع.
(٣) كذا فى الأصلين، وهو تحريف. وفى نسخة من نفح الطيب: «المشود». ولعله محرف أيضا عن: «ممشاد»، وهو ممشاد الدينورى، صوفى مشهور، توفى سنة ٢٩٩ هـ.
(٤) كذا فى ط. وفى م: «آسالها». ولعله محرف عن «أمثالها».
(٥) كذا فى ط. وفى م: «تقيل الأنساب».

وَلَأَنتَ لا عَدِمْتُك والدُ فخرِها ... وسِماكُ سُؤْدُدِها وبَدْرُ كمالها

اُغْلُظ على مَن عَاثَ مِنْ أنذالها ... واخشَعْ لمَنْ تَلْقاه مِن أبْدالها

وَالبَسْ بما أوْليتَهـا مِن نِعْمةٍ ... حُلَلَ الثَّناء وجُرَّ مِن أذْيالِها

خُذْها أبا الفضل بنَ يَحْيي تُحْفةً ... جاءتْكَ لم يُنْسَج على مِنوالهـا

ما جاء فى مِضمارِها شِـعرٌ ولا ... سَمَحتْ قَرِيحةُ شاعرٍ بمِثالهـا

وأَنِلْ أبا البَرَكاتِ مِن بَرَكاتِهـا ... وادْفَعْ مُحالَ شُكوكِه مِنْ آلِها[1]

منزلة ابن خميس عند علماء المشرق

قال السلطان أبو عِنانٍ رحمه الله : أخبرَنا شيخُنا الإمامُ العالمُ العلامة ، وحيد زمانه ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبُلِّيّ رحمه الله ، قال :

لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التِّنِّسيّ من تِلِمْسانَ إلى بلاد المَشرِق ، اجتمع هناك بقاضي القضاة تقيّ الدين بن دَقيق العيد ، فكان من [٤٥٥] قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ؟ وجعل يُحلِّيه بأحسن الأوصاف ، ويُطنِب فى ذكر فضله ؛ فَبَقِيَ الشيخ أبو إسحاق متعجِّبا ، وقال : من يكون هذا الذى حَلَّيتموه بهذا الحَلْي ولا أعرفه ببلدى ؟ فقال له هو القائل :

« عَجَبًا لهـا أيذوقُ طعمَ وِصالها »

قال : فقلت له : إن هذا الرجل ليس هو عندنا بهذه الحالة التى وَصَفتم ، إنما هو عندنا شاعر فقط . فقال له : إنكم لم تُنْصفوه ، وإنه لَحقيق بما وصفناه .

قال السلطان أبو عِنان : وأخبرنا شيخنا أبو عبد الله المذكور أن قاضي القضاة ابنَ دَقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له ، تعلو مَوضِعَ جلوسه فى المطالعة ، وكان يُخرجها من تلك الخِزانة ، ويكثر تأمُّلها والنظر فيها .

ثم قال السلطان أبو عنان : قال لنا شيخنا أبو عبد الله الآبُلِّيّ المذكور :

(١) كذا فى م . وفى ط : « بمحالها » . مكان قوله : « من آلها » .

ولقد تعرفت أنه لمّا وصلت هذه القصيدة إلى قاضى القضاة تقىّ الدين المذكور ، لم يقرأها حتى قام إجلالا لها . انتهى .

وقد وصّلَ ابنُ خميس رحمه الله هذه القصيدة إلى قاضى القضاة بنثر لم أثبته هنا لطوله ، ولما قيل إن هذا الرجل مَعَرّىّ النّزْعة ، أى نظمه أحسن من نثره ؛ وقد أوردها ابن الخطيب فى الإحاطة ، وأوردها السلطان أبو عنان فى مَرْوِيّاته .

شوق ابن خميس إلى بلده تلمسان

وكان ابن خميس بعد مفارقته بلده تِلمِسان ، سقى الله أرجاءها أنواء نَيْسان[1] ، كثيرًا ما يتشوق لمشاهدها ، ويتأوه عند تذكره لمعاهدها ، وهى شِيمة الأحرار فى حنينهم إلى أوطانهم ، وللدهر إحلاء وإمرار .

[٤٥٦] فمن ذلك قولُه رحمه الله تعالى :

تِلِمْسانُ لو أنّ الزمانَ بها يَسخو ... مُنَى النّفسِ لادارُ السلامِ ولاالكَرْخُ
ودارى بها الأولى التى حِيل دُونها ... مَثارُ الأسَى لو أمكَنَ الحَنقَ اللَّبْخُ[2]
وعَهْدِى بها والعُمْرُ فى عُنفوانه ... وماءُ شَبابى لا أُجُونٌ ولا مَطْخُ[3]
قَرارةُ تَهيامِى ومَغْنَى صَبابتى ... ومَعْهَدُ أُنسٍ لا يَلَذُّ به لَطْخُ
إذِ الدّهرُ مَثْنِىُّ العِنانِ مُهنّهٌ ... ولا رَدْعَ يَثْنِى من عِنانى ولا رَدْخُ[4]
ليالىَ لا أُصْغِى إلى عَذْلِ عاذلٍ ... كأنّ وقوعَ العَذْلِ فى أُذُنِى صَمْخُ[5]
مَعاهدُ أُنسٍ عُطِّلَتْ فكأنّها ... ظَواهرُ ألفاظٍ تَعمَّدها النَّسْخُ
وأرْبُعُ أُلّافٍ عَفَا بعضُ آيِها ... كما كان يَعْرُو بعضَ ألواحِنا اللَّطْخُ[6]

(١) كذا فى نفح الطيب . وفى الأصلين . « النيسان » .
(٢) اللبخ : الاحتيال .
(٣) المطخ : ما يبقى فى الحوض والغدير من الماء الذى فيه الدعاميص ، لا يقدر على شربه .
(٤) الردخ : الرضخ .
(٥) الصمخ : الضرب فى صماخ الأذن .
(٦) اللطخ : التلويث .

فمنْ بكُ سكرانًا من الوَجْد مرّةً ... فإنى منه طولَ دهرى لَملتخُ(١)
ومَن يَقتدِحْ زَنْدا لمَوْقد جذوةٍ ... فزَنْدُ اشتياقى لا عَفارٌ ولا مَرْخُ(٢)
أأنسى وُقوفى لاهيًا فى عِراصها ... ولا شاغلٌ إلا التودُّعُ والسَّبْخُ(٣)
وإلا اختيالى ماشيًا فى سِماطها ... رَخيًّا كما يمشى بطرّته الرُّخُّ(٤)
وإلا فمَدْوى مِثلُ ما ينفرُ الطَّلا ... وليدًا وحَجْلى مثلُ ما ينهضُ الفَرْخ
كأنِّىَ فيها أرْدشيرُ بن بابَكٍ ... ولا مُلْكَ لى إلا الشَّبيبةُ والشَّرْخ
وإخوانُ صِدقٍ من لِداتى كأنهمْ ... جآذرُ رمْلٍ لا عِجافٌ ولا بُزْخ(٥)
وُعاةٌ لما يُلقى إليهمْ منَ الهُدى ... وعن كلِّ فحْشاءَ ومُنْكَرةٍ صُلْخ(٦)
هُمُ القومُ كلُّ القومِ سِيّان فى العُلا ... شَبابُهُمُ الفُرْعانُ والشِّيخة السُّلْخ(٧)
مَضَوا ومضى ذاكَ الزمانُ وأنسُه ... ومرَّ الصِّبا والمالُ والأهلُ والبَذْخ
كأنْ لم يكُنْ يومًا لأقلامِهمْ بها ... صَريرٌ ولم يُسمعْ لأكعُبِهم جَبْخ(٨)
ولم يَكُ فى أرواحها(٩) من ثنائهمْ ... شميمٌ ولافى القُضبِ من لينهم مَلْخ(١٠)
ولافى مُحيّا الشمس من هَدْيهم سَنًى ... ولا فى جَبين البدْرِ من طيبهمْ ضَمْخ(١١)

---

(١) يقال سكران ملتخ : إذا كان لا يفهم شيئا ، لاختلاط عقله .
(٢) العفار والمرخ : نوعان من الشجر يسرع اشتعالها .
(٣) السبخ : الفراغ .
(٤) الرخ : طائر كبير ، يرد ذكره فى القصص والخرافات .
(٥) البزخ (بالتحريك) : خروج الصدر ودخول الظهر ، ومنه رجل أبزخ ، وامرأة بزخاء ، والجمع بزخ .
(٦) صلخ : جمع أصلخ ، وهو الأصم جدا ، لا يسمع ألبتة .
(٧) السلخ : جمع أسلخ وهو الأصلع الشديد الحمرة .
(٨) الجبخ : إجالة الكعاب فى الميسر .
(٩) فى نفح الطيب المخطوط : « فى أدواحها » .
(١٠) الملخ : التثنى والتكسر .
(١١) الضمخ : لطخ الجسد بالطيب .

سَعيتُم بنى عَمُّورَ فى شَتِّ شَمْلنا ... فما تَجْرُ كُمْ رِبْح وَلَا عَيْشُنَا رَبْخ(١)

دُعيتم إلى مايُرْتَجى من صَلَاحِكُمْ ... فَرَدَّ كُمُ عنه التَّعَجْرُفُ والجَمْخ(٢)

تَعالَيْتُمُ عُجْبًا فَطَمَّ عليكمُ ... عُبابٌ لَه فى رأس عَلْيائِكم جَلخ(٣)

وهى طويلة جدا ، أَلَمَّ فيها بمدح سَبْتة وملوكها بنى العَزَفىّ ، فقال :

[٤٥٧] تَرَكتُ لِمينا سَبتةٍ كُلَّ نُجْعةٍ ... كما تُرِكَتْ للعِزِّ أهضابُها الشُّمْخُ(٤)

وآليتُ أَلَّا أرتوى غيرَ مائِها ... ولو حَلَّ لى فى غيره المَنُّ والمَذْخ(٥)

وأَلَّا أحُطَّ الدهرَ إلا بعُقْرِها ... ولو بَوَّأَتْنِى دارَ إِمْرَتِها بَلْخ

فكم نَقَعَت من غُلَّةٍ تِلكُمُ الأَضَا ... وكم أبرأَتْ من عِلَّةٍ تِلكُمُ اللَّبَخ(٦)

وحَسْبِىَ منها عَدْلُها واعتدالُها ... وأَبْحرُها العُظْمَى وأريافُها النُّفُخ(٧)

وأملاكُها الصِّيد المَقاوِلة الأُلَى ... لِعِزِّهِمُ تعنو الطَّراخِمَةُ البُلْخ(٨)

كَوَاكِبُ هَدْىٍ فى سَماء رِياسةٍ ... تُضِىء فما يَدْجو ضَلالٌ ولا يَطْخو(٩)

ثَواقِبُ أنوارٍ تُرِى كلَّ غامِضٍ ... إذا النّاسُ فى طَخْياءِ غَيِّهِمُ الْتَخُوا(١٠)

---

(١) ربخ (كفرح ومنع) : وقع فى الشدائد .

(٢) الجمخ : التكبر .

(٣) جلخ السيل الوادى جلخا : قطع أجرافه وملأه .

(٤) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « ... المعز أهضامها شمخ » .

(٥) المذخ : نوع من العسل يظهر فى جلنار الرمان البرى ، يتمصصه الناس .

(٦) اللبخ (محركة) : اسم جنس لشجر معروف . واحدته : لبخة (بالتحريك) وسكن الباء لضرورة الشعر .

(٧) النفخ : جمع نفخاء ، وهى الأرض المرتفعة المكرمة ، ليس فيها رمل ولا حجارة ، أو هى الأرض اللينة فيها ارتفاع . وجمعه : نفاخى ، كصحارى ، لكن الشاعر راعى هنا ما فيه من الوصفية ، فجمعه على فعل ، كحمراء وحمر .

(٨) الطراخمة : جمع مطرخم ، وهو المتكبر . والبلخ جمع أبلخ ، وهو المتكبر أيضا .

(٩) يطخو تشتد ظلمته .

(١٠) الطخياء : الظلمة الشديدة . والتخوا : حاروا والتبس عليهم الأمر .

وروْضاتُ آدابٍ إذا ما تأرّجت تَضاعل فى أفياء أفنانِها الرِّمْخ[١]

مَجامِرُ نَدٍّ فى حدائق نرْجِسٍ تَنِمُّ ولا أفْحٌ يُصيبُ ولا دَخّ[٢]

وأبحرُ عِلْمٍ لا حِياضُ رِوايةٍ فيكبُرَ منها النّضحُ أو يَعظُمَ النَّضخ

بنو العَزَفيِّينَ الأُلَى من صُدورهمْ وأيديهمُ تُملَا القراطيسُ والطَّرْخ[٣]

إذا ما فتًى منهم تصدّى لغايةٍ تأخّر من يَنْحو وأقصَرَ مَنْ يَنْخو[٤]

رِياسةُ أخبارٍ ومُلْكُ أفاضلٍ كِرامٍ لهم فى كلِّ صالحةٍ رَضْخ[٥]

إذا ما بَدَا منّا جَفاءٌ تعطّفُوا علينا وإنْ حلّتْ بنا شِدّةٌ رَخُوا[٦]

نَزورُهُمُ حُذًّا نِحافًا فننْثنى وأجمالُنا دُلْحٌ وأبدانُنا دُلْخ[٧]

يُرَشِّوننا بالعِلْمِ والحِلْمِ والنُّهى فما خَرِجْنا بَزٌّ ولا حَدّنا بَرْخ[٨]

وما الزُّهد فى أملاك لَخْمٍ ولا التُّقى ببِدْعٍ وللدُّنيا لزُوقٌ بمن يَرْخو[٩]

وإلا ففى ربِّ الخَوَرْنَق غُنْيةٌ فما يَوْمُه سِرٌّ ولا صِيتُه رَضْخ[١٠]

---

(١) الرمخ : الشجر المجتمع .

(٢) الدخ (بفتح الدال وضمها) : الدخان .

(٣) الطرخ : اسم جنس جمعى ، واحدته طرخة ، وهى حوض واسع يجعل عند مخرج القناة ليجتمع فيه الماء ، وينصب منه إلى المزرعة .

(٤) ينخو : يفتخر ويتعظم .

(٥) أصل الرضخ : العطاء اليسير . والمراد هنا : العطاء مطلقا ، كما يفهم من السياق .

(٦) رخوا : لانوا .

(٧) حذا : جمع أحذ ، وهو الضامر . والدلح : جمع الدلوح ، وهو الذى يمشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، وأصله : دلح (بضم اللام) ، وسكن للوزن . ودلخ : جمع دلوخ ، أى سمين ، وأصله بضم اللام كذلك .

(٨) البز والابتزاز : أخذ الشىء بجفاء وقهر . والبرخ : القهر .

(٩) أملاك لخم : يريد ملوك اللخميين . والمراد (هنا) بنو العزفى أصحاب سبتة ، لأنهم لخميون فى أنسابهم . ويرخو : يلين .

(١٠) الخورنق : قصر بحيرة الكوفة ، بناه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى اللخمى ، وهو الذى لبس المسوح ، وساح فى الأرض . والرضخ : خبر تسمعه ولا تستيقنه .

تَطَلَّعَ يومًا والسَّدِيرُ أمامَه ... وقد نال منه العُجْبُ ما شاء والجَفْخُ[١]

وعَنَّ له من شِيعَةِ الحقِّ قائم ... بحجَّة صِدْقٍ لا عَبامٌ ولا وَشْخُ[٢]

فأصبحَ يجتابُ المُسوحَ زَهادة ... وقد كان يؤذى بطنَ أخمصِه النَّخُّ[٣]

وفى واحد الدنيا أبى حاتم لنا ... دواءٌ[٤] ولكن ما لأدوائنا نَتْخُ[٥]

تَخلَّى عن الدُّنيا تَخلِّىَ عارفٍ ... يَرى أنها فى ثوب نَخْوته لَتْخُ[٦]

وأعرضَ عنها مُستهينًا بقَدْرِها ... فلم يَثْنِه منها اجتذابٌ ولا مَصْخُ[٧]

فكان له من قلبها الحبُّ والهوى ... وكان لها من كفِّه الطَّرْحُ والطَّخُّ[٨]

وما مُعْرِضٌ عنها وهى فى طِلابه ... كمن فى يديه من معاناتها نَبْخُ[٩]

ولا مُدرِكٌ ما شاء من شهواتها ... كمن حَظُّه منها التجمُّع[١٠] والنَّجخُ[١١]

ولكنَّنا نَعْمَى مِرارًا عن الهُدَى ... ونَصْلَجُ حتى ما لآذاننا صُمْخُ[١٢]

---

(١) السدير : نهر بناحية الحيرة . والجفخ : الفخر .

(٢) العبام : العي الثقيل . والوشخ : الردىء الضعيف .

(٣) المسوح : جمع مسح ، وهو ثوب من الشعر غليظ ، يلبسه الزهاد والمتقشفون . ويجتاب المسوح : يتخذها ملبسا ، والنخ : ضرب من البسط .

(٤) كذا فى م . وفى ط : « بلاغ » .

(٥) نتخ الشىء : انتزعه .

(٦) لتخ الثوب (كمنع) : لطخه أو شقه .

(٧) كذا فى نفح الطيب ، والمصخ انتزاع الشىء وجذبه عن جوف شىء آخر . وفى م : « فضخ » وهو كسر شىء أجوف . وفى ط : مضخ ، وفيه تحريف .

(٨) كذا فى ط . وفى م « طرفه » بدل : « كفه » . والطخ : رمى الشىء وإبعاده .

(٩) النبخ : قروح فى اليد بسبب العمل تمتلىء ماء ، فاذا تفقأت أو يبست مجلت اليد ، فصلبت .

(١٠) كذا فى ط ، والتجمع : الاكتفاء بالقليل من التمر اليابس واللبن . وفى م : « التهجم » ، وهو النوم الخفيف .

(١١) النجخ : التخمة والسأم ؛ يريد أنه زاهد فيها .

(١٢) نصلج : نصم . والصمخ : جمع صماخ ، وأصله صمخ (بضم الميم) .

[٤٠٨] وما لامرئٍ عمّا قضى اللهُ مَزْحَل ... ولا لقضاء اللهِ نقضٌ ولا نَسْخ[١]
أبا طالبٍ لم تَبقَ شِيمةُ سُؤْدُد ... يُساد بهـا إلا وأنت لها سِنْخ
لسوّغتَ أبناء الزمان أياديًا ... لدِرّتها فى كل سامعة شَخّ[٢]
وأجْرَيتَهـا فيهم عوائدَ سؤددٍ ... فما لهمُ كسب سواها ولا نَخّ[٣]
غَذَتْهم غواديها فهِى فى عُروقِهم ... دماء وفى أعماقِ أعظمِهم مُخّ
وعَمّتهمُ حَزْنًا وسَهْلا فأصبحوا ... ومَرعاهمُ وَزْخ ومَرْعِيُّهم وَلْخ[٤]
بنى العَزَفيين أبلُغوا ما أرَدْتُمُ ... فما دون ما تبغون وَحْلٌ ولا زَلْخ[٥]
ولا تَقْعُدُوا عمّن أرادَ سِجالَكُمْ ... فما غَرْبُكم جُفٌّ[٦] ولا غَرْفُكم[٧] وضخ
وَخلُّوا وراءَ كلّ طالبِ غايةٍ ... وَتِيهوا على مَن رَامَ شأوَكُمُ وانْخوا[٩]
ولا تَذَرُوا الجوزاءَ تَعْلُو عليكمُ ... فِفِى رَأْسِهامِنْ وَطْءِ أسْلافِكم شَدْخ
لأفواه أعدائى وأعْيُن حُسّدى ... إذا جُلِيَت خانيتى الغَصٌّ والفَضْخ
دَعُوهَا تَهادَى فى مُلاءَة حُسنِها ... فِفى نفسِها مِنْ مَدْح أمْلاكِها مَدْخ[١٠]

---

(١) كذا فى الأصلين . وفى نفح الطيب : « فسخ » .
(٢) الشخ : صوت الشخب إذا خرج من الضرع .
(٣) النخ : السير العنيف ، وسوق الإبل وزجرها واحتثاثها ؛ يريد أن الذين عودهم عادات كرمه لا يحتاجون إلى الرحلة لانتجاع غيره .
(٤) الوزخ : شجر يشبه المرخ فى نباته غير أنه أغبر له ورق دقيق . والولخ من العشب : الطويل .
(٥) الزلخ : المزلقة تزل منها الأقدام لنداوتها ، لأنها صفاة ملساء .
(٦) الغرب : الدلو العظيمة . أما الجف فمن معانيه الدلو العظيمة ، ولعل المراد به (هنا) : الشن البالى يقطع من نصفه ، فيجعل كالدلو .
(٧) كذا فى نفح الطيب . والغرف : أخذ الماء من بئر أونحوها . وفى الأصلين «عرفكم» .
(٨) الوضخ : الماء القليل .
(٩) انخوا : من النخوة ، وهى الافتخار والتعظم . (١٠) المدخ : العظمة .

يمانيةٌ زارتْ يمانين فانثنتْ وقد جدَّ فيها الزهو واستحكم الزَّمْخ[1]

ومن مطلع قصيدة لابن خميس رحمه الله فى مدح بلده تلمسان — حاطها الله تعالى — قوله :

من قصيدة أخرى له فى الشوق إلى تلمسان

تلمسانُ جادتْها[2] الغوادى الروائحُ وأرْسَتْ بواديها[3] الرياحُ اللواقحُ

وسَحّ على ساحات باب جيادها مُلِثٌّ يُصافى تُرْبَها ويُصافح

يطير فؤادى كلما لاح بارق ويزداد شوق كلما مرّ سانح

ولم يَعْلَق بحفظى من هذه القصيدة سوى ما ذكرت . وكنت تركتها بتلمسان ، ولم أرها الآن بفاس ، حماها الله .

و « باب جياد » التى أشار إليها هى إحدى[4] أبواب تلمسان المحروسة ، وفيها يقول الفقيه العلامة الناظم الناثر ، أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغرىّ ، من قصيدة رفعها للسلطان أبى حمو ، رحم الله الجميع :

قصيدة للثغرى فى وصف تلمسان

أيّها الحافظون عَهْدَ الوِدادِ جَدِّدوا أُنْسَنا ببابِ الجِيادِ

وصِلوها أصائلا بلَيالٍ كَلآلٍ نُظِمْنَ فى الأجيادِ

فى رياضٍ مُنَضَّداتِ المَجانى بين تلكَ الرُّبا وتلكَ الوِهادِ

وبُروجٍ مُشَيَّداتِ المَبانى باديات السَّنى كشُهْبٍ بَوادى

[٤٠٩]

رَقّ فيها النسيمُ مثل نسيبى[5] وصفا النهرُ مثلَ صَفْوِ ودادى

وزها الزَّهْرُ والغُصونُ تثنّتْ وتغنّتْ عليه وُرْقُ شَوادى

(١) الزمخ : الكبْر . زمخ بأنفه زمخا (كمنع) : شمخ .
(٢) فى ط : « جادتك » .
(٣) فى م : « بعقتها » .
(٤) كذا فى الأصلين . والمعروف أن الباب مذكر ، ولكن المغاربة يؤنثونه فى لسانهم العامى .
(٥) فى ط : « نسيمى » .

وانْبَرى كلُّ جَدولٍ كحُسامٍ عاريَ الغِمد سُنْدُسيِّ النِّجادِ
وظِلالُ الغُصون تَكْتُبُ فيهِ أحْرُفًا سُطِّرَتْ بغـيرِ مِداد
تُذْكِرُ الوَشْمَ فى مَعاصِمِ خَوْدٍ قُضُبٌ فوقَه ذَواتُ امتـدادِ
وكُئُوسُ المُنَى تُدارُ علينـا بجَنَى عِفَّةٍ ونُقْلِ اعتقـادِ
واصفرارُ الأصيلِ فيها مُدامٌ وصَفيرُ الطُّيورِ نَغْمةُ شادِي
كمْ غَدَوْنا بها لأنْسٍ ورُحْنا جادَها رائحٌ منَ المُزْنِ غادى
ولَكَمْ رَوْحَةٍ على الدَّوحِ كادتْ أنْ تَرِيحَ الصَّبا لنا وهْوَ غادى
رَقَّتِ الشمسُ فى عَشاياهُ حَتّى أحدثتْ[1] منهُ رِقَّةً فى الجَمادِ
جدَّدتْ بالغروبِ شَجْوَ غَريبٍ هاجَهُ الشوقُ بعدَ طولِ البِعادِ
يا حَيَا المُزْنِ حَيِّها مِن بِلادٍ[2] غَرَسَ الحُبُّ غَرْسَها فى فُؤادى
وتعاهَدْ معـاهِدَ الأُنسِ منْها وعُهودَ الصِّبا بصَوْبِ العِهادِ
حيثُ مَغْنَى الهوى ومَلْهَى الغَوانى ومَرادُ[3] المُنَى ونيلُ المُرادِ
ومَقَرُّ العُـلا ومَرْقَى الأمانى ومَجَرُّ القَنـا ومَجْرَى الجِيادِ
كُلُّ حُسْنٍ على تِلِمْسانَ وَقْفٌ وخصـوصًا على رُبَا العُبّادِ[4]
ضَحِكَ النَّورُ فى رُباها وأرْبَى كَهْفُ ضَحّاكِها على كلِّ نادى[5]
وسَما تاجُهـا على كلِّ تاجٍ وسَطا سَيْفُها[6] على كلِّ وادى

(١) فى م : « حدثت » .
(٢) فى م : « عراص » .
(٣) فى ط : « ومنال » .
(٤) فى م « رباء العباد » .
(٥) فى ط : « باد » .
(٦) فى ط : « فيضها » .

يدَّعِي غيرُها الجمـــالَ فيقضِي ... حسنُهَا أنَّ تِلْكَ دَعْوَى زِيادِ[١]

وبِشِـعْرِى فَهِمتُ مَعْنَى عُلاها ... مِن حِلاها فَهِمْتُ فى كلّ وادى

حَضْرةٌ زانهـا الخليفةُ مُوسى[٢] ... زِينةَ الحَلْيِ عاطِلَ الأجْياد

وحَباها بكلّ بَذْلٍ وعَـــدْلٍ ... وحَماها من كلّ باغٍ وعادِى

مَلِكٌ جاوز المَدَى فى المَعالِى ... فالنِّهايات عنـــده كالمَبادى

مَعْقِل للهُدَى مَنيعُ النَّـواحى ... مَظْهَرٌ للعُـــــلا رَفيع العِماد

قاتِلُ المَحْلِ والأعادى جميعا ... بغِرار الظُّبَا وغُرّ[٣] الأيادى

[٤٦٠] كلما ضَنَّتِ السحائب أغْنَتْ ... راحتاهُ عن السَّحاب الغَوادى

كَمْ هِباتٍ له وكَمْ صَـدَقاتٍ ... عائداتٍ على العُفاة بَوادى

فأيادِى خَليفـةِ اللهِ مُوسَى ... أبحُرٌ عـــــذْبةٌ على الوُرَّاد

رُكِّبَ الجُود فى بَسيط يَدَيْه ... فتَلافَى به تِلافَ العِبـــــاد

جَلّ باريهِ مَلْجَـــــأً للبَرايا ... كالحَيا ضامِنًا حياةَ البلْاد

جَلّ مَن خَصَّه بتلك المَزَايا ... باهِراتٍ من طارفٍ وتِلاد

شِيَمٌ حُلْوةُ الجَنَى وسَجـــــايا ... يَشْهَدُ[٤] المجدَ أنَّها كالشِّهاد

يا إمامَ الهُدَى وشَمْس المعالِى ... وغَمَام النَّدى وبدْر النَّوادِى

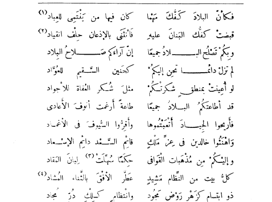
لك بينَ المُلوكِ سِرٌّ خَفِيّ ... ليسَ معناهُ لِلعقول ببادى

(١) يريد أنها دعوى كاذبة ، كدعوى زياد بن أبيه النسب إلى أبى سفيان .

(٢) موسى : هو أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى ، من بنى عبد الواد ، كانت بينه وبين بنى مرين منافسات وحروب ، أدت إلى استيلائه على تلمسان وخروجه عنها عدة مرات (انظر الاستقصا للسلاوى ج ٢ ص ١٠٣ وما بعدها) .

(٣) فى م : « ويمن » .

(٤) فى م : « شهد » .



فكأنّ البلادَ كفُّكَ مهْما ... كان فيها من ينْتمِى للعِباد[١]

قبضتْ كفُّك البَنانَ عليهِ ... فَانْثَنَى بالإذعان حِلْفَ انقياد[٢]

وبِكُمْ تَصْلُح البِــــلادُ جميعًا ... إنّ آراءكم صَـــلاحُ البِلاد

لم تزلْ دائمًــــا تحِنُ إليكمْ ... كحَنين السَّـقِيم للعُوَّاد

لو أُعِينتْ بمنطقٍ شكرتْكُمْ ... مثلَ شُكر العُفاة للأجواد

قد أطاعتكُمُ البــلادُ جميعًا ... طاعةً أرغمت أنوفَ الأعادى

فأريحوا الجِيــادَ أتعبْتُمُوها ... وأقِرُّوا السُّيوفَ فى الأغماد

واهْنَئُوا خالدين فى عِزّ مُلْكٍ ... قائِم السَّعْد دائِم الإسْعاد

وإليْكُمْ مِن مُذْهبات القَوافى ... حِكَمًا سُهِّلَتْ[٣] لِيانَ المَقاد

كلُّ بيت من النِّظام مَشِيدٍ ... عَطَّر الأفْقَ بالثَّناء المُشاد[٤]

ذو ابتسام كزَهْر رَوْض مَجُود ... وانتظامٍ كسِلْكِ دُرٍّ مُجاد

قصيدة أخرى للثغرى فى تلمسان

ومن قول الثَّغْرىّ المذكور فى تِلِمْسانَ وسلطانها أيضا :

تاهتْ تِلِمسانٌ بحسن شَبابِها ... وبدا طِرازُ الحُسْنِ فى جِلبابِها

فالبِشْر يبدو من حَبَاب ثغورها ... متبسِّمًا أو مِن ثغور حِبابِها

قد قابلَتْ زُهْرَ النُّجوم بزَهْرِها ... وبروجَها ببروجهـــا وقِبابِها

حَسُنتْ بحسن مَليكها المولَى أبِى ... حَمُّو الّذى يحْمِى حِمَى أربابِها

مَلِكٌ شمائلُه كزَهْر رياضِها ... ونَداه فاضَ بها كفَيْض عُبابِها

[٤٦١]

(١) كذا فى ط . وفى م : « لعباد » ، ولعلها : « للعناد » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : «فأنى بالإذعان» . ولعلها : «فأتى مذعنا حليف انقياد» .
(٣) فى م : « كلها سهلة » : مكان قوله : « حكما سهلت » .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « الشادى » .

أعلى[1] الملوكَ الصِّيدَ من أعلامها وأجلَّها من صَفوة[2] ولُبابها

غارتْ بغُرَّة وجهه شمسُ الضُّحى وتنقَّبتْ[3] خجَلا بثوب ضَبابها

والبدرُ حين بدتْ أشعّتُها له حُسنًا تضاءل نُورُه وخَبا بها

لله حضرته التى قد شرّفتْ خُدّامَهــا فسمَوْا بخِدْمة بابها

فالآمُ فى يمنـــاه يُبلِغها المُنَى والمدح فى عَليَاهُ من أسبابها

وتذكرتُ بقوله رحمه الله تعالى :

أيها الحافظونَ عَهْدَ الودادِ جَدِّدُوا أُنسَنا بباب الجِيادِ

قصيدة ابن آجروم فى ذكر فاس

قصيدةَ أبى المكارم مَنْديل بن آجُرُّومَ ، فى ذكر فاس المحروسة وباب الفتوح منها ، ومواضعَ من متنزهاتها ؛ ولا شك أن كل واحدة من هاتين القصيدتين تنظُرُ إلى الأخرى ، وناظماها متعاصران ، فالله أعلم أيُّهما أخذ من الآخر ؛ على أن الرويَّ مختلف ، وقد يقال إن[4] ذلك من باب توارد الخواطر .

ونص قصيدة ابن آجُرُّوم المذكور :

أيُّها العارفونَ قدرَ الصَّبوح جَدِّدوا أُنسَنا ببــابِ الفتوحِ[5]

جَدِّدوا ثمَّ أُنسَـــنا ثم جدُّوا نَسْرَحِ الطَّرْفَ فى مكانٍ فسيحِ

حيثُ شابتْ مفارقُ اللَّوز نَوْرا وتَساقطْنَ كاللُّجَين[6] الصَّريحِ

وبدا منـــه كلُّ ما احمرَّ يحكى شَفَقًا مزّقتْــهُ أيدى الرِّيحِ

---

(١) فى ط : « أعطى » .

(٢) فى م : « صفوها » .

(٣) فى م : « وتغيبت » .

(٤) فى الأصلين : « لشأن » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٥) باب الفتوح : أحد أبواب فاس .

(٦) فى ط : « كالجين » .

[٤٦٢]

وكأنَّ الذى تساقط منه ... نُقطُ لُجَيْنٍ مِنْ دمٍ مسفوحِ

وإذا ما وَصلتُمُ المُصــــلّى ... فَلْتَحُلّوا بموضع التســـبيح

وبطَيفورها فطوفوا لكيما ... تُبصروا من ذُراه كلَّ سُطوح

ولتقيموا هُناك لَمحة طَرْفٍ ... لتردُّوا بها ذَماء الرُّوح

ثم حُطُّوا رِحالكم فوق نَهْرٍ ... كَلَّ فى وصفه لسانُ المديح

فوق حافاته حــدائقُ خُضْرٌ ... ليس عنها لعاشق من نُزوح

وكأنَّ الطيورَ فيها قِيانٌ ... هتفت بين أعجمٍ وفصيح

وهْى تدعوكُمُ إلى قبّة الجو ... ز هلُمّوا إلى مكانٍ مليح

فيــه ما تشتهون من كلِّ نَوْرٍ ... مُغْلَق فى الكِمام أو مفتوح

وغُصونٍ تَهيج رقصًا متى ما ... سمعت صوت كلِّ طيرٍ صَدوح

فأجيبوا دُعاءها أيُّها الشَّرْ ... بُ وخَلُّوا مَقال كلِّ نَصيح

واجْنَحوا للمُجون فهو جــدير ... وخليق من مثلكم بالجُنوح

واخلعوا ثمَّ للتصــابى عِذارا ... إنَّ خَلْع العِــذار غيرُ قبيح

وإذا شِئتُمُ مكانًا سِواهُ ... هُو أجلى من ذلكمْ فى الوُضوح

فاْجمعوا أمرَكم لنحو أُتِيٍّ[1] ... جاء كالصِّلّ من قِفارٍ فِيح

عطّرتْ جانبيه كفُّ الغوادى ... بشَــذا عَرف زَهرها الممنوح

قل لمِهْيارَ إن شَمِمْتَ شَذاها ... قولَ مســتخبرٍ أخى تجريح

أين هذا الشَّذا الذكىُّ من القيـــ ... ـصوم والرَّنْد والغضا والشّيح

حبَّذا ذلك المِهادُ مِهــادًا ... بينَ دانٍ مِنَ الرُّبا ونَزوح

ثمَّ من ذلك المِهــاد أفيضوا ... نحو هَضْبٍ من الهموم مُريح

---

(١) الأتى : النهر .

فيـــه للحُسْن دَوْحة وزوايا[1] وانشراحٌ لذى فُؤادٍ قَرِيحِ
وجِجار تُدْعَى جِجار طُبول غير أن التطبيلَ غيرُ صَحيح
تنشُرُ الشمسُ ثَمّ كُلَّ غُدوٍّ زَعفرانًا مُبَلَّلا بنُضُـــوحِ
وسُبُو[2] من هُناك يَشْبِي عقولا ويُجَلِّي لِحَاظ طَرْفٍ طَموحِ
وعُيونٌ بها تَقَرُّ عُيونٌ وكلامٌ يأسو كُلُومَ الجَريحِ
فُرِشَتْ فوقَها طَنافِس زَهْرٍ ليس كالعِهْن نَسجُها والمُسوحِ
كُلَّما مَرَّ فوقَهن طَليحٌ عادَ من حُسْنهن غيرَ طَليحِ
فانهَضوا أيُّها المُحِبّون مثلى لنرى ذاتَ حُسنِها المَلوحِ[3]
هكذا يُرْبَح الزمانُ وإلا كُلُّ عيش سِواه غيرُ رَبيحِ

رجع إلى نظم ابن خميس رحمه الله

ولابن خميس بصف تلمسان ويمدح ابن الحكيم

ومن بديع نظمه قصيدة مدح بها الوزيرَ ابنَ الحكيم .

قال ابن الخطيب : وهى من مشاهير أمداحه فيه ، وكتب بها إليـه من المَريّة ، وألَمّ فيها بذكر بلده تِلِمْسان ، وما حلّ بها من البلاء والحصار[4] فى ذلك التاريخ ، من قِبَل السلطان أبى يعقوب يوسفَ ابن السلطان المجاهد الكبير

(١) كذا فى الأصلين . وفى النبوغ المغربى لعبد الله كنون « روايا » جمع راوية . والراوية : مزادة الماء ، أو الدابة التى تحمله . ولعل المراد بها : الناعورة التى يرفع بها الماء .

(٢) « سبو » : نهر معروف فى المغرب (قرب فاس) فى شرقها .

(٣) فى ط : « المملوح » .

(٤) فى ط : « والمضار » .

أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق[١] ، نفعنا الله ببركاته ، فى أهل تلمسان المحصورين ، فلم يقبل شفاعتهم ، فقال الشيخ سيدى أبو زيد كلاماً معناه : إن سَعادة يقضى هذا ، ورجع الشيخ إلى فاس ، فاتفق أن هذا العبد[٢] كان مع السلطان فى الحمام ، وكان له عليه حقد ، فانتهز فيه الفرصة ، ووجأه بخنجر ، فكان فى ذلك حتفه ، فنفّس الله عن أهل تلمسان بعد حصارها نحو العشر سنين .

ولما وصل الخبر إلى سيدى أبى زيد بموت السلطان قال : عبد الرحمن يَمُّوت ، يعنى نفسه ؛ و « يَمُّوت » : بتشديد الميم ، على لغة البربر ؛ فتُوفِّى رحمه الله ، ودُفِن بمسجد الصّابرين[٣] ، وقبره مشهور مقصود الإجابة ، نفعنا الله به ؛ وقد زرته مرارا لا أحصيها ، ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله .

وقد أشار أبو عبد الله بن خميس فى هذه القصيدة إلى ذلك الحصار ؛ وكان من الاتفاق الغريب ، سُرعة وقوع ما تمنّاه ابن خميس لتلمسان هذه من الخير ، بعد طول المحْنة ، واشتداد البلاء ، ولم يتأخر ذلك عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر .

ونصّ القصيدة :

سَلِ الرِّيحَ إن لم تُسعِدِ السفْنَ أنواء فعِنْد صَباها من تلمسانَ أنباء

---

(١) كذا فى الأصلين . والظاهر أن فى العبارة سقطا ، ولعل الأصل : « وقد رحل الشيخ الولى أبو زيد عبد الرحمن الهزميرى ، نفعنا الله ببركاته من بلده أغمات مع جماعة ، للشفاعة عند السلطان أبى يعقوب فى أهل تلمسان المحصورين . . . الخ » (انظر ترجمة الهزميرى فى نيل الابتهاج بتذييل الديباج لأحمد بابا التنبكتى بهامش صفحة ١٦٤) .

(٢) يريد به الخصى « سعادة » المتقدم الذكر ، وكان من مماليك السلطان يوسف (انظر خبره فى الاستقصا للسلاوى ج ٢ ص ٤١) .

(٣) كذا فى م . وفى ط : « الصابر » . وفى نيل الابتهاج لأحمد بابا : « الصفارين » .

وفى خَفَقانِ البَرْق مِنها إشارةٌ ... إليكَ بما تَنمِى(١) إلَيْك(٢) وإيماء

تمرُّ الليالى ليلةً بعــــد ليلة ... وللأُذْن إصغاء وللعَين إ كلاء(٣)

و إنى لأصبو للصَّبا كلّما سَرتْ(٤) ... وللنَّجم مهما كان للنجم إسراء(٥)

وأُهْدِى إليها كلَّ يوم تحيَّةً ... وفى رَدِّ إهـــداءِ التحية إهداء(٦)

[٤٦٤]

وأستجلِبُ النومَ الغِرارَ ومَضْجَعى ... قَتادٌ كما شاءتْ نواها وسُلّاء

لعلَّ خيالا من لديْهـا يَمرُّ بى ... ففى مَرِّهِ بى من جَوى الشوق إبراء

وكيف خُلوصُ الطَّيْفِ منها ودونَها ... عيونٌ لها فى كل طالعـــة راء(٧)

وإنى لَمُشتاقٌ إليها ومُنْبِئٌ ... ببعْض اشتياقِ لو تمكّن إنبـاء

وكَمْ قائلٍ تَفْنَى(٨) غراما بحبها ... وقد أخلَفَتْ منها مِلاءٌ وأَملاء(٩)

لعشرة أعوامٍ عليها تجرّمَتْ ... إذا ما مضى قيظٌ بها جاء إهراء(١٠)

يُطنِّب فيها عائثون وخُرَّبٌ ... ويرحَلُ عنهـا قاطِنون وتُنّاء(١١)

كأنَّ رِماحَ الناهِبينَ لمُلْكِها ... قِداحٌ وأموالَ المنازل أبْداء(١٢)

---

(١) فى م : « تنهى » .

(٢) كذا فى م . وفى ط : ونفح الطيب : « إليها » .

(٣) أكلأ بصره فى الشيء : ردده فيه مصوبا ومصعدا .

(٤) كذا فى م ونفح الطيب . وفى ط : « صبت » .

(٥) فى ط : « إصباء » . وما أثبتناه عن م ونفح الطيب .

(٦) كذا فى ط . وفى م : « وفى ردها بعد التحية إهداء » .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة : «راء» فى نفح الطيب . وفى الأصلين : « داء » .
ورواية هذا الشطر فى م : « حياة لها من كل طالمة داء » .

(٨) كذا فى ط . وفى م والنفح : « يفنى » .

(٩) أخلفت : تغيرت . والملاء : جمع مليء ؛ والأملاء : جمع ملأ ، وهم أشراف الناس وعليتهم .

(١٠) هرأه البرد وأهرأه : اشتد عليه حتى كاد يقتله .

(١١) فى نفح الطيب : « وأحياء » .

(١٢) الأبداء : جمع بدء ، وهو النصيب من الجزور .

فلا تَبْغِينْ فيها مُناخًا لراكبٍ ... فقـدْ قَلَصتْ منها ظِلال وأفياء

ومن عَجَبٍ أنْ طالَ سُقْمِى ونَزْعُها ... وقُسِّم أضناءٌ علينا وأطْنـاء[1]

وكَمْ أرْجفوا غيظا بها ثم أرْجَئُوا ... فيكْذِبُ إرجافٌ ويَصدُقُ إرجاء

يُرَدِّدُها عُيَّابُها الدهرَ مِثْلَمَا[2] ... يُرَدِّدُ حرفَ الفاءِ فى النطق فأْفاء

فيامَنْ لَا نال الرَّدَى منه ما اشتهى ... تُرَى هل لعُمر الأُنْس بعدكَ إنساء

وهل لِلظَى الحربِ الّتى فيكَ تَلْتظِى ... إذا ما انقَضَتْ أيامُ بؤسكَ إطفاء

وهلْ لى زمانٌ أرْتجِى فيه عَودةً ... إليكَ ووجه البشر أزهرُ وُضّاء

فَيَاهَيَّ مالِى[3] إنْ هلكتُ ولم أقلْ ... لصحبِى بها الغُرِّ الكرامِ ألا هاءوا

ولم أطْرُقِ الدرْبَ[4] الذى كنتُ طارقا ... لِعَادٍ[5] وبَدْرِ الأفق أسْلَعُ مِشْنَاء[6]

أُطِيفُ به حتّى تَهِرَّ كِلابُهُ ... وقَدْ نامَ عُسَّاسٌ وهوَّم سُبَّاء

ولا صاحبٌ إلا حُسَامٌ ولَهْذَمٌ ... وطِرْفٌ لخدِّ الليل مُذْ كانَ وَطَّاء

وأسْحَمُ قارىٌّ كشَعْرِىَ حُلْكَةً ... تلألأَ فيه من سَنَى الصبح أضْواء

فما لشرابى فى سواكَ[7] مَرَارَةً ... ولا لِطَعامى دونَ مائكَ إمراء

---

(١) الأضناء : جمع ضنى ، وهو المرض . والأطناء : جمع طنء ، وهو الداء .

(٢) كذا فى م ونفح الطيب المطبوع . وفى ط : « يرددها غيابها الدهر بعد ما » .

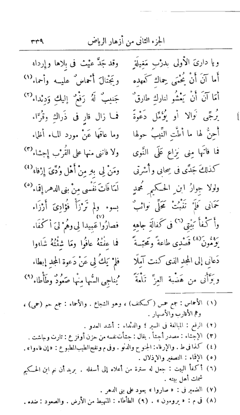
(٣) يقال : يا هىء مالى ، ويا فىء مالى ، ويا شىء مالى ، تهمز ولا تهمز . وهىء : اسم فعل أمر للتعجب ، أو للأسف والحزن والتلهف على ما فات ، بمعنى تنبه واستيقظ ، ودخل عليه حرف النداء كما دخل على فعل الأمر ، وبنى على حركة للتخلص من التقاء الساكنين ، وخص بالفتحة طلبا للخفة . وقولهم : « مالى » بمعنى : أى شىء لى ؟

(٤) فى الأصلين : « الدين » ، ولعله محرف عما أثبتناه .

(٥) كذا فى ط : وفى م : « لعادى » . ولعله : « كمادى » ، جمع عادة .

(٦) الأسلع : الذى به البرص . والمشناء : الذى يبغضه الناس .

(٧) كذا فى م . وفى ط : « هواك » .



وَيا دارىَ الأولى بدرْبِ مَغِيلَةٍ ... وقد جَدَّ عيْث فى بِلاها وإرداء

أما آنَ أنْ يُحْمَى حِماكِ كَعهدِه ... ويَجْتالَ أحماسٌ عليـه وأحماء[1]

أمَا آنَ أنْ يَعْشُو لنارِكِ طارقٌ ... جَنيبٌ لَهُ رَفْعٌ إِليكِ وَدِئْداء[2]

[٤٦٥] يُرجِّى نَوالا أو يُؤَمِّل دَعْوَةً ... فما زال قارٍ فى ذَراكِ وقُرّاء

أحِنُّ لها ما أطَّتِ النِّيبُ حولها ... وما عاقها عَنْ مورد الماء أظماء

فما فاتَها مِنى نِزاع عَلَى النَّوى ... ولا فاتنى منها على القُرْب إجشاء[3]

كذلكَ جَدِّى فى صِحابى وأُسْرتى ... ومَنْ لِى بِهِ مِنْ أهْل وُدِّىَ إرْفاء[4]

ولولا جِوارُ ابنِ الحـكيمِ مُحمدٍ ... لَمَا فَاتَ نَفْسى مِنْ بنى الدهر إقْماء[5]

حَمانى فَلَمْ تَنْبُتْ مَحَلِّى نوائبٌ ... بسوءٍ ولم تَرْزأْ فؤادِىَ أرْزاء

وأكْفأَ بَيْتِى[6] فى كَفالَةِ جاهِهِ ... فصارُوا[7] عَبِيدا لِى وهُمْ لِىَ أكْفاء

يَؤُمُّونَ[8] قَصْدِى طاعةً ومَحبَّـةً ... فما عِفْتُهُ عافُوا ومَا شِئْتُهُ شاءوا

دَعانِى إلى المجدِ الذى كنت آمِلا ... فلمْ يَكُ لِى عَنْ دَعوة المجدِ إبطاء

وبَوَّأنى من هَضْبة العِزِّ تَلْعَةً ... يُناجِى السُّها مِنْها صَعُودٌ وطأْطاء[9]

---

(١) الأحماس : جمع حمس (ككتف) ، وهو الشجاع . والأحماء : جمع حم (حمى) ، وهم الأقارب والأصهار .

(٢) الرفع : المبالغة فى السير ؛ والدئداء : أشد العدو .

(٣) الإجشاء : مصدر أجشأ . يقال : جشأت نفسه من حزن أو فزع : ثارت وجاشت .

(٤) كذا فى ط . والإرفاء : الجنوح والدنو . وفى م ونفح الطيب المطبوع : «إن فاءوا» .

(٥) الإقماء : التصغير والإذلال .

(٦) أكفأ البيت : جعل له سترة من أعلاه إلى أسفله . يريد أن نعم ابن الحكيم شملت أهل بيته .

(٧) الضمير فى : « صاروا » يعود على بنى الدهر .

(٨) فى م : « يرومون » . (٩) الطأطاء : المنهبط من الأرض . والصعود : ضده .

يُشَيِّعُنِي مِنْها إذا سِرْتُ حافظٌ ويكلؤني منها إذا نمتُ كَلاءه

وَلا مِثْل نَوْمِي فى كَفالَةِ غَيْرِه وللذِّئبِ إلمامٌ وللصِّلِّ إلماء

بِغَيْضة لَيْثٍ أو بِمَرْقَبِ خاربٍ تُبَزُّ كُسًا فيه وتُقْطَع أكساء

إذا كانَ لِي مِنْ نائبِ المُلْكِ كافلٌ فَفِي حَيْثُما هَوَّمْتُ كِنٌّ وَإِدْفاء

وإخوانُ صِدْقٍ مِنْ صَنائعِ جاهِهِ يُبَادِرُنِي منهم قِيامٌ وإيلاء

سِراعٌ لما يُرْجَى منَ الخَيْرِ عندهمْ ومن كل ما يُخْشَى من الشَّرِّ أَبْرَاء

إليكَ أبا عبدِ الإلهِ صَنَعْتُها لزُومِيَّةً فيها لِوَجْدِيَ إفشاء

مُبَرَّأَةً مما يَعيبُ لُزُومَها إذا عاب إكفاءٌ سواها وإيطاء

أَذعْتُ بها السرَّ الذى كانَ قبلها عَلَيْه لأحْناء الجوانح إضناء[1]

وإن لم يكن كلُّ الذى كنتُ آملا وأعْوَزَ إكلاءٌ فما عازَ إكْفاء[2]

وَمَنْ يتكلَّف مُفْحِمًا شُكْرَ مِنَّةٍ فما لى إلى ذاكَ التكلُّف إلجاء

إذا مُنْشِدٌ لمْ يَكُنْ عنْكَ ومنشئٌ فَلا كانَ إنشادٌ ولا كانَ إنشاء

* * *

التعريف بابن الحكيم

وابن الحكيم المذكور: هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سعد[3] بن محمد بن فَتُوح بن محمد بن أيوب بن محمد اللَّخْمى، من أهل رُنْدة، الكاتب الأديب البليغ، الشهير الذكر بالأندلس، ويُعْرَف بابن الحكيم. [٤٦٦]

(١) يريد بالإضناء: كتم السر؛ ولعله محرف عن: «الإضباء». يقال: أضبأ على الشيء إضباء: سكت عليه وكتمه.

(٢) يقال: أكلأت الأرض: إذا كثر كلؤها، وأكفأت: إذا كثرت كمأتها. يريد: إذا لم أجد الكلأ أجزأتنى الكمأة.

(٣) فى م: «سعيد».

سلفه

أصل سلفه من إشبيلية ، من أعيانها ، ثم انتقلوا إلى رُنْدَة ؛ وأول من انتقل منهم إليها جده محمد بن فتّوح ، فى دولة بنى عبّاد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبّه ، وكانوا قديما يُعرفون ببنى فَتّوح .

قدومه إلى غرناطة

قدم ذو الوزارتين أبو عبد الله على حضرة غَرناطة أيام السلطان أبى عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قفوله من الحج ، فألحقه بكُتّابه ، وأقام[1] يكتب له فى ديوان الإنشاء ، إلى أن تُوُفّى هذا السلطان فى ثامن شعبان سنة إحدى وسبع مئة ، وتقلّد المُلْكَ بعده ولىّ عهده أميرُ المسلمين ، أبو عبد الله محمدٌ المخلوع ، فقلده الوزارة والكتابة ، وكان مشتركا معه فى الوزارة الوزيرَ الجليل التقىّ ، أبا سُلطان عبد العزيز بن سلطان الدّانىّ ، فلما تُوُفّى الوزير أبو سلطان الدانىّ ، أفرده سلطانه بالوزارة ، ولقّبه بذى الوزارتين ، وصار صاحب أمره ونهيه ، إلى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا ، غُدوة يوم الفطر ، مُسْتَهلّ شوال سنة ثمان وسبع مئة ، وذلك لتاريخ خَلْع سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المسلمين[2] أبى الجيوش مكانه ؛ ومولده ببلدة رُندة فى شهر ربيع الأول سنة ستين وست مئة .

شمائله

وكان رحمه الله علَما فى الفضيلة والسَّراوة ومكارم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين الحُرْمة ، عالىَ الهمة ، كاتبا بليغا ، أديبا شاعرا ، حَسَن الخط ، يكتب خطوطا على أنواع ، كلها جليل الانطباع[3] ، خطيبا فصيح القلم ، زاكىَ الشيم ، مُؤْثِرا لأهل العلم والأدب ، برًّا بأهل الفضل والحَسَب ، نَفَقَت فى مدته للفضائل أسواق ، وأشرقت بامداده للأفاضل آفاق .

رحلته مع ابن رشيد وشيوخهما

ورحَل إلى المشرق ، وكانت إجازته البحرَ من المَرِيَّة ، فقضى فريضة الحجّ ،

(١) فى م : « وكان » . (٢) فى ط : « المؤمنين » .

(٣) فى م : « على الأنواع كلها جيل الانطباع » .

وأخذ عمن لقى هنالك من الشيوخ ، فمشيخته متوافرة[٢] . وكان رفيقَه فى هذه الوجهة الخطيبُ أبو عبد الله بن رُشَيد ، فتعاونا على هـذا الغرض ، وقضَيا منه كل نَفْل ومفْتَرَض ، واشتركا فيمن أخذا عنه من الأعلام ، فى كل مقام . [٤٦٧]

وكانت له عناية بالرواية ، ووَلُوع بالأدب ، وصَبابة باقتناء الكتب ، جمع من أُمَّهاتها العتيقة ، وأصولها الرائقة الأنيقة ، ما لم يجمعه فى تلك الأعصر أحد سواه ، ولا ظفرت به يداه .

تلاميذه

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبى العاصى التَّنُوخىّ ، والخطيب أبو عبـد الله بن رُشيد تَدَبُّجًا[١] معه ، وابنه الوزير الكاتب الأديب الفاضل أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم ، وغيرهم .

قصيدة ابن الجياب فى مدحه

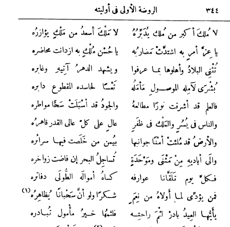
ومدحه الكاتب العلّامة أبو الحسن بن الجَيَّاب ، ومن بديع ما مدحه به قصيدة رائية رائقة ، يُهنئه فيها بعيد الفِطْر ، وهى قوله :

يا قادمًا عمَّت الدُّنيا بشائرُهُ ... أهلاً بمَقْـدَمِكَ الميمون طائرُهُ
ومرحبًا بك من عيدٍ تَحُفُّ به ... من السعادة أجنادٌ تظافره
قدمت فالخلق فى نُعْمَى وفى جَذَلٍ ... أبْدَى بك البِشْرَ باديه وحاضره
والأرضُ قد لبِسَت أثوابَ سُنْدُسِها ... والروضُ قد بَسَمت منه أزاهره
حاكَتْ يَدُ الغيث فى ساحاته حُلَلا ... لمّا سقاها دِراكًا منه باكره
فلاحَ فيها منَ الأنوار باهرها ... وفاح فيها من النُّوّار عاطره
وقام فيها خطيب الطَّيْرِ مرتجلا ... والزَّهْر قد رُصِّعَت منه منابره
مَوْشِىُّ ثوْب طواه الدّهرُ آونةً ... فها هو اليوم للأبصار ناشره

(١) كذا فى ط ونفح الطيب طبعة الأزهرية . وفى م : « وافرة » .
(٢) معنى التدبيج : أن يروى كل واحد من القرينين عن صاحبه . وسيأتى شرح هذه الكلمة قريبا فى كلام المؤلف .

فالغُصْنُ من نَشْوة يَثْنِى معاطِفَه ... والطيرُ مِنْ طَرَبٍ تشدو مَزَاهِرُه
وللكمائم انشقاق عن أزاهرها ... كما بَدَتْ لكَ مِنْ خِلٍّ ضمائرُه
لله يومُكَ ما أزكى فضائلَه ... قامتْ لدِينِ الهُدَى فيه شعائرُه !
فكم سريرة فضل فيك قد خُبئتْ ... وكم جمالٍ بدا للناس ظاهِره
فافخَرْ بحقٍّ على الأيام قاطبةً ... فما لفضلكَ مِنْ نِدٍّ يُناظِرُه[1]
فأنتَ في عصرنا كابن الحكم إذا ... قيستْ بفخر أولى العلياء مفاخره
يلتاح منه بأفْقِ المُلْكِ نُورُ هُدًى ... تضاءلُ الشمسُ مهما لاح زاهِره[2]
مُجدٌ صميمٌ على عَرْشِ السِّماكِ سما ... طالت مَبانيه واستعلت مظاهره
وزارةُ الدينِ والعِلمِ التى رُفعت ... أعلامُه والنَّدى الفَيَّاض زاخره
وليس هذا ببدع مِن مَكارِمِه ... ساوَتْ أوائلَه فيـه أواخره
يَلْـقَى الأمورَ بصدر منه مُنشرح ... بحرٌ وآراؤه العظمى جواهره
رَاعَى أمور الرَّعايا مُعْمِلاً نَظَرا ... كمثْل عَلياه مَمْدوحًا نظائرُه
والمُلْكُ سَـيَّر فى تدبيره حِكَمًا[3] ... تنالُ ما عجزت عنهُ عساكره
سياسة الحِلْم لا بطشٌ يكدِّرها ... فهْو المَهيبُ وما تُخْشَى بوادره
لا يَصْدُرُ المُلكُ إلا عن إشارته ... فالرُّشْـد لا تتعدَّاه مَصايره
تجرى الأمور على أقصى إرادته ... كأنما دهره فيها يشاوره
وكم مَقامٍ له فى كلّ مَكْرُمَة ... أنسَتْ مواردَهُ فيها مَصادِره
فَفَضْلُها طَبَّق الآفاقَ أجمعها ... كأنه مَثَل قد سـار سائره
فليس يجحده إلا أخو حسَـد ... يَرَى الصباحَ فَيَعْشَى منه ناظِرُه

(١) كذا فى م . وفى ط والنفح والإحاطة : « يظاهره » .
(٢) فى ط : « لما لاح ظاهره » :
(٣) كذا فى النفح والإحاطة . وفى الأصلين : « كلما » .



٧ مُلكَ أكبر من مُلك يُدَبِّرُهُ — لا مَلْكَ أسعدُ من مَلْكٍ يؤازرُه
يا عِزَّ أمرٍ به اشتدَّتْ مَضاربُه — يا حُسْن مُلْكٍ به ازدانت محاضره
تُثْنِى البلادُ وأهلوها بما عرفوا — ويشهد الدهرُ آتِيهِ وغابره
بُشْرَى لآمِلِه الموصولِ مَأْمَلُه — تَعْسًا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نورًا مطالعهُ — والجودُ قد أسْبَلَتْ سَحًّا مواطره
والناس فى يُسْرٍ والمَلْكُ فى ظَفَرٍ — عالٍ على كلٍّ عالى القدر قاهرُه
والأرضُ قد مُلِئتْ أمْنًا جوانبها — بيُمن من خَلَصت فيها سرائره
والَى أياديهِ مِنْ مَثْنَى ومَوْحَدَةٍ — تُساجِلُ البحر إن فاضت زواخره
فكلَّ يوم تَلَقَّانا عوارفه — كساهُ أموالَه الطُّولَى دفاتره
فمن يؤدِّى لما أولاهُ من نِعَمٍ — شكرًا ولو أنَّ سَحْبانًا يُظاهِرُه(١)
يأيُّها العِيدُ بادرْ لثْمَ راحتِه — فلثمُها خيرُ مأمول تُبادره
وافخرْ بأنْ قدْ لَقِيتَ ابنَ الحكيم على — عَصْر(٢) يباريكَ أو دَهر تفاخره
ولَّى الصيامُ وقد عظَّمتَ حُرْمتَه — فأجرُه لك وافيه ووافره
وأقبل العِيدُ فاستَقْبِل به جَذَلا — وأهنأْ(٣) به قادمًا عَمَّتْ بشائره

أبيات فى رثائه

ومن أحسن ما رُثِى به رحمه الله تعالى ، ثلاثة أبيات لبعض الأعلام من أهالى ذلك الزمان ، وهى : [٤٦٩]

قتلوكَ ظلماً واعْتَدَوْا — فى فِعلهم حَدَّ الوُجوبْ

(١) كذا فى الإحاطة ، وفى الأصلين : « يناظره » .
(٢) كذا فى النفح والإحاطة . وفى الأصلين : « عهد » .
(٣) كذا فى م والإحاطة . وفى ط : وامنن ، وهو تحريف .

ورَمَوْكَ أشْـــــلاءً وذا أمرٌ قضَـتْهُ لك الغيوب
إن لم يكن لك سـيّدى قبرٌ فقـبرك فى القـلوب

قال ابن خاتمة : ومن شعره ما أنشـدنى ابنه الوزير أبو بكر ، مَقْدَمَه على المَرِيّة ، غازيا مع الجيش المنصور ، قال أنشدنى أبى رحمه الله تعالى :

ولما رأيتُ الشـيب حلَّ بمفرقى نذيرا بتَرْحال الشـباب المفارقِ
رجَعتُ إلى نفسى فقلتُ لها انظرى إلى ما أرى ، هذا ابتداء الحقائق

وأنشدنى شيخنا الخطيب أبو إسحاق بن أبى العاصى إذْنا ، قال أنشدنى الوزير أبو عبد الله بن الحـكيم إن لم يكن سَماعا فإجازة :

فقـدت حياتى بالفراق ومن غـدا بحـال نَوًى عمن يُحِبّ فَقَدْ فَقَدْ
ومن أجل بُعدى عن ديار ألِفْتُهـا جحيم فؤادى قد تَلَظَّى وَقَدْ وَقَدْ

وقد سبقه إلى هذا المعنى القائلُ :

أُوارى أُوارى بالدموع تجَـلُّدًا وكم رُمْتُ إطفاء اللهيب وَقَدْ وَقَدْ
فلا تعذُلوا مَنْ غاب عنه حبيبُـه فمن فقـدَ المحبوبَ مِثْلى فَقَدْ فَقَدْ

هكذا رواه ابن خاتمة ، ورواه غيره هكذا :

أُوارى أُوارى والدموع تُبينُـهُ ومَنْ لِى بإطفاء الغـرام وَقَدْ وَقَدْ

وهو الصواب .

قال ابن خاتمة : وأنشدنى رئيس الـكتّاب الصَّدْرُ البليغ الفاضل ، أبو القاسم عبـد الله بن يوسف بن رضوان النَّجّارى ، قال : أنشدنى رئيس الـكتّاب الجليل ، أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى ، قال : أنشدنى رئيس الـكتّاب ذو الوزارتين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحـكيم ، رحمه الله تعالى :

شىء من شعره

سَحِّ الكتابَ وعَنِّـه واختِم على مُسَكَّتِهِ(١)
واحذَر عليـه من مُحا لســةِ الرقيبِ بجَفنِـه
واجعل لسانَكَ سِجْنَه كى لا تُرى فى سِـجنِه [٤٧٠]

قال ابن خاتمة : وفى سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل . انتهى .

ومن بديع نظم ذى الوزارتين ابن الحكيم قوله رحمه الله :

يا ليتَ شِعْرى هل تطول حياتى حتى أرى هـذا الزمان الآتى ؟
يا رَبِّ إن قدَّرْتَ لى بـلوغه فاجعـلْهُ عصرا بالسرور مُواتى
وإن انقضَتْ أيامُ عمرىَ قَبْـلَه فاجعـل على ما ترتضيه مَماتى
لا شىء للدنيا وللأخرى معـا أرجو إذا ضـاقت علىَّ جهاتى
إلا بَقينىَ أنْ جودَكَ فوقَ ما يُرجَى وأنكَ غافِر الزَّلاَّت

ومن نثره ومن نثره آخِرَ فصـل خاطب به الشيخ أبا على عمر الجراوى ، رحمه الله ، قوله :

وهأنا أُجرى معه على حُسْنِ مُعتقَده ، وأَكِلُه فى هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى تودده(٢) ، وأُجيزُ له ولولديه ، أقرَّ اللهُ بهما عينه ، وجمع بينهما و بينه ، رواية جميع ما حملته ونقلتُه ، وحُسْن اطلاعه يُفصِّل من ذلك ما أجملتُه ، فقد أطلقت لهم الإذن فى جميعه ، وأبحت لهم الحَمل عنى ولهم الاختيارُ فى تنويعه ، والله عزَّ وجلَّ يُخلِّص أعمالَنا لذاته ، و يجعلها فى ابتغاء مَرْضاته .

قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللَّخْمى بن

(١) سحى الكتاب : شده بسحاية ، وهى قطعة من الورق تلف حول الرسالة ويختم عليها ، وعنى الكتاب : كتب عنوانه .
(٢) كذا فى ط والإحاطة ونفح الطيب ، وفى م : « تردده » .

الحكيم ، عفا الله عنه ، حامداً لله عزّ وجلّ ، ومصلّياً على رسوله المصطفى ، ومسلماً عليه وعلى آله ، في منتصف جُمادى الآخرة ، عام ثلاث وسبع مئة .

بديهته

وحَكَى غيرُ واحد أن ذا الوزارتين ابن الحكيم المذكور لما اجتمع مع الفقيه الجليل الكاتب ابن أبي مَدْيَن أنشده ابن أبي مدين ، رحمه الله تعالى :

عَشِقْتكمُ بالسمع قبل لقاكمُ وسمعُ الفتى يَهْوَى لَعَمْرِي كَطَرْفِهِ
وحَبّبني ذكر الجليس إليكمُ فلما التقينا كنتمُ فوق وصفِه

[٤٧١] فأنشده ذو الوزارتين :

ما زاتِ أسمع عن عَلْيَاكَ كل سَنِي أبهى من الشمس أو أجْلى من القمرِ
حتى رأى بصري فوق الذي سَمِعَتْ أذْنِي فَوَفَّقَ بين السَّمْعِ والبَصرِ

وتذكّرت هنا قول الحاج الكاتب أبي إسحاق الحسْنَاويّ رحمه الله تعالى :

سِحْرُ البَيَانِ بنانِي صار يَعْقِده والنَّفْثُ في عَقْدِه من مَنْطِقي الحسنِ
لا أُنْشِد المرء يَلْقَاني ويُبْصِرُني : أنا المُعَيْدِيُّ فاسمع بي ولا تَرَني

وكان الوزير ابن الحكيم المذكور كما أسلفناه رفيق ابن رُشَيد الفِهريّ في رحلته الحجازية ، وقد اشتملت رحلة ابن رُشيد على ما رأى ورَوَى .

التعريف بابن رشيد

وهو محمد بن عُمَر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبدالله بن سعيد[1] ابن مسعود بن حسن[2] بن محمد الفِهريّ ، من أهل سَبْتة ، يُكْنَى أبا عبد الله ، ويعرف بابن رُشيد ، — وكأنه تصغير رُشْد — الخطيب المحدِّث الشهير .

رحلته وما أفاد منها

رَحَل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، ولقاء أهل العلم ، سنة ثلاث وثمانين

(١) كذا في بغية الوعاة للسيوطي ، وجذوة الاقتباس لابن القاضي . وفي الأصلين : « سعد » .
(٢) كذا في الأصلين والبدر الطالع للشوكاني . وفي جذوة الاقتباس : « حسين » .

وستّ مئة ، وكانت إجازته البحر من المَرِيَّة ، فتلاقى بها هو وذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المذكور ، وكان قصدهما واحدا ، ومَسعاهما متعاضدا ؛ فترافقا فى السفر ، كما ترافقا فى الوَطَر . فدخل إفريقية ومصر والشام والحجاز ، وأخذ عمن لقى من الأئمة الأعلام ، وأ كثر من[1] هذا الشان ، وأجاد فيه الضبط[2] والاتقان ، وتوسّع فى الرواية ، وذهب فى ذلك إلى أبعد غاية . وكان له تَحَقُّق بعلوم الحديث ورجاله ، وبضبط أسانيده ، ومعرفة انقطاعه وأتصاله ، إمامًا فى هذا الشأن ، مُشارا إليه فى هذا الفنّ ، معتمَدا عليه ، مع كال الثقة[3] ، وشُهرة العدالة .

شمائله [٤٧٢] قال القاضى أبو البركات ابن الحاجّ فى حقه : ابن رُشَيْد ثقة عدْل ، من أهل هـذا الشأن المتحققين به ، وكان أيضا من أهل المعرفة بعلم القراءات ، وصناعة العربية ، وعلم البيان ، والآداب ، والعروض والقوافى ، مشاركا فى غير ذلك من الفنون ، من خُدّام الكتاب والسنّة ، حسن العَهْد ، كريم العِشرة ، بَرّا بأصدقائه ، فاضلا فى جميع أنحائه ، أديبا خطيبا بليغا ، ذاكرا ، متأدبا[4] ، يَقْرض الشعر على تكلف ، ويُجوِّد النثر ويُبْصِرُ مواقعَ حسنه ، وأعظمُ عنايته بعلم الحديث : متنه وسنده ومعرفة رجاله ، ولذلك كان جُلُّ أشغاله ، وفيه عُظْمُ احتفاله ، حتى حَصَل منه على غاية قَصْده ومنتهى آماله .

شيوخه قرأ بسَبْتة بلده على الأستاذ أبى الحسن بن أبى الربيع القرآن[5] العزيز بالقراءات السبع ، بمضّمن كتاب التيسير ، وتفقه عليه فى العربيّة ، وقيّد عنه[6]

(١) كذا فى ط وجذوة الاقتباس . وفى م : « فى » .
(٢) كذا فى ط . وفى م : « الحفظ » .
(٣) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى الأصلين : « الهيئة » .
(٤) هذه العبارة : « أديبا ...... متأدبا » زائدة فى م .
(٥) فى م : « القرآن العظيم العزيز » .
(٦) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى م : « منه » . وفى ط : عليه .

تقييدا حسنا على كتاب سيبويه ، وأخذ عنه غير ذلك . وقرأ أيضا الكتاب العزيز على الأستاذ أبى الحسن على بن محمد الكُتَامىّ ابن الخَضَّار ، بالمقارئ السبعة، وأخذ بالمَرِيَّة ، فى اجتيازه عليها ، عن الخطيب أبى عبد الله محمد بن محمد بن الصائغ ، والوزير الأديب أبى جعفر أحمد بن محمد ابن سلبطور ، قيَّد عنه [من][1] شعره . ورحل فأخذ ببِجاية عن الحافظ[2] أبى محمد عبد العزيز بن عمر القيسى ابن كحيلا نزيلها . وبتونس عن قاضى الجماعة بها ، أبى القاسم بن أبى بكر بن زيتون . وأخذ بإسكندرية عن العَدْل المبرِّز ، سراج الدين أبى بكر بن أحمد بن إسماعيل ابن فارس التميمى ، والعدل الصالح أبى عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طَرْخانَ القُرشى . وبالقاهرة عن الحافظ أبى محمد عبد العظيم بن عبد القوى المُنْذِرىّ ، والأديب الصوفىّ شهاب الدين أبى عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف ابن أحمد الأنصارىّ ، ابن الخِيَمىّ ، نزيل إيوان الحسين رضى الله عنه من القاهرة . وبدمشق عن شيخ الشيوخ عزّ الدين أبى العزّ عبد الله بن عبد المنعم ابن على الحرّانى[3] ، وبقية المسندين فخر الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المقدسىّ ، والمسند أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسىّ . [٤٧٢] وبالحرم الشريف عن المحدِّث الأديب مقيم الحرم الشريف أبى إسحاق عبد الصَّمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقىّ ، وبقية المحدِّثين مُقيم الحرمين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيم المكىّ . وبالمدينة المشرفة المنورة عن الشيخ الإمام النحوىّ عفيف الدين أبى محمد عبد السلام بن محمد

(١) زيادة عن جذوة الاقتباس .
(٢) كذا فى الأصلين ؛ وفى جذوة الاقتباس : « الخطيب » .
(٣) كذا فى الأصلين وجذوة الاقتباس . وفى نفح الطيب والإحاطة : « أبى العز عبد العزيز ابن عبد المنعم الحرانى » .

ابن مزروع البصرىّ وغيرهم . وفى أشياخه كثرة ، وقد أودعهم رحلته الحافلة التى سمّاها : «مَلْء العَيْبة ، فيما جُمع بطول الغَيْبَة ، فى الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطَيْبة» . وهى أربعة أسفار ، وقفْتُ عليها بتلمسان ، وقد جمع فيها من الفوائد الحديثيّة ، والفرائد الأدبية ، كلَّ غريبة وعجيبة .

تآليفه

ومن تآليفه «ترجمان التراجم» ، فى إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخارى لما تحتها ، مما ترْجِمَتْ عليه . ومنها «السَّنَن الأبيَن ، فى السَّنَد المعْنْعن» ، و«المقدمة المعرّفة ، لعلو المسافة والصفة» ، و«المحاكمة بين البخارى ومسلم» ، و«إحكام التأسيس فى أحكام التجنيس» ، و«الإضاءات والإنارات» فى البديع ، المسماة : «بإيراد المرتع المَريع ، لرائد التسجيع والترصيع» ، و«وصل القوادم بالخوافى» ، شرح فيه كتاب القوافى لشيخه أبى الحسن حازم القَرطاجَنّى . وجزء مختصر فى العَروض ، وتقييد على كتاب سيبويه .

مذهبه

وذكر بعضهم أن الإمام ابن رُشيد كان ظاهريَّ المذهب ، والمعروف أنه كان مالكيا ، والله أعلم . [٤٧٤]

شرحه للبخارى

وكان يعتمد فى شرح كلام البخارى على «المُتجَرّ الفصيح ، فى شرح البخارى الصحيح» لأبى عمرو[1] الصَّفاقسىّ ، المعروف بابن التّين ، لأجل حضور البَرْبر فى مجالسه ، ومعتَمَدُهم المدوّنة ، وأبو عمرو فى هذا الكتاب ينقل المدوّنة وكلام شرّاحها عليها .

اجتهاده فى فهم الحديث

وتكلم يوما بعد فراغه من إسماع الشمائل ، وكانت بالمغرب فتنة ، على قوله عليه الصلاة والسلام : «بحَسْب أصحابى القتل» ، فقال : معنى الحديث أنه منجيهم[2] من عذاب الله تعالى ، كما قالوا : بحسبك زيد ؛ ثم قال : على أنه

(١) كذا فى م هنا وفيما سيأتى . وفى ط : «عمر» . (٢) فى م : «ملجؤهم» .

رُوى أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة ، فعظم أمرها ؛ فقالوا : يارسول الله ، لئن أدركنا هذا الزمان لَنَهْلِكَنَّ[1] ؛ فقال : كلا ، إن بحسْبكم القتْل .

ويدل على صحة هذا التأويل ما خرجه أبو داود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمتى [هذه] [2] أمة مرحومة ، ليس عليها عذاب فى الآخرة ، عذابها فى الدنيا الفتنُ والزلازلُ والقتل » . وترجم عليه أبو داود : «باب مايُرجى فى القتل » ، ثم أدخل الحديث تحت الترجمة .

يرى أن الحديث مروى بالمعنى

وقال تلميذه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى : إنه تكلم يوماً على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مَقْعَدَه من النار » . فقال : رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو مئة نفس من الصحابة ، فيهم العشرة المشهود لهم بالجنة ، ولا يُعْرَف حديث مثله ، وإن كانت ألفاظه تختلف ، لكن هو متواتر المعنى .

وفى رسمه من حرف الميم من إحاطة ابن الخطيب ما نَصُّه :

قدرته على البيان والارتجال

حدثنى بعض شيوخنا قال : قَعَدَ يوما على المنبر ، فظن أن المؤذِّن الثالث [٤٧٥] قد فرغ ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه ، فاستَفْظَع[3] ذلك بعضُ الحاضرين ، وهمَّ آخرُ بإشعاره وتنبيهه ، وكلمه آخر ، فلم يَثْنه ذلك عما شرع فيه ، وقال بديهة : أيها الناس ، رحمكم الله ، إن الواجب لايُبْطِله المندوب ، وإن الأذان الذى بعد الأول غير مشروع الوجوب ، فتأهَّبوا [لطلب العلم][4]

(١) كذا فى الأصلين . والذى فى سنن أبى داود ، فى كتاب الفتن : « لئن أدركتنا هذه لتهلكنا » .
(٢) زيادة عن سنن أبى داود ، آخر كتاب الفتن .
(٣) فى م ومختصر الإحاطة المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم (٥٠١٨ تاريخ) : «فاستعظم » .
(٤) زيادة عن مختصر الإحاطة ، وجذوة الاقتباس .

وتذهبوا[1] ، وتذكروا قوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لأخيه والإمام يخطب أنصت فقد لغا ، ومن لغا فلا جُمُعة له »[2] . جعلنا اللهُ وإياكم ممن علِم فعمِل ، وعمِل فقُبل ، وأخلَص فتخلَّص .

فكان ذلك مما اسْتُدِلّ به على قوة جَنانه ، وانقياد لسانه لبيانه . انتهى .

تعليق للمؤلف على موقف ابن رشيد

وتذكرت بهذه القضية من قام مِن اثنتين ولم يتذكر حتى استقلّ ، ومن نسى المضمضة والاستنشاق حتى شرع فى غسل الوجه ، وراجعْ شرح ابن ناجى على المدوّنة ، فإنه ذكر أن بعض شيوخه لم يَرْجِع من الخطبة كما[3] فعل ابن رُشيد ، وبعض الأشياخ رَجَع لمّا سمع المؤذِّن ، وفعْلُ الأوّل أصوب . والله أعلم .

شهادة ابن رشيد لبعض العلماء

وكان رحمه الله تعالى (أعنى ابن رُشَيْد) يقول : ليس بالمغرب عالم إلا ابن البنّا بمراكش ، وابن الشّاطّ بسَبْتة ، والقاضى أبا عبد الله محمد بن محمد اللّخْمى القُرطبى . ومن المشارقة خلق كثير ، كابن دقيق العيد ، والشريف أبى الحسين العراقى ، وأخيه أبى إسحاق ، وجماعة .

تقريظ لبعض تآليفه

وفى تأليف ابن رُشيد فى التجنيس يقول صاحبُه الفقيه الأديب البارع الفاضل أبو بكر محمد بن محمد القالونسى[4] من نظمه حين طالعه بغرناطة :

(١) ق م : « وانتهوا » .
(٢) لفظ حديث أبى هريرة فى الموطأ وفى السنن إلا سنن ابن ماجه : « إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة ، فقد لغوت » . وفى حديث آخر عن على : « من دنا من الإمام فلغا ولم يستمع ولم ينصت كان عليه كفل من الوزر . ومن قال : صه فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له » . وظاهر من هذا أن ابن رشيد قد لفق روايته من حديثى أبى هريرة وعلى .
(٣) ق ط : « حتى » .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « أبو بكر محمد القالونسى » .

{٤٧٦} أَبْدَعَ فى التجنيس إنشاءا فليَخْوِ فضل السَّبْق إنْ شاءا
إذ كلُّ من ألف مِنْ قَبلِهِ ما جاء فيــه بالذى جاءا

شىء من أشعاره

ومن شعر ابن رُشيد رحمه الله تعالى (ولنا فيه أسانيد) قوله :

صيامُ عاشـورا أنى نَدْبُه في سُنَّة محكمة قاضيهْ
قال الرسول المصطفى إنه تَكفير ذنب السَّنَة الماضيهْ
ومَنْ يوسّع يَوْمَه لم يَزَلْ فى عامه فى عيشة راضيهْ

ومن ذلك قوله :

تغرّبْ ولا تَحْفِلْ بفُرقة معشر(١) تفزْ بالمنى فى كل ماشئت مِنْ حاجِ
فلولا اغتراب المسك ما حلَّ مَفْرِقًا ولولا اغتراب الدُّر لم يَحْظَ بالتاج

وقوله رحمه الله تعالى فى البحر وقد انبسط عليه ضوء القمر فى ليلة البدر :

أُنظر إلى البدر قد مُدَّتْ أشعّتُه على خُضَارَةَ(٢) حتى ابيضَّ أزرقُهُ
والريح قد صنعت دِرْعاً مَسامرُها حَبابُ ماء يروق العينَ رَوْنقُهُ

وذكر رحمه الله عن أبى الخير الفضل بن على بن نصر بن عبد الله بن رَواحة الأنصارى الخزرجى أنه أملى عليه بمدينة بُلْبَيْس بمصر حرسها الله تعالى :

وأرجو إن عَجَزْتُ عن الأمانى أمانًا مِن ذِمامك يا إلٰهى
فـلى ظنٌّ أُحققُــــه يقينًا برحمتــك التى كلُّ المُنَى هى
وأسأل منـك عونًا لى على ما أمرتَ به ، وتَركى للمناهى

(١) فى جذوة الاقتباس : « موطن » .
(٢) خضارة : من أسماء البحر .

إشارته إلى بعض الوضاعين فى الحديث

وقال رحمه الله : من محمد إلى أحاديث خِراش[1] ودينار[2] وأبى هُدْبة[3] وشبههم ، الذين يسميهم أهل الرواية والنقل طيور أنَس ، فمثل هؤلاء لا يُعرَّج عليهم ، ولا يُفرح بعلوهم[4] ، ورواياتهم شِبْهُ الريح ، وإنما يُكتب حديثهم للتعريف به . وقد جمع الحافظ أبو الطاهر الأصبهانى جماعة منهم فى بيتين ، فأحسَن ، أحسن الله إليه . أنشدنى المكتسب الخير ، المقيِّد ، أبو عبد الله محمد ابن أبى العباس أحمد بن حَيّان الشاطبىّ ، صاحبُنا بتونس ، قال أنشدنا الشيخ [٤٧٧] الخطيب أبو محمد بن بركات رحمه الله ، قال : قرأت على الحافظ أبى عمرَ بن عات ، قال : سمعت فيما قُرِئَ على السِّلَفىّ رحمه الله تعالى من نظمه :

حديث ابن نَسْطُور[5] وقيس ويَغْنَم[6] وبعدَ أشجّ الغرب[7] ثم خِراشِ
ونسخةُ دينار ونسـخةُ ترْبِهِ أبى هُدْبة القيسى شبه فَراشِ

قال لى أبو عبد الله : قال لنا أبو محمد ، قال لنا أبو عُمر : كان الحافظ السِّلَفى رحمه الله إذا فرغ من إنشاده لهما ينفخ فى يديه . فمثل هؤلاء لا يُلتفت إليه ، ولو بلغ أقصى الممكن فى القُرب . انتهى .

(١) خراش بن عبد الله الذى يروى عن أنس رضى الله عنه : كذاب لا يجوز كتابة حديثه . وحفيده خراش بن محمد بن خراش : متروك أيضا (انظر تاج العروس) .

(٢) دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك : منكر الحديث ضعيف ذاهب شبه المجهول . وهو حبشى . (راجع تاريخ الخطيب ص ٣٨٢ ج ٨) .

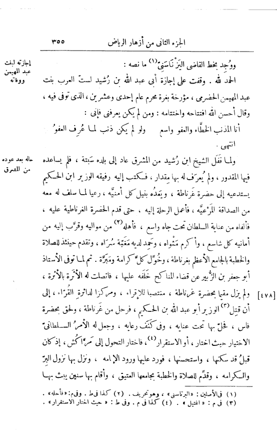
(٣) أبو هدبة : هو إبراهيم بن هدبة أبو هدبة الفارسى ، كان بالبصرة ، ثم خرج إلى أصبهان والرى ، ووافى بغداد ، وحدث بها عن أنس بن مالك بالأباطيل .

(٤) كذا فى ط . وفى م : « بعلومهم » .

(٥) ابن نسطور : هو جعفر بن نسطور الرومى .

(٦) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال وتاج العروس . وهو يغنم بن سالم بن قنبر ، قال ابن حبان : يضع الحديث على أنس . وجده قنبر مولى على رضى الله عنه . وفى الأصلين : « ينم » . وفى نفح الطيب « يعنم » .

(٧) الأشج المغربى : كذاب طرقى ، كان بعد الثلاث مئة ، وادعى السماع عن على بن أبى طالب ؛ واسمه عثمان بن خطاب أبو عمرو ، وبعضهم سماه أبا الحسن علىّ بن عثمان البلوىّ . (انظر لسان الميزان لابن حجر) .



إجازته لبنت عبد المهيمن ووفاته

ووُجد بخط القاضي البَرْنَاسِيّ(١) ما نصه :

الحمد لله . وقفت على إجازة أبي عبد الله بن رُشيد لستّ العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي ، مؤرخة بغرة محرم عام إحدى وعشرين ، الذى توفى فيه ، وقال أحسن الله افتتاحه واختتامه : ومن لم يكن يعرفني فإني :

أنا المذنب الخطّاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عُرِف العفوُ

انتهى .

حاله بعد عوده من المشرق

ولما قَفَل الشيخ ابن رُشيد من المشرق عاد إلى بلده سَبتة ، فلم يساعده فيها المقدور ، ولم يُعرَف له بها مقدار ، فكتب إليه رفيقه الوزير ابن الحكيم يستدعيه إلى حضرة غَرناطة ، ويَعِدُه بنيل كل أمنيَّه ، رعيا لما سلف له معه من الصداقة المَرْعِيَّه ، فأعمل الرحلة إليه ، حتى قدم الحضرة الغرناطية عليه ، فألفاه من عناية السلطان تحت جاه واسع ، فأهله(٢) من مواليه وقرّب إليه من أمانيه كل شاسع ، وأكرم مَثْواه ، وحمد لديه مَغَبّة سُرَاه ، وتقدم حينئذ للصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بغرناطة ، وخُوِّل كلّ كرامة ومَبَرّة . ثم لما توفى الأستاذ أبو جعفر بن الزُّبير عن قضاء المناكح خَلَفه عليها ، فاتصلت له الأَثَرة بالأَثَرة ، ولم يزل مقيما بحضرة غرناطة ، منتصبا للإقراء ، ومركزا لدائرة القُرَّاء ، إلى [٤٧٨] أن قتل(٣) الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فرحل من غَرناطة ، ولحق بحضرة فاس ، فحَلّ بها تحت عنايه ، وفي كَنَف رعايه ، وجعل له الأمرُ السلطانيّ الاختيار حيث اختار ، أو الاستقرار(٤) ، فاختار التحول إلى مَرّاكُش ، إذ كان قبلُ قد سكنها ، واستحسنها ، فورد عليها ورود الإمامه ، ونزل بها نزول البرّ والكرامه ، وقُدِّم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق ، وأقام بها سنين يبث بها

(١) في الأصلين : « البرناسي » ، وهو تحريف . (٢) كذا في ط . وفي م : « فأحله » .
(٣) في م : « اغتيل » . (٤) كذا في م . وفي ط : « حيث اختار الاستقرار » .

العلم ، ليس له شغل غير التدريس والتحقيق . ثم إن المَقام السلطانىّ استدعاه منها بعد مدة إلى حضرة فاس ، فانتقل إليها انتقال الإيثار والإيناس ، فلحق بحاضرة السلطان ، والتحف من الوجاهة والنباهة[1] برداء سابغ الأردان ، وصار فى عداد خواصِّه وآل مجلسه من الخلصاء[2] ، إلى أن تُوُفِّىَ رحمه الله بفاس ، فى الثالث والعشرين من شهر المحرم ، سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وقيل ليلة الاثنين الرابع والعشرين من شهر المحرم . وأما قول من قال إنه توفى ثامن المحرم فغلط . ودُفِن خارج باب الفتوح ، بالروضة المباركة ، المعروفة بمَطْرَح الجنة[3] ، حيث تُدْفَن العلماء والصلحاء ، الواردون على فاسَ من الغرباء .

ومولده بسَبْتة فى شهر رمضان سنة سبع وقيل تسع وخمسين وست مئة .

وروى عنه الجمّ الغفير ، كأبى البركات بن الحاجّ ، والأستاذ الخطيب أبى عبد الله بن أبى العاصى التَّنُوخى ، وآخرين رحم الله جميعهم ، ونفعنا بهم .

وقد قدمنا أن ابن الحكيم تدبَّج معه ، ومعنى التدبيج : أن يَرْوِى كل واحد من القرينين[4] عن صاحبه .

كتاب الإشادة للعزفى

وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المقدم الذكر مَحَطًّا رحال الأفاضل ، وكم للناس فيه من أمداح وتآليف ، وله ألَّف الشيخ الفقيه المحدث [٤٧٩] الحافظ ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى طالب عبد الله العَزَفِىّ ، كتاب « الإشادة ، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة »[5] . وكان أبو القاسم هذا سمع من

(١) ق ط : « من الوجاهة والندامة والنباهة » . (٢) ق ط : «الحضار» .
(٣) قال الكتانى فى سلوة الأنفاس ، نقلا عن نشر المثانى : إنها تسمى : (مطرح الجلة) ، باللام ، جمع جليل ، ثم قال : ويقال فيه اليوم : الجنة بالنون ، وهو تفاؤل حسن .
(٤) فى الأصلين : « الفريقين » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه ؛ قال فى شرح القاموس : « التدبيج : رواية الأقران ، كل واحد عن صاحبه » .
(٥) اسم هذا الكتاب فى م : « الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإجادة » .

أبي جعفر بن الزُّبير ، وتُوفّي رحمه الله يوم الأربعاء الثالث عشر من رجب الفرْد ، من عام سبعة عشر وسبع مئة ، قرب الزوال ، بالدرب الطويل من فاس المحروسة ، وتُوفّي أخوه الشاعر الجليل أبو العباس أحمد بغَرناطة في ذي الحجة من عام ثمانية وسبع مئة[1] .

أبي العباس العزفي في مدح ابن الحكيم

ومن إنشاداته في كتاب «الإشادة» ، من شعر أخيه أبي العباس المذكور ، رحمه الله تعالى :

مَلَكْتَ[2] رِقِّي بالجمال فأجمِلِ ... وحكَمْتَ في قلبي بجَوْرِك فاعدلِ
أنت الأمير على الملاح ومن يَجُرْ ... في حكمه إلا جُفونكَ يُعزَلِ
إن قيل أنت البدرُ فالفضل الذي ... لك بالكمال ونقصُه لم يُجْهَلِ
لولا الحظوظُ لكنت أنت مكانَه ... ولكان دونكَ في الحضيض الأسفلِ
عيناك نازلتَا القلوبَ فكلها ... إما جريح أو مُصاب المَقتَلِ
هزَّت ظُباها بعد كسر جفونها ... فأصيب قلبي في الرعيل[3] الأوّلِ
ما زلت أعذل في هواك ولم يزل ... سمعي عن العذّال فيك بمعزلِ
أصبحتُ في شغلٍ بحبك شاغلٍ ... عن أن أُصيخ إلى كلام العذّلِ
لم أُهمِل الكتمان لكن أدمعي ... هَمَلت ولو لم تعصني لم تُهملِ
جمعَ الصحيحين الوفاء مع الهوى ... قلبي وأملَى الدمعُ كشفَ المشكلِ

وهي طويلة ، مدح بها الوزير ابن الحكيم المذكور ، وأجاد .

---

(١) كذا في ط وجذوة الاقتباس . وفي الإحاطة : « سنة سبع وسبع مئة » . وفي م : « ثمانية عشر وسبع مئة » .

(٢) كذا في م والإحاطة . وفي ط وجذوة الاقتباس : « حللت » .

(٣) كذا في الإحاطة وجذوة الاقتباس . و في م : « وأصيب قلبي للرعيل » . وفي ط : « وأصيب قلبي بالرعيل » .

ولهُ فى مدحه أيضاً

وله من مطلع قصيدة فيه أيضا :

هـذا الصباح فغادِنى بصَبوح ... وانهض براحك فهى راحة رُوحى
لا تـكترِثْ لخطوب دهرك واسقنى ... كأسا تُحَسِّنُ منـــه كل قبيح
واسْرَحْ سَوامَ اللفظ بين حَدائق ... ماســـانم فى مثلها[1] بمريح
فُتِنَتْ بزهرة زَهْرِها فتمايلت ... تختال فى الحِبَرات بعـد مُسوح
شَقت شقائقُها جيــوبَ كمائم ... أسفا على زق يَخِــرُّ جريح[2] [٤٨٠]
وعيون نرجسها تَلُوحُ[3] شواخصا ... لوميض برق فى الـكئوس مُليح
والورد تُخجله أنامــلُ سَوسَنٍ ... تُومِى إليه بالســلام وتُوحى
وأتى الربيع رُبوعهــا[4] بسواجع ... عُجْمٍ تشُقّ فؤاد كل فصيح
سَجعت تُبَشِّرها بعَوْد[5] شـبابها ... فأصِخْ إلى شقّ بهــا وسَطِيح
مالى وللأطـلال أسألُ صامتا ... منهــا وأعْوِل فى مَهامهَ فِيح
فى الواح[6] والرَّيحان شُغْل شاغل ... لى عن عِيافة بارح وسَنِيح
وأهيم فى وَرْد الخـدود وآسها ... لا فى عَرَارٍ بالفَــلاة وشِيح
وأصون سمعى عن مقالة عاذل ... لتذلّلى والحِبّ[7] غـير مُشيح
كم عرّضوا لى بالملام وصرّحوا ... فعصَيتُ فى التعريض والتصريح

ومنها أيضا :

عجبًا لهم يَلقَوْننى بملامهـم ... فى حب من يَلقَون بالتسْبيح

---

(١) فى م : «فأسام فى تمثيلها بريح» . ولعله محرف عما أثبتناه . ولم يرد من هـذا الشطر فى ط غير : «فى مثلنا بمديح» .
(٢) كذا فى م . وفى ط : «أسف على رق بخد جريح» .
(٣) كذا فى ط . وفى م : «تميل» .
(٤) فى ط : «ربيعها» . (٥) كذا فى ط . وفى م : «بعهد» .
(٦) كذا فى م . وفى ط : «فى الروح» . (٧) فى م : «فى الحب» .

إن صَوَّحَ الروض النَّضِير نَخدّه   أزهاره أمنتْ من التصويح
ومحار أعين مبصريه إذا بدا   فى ثقل أرداف وخفة رُوح
قلبى بعــذلهمْ يزيد توقُّدا   لا غَرْوَ فى نار تُشَبّ بريح

وهى طويلة(١) .

كلام للقاضى أبى حفص فى كتاب الإشادة

ومما أورده فى « الإشادة » لبعض الأعلام ، وأظنه قاضى الموحدين أبا حفص ابن عُمَر رحمه الله تعالى ، فى وصف الدنيا ، كلام بديع نصّه :

هذه الدنيا — حفظك الله — كما قد علمته ، فأعرض بمحلك عن جهلها ، وارغب بنفسك عن أهلها ، واذكر قبائح أبنائها ، واصْرِم وَصْلَ أبنائها ؛ لا تَرْتَع فى رَوْضِهِم ، ولا تَكْرَع فى حوضهم ، وقُلِ اللهُ ثم ذرهم فى خوضهم ، وإذا مررت باللاغين(٢) بذكر محاسنها ، اللاهين بحسن ظاهرها عن قبح باطنها ، فالْهَ عن لهوهم ، ومُرَّ كريمًا بلغوهم ، مَرَّ المهتدى فى سيره ، وأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، فالسيادة والسعادة فى نبذها ، لا فى أخذها ، وفى تَرْكها ، لا فى دَرْكها ، وإليك عن وصلها إليك ، وعليك بهجرها عليك ، واتل [٤٨١] قوله تعالى : « وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ » ، وقوله تعالى : « وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » ، واحرص أن تكون منهم ؛ فزخرف الدنيا فى نظر العين زَيْن ، وفى نظر العقل شَيْن ؛ فغمِّض عينيك تبصر ، ولا تَمُدَّهُما وأقصر ؛ جعلنا اللهُ ممن نظر بقلبه ، وأبصر بلُبّه ، فأولو الألباب والفِكَر ، المخصوصون بالذِّكْر ، والعلم أرفع المزايا ، وأوسع العطايا ، هو غاية المَنَال والمُدْرك ، من ناله أىَّ شىء فاته ، ومن فاته أىَّ شىء أدرك ؟ ولا علم إلا علمُ الكتاب والسُّنه ، هما أفضل العطايا والمِنَّه ، فمن

(١) إلى هنا ينتهى المجلد الثانى من النسخة التيمورية (رقم ٨٩٤ تاريخ) .
(٢) فى ط : « بالمولعين » .

عَلِمهما ، ونظر فيهما ، وعمل بهما ، نال غاية السعادة ، وأدرك منتهى السيادة ؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ » . هذه المزايا العاليه ، والعطايا الواسعة الباقيه ، لا ما نهت عنه الآية الثانيه[1] ، جعلنا الله ممن أبصر رشده ، وذكر مراده ، ووجّه إليه قصده ، ورأى فى أول أمره آخره ، وابتغى فيما آتاه الله الدار الآخره ، بمنّه وفضله . آمين .

[2] يا راكضا فى طِلاب دُنيا ... ليس لمن تَصْرَع انتعاشُ
تَنَحَّ يا عُرضَــةً لرامٍ ... أسْهُمهُ بالرَّدَى تُراش
تَحُشُّ[3] نارًا هَوَى لظاها ... بمن له حولهـا انحياش
أعْذَرُ مِنك الفَراشُ ألّا ... عَلِمتَ ما يَجْهَل الفَراش
تطلُبها لا تَنَــامُ عَيْنٌ ... عنها ولا يستقرّ جاش
مَنْ لك بالرِّىِّ مِن شراب ... يَشْــتدُّ من شُربه العِطاش[4]
دَعْها فطُلّابُهـا رَعاع ... طاشت بألبابهمْ فطاشوا
واظمأ لتَرْوَى وكُنْ كقومٍ ... ماتُوا بها عِفّــةً فعاشوا
لم يَرِدُوها فهـمْ رِواء ... ووارِدوها هُمُ العِطاش
كأنَّ آمالَنـــا ظِباء ... ونحن من حَيْرةٍ خِراش[5]
لا نَأمَنَنَّ بهـــا انبساطا ... به لأعمارنا انكماش[6]

(١) يريد قوله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ... الخ » .
(٢) من هنا إلى قوله : « جواد مالك والمنصور مخدوم » ص٣٦٢ ساقط من نسخة ط .
(٣) تحش : توقد . وفى م : « تخش » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .
(٤) يريد بالعطاش : العطش ، مصدر عطش .
(٥) فى الأصل: « خفاش » ، وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . وهو يشير إلى البيت المشهور :
تكاثرت الظباء على خراش ... فما يدرى خراش ما يصيد
(٦) فى م : « لا يأمننا » ، وهو محرف عما أثبتناه .

كأنّ آجالنا صـــقورٌ ونحن من تحتها خشاش

انتهى .

التعريف بالقاضي أبي حفص عمر السلمي

وأبو حفص بن عمر هذا ، هو القاضي الجليل أبو حفص عمرُ بن القاضي الجليل أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السُّلَمِيّ . وذكر الحافظ ابن الأبّار أن أصله من جزيرة شُقْر[1] . قال : وولد بأغمات ، وسكن مدينة فاس .

شيوخه

رَوَى عن جده لأمه ، أبي محمد عبد الله بن علي اللَّخْمي ، أجاز له في صغره ؛ وعن أبي مروان بن مَسَرَّة ، وأبي عبد الله بن الرمامة ، وأخذ عن أبي بكر بن طاهر كتاب سيبويه تفهما ؛ وكان من أهل المعرفة واليقين ، أديبا شاعرا ، مجيدا ، غلب عليه الأدب ، حتى عُرف به وشهر ، مع جودة الخط ، وبراعة الأدوات .

ولايته القضاء

وولي قضاء تِلِمْسان ، ثم نقل إلى قضاء فاس بعد أبيه بزمن ، وولي قضاء إشبيلية وغيرها ، ونال دنيا عريضة .

مولده ووفاته

وحُكِيَ عن أبي الربيع بن سالم أنه تُوُفّي بإشبيلية فَجْأة ، في الخامس من ربيع الأول سنة ثلاث وستّ مئة . ومولده في حدود الثلاثين وخمس مئة .
وقد غلط ابن فرقد ، فذكر أنه ولد سنة خمس وثلاثين ، وروايته عن جده أبي محمد عبد الله بن عليّ المتوفى سنة ثلاث وثلاثين ، مع صحتها ، تَقْضِي ببطلان ذلك . قال ابن فرقد : وتوفى عام اثنين وست مئة بإشبيلية وهو يتولّى قضاءها ، بعد صرف محمد بن حوْط الله ؛ وكان أبو حفص قد صُرِف بأبي محمد ، بعد ذلك بعام أو أزيد .

من شعره في مدح أبي يعقوب يوسف

ومن مشهور نظمه رحمه الله تعالى يمدح أمير المؤمنين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي [الموحدي][2] رحمهم الله تعالى :

(١) في جذوة الاقتباس : « أشقورة » . (٢) زيادة عن جذوة الاقتباس .

اللهُ حسْبُك والسبعُ الحواميم ... تغزو بهـــا سبعةً وهى الأقاليمُ

سبْعُ المَثانى التى لِله قمتَ بها ... عليك من نصرها نصّ وتقـديم[١]

وأنت بالسور السبع الطّوال على ... كل الوَرَى حاكم بالله[٢] محكوم

والدّهر سَبْعَته وســبعة جعلت ... جواد[٣] مالك والمنصور مخدوم[٤]

وسبعةُ الشُّهْب لم تَحْفِل بها ثقةً ... بوعــد ربّكَ هَيهاتَ التناجيمُ

تسمو بنفس على السَّبْع الشِّداد سمتْ ... فينا وثَمّ لهـا زُلْفَى وتكـريم

أنوار عدلك فى الآفاق داعيــة ... هل فى البسيطة ظَلّام ومظلوم

أعلى بك الله أعلاما هدَيتَ بها ... فأنت فيهنّ إكمال وتتميم

عليك أهلُ الهدى والحقُّ متفق ... وحبل من فارق الإجماع مصروم

ومنها أيضا .

فؤاده بضياء العـــلم منشرِح ... ووجهه بجمال النـــور موسوم

وكفّهُ بطْنُها بالخـــير منهمِر ... وظهرُها لعهود الله مَلثوم

العلم قيمته[٥] والحـــلم شيمته ... طابت أرومته والنفس والخِيم

لطالبى العـــلم ما شاءوا بخدمته ... غِنًى وعز وإرشـــاد وتعليم

سُحب العلوم عليهم من سماحته[٦] ... تَهْمِى فَفى بحرها هُمْ شرعٌ هِيمُ

العَيْنُ من نَظَرٍ والأذن من خَبَر ... لا تشبَعان وباغى العـلم منهوم

يُغْضِى أناةً وحلما عالما وله ... فى موضع الحق إقدامٌ وتصميم

[٤٨٢]

(١) رواية هذا الشطر فى جذوة الاقتباس : « عليك من سرها معنى وتقديم » .

(٢) فى جذوة الاقتباس : « حاكم لله ... » .

(٣) كذا بالأصل . وفى جذوة الاقتباس « ... جمعت * وجود » .

(٤) إلى هنا ينتهى الجزء الساقط من نسخة ط . (٥) كذا بالأصلين .

(٦) كذا فى ط . وفى م : « سماوته » .

تشتد فيمن عصَى أو خان وطأتُه ... وفى الثِّقافِ لذات الزيغ تقويم

إرادةٌ فوقَ إدراكِ العقول لها[١] ... فحسبها منـــه إيماء وتسليم

حتى إذا ما بدا منها النجاح بدت ... كالشمس ما دونها فى الجو تَغْيِيم[٢]

انظر خواتمها تفهم مبـادئَها ... بالشرح ما ليس بالمفهوم مفهوم

والحظْ سماء[٣] عُلاها عِبرةً وكفى ... من يسترِقْ سمعَها بالشهب مرجوم

إنّ[٤] الخليفَة سِرُّ الله ظاهرةٌ ... آياتُه وهو عنـــد الله معلوم

فسلّموا واخلعوا الآراء واتبعوا ... حكم الإمام فما فى الدين تحكيم

الشرق والغرب من عُرب ومن عَجَم ... فى كفه عُودهم بالقبض[٥] معجوم

والبحر والبر من سهل ومن جَبَل ... جميعُها بزِمام الرأىِ مخطوم

ومنها أيضا .

وكل جَـدٍّ مُفادٍ من عَلائك مِنْ ... نَسيمِه نفَسُ العلياء مشموم[٦]

المسلمين أمـــيرُ المؤمنين حِمًى ... يُحِلُّه من صروف الدهر تحريم

الدهرُ فى أنفـــه مِن حكمه بُرَةٌ ... بهـا الزمانُ على الأبرار مَخْزوم

العلمُ والدِّين والدنيـا وسا كنها ... فى سلك رأيك يا وُسْطاه منظوم

جزاء سعيك عنـــد الله مُدَّخَر ... هـذا كتابك فى الأبرار مرقوم

عطفا على حُسْن أمداحى وإن عجزَتْ ... إنّ الجمالَ على العِلّات مرحوم

---

(١) فى ط : « آراؤه قوت آراء العقول بها » .

(٢) فى ط : « تنشيم » وفى م : « تقسيم » ولعلهما محرفتان عما أثبتناه .

(٣) فى ط : « سماعا » . (٤) كذا فى ط : وفى م : « إذ » .

(٥) فى ط : « بالفيض » .

(٦) كذا فى ط . ورواية هذا البيت فى م :

وكل مجد مفاد من علا ملك ... من حية نفس العلياء مسموم

ما علّقوا لو رأوا هــذا قفا وألا ... هْيَ ولو جاءهم حُجْر وكُلثوم (١)

إذًا لقـــال لراويه عُليقمةٌ : ... «هل ماعلمت وما اسْتُودعتَ مكتوم» ؟

يا سامعين أماديح الإمام ألا ... فاجثوا على الركب الإعظام أو قوموا

خذ كأسَ لفظى دهاقًا من مدائحه ... فيها الحقائق لا لغوٌ ولا تأثيم

ندعو له بَدَلًا من مدحــه لقصور ... المدح عنــه وفيه العُذْر معلوم

عزّ (٢) الإمامُ فلا تضرب به مثلا ... من ذا يُقاسُ به والمِثْلُ معــدوم [٤٨٣]

أعطى الورى فضل ما أعطاه خالقُه ... عليه من ربّه بُشرَى وتسليم

صل بالصّلاة عليه صدق مِدْحته ... ذاك الرحيق بهــذا المسك مختوم

وحُكِى أنه لما قال :

«يا سامعين أماديح الإمام ألا ... فاجثوا . . . » البيت

هو وأبو العباس الجراوى

قام جميع من فى المجلس وكان فيهم الشاعر المفلق أبو العباس الجَرَاوِىّ ، فاحتاج إلى مشايعتهم لذلك ، وثقل عليه لضخامته ، فجعل وهو يحاول القيام يسب القاضى أبا حفص عُمر ، ويشير إلى أنه انتصف منه .

وحُكى أيضا أنه لما أنشد القاضى أبو حفص هذه القصيدة ، قال فيه الجَرَاوِىّ المذكور ، وكان شديد الحسد له والإذاية لِعَسْفِه ، وكان له تقدم فى تلك الدولة :

نَبَغَتْ عَمرةُ بنتُ ابنِ عُمَرْ ... هـــذه فلتعجبوا أُمُّ العِــبَرْ

قل لها عـــنِّى إذا لاقيتَها ... قولةً تترك فى الصـــخر أثر

---

(١) رواية هذا البيت فى ط :

« ما علقوا لو رأى هذا قفا ... ... ولو جادهم حجر وكلثوم »

وفى م :

« ما علقوا لو رأوا ... هى ... ... »

وقد أصلحناه على النحو الذى أثبتناه ، ولعله أقرب إلى ما يريد الشاعر .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « عن » وهو تحريف .

هبكَ كالخنساء في أشعارها | أو كليلى هل تجارين الذكر

فقال أبو حفص حينئذ :

نهانيَ حلمي فلا أظلِمُ | وعزّ مكاني فلا أظلَمُ
ولا بدّ من حاسد قلبه | بنور مآثرنا مظلِمُ
رحمتُ حسودي على أنه | يقاسي العذاب وما يُرحَم
بغانا الحسود ولسنا كما | يقول ولكن كما يَعلَمُ

الجراوي يهجو بني غفجوم

وكان أبو العباس الجَرَاوي المذكور هجّاء حاضرَ البادرة ، سريعَ الجواب . ومن أغرب ما صدر عنه في ذلك أنه هجا قبيلة بني غَفجوم[1] ، استطرادا بهجو أهل فاسَ وقاضيهم ابن الملجوم ، الكبير البيت ، الشهير الأصالة ، فقال :

ياابنَ السبيل إذا نزلت بتادلا[2] | لا تنزلنّ على بني غَفجُوم
أرض أغارَ بها العدوّ فلن ترى | إلا مجاوبةَ الصَّدَى للبوم
قومٌ طوَوْا ذكرَ السماحة بينهمْ | لكنّهمْ نشروا لواء اللُّوم
لايملكون إذا استُبيح حريمهم[3] | إلا الصياحَ بدعوة المظلوم
لا حظّ في أموالهم ونوالهم | للسائل العافي ولا المحروم
يا ليتني من غيرهم ولَوَ انني | من أرض فاسٍ من بني الملجوم

[٤٨٤]

من شعر القاضي أبي حفص يمدح أمير الموحدين

ومن نظم القاضي أبي حفص المذكور ، من مطلع قصيدة يمدح أبا يعقوب بن عبد المؤمن ، ويهنئه ببَيْعته الثانية :

ألا هكذا تُبنَى العُلا والمآثر | وتسمو إلى الأمر الكبير الأكابرُ

---

(١) في ط : « بني مقحوم » هنا وفيما سيأتي . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) كذا في ط . بريد : تادلة (بفتح الدال واللام) وهي من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس . (انظر معجم البلدان لياقوت) . وفي م : « ... إذا مررت منازلا » .
(٣) في ط : « ... إذا استباح خديمهم » .

نَوْمٌ لبيعات الرِّضا مطلعَ الهدَى وحيث الهدايا تعتلى والأوامر[(1)]

ومن غزلياته قوله :

وله فى الغزل

همُ نظروا لواحظَها فهاموا وتشربُ عقلَ شاربها المُدامُ

يخاف الناس مُقلتَها سواها أيُذعَر قلبَ حامله الحُسام

سما طرفى إليها وهو باكٍ وتحت الشمس يَنْسكب الغمام

وأذكر قدّها فأنوح شوقا على الأغصان تَنْتدب الحَمام

وأعقب بَيْنُها فى الصدر غمّا إذا اغتربتْ ذُكاه أتى الظلام

وقوله أيضا رحمه الله :

مها القفر لا دُميةُ المَرْمَرِ وفى العُرْب لا فى بنى الأصفرِ

بنفسى بعافيرُ تلك الخيام ومَسرَحُها فى النقا الأعفرِ

ملاعب يصبو إليها الحكيم ويُسْلَب فيها فؤادُ الجرى

وفيها الظباء بنات الأسود غيارَى متى نَغِمت تَزْأَرِ

نخِيسُ الهِزَبْر كِناسُ الغزال به الشِّبل ناش مع الجُؤْذَرِ

تخالسُها نظرا تحته غرام به الحىُّ لم يَشْعُرِ

وبالحظ يُقدَح زَنْدُ الهوى فطرفٌ غزِ وفؤادٌ يَرِى

وكفَّرها بقوله :

بقلبك يا غافلا فانظر وعَيْنَيك غمِّضْهما تُبْصرِ

إذا أُرسِل الطرفُ هام الفؤاد وبعض المرائى عَمَى المبصرِ

وآفة قلب الفتى عينُه فإن تَرْعَ قلبَك لا تنظر

ومن قوله :

أغارَ على الصَّبِّ من أنبَهُ هو الحبُّ مَنْ يُطفِه الهَبَهْ

[٤٨٥]

---

(1) كذا ورد هذا الشطر فى الأصلين .

نأى القلبُ عنى وشوقى معى ... فللّه أمرىَ ما أعجبَه !
يَحِنُّ فؤادى إلى قاتلى ... كذاكَ الهوى عند من جرّبه
تَرِقُّ شمائلُ من ذاقـه ... وتَلْطُفُ شَمْأَلُ مَنْ هـذّبه
يجود لمُسْخِطه بالرضـا ... ويطلبُ راحـةَ من أتعبه
إذا شفَّ قلبى غرامُ الهوى ... دعا بالنعيم لمن عـذّبه

لابن شكيل فى مدح القاضى أبى حفص

وكان القاضى أبو حفص هذا كريما مُمَدَّحا، وممن أجاد فيه الشيخُ الأديب الفقيه أبو العباس أحمد بن أبى الحَكَم يعيش بن على بن شَكيل الصَّدَفى، من أهل شَرِيش، المتوفى سنة خمس وست مئة، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، وأمداحه فيه كثيرة، قدّم قبلها كلاما نصُّه:

فيـه استفرغتُ مَجْهُودى، وإليه جليْتُ عُدَّتى وعديدى، لأنه كان آدبَ أهل زمانه غيرَ مُدَافَع، وأولاهم بالفضل غيرَ منازَع، لتحلّيه بالتواضع فى الجلالة، والبشاشة فى الجزالة؛ ووردتُ عليه غلاما، أحسب زَنْدى سُخاما[1] وحَـدّى كَهاما، فتلقّى تَزَرِّى بالاستكثار، ونسب بحرى إلى الاستبحار[2]، وأولى — نضَّر اللهُ وجهه — من البرّ جانبى، والاستطراف لمذاهبى، والثناء علىَّ فى أنديته الآهلة، ومجالسه الحافلة، ما شهدتُ له بالتبريز، وخلص معه فكرى من تخوف النَّقَدَة الحسَدة خلوص الإبريز، فقدحت فيه زَنْدفكرى فوَرَى، وفجّرت فيه ينبوع شعرى فجَرَى، وأطلت فيه إطالة المُفْتَنّ المُغرِب، وجعلتُ أمداحَهُ نُقْلةَ المشرق والمغرب، ومع[3] ذلك لم أنهض إلى عزه أعزه الله حيا وهابطا إلى خُطّة القضاء، فأنى مع[3] سن الشبيبة إلى رتبة مشيخة العلماء، فراسة منه وتوسّما، واستروحا

(١) كذا فى م. والسخام: الريش اللين تحت ريش الطير. وفى ط: «سجاما».
(٢) كذا فى ط. وفى م: «ونسب غدى إلى الاسحار». وهو تحريف.
(٣—٣) فى الأصلين تحريف ظاهر فى هذه العبارة، ولم نوفق إلى تصويبه.

للنجابة وتوهمًا ، إلا أن البلد التى استعمل[1] فيها كانت خشنة المَبارك ، فكنت أتقلّى فيها على جمر الغَضى ، وأخاطبه بما لو أُلقِى على الحجر لانفجر ، وكانت الأناة غالبة على طباعه ، وجائلة على نظره وسماعه ، وكان مع ذلك مكدودا بالشفاعات ، ومضيَّقا عليه فى الجهاد والطاعات ، فخلصت عن عاتقى نجاد تلك الخُطَّة ، ودار فَلَكُ أمرى على غير تلك النُّقطة ، وهو — عفا الله عنه — يقابل تعوُّقى[2] بالانبساط ، وفترتى بتجديد الإنشاط ، انبساطا للأَمْكنة والأزمنة ، فقطع عليه غرضَه تأخُّره عن الخُطَّة ، فما قطعت عنه امتداحا ، ولا نسيت أيامه حنينًا وارتياحا . ثم أُعيد إلى الولاية ، فعدت إليه ، وقد أنى الهرم والسُّقم عليه ، فعاقت منيته عن بلوغ الآمال ، وسَلَبَتْنيه علقًا نفيسا لمَا تَخْلُقُهُ الأيام والليال[3] :

يامن لصبح الشيب كيف تنفسّا	فى لِمَّتى فأجابه ليـــل الأَسَى
لا تَحْسَبَنَّ سواد شَعْرِىَ نِعـمة	لـكن كسته همومُ قلبى حنْـدسا
إلا يكن شاب العذار ولا انحنى	ظهرى فقد شاب الفؤاد وقوّسا
إنى لأُغْضِى مُقْلَتى عن لائمى[4]	وأرى ابتسامِىَ من ضميرى عَبّسا
ويلين قلبى للخليـــل مَودَّة	فإذا أحس هضيمة يوما قَسَـا
وأجيل لحظى فى الدُّنَى شغفًا بها	وأُجِلُّ شوقى عن لَعَلَّ وعن عسى
مالى أرى الهالات عدْنَ هوادجا	ولهذه الأضلاع صارت مَكْنِسا
طُوِيَتْ على بيضِ الدُّمَى فتكانستْ	فيها ظباءُ يَرتعِينَ الأَنْفُسا
فهى الدَّرارِىُّ فى الهواجر خُنَّسًا	وهى الجوارى فى الهوادج كُنَّسا
يَطْرُقْنَ أمواهَ الفـلاة تعرُّبًا	ويَرِدْنَ نيرانَ الضلوع تَمَجُّسا

(١) فى العبارة غموض وتحريف كثير . (٢) التعوق : التثبط عن الأمور .
(٣) زادت ط بعد هذا : « فقال » ولعله يريد : « فقلت » .
(٤) كذا فى م . وفى ط : « العدى » .

فيهن جائلة الوشاح تنفّستْ ... فزَهَا النسيمَ أريجُها فتنفّسا
زارت كما زار الخيـــالُ تَسَتُّرا ... وعطت كما يعطو الغزال تَوَجُّسا
حَذِرتْ من الرُّقَباء[1] حَوْلَ طِرافها ... فأتت تجر على التراب السُّندسا
مَلَّت بطارِق الرجال وشاقها ... صُعْلوكُ حَيٍّ ليس يُبْقى مُنْفِسا

[٤٨٧]

زعمتْ فتاةُ الحيِّ أنِّيَ مُملِقٌ ... أرأيتِ إملاقَ الجـدَى مُزْكسا
باتت تُهيِّجها وساوسُ حَلْيِهـــا ... حتى إذا الصبحُ المنيـرُ تنفّسا
بَكَرَتْ تلومُكَ فى النَّدَى كِنْدِيَّةٌ ... صَدَ فيّة تُنمى السَّكُونَ وأشْرسا
يابنتَ عَمِّىَ هلْ سمعتِ بماجـدٍ ... يَبْسُكين أُوتى الذمّ أطْعمَ أو كسا
لا تحسبى أكلَ المُرارِ عميدُنا ... غَرَثًا ولكن عِزةً وتَغَطْرُسا
أَذَهلتِ عن عُقْبَى النَّدَى إنَّ النَّدى ... لَيردُّ وَحْشِيَّ المُـــنَى مُتأنِّسا
عَقَرَ المطيةَ للعـذارَى ربُّها ... فأبيحَ ثغرًا من عُنَيْزَةَ أوْمَسَا[2]
لم ينس[3] ميتًا بالـكُلاب وربما ... قد ضاق ذَرْعا أنْ يَفوهَ فيُلْبسا
ونسيتِ بِحُجْرٍ يَوْمَ هَيَّج بالعصا ... أسَـدًا ومن هاج الأسود تفرّسا
هبطت كواهلُ ماله من كاهلٍ ... أبدا أصابت منـه يوما أنحسا
فلئن أُبيرتْ مالكٌ أو كاهلٌ ... فلقد أبارتْ منـه قرْما أحمسا
قد كان مُلْكٌ فى كنودك والنَّدَى ... فى ظبيــــــة فتفرّدًا وتقَسَّمَا
كملوك جَيْش[4] كما وطِئوا الثرى ... وأظن[5] أنْ لهـا الثّرى والأشمسـا
ولِطَوْدِها السُّلَمِيِّ قاضيها الرِّضـا ... كرمٌ وجود يُنطِقان الأخرسا

(١) فى الأصلين : « الوهناء » ، ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) يقال أومس لمن يريده : إذا لان وسهل . وفى ط : « ألمسا » . وفى م « أونسا » والروايتان محرفتان عما أثبتناه . (٣) فى ط : « لم يمس » .
(٤) كذا فى ط . وفى م : « قيس » .
(٥) كذا فى م وفى ط بياض موضع : « وأظن » . وفى هذا البيت والذى قبله غموض .

شَهِدَتْ له أصحابُه وعِـداته ... حتى الغمامُ إذا هَمَى وتبجَّسا
قَسَمًا لَأَنْدَى بالندى واعتاده[١] ... فينا فسار مع الركاب وعَرَّسَا
وكسا الورى العدلَ المبين[٢] وقبلَه ... سُلِبُوا بجَوْر وُلاتهم تلك الـكُسَا
وأعَدَّ أقْدَارَ الأمور بحَزْمِه[٣] ... ورمى به غرض الخطوب فقرْطسا
وأتته[٤] للبيتِ الرَّفيع عمادُه ... عَمَدٌ له مجـدا وعزًّا أقْعَسَا
قالوا بنُو ثُعَل : نَفِسْتَ مَكارِمًا ... تُعْزَى لحاتمها، فقلتُ : وما عَسَى ؟
جيئوا بواحـدةٍ لحاتِمِ طَيِّء ... من هـذهِ وعَلَىَّ ألَّا أنْفَسَا
أو سائلونِى فى الأنام سِوى أبى ... حَفْصٍ فهل تجدون عنـه مَعْدِسا[٥]
أو فاحملوا بعض الذى هو حامل ... لِيُرِدَّكم منـه يَلَمْلَمُ قد رسا
الناس أشباهٌ ولكنْ بينهم ... فى الفضل ما بين الذُّؤابة والنَّسا
أحسِبتمُ كل امرئٍ غَمْرَ النَّدى ... ما كلُّ بيتٍ بالشآمِ المقدِسا
يا خجلةَ القمرِ المنير وقد رأى ... عُمَرا بأنواع الجلالة مُلْبَسا
لو يستطيعُ لجاء مقتبسا لها ... من أُفْقِه وإذا لصادف مَقْبِسا
خاب امرؤ يرجو نداهُ غضاضةً ... إلا الـكفورُ فإنه قد أبلسا
طيبتُ أفواهَ الرُّواةِ بمَدْحِهِ ... فـكأنَّ عَطّارًا يُضَمِّخ مُعْرِسَا
وعَلوتُ قدر الناطقين بشكره ... ولئن تمادَى فى نداهُ لأخْرَسَا
يا واحد العُرْب،[٦] الذى لو صُوِّرت ... طِرْفا عتيقًا كان منه القَوْنسا
إنِّى دَعوتُك للأمانى الغُرِّ فى ... ظُلَمِ الزَّمان السَّوْءِ أحْكِى يُونُسا

---

(١) فى م : « قسم الأيدى » ولعله محرف عما أثبتناه . وليس فى ط من هـذا الشطر غير كلمة « قسما » . (٢) كذا فى ط . وفى م : « المتين » .
(٣) هذا الشطر فى الأصلين : « وأعد أقران الأمور بخدمة » . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٤) فى م « وأنه » ... البيت . ولعله محرف عما أثبتناه . وصدر البيت ساقط فى ط .
(٥) يريد : مذهبا . وفى ط : «هدسا» . وهو تحريف . (٦) فى م : «الغرب» .

إن يلتقم نونُ[١] الحوادث مَطلَبي ... فامدُد له يَقطينَ جُودك مَلبَسا
أنت الرّواء[٢] إذا تعذّر مَورِدٌ ... والماء إن كَدُر الرجاء فأَيأَسا[٣]
والعجز أن يُرجَى سواكَ وإنما ... أخشَى نبَاتَ الرّوضة المتخلّسا[٤]
فلأنتَ أنفسُ عُقدةٍ مذخورةٍ ... لِمَ لا أصون عن ابتذالي الأنفُسا

انتهى .

قال صاحبُ الإشادة العزَفيّ المذكور :

تناء العلماء على القاضي أبي حفص

القاضي أبو حفص من مَفاخر المغرب ، لم يذكره أحد ممن لَقِيَهُ[٥] وتعرَّض لذكره ، إلا أطنب في الثناء عليه ، ووصفه بالعلم والفضل ، والعدل في القضاء ، مع براعة النظم ، والنثر ؛ ويكفي من ذلك ثناء المحدِّث أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن التُّجيبي ، نزيل تِلِمْسان عليه ، وقد ذكره في شيوخه فقال : ونقلته من خط الشيخ الفقيه الأجلّ ، الكاتب المُجيد ، الحسيب الأديب ، الأرفع الأكمل ، القاضي المُسَدَّد ، الموفّق الأعدل ، أبي حفص . ثم قال : لقيته بتلمسان حرسها الله ، قَدِمَها علينا قاضيا ، فشَمِل أهل البلد كلهم أجمعين بفضله[٦] وأدبه وعدله ، وإجلاله وإكباره وحسن خُلُقه ، لا سيّما من طائفة الطَّلَب ، وأهل الأدب والحسب ، فجزاهُ الله عن نفسه وعنهم أفضل الجزاء ، فلا يَعْرِف الفضلَ إلا فاضل ، ولا يُكرِم الناس إلا كريم ، وكلٌّ يميل إلى جنسه ، وما هو من طبعه ، كما قال بعض الأدباء ، وأجاد في مقالته ، وأحسنَ

(١) في م : « حوت » .
(٢) في ط بياض في موضع هذه الكلمة . والرواء : الماء الكثير .
(٣) في ط بياض في موضع هذا الشطر .
(٤) في القاموس : أخلس النبات إذا اختلط رطبه بيابسه . نقول : لعله أراد تشبيه أولاده بنبات جف بعضه وبعضه لا يزال غضا .
(٥) في م : « لقيته » . (٦) في م : « فضله » .

القول : « ما عبَّر الإنسانُ عن فضله ، بمثل ميله إلى أهله » .

وذلك منظوم في قول الشاعر :

[٤٨٩]

وما عبّر الإنسانُ عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
وإن أخسَّ النَّقص أن ينفيَ الفتى قَذَى النقص عنه بانتقاص الأفاضل

وامتثل رضي الله عنه قول الآخر: «اصْحَبوا الناس صحبةً إن عشتم [معها][1] حَنّوا عليكم ، وإن مُتّم بكَوا عليكم » . واستعمل ما قاله الشاعر[2] في كلمته ، ونظَمه في قافيتــه :

وإنما المرء حديثٌ بعـدَهُ فـكن حديثا حسنا لمن وَعَى

فَعَمَل والله ذلك أيام كونه بتلمسان ، واستعمله بطبعه وطبيعته ، وخَلْقه وخليقته ، إلى أن نقله الخليفة إلى قضاء فاس ، فلا تسأل عما أصاب الناس والإخوان من فقده ، وفقد أدبه وعلمه ، فَذِكْرُه الطيّب ، والثناء الجميل ، باقيان عليه إلى الآنَ بتلمسان ، وهو مستقرٌّ في غيرها من الأوطان .

وكان أبو حفص رحمه الله حسن الخَلْق والخُلُق ، مليح الخط ، فصيح الخطابة والكتابة ، وكنتُ إذا رأيته تمثَّلتُ عند رؤيته والنظر إليه ، بما أنشدَنا شيخنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفيُّ الأصبهانيُّ ، رضي الله عنه ، في مدح هادي بن إسماعيل:

لهادي بن إسماعيلَ خَلّاتٌ أربعٌ بهِنَّ غـدا مستوجبا للإمامة
خِطابُ ابن عبَّادٍ ، وخطُّ ابن مقلة وخَلْقُ ابن يعقوب، وخُلْقُ ابن مامة[3]

(١) زيادة تحتاج إليها الجملة الوصفية ، ولعلها سقطت من قلم الناسخ .
(٢) البيت من مقصورة أبي بكر بن دريد . (٣) ابن عباد هو الصاحب إسماعيل ابن عباد وزير آل بويه ، كان من رءوس البلاغة في عصره . وابن مقلة من أشهر وزراء الدولة العباسية ، ويضرب المثل بخطه في الحسن . وابن يعقوب : سيدنا يوسف عليه السلام ، وهو مثل في جمال الصورة ، وكعب بن مامة : أحد أجواد العرب.

وأنشدته رضى الله عنه البيتين ، فاستحسنهما وشكر لى ذلك ، وكان لى من برّه وتأنيسه وبشره حظ جزيل ، وقسْم كبير ، ورغب إلىّ أن أكتب له بخطى بعض ما عندى من أخبار الصالحين ، وأئمة المتقين ، وأولياء الله المطيعين ، فكتبت له من الأحاديث الوعظية العلمية ، والأشعار الحِكَمية ، ما أمكننى ، فسُرّ بذلك ، وشكر عليه ؛ ولما أتى مدينة فاس ، صار يُرى ذلك أوداءه وأحبابه ، ويشكر عليه ، ويُثْنى خيرا ، بارك الله تعالى فيه . ثم قدّر الله تعالى بوصولى بعد انفصاله عن مدينة فاس ، وتوليته قضاء أغمات ، إلى حضرة مَرّاكُش ، حرسها الله تعالى ، وكان بالحضرة المذكورة ، فسمع بذلك ، وكنت نزلت بفُندق من [٤٩٠] فنادقها ، يقال له فُندق السّكر ، فوصل إليه ، واجتمع بى ، فدعوت له وشكرت ، ثم أولانى من برّه وتأنيسه ما عهدتُ قبلُ منه ، وزاد عليه ، ورغب فى الوصول إليه إلى أغمات ، فوصلت إليه بعد ذلك ، فرحّب وسَهّل وأنْزَل ، وأثنى على عند الأصحاب والإخوان خيرا ، وقال ما يصدر عن مثله ، فالعنصر الطيّب لا يَخرج منه إلا طيب ، وكنت معه فى داره فى خصب وسَعة ، وطَلاقة وجه ، وحسن خُلُق ، وطيب حديث ، وكريم مُشاهدة ومناشدة ، لنفسه ولغيره .

انتهى ما قصدت جلْبه من كلام صاحب الإشادة ، المنقول عن التّجيبىّ نزيل تلمسان ، رحم الله الجميع .

من نظم القاضى أبى حفص

ولنجعل آخر نظم القاضى أبى حفص رحمه الله قولَه :

العلم يكسو الحُلَل الفاخرهْ ... والعلم يُحيى الأعظُمَ الناخرهْ
كم ذَنَبٍ أصبح رأسًا به ... ومذنَبٍ أبْحُرُه زاخرهْ(١)

---

(١) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى ط ء م : « ومذنب أجعره آخره » . وهو تحريف .

ما شَرَفُ النِّسبة إلا التُّقَى أين تهيم الأنفسُ الفاخرهْ
مَن يطلب العزّ بغير التُّقَى ترجعْ عنه نفسه داخره[1]
أعْرِضْ عن الدنيا تكن سيِّدا بل مَلِكا فيها وفى الآخره

بيت العزفيين أصحاب سبتة

وبيت العَزَفيّين[2]، الذين منهم صاحب الإشادة بسَبتة — أعادها الله[3] — مشهور، وكانت لهم الرياسة بها مدة، ثم أعقب الدهرُ جدَّتها بالبِلَى، ثم كل شىء فانٍ، ولا يبقى إلا الواحد الذى ليس معه فى ملكه ثان.

أبو القاسم العزفى

وأبو القاسم منهم هو الذى تأمَّر وراَس سَبتة. وهو أبو القاسم محمد بن القاضى المحدث أبى العباس أحمد بن محمد بن الحسين، بن الفقيه الإمام علىّ (العاصر لابن أبى زيد)، بن محمد بن سُليمان بن محمد، الشهير بابن أبى عَزَفَة اللَّخمى. ينتهى نسبهم إلى قابُوسَ بن النُّعمان بن المنذر. وكان قيامه بسَبتة ليلة سبع وعشرين من رمضان، من عام سبعة وأربعين وست مئة، فى دولة المرتَضَى الخليفة بمَرّاكُش، وقَتَل والىَ سَبتة أبا عثمان بن خالد تلك الليلة، وملك طنجة، ودخل أصيلا[4]، وهدم سورها، وتُوُفِّى بسبتة يوم الخميس الثالثَ عشر من ذى الحجة من عام سبعة وسبعين وست مئة وله سبعون سنة. وكانت دولته ثلاثين سنة وشهرين وستة عشر يوما، من شَهْدَة[5] بين كتفيه، مرض بها واحدا وعشرين يوما، وكان مولده بسبتة فى منتصف شوال عام سبعة وست مئة.

---

(١) كذا فى م. وفى ط وجذوة الاقتباس: «داحرة».

(٢) ضبطنا لفظ «العزفى» فى الجزء الأول بسكون الزاى، والصواب بفتحها، فليصحح.

(٣) يدعو المؤلف لمدينة سبتة أن تعود إلى يد المسلمين، لأنها كانت قد سقطت فى يد الأسبان عند تأليفه هذا الكتاب.

(٤) مدينة بالمغرب قربَ طنجة، ويقال فيها أيضا: أزيلا. وليس بعد الهمزة ألف (انظر تاج العروس فى مادة أصل).

(٥) الشهدة بلسان المغاربة: دمل كبير، ولعله ما يسمى الآن فى مصر بجمرة السكر.

بعض تآليف أبى القاسم العزفى

وهو الذى أ كمل « الدر المنظّم ، فى مولد النبى المعظّم » ، من تأليف أبيه أبى العباس رحمه الله .

ورأيت على نسخة كُتبت فى حياته أولَ الكتاب المذكور ما نصّه :

قال سالك سَنَن السُّنة ، القائم من أعمال البرّ بما يضيق عنه وُسْع المُنّة ، المعتصم بحبل الله القوىّ المتين ، المعتمد على لطفه الشامل وفضله العميم المبين ، الشيخ الفقيه الأجلّ ، العلم الأ كمل ، أبو القاسم بن الشيخ الفقيه الإمام ، العارف العالم ، علم العلماء العاملين المُتّقنين[1] ، ونُخبة الفُضلاء الصالحين المتّقين ، أبى العباس أحمد بن الشيخ الفقيه القاضى العالم المحدِّث ، أبى عبد الله اللَّخْمى ، ثم العَزَفىّ ، من أهل سَبْتة حرسها الله ، وأجزل قَسْمه من عفوه ورضاه ، وأنجح عملَه وقولَه وقصدَه ، وجعل فى ذاته وسبيل مرضاته صُدورَه وَوِرْدَه . انتهى .

وفى موضع آخر من هذه النسخة ما نصّه :

السِّفْر الأول من كتاب « الدرّ المنظم ، فى مولد النبى المعظّم ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، وشَرَّفَ وكَرَّم » .

لمّا شرع فى تأليفه ، ومات ولم يكمله الشيخُ الفقيه الصالح ، علم العلماء ، ونُخبة الصالحين الفضلاء ، أبو العباس أحمد ، بن الشيخ الإمام الفقيه ، الصالح القاضى ، العالم المحدث ، المقدَّس المرحوم ، أبى عبد الله اللَّخمىّ ، ثم العَزَفىّ السَّبتى ، رحمه الله ، ورضى عنه ، ونضّر وجهه ، وأجزل ثوابه ، أ كمله بعدَه ، وأوضح فيه قصده ، ابنه الشيخ الفقيه الأفضل ، العلم الأوحد ، السّنىّ السَّنِىّ ، المبارك الأ كمل ، أبو القاسم ، أدام الله عافيته ووَفّقه ، وشرح صدره ، وختم بالكتاب والسنة ديوان عمله الصالح وعمره ، يذكر فيه بعض ما خصّ الله تعالى به نبيّه صلى الله عليه وسـ [٤٩٢]

(١) فى ط : « المتدين » .

وفَضْله على كل من تأخر من خلقه أو تقدّم ، وما امتنّ به عليه وعلى أمته ، فى أن جعله أفضلَ الأنبياء ، وجعلهم أفضل الأمم ، من بين وَلَد آدم ، ليتخذوا مولده الكريم موسما ، يتركون[1] به ما كانوا يقيمونه من أعياد النصارى وعوائدهم ، التى يجب لمغانيها أن تُعَطَّل ، ولمبانيها أن تُهَدَّم . انتهى .

وكان الرئيس أبو القاسم المذكور كتب خطه بالإجازة فى هـذا الكتاب للخطيب أبى على ، بن الخطيب أبى فارس بن غالب الجُمَحىّ ، مع جماعة من أهل سَبْتة وأعيانها ، حين قرءوه عليه بالجامع الأعظم من سَبْتة ، فى شهر ربيع الثانى ، من عام سبعة وخمسين وست مئة ، قائلا :

أجزت له بحقّ روايتى لما فيه عن أبى ، ومشاركتى له فى تأليفه ، على حكم الإجازة وشرطها ، وصحة الرواية ، عاشرَ الربيع المذكور . انتهى ، وبعضه بالمعنى .

نسبة العزفيين إلى لخم

ونسبتهم إلى لَخْم لا مَدفع فيها عند الثِّقات ، وبذلك وصفهم الأكابر ، غير أن ابن الخطيب فى الإحاطة ، نقل عن « الكتاب المؤتمن ، فى أنباء أبناء الزمن » ما نصّه : وتزعم بعض أهل سَبْتة أن أصلهم من مجكسة من البربر ، فيقولون : ما للخم ومجكسة ؟ وهذا موكول إلى قائله ، إذ لا نعلم حقيقة الأمر فيه .

نعم ، الإنصاف فى المسألة أن كل من عُرِف بالأصالة فى المغرب الأقصى ، ولم يُعلم لآبائه قدوم من المَشْرق ، حيث جرائيم العرب ، ولا قدوم من الأندلس ، حيث أبناء العرب ، وانتسب مع ذلك إلى قبيلة[2] ، فلا بد له من الاستظهار على ذلك ، وإلا كان ما أتى به مَظِنَّة لأحد أمرين : إما لكون سَلَفه من الموالى ، فانتسبوا إلى ساداتهم ، إذ يجوز لمن كان مَوْلَى عَرَبىّ أن ينتسب إلى قبيلة سيّده ؛ وإما للكذب . وهذا أعدل ما يقال . انتهى . [٤٩٣]

(١) فى ط : « يتبركون » . (٢) فى الأصلين : « قبيلة العرب » ، ونظن أن كلمة العرب هنا زيادة من الناسخ ، أو أن الأصل « قبيلة من العرب » .

ونقله فى الإحاطة فى ترجمة الفقيه المشارك فى الطلب والأدب ، أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبى عَزَفَة اللَّخمى[١] . وإلى الله تُرجَع الأمور .

بعض فضائله وشعره

وكان الرئيس الفقيه أبو القاسم العَزَفِىّ المذكور فقيها أصوليا ، نحويا ، لغويا ، محدّثا ، عارفا بالرواية ، شاعرا ، مجيدا .

فمن نظمه فى آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم :

ذُرِّيَّةَ المصطفَى إِنِّى أُحبكمُ وحبكمْ واجب فى الدين مُفترَضُ

فليس يُبغضكم ، لا كانَ باغضُكم ، إلا امرؤ مارق فى قلبه مرض

وحسبكم شرفًا فى الدهر أنكمُ خيرُ البريّة هـذا ليس يُعترَض

ولَسْتُ[٢] أطلب من حبى لكم ثمنا إلا الشفاعة فهى السؤل والغرض

أبناه : أبو حاتم، وأبو طالب فى سبتة

ولما تُوفِّى رحمه الله تعالى قام بعده بالأمر ابنه أبو حاتم أحمد ، ثم خُلِع وتولى أخوه أبو طالب عبد الله ، فى سنة ثمان وسبعين وست مئة ، وخُلِع ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة خمس وسبع مئة ؛ فكانت دولته سبعًا وعشرين سنة ، وتوفّى بفاس مخلوعا عام ثلاثة عشر وسبع مئة ، وله خمس وسبعون سنة . والذى خلعه الأمير فرَج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر[٣] ، دخل عليه سبتة عَنوة فى الليلة المذكورة ، وقبض عليه .

يحيى بن أبى طالب

ثم تولاها الأمير يحيى بن الأمير أبى طالب ابن أبى القاسم ، ويكنى أبا عمرو ، وبويع بسبتة عام عشرة وسبع مئة ، وخُلِع فى سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكانت دولته الأولى هذه سنة وستة أشهر . وبويع ثانيا بسبتة فى سنة أربع

---

(١) بحثنا عن هـذه الترجمة فى جزأى الإحاطة المطبوعين بمصر سنه ١٣١٩ فلم نجد بهما ترجمة لأبى إسحاق إبراهيم العزفى .

(٢) فى الأصلين : « وليس » .

(٣) فى ط : « أحمد » وهو تحريف (انظر الاستقصا للسلاوى ص ٥٤ ج ٢) .

عشرة وسبع مئة، وتُوُفِّيَ بها فى ظهر يوم السبت السادس لشعبان سنة تسع عشرة وسبع مئة، وكانت ولادته بها فى رمضان سنة سبع وسبعين وست مئة. وكان فقيها فاضلا، جميل الوجه، شجاعا، بطلا، عارفا بالأصول، والفقه، والمنطق، والعربية، واللغة، والحديث؛ وقيل إنه أول من ركب بالرمح والسيف من بنى العَزَفىّ، وجنّد الجنود. [٤٩٤]

محمد بن يحيى العزفى

ثم ولى بعده ابنه أبو القاسم محمد بن يحيى، وبويع بعد أبيه فى شعبان، من عام تسعة عشر وسبع مئة، وخُلع فى صفر سنة عشرين وسبع مئة، فكانت دولته ستة أشهر. وتُوُفِّىَ بفاس وهو كاتب الحضرة المرينية، ليلة السبت حادىَ عشرَ صفر، عام ثمانية وستين وسبع مئة، وله ثمان وستون سنة. وولد بسبتة فى شوال، عام تسعة وتسعين وست مئة. وكان فقيها شاعرا مكثرا، مليح الفكاهات، وشّاحا، وقد بَرَّز أهل زمانه فى الموشّحات؛ وقد حُكى عنه أنه أراق الدواة فى محفل جليل، فقال بديهة:

ألا يا كرام الناس غُضُّوا جفونكم فإنى من الفعل القبيح مُريبُ
هَرَقْتُ دَوَاةً وهى كالكأس بينكم وللأرض من كأس الكرام نصيبُ

وكان مُولَعا فى نظمه بالتورية.

وعزم السلطان أبو عنان لما أخذ قُسْطَنْطِينَةَ على استعماله بها، فبكى لبعد الشُّقة عن ولده و بلده، فتركه. وهو آخر المذكورين من هذا البيت. رحم الله الجميع.

صاحب الإشادة من بنى العزفى

وصاحب الإشادة المتقدم الذكر، هو عم أبى القاسم محمد بن يحيى هذا، لأن صاحب الإشادة كما أسلفنا، هو عبدالرحمن بن أبى طالب عبدالله بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد، وهذا محمد بن يحيى بن أبى طالب عبد الله بن محمد بن أحمد.

تعريف الإشادة بابن خبازة الشاعر

وقد عرّف فى إشادته بابن خَبّازة، ورأيت أن أذكر بعض ذلك، فنقول:

هو أبو عمرو ميمون بن على بن عبد الخالق الخطّابى ، نسبة إلى قبيل من صنهاجة ، الذى بقطر فاس ، ويعرف بابن خبّازة ، نسبة إلى خاله الشاعر المشهور بابن خبّازة . عرّف به أبو عبد الملك المرّاكشى فقال : كان بارع الخط ، وكان من أكبر أعاجيب الدهر فى سرعة البديهة ، ناظما أو ناثرا ، مع الإجادة التى لا تجارى ، والتفنن فى أساليب الكلام [1] مُعْرِبه وهزله [1] ، على اختلاف اللغات . تطوّر [2] كثيرا وتصوف ، ونَسَك ووعظ ، وكان فى آخر عمره جانحا إلى امتداح ملوك عصره ، فكان يأتى فى ذلك بما لم يُسمع بمثله ، ولا يُطمع فى لحاقه ، بسرعة ارتجال ، وحسن افتنان ، وسُرْعة امتثال ، وله فى ذلك [3] أخبار غريبة عربقة . وولى بأَخَرة حِسْبة [4] الطّعام بمراكُش .

[٤٩٥]

وذكره أبو عبد الله بن الأبّار [5] فى التُّحفة ، فيمن لم يجد له غير الهجاء ، وظلمه ، كما أثبت أبو بكر بن رفاعة الشّريشى ، وقد شهد فيه فى كتاب التكملة له ، بما يخالف ذلك ، وكناه أبا سعيد ، وذكر أنه لقيه بإشبيليَة ، وسمع منه بعض كلامه فى غير ذلك بمالقه ، وتُوُفِّى برباط الفتح ، فى أول سنة سبع وثلاثين وست مئة .

بعض أشعار ابن خبازة

وأنشد له من قصيدة :

وَجَــدَ النّبوّة حُلّةً مَطويّةً لا يستطيع الخَلْقُ نَسْجَ مثالها
فأسَرَّ حَسْوًا فى ارتغاء يبتغى بمحاله نَسْجًا على منوالها

وذكر أنه قالها بمراكُش . انتهى .

(١ — ١) كذا فى ط . وفى م : « معربة وهزلية » ، وفى جذوة الاقتباس والنبوغ المغربى : « هزله وجده » . (٢) فى الأصلين « تطورا » .

(٣) فى ط : « أمثاله فى ذلك » . وفى م : « أمثال فى ذلك » ولعله محرف عما أثبتناه ، يريد أنه سريع تصور المعانى .

(٤) كذا فى جذوة الاقتباس والنبوغ . وفى م : « مشيخة » ، وفى ط بياض فى هذا الموضع . (٥) كذا فى م ، وفى ط « أبى » ثم بياض بعدها يسع كلمتين .

قال صاحب الإشادة : قال هذه القصيدة [(1)] فى المأمون بن المنصور ، حين تبرأ من إمامهم المهدى [(1)] ، وأبدى مساويه ، وأسقط اسمه من الخُطبة ، وهو المعنىّ بقوله : « وَجدَ النُّبوّة حُلّة مطوية » .

وقد كتبَ عن أبى عَمْرو هذا كثيرا من شعره أبو عمرو بن سالم بن صالح النهروانى المالَقى ، الأديب المقيِّد الضابط ، وتاريخ إجازته إياه سنة أربع وست مئة . ومات ابن سالم قبله بست عشرة سنة .

قصيدته فى رثاء ابن الجد

ومن شعره ، أى أبى عَمْرو المذكور ، يرثى أبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن عبد الملك ، بن الحافظ أبى بكر بن الجدّ ، ويُعزّى أباه عنه ، وهو يومئذ وزير إشبيلية وعظيمها ، وكانت حينئذ حاضرة الأندلس :

أرجّةُ الصَّعْق يوم النفخ فى الصُّور ... أم دكّة الطَّوْد يوم الصَّعْق فى الطُّور
أم هُدّت الأرض إظهارًا لما زَجرت ... به الخليقةَ من إيقاع محذور
أم الكواكبُ فى آفاقها انتثرت ... وبانت الشمس فى طىٍّ وتكوير
ما للنهار تعرّى من ثياب سَنىً ... وأشبهَ الليلَ فى أثواب دَيْجور

[٤٩٦]

قد كان للصُّبح طَرف زانه بَلَق ... فقسم الخلق بين الدَّجْن والنور
فما الدُّلِمُ الذى غشّى بدُهمته ... أديمَه عنبرًا من بعد كافور
أصِخْ لتسمعَ من أنبائها نبأ ... يَطوى من الأنس فيها كلَّ منشور
وانظر فإن بنى عَدْنان ما حُشِروا ... إلا لرُزْء عظيم القدر مشهور
وافى مع العيد لا عادتْ مَضاحته ... فشاب سَلساله الأصفى بتكدير
واعتام دارًا لها فى السبق جمهرة ... من المفاخر أزرتْ بالجماهير

(1 — 1) تكرر ذكر هذه العبارة فى ط هنا وقبل البيتين مباشرة ، فأثبتنا العبارة مرة واحدة كما فى م .

رمى قُريشًا فأصمَى سهمُ حادثهِ ... أبناء فِهْر بتفريق المقاديرِ

نخانها الجَدّ فى ابن الجَدّ حين قضَى ... وأثْر الخطب فيها أىَّ تأثير

لله والمجدِ ما أبقاه من أثَرٍ ... أُخرى الليالى بطيب الذكر مأثور

نُوَّارَةٌ عندما راقتْ بدوحتها ... أهوت إلى الترب من بين النَّواوير

جار الذبولُ عليها بعدما مَلَأَتْ ... مَعاطِس الدّهرِ من طيب وتعطير

وسيفُ بأسٍ لكسر الخطب أغمدَه ... صَرفُ الحوادث فيها بعد تكسير

قضى فوافقَ شهرَ الصوم مرتحلا ... ووافق الشهرَ فى فضل وتطهير

واختاره خاطب الخطب الملمّ به ... للصِّهر كُفْئًا فأمضى العَقد للحور

فسار للحَين مسرورًا وخلَّفنا ... للحُزْن فاعجبْ لمحزون بمسرور

نادته أنجشةَ الأحزانُ يوم حدا ... أظعان قلبىَ رِفقًا بالقوارير

فالوجْد والدمع من حُزْن قد اقتسما ... قلبى وَجَفنى بمنظوم ومنثور

فالقلب بالغيظ فى تصعيد مستعرٍ ... والجفن بالفيض فى تصويب ممطور

وسائق الخطب يشدو الحاملين به ... يسوقهم سوق حادى العِير للعِير

وللملائك فى آفاقها زَجَل ... قد شيّعته بتهليل وتكبير

أثنى المصاب على شيخ الجزيرة فى ... عَقْد وحَلّ وتقديم وتأخير

وهى طويلة جدا ، ومنها :

مُقدّمات الليالى طالما نَتجتْ ... نتائجُ الغدر منها كلّ مغرور

جمعُ السّلامة معدوم الوجود بها ... وكم بها للرّدَى من جمع تكسير

وعامل الموت قد أحصى مهندسُه ... منازل العمر عدًّا دون تكسير[1]

والأرض طِرْس وهذا الخَلْق أحرفه ... والحرف ما بين ممحوّ ومبتور

---

(١) لم نجد هذا البيت فى جذوة الاقتباس ، مع أنه روى القصيدة كاملة .

[٤٩٧]

والدهرُ يُعرِبِ بالأفعال يُظهرها طَورا ويُعْجِم منها كل مسطور
وإنما الخلق أسماء تعاوَرَها إعرابُه بين مرفوع ومجرور
وكلهم فى مَدَى الأعمار تحسبهم كحالها بين ممدود ومقصور
والموت مثلُ عَروضِيٍّ يقطِّع من أبياتهم كلٌّ موزون ومكسور
يا من يؤمل أن يبقى وقد[1] نُقِضتْ أيدى المقادير من إبرام تقدير
هذِى الحقيقةُ لا ما حَدَّثَتْكَ بِهِ آمالُ نفسك عن دنياك من زور
لا تَخْدَعَنْكَ اللَّيالى إن فتنتَها كادتْ فكادتْ ترينا كل محذور
كم بادرتْ[2] بعُبوسِ الخطب من مَلكٍ قد[3] بات بالبشر وَضّاح الأسارير
سائلْ بكسرى مليكِ الفُرس هل تركتْ له المنايا جَناحا غير مكسور
وانزل بصنعاء فى قصر ابن ذى يَزَنٍ تُلمِمْ بقصرٍ على الأغيار مقصور
واعبُر على حِيرة النُّعمان معتبرا تعبُرْ بأطلال نُعْمَى ذاتِ تغيير
وأين من كان سَجْن الجن فى يده والإنسُ والجن فى قهر وتسخير
وأينَ مخترِقُ الدنيا بعَزمته يَطْوِى البلاد بها طىَّ الطوامير
بادُوا فليس بها بادٍ يُحَسُّ به منهمْ وأفناهمْ ريب الدهارير
هو القضاء أبا بكر أُصِبْتَ بهِ فاصبرْ وسلِّم له تسليم مأجور
والله يحرُس دنياكمْ ويدفع عن سامى معاليك أنواع المحاذير

وله فى قبة ليحيى بن الناصر الموحدى

وحُكِى أن المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحِّدِىّ ، ضرب بظاهر مراكش قُبَّةً حمراء ، فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون ؛ فقطّعوا أطنابها ، فسقطت ، فقال فى ذلك أبو عَمْرٍو هذا من قصيدة :

---

(١) كذا فى م وجذوة الاقتباس . وفى ط : « وكم » .
(٢) فى ط : « باكرت » . (٣) فى ط : « كم » .

أنظر إلى القبّـة الحمراء ساقطةً … لما رأت مُضَرَ الحمراء من كَثَبِ
من كان أولى بها إن كنت ذا بصر … العُجْمِ أو مَعْدِنِ العَلْيا من العرب
وإنما سجدتْ لما سَمَتْ وغدتْ … فوق الضّلال وكانت أعجب العَجَب

ومن رائق نظم أبى عَمْرو قوله : — وله فى الحنين إلى أحبابه

هبَّ النسيم ضُحًى فهاج المَنْدَلُ … وتأرّجتْ منـــه الصَّبا والشمألُ
أَسْرَى عليلا[1] فاستحث إلى الصَّبا … صَبًّا بأنفاس الصَّـــبا يتعلّل
يَهْوَى العَذِيرَ[2] وساكنيه ومن له … لو كان يدنو منـــه ذاكَ المنزل
ما شامَ برقا بالفضا إلّا انبرى … شوقا على جمر الغَضَى يتململ
والبرق فى نَقْع السحاب سيفُه … سيف الكَمِىّ إذا يَكُرّ ويحمِل

[٤٩٨]

فكأن ذاك البرقَ واشٍ قد مشى … بنميمة والرعـــدُ لاحٍ يَعْذِلُ
وأنا الفداء لجيرة نزلوا الحمَى … وحِمَى القلوب هو الحمَى والمنزل
وتحمّلوا يوم الفــراق وإنما … بقلوبنا يوم الفراق تحمّلوا
قبَسُوا ومن قلب المعذَّب مَوْقِدٌ … وَرَدُوا ومن جفن المقَنَّى مَنْهَل
ما ضرّهم إذ أعرضوا لو عرّضوا … للوصل أو ذكروا العهود فأقبلوا
حَمَلوا الجمال على الجمال كأنما … أفلاكها منها الأهلة تَكمُل
أبدتْ لنا حَلْىَ الطُّلَى وتبسمتْ … زَهْرا فراق مُقَــلَّد ومُقبَّل
ومن العجائب أن أهيمَ بجَنَّة … حَلّتْ بقلبى وهو نارٌ تُشعَل
وبِهان مُرْسَلٌ ناظرى فى حبها … ومن التناصف أن يَعِزّ المرسَل

ومن شعره رحمه الله تعالى هـذه القصيدة الفريدة ، التى مدح بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأشار إلى جملة من مناقبه الربانية ، ومآثره العرفانية ، وآياته — وله فى مدح النبى

(١) فى جذوة الاقتباس : «أسرى عليلا» . (٢) مكان نزه .

الباهرة ، ومعجزاته الظاهرة ، صلى الله عليه وسلّم ، وشرّف وكرّم ، ومجّد وعظّم ، وبارك وأنعم ، وتحنّن وترحّم ، وهى قوله :

حقيقٌ علينا أن نجيب المعاليَا (١)لُنْفنِى فى مدح(١) الحبيب المعانيَا
ونجمعَ أشتاتَ الأعاريض حِسْبةً ونَحْشُدَ فى ذات الإله القوافيا
وننقادَ للأشعار كلَّ كتيبة لنصر الهُدَى والدِّين تُرْدِى الأعاديا
فألسُن أرباب البيان صوارم مَضاربُها تُنسى السيوفَ المواضيا
لِنُطْلِعَ من أمداح أحمد أنجمًا تلوحُ فتجلو من سناهُ الدياجيا
كواكبَ إيمانٍ تُنير فيهتدى بأضوائها من باتَ للحقّ(٢) ساريا
سَهَوْتُ بمدح الخلق دهرى فهذه سُجودى لجبرى كلَّ ما قلت ساهيا
فلا مــدْحَ إلا لِلّذى بمديحه نُطيع إذا ما كنتَ بالمدح عاصيا
رسول براه الله من صفو نوره وألبسه بُرْدًا من النُّور ضافيا
وما زال ذاك النور من عهد آدمٍ يُنيرُ به اللهُ العصور الخواليا
ثَوَى فى ظهور الطيِّبين يصونُه ودِيعةَ سِرٍّ صار بالبعث فاشيا
وخَصَّ بطون الطيِّبات بحمله ليحملنَ فَرْعًا بالسيادة زاكيا
به وَزَنَ اللهُ الخلائقَ كلَّهم فألفاه فيهم راجحَ الوزن وافيا
وأنقـــــذنا من ناره بظهوره ولولاه كان الكلُّ بالشرك صاليا
وآدمُ لمّا خاف يُجْزَى بذنبه توسّـــــل بالمختار لله داعيا
فتاب عليــه الله لما دعا به وأدناه منه بعد ما كان نائيا
وقد يُهْجَر المحبوب فى حالة الرِّضا ويَأبى الهوى ألا يُصدَّق واشيا

[٤٩٩]

(١ — ١) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى ط : « لنفنى فى حق » وفى م : « لنقضى من حق » . (٢) كذا فى الأصلين . وفى جذوة الاقتباس : « بالجد » .

«وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكنّ عين السُّخْطِ تبدى المَساويا»[١]

وأدرك نوحا فى السفينة رَعْيُهُ ... فخلّصه إذ كان فى الموج داعيا[٢]

وما زال سامٌ وهو ثاوٍ بظهره ... على أخويه بالفضائل ساميا

فخُصِّصَ حتى بالمكان كرامةً ... وأسكن فى أعلَى البلاد مَراقيا

وأُنْزِل حامٌ بالجَنوب مجانِبا[٣] ... ويافثُ فى أقصى الشَّمال مُوازيا

وأُنْزِل سامٌ للفضيلة[٤] وَحْدَه ... بأوسط معمور البلاد الأعاليا

وبادَرَ جبريلُ الخليلَ لأجله ... ليحميَه إذ أبصر الجَمْرَ حاميا

وَيَخْبُرَ فى وقت البلاء يقينَه ... فصادف وِرْدَ الخُلّة العَذْبَ صافيا

فقال له : هَلْ تَشَاْنّى كفاية ... فجاوبه حسْبى ربّىَ كافيا

فكانت عليه النارُ بَرْدًا كما أتى ... به وســـلاما وهى نارٌ كما هيا

وجازاه فى الإسراء عنها نبيُّنا ... وأَلْهاهما فوق السموات ساريا

فلما انتهى جبريلُ عند مَقامه ... بحيث تلقّى الأمرَ ألَّا تَماديا[٥]

أشار على المختار أنْ سِرْ فإنه ... مَقامىَ لا أعدوه ما دمتُ باقيا

فناداه يا جبريلُ : هل لك حاجةٌ ... إلى الله فاسألها[٦] لتُعطَى الأمانيا

فقال له : ســـله لأبسط رغبة ... على النار منّى للعُصاة جناحيا

فدُلّىَ فى أفق المهامه رَفرف ... وزُجّ بُراقُ العزّ فى النور راقيا

ومن أجله خَصّ الذبيحَ فداؤه ... وفى ظَهره المختارُ أصبح ثاويا

فداه بذِبْحٍ عظّم الله شأنه ... لأن كان دهرا فى الفراديس راعيا

(١) هــذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، رواها المبرد فى الجزء الأول من الـكامل .
(٢) فى جذوة الاقتباس : « جاريا » .
(٣) فى ط : « مجافيا » .
(٤) كذا فى الجذوة ، وفى الأصلين : « ذو الفضيلة » .
(٥) فى جذوة الاقتباس : « بحيث يرى نورا وحجبا عواليا » .
(٦) كذا فى جذوة الاقتباس : وفى الأصلين : « تسألها » .

وثَنَّى بعبد الله حاملِ فضله ... فكان بذاك الفرع للأصل راقيًا[(١)]

لذلك ما قال الرسول منبِّها : ... أنا ابن ذَبيحيها يَعُدُّ المعاليا

وعفّ أبوه إذ دعتْـه لنفسها ... فتاةٌ رأتْ نور النبوة غاديا[(٢)]

مضى ولذاك النور بين جبينه ... شُعاعُ سَنًى يُعْشِى العيونَ الرّوانيا

فأعرض عنها ثم سار لشأنه ... وكان له الرحمنُ بالحفظ واقيا

[٥٠٠]

وعاد وقـــد أدَّى أمانة ربه ... لأمّته وعْـــدا من الله ماضيا

ومرّ على حىّ الفتاة فنُوديت ... هلمّى تصادفْ لذعةُ الحبّ راقيا

فقالت لهم قد كان ذلك مرة ... لأمرٍ عَصَيْنا فى هواهُ النواهيا

أردت بأن أُعْطَى سَناه وقد قَضَى ... لغيرى[(٣)] به من كان بالحق قاضيا

وكم طالبٍ ما لا يُنال وقاعدٍ ... سعادته تُبْدِى له السؤلَ دانيا

وكم شاهدتْ من آيةٍ أمّهُ به ... يصير بها جِيدُ الديانة حاليا

رأت فى معاليه مرائىَ جمّـة ... فصدقَتِ الآثارُ منـه المرائيا

وقيل لها بشراكِ فزتِ بخير مَن ... يُرَى فوق أكناف البسيطة ماشيا

وحَفّت به الأملاك فى حين وضعه ... بليلة إفضال تَزِين اللياليا

وبَشّر رضـوانُ الجِنانَ بخلقه ... ففتّح[(٤)] جنـاتِ النعيم الثمانيا

ونادى منادِى العز طوفوا بأحمدٍ ... جهاتِ الدُّنا طرًّا وعُمُّوا النواحيا

بدا واضعا كفَّيه بالأرض رافعا ... بعينيه نحو الأُفْق بالطَّرف ساميا

وأعْول إبليسُ اللّعينُ وقال قد ... يئست وقِدْمًا كنت للكفر راجيا

وصـار إلى صَنعاء شيبةُ جدّه ... فحلّ محلا للوفادة قاضِـيا

(١) كذا فى الجذوة . وفى ط : « وافيا » . وفى م : « باقيا » .

(٢) كذا فى الجذوة ، وفى الأصلين : « عاديا » .

(٣) فى جذوة الاقتباس : « لعمرى » . (٤) فى ط : « يفتح » .

وحَيَّا بغُمدانَ ابنَ ذى يَزَنٍ بها ... وهنَّأه بالملك إذ عاد واليا
فقرَّبهُ دون الوفود وخَصَّهُ ... ليسمع قولا فى الرسالة شافيا
وقال له إنا وجدْنا بكُتْبِنا ... نبيا يُرَى من نحو أرضك آتيا
يموت أبوه ثم تَهْلِكُ أُمُّــه ... ويكفُلُه بعضُ العُمومة حانيا
وقال له والبيتِ ذى الحُجْبِ زارهُ ... وُفود الوَرَى جاءُوا إليه الفيافيا
لأنت على ما يَقْتضِى الوَعدُ جدُّه ... فَشَيِّدْ به المجد ما كنت بانيا
وقال له احفظ ما أقول فإنه ... سيملك أرضِى إذ رأى الملك واهيا
وقول هِرقْلٍ إذ أظلَّ زمانُه ... فقال أرى مُلْكَ الخِتان مُدانيا
وطالعَ فيه مُصْحفَ الأفق ناظرا ... كما زعموه يستشير الدَّراريا
فلم تَنقَضِ الأيامُ حتى أتى له[(١)] ... كتابُ رسول الله للحقّ داعيا
فباحث عنه أهلَ مكةَ سائلا ... وكان بأوصاف النبيِّين داريا
ولَبَّى الهُدَى لما دعاه جمالُه ... وهام قليلا ثم ألْفِيَ ساليا
[٥٠١] وورْدُ الرِّضا لا يُهتدَى لسبيله ... فَيُرْوَى به مَن كان فى الله صاديا
وإيوان كسرى ارتَجَّ ليلةَ وضعه ... وبات عليه قصرُهُ متداعيا
وزاد برؤيا الموبَذَان ارتياعُه ... فأذهله أن يستبين المساعيا
وفسَّرها شِقٌّ وشَقَّ غُبارَهُ ... سَطيحٌ بسجع قَصَّ[(٢)] ما كان رائيا
فنصًّا على إرسال أحمد مُثْبِتًا ... لدين الهدى بالرَّغم للكفر ماحيا
وأُخْمِدت النيرانُ نيرانُ فارس ... وكانت تَلظَّى ألفَ عام تواليا
وحُمِّل ذاكَ الحِلْمَ حِجْرُ حليمةٍ ... لتُرضِعَه درَّ الفضائل صافيا

(١) كذا فى جذوة الاقتباس ، وفى الأصلين : « حتى أهبه » .
(٢) كذا فى جذوة الاقتباس . وفى م « فيه » . والكلمة ساقطة فى ط .

أَبَى حملَهُ النسوانُ لليُتْمِ وانبرتْ ... له فرأتْ من حينها الرزقَ ناميا
فحازت به السبقَ الأتانُ كرامةً ... وأخصبَ مرعاها ففاق المراعيا
وشارفُها إذ لا تَبِضُّ بقطرةٍ ... فصارت به ثجّاجًا تُرَوِّى الصواديا
وفى حيِّها وافاه جبريل قاصدا ... وأقبل ميكائيل بالأمر تاليا
فشقّا به صدرَ النبى لشرحه ... فكان لما يُلْقِى له اللهُ واعيا
وردّاه فى الحين التئاما فما تَرَى ... سِوى أثرٍ ما زال للشرح باقيا
وجاءا بمنديل وطَسْتٍ ليغسلا ... بماء الرضا قلبًا عن الله راضيا
وعاد أخوه جازعا مخبرا بما ... جرَى من مَخُوفٍ كان للأمر جاريا(1)
فسارتْ به من حينه نحو أمّه ... تخاف عليه إنْ أقام العواديا
وما زال محروسًا أمينًا مؤمَّنا ... سَمُوقا صَدوقًا سامِىَ القدر عاليا
حبيبًا(2) وفيًّا خاشعًا متواضعًا ... كريمًا حليما يستفزّ الرواسيا
وفى سَيْره للشام شام بقربه ... بُرُوقَ الهُدَى من لم يكن قطُّ رائيا
أكبَّ عليه فى طريق مَسيره ... إليها بَحِيرا للهُدى متراميا
ولما رأى تلك العلامةَ لم يزل ... لما وافق الكُتْبَ القديمةَ باكيا
وكانت به من غُلّةِ الشوق علّةٌ ... فساق له اللهُ الطبيبَ المُداويا
وقصّته فى ذى المَجاز وعمُّه ... به ظمأٌ قد صيَّر الصبر فانيا
فأهْوَى ولاماء إلى الأرض راكضا ... ففجَّر يَنْبوعًا من الماء جاريا
وكم بان من يُسْرٍ لمَيْسَرةٍ به ... يَرُدُّ أخا سُكْرِ الغَوَاية صاحيا
فكان إذا اشتدّ الهجير أظلّه ... غَمامٌ عليه لا يزال مماشيا

(١) كذا فى ط وجذوة الاقتباس . وفى م : « راجيا » .
(٢) كذا فى ط وجذوة الاقتباس . وفى م : « حيبا » .

[٥٠٢]

وأخبره نَسْطُور بُبصرَى ببعثه ... فأظهر من غيب الرسـالة خافيا
وبُغِّضت الأصنام للمصطفى فلم ... يزلْ هاجرًا فعلَ الضـلالة قاليا
وكان يرى ضَوءًا يلوح لعينه ... ويسمعُ تسليما عليـه مُحاذيا[1]
ويأتى حراء للتعبد[2] قاصدًا ... محبًّا لأسباب الوصال مراعيا
ويخرج من بين البيوت لعلَّه ... يحدِّث عنه النفسَ فى السر خاليا[3]
وكان رآه[4] اللهُ أكرمَ خَلْقِه ... فأرسـله بالحقّ للخلْق هاديا
وأسرى به ليلا إلى حضرة العُلا ... فـا زال فيها للحبيب مناجيا
وسار على ظهر البُراق كرامة ... له راكبًا إذ سار جبريل ماشيا
ولما أتاه الوحىُ وارتاع قلبه ... لشدّة ما قد كان منه مُلاقيا
فسارتْ به عمدًا خديجة زوجُه ... لتسأل حَبْرا بالزَّمانة فانيا
وكان امرأً قد مارس الكُتْب قارئًا ... وبات اضيفانَ المعارف قاريا
فبشّره أن سوف يَطلعُ صُبْحُه ... فيكشفُ من ليل الغَواية داجيا
وقال له يا ليتنى كنتُ حاضرا ... بها جَذَعا أُوليك نفسى وماليا
ووقْتُك إن يدرك زمانىَ يومُه ... ومَن لى به أنصرْكَ نصرًا مُواليا
وآيتُه فى الغار إذ نزلا به ... وكان له الصِّدّيق بالصـدق ثانيا
وقد أرسـل الله الحَمام لبابه ... وقارنَه بالعنكبوت مضاهيـا
فباض على الفَوْر الحمامُ وشَيّدتْ ... من النسج أيدى العنكبوت مبانيا
فدافع عن صدِّيقه ورسـوله ... بأضعف أسباب الوجود مقاويا
وكم آيةٍ خَصَّتْ سُراقةَ إذ مشى ... على أثَر المختار للغار قافيا

(١) فى ط : « محاذيا » . (٢) فى م : « للتحنث » .
(٣) هذا البيت مأخوذ من قول مجنون ليلى :
وأخرج من بين البيوت لعلنى ... أحدث عنه النفس فى السر خاليا
(٤) كذا فى م وجذوة الاقتباس . وفى ط : « يراه » .

فشاهد آثارًا من الْخَسْف كاد أن ... يكون لقارونِ السَّفاهِ مُؤاخيا

ولما دعا بالهاشمىِّ أجاره ... فأبصره فى الحِين من ذاك ناجيا

وأصحبه منه ظهيرًا مُكرَّما ... بخط أبى بكر يُخيف الدواهيا

وأخبره أن سَوْفَ يفتح أمرُه ... مدائنَ كِسرَى والبلادَ الأقاصيا

وَيُجْعَلُ فى كفيه من بعد فتحها ... سِواراه ممَّا يُحْرِزُ الدِّينُ ساميا

فأنجزها الفاروق فى حين فتحها ... له عِدَةً بالصدق فيها مُباهيا

وآيته فى خَيمتَى[1] أم معبدٍ ... وفى الشاة إذ لم تبْقَ تصحَب راعيا

وَفى الذئبِ إذْ أقْعَى وأخْبَرَ مفصِحا ... عن الْمصطفَى والذئب ما زال عاويا

وفى الضَّبِّ لَمَّا أن دعاه أجابهُ ... وقال له لَبَّيك لَبَّيك داعيا[2]

وآيته إذ فارق الجِذْعَ فضلُه ... فحنَّ إليه الجذعُ فى الحال شاكيا

وإن انشقاق البدر أعظم آيةٍ ... تردُّ على مَن كان للدين زاريا

وفى الجَمَل الآتى بحضرة صحبه ... ليشكوَ تكايُفَ المشقة راغيا

وقِصَّتُه فى المَحْل لَمَّا دعا لهم ... فأبصرتَ سُحْبًا كالجبال هواميا

وسال به وادى قناةَ[3] لأجله ... ثلاثين يوما لم يزل متواليا

وفى قصة الزَّوراء[4] للخلق آيةٌ ... وذِكرى لعبدٍ كان للذكر ناسيا

دعا بإناء ليس يَنْقَع ماؤُه ... لقلته بالرِّىِّ من كان صاديا

ففاض نَميرُ الماء بينَ بَنانه ... وكان وَضوءًا للكتيبة كافيا

وبَركوته يوم الحُدَيْبِيَة الَّتى ... أفاضَ بها الله البَنانَ سواقيا[5]

(١) فى م : «جبهتى» . (٢) هذا البيت والذى قبله ساقطان فى ط .

(٣) وادى قناة : من أودية المدينة . وفى حديث أنس بن مالك (أن النبى صلى الله عليه وسلم لما استسقى سال وادى قناة شهرا ، ولم يأت أحد من ناحيته إلا حدث بالجود) .

(٤) الزوراء : موضع بالمدينة قرب المسجد ، استسقى النبى عنده .

(٥) فى جذوة الاقتباس : « سوانيا » .

وإشباعُه الجمَّ الغفيرَ بقبضة من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
وإخباره بالشىء من قبل كونه فيأتى على النصّ الذى قال حاكيا
فأخبر ذا النورين أن ستُصيبُه على الأمر بلْوَى تُعْقِبُ الأجرَ وافيا
وأخبر عمّارًا بأن حياته سيقطعها بالقتل من كان باغيا
وقال للذى السِّبطين أشقى الورى الذى سَيَخْضِبها من هامة الرأس عاصيا
يُصادف[1] نور الشيْب أبيض ناصعا فيسقيه صَوْبَ الحَتْف أحمرَ قانيا
ونصَّ على السِّبْط الشهيد بكربلا فقام له الدين الحنيفىّ ناعيا
وفى الحسن الزاكى أبانَ بأنه سَيُصْلِح بين الناس للأجر ناويا
وقال لقوم إن آخرَكُمْ بها مماتا سيَصْلَى جاحمَ الجمر حاميا
وقال إذا ما مات كسرى فما ترى سميًّا له أخرى الليالى مُساميا
وأخبر عن موت النجاشىّ حينَه وبينهما بحر من الموج طاميا
وقال على قُرب الحمام لبنته تموتين بعدى فافرحى بلقائيا
وآياته جلّت عن العد كثرة فما تبلغُ الأقوالُ منها تناهيا
وأعظمها الوحى الذى خصّه به فبلّغ عنه آمرًا فيه ناهيا
تحدّى به أهلَ البيان بأسرهم فكلّهمُ ألفاه بالعجز وانيا
وجاء به وحْيًا صريحًا يَزيده مرور الليالى جِدّةً وتعاليا
تضمّن أحكام الوجود بأسرها وحكمَ القضاء[2] مثبتًا فيه نافيا
وأخبر عما كان أو هو كائن يُرَى ماضيا أو ما يُرى بعدُ آتيا
ووافق أخبار النبيّين كلّهم وتمّم بالغايات منها المباديا

[٤٠٤]

(١) كذا فى جذوة الاقتباس. وفى الأصلين: «فصادف».
(٢) فى جذوة الاقتباس: «وعم القضايا».

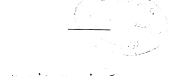
وما كتبتْ يُمناه قطُّ صحيفةً ولا رىء يومًا للصحائف تاليا
عليه سلامُ الله لا زال رائحا عليه مَدَى الأيام منّا وغاديا

* * *

ختم الجزء الثانى

ولتكن هذه القصيدة الفريدة النبوية ، آخر ما أوردناه فى روضة الورد ، فقد طال الكلام واتسع وكثر السَّرْد ، على أنّ ما تركناه أكثر مما جلبناه ، [وقد انثالت علينا أشغال شاغلة من خطوب الدهر ، والله يبلغنا من رضوانه ما طلبناه] .

ونسأل الله تعالى حسن الختام ، وأن يدفع عن قلوبنا القتام ، بجاه سيدنا ومولانا محمد المصطفى خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم ، الذى جعلنا مديحه مسك الختام .

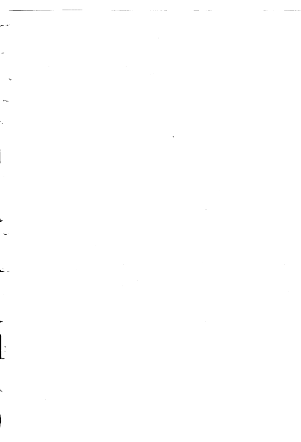


انتهى الجزء الثانى من كتاب أزهار الرياض ، فى أخبار عياض
ويتلوه الجزء الثالث وأوله :

روضة الأقحوان

فى ذكر حاله فى المنشأ والعنفوان

أبواب الفهرس



فهرس الشعراء

(ا)

(ب)

فهرس الاعلام

(ا)

(ن)

(هـ)

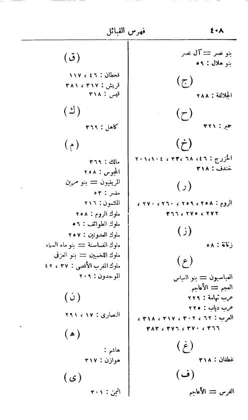
(و)

(ى)

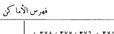
فهرس القبائل

(ا)

(ب)



فهرس الأماكن



(ش)

(ص)

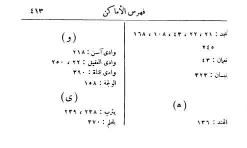
(ط)

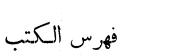
(ع)

(غ)

(ف)

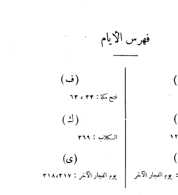
(ق)





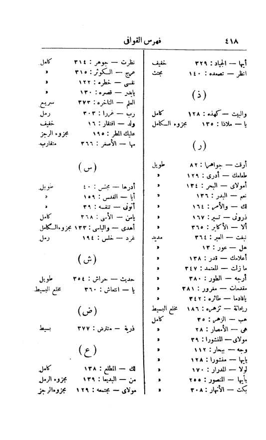
فهرس الكتب

فهرس الأيام



فهرس الأمثال

فهرس القوافى



القافية	البحر
أيها — الجياد : ٣٢٩	خفيف
انظر — تصمده : ١٤٠	مجتث

(ذ)

القافية	البحر
والبيت — كهذه : ١٢٨	كامل
يا — ملاذا : ١٣٥	مجزوء الكامل

(ر)

القافية	البحر
أرقت — جواهرا : ٨٢	طويل
طعامك — أدرى : ١٢٩	»
أمولاى — البحر : ١٣٤	»
نعم — البدر : ١٣٦	»
لك — والأمر : ١٦٤	»
ذرونى — تسير : ١٦٧	»
ألا — الأكابر : ٣٦٥	»
نبغت — العبر : ٣٦٤	مديد
هل — عور : ١٣	»
أعلامك — قدر : ١٣٨	»
ما زلت — المعتمد : ٣٤٧	»
أرجه — الطور : ٣٨٠	»
مقدمات — مغرور : ٣٨١	»
ياقادما — طائره : ٣٤٢	»
ريحانة — تزهره : ١٨٦	مخلع البسيط
هب — الزهر : ٣٥	كامل
هى — الأمصار : ٢٨	»
مولاى — المنشورا : ٣٩	»
وجه — بيحار : ١١٢	»
يايها — منشورا : ١٢٨	»
لولا — المدرار : ١٧٠	»
يأيها — المنصور : ٢٥٥	»
بكت — الأنهار : ٣٠٨	»
نظرت — جوهر : ٣١٤	كامل
عرج — الكوثر : ٣١٥	»
نفسى — خطره : ١٢٢	»
يابدر — قصره : ١٣٠	»
العلم — الناخره : ٣٧٣	سريع
رب — غررا : ٣٠٣	رمل
ولد — افتقار : ١٦	خفيف
عليك المطر : ١٩٥	مجزوء الرجز
مها — الأصغر : ٣٦٦	متقارب

(س)

القافية	البحر
أدرها — مجلس : ٤٠	طويل
أيا — القدس : ١٥٩	»
أتونى — تنفسه : ٣٩	»
يامن — الأسى : ٣٦٨	كامل
أهدى — والباسى : ١٣٣	مجزوء الكامل
غرد — خلس : ١٩٤	رمل

(ش)

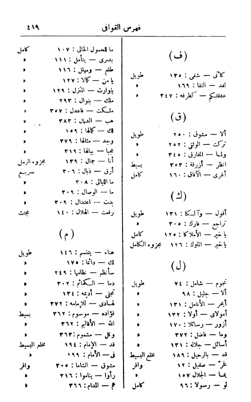
القافية	البحر
حديث — حراش : ٣٥٤	طويل
يا — انتعاش : ٣٦٠	مخلع البسيط

(ض)

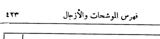
القافية	البحر
ذرية — متترض : ٣٧٧	بسيط

(ع)

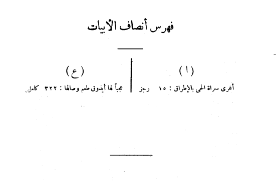
القافية	البحر
لك — المطلع : ١٣٨	كامل
من — البديعا : ١٣٩	مجزوء الرمل
مولاى — مجتمعه : ١٢٩	مجزوء الرجز



فهرس الموشحات والأزجال



فهرس أنصاف الأبيات



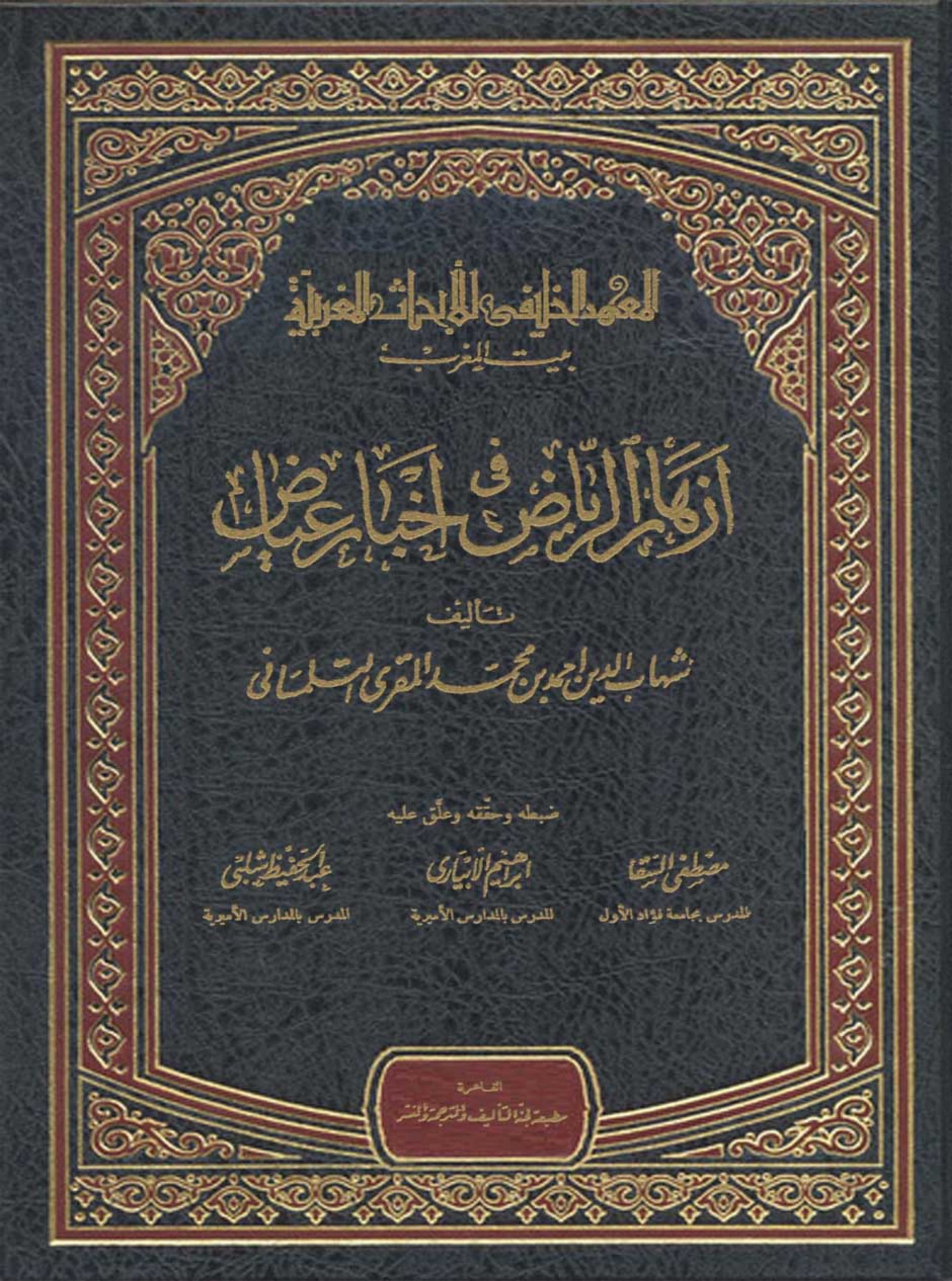
(ا)

(ع)

فهرس الموضوعات

تصويب أخطاء مطبعية

س	ص	خطأ	صواب
٣	٧٠	فى الجوَّ	فى الجوِّ
٦	١٠٧	واسحبَ	واسحبْ
٢٢	١٠٨	ورمة	ورامة
٩	١٢٥	واللهَ	واللهِ
١٥	١٣٨	قصىِّ	قصىَّ
١٧	١٦٠	تَرَجِّى	تُرَجِّى
٨	١٦٦	القَصْبَهْ	القَصَبَهْ
١٩	١٦٧	ذا مَا طَوَى	إذا مَا طَوَى
١٣	١٦٨	أَ كْنِى	أُ كْنِى
٧	١٨١	والشِّيب	والشَّيب
٨	١٩١	ما الزَّهْرُ	ما الزَّهْرُ
٣	١٩٢	الثفر	الثغر
٥	١٩٢	مُذَهَّبَا	مُذْهَبَا
٧	٢٠٥	نَومْ	نَومُ
١٤	٢١٣	سِرًّ	سِرًّ
١٤	٣٣١	المجـدَ	المجدُ
٤	٣٤٩	محمد ابن	محمد بن
١٠	٣٦٥	غَفْجوم	غَفَجوم



المعهد الخليفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب
أزهار الرياض في أخبار عياض
تأليف
شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني
ضبطه وحققه وعلق عليه
مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول
إبراهيم الأبياري
المدرس بالمدارس الأميرية
عبد الحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية
القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر


المعهد الخليفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب

أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الثالث

ضبطه وحققه وعلّق عليه

مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول

ابراهيم الأبياري
المدرس بالمدارس الأميرية

عبد الحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م



الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة بعض الأصول التى اعتمدنا عليها فى تحقيق الكتاب ، ونذكرها هنا فى مفتتح هذا الجزء تذكيرا للقراء ، وهذه رموزها :

(ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب فى تونس سنة **١٣٢٢ هجرية** ، وقد انتهت بانتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها فى مقدمة الجزء الأول .

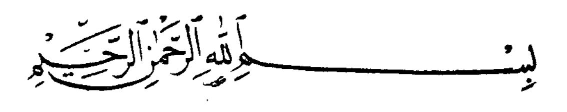
(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهى بخط مغربى واضح ، فى ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ هـ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .

تنبيه :

كل ما جاء فى هذا الجزء بين هاتين الحاصرتين [ ] من غير تنبيه عليه ، فهو من زيادات النسخ الأخرى على نسخة (ط) التى هى الأصل المعتمد للطبع .





الجزء الثالث

من كتاب

أزهار الرياض ، فى أخبار عياض

روضة الأقحوان

فى ذكر حاله فى المنشأ والعنفوان

كلام لابن عاص
فى أبيـه يتمثل
به المـؤلف ف
وصف عياض

أقول ، ومِنَ الله أسألُ التّأييدَ والعَون ، والوقايةَ والصَّون :

عَقَدْنا هذه التَّرجمة الثانية ، لبيان حاله ، فى حَلِّه وتَرحاله .

فاعلم أَرشدَنا الله وإيّاكَ إلى طريق الرِّضوان ، وجَنَّب جميعَنا مسالكَ الذُّلّ والهَوان ، أنَّ حالَ هذا الإمام لا تفِي بها عبارتى القاصرة ، ولا[1] تُحيط إشارتى بمن عَقَد الفضلُ عليــه خَناصرَه . وما أجدُ لبعض ذلك مِثالا إلّا بعضَ قول الرئيس [القاضى] الكاتب أبى يحيى بنِ عاصم ، عند ما عرَّف بأبيه [صاحب التُّحفة] ، وقال[2] فيه ما نصه :

مولاى الوالدُ يُكْنَى أبا بكر ، إن بَسطتُ القول ، وعــدَدْت الطَّول ، وأَحْـكَمتَ الأَوصاف ، وتوخّيت الإنصاف ؛ أنفدْتُ الطُّروس ، وكنتُ كما

(١) فى م : « وكيف »   (٢) فى ص : « فقال » .

يقول الناس فى المثَل : « مَنْ مَدَحَ العَروس(١) » . وإن أضرَبْتُ عن ذلك صَفْحا ، وآثرت غضًّا [من البنُوّة] وسَفْحا(٢) ، فلبئسَما صنعْت ، ولشَدّ ما أمْسكتُ المعروفَ ومَنَعْت ، ولكم من حقوق الأبُوّة أضَعْت ، ومن ثَدْى المَعَقّة رَضعْت ، ومنْ شيطانٍ لغَمْصَةِ الحقِّ أطَعْت ، ولم أرِدْ إلّا الإصلاحَ ما استطعْت ؛ وإن توسَّطْتُ واقتصرْت ، وأوجزْت واختصرْت ، فلا الحقَّ نصَرْت ، ولا أفنانَ البلاغة هَصَرْت ، ولا سبيلَ الرُّشْد أبصرْت ، ولاعن هوى الحسَدَة أقْصَرْت . [٥٠٠]

هذا ؛ ولو أنّى أجهدتُ ألْسِنة البلاغة فَجَهِدَت ، وأيقظتُ عُيون الإجادة فَسَهِدَتْ ، واستعرْتُ مواقف عُكاظَ على ما عُهِدَتْ ، لما قرَّرْتُ من الفضل إلّا ما به الأعداء قد شَهِدَتْ ، ولا استقصيْتُ من المجد إلّا ما أوصتْ به الفئة الشانئة لخلفها الأبترِ وعَهِدَتْ ؛ فقد كان رحمه الله عَلَمَ الكمال ، ورجل الحقيقة ، وَقارًا لا يَخِفُّ راسيهْ ، ولا يَعْرَى كاسِيهْ ، وسُكونا لا يُطْرَق جانبُهْ ، ولا يُرْهَب غالبُهْ ، وحِلْما لا تزِلّ حَصاته ، ولا تُهْمَل وَصاته ، وانقباضا لا يُتَعدّى رَسْمُه ، ولا يُتجاوَز حُكْمُه ، ونزاهةً لا ترْخُص قيمتُها ، ولا تَلين عزيمتُها ؛ وديانةً لا تُحْسَرُ أذْيالُها ، ولا يَشِفُّ سِرْبالُها ، وإدراكا لا يُفَلُّ نصْلُه ، ولا يُدْرَك خَصْلُه ، وذِهْنا لا يخبُو نُورُه ، ولا يَنبو مَطْروره(٣) ، وفَهْما لا يخفَى فَلَقُه ، ولا يُلحَق [طَلَقُه ، وصدقا لا يُخْلَفُ مَوْعِدُهْ ، ولا يَأْسَنُ مَوْرِدُهْ ، وحفظا لا يُسْبَرُ غَوْرُه ، ولا يذْبلُ نَوْرُه ، بل لا يُطْرَقُ](٤) بحرُه ، ولا يُعطَّل نحرُه ،

---

(١) هذا جزء من مثل ، ذكره على سبيل الاكتفاء ، لوضوح معناه وشهرته . وتمامه كما فى مجمع الأمثال للميدانى : « من يمدح العروس إلا أهلها » . قال : يضرب فى اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض ، وعجبهم بأنفسهم .

(٢) سفحا : مصدر سفح الماء إذا أراقه . يريد : إهدار البنوة وتناسى واجبها .

(٣) المطرور : المحدد . (٤) الزيادة عن الديباج المذهب لابن فرحون .

وتحصيلا لا يُفلِت قنيصُه ، ولا يسأمُ حريصُه ؛ بل لا يُحَلّ عِقالُه ، ولا يَصْدأ صِقاله ؛ وطلبًا لا تتّحد[1] فُنونه ، ولا تتعيَّن عُيونُه ، بل لا تُحصَر معارفُه ، ولا تُقْصَر مصارفُه .

انتهى المقصود منه ، و بعضَ كلامه أردت لا كلَّه ، إذ هو اللائق بوصف القاضى أبى الفضل عِياض إمام المِلّه .

للملاحى فى عياض

قال الملاحِىّ : كان القاضى عِياض — رحمه الله تعالى — بحرَ علم ، وهضبة دِين وحِلم ، أحكمَ قراءة كتاب الله [تعالى] بالسبْع ، و بلغ من معرفته الطُّول والعَرْض ، و برَّز فى علم الحديث ، وحمل راية الرأى ، ورأس [فى] الأصول ، وحَفِظ أسماء الرجال ، وثَقَبَ فى علم النحو ، وقيَّد اللغة ، وأشرف على مذاهب الفقهاء ، وأنحاء العلماء ، وأغراض الأدباء . [٥٠٦]

انتهى كلام الملاحِىّ .

لابنه أبى عبدالله فيه

وقال ابنه القاضى أبو عبد الله بن عياض رحمه الله :

نشأ أبى على عفّة وصيانة ، مَرْضىّ الحال ، محمودَ الأقوال والأفعال ، موصوفا بالنُّبل والفهم والحذق ، طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، معظَّما عند الأشياخ من أهل العلم ، كثيرَ المجالسة لهم ، والاختلافِ إليهم ، إلى أن برَع أهلَ زمانه ، وساد جُملةَ أقرانه ؛ فكان من حُفّاظ كتاب الله تعالى ، مع القراءة الحسنه ، والنغْمة العذبه ، والصوت الجَهير ، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث فى وقته ، أصوليًّا متكلِّما ، فقيها ، حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط ، بصيرا بالأحكام ، نحويًّا ، ريّانَ من الأدب ، شاعرا مُجيدا ، كاتبا بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسَن المجلس ،

(١) فى الديباج المذهب لابن فرحون : « لا تنحد » .

نَبيل النادره[1] حُلْو الدُّعابه ، صَبورا حليما ، جميل العِشْره ، جَوادا سَمْحا ، كثيرَ الصدقه ، دءوبا على العمل ، صَليبا فى الحق ، و بلغ فى التفنُّن فى العلوم ما هو مشهور ، وفى العالم معلوم .

لابنه وابن خاتمة فى ذكر شيوخه

قال ابنه وابن خاتِمة فى مَزِيّة المَرِيّة :

وأخذ عن أشياخ بلده سَبْتة ، كالقاضى أبى عبد الله بن عيسى ، والخطيب أبى القاسم ، والفقيه أبى إسحاق بن الفاسى ، وغيرهم . ثم رحل إلى الأندلس ، وكان خروجه من سَبْتة يوم الثلاثاء منتصفَ جُمادَى الأولى سنةَ سبع وخمس مئة ، فوصل إلى قرطبةَ يومَ الثلاثاء مستهلّ جُمادَى الآخرة بعدها[2] ، فأخذ بها عن ابن عتّاب ، وابن حَمْدِين ، وابن الحاجّ ، وابن رُشْـد ، وأبى الحسين بن سراج ، وأبى الحسن بن مَغيث ، وأبى القاسم بن النَّحاس ، وأبى بحر الأَسدىّ ، [٥٠٧] وأبى القاسم بن بَـقِىّ ، وأبى الوليد هشام بن أحمد بن العوّاد ، وغـيرهم من أعلام قرطبة . ثم خرج منها إلى مُرْسِية يومَ الأثنين لخمسٍ بَقِين من المحرم ، سنة ثمـان من التاريخ ، فوصل مُرْسِيَة يومَ الثلاثاء الثالثَ من صفر بعده .

كذا قال ولدُه ، وهو أعْرَف .

وقال ابن خاتمة فى مَزِيَّة المَرِيَّة : إنه وصل مُرْسِية فى غُرَّة صفر ، فوجد الحافظ أبا علىّ الصَّدَفِىّ مختفيا — قال ابن خاتمة : وكان اختفَى قبل ذلك بأيام ، لنَبْذِه خُطَّةَ القضاء من غير أن يُعْفَى — ووجد الرَّحّالينَ إليه قد نفِدَت نفقات بعضهم ، ومنهم من ابتدأ كتابا لم يُتِمّه ، فأخـذ أكثرُهم فى الرجوع إلى مواطنهم ، وتربّص بعضهم ، فـكث هو بقيّةَ صفرٍ وشهرَ ربيع الأول لا يَقَعُ له على خبر ، سِوَى الظنّ بكونه هنالك ، وقابلَ أثناءَ ذلك بأُصوله ، وكتب منها

(١) فى الأصول : « النادر » .   (٢) فى ط : « بعده » .

ما أمكن ، على يد خاصّةٍ من أهله ؛ ولا يُشَكّ أنّ تصرُّفَه فى ذلك لم يكُن إلا بأَمره[1] ، إلى أن وصل كتابُ قاضى الجماعة أبى محمد بن منصور ، بحَلّ القاضى أبى علىٍّ عن القضاء .

قال ابنه : ووصل كتابه أيضا إلى أبى مُعْلِما له بذلك ، إذ كان يَكرُم عليه ، وعَلِم برحلته إليه ، فخرج أبو علىٍّ من اختفائه ، وجلس للتسميع ، فسمع عليه كثيرا ، ولازمه ، وكان له به اختصاصٌ ، فحصَل له سماع[2] كثير ، فى أمد يسير .

قال ابن خاتمة : سمع عليه الصحيحين ، والمؤتلِف والمختلف ، ومُشْتَبِه النِّسبة لعبد الغنى[3] ، والشِّهابَ[4] للقُضاعىّ ، وغيرَ ذلك ؛ وكتب عنهُ فوائدَ كثيرة ، وعارض بأصوله ، وأجاز له [جميع رواياته] .

قال ابنه رحمه الله : حكى أبى أبو الفضل عِياض رحمه الله أنّ القاضىَ أبا على الصَّدَفِىَّ رحمه الله قال له : لولا أن الله يسَّرَ خروجي بلُطْفه ، لكنتُ عزَمت[5] أن أُشعِرَك بموضع يقع عليه الاختيارُ من بلاد الأندلس ، لا يُؤْبَهُ لكَوْنى فيه ، فتدخُلَ إليه ، وأخرُجَ مختفيا إليه بأصولى ، فتجدَ ما ترغب ، لما كان فى نفسى من تعطيل رحلتك ، و إخفاق رغبتك . [٥٠٨]

ولقىَ فى رحلته هذه جماعةً من أعلام الأندلس ، وأجازه أبو علىّ الجَيّانى[6]

---

(١) يريد : بأمر أبى على الصدفى . (٢) فى م ، ص : « مسموع » .
(٣) هو الحافظ عبد الغنى بن سعيد الأزدى القدسى المتوفى سنة ٤٠٩ هـ .
(٤) هو كتاب الشهاب ، فى المواعظ والآداب ، فى علم الحديث . ذكره القلقشندى فى صبح الأعشى ، عند الكلام على أنساب قضاعة ، ونسبه للقضاعى المصرى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ . (٥) فى ط : « لزمت » .
(٦) هو الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى المعروف بالجيانى توفى سنة ٤٩٨ هـ .

وشُرَيح وابنُ [١] شِـبْرين ، وغيرُهم من أعلام غرب الأندلس ؛ وأجازه أيضا أبو جعفر بن بشتغير ، وابن الأدقر ، وأبو زيد بن منتال ، وغيره من أعلام شرق الأندلس .

قال ابن خاتمة :

وفى رحلته هذه دخل المَرِيّة ، وبها لقِيه القاضى أبو جعفر بن مَضاء .

قال ابنه : ووصل بلدَه بعد هذه الرحلة ليلة السبت سابعَ جمادى الآخرَة سنة ثمان وخمس مئة ، وأجلسه أهل بلده المناظرة عليه فى المدوّنة ، وهو ابن اثنين وثلاثين عاما ، وبعد ذلك بيسير أُجْلِسَ للشُّورَى ، ثم ولِىَ القضاء عام خمسة عشر وخمس مئة ، لثلاثٍ بقينَ من صَفر ، فسار فيها أحسن سِيرة ، محمودَ الطريقة ، مشكورَ الحالة ، أقام جميع الحدود على ضروبها ، واختلافِ أنواعها ، وبنى الزيادة الغربيّة فى جامع سَبتة ، التى كمُل بها جمالُه ، وبنى فى جبل الميناء الرابطة [٢] المشهورة ، إلى غير ذلك من الآثار المحمودة ، والمساعى المرضيّة ، فعظُم جاهُه ، وبَعُد صيتُه .

ثم نُقِل إلى غَرناطة ، ووصل إليه الكتابُ بذلك فى أول يوم [من] صفر عامَ أحَد وثلاثين وخمسِ مئة ، فنهض إليها ، وتقلد خُطَّة قضائها ، على المُعْتاد من شيمته السنيّه ، وأخلاقِه المرضيَّه ، مشكورا عند جميع الناس ، [٣] لكنّ تاشَفين ضاق به ذَرعُه ، وغَصّ بمراقبته ، وصدِّ أصحابه عن الباطل ، وخَدَمَته عن الظلم ، وتشريدهم عن الأعمال ، فسعى فى صرفه عن قضاء غرناطة ، فصُرِف بعد انفصاله عنها زائرا أهله ، وترك ابن أخيه الزاهد أبا عبد الله رحمه الله ، على الأحكام

---

(١) الكلام من قوله : « شبرين » إلى قوله « الأندلس » : ساقط من نسخة ط .

(٢) يريد بالرابطة : الرباط ، وهو المكان يرابط فيه المتعبدون .

(٣) الكلام من قوله : « لكن » إلى قوله : « الأحكام » : ساقط من نسخة ط .

وذلك فى رمضان المعظم ، عام اثنين وثلاثين وخمس مئة .

ثم وَلى قضاء سَبتة ثانية ، فى آخر عام تسعة وثلاثين وخمس مئة ، قدّمه إبراهيمُ بن تاشَفين بن على بن يوسف بن تاشفين ، فابتهج أهلُ بلده بذلك ، فسار فيهم السيرةَ التى عَهِدوا منه ، ثم بادر بالمسابقة إلى الدخول فى نظام الموحِّدين ، والاعتصام بحبلهم المتين ، فأقرّه أميرُ المؤمنين ، أدام الله أمره ، على ما كان عليه ، وصرَف أمورَ بلده إليه . وخاطبه بالتنويه ، وحظِى عنده ، وشكَرَ بِدَارَه وسَبْقه . ثم رحل إليه ، فاجتمع به بمدينة سَلَا ، عند توجهه إلى محاصرة مَرَّاكُش ، فأوْسَع له ، وأجزلَ صِلته ، ولقىَ منه بِرًّا تاما ، وإكراما عامّا ، وانصرف على أحسن حال ، إلى أن ثارت الفتنة . [٥٠٩]

انتهى كلام ولده ، وسنذكر بقيته فى محلّه ، إنْ شاء الله .

لابن القصير فى دخول عياض غرناطة

وقال الشيخ العلّامة أبو زيد عبد الرحمن الغَرناطىّ ، المعروفُ بابن القصِير ، رحمه الله : لمّا ورد علينا القاضى عِياض غَرناطة ، خرج الناسُ للقائه ، وبرّزوا تبريزا ما رأيت لأَمير مؤمَّر مثلَه ، وحَزَرْتُ أعيانَ البلد الذين خرجوا إليه رُكّابا(١) ، نيِّفا على مِئتى راكب ، ومن سَواد العامّة ما لا يُحصَى كثْرَة ، وخرجتُ مع أبى رحمه الله [تعالى] فى جُمْلة من خرج ، فلقَينا شخصا بادىَ السِّياده ، مُنْبِئًا عن اكتساب المعالى والإفاده . قال : وكان ورودُه علينا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخِر سنة ثلاثين وخمس مئة . انتهى .

وانظر قوله سنةَ ثلاثين مع ما تقدم لولده ، من أن ولايتَه قضاء غَرناطةَ سنة إحدى وثلاثين ، فلا أدرى أيُّهما أصوب ، إلا أن يقال إنّ أحدَهما تحريفٌ من الناسخ . والله أعلم .

(١) كذا فى م ، ص . وفى ط : « ركبانا » .

ثم إنى رأيت فى الإحاطة ، أنه تولى قضاء غَرناطة عام أحد وثلاثين ، فتبين أن ذلك هو الصواب . ورأيتُ مثله فى غير موضع ، فبان أنه لا تحريفَ فيه .

ويبقى النظرُ فى الآخَر المنقول عن عبد الرحمن بن القصير ، وقد نقله ابن جابر الوادى آشى عن عبد الرحمن المذكور كما حكيتهُ ، سنة ثلاثين ، فالله أعلم .

ثم قال عبد الرحمن المذكور : ولما استقرّ عندنا كان مثلَ التمْرة : كلما لِيكَت زادت حلاوه ، ولفظُه عذب فى كل ما صرّف من الكلام ، للنفس إليه تَتوُّق وله طُلاوه ، وكان بَرًّا بلسانه ، جوادا ببنانه ، كثير التخشع فى صَلاته ، [٥١٠] مواصلا لصِلاته ، وقد جَمَعْنا(١) من سِيَره جُملا فى الكتاب الذى جمعنا فيه مناقب من أدْرَكنا ، من أعيان عصرنا ونُبهائه ، وذكرنا له ما يُفاخر برونقه وبهائه ؛ وكان مع براعته فى علوم الشريعة خطيبا ، فى تحبيره للخطب وفى لفظه ، ظاهرَ الخشوع عند التلاوة وفى لحظه ، سريع العَبْره ، مُديما للتفكر والعِبره ، كاتبا إذا نَثر ، ناظما(٢) إذا شعَر .

انتهى . نقَله ابن جابر وغيرُ واحد كابن رُشَيْد .

وقال فى أوّله مانصه : قال أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ أحمد بن أحمد الأزدى : ولِىَ عندنا ببلدنا غَرناطة ، حرسها الله تعالى ، الفقيهُ الأجلّ ، الحافظُ الأحفل ، القاضى الأكرمُ الأفضل ، الإمامُ الخطيب المِصقع ، الأديب الأبْرَع ، أبوالفضل عياض . انتهى .

ونقلت من خط بعض تلامذة ابن رُشَيد ، وهو الفقيه محمد بن البرْدَعِىّ ما نصه :

وعبد الرحمن هذا قد سألت عنه شيخَنا المذكور — يعنى ابنَ رُشيد — فقال

(١) فى م ، س : « بينا » . (٢) فى ط : « ناطقا » .

لى : لم يُعَرِّف به أحدٌ من أهل الصِّلات . قلت : ولا الملاحىُّ أيضا .

انتهى ببعض اختصار .

إنصاف القاضى عياض

وكان الإمام القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله كثيرَ الإنصاف ؛ ومما يدل على إنصافه الحقَّ(١) وتواضعه ، ما حكاه عبدُ الرحمن المذكورُ آنفا ، إذ قال : دخلتُ مجلس القاضى أبى الفضل عياض ، رحمه الله تعالى ، إذ كان قاضيا عندنا بغَرناطة ، وبه جماعةٌ من الطلبة والأعيان ، يسمعون تأليفه المسمَّى بالشِّفا ؛ فلما وصل القارئ إلى هذه الكلمات : « ومَنْ قَسَمَ به أقسط » ، قرأه ثُلاثيا ، وكذلك كان فى الأم(٢) التى كان يَقرأ فيها ، فقلت للقاضى ، وَصَلَ الله توفيقه : هذا لا يجوز فى هذا الموضع . فقال : ماتقول ؟ فقلتُ : إنما هو أقسط ،

[٥١١] لأن المراد فى هذا الموضع « عَدَلَ » ؛ فالفعل منه رباعىّ ، كما قال [الله] تعالى : « وَأَقسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِين » . وأما قَسَط فإنما هو « جارَ » ، كما قال تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبا » . فتعجّبَ ، وقال لمن حَضَر : إن هذا الكتابَ قد قرأه عَلَيَّ من العالَم ما لا يُحصَى كثرة ، ولا أقف على مُنتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحدٌ لهذه اللفظة . وفاهَ بلسان الإنصاف ، وشَكرَ بفضله ، وأبلغَ ببراعة علمه فى تحسين المناقب والأوصاف ، وأورثنى ذلك عندَه كرامة [كبيرة] ومبرَّه ، ولم(٣) تزل مستمِرّة ، وصنع من المكارم أجزلَ صنيع وأبرَّه ؛ رحمه الله من طَوْد عِلْم ، وهَضْبة فضل وحِلم ، وتغمّده وإيّانا برحمته ، ونفعه كما نفع(٤) فى الدنيا والآخرة بعلمه . انتهى .

(١) كذا فى ط ، ص ، وفى م : « اتصافه بالحق » .
(٢) فى م : « الإمام » .
(٣) فى م : « لم » . مجردة من واو العطف .
(٤) كذا فى ص . وفى ط ، م : « فعل » .

قلت : وقد رأيت نسخةً من الشفا بخط هذا الشيخ عبد الرحمن المذكور ، وحكى هذه المسألةَ فى الطُّرة[1] بخطه ، كما نقلتـه[2] حرفا حرفا ، إلا قوله : « المسمَّى بالشفا » فإنه لم يقله . وألفيت فى آخر هذه النسخة بخط الفقيه محمد بن البردعىّ المتقـدم الذكر ، تلميذ ابن رُشَيد الفِهرىّ ، عند ما ذكر هذه الحكاية ، ما نصه :

التعريف بابن القصير

وعبدُ الرحمن هذا هو كاتب هذه النسخة ، وقد عاناها أحسنَ مُعاناة ، إلا الكُرّاسةَ الأخيرة ، فإنها ليست بخطّه ؛ وقد ذكر هـذه الحكايةَ فى بعض طُرَرِه المتياسرة ، حيث وقعتِ اللفظةُ المذكورة منه ، وأَثْبَتَها هنالك بخطه ، كما أثبتَ غيرَها ، ممـا يدلُّ على علمه وتفنُّنه فى المعارف . وقد سألتُ عنـه شيخَنا أبا عبـد الله المذكور — يعنى ابنَ رُشيد — فقال لى : لم يُعَرِّف به أحدٌ من أهل الصِّلات . قلت : ولا الملاحىّ أيضا .

انتهى ما ألفيته بخط ابن البَرْدعىّ ، وقد نقلت بعضه قبل هذا بأسطر ، وأعَدْتُه هنا لارتباط بعضه ببعض ، والله الموفق .

[٥١٢] قلت : ما ذكره ابنُ رُشـيد وتلميذُه ابن البَرْدعىّ ، من أنّ عبدَ الرحمن المذكور لم يُعَرِّف به أحدٌ من أهل الصِّلات ، قصورٌ واضح . وكذا قولُ ابن البردَعِىّ إن الملاحىّ لم يذكره ، فقد ذكره الملاحىُّ وأبو جعفر بن الزُّبير فى صلة الصلة ، وكنّاه أبا جعفر ، لا أبا القاسم ، ولا أبا زيد ، كما كنّاه ابنُ جابر وغيره مما ذكرنا[3] .

---

(١) الطرة : حاشية الكتاب .

(٢) كذا فى ط ، م . وفى ص : « نقلتها » .

(٣) هذه العبارة : « وغيره ممـا ذكرنا » : زيادة عن ص .

ونصُّ ما فى صلة ابن الزُّبير : عبدُ الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدىّ(١) ، من أهل غَرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويُعرفُ بابن القصير ، من بيت شُورَى وجلالة ؛ رَوَى عن أبيه القاضى أبى الحسن أحمد بن أحمد ، وعن عمّه أبى مروانَ عبد الملك بن أحمد ، وعن أبوَىِ الحسن بن دُرّى وابن الباذَش ، وأبى الوليد بن رُشْد ، وأبى إسحاق إبراهيم بن رشيق الطُّليطِلىّ ، نزيلِ وادى آش ، وأبى بكر بن العربىّ ، وأبى الحسن بن موهب ، وأبى محمد عبد الحقّ بن غالب بن عطية ، وأبى عبد الله بن أبى الخصال ، وأبى الحسن يونس بن مَغيث ، وأبى القاسم بن وَرْد ، وأبى بكر بن مسعود الخُشَنى ، وأبى القاسم بن بقىّ ، وأبى الفضل عياض بن موسى وغيرهم ، وكان فقيها مشاوِرا ، رفيعَ القدر ، جليلا بارع الأدب ، عارفا بالوثيقة ، نقّادا لها ، صاحبَ رواية ودِراية ، تقلب ببلاد الأندلس ، وأخذ الناس عنه بمُرْسية وغيرِها ، ورحل إلى مدينة فاس ، فأخذ الناسُ عنه [بها] ، ثم رحل إلى إفريقيّة ، وولى قضاء تَقْيُوس ، ببلاد الجَريد ، بمقربة من تَوْزَر ، ثم ركب البحر قاصدا الحج ، فتوُفّى شهيدا فى البحر ، قتلته الروم بمُرْسَى تونس ، مع جماعة من المسلمين ، صُبْحَ يومِ الأحد ، فى العَشْر الوَسَط من شهر ربيع الآخِر ، سنة ست وسبعين وخمس مئة .

[٥١٣] وله تواليفُ وخطب ورسائل ومَقامات ، وجمَعَ مناقب من أدْرَكَهُ من أهل عصره ، واختصر كتاب الحِيَل لابن خاقان الأصبهانى ، وغير ذلك ، وألّف بَرنامَجا يضم رواياته . ذكره أبو القاسم بن الملجوم فى بَرْنامجه ، ورَوَى عنه ، واستوفى خبره ؛ وذكره الملاحىّ ، وذكره الشيخُ فى الذيل ، فيمن اسمه أحمد ،

(١) فى الديباج لابن فرحون : « عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، ويعرف بابن القصير » .

وغلّطه فى ذلك الكُنية ، ثم ذكره فيمن اسمُه عبدُ الرحمن ، وظنّ أنهما رجلان . انتهى كلام صاحب الصِّلة .

قلت : ولعلّ الحاملَ لابن رُشيد وتلميذِه على هذا القصور ، اعتمادُهما على الكُنْية ، التى هى أبو زيد وأبو القاسم ، كما سبق ، وقد عرفتَ أنَّ صاحبَ الصلة قد كنّاه بأبى جعفر فقط ، فلعلهما لم يقفا على ما ذكرناه من التعريف به أصلا ، أو وَقَفا على أوّلِه ، فحين رأيا صاحبَ الصلة كنّاه بأبى جعفر ، ظنا أنه غيرُه ، ولم يُمْعِنا النظر فى الترجمة إلى آخرها . وإلى الله مَرْجِـع العلم .

ثم إن الغلط فى أمره وقع قبلهما لصاحب الذيل ، كما قاله ابن الزُّبير . والله سبحانه أعلم بالصواب .

[قلت] : وقد ذكرتُ فى هـذا الموضوع بعضَ فوائد عبدِ الرحمن المذكور ، المكتوبة بهامش الشفا ، الذى بخطّه ، فراجعه فى ترجمة [تآليف] عياض ، عند ذكر كتاب الشفا .

لابن بشكوال فى عياض

وقال الفقيه الأجلّ ، الراويةُ العدل ، الزاهد الصالح ، أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوال رحمه الله ، فى ذكر القاضى أبى الفضلِ عياضٍ فى صلته ، ما نصه :

عياضُ بنُ موسى بن عياض اليحصُبِىّ ، من أهل سَبتة ، يُكنى أبا الفضل ، قدم الأندلسَ طالبا للعلم ، وأخذ بقُرطبة عن القاضى أبى عبد الله محمدِ بن على بن حَمْدين ، وأبى الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج ، وعن شيخنا أبى محمد بن عتّاب ، وغيرهم ، وأجاز له أبو على الغسّانى ما رواه ، وأخذ بالمشرق [1] عن القاضى أبى علىٍّ حسين بن محمد الصَّدَفِىّ كثيرا ، وعن غيره ، وعُنِى بلقاء الشيوخ ، والأخذ [٥١٤]

(١) يريد بالمشرق هنا : « شرق الأندلس » .

عنهم ، وجَمَع من الحديث كثيرا ، وله عناية كبيرة به ، واهتمامٌ بجمعه وتقييده ، وهو من أهل التفنّن فى العلم ، والذكاء واليقظة والفهم ؛ واستُقْضِىَ ببلده مدة طويلة ، فحُمِدت سيرته فيها ، ثم نقِلَ عنها إلى قضاء غَرناطة ، فلم يطُل أمدُه بها ، وقدِم علينا قرطبةَ فى ربيع الآخِر سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة ، وأخذنا عنه بعضَ ما عنده . وسمعته يقول : سمعت القاضى أبا على حسين بن محمد الصَّدَفِىّ يقول : سمعت الإمام أبا محمد التميمىّ ببغداد يقول : ما لكم تأخذون العلم عنّا ، وتستفيدونه منا ، ثم لا تترحّمون علينا ! فرحم الله جميع من أخذنا عنه ، من شيوخنا وغيرهم .

ثم كتب [إلىّ] القاضى أبو الفضل بخطه ، فذكر أنه وُلِد فى منتصف شعبان من سنة [ستٍّ] وسبعين وأربع مئة ؛ وتُوُفِّىَ رحمه الله بمَرّاكُش ، مُغرَّبا عن وطنه ، وَسْط سنة أربع وأربعين وخمس مئة . انتهى كلام ابن بَشْكُوال فى الصِّلة ؛ وذكرته كلّه وإن كان بعضُه قد تقدم ما يُغنى عنه ، وبعضه يأتى ، لأنه كلامٌ ارتبط بعضُه ببعض .

للنباهى فى عياض

ورأيت فى كتاب « المَرْقَبة العُليا ، فى الأقضية[1] والفُتْيا » للقاضى الخطيب أبى الحسن علىّ بن عبد الله بن الحسن النُّباهىّ الغَرناطِىّ ، رحمه الله ، بعد أن ذكر كلامَ صاحبِ الصِّلة السابق ، ما نصه :

قلت : وسكن القاضى أبو الفضل هذا بمالَقة مدة ، وتموَّل بها أملاكا ، [٥١ ا] وأصلُه من مدينة بَسْطة ، ذكر ذلك حفيده ، فى الجزء الذى صنّفه فى التعريف به وبتواليفه ، وبعض أخباره وخطبه ، تغمَّده الله وإيانا برحمته ، انتهى .

(١) تقدم اسم هذا الكتاب فى الجزء الثانى (ص ٧ من هذه الطبعة) « المرقبة العليا ، فى مسائل القضاء والفتيا » .

لابن خاقان فى عياض

وقال صاحب المطمح والقلائد فى وصف القاضى عياض ما نصه :

« جاء على قَدَر ، وسَبَق إلى نيـل المعالى وابْتَدَر ، فاستيقظ لها والناسُ نِيام ، وورد ماءها وهم حِيام ؛ وجَلّى من المعارف ما أشكل ، وأقدم على ما أحْجَم عنه سواه ونكل ، فتحلّتْ به للعلوم نُحور ، وتجلّت له منها حُور ، « كأنّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَان » ، « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ » قد ألْحَفَته الأصالةُ رِداءها ، وسَقَته أنداءها ، وألْقَتْ إليـه الرياسة مَقاليدَها ، وملّكته طَريفَها وتَليدَها ، فبـذّ على فَتائه الـكُهول ، سُكونا وحِلما ، وسَبقهم معرفة وعلما ، وأزْرَتْ محاسنه بالبدر اللّيّاح ، وسَرَت فضائله مَسْرَى الرِّياح ، فتشوّقت لمُلاه الأقطار ، ووكَفَتْ تحكِى نَداهُ الأمْطار ؛ وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصه بهذه الرُّتبة الرفيعة ، يُعْنَى بإقامة أَوَدِ الأَدَب ، ويَنْسِلُ إليه أربابُه من كل حَدَب » .

تعقيب لابن جابر على كلام ابن خاقان

قال ابن جابر : هكذا وصفه صاحب المطمَح . انتهى .

وهذا يدل على أن [بعض] ألفاظ المطمح [كألفاظ القلائد ، لأن هذا الذى نقله ابن جابر عن المطمح] ، هو بعينه فى قلائد العقيان ، وزاد بعدَ قوله : « من كل حَدَب » ما نصه : [إلى] سكون ووقار كما رَسَا الطَّوْد ، وجمال مجلس كما حَلِيَتِ الخَوْد ؛ وعَفافٍ وصَوْن ، ما عَلِما فسادا بعد الـكَوْن ؛ وبهاء ، لو رأتْه الشمس ما باهت بأضواء ؛ وخَفَر ، لو كان للصُّبح ما لاح وأسفَر . انتهى .

تعقيب المؤلف على المطمح ومؤلفه

وقد رأيت بعضَ أوراق من المطمح ، بخزانة الـكتب من الجامع الأعظم بتِلِمسان ، حرسَها الله ، أعنى الخِزانة الوُسْـطى ، التى فوق مِحراب الصَّحْن ، وهى التى يجلس[١] بها الأشراف ، أحفادُ الشيخ الإمام ، عَـلَم الأعـلام ، [٥١٦]

---

(١) فى ط ، م : « ينزل » .

سيدى أبى عبد الله الشريف التلمسانىّ ، رحمه الله ، شارح جُمَل الخُونَجِى ، وصاحب التآليف الشهيرة ، المبرِّز على علماء المعقول والمنقول ، وعادةُ هؤلاء الأشراف أن يجلسوا بها يوم الجمعة ، بعد الصلاة وقبلَها ، فوجدت ألفاظه — أعنى المطمح — كألفاظ القلائد ، من غير فرق ، غيرَ أنّه فى المطمح ذَكَرَ رجالا لم يذكُرْهم فى القلائد ، فظهر من مقتَضَى ذلك أنّ المطمح إنما زادَ على القلائد فى الرجال ، [وأما] ما اتفقا عليه فلفظهما فيه واحد .

وذكر غير واحد من الأئمة أن المَطْمَح ثلاثُ نسخ : كُبرَى ، ووُسْطَى ، وصُغْرَى . وأصل تسميته : «مطمح الأنفس ، ومَسْرَح التآنُّس ،[(١)] فى ذكر أعيان الأندلس[(١)] » .

ولعلنا نذكر فيما يأتى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، التعريفَ بصاحب المطمح والقلائد المذكور ، وهو الفتح بن عُبَيد الله ، الكاتب المعروف بابن خاقان ، فى موضع هو أنسب من هذا ، والله سبحانه المستعان ، نسألُه سبحانَه أن ييسّر علينا كل مرام ، و يتغمَّد بالعفو ما ارتكبنا[(٢)] من إصرار وإجرام[(٣)] ، بجاه أشرف الخلق ، ووسيلتهم إلى الحقّ ، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، عليه من الله أفضلُ صلواته ، وأزكى سلامه ، وعلى جميع إخوانه المرسلين والنبيئين ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأشياعه[(٤)] ، وأنصاره ، وأزواجه ، وذريته ، وذوى محبته ، وأهل بيته الطاهرين[(٥)] .

حسن إلقاء عياض وبعض تلامذته

وكان القاضى أبو الفضل عياض — رحمه الله — حسنَ الإلقاء للمسائل ،

(١ — ١) فى ابن خلكان والنسخة المطبوعة فى مصر : « فى ملح أهل الأندلس » .
(٢) فى م : « ويتغمدنا بالعفو عما اقترفناه » .
(٣) فى م ، ص : « واجترام » .
(٤) كذا فى ط ، ص . وفى م : « وأتباعه » .
(٥) فى ط : « الطاهر » .

كثير التحرير للنقول[١] ، وقد انتفع به من العلماء مَن[٢] لا يُحصى ، كأبى زيدٍ عبد الرحمن بن القَصِير ، المتقدم الذكر .

وممن أخذ عنه وروَى عنه القاضى الشهير أبو جعفر ، أحمد بن عبد الرحمن بن مَضاء اللخمىّ رحمه الله ، وقد قدّمنا أنه لقيه بالمريّة . [٥١٧]

وقاره وسمته

وكان القاضى أبو الفضل رحمه الله وقورا ، ذا سَمتٍ حسن ، وهَدْىٍ مُسْتَحسَن ، وربما تقع منه دُعابة ، كما تصدر من الفضلاء أمثاله .

ومن دعابته ما حكاه ولدُه ، قال :

قال بعض أصحابنا : صنعت أبياتا تغزلت فيها ، والتفتُّ إلى أبيك رضى الله عنه ، ثم اجتمع بى ، فاستنشدنى إيّاها ، فوجَمْت ، فعزمَ علىّ ، فأنشدته :

أيا مُكثِرًا صدّى ولم آتِ جفوةً ... وما أنا عن فِعْلِ الجفاءِ براضى
سأشكو الذى تُوليه من سوء عشرة ... إلى حَكَم[٣] الدنيا وأعدلِ قاضى
ولا حكَمٌ بينى وبينَك أرتضى ... قضاياه فى الدنيا سِوى ابنِ عياض

قال : فلما فرغت حسّن وقال : ومتى عرفتنى قوّادا يا فلان ، على طريق المداعبة ، رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه .

عنايته بالتقييد

وكان القاضى أبو الفضل رحمه الله كثيرَ الاعتناء بالتقييد والتحصيل .

قال ابن خاتمة : كان لا يُبْلَغ شأوُه ، ولا يُدْرَكُ مَداه ، فى العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم ، مع حسن التفنن[٤] فيه ، والتصرّفِ الكامل فى فهم معانيه ، إلى اضطلاعه بالآداب ، وتحقُّقِه بالنظم والنثر ، ومهارته فى الفقه ، ومشاركته فى اللغة والعربية .

---

(١) فى ص ، م : « للمنقول » . (٢) فى ط ، ص : « ما » .
(٣) فى ط ، م : « أحكم » . (٤) كذا فى ط ، ص . وفى م : « اليقين » .

وبالجملة فكان جمالَ العصر ، ومَفخرَ الأفق ، ويَنبوعَ المعرفة ، ومَعدِن الإفادة ، وإذا عُدّت رجالات المغرب ، فضلا عن الأندلس ، حُسِب فيهم صدرا . انتهى . وإنما يَعرِفُ الفضلَ لأهل الفضل [ذوُوه] أهلُ الفضل .

تعظيمه للسنة

وكان رحمه الله مُعظِّما للسُّنّة ، عالما عاملا ، خاشعا قانتا ، قوالا للحق ، لا يخاف فى الله تعالى لومة لائم . وكان رحمه الله معتنيا بضبط الألفاظ النبوية [٥١٨] على اختلاف طرقها ، وكتابُه « المشارق » أزْكى شاهد على ذلك ، ولقد كان بعض من لقِيته من صلحاء عصرنا وعلمائه يقول : لا أحتاج فى كتب الحديث إلا المشارق ، فإذا كان عندى ، فلا أبالى بما فقدت منها ، أو كلاما هذا معناه . وسنذكر إن شاء الله تعالى بعضَ ما قيل فى كتاب المشارق ، فى محله من هذا الموضوع .

ذكاؤه ومواهبه

وكان رحمه الله حاضرَ الجواب ، حادَّ الذهن ، متوقِّدَ الذكاء ، جامعا للفنون ، آخذا منها بالحظ الأوفر .

حسن خطه

وكان القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله بارعَ الخطِّ المغْربىّ ، وقد وقفت على خطه رحمه الله ، فرأيت خطا رائقا ، وكانَ سريعَ الوضع ؛ ويدلّ على ذلك كثرةُ أوضاعِه ، وكتبَ مع ذلك كتبا كثيرة بيده .

حسن عبارته

وكان رحمه الله حسَنَ العبارة ، لطيفَ الإشارة ، وتآليفُه شاهدة بذلك ، وله فى الفقه المالكىّ اليدُ الطُّولَى ، وعليه المعوّل فى حلّ ألفاظ « المدوّنة » ، وضبطِ مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رُواتها . وتحقيقُ ذلك أنه جمعَ بين شرح المعانى وإيضاحها ، وضبط الألفاظ ، وذِكْر من رواها من الحُفّاظ .

[صناعة التأليف بالمغرب]

ولقد وقفتُ فى بعض التعاليق لأحد المتأخرين على كلام فى صناعة

التأليف ، رأيت أن[١] أجلبَه جميعه ، لما فيه من ذكر بلاغة القاضى عِياض ، ونصه :

لتدريس المدونة اصطلاحان

وقد كان للقدماء ، رضى اللهُ عنهم ، فى تدريس المدوَّنة اصطلاحان : اصطلاحٌ عِراقى ، واصطلاح قَروِىّ . فأهل العراق جعلوا فى مُصطَلَحهم مسائلَ المدوَّنة كالأساس ، و بنَوْا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس ، ولم يعرِّجوا على الكتاب بتصحيح الروايات ، ومناقشة الألفاظ ، وَدَأْبهم [٥١٩] القصدُ إلى إفراد المسائل ، وتحريرِ الدلائل ، على رَسْم الجَدَليين ، وأهلِ النظر من الأصوليين . وأما الاصطلاح القَروى فهو البحث عن ألفاظ الكتاب ، وتحقيق ما احتوت عليه بواطنُ الأبواب ، وتصحيح الرواياتِ ، و بيان وجوه الاحتمالات ، والتنبيه على مافى الكلام من اضطرابِ الجواب ، واختلاف المقالات ، مع ما أُنضاف إلى ذلك من تتبُّع الآثار ، وترتيب أساليب الأخبار ، وضبط الحروف ، على حسب ماوقع فى السماع ، وافقَ ذلك عواملَ الاعراب أو خالفها .

فهذه كانت سيرةُ القوْم رضوانُ الله عليهم ، إلى أن عمّ التكاسلُ ، وصار رَسْمُ العلم كالماحل . ويُحقق ما قلناه تصرف التّونِسِىّ[٢] فى تعاليقه اللطيفة المَنزَع ، واللخمى[٣] فى تبصرته البارعة الختام والمطلَع ، إلى غير ذلك من تآليف القَرويين وتعاليق المحققين ، من شيوخ الإفريقيّين .

فضل عياض فى التأليف

وقد سلك القاضى عياض فى تنبيهاته مسلكا جمع فيه بين الطريقتين

(١) فى م : « وأنا » بدل : « رأيت أن » .
(٢) هو أبو القاسم بن محرز القيروانى ، كان فقيها نظارا وله تعليق على المدونة . توفى فى الخمسين والأربع مئة (انظر مقدمة ابن خلدون فى الكلام على علم الفقه وابن فرحون فى الديباج) .
(٣) هو أبو على الحسن بن محمد اللخمى ، له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة . توفى سنة ثمان وتسعين وأربع مئة (عن الديباج) .

والمذهبين ، وذلك لقوّةِ عارضته ، نفعه الله بذلك ، وأعاد علينا من بركاته .

انتهى .

موازنة بين المشارقة والأندلسيين

وقال فى هذا التعليق فى موضع آخر ما نصُّه :

وأغلبُ تآليف المشارقة الإيجاز ، لتمكن ملكتهم من التصرف ، مثلُ كتاب ابن الحاجب ، فى فروعه وفى أصوله ، والخُونَجِيِّ فى المنطق ، وغيرها ، وإن كان الغالب على جُلّ أئمة المشارقة الإطناب ، مثل الغزّالىّ والإمام الفخر وغيرهما .

وأما أهلُ الأندلس فالغالب عليهم فَيْهَقَةُ البلاغة ، فى حسن رَصْف الكلام [٥٢٠] وانتقائه ، مثل عبارة القاضى عياض فى تآليفه ، التى لا تسمح القرائح بالإتيان بمثلها ، والنسْج على مِنوالها .

وانتهت صناعة التأليف فى علماء المغرب ، على صناعة أهل المشرق ، لشيخ شيوخ العلماء فى وقته ، ابن البناء الأزدى المرّاكُشىّ[1] ، فى جميع تصانيفه ، أوجب ذلك براءةُ نسبه من البداوة ، وملكتُه فى التصرف ، التى هى نتيجة تحصيله .

المتأخرون من علماء المغرب

ولم يظهر من علماء فاس شىء من التآليف المرتجلة ولا الملخصة ، إلا ما كان سبيله النسج بها على ما هى عليه فقط ، كما[2] فى تأليف المدوَّنة المنسوبة للشيخ [أبى الحسن[3]] ، وهى التى اعتنى بها طلبته ، وبنَوْها على ما قيّدوا عنه من فوائد المجلس ، وذلك كلُّه فى العشرة الرابعة من المئة الثامنة . ثم تلاهم طَلَبة

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى ، أبو العباس المراكشى ، المشهور بابن البناء . ولد سنة ٦٥٤ هـ ، وتوفى ببلده سنة ٧٢١ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .

(٢) فى الأصول : « لا » ولا يستقيم بها المعنى .

(٣) هو على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى المعروف بالصغير (بصيغة التصغير) . توفى عام ٧١٩ هـ . (عن الديباج) .

الشيخ الجَزُولىّ[١] على الرِّسالة ، وتعدّدَت تلك التقاييد أيضا ، ونُسِبَتْ للشيخ ، وإنما له فيها ما قُيّد عنه فى المجلس . واختلف نظر الشيخين بحَسَب تعدد السَّلَكات[٢] ، فقيّد كل طالب ما سمع . فلا يقال فى هذه تآليف ، لكونها منسوخة من أماكن مَعْزوّة .

موازنة بين التونسيين والفاسيين

والعلة فى ذلك كونُ صناعة التعليم ، وملكة التلقّى ، لم تبلغ فاسا كما هى بمدينة تونس ، اتصلت إليهم من الإمام المازَرى[٣] ، كما تلقّاها عن الشيخ اللخمىّ ، وتلقّاها اللخمى عن حُذّاق القَرَوِيّين ، وانتقلت ملكة هذا التعليم إلى الشيخ ابن عبد السّلام[٤] ، مفتى البلاد الإفريقية وأصقاعِها ، المشهود له برُتَب التبريز والإمامة ؛ واستقرت تلك الملكة فى تلميذه ابن عرَفة[٥] رحمه الله ، وفى الشيخ ابن الامام التّلمسانىّ[٦] . ونَجُب من طلبة ابن الإمام تلميذُه الإمام أبو عبد الله الشريف[٧] ، شارح الجُمَل ، وانتهت طريقته لولده أبى يحيى [٥٢١]

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولى صاحب تقاييد الرسالة المشهورة ، الفقيه الحافظ . توفى سنة ٧٤١ هـ (عن الابتهاج لأحمد بابا) .

(٢) يراد بالسلكات عند المغاربة : المرات التى يقرئ فيها الشيخ تلاميذه الكتاب ؛ المرة : سلكة .

(٣) هو محمد بن على بن عمر التميمى المازرى الصقلى . توفى (سنة ٥٣٦) عن ثلاث وثمانين سنة .

(٤) هو محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير قاضى الجماعة بتونس ؛ له تقاييد ، وشرح مختصر ابن الحاجب شرحا حسنا . ولد سنة ٦٧٦ هـ وتوفى سنة ٧٤٩ هـ . (عن الديباج لابن فرحون) .

(٥) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمى . ولد سنة ٧١٦ . وتوفى سنة ٨٠٣ هـ . وله تقييده الكبير فى مذهب مالك فى نحو عشرة أسفار .

(٦) للامام أبى زيد محمد بن عبد الله التلمسانى ابنان ، هما أبو زيد عبد الرحمن توفى سنة ٧٤٣ ، وأبو موسى عيسى ، توفى سنة ٧٤٩ هـ ، وهو المراد هنا (انظر الحاشية رقم (٢ ص ٢٦) من هذا الجزء .

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمسانى . ولد سنة ٧١٠ وتوفى سنة ٧٧١ هـ .

المفسّر العالم . واستقرت أيضا طريقة ابن الإمام ، فى تلميذه سعيدِ بن محمد العُقْبانىّ[١] ، وانتهى ذلك إلى ولده شيخنا أبى الفضل قاسم العُقْبانى[٢] ، رحمهم الله جميعا .

قال ابن خَلْدُون ، ولمن ذكرنا من أهل المئة الثامنة انتهت طريقةُ التعليم ، ومَلَكةُ التلقّى . يعنى بذلك الشريف والعُقْبانىّ رحمهما الله ، قال : لكونهما ألّفا التصانيفَ البعيدة ، وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع .

قلت : وكذلك بلغ رتبةَ التبريز فى تحصيل العلم ، كلٌّ واحد من ولديهما ، الفقيهُ السَّيد أبو القاسم بن سعيد ، والفقيهُ الأوحد السّيد أبو يحيي الشريف[٣] ، إذ بلغا درجة الإمامة والفُتيا . وأما الإمام ابن عرَفة ، فانتفع به جماعةُ ، فكان أصحابه كأصحاب سُحنون[٤] : أئمةً فى كل بلد ، فمنهم أيضا من بلغ درجة التأليف ، ووقع الاتفاق على إمامته ، وتقدُّمه وسموّ رتبته ، كشيخنا الإمام الحافظ المحصِّل ، أبى القاسم [بن][٥] أحمد البُرْزُلىّ ، مفتى البلادِ الإفريقيّة ، ومؤلفِ كتاب الأسئلة الحاوى للنوازل والفتاوى . ومنهم شيخُنا الإمامُ الحافظ المجتهد ، صاحب التصانيف المفيدة ، أبو عبد الله محمد بن مرزوق ، له « المنزَع النبيل ، فى شرح مختصر خليل » ، و « شرح التهذيب[٦] » ، وغير ذلك من المسائل العلمية .

(١) هو سعيد بن محمد بن محمد العقبانى التلمسانى ، ولد سنة ٧٢٠ وتوفى سنة ٨١١ هـ .
(٢) هو قاسم بن سعيد بن محمد توفى سنة ٨٥٤ هـ . يكنى أبا الفضل وأبا القاسم .
(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمسانى . ولد سنة ٧٥٧ هـ ، وتوفى سنة ٨٢٦ هـ .
(٤) هو عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون ، الفقيه المالكى المشهور . ولد سنة ١٦٠ وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . (٥) التكملة عن البستان وتذييل الديباج .
(٦) كتاب « التهذيب » لأبى سعيد البراذعى ، من علماء القيروان ، لخص فيه مختصر المدونة والمختلطة لابن أبى زيد القيروانى ، واعتمده المشيخة من أهل إفريقية ، وأخذوا به ، وتركوا ما سواه . (عن مقدمة ابن خلدون) .

قلت : إنما أقتصرت على ذكر هذين الشيخين الإمامين ، لما لهما علىّ من المشيخة ، ولشهرتهما بالتآليف ، التى تقوم مقامَ الشاهد لما قلتهُ ، حتى نَبعد عن شُبهة التعصب .

[٥٢٢] وأما من نَجُب من تلامذة شيخ شيوخنا ابن عرَفة ، وتمكّن من ملكة التعليم ، فخلق يطول عددهم[1] ، فمنهم من أدركناه ، وأخذنا عنه ، وأجازَنا مرْويّاتِه ؛ و [منهم] من لم ندركْه ، نفع الله بجميعهم ، وأعاد علينا من بركاتهم .

قلت : هنا انتهت ملكة الفقه من علماء القيْروان عن المازَرىّ ، إلى من ذكرنا ، ثم إلى من لَقينا .

ضعف العلوم النظرية بالمغرب

وأما ملكة العلوم النظرية ، فهى قاصرة على البلاد المشْرِقية ، ولا عنايةَ لحذّاق القرَويين والإفريقيين إلا بتحقيق الفقه فقط . ولم يزل الحال كذلك إلى أن رحل الفقيه ابن زَيتون[2] إلى المشرق ، فلقى تلاميذ الفخر بن الخطيب ، ولازمهم زمانا ، حتى تمكن من ملكة التعليم ، وقدِم إلى تونس ، فانتفع به أهلها ، وانتهت طريقته النظرية إلى تلميذه ابن عبد السلام المذكور ، واستقل تلميذُه ابن عرَفة بعده بتلك الطريقة ، وكذلك أبو عيسى[3] مُوسى ابن الإمام التلمْسانىّ المذكور ، ولهذا تجدُ أثر العلوم النظرية بتلمسان .

قال الإمام ابن خلدون وغيره من أئمة التاريخ .

لم نشاهد فى المئة الثامنة منْ سلَكَ طريق النُّظَّار بفاس ، بل [فى] جميع هذه الأقطار ، لأجل انقطاع مَلَكة التعليم عنهم ، ولم يكن منهم من له عنايةٌ بالرِّحلة ،

(١) فى م : « عزوهم » .
(٢) هو أبو القاسم القاسم بن أبى بكر الشهير بابن زيتون ، الفقيه التونسى ولد سنة ٦٦٦ ، وتوفى سنة ٧٣٠ هـ .
(٣) فى الأصول هنا وفيما سيأتى : « أبو عمران موسى » ، وهو تحريف (انظر الديباج ، ونيل الابتهاج ، والبستان) .

بل قُصِرت هممهم على طريق تحصيل القرآن ، ودرس « التهذيب » فقط . نعم أخذوا شيئا من مبادئ العربية من أهل الأندلس ، القادمين عليهم مِن سَبتة وغيرها ، باستدعاء ملوك بنى مَرين . قال : ولهذا لم يتصدر من الفاسيين من يُقْرِئ « الكتاب(١) » كما هو مُتداوَل بين أهل الأندلس ، مثل ابن أبى الربيع والشَّلَوْبين وغيرهما ، لوجود ملكة النحو فى قطر الأندلس ، بسبب رِحلة علمائهم إلى تلقّيه من أربابه بالمشرق ، كما ارتحل أعلامهم إلى بغدادَ فى تحصيل الفقه عن الأبهرىّ(٢) ، وكذا يحيى بن يحيى عن مالك ، وغيرُ واحد ؛ وكذلك علوم الحديث وغيره ، كرحلة الإمام الحافظ أبى بكر بن العربىّ .

[٥٢٣]

بين السلطان أبى عنان والشيخ الصرصرى

ولما كمَل غرضُ أبى عِنانٍ ، كبير [ملوك] بنى مَرين ، من بناء مدرسته المتوكلية بفاس ، وكان بعيد الصِّيت فى علوّ الهمة ، قال انظروا من يُقْرِئ بها الفقه ، فوقع الاختيار على الشيخ الصَّرْصَرِىّ الحافظ ؛ ولما جلس بها واتسع صيته ، وجّه إليه أبو عنانٍ المذكور من يسأله فى(٣) مسائل « التهذيب » ، التى انفرد بإتقانها وحِفظِها ، وطالبه بتحقيق ذلك وإتقانه ، وحُسْن تلقّيه ، ولا أدرى المنتخَبَ له : هل هو أبو عيسى موسى ابن الإمام المذكور آنفا ، أم السيد الشريف أبو عبد الله شارح « الجمل » ، المتقدّم الذكر ، أو هما معا ، فطالباه بتحقيق ما أوْرَدَه من المسائل عن ظَهْر قلب ، على المشهور من حِفْظه ، فانقطع انقطاعا فاحشا ؛ ولما أضجره ذلك نزل عن(٤) كرسيّه ، وانصرف كئيبا ، فى

---

(١) يريد كتاب سيبويه فى النحو .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهرى ، صاحب التصانيف فى شرح مذهب مالك والاحتجاج له والرد على من خالفه ، سكن بغداد وحدث بها عن جماعة ، وتوفى بها سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) كذا فى م ، ص . وفى ط : « عن » .

(٤) كذا فى م . وفى ط ، ص : « من » .

غاية القبض ، ولما اشتهر ذلك عنه ، وجَّه إليه أبو عِنان الملكُ المتقدم الذكر ، فلما مثل بين يديه آنسه وسكّنه ، ثم قال له : أنا أمرت بذلك ، كي تعلم ماعندك من العلم ، وما عند الناس ، وتعلم أن دار الغَرْب هى كعبة كل قاصد ، فلا يجب أن تتكل على حفظك ، وتقتصر على ما حصل عندك ، ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدّى ، عن ملاقاة من يَرِد من العلماء ، والتنزّل للأخذ عنهم ، ولا يقدح ذلك فى رُتبتك عندنا ، إن شاء الله .

لخصت هذه الحكاية من تاريخ القيسىّ ، فانظرها .

بين علماء فاس وتونس

قلت : وعكس هذا وقع لفقهاء فاس فى أواسط المئة الثامنة ، لما شرّق السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وانتهت به درجة الاستبداد والاستقلال ببلاد إفريقية ، فظهر فقهاء المغرب ممن صحبه ، على فقهاء تونس ، لحفظهم كتاب « التهذيب » عن ظهر قلب ، وزعيم فقهاء المغرب حينئذ الرجل الصالح ، أبو عبد الله السَّطِّى رحمه الله ، ونفع به ، إلى أن جاءت نوْبة الشيخ ابن عبد السلام ، وعقد مجلسه بمحضر السلطان المذكور ، ومن معه من الفقهاء والنحاة والكتّاب والرؤساء ، وتوجهت مطالبة فقهاء المغرب له ، فكان رحمه الله على ما وصفه به من أرّخ الواقع ، كأنه بحر تلاطمت أمواجه ، فكان يَقْطعهم واحدا بعد آخر[1] ، وتلميذه ابن عرَفة كذلك ، إلى أن قال ولىُّ الله المُنْصِف[2] ، أبو عبد الله السَّطِّى للسلطان : يا علىّ ، كذا يكون التحصيل ، وكذا يُقْرَأُ الفقه ، ولو لم يكن بتونس إلا هذا الإمام لكان بها[3] كلُّ خير ! فلابدَّ من ملازمة هذا لهذا المجلس ، حتى ينتفع به أصحابنا ، وننتفع بطريقه . وذلك هو السبب فى التنويه بالشيخ ابن عبد السلام رحمه الله ، على أنه كانت رغبته فيما عند الله إلى أن مات . [٥٢٤]

(١) فى ص : « واحدا بعد واحد » .
(٢) كذا فى ص ، وفى سائر الأصول : « المصنف » . (٣) فى ص : « لها » .

تنشيط الشيخ تلامذته بالحكايات

قلت : وإنما ذكرت هذه القضايا تَنْشيطا للناظر ، وتحميضا للذاكر ، ولم نزل نسمع من أُئمتنا ومَنْ ذَكَرْنا ، فى مجالس دروسهم ، ما يشبه ما ذكرناه من آثار السلف ، لما فى ذلك من تقوية باعث الطالب على كيفية التحصيل والدرْك ، والجد فى إدراك أسبابه ، وأخذ العلم من أربابه ، والولوج إليه من بابه .

وكان الإمام المازَرى رحمه الله كثير الحكايات فى المجالس ، ويقول : هى جند من جنود الله ، حتى كان لا يُخْلِى[1] مجالسه منها .

* * *

دفع القصور عن بعض علماء المغرب وتلامذتهم

[٥٢٥] تنبيه : إياك أن تظن القصور بمَن تصدّى للتقييد على « التهذيب » ، من طلبة الشيخ أبى الحسن ، وكذا من تلاهم من طلبة الشيخ أبى زيد عبد الرحمن الجزُولى ، ويَقرعَ سمعك ما أفتى به الشيوخ ، ومن له فى العلم الرسوخ ، أنّ تقاييد « التهذيب » و « الرسالة » لا يعوّل عليها فى الإقراء ، ولا يُوثَق بشىء منها فى الفُتيا ؛ وأنّ من عوّل عليها فى الإقراء يرد المرتب[2] .

فاعلم شرح الله صدرك ، أن القوم كانوا أهل صلاح وورع ، وجِدّ فى طلب الفقه ، وإفراط حرص ومثابرة على درس « التهذيب » ، وحِفظ ما تعلّق به من النصوص فقط ، فبنى كل واحد فى تقييده على ما سمعه من الشيخ ، ما ناسب اجتهاده ونظره ، من تقاييد الفقهاء ، مثل ابن يونس ، واللّخمى ، والتنبيهات ، وابن رُشَيد ، واختلاف رأيهم فى ذلك ، فمنهم الموجز ، ومنهم المُطْنِب ؛ وباب الفُتيا باب احتياط ، فلابد للمفتى من مباشرة الكتب المَرْوِيّة[3] ، والأمهات الأصلية ، ولا يَنبغى له الاقتصار على الواسطة ، إذ لا يؤْمن من خلل أو تصحيف ، لفقد

(١) فى ط ، ص : « لا يخلو » .
(٢) كذا فى ط ، ص . وفى م : « يرد الرب » ، وفى كلتا الروايتين غموض .
(٣) فى ص : « المدونة » .

ملكة التأليف ، وإنما الغالب على طباعهم تغفّل البداوة ، فقَدَح[(١)] ذلك فى صناعة التصنيف ، وكيفية التأليف ، والقوم أهل دين متين كما وصفنا ، فلا يقدح ذلك فى مراتبهم ، ولا يثلِم مناصبهم .

ووجه ثانٍ : ذكر أهل الأصول فى باب الاجتهاد [أنّ] مجهول الحال لا تُقبل فُتياه كالراوى ، وإن أصاب كلٌّ واحد ؛ ولا يخفى عليك وقوعُ مثل هذا لأصحاب تلك التقاييد .

ووجه ثالث : مَبْنَى ما أفتى به العلماء من عدم التعويل على شىء منها فى [٥٢٦] الإقراء والفُتيا ، هو والله أعلم ، لما اشتملت عليه من ذكر الشىء وضدّه ، على أسلوب واحد ، وقد وقفت على ذلك فى جُلّ تلك التقاييد ، وهو أن المُقيِّد يجمع للخلاف المذهبىّ ما ليس فيه ، بل هو خارج المذهب ، وقد وقع ذلك فى مواضع غير واحدة من تلك التقاييد ، كما نقل بعضهم الخلاف فى التنفّل فى الصحراء قبل صلاة العيد ، وليس كذلك ، بل الخلاف فيما إذا صُلِّيت فى المسجد ، وأما فى الصحراء فلم يقل به إلا الشافعىّ . ومثل ذلك ما وقفت عليه فى حكم السِّواك ، قال المُقيِّد على كلام الشيخ فى باب جُمل من الفرائض : واختُلف فى حكم السِّواك على قولين : فقيل إنه واجب ، وقيل سنة ؛ فأنت ترى هذا الخلافَ ، ولم يقل بوجوبه إلا أهل الظاهر ، عملا بصيغة ظاهر الحديث الوارد فى ذلك . وكذلك وقفت على الخلاف فى غُسْل الجمعة ، فقال المقيِّد : اختُلِف فيه : فقيل فَرْض ، وقيل سُنّة . وقد علمت أيضا قول أهل الظاهر بوجوبه ، عملا بظاهر الحديث . وكذا الغُسل : هل هو للجمعة أو لليوم ؟ فقال المقيِّد : اختُلِف فى ذلك على قولين ؛ وقد علمت قول أهل الظاهر ، وأنه لليوم ، حتى لو اغتسل بعد الصلاة لأجزاه .

(١) كذا فى ص ، م . وفى ط : « ولا يقدح » .

وكذا وقفت على القول ببطلان صلاة من أسقط الخُشوع من صلاته ، على القول بفرضيّته ، ولم يقل بذلك إلا أهلُ التصوّف . وكذا القول بوجوب المَضْمضة والاستنشاق فى الوضوء والغُسل ، وقد علمت نصوص أهل المذهب فى هذه المسائل . ومن هذا فى تلك التقاييد ما لا يُحصى كثرة لمن تأمّلها ؛ وفيما ذكرنا كفاية ، فلعل هذا هو سبب نقد[1] العلماء فى مجموع تلك التقاييد . والله أعلم .

[٥٢٧] العجز عن التأليف لا يقد فى علم العلما

تنبيه : احذر أيها الناظر ، شرحَ اللهُ صدرى وصدرك ، أن يقع فى نفسك أنّ عجْز هؤلاء السادات عن صناعة التأليف ، والحِذْق فى التصنيف ، وعدم الاقتدار ، على الترجيح والاُختيار ، وعدم القيام بمواد مدارك المحققين والنظّار ، يوجب قَدحا فى مناصبهم ، أو وَصْما فى مراتبهم ، فتكون ممن أساء الظن بالسلف ، وعرّض نَفْسه إلى الهُوِىّ فى مهاوى التّلَف ، بل أوجب ذلك ما أصّلناه وقدّمناه ، من أنّ القوم كانوا أهلَ عمل ودين متين ، وجَرْى على سَنَن السلف الأقدمين الصالحين العاملين ، فشغلهم ما أخذوا فيه من كدّ العمل ، و إثقال التَّقَلُّل والمُجاهدة ، وتَحرِّى الحَلال ، والزُّهد والإقلال ، عن تتبّع مواد التحقيق ، إلى فقد الملكة النظريّة من هذا القُطر ، وانقراضها منه منذُ زمان إلى عصرنا هذا ؛ وما حكَوْه من عدم الترتيب ، وقلّة العزْو الأقوال ، حالُ مَن صرف عنايتَه لتقييد العلم من حيث هو ، ولم يتكلّف ذِكْر مَشهور ، ولا ما عليه الجُمهور ، أو يكون اعتمد فى تقييد ما قيّد على ما سمع من الشيخ فى السّلَكات ، فيُعْذر على هذا ولا يُفنّد .

والتّقييد المَعْزُوّ للشيخ أبى الحَسَن أقلُّ تكلّفا لا مَحالة ، إلا أنه لا يَخفى ما فيه من ضَعْف الاختيار ، عند التحقيق والاُستبصار .

أعاد الله علينا من بركاتهم ، ونفَعَنا بهم .

---

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : « تقييد » .

وما ذكرته فى هذا الاُستطراد مَسَّت الحاجةُ إليه ، كما مَسَّت حاجةُ أئمة الحديث ، على جلالتهم ووَرَعهم ، إلى تَبْيين الضعيف والمُجرّح ، وتَدْوين أخبار الضُّعفاء ، ومن نُسِب إليهم وَهم أو تدليس أو وَهَن ، وهذا لَوْلا مَسِيس الحاجة ، لم يَنبغ أن يُلتفت إليه ، والله الموفق بفضله .

ثم قال هذا العالم فى موضع آخر :

ملكة العلم فى أهل تونس

تنبيه : ولا يُعْتَرض على ما وقع للشيخ ، من الحكاية التى حدثنا بها شيخُنا الإمام البُرْزُلى رحمه الله ، قال : لما قدِم الفقيه القَبَّاب ، حافظ مدينة فاس ، وزعيم [٥٢٨] فقهائها فى عصره ، يريد أداء فريضة الحجّ ، فاجتاز بحضرة تونِس ، فحضر مجاسَ شيخنا ابن عرَفة ، هو ومَن كان معه من الفقهاء ، فاستطرد الشيخ رحمه الله الكلام إلى أن قال : وكثيرا ما نجد فى تقييد الشيخ أبى الحسن : « يؤخذ من هذه المسألة » ، فلا أدرى صورة ذلك الأخذ ما هو ؟ هل هو من طريق الاُستقراء ، أوالاستنباط ، أو القياس ، أو المَفْهوم ؛ وكلُّ قسم من هذه الأقسام يَفْتقر إلى شرط ، ولا شىء من ذلك ؟ فقال القبَّاب لأصحابه بعد انصرافهم : علمتم ما تحصَّل بأيدينا من الفِقه ، وصحّ عندكم أن الملكة التامّة فى التحصيل والتصرُّف ، إنما هى فى قُوَى أهل تونِس ومن يَليهم من أهل المشرق ، وأنّ قصارَى ما عندنا وعند مشايخنا إنما هو حِفْظ النُّصوص ، و إبقاؤها[1] على ما هى عليه ، وأنّ ملكة القَرويين انتقلت إلى الإفريقيين .

فهذا الواقع من الشيخ ، ليس هو بالمعارِض لما وقع فى جوابه ، من اعتبار المفهوم ، وإنما هو بحث فى شرط المفهوم ، وكيفيّة الاستنباط خاصة ، فاعلم ذلك .

مكانة الشيخ أبى الحسن فى العلم

تنبيه : لا يقع فى ذهنك قصورُ الشيخ فى قوله : « يؤخذ من هذه المسألة » ، وأنه خَفِىَ عليه كيفية الأخذ . فاعلم ، أرشدك الله ، أنّ الشيخ أبا الحسن ، كان إمامَ

(١) كذا فى س . وفى سائر الأصول : « وإلقاؤها » .

وقته فى فقه المدوَّنة ، وهو المستقلّ برياستها بعد شيخه الفقيه راشد ، ما أخَذ عنه حتى ظهَرَت على يديه الكرامات الخارقة ، فى شفاء أصحاب العِلل المُزْمِنة وغير ذلك ، ولم يَنْظر فى الفِقه حتى أتقن عِلْمَ الفرائض ، وفنونَ البلاغة ، وتلقَّى ذلك من أربابه ، وارتحل ، وانتقل إلى تازَا ، فلازم أهلَ اللسان ، وفُرْسان المعارف وقتًا طويلا ، ثم اعتكف على قراءة « التهذيب » ، ولازم الفقيهَ راشدا ، [٥٢٩] واقتصر عليه ، وكان الفقيه راشدٌ لا يُنفِذ بمدينة فاس حُكما ، ولا جوابا فى نازلة ، حتى يُحْضِرَه ، ويَعتنىَ به ، فلم تُخْطِ فِراسته فيه ؛ وكان لا يَحجُر عليه فى القراءة ، بل يقرأ من « التهذيب » من أى مكان شاء ، وقد صدقت فِراسته فيه ، فكان فى مِيزان حسناته يوم القيامة .

واستيفاء التعريف بالشيخ ، وذكر مِحْنته بالقضاء ، وسببِ عزله ، وذكرُ وفاته ، يخرجنا عن الاختصار .

انتهى ما مَسَّت الحاجة إليه من كلام هذا المتأخّر ؛ ونقلت أكثرَه بلفظه ، تبرُّكا بعبارته ، التى تلوح عليها أمارات الصالحين ، وبالله التَّوْفيق .

كلام فى قيمة التواليف ومزاياها

ولنذكر كلاما من هذا المعنى ، فنقول :

قال الإمام أبو عبد الله الأُبِّىّ رحمه الله تعالى فى شرح مُسلم ، عند كلامه على قوله صلى الله عليه وسلم : « أو عِلْمٍ يُنْتَفع به بعدَه » :

كان شيخنا أبو عبد الله ابن عَرَفة يقول : إنما تدخل التواليف فى ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة ، وإلا فذلك تَخْسير للكاغَد . ونعنى بالفائدة الزائدةَ على ما فى الكتب السابقة عليه ، وأما إذا لم يشتمل التأليفُ إلا على نَقْل ما فى الكتب المتقدّمة ، فهو الذى قال فيه : إنه تخسير للكاغَد ، وهكذا كان يقول فى مجالس التّدريس ، وإنه إذا لم يكن فى مجلس التدريس التقاط

زائدة من الشيخ ، فلا فائدة فى حُضور مجلسه ، بل الأَولى لمن حَصَلت له معرفة بالاصطلاح ، والقُدرةُ على فهم ما فى الكتب ، أن ينقطع لنفسه ، ويلازم النظر ؛ انتهى .

ونظم فى ذلك أبياتا ، وهى :

إذا لم يكن فى مَجالس الدَّرس نُكتةٌ ... بتقرير إيضاحٍ لمشكِل صورةِ
وعَزْوِ غريب النقْل أو حَلِّ مُقفَل ... أوِ أشكالٍ أبدتْه نتيجةُ فكرة [٥٣٠]
فدع سَعيَه وانظر لنفسك واجتهدْ ... ولا تترُكَنْ فالترْكُ أقبحُ خَلّة

وكنت قلت فى جواب أبياته هذه :

يمينًا بمن أولاكَ أرفعَ رتبةٍ ... وزان بك الدنيا بأَحسن زينةِ
لَمجلسُك الأحظى الكفيلُ بكل ما ... على حُسْن ما عنه المحاسنُ جلَّت
فأبقاكَ مَنْ رَقّاك للناس رحمةً ... وللدين سَيْفًا قاطعًا كلَّ بدْعة

وإنى فى قَسَمِى هذا لبارٌّ ، فلقد كنت أقيِّد من زوائد إلقائه ، وفوائد إقرائه ، على الدُّوَل الخمس ، التى كانت تُقْرأ بمجلسه ، وهى : التفسير ، والحديث ، والدُّوَل الثلاث التى بالتهذيب ، نحوَ الوَرَقتين كل يوم ، مما ليس فى كتاب ، فاللهُ المسئول أن يُقدِّس رُوحه ، فلقد كان الغاية ، وشاهدُ ذلك ما اشتملت عليه تواليفه من ذلك ، وناهيك بمختصره فى الفقه ، الذى ما وُضِع فى الإسلام مثلُه ، لضبطه فيه المذهب : مسائلَ وأقوالا ، مع الزيادة المكمّلة ، والتنبيه على المواضع المُشكِلة ، وتعريف الحقائق الشرعية . انتهى كلام الأُبِّى .

المقصود بالتأليف

ورأيت بخط بعض الأكابر ما نصّه : المقصود بالتأليف سبعة : شىء لم يُسْبَق إليه فيُؤلَّف ، أو شىء أُلِّفَ ناقصا فيُكَمَّل ، أو خطأً فيُصَحَّح ، أو

مُشكِلٌ فيُشرَح ، أو مُطوّل فيُختصر ، أو مُفترِق فيُجمَع ، أو مَنثور فيُرَتّب .

وقد نظمها بعضهم فقال :

ألاَ فاعلَمنْ أنّ التآليف سَبْعَةٌ لكلّ لَبيب فى النّصيحة خالصِ
فشَرْحٌ لإغلاق وتصحيحُ مُخطِئ وإبداعُ حَبْرٍ مُقدِمٍ غير ناكص
وترتيبُ مَنْثورٍ وجَمْعُ مُفرّقٍ وتقصير تطويلٍ وتتميمُ ناقص

تعليق للونشريشى على كلام الأبى

وألفيت بخط شيخنا ، الإمام القاضى سيدى عبد الواحد الونْشَريشى ، رحمه الله ، ما نصّه : [(1)]ألفيت بخط والدى ، رحمه الله ، على طُرّة من هذا المحلّ ، أعنى كلام الأبّى السابق ، ما نصّه[(1)] :

[٥٣١] قلت : من هنا يُعلم أن إطلاق اسم المدرِّس على المقتصر على نقل تقاييد الرسالة والمدوّنة ، من غير فَتْشٍ ولا تَنْزِيل ، ولا كشف واستظهار بغيرها : مجاز ، لا حقيقة ؛ وهذا الوَصْف كاد أن يَعُمّ أهل الوقت أو عَمّهم ، فنسأل الله العظيم المغفرة من التّطَفّل ، وتعاطى ما ليس فى المقدور .

ثناء الأبى على تواليف أستاذه ابن عرفة

وقال أيضًا : تأمّل هاهنا الثناء على شيخ الإسلام ، الإمام أبى عبد الله بن عَرفة ، أسكنه الله دار السلام ، وعلى تآليفه ، لا سيما مختصره الفِقْهى ، الذى أعجز معقولُه ومَنقولُه الفُحول ، خلافا لبعض القاصرين من طَلَبة فاس ، فإنهم يقولون : ما يقول شيئا ، يُطْفِئون نُور الله ، ويحتَقِرون ما عظّم الله ، ومُسْتَنَدهم فى ذلك — بزعمهم — حكاية تُؤثَر عن الشيخ المحقّق ، أبى العبّاس القَبّاب ، لا رأس لها ولا ذَنَب ، وحاشاه من ذلك ، وما أراهم فى هذا إلا كما قال الأوّل :

وكَمْ مِنْ عائبٍ قولاً صحيحا وآفتُه من الفهْم السّقيمِ

(١ — ١) هذه العبارة ساقطة من ط .

ولقد حبَس ملوك المغرب ، رضوان الله عليهم ، بخزانتى القرويين والأندلسيِّين ، من هذا الديوان المبارك نسخا عديدة ، ثم لا يُعَرِّج عليها المطالعة فى هذا الوقت أحدٌ من طَلَبة الحضرة ، شتاء ولا صيفا ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، بخلاف ما قُيِّدَ عن الشيخ الجَزولىّ ، وأبى الحسن الصُّغَيِّر ، فإنك تجدُهم يزدحمون عليها فى كل زمان ، وخصوصا فصلَ الشتاء ، لا يَلحقُ الآخِرُ منها ورقة واحدة ، مع كثرة عددها بحيث ذُكِر ، بل تجدهم يتنافسون فى اقتنائها ، بالأثمان العظيمة المُجْحِفة ، ومَن مَلَكَ منهم المسبَّع من الجَزولىّ ، وتقييد اليَحْمدىّ عن أبى الحسن ، أو حصلت له عناية بنقلها ، فهو عالِم العالمَ [٥٣٢] بأسره ، وحائز مذهب إمام دار الهجرة على التمام ، والقائم بأمره . ولقد كان الحسن المَغيلىّ عندهم فى أعلى طبقة من الفقه والتفقه ، لقيامه على مُسَبَّع الجزولىّ نقلا ، ولقد شاهدتهم يتساقطون كالفَراش ، على نسخة من الجَزُولىّ بخزانة القَرويين ، زعموا أنها بخط أبى على الحسن المذكور ، وهى مشحونة بالتصحيف ، تُعْمِى البَصر والبصائر ، نَوَّر الله قلوبَنا بذكره ، وعَمَّر ألسنتنا بشكره ، ووفّقنا لما فيه رضاه عنّا .

انتهى ما أُلْفِى بخط الشيخ[1] سيدى أحمد الونشريشى ، رضى الله عنه .

لبعضهم يمدح مختصر ابن عرفة فى الفقه

أقول : ولقد أحسنَ بعض الأكابر من طلبة ابن عرفة ، رحمه الله تعالى ، إذ يقول فى مدح مختصره المذكور[1] :

إذا ماشئت أن تُدْعَى إماما ... فخُذْ فى دَرْس مختصر الإمامِ
تنالُ به السعادةَ والمعالِى ... وتُضحى ظاهرا بين الأنام

(١) العبارة من قوله : « سيدى أحمد » إلى « المذكور » : ساقطة من ط .

كتابٌ قد حوَى من كلّ علمٍ　　كبستانٍ سُقِى غيثَ الغمام
فدَعْ عنك السآمةَ وادْرُسْنهُ　　وعن عَينيْك دَعْ طيبَ المنام
وحَلِّ بُدّرِه جيدَ المعالِى　　تَفُزْ بالخُلْد فى أَعْلى مقام

بين القباب وابن عرفة

وما أشار إليه الشيخ الونشريشىّ من قوله : « ومُستندهم فى ذلك — بزعمهم — حكايةٌ تُؤْثَر عن القبّاب ، لا رأس لها ولا ذَنَب » ، أشار به إلى ما يزعمون عن الشيخ القَبّاب ، وقد نقلها شيخنا الإمام سيّدى أحمد بابا ، أبقاه الله فى تكميله لديباج ابن فَرْحون ، ونصُّه :

ويقال إنه لما حج اجتمع فى تُونِس بابن عرفة ، فأوقفه على ما كَتب من مختصره الفَرْعىّ ، وقد كان شرع فى تأليفه ، فقال له القبّاب : ما صنعتَ شيئًا . فقال له ابن عرفة : ولِمَهْ ؟ قال : لأنه لا يَفهمه المُبتدى ، ولا يحتاج إليه المنتهى . فتغيَّر وجه ابن عرفة ، ثم ألقى عليه مسائلَ أجابه عنها القبّابُ .

ويقال إنّ كلامه هو الحامل لابن عرفة على أن بَسط العبارة فى أواخر المخْتصر ، وبيّن الأختصار ، والله أعلم . انتهى كلام شيخنا أبقاه الله .

إيراد للسلطان أبى عنان على بعض الفقهاء

[٥٢٣] قلت : رأيت بخط ابن داود الأندلسىّ ثم التلِمْسانىّ ، ما نصّه : وجدت بخط الرّملى(٤) ما نصه : حدثنا الشيخ ابن عَرَفة رضى الله تعالى عنه ، عن الشيخ القَبّاب الفاسىّ ، عن الآبُلِىّ ، قال : أورد السلطان أبو عِنانٍ على فقهائه الجِلّة ، فى قول عائشة رضى الله عنها ، فى حديث مسلم : « فتُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما يُقرَأُ : « خَمسُ رَضَعاتٍ يُحَرِّمْن » . انظره فى مسلم . قال : يلزم على هذا الخُلفُ فى خبرها ، رضى الله تعالى عنها ، أو عدم حفظ القرآن ،

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : « أبى على » .

وكلاهما مُحال . قال : فسكَت الحاضرون بأجمعهم . قال : فقلتُ : القرآن على قسمين مُتَحَدًّى به ، وهو المعْجِز ، وغير مُتَحَدًّى به ، والأوَّل هو المحفوظ ، بخلاف الثانى ، بدليل هذا الحديث . قال : فقَبِله الحاضرون كلُّهم .

ولْنُوردْ هنا تمامَ الحكاية : وهذا يحتاج إلى دليل . وشَنَّعه الأستاذ أبو سعيد ابن لُبٍّ غاية التشنيع ، وقال : كَوْن القرآن على قسمين : قسْمٍ معجز مُتحدًّى به محفوظ ، يصلى به ؛ وقسمٍ بخلاف ذلك ، يحتاج إلى دليل ، ولا يُوجد . انتهى .

ولو قيل : إنه لم يبلغها النَّسْخ ، كما أجابوا به فى حديث ابن مسعود ، فى حديث سُورة : « واللَّيْل إذا يَغْشَى » ، لكان أبْيَن وأحسن . وذكر ابن الخطيب القُسَنْطِينىّ أنها فى أسئلة مجموعة ، منسوبة إلى السلطان أبى عِنان ، رحم الله تعالى الجميع . انتهت الوِجادة . ونقلتها بطولها ، لما فيها من الفائدة . والمسألة اعتاد الكلام عليها فى « مُرتقى الوُصول ، إلى بناء الفروع على الأصول » ، للسيد أبى عبد الله الشَّريف ، فراجعها منه . انتهى كلام ابن داود رحمه الله .

امامة الشيخ بن عرفة لا تجحد

[٥٣٤] قلت : وبالجملة فإمامة الشيخ ابن عَرفة لا تُنكَر ولا تُجحَد ، ومعرفته بالفُنون ، وتبريزه على أهل عصره ، مما يَعْترف به كل مُنصِف لَوْذَعِىٍّ أوْحد ، ولله دَرُّ صاحب « الشقائق النُّعمانية ، فى علماء الدولة العُثمانية » ، حيث صرَّح بأن ابنُ عرفة فاق أقرانَه فى فقه المالكيّة بالمغرب ، آخرَ الثامن . ونصّ كلامه ، عند ما ترجم لصاحب القاموس :

ترجمة الفيروزابادى ، عن الشقائق النعمانية

التعريف به

هو المولَى الفاضل ، مَجْدُ الدين أبو الطّاهر ، محمد بن يعقوب بن محمد الشِّيرازىّ الفَيْروزابادىّ .

نسبه

كان رحمه الله تعالى ينتسب إلى الشيخ أبى إسحاقَ الشِّيرازىّ ، صاحب

التَّنبيه ، وربما يَرْفَعُ نسَبه إلى أبى بكر الصِّدِّيق ، رضى الله عنه ، وكان يكتب بخطه : « الصِّدِّيقىّ » .

رحلاته وبعض تواليفه وصفاته

دخل بلادَ الروم ، وأتصل بخدمة السلطان بايزيد بن السلطان مراد ، ونال عنده رُتبة وجاها ، وأعطاه السلطان مالا جزيلا ، وأعطاه الأمير تَيْمور خمسة آلاف دينار ، ثم جال البلادَ شرْقا وغربا ، وأخذ عن علمائها ، حتى بَرَع فى العلوم كلها ،[لا] سيَّما الحديثُ والتفسير والفقه . وله تصانيف كثيرة ، تُنَيِّف على أربعين مُصَنَّفا ، وأجلّ مُصَنَّفاته « اللامع الْمُعْلَم العُجاب ، الجامع بين الْمُحْكَمِ والعُباب » ، وكان تمامه فى ستين مجلدة ، ثم لخصها فى مجلَّدتين ، وسَمَّى ذلك الملَخَّص بـ « القاموس المحيط » ، وله تفسير القرآن العظيم ، وشرح البخارى والمشارق ، وكان لا يَدخل بلدة إلَّا وأكرمه واليها ، وكان سريع الحفظ ، وكان يقول : لا أنام حتى أحفظ مِئَتَى سطر ، وكان كثير العِلْم والأطلاع على المعارف العجيبة ؛ وبالجملة كان آية فى الحفظ والأطلاع والتصنيف .

ميلاده ووفاته

وُلد رحمه الله تعالى سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارزين ، من أعمال شِيراز ، وتُوُفِّى قاضيا بزَبيد ، فى بلاد اليمن ، ليلة العِشرين من شوّال ، سنة ستّ أو سبْع عَشْرَةَ وثمان مِئة ، ودُفِن بتُربة الشيخ إسماعيل الْجَبَرْتىّ .

هو آخر من مات من الرؤساء

[٥٣٥] وهو آخر من مات من الرؤساء ، الذين انفرد كلّ منهم بفنّ فاق فيه أقرانَه ، على رأس القَرن الثامن ، وهم الشيخ سِراج الدين البُلْقِينى ، فى الفقه على مَذهب الشافعى ؛ والشيخ زَين الدين العِراقىّ فى الحديث ؛ والشيخ سراج الدين ابن الملقِّن ، فى كثرة التصانيف وفن الفقه والحديث ؛ والشيخ شمس الدين الفَنارىّ ، فى الأطلاع على كلّ العلوم العقلية والنقلية والعربيّة ؛ والشيخ أبو عبد الله بن

عَرَفة ، فى فقه المالكية بالمغرب ، والشيخ مجد الدين الشيرازىّ ، فى اللغة . رحمهم الله تعالى أجمعين رحمة واسعة .

انتهى ما قصَدته من كلام صاحب « الشّقائق النُّعمانية ، فى عُلَماء الدّولة العثمانية » .

استدراك بابن خلدون

قيل : ولو زاد ولىّ الدين بنَ خَلْدونَ فى التاريخ وطبائع العالَم ، لَحُسن ، والله تعالى أعلم .

قلت : وإذ جرى ذِكْر صاحب القاموس ، فلا بأس أن نُورِد ترجمته ، على أتمّ ممّا ذكره صاحب « الشقائق النُّعمانية » ، وربما وقع التخالف ، فنقول :

ترجمة ثانية للفيروزابادى ، عن الضوء اللامع للسخاوى

قال بعض حُفّاظ المشارقة ، وهو الإمام السَّخاوىّ فى كتابه « الضوء اللامع[1] » :

هو محمد بن يعقوب ، بن[2] إبراهيم ، بن عمر ، بن أبى بكر ، بن أحمد ، ابن محمود ، بن إدريس ، بن فَضْل الله ، بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم الكارِزينى[3] ، المشهور بمولانا الشيخ مَجْد الدين ، الفيروزابادىّ ، اللغوىّ الشافعىّ . ولد فى ربيع [الآخر][4] سنة وعشرين وسبع مئة بكارِزين ، فنشأ بها ، وحَفِظ القرآن وهو ابن سبع ، وانتقل إلى شِيراز وهو ابن ثمان ، فأخذ الأدبَ واللغة عن والده ، ثم عن القوّام عبد الله بن محمود [بن النَّجم][4] ،

(١) نقل المؤلف ترجمة صاحب القاموس عن الضوء اللامع باختصار فى بعض العبارات .

(٢) فى الضوء اللامع : « ... يعقوب بن محمد بن إبراهيم » . وفى مقدمة تاج العروس : « ... يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم » .

(٣) كذا فى شرح القاموس مادة : « كرز » . وفى الأصول : « الكازرونى » . وفى القاموس وشرحه : « وكارزِين ، بكسر الراء كما هو المشهور ، ومثله ضبطه الصاغانى ، وضبطه السمعانى بفتحها : بلد بفارس ... وبه ولدت ... وأن من قال كازرين أو كازرون فقد أخطأ » .

(٤) ما بين الحاصرتين : عن الضوء اللامع .

وغيرهما من علماء شيراز ، وانتقل إلى العراق ، فدخل واسطَ وَبغداد ، وأخذ عن الشَّرف عبد الله بن بَكتاش[١] ، وهو قاضى بغداد ، ومدرِّس النظامية بها ، وولِيَ[٢] به تداريس وتصادير ، وظهرت فضائله ، وكثُر الأخذ عنه ، فكان ممن أخذ عنه الصَّفَدِىّ . [ثم دخل القاهرة][٣] و[لقى بها][٤] البهاء بنَ عَقيل ، والجَمال الأسنوى ، وابن هشام . وأخذ عن علمائها ، وجال فى البلاد المشرقية والشمالية[٥] ، ودخل الروم والهند ، ولَقِى جَمْعا من الفضلاء ، وحَمَل عنهم شيئا كثيرا ، تجمعهم مشيختُه ، تخريجُ الجَمَال بن موسى المراكُشِىّ ، وفيه أنّ [مِن][٦] مرويّاتِه الكُتبَ الستة ، وسُنن البَيْهقى ، ومُسْنَدَ أحمد ، وصحيحَ ابن حِبّان ، ومصنَّفَ ابن أبى شَيْبة ، وغيرَ ذلك ، غيرَ[٧] مشايخ عديدة ، وجم غفير .

[٥٣٦]

(١) ورد هذا الاسم مضطربا فى الأصول . وقد صوبناه عن مقدمة تاج العروس .

(٢) فى العبارة اضطراب بسبب سقطة قبل قوله « وولى » . ولعلها من قلم الناسخ . ونحن نثبت هنا العبارة الساقطة كما وردت فى الضوء اللامع ، ليتصل بعض الكلام ببعض : « وعمل عنده معيدها سنين ، ثم ارتحل إلى دمشق ، فدخلها سنة خمس وخمسين ، فسمع بها من التقى السبكى ، وأكثر من مئة شيخ ، منهم ابن الخبّاز ، وابن القيم ، ومحمد بن إسماعيل بن الحموى ، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوى ، وأحمد بن مظفر النابلسى ، ويحيى بن على بن محلى بن الحداد الحنفى ، وغيرهم ، ببعلبك ، وحماة ، وحلب . وبالقدس من العلائى ، والبيانى ، والتقى القلقشندى ، والشمس السعودى ، وطائفة . وقطن به نحو عشر سنين » .

(٣) جاء قوله : « ثم دخل القاهرة » بعد كلمة « ابن هشام » الواردة بعد . وقد أثبتناها فى هذا الموضع عن الضوء اللامع ، ليستقيم الكلام .

(٤) زيادة عن الضوء اللامع يستقيم بها الكلام .

(٥) فى الأصول : « والشامية » . والتصويب عن الضوء اللامع .

(٦) زيادة عن الضوء اللامع .

(٧) قول المؤلف : « غير مشايخ عديدة ، وجم غفير » : غير متصل بما قبله . وظاهر أنه تتمة لكلام له عن مشايخ المترجم به ، سقط من الناسخ . ويوضح هذا ماورد فى ذلك فى الضوء اللامع ، نقلا عن الجمال المراكشى : « إن من مشايخه من أصحاب الفخر بن البخارى ، والنجيب الحرانى ، وابن عبد الدائم ، والشرف الدمياطى ، الجم الغفير ، والجمع الكثير ، من مشايخ العراق والشام ومصر وغيرها » .

ثم دخل زَبيدَ فى رمضان سنة ستٍّ وتسعين ، بعد وفاة قاضى الأقضية باليمن كلّه ، الجمال الرَّيْمى[١] ، شارح « التَّنْبيه » ، فتلقّاه الأشرفُ إسماعيل [بالقَبول][٢] ، وبالغ فى إكرامه ، وصرف له ألف دينار ، سوى ألفٍ أخرى أمر ناظرَ[٣] عدَن أن يجهِّزه بها ، واستمر مقيما فى كَنَفه على نشر العلم ، وكَثُر الانتفاعُ به ، وأضيف إليه قضاء اليمن كلِّه فى ذى الحجة سنة سبع وتسعين ، بعد ابن عُجَيْل ، فارتفق بالمُقام فى تِهامة ، وقصدَهُ الطلبة ، وقرأ السلطانُ فمَنْ دونه عليه ، فاستمرّ بزَبيدَ مدة عشرين سنة ، وهى بقية أيام الأشرف ، ثم ولدِه الناصر [أحمد][٢] . وكان الأشرفُ قد تزوج ابنتَه لمزيد جمالها ، ونال منه برًّا ورفعة ، بحيث إنه صنَّف كتابا وأهداه له على أطباق ، فملأها له دراهم ؛ وفى أثناء هذه المدة قدِم مكة مرارا ، وجاور بالمدينة والطائف ، وعمل بها مآثرَ حَسَنة ، وكان يُحِبّ الانتسابَ إلى مكة ، ويكتب بخطه : « الملتجِىء إلى حرم الله تعالى » ، ولم يدخل بلدا إلا وأكرمَه متولّيها ، وبالغ فى تعظيمه ، مثل شاه منصور بن شجاع ، صاحب تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، [والسلطان بايزيد خان بن عثمان ، متولى الروم ، وابن أويس صاحب بغداد] ، وتَمَرْلَنْك ، وغيرهم .

كتبه ومؤلفاته [٥٣٧] واقتنى كتبا كثيرة ، حتى نُقِل عنه أنه قال : اشتريت بخمسين ألف مثقال [ذهبا][٢] كتبا . وكان لا يسافر إلا وفى صحبته منها أحمال ، ويخرجها فى كل منزل وينظر فيها . وصنَّف كتبا كثيرة ، منها : « بصائر ذوى التمييز ، فى لطائف الكتاب العزيز » ، مجلدان ، و « تنويرِ المِقباس ، فى تفسير ابن عبَّاس »

(١) كذا ذكره فى شرح القاموس مادة «ريم» وفى الضوء اللامع . وورد هذا الاسم فى الأصول محرفا .
(٢) زيادة عن الضوء اللامع .
(٣) فى الأصول : «صاحب» . وما أثبتناه عن الضوء اللامع ، والبدر الطالع .

أربع مجلدات ، و « تيسير فاتحة الإهاب ، فى تفسير فاتحة الـكتاب » ، مجلد كبير ، و « الدر النظيم ، المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم » ، و « حاصل كورة الخلاص ، فى فضائل سورة الإخلاص » ، و « شرح خطبة الـكشّاف » ، و « شوارق الأسرار العلية ، فى شرح مشارق الأنوار النبوية » أربع مجلدات ، و « منح البارى ، بالسـيل الفسيح الجارى ، فى شرح صحيح البخارى » كَمَلَ رُبع العبادات منه فى عشرين مجلدا ، و « الإسعاد ، بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد » ، ثلاث مجلدات ، و « النفحة العنبرية ، فى مولد خير البرية » ، و « الصِّلاتُ والبُشَر فى الصّلاة على خير البَشَر » ، و « الوَصْل والمُنَى ، فى فضل مِنَى » ، و « المغانم المُطابة ، فى مَعالم طابة » ، و « مُهَيِّج الغرام ، إلى البلد الحرام » ، و « إثارة الحَجون لزيارة الحَجُون » ، عمله فى ليلة ، و « أحاسن اللطائف ، فى محاسن الطائف » ، و « فصْل الدُّرة من الخرَزَة ، فى فضْل السّلامة على الخِبَزَة » ، قريتان بالطائف ، و « روضة الناظر ، فى ترجمة الشيخ عبد القادر » ، و « المِرقاة الوفيّة ، فى طبقات الحنفية » ، و « البُلغة ، فى تراجم أئمة النُّحو واللغة » ، و « الفضل الوفىّ ، فى العدل الأشرفى » ، و « نزهة الأذهان ، فى تاريخ أصبهان » ، و « تَعيين الغُرفات ، المعين على عَيْن عرَفات » ، و « مُنْية السُّول ، فى دعوات الرسول » ، و « التَّجاريح فى فوائد متعلقة بأحاديث المَصابيح » ، و « تسهيل طريق الوصول ، إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول » ، و « الأحاديث الضعيفة » ، و « الدر الغالى ، فى [٥٣٨] الأحاديث العَوالى » ، و « سِفْر السعادة » ، و « المتفق وضعا ، المختلف صنعا » ، و « اللامع المُعْلَم العُجاب ، الجامع بين المحكَم والعُباب ، وزياداتٍ امتلأ بها

(١) السلامة : قرية من قرى الطائف ، بها مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم ، وفى جانبه قبة فيها قبر ابن عباس وجماعة من أولاده ، ومشهد للصحابة ، رضى الله عنهم . والخِـبَزَة (كعنبة) : قرية بالطائف أيضا .

الوِطاب » ، قُدِّر تَمامه فى مِئة مجلد ، يقرب كل مجلد منه من صِحاح الجوهرى[1] ، أكمَل منه خمس مُجلَّدات ، و « القاموس المحيط ، والقابوس الوسيط » ، و « مقصود ذوى الألباب ، فى علم الأعراب » ، مجلد ، و « تحبير المُوَشِّين ، فيما يُقال بالسِّين والشِّين » ، تَتَبَّع فيه أوهام المُجمَل لابن فارس ، فى ألف موضع ، و « المثلث الكبير » فى خمس مُجلَّدات ، و « الروض المسلوف ، فيما له أسمان إلى الألوف » ، و « تُحفة القَماعيل ، فيمن يُسَمَّى من الملائكة والناس إسماعيل » ، و « أسماء السَّراح ، فى أسماء النِّكاح » ، و « الجليس الأنيس ، فى أسماء الخندريس » مجلد ، و « أنواء الغَيْث ، فى أسماء اللَّيْث » ، و « ترقيق الأسَل ، فى تصفيق العسل » فى كُرَّاسين ، و « زاد المعاد ، فى وزن بانت سُعاد » ، وشَرحه فى مجلد ، و « التحف الظَّرائف ، فى النُّكَت الشرائف » ، وغيرُ ذلك من مختصر ومطوّل .

السكرمانى عليه

وقال التقىّ الكَرمانىّ : كان عديم النظير فى زمانه نظما ونثرا ، بالفارسىّ والعربىّ ، جال البلاد ، واجتمع بمشايخ كثيرة ، وأقام بدَهْلَك[2] مدة عَظَمَة سلطانها ، وجاور بمكة عشر سنين ، وصنَّف بها القاموس ، فى مجلدات ، فأمره والدى باختصاره ، فاختصره فى مجلد ضخم ، وفيه فوائد عظيمة ، واعتراضات على الجوهرىّ ؛ وسافر إلى الهند والروم ، وعظَّمه سلاطينها ، واجتمع بتَمَرْلَنك ، فعظمه ، وأنعم عليه بمئة ألف درهم .

ثناء الخزرجى عليه

وقال الخزرجى فى تاريخ اليمن : إنه لم يزل فى ازدياد من علوّ الجاه والمكانة ، ونفوذ الشفاعات والأوامر على القضاة فى الأمصار .

---

(١) فى م والبدر الطالع : « كل مجلد منه يقرب من صحاح الجوهرى » .

(٢) كذا فى الضوء اللامع ، وهى جزيرة فى بحر اليمن ، مرسى بين بلاد اليمن والحبشة . وفى الأصول : « دِهـكَلى » . ولعله تحريف .

رغبته فى سك... الحجاز

ورام فى عام تسعة وتسعين الوصول إلى مكة ، شرّفها الله ، فكتب إلى السلطان ما مثاله :

كتابه إلى الأشرف إسماعيل

[٥٣٩] « ومما تُنهيه إلى العلوم الشريفة ، ضعف العبد ، ورِقّة جسمه ، ودِقّة بنيته ، وعلوّ سنّه ، وقد آل أمره إلى أن صار كالمسافر الذى تحزّم وانتعل ، إذ وَهَنَ العظم والرأس اشتعل ، وتضعضع السِّنّ ، وتَقَعْقَع الشَّنّ ، فما هو إلا عِظام فى جِراب ، وبُنيان [قد] أشرف على الخراب ، وقد ناهز العشر التى تسمّيها العرب دَقّاقَةَ الرِّقاب ؛ وقد مرّ على المسامع الشريفة غيرَ مرّة فى صحيح البخارىّ ، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا بلغ المرء(١) ستين سنة فقد أعذر الله إليه ، فكيف مَنْ يُنَيِّف على السبعين ، وأشرف على الثمانين ؟ ولا يجمل بالمؤمن أن يمضى عليه أربع سنين ، ولا يتجدّد له شوق [وعزم](٢) إلى بيت رب العالمين ، وزيارة سيد المرسلين . وقد ثَبَت فى الحديث النبوىّ ذلك ؛ والعبد له ستُّ سنين(٣) عن تلك المسالك ، وقد غلب عليه الشوق ، حتى جلّ عَمْرُه عن الطَّوْق ، ومِنْ أقصَى أُمنيته ، أن يجدِّد العهد بتلك المعاهد ، ويفوز مرة أخرى بتلك المشاهد ، وسؤاله من المراحم العلية(٤) الصدقةُ عليه بتجهيزه فى هذا العام ، قبل اشتداد الحرّ وغَلَبة الأوام ، فإنّ الفَصْل أطيب ، والريح أزْيب ؛ وأيضا كان من عادة الخلفاء ، سلفا وخلفا ، أنهم كانوا يُبْرِدون البريد لتبليغ سلامهم لحضرة(٥) سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فاجعلنى ،

(١) كذا فى أكثر الأصول والضوء اللامع . وفى ط : « العبد » .

(٢) هذه الكلمة من الضوء اللامع .

(٣) فى العبارة نقص ، ولعل تمامها : « بعيدا عن » بزيادة « بعيدا » أو كلمة بمعناها .

(٤) فى الضوء اللامع : « الحسنية » .

(٥) فى الضوء اللامع : « إلى حضرة » .

جعلنى الله فداك ، ذاك البريد ، فلا أتمنى شيئا سواه ولا أريد .

شوقى إلى الكعبة الغرّاء قد زادا فاستحمِلِ القُلُص الوخّادة الزادا
واستأذِنِ الملِكَ المِنعام زِيد عُلاً واستودعِ الله أصحابا وأولادا

فلما وصل كتابه إلى السلطان ، كتب على طُرّته ما مثاله :

[٥٤٠] « إن هذا الشيء ما ينطق به لسانى ، ولا يجرى به قلمى ، فقد كانت اليمن عمياء فاستنارت ، فكيف يمكن أن نتقدّم وأنت تعلم أن اللهَ قد أحيا بك ما كان ميتا من العلم ؟ فبالله عليك إلاّ ما وهبت لنا بقية هذا العمر . واللهِ يا مجدَ الدين ، يمينا بارّة ، إنى أرى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقَك أنتَ اليَمنَ وأهلَه .

ثناء الفاسى عليه

قال الفاسِىّ : له شعر كثير ، ونثره أعلى ، وكان كثير الاستحضار لمستحسنات الشعر والحكايات ، وله خطّ جيد مع السرعة ، وكان كثير الحفظ ، حتى يقال إنه قال : ما كنت أنام حتى أحفظ مئتى سطر ؛ وكانت له دار بمكة على الصّفا ، عملها مدرسة للأشرف صاحب اليمن ، وقرّر بها مُدرِّسين وطلَبة ، وفعل بالمدينة كذلك ، وله بمنًى دور ، وبالطائف بُستان ، وقد سارت الركبان بتصانيفه ، لا سيما القاموس ، فإنه أُعطِىَ قَبولا كثيرا .

نور الدين على يمدح كتابه القاموس

قال الأديب المفلِق نور الدين على بن محمد العفيف[1] المكّىّ الشافعى لما قرأ عليه القاموس :

مُذْ مَدَّ مَجْدُ الدين فى أيامه[2] من فيض[3] أبحر علمه القاموسا
ذهبتْ[4] صِحاح الجوهرى كأنها سحر المدائن حين أُلْقِىَ موسَى

(١) كذا فى الأصول وتاج العروس . وفى الضوء اللامع : « بن العليف » .
(٢) فى بعض النسخ : « واحد عصره » . وفى بعضها : « فى أرجائنا » .
(٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول والضوء اللامع وتاج العروس : « بعض » .
(٤) فى بعض النسخ : «أضحت» .

من شعر المترجم

ومن شعره مما كتبه عنه الصَّلاح الصَّفَدِيُّ ، رحمهما الله :

أحبتنا الأماجـــدَ إن رَحَلتم ولم ترعَوْا لنـــا عَهدًا[(١)] وإلاّ
نودِّعْـكم ونودعْـكم قـــلوبا لعلّ الله يجمعنـــــا وإلاّ

تاريخ وفاته

وكان يرجو وفاته بمكّة [المشرفة] ، فما قدّر [الله] له ذلك ، بل تُوُفِّى بزَبيد ، وقد ناهز التسعين ، وهو مُمَتَّع بحواسه ، وذلك ليلة العشرين من شوّال ، سنة سبعة عشر وثمان مئة ، تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنته .
انتهى ملخصا من الضوء اللامع للسَّخاوى ، رحمه الله .

للفيومى يمدح القاموس

ولأبى عبد الله الفَيّومى يمدح القاموس المذكور :

لله قامـــوسٌ يَطيب ورودُه أغنى الورَى عن كل مَعْنًى أزهرِ
لَفَظ الصّحاح بلفظه والبحرُ من عاداته يُلقى صِحـاح الجوهرى

وللواسطى فى رموز القاموس

[٥٤١]

وقال عبد الرحمن[(٢)] بن مَعمر [الواسطى] فى رموزه :

وما فيه من رَمْزٍ بحرف لخمسة[(٣)] فميم لمعروف ، وعين لموضـعِ
وجيم لجمـــع ، ثم هاء لقرية وللبـلد الدال التى أهملت فعَ

وله يمدح القاموس

وأنشدنا فيه لغيره ، سيدُنا ومولانا شيخ الشيوخ ، وخاتمة أهل التَّثَبُّت والرسوخ ، مُلحِق الأحفاد بالأجداد ، المبرِّز على النظراء والأنداد ، مفتى تِلمْسان وأصقاعها ، ومعتَمَد أهل أقطارها وبقاعها ، عَمُّنا سيدى سعيدُ بن أحمد المَقْرِىّ ، صبّ الله عليه شآبيب رضوانه ، آمين :

(١) كذا فى الضوء اللامع وإنباء الغمر وفيما سيأتى فى جميع الأصول . وفى الأصول هنا : « ودا » .
(٢) فى م : « عبـد الله » وهو تحريف . وقد نسب هذان البيتان أيضا إلى مؤلف القاموس (انظر تاج العروس فى المقدمة) .
(٣) رواية هذا الشطر فى تاج العروس : « وما فيه من رمز لخمسة أحرف » .

ألا ما لهذا فى اللغات مُشابِهُ   فما هو إلا كاسمه زاخرٌ بحرُ
أحاط بما يحوِى سواه وفاقه   بمبدَع لفظ مع لغات بها كُثْرُ
جزى الله خيرا مَن تصدَّى لجمعه   وآتاه فضلا زاد ما اتّصل الدهرُ

قلت : هذه الأبيات لتقيّ الدين الواسطى ، نظمها تُجاه الكعبة المشرفة .

وأنشدنى أيضا ، رحمه الله ، وكتبهما بخطّه :

وما جاء فى القاموس رَمزًا فستة :   لموضِعهمْ عينٌ ، ومعروفٍ الميمُ
وجَجٌّ لجمع الجمع ، دال لبلدة   وقريتهمْ هاء ، وجمع له الجيم

انتهى .

شعر للمترجم وقد قرأ صحيح مسلم

قلت : ومن أغرب ما منح الله تعالى المجد مؤلفَ القاموس المذكور ، أنه قرأ بدمشق بين بابى النصر والفَرَج ، تُجاه نَعْل النبى صلى الله عليه وسلم ، على ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن جَهْبَل ، صحيح مسلم فى ثلاثة أيام ، وتبجَّح فقال :

قرأتُ بحمد اللهِ جامع مُسْلِمٍ   بجوف دمشق الشام جوفا لإسلام
على ناصر الدين الإمام بن جَهْبَل   بحضرة حُفاظٍ مشاهِيرَ أعلام
وتَمّ بتوفيق الإلٰه بفضله   قراءةَ ضبط فى ثلاثة أيام

فسُبحان المانح الذى يؤتى فضلَه من يشاء .

ترجمة ثالثة للفيروزابادى ، عن انباء الغمر لابن حجر

وبعد أن كتبت هذه الترجمة ، وقفت على كلام تلميذه الإمام ابن حَجَر فى « إنباء الغُمْر ، بأنباء العُمْر » ، فأوردته هنا ، وإن كان مخالفا فى بعض المواقع [٥٤٢] لما قدمته ، إذ لا يخلو من فائدة ، ونصّه :

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عُمر الشِّيرازى ، الشيخُ العلاّمة ،

مجدُ الدين أبو الطاهر الفَيروزابادى ، كان يَرفَع نَسَبه إلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازىِّ صاحب « التنبيه » ، ويذكر أن بعد « عمر » أبا بكر بن أحمد [بن أحمد] بن فضل الله بن الشيخ أبى إسحاق . ولم أزل أسمع [مشاهير] مشايخنا يطعُنون فى ذلك ، مُستندين إلى أن [الشيخ] أبا إسحاق لم يُعقِب .

ثم ارتقى الشيخُ مجد الدين درجة ، فادَّعى بعدَ أن وَلِىَ قضاء اليمن بمدة طويلة ، أنه من ذُرِّيَّة أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه . وزاد إلى أن رأيت بخطه لبعض نُوَّابه فى بعض كتبه : « محمد الصِّدِّيقىّ » ؛ ولم يكن مدفوعا عن معرفة ، إلا أنَّ النفس تأبى قبولَ ذلك .

مولده ورحلاته

وُلِد الشيخ مجد الدين سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارِزين ، وتفقَّه ببلاده ، وسمع بهـا من محمد بن يوسف الزَّرَنْدِىِّ المدنىّ صحيحَ البخارىّ ، وعلى بعض أصحاب الرَّشيد بن أبى القاسم ، ونظر فى اللغة ، فكانت جُلَّ قصده فى التحصيل ، فمهر فيها ، إلى أن تميَّز وفاق أقرانه ، ودخل الديار الشاميّة بعد الخمسين ، فسمع بها ، وظهرت فضائلُه ، وكثر الآخذون عنه ، ثم دخل القاهرة ، ثم جال فى البلاد الشمالية والمشرقية ، ودخل الهند ، وعاد منها على طريق اليَمَن ، قاصدا مكّة [المشرَّفة] ، ودخل زَبيد ، فتلقاه الملك الأشرفُ إسماعيل بالقَبول ؛ وكان ذلك بعد وفاة جمال الدين الرَّيْمِىّ[1] ، قاضى الأقضية باليمن كلِّه ، فقرَّره الأشرفُ مكانه ، وبالغ فى إكرامه ، فاستقرت قدمه بزَبيد ، واستمرّ فى ذلك إلى أن مات . وقدم هذه المدة مكّة [مِرارا] ، وأقام بها وبالطائف ، ثم رجع وصنَّف القاموس المحيط فى اللغة ، لا مَزيد عليه فى حُسْن الاختصار ، وميَّزَ فيه

(١) فى الأصول هنا : « الذهبى » ، وهو تحريف . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢) من هذا الجزء .

زياداته على الصِّحاح ، بحيث لو أُفردت لكانت قدرَ الصحاح وأكثر ، فى عدد الكلمات ، وقُرِئَ عليه . وكان أولًا أبتدأ بكتاب كبير فى اللغة ، سمّاه : «اللامعَ المعلَمَ العُجاب ، الجامعَ بين المُحكَم والعُباب » ، وكان يقول : لو كَمَل لكان مِئة مجلد . وذكر عنه الشيخ بُرهان الدين الحلبى ، أنه تتبّع أوهام المجمل لابن فارسٍ فى ألف موضع ، وكان مع ذلك يعظِّم ابن فارس ، ويُثْنِى عليه . [٥٤٣]

كتبه وإسرافه

وقد أكثر المجاورة بالحرمين [الشريفين] ، وحصَّل دنيا طائلة ، وكتبا نفيسة ، لكنه كان كثير التبذير ، وكان لا يسافر إلا وصُحبته عِدّة أحمال من الكتب ، ويُخْرِج أكثرها فى كل منزل ، ينظر فيها ، ويعيدها إذا رحَل ، وكان إذا أملق باعها . وكان الأشرفُ كثيرَ الإكرام له ، حتى إنه صنّف له كتابا ، وأهداه له على أطباق ، فملأها له دراهم ، وصنّف للناصر كتابا سماه : «تسهيلَ الوُصول ، إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول » ، و « الإصعاد ، إلى رتبة الاجتهاد(١) » فى أربعة أسفار ، وشرع فى شرحٍ مُطَوّل على البخارى ، [ملأه] بغرائب المنقولات ، وذكر لى أنه بلغ عشرين سِفرا . إلا أنه لما اشتهرت باليمن مقالة ابن عَرَبىّ ، ودعا إليها الشيخُ إسماعيلُ الجبرتىّ(٢) ، وغلب على علماء تلك البلاد ، صار الشيخ مَجْدُ الدين يُدْخِل فى شرح البخارىّ من كلام ابن عربىّ فى الفتوحات ، ما كان سببا لشَين(٣) الكتاب [المذكور] .

ولم أكن أتهم الشيخ بالمقالة المذكورة ، إلا أنه كان يحب المداراة . وكان الناشرىّ فاضلُ الفقهاء بزَبيد ، يبالغ فى الإنكار على إسماعيل ؛ وشرح ذلك يطول . ولما اجتمعْتُ بالشيخ مجد الدين ، أظهر لى إنكار مقالة ابن عربىّ ، وغَضَّ

(١) تقدم اسم هذا الكتاب كاملا ، وهو : « الإسعاد بالإصعاد ، إلى درجة الاجتهاد » ثلاث مجلدات . (٢) اقرأ ترجمته فى البدر الطالع للشوكانى (ج ١ ص ١٣٩) .
(٣) فى م : « لنبذ » .

منها ، ورأيته يصدِّق بوجود رَتَن[1] الهندىّ ، وينكر على الذَّهَبىّ قولَه فى الميزان إنه لا وجود له . قال الشيخ مجدُ الدين : إنه دخل قريَته ، ورأى ذُرِّيته ، وهم مُطْبِقون على تصديقه ؛ وقد أوضحت ذلك فى ترجمة « رَتَن » من كتاب الإصابة. [٥٤٤]

بعض مؤلفاته

ومن تصانيفه : « شوارق الأسرار ، فى شرح مشارق الأنوار[2] » ، و« الروض المَسْلُوف ، فيما له اسمان إلى الألوف » ، و« تحبير المُوَشِّين ، فيما يقال بالسِّين والشِّين » . وكان يقول : ما كنت أنام حتى أحفظ مِئَتَىْ سطر ، ولم يُقَدَّرْ له قَطُّ أنه دخل بلدة إلا وأكرمه متولِّيها ، وبالغ فى إكرامه ، مثل شاه شُجاع ، صاحبِ تبريز ، والأشرفِ صاحب مصر ، والأشرف صاحب اليمن ، وابن عُثمان صاحب التركية ، وأحمد بن أُوَيس صاحب بغداد ، وغيرهم ، ومتَّعه الله بسمْعِه وبصره إلى أن مات .

شيوخه

سمع الشيخ مجدُ الدين من ابن الخبَّاز ، وابن القيِّم ، وابن الحموىّ ، وأحمدَ ابن عبد الرحمن المرْداوىّ ، وأحمد بن مطر النابُلسى ، والشيخ تقى الدين السبكى ، ويحيى بن علىّ بن مُجَلِّى بن الحداد ، وغيرهم ، بدمشق فى سنة نيف وخمسين ؛ وبالقُدس من العلائىّ ، والبيانىّ[3] ؛ وبمصر من القلانسىّ ، ومظفر الدين ،

(١) هو رتن بن عبد الله أو ابن كربال البترندى الهندى ، ويقال فيه رطن (بالطاء بدل التاء) : شيخ معمر ، خفى خبره دهرا طويلا ، إلى أن ظهر على رأس القرن السادس ، فادعى صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه روى عنه أحاديث . وهو شيخ دجال بلا ريب ، قيل إنه توفى سنة اثنتين وثلاثين وست مئة (عن الإصابة لابن حجر) .

(٢) فى كشف الظنون : « شوارق الأسرار العلية ، فى شرح مشارق الأنوار النبوية » . وكتاب المشارق هذا الذى شرحه الفيروزابادى : للإمام رضى الدين الصغانى المتوفى سنة ٦٥٠ ه . ويسمى « مشارق الأنوار النبوية ، من صحاح الأخبار المصطفوية » . وللقاضى عياض كتاب يسمى مشارق الأنوار أيضا فى غريب الحديث ، وسيأتى ذكره بعد فى كلام المقرى على تواليفه .

(٣) فى ص : « من العلامة البيانى » .

وناصر الدين التونسى ، وابن نُباتة ، [والفارقىّ ، والعَرَضىّ ، والعز بن جماعة ، وبمكة من خليل المالكىّ ، والتقىّ الحرازىّ] ؛ ولقى بغيرها من البلاد جمعا جمًّا من الفضلاء وحمل عنهم شيئا كثيرا ، وخرّج له الجمَال المَرّاكُشِىّ مَشيخة ، واعتنى بالحديث .

اجتمعتُ به بزَبيد ، وفى وادى الخصيب ، وناولَنى جُلّ القاموس ، وأذِن لى مع المناولة أن أُرويَه عنه ، وقرأت عليه من حديثه عِدّة أجزاء ، وسمعت منه المُسَلْسَل بالأولية لسماعه من السُّبْكىّ ، وكتب لى تقريظا على بعض تخريجاتى ، أبلغَ فيه ، وأنشدنى لنفسه فى سنة ثمان مئة بيتين ، كتبهما عنه الصلاح الصَّفدىّ ، فى سنة سبع وخمسين بدِمشْق ، و بين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة ، رحمه الله :

أخلانا الأماجدَ إن رحلتم ولم ترْعَوا لنا عَهْدا وإلاّ
نودِّعْكم ونُودعْكم قلوبا لعلّ اللهَ يجمعُنا وإلاّ

وفاته

مات [رحمه الله تعالى] فى ليلة العشرين من شوال وهو ممتّع بحواسّه ، وقد ناهز التسعين . [٥٤٥]

انتهى كلام ابن حَجَر فى ترجمته سنة سبع عشرة وثمان مئة ، من « إنباء الغُمْر ، بأنباء العُمر » .

* * *

مدح الفيروزابادى لابن عربى

ووجدت فى بعض المقيّدات بخط بعض الفضلاء ، ممن يُوثَق بدينه وعلمه من أهل عصرنا ، ما نصه :

سُئل شيخ الإسلام الشيخ مجدُ الدين الفَيروزاباديّ ، رضى الله عنه ، صاحب كتاب القاموس فى اللغة ، بما نصُّه :

ما يقول[١] سيدنا ومولانا شيخ الإسلام فى الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربيّ ، كالفُتوحات والفُصوص ، هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتها ؟ وهل هى [من][٢] الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟

فقال رضى الله عنه : الذى أقول وأتحققه ، وأدين اللهَ تعالى به : أن الشيخ محيىَ الدين ، كان شيخ الطريقة : حالا وعِلما ، وإمام التحقيق : حقيقة ورسما ، [ومحيىَ رسوم العارفين فعلا واسما] :

إذا تغلغل فِكْر المرء فى طَرَفٍ   من بحره غرِقت فيه خواطرهُ

فهو بحرٌ لا تُكَدِّرُه الدِّلاء ، وسَحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ، كانت دَعَواته تخترق السَّبْع الطِّباق ، وتفترق بركاتُه فتملأُ الآفاق ، وإنى أصفه ، وهو يقينا فوق ما وصفته ؛ وناطق بما كتبتُه ، وغالب ظنى أنى ما أنصفتُه :

وما علَىَّ إذا ما قلت مُعْتقَدى[٣]   دع الجهول يَظُنُّ[٤] العَدْل عُدْوَانا

واللهِ واللهِ العظيم ومَن   أقامه حُجَّةً للدين برهانا

إنَّ الذى قلت بعضٌ من مناقبه   ما زدت إلا لَعلِّى زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فهى البحار الزواخر ، ما وضع الواضعون مثلها . انتهى . وباقى الجواب سقط[٥] ، سهّل الله كمالَه .

---

(١) أورد المؤلف هذا الكلام فى ترجمة محي الدين بن عربي ، من كتابه نفح الطيب ، مع بعض اختلاف ، نقلا عن كتاب : (الاغتباط ، بمعالجة ابن الخياط) للفيروزاباديّ .

(٢) « من » ساقطة من عبارة نفح الطيب .

(٣) كذا فى ط ، م ونفح الطيب . وفى ص : « مقتديا » .

(٤) فى م ، ص : « يظن » .

(٥) عثر المؤلف على بقية الجواب ، وذكره فى ترجمة ابن عربى ، بالجزء الأول من كتاب نفح الطيب .

التعريف بمحي الدين بن عربى

قلت : ولما جرى ذكر الشيخ بن عربىٍّ الحاتمِىِّ ، فلا بأس[1] من أن نُلمَّ ببعض حاله ، فنقول :

[٥٤٦]

قال ابن خاتمة :

محمد بن على بن محمد الطائى بن عربىٍّ الصوفىُّ ، من أهل إشبيلية ، وأصله من سَبْتة ، يُكْنَى أبا بكر ، ويعرف بابن عربىّ ، وبالحاتمىّ أيضا .

أخذ عن مشيخة بلده ، ومال إلى الأدب ، وكتب لبعض الوُلاة بالأندلس ، ثم رحل إلى المشرق حاجا ، فأدَّى الفريضة ، ولم يَعُد بعدها إلى الأندلس ، وسمع الحديث من أبى القاسم الخَرَسْتانى وغيره ، وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبى الحسن ابن أبى نصر ، فى شوال سنة ستٍّ وست مئة ، وكان يحدِّث بالإجازة العامة عن أبى طاهرٍ السِّلَفِىّ ، ويقول بها ، وبَرَع فى علم التصوف ، وله فى ذلك تواليف كثيرة ، منها : « مِلاك التأويل ، فى حقائق التنزيل » ، و « الجُذوة المقتَبسة ، والحُظوة المختلسة » ، و « كتاب المعارف الإلٰهية » ، و « كتاب الإسرا ، إلى المقام الأسْرى » ، و « كتاب مواقع النجوم ، ومطالع أهلَّة أسرار العلوم » ، و « كتاب عَنقاء مُغْرِب ، فى صفة ختم الأولياء وشمس المغرب » ، وكتاب فى فضائل شيخه عبد العزيز [بن] أبى بكر القرشى المَهْدَوىّ ، والرسالة الملقَّبة « بمشاهد الأسرار القدسية ، ومطالع الأنوار الإلٰهية » ، [فى] كتب أُخَر عديدة .

وقدم على المَرِيَّة من مُرْسِيَة مُسْتَهَلَّ شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمس مئة ، وبها ألَّف كتابه الموسوم ، بمواقع النجوم .

رأى ابن خاتمة فى ابن عربى

قال الأستاذ أبو جعفر : ولا نُسلِّم له جميع مَقالاته وموضوعاته ، وإن كان لعلوه فى الإعراب ، قد تكلم من وراء حجاب ، وتحصَّن من الرَّمْز ، بسند

(١) فى ط : « فلا بد » .

مَنيع الحِرْز ، ففى الإشارة الراجحة الدليل ، ما يقوم مقام العبارة الواضحة السبيل .

وقد حكى لى بعض ثِقات أصحابنا ، عمن لقى من كبار شيوخ أهل العلم ، أنه [٥٤٧] كان يطعُنُ عليه ، و يرميه بوَهْنٍ فى دينه ، و ينسُبه إليه ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، إذ كل كلام يغلب[1] المجازُ والاستعارة عليه من غير قرينة ، فهو متشعِّب المسالك .

وعلى الجملة ، فهو الذى جَرَّأ على نفسه ، لمآخذه المظلِمة المدارك ، المشَوِّشة على السالك .

قال ابن الأبّار : وقد لَقِيه جماعة من العلماء والمتعبدين ، وأخذوا عنه ، وتُوُفِّىَ بعد الأربعين وست مئة .

ذكره ابن الأبار ، وقال : أفادنى بعضُ أصحابنا أنه أجاز إجازة عامة لمن أحب الرواية عنه . انتهى كلام ابن خاتمة .

التسليم للمتصوفة خير من الطعن عليهم

والذى عند كثير من الأخيار من أهل هذه الطريقة ، التسليم لهم ، ففيه السلامة ، وهو أحوط من إرسال العِنان ، وقولٍ يعود على صاحبه بالملامة .

[وما وقع لأبى حَيَّانَ وابن حَجَرٍ فى تفسيره ، من إطلاق اللسان فى هذا الصِّدِّيق وأنظاره ، فذلك من فَلَس[2] الشيطان . والذى أعتقده ولا يصح غيره ، أن الإمام ابن عربىّ ، ولىّ صالح ، وعالم ناصح ، و إنما فَوَّقَ إليه سِهام الملامَهْ ، من لم يفهم كلامَهْ .

على أنه دُسَّت فى كتبه مقالات يجل قدره عنها ، وقد تعرّض من المتأخرين ولىُّ الله الربّانىّ ، سيدى عبد الوهاب الشَّعرانىّ[3] ، نفعنا الله تعالى ببركته ،

(١) كذا فى ص . وفى ط ، م : « يقبل » .

(٢) الفلس والإفلاس : أن تطلب الشىء فتخطىء موضعه .

(٣) هو الشيخ الصالح عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوى ، نسبة إلى ساقية أبى شعرة ، قرية من ضواحى مصر ، توفى سنة ٩٧٣ هـ . (عن تاج العروس) . وفى الأصول : « الشعرانى » وهى نسبته المشهورة على ألسنة العامة . اقرأ له فى الدفاع عن ابن عربى كتاب : « الكبريت الأحمر ، فى بيان علوم الشيخ الأكبر » وانظر ما نقله المؤلف من كلامه فى نفح الطيب ، فى ترجمة ابن عربى .

لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق ، وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدور أهل التحقيق ، فليطالع ذلك من أراده ، والله ولى التوفيق] .

[التجديد والمجددون]

نظم للسيوطى فى المجددين

قلت : وإذ قد تقدم أمر التجديد أواخر القرن الثامن ، فيما جلبناه فى التعريف المنقول آنفا(١) ، ناسب أن نذكر نظم [إمام] الدنيا جلال الدين السُّيوطى ، المسمَّى « بتحفة المهتدين(٢) ، بأسماء المجدِّدين » ، ونصُّه :

الحمـــد لله العظيم المِنَّهْ ... المانِح الفضل لأهل السُّنَّهْ
ثم الصلاةَ والسلامَ نلتمسْ ... على نَبِىٍّ دينُه لا ينْدَرِسْ
لقد أتى فى خَــبَرٍ مُشْتَهَرِ ... رَوَاه كل حافظ معتــبَرِ
بأنه فى رأس كل مِئَــةِ ... يَبْعَثُ ربنـا لهذى الأمّةِ
مِنَّـا عليها عالمًا يُجَدِّدُ ... دينَ الهُدى لأنه مُجتهِدُ

آراء فى المراد بالمجدد

قلت : اختلف الناس فى المراد بالمجدِّد ، فقيل مِنَ العلماء ، وقيل من الأولياء ، وقيل من الملوك ، ولكلٍّ حجة مذكورة فى محلها . وسمعت شيخنا الإمام بقيةَ الناس ، سيدى أحمد بابا السودانى التُّنْبُكْتِىّ ، أبقى الله جلاله ، وأدام عزته ، وحفظ خِلاله ، يقول إن ذلك يكون فى كل قطر بحسبه ، وليس من شرطه أن يعمّ الدنيا أو غالبها ، والله أعلم .

[٥٤٨]

ولأجل ذلك قال أبقاه الله فى رَجَزه فى هذا المعنى ، حيث ذكر المجدِّدين .

قال فى العاشر ما نصه :

---

(١) يشير المؤلف إلى ما نقله من التعريف بصاحب القاموس ، عن كتاب « الشقائق النعمانية ، فى علماء الدولة العثمانية » .

(٢) كذا ورد اسم هذا الكتاب ضمن مجموعة خطية (محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٥ مجاميع) . وفى الأصول : « بتحفة المجتهدين ... الخ » .

وعاشرُ القُرون فيه قد أَتَى   محمـدٌ إمامُنا وهو الفتى

يعنى به الشيخَ العلّامة سيدى محمدًا بَغْيُعَ(١) ، رحمه الله . ولا خفاء أن هذا منه أبقاه الله بناءً على اعتبار كل قطر على حِدَة ، إذ هذا الشيخ الذى جزم بتجديده ، إنما هو فى صُقْع تُنْبُكْت(٢) وجاغو . وأما فى بلاد المغرب وغيرها فلا ؛ وهو مخالف لما عند السُّيوطى فى هذا النظم ، كما تراه قريبا . والله تعالى أعلم بالصواب .

عود إلى نظم السيوطى فى المجددين

ولْنرجعْ إلى كلام الإمام الجلال السُّيوطىّ ، رحمه الله تعالى ، قال :

فـكان عند المئة الأولى عُمَرْ   خليفـةُ العدْل بإجمـاع وَقَرْ
والشافعىُّ كانْ عند الثانيهْ   لمـا له من العـلوم الساريهْ
وابنُ شُرَيح ثالث الأئمـهْ   والأشعرِىُّ عَدَّه مَن أَمَّهْ
والباقِلاَنِى رابعٌ أو سَهلٌ أوْ   الِاسْفَرايِنِى خلافا [قد] حَـكَوْا
والخامس الحَـبْر هو الغزَّالِى   وعَدُّه ما فيه من جِدالِ
والسادس الفخرُ الإمامُ الرازى   والرافعىُّ مثـــلَه يُوازى
والسابع الراقِى إلى المراقِى   ابنُ دقيق العيـد باتِّفاقِ
والثامنُ الحَبْر هو البُلْقِينِى(٣)   أو حافظ الأنام زَينُ الدِّينِ(٤)

(١) كذا ضبطه الشيخ أحمد بابا فى : « الابتهاج ، بتذييل الديباج » .

(٢) تنبكت (بضم ، فسكون ، ثم موحدة مضمومة ، وكاف ساكنة) : مدينة فى أقصى المغرب . (انظر تاج العروس) .

(٣) البلقينى : نسبة إلى بلقينة (بضم الياء وكسر القاف أو فتحها) بلدة بمصر بالغربية .

(٤) هو الحافظ الكبير عبد الرحيم بن الحسين الزين العراقى ، الكردى الأصل ، شيخ المحدثين فى المئة الثامنة . ولد بمصر سنة ٧٢٥ ، وتخرج به كثير من أعلام المحدثين بمصر والشرق ، كالإمام بن حجر العسقلانى ، وابن حجر الهيثمى . وقد جمع أطراف الثقافة العربية والإسلامية ، وصار أوحد وقته فى علوم الحديث ؛ وله فيها الألفية التى ذاعت شهرتها ، وتخريج أحاديث الاحياء ، وغير ذلك كثير . توفى سنة ٨٠٦ هـ كما فى البدر الطالع للشوكانى ، أو سنة ٨١٩ كما فى هامش طبقات الحنفية لمحمد عبد الحى اللكنوى الهندى .

وعَدَّ سِبْطَ المَيْلَقِ الصُّوفيَّهْ لو وُجِدَتْ مِنْتهه وَفِيَّهْ

والشرط فى ذلك أن تَمْضِىَ المِئَهْ وهْو على حياته بين الفِئَهْ

يُشارُ بالعلم إلى مَقامهِ وينصرُ السنة فى كلامهِ

وأن يكون جامعا لكل فَنّْ وأن يَعُمّ علمُهُ أهلَ الزَّمنْ

وأن يكونَ فى حديث قد رُوِى من أهل بيت المصطفى وهو قَوِى

وكونه فردا هو المشهورُ قد نَطَق الحديثُ والجُمْهورُ

وهذه تاسعةُ المِئِينَ قد أتَتْ ولا يُخْلَفُ ما الهادى وَعَدْ

وقد رجوتُ أنَّنِى المُجَدِّدُ فيها ففضلُ اللهِ ليس يجْحَدُ [٥٤٩]

وآخِرُ المئينَ فيها يأتى عيسَى نبىُّ اللهِ ذو الآياتِ

يُجددُ الدين لهذى الأمَّهْ وفى الصَّلاة بعضُنا قد أمَّهْ

مُقرِّرا لشرعنا ويَحكُمُ بحكمنا إذ فى السماء يَعْلَمُ

وبعده لم يبق من مُجَدِّدِ ويُرْفَع القرآن مثلَ ما بُدِى

وتَكْثُرُ الأشرارُ والإضاعهْ من رَفْعه إلى قيامِ الساعهْ

وأحمدُ اللهَ على ما علَّما وما جلا من الخفاء والعَمَى

مُصَلِّيًا على نبىّ الرحمهْ والآلِ مَعَ أصحابه المُكَرَّمهْ

* * *

انتهى .

وليكن هذا آخرَ هذه الترجمة . والله ولىُّ التوفيق ، لا رب غيره ، ولا معبود سواه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

٣
روضـــة البهار
فى ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار

مقدمة

أقولُ معتمدًا على ذى الطَّوْل ، الذى بيده القوة والحَوْل :

أردنا أن نذكر فى هذه الترجمة مشاهيرَ شيوخ القاضى [الإمام] أبى الفضل عِياض ، رحمهُ الله ؛ وقد قدّمنا فى الترجمة قبلَ هـذه أسماءَ بعضهم على سبيل الإجمال ، حيث جَرَّ الكلام إليها ، وهذا هو محلُّها ، وقد تكفّل رحمه الله بذكرهم ، فى كتابه الذى سمّاه بالغُنْية ، وقد ذكر فيها نحو المئة .

وقال ابنه رحمه الله : انتهى عددُ أشياخه الذين ذكرهم فى فَهْرَسَتِه ، ممن سمعه أو أجازه ، واليسـيرُ منهم لقيَه وجالسَه ، ولم يسمعْ منه ، إلى مئة شيخ . انتهى .

وقد ذكرَ كثيرا من أحوالهم فى « الغُنْية » ، ولم تحضُرْنى نسخةٌ منهـا الآنَ بفاس ، لأنى تركت التى عنـدى بتِلِمْسان ، ولم أجدْ منها بفاس نسخة ؛ وكلُّ ما أذكره هنا من التعريف ببعض أشياخه ، فهو منقول من غيرها ، وقد يتّفق لفظه مع ما فيها .

[شيوخ عياض]

فمن جملة أشياخه رحمه الله تعالى :

[٥٥٠] أبو الوليد بن رشد (الجد)

القاضى أبو الوليـد محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ أحمدَ بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رُشْد الفقيه . ذكره ابن بَشْـكُوال ، فقال : قاضى الجماعةِ بقُرطبة ،

وصاحب الصَّلاة بالمسجد الجامع بها ، يُكْنَى أبا الوليد .

شيوخه وعلمه

رَوَى عن أبى جعفر بن رَزْقٍ الفقيه ، وتفقَّه معه ، وعن أبى مَرْوَانَ بنِ سِراج ، وأبى عبد الله محمد بن خِيَرَة ، وأبى عبد الله محمد بن فَرَج ، وأبى عَلِيٍّ الغَسَّانىّ ، وأجاز له أبو العباس العُذْرِىّ ما رواه ؛ وكان فقيهًا عالما ، حافظاً للفقه ، مقدَّما فيه على جميع أهل عصره ، عارفا بالفَتْوَى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيرًا بأقوالهم ، واتّفاقهم واختلافهم ، نافذًا فى علم الفرائض والأصول ، من أهل الرياسة فى العلم ، والبراعة والفَهْم ، مع الدِّين والفضل ، والوقار والحلم ، والسَّمْت الحسن ، والهَدْيِ الصالح .

ورعه ومؤلفاته ومولده ووفاته

سَمعت الفقيه أبا مروانَ عبدَ الملك بن مَسَرَّة يقول : شاهدت شيخنا القاضى أبا الوليد يصوم يوم الجمعة دائما ، فى الحضَر والسفَر . ومن تواليفه كتابُ « المقدِّمات لأوائل كُتُب المدوَّنة » ، و « كتابُ البيان والتحصيل ، لما فى المُسْتَخْرَجة من التوجيه والتعليل » ، و « اختصار المبسوطة » ، و « اختصار مُشْكل الآثار » للطحاوىّ ، إلى غير ذلك من تواليفه . سمعنا عليه بعضها ، وأجاز لنا سائرَها ، وتقلد القضاءَ بقرطبة ، وسار فيه بأحسن سِيرة ، وأقوم طريقة ، ثم استعْفَى عنه فأُعْفِى ، ونشر كتُبه وتواليفه ، ومسائله وتصانيفه ، وكان الناس يَلجئون إليه ، ويُعوِّلون فى مُهِمَّاتهم عليه ؛ وكان حسن الخُلُق ، سَهْل اللقاء ، كثير النَّفع لخاصّته وأصحابه ، جميلَ العِشرة لهم ، حافظا لعهودهم[1] ، كثير البرّ بهم ، وتُوُفِّىَ عَفا اللهُ عنه ليلة الأحد ، ودُفِنَ عَشِىَّ يوم الأحد ، الحادىَ عشَرَ من ذى القَعْدة ، سنة عشرين وخمس مئة ، ودُفن بمَقْبَرَة العباس ، وصلَّى عليه ابنهُ أبو القاسم ، وشهِدَه جمعٌ عظيم من الناس ، وكان الثناء عليه حسنًا جميلا . [٥٠١]

---

(١) فى الصلة لابن بشكوال : « لعهدهم » .

ومَوْلده فى شوّال سنة خمسين وأربع مئة .

توجهه إلى المغرب وعودته

وقد كان أيامَ حياته توجه إلى المغرب ، إثْر الكائنة التى كانت بين المسلمين والنصارى ، بالموضع المعروف بالربنيول[١] ، وذلك فى منتصف شهر صفر عام عشرين وخمس مئة ، فاستخار القاضى أبو الوليد فى النهوض إلى المغرب ، مُبيِّنًا لأمير المسلمين علىّ بن يوسف بن تاشَفينَ ، ما الجزيرةُ عليه ، فوصل إليه ، فلقيه أكرم لقاء ، وبقى عنده أبرَّ بقاء ، حتى استوْعب فى مجالس عديدة ، إيراد ما أزعجه إليه ، وتبيَّنَ ما أوفده عليه ، فاعتقد ما قرّره لديْه ؛ وانفصل عنه ، وعاد إلى قرطبة ، فوصلها آخر جُمادَى الأولَى من السنة المذكورة ، وعلى أثَر ذلك أصابته العلة التى أضجعته ، إلى أن أفضت به إلى قضاء نَحْبه ، ولقاء المرتقَب من محتوم لِقاء ربِّه ، وتبارَى الأدباء والشعراء فى تأبينه ؛ وحُقَّ لهم ذلك ، رضى الله عنه وأرضاه .

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عِياض :

أبو عبد الله التجيبى القرطبى

الشيخ أبو عبد الله محمدُ بن أحمدَ بن خَلَفِ بن إبراهيم التُّجِيبىّ القرطبىّ ، الشهير بابن الحاجّ ، قاضى الجماعة بقرطبة . رَوَى عن أبى جعفرٍ أحمدَ بن زَرْق الفقيه ، وتفقّه عنده ، وقيَّد الغريب واللغة والأدب عن أبى مَرْوان عبد الملك ابن سراج ، وسمع عن أبى عبد الله محمد بن فَرَجٍ الفقيه ، وعن أبى علىّ الغسّانىّ وغيرهم . وكان مِن جِلّة الفقهاء ، وكبار العلماء ، معدودًا فى المحدِّثين والأُدَباء ، بصيرًا بالفُتْيا ، رَأْسا فى الشُّورَى ، وكانت الفُتْيَا فى وقته تدور عليه ، لمعرفته وثقته وديانته ، وكان مُعْتنيا بالحديث والآثار ، جامعًا لها ، مقيِّدًا لما أشكل من معانيها ، ضابطا لأسماء رجالها ورُواتها ، ذاكرًا للغريب والأنساب ، واللغة

(١) كذا فى الأصول ، ونظنه محرفا ، ولم نجد ما يصوبه .

والإعراب ، وعالما بمعانى الأشعار ، والسِّيَر والأخبار . قال ابن بَشْكُوال : قيد العلمَ عُمْرَه كلَّه ، وعُنِي به عناية كاملة ، ما أعلم أحدًا فى وقته عُنِي كعنايته ، قرأت [٥٠٢] عليه وسمعت ، وأجازنى بخطه ؛ وكان له مجلس بالجامع بقرطبة ، يُسْمِعُ الناسَ فيه ، وتقلّد القضاء بقرطبة مرتين ، وكان فى ذاته ليِّنًا صابرًا ، طاهرًا حليما متواضعا ، لم يُحْفَظ له جَوْر فى قضيّة ، ولا ميل بهوى ، ولا إصغاء إلى عناية[1] ، وكان كثير الخضوع والذكر لله تعالى ، ولم يزل آخرَ عمره يتولّى القضاء بقرطبة ، إلى أن قُتِل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة ، يومَ الجمعة وهو ساجد ، لأربع بَقِين من صفر ، من سنة تسع وعشرين وخمس مئة ، ومولدُه فى صفر سنة ثمان وخمسين وأربع مِئة . وكتابه فى نوازل الأحكام ، المتداولُ لهذا العهد بأيدى الناس : من الدلائل على تقدمه فى المعارف وبراعته . تغمدنا الله وإياه برحمته .

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله :

أبو بكر بن العربى المعافرى

القاضى الشهير الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أحمد بن العَرَبىّ المَعافرىّ الإشبيلىّ ، رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد ، مستهلَّ شهر ربيع الأوّل ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فدخل الشام ، ولقِيَ بها أبا بكر محمدَ بنَ الوليد الطُّرْطُوشِىّ ، وتفقه عنده ، ورحل إلى الحجاز فى موسم سنةِ تسْع وثمانين ، ودخل بغدادَ مرَّتين ، وصحب أبا بكر الشاشىّ ، وأبا حامدٍ الطوسىَّ الغزَّالىّ ، وغيرَهما من العلماء والأدباء ، فأخذ عنهم ، ثم صدَر عن بغداد ، ولقِى بمصر والإسكندرية جماعة ، ثم عاد إلى الأندلُس سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إلى إشبيليَة بعلم كثير ، لم يَدْخُل به أحد قبله[2] ، ممّنْ كان له رحلة إلى المشرق ،

(١) فى ط : « غاية » . (٢) كذا فى ابن خلكان نقلا عن الصلة لابن بشكوال . والذى فى الأصول « لم يدخله أحد قبله » .

ولذا نُقِل عنـه أنه قال : كُلٌّ من رحل لم يأت بمثل ما أَتيتُ به أنا والقاضى أبو الوليد الباجِىّ ، أو كلاما هذا معناه . أو قال : لم يرحَلْ غيرى وغير الباجى ، وأما غيرنا فقد تعب ، أو نحو هذا ، مما لم تحضرنى عبارته الآن .

[٥٥٣] وكان من أهل التفنُّن فى العلوم ، متقدما فى المعارف كلِّها ، متكلما فى أنواعها ، حريصا على نَشْرِها . واسْتُقْضِىَ بمدينة إشْبيليَة ، فقام بما قُلِّد أحمدَ قيام ، وكان من أهل الصرامة فى الحق ، والشدة والقوة على الظالمين ، والرِّفقِ بالمساكين ، ثم صُرِف عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثِّه .

قال المحدِّث أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوال : قرأت عليه بإشبيلِيَة ، وسألته عن مولده ، فقال لى : ولِدْت ليلة الخميس لثمان بَقِين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مئة ؛ وتُوفِّىَ رحمه الله بالعُدوة ، ودفن بمدينة فاس فى ربيع الآخِر ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة . انتهى .

من كلام ابن بشكوال عنه

وقال ابن بَشْكُوال أيضا فى حقه :

هو الحافظ المستبحر ، خِتام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحُفّاظها . انتهى .

ومن تكملة المحدِّث أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبّار ، عن أبى عبد الله بن مجاهد الإشبيلىّ الزاهد العابد : أنه لازم القاضىَ أبا بكر بن العربىّ نحوا من ثلاثة أشهر ، ثم تخلف عنـه ، فقيل له فى ذلك ، فقال كان يُدرِّس وبغلتُه عند الباب ، ينتظر الركوب إلى السُّلْطان . انتهى .

شىء عنه من صلة ابن الزبير

وذكره الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير فى صِلته ، وقال فيه :

رحل مع أبيه أبى محمد عند انقراض الدولة العَبَّادية إلى الحج ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وسِنُّه إذ ذاك نحو سبْعَةَ عَشَرَ عاما ، فلَقِىَ شيوخ مِصْر ؛ وعدَّدَ أناسا ، ثم قال : وقيَّد الحديث ، وضبط ما رَوَى ، واتسع فى الرواية

وأتقن مسائل الخِلاف والأصول والكلام ، على أئمة هذا الشأن ، وعاد إلى بغدادَ بعد دخولها ، وانصرف إلى الأندلس ، فأقام بالإسكندرية ، فمات أبوه بها أوّل سنة ثلاث وتسعين . ثم انصرف إلى الأندلُس ، فَسَكن بلدَهُ إشبيليَة ، وشُووِرَ فيه ، وسمَّع ودَرّس الفقه والأصول ، وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف فى غير فَنٍّ تصانيف مليحة ، حسنة مقيدة ، وولى القضاء مدة ، أولها فى رجب من سنة ثمان وعشرين ، فنفع الله به ، لصرامته ونفوذ أحكامه ، والتزم الأمرَ بالمعروف ، والنهىَ عن المُنكر ، حتى أُوذِى فى ذلك ، بذهاب كتبه وماله ، فأحسن الصبرَ على ذلك كله ، ثم صُرِف عن القضاء ، وأقبلَ على نشر العلم وبثه ، وكان فصيحا حافظا ، أديبا شاعرا ، كثير المُلَح ، مليح المجلس . [٥٠٤]

ثم قال : قال القاضى أبو الفضل عياض بن موسى — وقد وصفه بما ذكرتُه — ثم قال : ولكثرة حديثه وأخباره ، وغريب حكاياته وروايته ، أكثر الناس فيه الكلام ، وطعنوا فى حديثه ، وتُوُفِّى مُنْصَرفَه من مَرّاكُش ، من الوِجهة التى توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة ، بعد دخول مدينة إشبيلية ، فحُبِسوا بمراكُش نحو عام ، ثم سُرِّحوا ، فأدركَتْه منيته بطريقه ، على مَقْرَبة من فاسَ بمرحلة ، وحُمل مَيِّتا إلى مدينة فاس ، فدُفن بها ، بباب الجيسة .

قال : ورَوَى عنه الجمُّ الغفير . فمن جُملة من رَوَى عنه من علماء المئة الخامسة ، القاضى أبو الفضل عياض بن موسى ، وأبو جعفر بن الباذِش ، وطائفة . انتهى .

فاته وقبره

قال القاضى أبو الحسن بن الحسن النَّباهى فى كتاب « المرقبة العُليا ، فى القضاء[1] والفُتْيا » بعد أن ذكر ما قدَّمناه ، ما نصه : والصحيح فى القاضى أبى بكر

(١) تقدم فى بعض مواضع من هذا الكتاب مكان كلة : « القضا » . « مسائل القضاء » ، « الأقضية » .

أنه إنما دُفن فى خارج باب المحروق من فاس ، وما وقع من دَفْنه بباب الجيسة ، وَهْمٌ مِن ابن الزُّبير وغَلَط ، وقد زُرناه وشاهدنا قبره بحيث ذكرناه .

أرضاه الله ، وغفر لنا وله . انتهى .

قلت : وقد سبَق ابنَ الزُّبير إلى ذلك القاضى أبو الفضل عياضٌ فى الغُنية ، فإنه قال : دُفن خارج باب الجيسة . واعتذرعنه بعضُ الأكابر ،[(1)] بأن باب المحروق لم يكن إذ ذاك فُتِح[(1)] ، لأنه من بناء أمير المؤمنين الناصر بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ، ولا شك أن ذلك متأخر عن زمان عياض قطعا ؛ و يبقى الإشكال فى كلام ابن الزُّبَيْر ، لتأخر زمانه عن ذلك . [٥٥٥]

[استطراد وتحقيق]

[بين الشيخين : ابن غازى والوانشريشى]

رسالة الإشارات الحسان لابن غازى

و بعد ما كتبت هذا هنا ، وقفتُ على تأليف لطيف، صغير الجِرْم ، كثير العلم ، للشيخ الإمام [العالم] أبى عبد الله محمد بن غازى رحمه الله [تعالى] ، ألمّ فى آخره بالمسألة المذكورة ، فرأيت أن أُورِدَه بطوله ، لما اشتمل عليه من الفوائد ، و إن كانت أجنبيَّةً عما نحن فيه ، ولكن لا يخلو من فوائد جمة ؛ وختمته بهذا الغرض الذى ذكرناه ، وخاطب به الشيخَ الحافظ الإمام سيدى أحمد بن يحيي الوانْشريشى المولد ، التلمْسانى المنشأ والقراءة ، الفاسىّ القَبْر والدار آخرَ عمره ، بل أوسط عمره ، وسماه : «بالإشارات الحسان ، المرفوعة إلى حَبْر فاس وتلمسان» . يعنى بحبر فاس وتلمسان : الشيخَ الوانشريشىّ المذكور ؛ وقد كتب بطُرَره الشيخُ الوانشريشىّ المذكور زوائد ، هأنا أذكرها فى محلها ، تتميما للغرض ، ونصّه :

(١ — ١) فى الأصول : « بأن باب المحروق لم تكن إذا ذاك فتحت » . والمغاربة يؤنثون الباب .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم .

الحمد لله حمدًا كثيرا طيّبا مُبارَكا فيه حقَّ حَمْدِه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيِّهِ وعبدِه .

إلى السيد الفقيه ، العالم ، المحقق ، المدرّس ، المفتى ، الصَّدْر ، الحُجَّة ، الكبير ، الخطير ، الأحظى ، الملحوظ ، الأحفلِ الأكملِ ، أبى العباس سيدى أحمد بن سيدى يحيي الوانشريشى ، حفظ الله سبحانه وتعالى كماله ، وبلَّغه فى الدارين آماله ، من مُحِبّه طَبْعا وشرعا ، أصْلا وفرعا ، وِترا وشَفْعا ، إفرادا وجَمْعا ، محمد بن أحمد بن غازى ، سَمح الله سبحانه [وتعالى] له ، مسلِّما عليكم أكمل [٥٥٦] السلام ، مخصصا لكم بمحض البرّ والإكرام .

سيدى ، متى صار النهرُ يَستمدُّ من السّاقيه ؟ وكيف عاد السَّيْح(١) يفتقر إلى السانيه ؟

* فى طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل *

* ليس التكحّل فى العينين كالكَحَل *

سؤال الوانشريشى لابن غازى عن مسائل من العلم

كتبتَ ، كتب الله لك السعادة ، وبلَّغك منها الحُسْنَى والزيادة ، تُشارِك محبكم فى أمرِ سعيدٍ بُرْدًا بإسكات عمرَ بن عبد العزيز ، أو إخراجه من المسجد ، هل كان ذلك فى خلافته ، أو فى إمرته بالمدينة(٢) ؟ ومَن بُرْدٌ هذا ، ومن عرَّف به ؟ ومَنْ قال بإسلام أبى طالب غير المسعوديّ ؟ ومن أبو العباس العشّاب ، الذى نَقَلَ عنه ابنُ عرفَة فى فصل الاستثناء من كتاب الطلاق ؟ ومَنْ الآبلِيُّ المِصْرِيّ ؟ وهل ألّفَ أحد فى التعريف برجال أهل السُّنَّة والمعتزلة ؟

(١) السيح : الماء الجارى الظاهر. (٢) فى م : « إمرته على المدينة » .

فَتَوَزَّعَ فِكْرُ محبكم فى إيرادكم[1] شذَرَ مَذَر ، ولم يكن بُدٌّ من إسعاف رَدِّكم[2] ، ولو بالتشدُّق والهَذَر .

قضية سعيد بن المسيب مع عمر بن عبد العزيز

١ — أما قضية سعيد بن المسيِّب بن حَزْن ، مع عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحَكَم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، المذكورة فى سماع القرينين من صلاة العُتبية ، فليس عند محبكم فى طرده ، إلا ما فسَّر به القاضى أبو الوليد بن رُشْد : أنه من جِواره ، لا من المسجد جملة ؛ فإن وقَفْتُم على تفسير أحدٍ له بالإخراج من المسجد ، فلكم الفضل فى إفادتنا به . ثم لا مِرْيَةَ أن سعيدًا مَدَنِىّ ، وأن عمر كان عاملا على المدينة ، إلى أن عُزِل عنها سنة ثلاث وتسعين ، حسْبما هو فى ترجمة مالك من المدارك ، عن مُصْعَب بن عبد الله .

وفى جامع المُوَطَّأ لمالك ، أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة ، التفت إليها فبكى ، ثم قال : يا مُزاحِم ، أتخشى أن نكونَ ممن نَفَتِ المدينة[3] ؟

[٥٥٧] قال أبو عُمَر[4] : ذكر أهل السِّيَر أن خروج عمَر مع مُزَاحِم مولاه من المدينة ، كان فى شهر رمضانَ سنة ثلاث وتسعين ، وذلك أن الحجَّاج كتب إلى الوليد : إن عمر بن عبد العزيز بالمدينة كَهفٌ لأهل النفاق ، وأهل البغضاء والعداوة لأمير المؤمنين . فجاوبه الوليد : إنى أعزِله . فعزله ، وولى عُثمان بن حَيَّانَ المُرّىّ ؛ وذلك فى شهر رمضانَ المذكور . فلما صار عمَرُ بالسُّوَيْداء قال لمزاحم : يا مزاحم ، أتخافُ أن نكون ممن نفت المدينة ؟

وقال مَيمون بن مِهْران : ما رأيت ثلاثة مجتمعين خيرا من عمرَ بن

(١) فى ص : « المراد » . (٢) فى ص : « ودكم » .
(٣) فى كلام عمر مع مولاه مزاحم إشارة إلى الحديث النبوى : « لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » . رواه مسلم .
(٤) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي الأندلسى الحافظ المشهور .

عبد العزيز ، وابنه عبدِ الملك ، ومولاه مزاحم . انتهى .

قلت : مات ابنه ومولاه المذكوران قبلَه مَطْعُونين ، ومات هو مسموما . ذكر ذلك أبو نُعيم الحافظ فى « حِلْية الأولياء » . وكان ميمون بن مِهْران كاتبه ، رضى الله سبحانه [وتعالى] عنهم .

وأفضت الخلافة إلى عُمر باستخلاف [سليمان] (١) النَّهِم إياه ، فاستقر بالشام ، دار خلافة قومه بنى أمية ، إلى أن قُبض ودُفِنَ بدير سِمْعان .

قال ابن الخطيب فى شرح رَقْم الحُلَل : مِنْ عمل حِمْص ، فى أخريات رجب ، سنة إحدى ومئة . وقبره مشهور ، يغشاه الناس . انتهى .

وقال الشاعر يَرْثيه رضى الله عنه :

أقولُ لما نَعَى الناعون لى عُمَرًا لا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ الحقِّ والدِّينِ

قد غَيَّبَ الرامِسُون اليومَ إذ رَمَسوا بديرِ سِمْعان قُسطاسَ الموازينِ

وفى رواية : « جُرْبان الموازين » . أنشدهما أبو نُعيم فى الحِلية . ورأيت فى نسخة منها « جُرْيان » بالياء آخر الحروف (٢) ، وأظنه تصحيفا ، لأنّ مصدرَ جرَى جَرَيان بفتح الراء ، والوزن يأباه ، مع ما فيه من القَلَق من جهة المعنى ؛ وصوابُه ، والله [تعالى] أعلم ، « جُرْبان » ، بضم الجيم ، وإسكان الرّاء ، وبالباء ثانية الحروف (٢) ، وأظن أن منه اللفظَ الذى فى صَرْف العُتْبيَّة ، فيمن له على رجل دينار ، فأعطاه به نصفين وازنين ؛ قال : لا خير فيه إلا أن يكون للدينار جُرْبان : معيارٌ عنده . قال القاضى أبو الوليد بن رُشْد : جُرْبان ، أى وزن معلوم . وفى صِحاح الجوهرىّ : الجَرِيب ، من الطعام والأرض : مِقدار معلوم ، والجمع أجْرِبة وجُرْبان . انتهى .

[٥٥٨]

(١) هو سليمان بن عبد الملك ، كان مشهورا بالنهم وكثرة الأكل . وكان موته من أكلة أكلها . (انظر مروج الذهب والعقد الفريد) .

(٢) يريد حروف الهجاء ، لا حروف الكلمة .

و بين التفسيرين فَرْق ، ولـكنهما حول حقيقة واحدة يُدَنْدِنَان . و إن كان عند سيدنا فى تحقيق هذا اللفظ غيرُ هذا ، فعسى أن يفيدنا به .

فإذا تقرَّر سُكناه بالمدينة أيام العِمالة ، ثم بالشام أيام الخلافة ، فالأظهر أن طَرْد سعيد إياه كان أيام العِمالة ، حيث كان ثاويا بالمدينة ، لقوله فى الرواية : كان عمر بن عبد العزيز يَخرج مِنَ الليل ؛ أُراه [فى] آخره ؛ وكان ظاهره فى المثابرة ، ومَظِنتها الإقامة ، لولا أن شيخ الحقيقة ، وإمام الطريقة ، القاضىَ أبا الوليد بن رُشْد قال : لم يَهَبْه لمكانه من الخِلافة ، لجزالته وقوته فى الحق ، وقلّة مُبالاته بالأئمة . فاقتضى كلامُه أنّ ذلك كان وهو خليفة لا وهو عامل . فإن صح ذلك ، فيَحتمل أن يكون جاء يزور المدينة ، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام ، فى أيام خلافته ، وأقام فيها للعبادة . ورُبما يَتعيَّنُ هذا ، بأنَّ النافلة فى البيوت أفضلُ لغير الغُرَباء ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقد ذكَّرَ قولُ ابن رُشْد هذا مُحبَّكم ما فى صحيح البُخَارِىّ ، عن سعيد بن المسيِّب، أنه قال : جاء جدّى حَزْنٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : حَزْن . قال أنت سَهْل . فقال : ما كنت أُغيِّر اسما سمَّانى به أبواى . قال سعيد : فما زالت الحُزُونة فينا بعد . انتهى . [٥٥٩]

محنة سعيد بن المسيب لصلابته فى الدين

واصلابته فى[1] الحق ، وشدّته على الدين ، امتحنه عبد الملك بن مَرْوان ، وضربه بالسياط ، وألبسه المُسوح ، وتُبَّانًا من شَعَر ، ونهى عن الجلوس إليه . وذلك أيّام استعماله هِشام بن إسماعيلَ على المدينة ، وهو صاحب المُدّ الشامىّ[2]

(١) فى ط : « على » .
(٢) كذا فى م ، وهو منسوب إلى هشام بن إسماعيل المخزومى على غير قاعدة النسب . والذى فى سائر الأصول : الهشامى . أجرى النسب على لفظه ، ولا يستقيم مع قوله بعد : « وتغييرات النسب ..... الخ .

لا الدينار الهاشميّ ، خلافا لمن نسبه له ، وإلا قيل الشامى[١] أيضا ، وتغييرات النَّسَب مقصورة على السماع ، وبالله تعالى التوفيق .

قال عُبَيد الله أحمد بن محمّد المَقَّرِيّ لَطَفَ الله به : وجدت بخط الإمام سيدى أحمد الوانشريشى فى طُرَّة : قولُ الإمام ابن غازى : « ولصلابته فى الحق ... الخ » ما نصه :

قلت : ذكر أبو العَرَب[٢] فى كتاب المِحَن ، أنه لما أراد عبد الملك بن مَرْوان أن يكتب العهد لابنه الوليد ، قيل له لا يتمّ لك هذا الأمرُ إلا بابن المُسَيِّب ، فاكتب له . فكتب إليه أن يبايع ، فرد إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نبايع لخليفتين ، فإن أردتها لابنك ، فاخلَع نفسك ، وإلا فلا . فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة ، هشام بن إسماعيل المخزوميّ : إن لم يبايع فاضربه مئة سوط ، فضربه مئة ، وحَلَق رأسه ولحيته ، وكساه تُبَّانًا من شَعَر ، ونادى عليه ، وطِيف به إلى الليل ، فأُغْلِقَت الدُّور ، وكثُر البكاء والتحسر ، وما سُمِع يومئذ بالمدينة إلا نائحةٌ أو هاتف ، لِما انتُهِكَ من حُرمته . وكان أيضا قبل ذلك ضربه جابر[٣] بن الأسود على البَيعة لابن الزُّبَير . انتهى .

ابن الحذّاء : وكان جابر بن الأسود والى المدينة لابن الزُّبير ، فدعاه إلى البيعة لابن الزبير ، فضربه ستين سَوْطا . ودعاه هشام بن إسماعيل أيضا إلى البَيعة للوليد وسليمان بالعهد ، فلم يفعل ، فضربه ستين سَوْطا ، وطاف به فى المدينة ، فى تُبَّان من شَعَر . انتهى .

[٥٦٠]

(١) فى ط ، ص : «الهشامى» والتصويب عن م فكل ما ينسب إلى هشام هذا ، يقال فيه : « الشامى » على غير القياس ، كما تقدم .

(٢) أبو العرب : هو محمد بن أحمد بن تميم التميمى القيروانى الفقيه المحدث المؤرخ . توفى سنة ثلاث وثلاث مئة . (٣) فى الأصول : «حسان» . ورواية ابن الحذاء المذكورة بعد هذا الخبر : «جابر» . وهى موافقة لما جاء فى المعارف لابن قتيبة .

قال بعض الشيوخ : إن كان استناد ابن المسيِّب فى إبايته من البيعة للوليد حديث : « إذا بُويع لِخَليفَتَيْن فاقتلوا الآخَر منهما »(١) ، فإنما الحديث فى البيعة للخليفتين ، يُفرِّق الثانى جماعَة الأول ، ويشُق العصا . وإن كان النهى فى غير هـذا الحديث ، فهو أعلم بما استند إليه . قال : وأما امتناعه من البَيعة لابن الزبير ، فإن البَيعة حينئذ كانت انعقدت لبنى أمية بالشام ، وكان مذهبُ ابن المسيِّب كمذهب الأكثر ، فى منع القيام على من انعقدت له البيعة ثم ظهر فِسقُه . وانظر هذا مع قول مالك : ابن الزُّبير أحقُّ بها من مرْوان وابنِه عبد الملك .

انتهى ما ألفيته على هذا المحل ، بخط [الشيخ العلامة] الوانشريشى .

ووجدت أيضا بخطه ما نصّه :

تنبيهـــــات

ميلاد سعيد بن المسيب ووفاته

الأول — وُلِدأبو محمد سعيد بن المُسَيِّب بن حَزْن بن أبى وَهْبٍ المخزومىّ ، لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب . وتُوُفِّىَ بالمدينة ، قال يحيى بن سعيد : سنةَ إحدى أو اثنتين وتسعين ؛ وقال الواقدى : سنة أربع وتسعين ؛ وكان يقال لهذه السنة سنةُ الفقهاء ، لكثرة من مات منهم ؛ وقال المدائنى ويحيى بن مُعين : سنةَ خمس ومِئة .

بعض عمال عبد الملك

الثانى — قال غير واحد : عمَّال عبد الملك بن مَروان : الحجَّاجُ بالعراق ، وأخوه محمد باليمن ، والمهلّب بخُراسان ، وهشام بن إسماعيل بالمدينة ، وابنه عبد الله بمصر ، وموسى بن نُصَير بالمغرب ، ومحمد بن فُلان بالجزيرة .

[٥٦١] قال ابن خَلِّكان : وكل واحد من هؤلاء ظَلُوم غَشُوم .

بعض آل مخزوم من أصحاب مالك

الثالث — : هشام بن إسماعيل المذكور هنا ، هو ثالث آباء أبى هشام ،

(١) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى .

محمد بن مَسْلَمة الفقيه المدنىّ ، صاحب مالك . قال الشيرازىّ : وكان مالك إذا دخل على الرّشيد ، دخل بين رجلين من بنى مخزوم : المغيرةِ عن يمينه ، وابن مَسلمة عن يساره .

وهشام هذا هو الذى نُسِب إليه مُدّ هشام ، المذكور فى الوضوء والظِّهار ، (١) والذى يُذكرعنهذِكْرعُهْدة الرقيق فى خُطبته (١) ، وانظر شدة إنكارابن العربىّ أُعتبارَمُدّه فى آية الظِّهار ، من أحكامه تطالع . انتهى ما ألفيت بخط الوانشريشى .

المقرى فى وفاة ابن المسيب

وقد سَنَحَ لى أنّ ما ذكره الشيخ ابن غازى عن ابن رُشْد ، من أنّ طَرْدَ سعيد بن المسيِّب عمر بن عبد العزيز ، إنما كان فى خلافته ، لا يتمّ [إلا] على القول بأن وفاته — أعنى سعيدا — كانت على رأس المئة أو بعدها ، وأما على قول الأكثر إنه بعد التسعين بسنة أو سنتين أو أربع ، فلا يصح قطعا ؛ فتدبره .

ومن العجائب [إغفال الشيخين : ابن غازى والوانشريشى له . وإلى الله منتهى العلم .

برد مولى بن المسيب

ولنرجع إلى] تكميل كلام الشيخ ابن غازى فى التأليف المذكور ، ونصُّه : وأما بُرْد فليس عند مُعَظِّمِ قَدْرِكم أكثرُ من أنه مولَى سعيد ، كما أن زيد بن حارثة وسَفينة وأبا رافع وشُقْران : موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال بن رَباح مولى أبى بكر ، ويَرْفأ مولى عمر بن الخطاب ، وحُمْران مولى عُثمانَ بن عَفّان ، ونافع مولى ابن عُمَر ، وكُرَيْب وعِكرمة البربرى موليا ابن عبّاس ، ومُزَاحِم مولى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله تعالى عنهم . وقد صرّح بذلك الحافظ أبو نُعيم ، قائلا فى ترجمة سعيد مِنَ الحِلْية ، عن بُرْدٍ مولى سعيد ابن المُسَيِّب : ما نودى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد . انتهى .

[٥٦٢]

(١ — ١) كذا وردت هذه العبارة فى الأصول ، وفى الديباج المذهب لابن فرحون ، فى ترجمة محمد بن مسلمة الفقيه .

ولم أجد عند أبى جعفر العُقَيلى ولا عند أبى يحيى الباجى ، ولا عند ابن أبى أحدَ عَشَر ، الذى جمع بينهما ، مَنِ أسمه «بُرْد» ، وذلك والله أعلم لأحد وجهين : إما أنه لم يَتكلم فيه أحد بجَرح[1] ، أو لكونه لا رواية له . ولا يُعترض هذا بوقوعه فى سَنَد الحِلية المتقدم ، إذ ليس بمرفوع . وقد ذكروا بعض من اسمه بُرَيد وبُرَيدة ، لوقوعهما فى أسانيد المرفوع ، وتكلم بعض الأئمة فيهما ببعض الجَرْح ؛ وبالله العصمة ، لا رب غيره .

وأبو عبد الله بن أبى أَحَدَ عَشرَ المذكور : هو من أهل المَرِيّة ، وقد عدّه صاحب بُغْية الراغب فى أشياخه ، وعرّف به تعريفا كافيا .

القول فى إيمان أبى طالب

٢ — وأما أبو طالب فليس عند معظِّم مَنْصِبكم فى شأنه غيرُ ما تضمنته الصِّحاح من قوله آخر كلامه عند الموت : « على ملة عبد المطلب » ؛ وحديث الضحضاح الذى يَغْلى منه دماغه ؛ وقوله : « لولا أن تعيِّرنى النساء على المغازل ، لأقررت بها عينك » ؛ وما نزل فيه من قوله تعالى : « ما كانَ للنبىِّ والذينَ آمنوا أنْ يَستغفِروا للمُشركينَ ولَو كانُوا أُولِى قُرْبَى مِن بعْد ما تبيَّنَ لهُمْ أنهُمْ أصحابُ الجحيم » ؛ وقولِه سبحانه : « إنكَ لا تَهْدِى من أحْبَبْتَ ولكنَّ اللهَ يَهدِى مَنْ يَشَاء » ، وقوله جلّ وعلا فى أحد التأويلين : « وهُمْ يَنْهَوْن عنهُ ويَنأَوْن عَنْهُ » . وأنشد فى تفسيرها الثعلبى والزَّمَخْشَرِىّ له يخاطب رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم :

والله لن يَصلُوا إليك بجمعهمْ ... حتى أُوَسَّد فى التُّراب دَفينا
فاصدعْ بأمركَ ماعليك غَضاضةٌ ... وابْشر بذاكَ وقَرَّ منـهُ عُيونا
ودعوتَنى وزعمتَ أنك ناصح ... ولقـد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أَمِينا

(١) فى المعارف لابن قتيبة فى ترجمة سعيد بن المسيب ما نصه : «وبرد مولاه . وقال له : يا برد ، إياك أن تكذب على كما يكذب عكرمة على ابن عباس . وقال : كل حديث حدثكموه برد ، ليس معه غيره مما تنكرون ، فهو كذب » .

وعرضت دينا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا [٥٦٣]
لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وقد فسر الطيبى فى فتوح الغيب غريبها .

وبحسب ما تقرر من حاله أورد علماؤنا ، القاضى أبو الفضل عياض وغيره ، السؤال على قوله عليه السلام : « لعله تنفعه شفاعتى » ، مع قوله تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » ؛ وانفصلوا عنه بما فى كريم علم سيدنا .

وأما عبد المطلب الذى قلده ، فمن أهل الفترة ؛ وللقاضى أبى بكر بن العربى فى كتاب الناسخ والمنسوخ ، كلام مليح على أهل الفترة ، عند قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

القول فى إيمان أبوى النبى

وقد حدث محبكم غير واحد ، عن الشيخ سيدى أبى محمد عبد الله العبدوسى ، أنه كان يلهج بحديث ، وقف عليه فى بعض الكتب [غير واحد ، عن الشيخ سيدى أبى محمد] ، أن الله عز وجل بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه ، حتى آمنا به صلى الله عليه وسلم ، إكراما لنبيه عليه السلام ، وكان العبدوسى يستحسنه ويسر به كثيرا .

وقد أنشدنى بعض أصحابنا للنميرى السلوى :

وإن ابن طلاع روى أن أحمدا رأى أبويه بعد ذوق المنية
فأحياهما رب العباد فآمنا به ثم عادا مكرمين لتربة

وقدره عليه السلام أوسع من هذا كله ، [صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم وعظم] :

لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

قول المسعودى في إيمان أبي طالب

وأما قول المَسْعوديّ فى أبى طالب ، فما استفاده محبكم إلا من كتبكم ، أبقى الله لنا بركاتكم .

[٥٦٤] قال جامع هذا الموضوع ، عُبيدُ الله أحمدُ بن محمَّدٍ المقَّرىّ ، وفَّقه الله :

وجدت على هذا المحلّ من كلام الشيخ ابن غازى فى الطُّرَّة ، بخط الإمام سيدى أحمدَ الوانشريشى رحمه الله ، ما نصّه :

قال القاضى أبو عبد الله محمد بن خَلِفْة الوَشْتَاتِى ، المعروف بالأُبِّىّ[١] ، فى إكمال الإكمال له ، ما نصُّهُ :

السُّهَيْلِىّ : ورأيت فى بعض كتب المسعوديّ : وقيل إنه مات مؤمنا[٢] . ولا يصحُّ ، لما تقدم من الآى والأحاديث .

ولا يُحتَجُّ لذلك بما فى السِّيَر من قول العباس : « والله لقد قال أخى [الكلمة] التى أمرتَه بها يا رسول الله » ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : لم أسمعها . ولو أن العباسَ شهد بذلك بعد إسلامه قُبِلت شهادته ، لأن العدْل إذا قال : سَمِعْت ، وقال الأعدل: لم أسمع ، أخذ بقول من أثبت ، لأن عدم السماع قد يكون لسبب .

فإن قلت : قد ذكرتَ أن السِّيَر تدلّ على أنه كان مصدِّقا بقلبه ، وقدَّمتَ الخلاف فى صحة إيمان من صدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه ، فهل يدخل فى إيمانه ذلك الخلاف ؟

قلت : لا يدخل ، لأنه صَرَّح بالنَّقيض فى قوله هو : « على ملة عبد المطلب » .

انتهى ما ألفيت بخط الوانشريشى .

ولْنرجع إلى تتميم كلام ابن غازى .

أبو العباس العشاب

٣ — قال رحمه الله : وأما أبو العبّاس العَشّاب ، الذى عُرِف بابن طَلحة ،

(١) نسبة إلى أبة (بضم أوله ، وتشديد الباء) : مدينة بإفريقية .

(٢) فى مروج الذهب للمسعودى ، عند الكلام على ديانات العرب فى الجاهلية ، ذكر عبد المطلب ، وأن من الناس من يرى أنه كان مؤمنا .

فلا يعرفُه مُجِلُّ سيادتكم إلا من كلام ابن عرفة ، وكأنه مؤرّخ .

قال أحمد المقَّرِىّ وفقه الله : ألفيتُ على طُرّة هذا المحل ، بخط سيدى أحمدَ الوانشريشى رحمه الله ، ما نصه :

قلت : أبو العباس العَشّاب ، المعروف بابن طَلحة فى كتاب الطلاق ، (وقدْ وُهِم فيه ، وعُرِّف فى ترجمة مواقع الشهادات بابن الخبّاز النحوىّ) : هو أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادى المعروف بالعَشّاب . قال ابنُ مرزوق الخطيب فى فهرسة شيوخه : هو مِنْ أعظم مَنْ لقِيت بثغر الإسكندرية ، وأكثرهم تحصيلا ، قرأت عليه بعض موطّأ الإمام ، وكتاب الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى ، وكتاب التيسير ، وكتاب التفسير من تأليفه ، جمع فيه بين تفسير ابن عَطية ، وتفسير الزمخشرى ؛ وقرأت عليه أوائل الكتب الستة بأسانيده فيها . ويَحْمِل عن أعلام ، منهم أبو القاسم بن البراء ، والشيخُ العارف أبو العباس أحمد بن عثمان بن أحمد بن عَجلان القيسىّ الإشبيلى ، وأبو عمرَ عثمان بن سُفْيان المعروف بابن الشقىّ ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الواعظ ، المعروف بابن الحجّام ، وأبو العباس بن الغمّاز ، وعبد الحميد بن أبى البرَكات بن أبى الدنيا الصَّدَفى ، وأبو القاسم بن زَيتون ، وأبو على بن عَبيل . [٥٦٥]

انتهى ما ألفيت على هذا المحلّ ، بخط الشيخ سيدى أحمدَ الوانشريشىّ .

ولنرجع إلى تكميل كلام ابن غازى .

ابن طلحة اليابرى

قال رحمه الله : نعم ، ابن طلحة الذى عُرّف به[1] : هو شيخُ محمودٍ الأعرج الزمخشرىّ ، قرأ عليه كتاب سيبويه بمكة ، شرفها الله تعالى ، سمعت ذلك من شيخنا الأستاذ سيدى أبى عبد الله الكبير ، برّد الله تعالى ضريحه . وقد عرّف

(١) أى الذى عرف بابن الخباز النحوى ، كما مر فى أول هذه الصفحة .

صاحب الحريدة بالزّمخشرى ، وهو بخزانة جامع الأندلس . وفى اعتقاد محبكم أن ابن طَلْحة هذا النحوىّ ، خلافُ الفقيه صاحب المَدْخَل ، وأن حَظَّه من مسألة الاستثناء اللسانُ دُون الفقه . فإن صح عند سيدنا أنه هو ، فليفدْنا به متطوّلا مأجورا مشكورا .

قال أحمد المقَّرىّ وفقه الله :

[٥٦٦] وجدت على طُرة هذا المحل ، بخط سيدى أحمد الوانشريشىّ رحمه الله ، ما نصّه :

قلت : بل هو هو ، وهو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليَابِرىّ ، نَزِل إشبيلية ، أبو بكر وأبو محمد ، الأولى أشهرهما . روى عن جماعة من الأعلام ، نزل مكة شرفها الله ، وكان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله ، ماهرا فى النحو ، حافظا للتفسير ، قائما عليه ، ذاكرا للقصص المتعلقة به ، وذلك كان الغالبَ عليه ، وحُلّق به للعامة بإشبيلية وغيرها ، فكانت العامةُ تنثال على مجلسه . وله مصنفات ، منها فى التفسير كتاب كبير ، ومنها فى الفقه وأصوله ، وشرحَ صدر رسالة الشيخ أبى محمد ، ومنها ردٌّ على ابن حزْم ، ومنها كتاب فى الفقه على مذهب مالك ، سماه سيف الإسلام ، ومنها كتاب سماه المدخل إلى هذا الكتاب ، واستوطن مِصر وقتا ، ثم رحل إلى مكة ، فجاور فيها ، إلى أن تُوُفِّى بها رحمه الله . وكان حَيًّا سنة ستَّ عشرة وخمس مِئة ، وكانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه ، وبسببه ارتحل إليه الزمخشرىّ من خُوارزم ، لقراءته عليه . انتهى .

من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك :

وذكر الشيخ أبو حَيَّان فى باب القَسَم ، أن الزمخشرىّ رحل من خُوارَزمَ إلى مكة قبل العشرين والخمس مئة ، لقراءة كتاب سيبويه ، على رجل من أصحابنا من أهل الأندلس ، يعرف بأبى بكر بن طلحة اليابِرىّ ، وكان مجاوِرا بها ، عالما

بالـكِتاب وغيره ، وله تصانيف تُقرأ عليه .

قلت : وتُوُفّى فَخْر خُوارَزم ، أبو القاسم محمود ، سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .
وقُطِعت إحدى رجليه بسبب الثلج ، ولم يكن لريبة ، والله أعلم .

انتهى ما وجدت بخط الشيخ الوانشريشى على هذا المحلّ .

ابن طلحة آخر

[٥٦٧]

ولْنرجعْ لـكلام الإمام ابن غازى .

قال رحمـه الله : وثَم ابن طلحة آخر ، وهو مُخاطِب أحـد بنى رغبوش [بقصيدة] مديحية زائية الروىّ ، هائية الوصل ، حسبما ذكره ابن عبـد الملك فى تـكملته .

الآبلى المصرى

٤ — وأما الآبلِىّ المصرىّ ، فلا إخاله طرَق اسمُه سمعى إلا من جهتكم ، فإنكم ذكرتموه لى فى غير هذا الوقت ، وقد سألتُ الفقيه المحقّق سيدى [أبا] عبد الله الغَوْرى ليلة عن ضبط باء الآبلى الذكىّ الرحّال : أبِالضَّمّ أم بالـكسر ، فكأنه ترجّح فيه ، ثم مال إلى الضم(١) .

أخبار أهل السنة والمعتزلة

٥ — وأما رجال أهل السُّنة والمعتزلة ، فلا علم لمحبّـكم هل صُنِّف فيهم أم لا . نعم ، ربما سمعت أو رأيت بعض حكاياتهم فى المناظرة ، كمناظرة الشافعى حفصا الفَرد ، بعد ما أنشده الشافعى يتوعده متمثلا :

« ستعلم يا يزيد إذا التقينا بشطّ الزاب أىَّ فتى أكونُ »(٢)

وذكرها أبو نُعيم فى الحِلية ؛ ومناظرةِ القاضى أبى بكر بن الطيِّب الباقلانىّ ابنَ المؤدِّب ، إذ أخرج ابنُ المؤدّب فُولا فرمى به ، يُعَرّض بالباقِلانىّ ، فأخرج

(١) آبل (كصاحب) : أربعة مواضع بالشام . وآبل (كآنك) بلد بالأندلس ، ولا ندرى إلى أيهما نسب .

(٢) رجعنا إلى ترجمة الشافعى فى حلية الأولياء لأبى نعيم ، فوجدنا الشافعى تمثل بالبيت المذكور فى مناظرة بشر المريسى ، فى حضرة الرشيد ، لا فى مناظرة حفص الفرد .

الباقلانيّ سَوْطا فرمى به ، يُعرِّض بابن المؤدِّب ؛ والحكاية ظريفة ، ذكرها صاحب بغْية الراغب ، في ترجمة أبي عبد الله البَغدادي .

قال أحمد المقّريّ وفقه الله : وجدت بخط الوانشريشيّ بطُرة هذا المحل مانصه : أبو عبد الله هذا هو أبو بكر[1] بن مُجاهد ، والله أعلم . انتهى .

ولْنرجع إلى كلام ابن غازي .

مناظرة الباقلاني المعتزلة

قال رحمه الله : ونصّها :

قال فنَا خُسْرُو يوما لوزرائه : هؤلاء المُثْبِتة ، أما لهم ناصر ؟ فقال له القاضي ، قاضي الجماعة بشر بن الحسين : ليس لهم ناصر ، وإنما هم قوم رَعاع ، أتباع ، حَشْوية ، لا يعرفون النظر ، وإنما هم أصحاب روايات وأخبار ؛ والمعتزلة هم فُرسان المناظرة والجدل . فقال فنا خُسْرُو : محال أن يكون مذهب [٥٦٨] قد طَبَّق الأرض وليس له ناصر . فقال له بشر بن الحسين : سمعت أن رجلين بالبَصرة ، أحدهما شيخ ، والآخر شاب. فأما الشيخ فهو أبو بكر[1] محمد بن مجاهد ، وأما الشاب فهو أبو بكر بن الطّيّب. فأرسلَ إليهما الأمير فناخسرُو وخمسةَ آلاف درهم فضة طيبة . فقال أبو بكر[1] بن مجاهد هؤلاء قوم ظَلَمَة فسَقه ، لا يحل لي أن أطأ بُسُطَهُمْ ، وليس غرضُه منا إلا أنْ يقال إن مجلسه مشتمل على أصحاب المحابِر ، ولو كان ذلك لله تعالى ، لكانت أموره جارية على السَّداد ، وأنا لا أحضر عند قوم هذه صفتهم . قال أبو بكر بن الطيب : فقلت له : هكذا قال عبد الله ابن كِلاب والحارث بن أسَدٍ المُحاسبي : إن المأمون ظالم فاسق ، ولا نحضر مجالسه ، حتى سِيق أحمد بن حنبلٍ إلَى طرَسوس ، ولما مات المأمون ضربه المعتصم

(١) هذا وهم من الشيخ الوانشريشي ، لأن أبا عبد الله بن مجاهد المتكلم غير أبي بكر ابن مجاهد شيخ القراء ، وسيأتي تفصيل لهذا الوضع بعد قليل .

بالسياط ؛ ولو نصروه لكان أولى ، لأن الرجل كان يَدّعى أن أهل السنة ليست لهم حُجة على قولهم ، وإنما غرضهم رياسة العامة ، ودفنُ الحق ؛ ولو مَضَوا إلى المعتصم ، و بيّنوا له أن الذى يُدّعى عليهِ زور و بهتان ،لأرتدع المعتصم ، ولـكن أسلموا أحمد بن حنبل لابن أبى دُواد القاضى ، فجرى على أحمدَ ما جرى ، وهم ينظرون . وكذلك أنتَ سلـكت مسلـكهم، حتى يجرىَ على الفقهاء ما جرى على أحمد بن حنبل ؛ وهأنا خارج .

فقال له ابن مجاهد : إذا شرح الله صدركَ لذلك ، فافعل .

قال القاضى أبو بكر بن الطيِّب : نخرجت إلى شِيراز ، فلما دخلت المدينة استقبلنى ابن خفيف ، فى جماعة من الصُّوفية وأهل السنة ، فلما جلسنا فى موضع كان ابن خفيف يُدارِس فيه أصحابَه اللُّمَع ، للشيخ أبى الحسن الأشعرىّ ، قال له [٥٦٩] القاضى أبو بكر : تمادَ على التدريس كما كنت ، فقال له ابن خفيف : أصلحك الله ! إنما أنا بمنزلة المتيمِّم عند عدم الماء ، فإذا وُجد الماء فلا حاجة إلى التيمم .

فقال له القاضى : جزاكَ الله خيرا ، وما أنت بمتيمم ، بل لك حظ وافر من هذا العلم ، وأنت على الحق ، والله ينصركَ .

قال القاضى أبو بكر : فقلت : متى الدخول إلى فناخُسْرو ؟ فقالوا لى : يوم الجمعة لا يُحْجَب عنــه صاحب طَيْلسان . فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والمَلِك قاعد على سرير مُلـكه ، والناس صفوف على يسار الملك ، وفوق الـكُلِّ قاضى القضاة بشرُ بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء فى وزارتهم ، ويصغى الملك إلى رأيه فى أمر الدولة .

قال القاضى أبو بكر : فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس ، وأتخطَّى رقابهم ، من غير أن أُرْفَع ، ولم تدعنى نفسى أن أقعد فى أُخْرَيات الناس ،

وكان عن يمين الملك المجلسُ خاليا ، ولا يقعد هناك إلا ملك أو وزير عظيمُ المنزلة ، فمضيتُ وقعدْت عن يمينه ، بحذاء قاضى القضاة ، فوجَدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ، لأنه كان عندهم من الجنايات العِظام ، وما كان فى المجلس مَن يَعرفُنى إلا رجل واحد ، فقال للقاضى : أطال الله بقاء سيدنا ! هذا هو الرجل الذى طلبَه المَلِك مولانا . فقال قاضى القضاة : أطال الله بقاء مولانا ! هذا هو الرجل الذى كتبتُ فيه ، وهو لسان المُثْبِتة . فنظر إلى الغِلمان الذين بين يديه والحُجَّاب ، فطاروا من بين يديه ، ثم قال لهم : اذكروا له مسألة . وكان فى [٥٧٠] المجلس رئيس البَغداديين من المعتزلة ، وهو الأحدب ، وما كان فى زمانه أفصحُ منه ، ولا أعلمُ منه عندهم ؛ فأما البصريون فحضر منهم خلق كثير ، أَقْدمهم(١) أبو إسحاقَ النَّصيبيّ . فقال الأحدب لتلاميذه : سلُوه : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يُطيقونه أو(٢) ليس له ذلك ؟ فقال الرجل للقاضى : هل لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقون أو ليس له ذلك ؟ فقال له القاضى أبو بكر : إن أردت بالتكليف القول المجرد ، فالقول المجرّد قد توجَّه ، لأن الله تعالى قال : « قلْ كُونُوا حِجَارةً أوْ حَدِيدًا » ، ونحن لا نقْدِر أن نكون حجارةً ولا(٣) حديدا ؛ وقال تعالى : « أنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين » ؛ فطَلَبهم بما لا يعلمون ؛ وقال تعالى : « ويُدْعونَ إلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُون » . وهذا كله أمر بما لا يَقدر عليه [الخلق] ؛ وإن أردت التكليف الذى نعرفه ، وهو ما يصحّ فعله وتركه ، فالكلام متناقِض ، وسؤالك فاسد .

فأخذ الأحدَبُ الكلامَ وقال : أيُّها الرجل ، أنت سُئِلْت عن كلام مفهوم ،

---

(١) فى ص : « قدمهم » . (٢) فى الأصول : « أم » .

(٣) فى ص : « أو » .

فطرحته فى الأُحتمالات ، وليس ذلك بجواب ؛ والجواب — إذا سُئِلت : هل لله تعالى أن يكلّف الخلق ما لا يُطيقون — أن تقول : نعم ، له أن يكلّف ، أو ليس له أن يكلف . فعَدَلْت عن الجواب ، إلى ما ليس بجواب ؛ وهذا اضطرابٌ شديد .

قال القاضى : فلمّا لم يُوَقِّرْنى ، ولم يخاطبْنى بما يليق ، قلت له : أيُّها الرجل ، أنت عائم ورجْلاك فى الماء ؛ إنى طرحتَ الكلام فى الأُحتمالات ، فلمْ تَعْدِل أنتَ إلا لعجز أو لعىّ ، فإن كان معك كلام فى المسألة ، و إلا تكلم فى غيرها . [٥٧١]

فقال الملك للأحدب : هذا قد بين الأُحتمالات ، وتلا عليك الآيات . ثُمَّ إنى ما جمعتكم إلا لنستفيد ، لا للمهاترة ، ولا لما لا يليق بالعلماء . ثم التفت إلىّ ، وقال لى : تكلم على المسألة . فقلت :

ما لا يُطاق على ضرْبين : أحدها لا يطاق للعجز عنه ، والآخر لا يُطاق للاشتغال عنه بضده ، كما يقال : فلان لا يُطيق التصرف ، لاشتغاله بالكتابة ، وما أشبه ذلك ؛ وهذا سبيل الكافر : إنه لا يُطيق الإيمان ، لا لأنه عاجز عن الإيمان ، لكنه لا يُطيقه لاشتغاله بضدّه ، الذى هو الكفر ؛ فهذا يجوز تكليفه بما لا يُطاق .

وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان صوابا ؛ وقد أثنى الله تعالى على من سأله ألا يُكلِّفه ما لا طاقة له به ، لأن الله تعالى له أن يفعل فى مُلكه ما يريد .

ثم تجاوز الأحدبُ إلى غيره من الكلام ، ومال الملك إلى قول القاضى أبى بكر .

قال القاضى : ثم سألنى النَّصيبى عن مسألة الرُّؤية : هل يُرى البارئ سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو تستحيل ؟ وقال : كل شىء يُرى

بالعين ، فيجب أن يكون فى مقابلة العين . فالتفت الملك إلى القاضى أبى بكر ، وقال له : تكلم أيها الشيخ فى المسألة .

فقال القاضى : لو كان الشىء يُرى بالعين لوجب أن يكون فى مقابلة العين ، على ما قال . ولكن لا يُرى الشىء بالعين . فتعجب الملك من ذلك ، والتفت إلى قاضى القضاة ، فقال : إذا لم يُر الشىء بالعين ، فبأى شىء يُرَى ؟ [فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ ، فبأى شىء يُرى إذا لم ير بالعين] ؟ فقال أبو بكر : يُرَى بالإدراك الذى فى العَين . ولو كان الشىء يُرى بالعين ، لكان يجب أن ترَى كلُّ عَيْنٍ قائمة(١) ؛ وقد علمنا أن الأجهرَ عينهُ قائمة ولا يرى شيئا .

فزاد الملكُ تعجبا ، وقال للنَّصيبى : تكلم . فقال النَّصيبى : إنى لم أعلم أنه يقول هذا ، ولا بَنيت إلا على ما نعرِف ، وظننت أنه يُسَلِّم أن الشىءَ يُرَى بالعين . فغضب الملك وقال : ما أنت مثلُ الرجل ، لأنك بنيت المسألة على الظن . ثم التفت إلىّ وقال : تكلم . فقلت : العين لا ترَى ، وإنما ترَى الأشياء بالإدراك الذى يحدثه اللهُ تعالى فيها ، وهو البصر ، ألا ترى أن المحتضَر يَرى الملائكة ونحن لا نراهم ؟ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرَى جبريل عليه السلامُ ولا يراه من يحضُرُه ؟ والملائكة يَرى بعضهم بعضا ولا نراهم نحن ؟ والدليل على جواز رؤية البارئ تعالى ، أنه ليس فيها قلب للحقائق ، ولا إفساد للأدلة ، ولا إلحاق صفة نقص بالقديم تعالى ، فوجب أن يكون كسائر الموجودات ، لأنه تعالى موجود ، والشىء إنما يُرى لأنه موجود ، لأن المرئىّ لم يكن مَرْئيا لأنه جنس ، لأنا نرى سائر الأجناس المختلفة ، ولا لقيام معنى بالمرئى ، لأنا نرى الأعراض التى لا تحتمل المعانى ، وقد ثبت بالنص

[٥٧٢]

(١) العين القائمة : التى ذهب بصرها والحدقة صحيحة .

وجوب رؤية الحق سبحانه فى الدار الآخرة . ثم طوّل الكلام .

قال : ولم يزل فنا خسرُو يتقرّب إليه ، وينزل عن سرير ملكه ، حتى صار بين يديه ، لِما استعذَبَ من كلامه .

فلما فرغ من المسألة ، قيل للفارابى صاحب المنطق : تكلَّم معه ، فتلَجْلَج فى كلامه ، واقشعرّ ، وقال : إنما أنا صاحبِ أصطُرْلاب ، ما قدَر هؤلاء وهم فُرسان الكلام : الأحدب وبُرغوث وغيرهم ، على جداله .

فخرج القاضى أبو بكر ، وأمر الملك بإنزاله والجراية عليه ، وقال : والله ما كنت إلا مُفَكِّرا بأىِّ لوْن من القتل أَقْتُله ، إذا لم يَستحقّ مكانه ؛ وأمّا الآن فقد ظهر لى أنّه أحقُّ بمكانى هذا ، ولكنّى مُبتلًى بالمُلْك . انتهى .

* * *

تسمية أهل السنة المثبتة والمجبرة

والمراد بالمُثْبِتَة هنا : أهلُ السُّنَّة ، والزمخشرىّ يسمّيهم المُجْبِرَة ، وقعَ له ذلك فى أماكنَ من الكشّاف ، منها فى تفسير قوله تعالى : (قُلْ لَا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّب) ، وفى قوله سبحانه : (وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْر) . ولصاحب « الانتصاف[١] ، من الكشّاف » ولصاحب « فُتوح الغيب[٢] » فى الرد عليه ، [٥٧٣] عند تفسير الآيتين ، كلام حسَن ، ينبغى الوقوفُ عليه . وسَمّى أهلَ السُّنَّة المُجْبِرَة ، لاعتقاده قُرب مذهبهم من مَذْهبِ الجَبْرِيَّة ، [لا][٣] سيّما وقد قال بعض أئمة أهل السُّنَّة : « وبالجَبْر أقول ، والله المستعان » .

(١) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندرى المالكى ، بين فى كتابه «الانتصاف» هذا ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وغيره . توفى سنة ٦٨٣ هـ . (عن كشف الظنون) .

(٢) هو شرف الدين الحسن بن محمد الطيبى ، صاحب الحاشية على الكشاف المسماة « فتوح الغيب ، فى الكشف عن قناع الريب » . توفى سنة ٧٤٣ هـ (عن كشف الظنون) .

(٣) زدنا « لا » قبل « سيما » إيثارا لأفصح الأساليب .

بعض من قال بالجبر وبالجهة

وقد حدَّثنا شيخُنا الأستاذ سيِّدى أبو عبد الله الكبير ، عن شيخه أبى عبد الله العِكْرِمىّ ، وكان لَسِنا ، أنه كان كثيرا ما يقول : إمامان عظيمان قالا بالجَبْر من أئمتنا : القاضى أبو بكر بن العَرَبىّ ، والفَخْرُ بن الخطيب ؛ كما أنّ إمامين عظيمين من أئمتنا ، نُسب إليهما القولُ بالجِهَة ، وهما أبو محمد بن أبى زَيْد ، وأبو عُمَر بن عبد البَرّ ؛ وجَنح لذلك ابن المرابِط فى تفسير البخارىّ ، وهو ديوان كبير بخِزانة جامع الأَنْدلس .

أبو بكر بن مجاهد

ثم عند مُحِبّكم تردّد فى أبى بكر بن مجاهد هذا ، هل هو شيخ أئمة الإقْراء ، الذى يَعتمد عليه أبو عَمرٍو الدانى فى « إيجاز البيان » وفى التمهيد كثيرا . وقال فيه الجَعْبَرى إنه المسبِّع الأول . صنّف كتاب السَّبْعة على رأس الثلاث مئة . وقال أبو على الأهوازى : هو الذى أخرج يعقوب من السَّبْعة ، وجعل الكِسائىَّ مكانه . وهو الذى قال له الشِّبْلى : أين تجد فى القرآن العزيز ، أنّ الحبيب لا يعذّب حبيبه ؟ فقال : لا أدرى . فأشار إلى قوله تعالى : (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) حسْبما بسطه القاضى أبو الفضل عِياض فى ترجمة الشِّبْلِىّ من « المَدارك » . وفى ظنى أنّ اسمَ المُقْرِئ موسى [1] ، وقد سُمّى هذا هاهُنا محمدا [2] ، فلسيدنا الفضلُ فى تحقيق ذلك لنا ، فى كتاب طبقات القراء لأبى

---

(١) أبو بكر بن مجاهد هو : أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، شيخ القراء فى عصره ، وهو المسبع الأول للقراء السبعة . توفى سنة ٣٢٤ هـ (انظر تاريخ الخطيب : الترجمة رقم ٢٥٨٠ ؛ و « نهاية الدراية فى طبقات القراء » لابن الأثير : الترجمة رقم ٦٦٣ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى فى سنة ٣٢٤ هـ .

(٢) أجل ، هو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ، أبو عبد الله الطائى ، البصرى ثم البغدادى أحد شيوخ المالكية ، وصاحب أبى الحسن الأشعرى ، وناصر مذهب أهل السنة . غلب عليه علما الأصول والكلام ، وكان حسن الدين ، جميل الطريقة . وعنه أخذ القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى المالكى ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ علم الكلام . وهو الذى راوده الباقلانى على =

عَمْرو الدانى ، ومن تعريف الجَعْبرى ، الذى ختم به شرح القصيد ، وهما بخزانة جامع القَرَوِيِّين ، عمَّره الله تعالى .

التصحيف فى أسماء الرجال

ولله دَرُّ علىِّ بن المَدِينى[1] حيث قال : أشدُّ التصحيف التصحيفُ فى أسماء الرجال . ولا شك أن هذا موضعُ لَبْس ، كابنى نافع وابنى زياد ، ممن اتَّحد أُسمه ، وتعدَّد مسماه ، وكالأبهرىّ والصالحىّ فى عكسه[2] . [٥٧٤]

تتمة القول فى أبى بكر ابن العربى

ورحم الله الشيخ الفقيه سيِّدى أبا محمد عبدَ الله العَبْدوسى[3] ، فقد حدثنى عنه الثقة أنه كان يُمثِّل هذا المَعْرِض الذى نحن بصَدَده ، بقضية القاضى أبى بكر ابن العربى ، فإنَّ كثيرا من الناس ينكرون أن يكون هو المدفون خارجَ باب المحروق ، ويقولون إنما هو مدفون خارج باب الجيسة ، واغترُّوا فى ذلك بظواهر التواريخ . [وذلك أن القاضىَ أبا الفضل عياضا ذكر فى « الغُنية » أنه دُفن خارج باب الجيسة . قال : وجوابه أن باب المحروق لم يكن فُتح فى ذلك الوقت ، وإنما فتح على رأس ست مئة سنة ، فكان ذلك الخارجُ كله يُنسب لباب الجيسة . ثم يَدْفَع فى صدر هذا الجواب ما فى بعض هذه التواريخ] أنه دفن على مقربة من حارة الجَذْمَى . قال : وجوابُه أن الجَذْمَى كانوا هناك قديما ، حتى تضرر أهل فاس بسكناهم على رأس مائهم ، فنُقلوا إلى موضعهم اليوم .

= الخروج إلى شيراز لمناظرة المعتزلة بحضرة فنا خسرو ، كما أفاده المقرى فى أزهار الرياض ، لا أبو بكر بن مجاهد شيخ القراء ، المذكور فى الحاشية (رقم ١ ص ٨٥) لأن ابن مجاهد المقرئ ليس معاصرا للباقلانى ، بل هو متقدم الوفاة ، كما سبقت الإشارة إليه .
(اطلب ابن مجاهد المتكلم على طريقة الأشعرى ، فى تاريخ بغداد للخطيب — الترجمة ٢٦١ — وفى : الديباج المذهب فى علماء المذهب لابن فرحون ، وهو فى طبقات المالكية) .

(١) هو أحد شيوخ محمد بن إسماعيل البخارى .

(٢) يريد أن الأبهرى والصالحى : نسبتان لأبى بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهرى ، الفقيه المالكى البغدادى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) فى ط : « أبا محمد عبد الله بن محمد العبدوسى » .

ثم يَرِد على هذا أنا نجد عند باب الجيسة إلى جنب حارة الجَذْمَى قبرَ رجل يسمى بابن العربيّ ، يقصده الناس بالزيارة كثيرا ، فلعله هو . قال : وجوابه أن ذلك رجل آخر ، يدعى أيضا بابن العربيّ ، كان مُوَقِّتا فى القرويين .

قلت : ويزاد فيه أن الفقيه هو أبو بكر ، وهذا الذى خارج باب المحروق اشتهر بأبى يحيى . وجوابه أنهما كنيتان مترادفتان على مسمى واحد ، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق .

وقد هَذَى محبّكم [هنا] وهَجَر ، وأهدى التمر لأهل هَجَر ، وجلب العنبر ، إلى البحر الأخضر ، فلكم الفضل فى الإغضاء ، والتجاوز والإمضاء .

و[كُتب](١) فى أوائل ذى الحجة الحرام خاتم عام سبعة وثمانين وتسع مئة ، عرّفنا الله خيرَه ، ووقانا ضيره . والسلام الكريم يَخُصّ مقامكم العلىّ ، ومنصبكم السمىّ ، وأهليكم وذويكم ، ومن هو منكم وفيكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

انتهى التأليف العجيب ، للشيخ العلامة أبى عبد الله بن غازى رحمه الله .

فى حاشية كتاب ابن غازى

ووجدت فى آخره ما نصّه : الحمد لله . وكذلك يسلّم على كريم مقامكم ، خديمُكم أحمد بن محمد بن غازى ، قاصدا بتوالى كتبه التبرّكَ بكم ، ملتمسا منكم الدعاء . أفاض الله علينا من بركاتكم ، ونفعنا بمحبتكم ، بجاه النبى عليه السلام . انتهى . [٥٧٥]

وأوردت جميعه لما قدمته ، والله تعالى المُنْجِد المعين .

* * *

نفى الاحتمال فى أمر أبى بكر ابن العربى

قلت : وقد وقفت على كلام لبعض الأقدمين [ينفى الاحتمال] فى أمر ابن العربىّ المذكور . ونصّه : تُوُفِّى ابن العربى مُنصرَفه من مَرَّاكش ، بموضع

(١) زدنا هذا اللفظ لأن العلامة ابن غازى يؤرخ هنا كتب رسالته ، فلعله سقط من قلم الناسخ .

يعرف بأغلان ، على مسيرة يوم من فاس ، غربا منها ، فاحتُمِل ميِّتا إلى فاس فى اليوم الثانى من موته ، وذلك يوم الأحد السابع من ربيع الأول ، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة ، ودفن بأعلى مدينة فاس ، خارج القَصَبة ، بتربة القائد مظفّر ، وصلّى عليه صاحبُه أبو الحكم بن الحجَّاج ، رحمه الله . انتهى .

وقدَّمنا عن ابن بَشكُوال أنه توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة ، فالله أعلم .

وقد ذكر بعضُ من شرح الشفا أن ابن العربى توفى سنة اثنتين وأربعين .

قلت : هو غيرُ صحيح إن شاء الله ، وإنما الصحيحُ ما قدمته .

مثال من صلابة ابن العربى فى القضاء

ومن صلابة الإمام أبى بكر بن العربى ، رحمه الله ، أنه حَكَم فى زامر بثَقْب أشداقه ، حسبما نقله صاحب المعيار وغيرُه .

مثال من شعره

ومن بديع نظمه ، رحمه الله :

أَتَتْنِى تُؤَنِّبُنِى بالبُكا ... فأهلًا بها وبتأنيبها

تقول وفى نفسها حسرةٌ ... أتبكى بعينٍ ترانى بها

فقلت إذا استحسنتْ غيرَكمْ ... أمرتُ جفونى بتعذيبها

إجازته بيتا لابن صارة

وقال رحمه الله : دخل علىَّ ابن صارة(١) وبين يَدَىَّ نارٌ قد علاها رَماد ، فقلت : لتقل فى هذا ، فقال :

شابتْ نواصِى النار بعد سَوَادها ... وتستَّرتْ عنا بِثَوْب رمادِ

ثم قال لى ابنُ صارة : أجز . فقلت :

شابت كما شبنا وزال شبابنا ... فكأنما كنّا على مِيعادِ

(١) ابن صارة الشنتنيرينى : يكتب (بالصاد) و (بالسين) .

ارتجاله الشعر في مجلس الدرس

وحكى غيرُ واحد أنّ القاضيَ أبا بكر بن العربيّ رحمه الله ، بينما هو جالس في محل درسه إذ دخل شابٌّ من المُلَثَّمين وبيده رُمْح ، فهزَّه ، فقال القاضي أبو بكر رحمه الله : [٥٧٦]

يَهُزُّ عليَّ الرمحَ(١) ظبيٌ مُهَفهَفٌ لَعوبٌ بألباب البريّة عابثُ
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته ولكنه رمح وثانٍ وثالث

وقد اختلف حُذَّاق الأندلس من أهل الأدب في معنى الرمح الثاني والثالث ، وأكثرهم يقول : هما القَدُّ واللَّحظ ، والله أعلم .

وصفه البحر نثرا

ولما ذَكَر [الإمام] ابنُ العربي المذكور رحمه الله في كتاب « قانون التأويل » ركوبَه البحر في رحلته من إفريقية ، قال :

وقد سبق في علم الله أن يَعْظُم علينا البحر بزَوْله ، ويُغْرِقَنا في هوله ، فخرجنا من البحر ، خروج الميّت من القبر ، وانتهينا بعد خَطْب طويل ، إلى بيوت بني كعب بن سُلَيم ، ونحن من السَّغَب ، على عَطَب ، ومن العُرْي ، في أقبح زيّ ، قد قذف البحر زِقاق زيت ، مَزَّقت الحجارة مَنِيئتها(٢) ، ودسّمت الأدهانُ وَبَرها وجِلدتها ، فاحتزمناها أُزُرا واشتملناها لُفُعا(٣) ، تمجُّنا الأبصار ، وتخذُلنا الأنصار ، فعطفَ أميرُهم علينا ، فأَوَينا إليه فآوانا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا ، وكسانا بأمرٍ حقيرٍ ضعيف ، وفنٍّ من العلم ظريف .

بعض ما صادفه في رحلته من ثمرات الأدب

وشرحه : أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه ، يدير أعوادَ الشاه ، فِعْل السامِد اللّاه ، فدنوت منه في تلك الأطمار ، وسمح لي بَيَاذِقَته ، إذ كنت من الصغر في

(١) في م : « يهددني بالرمح » بدل : « يهز على الرمح » .
(٢) منيئتها : جلدها .
(٣) لفع : جمع لفاع (بوزن كتاب) ، وهو ما يتلفع به .

حد يُسْمح فيه للأغمار ، ووقفت بإزائهم ، أنظر إلى تصرُّفهم من ورائهم ، إذ كان عَلِق بنفسى بعضُ ذلك من بعض القَرابة فى خُلَس بَطالة ، مَعَ غلبة الصَّبْوة والجهالة ، فقلت للبياذِقة : الأميرُ أعلم من صاحبه ، فلحُونى شَزْرا ، وعَظُمت فى أعينهم بعد أن كنتُ نَزْرا ، وتقدَّم إلى الأميرِ مَنْ نقل إليه الكلام ، فاستدنانى ، فدنوت منه ، وسألنى : هل لى بما هم فيه بَصَر ؟ فقلت لى فيه بعضُ نظر ، سيبدو لك و يظهر . حَرِّك تلك القطعة ، فَفَعَل ، وعارضه صاحبُه ، فأمرته أن يحرِّك أخرى ، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترَى ، حتى هزمهم الأمير ، وانقطع التدبير ، فقالوا : ما أنت بصغير . وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنّم ابن عم الأمير مُنشِدا : [٥٧٧]

وأحلَى الهوى ما شَكَّ فى الوصل رَبُّه وفى الهجر فهو الدَّهرَ يرجو و يتَّقِى

فقال : لعن الله أبا الطيِّب ! أَوَ يَشُكُّ الربُّ ؟ !

فقلت له فى الحال : ليس كما ظنَّ صاحبُك أيُّها الإمير ، إنما أراد بالربّ ها هنا الصاحب . يقول : ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوِصال ، و بلوغ الغرض من الآمال ، على ريب ، فهو فى وقته كلِّه على رجاء لما يُؤمِّله ، وتُقاةٍ لما يُقطع به ، كما قال :

إذا لم يكن فى الحب سُخْط ولا رِضًا فأينَ حلاوات الرسائل والكُتْبِ

وأخذنا نُضيف إلى ذلك من الأغراض ، فى طرَفى الإبرام والانتقاض ، ما حرّك منهم إلى جهتى داعىَ الانتهاض ، وأقبلوا يتعجبون منى ، و يسألوننى كم سِنى ؟ و يستكشفوننى عَنِّى ، فبَقَرتُ لهم حديثى ، وذكرت لهم نَجيئى ، وأعلمت الأمير بأن أبى معى ، فاستدعاه ، وقمنا الثلاثة إلى مَثواه ، نخلع علينا خِلَعه ، وأسْبل علينا أدْمعه ، وجاء كلُّ خِوان ، بأفنان الألوان .

ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه :

فانظر إلى هذا العلمِ الذى هو إلى الجهل أقرب ، مع تلك الصُّبابة اليسيرة من الأَدَب ، كيف أنقَذَانا من العَطَب ؟ وهذا الذى يرشدكم إن غَفَلتم إلى الطلب .

وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر . انتهى مختصرا .

تفسير بعض الغريب

والزَّوْل : العَجَب . ونَجِيثُ الخبَر : ما ظهر من قبيحه ، يقال : بدا نجيث القوم : إذا ظهر سرّهم الذى كانوا يخفونه . قالها الجوهرى .

من لقى ابن العربى فى رحلته من كبار العلماء

إفادة : قال الإمام بن غازى رحمه الله :

[٥٧٨] فى هذه الرحلة : لقى ابن العربى شيخيه دَانِشْمَنْدَ[١] الأكبر ، وهو إسماعيل الطَوسىّ ، ودَانِشْمَنْدَ الأصغر ، وهو أبو حامد الغزّالى الطوسىّ . ومعنى « دَانِشْمَنْدَ » بلغة الفرس : عالم العلماء ؛ وكان شيخنا الأستاذ أبو عبد الله الصغير يحكى لنا عن شيخه أبى محمد عبد الله العبدوسى أنه بلغه أن الفرس يفخمون « ميم » دَانِشْمَنْد . والله تعالى أعلم .

قال ابن العربىّ فى قانون التأويل : ورَدَ علينا دَانِشْمَنْد ، يعنى الغزّالىّ ، فنزل برباط أبى سعد ، بإزاء المدرسة النِّظامية ، مُعْرِضا عن الدنيا ، مُقْبلا على الله تعالى ، فمشينا إليه ، وعرضنا أُمْنِيَّتَنا عليه ، وقلنا له : أنت ضالّتُنا التى كنا نَنْشُد ، وإمامُنا الذى به نسترشِد . فلقِيَنا لقاء المعرفه ، وشاهَدْنا منه ما كان فوق الصِّفه ، وتحقَّقنا أن الذى نُقِل إلينا ، من أن الخبر على الغائب فوق المشاهدة ، ليس على العموم ، ولو رآه على بن العبّاس[٢] لما قال :

إذا ما مدحْتَ امرأً غائبـا فلا تغلُ فى مدحه واقصِدِ

(١) (دانشمند : Danishmand) معناه فى الفارسية : المثقف أو الماهر ، أو الحكيم ، أو الذكى . انظر (Persian English Dictionary) تأليف (Stengass) .

(٢) هو على بن العباس المعروف بابن الرومى الشاعر العباسى .

فإنك إن تَغْلُ تَغْلُ الظنو نُ فيه إلى الأمَد الأبعـدِ
فيصْغُر من حيثُ عظّمته لفضل المَغيب على المَشْهد

انتهى .

* * *

يف ابن خاقان المطمح بابن العربى

وقال بعض من عرَّف به ، أعنى بابن العربىّ رحمه الله ، ما نصه :

عَلَم الأعلام ، الطاهر الأثواب ، الباهرُ الألباب ، الذى أنْسَى ذكاءَ إياس[1] ، وترك التقليد للقياس ، وأنْتَج الفرعَ من الأصْل ، وغدا فى يد الإسلام أمضى من النصل ، سقَى الله به الأندلس ، [بعد] ما أجدبتْ من المعارف ، ومدَّ عليها منه الظِّلَّ الوارف ، فكساها رونقَ نُبله ، وسقاها رِيِّق وَبْله ، وكان أبوه أبو محمد بإشبيلية بدرا فى فلكها ، وصدرا فى مجلس مُلْكها ، واصطفاه مُعْتَمَدُ بنى عبَّاد ، اصطفاء المأمون لابن أبى دُواد ، ولاّه الولاياتِ الشريفة ، وبوّأه المراتبَ المُنيفه ، فلما أقفرتْ حِمْص[2] من مُلْكهم وخلت ، وألقتهم منها وتخلَّت ، رحل به إلى المشرِق ، وحلّ فيه محل الخائف الفَرِق ، فجال فى أكنافه ، وأجال قداح الرجاء فى استقبال العز واستئنافه ، فلم يستردّ ذاهبا ، ولم يجد كمعتَمَدِه باذِلا واهبا ، فعاد إلى الرواية والسماع ، وما استفاد مِن إجالة تلك الأطماع ، وأبو بكر إذ ذاك فى ثَرَى الذكاء قضيبٌ ما دَوَّح ، وفى روض الشباب زهر ما صَوَّح ، فألزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ، ولازمه سائقا إليها وحاديا ، حتى استقرتْ به مجالسُه ، واطَّردت له مقايسُه ، فجدَّ فى طلبه ، واسْتجدَّ به أبوه مُنخرِق أربه ، [٥٧٩]

(١) هو إياس بن معاوية قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز ، المعروف بالزكانة والفقه .

(٢) المراد بها : إشبيلية من مدن الأندلس . سكن بها أهل حمص الشام عند الفتح ، فسموها بها .

ثم أدركه حِمَامُه ، وواراته [هناك] [١] رِجامه ، و بقي أبو بكر متفرِّدا ، وللطلب متجرِّدا ، حتى أصبح فى العلم وحيدا ، ولم تَجِد عنه الرياسة مَحيدا ، فـكرَّ إلى الأندلس ، فحلَّها والنفوسُ إليه مُتطلِّعه ، ولأنبائه مُتسمِّعه ، فناهيك من حُظْوة لقِي ، ومن عِزَّة سُقِي ، ومن رِفعة سما إليها وَرَقِي ، وحسبُك مِن مفاخرَ قَلَّدَها ، ومن محاسنِ [أُنْسٍ] [٢] أثبتها فيها وخلَّدها .

مثال آخر من شعره

وقد أثبتُّ من بديع نظمه ما يهزُّ أعطافا ، وتَرِدُه الأوهام [٣] نِطافا .

فمن ذلك قوله يتشوَّق إلى بغداد ، و يخاطب أهل الوداد :

أَمِنكِ سَرَى واللَّيلُ يَخدع بالفجرِ ... خَيالُ حبيبٍ قد حوى قَصَبَ الفَخْرِ
جَلَا ظُلَمَ الظَّلْمَاء مُشْرِقُ نوره ... ولم يخبط [٤] الظلماءَ بالأنجُم الزُّهرِ
ولم يرضَ بالأرض البسيطة مَسْحَبا ... فسار على الجوزا إلى فَلَكٍ يجْرِى [٥]
وحثَّ مطايا قد مَطاها بعِــزِّه ... فأوطأها قسْرا على قُنَّة النَّسْرِ
فصارت ثِقالا بالجــلالة فوقها ... وسارت عجالا تتَّـقى ألم الزَّجرِ
وجَرَّت على ذيل المَجَرَّة ذيلها ... فمن ثَمَّ يبدو ما هناك لمن يَسْرِى [٦]
ومرَّتْ على الجَرْباءِ [٧] تُوضِع فوقها ... فآثار [٨] ما مرت به كَلَف البدرِ
وسافَتْ أَرِيجَ الخُلد من جَنَّة العُلى ... فدع عنك رملا بالأُنَيْعِم يَستذرِى

(١) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس . والإشارة بهناك إلى الإسكندرية حيث توفى والده .
(٢) زيادة عن نفح الطيب ، ومطمح الأنفس .
(٣) فى نفح الطيب « الأفهام » .
(٤) فى المطمح : « تخض » .
(٥) هذا الشطر فى المطمح : « فطار على الجوزاء فى فلك يسرى » .
(٦) فى المطمح : « يجرى » .
(٧) فى نفح الطيب والمطمح : « الجوزاء » .
(٨) فى ص ، م : « بآثار » .

فما حَذِرْت قيسا ولا خَيْلَ عامرٍ ولا أضْمرْت خوفًا لقاءَ بنى ضَمْر
سقَى الله مِصرًا والعراقَ وأهلَها وبغدادَ والشامَيْن مُنْهِلَ القطر [٥٨٠]

[انتهى] .

وما أقرَبه من نَفَس [الفَتْح] ، صاحب القلائد والمطمح ، ولعلّ هذا من كلامه فى المطمح[1] . والله أعلم .

وقد طال الكلام ، ولكن لا يلحقنا فى مثله الملام .

* * *

بعض تآليف ابن العربى

ومن تآليف الإمام أبى بكر بن العربى المذكور ، كتاب « القَبَس ، فى شرح موطأ مالك بن أنَس » ، وكتاب « ترتيب المسالك ، فى شرح موطأ مالك » ، وكتاب « أنوار الفجر » [فى تسعين سفرا] ، وكتاب « أحكام القرآن » ، وكتاب « عارضة الأحْوَذِىّ (بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة ، وفتح الواو ، وكسر الذال المعجمة ، وآخره ياء مشددة) على التِّرْمِذى » ، وكتاب « مراقى الزُّلَف » ، وكتاب « الخلافيات » ، وكتاب « نواهى الدواهى » ، وكتاب « سراج المريدين » ، وكتاب « المُشكِلَيْن » : مشكلِ القرآن والسنة ، وكتاب « الناسخ والمنسوخ فى القرآن » ، وكتاب « قانون التأويل » ، وكتاب « النيرين ، فى الصحيحين » ، وكتاب « سراج المهتدين » ، وكتاب « الأمَد الأقصَى ، بأسماء الله الحُسْنى وصفاته العليا » ، وكتاب فى الكلام على « مُشكل حديث السُّبُحات والحجاب[2] » ، وكتاب « العقد[3] الأكبر ، للقلب الأصغر » ، و « تبيين الصحيح ، فى تعيين الذَّبيح » ، و « تفصيل التفضيل ،

---

(١) وجدنا هذا التعريف كله فى مطمح الأنفس لابن خاقان .

(٢) اقرأ الحديث فى شرح القاموس مادة (سبح) . (٣) فى م : « الفقه » .

بين التحميد والتهليل » ، ورسالة « الكافى ، فى أن لا دليل على النافى » ، وكتاب « السُّباعيات » ، وكتاب « المسلسلات » ، وكتاب « التوسط فى المعرفة بصحة الاعتقاد ، والرد على من خالف أهل السنة من ذوى البدع والإلحاد » ، وكتاب « شرح غريب الرِّسالة » ، وكتاب « الإنصاف » ، وكتاب « مُلْجِئَة المتفقهين ، إلى معرفة غوامض النحويين » .

نضرة وجوه أهل الحديث

ورأيت فى بعض المجاميع ما نصه : قال القاضى أبو بكر بن العربىّ رحمه الله : قال علماء الحديث : ما مِن رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نَضْرة ، لقول النبى صَلّى الله عليه وسلم : « نَضَّرَ الله امْرأ سمع مقالتى فوعاها ، فأدّاها كما سمعها » الحديث .

قال : وهذا دعاء منه عليه السلام لحَمَلة علمه ، ولا بد بفضل الله مِنْ نَيل بَرَكته . [٥٨١]

شعر للعزفى فى ذلك

وإلى هذه النَّضْرة أشار أبو العباس العَزَفىّ رحمه الله بقوله :

أهلُ الحديث عِصابةُ الحقِّ فازُوا بدعوة سيدِ الخلقِ
فوجوهُهمْ زُهْرٌ مُنَضَّرَةٌ لألاؤها كتألُّق البَرقِ
يا لَيْتَنى مَعَهم فيُدرِكَنى ما أدركوه بها من السَّبْقِ [انتهى] .

* * *

ومن أشياخ القاضى عياض رحمه الله

أبو عبد الله بن حمدين من شيوخ عياض

القاضى أبو عبد الله بن حَمْدين التَّغْلَبىّ ، وهو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد التَّغْلَبىّ ، بمثناة من فوق ، وغين معجمة ، منسوب لتغلِب ؛ بكسر اللام وفتحها[1] .

(١) يريد بكسر اللام وفتحها عند النسب . أما اسم القبيلة فبكسر اللام .

ميلاده ووفاته

وُلِد سنة تسع وثلاثين وأربع مئة ؛ ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرَّم سنة ثمان وخمس مِئة ؛ ودُفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر.

وقال فى حقه صاحبُ القلائد :

ما قاله ابن خاقان فى حقه

حامى ذِمارِ الدين وعاضِدُه ، وقاطعُ ضرَرِ المعتدين وخاضدُه ، مَلَكَ للعلوم زِماما ، وجعل العُكوفَ عليها لزاما ، فحَيَّا رسْمَها ، وأعلى اسْمَها ، وخاصمتِ المُلْحِدِين منه ألْسُنٌ لُدّ ، وتهدَّات به على العالَمين أغصُنٌ مُلْد ، وكَفَّ أيدىَ الظالمين ، فلم تكن لهم استطاله ؛ وأرهف خواطر المجتهدين ، فلم تسنَح لهم بَطاله ؛ فأصبح أهل مِصره بين دارس علم ، ولابس حِلم ، وآيسِ ظُلْم ؛ ناهيك من رجل كثير الرَّعْى لأهل المعارف ، مُؤْوٍ مِنْ برّه إلى ظِلّ وارِف ؛ أعمّ الورى مِنَّه ، وأعظم خلق الله مُنّه ؛ أقام وأقعد ، وأدْنى وأبعد ، وأنْحَسَ وأسْعَد ؛ فتقلّصتْ به الظّلال وفاءت ، وحَسُنَت به الأيام وساءت ؛ وأعمل للضُّر والنفع لسانَه ويدَه ، وشغل بالرفع والوَضْع يومَه وغدَه ، وعَمَر بهما فكره وخَلَده ؛ حتى هَدَّ الجبالَ الشوامخ ، واجتثّ الأصول الرواسخ .

[٥٨٢]

ولما أدار ابنُ الحاجّ من خلافه سنة تسع وتسعين ما أدار ، واتّفق هو ومن وَاطَأه على ما فسَخَتْه الأقدار ، استُشير فى الخَلْع فما أساغه ، وأُريغَ ضيرُه[(١)] فلم يكن فيمن راغه ، وعُرِض على الحِمام فما هابه ، ووالى فى نقض ما أبرَموه جيْئَتَه وذَهابه ، وسمح[(٢)] فى ذلك بنفسه ، وقنَع من غده بذكر أمسه .

فلما انجلت ظلماؤه ، وتحلّت بنجوم ظفَرِه سماؤه ، أَغْرَى بالمطالبين اهتضامَه

---

(١) فى الأصول : « خيره » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٢) كذا فى « قلائد العقيان ، للفتح بن خاقان » . وفى الأصول : « وسما » .

وحيفَه ، وسَرَى إليهم مكرُه سُرَى قيسٍ لحَمَلٍ وحُذَيْفَه[(١)] ، وأعلن لمن أسرّ إغراءه [ولم يُنْظِر بالمكروه نظراءه ، فأخمل منهم أعلاما ، وأوْرث نَفْس الدين منهم آلاما ، وألبسهم ما شاء] ذما من الناس وملاما ، فدَجَت مَطَالِع شموسهم ، وخلت مواضعُ تدريسهم[(٢)] ، فأصبحوا ملتحفين[(٣)] بالمهانه ، متشوّفين إلى الإهانه ، يَرُوعهم الرّواح والغُدُوّ ، ويحسَبون كل صيحة عليهمْ هُمُ[(٤)] العدُوّ ، ويَذْعَرُهُمْ طُروق النوم للأجفان ، وينكرهمُ الثابت العرفان ، فقد فقدوا حُبورا ، وعادت منازلهم قبورا ، إلى أن نُفِّس مُخَنَّقهم بعد أحوال ، وخلا أفقهم من تلك الأهوال[(٥)] ، فتنشقوا رِيح الحياة ، وأشرقوا من تلك الظلمات ، بعد أن أحال البؤس نعيمهم ، وأخذ الحِمام زعيمَهم .

وكان رحمه الله مُتَّضِحَ [طريق][(٦)] الهُدَى ، منفسح الميدان فى العِلم والندى ، مع أدَب كالبحر الزاخر ، ونثرٍ كالدُّرّ الفاخر ، وقد أثبتُّ منه ما تعذُب مقاطفُه ، وتلين مَعاطِفه .

فصل من رسالة له راجع بها ابن شماخ

فمن ذلك فصل راجعَ به ابن شَمَّاخ :

عَمِر بابُك ، وأخصب جَنابك ، وطاوعك زَمانُك ، ونعِم بك أوانُك

وسَقَى ديارَكَ غيرَ مُفسِدِها   صوبُ الربيع ودِيمةٌ تَهْمِى

فما دَرَج لسبيله من كنتَ سُلالةَ سليله ، ووارث مُعَرَّسه ومَقِيلِه ، وما خام

(١) يريد أنه انتقم من أعدائه كما انتقم قيس بن زهير العبسى من حمل بن بدر وأخيه حذيفة يوم الهباءة ، وهو من أيام حرب داحس . (انظر أيام عبس وذبيان فى العقد الفريد لابن عبد ربه) .

(٢) كذا فى ط ، ص والقلائد . وفى م : « رئيسهم ومرءوسهم » موضع كلمة : « تدريسهم » .

(٣) فى هامش ص : « ملتفحين » .

(٤) فى القلائد : « هو » .

(٥) كذلك فى القلائد . وفى الأصول : « الأحوال » .

(٦) زيادة عن قلائد العقيان .

وضَرَع ، فخرّ رَمى عن وَتَر قوسك ونَزَع ، ولم يَهلِك هالك ، ترك مثل مالِك ، فتركتَ المِهاد ، وألِفتَ السُّهاد ، وَتَقَيَّلْت الآباء والأجداد ، فأسْرجْتَ فى ميدان الحمد بُراقا ، اتخذ [الريح] [١] خافيةً وساقا ، فاحتلّ من شِعاب المجد صُقعا ، أثار به نَقعا ، ودَوَّمَ فى أُفق السماء ، تدويم فَرْخ الماء ، حتى كأنه على قمة الرأس ابنُ ماء ، فحُقَّ[٢] لباهر فضلك أن يَطول ، فيقول : [٥٨٣]

لا بقومى شَرُفْتُ بل شَرفُوا بى ... وبنفسى فَخَرتُ لا بجـــدودى

أو يتنزّل فيتمثل :

لَسْنا وإن أَحْسَابنا كَرُمَتْ[٣] ... يوما على الأحســاب نتّـكل

نبنِى كما كانتْ أوائلُنا ... تبنِى ونفعلُ مثلَ مَا فعــلوا

كمْ متعاطٍ شأوَ طَلَقَك ، سوّلت له نفسُه شَقّ غُبارك ، واقتفاءَ مناهج آثارك فما أدرك ، وطَلَح بعيرُه وبَرَك .

فصل آخر منها

وفى فصل منها :

بيننا وسائل ، أحكمتها الأوائل ، ما هى بالأنـكاث ، والوشائج الرِّثاث ، مِنْ دونها عهد ، جَناه شَهْد ، أَرِجُ عَرْف النسيم ، مُشْرِق جبين الأديم ، رائق رقعة الجِلْباب ، مُقْتَبلُ رِداء الشَّباب ، كالصَّباح المُنْجاب ، تروق أساريرُه ، وتلقاك قبْلَ اللقاء تباشيرُه .

وَرِثْناهنّ عن آباء صِـدْقٍ ... ونُورِثُهـا إذا مُتْنا بَنينا

* * *

(١) زيادة عن قلائد العقيان .

(٢) فى القلائد : « فأخلق » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى القلائد : « لسنا وإن كرمت أوائلنا » .

أبو بكر بن عطية من شيوخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض

الفقيه الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله .

قال صاحب القلائد فى حقه :

شيخُ العلم وحامل لوائه ، وحافظ حديث النبى صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه ، شَرَح الله لتحفُّظه صدره ، وطاول به عمرَه ، مع كونه فى كل علم وافرَ النصيب ، مُياسرًا بالمعلّى والرّقيب ، رحل إلى المشرق لأداء الفَرض ، لابس بُرْدِ من العمر الغَضّ ، فروَى وقيّد ، ولقِيَ العلماء وأسْنَد ، وأبقى تلك المآثرَ وخلّد . نشأ فى نِبْتَة[1] كريمه ، وأرُومة من الشرف غيرمَرُومه ، لم يزل فيها على وجه الزمان أعلامُ عِلْم ، وأربابُ مجْد ضَخم ، قد قيدتْ مآثرَهُمُ الكتب ، وأطلعتهم [٥٨٤] التواريخُ كالشهُب ، وما بَرِح الفقيه أبو بكر يتسنّم كواهلَ المعارف وغواربَها ، ويُقيِّد شوارد المعانى وغرائبها ، لاستضلاعه بالأدب الذى أحكم أصولَه وفروعه ، وعَمَرَ بُرْهَة من شبيبته رُبوعَه ، وبرّز فيه تبريزَ الجواد المستولى على الأمَد ، وجَلّى عن نفسه به كما جَلَّى الصّقالُ عن النَّصْل الفرْد ، وشاهِدُ ذلك ما أُثْبِتُهُ من نظمه الذى يروق جملةً وتفصيلا ، ويقوم على قوّة العارضَة دليلا .

أمثلة من شعره

فمن ذلك قوله يحَذِّر من خُلطاء الزمان ، ويُنَبِّه على التحفظ من الإنسان ، قال:

كُنْ بذئبٍ صائدٍ مستأنِسًا ... وإذا أبصرتَ إنسانا ففِرْ

إنمـــا الإنسان بحرٌ ماله ... ساحلٌ فاحــذَرْه إيّاكَ الغَرَرْ

واجعَلِ الناس كشخص واحدٍ ... ثم كُن من ذلك الشخص حَذِرْ

وله فى الزهد :

(١) فى الأصول : «بيتة» ولعلها محرفة عما أثبتناه . يقال : فلان حسن النبتة ، أى الحالة التى ينبت عليها ويربى . انظر تاج العروس .

أيُّها المطرودُ من باب الرِّضا ... كم يراكَ اللهُ تلهو مُعْرِضَا
كَمْ إلى كَمْ أنتَ فى جهل الصِّبا ... قد مضى عمرُ الصِّبا وانقرَضا
قُمْ إذا اللّيلُ دَجَتْ ظُلْمَتُه ... واستلَذَّ الجفنُ أن يَغتمِضا
فَضَعِ الخَدَّ على الأرض ونُحْ ... واقْرَعِ السِّنَّ على ما قد مضَى

وقال فى هذا المعنى :

قلبِيَ يا قلبِيَ المُعَنَّى ... كَمْ أنا أُدْعَى فلا أجيبُ
كَمْ أتمادَى على ضلالٍ ... لا أرعوِى لا ولا أُنيب
ويلاهُ مِن سُوءِ ما دهانى ... يَتوب غيرى ولا أتوب
وا أسَفا كيف برءُ دائى ... دائى كما شاءه الطبيب
لو كنتُ أدنو لكنت أشكو ... ما أنا من بابه قريب
أَبْعَدَنى منه سُوءُ فعلى ... وهكذا يُبْعَد المُريب
ما لِيَ قَدْرٌ وأَىُّ قَدْر ... لمن أَخَلَّتْ به الذنوب

وله فى المعنى أيضا :

لا تجعلَنْ رمضانَ شهرَ فُكاهة ... تُلْهِيك فيه من القبيح فُنونُهُ [٥٧٥]
واعلم بأنك لا تنال قَبولَهُ ... حتى تكونَ تصومُه وتصونُه

وله فى مثل ذلك :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاوُنٌ ... وفى بصرى غَضٌّ وفى مِقْولى صَمْتُ
فحظِّى إذنْ من صَوْمِيَ الجوعُ والظَّمَا ... وإنْ قلتُ إنى صُمْتُ يومى فما صمت

وله فى المعنى الأول :

جفَوْتُ أناسًا كنت آلَفُ وصلَهم ... وما فى الجفا عند الضرورة من باسِ

بَلَوْتُ فلم أَحْمَدْ وأصبحتُ آيِسًا ولا شىءَ أشقَى(١) للنفوس من الياسِ
فلا تعــذُلونى فى انقباضى فإننى رأيت جميعَ الشرِّ فى خُلْطةِ الناس

وله يعاتب بعضَ إخوانه :

وكنت أظن أنّ جبالَ رَضْوَى تزول وأن وُدَّك لا يزولُ
ولـكنَّ الأمورَ لهـا اضطرابٌ وأحوالُ ابنِ آدم تســتحيل
فإن يك بيننا وصلٌ جميــل وإلا فليكن هجرٌ طويــل

وأما شعره الذى اقتدحه من مَرْخ الشباب وعَفاره ، وكلامُه الذى وشَّحَه بمآرب الغزل وأوطاره ، فإنه أُنسِىَ إلى ما تناساه ، [وتركه حين كساهُ العلم والورع من ملابسه ما كساه] . فما وقع من ذلك قوله :

كيف السُّلُوُّ ولى حبيبٌ هاجرٌ قاسِى الفؤادِ يسومُنى تعـذيبَا
لمّا دَرَى أن الخيال مُواصِـلى جعل السُّهاد على الجفون رقيبا

وله أيضا ، رحمه الله :

يا مَنْ عهودى لديكِ تُرْعَى أنا على عهــدكِ الوثيقِ
إن شئتِ أن تَسمعى غرامى من مُخبر عالمٍ صَـدُوق
فاستخبِرى قلبَــكِ المُعَنَّى يخبرْكِ عن قلْبِىَ المَشُوق

[انتهى] .

* * *

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض ، رحمه الله :

ابن السيد البطليوسى من أشياخ عياض

الشيخ الإمام النحوى الأديب اللغوى أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد ،

(١) كذا فى القلائد . وفى الأصول : « أشق » ، وهو تحريف .

(بكسر السين) البَطَلْيَوْسِيّ ، بفتح الموحدة والطاء المهملة والتحتانية وسكون اللام والواو ؛ نزيل بَلَنْسِيَة .

ذكره السيوطي في البغية

قال السيوطي في الطبقات : كان عالما باللغات والآداب ، متبحِّرا فيهما ، [٥٨٦] انتصب لإقراء علم النحو ، واجتمع إليه الناس ، وله يد في العلوم القديمة . ذكره في قلائد العِقيان ، وبالغ في وصفه .

وكان لابن الحاجّ صاحبِ قرطبة ثلاثةُ أولاد ، من أجمل الناس صورة : رَحْمون ، وعَزُّون ، وحَسُّون ؛ فأُولِع بهم ، وقال فيهم :

أَخْفَيْتُ سُقمِيَ حَتَّى كاد يُخْفِينِي ... وهِمْت في حب عَزُّونٍ فعَزُّونى

ثم ارْحمونى برَحْمون فإن ظَمِئَتْ ... نفسى إلى رِيق حَسُّون فَحَسُّونى

ثم خاف على نفسه ، فخرج من قرطبة .

مصنفاته كما في البغية

صنَّف : شرحَ أدب الكُتّاب [(١)] ، شرح الموطأ ، شرح سقط الزند ، شرح ديوان المتنبى ، إصلاح الخلل ، الواقع في الجمل ، الحُلل في شرح أبيات الجُمل ، المثلث ، المسائل المنثورة في النحو . وله كتاب [(٢)] « التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين في رأيهم واعتقاداتهم » ، وهو كتاب عظيم . لم يُصَنَّف مثلُه ، وغير ذلك . وُلِد سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، ومات في رجب سنة إحدى وعشرين وخمس مئة [ببَلَنْسِيَة] [(٣)] .

(١) انفردت ص بذكر واو العطف بين أسماء الكتب هنا ، وهى غير موجودة في ط ولا في بغية الوعاة للسيوطى ، جريا على عادته في ذكر كتب المؤلفين .

(٢) من هنا إلى قوله : « لم يصنف مثله » من عبارة المؤلف ؛ وليس من كلام السيوطى في البغية . وعبارة السيوطى : « كتاب سبب اختلاف الفقهاء » . واسم هذا الكتاب في كشف الظنون : « تنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين » . وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ هـ باسم « الإنصاف في التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم » .

(٣) زيادة عن « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطى .

مثال من شعره

ومن شعره :

أخو العلم حيٌّ خالدٌ بعد موته — وأوصـالُه تحت التراب رَميمُ
وذوالجهل مَيْتٌ وهوماش على الثَّرى — يُظَنُّ من الأحياء وهو عـديم

ذُكِر فى جمع الجوامع . انتهى كلام السيوطى فى الطبقات .

تأليف خاص لابن خاقان فى التعريف بابن السـيد

[ترجمة ابن السِّيد البطليوسىّ]

[للفتح ابن خاقان]

ورأيت تأليفا[1] بديعا للفتح ، صاحب القلائد والمطمح ، ضمَّنــه التعريف بهذا الإمام ابن السِّيد خاصة ، وهأنا أورده بجملته ، لغرابته وفصاحته وبلاغته ، وإن كان فيه بعض ما هو من قبيل الهزل ، الذى الإعراضُ عنه أولى ، وقد جرت عادة الأشياخ بذكر مثل ذلك ، وحسبك ما ذكره الإمام السيوطى آنفا فى حق ابن السِّيد . وقد اغتفر الناس المقامات ، مع ما فيها من سخيف المقالات ، والأعمالُ بالنيات .

مقدمه تأليف الفتح

[٥٨٧] قال ذو الوزارتين الكاتب أبو نصر ، الفتح بن عُبيد الله المعروف بابن خاقان ، رحمه الله :

أما بعدَ حمدِ الله الذى جعل الليل لباسا ، وأزال عن قلوبنا شكا والتباسا ؛

(١) ذكر بروكلمان (Brockelmann) ضمن مؤلفات الفتح بن خاقان كتاب ترجمة عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى ، وذكر أن منه نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال رقم ٤٨٨ ومن حسن الحظ أن الكتاب قد نقله المقرى هنا كاملا . ويؤخذ من كلام الفتح فى مقدمته أنه جزء من كتاب كبير ألفه فى تراجم عظماء الأندلس ، ثم منعته أمور من إذاعتــه ، وخاف عليه الدثور ، فاستخرج منه هــذه الترجمة الفريدة ، وجعلها عنوانا يدل على الكتاب وقيمته .

(٢) فى م : « المجلس » .

وأرانا من الهُدَى مَنارا ، وجعل لنا من الشجر الأخضر نارا ، وخلَقَنا أطوارا ، وأطلع لنا شموسا وأقمارا ؛ تدلّ على حكمته ، ويُسْتَدَلّ بها على مقدار نِعمته .

والصلاةِ على نبيه الذى بعثنا من مرقد الضلاله ، وجلّى عنا غياهبَ الجهاله ؛ فظهر الرشاد بعد احتجابه ، وتوارى الغَيُّ فى حجابه ، صلّى الله عليه وسلم تسليما .

فإنى لمّا فرغت من الكتاب الذى أبديت به للإحسان مَبْسِما ، وجعلته لمحاسن الثناء مَوْسِما ؛ وجلوت فيه أبْكار المفاخر وعُونَها ، وخَصَصْت به نُكَت المآثر وعُيونَها ، وشَعْشَعْتُ فيه المحاسنَ وَرَوَّقتُها ، وفَتَقْتُ فيه كمائم البدائع وشققْتها ؛ حتى أتت أزهى من الحديقه ، وأبهى من مُلك النُّعْمان بين الشقيقه ؛ يتمنى السِّحْرُ أن يَحُلَّها ، والعيون النُّجْل أن تَكْحَلَها ؛ فصارت به لأهل الأندلس ألْسُن مفتخِره ، وانتشرت لمعاليهم عظام نَخِره ؛ ورأيت فيه فضل الأواخر على الأوائل ، وجَرْيتُ به أمَام سحبان وائل ؛ وملكت بسببه كل قِياد ، وتركت ورائى قُسَّ إياد ؛ وكان لى فيه أملٌ ثنانى أن يُجْلى ، وعَدانى أن يُنَصّ ويُتلَى ؛ فطويتُه طى السِّجلّ ، ولويته لَيَّ مُحَيَّا الخَجِل ؛ وتركته كالبدر فى السرار ، وأخفيته كما خفِى فى الغمِد ماضى الغِرار ؛ والخواطر تهيم به أعظم هَيْم ، وتستمطره استمطار المَحْلِ للدَّيْم ؛ والنفوسُ تتشوف إليــه ، تشوُّف الضالّ المرشد ، والآذان تُصِيخ إليه ، إصاخة الناشدالمنشد ؛ وأنا أجعل لِقاحه حِيالا ، ولا أريه طَيْفا ولا خيالا ؛ ثم خشيتُ أن يكسوَ الزمان جوهرَهُ عرَضا ، ويتخذ الحِدْثان بدرَهُ غرَضا ؛ فَتُمْحى من وجه الزمان غُرَّتُه ، وتسقط عن جبين الدهر دُرَّتُه ؛ وما لُمِحَ منه عُنوان ، ولا شِيم منه ما فيه سُلْوان ؛ فتذوب النفوس عليه كَمَدا ، وتُحْشَى عيون الذكاء بعده رَمَدا ؛ فرأيت أن أستخرج من أخباره خبرا يدلُّ عليه ، دِلالة اللفظ على المعنى ، واللحظ على المَغْنَى ، وينبئ عنه ، إنباء [٥٨٨]

النسيم على الزَّهَر ، ويشير إليه ، إشارة الشاطئ إلى النَّهَر .

ولما كان الفقيه الأجلّ ، أبو محمد عبد الله بن السِّيد — أدام الله عُلوَّه — تاجَ مَفرِقه ، وهلال أُفُقِه ، ومَهَبَّ نفح صُوارِه ، [وَمَحْلَى أَنْوارِه] ، ومجلى أنجاده وأغواره ؛ وكنت قد أحكمت نَسْق أخباره وسرْدها ، وفوَّفْتُ مُطْرَفها وبُردها ؛ وأطلعْتُها قمرا ، وجعلتها سَمَرا ، إذ هو أزخر علمائنا بحرا ، وأوسعهم نحرا ؛ وأحسنهم خواطر ، وأسكبهم مواطر ؛ وأسيرهم أمثالا ، وأعدمُهم مثالا ؛ وأصدقهم لسانا ، وأعمُّهم إحسانا ؛ وأرفعهُم رايه ، وأبعدهم غايه ؛ ومحاسنُه أعذب جِماما ، وأصفى غَماما ؛ وأظهر إعجازا ، وأحسن صدورا وأَعْجازا — رأيت أن أفرد كتابا فى أخبَاره ، وأجرِّد ذُبابا فى إعظامه وإكباره ؛ ليَبِينَ به فضل من ضَمَّنْتُه تصنيفى ، ويُعلم بأخباره ما أودعت فى تأليفى ؛ ويُرى أنه قطرة من غمام ، ودُرَّة من نِظام ؛ وصبح يدل على نهار ، ونفْح صَدَر عن حدائق وأزهار .

والله المولِى العون ، والكفيل بالكَلاءة والصون ، لا رب غيره .

ثناء ابن خاقان على ابن السيد

الفقيه الحافظ ، الإمام الأوحد ، أبو محمد : هو عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسِيّ ؛ وشِابُ بيضتُه ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ؛ وفيها كان قَرارُهم ، ومنها نَمَّ آسُهُمْ وعَرارُهم ؛ ونُسِب إلى بَطَلْيَوْس ، لمولده بها ؛ ومن حيثُ كان فقد طبَّق الأرض علما ، وملأها ذكاءً وفهما .

[٥٨٩] وأنا أقول : لو أن الأيام ألْسُنا ناطقه ، وأوصافا مُتناسِقه ؛ تردّد فُنون بيانها ، كالطير تُرَجِّع على أفنانها ، ما جَرَتْ إلى إنصافه ، ولا دَرَت بعض أوصافه ؛ ولو أنى أُمْدِدْت ببيان سَحْبان وأُيِّدْت تأييد لسانِ حسّان ، وأعارنى

ابن صُوحانَ[١] الفصاحه ، وعلمنى خالد بن صفوان[٢] إيضاحه ، لما أعربت عن مقداره الرفيع ، ولا أغربت بما أنحوه له من التعظيم والترفيع ؛ فكيف بلسان [قد] فُلَّ غِراره ، وبنانٍ قد ذَوَى رَنْدُه وعَراره ؛ وخاطر قد ارتمى فى لُجج الأخطار ، ووُخِز بأطراف القَنَا الخَطَّار ؛ فما تُذِلّ له عَصِىٌّ إحسانه ؛ ولا تَحُل النوائب عُقْدة من لسانه ؛ فحسْبى أن أقتصر من وصفه على لَمْحه ، وأُعَطِّرَ من عَرْفه بنفْحه ، فأقول :

حظه من العلوم والمعارف

إنه ضارب قِداح العلوم ومُجيلها ، وغُرَّة أيامنا البَهيمة وتحجيلُها ، لو أدركه قَيْس لما قضى للحِلْمِ وِترا ولا شَفْعا ، ولو عاصره ابن العاصِى لما ادّعى ضُرًّا ولا نفعا ؛ حَلَبَ الدَّهرَ أَشْطُرَه ، وتلا حروفه وأَسْطُرَه ؛ وخدم الرِّياسات ، وعَلِم طُرُق السِّياسات ؛ ونَفَق وكَسَد ، ووقف وتوسَّد . وهو اليوم شيخُ المعارف وإمامها ، ومن فى يديه مِقودها وزمامُها ، لَدَيه تُنْشَد ضوالُّ الأَعراب ، وتوجد شوارد اللُّغات والإعراب ، إلى مَقْطَعٍ دَمِث ، ومَنْزِع فى النفاسة غير مُنتكِث ؛ ونَدًى خَرَق به العوائد ، وأورق عودُه فى يد الرائد ؛ وعَفافٍ كَفّ ، حتى عن الطَّيْف ، وحكَى المُحْرِمين بالخَيْف ؛ ولقد نزلتُ منه بالتَّقِىّ الطاهر ، ولقِيت منه ما لقى عوف بن محلَّم من ابن طاهر[٣] ؛ ورأيتُ نارَ مكارمه تَتأَلق ، وبت كأنما على النار الندى والمُحلَّق ؛ وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمه ، وتصرف فى طرقها المستقيمه ؛ [٥٩٠] ماخرج بمعرفتها عن مِضمار شرع ، ولا نَكَّب عن أصل للسنة ولا فرع . وتواليفه

(١) يريد صعصعة بن صوحان من أصحاب على بن أبى طالب ، وكان من أخطب الناس . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

(٢) خالد بن صفون بن عبد الله بن الأهتم المنقرى التميمى البصرى كان لسنا بينا خطيبا ، عاش إلى قيام دولة بنى العباس . (انظر العارف) .

(٣) يشير إلى منزلة عوف بن محلم الشيبانى عند عبد الله بن طاهر بن الحسين والى خراسان للمأمون ، وكان من المختصين به ، المقربين إليه .

فى الشروحات وغيرها صُنوف ، وهى اليوم فى آذان الأيام شُنُوف . فمنها « المقتبس ، فى شرح موطأ مالك بن أنس » . و « الاقتضاب ، فى شرح أدب الكتّاب » . وكتاب « التنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء ، فى اعتقاداتهم وآرائهم ، وسائر أغراضهم وأنحائهم » ، وغير ذلك مما يشتمل عليه هذا الموضوع ويخفيه ، ويُوقف على تفسيره فيه .

وقد أثبتُّ من محاسنه التى تدور جِرْيالا ، ويصير الحبر بقصتها نيالا[1] ، ما يُنْشِى ويُسْكِر ، ويحمده الوَسْمِىُّ المُبْكِر .

وصفه مجلس القادر بن ذى النون

فمن ذلك أنه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطُلَيْطِلة ، فى المُنْية المتناهية البهاء والإشراق ، المُباهية لزوراء العِراق ؛ التى يَنْفَح شذاها العَطِر ، ويكاد من الغضارة يُمْطِر ، والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوَقار وارتداه ، وحكّمَ العُقَارَ فى جوده ونَدَاه ؛ والمجلس يشرق كالشمس فى الحَمَل ، ومَنْ حَواه يبتهج كالنفس عند مَنال الأمل ؛ والزهرُ عَبِق ، وعلى ماء النهر مُصطبِحٌ ومُغتَبِق ؛ والدُّولاب يئنُّ كناقة إثْرَ حُوار ، أو كثكلَى من حرّ الأُوار ؛ والجوّ قد عنبرته أنواؤه ، والروض قد بلّلته أنداؤه ؛ والأسْد قد فَغَرت أفواهَها ، ومَجّت أمواهَها ؛ فقال — رحمه الله — يصف الحال :

يا منظرًا إن رمقتُ بَهْجَتَه	أذكرَنى حسنَ جَنَّــةِ الخُلْدِ
تُرْبة مِسْـــكٍ وجوُّ عَنْبرةٍ	وغـــيمُ نَدٍّ وطَشُّ ما وَرْد
والماء كاللازَوَرْدِ قد نَظَمَتْ	فيه اللآلى فواغرُ الأسْـــد
كأنمـــا جائل الحَباب به	يلعَبُ فى حافَتَيـــه بالنرْد
تراه يُزْهَى إذا يَحِـل به الـ	قادر زَهْوَ الكَعَاب بالعِقْـد

[٥٩١]

(١) كذا فى الأصول .

تخالُه إن بدا به قمــــــرا ... تِمًّا بدا فى مَطالع السـعدِ
كأنما أُلبِستْ حـــــدائقه ... ما حاز من شِيمة ومن مجد
كأنمــــا جادها فروّضهـا ... بوابل من يمينـــه رَغْد
لا زال فى عزة مُضاعفــــة ... ميَمَّم الرِّفـدِ وارِىَ الزَّنْد

وله يصف فرسا

وله يصف فرسا ، وهو مما أبدع فى التمثيل له والتشبيه ، ونَبَّه خاطرَه فيـه أحسن تنبيه ، وخلع عليه شِياتِ لاحقٍ والوَجيه ؛ وعمّه بالمحاسن وتوّج ، ونسبه إلى الخَطّار وأَعْوَج(١) :

وأقبَّ من آل الوَجيه ولاحقٍ ... قَيْدُ العيون وغاية المتمثِّـلِ
مَلَكَ النواظرَ والقلوبَ بحسنه ... فمتى تَرَقَّ العينُ فيه تَسَهَّل
ذو مَنْخِرٍ رَحْبٍ وزَوْرٍ ضـيِّقٍ ... وسَمَاوَةٍ خِصْبٍ وأرض مُمْحِل
قَصُرت له تِسْـع وطالت أربع ... وصَفَتْ ثلاث منـه للمتأمِّل
وتراه أحيانا لعزة نفســـــه ... يرنو ـ بلاقبَـلٍ ـ بعين الأَقبل
وكأنمـا سال الظلام بمتنـــه ... وبدا الصـباح بوجهه المتهلِّل
وكأن راكبه على ظهر الصَّـبا ... من سرعة أو فوق ظهر الشَّمأَل

وله يصف فرسا للظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذى النون رحمه الله :

وأدهمَ من آل الوَجيه ولاحقٍ ... له الليـلُ لَوْنٌ والصباح حُجولُ
تَحيَّر ماءُ الحسن فوق أديمه ... فلولا التهابُ الخَصْر ظلّ يسيل
كأن هلال الفِطْر لاح بوجهه ... فأَعيُننا شوقا إليه تميــــــل
كأن الرياح العاصفاتِ تُقِـلّه ... إذا ابتَلَّ منـه مَحْزِم وتَليـل

(١) لاحق ، والوجيه ، والخطار ، وأعوج : أفراس مشهورة عنـد العرب بالعتق والـكرم .

إذا الظافر الميمون فى متنه علا بدا الزهوُ فى العِطفين منه يجول
[٥٩٢] فمن رام تشبيها له قال مُوجِزًا وإن كان وصف الحسن منه يطول
هو الفَلَكُ الدوّار فى صَهَواته لبــدر الدياجي مَطلع وأفول

وله فى وصف الراح

وما أبدع قوله فى وصف الراح ، والحض على النبذ للهموم والاطراح ، بمعاطاة كئوسها ، وموالاة تأنيسها ؛ ومعاقرة دِنانها ، واهتصار ثمار الفُتُوَّة وأفنانها ؛ والإعراض عن الأيام وأنكادها ، والجرى فى مَيْدان الصَّبْوة إلى أبعد آمادها :

سَلِّ الهمومَ إذا نبا زمنٌ بمُدامةٍ صــفراءَ كالذَّهَبِ
مُزِجتْ فمنْ دُرّ على ذهبٍ طافٍ ومن حَبَبَ على لَهَب
وكأنَّ سَاقِيَها يثير شَـذًا مِسْكٍ لدى الأقوام مُنْتَهَب

ولله هو ! فقد نَدَب إلى المندوب ، وذهب إلى مداواة القلوب ، من النُّدوب ، وإبرائها من الآلام ، وإهدائها كل تحية وسلام ؛ وإبهاجها بآصال وبُكَر ، وعلاجها من هموم وفِكَر ؛ فى زمن حَلِيَ عاطلُه ، وجُلِّى فى أحسن الصُّور باطله ، ونَفَقَت مُحالاته ، وطَبَّقتْ أرضَه وسماءه استحالاتُه ؛ فلبيبهُ كاسد ، وذِيبه مستاسِد ؛ وأحْفاشُهُ[١] تنَمَّر ، وبغاثه قد استنسر ؛ فلا استراحة إلا فى مُعاطاة حميّا ، ومؤاخاة وسيم المحيّا .

ولابن عمار فى مثله

وقد كان ابن عَمّار ذهب مذهبَه ، وفضَّضه بالإبداع وذهَّبه ، حين دخل سَرَقُسْطه ؛ ورأى غَباوة أهلها ، وتكاثف جهلها ؛ وشاهد منهم من لايعلم معنى ولا فصلا ، وواصل من لايعرف قطعًا ولا وصلا ؛ فأقبل على راحه يتعاطاها ،

(١) أحفاش الأرض : ضبابها وقنافذها . والذى فى الأصول : «أخفاثه» ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وعكف عليها ما تعدّاها ولا تخطاها ؛ حتى بلغه أنهم نَقَموا معاقرتَه للعُقار ، وجالت ألسنتُهم فى توبيخه مجال ذى الفِقار ، فقال :

نَقَمْتم علىّ الراحَ أُدْمِنُ شُرْبَها وقلتم فَتَى راحٍ وليس فتَى مجدِ
ومن ذا الذى قاد الجياد إلى الوغَى سِوايَ ومن أعطى الكثيرَ ولم يُكْدِ [٦٩٣]
فديتكمُ لم تفهموا السرَّ إنما قَلَيتكمُ جُهْدِى فأبعدتكمْ جُهْدى

وللمترجم فى وصف مجلس أنس

ودُعى ليلة إلى مجلس قد احتشد فيه الأنس والطرب ، وقرع السرورُ نبعَه بالغَرَب ؛ ولاحت نجوم أكواسه ، وفاح نسيم رَنْده وآسه ؛ وأبدت صدورُ أباريقه أسرارها ، وضمت عليه المجالس[1] أزرارها ؛ والراح يديرها أهيف وأوطف ، والأمانى تُجْنَى وتُقْطَف ، فقال :

يا رُبَّ ليلٍ قد هتكتُ حجابَه بمدامةٍ وقّادة كالكوكبِ
يَسْعَى بها أحوى الجفون كأنَّها من خَدِّهِ ورُضاب فيه الأشنب
بدران : بدر قد أمنت غروبه يَسْعى ببدر جانحٍ المغْرب
فإذا نعمتَ برشْفِ بدر غاربٍ فانْعَمْ برشفة طالع لم يَغْرُب
حتى ترى زُهْر النجوم كأنها حول المَجرّة رَبربٌ فى مَشْرَب
والليل مُنْحَفِزٌ يطيرُ غرابُه والصبح يطردُه ببازٍ أشهب

وله يمدح بعض الأعيان

وقال يمدح بعض الأعيان ، وهى قصيدة اشتملت على المحاسن اشتمال الليل ، وانفردت بالمحاسن انفراد سُهَيْل ؛ ودَرَّت فيها أخلافُ الإبداع ، وزُرَّت عليها جيوبُ الانقطاع ، وأفصح فيها لسانُ الإحسان ، وسَحّ عليها عَنانُ الأفتنان ؛ فجاءت بالإغراب محفوفه ، ولاحت كالخريدة المزفوفه .

---

(١) لعلها : « المحاسن » .

وسمعْت السّيِّئَ الاعتقاد ، الغَبِيّ الفهم والانتقاد ، الكافرَ المُلْحِد ، المنافر لمن يعظِّم الله و يُوَحِّد ؛ الذى ما نَطَق مُتَشَرِّعا ، ولا رُمِق مُتوَرِّعا ؛ ولا أقر بباريه ، ولا قَرَّ عن جريه فى مَيدان الغَيِّ وتباريه ؛ يَدَّعِى مدحها ، ويقول : إنَّه إليه بعثَ نَفْحَها ؛ و إنه الذى افتضَّ عُذرتها ، وقَطَف زَهرتها . وحاشا لقائلها أن يَمدح بها المذموم ، ويَنْضَح بكوثرها نَفْحَ سَمُوم ؛ أو يُشَرَّف بها وضيعا ، و يُرْضِع ثديها مَنْ غدا للؤم رَضيعا ، وهى :

[٥٩٤] أما إنه لولا الدُّموع الهـــوامعُ ... لما بانَ منى ما تُجِنُّ الأضالعُ
وكَمْ هتكتْ سِتْرَ الهوى أعيُن المَها ... وهاجت لىَ الشوقَ الديارُ البلاقع
خليلَيَّ مالى كلما لاح بارق ... تلظَّى الحشا وارفضَّ مِنِّى المدامع
هَلِ الأُفْق فى جنبَيّ بالبرق لامِـعٌ ... أم المُزْن فى جفنَيّ بالوَدْق هامع
فَفى القلبِ من نار الشُّجون مَصايِفٌ ... وفى الخدِّ من ماء الشـئون مَرابع
وما هاجَ هذا الشوقَ إلا مُهَفْهَفٌ ... هو البَدْرُ أو بدرُ الدُّجى منـه طالع
إذا غاب يومًا فالقُـلوب مَغارِبٌ ... وإنْ لاح يومًا فالجيوب مَطالِع
يُضرِّجُ خَــدَّيه الحيـاء كأنمـا ... بخدَّيه من فَتْك الجُفون وَقائع
رَمانىَ عن قوسِ المَحاجرِ لَحْظُه ... بسهمٍ غَدَا من مُهجتى وهو وادِع
وما زلتُ من ألحاظه مُتَوَقِّيًا(١) ... ولـكنَّه ما حُمَّ لا بدَّ واقـــــع
يَرِقُّ فُتور اللَّحظ منه كأنَّهُ ... إلى قلبه من قَسْوة الهَجْر شافع
كما رقَّ بالآداب طَبْعُ محمـــد ... فما كَتَمَى الأحْبابِ منه الطَّبائع
رَخيمُ حواشى الطَّرف حُلْوٌ كأنما ... ســجاياه أيامُ السُّرور الرَّواجع

* * *

(١) فى الأصول : متوقعا ؛ ولعله محرف عما أثبتناه .

أبا بكرٍ أُستوفيتَ زُهْرَ محاسنٍ تُنافِسها زُهْرُ النجومِ الطّوالعُ
قدحتُ زنادًا من ذَكائك لم يَزَلْ يُنير فتَعْشى البارقاتُ اللوامع
وما ذاكَ عن نيْلٍ لديك رجوته فيَصْدُقَ ظنٌّ أو يُكذّبَ طامع
ولا أنا ممن يَرتضى الشعرَ خُطّةً فتجذبَه نحوَ الملوك المطامع
ولكنّ قلبًا بين جنبىّ قد غدا يجاذبنى فيك الهوَى وينازِع
طوَى لك من محْض الوِداد كائنًا تبدّت لها فوق اللسان طلائع
أأزعُمُ(١) فى نظم البديع ولم يَزَلْ لك السَّبْقُ فيه والوَرَى لك تابع
وأىُّ مقال لى وقولُك سائرٌ وأىُّ بديع لى ومنك البدائع

قوله يتغزل وقال يتغزّل ، وتصرّف فيه تصرفَ غَيْلانِ مىّ ، ووصفَ كلَّ حوّاءَ وحىّ ، وذكر العِشق ، وارتاد الإبداع ، حتى عدا به مِصره ، فأجاد معانيَه ، وأشاد مبانيَه :

تَأَوَّبَه من همِّه ما تأوّبا فبات على جَمْر الأسى متقلِّبا
مَرَتْ مُزْنَ عينيهِ غداةَ تحمّلوا عواصفُ ريح الشَّوق حتى تصبَّبا
دُموعٌ هتكْنَ السِّتْرعن مُضمر الجوَى وأَبدين من سِرِّ الهوى ما تغيَّبا
خليلىّ ما لِى كلما لاحَ بارقٌ تذكّرتُ برقًا بالعَقيق وزَيْنبا
أُؤَنِّسُ بالنائين نوْمًا مُشرَّدًا وأُطمِعُ بالثاوين(٢) قلبًا معذَّبا
وَمَنْ لى بردِّ الحَل إذ جدَّت النَّوَى به وبوصل الحَبْل أن يتقضّبا
أفِى كلِّ حين أمتَرِى غَرْب مُقْلَةٍ أبَى الوَجْدُ إلا أن تجُودَ فتُغْرِبا(٣)

(١) يقال زعم يزعم زعامة (من باب شرف) : بمعنى ساد ورأس .
(٢) فى الأصول : « بالتامين » ولعلها محرفة عما أثبتناه ، أو عن كلمة بمعناها .
(٣) يقال : أغرب الساقى : إذا أكثر الغرب ، أى الملء ، وأغرب الحوض والإناء : ملأهما .

إذا عنَّ لى ظَبْىٌ بوجْرَةَ شــادنٌ تذكَّرْتُ مَنْ عَنَّى الفؤادَ وعَـذّبا
وأَرْتاح للأَرْواح من نحو أرضهـا وتَثْنِي عِنانى للصِّبا نفحةُ الصَّبا
ولولا الْتِهابُ الشَّوق بين جوانحى لأمرعَ خـدّى بالدُّموع وأعْشَبا
ألا قاتلَ اللهُ الهوى كيف قادَنى إلى مَصْرَعى طوعًا وقد كنتُ مُصْعَبا[1]
وما كنتُ أَخْشى أن أبيتَ مُعذَّبا بعَذْب رُضابٍ مَنْ حَمَى الثغرَ أَشْنَبا
وخَـدٍّ أُلاَقِى دُونَ شَمّ رياضــهِ من اللحظ هِنديًّا وللصُّدغ عقربا
أجِــــدَّك لم تُبْصر تألُّق بارقٍ يُجِدُّ نَشاطا[2] فى ذُرى الأفق أهدبا
إذا مابدا فى الجوّ أَحْمرَ ساطعًا حَسِبْت الظلامَ آبنوسا مُذَهَّبا
كأنّ الرِّياضَ الحُوَّ غِبَّ سمائه تَرَدَّيْن وَشْىَ العَبْقرىّ المخَلَّبا[3]
كأن الشَّقيقَ الغضَّ والفجرُ ساطع خــدودٌ زهاها الحسنُ أن تتنقبا
تَمتَّعْ برَيْعان الشَّباب وظِـلّه فلا بُدَّ يومًا أن يَبينا ويَذْهبا
فما العيشُ إلاّ أن تَروح وتَغتدى مُحِبًّا بَرَاه سُـــــقْمُه أو مُحَبَّبا

* * *

بينه وبين أبى الحسن راشد وقد دعاه إلى مجلس أنس

وكتب إلى الكاتب أبى الحسن راشد يستدعيه إلى مجلس قد لاحت شموسُ مُدامه ، وارتاحت نفوس نِدامه ، وتأوّدت تأودَ الغُصون قدودُ خُدَّامه :

عندىَ مشْكودٌ[4] من الخَمْر عَبِقْ
فيــــه مُنَى مُصْطَبِحٍ ومُغْتَبِقْ
يحكِى شذَا المسكِ إذا المسك فُتِقْ
كأنهُ من خُلْقِكَ الحُلْو خُلِقْ

(١) المصعب من الإبل : الفحل الذى لا ينقاد . (٢) هذه الكلمة غير ظاهرة فى الأصول . وهى فى ص أقرب إلى ما أثبتناه . (٣) المخلب (كمعظم) : الكثير الوشى . (٤) فى الأصول : « مسكود » ، ولا معنى له . ونظنه محرفاً عما أثبتناه . والمشكود : الممنوح .

كأنما كئوسُه تحت الغسَقْ

فى راحة الساقِى نجومٌ تأْتلِقْ

تخالها وهى تَلَظَّى كالحَرَقْ

أحشاءَ صَبٍّ مُلِئت من الحُرَقْ

تَرى لَدى المَزْجِ إذا الماءُ اندفَقْ

فيها حَبَابًا لاح كالدر النَّسَقْ

وأنت أُنْسِى والمُفَدَّى بالحَدَقْ

فاطلُعْ طُلُوع القَمر التِّمِّ اتَّسَقْ

فى يومنا هذا إذا الظُّهر نَطقْ

يا راشدًا إذا دُجَى الغَىِّ غَسَقْ

وماجدًا قد حاز فى السَّبْق السَّبَقْ

للهِ مَعْنًى طابقَ أسمًا لكَ حَقّْ

توَافقا فيك إذا الاسْمُ اتفقْ

فراجعه راشد : [٥٩٦]

لَبَّيْكَ من داعٍ إلى العيش الغدَقْ

فى سَجْسَج من ظِلِّهِ غَضِّ الوَرَقْ

نُديرُ صَفْوَ الراح صِرْفًا قد عَتَقْ

وشِبْهَهَا لونًا وطعما وعَبَقْ

وكان يُجْلَى فى مُلاءٍ مِنْ فَلَقْ

تحسُده فى حُسنه بِيضُ السَّرَقْ

ثم كساه الشُّهْد ثوبا من شَفَقْ
بل مِنْ إياةِ الشَّمس من غير رَنَقْ (١)
كأنه مِن خَـدِّ مَن أهوى استرقْ
كأنّه برِيقه العَـــذْب فُتِقْ
فجـاء يَشْفِى من جَوًى ومن حُرَقْ
أحلى من الأمْن أتى بعد الفرَقْ
رضيتُه مُصْطَبَحا ومُغتَبَقْ
على رياض أَدَبٍ ذات أنَقْ
أجْنيْنَ ما أهوَى وأذهبنَ القلَقْ
عند فتًى ندْبٍ عَبيرىّ الخُلُقْ
مؤتزرٍ بالمَـكْرُمات مُنْتَطِقْ
إن قال قدسُدْتُ الورَى قيل صدَقْ

* * *

وقال يصف مَجْلس أنس وتصرّف فى وصف سُقاته ، و إقبال الصُّبح لميقاته ، ومَدح الراح بأحسن أسمائها ، وطلوع الفجر هازما لدُجي ليلتهم وظَلْمائها ، و إيقاظ أصحابه من نومهم ، وترْغيبه لهم فى اصطباح يَومهم :

وله يصف مجلس أنس

صاحِ نَبِّهْ كلّ صاحٍ يَصْطَبِـحْ فَضْلَةَ الزِّقّ الذى كان اغْتَبَقْ
قهوةً تَحْـكِى الذى فى أضلعى من جَوى الحُب ومن لَفْح الحُرَقْ
بيدَىْ ساقٍ تَرَى فى طَوْقه بَدرَ تِمٍّ قد تجـلَّى فى غَسَقْ

(١) فى ط ، ص : « زقق » وفى م : « زنق » . ولعلها محرفة عما أثبتناه . والرنق : الـكدر .

خِلتُها إذ غربَتْ فى ثغره شمسُها أبقت[١] بخديه شفقْ
أُفرِغ الماء عليها فحكتْ ذائب الإبريز أو ذَوبَ وَرِقْ
إنّ مِسْكَ الليل قد أعقبه مِنْ سَنَى الإصباح كافورٌ عَبِقْ
فكأن الفجر عينٌ فُجِّرتْ وكأنّ الليلَ زنجىٌّ غَرِقْ
وكأنّ الأنجم الزُّهْر مَهًا راعه السِّرْحان صُبْحا فافترقْ

* * *

وله فى الزهد

وقال فى الزهد ، وهو غرض قد أكثرَ القول فيه ، والضراعةَ لباريه ؛ وراشَ أنواعه وبَرَى ، وحَلَب فُنونه ومَرَى ؛ وذلك مما يدل على وَرعه ، وصفاء منهله فى التقى ومشرَعه ؛ فكثيرا ما يُعْلِن به ويُسِرّ ، ويَطَّلع على لسانه مُتِمًّا ولا يَستتر :

[٥٩٧]

إلَهِىَ إنى شاكر لك حامدُ وإنى لَساعٍ فى رضاك وجاهدُ
وإنّكَ مهما زَلَّتِ النَّعلُ بالفتى على العائد التوّاب بالعفو عائد
تباعدت مَجْدًا وادَّنيتَ تعطُّفًا وحِلْما[٢] فأنت المُدَّنِى المتباعد
ومالى على شىء سواك مُعوَّلٌ إذا دَهَمَتْنى المُعْضِلات الشدائد
أغيرَكَ أدعو لى إلٰهًا وخالقا وقد أوضح البرهانُ أنك واحد
وقِدْمًا دعا قومٌ سواكَ فلم يَقُم على ذاك برهانٌ ولا لاح شاهد
وبالفَلَكِ الدّوارِ قد ضلّ مَعْشرٌ وللنَّيِّرات السبع داعٍ وساجد
وللعقل عُبّاد وللنفس شيعة وكلُّهُم عن مَنْهج الحق حائِد
وكيف يَضِلُّ القصدَ ذُو العلم والنُّهَى ونهجَ الهُدَى من كان نحوَكَ قاصد[٣]

(١) فى م : « أبدت » .
(٢) كذا فى قلائد العقيان . وفى الأصول : « علما » .
(٣) كذا فى الأصول وقلائد العقيان .

وهَلْ فى الَّتى طاعُوا لَهَا وتعبَّدوا   لأمرك عاصٍ أو لحقِّك جاحدُ
وهل يوجد المَعْلُول من غير علة   إذا صحَّ فكرٌ أوْ رأى الرشدَ راشد
وهل غِبتَ عن شىء فيُنكِرَ مُنكِرٌ   وُجودَك أمْ لم تَبدُ منك الشواهد
وفى كل مَعْبودٍ سواكَ دلائلٌ   من الصُّنع تُنْبِى أنه لك عابد
وكلُّ وُجودٍ عن وُجودك كائن   فواجدُ أصناف الوَرَى لك واجد
سَرَتْ منك فيها وَحْدَة لو مَنَعتَها   لأصبحتِ الأشياء وهى بَوائد
وكم لكَ فى خَلق الوَرى من دلائلٍ   يَراها الفَتَى فى نَفْسه ويُشَاهد
كفى مُكْذِبا للجاحديك نفوسُهم   تُخاصمهم إن أنكروا وتُعانِد

* * *

وله يمدح الظافر ابن ذى النون

وقال يمدح الظافر عبدَ الرحمن بن عُبَيْد الله بن ذى النُّون ، وهو مدحٌ طابق الممدوح ، ووصفٌ شا كله كالروض والغمام السَّفوح ؛ فنظم الدُّرَّ بأبهَى جِيد ، وقلّد الفخرَ أعلى مَجيد ؛ ووضع العِلق فى يدَىْ مُمَيِّزه ، وأجْرى الجواد فى ميدان مُجَوِّزه ؛ لم يحمله إلى غير موضِع نَفَاق ، ولاشام به مَخِيلَةً ذات إخفاق ؛ فإنه كان أندى مِنَ الغيْث ، وأمضى من الليْث ؛ وأذكى من الحُسام ، وأبهى من البدر ليلة التَّمَام ؛ حتى خاض هَوْلًا لم يَسْرِ فيه إلى صُبح ، وسَلَك شِعْبا لم يَنْشَ(١) منه بريح ؛ فصافح المنايا ، وطَلَع له غيرَ مَعهود الثنايا ؛ والشعر قولُه :

[٥٩٨]
لعلكُمُ بعد التَّجنُّب والهَجْرِ   تُديلونَ من بُعْدٍ وتَشْفُون من ضُرِّ
فإن الذى غادرتمُ بينَ أضْلعى   يزيد على مرِّ الزمان وَيستشرى
ولم تُنْبِكم عَنِّى النَّوَى غيرَ أنكم   رحَلتم من الجَفْن القريح إلى الفِكر
ومِنْ عَجبٍ أَنِّى أُسائلُ عنكمُ   ومنزلكمْ بين الجوانح والصَّدْر

(١) يقال : نشى منه ريحا ، أى شمها . والباء هنا : زائدة .

وأستعطف الأيام فيكم لعلها تُعيد اللّيالى السابقاتِ كما أدرى
وأطْمَعُ منها فى الوِصال ولم أزل عليما بما يؤْثِرْنَ من شِيَمِ الغدْرِ
ويُوحِشُنى حُسْنُ الزّمان لنأيكم وإن كنت مأنوسَ الجوانح بالذكر
ولم أنسَ إذْ صدَّت كما صدَّ شادن غرير من الرِّبْعِىّ(١) أوجس من ذُعْر
تميس كما ماس القضيب على النّقا وترنو كما أغضى الشريفُ من السُّكْر(٢)
وما زلتُ صَبًّا بالغوانى تَصيدنى ذواتُ الثنايا الغُرِّ والأوجه الزُّهْر
وعندىَ أحشاء مُلِئْن صَبابةً كألحاظ أجفان مُلِئْن من السِّحْر
ولوعةُ وجد ما تُفيقُ وظمأةٌ لأشنبَ معسول اللّمى طيِّب النَّشْر
وكم فى كِناس السمهرية من رَشًا أغنَّ يقيم العُذْرَ فى الخَلْع للعُذْر
وأهيفَ يَثنيه النسيم إذا جرَى فلو شاء من لِينٍ تَختَّمَ فى الخصْر
وساحرةِ الألفاظ لو أنها دَعَتْ بنغمتها مَيْتا للبَّى من القبر
حسَرت قناع السِّتر فيها ولم يكن يطيب الهوى يوما لمن دان بالسِّتْر
ولله ليلٌ باللِّوَى أبعدَ الجوَى وقرّب نحرًا مِنْ مَشُوق إلى نَحْر
فما شئتُ من شكوَى أرَقَّ من الهوَى وما شئتُ من نجْوَى ألذَّ من الخمر
سَرَتْ لم تمسَّ الطِّيبَ عُجْبًا بحُسْنِها وقد أفْعَمَتْ عُرْض البَسيطة بالعِطْر
فقلت : عُبيدُ اللهِ أو نجله سَرَى فذكَّرَنى دَارِينَ أو بثَّ بالشِّحْر
كأنّ ضياء الصُّبح فى الليل إذ سَرَى بصيرةُ إيمان سرت فى عَمَى كفْر
كأنّ مَهًا فى الأُفْقِ رِيعتْ وقد بدا لها ذنبُ السِّرْحانِ مِنْ وَضَحِ الفجر
كأنّ سَنَى الشمس المنيرة إذ بدا كسا ورق الإصباح ذَوْبا(٣) من التبر
وإلاّ فوَجْه الظافر المَلِك انجلى فجلّى ظلام النَّقْع فى الجَحْفل المَجْر

(١) الربعى : الحديث الميلاد . (٢) فى م : « الشكر » . (٣) فى م : « ثوبا » .

عجبت لأيامٍ تداعتْ خطوبُهــا لِتَثْلِمَ من غَرْبى وتقدحَ فى وَفْرى
ولم تدْرِ أنى فى حِمى الظافر الرِّضا أَرُدُّ العِـدى عنى بصَمْصَامَتَىْ عَمْرو
[٥٩٩] حلَلْتُ جَنابا منــــه مَدَّ ظِلالَه علىَّ وأعطانى أمانًا من الدهر
جنابٌ بكتْ فيه غمائمُ جوده فأضحكْنَ روضَ المجدِ عن زَهَرِ الشكر
وكم نِلتُ مُذْ أَصبحتُ أَلْثِمُ كفَّه بيمناه من يُمْنٍ ويُسراه من يُسْر
لَدَى ملِكٍ ما لاح ضوءُ جبينـه بجنح الدُّجى إلا كَفَى مَطْلَعَ البَدْر
ومُتَّقِـدِ الآراء لو جال فى الوَغى بخاطره أغنَى عن البيض والسُّـمْر
ولولا اضطرام البأس فيه غدَا القَنا براحتِــــه يهتزُّ بالوَرَق الْخُضر
أرَى عابد الرحمن رحمةَ من قَسَتْ عليه الليالى ، أَمْنَ مَنْ رِيعَ بالفَقْر
وكعبةَ آمال كثيرا حجيجُها لهـا حرمٌ فيـــه مشاعرُ للشِّعْر
له من حِجاه بالسماحــــة آمرٌ ومن حِلمـه ناهٍ عن اللغْو والهُجْر
فتًى لم يشـــمِّرْ قطُّ إلا عَنَا له عِداه وساقُ الحربِ مُسبَلةُ الأُزْر
ولم يَعترِكْ بُخْلٌ بميــدان عَدْلِه وجَــدواه إلا فاز جَدْواه بالنَّصر
أبا عامرٍ لا زِلتَ للمجـدِ عامرًا فإنك وُسْطَى العِقد فى عُنُق الفَخْر
وَقَمتَ العِـدا عنّى برأفـة ماجدٍ وغَمْرِ نوال سَرَّ إذ ساء ذا الغَمْر(١)
وأوسعتَ نُعْمَى ضِقْتُ ذَرْعًا بحملها فإن خففَتْ عُمرى لقد أثقلتْ ظهرى
ولمّا ارتقتْ بى فى سمائك هِمَّتى غـدا أُخمَصى فوق النَّعائم والنَّسر
فَحَيَّيْتُ شمس المُلك فى فَلَكَ العُــلا وشِمْتُ سحابَ الجودِ فى بارق البِشر
أيرجو ضلالا أَنْ يُناوِيك حاسدٌ وقد حُزتَ خصلَ السَّبْق وهو على الإثْر
وأرْسى عبيدُ الله بَيْتَك فى العُــلا وطَنَّبَه بين السِّماكين والغَفْر(٢)

(١) الغمر (بفتح العين وكسرها) : الحقد . (٢) الغفر : من منازل القمر .

وأصبحتَ كالمأمون تقفو سبيلَه كأنك موسى تقتفِى أثرَ الخضرِ
وما عِلتَ صبرًا حين قلَّدكَ العُلا وجاء بأمرٍ من بدائعه أمرى
فللهِ ما شادوا وشِدْتَ من العُلا ولله ما حازوا وما حُزْتَ من ذِكر
نَظمتَ شتيتَ المُلك بالعَدْل والتّقى وقمتَ بحقّ الله فى السرّ والجهر
وجاءكَ صومٌ إثْرَ فطرٍ قضيتَه بحظَّين من سعدٍ جزيلٍ ومن أجر
وأدْبر سُقمٌ عنك بشَّر جسمَه بإقبالِ نُعْمَى واتصالٍ من العُمْر
سيملأ شكرى كل قُطْرٍ تحُلُّه بنشر ثناء عنك أذكى من العِطْر
وتبقى لكم بين الضُّلوع محبةٌ أُلاقِى بها الرحمن فى موقِف الحشْر

***

وله يمدح ابن لبون

وكتب إلى ذى الوزارتين أبى عيسى بن لُبُّون :

قمْ نصْطبِح من قهوة بِكْرِ حتى نُرى صَرْعَى من السُّكرِ
أُنُفٍ تناساها الوَرَى حتَّى لم تَجْرِ فى بالٍ ولا ذِكر
فترى الدِّنانَ وما حوتْ منها كجوانحٍ طُوِيَتْ على فِكر
نَفَحَتْ فقلتُ المسكُ أو ما قدْ أحيا أبو عيسى من الذِّكر
لا شَىءَ يحكى طِيبها إلّا شِيَمُ عِذابٌ منه أو شكرى
ما زلت أُخْبِرُ من محاسنه قِدْمًا بعُرفٍ ليس بالنُّكر
وأحِنّ نحو لقائه طَرَبًا كالطَّير إذ حَنَّت إلى وَكر
فالآنَ شاهدتُ الذى يُحْكَى ولقِيتُ فيه الفَضْلَ للشُّكْر

[٦٠٠]

تعريف للفتح بابن لبون ومدح ابن السيد له

وكان أبو عيسى ممن رأس وما شَفّ ، ووَكَف جودُه وما كَفّ ؛ وأعاد سوق البدائع نافقه ، ورفع للآمال رايةً من الندى خافقه ؛ وأوردهم منها جودَه مَعِينا ، وزفّ لهم من مَبَرّاته أبكارا وعُونا ؛ فلما بلغه قوله هذا وسمعه ، استنبله

واستبدعه ؛ وأحضره إلى مجلسٍ نَام عنــه الدَّهر وغَفَل ، وقام لفَرْط أنسه واحتفل[١] ؛ قد بانت صُروفُه ، ودنت فى الزائرين قُطوفُه ؛ وقال هلُمَّ بنــا إلى الاجتماع بِـمُذهبك ، والاستمتاع بما شئته ببراعة أدَبك ؛ فأقاموا يُعْمِلون كأْسَهم ، ويَصِلُون إيناسهم ؛ وباتوا ليلهم ما طرقَهم نَوْم ، ولا عدَاهم عن طيب اللذات سَوْم .

ودخل سَرَقُسْطة أيام المستعين [بالله] وهى جنَّة الدنيا ، وفتنة المَحْيا ؛ ومُنتهى الوصف ، وموقف السرور والقَصْف ؛ مَلِك نَمِير البشاشة ، كثير الهشاشة ؛ ومُلْكٌ بَهِجُ الفِناء ، أرِجُ الأرجاء ؛ يَروق المجتلِى ، ويفوق النجمَ المعتلِى ؛ وحَضرةٌ مُنسابة الماء ، مُنجابة السماء ؛ يبسِمُ زهرُها ، ويَنْساب نهرُها ؛ وتتفتَّح خمائلها ، وتتضوع صَباها وشمائلها ؛ والحوادث لا تعترضها ، والكوارث لا تَقْتَرِضُها[٢] ؛ ونازِلُها من عُرْسٍ إلى مَوسِم ، وآملها متصل بالأمانى ومُتَّسِم ؛ فنزل منها فى مثل الخَوَرْنق والسَّدِير ، وتصرف فيها بين روضة وغدير ؛ فلم يَخِفَّ على المستعين [٦٠١] اختلالُه[٣] ، ولم تَخْفَ لديه خِلاله ؛ فذكره مُعْلِما به ومُعَرِّفا ، وأحضره مُنوِّها له ومُشَرِّفا ؛ وقد كان فرَّ مِنِ ابن رَزِين ، فرار السرور من نفس الحزين ؛ وخَلَص من اعتقاله ، خلوص السيف مِنْ صِقاله ؛ فقال يمدحه :

هُمُ سلبُونى حسنَ صَبرِىَ إذْ بانُوا ... بأقمــار أطواقٍ مَطالعها بانُ
لئن غادرونى باللِّوى إنَّ مهجتى ... مسايرةٌ أظعانَهم حيثما كانوا
سَقَى عهدَهم بالخَيْف عَهْدَ غمائمٍ ... ينازعها مُزْنٌ من الدمع هَتَّان
أأحبابَنا هل ذلك العهدُ راجع ... وهلْ لِىَ عنكمْ آخرَ الدهرِ سُلْوان

(١) فى م : « ورفل » .
(٢) تقترضها : تنال منها . (عن تاج العروس) .
(٣) اختلاله : أى سوء حاله .

ولى مقلة عَــبْرَى و بين جوانحى فؤاد إلى لُقْيَاكُمُ الدهرَ حَنَّانُ
تنكَّرَتِ الدنيا لنــا بعد بُعْدِكم وحَفَّتْ[(١)] بنامن مُعضِل الخطب ألوان
أناخت بنا فى أرض شَنْتِ مَرِيَّةٍ هواجسُ ظنٍّ خُنَّ والظنُّ خَوَّان
وشِمْنا بروقا للمواعيــد أتعبَتْ نواظرنا دهرا ، ولم يَهْمِ هَتَّان
فسرنا وما نُلْوِى على متعــذِّر إذا وطن أقصاك آوتكَ أوطان
ولا زاد إلا ما انتشته من الصَّــبا أُنوفٌ وحازته من المــاء أَجْفان
رَحلنا سَــوام الحمد عنها لغيرها فلا ماؤها صُدًّا ولا النبت سَعْدَان
إلى مَلِكٍ حاباه بالمجد يوسُفٌ وشــادَ له البيتَ الرفيع سليمان
إلى مستعينٍ بالإلٰه مؤيَّدٍ له النصرُ حِزْبٌ والمقادير أعوان
جَفَتْنَا بلا جُرْمٍ كأَن مودةً ثَنَى نحوَنا منها الأعنــةَ شَنْآن
ولو لم تُفِدْ منا سِوَى الشعرِ وحدَه لحُقّ لنا بِرٌّ عليـــــه و إحسان
فــكيف ولم نجعلْ بها الشعرَ مكسبا فيوجبَ للمُكدِى جفاءً وحرمان
ولا نحن ممن يرتضى الشعر خُطَّةً و إن قَصَّرت عن شأونا فيه أعيان
ومن أوهمتــه غيرَ ذاك ظنونُه فثَمّ مجــالٌ للمقال وميــدان
خليلَىَّ من يُعْدِى على زمن له إذا ما قضى حَيْفٌ عَلَىَّ وعُدْوَان
وهل رِىءَ مِن قبلى غريقُ مدامعٍ يَفيض بعينيه الحيا وهو حَرَّان
وهل طَرَفتْ عينٌ لمجدٍ ولم تكن لها مقلةٌ من آل هُودٍ و إنسان [٦٠٢]
فوجه ابن هودٍ كلما أعرض الورى صحيفةُ إقبال لهــا البشرُ عنوان
فتَى المجْدِ فى بُرْدَيْه بدرٌ وضيغمٌ و بحر وقُدْسٌ ذو الهِضاب وثَهلان

---

(١) فى ابن خلــكان : « وحلت » .

من النفَر الشُّمِّ الذين أكفّهم غُيوثٌ ولكنَّ الخواطر نيرانُ
لُيوثُ شرًى مازال منهم لدى الوَغى هِزَبْرٌ بيمناه من السحر ثعبان
وهل فوق ما قد شاد مقتدِر لهم ومؤتَمَن بالله لُقياه إيمان
ألا ليس فخر فى الورَى غيرُ فخرهم وإلا فإنّ الفخر زُور وبهتان
فيا مستعينا مُستعانًا لمن نبا به وطنٌ يوما وعَضّتْهُ أزمان
كسوتُكَ من نظمى قلائدَ مَفْخَرٍ يباهِى بها جِيدُ المعالى ويزدان
وإن قَصَّرْت عما لبِسْتَ فربما تجاورَ درّ فى النِّظام ومَرْجان
مَمانٍ حكت غُنْج الحِسان كأننى بهنّ حبيبٌ أو بَطَلْيَوْس بَغْدان
إذا غرَستْ كفاكَ غرسَ مَكارِمٍ بأرضىَ أجنتك الثَّنَا منه أغصان

* * *

ولابن السيد يمدح ابن رزين

وكان عند وصوله إلى ابن رَزين قد رفعه أرفع محلّ ، وأنزله منزلَة أهل العَقْد والحلّ ؛ وأطلعه فى سمائه ، وأقطعه ما شاء من نَعْمائه ، وأورده أصفى مناهل مائه ، وأحضره مع خواصّ نُدَمائه ؛ وكانت دولته مَوْقِف البيان ، ومَقْذِف[1] الأَعيان ؛ ومُحَصَّب جِمار الآمال ، وأعذب موارد الأَجمال؛ لولا سَطَواته الباطشه ، ونَكَباته البارية لسهام الرُّزْء الرائشه ؛ فقلما سَلِم منها مُفاد الأموال ، ولا أحمدَ عُقْباه معه صاحبٌ ولا وال ؛ فأحمدَ هو أوّلَ أمره معه ، واستحسن مَذهبه فى جانبه ومَنْزَعه ؛ ولم يَدْر أنّ بعد ذلك الشهد شربَ عَلْقَم ، وأن السّمّ تحت لسان ذلك الأرقم ؛ فقال رحمه الله يمدحه :

عسى عَطفة مِمّنْ جفانى يُعيدُها فتُقْضَى لُباناتى ويدنو بعيدُها
فقد تُعْتِب الأيام بعد عِتابها ويُمْحَى بوصل الغانيات صدودها

(١) فى ط : « ومقدف » . وفى م : « ومعدن » . وفى ص : « ومقدب » . ولعل الكلمة محرفة عما أثبتناه .

وكم للصَّبا عندى يدٌ لستُ جاحدا ... لها إنَّ كُفران الأيادى جحودُها [٦٠٣]

ليالىَ أَسْرِى فى ليالِى غدائرٍ ... كواكبها حَلْىُ المها وخدودها

وأَهْصِر أغصان القدود فتَنْثَنِى ... علىَّ برُمَّان النحور نهودها

فَلِلّهِ ليلٌ بتُّ فيه كأنَّنى ... بوَجْرَةَ أغتال المَها وأصيدها

أُبيحُ ثغورًا كالثغورِ ودُونها ... أسنَّةُ ألحاظٍ قَناها قُدُودها

تَشابه منها ما حوته مَباسمٌ ... عِذابٌ ولَبَّات يرُوق فَريدها

فإنْ تكُ من تلك العقود ثغورُها ... وإلاَّ فمِنْ تلك الثغور عُقُودها

وحمراءَ حَلاَّها المِزاجُ نَخِلتُها ... عقيلةَ خِدْرٍ زينَ بالدُّر جِيدها

بدت فى دِلاصٍ من حَباب وأشْرَعَتْ ... سِنانَ انسكابٍ والكئوس جُنودها

فما بَرِحَتْ حتَّى كأنَّ شُروبَها ... من السكر صرْعَى أنعستها حُدودها(١)

ترى شَرْبَها جُنْحَ الظلامِ كأنهمْ ... بها مُصْطَلُو نارٍ يُشَبُّ وَقُودها

إذا أنكحوا مِنْ فِضَّة الماء تِبْرَهَا ... أتى اللؤلؤ المكنونُ وهو وَليدها

كما أنكحوا البدرَ استْقامت سُعودُه ... هُذيلا من الشمس استقامت سُعودها

فجاءا بعبد المَلْكِ للمُلْك كوكبا ... ليحمِى سماءَ المجد ممن يَكيدها

رمى جِنَّةَ الأعداء لما سَمَوْا لها ... بشُهْبِ القَنا حتى استشاط مَريدها

حَلَفْتُ بعَلْيا عَابدِ المَلْكِ ذى النُّهَا ... وأيْدٍ له كالقَطْر جَمٍّ عَديدها

لئن كان قد أبلتْ هُذَيلا يَدُ الرَّدَى ... فإنَّ عُلاهُ ليس يَبْلَى جديدها

وإنْ رَفعتْ كَفَّاهُ قُبةَ مَفْخَرٍ ... فإن قَنا عَبدِ المليك عمودها

فتىً أحْرزَ العَلْيا، وحاز مَدَى النَّدَى ... فما إن له من رُتبة يستزيدها

---

(١) حدودها : جمع حد ، وهو سورة الشراب .

سَرَى بارقٌ من بشره غَيرُ خُلَّبٍ إلى أرض آمالِى فأورق عودُها
وبوَّأنى من مجــده فى مكانةٍ سُعودُ النجوم الزاهرات صَعِيدُها
فيأيهـا المولى الذى أنا عبدُه وقِدْمًا رَجَا طَوْلَ الموالى عبيدها
أصِخْ نحوَ حُرِّ الشِّعر مِن عبد أنعُمٍ بدائعــــه مازال منك يُفِيدها
قوافٍ تروقُ السامعين كأنمـا تُحلِّى سجاياكَ الحسانَ قصيدها
حَبَتْكَ العُلا حقًّا بمَثْنَى رِياســةٍ بها اعترفتْ ساداتهـا ومَسودها
ولولاكَ أضحت أرضُ شَنْتِ مَرِيَّةٍ مُناخَ خُطوبٍ لا يُنَادَى وليدها
وما زلتَ يَقْظانَ الجُفون لرعْيِهـا إذا أعيُن الأملاكِ طالَ هجودُها
[٦٠٤] تَـكُفُّ الأذَى عن أهلها وتَحوطها وتُبْدِى الأيادى فيهم وتُعيدها

* * *

ولـه يرثى أبا عبدالملك بن عبـد العزيز

وقال يَرْثِى الوزيرَ الأجلَّ، أبا عبد الملك بن عبد العزيز، و بنو عبد العزيز بهذا الشَّرْقِ، هم كانوا بدورَ غياهبه، وصدور مراتبه، و بحور مواهبه؛ نُظِمَتْ فِيهمُ المدائح، وعظمت منهم المنائح؛ ونفقت عندهمْ أقدار الأعلام، وتدفقت لديهم بحار الكلام؛ وخَدَمتهم الدنيا وبنوها، وأمِنَتْهمُ الأيام ولم يأمنوها؛ فرَّقتْ جُموعَهم، وأخْلَتْ رُبُوعهم، ونَثَرَتْ سلْـكهم، ومزَّقتْ مُلْـكهم؛ وهدَّت مُشَيَّد بنائهم، واخْتَلَّتْ الحوادث فى فِنائهم؛ وبَقِىَ أبو عبد المَلِك هذا آخِرَهم، فأحيا مفاخِرهم؛ وكان بدرَ هذا الأفق وشمسَه، ورُوح هذا القُطْر ونَفْسَه؛ أبدَى لذلك السَّنَى لَمْعًا، وأعاد من تلك العُلا جَمْعًا؛ إلى أن دَبَّ إليه الحِمام، واسْتَسَرَّ(١) بدرُه بعد التَّمام؛ والقصيدة:

فؤادِى قريحٌ قد جفاه اصْطِبارُهُ ودمعِى أبتْ إلاّ انسكابا غِزارُهُ

---

(١) فى م، ص: «واستتر».

يُسَرُّ الفَتَى بالعيش وهو مُبِيدُه ... ويَغْتَرُّ بالدنيا وما هى داره
وفى عِبَرِ الأيام للمرء واعظ ... إذا صحَّ فيها فكرُه واعتباره
فلا تحسِبَن يا غافلُ الدَّهْرَ صامِتًا ... فأفْصحُ شىء ليلُه ونهاره
أصخ لمناجاةِ الزمان فإنهُ ... سيغنيك عن جهر المقال سِراره
أدار على الماضين كأسًا فكلُّهمْ ... أبيحت مغانيه وأقوتْ دِياره
ولم يَحمهم من أن يُسَقَّوْا بكأسهم ... تَناوُشُ أطراف القَنا واشتجاره
وغالت أبا عبدِ المليك صروفُه ... وقد كان دهْرًا لا يُباح ذِماره
فأصبح مَجْفوًّا وقد كان واصلا ... وأمسى قَصِيا وهو دانٍ مَزاره
ولم أنسَ إذْ أوْدَى الحِمام بِنفسه ... فلم يبق إلاّ فعلُه وادِّكاره
إذا رَقأتْ عينى استهلتْ شئونها ... لمَأْتَمِ حزن قد أرَنَّ صُوَاره
تُجاوِبُ هذِى تلكَ عند بكائها ... كترجيع شَوْلٍ حينَ حَنَّتْ عِشاره
كأن لم يكن كالمُزْنِ يَرْهَبُ صَعْقَه ... عَدوٌّ ويُرْجَى فِى المُحُول انهماره
ودوحةَ عِزٍّ يُسْتَظَلُّ بظلها ... وروضًا من الآداب تُجْنَى ثِمَاره

[٦٠٥]

أمَا وعُلَى مَرْوان إنَّ مُصابَه ... أثارَ أسًى تُذْكَى على القلب ناره
فلا شُرْبَ إلاَّ قَدْ تَكَدَّرَ صفوهُ ... ولا نَوْمَ إلاَّ قد تجافى غِراره
فأىُّ حَيًا للفضل أجْلَى غمامُه ... ونظمٍ من العَلْياء حان انتِثاره
خَوَى المجدُ من مَرْوان وانهدَّ طَوْدُه ... وجَدَّ بجَدِّ المكْرُمات عِثاره
وماخِلت أنّ الصُّبح يُشْرِق بعدَهُ ... لمينٍ وأنّ الروضَ يَبْقى اخضراره
فيا طَودَ عِزٍّ زَلْزَل الأرضَ هدُّهُ ... وبدْرَ عُلًا راعَ الأنامَ انكداره
هنيئا للحْدٍ ضَمَّ شِلْوك أنْ غدا ... عميدُ الندى والمجدِ فيه قرَاره
ولم أرَ دُرًّا قطُّ أصدافه الثَّرَى ... ولا بَدْرَ تِمٍّ فى التراب مَغاره
عَزاءً بنى عبد العزيز وإن خلا ... من المجد مَغْناه وهُدَّ مَناره

ففيكم لهـذا الصَّدْعِ آسٍ وجابرٌ وإن كان صعبا أَسْوُهُ وانجباره
لـكُم شرَفٌ أرْسَى قواعدَ بيتِه أبو بكرٍ السارِى إليكُمْ نجاره
أجلُّ وزيرٍ عَطَّر الأرضَ ذكرُه وأخجلَ زُهْرَ النَّيِّراتِ فخاره
فلو كان للعلياء جِيدٌ ومِعْصَمٌ لأصبح منكمْ عِقْدُه وسِواره

* * *

وله فى وصف طول الليل

ومما يُستغرَبُ له ويستبْدَع ، ويشاد بذكره ويسمَع ، ويُعدُّ مما ابتـكَر معناه واختَرعَ ؛ قوله فى وصف طول الليل عليه ، كابَدَ منه ما عظُمَ لديه .

تُرَى ليلُنا شابتْ نواصيه كَبْرَةً كما شِبْتُ أمْ فى الجو رَوْضُ بَهارِ
كأنَّ الليالِى السبعَ فى الأُفْقِ جُمِّعتْ ولا فضلَ فيما بينهـا لنهارِ

* * *

وله فى وصف مجلس الظافر

وحضر عند الظافر عبد الرحمن بن عُبيد الله بن ذى النون ، رحمه الله ، مجلسا رَفَعَتْ فيه المُنَى لواءَها ، وخلعت عليـه الشمس أضواءَها ، وزفّت إليه المَسَرَّات أبكارها ، وفارقت إليه الطير أوكارها ؛ فقال يصفه :

ومَجْلسٍ جَمِّ الملاهِى أزهَرَا
أَلَذَّ فى الأجفان من طَعْمِ الـكَرَى
لم تَرَ عينِى مثـــلَه ولا تَرَى
أنفسَ فى نفس وأبْهَى مَنظرَا
إذا تَرَدَّى وشْــيَه المُصَوَّرا
من حَوكِ صنعاءَ وحوك عَبْقَرا
ونسْج قُرْقُوبٍ[1] ونسْج تُسْتَرا[2]

(١) قرقوب (بالضم ثم السكون وقاف أخرى ، وبعد الواو الساكنة باء موحدة) : بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز ، وكانت من أعمال كسكر (عن معجم البلدان).
(٢) تستر (بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء) : مدينة بخوزستان .

خِلْتُ الربيعَ الطَّلْق فيــهِ نوَّرا

[٦٠٦] كأنمــا الإبريق حين قرقرا

قدْ أَمَّ لَثْم الكاسِ حــــين فغَرا

وَحْشِيَّةٌ ظلَّتْ تناغِى جُؤذَرا

تُرْضِعه الدُّرَّ ويَرْنُو حَــذَرا

كأنمــا مَجَّ عقيقا أحمــــرا

أوْفَتَّ مِنْ رَيَّاه مِسْكا أذفَرا

أو عابدُ الرحمن يوما ذُكِرا

فنمَّ مِسْكا ذِكرُه وعَنْــــبرَا

الظافرُ المَلْكُ الّذى مَنْ ظَفِرا

بقربه نال العَــلاء الأكبرا

لو أنّ كسرى راءَه(١) أوْ قيصرا

هَلَّل إكبارًا له وكَبَّرا

تُبْدِى سمـاءُ الملك منــــه قمرا

إذا حجابُ المجْد عنــه سَفرا

يأيهــا المُنْضِى المطايا بالسُّرى

تبْغِى غَمــامَ المكْرُمات المُمْطِرا

وقال رحمه الله :

يَغْلُو لسانى فيكُمُ وما أفَكْ

---

(١) كذا فى ط ، ص . وراءه : رآه . وفى م : « زاره » .

فاهْزُزْ به عَضْبا إذا هُزَّ فَتَكْ[1]
قائمُهُ قلْبِيَ والغِمدُ الحَنَكْ

* * *

وله فى الغزل

وقال يتغزل أيامَ جَرى فى ميدان الصِّبا مُتهافِتا ، وأبدَى له الجَوَى نَفَسًا خافتا ؛ وهو من أبدع أنواع الاستعطاف ، وأحسن من النَّوْر عند القِطاف ؛ خَضَع فيه لمحبوبه وذَلّ ، وهان له وابْتَذَل ؛ ورَضِي بما سامه من العذاب ، وبذل نفسه فى رَشفة من ثناياه العِذاب ؛ وتشكَّى من جَوْره وحيْفه ، وبكَى حتَّى مِن اجتناب طَيفه ؛ واستدعى رِضاه ، وخلع ثوب التناسك ونضاه ؛ ونحا فى استلطافه أرقَّ مَنْحَى ، وتصامَّ عن قول من عذَلَ ولحَى ؛ وهذا غرض مَنْ كَواه الغرام ، وسبيل من رام من الوصال ما رَام ؛ فما مع الهوى عِزٌّ ولا صبر ، وما هو إلا ذُلٌّ أو قبر .

[والقطعة] :

أبا عامرٍ أنتَ الحبيبُ إلى قلبى ... وإن كنتُ دَهرا مِنْ عتابك فى حَرْبِ
أتُعْرِض حتى بالخيال لدَى الكَرَى ... وتَبْخَلُ حتى بالسَّلام مع الرّكْب
كأنى أخو ذنبٍ يجازَى بذنبِـه ... وما كان لى غيرَ المودة مِنْ ذنب
فيا ساخِطا هل مِن رجوع إلى الرِّضا ... ويانازحًا هـل من سبيل إلى القرب
ويا جَنَّةَ الفِرْدوسِ هَلْ يقطع[2] العِدا ... بجِرْيالِكِ المختومِ أو مائك العَـذْب
[٦٠٧] ويابائِنا بانَ العزاء ببَيْنه ... فأصبحتُ مسلوبَ العزيمة والقلب
أذِقْنِىَ بالعُتْبَى جَنَى النحلِ مُنْعِمًا ... فإنك قد جرعتنى الصابَ بالعَتْب
وكنتُ أرى الهِجْران أعظمَ حادثٍ ... فقد صار عند البيْن من أصْغر الخطب

(١) كذا فى ط . وفى ص : « إذا هز بتك » . وفى م : « إذا أهوى فتك » .
(٢) كذا فى الأصول .

أتتركُنِي رَهْنا بأيدى حوادثٍ غدوتُ لها نَهْبا وما كنتُ بالنَّهْبِ
سأجعل عيدا يوم عَوْدِكَ يَغْتَدِى مُحيَّاك فيه قِبلةَ الهائم الصَّبِّ
أقيم لواءَ الوَصْلِ فى حُلّة الصِّبا بِهِ وأُضَحِّى بالصَّبابة والكَرْب
لك القلبُ ما فيه لغيرك مَنزِل مَنَحتُكه فانزله بالسَّهْل والرُّحْب

* * *

وقال شاكيا مثلَ هذه الشكْوَى ، مخبرا بما يلقاه من البلْوَى :

خليليَّ هل تُقضَى لُبانةُ هائمٍ أمِ الوَجْد والتبريحُ ضَرْبةُ لاَزِمِ
فإنِّى بما ألْقَى من الوَجْد مُغْرَمٌ كسالٍ وقَلْبِى بائِحٌ مثلُ كاتِمِ
ولى عَبَرات يَسْتَهِلُّ غَمامُها بِخَدِّى إذا لاحت بروقُ المباسِمِ
كَفَى حَزَنا أَنِّى أذوبُ صَبابَةً وأَشكو الذى ألْقَى إلى غيرِ راحِمِ
وأَرتعُ من خدَّيه فى جَنَّة المُنَى ويَصْلَى فؤادِى مِن هواهُ بجاحِمِ
تَقَضَّى الصِّبَا واللهوُ إلا حُشاشَةً تجدِّدُ لى عهد الصِّبَا المتقادِمِ
كأنىَ لم أقطع بصُبح وقَهْوَةٍ زَمانى ولم أَنْعَمْ بأحورَ ناعِمِ
ولابِتُّ فى ليل الغَواية لاثما له تحت أستار الدُّجى وهو لاثِمِى
إذا ما أدارَ الكأسَ وَهْنًا حسبتَهُ يُدير هِلالا طالعا فى غمائم
أبا حسَنٍ إنى بوُدِّكَ مُعْصِمٌ(١) فهل أنت يوما من جفائك عاصِمِى
جعلتُك فى نفسى وقلبى مُحَكَّمًا لِترضَى فقد أصبحتَ أجورَ حاكِمِ
أتظلمنى وُدِّى وما زال فيكُمُ قَرِيعُ عُلًى يُرْجَى لرد المظالمِ
وقد كان فَصَّ الفَخْرِ فى خِنْصَرِ العُلَا أبوكَ ، ووُسْطَى فوق جِيد المكارِمِ

(١) معصم : ممسك .

وكم ضمَّ ظهرُ الأرض منكم و بطنُها بدورَ دُجًى من كل أشْوَسَ[١] حازمِ
وأبلجَ فضفاضِ القميص حُلاحلٍ طويل نجاد السيف ماضِى العزائم
وما أذْهلتنى عن ودادك غَيْبةٌ قدحتَ بها نارَ الأسى فى حيازمى
وكم لىَ فيها نحوكُمْ مِنْ تحيَّة أُحمِّلها مَرْضَى الرياح النَّواسم
إذا مرَّ ذكر منكَ يوما على فمى توهَّمْتُه مسكا سرى فى خياشمى
دعانى إليك الشوقُ فاهتاج طائرى ضُحًى بخوافٍ للهَوَى وقوادمِ
ولو أننى فى مُلْحَدِى ودَعَوتنى لَلَبَّـيْتك من تحت الصَّعيد رَمائمى [٦٠٨]
سأُصْفيك مَحْضَ الوُدِّ ماهبَّتِ الصَّبا وما سَجَعتْ فى الأيكِ وُرْق الحمائم

***

[٢]وقال أيضا جاريا على عادته من التشبيب، وسالكا جادَّته من الخضوع للحبيب، إلا أنه اعتذر من الهوى فى المشيب، وأنكر أخلاق الشُّبَّان على الشيب:

خليلىَّ ما للريح أضحى نسيمُها يُذكِّرنى ما قد مضى ونَسِيتُ
أبَعْد نَذيرِ الشَّيب إذ حَلَّ عارضى صَبَوْت بأحداق المها وسُبِيت
ولى سَكَنٌ أغرَى بىَ الحزنَ حُسنُه جَرِىءٌ على قتل المحبِّ مُقيت[٣]
تُلاحظنى العينانِ منـه برحمةٍ فأَحيَا ويقسُو قلبُه فأَموت
فياقَمرًا أغرى بىَ النَّقصَ واكتسى كمالا ووافى سعدَهُ وشَقِيت
وليتِ فَرِقِّى إذ وليتِ لهائمٍ سَباه لَمًى كالشَّهد منك وَليت[٤]
وجُودِى ببرْد الوصل ياجنةَ المُنَى فإنِّى بحَرِّ الوجد منك صَلِيتُ

(١) أشوس: متكبر، وهو من الشوس: النظر بمؤخر العين تكبرا.
(٢) من هنا إلى قوله: «للحبيب» ساقط فى م.
(٣) المقيت: الحافظ للشىء. يريد أنه قادر على قتل من يحبه وإحيائه.
(٤) الليت: صفح العنق.

لابن عريب يستدعيه إلى معاطاة قهوة

وكتب إليه الكاتب أبو الحسن راشدُ بن عُرَيْب يستدعيه إلى معاطاة قَهْوَة ، وساعات سَلوة :

طَرِبت إلى شمسيَّةٍ قد تروَّقتْ فأربتْ على الصَّهباء لَوْنا ورائحهْ
فلو أنَّ فيها نقطةً هندسيةً لباتتْ بها فى ظُلمة الليل بائحه
فكن مُسْعدِى يامن سجاياه لم تَزَلْ وأخلاقُه تُغْنِى عن المسك فائحه

رده على ابن عريب

فأجابه رحمه الله :

طَرِبتَ فأطربتَ الخليلَ إلى الّذى طربتَ لهُ فالنفس نحوَك جانحهْ
وكمْ أسكرتْنا منك من غير قَهْوةٍ شمائلُ تغنينا عن المسْك فائحه
فلله أيامٌ بقربك أسْعَدَتْ غوادٍ علينا بالسرور ورائحه
فساعاتىَ الطُّولَى لديك قصيرةٌ وصفقةُ كفى فى التجارة رابحه

* * *

وله فى وصف كتاب جاءه من محبوب

وقال يصف كتابا ورد عليه من محبوب كان هجره ، ووعده فيه باللقاء و بَشَّره :

نفسى فداءُ كتاب حاز كلَّ مُنًى جاء الرسولُ به من عند محبوبِ
مُبشِّرًا أنْ ذاك السُّخط عاد رِضًا وبُدِّلَتْ منه مِنْ بُعْدٍ بتقريب
حَسِبتُه ناظرًا نحوى بناظرِه ومُهْدِيًا لىَ ما فى فِيه من طِيب
ظَلِلْتُ أطويهِ من وجْد وأنشُرُهُ وكاد يُبليه تقبيلى وتقليبى
كمْ قبلةٍ لىَ فى عُنوانه عَذُبتْ وبَرَّدَتْ بالتلظِّى حَرَّ تعذيب
كأنه حين جَلَّى الحزنَ عن خَلَدِى « قميصُ يوسفَ فى أجفانِ يَعْقوب »
لو كان ما فيه من مَوْعُوده كَذِبًا شَفَى فكيف بوعدٍ غير مكذوب

[٦٠٩]

* * *

كتب إليه بعض إخوانه متمثلا

وكتب إليه بعض إخوانه متمثلا بقول القائل :

وِدادكمُ كالوَردِ ليس بدائمٍ ولا خير فيمن لا يدُوم له عَهْدُ

ووِدِّى لكم كالآسِ حُسْنا وبَهْجة   له خُضْرةٌ تبقَى إذا ذهَبَ الوَرْدُ

رده عليه

فراجعه بهذا الشعر :

لَعَمْرِى لقد شَرَّفْتَ وُدِّى بثَلْبِه   وصَيَّرْتَ لى فضلا عليك(١) ومَفْخَرَا

صَدَقْتَ : وِدادُ الوَرْدِ رَطْبًا ويابسًا   وماءً إذا عَصْر الأزاهر أَدْبَرا

ووُدُّك مثلُ الآس ليس بنافعٍ   ولا نافحٍ إلا إذا كان أَخضرا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الوَرْدَ يكرُم إن ذَوَى   ويُطرح فى المِيضاةِ آسٌ تغيَّرا

أَفَضَّلْتَ عبدَ السوء جهلا على الذى   غدا فى الأزاهير الأمير المؤمَّرا

* * *

وله فى الرد على ابن أبى الخصال

وكتب إلى الكاتب أبى عبد الله بن أبى الخِصال ، يراجعه عن شعر خاطبَه به :

بماذا أُكافِئُ نَدْبا كسانى   حِلًى من علاه بها قد حَبَانى

وقَلَّدَ جِيدِىَ من دُرِّه   ما لم تُقَلَّدْ نحورُ الغوانى

محاسنُ أصبحَ لى لفظُها   مُعارًا وأَضحتْ لديه المعانى

فقل للذى حاز خَصْلَ المَدَى   فليس يُباريه فى السَّبْق ثانى

أَهٰذى شمائلك الزاهراتُ أَهْديتَها أم ثغورُ الحِسان

أَمِ الأنجمُ الزُّهْرُ أطلعتَها   على أُفُقٍ بسماء البَيَان

أَمِ الوَشْىُ ما نَمْنَمَتْ راحتاكَ أَمِ الأَعْيُن الحُورُ جاءت رَوانى

أَمِ الروضُ بات نديمَ الغمامِ   يُسَقِّيه من غير بِنْتِ الدِّنان

يُضاحِكه عن ثُغور البُرُوق   ويَشْدُوه مِن وعدِه بالأغانى

لئِنْ زُفَّ وُدُّك نحوى لقد   غدا من فؤادى بأعلى مكان

[٦١٠]

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : « عليه » .

ومَهْما أساءت بطول البعادِ خطوبٌ فقد أحسنت بالتّداني
كأنّ الزمانَ أتى تائبـا إلىَّ وأنت اعتذار الزمان

* * *

ومما يستجاد له

ومن شعره الذى يُزْرِى بزَهر الرِّياض ، وغُنْج الأَعْيُن المِراض ، قوله :

أيا مُمْرِضًا جسمى بأجفانه المَرْضَى سَلَبْتَ الكَرى عنى فهَبْ منه لى البَعْضا (١)
لِيَهْنِكَ غُمْضُ العين عمّنْ تركته سميرَ نجوم الليل ما يَطْعَمُ الغُمْضا
أتَسْخَطُ من ذُلِّى لعزِّكَ فى الهوى وأرضى بخدِّى أن يكون لكم أرْضا
قضى اللهُ أن أشقى وغيرى بوصْلِكم سَعيدٌ ومن يَسْطيع رَدًّا لما يُقْضى

* * *

قطعة له تنفك منها ست قطع

ومما أغربَ به وأبدع ، قطعة تَنْفَكّ منها سِتّ قِطع ، وهى :

نَفْسى الفِداء لجُؤْذَرٍ حُلْو اللَّمى مُستحسَنٍ بصُدوده أضنانى
فى فِيه سِمْطَا جوهرٍ يُرْوِى الظَّمَا لو عَلَّنى ببَرودِه أحيانى

* * *

قطعة أخرى تنفك منها تسع قطع

ثم زاد فى غرابة هذا المنزَع ، بأن صنع قطعة تَنْفَكّ منها تسع قطع ، وهى :

طيفٌ سَرَى من خاطرِ القلبِ الدَّوِى فوفَى لنا بعِدَاته وقضى الوَطَرْ
بَذَّ الكَرَى عن ناظِرِ الصَّبِّ الجوِى وشَفَى الضنى بهِباته ومضى حَذِرْ

* * *

وله فى وصف تين

وقال يصف تينا أسود مكتَّبا :

أهْلاً بتينٍ كالنُّهود حوالِكٍ ضُمِّخْنَ مِسكا شِيبَ بالكافورِ
وكأنَّ ما زُرَّتْ عليه جيوبُها شهدٌ يُشابُ بسمسمٍ مقشور

(١) فى ط : « منى » .

وكأنما لَبِسَتْ لُجَيْنًا مُحْرَقًا فيه بقايا من بياض سُطور

* * *

وله فى وصف حمّام

وقال يصف حمّاما :

أَرَى الحَمَّام مَوْعظة وذِكْرَى لكل فتًى أريبٍ ذى ذكاء
يُذَكِّرُنا عذاب ذوى المعاصى وأحيانا نعيمَ الأتقياء
شَقَا هَجْرٍ يَشوبُ نعيم وَصْل وحَرُّ النار فى برد الهواء
إذا ما أرضُه التهبت بنار تبادَر سَمْكُه هَطْلا بماء
[٦١١] كصَدْرِ الصَّبِّ جاش بما يلاقى فلجَّ الطَّرْفُ منه بالبكاء
كأنّ له حبيبا بانَ عنه فبانَ وخانَه حُسْن العَزاء

* * *

وله فى الغزل

ومن شعره المُطرب ، وتَغَزُّله المعجب ، قوله :

أيا قمرًا فى وَجْنتيه نعيمُ وبين ضُلوعى من هواه جحيمُ
إلى كم أقاسى منك رَوْعا وقَسوةً وصَرْما وسُقما إنَّ ذا لعظيم
وإنى لأنهى النفس عنك تجلُّدًا وأزعُم أنى بالسلُوِّ زعيم
فإنْ خطَرتْ بالقلب ذكراكَ خَطرةً ظلِلْتُ بلا لُبٍّ إليكَ أهيم

* * *

وله فى مدح القادر

ومن مديحه الذى أبدع فيه وأغرب ، وذهب فيه أحسن مَذْهب ، قوله يمدح القادر ، رحمة الله عليه :

ضَمانٌ على عينيكَ أنِّىَ هائمُ تَصَدُّعُ قلبى حول وصلك حائمُ
فؤادك قاسٍ ليس لى فيه رَحْمة ويوهم منك اللحظُ أنك راحِم
ظلمتَ ولم ترهَب مَغَبَّةَ ما جَنَتْ جفونٌ لها فى العاشقين مَلاحِم

أظنُّ عقابَ الله نالك فى الهوَى ... لخصرك مظلومٌ وردْفك ظالمُ

ولحظكَ مُضْنًى ما يُفيق من الضَّنى ... كما ضنيَتْ فيك الجسومُ النواعم

وخدك بالألحاظ يجْرَح دائبا ... فكلٌّ له باللحْظ مُدْمٍ وكالِم

يقولون غُصنُ البانِ ما حازَ خَصْرُه ... ودِعْصُ النَّقا ما حاز منه المَعاكِم

وفى طوقه بدر الدُّجُنَّةِ طالعٌ ... تَجَلَّله قِطْعٌ من الليل فاحم

وقالوا اللَّمَى المحمرُّ فَصٌّ عقيقةٍ ... بمَبْسمِه المعسولِ والثغرُ خاتم

لك المثلُ الأعلى وفى الجهل عاذرٌ ... بتقصيرهم إن لامهم فيكَ لائم

وما أنت إلا آيةُ اللهِ فى الورَى ... وحكمتُه إنْ قال بالعلم عالم

لقد بَخَسُوكَ الحقَّ جهلا وأخطأتْ ... بما رَجَمَت فيك الظنون الرواجم

كما بخسوا يَحيى بنَ ذى النُّونِ حَقَّه ... فقالوا ابنُ سُعْدى فى النوال وحاتم

وقالوا حكى الضِّرغامَ فى الرَّوْع بأسُه ... وذلك ما لا تَدَّعيه الضراغم

وقالوا هو الدهرُ الذى ليس دونه ... حِمًى وهو المخدوم والدهر خادم

وأنّى لِلَيْث الغاب فى الرَّوْع بأسُه ... إذا صال فى الهيجاء والنقعُ قاتم [٦١٢]

ومن أين للسيف الحُسام مَضاؤه ... إذا انتُضِيَتْ للحرب منه العَزائم

ومن أين المزن الكَنَهْوَرِ جُودُه ... إذا انهملتْ من راحتيه المكارم

لنا بارقٌ من بِشره ليس خُلَّبا ... إذا شامه يوما من الناس شائم

عليه من المأمون يحيى مَشَابهٌ ... تُرَى ولإسماعيل فيه مَياسم

هُمامان[1] شادَا بيتَ مجدٍ له التُّقى ... أساسٌ وأطرافُ الرماح دعائم

أبا الحسَنِ استنشقْ ثنائى[2] فإنما ... فؤادىَ دارِينٌ وشِعْرى لَطائم

(١) فى م : « إماماني » .

(٢) كذا فى م . وفى ط ، ص : « ثناء » .

لبستَ حِلًى للفضل حائكها التُّقى ... ومُعْلِمها الإفضالُ والمجد راقمُ
وأورثك المأمونُ صارمه الذى ... به لم تزل تفْرَى الطُّلَى والجماجم
فصمِّم ولا تُحْجِمْ فإنك صارمٌ ... حسامٌ ومنه فى يد الله قائم
لك السرحة الغنّاء فى المجد لم تَزَلْ ... تُرَوِّضها من راحتيك الغمائم
رياضٌ لنا سَجْع بمدحك وَسْطها ... كأنّا على أفنانهن حمائم
ودونكَ بِكْرًا من ثنائى زففتها ... إليك كما زُفَّ الغوانى الكرائم
كستك بطَلْيَوْسٌ بها عَبْقَرِيّةً ... كما انشقّ عن زَهْرِ الرِّياض كمائم
وما أنت ذو فَقْرٍ لما أنا واصف ... ولا أنا ذو إفْك بما أنا زاعم
سجاياك تُمْلِى الفخر والدهر كاتبٌ ... وعَلْياك تُعْطى الدُّرَّ والشِّعرُ ناظم
فدُمْ عامرا المجدِ تعنو لك العدا ... وتحسُدنا فيك النجومُ النواجم

قال أبو نصر : هذا ما سَمَح به خاطر لم تَخْطُر عليه سَلْوة ، وذهن نابٍ لم تُرْهَف له نَبْوَة ، ووقت أضيقُ من المأزق المتدانى ، ومَقْتٌ للزمن شغلنى عن كل شىء وعَدَانى ، أتجرَّعُ به الصاب ، وأتدرَّع منه(1) الأوصاب ، فما أتفرغ لإنشاء قول ، ولا أصحو من الانتشاء من هول ، وإلا فمحاسنُ هذا الرجل كانت أهلا أن يَمْتَدّ عِنانها ، ويُسْكَب عَنانها ، لكن عاق عن ذلك الدهر الذى شَغَل ، وأوغلنا فى شعاب الأنكاد حيث وَغَل .

انتهى التأليف البارع .

＊＊＊

ترجمة ابن السيد فى القلائد

ولا بد أن نذكر ما لأبى نصر من القلائد فى حق الرجل المذكور ، وأختصر ما جرى ذكره هنا من النظم . [٦١٣]

(١) فى ص : « به » .

قال فى القلائد فى حق الشيخ ابن السِّيد المذكور ما نصه :

الفقيه الأستاذ أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسى ، شيخ المعارف و إمامُها ، ومن فى يديه زمامها ، لديه تُنْشَد ضَوَالُّ الأَعراب ، وتُوجَد شوارد لغات الإعراب[١] ، إلى مقطع دَمِث ، ومَنْزِع فى النفاسة غيرُ مُنْتكِث ؛ وكان له فى دَولة ابن رَزِين مجال ممتدّ ، ومكان معتدّ ؛ ولمّا رأى الأحوالَ واختلالَها ، والأقوال واعتلالها ؛ وتلك الشموسَ قد هَوَت ، ونجومَ الأمال قد خَوت ، أضرَبَ عن مثواه[٢] ، ونكَّبَ عن نَجْواه ، وأُغترب[٣] بلوعة ابن رَزِينٍ وجواه ؛ ونصب نفسه لإقراء علوم النحو ، وقنِع بتغييم جَوِّه[٤] بعد الصحو ، وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمة ، وتصرف فى طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مِضمار مشرع ، ولا نكَّب عن أصلٍ للسُّنَّة ولا فرع ، وتواليفه فى الشروحات وغيرها صنوف ، وهى اليوم فى الآذان شُنُوف ؛ وقد أثبتُّ له ما يريك شُفوفَه[٥] ، وتجد على[٦] النفس خفوفَه[٧] .

فمن [ذلك] قولُه فى طول الليل :

تُرى ليلُنَا .... البيتين . وقد سبقا .

ثم قال الفتح : وأخبرنى أنه حضر مع المأمون بن ذى النون فى مجلس الناعورة ، بالمُنيةِ التى تطمح إليها المُنَى ، ومرآها هو المقترح والمُتَمَنَّى ، والمأمون قد احتبى ،

(١) فى قلائد العقيان المطبوع بمصر : « اللغات والإعراب » .
(٢) فى القلائد : « سواه » .
(٣) كذا فى القلائد . وفى الأصول : « وأعرب » .
(٤) كذا فى م والقلائد . وفى ط ، ص : « وجده » .
(٥) شفوفه : يريد فضله .
(٦) فى م : « فى » .
(٧) كذا فى الأصول . وفى القلائد : « حفوفه » . ولم نوفق إلى تصويبه .

وأفاض الحُبَا ؛ والمجلسُ يروق كأن الشمس فى أفقه ، والبدرُ [كالتاج] [١] فى مَفْرِقه ؛ والنَّوْرُ عَبِق ، وعلى ماء النهر مصطَبِح ومُغْتَبِق ؛ والدُّولاب يَئِن كناقة إثْرَ الحُوَار ، أو كثكْلى من حَرِّ الأُوَار ؛ والجوُّ قد عنْبَرتْه أنواؤه ، والروضُ قد رشَّتْه أنداؤه [٢] ؛ والأُسْد قد فغَرت أفواهَها ، ومجّت أمواهها ؛ فقال :

يا منظرًا إن نظرتُ بهجتَه . . . . الأبيات . وقد تقدمت .

[٦١٤] ثم قال الفتح : ولهُ رقْعَة يصف بها هذا التصنيفَ ، يعنى قلائد العقيان :

تأملت فسَح الله لسيِّدى ووليي فى أمد بقائه ، كتابه الذى شرع فى إنشائه ؛ فرأيت كتابا سيُنْجِد ويَغُور ، ويبلغ حيث لا تبلغُ البدور ، وتَبِينُ به الذُّرَى والمناسم ، وتغتدى له غُرَرٌ فى أوجه ومَوَاسِم ؛ فقد أسجد اللهُ الكلامَ لكلامك ، وجعل النيِّراتِ طوْع أقلامك ؛ فأنت تَهْدِى بنجومها ، وتُرْدِى برُجومها ؛ فالنَّثْرة من نَثْرك ، والشِّعْرَى من شِعْرك ؛ والبُلَغاء لك مَعْترفون ، وبين يديك مُتصرِّفون ؛ وليس يباريك مُبَار ، ولا يجاريك إلى الغاية مُجَار ؛ إلاّ وقف حَسِيرا ، وسَبَقْتَ ودُعِىَ أخيرًا ؛ وتقدمت لا عدمت شفوفا ، ولا برح مكانُك بالآمال محفوفا ؛ بعزة الله .

* * *

وله يراجع جوشن

وله يراجع الأستاذَ أبا محمد بن جوشن عن شعر كتب به إليه ، وتضمّن غزلا فى أول القصيدة ، فحذا حذوه :

حلفتُ بثَغْرٍ قد حَمَى رِيقَه العذبا ... وسلّ عليه منْ لواحظه عَضْبَا
وَفَرْحَة لُقْيا أذهبتْ تَرْحة النوى ... وعُتْبَى حبيب هاجر أعقبتْ عتبا

(١) زيادة عن القلائد .
(٢) فى القلائد : « قد وشته أمطاره وأنواؤه » .

لقد هزَّ عِطْفى بالقريض ابنُ جوشنٍ سرورًا كما هزت صَبا غُصُنا رطبا
كسانى ارتياحَ الراحِ حتى حَسِبْتُنى حَليفَ بِعاد نال من حِبِّه قُرْبا
وأطْرَبنى حتى دعانى الوَرَى فتًى وقالوا كبيرٌ بعد كَبْرَته شَبَّا
كأنَّ المثانى والمثالثَ هَيَّجَتْ سرورى ولم أسمعْ غِناءً ولا ضرْبا
فيا مُزمع التَّرْحال قلْ لابن جَوْشَن مَقالَ مُحِبٍّ لم يَشِبْ جِدَّه لِعْبا
أَمُهْدِى سجاياه إلىَّ وناظما لىَ الشُّهب عِقْدا راقنى نظْمُه عُجْبا
وما خِلتُ إهداء الشمائل مُمكنا لمُهْدٍ وأنَّ الدهرَ ينتظمُ الشُّهْبا
فهل نال عبدُ الله من سحرِ بابل نَصيبا فأَربى أو حوى الدَّهْىَ والإِرْبا[(١)]
لِيَهنِك فضلٌ حُزْتَ من خَصْلِه المَدَى ونظمٌ بديعٌ قد غدوتُ له رَبَّا
وهاكَ سلاما صادرًا عن مودةٍ عَمرْتُ به[(٢)] منى الجوانح والقلْبا

* * *

وله فى الزهد

وله رحمه الله فى الزهد من لزوم ما لا يلزم :

[٦١٥]

أمرتَ إلهى بالمكارم كلِّها ولم تَرْضَها إلا وأنت لها أهلُ
فقلتَ اصفحوا عمَّنْ أساء إليكمُ وعودوا بحلمٍ منكمُ إن بدا جهل
فهل لجهُول خاف صَعْبَ ذنوبه لديك أمانٌ منك أو جانبٌ سهل

وله يجيب شاعرا مدحه

وله رحمه الله يجيب شاعرا قُرْطُبيًّا مدحه :

قل للَّذى غاص فى بحر من الفِكَر بذهنه فَحَوَى ما شاء من دُرَر
لله عَذْراءُ زُفَّتْ منك رائحةً تختالُ من حِبْرها المرقوم فى حِبَر

(١) الدهى : النكر وجودة الرأى والأدب . والإرب : بمعناه .
(٢) فى س : « بها » .

صَداقُها الصِّدْقُ من وُدّى ومَنزِلُها بصيرتى وسَوادُ القلبِ لا بصرى[1]

كأنَّما خامرتْنى من بَشَاشتها راحٌ وسُكْرٌ بلا راحٍ ولا سَكَر

هَزَّت بدائعُها عِطْفىَّ من طربٍ لحُسْنها هِزَّةَ المَشْغوف[2] للذِّكَر

ما كنت أحْسِب أن النَّيراتِ غَدَت يَصِيدها شَرَكُ الأوهام والفِكَر

ولا توهَّمْت أيامَ الربيع تُرَى فى ناجر غَضَّةَ الأنوار والزَّهَر

أمَّا الجزاء فشىءٌ لستُ مدركه ولو بَدَرْتُ إلى التوجيه بالبدَر

لكن جزائى صفاء الوُدِّ أُضْمِرُه إذا القلوب انطوت منه على كَدَر

جارَاكَ ذِهنىَ فى مِضمارها فكَبا ذِهنى وفزتَ بخَصْل السَّبْق والظَّفَر

وهلْ بَطَلْيَوْسُ فى نظمٍ مناظِرةٌ[3] يوما لقُرْطبةٍ فى حُكم ذى نَظَر

وله فى وصف زربطانة

وله أيضا رحمه الله يصف زَرْبَطانة[4] [مُلْغِزا][5] :

وذاتِ عَمًى لها طَرْف بَصير إذا رَمِدت فأبصرُ ما تكونُ

لهـا من غيرها نَفَسٌ مُعار وناظرها لدى الإبصار طِين

وتبطش باليمين إذا أردنا وليس لها إذا بَطَشَت يَمين

* * *

رسالته إلى ابن الأخضر

وكتب إلى الأستاذ أبى الحسن بن الأخضر رحمه الله :

يا سيدى الأعلَى ، وعمادىَ الأسنَى ، وحسنَةَ الزمان الحُسنى ، الذى جَلَّ قدرُه ، وسار مسير الشمس ذِكرُه ؛ ومن أطال الله بقاءه ، لفضل يعلى مَناره ،

(١) فى القلائد : «وسواد القلب والبصر» .
(٢) يريد بالمشغوف : الذى هزله الحب وأضناه التذكر .
(٣) فى م : « فى نظم مشاكلة » .
(٤) هى الزبطانة والسبطانة (محركة) ، وهى قناة جوفاء يرمى فيها الطير بالبندق وبالحسبان نفخا ؛ قال فى تاج العروس : وهى المشهورة الآن بزربطانة .
(٥) زيادة عن القلائد .

وعِلْمٍ يحيي آثاره ؛ نحن — أعزّك الله — نتدانى إخلاصا ، وإن كنا نتناءى أشخاصا ؛ ويجمعنا الأدب ، وإن فرّقنا النَّسَب ؛ فالأشكال أقارب ، والآداب مَناسب ؛ وليس يضرّ تنائى الأشباح ، إذا تقاربت الأرواح ؛ وما مثَلُنا فى هذا الانتظام ، إلا كما قال أبو تمام ، رحمه الله : [٦١٦]

نَسيبىَ فى رأيى وعلمى ومذهبى   وإن باعدَتْنا فى الأصول المَناسبُ

ولو لم يكن لمآثرك ذاكر[1] ، ولا لمفاخرك ناشر ، إلا ذو الوزارتين أبو فلان ، أبقاه الله ، لقام لك مقام سَحبان وائل ، وأغناك عن قول كل قائل ؛ فإنّه يَمُدّ فى مِضمار ذكرك باعا رحيبا ، ويقوم بفخرك فى كل ناد خطيبا ؛ حتى تُثْنَى إليه[2] الأحداق ، وتُلْوَى نحوهُ الأعناق ؛ فكيف وما يقول إلا بالذى علمت سَعْد ، وما تقرر فى النفوس من قبل ومن بعد ؛ فذكرُك قد أنْجَد وغار ، ولم يَسِر فلَكٌ حيثُ سار ؛ وإنْ ليلُ جهلٍ أطلعتَ فيه فجرَ تبصيرِك ، لجديرٌ بأن يصير نهارا ، وإنَّ نبْع فكر قدحته بتذكيرك لجدير أن يعود مَرْخًا وعَفارا ؛ فهنيئا لك الفضلُ الذى أنت فيه راسخُ القَدم ، شامخ العَلَم ؛ منشور اللواء ، مشهور الذكاء ، مُلِّيتِ الآدابُ عمرَك ، ولا عَدِمت الألباب ذكرك ؛ ورَقِيتَ من المراتب أعلاها ، ولقِيت من المآرب أقصاها ، بفضل الله .

* * *

وكتب مراجعا إلى الوزير أبى محمد بن سُفيان رحمه الله :

... فى الرد على رسالة للوزير ابن سفيان

يا سيدى الأعلى ، وعمادى الأسْنى ، ومَشْربى الأصفى ، ومَنْ أدام الله عِزّته ، وحَمى من النوائب حَوْزته ؛ وافانى لك كتاب سرِىُّ الموضع ، سَنِىُّ

(١) كذا فى قلائد العقيان . وفى الأصول : « شاكر » .

(٢) كذا فى الأصول . وفى القلائد : « إليك » .

الموقع ، أطال على إيجازه ، وأطمع بعد إعجازه ؛ وقابلتُ الرغبةَ التى ضَمَّنتها فيه ، بما تقتضيه جَلالة مُهْدِيه ؛ ولئن تراخى الـكتاب ، عن حسن فى ذلك العتاب ؛ فإن المودة لم يقدح فيها من المَلَل قادح ، ولم يَسْنَح لها من الخلل سانح ؛ بل كانت كالبُرْد طُوِى على غَرّه ، إلى أوان جِلائه ونشره ؛ وقد علِم علاّم الضمائر ، والذى يُظَن غائبا وهو حاضر ، أنى أعتقدك القدحَ المُعَلَّى ، وأضرب بك المثلَ الأعلى ، وأَرَى أنك تحجيلٌ واضح فى دُهْمة الزمان ، وعِلْق راجح فى كِفَّة [٦١٧] الامتحان ، وبَقية سِنْخ كريم ، ما عهدهم عنا بذميم .

عليهم سلام الله ما ذَرَّ شارقٌ ورحمته ما شـــاء أَنْ يترَّحما

[وما أَدَّعى لك جانبا من السياده ، إلا ولك عليه أعدلُ الشهاده ؛ ولـكنْ قديما سَفَل ذو الرُّجْحان ، وعاد الـكمال على أهله بالنقصان ؛ وكُبِتَ الأعالى بارتفاع الأسافل ، حتى اقتضى ذلك قولَ القائل :

فوا عجبًا كم يدَّعى الفضلَ ناقِصٌ ووا أسفَا كم يُظهرُ النقصَ فاضل](١)

وقال المذمِّر للنـــاتجين متى ذُمِّرت قبـــلِىَ الأرْجُل(٢)

وقد جاريتك — أعزك الله — فى ميدان من البلاغة أنا فيه كمن كاثرَ البحر والمَطَر ، وجلب التمر إلى هَجَر ؛ والذى حدانى إليه ، أنه مرَّ بى(٣) زمن ، أَلْهَى خاطرى عنك فيه وَسَن ، فقلتُ قد كان من العُقوق ، ترك رعاية الحقوق ؛ فلأَسْتَمْطِرَنَّ مُزْنَ القول ، فقد كنتُ عَهِدْتُها تَسْجُم فتُغْدِق ، ولأَسْتَسْقِيَنَّ

(١) التـكملة عن قلائد العقيان .

(٢) هذا البيت للـكميت . والمذمر : الذى يدخل يده فى حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى . يقول : إن التذمير إنما هو فى الأعناق لا فى الأرجل .

(٣) فى القلائد : « لى » .

جابيةَ الشَّيْخ العِراقى ، فقد كانت تَطُمّ فتَفْهَق(١) ، أيام كنتُ أسحب ذيلَ الشباب ، وأسلُك مَسْلَكَ الكُتّاب ، ويُعجبنى سلوكُ سهل الكلام وحُزونه ، والتصرف بين أبكاره وعُونه ، أَسْتَنّ استنانَ الطِّرْف [الجامح ، ولا أَثْنى عِنان الطَّرْف](٢) الطامح ، وأُرَوِّى هامتى ، وأقول بما صَبَّت علىّ غمامتى ، إلى أن تعمَّم مَفْرِقى بالقَتِير(٣) ، وعَلَتْنى أُبَّهة الكَبير ؛ وودَّعْتُ زمنى الزائل ، وعادت سهامى بين رَثٍّ وناصل(٤) ؛ وعُرِّيتْ أفراسُ الصِّبا ورواحله(٥) ، وسُدِّدَتْ عَلَىَّ سوى قصد السبيل مَعادِلُه(٦) ؛ فلئن هُريق [ماء](٢) الشباب ، واستشَنَّ الأديم(٧) ؛ وأقشع السَّحاب ، وتجلَّت الغيوم ، فلعلَّ فى الأفق رَبابَه ، وفى الحوض صُبابه ؛ وعسى أن يكون فى أَخْلاف المقالة دَرٌّ يُرْضَع ، وفى حِقاق البلاغة دُرٌّ يُرَصَّع ؛ ولأزُفَّنَّها عذراء ، لا ترتضى إلا الأكفاء ؛ فليس يَبين النَّجْد إلا فى مأزِق الهيجاء ، ولا يحسن العِقد إلا فى عُنُق الحسناء ؛ ولأجعلَنَّ الشِّعْر لها شِعارا ، وفِقَر النثر لها دثارا ؛ فاهتصرْها إليك وَلْهَى(٨) عَرُوبا(٩) ، قد رَضِيت

(١) الجابية : الحوض ؛ والعراقى إذا تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضرى ، فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله . وفى العبارة إشارة إلى قول الأعشى :
نفى الذم عن رهط المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقى تفهق
(انظر كتاب الكامل لأبى العباس المبرد) .
(٢) التكملة عن القلائد .
(٣) القتير : رءوس مسامير حلق الدروع ، شبه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر . (عن اللسان) .
(٤) الناصل من السهام : ما لا نصل له .
(٥) يشير إلى بيت زهير بن أبى سلمى :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعرى أفراس الصبا ورواحله
(٦) معادل الطريق : مذاهبه ومسالكه . وهو من قول زهير :
وأقصرت عما تعلمين وسددت   على سوى قصد السبيل معادله
(٧) استشن الأديم : يبس وتشنج . وجلد الإنسان : تغضن عند الهرم . وهو من قول أبى حية النميرى : * هريق شبابى واستشن أديمى *
(٨) ولهى : ذاهبة العقل من الفرح .
(٩) العروب (فى الأصل) : الحسناء المتحببة إلى زوجها .

بك مُحِبًّا ومحبوبا ، فتُضَمِّخك بمسكها ، وتؤمِّنك من فِرْكِها(١) ، وتَذَرّ ذُرُور(٢) الشمس عليك ، وتَهُزّ فى نَدْوَة الحىّ عطفيك ؛ فإنْ قضت من حقك فَرْضا ، [٦١٨] ورتقت من فتق الإخلال ولو بَعْضا ؛ فذاك ما تضمنه الخاطر الذى نَمْنَمَ(٣) بُرْدَها ، ونَظَم عقدها ؛ وإن أخلف الظنُّ ما أوهم ووعد ، وقصَّر الذهن فيما أحكم وسدَّد ؛ فللخاطر عُذْر فى أنه مُنْصُل أُغْفِل شحذه وجِلاؤه ، حتى ذهب فِرِنْدُه وماؤه ، ومَنهل ضِيع(٤) وِرْدُه ، فنَضَب عِدُّه :

والشَّوْل ما حُلِبَت تدفَّقَ رَسْلُها   وتَجفُّ دِرّتها إذا لم تُحْلَبِ

* * *

وله يمدح ابن الفرج

وله من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بنَ الفرَج :

نَبِّهِ الليلَ بالوَجيف ولا تُو   لَعْ بدار الهوان بالإغماض

واقْرِ ضيفَ الهموم كل أمونٍ   عَنْتريس وبازل شِرْواض(٥)

أنقذَتْنى من الردَى وطْأتى البيـ   ـد ونقضُ الهموم بالإنقاض(٦)

شَكْلُها كالقِسِىّ وهْىَ سِهامٌ   لِلْفَلاَ(٧) والرُّغاء كالإنباض(٨)

---

(١) الفرك (بكسر الفاء وتفتح) : بغضة المرأة لزوجها .

(٢) ذرور الشمس : طلوعها .

(٣) كذا فى القلائد . وفى الأصول : « سهم » بمعنى جعل فيه نقوشا كالسهام .

(٤) ضيع (بالبناء للمجهول) : صار مهملا .

(٥) الأمون : الناقة القوية على السفر التى يؤمن عثارها . والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والبازل من الإبل : الذى طلع نابه ، وذلك فى التاسعة من عمره . والشرواض : الضخم .

(٦) الإنقاض : حث الدابة على السير ، يقال أنقض بالدابة : إذا ألصق لسانه بالحنك ثم صوت فى حافتيه .

(٧) فى القلائد : « للبلا » .

(٨) الإنباض : رنين القوس عند جذب وترها .

خِلتها حين خاضتِ الليلَ سَبْحًا غُمِسَت من دُجاه فى خَضْخاض[(١)]
صَدعَتْ عَرْمَضَ الدياجر حتى كَرَعَت فى ماءِ الصَّباح المُفاض[(٢)]
حين راعَ الظَّلامَ وَخْطُ مَشيبٍ قد سَرَى فى ســوادِه ببياض

ولد فى الزهد

وقال فى الزهد :

تجَوْهُرك الأدنى عُنِيتَ بحفظِـه وضيَّعتَ من جهلٍ تجوهرَكَ الأقصى
لقد بِعْتَ ما يَبقى بمـا هو هالك وآثرتَ لو تدرى على فضلك النقصا

وقال فى ذلك أيضا :

« وما دارنا إلا مَوات . . . » البيتين[(٣)] .

وقد تمثَّلت بهما فى خُطبة هذا الـكتاب ، فراجعهما .

وله يعزى ابن لبون فى أخيه

وله أيضا يُعزِّى ذا الوزارتين أبا عيسى بنَ لَبُّون فى أخيه :

المرءِ فى أيامـــــــه عِبَرُ والصَّفْوُ يَحْدُث بعــدَه كَدَرُ
خَرَسُ الزمانِ لمن تأمَّلَهُ نُطْقٌ وخُـبْر صروفه خَبَر
نادَى فأَسمعَ لوْ وَعَتْ أُذُنٌ وأَرَى العواقبَ لوْ رَأَى بصر
كم قال هُبُّوا طالما هَجعتْ منـكم عيونٌ حقُّهـا السَّهَر
أَبأُذْنِ مَن هو مُبْصِرى صَمَمٌ أم قلبُ من هو سامعى حَجَر
لولا عماكم عن هُدَى نُذُرى ومواعظى ما جاءتِ النُّذُر

---

(١) الخضخاض : ضرب من النفط أسود رقيق ، تهنأ به الإبل الجرب .
(٢) العرمض : الطحلب يكون على المـاء . والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .
(٣) البيتان هما :

وما دارنا إلا موات لو اننا نفكر والأخرى هى الحيوان
شرينا بها عزا بهون جهالة وشـــتان عز للفتى وهوان

هذى مَصارعُ مَعْشرٍ هَلـكوا وَعَظتْـكم بالصمت فاعتـبروا

[ومنها] :

قالت أرى ليلَ الشباب بدتْ للشَّيب فيـــه أنجمٌ زُهْرُ
فأجَبْتُها لا تُـكثرى عجَبًا من شَيْبةٍ لم يَجْنِها كِبَر
لـكنْ طوَيْتُ من الهموم لَظًى أضحى لهـا فى عارضى شرَر

ومنها :

حسُنَتْ شمـائلُكم وأوجهكم فتطابَقا مَرْأًى ومُختَـبرُ
والحسْن فى صُوَر النفوس وإنْ راقتك من أجسامها الصُّوَر
لاضَعْضَعَتْ أيدى الخطوب لكم ركْنا ولا راعتْـكم الغِيَر

[٦١٩]

وله يخاطب مكة

وقال يخاطب مكة أعزها الله :

أمكةُ تَفْديكِ النفوسُ الـكرائمُ ولا بَرِحَت تَنهلُّ فيكِ الغمائمُ
وكُـفَّتْ أكُفُّ السُّوءِ عنكِ وبُلِّغت مُناها قلوبٌ كى تراكِ حوائم
فإنكِ بيتُ اللهِ والحرمُ الذى لِعزَّته ذلَّ المـلوك الأعاظم
وقد رُفِعت منكِ القواعدُ بالتُّقى وشادتْكِ أيْدٍ برّةٌ ومعـاصم
وساويتِ فى الفضل المَقامَ كِلا كُما تُنالُ به الزُّلْفَى وتُمْحَى المآثم
ومن أين تَعدوكِ الفضائلُ كلُّهـا وفيكِ مَقامان : الهُدى والمعـالم
ومَبْعَثُ مَن ساد الوَرَى وحوَى العُلا بمولده عبـدُ الإله وهاشم
نبىٌّ حوَى فضلَ النَّبيِّين واغتدَى لهم أوّلًا فى فضـلِه وهو خاتم
وفيكِ يَمينُ اللهِ يَلثِمها الوَرَى كما يَلثِم اليُمْنَى من المَلْك لاثِم
وفيكِ لإبراهيمَ إذْ وَطِئَ الثَّرَى (١) ضُحَى قَدَمٍ بُرهانُهـا متقادِم

(١) كذا فى م . وفى ص ، ط : «الصفا» .

دعا دعوةً فوق الصَّفا فأجابهُ قَطوفٌ من الفجِّ العميقِ وراسمُ
فأعجِبْ بدعوى لم تَلِجْ مِسْمَعَىْ فتًى ولَمْ يَعِهَا إلاَّ ذكىٌّ وعالم
ألَهْفِى لأقدارٍ عدتْ عنكِ همّتى فلم تنتهض منّى إليكِ العزائم
فيا ليتَ شِعْرِى هَلْ أرى فيكِ داعيًا إذا ما دَعَتْ لله فيكِ الغمائم
وهلْ تَمحُوَنْ عنّى خطايا اقترفتُها خُطًى فيك لى أو يَعْمَلاتٌ رَواسم
وهل لىَ من سُقْيا حَجيجكِ شَربةٌ ومن زمزم يُرْوِى بها النفسَ حائم
وهل لى فى أجرِ المُلبِّين مَقسِمٌ إذا بُذِلتْ للنّاس فيكِ المَقاسم
وكَمْ زارَ مَغناكِ المعظَّمَ مُجْرِمٌ فحُطَّت به عَنْه[1] الخطايا العظائم
ومن أين لا يُضحِى مُرجِّيك آمنا وقد أمِنَتْ فيكِ المَهَا والحمائم
لئن فاتنى منكِ الّذى أنا رائم فإنَّ هوى نفسى عليكِ لَدائم
وإنْ يَحْمِنى حامِى المقادير مُقدِمًا عليكِ فإنى بالفؤادِ لقادم [٦٢٠]
عليكِ سلامُ اللهِ ما طاف طائفٌ بكعبتكِ العُلْيَا وما قامَ قائم
إذا نَسَمٌ لم تُهْدِ عنّى تحيةً إليكِ فمُهديها الرياحُ النَّواسم
أعوذُ بمن أسْناكِ من شرّ خلقِه ونفسِى فما منها سِوى اللهِ عاصم
وأُهْدِى صلاتى والسلامَ لأحمدٍ لعلّى به من كبّة النار سالم

انتهى ما أوردهُ له فى القلائد دون ما قدمناه .

* * *

[ولْنختِمْ ترجمةَ ابن السيد بقوله :

إليكَ أفِرُّ من ذُلّى وذنبى فأنتَ إذا لقيتُ اللهَ حسْبِى
وزَوْرة أحمدَ المختارِ قِدْما مُناىَ وبُغْيتى لو شاء ربّى
فإنْ أُحْرَم زيارتَه بجسمى فلم أُحْرم زيارتَه بقلبى

(٢) فى ص ، ط : «عنى» . وفى م : «عند» . ولعلهما محرفان عما أثبتناه .

فدونَكَ يا رســـولَ الله منِّى تحيةَ مؤمنٍ وَهُـــدَى مُحِبِّ
سأجعلُ عُرْوَتى الوُثْقى يقينى لِصحَّة ما أتيت بِهِ وحبى
عسى وُدٌّ نوَى لكَ فى فؤادى على بُعْدٍ سيوجِبُ منك قربى
شهدتُ بأنَّ دينك خيرُ دين بلا شكٍّ وصحبُك خيرُ صَحْب]

ولْنُمْسِكِ العِنان .

* * *

أبو على الغسانى من شيوخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عِياض رحمه الله :

الشيخ أبو علىٍّ الجَيَّانىّ ، وهو حُسين بن محمد بن أحمد الغَسَّانىّ (بغين معجمة وسين مهملة مشددّة) الجَيّانىّ (بجيم ومُثنّاة من أسفلَ مشدَّدة) رئيسُ المحدِّثين بقُرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلهـا أبوه فى الفِتنة ، وأصلهم من الزَّهراء .

روى عن أبى العاصِى حَكَمِ بن محمّد الجُذامىّ ، وأبى عُمَر بن عبد البرّ ، وأبى شاكرٍ القَبرىّ ، وأبى عبد الله محمد بن عَتَّاب ، وأبى القاسم حاتم بن محمد ، وأبى عُمَر بن الحذّاء القاضى ، وأبى مَرْوانَ الطُّبْنِىّ ، والقاضى سراج بن عبد الله ، وابنه أبى مروان ، وأبى الوليد الباجىّ ، وأبى العباس العُذْرىّ ، وجماعة غيرِهم يطول[1] تعدادُهم ، سمع منهم ، وكتب الحديث عنهم .

وكان من جَهابذة المحدِّثين ، وكبار العلماء المُسْنِدين ، وعُنِىَ بالحديث وكتبِه ورِوايته وضَبْطه ، وكان حسن الخط ، جيد الضَّبط ؛ وكان له بصر باللغة والإعراب ، ومعرفةٌ بالغريب والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله مالم يجمعه أحد فى وقته ؛ ورحل الناس إليه ، وعوّلوا فى الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد

(١) فى الصلة لابن بشكوال : « يكثر » .

الجامع بقرطبة ، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها ، وفقهاؤها وجِلّتُها .

أخبر عنه غير واحد من الشيوخ(١) ، ووصفوه بالجَلالة ، والحفظ والنباهة ، [٦٢١] والتواضع والصيانة . وذكره الشيخ أبو الحسن بن مُغيث فقال : كان [من] أكمل من رأيت عِلْما بالحديث ، ومعرفة بطرقه ، وحفظا لرجاله ، عانَى كُتب اللغة ، وأكثر من روايته الأشعار ، وجمع من سَعة الرواية ما لم يجمعه أحد أدركناه ؛ وصحح من الكتب ما لم يصححه غيره من الحُفاظ ، كتبه حُجّة بالغة ، وجمع كتابا فى رجال الصحيحين ، سماهُ « تقييد المهمَل ، وتمييز المشكل » ، وهو كتاب حسن مفيد ، أخذه الناس عنه .

قال أبو القاسم بن بَشْكُوال : قرأت بخط أبى علىٍّ رحمه الله تعالى فى كتابه : أنا حَكَم بن محمد ، قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن رُزَيْق ، قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البغدادىَّ الورّاق ، قال : سمعت ابن الأصم يقول : سمعت أبى يقول — إذا رأى أصحابَ الحديث — :

أهلاً وسَهلا بالذين أُحبُّهمْ ... وأَوَدُّهمْ فى الله ذى الآلاءِ

أهْـلا بقوم صالحين ذَوِى تُقًى ... غُرِّ الوُجوهِ وزَينِ كلّ مَلاء

يا طالبى علمِ النبىِّ محمــــدٍ ... ما أنتمُ وسِواكُمُ بسَواء

وأصابت الشيخَ أبا على زَمانةٌ عطّلته ، فأعمل الرحلة إلى المَرِيّةِ للاستشفاء ، بماءِ حَمَّتِها ، حَمَّةِ بَجَّانة ؛ فقَدِم عليها فى صدر المحرَّم سنة ستّ وتسعين وأربع مِئَة ؛ وكان نزوله بها على الشيخ الفقيه أبى الرَّبيع سليمانَ بن حَزْم السَّبائىّ ، وفى منزله وبقراءته وقراءة القاضى أبى القاسم بن وَرْد ، كان أكثرُ ماسمع عليه [مَنْ] بالمريّة ، ويوجد السماع عليه بحَمَّة بَجَّانة ؛ ثم قَفَل إلى قريته ، وبها توفى رحمه الله ليلة

(١) فى الصلة لابن بشكوال : « وأخبرنا عنه غير واحد من شيوخنا » .

الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقال أبو جعفر بن الباذِش لعشر خلون منه سنة ثمان وتسعين وأربع مِئَة ؛ ودُفِن يوم الجمعة بمقبرة الرَّبَض عند الشريعة القديمة ؛ ومولده فى المحرم سنة سبعٍ وعشرين وأربع مِئة ؛ وكان لَزِم داره قبل موتهِ لزَمانته . [٦٢٢]

ذكر ذلك كلَّه ابنُ بَشْكُوال ؛ وفيه عن غيره ، وهذا هو الصحيح الذى لا يُلتفت إلى غيره ، ممن قال إن وفاته سنة ست وتسعين وأربع مِئة . والله أعلم .

* * *

أبو على الصدفى من شيوخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عِياض رحمه الله تعالى :

القاضى الشهير [الشهيد] أبو علىٍّ الصَّدْفِىّ . وهو حُسَين بن محمد بن فِيرُّهْ ابن حَيُّونَ بن سُكَّرَة . وفِيرُّهْ (بكسر أوله ، وياء مُثَناة فى أسفل ، وراء مضمومة مشدّدة ، وهاء ساكنة) : قيل معناه الحديد بلغة العجم ، وقد صَرَّح بذلك صاحب الدِّيباج المُذْهَب . وحَيُّون بحاء مهملة ، وياء مُثناة من أسفل مشددة . وسُكَّرة : (بضم السِّين المهملة ، وفتح الكاف المُشَدَّدة ، وآخره تاء تأنيث) : مؤنث سُكَّر . والصَّدَفِىُّ : بفتح أوله وثانيه . وهو من أهل سَرَقُسْطة ، سكن مُرْسِيَة ، وروَى بسرقُسْطة عن أبى الوليد سليمان بن خَلَف الباجىّ ، وأبى محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيلَ وغيرهما ، وسمع ببَلَنْسِيَة من أبى العباس العُذْرىّ ، وسمع بالمَرِيَّة من أبى عبد الله محمد بن سَعْدونَ القَرَوِىّ ، وأبى عبد الله بن المرابط ، وغيرهما .

رحلته إلى الشرق

ورحل إلى المشرق أولَ المحرم من سنة إحدى وثمانين وأربع مِئة ، وحجّ من عامه ، ولَقِىَ بمكّة أبا عبد الله الحسينَ بن علىٍّ الطَّبَرِىّ : إمامَ الحَرَمين ، وأبا بكرٍ الطُّرْطُوشِىّ ، وغيرَهما ، ثم صار إلى البَصْرَة ، فلقى بها أبا يَعْلَى المالكىّ ، وأبا العَبَّاس الجُرْجانىّ ، وأبا القاسم بن شُعْبَة ، وغيرهم ؛ وخرج إلى بغداد ،

فسمع بواسِطَ من أبى المعالى محمد بن عبد السَّلام الأصْبَهانى وغيره ؛ ودخل بغداد يومَ الأحد السادسَ عشر لجمادى الآخِرة ، سنة اثنتين وثمانين وأربع مِئَة ، فأطال الإقامة بها خمسَ سنين كاملة ، وسمع بها من أبى الفضل أحمد بن الحسن [٦٢٣] ابن خَيْرون مُسْنِد بغداد ، ومن أبى الحسين [بن] المبارك بن عبد الجبار الصَّيْرفِىّ ، وأبى محمد رِزْق الله بن عبد الوهاب التميمىّ ، وأبى الفوارس طراد بن محمدٍ الزَّيْنَبِىّ ، وأبى عبد الله الحُميدىّ ؛ وتفقه على [الفقيه] أبى بكرٍ الشاشىّ وغيره ، وسمع من جماعة سِواهم من رجال بغداد ، ومن القادمين عليها أيام كَوْنه بها . ثم رحل عنها فى جمادى الآخِرَة سنة سبع وثمانين وأربع مِئة ، فسمع بدِمَشْقَ من أبى الفتح [نصر] بن إبراهيم المَقْدِسِىّ ، وأبى الفَرَج سَهْلِ بن بِشْر الإسْفَرائِنِىّ وغيرهما ، وسمع بمصر من القاضى أبى الحسن على بن الحسين الخِلَعِىّ ، وأبى العباس أحمد بن إبراهيم الرَّازى وأجاز له بها أبو إسحاق الحَبَّال ، مُسْنِدُ مِصْر فى وقته ومكثِرُها ؛ وسمع بالإسكندرية من أبى القاسم مَهْدِىّ بن يوسف الورَّاق ، ومن أبى القاسم شُعَيْب بن سَعْد وغيرهما .

عودته إلى الأندلس

ووصل إلى الأندلس فى صفر من سنة تسعين وأربع مِئة ؛ وقصَد مُرْسِية ، فاستوطنها ، وقَعَد يحدث الناس بجامعها ؛ ورحل الناسُ من البُلْدان إليه ، وكثر سماعهم عليه . وكان عالما بالحديث وطُرُقه ، عارفا بعِلَلِه وأسماء رجاله ونَقَلَته ، بصيرا بالمُعَدَّلين منهم والمُجَرَّحين ؛ وكان حسن الخط ، جَيِّد الضبط ، وكتب بيده علما كثيرا وقَيَّده ؛ وكان حافظا لمصنفات الحديث ، قائما عليها ، ذاكرا لمُتونها وأسانيدها ورُواتها ، وكتب منها صحيح البخارىّ فى سِفر ، وصحيح مسلم فى سِفر ، وكان قائما على الكتابين ، مع مصنف أبى عيسَى التِّرْمِذِىّ .

وكان فاضلا دَيِّنا ، متواضعا حليما ، وَقورا عالما عاملا ؛ واستُقْضِىَ بِمُرْسِيَة ثم [٦٢٤]

استعفَى فأُعْفِى ؛ وأقبل على نشر العلم وبَثِّه .

حديث ابن الأبار عنه

قال ابن الأبّار : وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه ، لدخوله الشام . قال : وبعد أن استقرتْ به النَّوَى ، واستمرتْ إفادته بما قيّد ورَوَى ؛ رفعته ملوكُ أوانه ، وشفَّعته فى مطالب إخوانه ؛ فأوسعته رَعْيا ، وحَسُنت فيه رَأيا ؛ ومن أبنائهم من جعل يقصده ، لسَماع مُسندِه . وعلى وقارِه الَّذى كان به يُعرَف ، ندَر له مع بعضهم ما يُسْتظرَف ، وهو أنّ فتًى منهم يسمى يُوسُف ، لازم مجلسه ، معطّرًا رائحته ، ومُنظِّفا ملبَسه ، ثم غاب لمرض قطعه ، أو شغل منعه ؛ ولَمَّا فرَغ أو أبلّ ، عاود ذلك النادىَ المباركَ والمحلّ ؛ وقبل إفْضائه إليه دلّ طيبه عليه ؛ فقال الشيخ ، على نزاهته من المجُون ، وسلامته من الفُتُون : «إنى لأجد ريح يوسف لولا أنْ تُفنّدون» . وهى من طُرَف نوادره ، رحمة الله عليه .

توليه قضاء مرسية واستشهاده فى وقعة قتنده

ولما قُلِّد الشيخ أبو على قضاء مُرْسِيَة ، وعُزِم عليه فى تولّيه ، ولم يُوسِعْه عُذْراً فى استعفائه مُقدِّمُه لذلك ومُوَلّيه ؛ خرج منها فارًّا إلى المَرِيَّة ، فأقام بها ، [سنة خمس وبعض سنة ست وخمس مئة . وفى سنة ست قبل قضاءها على كره ، إلى أن استخفى آخر سنة سبع ، فى قصة يطول إيرادها . وطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه فيها] ، فلما كانت وقْعَةُ كُتُنْدة ، ويقال قُتُنْدة بالقاف ، من حَيِّز دَوْرَقة ، من عَمَل سرقُسْطة ، من الثغر الأعلى ، وذلك سنة أربعَ عَشْرة وخمس مِئة كان الشيخ أبو على ممن حضرها ، هو وقرينه فى الفضل أبو عبد الله بن الفرَج ، خرجا مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشَفين غازيين ، فكانا فيمن فُقِد فيها . واختلف فيها أصحابه ، فجعلها أبو جعفر بن الباذِش بعد العصر ، من يوم الأربعاء السابعَ عَشَر من ربيع الآخر ، من السَّنة المذكورة ، وتابعه أبو عبد الله بن عبد الرحيم ؛ وجعلها القاضى أبو الفضل عِياض بن موسى يوم الخميس ، لستٍّ

بقين منـه . وقال أبو القاسم بن بَشكُوال : استشهد القاضى أبو على فى وقعة قُتُنْدَة ، بثغر الأندلس ، يوم الخميس ، ووافق عِياضا إلا فى الشهر ، فإنه قال من [٦٢٥] ربيع الأول . قال ابن الأبّار : وهو الأصح . وقال أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن : تُوُفِّى فى الكائنة على المسلمين بكُتُنْدة ، عَشِىّ يوم الخميس ، الثامنَ عشَرَ من شهر ربيع الأول ، فتابعَ ابنَ بَشْـكُوال على الشهر . قال أبو عبد الله بن الأبّار : وقرأت بخط أبى عبد الله بن مُدْرِكٍ الغَسّانى المالَقى : استشهد الفقيه أبو على رحمه الله تعالى فى وقْعة كُتُنْدة ، يومَ الخميس ، التاسعَ عَشَر من ربيع الأوّل ، وذكر السنة . قال : وكانت على المسلمين ، جَبَرَهُمُ الله تعالى ، قُتِل فيها من المطَوِّعَة نحوٌ من عشرين ألفا ، ولم يُقتَل فيها من العسكر يعنى الجندَ أحد ، وحكَى غيرُهم أنّ العسكر انصرف مَفلولا إلى بَلَنْسِيَة ، فى الموفِّى عشرين من ربيع الأول أيضا ، وأن القاضى أبا بكر بن العربىّ حضرها . قال : وسُئِل مَخلَصَهُ منها عن حاله ، فقال : حال من ترك الخِبا والعَبا . قال ابن بَشْـكُوال : وكان القاضى أبو على يومئذ من أبناء السِّتين ، وقد ذكره ابن بَشـكُوال ، وقال : وهو ممن كَتب إلينا بإجازة ما رواه ، ولم ألقه . وذكره ابن الأبار فى معجم أصحابه ، وقد ألَّف ابن الأبّار هـذا المعجم فى أصحاب القاضى أبى على ، كما ألَّف القاضى أبو الفضل عِياض بن موسى معجمَ شيوخه ، رحمة الله عليهم أجمعين .

* * *

ابن بقوى من أشياخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله تعالى :

أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهِلالىّ ، يُعْرف بابن بَقْوِى ، ويُقال ابن بَقْوَة ، من أهل غَرْناطة ، وسكن المَرِيَّة وسمع من شيوخ المرية ، مثل طاهر ابن هشام الأزْدىّ ، وأبى محمد حَجّاج بن قاسم بن محمد الرُّعَيْنىّ ، المعروف بابن [٦٢٦]

المأمونى ، وأبى القاسم خَلَفِ بن أحمد الجَرَاوىّ ، وأبى العَبَّاس أحمد بن عمر العُذْرىّ ، وغيرهم ؛ ومن الطارئين عليها ، مثل القاضى أبى الوليد الباجىّ ، وأبى عبد الله محمد بن سَعدونَ القَرَوىّ . وكان خروجه من المَرِيَّة بعد سنة اثنتين وتسعين وأربع مِئَة (١) ، وسكن غَرناطة مدة ، ووَلِى الأحكام بعدّة جهات من كورة أَلْبيرة . وكان من حُفّاظ الحديث المعْتنين بالتنقير عن معانيه ، واستخراج الفقه منه ، مع التقدم فى حفظ مسائل الرأى ، والبصر بعقد الوثائق ، والتقدم فى معرفة أصول الدين . روَى عنه جماعة . ووُلِد فى صفر سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، وتُوُفِّىَ بغرناطة فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مئة ؛ ذكره ابن بَشْكُوال .

* * *

ابن شبرين من أشياخ عياض

ومن أشياخ القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله :

القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على [بن سعيد] بن عبد الله بن شِبْرِين ، بشين معجمة مكسورة ، وباء موحَّدة ساكنة ، وراء مكسورة ، بعدها ياء ، آخِر الحروف ، وآخره نون ، الجُذامىّ ، من أهل مُرْجِيق : حِصن من حصون شِلْب ، بينهما أربعون ميلا من الغرب .

أخذ عن القاضى أبى الوليد الباجىّ كثيرا من مَرْويَّاته وتآليفه ، وصحبه واختَصَّ به ، وكان من أهل العلم ، والمعرفة والفهم ، عالما بالأصول والفروع ، واستُقْضِىَ بإشْبيلية ، وحُمِدت سيرته ، ولم يزل يتولَّى القضاء بها ، إلى أن تُوُفِّىَ ليلة الأربعاء ، لثلاثٍ خَلَون من رجبٍ الفَرْد ، سنة ثلاث وخمس مئة .

قال ابن بَشْكُوال : كتب إلىّ القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن

(١) الذى فى الصلة لابن بشكوال بالأرقام لا بالحروف : « بعد سنة ٤٨٠ » .

عياض بوفاته ، وقال قَيَّدتُها حين وفاته . قلت : وهذا هو الصواب ، لا ما قاله بعض من شَرَح الشِّفا : إنه تُوُفِّى يومَ الخميس رابع رجب المذكور ، ولعلّه ظنّ [٦٢٧] أن يوم دفنه هو يوم وفاته ، على أنّ مِثل هذا قريب ، لاسيما إن كانت وفاته آخرَ الليل ، فلا يكون بين اليوم والليلة إلا مُدَيْدة قليلة جدًا ، فافهم .

وحكى القاضى أبو الحسن عيسى بن حبيب : أنه رَحَل إلى أبى الوليد الباجىّ سنة تسع وستين وأربع مئة ، وصحبه بسرقُسْطة ، ثم سافر معه إلى المَرِيّة ، حتى مات أبو الوليد ، فكانت صحبته له نحو أرْبعة أعوام ، ووصل من منفعته به فى العلم فى هذه المدة ، ما لم يصل إليه غيره منه فى المدة الطويلة ، رحمهما الله تعالى ؛ وأجاز له جميع رواياته أبو العباس العُذْرىّ ، وأبو القاسم عبد الجليل الرَّبَعى القَيْروانىّ ، مع تواليفه ، وأجاز له أبو عبد الله بن المُرابِط روايته عن الطَّلَمَنْكِىّ وخَلَف البَغَوِىّ ، وصحب بعد وفاة القاضى أبى الوليد الباجىّ ابنه أبا القاسم ، وأجاز له جميع ما رواه ، وانصرف إلى حصْن مُرْجيق ، فولى الأحكام به ، ثم نُقِل إلى قضاء شِلْب ، فأقام بها قاضيا أعواما ، ثم نقله الأمير سير بن أبى بكر إلى قضاء إشبِيلِيَة ، بعد صرف أبى القاسم بن منظور عن قضائها ، فضبط الأمور ، وجمع المُفْترِق من شئون القضاء ، وكان صَلِيبا فى الحق ، نافذا فى أحكامه ، لا تأخذه فى الله لومةُ لائم ، وشَنِئَه أقوام ، فبَغَوْا عليه ، بغيا وحسدا ، عند أمير المسلمين علىّ بن يوسف بن تاشَفِين ، فصرفه عن القضاء ، ثم لم يَلْبَثْ إلّا نحو خمسةَ عَشَر يوما ، حتى ردّه إليه أحسنَ ردّ . وكان الفقيه أبو مَروانَ الباجىّ يُثْنِى عليه ، ويبالغ فى تقريظه ، ويقول : ما علّمنا القضاء إلا أبو عبد الله بن شِبْرِين . ولم يزل قاضيا بإشْبِيلية ، مضْطَلِعا بأعباء القضاء ، حسن السياسة فيه ، ناشرا للعلم ، إلى أن تُوُفِّى بها ، رحمه الله تعالى . ذكره ابن بشكوال . [٦٢٨]

* * *

وإذا تَتَبَّعْنا أشياخ القاضى عِياض بالتعريف ، لم يَسَعْ ذلك هذا الموضوع ، وقد تقدم أنهم نحوُ المِئة ، ورتَّبهم ولده على الحروف ، حَسْبما نُقِل من فَهْرَسَتِه .

فمنهم فى حرف الهمزة :

ابن بقى من شيوخ عياض

الشيخ بن بَقِىّ ، وهو أحمد بن محمد بن محمد بن مَخْلَد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن بَقِىّ بن مَخْلَد . ولد فى شعبان سنة ست وأربعين وأربع مِئة . ومات مُنْسَلَخ ذى الحِجّة سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة . وكُف بصره بآخِر عمره . رحمه الله .

* * *

ومنهم فى هذا الحرف :

ابن المرخى من شيوخ عياض

أبو جعفر بن المرخى ، وهو أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللَّخْمِىّ تُوُفِّىَ ليلة الجمعة ، لثمانٍ بقين من ربيع الأول ، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة .

ومنهم :

ابن غلبون من شيوخ عياض

الشيخ ابن غَلْبون ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان ابن غَلْبون ، بفتح الغَين المعجمة ، وضم الباء الموحدة ، وآخره نون . وُلِد سنة ثمانَ عشرة وأربع مئة ، ومات فى شعبان سنة ثمانٍ وخمس مئة .

ومنهم :

أبو العباس الشارقى من شيوخ عياض

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارىّ الشارقى ، تُوُفِّىَ قرب خمس مئة .

ومنهم :

أبو إسحاق اللواتى من شيوخ عياض

أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد الفقيه اللَّواتى ، بفتح اللام ، منسوب

لِلَوَاتَة ، مخففة الواو ، مفتوحتها ، ومفتوحة اللام أيضا ، وتاء مثناة من فوق ، قبيلة . الفاسىّ ، نسبة لفاس الحضْرة المشهورة ، حاط الله أرجاءها ، و بلغها من الأمن والعافية رجاءها . مات فى الثامن من جُمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة وخمس مئة .

ومنهم :

ابن بشتغير وابن مكحول من شيوخ عياض

أحمد بن سعيد بن بَشْتَغِير ، وأحمد بن محمد بن مكحول ، إلى غيرهم من جملة سبعة عشر رجلا فى هذا الحرف ، أعنى حرف الهمزة .

[٦٢٩]

ومنهم فى حرف الحاء :

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الحاء

الحسين بن محمد الصَّدَفىّ ، والحسين بن محمد الغَسَّانىّ ، وقد تقدم الكلام عليهما ، والحسين بن عبد الأعلَى السَّفَاقُسىّ ، والحسَين بن على بن طرِيف .

ومنهم فى حرف الخاء :

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الخاء

خلف بن إبراهيم أبو القاسم الخطيب المُقْرِئ . وهو خلف بن إبراهيم بن خَلَف بن سعيد ، المعروف بابن النخَّاس ، بخاء معجمة ، وبابن الحصّار . ولد سنة سبْع وعشرين وأربع مئة ، وتُوُفِّىَ بقُرطبة يوم الثلاثاء ، سادس عشر صفر سنة إحدى عشرة وخمْسِ مِئة . وخَلَفِ بن خَلَفٍ الأَنْصارىّ بن الأنقر . وخَلَفِ ابن يوسف بن فُرْتُون .

ومنهم فى حرف الميم :

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الميم

القاضى أبو الوليد بن رُشْد ، والقاضى أبو عبد الله بن حَمْدين ، والقاضى أبو عبد الله بن الحاجّ ، والقاضى ابن العربىّ ، والقاضى ابن شِبْرين ، و [قد] تقدّم ذكرهم .

وأبو عبد الله التميميّ ، وهو محمد بن عيسى بن حسين ، ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة ، ومات بسَبتة صَبيحة يوم السبت لتسع بقين من جمادى الأولى ، سنة خمس وخمس مئة .

وأبو عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الطُّلَيْطِلِيّ ، بضم الطاءين[1] . ولد سنة ستٍّ وخمسين وأربع مئة ومات بقُرْطبة ، فى ربيع الأول ، سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة .

وأبو عِمْرانَ موسى بن عبد الرحمن بن أبى تَليد ، بمُثَنَّاةٍ من فوق مفتوحة ، الشاطبىّ الرُّعَيْنى ، منسوب لذى رُعَيْن مِنْ حِمْير . وُلِد سنة أربع [وأربعين] وأربع مئة ومات فى ربيع الآخر سنةَ سبع عشرة وخمس مئة .

ومن شعره رحمه الله ، ورضى عنه :

[٦٣٠] اللَّيالى تَسُـــوء ثم تَسُرُّ وصُروف الزمانِ ما تَستقرُّ

بينما المرء فى حَـــلاوة عيشٍ إذ أتاه على الحَلاوة مُرُّ

فالـكريم المصابُ يَفزَعُ فيـه لكريم ويَنْفَعُ الحرَّ حُر

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الأشْقرىّ المقرئ النحوىّ ، مات سنة خمس وخمس مئة . ومحمد بن على الشاطبىّ ابن الصَّيقل ، ومحمد بن سليمان النَّفْزِىّ بن أخت غانم ، ومحمد بن عيسى التُّجيبىّ القاضى ، إلى غيرهم ، من جملة أحد وثلاثين شيخا فى هذا الحرف ، منهم المازَرِىّ والطُّرْطوشىّ ، لـكنِ بالإجازة [له] ، إذ لم يَلْقَهما كما سيأتى قريبا .

---

(١) هكذا ضبطها الصاغانى . قال شارح القاموس : « والصواب بكسر الطاء الثانية ، كما ضبطه مؤرخو المغرب وابن السمعانى » . وقال ياقوت فى المعجم : « أكثر ما سمعناه من المغاربة : بضم الطاء الأولى وفتح الثانية » .

ومنهم فى حرف العين :

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف العين

أبو محمد عبد الله بن السيِّد البَطَلْيَوْسِيّ ، وقد تقدم ذكره . وأبو محمد بن عَتّاب الجُذامىّ ، الإمام الشهير ، فقيه قُرطبة وإمامها ، وشيخ زمانه فى العلم الموروث كابرا عن كابر ، تُوُفِّى سنة ثمان وخمس مئة . وأبو محمد عبد الله بن أبى جعفر ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله الخُشَنِىّ . وعبد الرحمن بن محمد السَّبْتى ابن العَجوز ، وعبد الله بن محمد بن أيُّوبَ الفِهْرىّ . وعبد الرحمن بن محمد بن بَقِىّ . وعلى بن أحمد الأنصارى بن الباذِش . وأبو الحسن عَلِى بن مُشَرَّف [اسم مفعول شُرِّفَ بالتشديد] وهو ابن مُسَلَّم [مفعول ، سُلِّمَ مُشدَّد] ابن أحمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن الأَنماطى [بفتح الهمزة] ، [الإسكندرانى . وأبو محمد عبد الله بن أحمد العَدْل « بالْفتح وسكون الدال » ، التميمىّ] ، مات بسَبْتة عام أحد وخمس مِئة . وعلى بن عبد الرحمن التُّجِيبىّ بن الأخضر ؛ إلى غيرهم من جملة سبعة وعشرين فى هذا الحرف .

ومنهم فى حرف الغين .

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف الغين

غالب بن عطية المحاربىّ ، وقد تقدم .

ومنهم فى حرف السين .

من شيوخ عياض المذكورين فى حرف السين

سِراجُ بن عبد الملك بنَ سراج أبو الحسن . وأبو بحر سفيان بن العاصِى الأسَدىّ ، مات بقرطبة لثلاث بقين من جُمادى الآخرة سنة عشرين وخمس مِئة ، [٦٣١] ووُلد سنة تسع وثلاثين ، وقيل أربعين وأربع مِئة ، وفى سنة وفاته المذكورة توفى القاضى أبو بكر الطُّرْطُوشِىّ رحمه الله ، وفيها أيضا توفى الإمام المؤرخ ، الشيخ الراوية ، أبو مروان حَيَّان بن حَيَّان رحمه الله .

وشيوخ القاضى أبى الفضل فى هذا الحرف خمسة .

بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الشين

ومنهم فى حرف الشين .

شُريح بن محمد الرُّعَيْنِىّ الإشبيلى .

بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الهاء

ومنهم فى حرف الهاء .

أبو الوليد هشام بن أحمد بن العَوّاد ، الفقيه المشهور ، ولد سنة اثنتين وخمسين وأربع مِئة ، وتُوُفِّى سنة تسع وخمس مِئة .

وهشام بن أحمد الهِلالىّ الغَرْناطىّ ، وقد تقدم ذكره .

بعض شيوخ عياض المذكورين فى حرف الياء

ومنهم فى حرف الياء .

يُونس بن محمد بن مُغيث بن الصَّفَّار .

ويوسف بن موسى الكَلْبىّ ، سمع القاضى أبو الفضل منه أُرْجُوزته .

[وهو الضريرُ الأديب النحوىّ المتكلم الزاهد . وأصله من سَرَقُسْطَة ، وسكن مَرّاكُش ، وبها توفى سنة عشرين وخمس مئة . وهو من تلامذة أبى بكر محمَّد ابن الحسن المُرادىّ الحضرمى . والمُرادىُّ هذا أوّلُ من أدخلَ علومَ الاعتقادِ إلى المغرب الأقصى ، وسكن بأغمات ؛ فلما توجَّه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ، حمله ، وولّاه القضاء ، فمات بأركر[1] من صحراء المغرب سنةَ تسعٍ وثمانين وأربع مئة ؛ فخلَفَه أبو الحجاج يوسُف فى علوم الاعتقادات ، وغلب عليه الزهد ؛ وله أرجوزةٌ صُغْرى فى علم الاعتقاد ، قرأها عليه القاضى أبو الفضل عياض ، كما ذكرناه .

قال عياض : وأجازنى أرجوزتَه الكبرى وجميعَ تآليفه ورواياته ، وكتابَ التحرير لشيخه المرادىّ ؛ وعن المرادى كان أكثرُ أخذِ أبى الحجاج .

من شعر المرادى

قال عياض رحمه الله تعالى : أنشدنى لشيخه أبى بكر المرادى رحمه الله تعالى :

(١) كذا فى الصلة لابن بشكوال ، وفى نسخة منها « أزكد » وفى م : « أركى » .

عِلْمِى بِقُبْحِ المعاصى حين أركبُها | يقضى بأنّىَ محمولٌ على القَـدَرِ
لو كنتُ أملكُ نفسى أو أصرِّفُها | ما كنتُ أطرَحُها فى لُجّة العِذَرِ
كُلِّفتُ فعْـلاً ولم أقدِر عليه ولم | أكُنْ لِأفعلَ أفعالا بِلا قَدَرِ
وكان فى عدل ربّى أن يعذّبَنِى | فلم أُشاركْهُ فى نَفْعٍ ولا ضَرر
إن شاءَ نعَّمَنى أو شـاء عذّبنى | أو شاء صوَّرَنى فى أقبح الصُّور
يا ربِّ عفوكَ عن ذنب قضيْتَ به | عدلا علىَّ فهَبْ لى صفح مُقْتَدِرِ

***

ومن شيوخ القاضى عياض رحمه الله تعالى فى حرف الياء] .

يُوسف بن عبد العزيز بن عُدَيس الطُّلَيْطِلِىّ ، رحم الله جميعهم .

***

ومممه أجاز القاضى أبا الفضل عياضا ولم يلقه :

من أجاز عياضا أبو بكر الطرطوشى

الشيخ الأستاذ أبو بكر محمد بن الوَليد الطرْطُوشِىّ ، الطائر الصيت ، الشهير الذكر ، وقد تقدم ذكر وفاته .

وهو محمد بن الوَليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيُّوب القُرشىّ الفِهرىّ الطُّرْطوشىّ [بضم الطاءين المهملتين؛وقد تفتح الطاء الأولى] ؛أصله من طُرْطُوشة ، بلاد بالأندلس ، ويُعرَف بابن أبى رَنْدَقة ، [براء مهملة مفتوحة ، ثم نون ساكنة ، ثم دال مهملة مفتوحة ، ثم قاف . كنيته أبو بكر ، وهو المَعْنِىّ] بقول ابن الحاجب فى مختصره الفقهىّ ، فى باب العتق : « وقال الأستاذ : ومُقْتضاه إذا باعَه قبل التّقْويم أن يُقوّم » .

[٦٣٢] صَحِب القاضىَ أبا الوليد الباجىّ بسَرَقُسْطَة ، وأَخَذ عنه مسائل الخلاف ، وسمع منه ، وأجازه ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أبى محمد ابن حَزْم بمدينة إشْبِيلِيَة .

ثم رحل إلى المشرق سنة سِتٍّ وسبعين وأربع مِئة ، وحجّ ودخل بغداد والبَصرة ، فتفقه عندأبى بكر الشّاشىّ ، وأبى أحمد[١] الجُرْجَانِىّ ، وسمع فى البَصْرة من أبى على التُّسْتَرِىّ ، وسكن الشام مدة ، ودرّس بها ، وكان إماما عالما عاملا ، زاهدا متواضعا ، دَيِّنا وَرِعا ، متقشّفا متقللا مِنَ الدنيا ، راضيا منها باليسير .

ومن كلامه رضى الله عنه : إذا عرض لك أمران : أمر دنيا وأمر أخرى ، فبادر بأمر الأخرى ، يحصلْ لك أمر الدنيا والأخرى .

وله عدة تآليف ، منها مختصر تفسير الثعالبى ، والكتاب الكبير فى مسائل الخلاف ، وكتاب فى تحريم جُبْن الرّوم ، وكتاب سِراج الملوك ، وهو من أنفع الكتب فى بابه وأشهرها ، وكتاب بِدَع الأمور ومُحْدَثاتها ، وكتاب شرح رسالة ابن أبى زيد .

وُلِد سنة إحدى وخمسين وأربع مِئة تقريبا ، وتُوُفِّى فى ثُلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جُمادى الأولى ؛ وقال ابن بَشْكُوال فى الصِّلة : فى شعبان سنة عشرين وخمس مِئة ، كما تقدم ، بثغر الإسكندرية ، وصلّى عليه ولدُه محمَّد ، ودُفن قِبْلِىّ الباب الأخضر . رحمه الله ورضى عنه .

تعريف ابن خلكان بالطرطوشى

وقال ابن خَلِّكانَ فى حقه ما نصُّه[٢] : محمد بن الوَليد بن محمد بن خَلَف ابن سُليمان ، [بن أيوبَ][٣] القرشىّ الفِهرىّ ، [الأَنْدلسى][٣] الطُّرطوشىّ المالكىّ ، المعروف بابن أبى رَنْدَقَة (بالراء المهملة المفتوحة[٤] ، وتسكين النون) ،

(١) كذا فى الصلة لابن بشكوال وابن خلكان . وفى الأصول : « وأبى محمد » .

(٢) بين الكلام المنقول هنا عن ابن خلكان والنسخة المطبوعة منه بمصر خلاف كثير بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص ، والتصرف فى العبارة .

(٣) زيادة عن نسخة ابن خلكان ، طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هجرية .

(٤) ضبطها ابن فرحون فى الديباج المذهب بالعبارة : « بضم الراء » .

إمام وَرِع ، أديب مُتَقلِّل . كان يقول : إذا عَرَض لك أمران : أمر أُخْرَى وأمر دنيا ، فبادر بأمر الأُخْرى يحصُلْ لك أمر الدنيا والأخرى .

وله طريقة فى الخلاف ، وله أشعار ، منها : [٦٣٣]

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلاً — وأنتَ بإنجازها مُغْــرَمُ
فأَرسِلْ بأَبْـلَهَ[1] خَلَّابةٍ — به صَمَمٌ أَغْطَشٌ أَبْـكَم
ودعْ عنكَ كلَّ رسولٍ سِوَى — رَسُولٍ يُقـالُ له الدِّرْهَم

قال الطُّرطوشى : كنت ليلة نائما فى البيت المُقَدَّس[2] ، إذْ سمعت فى الليل صوتا حزينا يُنْشِد :

أخوْف ونومٌ إنّ ذا لعجيبُ — ثَـكِلْتُكَ من قلبٍ فأنتَ كَذُوبُ
أَمَا وجلالِ اللهِ لو كنتَ صادقا — لَمَا كان للإغماضِ فيك[3] نصيب

قال : فأيقظ النُّوَّام ، وأبكى العُيون .

وكان الطّرْطُوشى يُنْشِد[4] :

إنَّ لله عبـادا فُطَنَا — طَلَّقوا الدُّنيا وخافُوا الفِتَنَا
فـكَّروا فيها فلمـا عَلِموا — أنَّهـا ليستْ لِحَيٍّ وَطَنا
جَعَلوها لُجَّةً واتخـذوا — صـالحِ الأعمالِ فيها سُفُنا

ودخل الطّرْطُوشىّ على الأفضل بن أمير الجيوش ، فوعظه ، وقال : إن الأمر الذى أصبحتَ فيه من المُلك ، إنما صار إليك بموت من كان قَبْلك ، وهو خارج عن يدك ، بمثل ما صار إليك ، فاتّق الله فيما خَوَّلك من هذه الأمة ، فإنَّ

(١) فى م ونفح الطيب وابن خلكان : « بأكمه » .
(٢) فى ابن خلكان : « فى بيت المقدس » :
(٣) فى ابن خلكان : « منك » .
(٤) فى ط : « ينشد ويقول » .

الله عز وجلّ سائلك عن النّقير والقطمير والفتيل ؛ واعلم أنّ الله عز وجلّ آتى سليمانَ بن داود مُلْكَ الدنيا بحذافيرها ، فسخَّر له الإنس ، والجن ، والشياطين ، والطير ، [والوحش] ، والبهائم ؛ وسخّر له الريح تجرى بأمره رُخاءً حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عزَّ من قائل : «هَذَا عَطاؤُنَا فامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغَيرِ حساب » ؛ فما عَدَّ ذلك نعمة كما عددتموها ، ولا حَسِبها كرامة كما حَسِبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجا مِنَ الله عز وجل ، فقال : « هذا من فضل ربى ، ليبلونى أأشكُرُ أم أكفر » ؛ فافتح الباب ، وسهِّل الحجاب ، وانصُرِ المظلوم ؛ وكان إلى جانب الأفضل رجل نصرانىّ ، فأنشده :

[٦٣٤]

يإذَا الّذِى طاعتُــه قُرْبَةٌ وحقّهُ مُفْتَرَضٌ واجبُ
إنّ الّذى شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هــذَا أَنّهُ كَاذِبُ

وأشار إلى [ذلك] النَّصرانىّ ، فأقامه الأفضل من موضعه .

وتُوُفى الطُّرْطُوشىّ سَنة عشرين وخمس مئة بالإسكندرية .

انتهى كلام ابن خَلِّـكان . وذكرته برُمّتِه وإن كان بعضه قد تقدم ، تكميلا للغرض ؛ وقد يقع لى مثل هذا فى هذا الموضوع[1] كثيرا ، والقصد به التقوية لما تكرَّر معه ، أو غير ذلك ، كارتباط الكلام بعضه ببعض ؛ وعلى الله قَصْد السبيل .

* * *

ممن أجاز عياضا أبو عبد الله المازرى

وممن أجاز القاضى عياضا ولم يلقه :

الشيخ الإمام المجتهدُ أبو عبد الله المازَرىُّ ، محمد بن علىّ بن عُمر بن محمد التميمى المازَرِىّ ، بفتح الزّاى عند الأكثر ، وجوّز كسرَها جماعة ؛ نسبة إلى مازَر ، بُلَيْدَة بجزيرة صِقِلِّية ، أعادها الله . أخَـذ عن الشيخين أبى الحسَن

(١) يريد بالموضوع : التأليف .

اللَّخْمىّ ، وأبى محمد بن عبد الحميد القَرَوِى المعروف بالصائغ ، وكان إماما مُحَدِّثا ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، المشار إليهم فى حفظ الحديث والكلام عليه ، عُمْدة النُّظّار ، وتُحفة الأمصار ، المشهور فى الآفاق والأقطار ، حتى عُدَّ فى المذهب إماما ، وملك من مسائله زِماما . وله تآليف مُفيدة ، عظيمة النفع ، منها كتاب المُعْلِم ، بفوائد مُسْلِم ؛ وكتاب التعليقة على المدوَّنة ، وكتاب شرح التلقْين ، وكتاب الردّ على الإحياء للغزّالى ، المسمى بكتاب الكشف والإنباء ، عن المتَرْجَم بالإحياء ؛ وكشْف الغِطا ، عن لمس الخطا ؛ وكتاب إيضاح المحصول ، من بُرهان الأصول ؛ وتعليقة على أحاديث الجَوْزَقىّ ؛ وله أيضا إملاء على شىء من رسائل إخوان الصفاء ، سأله السلطان تميمٌ عنه ، وكتاب النُّكَت القَطْعية ، فى الرد على الحَشْوِيَّة والذين يقولون بقدم الأصوات والحروف ؛ وفتَاوَى .

تُوُفِّى ثامنَ عشَرَ ربيعٍ الأوّل سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة ؛ وقيل [٦٣٥] يوم الأثنين ثامن الشهر المذكور بالمهديّة ، وعمره ثلاث وثمانون سنة ، رحمه الله ورضى عنه .

وحُكِىَ أن بعض طلبة الأندلس ورد على المَهْديّة ، وكان يحضر مجلس المازَرىّ ، ودخل شعاع الشمس من كَوّة ، فوقع على رجل الشيخ المازَرىّ ، فقال الشيخ : « هذا شعاع مُنْعَكِس » فذيله الطالب المذكور حين رآه متزِنا ، فقال :

هَـذا شُعَاعٌ مُنْعَكِسْ لِعِلَّةٍ لا تَلْتَبِسْ

لَمَّا رَآكَ عُنْصُرًا مِن كل علْم يَنْبَجِسْ

أَتَى يَمُدُّ ساعِدًا مِنْ نُورِ علمٍ يَقْتَبِسْ

وأظنّ أنّى رأيت هذه الحكايةَ فى نظم الدُّرِّ والعِقْيان ، للشيخ الحافظ

أبى عبد الله التَّنَسِىّ التِّلِمْسانى ؛ فَلْتراجَع ثَمّ لأنى نقلتها بالمعنى .

* * *

ممن أجاز عياضا الحافظ السلفى

وممن أجاز القاضى عياضا ولم يلقه :

الشيخ الحافظ إمام المحدِّثين أبو الطَّاهر السِّلَفِىّ ، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَة الأصبَهانىّ ، الملقب صَدْرَ الدين .

قال ابن خَلِّكان : هو أحد الحُفَّاظ المُكْثِرين . رَحَل فى طلب الحديث ، ولَقِىَ أعيان المشايخ ، وكان شافعىّ المذهب . ورد بَغْداد ، واشتغل بها على الْكِيَا(١) [أبى الحسَن علىّ الهرّاسىّ](٢) فى الفِقه ، وعلى الخطيب أبى زكريا يحيى بن على التَّبْريزىّ اللُّغَوىّ باللغة ، ورَوى عن أبى محمد جعفر بن السَّراج وغيره من الأئمة الأماثل ، وجاب البلاد ، وطاف الآفاق ، ودخل الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمس مئة ، فى ذى القَعدة ؛ وكان قدومه إليها فى البحر من مدينة صُور ، وأقام [٦٣٦] بها ، وقصَده الناسُ من الأماكن البعيدة ، وسمعوا عليه ، وانتفعوا به ، ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثلُه . وبنى له العادل أبو الحسن على بن السلّار وزير الظافر العُبَيْدىّ صاحب مصر ، فى سنة ست وأربعين وخمس مئة ، مدرسة بالثغر المذكور ، وفوّضها إليه ، وهى معروفة به الآن . وأدركت جماعة من أصحابه بالشأم والديار المصرية ، وسمعت عليهم ، وأجازونى ، وكان قد كتب الكثير ؛ ونقلت من خطه فوائد جمة ؛ ومن جملة ما نقلت من خطه لأبى عبد الله محمد بن عبد الجبّار الأندلسى من قصيدة :

---

(١) قال ابن خلكان : « الكيا » فى اللغة العجمية : هو الكبير القدر ، المقدم بين الناس .

(٢) زيادة عن ابن خلكان طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هجرية .

لولَا اشتغالى بالأمير ومدْحِه لأطلتُ فى ذاك[1] الغزال تَغزُّلِى
لـكنَّ أوصاف الجلال عَذُبْنَ لِى فتركتُ أوصاف الجمال بمعزْل

ونقلت من خطه أيضا لبُثينة [صَاحبة جميل ترثيه] :

وإنَّ سُلُوِّى عن جميلٍ لَساعةٌ من الدَّهرِ ماحانتْ ولا حان حِينُها
سَواءٌ علينا يا جميلَ بنَ مَعْمَرٍ إذا مِتَّ بأْســاءُ الحياةِ ولِينُها

وكان كثيرا ما يُنْشِد :

قالوا نُفُوسُ الدارِ سُكَّانها وأنـتُمُ عِنْدِى نُفُوس النُّفُوسْ

وأماليه وتعاليقه كثيرة ، والاختصار بالمختصَر أوْلَى .

وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربع مئـة تقريبا بأصْبهان ، وتُوُفِّىَ ضَحْوةَ نهارِ الجُمُعة ، وقيل ليلة الجُمُعة خامس شهر ربيع الآخِر ، سنة ست وسبعين وخمس مئة ، بثغر الإسكندرية . ودُفِن فى وَعْلَة ، وهى مَقْبَرة داخلَ السُّور ، عند الباب الأخضر ، فيها جماعة من الصالحين ، كالطّرْطُوشِىّ وغيره ، وهى بفتح الواو وسكون العين المهملة ، وبعدها لام ثم هاء . ويقال إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وَعْلَة السَّبَئِىِّ المصرىّ ، صاحب ابن عباس رضى الله عنهما . وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى ، آمين . [٦٣٧

تحقيق ميلاد الحافظ السلفى ونسبته

قلت : وجدت العلماء المحدِّثين بالدّيار المصرية ، من جُمْلتهم الحافظ زكىّ الدِّين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المُنْذِرِىّ المحدِّث ، محدِّث مصر فى زمانه ، يقولون فى مولد الحافظ السِّلَفِىّ هذه المقالة . ثم وجدت فى كتاب : زَهْر الرِّياض المفصِح عن المقاصد والأغراض ، تأليف الشيخ جمال الدين أبى القاسم عبد الرحمن ابن أبى الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن حَفصٍ الصَّفْرَاوِىّ الإسكندرىّ ، أن

(١) كذا فى ابن خلـكان . وفى الأصول : « فى وصف » .

الحافظ السِّلَفِيّ المذكور ، وهو شيخه ، كان يقول : مولدى بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغُ عُمْره على مقتضى ذلك ، ثمانيًا وتسعين سنة . هذا آخر كلام الصَّفراوى المذكور .

ورأيت فى تاريخ الحافظِ مُحِبِّ الدين محمد بن محمود المعروف بابن النَّجَّار البغدادىّ ، ما يدل على صحة ما قاله الصَّفْرَاوِىّ ، فإنه قال : قال عبد الغنىّ المقدسىّ : سألت الحافظ السِّلَفِيّ عن مولده ، فقال : أنا أذكر قتل نظام المُلْك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وكان لى من العمر حدود عشر سنين .

قلت : ولو كان مولده على ما يقوله أهل مصر إنه فى سنة اثنتين وسبعين ، ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك فى سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، فإنه على ما يقولونه قد كان عمره ثلاث عشرة سنة ، أو أربع عشرة سنة ، ولم تجر العادة [٦٣٨] أن من يكون فى هذا السّنّ يقول : أنا أذكر القضية الفلانية ، وإنما يقول ذلك من يكون عمره تقديرًا أربعَ أو خمسَ أو ستَّ سِنين .

فقد ظهر بهذا أنّ قول الصَّفراوِىِّ تلميذِه أقربُ إلى الصحة ، وقد سَمِع منه أنه قال : مولدى فى سنة ثمان وسبعين ، وليس الصفراوىّ ممن يُشَكُّ فى قوله ، ولا يُرْتاب فى صحته ، مع أننا ما علمنا أن أحدًا منذ ثلاث مئة سنة إلى الآن بلغ المئة ، فضلا عن أنه زاد عليها ، سوى القاضى أبى الطَّيِّب طاهر بن عبد الله الطَّبَرِىّ ، فإنه عاش مئة سنة وسنتين ، كما سيأتى فى ترجمته .

ونِسْبَة السِّلَفِىّ إلى جَدِّه إبراهيم سِلَفَه ، بكَسر السِّين المهملة ، وفتح اللَّام والفاء ، وفى آخره الهاء ، وهو لفظ عجمى ، ومعناه بالعربىِّ ثلاثُ شفاه ، لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين ، غير الأخرى الأصلية ،

والأصل فيه سِلَبَة ، بالباء ، فأُبْدلت بالفاء .

انتهى كلام ابن خلكان .

تعليق للمؤلف

قلت : ولا يخلو ما ذكره من بحث ، لأن السِّلَفِيّ قال : أنا أذكر قتل نِظام المُلك وأنا فى حدود العشر السنين ، وبَحْث ابن خلكان يقتضى أنه ابن ست سنين ونحوها ؛ بل قد يقال : إن قول السِّلَفِيّ وكان فى حدود عشر سنين ، لا ينافى قول الآخرين ، لما جرت العادة به من العلماء ، من إلغاء الكسر الزائد . سلمنا عدم ذلك ، فلا دليل فيه لواحد منهما ، فتأمله مُنصفا ، والله سبحانه أعلم .

وكأنّ ابن قُنْفد اعتمد فى وفاته على قول المِصْريِّين فى مَولد أبى الطّاهر السِّلَفِى ، فلذا قال ما نصُّه : « وتُوفِّى القاضى بغَرناطة ، أبو عبد الله محمد بن القاضى عياض سنة خَمْس وسبعين وخمس مئة ، وعَرّف فى تاريخه بأبيه ، وفى التى [٦٣٩] تليها تُوُفِّى الشيخ أبو الطاهر السِّلَفِىّ ، وعمره مِئَة وأربع سنين ، وكان أجاز لكل من أدركته حياتُه . وسِلَفَه (بكسر السين المهملة) : قرية فى المَشْرق » . انتهى .

وما قاله فى سِلَفَه مخالف لما سبق قريبا لابن خَلِّكان ؛ ولعل قول ابن خَلِّكان هو الصَّواب ، والله تعالى أعلم .

شىء من نظم الحافظ السلفى

ومن مشهور نظم السِّلَفِىّ رحمه الله [قوله] :

لَيسَ عَلَى الأرضِ فى زمانى ... مَنْ شانُه فى الحديث شانِى

عِلْماً ونَقْدًا ولا عُلُوًّا ... فيه على رَغمِ كلِّ شانى

ومن ذلك قوله رحمه الله :

بالله يا مَعْشَر أصحـابى ... اِغتَنِموا عِلْمِى وآدابِى

إن نذيرَ الموت جاء وقد حَلَفَ لا يَرْحَلُ إلا بِى

ومن نظمه ، رحمه الله ، ما أجاب به القاضى عِياضا حين استجازه بقصيدة على رَوِىّ القاف ، أولُها :

أَبا طاهر خُذها على البُعْدِ والنَّوى تحيــةَ مُشتاق لذكراكَ شَيِّقِ

فأجابه أبو الطاهر بقوله :

أتانىَ نظم الألمعىّ المــوَفَّقِ يَميس اختيالا بين غَرْبٍ وَمَشْرِقِ

وسيأتيان معًا عند تعرضنا لذكر نظم عياض ، رحم الله الجميع .

* * *

الإجازة العلمية عند تعذر اللقاء

أقول : ولم يزل الفُضَلاء من الأئمة ، والنُّبهاء من أعلام هذه الأمة ، يستجيزون الأشياخَ الأخيار ، عند تعذُّر اللقاء وبُعْد الديار ، ولو تَتَبَّعْنا ذِكر من فعل ذلك لضاق عنه هذا الموضوع ، ولما احتمله هذا المجموع . وقد استجاز [٦٤٠] الإمامُ الشهير ، الأديب الـكبير ، الشيخ العلامة أبو الحسن حازم ، صاحب المقصورة ، وَجيهَ الدين منصورا ، فكتب إليه الوجيه رحمه الله بقوله :

إنّى أجزتُ لحازمِ بنِ محمدٍ صَدْرِ الأفاضلِ والإمام السَّيِّدِ

مجموعَ ما رُوِّيْتُــــه فرَوَيتُه عن ألف شيخ مِن رُواة المُسْنَد

فى مِصرها مع شامها وعِراقها وحِجازها من مُتْهِمٍ أَو مُنْجِد

وجميعَ ما صنَّفْتــه وجمعته فى علمِ فقهِ الشافعىّ محمّد

فلْيَرْوِ عنّى ما رَوَيْتُ رِواية مَشْروطة بتوثُّقٍ وتشدُّد

ولْيبقَ فى رَوض العلوم مُنَعَّما بسعادةٍ وســـيادةٍ وتأيُّد

* * *

ترجمة السيوطى لحازم القرطاجنى

وإذْ جرى ذكر حازم ، فلا بد أن نُورد بعض التعريف به ، فنقول :

قال السُّيوطىّ فى الطبقات :

حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الانصارى القَرْطَاجَنىّ النحوىّ ، أبو الحسن ، شيخ البلاغة والأدب .

قال أبو حَيّان : كان أوحدَ زمانه فى النظم ، والنثر ، والنحو ، واللغة ، والعَروض ، وعلم البيان . روى عن جماعة يقاربون الألف ؛ وروى عنه أبو حيان وابنُ رُشَيد ، وذكره فى رحلته ، فقال : حَبْر البُلَغاء ، وبحر الأدباء ، ذو اختيارات فائقة ، واختراعات رائقة ، لا نعلم أحدا ممن لقيناه جمَعَ [من علم اللسان ما جَمَع] ، ولا أحكَمَ من مَعاقد علم البيان ما أَحكم ، من منقول ومُبتَدع ؛ وأما البلاغة فهو بحرها العَذب ، والمتفرّد بحَمْل رايتها أميرا فى الشرق والغرب ؛ وأمّا حفظ لغات العَرب وأشعارها وأخبارها ، فهو حَمّاد رواياتها ، وحَمّال أوقارها ؛ يجمع إلى ذلك جَوْدةَ التصنيف ، وبراعة الخط ؛ ويَضْرب بسهم فى العقليات ، والدِّرايةُ أغلبُ عليه من الرِّواية .

صَنّف : مِراج البلغاء فى البلاغة ، وكتابا فى القوافى ، وقصيدةً فى النحو على روى الميم ، ذكر منها ابن هشام فى المغنى أبياتًا فى المسألة الزُّنْبُورِيّة ، وقد ذكرناها فى الطّبقات الكُبرى مع أبيات أخر . [٦٤١]

مولده سنة ثمان وست مئة ، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربع وثمانين وست مئة .

ومن شعره :

من قال حَسْبِى من الوَرَى بَشَرٌ فحَسْبِىَ اللهُ حَسْبِىَ اللهُ

كَمْ آيةٍ للإلهِ شَاهدةٌ بأَنّه لا إلٰه إلا هُو

انتهى كلام السيوطى .

تكملة المؤلف لترجمة حازم

ولْنزِد نحن ما أمكننا ، حيث لم يوفِّ السيوطى بحقه فى الطبقات الصُّغرى ، لأنها مبنية على الاختصار ، ولم نقِفْ على الطبقات الكُبرى التى أحال عليها ؛ فنقول :

قال بعض المؤرخين : هو حازم بن محمد بن الحسن بن حازم الأنصارىّ ، فجعل والد الحسَن حازما ، وجعله السُّيوطى محمدا ، فلا ندرِى هل هذا من النِّسْبة إلى الجدّ ، فيرجعَ مع ما عند السُّيوطى إلى وِفاق ، أو هما مختلفان ؟

القَرْطَاجَنِّى : منسوب إلى قَرْطاجَنّة من سواحل كُورة تُدْمِير ، من شَرْقِىّ الأندلس . وهو خاتِمة شعراء الأندلس الفُحول ، مع تقدمه فى معرفة لسان العرب وأخبارها ، ونزل إفريقيَّة بعد خروجه من بَلَده ، فطار له بها صِيْت ، وعُمِّر إلى أن مات بتونِس ، حضرة ملوكها ، ليلةَ السبت الرابع والعشرين من رمضان ، من سنة أربع وثمانين وست مِئة . وفى بعض المجاميع الأَدبية من تأليف ابن المُرابِط نزيل تُونِس ، أنه كان فى حضرة مَرّاكش أيام الرشيد ، انتهى

[٦٤٢] قلتُ : وله فى الرشيد أمداح كثيرة ، أنشدها فى الإشادة ، ومدحَ الأمير أبا زكرياء ، صاحب إفريقية ، وولدَه أبا عبد الله المستنصر ، وله أَلَّف المقصورة المشهورة ، وقصر محاسنها على مدحه ، ومَدَحَ أخاه أبا يحيى .

[ومطلعها[(١)] :

لِلّهِ ما قدْ هِجْتَ يا يومَ النَّوَى على فؤادى من تباريح الجَوَى

قلت : قد كنت ضَمَّنت مطلَعَها باكتِفاء وتورية فقلت :

لم أنسَ يومًا للنوى عيُوبَه فى نهر فاس شَجَنٌ هاج الجوَى

(١) زدنا هذه الكلمة ليتصل الكلام .

فقلت إذ ذكَّرنى مَعَاهــدًا «لله ما قد هِجتَ يا يومَ النوَى»

ومقصورته تدل على اطلاعه ، وصَـدَّرها بخطبة بليغة جدًّا ، وتولى شرح هذه المقصورة الشـيخ أبو القاسم الشريف الحَسَنىّ القاضى كان بغرناطة ، وسَمَّى شرحه هذا رفع الحُجُبِ المستورة عن محاسن المقصورة ، وملأه بكل غريبة، وقد طالعته غير مرة . وقد ألف الإمام المـكُّودىّ شارح الألفيه ، مقصورة بديعة نبَويه ؛ وعاب على ابن دُرَيْد وحازم جعلهما مقصورتيهما مدحا فى بنى الدنيا ، فـكان من جملة أبياتها :

فحازم قد عُدَّ غيرَ حازمٍ وابن دُرَيد لم يفده ما دَرَى

وقد تولى شرح مقصورة المـكّودِىّ بعض أصحابنا ، وهو الـكاتب الأديب، أبو عبد الله المَـكْلانِىّ أعانه الله تعالى] .

جيميته التى يعارض بها رائية ابن عمار

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة جيمية ، غريبة المنزَع ، لها صيت عظيم عند الحُذَّاق من أهل الأدب ، والنحارير من الفضلاء ، عارض بهـا فى المعنى رائية ابن عمَّار[1] الوزير ؛ المعتمد بن عَبَّاد . وفضَّل غيرُ واحد هذه الجيمية الحازمية ، على تلك الرائية العَمَّاريَّة :

أدِرِ المُدامَةَ فالنَّسِيمُ مُؤَرَّجُ والرَّوضُ مَرقومُ البُرودِ مُدَبَّجُ
والأرض قد لَبِسَتْ بُرودَ جَمالِها فكأنَّما هى كاعبٌ تَتَبرَّج
والنَّهر مما ارتاح مَعْطِفُــــه إلى لُقْيا النسيم عُبــابُه مُتموِّج
يُمْسِى الأصيل بعسْجدىّ شعاعِه أبدا يُوشِّى صفحَه ويدَبِّج
وترومُ أيدى الريح تسلُبُ ما اكتسَى فتَزيدُه حُسْنا بما هِىَ تنسُج

(١) مطلع رائية ابن عمار :
أدر الزجاجــة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى

فارتحْ لشرب كُئوسِ راحٍ نورها بل نارُها فى مائهـــا تتوهَّجُ
واسكَرْ بنشوةِ لحظِ مَن أحببْتَه أو كأسِ خمرٍ من لَماه تُمْزَج
واسمعْ إلى نَغَمات عُود تَطَّبِى قلبَ الخَلِىّ إلى الهوى وتُهيِّج
بَمٌّ وزِيرٌ يُسْعِدانِ مَثانِيًا ومَثالِثًا طبقاتهـــا تتدرَّج
مَنْ لم يُهَيَّجْ قلبَه هـــــذا فما للقلبِ منـــه مُحرِّكٌ ومُهيِّج
فأجبْ فقــد نادَى بألسُن حالِه للأُنْس دَهْرٌ للهموم مُفرِّج
طَرِبت جمــاداتٌ وأفصح أعجمٌ فَرَحًا وأصبح من سرور يَهْزَج
أفيفضُلُ الحىَّ الجمــادُ مَسرَّةً والحىُّ للسَّراء منـــه أحوج
ما العيش إلّا ما نَعِمْتَ به وما عاطاكَ فيــه الكأسَ ظبىٌ أدعج
مِمَّنْ يَروقك منــه رِدفٌ مُرْدَفٌ عَبْلٌ وخصْر ذو اختصار مُدْمَج
فإذا نظرتَ لطُرَّةٍ ولغُرَّةٍ واصفحةٍ منـــه بدتْ تتأجَّج
أيقنتَ أن ثلاثهن وما غدا مِنْ تحتها يَنْآدُ أو يتموّج
ليـــلٌ على صبحٍ على بدرٍ على غُصنٍ تَحمَّلَهُ كثيب رَجْرَج
كأسٌ ومحبوبٌ يظل بلحظِه قلبُ الخَلِىّ إلى الهوى يُسْتَدْرَج
يا صاحِ ما قلبى بصاحٍ عن هوى شيئين بينهما المُنَى تُستَنْتَج [٦٤٣]
وبمهجتى الظَّبْىُ الذى فى أضلُعِى قد حَلّ وهو يُشِبُّها ويُؤَجِّج
ناديْتُ حادىَ عِيسه يومَ النَّوَى والعِيسُ تُحدَى والمطايا تُحْدَج
قِفْ أيهــا الحادى أُودِّعْ مهجةً قد حازها دون الجوانح هَوْدَجُ
لمــا تواقفْنا وفى أحــداجها قمرٌ منيرٌ بالهلال مُتوَّج
ناديتُهمْ قولُوا لبدرِكُمُ الذى بضيائه تسْرِى الركاب وتُدْلِج
يَحْيَا العليلُ بلفظةٍ أو لحظةٍ تُطْفِى غليلا فى الحشا يتأجّج

قالوا نخافُ يَزيد قلبك لاعجًا فأجبتهم خلّوا اللواعج تلعَجُ
وبكيتُ واستبكيتُ حتى ظلّ مِنْ عَبَراتنا بحرٌ ببحرٍ يمزَجُ
وبقيت أفتحُ بعدَهم بابَ المُنى ما بيننا طَوْرا وطورا يُرْتج
وأقولُ يا نفسُ اصبري فعسى النَّوى بصَباح قربٍ ليلها يتبلَّج
فترقَّبِ السَّرّاءَ من دهرٍ شَجَا والدهرُ من ضِدٍّ لضدٍّ يخرُج
وترجَّ فُرْجَة كلِّ همٍّ طارقٍ فلكلِّ همٍّ في الزمان تفرُّج

* * *

جيمية ابن قلاقس

[وتذكَّرت بهذه الجيمية قصيدة ابن قلاقِسَ الإسكندريّ ، رحمه الله تعالى :

عرَضَتْ لِمُعْتَرِضِ الصباح الأبلَجِ حَوْراءُ في طَرَفِ الظلام الأدْعَجِ
فتمزقَتْ شِيَةُ الدُّجا عن غُرَّتَيْ شمسين في أُفُقٍ وكِلة هوْدج
ووراءَ أسْتار الحمول لواحظٌ غازلْنَ معتدل الوشيج الأعوج
من كلِّ مبتسم السِّنان إذا جرى دمعُ النَّجيع من الكميّ الأهوج
ولقد صحبْتُ الليلَ قلَّص بُرْدُه لعُباب بحر صباحِه المتموِّج
وكأنَّ منتثر النجوم لآلئٌ نُظِمت على صرحٍ من الفيْرُوزج
وسهرتُ أرقبُ من سُهيل خافقاً مُتَفرِّدا وكأنه قلب الشَّجى
واستعبَرَتْ مُقَلُ السحاب فأضحكت منها ثغورَ مُفوَّف ومدبَّجٌ

* * *

ولابن قلاقس أيضا

وابن قلاقِسَ هذا له في النظم الباع المديد ؛ ومن محاسنه قوله رحمه الله تعالى :

سَدَدوها من القلوب رِماحَا وانتضَوْها من الجفون صِفاحَا

يا لهَا حالةً من السّلم حالت فاستحالتْ — ولا كِفاحَ — كِفاحا
صحَّ إذ أذرت العيونُ دماءً أنَّهم أثخنوا القلوب جِراحا
يا فؤادى وقد أُخِذْتَ أسيرًا أتفطَّرتَ أم وَضَعْتَ سلاحا
قلْ لأعتادِكَ التى اقتسَموها ضربوا فيكِ بالعيون قِداحا
عجبًا للجفون وهْى مِراضٌ كيفَ تستأسِرُ القلوبَ الصِّحاحا
آهِ من مَوْقفٍ يَوَدُّ به المُغْرمُ لو مات قبله فاستراحا
حيثُ يَخشى أن يَنْظِمَ اللثمُ عِقْدًا فيه أو يَعْقِدَ العِناقُ وِشاحا

* * *

رجع إلى قول حازم رحمه الله تعالى :

ولحازم فى الوصف

فمن قوله من قصيدة :

فتَقَ النسيمُ لَطائم الظَّلْماءِ عن مِسْكةٍ قَطَرَتْ مع الأنداءِ
وغدا الصباحُ يفُضُّ خاتمَ عَنْبرٍ بالشرق عن كافورةٍ بيضاء
والكوكب الدُّرِّىُّ يَزْهو سابحا فى مائه كالدُّرة الزهراء
وكأنما ابنُ ذكاءَ يُذْكِى مِجْمَرًا منه يُفيد الريحَ طيبَ ذكاء

* * *

وله يتغزل فى صدر قصيدة مديحية

وقال سامحه الله من قصيدة فى المستنصر :

أمِنْ بارقٍ أورَى بجُنح الدُّجَى سِقْطَا تذكرتَ مَنْ حَلَّ الأَبارقَ فَالسِّقْطَا
وبان ولكنْ لم يبن عنك ذكرُهُ وشَطَّ ولكن طيفهُ عنك ما شَطَّا
حبيبٌ لوَ أنَّ البدرَ جاراه فى مَدًى من الحسن لاستْدنَى من البدر واستْبطا
سقَى اللهُ عيشا قد سقانا من الهوَى كئوسا بمعسول اللَّمَى [1] خُلِطَتْ خَلْطا

* * *

(١) فى ط : « المنى » .

وله مطلعَ قصيدة :

سُلْطانُ حُسْنٍ عَلَيْهِ للصِّـــبا عَلَمُ إذَا رأَتْه جيوشُ الصَّــبْرِ تنهزمُ

* * *

وله يصف وردة

وقال رحمه الله يصف وردة بيضاء :

ومُبيضَّةِ الأثوابِ تُدعَى بوردةٍ تَقِلُّ لهـا الأشباهُ عند الْتماسِها

أَنافَتْ على ساقٍ لتشربَ عندما أشارتْ لها كفُّ البُروقِ بكاسِها [٦٤٤]

كجاريةٍ قامت ببِيض غلائلٍ مُرَفَّعـةٍ أذيالَها حول راسِها

* * *

تضمينه معلقة امرئ القيس

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى تضمينه قصيدة امرئ القيس ، وصَرف معناها إلى مدح المصطفَى صلَّى الله عليه وسلم ، وهى من غُرِّ القصائد :

لعينَيْكَ قُلْ إن زرتَ أفضلَ مُرْسَلِ «قِفا نبكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ»

وفى طَيْبةٍ فَانْزِلْ ولا تغشَ منزلا «بسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُول فحَوْمَلِ»

وزُرْ رَوضةً قد طالما طابَ نشرُها « لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنوبٍ وشَمْأَلِ »

وأثوابَكَ اخلعْ مُحْرِمًا ومصَــدِّقًا « لدى السِّتْرِ إلّا لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ »

لَدَى كعبةٍ قد فاضَ دمعى لبُعْدِها[1] « على النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِىَ مِحْمَلِى »

فيا حادِىَ الآبالِ سِرْ بِى ولا تقُــلْ «عقرتَ بَعيرِى يامْرأَ القيْس فانْزِلِ»

فقَــدْ حَلَفَتْ نفسِى بذاكَ وأقسمتْ « علىَّ وآلتْ حَلْفَةً لم تَحَلَّلِ »

فقلتُ لها لا شَــكَّ أنِّىَ طائعٌ « وأنَّكِ مَهْما تأمرى القلبَ يفعلِ »

وكم حَمَلَتْ فى أظْهُرِ العزمِ رَحلَها « فيـا عجبًا مِنْ كُورِها الْمُتَحَمَّلِ »

وعاتبَتِ العجزَ الذى عاقَ عزمَها « فقالتْ لكَ الويلاتُ إنكَ مُرْجِلى »

(١) فى م : « لذكرها » .

نبيُّ هُــدًى قد قالَ للكفرِ نورُهُ « ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ »
تلا سُــوَرًا ما قولُها بمعارضٍ « إذا هِيَ نصَّته ولا بمعطَّلِ »
لقد نزلَتْ في الأرضِ ملّةُ هَــدْيه « نزولَ اليماني ذي العِيابِ المُحَمَّلِ »
أتتْ مَغْرِبًا من مَشْرِقٍ وتعرَّضتْ « تعرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ »
ففازتْ بلادُ الشرقِ مِنْ زينةٍ بهــا « بِشِقٍّ وشِقٌّ عنــدنا لم يُحَوَّلِ »
فصلَّى عليــــه اللهُ ما لاحَ بارقٌ « كلمعِ اليــدَيْنِ في حَبِيٍّ مُــكَلَّلِ »
نَبِيٌّ غزَا الأعــــداءَ بينَ تلائعٍ « وبَيْنَ إكامٍ بُعْدَ ما مُتأمَّلِ »
فــكَمْ مَلِكٍ وافاه في زِيِّ مُنجدٍ « بمُنْجَرِدٍ قيــدِ الأوابدِ هَيْكَلِ »
وكَمْ من يَمانٍ واضِحٍ جاءهُ اكْتَسَى « بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليسَ بأعزلِ »
ومِنْ أبْطَحِيٍّ نِيطَ مِنْــــهُ نجادُهُ « بجيدِ مُعِمٍّ في العشيرةِ مُخْوِلِ »
أزالُوا ببـــدْرٍ عن سُرُوجِهِمُ العِدا « كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمتنزَّلِ »
ونادَوْا ظُباهُمْ لا يَفُتْكِ فَتًى ولا « كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ »
وفَضَّ جُموعًا قد غَــدا جامعًا بها « لنا بطنُ حِقْفٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَلِ » [٦٤٥]
وأحْمَوْا وَطيسًا في حُنَيْــــنٍ كأنهُ « إذا جاش فيه حَمْيُه غَلْيُ مِرْجَلِ »
ونادَوْا بناتِ النَّبْعِ بالنصرِ أثْمِري « ولا تُبْعِدِينا مِنْ جَناكِ المُعَلَّلِ »
ومِمَّنْ لَهُ سَدَّدْتِ سَهْمينِ فاضربي « بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ »
فما أغْنَتِ الأبدانَ دِرْعٌ بها اكتستْ « ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ »
وأضحتْ لواليها ومالكِها العِــــدا « يقولون لا تهلِكْ أسًى وتَجَمَّلِ »
وقـــد فَرَّ مُنْصاعٌ كما فَرَّ خاضبٌ « لدى سَمُراتِ الحيِّ ناقِفُ حَنظَلِ »
وكم قالَ يا ليلَ الوَغَى طُلْتَ فانبلِجْ « بصُبحٍ وما الإصباحُ مِنْكَ بأمثلِ »
فليتَ جوادي لم يسِرْ بي إلى الوغى « وباتَ بعَيْني قائمًا غيرَ مُرْسَلِ »

وكمْ مُرْتَقٍ أوطاسَ منهمْ بِمُسْرَجٍ « مَتى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسَهَّلِ »
وقرَّطَهُ خُرْصًا(١) كمصباحِ مُسرجٍ « أهانَ السَّلِيطَ فى الذُّبالِ المُفتَّلِ »
فيرنُو لهادٍ فوق هاديه طرْفُه « بناظرةٍ من وَحْشِ وَجْرةَ مُطفِلِ »
ويَسْمَعُ من كافورتين بجانبَيْ « أثيثٍ كقِنْو النخلةِ المتعثْكِلِ »
ترفَّعَ أن يُعزَى له شَدُّ شادنٍ « وإرْخاءُ سِرْحَانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ »
ولكنَّه يَمْضِي كما مَرَّ مُزْبِدٌ « يَكُبُّ على الأذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ »
ويَغْشَى العِدا كالسَّهْمِ أو كالشِّهابِ أوْ « كجُلْمُودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ »
جيادٌ أعادتْ رَسْمَ رُسْتُمَ دارسًا « وهلْ عند رسْمٍ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ »
وريعتْ بها خيلُ القياصرِ فاختفتْ(٢) « جَواحِرُها فى صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ »
سَبَتْ عُرُبًا مِن نِسْوةِ العُرْبِ تَشْتَبِي « إذا ما اسْبَكَرَّتْ بين دِرْعٍ ومِجْوَلِ »
وكمْ من سَبايا الفُرْسِ والصُّفْرِ أسْهرتْ « نَؤُومَ الضُّحى لمْ تَنْتَطِقْ عن تفضُّلِ »
وحُزْنَ بُدورًا مِنْ ليالِي شُعورِها « تَضِلُّ المَدارى فِي مُثَنًّى ومُرْسَلِ »
وأبقتْ بأرضِ الشامِ هامًا كأنَّها « بأرجائها القصْوَى أنابيشُ عُنْصُلِ »
وما جَفَّ من حَبِّ القلوبِ بِغَورِها « وقِيعانِها كأنَّه حَبُّ فُلْفُلِ »
لخضراءَ ما دَبَّتْ ولا نبتتْ بها « أساريعُ ظَبْيٍ أو مساويكُ إسْحِلِ »
شَدَا طيرُها فى مُثْمِرٍ ذِي أرومةٍ « وساقٍ كأُنْبوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ »
فَشُدَّتْ بِروضٍ ليس يَذْبُلُ بعدَها « بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّ بِيَذْبُلِ » [٦٤٦]
وكمْ هَجَّرتْ فِي القيظِ تحكِي دَوارعًا « عَذارَى دَوارٍ فى المُلاءِ المُذَيَّلِ »

---

(١) الخرص « بالضم ويكسر » : حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط ، أو الحلقة الصغيرة من الحلى . يريد بها الحلقة التى فى عذار اللجام .

(٢) فى م : « فاغتدت » .

وكم أدْلَجتْ والقَطْرُ يهْفُو هَزيزُهُ « ويُلوِى بأثوابِ العَنيفِ المثقَّلِ »
وخُضْنَ سيولا فِضْنَ بالبيدِ بعدَ ما « أثرنَ غُبارا بالكَديد المركَّل »
وكم ركَزُوا رمحا بدِعْصٍ كأنَّه « من السَّيل والغُثَّاء فَلكةُ مِغزَل »
فلم تبنِ حِصنا خوف حِصْنِهمُ العِدا « ولا أُطُمًا إلا مَشيدًا بجَنْدَل »
فَهُدَّتْ بعَضْبٍ شُدَّ(١) بعد صِقالِه « بأمراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدل »
وجَيشٍ بأقْصَى الأرض ألقَى جِرانَهُ « وأَرْدَفَ أعجازا وناءَ بكَلكل »
يَدُكُّ الصَّفا دَكًّا ولو مَرَّ بعضُه « وأَيْسَرُهُ على السِّتار فيَذْبُل »
دعا النصرُ والتأييدُ راياتِه اسْحبِى « عَلَى أَثرَينا ذَيْل مِرْطٍ مُرَحَّل »
لواءٌ منيرُ النَّصْلِ طَاوٍ كأنَّهُ « مَنارة مُمْسَى راهِبٍ مُتَبتِّل »
كأنَّ دِمَا الأعداء فى عَذَباته « عُصارةُ حِنَّاء بشَيْبٍ مُرَجَّل »
صِحابٌ بَرَوْا هامَ العُداة وكم قَرَوْا « صَفيفَ شِواء أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّل »
وكم أكثروا ما طابَ من لحْم جَفرةٍ « وشَحْمٍ كهُدَّاب الدِّمَقْسِ المُفَتَّل »
وكم جُبْنَ منْ غبراءَ لم يُسْقَ نَبتُها « دِراكا ولمْ يُنْضَحْ بماء فيُغْسَل »
حَكى طِيبَ ذِكراهُمْ ومُرَّ كِفاحِهِمْ « مَداكُ عَروسٍ أو صَلايةُ حَنْظَل »
لأمداحِ خيرِ الخلق قلْبِيَ قد صَبَا « وليس صِبَايَ عن هواهَا بمُنْسَل »
فَدَعْ مَنْ لأيامٍ صَلُحْنَ لَهُ صَبَا « ولا سيَّما يومٍ بدارةِ جُلْجُل »
وأصبحَ عن أُمِّ الحُوَيْرِث مَا سَلَا « وجارَتِها أُمِّ الرَّباب بمَأْسَل »
وكُنْ فى مديح المصطفَى كمُدَبِّجٍ « يقلِّب كَفَّيْهِ بخيطٍ مُوَصَّل »
وأَمِّلْ به الأُخْرى ودُنياكَ دَعْ فقدْ « تمتعتَ مِنْ لهْوٍ بها غَيرَ مُعْجَل »

(١) فى الأصول ونفح الطيب : «شيب» : ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وكَمْ لِنَبِيثٍ للفؤاد مُنَابِثٍ(١) « نَصِيحٍ على تَعْذالِه غيرِ مُؤْتَلِ »
ينادِى إلٰهى إنّ ذَنبىَ قد عَدَا « علىّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلِى »
فكنْ لى مُجيرا من شياطين شَهْوَةٍ « علىّ حراصٍ لو يُشِرُّون مَقْتلِى »
ويُنْشِـدُ دنياه إذا ما تَدَلَّلَتْ « أفاطِمَ مَهْلا بعضَ هذا التَدَلُّلِ »
فإن تصِلِى حبلِى بخيرٍ وصَلْتُه « وإن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمِى فأَجْمِلِى » [٦٤٧]
وأَحْسِنْ بقطع الحبلِ منكِ وبتِّهِ « فَسُلِّى ثيابى من ثيابكِ تَنْسُلِ »
أيا سامعى مدحِ الرسول تَنَشَّقُوا « نَسِيمَ الصَّبَا جاءتْ بَرِيَّا القَرَنْفُلِ »
وروضةَ حَمْدٍ للنبىِّ محمدٍ « غَذَاهَا نَمِيرُ الماءِ غيرُ المحلَّلِ »
ويا مَنْ أبىَ الإصْغاءَ ما أنتَ مُهْتَدٍ « وما إنْ أرى عنكَ العَمايةَ تَنْجَلِى »
فلو مُطْفِلاً أنشدْتُها لفظَهَا ارعَوَتْ « فألهيتُها عن ذى تمائمَ مُحْوِلِ »
ولو سَمِعَتْه عُصْمُ طَوْدٍ أمالَهَا « فأنزلَ مِنها العُصْمَ مِنْ كلِّ منزلِ »

* * *

وله فى مدح الرسول

وقال رحمه الله فى مثل هذا الغرض ، مؤديا من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المفترَض ، مضمنًا قصيدة أخرى لامرئ القيس :

أَقُولُ لعزمِى أوْ لصالِحِ أعمالِى « أَلَا عِمْ صَبَاحًا أيُّها الطَّلَلُ البالِى »
أَمَا واعِظِى شيبٌ سما فوقَ لِمَّتِى « سُمُوَّ حَبَابِ الماءِ حالا على حالِ »
أنارَ به ليلُ الشبابِ كأنهُ « مصَابِيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لقُفَّالِ »
نهانىَ عن غىٍّ وقالَ مُنبِّهًا « أَلَسْتَ ترى السُّمارَ والناسَ أَحْوالِى »
يقولون غَيِّرْهُ لتنعمَ بُرْهَةً « وهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ فى العُصُرِ الخالى »

(١) النبيث : ما يستخرج من البئر من التراب ، شبه به ما فى القلب من خواطر السوء . والمنابث فى الأصل : الذى يستخرج التراب ، والمراد هنا من يستخرج أسرار غيره .

أغالِطُ دهرى وهو يعلمُ أننى « كَبِرْتُ وألَّا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أمثالِى »
ومُؤْنِسُ نارِ الشيبِ يَقْبُح لهوُهُ « بآنِسَةٍ كأنَّها خطُّ تِمثال »
أشَيْخا وتأتى فعلَ من كان عمرُه « ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال »
وتَشْغَفُكَ الدنيا وما إنْ شَغفتَها « كما شَغَفَ المَهْنوءَةَ الرجُل الطَّالى »
ألا إنها الدنيَا إذا ما اعتبرتَها « ديارٌ لسَلمَى عافياتٌ بذى خال »
فأين الذينَ استأثروا قبلَنا بها « لَناموا فما إنْ مِنْ حديثٍ ولا صَال »
ذهِلْتُ بها غَيًّا فكيف الخلاص مِنْ « لَعوبٍ تُنسِّينِى إذا قمتُ سِرْبالى »
وقد علِمَتْ منى مواعيدُ تَوْبَتِى « بأنَّ الفَتَى يهذِى وليسَ بفعَّال »
وَمُذْ وَثِقَتْ نفسى بحبِّ محمدٍ « هَصَرتُ بغُصْنٍ ذِى شماريخَ مَيَّال »
وأصبح شيطان الغَواية خاسئا « عليه القتامُ سَيِّئَ الظنِّ والبال »
ألا ليتَ شعرى هل تقول عزائمى « لخيلِى كُرِّى كَرَّةً بعد إجْفال »
[٦٤٨] فأَنزلَ دارًا للرَّسُولِ نزيلُها « قليل الهُموم ما يَبِيتُ بأَوْجال »
فَطُوبَى لنفسٍ جاورتْ خير مرسَلٍ « بيثربَ أدْنى دارِها نظرٌ عالى »
ومِنْ ذكرِهِ عند القَبول تعطَّرتْ « صَبًا وشَمالٌ فى منازل قُفَّال »
جِوارُ رسول الله مَجْدٌ مُؤَثَّلٌ « وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالى »
ومَنْ ذا الذى يَثْنِى عنان السُّرَى وقدْ « كفانى ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ »
ألم تَرَ أنَّ الظبيةَ استشفعتْ به « تميلُ عليه هُونةً غير مِجْفال »
وقال لها عُودى فقالت له نعمْ « ولو قطَّعوا رأسِى لديكَ وأوصالى »
فعادتْ إليه والهوى قائلٌ لها « وكانَ عداءُ الوَحْشِ منّى على بالى »
ويا لَبعيرٍ قال أزْمَعَ مالكى « ليقتُلَنِى والمرءُ ليس بقتَّال »
وثَوْرٍ ذبيحٍ بالرسالة شاهدٍ « طويلِ القَرَا والرَّوْقِ أخْنَسَ ذَيَّال »

وحَنَّ إليه الجِذعُ حَنَّــــة عاطِشٍ « لغيثٍ مِنَ الوَسْمِىِّ رائدُه خَالِ »

وأصْلَين من نخل قــــد الْتَأما له « بما احتَسبَا من لِين مسٍّ وتَسْهال »

وقبضةِ تُرْبٍ منــه ذَلَّتْ لها الظُّبَا « ومَسْنُونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوال »

وأضحى ابن جَحْش بالعَسِيب مُقاتلا « وليس بذى رُمْح وليس بنَبَّال »

وحسبُك من سَوْط الطُّفَيْل إضــاءةً « كمِصباح زَيْتٍ فى قناديلِ ذُبَّال »

وَبذَّتْ به العَجْفاءُ كلَّ مُطَهَّمٍ « له حَجَباتٌ مشرفاتٌ على الفَال »

ويا خَسْف أرضٍ تحتَ باغيه إذ علا « على هيكلٍ نهْــدِ الجُزارَةِ جوَّال »

وقد أُخْمِدَتْ نارٌ لِفارسَ طالَمَا «أصابتْ غَضًى جَزْلاً وكُفَّ بأجزال»

أَبَانَ سَبيلَ الرُّشْــد إذْ سُبُل الهُدَى « يَقُلْنَ لأهْلِ الحِلْم ضُلاًّ بتَضْلال »

لأحمدَ خَـــــــير المرسلينَ انتقيتُها « ورُضْتُ فَذَلَّتْ صعْبةً أىَّ إذْلال »

وإنَّ رجائى أن أُلاقيَه غـــــــدًا « ولستُ بمَقْلِىِّ الخِلال ولا قالى »

٣٨ فأُدْرِكَ آمالِى وما كلُّ آمِـــلٍ « بمُدْرِك أطرافِ الخطوبِ ولا آلى »

* * *

تحقيق نسبة القصيدة السابقة

قلت : هكذا وجدت بخط بعض أعلام مَرَّاكُش نِسبةَ هذه القصيــدة لأبى الحسن حازمٍ المذكور ، واعتمدت على هذه النِّسبة ، ثم بان لى خطؤها ، وإنما هذه القصيدة من نظم الفقيه العلامة أبى بكر بن جُزَىٍّ الــكلْبىِّ الغَرْناطى ، حَسْبما نصَّ على ذلك غير واحد .

[٦٤٩] ولْنُورِدْ كلام بعض الأئمة فى حقه ، لأنَّ فيه المطلوبَ وزيادة ، ونصّه(١) :

ترجمة أبى القاسم ابن جزى

محمَّدبن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبدالرحمن بن يُوسُف بن جُزَىٍّ الــكلبىّ ،

(١) هذه الترجمة لأبى القاسم بن جزى ، والد أبى بكر صاحب القصيدة، وستأتى ترجمته بعد والده.

يُكْنى أبا القاسم ، من أهل غَرناطة ، وذوى الأصالة والنباهة فيها ، وأصل سلفِه من وَلْبَه ، من حِصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح ، صُحْبَةَ قريبهم أبى الخطَّار حُسام بن ضِرار الكلْبىّ ، وعند خلْع دعوة المرابطين كان لجدهم [يَحْيَى] بجَيان ، رياسة وانفراد بالتدبير .

وكان رحمه الله على طريقة مُثْلَى ، من العُكوف على العلم ، والاقتيات من حُرِّ النَّشَب ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيها حافظا ، قائما على التدريس ، مشارِكا فى فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب ، حافظا للتفسير ، مستوعبا للأقوال ، جَمَّاعةً للكتب ، مُلوكِىّ الخِزانة ، حسَنَ المجلس ، مُمْتِعَ المحاضرة ، قريب الغَوْر ، صحيح الباطن ؛ تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده ، على حَداثة سِنّه ، فاتَّفِقَ على فضله ، وجَرَى على سَنَنِ أَصالته .

بعض شيوخه

ومن شيوخه الأستاذ أبو جعفر بن الزّبير وابن الكَمّاد وابن رُشَيْد والحضْرمىّ وابن أبى الأحوص وابن بَرْطال ، وأبو عامر بن ربيع الأشعرىّ والولى أبو عبد الله الطَّنْجالِىّ ، وابن الشاطّ .

تواليفه

تواليفه : كتاب « وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم » ؛ و « الأنوار السَّنِيَّة فى الكلمات السُّنِّيَّة » ؛ وكتاب « الدعوات والأذكار » ؛ وكتاب « القوانين الفِقهية » ؛ وكتاب « تقريب الوُصُول إلى علم الأصول » ، وكتاب « النور المبين فى قواعد عقائد الدين » ؛ إلى غير ذلك مما قيّده فى التفسير والقراءات .

من شعره يبين غرضه فى الحياة

[٦٥٠] **شعره** : قال فى الأبيات الغينيّة ، ذاهبا مذهب الجماعة ، كأبى العلاء المعرى ، والرئيس ابن المظفر ، وأبى الطاهر السِّلَفِىّ ، وأبى الحجاج بن الشيخ ، وأبى الربيع

ابن سالم ، وأبى على بن [أبى] الأحوص ، وغيرهم :

لِكلِّ بنى الدُّنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ ... وإنَّ مُرادِى صِحَّةٌ وفَراغُ

لأبلُغَ فى علمِ الشريعة مَبْلَغًا ... يكون به لِى لِلْجَنانِ بَلَاغُ

ففى مثل هذا فلينافسْ ذوو النُّهَى ... وحَسبِىَ من دار الغُرور بَلاغُ

فما الفوز إلا فى نعيم مُؤَبَّدٍ ... به العيشُ رَغْدٌ والشرابُ يساغُ

* * *

وقال فى مذهب الفخر :

وله يفخر بعفته

وكم من صفحةٍ كالشمس تبدو ... فيُسلِى حُسنُها قلبَ الحزينِ

غَضَضْتُ الطرف عن نَظَرى إليها ... محافظةً على عِرضى ودينى

[انتهى] .

* * *

ومن مشهور نظمه رحمه الله :

وله فى جلال مقام النبوة

أرومُ امتداحَ المصطفَى فيردُّنِى ... قُصُورِىَ عن إدراكِ تلك المناقِبِ

ومَنْ لى بحصْرِ البحرِ والبحرُ زاخرٌ ... ومَنْ لى بإحصاءِ الحصَى والكواكب

ولو أن أعضائى غدتْ وهْى ألسنٌ ... لما بَلَغَتْ فى القول بعضَ مآربى

ولو أن كلَّ العالمين تألَّفُوا ... على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأَقْصرت عنه هيبةً وتأدُّبًا ... وعجزا وإعظامًا لأعظم جانب

ورُبَّ سكوت كان فيه بلاغةٌ ... ورب كلامٍ فيه عَيْب لعائب(١)

* * *

ورأيت بخط الإمام ابن داود أن قوله وكم من صفحة ... البيتين ، ليس

(١) كذا فى ط ، م . وفى ص والديباج لابن فرحون ونفح الطيب : « عتب لعاتب » .

من كلامه ، بل من كلام ابنه أبي بكر ، وهو خطأ ، لأن ابن الخطيب ذكر في الـكتيبة أن البيتين للشيخ أبي القاسم لا لابنه أبي بكر ، والله الموفق .

ثم قال هذا المعرّف بابن جُزَيّ :

[٦٥١] مولده : يوم الخميس التاسع لربيع الثاني من عام ثلاثة وتسعين وست مئة . — مولده

وفاته : فُقِدَ وهو يُحَرِّض الناس ويَشْحَذُ بصائرهم ويُثَبِّتهم ، يوم الكائنة بطَريف ، ضَحْوة يوم الاثنين ، السابع لجمادى الأولى عام واحدٍ وأربعين وسبع مئة . تقبّل الله شهادته . [انتهى] . — وفاته

ولنختم ترجمته بقوله [رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنه بمنه] : — وله في الرجوع إلى الله

يارَبِّ إنَّ ذنوبي اليومَ قد عَظُمَتْ ... فما أُطِيقُ لها حَصْرًا ولا عَدَدَا
وليس لي بعذاب النّارِ(١) من قِبَلٍ ... ولا أُطِيقُ لها صَبْرًا ولا جَلَدا
فانظرْ إلٰهي إلى ضعفِي ومَسْكَنتِي ... ولا تذيقَنِّي حَرَّ الجحيمِ غَدا

* * *

ثم قال في التعريف بولده أبي بكر المقصودِ ذكره هنا ، وهو الذي ألّف له(٢) أبوه الأنوار السنية ، ما نصُّه : — ترجمة أبي بكر ابن جزي

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جُزَيّ الـكلْبيّ ، يُكْنى أبا بكر ، من أهل الفضل والنزاهة والهمة ، وحسن السَّمت ، واستقامة الطريقة ، غَرَّبَ في الوقار ، ومال إلى الانقباض ، وله مشاركة حسنة في فنون ، من فقه وعربية وخط ورواية وأدب ، وشعر تسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة ، وقرأ على والده ولازمه ، واستظهر ببعض تآليفه ، وتفقَّه وتأدب به ، وقرأ على بعض معاصري أبيه ، ثم ارتسم في

(١) كذا في ص ، م والديباج لابن فرحون . وفي ط : « الله » .
(٢) كذا في الأصول . وفي نفح الطيب « أو » بدل « له » .

الـكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبى الحجَّاج بن نَصْر ، وولى القضاء ببَرْجة و بأندَرَش ، ثم بوادى آش ، مشكور السيرة ، معروف النزاهة .

شعر له فى حب الناس للمال

ومن شعره :

أرى النـاس يُولون الغنىَّ كرامةً ... و إن لم يكن أهلاً لِرفعَة مِقْـدارِ
ويَلْوُونَ عن وجه الفقير وجوهَهم ... و إن كان أهلا أن يُلاقَى بإكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديثُ جمةٌ ... فما صَحَّحوا إلا حديث ابنِ دينـار

* * *

تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس

ومن بديع ما صدر عنه تصدير أعجاز قصيدة امرئ القيس بقوله :

أقول لعزمى أو لصـالح أعمالِى ... « أَلا عِمْ صباحًا أيّها الطَّلَلُ البالِى »

ثم سرد منها أحد عشر بيتا إلى قوله :

فأين الذين استأثروا قبلَنا بهـا ... « لَناموا فما إن من حديثٍ ولا صالِ » [٦٥٢]

ثم قال ما نصه : وهى ثمانية وأربعون بيتا ؛ ولا خفاء ببراعة هـذا النظم ، و إحكام هذا النسج ، وشدة هذه المعارضة .

* * *

بعض تواليفه وأعماله

وله تقييد فى الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ، ورجز فى الفرائض ، و إحسانه كثير .

وتقدم قاضيا للجماعة بحضرة غَرْناطة ثامن شوال عام ستين وسَبْع مئة ، ثم صُرِف عنها . ثم لما تُوُفِّى الأُستاذ الخطيب العالم الشهير ، أبو سعيد فَرَجُ بن لُبّ رحمه الله تعالى ، وكان خطيب الجامع الأعظم بغَرناطة ، وُلِّيَ عِوَضًا منـه أستاذا وخطيبا ، عام اثنين وثمانين وسبع مِئة ، فبقى فى الخطابة ثلاثة أعوام ، ثم تُوُفِّى . وأظن أن وفاته إنما كانت فى أواخر عام خمسة وثمانين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى . انتهى .

ولاشك أن ما ذكره هذا الإمام فى حق والده، إنما هو من كلام ابن الخطيب فى الإحاطة، والله أعلم.

* * *

ترجمة أبي عبدالله بن جزى

ولأبى بكر بن جُزَىٍّ هذا أخ كاتب مجيد، من عجائب الزمان، وهو الفقيه الكاتب محمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير أبى بكر عبد الرحمن، الثائر بجيَّان، ابن يوسف بن سعيد الغَرناطىّ، المتوفَّى بفاس فى عام ثمانية وخمسين وسبع مئـة رحمه الله، وقيل بل تُوُفِّىَ آخر شوال من السنة قبلها مَبْطونًا، رحمه الله.

قلت: وهذا هو الصواب فى وفاته، فإنى رأيت بخط من يُوثَق به من الأعلام الذين عرفوا حاله(١)، أنه تُوُفِّىَ بداره من البيضاء، قُرب المغرب من يوم الثلاثاء التاسع والعشرين لشوال، من عام سبعة وخمسين وسبع مئة، وكان دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر، وراء الحائط الشرقى الذى بالجامع الأعظم، من المدينة البيضاء؛ وكان مولده فى شوال من عام واحد وعشرين وسبع مئة. انتهى. [٦٥٣]

يكنى أبا عبد الله. قال ابن الأحمر فى نَثير الجمان: أدركته ورأيته، وهو من أهل بلدنا غَرْناطة، وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المُفْتِين بها، عالم الأندلُس، الطائرةَ فتياهُ منها إلى طرابُلُس، وقُتِل شهيدا فى المُعْتَرَك، فى الوقيعة التى كانت للنَّصارَى، دمَّرهم الله، بطريفٍ على المسلمين، فى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، بعد أن أبْلى بَلاء حسنا.

وأبوعبد الله محمد هذا كتب بالأندلس فى حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبى الحجَّاج يوسف، وله فيه أمداح عجيبة، ولم يزل كاتبا فى الحضرة الأحمرية

(١) فى م: «وفاته».

النَّصْرية ، إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عَمِّ أبينا .

قلت : كان هذا الامتحان الذى ذكره ابن الأحمر ، هو أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه ، بل ظلمه ظلما بَيِّنًا . هكذا ألفيته فى بعض المقَيَّدات ، والله أعلم .

ثم قال ابن الأحمر : فقَوَّض الرحال عن الأندلس ، واستقرَّ بالعُدوة ، فكتب بالحضرة المَرينية ، لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبى عِنان ، إلى أن تُوُفِّىَ بها رحمه الله .

قال رحمه الله :

طلع فى سماء العلوم بَدْرا مُشرقا ، وسارت براعته غربا ومشرقا ، وسما بشعره فوق الفَرقدين ، كما أربَى بنثره على الشِّعْرَى والبُطَيْن ، له باع مديد فى التاريخ ، واللغة ، والحساب ، والفقه ، والنحو ، والبيان ، والآداب ، بصيرا بالأصول والفروع والحديث ، عارفا بالماضى من الشعر والحديث ؛ إنْ نَظَم أنساك أبا ذُؤَيْبٍ برِقَّته ، ونُصَيْبًا بمَنْصِبه ونَخْوته ؛ وإن كتب أرْبَى على ابن مُقْلَةَ بخطّه ، وإن أنشأ رسالة أنساكَ العمادَ بحسن مَساقِها وضبطه ؛ وهو رب هذا الشان ، [٦٥٤] وفارس هذا الميدان ؛ ومع تفَنُّنه فى العلوم فهو فى الشعر قد نَبَغ ، وما بلغ أحدٌ من شعراء عصره منه ما بلغ ؛ بل سلّموا التقدُّم فيه إليه ، وألْقَوْا زِمام الاعتراف بذلك فى يديه ؛ ودخلوا تحت راية الأدب التى حمل ، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس بالحَمَل .

قصيدة له فى مدح أبى الحجاج يوسف

أنشدنى لنفسه يمدح أميرَ المسلمين أبا الحجّاج يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل ، عَمِّ أبينا ، ابن جدنا الرئيس الأمير أبى سعيد فرج ، ابن جدنا

الأمير أبى الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبى الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبى بكر ، محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجىّ ، هذه القصيدةَ البارعة ، وحذف منها الراء المهملة :

قَسَمًا بوضَّاح السَّنَى وهّاجِ ... مِنْ تحت مَسْبول الذوائبِ داجِ
وبأبْلجٍ بالمسكِ خُطَّتْ نُونُهُ ... مِن فوقِ وَسنانِ اللواحظ سَاج
وبحُسْنِ خَدٍّ دُبِّجَتْ صَفَحاتُه ... فغَدتْ تحاكى مُذْهَب الدِّيباج
وبمَبْسِمٍ كالعقد نُظِّم سِلْكُهُ ... ولَمًى حَكى الصَّهْباءَ دُون مِزَاج
وبمنطقٍ تصبُو القلوبُ لحسنِهِ ... أنْسَى المَسامع نَغْمة الأَهْزاج
وبمائسِ الأعطافِ تَثْنيه الصَّبَا ... فيَميسُ كالخَطِّىِّ يومَ هِياج
ومُنَعَّمٍ مثلِ الكثيبِ يُقلُّهُ ... مُتَضعِّفٌ يشكُو من الإدْماج
وبمَوْعدٍ للوصلِ أُنْجِزَ فَجأَةً ... من بعْدِ طُولِ تَمنُّعٍ ولَجَاج
وبأكْؤُسٍ أَطْلَعْنَ فى جُنْحِ الدُّجَى ... شَمْسَ السُّلافةِ فى سَماءِ زُجَاج
وحَدائقٍ سَحَبَ السَّحَاب ذُيُولَهُ ... فيها وباتَ لها النسيمُ يناجى
وجَداولٍ سلَّتْ سُيوفا عند ما ... لجئت بجيشٍ للصَّبَا عَجّاج
وبأقحوان قد تضاحكَ إذْ بكتْ ... عينُ الغَمام بمَدْمَعٍ ثَجَّاج
وقُدودِ أَغْصانٍ يَمِلْنَ كأنَّها ... تُخْفِى حَديثا بينَها وتُناجى
وحمائمٍ يهْتِفْنَ شَجْوًا بالضُّحَى ... فهَديلُهُنَّ لذى الصَّبابةِ شاجى
إن المعالىَ والعوالىَ والنَّدى ... والبأسَ طوعُ يَدَىْ أبى الحجَّاج
مَلِكٌ تَتوَّجَ بالمهابة عندما ... لم يَسْتجِزْ فى الدين لُبْسَ التاج
وأَفاضَ حكمَ العدْل فى أيامِهِ ... فالحقُّ أبْلَجُ واضحُ المِنْهاج
هو مُنْقِذُ العانى ومُغْنِى المُعْتَفِى ... ومُذَلِّلُ العاتِى وغوث اللاجى

[٦٠٥]

ماضِي العزيمةِ والسيوفُ كليلةٌ طَلْقُ المُحَيَّا والخطوبُ دَوَاجِي
عَلَمُ الهُدَى والناسُ فى عَمْياءَ قد ضَـــلُّوا لوقْع الحادث المُهْتَاج
غيثُ النَّدَى والسحبُ تبخلُ بالحيَا والمَحْلُ يُبْدِى فاقةَ المحتاج
ليثُ الوغَى والخيلُ تُزْجَى بالقَنَا والبيضُ تَنْهَلُ فى دَمِ الأَوْداج
يَتَقَشَّعُ الإظلام إذ يبدو لَهُ وجهٌ كمِثْلِ الكوكبِ الوَهَّاج
من آلِ قَيْلَةَ من ذُؤَابة سَعْدِها أَعْلَى بنى قحطانَ دُون خِلاج
حيثُ العُلا ممدودةُ الأطناب لم تُخْلِق مَعالِمَها يدُ الإنْهاج
والأَعْوجيَّاتُ السوابقُ تُمتَطَى فتظلِّل الآفاقَ سُحْبُ عَجَاج
والبيضُ والأَسَل العوامل تقتضِي مُهَجَ الكُماةِ بأَبْلغ الإزْعاج
مَجْدٌ ليوسفَ جُمِّعتْ أشتاتُه أعيا سِواهُ بعدَ طول عِلاج
مولاىَ هاكَ عقيلةً تزهُو على أَخَواتها كالغـــادة الغُنْاج
إنشاء عبدٍ خالصٍ لك حُبُّه ومِن العَبيدِ مُداهِنٌ ومُدَاجِى
أَوَّى إلى أكنافِ نُعْماكَ التى ليست إليه صِلاتها بخِداج
سَبَّاقُ مَيدان البلاغة والوغَى لِشعابِ كلٍّ منهما وَلَّاج
جانبتُ أُخْتَ الزَّاى فيها عامِدًا فأتتْ منَ الإحسان فى أفواج
فافتحْ لها بابَ القَبول وأوْلِ مَن أَهْداكَها ما يَبْتَغِى من حَاج

* * *

قصيدة له فى مدح أبى عنان فارس

قال ابن الأحمر: وأنشدنى أيضا لنفسه، يمدح أمير المؤمنين المتوكلَ على الله، أبا عِنان فارسًا مَلِكَ المغرب، رحمه الله :

إنَّ قلبى لعُهْدة الصَّبرِ ناكثْ عن غزالٍ فى عُقْدةِ السِّحْر نافثْ
أضرمَ النارَ فى فؤادى وَوَلَّى قائلًا لا تخفْ فإنِّىَ عابث

[وَرَمانی مِن مُقْلتيه بسهمٍ ثم قال اصطبرْ لثانٍ وثالثْ]

كمْ عَذول أتى يُناظرُ فيه كانَ تَعذاله على الحبِّ باعث

ويمينٍ آليتُها بالتَّسلِّی فقضَى حسْنُه بأنِّیَ حانث

[٦٥٦] جبَرَ اللهُ صَدْع قلبٍ عميدٍ صَدَعَتْ شملَهُ صُروف الحوادث

فهْو يهفُو إلى البروق ويَرْوِی عن نسيم الصَّبا ضِعاف الأحادِثْ

سَلَبتْه الأشجانَ إلَّا بَقَايا من أمانٍ حبالُهن رَثائث

وبكاءٍ على عهودٍ مواضٍ مَلأتْ صدْره هموما حَدائث

لستُ وحْدی أشكو بَليَّة وَجْدِی إنَّ داءَ الغرام ليسَ بحادث

يا مُضيعَ العُهودِ واللهُ يعفو عنك إنى ارتضيت خُطَّةَ ناكث

غرَّنى منك والجمال غَرُورٌ وظُبَا اللحظِ فى القلوب عَوَابث

مُقَلٌ يَقتَسِمْن أعشارَ قَلْبى بالرضا منِّیَ اقتسامَ المَوَارث

كيْفَ غيَّرتَ بانتزاحِك حالِی وتغيرتَ لی ولَسْت بحارث

فرْطَ حُبِّی وفرْطَ حُبِّكَ إلا أنّ عَيْنيكَ بالفُتور نَوافِث

ونَدَى فارسٍ وحُسْنُكَ رَدَّا قولَ من قال سُدَّ بابُ البَواعث

مَالِكِ البأسِ والنَّدَى فهْوَ بالسَّيْــفِ وبالسَّيْب عابثٌ أو غائث

مُحْرِز المجدِ والثناء فهـذا سائرٌ فى الورَى وذلكَ لابث

أوْطَأَ الشُّهْبَ رِجْلَهُ وتَرَقَّی صاعدا فی سُموِّه غيرَ ماكِث

فدَرَارٍ تَسْرِی وما لِحَقَتْه ونجومٌ خلفَ القصورِ لوابث

وله المُقْرَبات لا بل هی العِقْــبانُ من فوقها اللُّيوث الدَّلاهث

مُطْلِعات مِنْ كُلِّ نَعْلٍ هِلالا فلهذا تجلو دُجَی كل حادث

إن تَوَاقفْنَ فالجبالُ الرواسِی أو تَسَابقْنَ فالغيوثُ الحثائث

والمواضى كأنها قد أُعيرتْ حِدَّة الذهنِ منـه عندَ المَباحِثْ
هِىَ نارٌ مُحَرِّقَاتُ الأعادِى وهْىَ ماءٌ مُطَهِّراتُ الخَبائث
فَيَرِدْنَ الوَغَى ذكورا عِطَاشا ثم يَصْدُرْنَ ناهلاتٍ طَوامث
مِنْ معاليه قد رأينا عِيانًا كُلَّ فَضْلٍ يَنُصُّه مَنْ يُحادِث
خُلُق كالنسيم مَرَّ سُحَيْرا بالأزاهيرِ فى البِطاح الدَّمائثْ
فى سبيل الإلٰهِ يُقْصِى ويُدْنِى ويُوالى فى ذاته ويُناكِث
شَرَّفَ المُلْكَ منهُ سام وحامٍ فَفدتهُ سامٌ وحامٌ ويافث
ها كَها مِنْ بناتِ فكرى بِكْرًا ليس يسمُو لها من الناسِ طامِث
ذاتَ لفظٍ لا يعتريه اختلالٌ ومَعانٍ لا تَنْتَحِيها المَباحث [٦٥٧]
زُعماء القريضِ أبقَوْا بقايا كنتُ دونَ الوَرَى لهنَّ الْوَارث
من أراد انتقادَها فهْى هذى عُرضَةَ البحث فليكن جِدَّ باحث

***

حسن تخلصه فى القصيدة

قلت: رأيت بخط ابن الصَّباغ العقيلى على حاشية قوله:
« وندى فارس وحسنك رَدًّا ... » البيت، مانصه: ما أبدع تخلصَه المدح وأطبعه، فإنه أشار إلى قول الشاعر رادًّا عليه بالتبكيت، ومُعَنِّفًا له بالتَّعْنيت:

قالوا تركتَ الشِّعر قلت ضرورةً بابُ السماحة والملاحة مُغْلَقُ
ماتَ الكرامُ فلا كريم يُرْتَجى منه النوالُ ولا مَليحٌ يُعْشَق

انتهى.

***

وله فى وصف حال

وعَلِقَ بحفظى أن السلطان أبا عِنانٍ أَطَلَّ من بُرْج، يشاهد الحرب بين الثور والأسد، على ما جرت به عادة الملوك، فقال ابن جُزَىٍّ هذا فى وصف

الحال ، ما يكاد تُعَدُّ معارضته من قبيل المحال ، وهو :

لِلّهِ يومٌ بدار المُلْك مَرَّ بهِ   من العجائب ما لم يَجْرِ فى خَلَدِ
لاح الخليفةُ فى بُرْج العُلا قمرًا   يُشاهِد الحرب بين الثور والأسَد

* * *

وله فى حفظ العهد

[ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى :

أبا حسنٍ إنْ شتَّت الدهر شملنا   فليس لوُدٍّ بالفؤاد شَتات
وإن حُلْتَ عن عهد الإخاء فلم أزَلْ   لِقَلبى على حفظ العهود ثَبات
وهبنى سرَتْ منى إليكَ إساءَةٌ   ألم تتقدمْ قبلَها حسنات !]

* * *

ألف رحلة ابن بطوطة

وهو الذى ألَّفَ رِحلة ابن بَطُّوطَة ، حَسْبما هو معلوم .

* * *

ومن شعر له فى مرضه

قال ابن الأحمر : ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله وهو بحال مرض :

إنْ يأخذِ السُّقْم من جِسْمِى ما آخذَهُ   وأصبحَ القومُ من أمْرِى على خَطَرِ
فإنّ قلبى بحمد اللهِ مُرْتَبَطٌ   بالصَّبر والشُّكْر والتسليم للقَدَر
فالمرء فى قَبْضَةِ الأقدار مَصْرِفُه   للبُرء والسُّقْم أوْ للنَّفْع والضَّرَر

* * *

ومن شعره يخاطب أبا إسحاق بن الحاج

وحكى لى غير واحد ، أن الفقيه الكاتبَ القاضىَ الحاجَّ الرحّالَ أبا إسحاق ابن الحاج النُّمَيْرِىّ ، بقى فى خَلْوته جميع شهر رمضان المعظَّم ، من عام سبعة وخمسين وسبع مئة ، فلما خرج يومَ عيد الفطر أنشده سيدى أبو عبد الله بن جُزَىٍّ المذكور لنفسه يخاطبه : [٦٥٨]

ما سِرَارُ البُدُورِ إلا ثلاثٌ   فلماذا أرَى سِرارَكَ شَهْرَا
أتَعَجَّلْتَهُ سُرُورًا لعامٍ   ثُمَّ تَبْقَى فى سائرِ العام بَدْرا

وله مصحّفا

وحُكِىَ أنه كتب رحمه الله للرئيس الكاتب ، أبى القاسم بن رِضوان ، يطلب منه شَراب سَكَنْجَبين ، وقَصَد التَّصحِيف بقوله :

أَحسَنُ زَانَ بَيْتَكَ نَجيبٌ تُسَرُّ به بُرْءُ مَرَضِى .

تصحيفه :

أُحِبُّ شَرَابَ سَكَنْجَبِينٍ شُرْبُهُ بُرْءُ مَرَضِى .

[قال] فجاوبه ابن رِضوان بقوله :

« إنَّ بِرَّكَ نفيسٌ » . تصحيفه مَقْلُوبا : « يَشْفيكَ رَبُّنا » .

* * *

ولابن الجياب مصحفا

وتذكرت بهذا ما وقع للرئيس ابن الجَيَّاب ، فإنه أهدى له الفقيه ابن قُطْبَة رُمَّانا ، ثم دخل عليه عائدا ، فلما رآه قال له : يا فقيه ، نَعِمَ بالهُدْنَةِ زَمانُك ، أراد : نِعْمَتِ الهديةُ رُمَّانُك . وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير ؛ وهو مما يدل على ثُقُوب ذهنه ، حتى قرب الموت ، سامحه الله ، وغَفَر له .

* * *

ولابن جزى فى المرية وأهلها

ومن نظم أبى عبد الله بن جُزَىٍّ المذكور قولُه :

رَعَى اللهُ عَهْدا بالمَرِيَّة لا أُرَى ... له أبدًا ما عشتُ فى الناسِ بالناسِى

وكيفَ تَرَى باللهِ صُحْبة معشرٍ ... مُجاهدُ بعضٌ منهمُ وابنُ عَبَّاس

* * *

وله فى زاوية أبى عنان

ومن ذلك قوله رحمه الله فى الزاوية التى أنشأها أبو عِنان ، وهو مكتوب عليها إلى قرب هذا التاريخ :

هــــذا مَحَلُّ الفضل والإيثارِ ... والرِّفقِ بالسُّكانِ والزُّوَّارِ

دارٌ على الإحسان شِيدَتْ والتُّقى ... فجزاؤها الحُسْنَى وعُقْبَى الدَّار

هى مَلْجأٌ للواردين ومَوْرِدٌ لابن السبيلِ وكلِّ ركْب سارِى
آثارُ مولانا الخليفـــة فارسٍ أكْرِم بهـا فى المجد من آثار
لا زال منصورَ اللواء مُظَفَّرًا ماضى العزائم سامىَ المقدار
[٦٥٩] بُنِيَتْ على يدِ عبدهم وخديم با بِهِم العــلىِّ محمَّدِ بن جِدار
فى عام أربعةٍ وخمســين انقضَت مِنْ بَعْدِ سبْع مِئينَ فى الأعْصار

* * *

ومن بديع نظمه

ومن بديع نظمه رحمه الله [قوله] :

وما أنْسَى الأحبَّةَ حين(١) بانوا تخوضُ مَطِيُّهم بحْـرَ الدُّموعِ
وقالوا اليومَ مَنزلُنـــا الحنَايا فقلتُ نعم ولــكنْ من ضُلوعى

* * *

وقولُه رحمه الله :

وربَّ يهودىٍّ أتى مُتَطَبِّبًا لِيأخذَ ثاراتِ اليهودِ منَ الناسِ
إذا جَسَّ نَبْضَ المرءِ أَوْدَى بنَفْسِه سريعًا ألم تسمع بفَتْكةِ(٢) جَسَّاس

* * *

وقوله رحمه الله :

مِنْ أىِّ أشْجَانى التى جَنَتِ الهوَى أشْـكُو العذاب وهُنَّ فى تَنْوِيعِ ؟
مِن وصلىَ الموقوف أو مِن هجرى الْـــمَوْصول أو مِن نومىَ المقطوع ؟

* * *

(١) فى ص ، م : « يوم » .
(٢) فى م : « بقتلة » .

وقوله رحمه الله :

فَخَدِّى وجسمى والفُؤاد وأدْمُعِى ... شهودٌ بهم دعْوَى الغَرام تُصَحَّحُ
ومِنْ عَجَبٍ أَنْ رَجَّحَ الناسُ نَقْلَهُم ... وكلُّهُمُ ذو جَرْحَةٍ فيــه تقْدَح
فجسمى ضعيف والفؤاد مُخَلِّطٌ ... وَدَمْعِى مطروحٌ وَخَدِّى مُجَرَّح

* * *

وقوله رحمه الله :

يا مُحَيَّا كتبَ الحسنُ بهِ ... أحرفًا أبْدَعَ فيها وَبَرَعْ
ميم ثغرٍ ثم نون حاجبٍ ... ثمَّ عَيْنٌ هى تتْميمُ البِدَع
أنَا لا أطْمَعُ فى وَصْلِكَ لِى ... وعلى وَجْهِكَ مكتوبٌ مَنَع

* * *

تهنئته أبا عنان بإبلال ولده وتوريته بأسماء الكتب

قال ابن الأحمر :

ومن إنشائه البارع مُوَرِّيًا بالكُتُبِ [١] ، ورفعها لأمير المؤمنين المتوكِّلِ على الله أبى عِنان فارس ، رحمه الله ، يُهَنِّئُهُ بإبلال وَلَدِه وولىِّ عهدِه ، الأمير أبى زيَّان محمد من مَرَض :

ماذا عَسى أدبُ الكُتَّاب يوضِحُ مِنْ ... خِصَالِ مَجْـدِك وهْوَ الزَّاهرُ الزاهى
وما الفصــيحُ بكليَّاتِ مُوعِبِها ... كافٍ فيأتى بإنبــاءٍ وإنباه

أبقى الله مولانا الخليفة ولسعادته القِدْحُ المُعَلَّى ، ولزاهر كماله التَّاجُ المحلَّى ؛ تُجْلَى منْ حِلاهُ نزهةُ الناظر ، ويسيرُ بعلاهُ المثل السائر ؛ ويَتَّسِق من ثناهُ [٦٦٠] العِقدُ المنظَّم ، ويتَّضح بهُدَاه القصد الأَمَمَ ؛ ولازالت مقدِّماتُ النَّصر له مبسوطة ،

(١) يلاحظ أن هذه الرسالة مشتملة على التورية بأسماء كثير من الكتب المشهورة . وقد اكتفينا بهذه الإشارة عن التنبيه على كل منها .

ومعونةُ السَّعْد بإشارته مَنُوطه ؛ وهدايتُه متكفِّلةٌ بإحياء علوم الدين ، وإيضاح منهاج العابدين ؛ وإرشادُه يتولّى تَنْبيهَ الغافلين ، ويأتى من شفاء الصدور بالنور المُبين ؛ وميقاتُ الخِدْمة ببابه مَطْمَحُ الأنفس ، وملخَّص الجود من كَفِّه بَغْيَةُ الملتمِس ؛ قد حكم أدبُ الدِّين والدُّنيا بأنك سراجُ الملوك ، لما أتَتْهُ عوارفُك بالمَشْرَع السَّلْسَل ومعارفُك بنظم السُّلوك ؛ ووَضَحتْ معالمُ مجدِك وضوحَ أنوارِ الفجر ، وزهَتْ بعدلِكَ المسالكُ والممالكُ زَهْوَ خريدة القصْر ؛ فلك فى جمهرةِ الشَّرَفِ النَّسب الوَسيط ، ومن جُمَل المآثر الخُلاصةُ والبسيط ؛ وسبلُ الخَيْرَاتِ لها برعايتك تيْسير ، ومحاسنُ الشَّريعةِ لها بتحصيلك تحْبير ؛ وأنتَ حُجَّة العلماء ، الذى تقصُر عن تقصِّى مآثره فِطَنُ الأذكياء ، إن انْبهَم التفسير فى يديكَ مِلَاكُ التأويل ، أو اعْتَاصَ تفريعُ الفقهِ فعندك فضْلُ البيان والتحصيل ؛ وإن تشعَّب التاريخُ فلديك استيعابُه ، أو تطاول الأدبُ فى إيجاز بيانك اقتضابه ؛ وإن ذُكِرَ الكلامُ فى انتقائك من برهانه المحصول ، أو المنطقُ فى مُوجَز أماليك لُبَابُه المنخول ؛ وليس أساس البلاغةِ إلا ما تأتى به من فصل المقال ؛ ولا جامع الخير إلا ما حُزْتَه فى تهذيب الكمال ؛ ولذلك صارت خدمتُك غاية المطلوب ، وحبُّك قوتَ القلوب ؛ ولا غَرْوَ أنْ كنت من العلياء دُرَّتها المكنونة ، فأسلافُك الكرام هم جواهرها الثمينة ؛ بحماستهم أُصيبَت مقاتلُ الفُرسان ، وبجود جُودهم تسنَّى ريُّ الظمآن ؛ وبتسهيل عدلهم [٦٦١] وضحَت شُعَبُ الإيمان ؛ وأنت المُنْتقَى من سِمْط جُمانهم ، والواسطة فى قلائد عِقيانهم ؛ عنك تُؤثر سيرة الاكتفاء ، وعنْ فُروعك السعداء ، تروى أخبار نُجَبَاء الأبناء ؛ فهم لمملكتك العليَّة بهجةُ مَجالسها ، وأنس مُجالسها ؛ وقُطب سرورها ، ومطالع نورها ؛ وولىّ عهدكَ دُرَّتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة ؛

لا زال كاملُ سعادته بطول مُقامِك محكمًا ، وحِرْزُ أمانيِّه بالجمع بين الصَّحيحين : حبِّك ورضاك مُعْلَمًا ، وقد وجَبَت التهنئةُ بما كان فى حيلة برئه من التيسير ، وما تهيأ فى استقامة قانون صحّته من نُجْح التدبير ؛ ولم يكن إلا أن بَعُدتْ به عنك المسالك ، وأعوز نورَ طَرْفه تقريبُ المَدارك ، وتذكَّر ما عهده [من] الإيناس الموطَّأ جنابه عند أفضل مالك ؛ فوَرَى من شوقه سَقْطُ الزَّند ، والتهب فى جوانحه قَبَسُ الوجد ؛ فأمددته من دعائك الصالح بحِلْيةِ الأولياء ، فظفر لمَّا شارف مَشَارِق الأنوار من حضرتك بالشفاء ؛ وقد حاز إكمال الأجر بذلك العارض الوجيز ، وكان له كتشبيب الإبريز ؛ وها هو قادم بالطالع السعيد ، آئب بالمقصِد الأسنَى من الفتح والتمهيد ؛ يطلُع بين يديك طلوع الشهاب ، ويبسِمُ عن مفصَّل الثناء فى الهناء بذلك زهر الآداب ؛ فأعِدَّ لهُ تحفةَ القادم من إحسانك الكامل ، واخصصه بالتكملة من إيناسك الشامل ، فهو الكوكب الدُّرِّىّ ، المستمدّ من أنوارك السنيَّه ، وفى تهذيب شمائِلِهِ أيضاح للخُلُق[1] الكريمة الفارسيَّه[2] ؛ لا زالت تزدان بصحاح مآثرك عيون الأخبار ، وتتعطَّر بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار ؛ وتُتلَى من محامدك الآيات البينات ، وتتوالى عليك [٦٦٢] الألطاف الإلهيات ، بمن الله وفضله .

والسلام الكريم يعتمد المقامَ العلىّ ورحمة الله وبركاته . انتهى .

* * *

من نظم ابن جزى موريا بأسماء الكتب

وقد قال أبو عبد الله بن جُزَىٍّ المذكور رحمه الله عدة قِطع يُوَرِّى فيها بأسماء الكتب ، منها قوله :

---

(١) الخلق مذكر ، لكنه حمله على معنى السجايا ، فأنثه .

(٢) نسبة إلى أبى عنان فارس .

ظبيٌ هو الكامل فى حُسْنه وثغره أبهى من العِقْدِ
جماله المُشرِق لكنَّها أخلاقه تحكى صَبَا نَجْدِ

وقوله رحمه الله :

لكَ الله من خِلٍّ حبانى بِرقْعَةٍ حبتنىَ من آياتها بالنوادرِ
رسالةُ رمزٍ فى الجمال نهايةٌ ذخيرةُ نظمٍ أَتْحَفَتْ بالجواهرِ

وقوله رحمه الله :

قِصَّتى فى الهوَى المُدوَّنةُ الكبْرى وأخبارُ عِشْقىَ المبسوطهْ
حجَّتى فى الغرام واضحة إذ لم تزل مهجتى بوجْدٍ مَنُوطه

أقول : ما أبدع هذا الفصل[1] ، الذى حبره هذا الحَبْر فى فن التوريه ، وشاهِدهُ على استحاقه مُبرِّزٌ عدل ، لا يحتاج إلى تزكيه .

* * *

من نظم عبد المهيمن الحضرمى موريا بأسماء الكتب

وتذكَّرْت بهذه التورية بأسماء الكتب قولَ بعض الأكابر ، وأظنُّه الشيخَ الكاتب ، أبا محمد عبد المهيمن الحضْرَمىّ ، لأن الكاتب أبا إسحاق بن الحاج النُّمَيْرىّ رحمه الله ، قال حسْبما وجدتُ بخطِّه ما نصُّه :

أنشدنى شيخُنا الإمام أبو محمد لنفسه :

من اغتدى مُوَطَّأً أكنافُه صحَّ له التمهيدُ فى أحوالِهِ
وقابل استذكارَه بالمنتقَى من رأْيه المختارِ من أعماله
وأضْحَتِ المسالكُ الحُسْنى له تُدْنِى تَقَصِّيًا قصِى آماله
وسارَ منْ مشارق الأنوار فى أدنى المدارك [أو][2] إلى إكماله

* * *

(١) فى الأصول : «الفرد» . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) زيادة عن نفح الطيب .

لأبى على حسين ابن صالح موريا بأسماء الكتب

ثم قال أبو إسحاق بن الحاج المذكور : ولما وقفَ على ذلك صاحبُنا [٦٦٣] الفاضل العالم ، أبو على حسين بن صالح بن أبى دُلامة ، أنشدنى له هذه الأبيات ، وزاد ذكرَ القبَس والمُعْلَم :

قال الموطَّإ للورَى أكنافُه ... بُشراه بالتمهيد فى الأحوالِ

وإذا اكتفى بالمنتقَى استذكارُه ... وَفَى له المختارُ فى الأعمال

ومسالكُ الحسنى تؤدِّيه إلى ... أقصى التقصِّى من قَصِى الآمال

ويلوح من قَبَس الهداية رُشْدُهُ ... من مُعْلَمَ التفصيل والإجمال

انتهى كلام ابن الحاج .

* * *

للوزير لسان الدين بن الخطيب موريا بأسماء الكتب

ومن هذا المعنى قول الوزير أبى عبد الله بن الخطيب :

وظبيٍ لأوضاعِ (١) الجمال مدرسٍ ... عليم بأسرار المحاسن ماهرِ

أرى جِيدُه نصَّ المحلَّى وقرَّرَتْ ... ثناياه ما ضَمَّتْ صِحَاحُ الجواهر

* * *

لابن خاتمة موريا بأسماء الكتب

وقول ابن خاتمة :

ومُعَطَّر الأنفاس يبسِم دائمًا ... عن دُرِّ ثغرٍ زَانه ترتيبُ

من لم يشاهِد منه عِقْدَ جواهرٍ ... لم يدْرِ ما التَّنقيحُ والتهذيب

ومن قول ابنِ خاتمة أيضا :

سفَّهَنى عاذلى عليه ... وقال لى وُدُّه عليلُ

فقلت معتَلٌّ أو صحيح ... يودِعُه عينَه الخليل

* * *

(١) فى م : « بأوصاف » .

لبعض الشعراء موريا بأسماء الكتب

وقال بعضهم :

حاز الجمال بصورة قَمَرِيَّة تجلو عليك مشارقَ الأنوارِ
وحَوَى الكمال بسيرة عُمَرِيَّة تتلو عليك مناقب الأبرار

* * *

ومن شعر ابن جزى

ولْنرجع إلى نظم ابن جُزَيٍّ فنقول :

وأنشد فى الإحاطة لأبى عبد الله بن جُزَيٍّ المذكور :

تلك الذؤابة[1] ذُبْتُ من شوقى لها واللحظُ يَحميها بأىِّ سلاحِ
يا قلبُ فانجُ وما إخالك ناجيًا من فِتْنَةِ الجَعْدِىِّ والسَّفَّاح[2]

وقوله رحمه الله تعالى .

وعاشقٍ صلَّى ومِحْرَابه وَجْهُ غزال ظلَّ يهواهُ
قالوا تعبدتَ فقلتُ نعم تعَبُّدًا يَفْهَمُ معناه

[٦٦٤] وقوله رحمه الله :

نصب الحبائل للورَى بالحسن إذ رفع اللِّثَامَ وذيلُه مجرورُ
وأمالَه عنِّى العواذلُ ضَلَّةً فهْوَ المُحَال وقلبىَ المكسور

وقوله رحمه الله :

لا تعْدُ صِنْتَك إنْ ذهبتَ لصاحبٍ تَعْتَدُّهُ لكن تَخَيَّرْ وانْتَقِ
أوَمَا ترى الأشجارَ مهما رُكِّبَت إن خُولفَت أصنافُها لم تَعْلَقِ

انتهى .

---

(١) فى نفح الطيب : « الذوائب » .

(٢) الجعدى : هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية . لقب بالجعدى لمصاحبته الجعد ابن درهم المتكلم . والسفاح : هو أبو العباس عبد الله بن محمد مؤسس الدولة العباسية.

واختتم ما أوردنا من نظمه بقوله :

أيَّتها النفسُ قِفِى عنـدما ألْزِمْتِ فعلا كان أو قوْلَا
فمن يكن يَرْضى بما ساءه أو سَرَّهُ فهْو له الأوْلى
لا يُتْرَكُ العبـد وما شاءه إلا إذا أهمَـلَهُ الموْلى

وقوله رحمه الله :

لولا ثلاث قد شُغِفْتُ بحبِّها ما عِفْتُ فى حَوْض المنيَّةِ مَوردِى
وهْىَ الرواية للحـديث وكتْبُه والفِقْهُ فيه وذاك حسب المهتدى

* * *

كان حازم وابن الأبار فرسى رهان

ولنعد إلى ذكر حازم ، فنقول :

كان أبو الحسن حازم والـكاتب الفقيه المحدث أبو عبد الله بن الأبّار فَرَسَىْ رِهَانٍ فى ميـدان الآداب ، وقد جمعهما الزمان وتعلَّقهما من الدولة الحفصية بأهداب .

* * *

ترجمة ابن الأبار وطرف من أخبـاره

وإذ قدمنا نُبذة من أخبار أبى الحسن حازم ، فلا بأس أن نُتْبِعَها بمثلها من أخبار الإمام ابن الأبّار .

وهو الفقيه الأجلّ ، الكاتب الحافل ، الراوية المحدِّث ، الفاضل الناقد البارع ، الحافظ الكامل ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله القُضاعى البلنَسىّ ، المعروف بابن الأبّار .

قال قاضى القضاة وَلىّ الدِّين بن خلدون فى تاريخه الكبير ، الموسوم بديوان العِبَر ، وكتاب المبتدا والخبر ، فى تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ما نصه :

[٦٦٥] الخبر عن مقتل ابن الأبار وسابقة أوليته

كان هذا الحافظ أبو عبد الله بن الأبار من مَشْـيخة أهل بلنسية ، وكان علّامة فى الحديث ولسان العرب ، وبليغا فى الترسيل والشِّعر ، وكتب عن السيد أبى عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن ببلنسية ، ثم عن ابنه السيد أبى زيد ، ثم دخل معه دار الحرب حين نزع إلى دين النَّصرانيَّة ، ورجع عنه قبل أن يأخُذَ به ، ثم كتب عن ابن مَرْدَنيش . ولما زحف الطاغية إلى بلنسية ونازلها ، بعثَ زيانُ بوفد بلنسيةَ وبيعتهم ، إلى الأمير أبى زكرياء ، وكان فيهم ابن الأبار هذا الحافظ ، فحضر مجلس السلطان ، وأنشد قصيدته على روىّ السين يستصرخُه ، فبادر السلطانُ بإغاثتهم ، وشحَن الأساطيل بالمَدَد إليهم ، من المال والأقوات والكُسَا ، فوجدوهم فى عُسْرة(١) الحصار ، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية ، ورجع ابن الأبار بأهله إلى تونس ، غِبْطة بإقبال السلطان عليه ، فنزل منه بخير مكان ، ورشَّحَه لكَتْب عَلَامته فى صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدَّة ، ثم إن السلطان أراد صرفها لأبى العباس الغسّانى ، لما كان يُحسن كتابتها بالخط المشرقى ، وكان آثرَ عنده من الخط المغربى ؛ فسخط بن الأبار ، أنَفَةً من إيثار غيره عليه ، وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب أمَر بإنشائه ، لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه ، وأن يَبْقىَ مكان العلامة منه لواضعها . فجاهر بالرد ، ووضعها استبدادا وأنفة ؛ وعوتب على ذلك ، فاستشاط غضبا ، ورمى بالقلم ، وأنشد متمثلا :

أُطلُبِ العزّ فى لظَى وذر الذ لّ ولو كان فى جِنـان الخلودِ

(١) كذا فى م . وفى ط ، ص : «هوة» .

فنُمِيَ ذلك إلى السلطان ، فأمر بلزومه بيْتَه ؛ ثم استعتب السلطانَ بتأليفٍ رفَعه [٦٦٦]
إليه ، عَدَّ فيه من عُوتب من الكتاب وأُعتِب ، وسَمَّاه إعْتابَ الكُتَّاب ، واستشفع
فيه بابنه المستنصر بالله ، فغفر السلطانُ له ، وأقالَ عثرتَه ، وأعاده إلى الكتابة . ولما
هلك الأميرُ أبو زكرياء رفعه المستنصر إلى حضور مجلسه ، مع الطبقة الذين كانوا
يحضُرونه من أهل الأندلس [وأهل تونس] . وكان فى ابن الأبار أنفة وبأْو"[1]
وضيق خلق ، وكان يُزْرِى على المستنصر فى مباحثه ، ويَسْتقصِرُ مداركه ؛ فخشُن
له صدرُه ، مع ما كان يُسْخِطُ به السلطانَ ، من تفضيل الأندلس وَوُلاتها عليه .

وكانت لابن أبى الحسين فيه سعاية ، لحقد قديم ، سببه أن ابن الأبّار لما
قَدِم فى الأسطول من بلنسية ، نزل ببَنْزَرْت وخاطب ابنَ أبى الحسين بغرض
رسالته ، ووصف أباه فى عُنْوان مكتوبه بالمرحوم ؛ ونُبِّه على ذلك فاستضحك ،
وقال : إن أبًا لا تُعرف حياتُه من موته لأبٌ خامل ؛ ونُميت إلى ابن أبى الحسين ،
فأسرَّها فى نفسه ، ونصَبَ له ، إلى أن حمل السلطانَ على إشخاصه إلى بِجاية ؛
ثم رضى عنه واستقدمه ، ورَجَعه إلى مكانه من المجلس ، وعاد هو إلى مَساءَة
السلطان بنزَعاته ، إلى أن جرى فى بعض الأيام ذكرُ مولد الواثق ، وساءلَ عنه
السلطانُ بعضَ من حضرَهُ فاستبهم ، فغدا[2] عليه ابنُ الأبار بتاريخ الولادة
وطالِعها ، فاتُّهِم بتوقُّع المكروه للدولة والتربص بها ، كما كان أعداؤه يُشيعون
عنه ، بما كان ينظر فى النجوم ؛ فتقبَّض عليه ، وبعث السلطانُ إلى داره ،
فرُفعت إليه كتبه أجمع ، وأُلفِى فى أثنائها — فيما زعموا — رقعة بأبيات أوّلها :

طغا بتونس خلْفٌ سمَّوْه ظُلما خليفهْ

فاستشاط لها السلطان ، وأمر بامتحانه ثم بقتله ؛ فقُتِل قَعْصا بالرماح وسْط محرم [٦٦٧]

---

(١) البأو : الكبر . (٢) فى الأصول : « فعدا »

من سنة ثمان وخمسين ، يعنى وست مئة . ثم أُحْرِق شلْوه ، وسيقت مجلدات كتبه ، وأوراق سماعه ودووايينه ، فأحرقت معه .

انتهى كلام ابن خلدون .

* * *

سينيته التى يستصرخ بهـــا أبازكرياءالحفصى

والقصيدةُ السِّينيَّة التى أشار إليها ابن خلدون ، كنت عزمت على ذكرها أول تراجم هذا الكتاب ، حين ذكرت أمر الجزيرة ، وأتيتُ بقصيدة صالح ابن شَريف ، فنَسِيتُ ذلك ، حتى قضى [الله] به الآن ؛ [وهى] من غُرر القصائد الطنانة ، وهذا نصّها :

أَدْرِكْ بِخَيْلِك خيلِ الله أندلُسَا ... إن السبيلَ إلى مَنْجاتها دَرَسَا

وهَبْ لها من عَزيز النصر ما التمستْ ... فلم يزلْ منكَ عزُّ النصر مُلْتَمَسا

وحاشِ مما تعانيـــه حُشاشتَها ... فطالَمَا ذاقتِ البلوى صباح مَسا

يا لَلجزيرة أضحى أهلُها جَزَرًا ... للحادثات وأمسَى جَـدُّها تعِسا

فى كلِّ شارقة إلمـــــامُ بائقة ... يعود مأتَمُها عنــد العِدا عُرُسا

وكلَّ غاربةٍ إجحافُ نائبَــة ... تَثْنى الأمانَ حِذارا والسُرورَ أَسا

تَقاسَمَ الرومُ لا نالت مَقاسمهم ... ولا عقائلَها المحجوبةَ الأَنَسا

وفى بَلنسية منها وقرطبـــــة ... ما يَنْسِفُ النفسَ أو ما ينزِفُ النَّفَسا

مدائنٌ حلّها الإشراكُ مُبْتسِما ... جَذْلانَ وارتحلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا

وصيَّرتها العوادى العـابثاتُ بها ... يستوحشُ الطَّرفُ منها ضِعْفَ ما أنِسا

فمن دساكرَ كانت دونَها حرَما ... ومن كنائسَ كانت قبلَها كُنُسا

يا لَلمساجد عادتْ للعِــدا بِيَعًا ... ولِلنِّداء غــدا أثناءها جَرَسا

لَهْفى عليها إلى اسْــتِرْجاع فائتِها ... مَدارسًا للمثانى أصبحتْ دُرُسا

وأربعًا نَمنمتْ أيدى الربيع لها ... ما شئتَ من خِلَعٍ موْشيَّةٍ وكُسا

كانت حدائقَ للأحداق مونقةً ... فصوّح النضر من أدواحها وَعَسا

وحال ماحَوْلها من منظرٍ عَجَب ... يستجلِسُ الركبَ أو يستركِبُ الجُلَسا

سَرْعانَ ماعاثَ جيشُ الكفر واحَرَبا ... عيثَ الدَّبا فى مغانيها التى كَبَسا

وابتزَّ بزَّتَها ممـــا تحيَّفَها ... تَحيُّف الأسَدِ الضَّارى لما افترسا

فأين عيشٌ جنيْناه بها خَضِرًا ... وأين(١) غصن جنيناهُ بها سَلِسا [٦٦٨]

حمى محاسنَها طاغٍ أُتيح لها ... ما نام عن هَضْمِها حينا ولا نَعَسا

وَرَجَّ أرجاءها لما أحاط بها ... فغادر الشُّمَّ من أعلامها خُنُسا

خلا لَهُ الجوُّ فامتدتْ يداه إلى ... إدراكِ ما لَمْ تطأْ رِجْلاه مُختَلِسا

وأكثر الزعمَ بالتَّثليثِ منفردا ... ولو رأى راية التوحيد ما نَبَسا

صِلْ حبلَها أيُّها المولى الرحيمُ فما ... أبْقى المِراسُ لها حَبْلا ولا مَرَسا

وأحْيِ ما طَمَستْ منها العُداة كما ... أحييْتَ من دعوة المهديِّ ما طُمِسا

أيام سرتَ لنصر الحق مُسْتبِقا ... وبتَّ من نور ذاك الهدْى مُقْتَبِسا

وقمتَ فيها بأمر الله منتصرا ... كالصَّارم اهتزَّ أو كالعارض انْبَجَسا

تمحو الذى كتب التجسيمُ من ظلَمٍ ... والصبْح ماحيــةٌ أنوارُه الغَلَسا

وتقتضى المَلِكَ الجبــارَ مُهْجتَه ... يومَ الوغى جهْرَةً لا ترقُب الخَلَسا

هذى رسائلُها تدعوك من كثَبٍ ... وأنت أفضلُ مرجُوٍّ لِمَن يَئِسا

وافَتْكَ جاريةً بالنُّجْح راجيــةً ... منكَ الأميرَ الرِّضا والسَّيد النَّدُسا

خاضتْ خُضارةَ يُعلِيها وَيخفضُها ... عُبابُه فتُعانِى اللِّينَ والشرَسا

وربما سبحتْ والريحُ عاتيةٌ ... كما طلبتَ بأقصى شَدِّه الفَرسا

تؤمُّ يحيى بن عبد الواحد بن أبى ... حفصٍ مقبِّلةً من تُرْبه القُدُسا

---

(١) فى ط: «فأى عيش ... وأى».

مَلْكٌ تقلدَتِ الأملاكُ طاعتَه ... دِينًا ودُنْيا فغشَّاها الرِّضا لِبَسا
من كل غادٍ على يُمْناه مُستلِما ... وكلِّ صادٍ إلى نُعْماه مُلْتَمِسا
مؤيَّدٌ لو رَمَى نجما لأثبَتَه ... ولوْ دعَا أُفُقًا لبَّى وما احْتَبسا
تالله إنَّ الذى تُرْجَى السعودُ له ... ما جال فى خَلَد يوما ولا هَجَسا
إمارَةٌ يحمِلُ المقدارُ رايتَها ... ودولةٌ عزُّها يَسْتصحِب القَعَسا
يُبْدِى النهارُ بها من ضوئه شَنَبًا ... ويُطلِعُ الليل من ظلمائه لَعَسا
ماضى العزيمة والأيامُ قد نكَلت ... طَلْقُ المُحَيَّا ووجهُ الدهر قد عَبَسا
كأنه البدرُ والعَلياءُ هالتُه ... تَحُفُّ من حوله شُهْبُ القنا حَرَسا
تدبيرُه وَسِع الدنيا وما وَسِعَتْ ... وعُرْفُ معروفه واسَى الوَرَى وأَسا
قامتْ على العدلِ والإحسانِ دولتُه ... وأنشَرتْ من وُجودِ الجودِ ما رُمِسا
مباركٌ هَدْيُه بادٍ سكينتُه ... ما قام إلّا إلى حُسْنى ولا جَلسا
قد نوَّر اللهُ بالتقوى بصيرتَه ... فما يبالى طُروقَ الخطب مُلْتبِسا
بَرَى العُصاةَ وراشَ الطائعين فقُلْ ... فى اللَّيث مفترسًا والغيثِ مُرْتَجِسا
ولم يغادِرْ على سَهْلٍ ولا جَبَلٍ ... حَيًّا لَقاحًا[1] إذا وفَّيتَه بَخَسا
فرُبَّ أَصْيَدَ لا تُلْفِى به صَيَدًا ... ورُبَّ أشْوسَ لا تَلْقَى له شَوَسا
إلى الملائك يُنْمَى والملوكِ معًا ... فى نَبْعة أثمرتْ للمجد ما غَرَسا
من ساطعِ النور صاغَ اللهُ جوهرَه ... وصان صِيغتَه أن تقربُ الدنَسا
لهُ الثَّرى والثُّريَّا خُطَّتان فلا ... أعزَّ من خُطَّتَيه ما سَمَا ورَسا
حسبُ الذى باعَ فى الأخطارِ يركبُها ... إليه مَحْياه أن البَيْع ما وُكِسا
إن السعيدَ امرؤٌ ألْقى بحضرته ... عصاهُ مُحتزِمًا بالعَدل مُحْترِسا

[٦٦٩]

(١) حيا لقاحا : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصبهم سباء .

فظلّ يُوطِنُ من أرجائها حَرَمًا ... وبات يوقِدُ من أضوائها قبَسا
بُشرى لعبدٍ إلى البابِ الكريم حَدَا ... آمالَه ومن العَذْبِ المَعِين حَسا
كأنما يمتطى واليمنُ يصحبُه ... من البحار طريقا نحوَه يَبَسا
فاستقبلَ السَّعدَ وضَّاحا أسرَّتُه ... من صفحة فاض منها النورُ وانعكسا
[وَقَبَّلَ الجودَ طفَّاحا غواربُه ... مِنْ راحة غاصَ فيها البحرُ وانْغَمسا]
يأيها الملكُ المنصور أنتَ لها ... عَلْياء توسِعُ أعداء الهدى تَعسا
وقد تواترتِ الأنباء أنَّك مَن ... يُحْيى بقتْل مُلوك الصُّفرِ أندلُسا
طهِّر بلادَك منهم إنَّهُم نجَسٌ ... ولا طهارةَ مالم نَغْسِل النَّجَسا

تنبيه : « نغسِلِ النَّجَسا » ، هكذا ثبت بالنون ، كما رأيته فى بعض النسخ العتيقة ، وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالتاء ، لأنَّ مثلَه لا يصلح للمخاطبات السلطانية ، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالتاء ؛ والصواب ما قدّمتُه من أنه بالنون ، والله أعلم .

وأوْطِئِ الفيلقَ الجرار أرضَهمُ ... حتى يطأطِئَ رأسًا كلُّ من رَأَسا
وانصُرْ عَبيدا بأقصى شرْقها شَرِقت ... عيونُهم أدمُعا تَهْمِى زَكاً وخَسَا(١)
هم شيعةُ الأمر وهْى الدارُ قد نُهِكتْ ... داءً وما لم تباشر حَسْمَه انتكسا
فاملأ هنيئا لك التأييدُ ساحتَها ... جُرْدًا سلاهبَ أو خَطِّيَّة دُعُسا
واضرِبْ لها مَوعِدا بالفتح ترقُبه ... لعلَّ يومَ الأعادى قد أَنَى وعَسَى

انتهت القصيدة .

[٦٧٠]

* * *

(١) الزكا : الزوج ؛ والخسا : الفرد .

ارتجاله بيتين في حضرة المستنصر

وذكر غيرُ واحد أنه دخل مرة على المستنصر بالله الحَفْصِيّ ، فلما مَثَل بين يديه آنسه بإقباله وسؤاله ، فأنشده الحافظ رحمه الله :

بُشْرایَ باشرْتُ الهُدَى والنورا بلِقـائِیَ المستنصر المنصـورا
فإذا أمـيرَ المؤمنين لقِيتُه لم أَلْقَ إلا نَضْرةً وسرورا

* * *

رسالته للمستنصر

ومن بديع نثره رحمه الله رسالتُـه الحافلة ، التي كتب بها المستنصر ، وهى الرسالة الغريبة مَساقا ، المتلألِئة نظما واتساقا ؛ التي لم يُنسَج على مِنوالها ، ولم يأتِ أَحَدٌ بمثالها ؛ يصف وصول الماء إلى تُونس ، ويشير فى ذلك إلى إشارات عجيبه ، تدل على أن قَرِيحته الوقّادة لداعى الإجابة مجيبه ؛ وهى :

الحمد لله حمدًا لا نُقلّله . هذا الزمان الذى كنا نؤمِّلُه ، « بلدةٌ طَيِّبةٌ ورَبٌّ غَفُور » ، ودولةٌ مباركة لمحاسنها سفُور .

إلى أبى حَفْص آلُوا ، فهل جالت النجوم حيث جالُوا ، أو نالت الملوكُ بعضَ ما نالوا ؛ مُلْك يشتمل الإقبال ، وعز يُقلقل الأجبال ؛ وكرم صريح الانتماء ، فى النماء ، وشرف سَمَت ذوائبه على السماء ؛ إلى عدْلٍ وإحسان ، هما قِوام نوع الإنسان ؛ مع رِفْقٍ وإسْجاح ، ضَمِنا كل فوز ونجاح ؛ فقد آضت الظلماء أنوارا ، وفاضتْ البركات أنجادًا وأغوارا ؛ أليس العامُ ربيعا ، والعالمُ جميعا ؛ والسعود طالعَهْ ، والعصور طائعهْ ؛ مصالح الأعمال تُحَلّيها ، وعلى مَنَصّات الـكمال تُجَلّيها ؟ فمن ذا أيها المولى يجاريك إلى مدَى ، أو يباريك فى إقدام صادق ونَدَى ، وآياتك للأبصار هُدَى ، وحياتك للـكفّار رَدَى ؛ بسيرتك عَدَل الدهر وما جار ، ولولا نور غُرتك ما أنار ؛ لقد حَسُنَت بك الأوقات ، حتى كأنك فى فم الزمن ابتسام ، أعرقْتَ فى المَجْدِ والعَلْيا ، وعُنِيتَ بالدين فَعَنَتْ لك الدنيـا ؛

أىَّ عنيدٍ أو عميدٍ ما ألقى باليَد ، واتقى فى اليوم عاقبة الغدِ ؛ إصفاقا على التعوُّض بصفحك و إسعادك ، و إشفاقا من التعرُّض لصفاحك وصِعادك ؛ تَعمُر بالحسنات آناءك ، وتَتْبَع فى القُرُبات آباءك ؛ بانيا كما بَنَوْا ، بل زائدا على ما أتَوْا ، و باديا من حيث انتهوا : [٦٧١]

أُناس من التوحيد صِيغَتْ نفوسُهمْ فزُرهم تر التوحيد شخصًا مركَّبا

ومن ساكباتِ المُزْنِ فيْضُ أكُفِّهم فَرِدْهُمْ ترى ماءَ الغمام وأعْذبا

أمْجَادٌ أجواد ، فى الحِبَاء بِحار وفى الحُبا أطواد ، تقيَّلَ أبو زكرياءَ نهج أبى مُحَمَّد ، وأُيِّدا جميعا بأبى حَفْصٍ المؤيَّد :

نَسَبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحَى نورا وَمن فَلَقِ الصَّــباح عمودا

أولئك صَفْوة الأئمهْ ، وحفَظَة الأذِمَّهْ ، والقائمون دون الأمهْ ، فى الحوادث المدلهمَّهْ ، وهـذه الدولة المحمديهْ ، الخالدة بمكانها الدعوةُ المهديهْ ؛ إليها انتهت المراشد ، وعليها التفَّت المحامد ، وبها اعتزَّت حين اعتزَتِ العناصرُ والمحاتد ؛ ومن خصائصها انفعالُ الوجود ، ومن مراسمها الإيثار بالموجود ، والبِـدار إلى إغاثة الملهوف و إعانة المنجود ؛ ما بَرِحت للخيرات إيضاعها وخَبُّها ، و بالصالحات غرامُهَا وحُبُّها ؛ حتى لقد فهِمَتْ أسرارَها ، وأُودِعَتْ أنوارَها ، وكُلِّفَتْ أو كَفَلَتْ إفشاءَها و إظهارها ؛ يمينا أن يمين الحق به طولَى ، ولَلآخرة خير لها من الأولى ؛ بمولانا أيَّدَهُ الله عَزَّ مكانُها ، وخُلِّدت سديدةً آثارها ، شديدة أركانها ؛ لا جَرَم أنه الطاهر كالمـاء الذى جلبه للطهارة ، والظَّاهر ولاءً ولِواء فى مَصْعَد الخلافة ومقعد الإمارة ؛ بالسعادة الأبدية وَجْدُهُ وكَلَفُه ، وما همُّه إلا تجاوزُ ما أسلفه سلَفُه ؛ فجَّرَ من الأرض يَنبُوعا ، وجدد للجدوَى رسوما عافيةً ورُبوعا ؛ ساحته الحرَم ، وهو زمزم قُصَّاده وحُجَّاجِه ؛ وراحته البحر الخِضَمُّ ، غيرَ

[٦٧٢] طَعمِه وارتجاجه ؛ ما أظهره خِلالا ، وأبهره جلالا ، « هكذا هكذا و إلا فلا لا » ؛ غابت كماة المعارِك وشهِد ، ونامت وُلاة الممالك وسَهِد ؛ فمتى قَسَطوا أَقسط ، و إذا غَوَّرُوا أَنْبط ، ولذلك ما أبطل عمله أعمالَهم وأحبط ؛ غلبهم على صِفَتَىِ النَّدَى والباس ، وسَلبَهم مَنْقَبَتَىْ حمزة والعبّاس .

قال جامع هذا المصنَّف : أشار الإمام ابن الأبّار بقوله : « مَنقبتى حمزة والعباس » إلى شجاعة حمزة الشهيرة الذكر ، وثباته الذى يجِل عن الفكر ؛ و إلى استسقاء عمر بالعباس رضى الله عنهما ، فأتى من الحيَا ما عمّ بالإحيا ، وهمر من الماء ما شَفى بعميم الإرواء ، نفوس الظِّماء ؛ والله أعلم .

رجع الى كلام ابن الأبار

فلا غروَ أنَّ من أمَّنَ ووقَى ، ثم لما كسا وأطعم سقى ؛ آيةُ نُعْمَى وَفَّتْ بالميعاد ، وحُسْنَى مثلُها يعود المعَاد ؛ وأتَتْ بماء مَعين قد أصبح غَوْرا ، وملأت ما بين لابَتَيْها جِنانا تَرِفُ ظِلًّا وتَرِقُّ نَوْرَا ؛ فيابُشرَى لتونسَ أخصبَ جديبها ، وأحسَنَ وصفَ الروض والغدير أديبُها ؛ وطالما[(١)] أطلعتْ صحراء بل بغضاء[(١)] ، فكم للإمارة قِبلها من يد بيضاء ؛ غُشِّيَتْ حِبَرَ الحبور والسرور ، وعُوِّضَتْ بَرْدَ الظِّلّ من وهَج الحُرور ؛ خمائل وجداول ، تزاول منها العينُ ما تُزاول ؛ تلك يضِلُّ من أحصاها ، وهذه يَصِلُ بها حصاها ؛ ويا لَقصرها السعيد ! نَعِمَتْ أدْواحه ، وهبَّت على خُضْر الأغصان وزُرْق الغُدران أرواحه ؛ هذا و إن بات السماح المفاض يسقيه ، والجَوْدُ[(٢)] الفَضْفاض ينقَع فؤادَه ويشفيه ؛ وهنيئًا للمسجد الجامع أنْ رَويت جوانحه الصَّاديه ، وجُمِعَتْ فى شِرعته السارِيةُ والغاديهْ ؛

(١ — ١) كذا فى الأصول . (٢) فى س : « الجو » .

فها هو فجرُه بادى الغُرَر والأوضاح ، وصخره منبجسٌ بالزُّلال القَرَاح ؛ وللجمهور بصفوه المُنْساب ، لهَجُ الغُيَّاب بالإياب ، وطرَبُ الشيِّب لذكر الشباب ؛ [٦٧٣] أمْسَوا قد سُوِّغوا مآربهم ، وأضْحَوا قد علِم كل أناس مَشْرَبَهم ؛ فهم يرِدُون على العذب النَّمير ، ويَجِدون برَكَةَ رأْىِ الأمير ؛ مَكْرُمَةٌ ذَخَرها لسلطانه الزمان ، وكرامةٌ هَنَأَها به الإيمان ، وقضية إن حُجِبَتْ عن داود فما حُجِبَ عنها سُليمان :

جمَعْتَ للناس بين الرِّىِّ والشِّبَعِ ... فهم بأخصب مُصْطافٍ ومُرْتَبَعِ
ولم تدَعْ كرمًا إلا أتيتَ به ... تُضيفُ مُبتدَعًا منها لمبتدَعِ
لما وَلِيتَ خلَعْتَ الخير أجمَعَهُ ... عليهمُ فبدَوْا فى أجمل الخِلَعِ
لله أيامُك استوفَتْ محاسنَها ... فلا فضيلة لِلأعياد والجُمَعِ
دامتْ مساعيكَ والأقدارُ تُسعِدها ... تُولِى(١) المساجد إنصافًا من البِيَعِ

اللَّهُمَّ إن الإيالة الحفصية قد أعْلَيْتَ مظاهِرَها ، ونَصَرْتَ معاشِرَها ، وقَصَرْتَ على المصالح الدينية والدنيوية مواردَها ومصادرَها ؛ ثم اصْطفَيتَ من شرف بيتها الصُّرَاح ، ومَعْدِن سُودَدِها الوَضَّاح ؛ مولانا الأميرَ الأجلَّ ، المؤيد المبارك ، أبا عبد الله ، فانتضيتَه حُسامًا فى يدك قائمُه ، وارتضيته إماما لا تلين فى ذاتك صرائمه ، ولا يَلْحَق شأْوَه فى النَّيْلِ مِن عُداتِك رائمه ؛ يَمْضِى بأسًا حين لا مَضاء للحُسام العَضْب ، ويَهْمِى جُودًا والسماء فى أزْرٍ من نجيع الجدْب ، ويَنْتَدِبُ سعْيا لكل حُسْنى أعيت على القريع النَّدْب .

فاقض اللَّهُمَّ لسلطانه بتأبيد التأييد ، وأدِمْ بأيامه المباركة نعمة التمهيد ، وضاعف عزَّةَ جانبه بأعزازه كلمة التوحيد . وَاجْزِه اللَّهُمَّ أفضل الجزاء ، عن

(١) فى م : « توفى » .

إفاضة النعماء ، و إنارة الظلماء ، وكافئه عن نَقْع الغُلَل والأَظماء ، بما فَجَّر من ينابيع الماء ، وكما شرّفتَ فعله فى الأفعال واسمه فى الأسماء ؛ فاجعله فى الدنيا داعيا إلى سبيلك ، وفى الأخرى هاديا إلى حوض رسولك ، صلى الله عليه وسلّم ، الذى آتيته بعدد نجوم السماء . [٦٧٤]

آمين آمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

مخاطبته رئيس منورقة سعيد ابن حكم

ومن بديع ما كتب به مخاطبا رئيس مَنُورَقَة سعيد بن حكم القُرشىّ ، رحمه الله تعالى :

إن سعيدَ بن حَكَمْ صِنْوُ العُلَا نجلُ الكَرَمْ
رَآسَةٌ بمثلها يفاخرُ السيفَ القلَمْ
وسُودَدٌ مجموعة فيه محاسنُ الشيم
مُعْتَمَدٌ من شأنِهِ رَعْىُ العهُود والذِّمَمْ
فاتَحَنِى مُمَهِّدًا إلى جوابه القَلَمْ
عادَةُ نَدْب أَرْوَعٍ خَصّ ببرِّه وعَمّ
فشكره فى كل حا لٍ ومآل مُلْتزَم
حَيَّا الحَيَا حضرتَهُ وجادَها ثَرُّ الدِّيَم

اقتضبتُها أيها السيد الأعظم ، والسَّند الأعصم ؛ أبقاه الله وجنابه مَحفُود ، ومَنَابُه(١) محمود ، وحِزبه مودود ، وشِرْبه مَورود ، ورواق السعادة ، والنَّضرة المفادة ، فوقه مَمْدود ؛ من دانيَة كلأَها اللهُ تعالى ، والوقت مضايِق ، والرُّعب مُلازم لايفارق ؛ وأنا بسيادته الأصيلة دائم الاعتداد ، وعلى عنايته الجميلة قاصر الأعتماد ؛ والله

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : « ومقامه » .

يُبقيه كاسمه سعيدا ، ويُسْمِيه مُبدِئا فى المَعْلُوات ومُعِيدا ، بمَنّه .

ووصلنى وصل الله حِراسته ، وكَلَأَ من الغِيَر والغِيَل رِياسته ، مخاطبتُه الكريمة الخطيره ، مشرِفة بالسؤال عن خاصِّ الأحوال ومُنيفه ؛ بما تضمَّنتْ مِن الاعتناء ، والبر المتوافر الأجزاء ، على الأمانىّ البعيدة والآمال ؛ فلثَمْتُ سطورها قياما بحقه الأكبَر ، ولَزِمت من شكره ما لا أقصِّر عنه بمشيئة الله تعالى ولا [٦٧٥] أقْصَر ؛ وكان الظنُّ بناديه الأشرفِ جميلا فقد عاد يقينا ، والأمل فيه مَتينا فعاد مُبينا ؛ ويعلم الله سبحانه أنّى أعَطِّر بذكره الأمكنه ، وأزكِّى بشكره الأزمنه ؛ وبُوُدِّى لو ركبتُ ثَبَجَ هذا البحر ، حتى أوفِّيَه بعض واجبه ، وأشافهه بما أجنح إليه ، وأنطوِى عليه ، مِن اعتماد جانبه ، وإحماد مقاصده الرياسية ومذاهبه ؛ وقد حَمَّلتُ فلانا عَصَمه الله ويَسَّر مَرامه ، وأدام حفظه وإكرامه ؛ من جُمل الإعظام ما يُؤَدِّيه مُفسِّرا ، وأفهمته أنى كاتَبْتُ معتقِدا خالِصا ومُضْمِرا ؛ وإن تفضَّل سيدى الأعلى حرسه الله بتكليف بعض أغراضه الكريمة ، شَفَع يَدَه البيضَاءَ بمثلها ، واستزاد مَعْلُوَةً لم يَزَلْ من أهلها ؛ وما يصدُر عن الجناب الرياسى أسماه الله من الالتفات إليه ، والاعتماد عليه ، فإنه معدود فى بِرِّه الجسيم ، ويَدٌ من أياديه التى أعيت على التعديد والتقسيم ، واللهُ يُعلِى مَحَلَّه ، ويُسْعِد عَقْدَه وحلَّه ؛ ويُسَوِّغُه من مَوْرد الإسعاد ، فى حالتى الإصدار والإيراد ، أَعلاه وأَجلَّه ؛ ويَصِل حراسته ، ويؤيد رياسته ، بمَنّه وكرمه .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يَخصُّ به مقامَهُ الأظهر ، مُلتَزِمُ إكباره وإجلاله ، المعتدُّ بتمامه فى السيادة وكماله ؛ محمدُ بن عبد الله بن أبى بكر بن الأبّار ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

* * *

وكتب إليه شافعا ومعتنيا

وكتب إليه أيضا شافعا ومعتنيا .

تعتمِدُ رياستَكمُ المؤمَّله ، وسيادتكم المُؤَثَّلة ، تحيَّةُ الشاكرِ لاعتنائها ، المباهى بسناها الوَضّاح وسَنائها ، المستديمِ للأحرار ، المُمْتطين إليها أثباجَ البحار ، شرفَ عَنائها(١) ، وكرمَ غَنائها ، محمدِ بن الأبَّار ، ولا مَزيدَ على ماعنده من إعظامٍ يُؤَدِّى وظائفَه ، واعتداد يشفع بتالده طارفَه ، وثناء يُعاطيه أولياء جلالكم ومَعارفَه ، والله يُصْعِد مكانكم ، ويُسعِد زمانكم ، بمنه وكرمه .

[٦٧٦] وتتأدَّى إلى رياستكم ، حفظها الله ، فى جانب أبى فلان ، أعزَّه الله ، وبلَّغه أبعد أمله وأقصاه ؛ وهو مَن علمتم مكانَ بيته النَّبيه مِنْ حَيِّه ، وسببَ نزوحِه عن وطنه المحبَّب ونأيه ، واستحقاقه بالمزايا المعلومه ، والسجايا الكريمه ، لإجزال حفظه ورَعْيه ؛ وما زال لِكمالكم واصفا ، وعلى تعظيم جانبكم والإفصاح بواجبكم عاكفا ، إمضاءً لما أكّد بينكم وبينه سالفُ الأيَّام ، وتمييزا بحفظ الود الذى لا يحفظه غيرُ الكرام .

ومن مَطالبى له ، حملُه من التكرمة والتقدمة على النهج الأقوم ، وإنزالُه من جلالكم ، هُنَا وهُنَالِكُم ، مَنزلةَ المُحَبِّ المكْرَم ؛ وتوصية المخصوص بالسفارة فى أشغالكم المباركة ، بأن يستصحبه عند الإياب ، ويُورِدَه محفوظ الجانب على ذلكم الجَناب ؛ واختصاصه مع ذلكم بمخاطبةٍ كريمة ، ترفعه مكانا عليًّا ، ويكون لما يَرِد عليه ، ويَخْلُص بمشيئة اللهِ إليه ، عُنوانا جَليًّا ؛ ومَجْدُكم حرسَه الله يغتفِر جِناية الإذْلال ، ويُبْلِغ نِهاية الآمال ؛ والله يُبْقِى رِياستكم تَجْبر الكسير ، وتُيَسِّر المَرام العَسير ؛ وهو سبحانه يُؤيِّد مَقامكم ، ويُكافئ إنعامَكم ، بمنه .

---

(١) كذا فى م . وفى ط ، ص : «مناِبها» .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يعتمد مَحَلَّكم الرياسيّ ، بدءًا وعَوْدًا ، ورحمة الله تعالى و بركاته .

* * *

تهنئته أبا المطرف ابن عميرة بقضاء شاطبة

وكتب يهنئ الفقيه الأجلّ القاضى أبا المُطَرِّف بن عَمِيرة بولايته قضاء شاطبة :

بأىِّ بنانٍ أم بأى بَيانِ تَخُطُّ وتُملِى شُكْرَها المَلَوانِ

لِولاية عَقَد لِواءَها الوُجوب ، وأسْفَرَ وجْهُ محاسنها المحجوب ؛ فأشرق لألاء مُحَيَّاها ، وتعاطَى الأولياء حُمَيَّاها ؛ فما شئتَ من جَذْلان يُحَبِّر شُكرا ، ونَشْوانَ [٦٧٧] يَجْهَرُ سُكْرا ؛ يَترَنَّم كالشادِي الباغِم ، ويَترَنَّحُ كالغصن الناعم ، وكَلَّا أصلح الله قاضينَا الأعلى ، لا نُكر ، على من يصف حالة السُّكْر ؛ و إن تناهَى طَرَبا ، وقضى من رفض الأناة أرَبا ؛ فالمُرتاح لا يَتماسَك ولا يتمالَك ، والارتياح لا يُهلِكُ أحدًا على راحه يتهالك ؛ لا جَرَم أنه تسمو به الجدود ، وتُدْرَأُ عنه بالشُّبُهات الحدُود ؛ ويأيُّها المولى المُوَلى أشرف الخُطَط ، الضيقُ عن عادِيِّ جَلالِه ، وخَالِدِيِّ خِلالِه ، أرحبُ الخِطط .

قال جامعُ هذا الموضوع أحمد بن محمد المَقَّرِيّ وفَّقَه الله :

أشار ابن الأبَّار بقوله : « وخالدِيّ خلاله » إلى أن أبا المطرِّف من ولد خالد بن الوَليد رضى الله عنه ، فاعلم ذلك .

رجع الى كلام ابن الأبار :

ما نَبأٌ تهاداه النَّجْد والغَوْر ، واقتسم الحياةَ والموتَ به العدلُ والجَوْر ؛ سُوِّغ المجدُ المُنيفُ نِطافَه ، وهزّ له الدين الحنيف أعْطَافَه ؛ حين قَرّ الحكم الشرعىّ فى نصابه ، وشُفِى من آلامه وأوصابه ، وأُرْغِم المناصِبُ لذلك بِنَصْبِه

وانتصابه ؛ وسُرَّ مَعلم العِلْم فأسار بِرُه مُتهلّله ، وسُلّ حُسام الحق ، فأبطال الباطل متسلّله ؛ وأشرِع سِنَانُ الشَّرع ، فكل مُعْتَدٍ بالجَهالة مُعْتَدِل ، وهبّ نسيم المهابة ، فكل مُعْتزٍ للسَّفاهة مُعْتزِل ، أمَا وخُطَّةٍ خَطَبَتْ مِنك أكْفَى أكفائها ، وأقرت عينَ الهُدى بتعيينها لك وهِدائها ، لقد عُصِبَتْ بقاضٍ يسعى للقوم ويَسعَد ، ونِيطت بماضٍ يَنهَضُ فى ذات اللهِ ويَنْهَد ؛ ولا عَجَبَ أن آثَرَتْ جَلالَه ، واعْتَمَدتْ خِلالَه ، فلم تَكُ تصلُح إلاَّ لَه ، فهنيئا لها ما أُلبستْ من شرف خالد ، وأَنْ حُرِسَتْ بأقلامِ ابن سَيْف الله خالد ؛ ويا لَبَلْدَةٍ وَطِئَ تُرْبتها ، وبُوِّئَ رُتبَتها ؛ ما أخصبَ عيشتَها وأرغدَها ، وأسْعدَ يومَها وغدَها ! وماذا بها مِنْ دين ودنيا ، ومَجْد وعَليا ؛ إذ جَمَعَتِ المهاجرين إلى الأنصار ، وأطْلَعَتْ محامدَها ومحاسنها مِلْءَ الأسماع والأبصار ؛ لا زالت حَوْزَتُها تحوز الأكابر ، [وإمْرَتُها تَعُزُّ عِزَّتُها المُكابر] ؛ ودام عمادُنا المفضِل ، وعِمادُنا الُمخْضِل ؛ بين وليّ شاكر حامد ، وعدو كاشر حاقد ؛ يَنزِلُ الرتب المنيفه ، ويَطُولُ به مالكٌ أبا حنيفه ؛ والله يُنهِضه بما تقلّد ، ويُخلّد مجدَه الأوْلَى بأن يُخلَّد .

[٦٧٨]

والسلام الأتم الأكمل يخصُّه كثيرا ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

***

وكتب شافعا فى فك أسير

وَكتب رحمه الله إلى رئيس شاطبة أبى الحُسين بن عيسى ، شافعا فى فكِّ أسير ، وتيسير عسير :

كتبته إلى سيدى ، حرس الله شرَفه العِبَادى ، وكلأ كنفه السِّيادىّ ، ولا مَزِيد على ما عندى من الإعظام لرفيع جانبه ، والقيام بكبير واجبه ؛ والله يحفظ شرف بيته العَتيق ، وحديثَ قديمه الفائتَ بطيبه المسكَ الفَتيتَ الفَتيق ؛ ومؤدِّيه فلانٌ أدام الله حفظه وعصمته ، وأتمّ عليه إحسانه ونعمته ؛ والمذكور

يَمُتُّ إليكم بقديم الإخلاص ، ويرغب أن يُنْظَمَ لديكم فى أهل الاختصاص ؛ وقد بلغكم ما نابه من غِيَرِ الدّهر ونُوَبِه ، وكيف نَشِب فى حِبالة الأسْر الذى أتى على نَشَبِه ؛ وعِلْمُكُمْ بنباهة بيته أغنى عن التنبيه عليه ، وفضلكم كفيل بتسبيب الإحسان إليه ؛ وقد وَثِق بسعيكم الكريم فى جَبْر كَسْرِه ، وأمّل سيادَتكم للتهمُّم بأمره ، والتَّصريف فيما يَصْرِف عليه بعض ما بُذِل فى خلاصه من أسْره ؛ ومثلكم اصطنع أمثاله ، وآثر فيما يليق بنباهته استعماله ؛ والله يُعْلِى شأنكم ، ويَحْرُس مكانكم ، والسلام . [٦٧٩]

* * *

وكتب أيضا شافعا بما نصّه : (وكتب أيضا شافعا)

تلك السجايا العِذاب ، والكرم اللُّباب ، والساحة التى ألْبَسها جِدَّته الشَّباب ؛ مخصوصةٌ بتحية التوقير والتكبير ، المعبِّرة أنفاسُها العبِقة عن العَبير . ومُنْهيها من زانَ قومَه الأمرُ والنهى ، وحَسَمَ قضاؤهم وعطاؤهم الوهْن والوهْى ؛ فُلَان ، جمع الله له بين الأوطار والأوطان ، وأعاده إلى عادته من عزة الجوانب وشدة الأركان ؛ وهو كَرِيمة كِرام ، آمَتْ بعدهم الأيام ، وشكا فقدَهم الأنام ، ولبِسَتِ الحِدادَ عليهم الأسيافُ الحِداد والأقلام ؛ وما بانُوا ولا بادوا إلا وأياديهم أطواق فى الرقاب ، وتشريفهم باقٍ فى الأعقاب ، على مر الأحقاب .

وهذا فلان عَرّفه الله إسعادَ الأقدار ، وأعفى مشاربَه ومشارعَه من الأكدار ؛ يَروق وَقارُه ، ويَكرُم سِبارُه(١) ، وعَيْنه فِرارُه ؛ وأدنى حِلاه الطَّلَب ، وبعض خصائصه الأدب ؛ ثم شأنُه الأخطرُ شانه ، ومكانُه من حيه الذى يتقدّم الأحياء مَكانُه ؛ ورأى عند أخذه فى النُّقْلَه ، وعزمه على الرِّحْله ؛ أن يستصحب إلى

---

(١) سباره : يريد اختباره . والسبار فى الأصل : ما يسبر به غور الجرح .

مجدكم هذه الحروف ، ويستدفع بعلوم جَدِّكم الصروف ؛ وإن تأمَّلْتم ماله من سَمْتٍ وَسِيا ، أَقْبلتُمُوهُ وجْه الإقبال وَسِيا ؛ وأوليتموه من رعْى الحق الواجب ، ما يراه ضُرَبَاؤكم ضربةَ لازب ؛ واللهُ يُبقيكم للمكارم تُشَيِّدون رسومها الداثرة ، [٦٨٠] وتُنَظِّمون عقودها المتناثرة ؛ وهو تعالى يكلأُ محلكم الرحيب ، ولا يُعْدِمكم من الزمان وأهله التَّرْجيب(١) والترحيب ، والسلام .

* * *

وله فى المجبنات

ومن نظمه رحمه الله قوله فى المُجَبَّنات :

بنفسِىَ مُثْلِجاتٌ للصدورِ ... لها سَمْتان من نارٍ ونورِ
حواملُ وهْى أبكارٌ عَذارَى ... تُزَفُّ على الأَكُفِّ مع البُكور
كبَرد الطَّلِّ حين تُذاق طَعْمًا ... وفى أحشائها وهَجُ الحُرور
لها حالانِ بين فم وكفٍّ ... إذا وافتكَ رائعة السُّفُور
فتغرُب كالأهلة فى لَهَاة ... وتطلعُ فى يمينٍ كالبدور

* * *

وله يشكو الزمان

وقوله يشكو الزمان :

تحيَّف حالتى حيفُ الزمانِ ... وصِدْقُ اليأس مِنْ كَذِبِ الأمانِى
وبَرَّتْ فى أَلِيَّتها الليالى ... بترْويعى فإنى بالأمان
أما قنعت وقد كلِفتْ بهضْمى ... وضيمى دون أبناء البيان
أحاول أن أَقومَ لما يُوَاتِى ... فَتُقْعِدُنى الخطوب بلا توانى
وأَطْباقُ الثَّرى بالحُرِّ أحْرى ... إذا أَلْفَى الثَّراءَ من الهوان
فهل من آخذ بيَدَىْ أخيذٍ ... بعين الله شِدَّةُ ما يعانى

(١) الترجيب : التعظيم .

أيَا مَا أشْتكيه مِنْ أيَامَى عوارٍ فى يَدِ البَلْوَى عوانى
وما أبْقى على تَلَفِى دليلا كفانى أننى حىٌّ كفانى

* * *

وقوله أيضا :

يعيِّرنى قومى بجفوة سلطانى ويَشْفيهم شَكْوى بنبْوَة أوطانِ
يرَوْنَ خُمولا عُطلتى لتوقّى وتلك على مَحْض النباهة برهانى
وقالوا خُفوفٌ قلتُ لا بل رجاحة كفتنىَ إلقاءً بكَفِّى لإذعان
إذا عهِدونى للنزاهة راكبا فصعْبُ الأسى سهلٌ وإنْ هدَّأركانى

* * *

وقوله أيضا رحمه الله :

علَتْ سِنِّى وقدرى فى انخفاضِ وحُكم الرَّب فى المربوب ماضِ
إلى كم أسْخَطُ الأقدارَ حتى كأنِّى لم أكُنْ يوما براضى

* * *

وله فى التسليم للمقدور

وقال أيضا فى معنى التسليم للمقدور : [٦٨١]

أما إنه قد خُطَّ فى اللوح ما خُطَّا فلا تعتقد للدهر جَوْرًا ولا قِسْطَا
ولا تَسْخَطِ المقدور وارضَ بما جرى عليك به إن الرضا يفضُل السُّخطا

وقال أيضا رحمه الله فى معناه :

إلامَ فى حَلٍّ وفى ربطِ تَخبِطُ جهلا أيّما خَبْطِ !
دع الورى وارجُ إله الورى فإنه ذو القَبْض والبسط
ليس لما يُعطيه مِنْ مانع ولا لِمَا يمنعُ من مُعْطى

* * *

وله يعارض الرصافى فى وصف نهر

وقال رحمه الله معارضا للرُّصافى فى أبياته التى أولها :

« ومهذَّبِ الشطين تحسب أنّه »

بقوله :

ونهر كما ذابتْ سبائكُ فِضَّة حكى بمحانيه انعطافَ الأراقِمِ
إذا الشفقُ استولى عليه احمرارُه تبدَّى خضيبا مثلَ دامى الصوارم
وتحسبه سُنَّتْ عليه مُفاضةٌ لإزهاب هبّات الرياح النواسم
وتُطْلِعهُ فى دُكنة بعد زُرْقة ظِلالٌ لأدواحٍ عليه نواعم
كما انفجر الفجرُ المُطِل على الدُّجى ومِنْ دونه فى الأفق سُحْم الغمائم

وله فى معناه أيضا

وقال أيضا فى معناه :

سَقْيًا لروض رُدْتُه رَأْد الضحا وحمامُه طربا يناغى البُلْبُلا
شتَّى محاسنُه فمِنْ زَهْر على نهر يسيل كالحُباب تَسَلْسَلا[1]
وكأنما حَمِىَ الربيع لِقطفه واستلَّ منه يذود عنه مُنْصُلا
غَرَبت به شمسُ الظهيرة لا تَنِى إحْرَاق صفحته لهيبا مُشعلا
حتى كساه الدوحُ من أفيائه بُرْدا تمزَّق بالأصائل هَلْهلا
وكأنما لَمْعُ الظِّلال بمتنه قِطَع الدماء جَمَدْن حين تخللا

وله فى معناه أ[يضا]

وقال فى معناه أيضا :

لله نهرٌ كالحُبابْ ترقيشه سامى الحَبابْ
يصف السماءَ صفاؤه فحصاه ليس بذى احتجاب
وكأنَّمـا هو رِقَّةً مِن خالص الوَرِق المذاب

---

(١) م : « تسللا » .

[٦٨٢]

غازلتُ فى شَطَّيه أبـــكار المُنَى عَصْرَ الشباب
والظل يبـدو فوقه كالخال فى خد الـكَعاب
لا بل أدارَ عليه خَوْ فَ الشمس منه كالنِّقاب
مثل المجَرَّة جرّ فيها ذيله جَرّ السـحاب

* * *

وله فى تمثال نعل النبي

وقال فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

سَجَامٌ لعَمْرى أدْمُع وسِـجَال لِأنْ عَزَّ من نعل الرسول مثالُ
وهل يملكُ العينين فى مثلها سِوى خليّ عداه عن هُداه ضـلال

ومنها :

مثالٌ إلى نعل المُطَهَّر يَعْتَزِى فإعْزازُه للحُسنَيَيْن مَنـال
أُقبِّـله شَوْقا تملَّكنى لِمَـا حكى وشَهيدى لوْ يفوهُ قِبال
وَإلّى اشتراكٌ فى التزام شراكه وحسْبِىَ منـه عصمةٌ ومَنال
ومعْقِدُه مما عقدتُ به الهوى فلا صحّ عزمى إن صحا لىَ بال
مرادىَ من تمريغ شيبى عليه أن تَسِـحَّ من الرُّحمَى علىّ سِجال
ومن وضعه فى حُرِّ وجهى ورفعه لِقمَّـــــة رأسى أن يَعِزّ مآل
فأحْظَى بحظّى من جِوار محمد وهـل بَعْدَ تنويل الجوار نوال

وله فى ذلك المعنى أيضا رحمه الله :

لمثال نعل المصطفى أُصْفِى الهوى وأرى السلوّ خطيئة لن تُغْفَرا
إذا أصافحه وأمسح لاثما أركانه فمعـــــزّزا وموقّرا
اعتزازى فى جِهار تذلّلى لجـــــلاله أثرًا بقلبى أثَّر

إن شاقنى ذاك المثالُ فطالما شاق المحبَّ الطيفُ يَطْرُقُ فى الكرى

لى أُسْوة فى العاشقين وقصْدُهم لَثْمُ الطُّلول لأهْلِهن تذكُّرا

وبكاؤهم تلك المعاهدَ ضِلّةً تحت الظّلام على الغرام توفُّرا

أفلا أُمرِّغُ فيه شيبى راشدا وأريق دمعى وسْطَه مستبصرا

ثقةً بإثرائى مِنَ الخيْراتِ فى شَغَفِى بنَعْلىْ خيرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرى

* * *

[٦٨٣] وقال فى التشوق إلى الضريح الشريف على الدفين به صلوات الله وسلامه :

وله فى التشوق إلى الضريح النبوى

لَوْ عَنَّ لى عَوْنٌ من المقدار لهجرتُ للدار الكريمة دارِى

وحللتُ أطيبَ طِينة من طَيْبة جارا لِمَنْ أوْصَى بحفظ الجار

حيثُ استبانَ الحقُّ للأبصار لَمَّا استثارَ حفائظَ الأنصار

يا زائرين القبرَ قبرَ محمـــد بُشْرى لكم بالسبق فى الزُّوَّار

أوْضَعْتُمُ لنجاتكم فوضعتمُ ما آدكم من فادِح الأوزار

فوزوا بسبقكمُ وفوهوا بالذى حَمَّلتكم شوقا إلى المختار

أدُّوا السلامَ سلِمْتمُ وبرَدِّه أرجو الإجارة من وُرُودِ النار

[استطراد لما قيل فى نعل النبي صلى الله عليه وسلم]

قلت : وإذْ جرى ذكرُ النعل النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فلا بُدَّ أن نورد جملةً مما قيل فى مثالها على جهة التبرُّك ، والتوصُّلِ بصاحبها إلى الله سبحانه ، أن يُفرِّجَ عنا بجاهه كُرَبَ الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة ؛ وظفروا بالمقام الأسنى ، وفازوا بالزيادة والحسنى .

لمحمد بن فرج فى نعل النبى مخمسا لأبيات أبى الربيع ابن سالم

فمن ذلك قولُ الشيخ أبى عبد الله محمد بن فَرَج ، مخمسا لأبيات الإمام الشهير أبى الربيع بن سالم الكلاعى ، رحمه الله ، التى على رَوِيِّها وقافيتها سلك ابنُ الأبّار ، رحمه الله ، فى الأبيات المذكورة آنفًا :

خبالٌ عرا ما إنْ جناه سوى النوَى
نوى مَنْ نوى من كَشْفِ باواى ما نوى
فيا مُنكِرًا ما قد عرانىَ فى الهوى
« خواطرُ ذى البلوى عوامرُ بالجوى   ففى كلِّ يوم يعتريه خبـالُ »

سمِعتُ اسمَه الأعلى الشريفَ المُشَرَّفا
نخيلتُنى يعقوب ذُكِّر يوسـفا
ومن شيم الصب المُتيَّم ذِى الوَفا
« متى يدْعُ داعٍ باسم محبوبه هفا   فيهتاجُ بَلْبالٌ وَيُكْسَفُ بال »

[٦٨٤]

رعى الله صبًّا بالهوى نفسُه سمتْ
له آية فى الحب بالكَتْم أُحْكِمَت
فما لَمْ يَلُحْ من حبه أثرٌ صَمَت
« وإن يَرَ من آثاره أثراً همَت   له من غروب المُقْلتين سِجال »

فيا نفسىَ الجـالى دُجاها هلالُها
أما إنه نور البـدور كمالُها
ألا فاعذِرى نفْسا تحِن خَبالُها
« كحالى وقد أبصرت نعلا مثالُها   لنعل الرسـول الهاشمىِّ مثال »

ويأيها الرّانى إلىّ مُفَنِّـدَا
وقد كدتُ لولا نهىُ حبى لِأَسْجُدَا

هوًى وجوًى إن يَبْلَ دهرٌ تجدَّدا

«عرانىَ ما يَعْرُو المحبَّ إذا بدا لِعَينيه من مَغْنى الأحِبَّة آلُ»

ذكرت به عصْرًا مضى ومَعاهدا

فنُودِيتُ من نفسى نداءَ مُساعدا

وحَدْتَ فعاوِدْ لثمه تُدْعَ وَاجدا

«فقبَّلْتُ فى ذاك المِثَال مُعاودا أرى أن ذُلِّى فى هواه جَلال»

وشبَّهتُه صَفْحا ونفحا حديقةً

مُفتّحة الأزهارِ غَنًّا أنيقة

سَقتْها غَوَادٍ قد غَدَوْنَ غديقة

«ومَثَّلتُه نعلَ الرسول حقيقة وإنى لأَدْرى أنَّ ذاك مُحال»

فيا جاهلا داءَ المحبينَ والدَّوا

غوَيْتَ ولا تدرى فلا كان مَنْ غوى

أتُنكِر لَثْمَ المِثْل فى حالة النَّوَى(١)

«ومن سنة العُشَّاق أَنْ يبعثَ الهَوى مثالٌ ويَقْتادَ الغرامَ خيال»

تساوَتْ معانى الحُبِّ فى كل مَقْصَدِ

فمِنْ مُقْلة عَبْرَى وجَفن مُسَهَّدِ

وَبَرْحٍ وَتَهْيام وشوق مُجَدَّدِ

«فلا فرْق إلا أنّ حُبَّ محمد هُدًى والهوى فيمَن عداه ضلال»

انتهى.

* * *

(١) فى هامش ص عن نسخة أخرى: «أتنكر عرو الحب ... الخ».

وله فى مدح النعال على حروف المعجم

ولمحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه ، وتقبّل بكرمه ورحمته مِنْه ؛ [قطع][1] على حروف المعجم ، فى لزوم ما لا يلزم ؛ وسماها بالقطع المُخَمَّسه ، فى مدح النعال المقدسه .

قال رحمه الله حسبما نقلتُ من خطه :

وآثرت التخميس على التعشير ، ليكون أسرعَ لحفظها ، وأبرع للفظها ؛ وأيضا فوجودُ خمس من القوافى فى نظمٍ لزوميٍّ أو نثر ، أهونُ على الفـكر من وجود عشر . هذا وإن كان اللسانُ العربى فصيحا فسيحا لا يضيق ، ولا يكاد يخرج عنه لسان كل فريق ؛ لـكن ليس من شرط المطالعه ، أن يحفظ الغريبَ من الـكلام كلُّ مَنْ طالعه ؛ واللهَ سبحانه أسأل أن يجعلها من القرباتِ التى تنفع ، والوسائل التى تشفع ، والتمائم التى تذود كلَّ سوء فى الدارين وتدفع ، وصلى الله على الشفيع المشفع ؛ وسلم تسليما ، من آفة الانفصال سليما . [٦٨٥]

قافية الهمزة

أَتِمثالَ نَعْلٍ كان يلبَسُها الذى	إذا عُدَّتِ الأرسالُ ليس له كُفْءُ
أبوالقاسم الأسمى الذى وطِئَ السَّما	بأخمَصِه ليــلا فشرَّفها الوَطء
أُقبِّل فى طِرسٍ حَواكَ كأننى	عليلٌ وفى تقبيل شـكْلِكَ لِى البُرْء
أنا المرء بالآثار ممَّن هَوِيتُــه	قَنَعْتُ وقد يُخْطِى إذا قنعَ المرء
أأحمــدُ لا يهوَى الفؤادُ سواكَ ما	تقدَّم عودَ الشىء فى الرُّتبة البدء

قافية الباء

بنفسِى مِثالُ النَّعلِ نعــلِ محمّدٍ	نَبِىِّ الهُدَى المخصوصِ بالقرب والحُبِّ

(١) زيادة يقتضيها السياق .

بدا لى فكان البـــدرَ جَلَّى بنوره غياهبَ أشجانٍ تراكَمْن فى قَلْبى
بكتْ مُقلتى شوقًا للابسها وهلْ بمُطْفِئةٍ نارَ الأسَى دمعةُ الصَّب
بعثْتُ به شخصا من الأنْس مَيِّتًا فبشَّرنى بالقُرْب منــــه على قُرب
بمَوْطِئها قد شَرَّف الله تُرْبةً عليهـا مَشَتْ فالتِّبْر يَحْسُد للتُّرْب

قافية التاء

تلوتُ وقد أبصرتُ مِثْلاً لِنعْل مَنْ تَميَّز بالوصف الشريف وبالنَّعْتِ
تَرَفَّعْتِ مِن نعلٍ بأخمصِ مرسَـلٍ قدَ أنقذَ مِن شر الطَّواغيت والجِبْت
تقدسَتِ الأرض التى قد مَشَى بها عليهـا فصار الفَوقُ يَغْبِطُ للتَّحْت
تمنَّيتُ لو أنّى ظفرتُ بتِرْبهـــــا فمرَّغتُ فيه الخدّ للحِين والوقت
تمنِّىَ صَبٍّ عاشق دنِفٍ جوٍ مُعَنًّى كئيبٍ دأبُه حفظ ذى السِّت(١)

قافية الثاء

ثمارَ الأمانىِ قد جنى الطَّرفُ إذا رأَى مِثالَ نِعال المصطفَى من أولى البَعْثِ
[٦٨٦] ثرَاها ومَنْ أَعْـــلاهُ طابَ نسيمُه وما أنا فى هذى اليمين بذى حِنْث
ثُرَيَّا السَّما وَدَّتْ لِتنقَل بالثَّرَى إليكَ فلم تُنْقَل فهاهِن فى بثّ(٢)
ثَوَيتَ به ياطيبُ فهو كمِسْكَةٍ يَفُوق شذاها المسكَ فى الطِّيب والمُـكْث
ثَوَابِىَ يامَنْ شُرِّفَتْ بلباسِـــهِ على مَدْحها تأمينُ خوفِىَ فى البَعْث

قافية الجيم

جَلَلْتِ أيا نَعلاً بأخمصِ ســيدٍ إلى حضرة القُدس العَلِيّة عارجِ

---

(١) يريد الصفات الست ، المذكورة فى البيت .

(٢) فى الأصول : « ذوبث » . والتصويب عن هامش ص .

جُبلْتُ على حُبٍّ له فتى بدَا — مِنَ آثارهِ شيءٌ تثُور لواعجى
جنَى الأنفُ منها زَهْرَرَوْض إذا انبرَى — نسيمُ شَذاهُ بذَّ عَرْفَ النوافج
جَبرتُ به صَدْعًا جناه الهوَى وما — شُغِفْتُ بغُنْج الخَوْدِ ذات الدَّمالج
جزَى الله عنِّى القلْبَ خيرًا فإنهُ — تَعلّق بالهادِى لأهــــدَى المناهج

قافية الحاء

حَظيتِ أيا نعلاً بأخمص مرسَلٍ — قَدَ أُنزل ربُّ العرش فيه ألم نشْرَحْ
حَلَلتِ بساطَ القُدس حين عُروجه — ليُوضح فى المسْرَى له الله ما أوضح
حَلَفْتُ : لَأرضٌ قد وطِئتِ تُرابَها — لَـكالمسك مفضوضًا أما إنَّهُ أفْـوح
حلتُ نِطاقَ الـكتْمِ لمَّا رأيْتُها — فصرَّحَ منْ حُبِّى اللسانُ بمـا صرَّح
حَبيبِى الرسولُ المصطفى ومِنَ اُجْلِهِ — مَدَحتُ لنعليْهِ وحُقّ بأَنْ أَمْدح

قافية الخاء

خُذيها أيا نفسِى المشوقةَ كُلّما — سَرَى نَفَسٌ مِمَّن هَوايَ بِهِ بَذَخْ
خميلةَ شِعْرٍ أُودِعَتْ مَدْح نَعْلِ مَنْ — بشِرْعته كلَّ الشرائع قد نَسَخ
خَضَبتُ نِصالَ الشَّيْب لما رأيتُهـا — بدمع مُحِبٍّ عَقْدَ كِتمانِه فسَخ
خُطَاها أفادَ الأرضَ زَهْوا فأنفها — على قِمم الشُّهْب المنيفةِ قد شَمَخ
خُصِصْتِ أيا نعلا بأجْـــلَى مزية — تَبينُ لمن فى العـلم أخمصُه رسَخ

قافية الدال

دع الطَّرْفَ يَسْرَحْ فى رياضٍ تزينَتْ — بمدح نعالَىْ مصطفى الرُّسْلِ أحمـدَا
دُعِى فمشَى فوق السماء فلم يَطَأْ — بهـا مَوضعا إلا وأصبـح مَسْجدا

دَنا فتدلّى قابَ قوسَين إذ دنا فأوحى الذى أوحى إليه من الهُدَى
دُنُوَّ حبيب من حبيبٍ لأجــله لآدم أملاكَ السموات أسْجَدا
[٦٨٧] دَرَى فضلَه مَنْ فى السماء فكلهمْ يرَوْن وجيـــــــهَ المُرسَلِينَ محمَّدا

قافية الذال

ذَرِ الأنفَ يستنشقْ خمائلَ رَوْضةٍ تبَذُّ نسيمَ المِسكِ أنفاسُها بذَّا
ذكرتُ به نعلاً لأكرم مرسَـلٍ بَراهُ الذى أعـلاهُ فى رُسْله فَذَّا
ذَرُورُ ثَراها المسكَ فاقَ فإن تسَلْ عَنَ أذكى من المسك الفَتيقِ شَذًا فذَا
ذُكاء تَمنَّتْ أنْ تكونَ سَحَاءَةً تَعِى مَدْحَها أَوْ جِلْدةً مِثْلَها تُحْذَى(١)
ذَوُو حُبِّه الْتذُّوا برؤيتهـا كما بثوب ابن يعقوبٍ أبوه قَدِ الْتَذَّا

قافية الراء

رَأيتُ مثالَ النَّعْلِ نعـلِ الَّذى به إلى حضرة القُدْس العَلِيَّةِ قد أُسْرِى
رَعَى الله منها نعـــلَ أىّ كريمة برجلٍ علتْ فخرا على قمة النسْر
رُوِى أنه نُودِى وقد رام خلعها وماء الحيا فى وجنتيــه معًا يجرى
رسولِىَ لا تَخْلع تُشَرِّفْ بوطئها بساطِىَ يَا معنَى وجودىَ يا سرِّى
رَفعتَ لواءَ المَكرُماتِ جميعها بيُمْنَى العُلا والناس فى قبضة الذَّرّ

قافية الزاى ، وهى متجانسة

زَفير اشتياق إذ بدا نعـلُ مُعتِق مخاطِبَتِى كَتْمِى وَعزْمىَ قد عزَّا

(١) السحاءة : قطعة صغيرة من الورق تؤخذ من القرطاس . وتعى : تحفظ . يريد أن الشمس تتمنى أن تكون هذه السحاءة التى تحوى مدح نعل النبى ، أو أن تكون قطعة من الجلد مثلها .

زَ كَتْ شفَةَ قد قبَّلَتْ نعلَ سيدٍ ... به عالَمِ الإنسانِ أجمعُـه عَزَّا
زَعِيمٌ به هَنَّا السُّرورُ لنـا وفى ... مصائبنا العُظمَى المصابُ به عَزَّى
زُهُوٌّ سناهُ ظُلْمَةَ الشِّركِ قد جلا ... ولولاهُ كُنَّا نعبـدُ اللَّاتَ والْعُزَّى
زَمانِىَ لا أنفَكُّ لاثمها أرَى ... هَوانَ هَوانا يا أخـلاءَنا عِزَّا

قافية الطاء

طَوَتْ بعضَ مامن وحْشةٍ نشر النَّوَى ... نِعالٌ خُطاها فى المـكارم لاتُخْطا
طفِقْتُ أنادى حين لاحت لناظِرى ... وزَنْد الهَوى بالسِّقط قد وصلَ السِّقْطا
طِبِ أنعِمْ تنزَّه يا فؤادِى فهـذِهِ ... نِعالُ الَّذى جاوزتَ فى حُبِّه الفَرْطا
طُبِعْنا على حبٍّ لهُ فـتى يلُحْ ... لنـا أثَر ننثرْ مِنَ أدْمُعِنا سِمْطا
طَلَعْنا نجومًا فى هَواهُ فأُفْقُنـا ... قَدَ أخلدَ عنه النجمُ للأرضِ واَنحطَّا

قافية الظاء

ظَلِلْتُ أنادى إذْ رأيتُ نِعالَ مَن ... قَدَ أنقـذنى والحمدُ للهِ من لَظَى
ظهرتِ لنا فى شكل بدرٍ فلم نـكُنْ ... لبدرِ الدجَى مِن بعد ذاك لِنلْحَظا [٦٨٨]
ظمِئْنا فـكنتِ الماءَ مقلوب هَمْزَةٍ ... نَقَعْتِ وميمٍ جِىْءَ فى إثْرها بظَا
ظهيرى رسولَ اللهِ أنتَ لَحَظْتَنِى ... بِهذى وفى الأخرى ترَى لِمَنِ الحظَّا
ظِلالُـكُمُ منْ كلِّ سُوءٍ حَفِظْنَنِى ... وما كنتُ لولا الفضل منكم لأُحْفَظا

قافية الكاف

كرُمتِ أيا نعلا لأكرم مرسَـلٍ ... بهِ وهْوَ وُسْطَى السِّلك قدخُتِمَ السلكُ
كأنكِ فى عَيْنَىَّ نافِجَـةٌ خلَت ... وأبقَى بها للأنف منْ نفحهِ المِسْكُ

كتمتُ فلمَّا لُحْتِ لِي باحَ مَحجرى بسرٍّ معَنًّى قلبه بالنَّوى يشكو
كفانِي كفانِي أن بَدَا أثرٌ لِمَنْ به من إسارِ الشِّرْك قلبيَ مفتَك
كريمُ كرامِ الرُّسْل أحمدُها الّذى بتوحيده الإشْراك أوْدَى فلا شِرْكُ

قافية اللام

لِمثالكِ يا نعلًا بلابسها نعلو ويا طيبَ قلبي كلما قلت يا نعلُ
لثمت وما أبغيهِ باللثم لاَ ولاَ سِواه فما قصدى النعال بلا الرِّجْل
لها الله منْ رِجْلٍ مشتْ بأجلِّ مَنْ شأى رسُلَ اللهِ الكرامَ وإن جلُّوا
لنا قد أتى منا عزيزٌ عليه ما عَنِتْنَا رءوفٌ راحمٌ ما له مِثْل
لعَمْرِيَ لولاه لما سَحَّتِ السَّما ولا دُحيَتْ أرض ولا بَرِئَ الكل

قافية الميم

وفيها وفيما بعدها لزوم زائد لم يَهد الله إليه ولاأُلْهِم ، إلا بعد الفراغ من نظم ما تقدَّم ، وإلا فجناب مَجْده فسيح ، ولسان الألكن فى مدحه عليه السلامُ فصيح ، [وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ المليح] :

مِثالُكِ نَعْلَ المصطفى هاج لِي جوًى جَناهُ هَوًى قلبي السعيدُ به سَمَا
مَدَدْتُ له عَيْنَيْ مَشُوقٍ به عَلَى صَبابته ألاَّ تَحَولَ قدَ أقْسَمَا
مَشَيتُ بهِ فوق السّماء فكلَّما وطِئْتُ سَماءً فاخَرَتْ فوقها سَما
مَواطِئهُ قُسِّمْنَ فيها مَناسكاً فأَسْمَى الّذى أدناهُ ذاكَ المُقسَّما
محمدُ أبْكَيتَ الثَّرَى إذْ عَرَجْتَمُ وعُدْتمْ إليهِ بعدَ ذا فتبَسَّما

قافية النون

نظرتُ بِعَيْنَيْ هائم القلب مُدْنَفٍ شَجِيٍّ أَبَى إلاَّ البُكا طَرْفُهُ خِدْنَا

نعالَ حبيبٍ مُصْطفًى مِن حَبيبه … دَنَا فتدلَّى قابَ قَوْسَيْن أَوْ أَدْنَى [٦٨٩]
نَبِيٌّ جميعَ الرُّسْل سادَ حِلًى كما … بِمبْعَثِه فينا جميعَ الوَرَى سُدْنا
نجيٌّ لِرَبِّ العَرْش ناجٍ مُحِبُّه … غَدَا مِنْ لَظَى ذاتِ الاظَى وارثًا عَدْنا
نَزَعْنا إلى التَّوْحيد من مُلْكِ شِركنا … ولولاهُ مَا واللهِ لله وَحَّـــدْنا

قافية الصاد

صَبَرْتُ فلما لاح لى مِثْلُ نعلِ مَنْ … حِلاهُ تعَالَتْ أَنْ تُعَدَّ وَتُسْتَقْصَى
صَبَبْتُ دموعًا من جفونٍ كأنَّها … عَزَالِى سَحابٍ نُؤْيُها النَّأْىَ قَدْ أَقْصَى
صَبوتُ هوًى فى السَّيِّد العَلمِ الّذِى … قدْ أُسْرِى به ليلاً إلى المسجد الأقصى
صَميمٌ صَميمُ الجِـلَّةِ الْقَمَرُ الّذى … وقاهُ الإلهُ الحقّ والـكَشْفُ والنقصا
صِراطى هواه للجِنـانِ وإنَّهُ … يَقِى وَوَقَى جِيـدَ اُعْتصامى بهِ الوَقْصَا

قافية الضاد

ضُلُوعِىَ لا تَهْدَا ودَمْعِىَ لا يَرْقَا … وليسَ سِوَى حَالَيْهِمَا مِنهما أَرْضَى
ضلالِى هُدًى فى ذَا الهَوَى عند أهله … ذوى النظر الأقوَى ذَوِى السَّنَنِ الأرضَى
ضَعُوا قَلْبِىَ الشَّاكِى بحَيْثُ نِعالُهُمْ … فَآثارُهمْ تَشْـفِى أَحِبَّتَها المَرْضَى
ضَممْتِ نعـالَ المُصْطَفَى رِجلَه الّتى … بِها شرَّفَ اللهُ السَّمواتِ والأرْضا
ضَعُوها كَمِثْـلِى فوقَ أَرْؤُسِكُمْ فقدْ … زكا من رأى تعظيمَ مِقدارِها فَرْضا

قافية العين

عَلَى وَجْنَتِى فاضَتْ دُمُوعِى فصَرَّحَتْ … بِسِرِّ فُؤادٍ بالتَّـكَتُّمِ أُولِعَا
عَشِىَّ بدتْ نعـلُ الحبيبِ كأنَّهَا … هِلَالٌ بآفاقِ القُـلوب قد اُطلِعا

عَجِبْتُ لقلبي أن رَآها ولم يَطِرْ ... ويَخْرِقْ شَغافًا قد حواهُ وأضلعا
عَراه خيالٌ فاستقرَّ ولَمْ يَطِرْ ... إليْها وشيكًا حينَ بالأمرِ طُوِلعا
عسَى من أرانى نعله أو مِثالَها ... يُرِينى ضَرِيحًا لِلمَكارِمِ مُطْلِعا

قافية الغين

غَليلِىَ لا يُطْفا وشَجْوِىَ لا يَفْنَى ... ودَمْعِى لغير المُزْنِ ليسَ بمنبغِى
غَسلْتُ بهِ رَيْنَ الجوَى وهْوَ نكْتَةٌ ... بخَدِّى وقلت اشفِكْ بجيمكَ واصْبُغ
غَداةَ بدتْ نعلٌ لأكرم مرسلٍ ... رفيعٍ شفيعٍ ذى مكارمَ سُبَّغ
غَيورٍ شكورٍ راحمٍ مُتلطِّفٍ ... كريمٍ مُنيلٍ واسعِ السَّيبِ مُسْبِغ
غُلامُكَ يا مولاىَ يَبْغِى شفاعةً ... وذلك أمرٌ ما لغيرك يَنْبغِى [٦٩٠]

قافية الفاء

فؤادىَ لا تَشْكُ البِعادَ فهذه ... نِعالُهمُ فاسْتَشْفِيَنَّ بها تُشْفَى
فَمِى قَبِّلَنْها مِثالَ نعلٍ كريمةٍ ... بتقبيلها يُشْفَى سَقَامُ مَنِ اسْتَشفَى
فليتَ يمينى والشِّمالَ ومِسْمَعِى ... قُلِبْنَ شِفاهًا تُحْسِنِ اللَّثْمَ والرَّشْفا
فأُطفِئَ بالتقبيل والرَّشْفِ جمرةً ... قد أشعلها شوقٌ علَى الهُلْكِ بى أشْفَى
فأُقسِمُ يا نعلَ الحبيب لأنْتِ مِنْ ... شَرابِ بطونِ النَّحْلِ المُشتكِى أشْفَى

قافية القاف

قُلَيْبِىَ لا تَقْنَطْ فهذِى نعالُ مَنْ ... عَلِقْتَ به من قَبْلِ مَرْتَبَةِ العَلَقْ
قد أبصرتَها فى أُفْقِ كفِّى كأنَّها ... هِلالٌ منيرٌ للعيون قد ائتلَقْ
قفا فى السَّنَى آثاره القمرُ الّذِى ... لِلابسه كالبُرْدَةِ انشقَّ وانفلَقْ

قرأتُ حِذارَ العين لما رأيتُه بأُفْقِ يمينى طالعًا سُورة الفَلَق
قَسَتْ مُهجةٌ قد أبصرتْه وما جرَتْ مسابقةً شُهْبَ المدامِع فى طَلَق

قافية السين

سموتِ أيا نعلَ الرسولِ برجله على قِمم الشُّهبانِ والبَدْر والشَّمْسِ
سرَى ليلة المِعراج فوق بُرَاقِه ليُسْمِىَ أقطارَ السموات باللَّمْس
سماءُ به فلْتفْخَرى بدرَ سؤددٍ سامِىَ السنَى يضحِى مُنيرًا كما يُمسى
سِراجٌ به طُلْنا الذين تقدَّموا ولا عجبٌ أنْ يفضُل اليومُ للأمس
سَلِمْنا بفضل اللهِ لكِنَّنَا وهُمْ حروفٌ وماالإطباق فى الحرف كالهَمْس

قافية الشين

شمختِ أيا نعلا لأكرم سيدٍ رسولٍ على السَّبْع السَّموات قد مَشَى
شريفٍ له قد أُسْجِدَ البدرُ والْتفتْ إليه تجــــدْه بالتراب مُنَمَّشا
شفَى مُبصِرَىَّ القلبَ والطرفَ نورُهُ وقد كنت أعشى القلبِ والطَّرفِ أعمَشا
شفاعتَه نرجو امتداد ظِلالِها إذا ما الرجا فيا سِواها تكمَّشا
شققت جيوب الكتْم وَجْدًا وقلْتُ يا يَدَىَّ وهى حبلُ[(١)] التصَبُّرِ فاخمِشا

قافية الهاء

هى النعلُ قد كانتْ سماءً ورجْلُه هلالاً فما أسْنَى وأضوأَ أُفْقَها
هيا منكرًا تقبيلَها بعدَ بدْرها على دَنَفٍ ما أنتَ مِنه بأَفْقَها [٦٩١]
هل القصدُ إلاَّ رجلُ لابِسها الّذى سيُسْمِعُنِى يومَ القيامة خَفْقَها

(١) فى الأصول : « حد » . ونظنه محرفا عما أثبتناه .

هلالِي وشمسِي فى دُجَى الحشر سَيِّدى مُبلِّغُ نفسِى ما يوافقُ وَفقْها
هَمَتْ عَبرتى شوقًا له إذ رأَيْتها فما ترْتجى الأجفانُ من بَعْدُ رِفقَها

* * *

انتهى ما ألفيتُه مِن هذهِ القطَع ، ولم أجد تكملة الحروف ؛ وقد كمَّل ما بقى منها على نمَطِها ، صاحبُنا الفقيهُ الأصيلُ أبو الحسن الشامىّ ، حفظه الله ، وسيأتى ذلك قريبا .

وله مقاطيع فى مدح النعال أيضا

وألفيتُ أيضًا بخط هذا الشيخ محمد بن الفرَج السَّبتىّ ، رحمه الله ، عِدَّة قصائد ومقاطيع فى هذا الغرض ، منها قوله رحمه الله :

ولقد رأيت مِثالَ نعلِ محمّدٍ فاشتدَّ شوقى عند ذاكَ وَهَاجا
فظلِلْتُ أمسحُ وَجْنَتَىَّ بِشِسْعِهِ مَسْحًا وأجعلُه برأسِىَ تاجا
يا نعلَ أكرمِ مرسَلٍ لما أَتَى دخل الورَى فى دينه أَفْواجا
كُرِّمْتِ مِنْ نَعْلٍ حَوَتْ رِجْلاً مَشَتْ بأجلِّ بادٍ فى الظَّلام سِراجا
شَرُفَتْ بِمَوْطِئِ نعلِه السَّبْع العُلَا لَمَّا ارتقاها عارِجًا لِيُناجِى

* * *

ومنها قوله رحمه الله :

نثَرَتْ محاجرُ مُقلتِى من سِلْكِها دُرًّا وشَذْرًا مُفْرَغا من سِلْكِها
شوقا لمبعوثٍ أتى فاستبشرَتْ مُهَجُ الوَرَى بنجاتِها مِنْ هُلْكِها
عاينتُ مثلَ نعالِه ومحمدٌ هوَ خاتمُ الأرسالِ وُسْطَى سِلْكِها
فوجدتُ فيها ريحَه ولَرُبَّمَا فاحَ النوافج بعد فُرْقة مِسْكِها
أشرِفْ بها نعلاً عمائم كلّ ذى شَرَفٍ تُقرُّ بأنّها مِن مِلْكِها
فلقد وَعَتْ قدمًا سعَتْ فى فكها من راحتَىْ كُفْرانها أو ش

جعلت مَواطِئَها الْمَلائكُ عندَما أُسْرِى به لَيلا مَواضعَ نُسْكِها
يا ليتَ أعضائى شِفاهٌ كلّها فتى تُقَبِلّها شفاهى تحكها
قد كنتُ ذا خوفٍ وَوَحْشةٍ أُبدِلاَ رَغْدَ المسرَّةِ للفؤاد بضَنْكها
فكأنّها صَكٌّ أتى عَبدًا وقَدْ تُعْطَى الموالى أمْنَها فى صَكّها
وهلالٌ أُطلِعَ فانْجَلَى مِن وَحْشَتى ما قد تراكم من سحائب حُلْكها
فأنَا العتيق وإن تَشُكَّ النَّفسُ فى عِتقى يُمَطْ لِلحِين عارضُ شَكّها [٦٩٢]
يا مُنجِىَ الحَوْباء مِن بَحْرِ الرَّدَى ولقدْ غدا لولاك مَعْطَبَ فُلْكِها
شَكْوَى غَرِيقِ ذُنوبِهِ مَهْما شَكَتْ حَوباؤه لسواكُمُ لَمْ يَشْكِها
ولقد أُمِرتُ بتَرْكِ أسبابٍ بها تقوى الذُّنوب فما أَخَذْتُ بتركها
ولَئِن هَدَمْتُ مَبانيًا مَسْتورةً بسُتور لُطْفٍ لا سبيلَ لهتكها
فلقد بَنَيْتُ من الرجاء مَبانيًا رَدَّت فَوَاتِكَ خِيفَتِى عَنْ فتْكها
وجعلتُ حُبَّك يا محمدُ أُسَّها عِلْما بأنَّ الأسَّ مُمْسِكُ سَمْكِها
صلّى عليك إلهنا ما طَالَّ أنْفُ ذِكرِكَ العَطِرَ الشَّذَا مُسْتَنْسِكِها

* * *

ومن ذلك قوله رحمه الله :

أقولُ وهجْرانى سَيَعْقُبُه الوصلُ فعَقْدُ الهوى الشَّرْعِىِّ ما إنْ له حَلُّ
غداةَ رأَتْ عيْنِى مِثالَ نِعال مَنْ بدا فهَدَى أَهْلَ السعادة إذ ضلُّوا
تمنيتُ لَوْ أنى ظَفِرتُ بتُرْبَةٍ علَيْها مشَتْ نعلٌ بلابسها نعْلُو
فأَكْحَلَ عينًا أُرْمِدَتْ ببعاده وليسَ سوى ذاكَ التُّراب لها كُحْل
هوالكُحل يجلُو ما بعيْنىَّ من قذًى وكَمْ كُحْلٍ أنْ تُكْحَلَ به العينُ لا يجْلُو
لمُوباكِ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى وحُقَّ أنْ أُرَدِّدَ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى أيا نعْل

فإنك قدْ أُودِعْتَ رِجْلاً عَلتْ على ... بِساط عُلاً لمْ تعْلهُ
فأُقسِمُ لو تُؤتَى العَمائمُ سُؤلها ... لما كانَ غيرَ النعل كان هـ
وناهيكَ منْ رجْل مَشَتْ بمحمدٍ ... مُفضَّلِ رُسْلِ الله إن عُدَّت الرُسْر
أبو القاسم الأسْمَى الّذى وطِئَ السَّمَا ... فنُودِىَ مَنْ فيها ألاَ خَلفَهُ صَلّوا
ولو لَمْ تطأها رجاه كان للثَّرَى ... عَلَى الفَلَك الأَعْلى بمَوْطِئها الفضْل
فيا مُرْسَلاً ما فِى النبيّين مِثْلهُ ... رَسولا وهلْ للشمس من جنسها مثْل
أنرتَ ظلام الجهل فالقلبُ نيِّرُ ... محاَ العِلْمُ منه أحرفاً خَطَّها الجهْل
فكان كمِثل السيف أصبح صادئا ... وأمسى وقد جلَّى مَضا ربَه الصَّقْل
يلوحُ به الإيمانُ شكلا لناظرٍ ... ولولاكَ لم يطلع به ذلك الشَّكْل
فَحُقَّ لذِى عقل بأنْ يقطَع المَدَى ... مَدَى عُمْره مادام يصحَبه العقل
وما شُغْلُهُ إلا امتداحُ جلالِكُمْ ... فنعْم الفَتى مَنْ شغْلُهُ ذلك الشغل
أمَولاىَ يا مَولاىَ ألفًا وبعدَه ... كذلك ألفٌ ثم ألفٌ له قَبْل
عَديدُ الحصى والرَّمْل بل عدَّ ما إذا ... بدا فالحصَى جزءٌ بدا منه والرمل
فحُبُّكُمُ كهفى الّذى مُذ حَللْتهُ ... إذا اشتدبى كَرْبٌ على الفور ينْحلُّ
وسيْفِى السُّريْجِيُّ الذى مذ سَلَلْتهُ ... رأيت خطوب الجهل عَنِّى تنسلُّ
ورُمحى الرُّدينىُّ الذى مذْ شرَعْتهُ ... صَرَعتُ به ثُكْلِى فلا نُعشَ الثُّكْل (1)
وقَوسِى الّتى مُذ سَدَّدَ الصِّدْق نبلها ... أصابت أسًى ماخابَ قطُّ له نَبْل
فها أنا فى ظل من الأمن قاطعٍ ... علَى الأمن أنْ يمتدّ لى ذلك الظّل
ومَنْ يدرِى ما أدرى من افضالكَ الذى ... هو الباب والإفضال أجمعُه فَصْل
أوِ الأصلُ والإفضالُ بعضُ فروعِه ... وما يَسْتَوى فى الرُّتبةِ الفرع والأصل

[٦٩٣]

(١) كذا فى ط، ص. وفى م: «ثقلى» .... «الثقل».

نَم آمناً من جَوْرِ دهْرٍ صُرُوفُه ... سواهر واسْتَقْضِى وليس له عَدْلُ
يا غَوْثِى وغَيْثِى كما ... تجهَّمتِ الأيام أو أحجف المَحْل
محمد يا حِرْزِى وعِزِّى كلما ... تفاقمت الأهوالُ أو طرَقَ الذُّل
أكرِّر فى أحوالى اسْمك إنه ... لـكالشهد ما كررته فى فمى يحلو
[أما إنه أحْلَى وأيمنُ مُجْتَنىً ... فكم مُجْتَنٍ للشهد تلسعُه النحل
وإن كان فى الشهدِ الشفاء لمشتكٍ ... بعلَّة جسم أصلُها الشربُ والأكل
فباسمك يُشْفى كلُّ قلب إذا اشتكى ... إليكَ بداء جرَّه القول والفِعل
وما جسَدُ الإنسان مثل فؤاده ... فمَنزل ذا عُلْوٌ ومنْزِل ذا سُفْل
فبالفضل يا ذا الفضل والبذل إن عدَتْ ... خطوبٌ ولمَّا يُلْف فضلٌ ولا بذل
أجِرْنىَ من نارٍ ضريعٌ طعامُها ... ومُهْلٌ وما يغْنِى ضريعٌ ولا مُهل
ومن أهلهـا العاصى أوامرَ ربِّه ... وإنِّى لَهَا أو يغفر اللهُ لِى أهل
أما إننى أرجو النجاةَ وإن تكن ... ذُنوبىَ حِمْلا لا يطاق لهـا حَمْل
فإنِّىَ قد أعْدَدْتُ أىَّ ذَخيرةٍ ... تخفِّفُ من ثِقْل الذُّنوب فلا ثِقْل
هواكَ الذى المعضـــلات خَبأْتُه ... فمن مُهْجَتِى حُقٌّ وَمن غَيْرَتِى قُفْل
ألا هكذا فليَخْبَإِ الحُبَّ مُذْنبٌ ... إذا ما سَلا أهلُ المحبة لا يسلو
وإن يخلُ معمورُ القلوب من الهوى ... فما قلبُه المعمورُ من حبه يخلو
وإن يعتلِلْ وقتا غرامٌ فيختَلِلْ ... فما حبُّه يعتلُّ وقتا فيختلّ
فكمْ بيْنَ مَنْ قدْ تيَّمَ الفضلُ والعُلا ... وبيْنَ الذى قَدْ تيم الغُنْجُ والدَّلّ
لَبيْنَهمَا ما بين وَصْلٍ وقَطْعةٍ ... وهيهات ما بالقطع يَشْتَبِهُ الوَصل
وإن غرَسَتْ كفَّاهما شجَرَ الهوى ... فمغروس ذا شَرْىٌ ومغروس ذا نخل
فيا قلبىَ أجْلِلْ من هواكَ بجَنَّـةٍ ... بها احتلَّ قلبٌ حبُّه ليس يَعْتَلّ

ونادِ الوَرَى إنِّى احتللت بجنَّةٍ بها كلُّ مَن يهوَى هواىَ سيحتَلُّ
أُديرُ بها كأْسًا دِهَاقًا وما سِوَى سرورِى بمحبوبى مُدَامٌ ولا نُقْل
هى الخمرُ لم يَتْلَفْ بها عقلُ شاربٍ وتلك حرامٌ فى الكتاب وذى حِلّ
ويا فكْرِىَ الرّامى المصيبَ بِنَبْلِهِ مَقَاتِلَ أغراضٍ أَراها له النُّبْل
وفى قتلها عند اللّبيب حياتُها ومن أعجب الأشياء أن يُحْيِىَ القتل
بتأليف شمل المدح فى المصطفى اشْتَغِل يُعِنْكَ على تأليفه ذلك الشَّمْل
فذاكَ محلٌّ للمدائح قابلٌ إذا اُحصرتْ فيه مَدَائحُ مَنْ قَبْل
مَحَلٌّ يُسَمَّى فى عُلاه مُقصِّرًا أديبٌ وفى الأمداح مَنْ طَبْعُه يَغْلُو
محلٌّ علَا فوق السَّماء ولم يَكُنْ لأعْلَى محلٍّ ذلك العُلْوَ أن يعلو
فقل للأديب المُكثِر القول فى حِلَى عُلاه : كثيرُ القولِ فى مَجْدِهِ قُلّ
فضائله بحْرٌ وسَجْلٌ كلامُنا وليس يُغيض البحرَ دلْوٌ ولا سَجْل
وتالله ما البحرُ الغُطامِط مُشْبِهًا فضائلَهُ أو يُشبِهَ الوابلَ الطَّل
ولكنّها الأمثال تُضْرَبُ للورَى وليسَ منَ المشروط أن يُفعَل الكُل
وقد ضرَبَ الله الأقلَّ لنوره فقال كمِشْكاةٍ وَليس له مِثْل
أخَيرَ رسولٍ جاءَ للخَلْق هاديًا وقد دَرَسَتْ سُبْلُ النّجاة فلا سُبْل
وكُلُّهمُ نشوان من خَمْرَة الهَوَى فمعبودُهُمْ نَسْر ومَدْعُوُّهمْ بَعْلُ
فما منهمُ إلّا أسيرُ ضَلالَةٍ ففى جيده غُلٌّ وفى رِجْلِهِ كَبْل
فدُلُّوا عَلَى سُبْلِ النَّجاة بنورِه جميعًا ولولا ذلك النُّورُ ما دُلُّوا
فأعقَبَ ذاكَ النورُ مدلولَه حِلًى ففى جِيدِه عقْد وفى رِجْلِه حِجْل
وقَفْتُ بباب الجودِ والكرَمِ الّذى غَمامتُه وَطْفَا وعارضُه وَبْل
فما كَرَمٌ يُرْوَى عنِ الْجَوْدِ وَاهبًا مَواهبُه تَتْرَى ونائِلُه جَزْل

وَقِيسَ بِذَا إلّا وقال أُولو النُّهَى أَلَا إنَّ ذَاكَ الجودَ فى جَنْبِ ذَا بُخْلُ
ولى حاجةٌ عَنَّتْ إليك ، قضاؤُها عليك بفضل الله يا سيدى سَهْل
زيارةُ أَرضٍ طيَّبَ الله تُرْبَها فما المسكُ مفضوضَ الختام لها شَكْل
هِىَ البَلْدَةُ الغَرَّاءُ طَيْبَةُ الَّتِى بها دِيَمُ الرُّحْمَى مَدَى الدَّهرِ تَنْهلّ
فَمَنْ حَلَّ مَثْوًى أَنت فيه مُخَيِّمٌ ويا طيبَ أقوامٍ بطَيْبَةَ قد حَلُّوا
يكُنْ آمِنًا مِنْ كل حُزْنٍ وَخِيفةٍ ويعظمْ له جاهٌ ويَكرمْ له نُزْل [٦٩٥]
فما داخلٌ عَدْنًا يخاف من الردى وتشهد آيات الكتاب الذى نتلو
ولا فَرْقَ ما بيْنَ الجنانِ وبيْنَهَا لَدَى من لهُ عَقْلٌ من الناس أو نَقْل
وصلّى عليكَ الله ما هبّتِ الصَّبا وما كان للمُزْنِ التى أَعْصَرَتْ هَطْل

* * *

ولـه فى تشبيه نعل الرسول

ومِمَّا له أيضا رحمه ، ملتزما تشبيه النَّعل المختصة بالشرف والرفعة ، وقد أبصرها مرسومة بالحِبْر فى رُقْعة :

اِشْفَ بِرؤيتها يا نَفْسِىَ الدَّنِفَهْ نَعْلًا لرجل رسول الله مُكْتَنِفَهْ
كأنَّ طِرْسًا به بالحبر قد رُسِمَتْ بُرْدٌ مِنَ الحِبَرَاتِ البيضِ ذُو صَنِفَهْ

* * *

ولـه فى وصف النعل أيضا

ومما له أيضا نفعه الله بها ، ورَسَمَ مِثَالَ النَّعْل الكريمة إثْرَها :

يا سائلًا أُفتيه إثْرَ سُؤالِهِ عمَّا يَرَى إنْ يَشْكُ مِنْ إشْكالِهِ
تُرِهِ سَوَادَ القَلب والعينين فى شكْلِ هلالُ الأفقِ مِنْ أَشْكالِه
أَخطأتُ لستُ بعائدٍ ولكمْ مُصيبٍ مُخْطِئٌ فى البعْض مِنْ أَقوالِه
فالبدْرُ يُكْسَفُ فى منازل سَعْدِه ويصيبُه النقصانُ إثْرَ كمالِه
وكلاهما شَيْنٌ وهذا قد وُقِى مِنْ كل شَيْن بَدْرُ سِرِّ جَمالِه

أَوَلَيْسَ تمثالَ النِّعالِ نعالِ مَنْ وَطِئَ السَّمَوَاتِ العُلَى بنعالِه
نَعْلٌ بلابِسِها بأَتْ ويحِقُّ أَنْ تَنْأَى به لجلالِه وخِلالِه
فلقد حَوَتْ رِجْلاً مَشَتْ بالصفوةِ الْمختار عند الله من أرساله
فالثِمْهُ تمثالاً لها لَثْمَ أمرئٍ باللَّثْمِ يُرْوَى مِنْ صَدَى بَلْبالِه
فَلَرُبَّ مُشْتَاقٍ رأَى آثارَ مَنْ يَشْتاقُهُ فَشَفَتْهُ مِنْ أَوْجالِه
أَوَ ما تَرَى يَعْقوبَ عادَ بِثَوبِ مَنْ يَهْوَى سَنَى عَيْنَيه بعد زواله
وهوايَ في مولايَ يفضُلُ حُبَّ يَعْقُوبٍ عَلَى المَرْوِيِّ مِنْ أَحْوَاله
فمحمَّدٌ هُوَ مُعْتِقِي من مِلْكِ شِرْكٍ كُنْتُ طَوْعَ يمينِه وشِمَاله
قَطَعَتْ هِدَايَتُه حِبالَ ضَلالتي بحُسامِها الجالي الرَّدَى بصِقَاله
فَغَدَوْتُ مُعْتَقَلاً ورُحْتُ مُسَرَّحًا مُتَمَسِّكاً مِنْ هَدْيِهِ بحِباله
يرتاح في عَدْنِ الهُدَى قلبي ولا يَخْشَى الإعَادَةَ في جَحِيمِ ضَلاله
أَصِلُ النِّداءَ مُعَرِّفًا بعوارفٍ بلغ الفؤادُ بها مَدَى آماله
يا قومُ إقرارُ أمرئٍ بفضائلٍ عَظُمَتْ عَلَيَّ لأحمدٍ ولآلِه [٦٩٦]
كنتُ الذَّليلَ فمُذْ تملَّكَ مجدُه نفسي بما قد كان مِنْ إفْضاله
ما زال يسعى في عَزازةِ عَبْدِه حتى محا بالعزِّ نُقْطَةَ ذاله
فأنا الذَّليلُ لأَعْبُدٍ ذَلُّوا عَلَى أَنْ يُصْبِحوا مِثْلي عَبِيدَ جَلاله
مولايَ يامولايَ أَلْفًا مُرْدَفًا بِمثالِه ومِثالِه ومِثالِه
أَضْعافَ أَضْعافِ الّذِي في البَحْرِ مِنْ نُقَطٍ : أُجاجِ المَاءِ أَوْ سَلْسَاله
أنا عَبْدُكَ القِنُّ الذي أَطْلَقْتَهُ مِنْ جَهْلِ أَوْثَق مُهْجَتِي بعِقاله
فَبِما عَلَيَّ لكُمْ من الفضلِ الّذي ضَعُفَتْ قُوَى شُكْري عن اسْتِقْلاله
إلَّا حَمَلْتَ إلى الأَساةِ بِطَيْبَةٍ جِسْمًا شَكا بفراقِ قَلْبٍ والِه

وأظنّه والظنُّ يَصْدُق هاهُنا عِنْـــدِى وإنِّى لَلْخَبيرُ بحالِهِ
قد حَلَّ منْ فَلَكِ العُلَى حيثُ الحِلَى شُهُبٌ تَحُفُّ بشمسه وهلاله
بَلَدًا يذُودُ المارقين جَـــلَالُه بسـيوفه ولِدَانِهِ ونِبَـــاله
فكأنَّه كِيرٌ نَفَى خَبَثًا وأَبْـــقَى مَن رَضِى الرَّحْمنُ باستعماله
أربى عَلَى أمثـــاله وَوَحَقِّه لأفكتُ فى قولى عَلَى أَمثاله
فالأرضُ مثلُ ذُبالةٍ وهوَ السَّنَى منها وكم بين السَّــنَى وذُباله
هو طَيْبَةُ الغَرَّاء أشرفُ موْطِنٍ حثَّ النُّهى شرعا على إجْلاله
حَرَمٌ متى ما حَلَّه ذو خِيفَةٍ يأْمَنْ به فى حاله ومآله
أُمِرَ المَلائِكُ بالدُّعاء لأهـلِه أهلِ الفَخار نسـائه ورجاله
وارَى ثَرَاه مَنْ لأجل سـناه خَـرَّ المَلَكُ للمخـــلوق من صَلْصَاله
ونجا ابن لامَكَ فى السَّفِين إذا اسْتَوَى ماء الرَّدى بسهوله وجباله
ونجا ابن آزَرَ مِنْ لَظَى الإشراك إذ نال الذى قد نال مِنْ تمثـــاله
وفُدِى ابْنُ هَاجَرَ حين تُلَّ وإنَّهُ لَمُسَلِّمٌ لأبيـــــه فى أفعاله
واحتلَّ إدريسٌ مكانًا فى السَّما أسمَى ، مَنالُ النَّجْمِ دون مَنَاله
والمرءُ يُخْلَقُ من ثَرَى القَبْرِ الذى سيَكون مُنطبقًا على أوْصاله
هـذا حديثٌ صَحَّ عنه لدَى الأُلَى نظموا عُقود مَقـــاله وفِعاله
ولذاك قال بفضل طَيْبَةَ مالكٌ وهْوَ الإمامُ المُقْتَدَى بمقاله
إذ لا تُراب أجلُّ من تُرْبٍ نَشا منه حبيب اللهِ مِن أرْساله
فهناكَ يُضْحِى الجسمُ مُتَّصِلًا بمن أشجاه وهو القلبُ يومَ فِصَـاله
أَسْعِدْ بمُجْتَمِعَيْن فى دار بهـا شَخْصُ الَّذى قنعًا بطيْفِ خَياله [٦٩٧]
مولاىَ إنْ لم تؤتِ عَبـدَكَ سُؤْلَه ورددتَ خائبةً يمينَ سُـؤَاله

لا عَتْبَ بل عُتْبَى فما هو صالحٌ بك للذى قد ساءَ من أعماله
لـكنَّ سُنَّةَ سيدى فى عَبدِه إسعافُه ما دام من سُؤّاله
والصفحُ عن زلّاته ولَوَ أنها كالرَّمْل عَدًّا فى جميع رِماله
ومتى يَجُدْ فالغيثُ إلّا أنَّهُ عمَّ الخليقـــة كُلَّهَا بنواله
ومتى يُجِرْ فالليثُ إلا أنه يُضْحِى المُجارُ لَدَيْه من أَشْبَاله
فالخائفون المُعْسِرون مؤمَّنو نَ وَمُوسِرونَ بجاهـه وبماله
هَذِى خِصالٌ من خِصال جَمَّةٍ ومَنِ الذى يُحْصِى شريفَ خِصاله
صـلّى عليه إلٰهنا من مُرْسَلٍ وَجَدَ الوجودُ الخيرَ فى إرْساله

* * *

ومما له أيضًا تقبل الله منه ، ولا صرف وجه وقايته بمنّه وكرمه عنه :

وله أيضاً فى النعل الـكريمة

خُذْهُ أيا صَاحِ خُـذِ تِمثَالَ نَعْـلٍ قد حُذِى
على نعالِ أَحْمَـدٍ مُنْجِى الأنام المنقـذ
السَّـيِّدِ المختار مِنْ قبيـلَةٍ وَفَخِـذ
ذى الطَّوْلِ ذى الفضل الذى حِلَاهُ لا تُحْصَى بِذى
وانظُر إليـه نظـرةً يُجْـلَى بها طَـرْفٌ قَذِى
وقبِّلَنْـهُ دائمـا تقبيـلَ ذى تلذُّذ
وَقُـلْ إذَا قبّلتَـه ذى قُبَـلٌ تَلَذَّذِ
ونادِهِ يا سـيدًا بغـيره لَمْ أَلُذ
شَكْوَى مُحِبٍّ ما دَرَى غير الهوى مِنْ مَأْخَـذ
رُمِى بِنَبْـلٍ للنّوَى صـوائبٍ لم تُشْـحَذ
لكنَّهَا مَهْمَـا رُمِى بهـا فليس تَنْفُـذ

فقلبــهُ من رَشْقِهــا كمثلِ جِــلْدِ القُنْفُــذِ
وقــد رَجوتُ والرَّجا نَهْجِى الذى قد أحتــذِى
إدالَتِى بالقُــرْب مِنْ هــذا النَّوَى المُسْــتَحْوِذ
وبالجــــــلال النَّبَوِىِّ الهـــــــاشمى تعوُّذى [٦٩٨]
من أن يضــيع لى هوًى به فؤادى يغتــــــــذى
فيــا فؤادى بالعَــــــرَا أفعَى المخــــــافةِ أنْبذ
وإن تَسِرْ للَّســعِ مِنْ زُمُرُّذِ الدُّجى خُـــــــذ
وأرهِ لمُقْــــلَتَيْـــــها كَىْ تَسِـيل ذى وذى
فذاكَ فى الأفاعى مِنْ عـــــوائد الزُّمُرُّذ

* * *

وله أيضاً فيها

ومما له أيضا رحمه الله تعالى .

يا مُغْــرَمًا برســولٍ لم يَخلُقِ الله مِثْــلَهْ
هذا مثــالُ نعالٍ شِرَاكُها[1] ضمَّ رِجْلَه
أَشْرِفْ بها ثم أَشْرِفْ نَعــلاً تُماثل نَعْــلَه
فَقَبِّلَنْ فيــه مِثْلِى تقبيلَ صَبٍّ مُوَلَّه
فرُبَّ شاكى اشتياقٍ نَالَ الشــفاءَ بقُبْلَه
يا ربِّ أشكوك شوقى والشوقُ أعضلُ عِلَّه
فقرِّبِ الدّار مِمَّنْ أَبَنْتَ فى الرُّسْلِ فَضْلَه
فهْو الذى بنــواهُ فؤادَ عبــدِكَ وَلَّه
صلّى الإلٰه عليــه مِنْ شارعٍ خيرَ قِبْلَه

(١) فى ص : « قبالها » .

وفاسخ كلّ حُكمٍ ... وناسخٍ كلّ مِلّهْ
ما حرّكَ الوَجْدُ قلبا ... وأَرّقَ البُعْدُ مُقْله

* * *

وله أيضاً فى ذلك الغرض

ومما له أيضا ، تقبّل الله عمله ، و بلّغه أمله :

انظُرْ إلىّ هِلاَلاَ ... فاق البُدورَ جَمالاَ
أَستغفرُ اللهَ ربّى ... فقد أَفكْتُ مَقالا
فالمَحْقُ ليس مُصيبى ... وقد يُصيبُ الهِلالا
لكنْ حَكَيْتُ نِعالاً ... لسَيِّدٍ قد تعالَى
شَأَى النبيّين جاهًا ... وحُظْوَةً وخِلالا
فإن شكوتَ بشوْقٍ ... فؤادَكَ الصَّبَّ نالا
فَلْتَلْثِمَنِّى فَلَثْمِى ... يَشْفِى أشتياقًا تَوَالى
نَعَمْ لثَمْتُكِ شوْقًا ... لما حكيْتِ النِّعالا

[٦٩٩]

ومَنْ يَظُنَّ بنَعْلٍ ... شُغِفْتُ ظنَّ المُحَالا
بِلابِسِ النَّعْلِ هِمْنا ... ومِنْه نَبْغِى الوِصَالا
يا ربِّ يَشكوكَ قلْبى ... يشكوكَ صادًا ودَالا
فقرِّب الدَّارَ ممَّنْ ... بَرَأْتَ فاءً وذَالا
فما لِأَحْمَدَ نَدْرى ... فى المرسلين مِثالا
هذا وإن كان مِنْهُمْ ... والكلُّ حاز الكمالا
ففى السّما نَيِّراتٌ ... وكلُّها يتلالا
وليس منها مُضاهٍ ... للشمس فى النور لَا لا

صَلّى عليه إلٰهٌ به أَزالَ الضَّلالَا
ما لَحِق الجزمُ فِعلًا أَو اَزِمَ النَّصْبُ حالا
ثم سَلام عُبَيْدٍ ما إنْ عَنِ الرِّقّ حالا
يخصُّ مولًى كَرِيمًا عَمَّ العَبِيدَ نَوالا
وآلَه خيرَ آلٍ إنْ عَدَّدَ الخلْقُ آلا
ما أَطْلَعَ الأُفْقُ شمسًا وأنشأَ الجَوُّ آلَا

* * *

ولە أيضا فى ذلك

ومن قوله أيضا ، رحمه الله ، وهى من أول ما قاله :

بكيتُ وقدْ رأيتُ مِثالَ نعلِهْ بكَاءَ هوٍ عَنِ الأحباب وُلّهْ
وما حُبُّ النّعال أسالَ دمعِى ولكن حُبُّ مَنْ كَرُمتْ برِجْلِهِ
محمدا الرفيعَ القدرِ أعْنى حبيبَ اللهِ أحمدَ خيرَ رُسْلِهِ
عليه سلام ذى مِقَةٍ مَشُوقٍ إليه ظَلّ مُعْتصِما بحبلِهِ
مَدَى افتخرَتْ سَمَوَاتٌ وأرضٌ على حُرِّ الخدود بوطءِ نَعْلِهِ

* * *

وله فى ذلك وقد نحا منحى رائية أبى الربيع بن سالم

وله رحمه الله قصيدة مطولة ، نحا بها منحى رائيّة أبى الرَّبيع بن سالم ، وهى :

تَبَدَّتْ لنَا والشَّوْقُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ بقلبٍ شَجٍ لا وَجْدَ يُشْبِهُ وَجْدَهُ
نعَالُ رسول الله أشْرفُ بنعلِ مَنْ قد اختصَّ بين الرُّسْلِ بالسِّرِّ وحْدَه
وإلّا تكن نَعْلَ الرسول فإنَّهَا مِثالٌ وكمْ نِدٍّ يُذَكِّرُ نِدَّه
فيا ناظرًا منها حديقًا تعاهدتْ عِهادُ الحيا تُرْوِى رُباه ووُهْدَه
فَلِلّهِ ما أذكى وأطيبَ نفْحَه إذا حرَّكَتْ ريحُ الصَّبابة رَنْدَه

[٧٠٠]

وأطلعَ شَوْقُ الحبِّ بدْرا بهَارَه وشمسًا تروم الغرب فى الصيف وِرْدَهُ
على الفوْرِ قَبِّل فيه تقبيل فاخرٍ بموْلًى أعزَّ اللهُ فى الخَلْق عبدَه
ونزِّه به طَرْفًا جفا النومُ جَفْنَــه ومرِّغ به خَدًّا دَمُ الجَفْنِ خَدَّه
فرُبَّتَ ذِى وجْدٍ رأَى أثرًا لِمَنْ له وَجْــدُه يومًا فأطفأَ وَجْدَه
أمولاىَ يا أعلَى النبيّين منْزلًا لدَى الله والمُخْتصُّ بالفضل عنده
نِدَاءُ عُبَيْدٍ أضْرَمَ الشوقُ وَجْدَه فباح بحبٍّ أبرمَ الصِّدْق عَقْده
[وإنّ الهوَى مالم يَبِنْ لــكَخَمْرةٍ بمنقودها والسِّقْطِ لازَمَ زَنْده
بحقِّ هوایَ المحضِ فيكَ الذى متى يُقَسْ بهوًى فى الدهر أُلْفِىَ وَحدَه
أنلْنىَ ما أبغيــهِ منكَ وإنّه زيارةُ قــبْر شرَّف اللهُ لَحْدَه
بأشرفِ جُثمانٍ لأشرفِ رُوحِ مَنْ وَقَى الله ممــا يوهنُ المَجْدَ مَجْدَه
هو المجدُ لا مجــدٌ يماثلُه وهلْ يماثلُ صفحُ السيفِ فى القطع حَدَّه
سكِرتُ وما خَمْرِى سوَى حُبِّهِ وَمَنْ حَسَا خمرَ هذا الحبِّ لم يخْشَ حَدَّه
فيا طَيْبةُ الغراءُ أسعدَ منزلٍ تودُّ[1] النجومُ الزُّهر تنزِل وُهْدَه
ألا فاحملى بَنْــدَ الفَخارِ وحقِّقِى بأنك قد شَرَّفْتِ بالحمــل بَنْدَه
ونُوطِى على جيد العُلَا عِقْدَه ترَىْ مُشَرَّفَةً أيضا بذلك عِقْــدَه
بأعضاءِ مُخْتار مِنَ الخلق مُرْسَلٍ إليهم بدينٍ أوْثقَ الله عَهْدَه
به نُسِخَتْ أَدْيانُ من كان قبلَه ولا دينَ يأتى الخلقَ للحَشْرِ بعده
به شاد أبراجَ العُلَا اللهُ رَبُّهُ وثَلَّ به عرشَ الضــلال وهدَّه
وردّ به عنا الرَّدَى وهْوَ مُقْبِلٌ وما كانَ لولا جاهُه لِيَرُدَّه
رسولٌ على الأرسال فضَّــله الذى حَبَاه بمــا لا يبلغ النطقُ عدَّه

(١) فى هامش ص : « تمنى » .

وإن كان رُسْلُ الله صلّى عليهمُ وسلّمَ ما ضِــدٌّ ينافِرُ ضِدَّهُ
حَكَوْا سُوَرَ القرآن نورًا وحكمة فأحمدُ قد أضحَى من الرُّسْل حَمْدَه
وفى الحمد ما فيها من الشَّرَف الذى يُبين لمهدىٍّ من الناس رُشْدَه
وحَسْبُكَ أنْ يَبْدا ويختِمَ قارئٌ بها ومُصَلٍّ فرضَه ثم وِرْدَه
كذاك رسولُ الله أوّلٌ آخِرٌ له المنزلُ الأعلى الذى لن نَحُدَّه
أمولاىَ ذا قَصْدى إليك وأنتَ مَنْ يبلّغ ذا الشوقِ المُبَرِّح قَصدَه
فيا طِيبَ عبدٍ واصل أرضَ طَيْبة يُمَرِّغُ فى تلك المعاهدِ خَدَّه
مَعاهدُ أمسى الأُنْسُ منها بظهرها لذى وَحْشَةٍ قد قرّب الله بُعْدَه
وأصبح منقولا إلى بطنهـــا فيا وَجاهة بطنٍ قد وَعاه وسَعْدَه
سَعيدٌ صَعيدٌ منه أُنشئَ أحمدٌ وفيه الذى أنشأ به الفضلَ رَدَّه
فكان كمِثْل الوَرْدِ فارَق وِرْدَه لمنفعــــــةٍ مّا ثم عاود وِردَه
أخَيرَ كريم ليس تطرُق آفةٌ فتًى حبُّـــــه للطارقات أعَدَّه
عليك وأنت السيِّد العَـلَم الذى أفاد الثَّنا بَهْرَ السَّنَى ومُعَدَّه(١)
بل العالَم الإنسى عموما ومنْهمُ خصوصا فريق أكمل الله جَدَّه
هى الأمة العُلْيا التى هُدِيَتْ وَمَنْ أُريد به خيرٌ من الخلق يَهْدَه
صلاةٌ وَتسليمٌ ورُحْمَى مَدَى انْتَمَى لك الفضل يا فَذَّ الوجود وفَرْدَه]
عديدَ صنوف الخلق عُلْوًا وأسْفَلاً صُمُوتًا وذا نطق جمادًا وضِدَّه
ولَسْتُ مجيزًا أن أضيف إلى كذا بعَدِّى فيأتى ما لِسانىَ حدَّه
كشمس الضُّحَى كالمِسْك كالقطر لم يَنُطْ(٢) به بَرقَه الأفقُ الصَّقيلُ ورَعْدَه
أجاعِلَ تشبيهى حقيقةً التفتْ غَلِطْتَ فللباب المجازىّ رُدَّه
فشمس الضحى والمسك والقطر عابَها أخو النَّقد والبرهانُ يعضِد نَقْدَه

(١) كذا فى ص . وفى م : « أجاد الثنا قهر الثناء ومعده » . (٢) فى م : « ينل » .

بكشف وإمساك وهذا دليله ... على ذاك والإيضاحُ لم يتعدَّهُ
وتلك الَّتى شبَّهتُها سَلِمَتْ سَنَى ... فجاءت كما شاء الكمالُ ووَدَّه
صلاةً وتسليما ورُحْمَى على الذى ... سَنَى وَحْيِ ذى العرْش المجيد أمَدَّه
على العُروة الوُثْقى عَلَى القَمرِ الذى ... على الخلْق ظِلَّ الأمْن والمنّ مَدّه
على منقذ الإنسان من حُفَرِ الرَّدَى ... ولولا سَناهُ كان فيها يُدَهْدَه
على من له الخُلْق العظيم على الذى ... أبانَ جميعُ الرسْل والكُتْبِ جدّه
عَلَى مَنْ له المجدُ الصميم على الذى ... به شرَّفَ الرحمن آدمَ جَدَّه
عَلَى أحمدَ المعروف فى ظهْرِ آدمٍ ... بترديده شُكْرَ الإله وَحَمْدَه
عَلَى مُجْتَبًى قد نوَّرَ اللهُ قلْبه ... عَلَى مُصْطَفًى قد طهَّر الله بُرْدَه

* * *

له المعجزات اللَّاءِ لُحْنَ لطَرْفِ مَنْ ... نفى نومَه سعْدٌ وأثبت سُهْدَه
فمنها انشقاق البدْر ثم نزولُه ... رآه الذى التوفيق وافق رَصْده
ومنها حنينُ الجذْعِ بالمسجدِ الذى ... بطَيْبَةَ لمّا آنس الجِذْع فقده
ومنها طُلوع القرْص بعد غروبه ... وما بسوَى دَعْوَى دعاها استرَدَّه
ومنها سقوط السَّيف من كف غَوْرَثٍ ... وقد كان مِقدامَ الضَّلال ونَجدَه
ومنها انفجار الماء من بين أنْمُلٍ ... تُقَسِّمَ فى أبناء آدم رِفدَه
إلى أن رَوى منه الخميسُ فيا لَهُ ... خميسًا أطابَ اللهُ ذو الفضل وِرْدَه
ومنها نماء التَّمْر حتى قضَى به ... ديونَ أبيه جابرٌ حينَ جَدَّه
ومنها كلام الشاة تَنْهَى عَنَ اُكلِها ... فلم يبلُغ السمَّامُ بالسَّمِّ قصدَه
ومنها كلام الضَّبِّ والجَمَلِ الذى ... شكا كَدَّه المُوهِى قُوَاه وجِلْدَه
وكيفَ مَواليه يريدون نَحْرَهُ ... ولمَّا يُراعُوا فيه بالأمْس كَدَّه

[٧٠١]

ومنها البعيرُ المبطئُ السَّيْرِ ساطَه فما وَخَدَتْ من بعدذا النُّجبُ وَخْدَهُ
إلى غيرها مِن معْجِزاتٍ بوَاهرٍ فضَحْن عَدُوًّا باغِيًا رَامَ جَحْدَه
تُكاثِر رَملَ الأرض عدًّا و نَبْتَها وتفضُلُ سِلْكَ الدُّرِّ حُسْنًا وَعِقْده
وتُزْرِى سَنًى بالنَّيِّرَيْن توصُّلَا من الفلَكِ المَجْلُوِّ بالصَّحْوِ كِبْدَه

* * *

ومما به قد خصَّه الله رحمةً وفضلاً ونخرًا قد قضى الله خُلْدَه
صحابتُه الغُرُّ الأُلَى سَعِدُوا ففى قلوبِهم قد أَسْكَنَ الله وُدَّه
هُمُ نَصَرُوا دينَ الهُدَى بسُيوفِهِمْ كما خَذَلوا نَسْرَ الضَّلال ووَدَّه
وأولُهُمْ سَبْقًا وحيدُهُمُ حِلًى وَأَوْجَهُهُمْ عِنـد الإِله وعنْدَه
مُقَرَّبُهُ مَحْبُوبُه مُصْطَفَاه مِنْ جميعِهِم لا خَلْقَ يَعْلَمُ نِدَّه
خَليفَتُه فى المسلمين الذى لهُ مناقبُ عُودَ الطِّيبِ تُنْسِى وَنَدَّه
مُيَمِّمُ ضُلاَّلِ اليمامة غازيًا ليُرْوِى دَمًا قُضْبَ الحديد ومُلْدَه
فما سَلِمَ الكذَّاب منها رئيسُهُمْ مُسَيْلِمُ خنزيرَ الضَّلالِ وَقِردَه
أقاويلُه الزُّورِيَّةُ اللاَّءِ قد دَجَتْ ورَأْسُ الدُّجى لا شكَّ بالنور يُشْدَه
مقاتِلُ أهلِ الرِّدَّةِ الرُّجَّسِ الأُلى نَحَوْا سدَّ بابٍ حَرَّمَ الله سدَّه
أبو بكرٍ الصِّدِّيق أَصْدَق صاحبٍ وأَبذلُهُم فى نُصْرَةِ الدِّين جهدَه

* * *

وثانيهم الموصوفُ بالشِّدَّة التى بها دينَه قوَّى الإلهُ وشدَّه
مُلاقِى خطوبِ الدَّهر منه بعزْمَةٍ تَحُلُّ مِنَ الخَطْبِ الكريه أَشَدَّه
مكسِّرُ كِسرَى الفُرس واضع تاجِهِ مُقَلِّبه بالعُود يُظهِر زُهْدَه
مُقَصِّرُ أعمار القياصِر بالقنا مُدِدْنَ وبالصَّمْصام مَزَّقَ غِمْدَه

مُواصلُ أسبابِ الهُدَى النَّدُسُ الذى … عن الحقّ ماشيءٌ من الدَّهرِ صَدَّهُ

[أَميرُهمُ فاروقهمْ عُمَرُ الذى … مَدَى العمرِ لم يَفْرَق من الأمرِ آدَه

* * *

وثالثهم ذو الهجرتين الفتى الذى … شكا هَجرَه شخصُ النَّعيم وصدَّه]

مجمِّع ما فى الذِّكْر من سُوَر ومَنْ … مَتَى رُدَّ دَاعٍ قد دَعا لم يَرُدَّه(١)

[٧٠٢]

[مُجَهِّز جيشِ العُسْرَةِ الفاضلُ الّذى … تَرَدّى رِدَاءً غَيْرُه لم يُرَدَّه]

فذلك عثمانُ الشهيدُ بداره … بسيفِ شقيٍّ فى لظًى يَتَدَهْدَه

أبو عمرٍو المعمورُ قلبًا بذكر مَنْ … له من ضروب الصَّخْرِ أَنطقَ صَلْدَه

فسبَّحَتِ الحَصْبَاء فى كَفِّه كما … أتى فى حديثٍ أَكْثَرَ الناسُ سَرْدَه

* * *

ورابعهم من ألبسْته يد العلا … أجلَّ قميص للعُلا وأَجَدَّه

[ووَشَّحه إيمانه وجَنَانه … أَجَذَّ حسامٍ للطُّلَى وأحَدَّه]

تسمَّى لتفريق الفِقار به بذى الْـفِقار فما أَفْرَى وأَقْطَعَ حدَّه

هو السيف لم تَجْلُ الصَّياقل صفحه … ولا رَقَمَتْ أَيْدِى القُيُونِ فِرِنْدَه

تزوَّجَ بنتَ الموْتِ بِكْرًا صداقُها … أَجَلُّ صَدَاقٍ أحكم الحبُّ عَقْدَه

وليس سوى الأرواح أشركن بالذى … براهُنَّ ما أَكَّلا وعَجَّلَ نقده(٢)

ومن جنة الفردوس كان خروجُه … لهذى وتلك الدار كانت مَرَدَّه

فيا عُظْمَ ما أبلى به فى مواطنٍ … تُشَيِّب رأسَ الطفل لم يَعْدُ مَهْدَه

إمام همام قاسرٌ(٣) كل قَسْوَر … ومدركه لو كانت الريح نَهْدَه

به فتح الرحمٰن خَيْبَرَ عَنْوة … وسدَّ به ما قبله لم يَسُدَّه

(١) يشير إلى مسارعة عثمان إلى الإسلام فى الوقت الذى كان الناس فيه يردون دعوة الداعى إليه. (٢) كذا فى ط ، ص . وفى م : «براهن تال كل عجل وفقده» .
(٣) فى ط : «قاهر» ، وهما بمعنى .

وكان رسول الله قال لأعْطِيَنْ غدًا راية الفتح المبين وَبَنْده
فتًى وَدَّه خَـــــلَّاقه وأَودُّه كما ودَّنا والله يَنْصُر وُدَّه
فلم يك يُعْطاها سِواه كرامةً بها اختصَّه مَنْ شَدَّ بالعَضْدِ عَضْدَه
[وقد كان مشدود المحاجِر أَرْمدًا ففتَّح رِيقُ الحِبِّ ما الدَّاء سدَّه
فهب هبوب الريح قسْوَرُ جحفل تولَّى به ربُّ البرِيَّة عضـده]
و بالبابِ بابِ الحصن يسراه ترَّست فلله منه قسور ما أشـدَّه
هو الآية العظمى التى طُفِئتْ به من الـكفر ماقد أضرم الجهْلُ وَقْده
ومن كان مولاه الرسول فإنه كذلك مولاه فطو باك عبدَه
أبوه الذى رَبَّى النبىَّ ولم يزل له حاميا فى السِّرِّ والجهر جَهْده
متى خاصمت فيه قريش تلقَّهم خصيمَ اللسان الهاشمىِّ مِلَدَّه
ومن قوله فيـــه يعظم شأنَه وينشر ما الرحمن أودعَ مجده
« وأبيضَ يُستسقَى الغمامُ بوجهه ثمالُ يتيم كدّر اليُتْمُ وِرْده
فياحسرتَا إن مات لم يَجْن زهرة قد أبْرَزَها الإيمان بالله وحده
ولـكنها الأقدارُ تنفُذ بالذى نودّ وقد تجرى بما لن نوَدّه
فينأى الذى أدْنى ويُدْنى الذى نآى وكلٌّ بعلمٍ يجهلُ العبدُ قصده
ونجلاه سبطا المصطفى السيِّدان مِن بنى المجدِ لا ضيمٌ ينالُ مُعدَّه
حبيباه فى الدارين ريحانتاه لم يزل منهما يستنشق الوردُ ورْده
وأمُّهمَا من أحمدٍ بَضْـعَةٌ ومن يكن من رسول الله جُزْءا يُمَدَّه
أفاطم لم يبلغ نُصَيْفَك فاضلٌ من الخلق لم يبلغ أولو الفضل مدّه
فيا صاح قل لا مجد يشبه مجده وصوتك مهما قلت « لا » فلْتَمُدَّه
أبو الحسَنِ الأسْمَى علىُّ العُلَا الذى هو البحرُ لم تُدْرِك يَدُ الجَزْر مَدَّه

* * *

[٧٠٣]

وخامسُهم بحرُ النَّدَى الأسَدُ الذى يَبُذُّ ليوث الباسِ أيْدًا وأُشْدَه
مُفَدَّى رسولِ الله بالوالدين إذ مَلَا قلبَه المغْسُولَ بَرْدًا و كَبِده
و بشَّرَ من قد حَزَّ بالسيف رأسَه لئيمَ زمانٍ كان فيه وَوَغده
بنارٍ لها غيظٌ على كل قاتل بعَمْد فما أردَى وأشْأَمَ عَمْده
حواريُّه مَنْ قد حَوَى زيُّه سَنًى سنى العلمِ بالرحمن كان يُمدُّه
أبو عابِد الله الزبيرُ الذى امتطى مُطَهَّمَة المجد الأثيل وجُرْده

* * *

وسادسُهم ذو الجود والسُّودَد الذى يعد الصدِى اللهفانَ للغوث عَدَّه
موقًّى رسول الله بالكفّ جودُها يُحلّ من العيش المهنَّإ رغده
فَشُلَّت وقد سَلَّت من الهند مُرْهفا محلَّى صقيلا أكسب الفخرَ هِنْدَه
فطُوبَى لها يُمْنَى جنتْ ثمرَ المُنَى وقد حَليت قُلْبَ النَّعيم وقَلْده
[فقلْ طَلحةٌ ذو المجد طاحَ ثقاية[1] لسانُ بيان الشرع أحْكَم نضدَه]

* * *

وسابعهم ذو الفضل أقصدُ سالك أدلَّ طريقٍ للهدى وأسدَّه
ومُفْرِغُ قَطْرِ الزُّهْدِ يجْعَلُ بينه وما بين يأجوجِ الزَّخارفِ سدَّه
أميرُ أولى الإيمان عامرُهم أبو عبيدةَ ذو الخير الذى لَنْ نَعدَّه

* * *

وثامنهم ذو المجد فى المال والتقى فلله ما أجدَى وأبْرَك وُجْدَه
ملا ذِكرُه بطنَ السماء ومالُه ملا بَطْنَ هذى الأرض غوْرًا ونجده
وكم بات لم يَطْعَم وأطعم غيرَه وقامَ ولم يَتْرُك من الجوع وِرْدَه
مُعمِّم خير الرُّسْل فاتحُ دُومَة كما وَدَّ خيرُ المرسلين وَوَدَّه

(١) كذا ورد هذا البيت فى ص . وفى م : « طلح تنال من » .

فذاك ابن عوفٍ مُقْلَةَ المجد طَرْفه أجلُّ فتًى يُثْنَى عليه وَيُمْدَه

* * *

وتاسعهم ذو الرَّمْى بالنبل والدُّعا فمَنْ يَرْمِ مِنْ قَوْسٍ وفيه يُوَدَّه

له السيرة الحُسْنَى له النَّجْدَة التى رمت فارسَ الكُفْر الصُّراح وكُرْده

فعوَّضهم من عيشهم واعْتِزازهم بموتٍ وذُل يعذب الموت عِنْده

فكَمْ فرسٍ قد راحَ أشهبَ واغتدى من الدَّم يحكى أشقر اللَّون وَرْدَه

وكم فارس مِن فارس بشماله عِنانٌ فقَدَّت منه يُمناه قَدَّه [٧٠٤]

فيابْن أبى وقَّاصٍ أنك واقِصٌ من الكُفر جيلا أوجب الله طَرْدَه

ويا سعدُ يا خالَ النبى لقد سمَتْ فروعُ نِجَارٍ ثابتٍ كنتَ سَعده

* * *

وعاشرُهم ذو النُّسْك كالمِسْك ذكرُه سعيدٌ ولا سعدٌ يماثل سَعدَه

فتى المكْرُمَاتِ الأكرمِ الماجدُ الذى يُزَيِّنُ جَمْعَ المجْد طُرًّا وَوَفْده

سُلالة زَيْد الفخرِ أرشدِ(١) مُهْتَدٍ عن الشِّرْك جَدٌّ سابق قد أصَدَّه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يُبْعَث زيد بن عمرو بن نُفَيْل أمة وحْدَه .

* * *

ومما به أيضا حَبَا الله أحمدًا وعزَّزَ ذا الدينَ العزيزَ وَجُنْدهُ

ذَوُو المجد عمَّاهُ وجعفرٌ الذى ملائكةُ الرِّضوان وارَتْهُ لَحْدَه

لحمزة ليثُ الله لا لَيْثُ غابة يُصَادِرُه إن هاجَتِ الحربُ جُرْدَه

له الفتكاتُ البيضُ سَوَّدَتِ العِدَا وزادت سَنَى بدرِ الجهاد وأُحْدَه

---

(١) فى م : « أول » .

وكان إذا ما قرَّبَ الطِّرْفَ وامتطى ... قَرَاهُ بِرِيشِ الرَّألِ يُعْلِمُ بُرْدَهُ
ولا بُرْدَ إلّا نَثْرَةً عربيَّـــةً ... لأمثالها داودُ قَدَّر سَرْدَه
فَيُرْعَد منه القِرْنُ حتّى كأنما ... به نافِضٌ[1] قد قرَّب الرَّوْعُ وِرْدَه
إلى أنْ أراد الله منه شهادة ... تُبَوِّئُهُ عَدْنَ[2] الجزاء وخُلْدَه
على يد أشقى الزَّنْج راميه غَدْرَةً ... بحربتـه شَلَّ المهيمنُ زَنْدَه
فنادَى الذى قد ألحفَ الذنبُ قلبه ... بأسودَ مما ألحفَ الربّ جِلْدَه
بقتلكَ يا وَحشيُّ سامِيَ سامِها ... أصاب سوادُ الجلد حاما وَوُلْدَه

* * *

وعباسٌ العمّ الأعمُّ مَكارمًا ... تُقَصِّرُ من نَجر الكرامِ أمَدَّه
أبو الخُلَفا ساقى الحجيج أجَلُّ مَنْ ... به يُصْرَفُ الصَّرْف الجليل ويُنْدَه[3]

* * *

وجعفرٌ الطَّيَّار ذو المشهد الّذى ... ملائكة الرَّحْمٰى غدت فيه شُهْدَه[4]
مُحَمِّرُ راياتِ الهُدى بدم العِدا ... بنى الأصفرِ الأُسْدِ الأُلَى لم يُدَهْدِهُوا[5]
مُقَـدِّمُ يُمناه ويُسراه قُرْبةً ... إلى منزلٍ فى دار عَدْنٍ أعدَّه
وأمسك بالعَضُدين بعدهما اللّوا ... لواءَ الهُدى يَبغى من الله عَضْده

* * *

وبعدَهمُ الأنصارُ والكلُّ أنجمٌ ... قد أطلعها مولاهُ تَـكْلأَ مجده
بهم خُضِد[6] الإشراكُ شرقًا ومغربا ... ولولاهمُ ما كان أعْوَصَ خَضْده!

---

(١) النافض: ضرب من الحمى ينتفض منه الجسم. (٢) فى م: «عدل».
(٣) ينده: يبعد ويطرد. (٤) شهد: جمع شاهد.
(٥) لم يدهدهوا: يريد لم يهزموا.
(٦) فى م: «خمد».

ذَوَا بِلهُمْ قُضْبَان بانٍ نواعمٌ … قَدَ أُنْبِتْنَ سُوسانَ الحديد ووَرْدهُ [٧٠٥]

تصيبُ قلوبَ الشِّرْكِ طعْنًا(١) كأنها … تُحِبُّ القضا الجارى فتَقْصِدُ قَصْده

وإلّا فبيْن الشِّرك حقدٌ و بينها … فتطلبُ منه مَوْضِعا ضمَّ حِقْده

وأسيافُهم زُرْقٌ رِقاق كأنها … نِطافٌ(٢) بها قد عيَّنَ الموتُ وِرْده

ذكورٌ ويَعرُوها المَحيض كأنها … إناث ولا غُسْلٌ عليهنَّ بعدَه

فيامَعْشر السادات والكلُّ منكُمُ … يَرى الصَّبْرَ فى نصر الهدى هو شَهْده

كأنَّ عُدَاة الدين زرْعٌ مُحَطَّمٌ … تولَيتُمُ بالبِيض والسُّمْر حَصْده

فأقْرَرْتُمُ عينَ الرسول وحَسْبُكُم … بذا قُرَّةً تُهدِى إلى الطَّرْفِ بَرْده

* * *

ولله من أزواجه أمهاتنـــــــا … فرائدُ عَلْياءَ قَدُ أُشْرِبْن وُدَّه

وأكرَمُهُنَّ الدُّرَّة الفَذَّة التى … بها زَيَّنَ المجـــدُ المؤثَّل عِقْده

خديجةُ ذات الجاه إن يَنْشُدِ امرؤ … به اللهَ فى أمر تقبَّل نَشْده

لها الأثر المحمود والأُثَرُ(٣) التى … مَتى مرَّ عَرْف الطِّيب عنه ترُدَّه

بنو المصطفى ما دون إبراهمَ الذى … رَدَاهُ رِداءَ الصَّبْرِ بالثُّكْل قدّه

بنوها وكلٌّ أشْمُسٌ وأَهِلَّة … كواملُ رسمَ الفخر حازوا وحَدّه

وفيها رسولُ الله قال مكرِّما … خليلاتها والدمع يُخْضِل خدَّه

ألا إنها كانت تزورُ خديجةً … ومِنْ خُلْق ذى الإيمان يحفظ عهدَه

فبشَّرَها جبريلُ عن ربِّها بما … لها الله فى دار النَّعيم أعدَّه

* * *

---

(١) فى م: «فيها».

(٢) كذا فى س، والنطاف: جمع نطفة، وهى الماء الصافى. وفى ط: «قطاف»، وفى م: «مطاف».

(٣) الأُثَر (جمع أُثْرة كغرفة): المكرمة المتوارثة.

وعائشةٌ بنتُ الحَبيب عَتيقِ الْـــمُصَدِّق إيعادَ الرسول ووَعْده

فريدة نِسْوان الوجود مَناقبًا متى يَبلَ ذِكْرٌ صالح تَستجدّه

عَليمة أهل العلم شمسُهم التى جلَتْ سُدَف الجهل المُضِلِّ وسَدّه

* * *

وحَفصةُ ذات الصِّيت والمَنصِب الذى هو الطَّوْد لا تَرقَى السوابقُ مَهْدَه

مُوَاصِلةُ الأَوْراد والصَّـوْمِ دائمًا مواصَلَة القلب الموحِّد عَقْده

* * *

وهِنْدٌ مخــزومٍ جلالا مبلِّغًا قَصِيَّ المُنَى فى المنزلين مُعَدَّه

* * *

وزينبُ ذاتُ الطَّوْل والطُّول أنْمُلاً مواهبُها تُنسِى[1] الغَمام وعهده

* * *

وزينبُ ذاتُ الفضل بنتُ خُزَيْمَةٍ لقد وصلَتْ بالجود ما البُخْلُ جَدّه

* * *

وسَوْدة ذات السُّؤْدَدِ العِدِّ[2] والتُّقى متى صَدَّ عن قلب تُقًى لم يَصُدَّهُو

* * *

ومَيْمونةُ الميمونة البرَّةُ التى لها الفضلُ لم تَرْقَ الفواضل نجده[3]

* * *

[٧٠٦] وبنتُ حُيَيٍّ رَبَّة الصَّوْنِ والحيا صَفِيَّةُ مَنْ أَصْفَى لها السَّعْدُ وُدّه

* * *

ورَمْلَة رَمْلُ الأرض يمكن عَدُّه لنا والذى خُصَّتْ به لَنْ نَعُدَّه

* * *

(١) فى ط : «تنمى» . (٢) كذا فى ط ، ص . والعد : الكثير . وفى م : «الفذ» .
(٣) فى ط : «مجده» .

وجارية العَلْيا جُوَيْرِية التى تَقُدُّ سناما أُخْتُها لم تَقُدَّه(١)
هنا منتهى الأزواج والكل أَشْمُسٌ سناهُنَّ أسدافَ الجهالة يَشْدَه

* * *

وما رِيءَ مِنْ تِرْب لمارية التَّى هواها له لا صَرْدٌ(٢) يُشْبِه صَرْدَه
سَرِيَّة سُرِّيَّاته أىُّ مَنْزِلٍ يُرَقِّى(٣) من الطَّوْد الفَخَارِيّ فِنْده
فسُرِّيَّة الإنسان تسمو بمن لها تَسَرَّى وهذا المجد(٤) تَعْلَمُ جَدَّه
وإن لم تكن أُمًّا لنا فهْىَ أُمُّ مَنْ افِقدانه أبدى حبيبُك وَجده

* * *

حبيبى حبيبى فِطْرَةً وَشريعةً قد احْكَمَتا مِنْ حَبل حُبِّى مَسْده(٥)
مدحتك والأزواجَ والصَّحْبَ والأُلَى بقُرْباك شُهْبَ الفخر أَجْرَوْا وَوِرْدَه
فعاد مُجَلِّى كلِّ فَخْرٍ قُدامِس سُكَيْتًا تولّى القِرْدُ بالسَّوط جَلْدَه(٦)
هو المدحُ ما كرَّرْتَه زادَ طِيبُه فَيُنْسِى مَشُورَ الأَرْىِ طَعْمًا وقَنْدَه(٧)
فَصِلْه أيا فكرى لعلك بالغ من البحر ذى الماء الرَّوِى العذب ثَمْدَه(٨)
ولازِمْ جناب المجد ذا المجد مادحا ودع جانبا هِنْد الجمال وَدَعْده
ولا تطلُبى يا نفس غيرَ شفاعةٍ ووصْلَ كريم(٩) لا أُحاذر صدّه
وعافيـةٍ شُهْبانُها كلَّما عَرا بلاءٌ تولّت عن جَنَابِىَ لَهْدَه(١٠)

(١) كذا فى الأصول ، ولم نتبين معنى الشطر الثانى .
(٢) الصرد : الصافى الخالص من كل شىء . (٣) فى ط : « يلقى » .
(٤) فى ط : «الجد» . (٥) المسد : الفتل .
(٦) القدامس : الشديد . والسكيت : آخر خيل الحلبة .
(٧) مشور الأرى : العسل المجموع من الخلية . والقند : عسل قصب السكر إذا عقد .
(٨) الروى : الماء الكثير . والثمد (بسكون الميم هنا وقد تحرك) : الماء القليل .
(٩) فى ط ، ص : « نعيم » . (١٠) لهده : دفعه ورده .

وقَمْعَ عُداة لم يخافوا إلٰهَهُمْ فبارَوْا ذِئابَ القَفْرِ ضُرًّا وعُقْده
مذاهِبُهم ظُلْم العباد فإن يَقُل لهم ناصح كُفُّوا عن الظلم يزْدَهوا
وعبدُك بالإيثار دانَ فلم يكُن ليَخْتَصَّ دون الغَيْر بالخير وَحْدَه
فَعَمَّ بهذا الخير كلٌّ موحِّد هواك لديه خيرُ عِلق(١) أعدَّه
وسلَّم رب العرش بدءًا وعَوْدةً عليك أيا فَذَّ الوجود وفَرْدَه
سلامًا يُضاهى هَدْىَ مَنْ قد ذكرتُه(٢) وتصليةً جاءَتْ كذلكَ بعده

انتهى ما أردت جلبَه من كلام هـذا الإمام ، فى تمثال نعل المصطفى عليه الصلاة والسلام .

* * *

عناية الصالحين بالنعل الكريمة

قلت : وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النَّعل الكريمة ، وكيف لا ، وحُقّ على كل مؤمن أن يَفلِىَ لمشاهدتها الفَلا ، فإذا شاهدها قبَّلها ألفا وألفا ، وتوسَّل [٧٠٧] بصاحبها إلى الله [الكريم] زُلْفَى ، ولَثَمَ ثَرَاها لَثْما ، وأزاح [به] عن نفسه حُوبًا وإثما ؛ وجعلها فوق رأسه تاجا ، واستغنى بالتوسل بِمَنْ لَبِسَها فلم يَكُ إلى غابِرِ الدهر مُحْتاجا . وقد أفردها أبو اليُمْن بنُ عساكر بالتأليف ، وصنّف فيها جزءا مُفْردا ؛ وكذلك أفردها بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خَلَف السُّلَمِىّ ، الشهير بابن الحاجّ ، من أهل المَرِيّة ، وكذا غيرهما(٣) .

(١) كذا فى ط . وفى ص : «عقد» . وفى م : «خلق» .
(٢) كذا فى م . ورواية هذا الشطر فى ط ، ص : «سلاما يضاهى للذى مر ذكره» .
(٣) فى هامش ص أمام هذا الموضع ما نصه : «وقد ألف فيها المصنف تأليفا سماه : فتح المتعال . وذكر العياشى فى رحلته أنه رأى بالمدينة تأليفا لبعض القرطبيين ، فيه نحو ٥٥ قصيدة لم يطلع عليه هذا الشيخ ، رحم الله جميعهم» .

بعض ما جرب من بركتها

ومن بعض ما ذُكِر فى فضلها ، وجُرِّب من نفعها وبركتها ، ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد ، وكان شيخا صالحا وَرِعا ، قال : حَذَوتُ هذا المِثال لبعض الطلبة ، فجاءنى يوما ، فقال لى : رأيتُ البارحة من بَرَكة هذه النعلِ عَجَبا ، أصاب زوجى وجع شديد كاد يُهْلِكُها ، فجعلتُ النعل على موضع الوجع ، وقلتُ اللّهُمَّ أَرِنى بركة صاحبِ هذه النعل ، فشفاها الله لِلْحين .

وقال أبو إسحاق : قال [محمد] أبو القاسم بن محمد : ومما جُرِّب من بركته أنَّ مَنْ أمسكه عنده متبركا به ، كان له أمانا من بَغْيِ البُغاه ، وغَلَبة العُداه ؛ وحِرْزا من كل شيطان مارد ، وعينِ كلّ حاسد ؛ وإن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطَّلْق ، تيسّر عليها أمرُها بحول الله وقوّته .

لأبى اليمن بن عساكر فى مدحها

ولله درّ الإمام [الشيخ] أبى اليُمْن بن عساكر رحمه الله حيث قال :

يا منشدًا فى رسم ربعٍ خالى	ومُنَاشِدًا لدوارس الأطْلالِ
دع نَدْبَ آثارٍ وذكرَ مآثر	لأحبَّةٍ بانُوا وعَصْرٍ خالى
والْثِمْ ثَرَى الأثَرِ الكريم فحبّذا	أنْ فُزْتَ منه بلثْمِ ذا التِّمثال [٧٠٨]
أثرٌ له بقلوبنا أثَرٌ لها	شُغْل الخَلِىِّ بحبِّ ذات الخال
قبِّلْ لك الإقبالُ نعْلَىْ أخْمَص	حَلَّ الهلال بها محلَّ قِبال
أَلْصِقْ بها قلبًا يقلّبُه الهوى	وجِلًا عَلَى الأوصاب والأوجال
صافِحْ بها خدًّا وعَفِّر وَجْنَةً	فى تُرْبِها وَجْدًا وفَرْط تَغال
تَشْفِيكَ حَرَّ جوًى ثَوَى بجوانحٍ	فى الحبِّ ما جَنَحَتْ إلى الإبلال
يا شِبْهَ نعل المصطفى رُوحى الفِدا	لمحلِّك الأسمى الشريف العالى
هَمَلتْ لمرآك العيونُ وقد نأى	مرْآى العِيَان بغير ما إهمال
وتذكّرتْ عهدَ العقيق فناثَرتْ	شوقا عقيقَ المَدْمع الهطّال

وصَبَتْ فواصلَت الحنينَ إلى الذى ... ما زالَ بالِى منــه فى بَلْبالِ
أذكرتِـنِى قدمًا لها قدمُ العُــلا ... والجودِ والمعروفِ والإفضـــال
أذكرتنى مَنْ لم يزل ذِكْرِى له ... يعتاد فى الأبكار والآصال
لو أن خدِّى يُحْتَذَى لمِثالها ... لبلغتُ من نيل المُنَى آمالى
ولهـا المفاخر والمآثر فى الدُّنا ... والدين فى الأقوال والأفعال
أو أنَّ أجفانى لوطء نعالهـــا ... أرضٌ سمتْ عزًّا بذا الإذلال

* * *

ولمالك بن المرحل فى مدحها

وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاجّ ، للأديب العلامة أبى الحَكَم مالك بن المرحَّل ، رحمه الله تعالى ، وهى [قوله] :

بوصف حبيبى طرّزَ الشعر ناظمُهْ ... ونَمْنَمَ خَدَّ الطِّرس بالنقش راقِمُهْ
رَءوف عَطوف أوسعُ الناس رحمةً ... وجادت عليهم بالنوال غمائمُه
له الحسن والإحسان فى كل مَذْهب ... فآثاره محبوبة ومعــــالمه
به ختم الله النبيين كلَّهم ... وكلُّ فَعال صالح فهو خاتِمه
أُحِبُّ رسولَ الله حُبًّا لو أنه ... تقاسمه قومى كَفَتهم مَقاسمه(١)
كأن فؤادى كلما مرَّ ذكرُه ... من الوُرْق خفّاق أصيبت قوادمه
أهيمُ إذا هبَّتْ نواسمُ أرضــه ... ومَن لفؤادى أنْ تَهُبَّ نواسمه
فأنشَقَ مِسْكًا طَيِّبًا فكأنَّما ... نوافِجُه جاءَتْ به ولَطائمــه
[٧٠٩] ومما دعانى والدَّواعى كثيرةٌ ... إلى الشَّوْق أنَّ الشَّوقَ مما أكاتمه
مِثالٌ لنعلَيْ من أُحِبّ حديثَه ... فها أنا فى يومى وليلَ لاثمه
أجرُّ على رأسى ووجهى أديمَه ... وألثِمه طوْرا وطورا ألازمه

(١) كذا فى م . وفى ظ ، س : « قسائمه » .

أُمَثِّله فى رِجْل أ كْرَم من مَشَى فتُبصِره عينى وما أنا حالمْهْ
أُحَرِّكُ مِنْ خَدَّىَّ أَحْسِب رَفْعَه على وَجْنَتِى خَطْوًا هُناكَ يداومه
ومن لى بوَقْعِ النَّعل فى حُرِّ وَجنتى لماشٍ علَتْ فوق النجوم بَراجِمه
سأجعلُه فوق الترائب عُوذَة لقلْبى لعلَّ القلبَ يَبْرُد جاحمه
وأَرْبطُه فوق الشئون تميمةً لجَفنِى لعلَّ الجَفْنَ يرقأُ ساجمه
ألا بأبى تِمثالُ نعـــــــلِ محمد لَطَاب مُحاذِيه وقُدِّسَ خادمه
يودّ هِلال الأفق لو أنه هَوَى يُزاحمنا فى لثمه ونزاحمـــــــه
وما ذَاكَ إلا أن حُبُّ نبيِّنا يقوم بأجسام الخليقـة لازمه
سلام عليه كلما هبّت الصَّبَا وغَنَّتْ بأغصان الأراك حَمائمه

* * *

وللقرطبى فى ذلك أيضا

وللشيخ أبى بكر أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام أبى محمد عبد الله القُرْطُبِىّ فى ذلك :

ونعلٍ خَضَعْنا هَيْبَةً لبَهائها وإنّا متى نخضعْ لها أبدًا نَعْلُ
فضعْها على أعلى المفارق إنها حقيقتُها تاجٌ وصورتُها نعل
بأخْمَص خير الخلق حازت مَزِيَّة على التاج حتى باهت المَفْرِقَ الرِّجْل
مَعانى الهُدَى عنها استنارتْ لمبصر وإنّ بحار الجود من فيضها تَحْلُو
سلَوْنا ولكن عن سواها وإنما يَهِيمُ بمغناها الغريبُ وما يسلو
فما شاقنا مذ راقنا رسم عِزِّها حميم ولا مال كريم ولا أهـل
شِفاء لِذِى سُقْم رجاء لبائس أمانٌ لذى خوف كذا يُحسَب الفضل [٧١٠]

* * *

ما كتب فى بعض تماثيل النعل

ورأيت فى بعض تماثيل النعل الكريمة مكتوبا بطرَفها [الشريف] ما نصه :

مثالُ نعل الرسولِ خُذْهُ بحُسْنِ القَبولِ
ففضلُه ليس يُحْصَى لدفع كلِّ مَهُولِ

وفى وسطها ما نصه :

أُمَرِّغُ فى المثال بياضَ وجهى فقد عَقَدَ(١) النبىُّ لها قِبالَا
وما حبّ المثال شغَفْن قلبى ولكن حُبُّ من لَبِسَ المثالا

ورأيت مكتوبا بدائرتها ما نصّه :

ما كان هذا المثال الكريم فى دار فسُرِقت ، ولا فى سفينة فغَرِقت ، وفيه خواصُّ عجيبة . انتهى :

* * *

ماوقع للفاكهانى حين رأى تمثال النعل

وقد حكى غير واحد أنَّ سِرَاج الدين ، سيدى عمرَ الفاكهانى شارحَ العمدة والرسالة ، لما أبصر تمثال النعال المطهّرة أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد [حين أفاق متمثلا :

ولو قيل للمجنون ليلَى ووصلَها تريدُ أم الدنيا وما فى زواياها
لقال غبارٌ من تراب نعالها أحب إلى نفسى وأشفى لبلواها

وقد ذكر أن السِّراج الفاكهانى] لما احتضر أغمى عليه ساعة ، فلقَّنه بعض من حضره ، ففتح عينيه وأنشد :

وَغدَا يذكِّرنى عهودًا بالحِمَى ومتى نَسِيتُ العهد حتى أذكرَهْ

(١) فى م : « جعل » .

ثم أُدخل عليه تمثالُ النعل الطيبة ، فحين شاهدها أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد البيتين المذكورين حين أفاق .

* * *

ما قاله ابن رشيد حين رأى تمثال النعل فى دمشق

وقال الشيخ الرحّال أبو عبد الله بن رُشيد الفِهْرىّ :

لما دخلت دار الحديث الأشرفية برسم رؤية النعل الكريمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولثمتها ، حضرتنى هذه الأبيات ، فقلت :

هنيئًا لعَيْنِى أنْ رأت نعلَ أحمدِ ... فياسَعْدَ جَدّى قد ظَفِرت بمقصِدِى

وقبّلتُها أَشْفِى الغليلَ فزادنى ... فياعجبًا زاد الظّما عِند موْرِدى [٧١١]

فلله ذاك اللثمُ لهْوَ ألذُّ مِنْ ... لَمَى شَفَةٍ لَمْيا وخدٍّ مُورّد

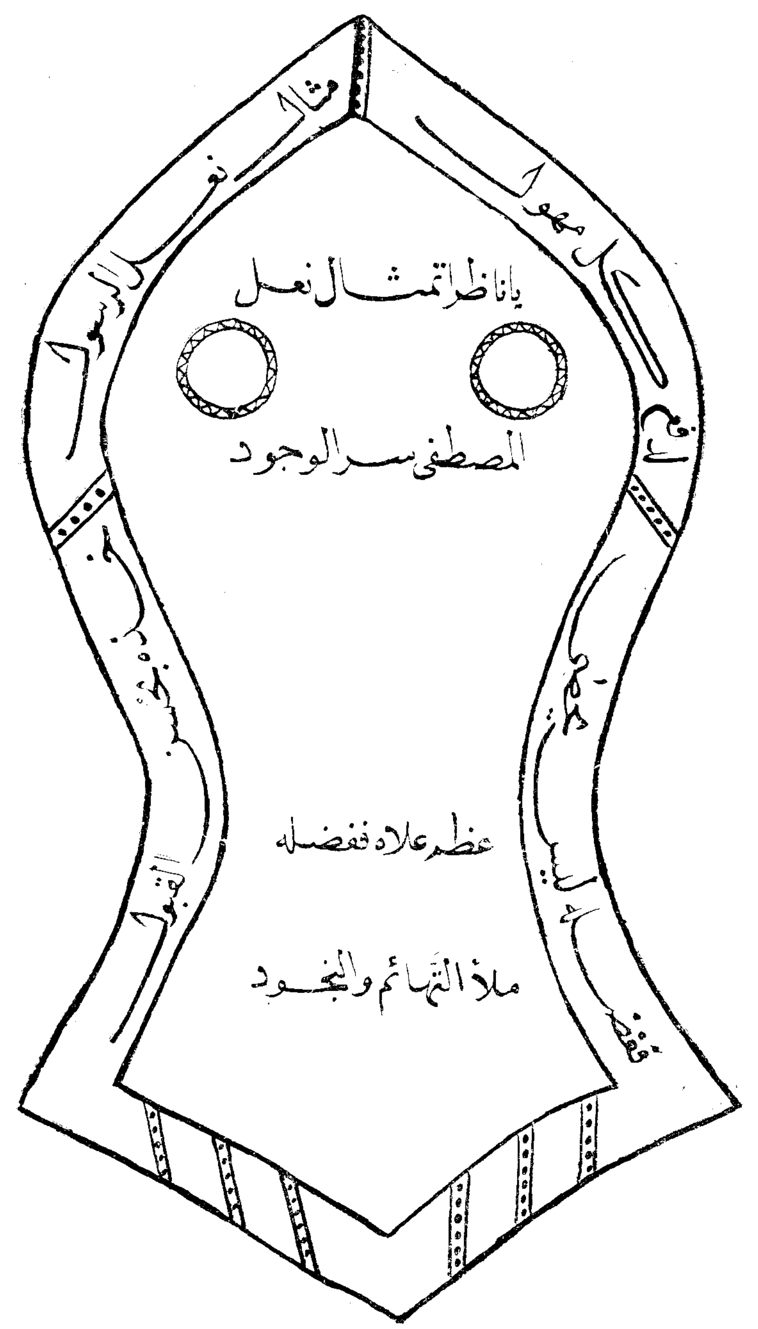
ولله ذاك اليوم عيدًا ومَعْلَمًا ... بتاريخه أرِّختُ مولدَ أسْعد

عليه صلاة نشرُها طيّب كما ... يُحبُّ ويَرضى رَبُّنا لمحمد

* * *

ولا بدَّ أن نَرْسُم تمثالَ النعل الكريمة ، تبركا بصاحبها عليه الصلاة والسلام .

وهذه صفتها :



تِمثال النَّعْل النبويَّة ، فى دار الحديث الأشرفيّة بدِمشق ،
كما رسمته النسخة التَّيْموريَّة

[ما كتب فى المثال الأيمن]

وكتبتُ(١) فى داخله ما نصُّه من نظم المؤلف رحمه الله تعالى :

يا ناظرًا تِمثال نعْـل المصطفى سِرّ الوجودْ
عَظِّمْ عُلاهُ ففضْـلُه مَلأ التهائم والنُّجُود
واجعـلْه خير وسيلة فالله ذو كرم وجُود
صلَّى عليـه اللهُ ما أحيا الحيا الروضَ المَجُود

ولغيره :

يا مُبْصِرًا تِمثالَ نعـلِ نبيّهِ قَبِّلْ مِثال نعالِه مُتَـذَلِّلا
واذكر به قَدَما علت فى ليلة الْـ إسرا به فوق السموات العُلا
واخضعْ له وامسحْ جبينَكَ واتكُنْ متبرِّكًا أبدًا به متوسِّـلا(٢)

والمؤلف رحمه الله تعالى :

يا مُبْصِرًا تِمثالَ نعـلٍ قد علا طالِعْ محاسـنه وكن متوسِّـلا(٣)
واخْضَعْ له وامسح جبينك ولتكُنْ مُتَـبَرِّكًا أبدا به مُتوسِّـلا(٢)
واسأَلْ به مُتَضَرِّعًا مُسْـتَمْطِرًا أَلْطَافَ رَبٍّ لم يزل مُتَفَضِّـلا
فَهْوَ الوسيلة والمَلاذُ إذا عَرَا خَطْبٌ وأَضحى الكربُ أمرًا مُذْهِلا
فلَـكَمْ أغاثَ مَنِ استغاثَ بجاهِهِ وأناله أقصى المَرَامِ مُسَهِّـلا

(١) رسم الكاتب فى ص مثالَى النعل ، وكتب بداخلهما هذه الأشعار كلها . واكتفت م برسم أحد المثالين وفيه بعض هذه الأشعار ، وقد نقلنا صورة المثال الذى فى م . أما ط فإن الكاتب ترك موضعا خاليا للمثالين ، ولكنه لم يرسمهما ، ولم يذكر شيئا من الأشعار التى كتبت فيهما — نقول : وأكبر الظن أن ما كتب بداخل مثالى النعل ليس من عمل المؤلف ، لاختلاف النسخ فى ذلك .

(٢) هذا البيت مكرر مع البيت الثانى من مقطوعة المؤلف التى تلى هذه الأبيات . ولعله من زيادة الناسخ هنا كما تدل عليه نسخة ص . (٣) هذا البيت ساقط من ص .

يا خيرَ خلقِ الله دعوةَ حائرٍ ... لم يتخذْ إلا جنابَك مَوْئِلا

صلِّ عليك الله يا نور الهُدَى ... والآلِ والصحب الكرام ومن تلا[١]

ما حَنَّ مُشْتاقٌ لِذِكْرِكَ أو غدَا ... لمثال نعلِكَ لاثمًا ومُقَبِّلا[٢]

وللشاميّ الفقيه من أهل العصر :

أيا ناظرًا مَتِّعْ جفونَك ساعةً ... بأزهار هذا الرَّوض من حيث ما تخطو

وقِفْ مَوْقِفَ الإذلال لله واطْلُبَنْ ... بها نِعْمَةَ الرِّضوان إن راعَكَ السُّخْطُ

فلو لم تكن مقبولة عند ربنا ... لما كان من هذا النعال بها وَخْطُ

وللمؤلف :

يا ناظرًا تمثالَ نعْلِ المصطفى قبِّلْه أَلْفَا

واجعله خير وسيلة ... تدنِي إلى الرحمن زُلْفَى

واحفَظه فهْو ذخيرةٌ ... ما مثلُها فى الدهر يُلفَى

وللشامىّ أيضا :

أيا نعلَ الرَّسولِ سمَوْتِ قَدْرًا ... وفَخْرِى غيرُ خَفِيٍّ للَّبِيب

أقولُ لمنْ بحِبِّى ذاب شوقا ... وأعْيا داؤه طِبَّ الطبيب

تنَشَّقْ مسك أنفاسى لِتَشفَى ... بهذا الطِّيب من عَرْف الحبيب

والمؤلف أيضا :

بِشَرَف المختار قد شُرِّفَتْ ... نِعَاله حتى سما ذا المثالْ

فاسأل به الرَّحمنَ جَلَّ اسْمُه ... فما به يُسْأَل إلا أَنال

وكيف لا يُدرِكُ مستمسكٌ ... بالعروة الوثقى المُنَى بالسُّؤال

---

(١) رواية هذا الشطر فى ص : « ما دام نعلك فى الشفاعة مقبلا » .

(٢) هذا البيت ساقط من ص .

وجاهُ خير الخلق أَعْظِم به مَلاذُنا فى حالنا والمآل

صلى عليه الله مَعْ صحْبِه وآله أجلِّ صحب وآل

انتهى ما كتب فى المثال الأيمن .

[ما كتب فى المثال الأيسر]

وفى الآخر ما نصّه :

والمؤلف :

يا ناظرًا تمثـال نعـل المصطفى فى ذا الـكتابْ

قبِّـله ألفًا ثمَّ زد ما شئتَ[1] لا تَخْشَ العِتاب

واسأل به ربَّ الوَرَى سبحانَهُ حُسْنَ المآب[2]

وله أيضا ممـا قاله بَديهة :

حاز هذا المثالُ كل المزايا إذْ حَـكى نعلَ رجْلِ خَيْرِ البرايا

أحمَدَ المصـطفَى المَلاذ إذا ما طرَق الدهرُ أهله بالبـلايا

مَلجَإِ العـالَمين طُرًّا إذَا ما جُمِـعَ الناس يوم تُخْشَى الرَّزَايا

خِيرةِ اللهِ ، مُجْتَباه ، وَمَنْ حا زَ خِلالًا حميـدة وعطايا

فعليه الصلاةُ ما قبَّلَ النّعْـلَ مَشُوقٌ يرومُ مَحْوَ الخطايا

وللـكاتب المـكلاتى من أهل العصر ، يشير إلى هذا المثال الـكريم : ،

انظُرْ إلى البدر وتَـكْليفِه بين شِرَاكٍ يا لها من قِبَالْ

ما صار كالعُرجون من ثِمّه إلّا محا كاة لهـذا المثال

---

(١) فى ص : « إن شئت » . (٢) فى ص : « المتاب » .

والمؤلف أيضا فى ذلك :

يا ناظرًا فى مثالٍ أضحى هنا ذا ارْتسامِ
يحكى نعالا تناهَتْ فى الُحسن دون مُسامى
قبِّلْه تقبيلَ صَبٍّ مُوَلَّهٍ مُسْتهام
وضَعْه من فوق رَاسٍ تاجًا لمَفْرِق هام
وابسُط له حُرَّ وجْهٍ ولا تخفْ مِنْ مَلَام
ففضْله ليس يُحصَى بنثرٍ أو بنظام
واحفظ علاه وصُنْه وكُنْ له ذا احترام
أمانُ خُرْفٍ وخوف تيسيرُ كلَّ مَرام
لا يَطْرُقُ الدهر دارا غدَتْ به فى اتِّسَام
والفلكُ إن كان فيها لم يخش من هول طامى
فيا لها بركاتٍ شهيرَةً فى الأنام
وكيف لا وهو يُنْمَى للهاشمىِّ التِّهامى
خير البريَّة طُرًّا إمام كل إمام
أسخَى الخليقة كَفًّا أرْعاهُمُ لِذِمام
إنسان عين المعالى وذو السجايا الجسام
عليه أزكى صلاةٍ بطَيْبة وسلام
والصحب والآل طُرًّا والتابعين الكرام
ما استُنْشقتْ نسماتٌ مِنْ عَرْف مِسْك الختام

* * *

انتهى ما فى النعل الكريمة ، واتصل به ما نصه :]

ولابن جابر الوادى آشى فى ذلك أيضا

وممـا قيل فى النَّعل الـكريمة ، قولُ الإمام المحدِّث الرَّحَّال ، أبى عبد الله محمد بن جابر الوادِى آشِى ، ونظَمها بدار الحديث الأشرفية من دمشق ، وقد رأى فيها تمثال نَعْل النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم ، فقبَّلَه وقال :

دارُ الحديث الأشرفية للشِّـفَا ... فيها رأت عيناىَ نعلَ المُصطفَى

ولثمته حتى قَنَعت وقلتُ يا ... نفسى أنُعْمى أَكَفاكِ؟ قالت لى: كَفى

لله أوقاتٌ وصلتُ بها المُنى ... من بعد طَيْبَة ما أجلَّ وأشرفا

لك يا دِمَشْق على البلاد فضيلة ... أيامُكِ الأعيادُ لازَمها الصَّفا

ولـكمْ بجَيْرُونٍ جرَرْتُ ولمأَخَفْ ... ذيلًا وَبَرْحُ هواىَ فيها ما اختفى

* * *

وللشامى الخزرجى فى ذلك

قلت : ومما أنشدنى الفقيه الأريب ، العلاّمة الأديب ، الحاجّ الرّحال ، أبو الحسن صاحبنا ، سيدى على بن أحمد الشامى الخَزْرجى لنفسه ، فى تمثال النعل الـكريمة ، قولُه نفعه الله بقصده ، وكتبه لى بخطه ، وكنت طلبت منه ذلك ، لأثبته فى هذا الموضوع :

دَعُوا شَفَةَ(١) المشتاق من سقُمها تُشْفَى ... وتَرْشُف من آثار تربِ الهدى رَشْفَا

وتَلثِم تمثـالًا لنعلٍ كـريمة ... بها الدَّهْرَ يُسْتَسْقَى الغمامُ وَيُسْتَشْفَى

ولا تصرفوها عن هواها وسُؤْلها ... بعَذْلـكم فالعدلُ يمنعها الصَّرْفا

ولا تَعْتِبوها فالعتـاب يَزيدها ... هُياما ويسقيها مُدام الهوى صِرْفا

جَفتْها بكَتْم الدمع بُخْلًا جُفونُها ... فَمَنْ لامها فى اللَّثم فهْوَ لها أَجْفَى

(١) اكتفت م هنا بالإشارة إلى مطالع القصائد والمقطوعات التى ذكرها المؤلف لأبى الحسن على بن أحمد الشامى ومن بعده ، إلى أن وصلت الـكلام بالموضوع الأصلى ، وهو ذكر من استجازه القاضى عياض ، ومنهم الزمخشرى .

لئنْ حُجِبَتْ بالبُعْد عنهم فهذه ... مكارمُهُمْ لم تُبْقِ سِترا ولا سَجْفا
وإن كان ذاك الخيفُ مَوعِدَ وصلهم ... فها نَفْحَةُ الإفضال قَرَّبت الخَيْفا
وأغنت بفضل عن مشقّة شُقّةٍ ... نُكابد مَسْراها شتاء يلى صيفا
فحركتِ الأشواقَ منا لروضةٍ ... أباح لنا الإسعادُ من زهرها قَطْفا
زمانا به موصولنا نال عائدا ... وأكّد نَعْتُ الوصل من نحوهم عَطْفا
تولّى كمثل الطّيف إذ زار فى الكَرَى ... وإلاّ كمثل البَرْق إذ سارع الخَطْفا
تقضَّى وما قضَّى بلُبْنَى لُبانةً ... لِقيسِ الهوَى والحبِّ منا وما استوفى
فزُلْنا وما زِلْنا نُعلّل باللقا ... نفوسا وما تُجْدِى لعلَّ ولا سَوْفا
[٧١٥] كأنَّا وما كنَّا نجوبُ منازِلا ... يود بها المشتاق لو رَاهَق الحَتْفا
ولم تُبصرِ الأبصار منها محاسنا ... ولم تسمع الآذان من ذِكرها هَتْفا
كذاكَ اللَّيالى لم تحُل عن طِباعها ... متى واصلتْ يوما تصلْ قطعَها ألْفا
فلا عيش لى أرجوه من بعْد بُعْدِهم ... وهيهاتَ يرجو العيشَ من فارق الإلْفا
ويا حبَّذا قتلٌ إذِ العيش لم تزل ... سيوف الهوى تفْرِى به القلب والجوفا
ومَنْ لى بقتلٍ فى سبيل الهُدَى التى ... وُعِدْنا عليها بالجنان ومَنْ أوفى
أيا من نأت عنه ديار أحبةٍ ... فمن بعْدِهم مِثْلى على الهُلْك قد أشْفى
لئن فاتنا وصلٌ بخَيف مُناهم ... فها نفحةٌ من عرْفهم للحشا أشفى
وهاتيك أزهارُ الرياض تنفّست ... بأنفاسهم فاستَشْفِيَنَّ بها تُشفى
وقل للألى هاموا اشتياقا لِبانهم ... هلمّوا لِعَرْف البان نستنشق العرْفا
فصفحة هذا الطِّرس أبدتْ نِعالَهم ... وصارت لها ظرْفا فيا حُسْنَه ظرفا
تعالَوْا تَغالَوْا فى مديح علائها ... فرُبَّ غلوٍّ لم يَعِب ربَّه عُرفا
ولله قومٌ فى هواها تنافسوا ... وقد غرَفوا من بحر أمداحها غرفا

وإنَّا وإنْ كُنا على الكُلِّ لم نُطِق نحاول بعضَ البعضِ من بعض ما يُلفى
لئن قبّلوا ألفا نَزِدْ نحن بعدَهم على الألف ما يستغرق العَدَّ والألفا
وإنْ وَصَفوا واستغرقوا الوصفَ حَسْبُنا نُجيل بروْض الحُسْن من وصفهم طَرْفا
ونقبِس من أنوارهم قدرَ وُسْعنا ونَركض فى مِضمار آثارهم طِرفا
فمن قال بدرُ التِّمِّ أو طلعةُ الضحى أو الروضُ يحكيها فما أنصفَ الوصفا
فما الشمسُ إلا من محاسن ضوئها استنارتْ ولولاها للازَمتِ الكَسفا
وما البدرُ إلا من مشارق نُورها استَمَدَّ ولولاها لما فارق الخَسفا
وما طاب نشرُ الروضِ إلا لأنَّه يَمُدُّ مَدى الأيام من نَشْرها عَرْفا
وما اخضرَّ تُربُ الأرض إلا لأنها تخطَّته فاختط النباتُ به حَرْفا
فحَلُّوا بها أعلى المفارق واكْحَلُوا بها مُقْلَة العينين أو عطِّروا الأنْفا
فآثارها تُبرِى الجوَى وترابُها لسُقْم الحشا والقلبِ أنفعُ أو أنفَى
لها الفخر أن سارت بها رجلُ من سرى إلى حضرة التَّقْديس والقُرب والزُّلفى
ونُودِىَ لا تخلَعْ نعالك واقرُبَنْ وألْقِ بها من نفحة الحُبِّ ما ألفى
وأدناه قُرْبًا قابَ قوسين ربُّه وناداه قُلْ تُسمع وسَل تُعْطَ عِدتُكْفى [٧١٦]
نبىٌّ به نلنا المُنَى وتواكفت علينا من الرحمٰن سحبُ الرِّضا وَكْفا
تعلَّى على العلياء حتى أنار مِنْ عُلاه العُلا والغوْرَ والنَجْدَ والخيفا
وقاتل فى إظهار أنوار دينه جميعَ العِدَى حتى زَوَى الضَّيمَ والحيفا
وكان إلى الهيجاء أوّلَ سابق وما فارقَ العَضْبَ المُهَنَّد والسيفا
هَواهُ هَدَى الهادين منه إلى الهدى وحُبُّه أهْدَى الواردَ المَوْردَ الأصفى
وآياته كالزَّهْرِ والزُّهْرِ نفحة وعَدًّا فمن ذا يستطيع لها وصفا
كَفَتْ كَفُّه الجيشَ اللُّهَام عَن الحيَا وكَفَّتْ جُيوشَ الكفر عن غَيِّها كَفا

وُرُدَّت له الشمسُ المنيرُ شعاعُها كذا البدر بعد التّمِّ صار له نِصْفا
وجودُه أجْدى من رياحٍ عواصفٍ ومن ذا يُبَارى الريحَ إن رامت العصفا
أمولاىَ يا مولاىَ يا خيرَ سيّد تسامَى على الأشباه طُرًّا مع الأكفا
نأتْ بىَ عنكم مُوبقاتٌ جنيتها وعفوكُمُ من كُلِّ كُلْفٍ بها أكفى
وهأنا عند الباب راجٍ وخائفٌ دموعىَ لا تَرقَا وشَجْوىَ لا يُطفَا
أناديك يا خير البرية كلِّها نداء عُبَيد يَرتجى العفو والعطفا
وإنِّى محق فى هوى حبكَ الذى يَفُلُّ جيوش الهَمِّ إنْ أقبلتْ زحفا
وما أنا فيه كالذى قال هازلًا «أليْلَتَنا إذ أرْسَلت واردا وَحْفا»(١)
فآها لنفسى ثم آها إذا أنا طُرِدتُ ويا لهفَا أردِّدها لهفا
وواحسرتَا يا حسرتا ثم حسرتا إذا لم تكن فى موقف الحشر لى كهفا
ولكنَّ لى ظَنًّا جميلا بنسبتى لأنصاركم يا خيرَ من راقب الخِلْفا
كما أنَّ لى أيضا مُتَاتًا بمِدْحتى نعالا بها نيل العُلى والمُنى يُلفى
أبى النظمُ يَسْتَوفى حِلاها وهل يَفِى رَوِىٌّ بآثار الهدى ألِفٌ أوْفا
عليك صلاة ما بدا بدر تِمِّكم وما اشتاق مشتاقٌ إلى وعدك الأوفى

* * *

وله فى الغرض نفسه

ومما أنشدنيه أيضا لنفسه فى ذلك قوله :

مثالُ النعل فى القرطاس خَطَّا بسُمْرِ الشَّوْق فى الأحشاء خَطَّا
ولما أن لثمْتُ ندَى ثَراه وغَشَّى نورُه جفنى وغطَّى
شمِمْتُ الوَرْدَ مِن ريَّاه يَنْدَى وشِمْتُ البدر من عَلياه حَطَّا
[٧١٧] ففجَّر لى من العينين بحرا ونثَّرَ من لآلى الدمع سِمْطا

(١) يريد : قول محمد بن هانئ الأندلسى فى مطلع قصيدة له :
أليلتنا إذ أرسلت واردا وحفا وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

ورَوَّى من جماد الجَفْن جسمى   وأَوْرَى من زِناد الشوق سَقْطا
وهزَّ من الهوى عِطْفَ ارتياحى   لأرضٍ لم تزل تزدادُ شَحْطا
وذَكَّرَنى معاهدَ لستُ أنسَى الْـ   ـمَزارَ بها ولو بالبُعْد شَطّا
معاهدَ خيرِ من ركب المطايا   وأكرمِ من خَطَا نَعْلا وأَوْطا
بأخْمَص رِجْله الحسناءِ حازتْ   مفاخرَ لم يُطِقْها الوَصفُ ضبطا
سمتْ فسعتْ لها زُهْرُ الدَّرارى   لتَلْثِم رُكْنَها وتَطُوفَ شَوْطا
فكلّتْ دونَها وسَطَتْ عليها   ولا بِدْعا بذاك الفخر يُسْطَى
فمن قال الهلالُ لها مثالٌ   لعمرُ الله فى التمثيل أخطا
ولكنَّ البدورَ لها نعالٌ   تَوَدُّ بها تُداسُ عُلًا وتُخطَى
وما طلعتْ عيونُ الشَّمس إلاّ   لطالعتِها تَرومُ بها مَحَطّا
وما رقصتْ غصونُ النبت إلاّ   لعَلْياها تحطُّ الراسَ حَطّا
وما غنّتْ طيور الأيْك إلاّ   عليها تَعتلِى الأغصانَ حَوْطا
وما حنّت حُداةُ العِيس إلاّ   إليها تبتغى أَثْلاً وخَمْطا
وما هبَّتْ نسيمُ المِسك إلا   لريّاها تنال بذاك خَلطا
ولوْ يوما تخطّتْ أرضَ جدْب   لما أَلْفَتْ بها فى الدهر قَحْطا
يحِقُّ لنا نعظِّمها جلالا   ونربِطُ طِرْسَها بالقلب ربطا
ونَنتعل الوجوه بها جمالا   ونجعلها على الآذان قُرْطا
وتَعتصب المَفارقُ من ثَراها   وتكتحل العيونُ بذاك شَرْطا
نعفِّر وَجْنـةً فيها وخَدًّا   ونَخْضِب من سواد الرأس شَمْطا
ونُنشد من يعاتب فى هواها   « إليك خبطتُ من عشواء خبطا »
ودعنا والهوى إنّا أُناسٌ   يَزِيد غرامُنا بالعَتْب فَرْطا

وإنا معشرَ العُشّـــاق ممّن يَرَى جَوْرَ النَّوَى والبعْدِ قِسْطا
ونقْنَع بالخيـال مدى الليـالى وإن طال التَّباعُد أو تشـطَّا
ولا سِيَما المثالُ وقد تبـدَّى يَجُرُّ عَلَى عُلَا الجوزاء مِرْطا
[٧١٨] وما نعْلاً نريد ولا مِثـالا ولـكن من بهـا العَلْيا تخطَّى
نبيٌّ إنْ أتيتُ إلى حِماه وجدتُ سماحة فى الخُلْق بسْطا
أتى والدينُ أصبح فى انقباضٍ فعاناه إلى أن نالَ بَسْطا
وقاتلَ فى سبيل الله حتى أزالَ عن الورى قَنْطا وضَغْطا
وعمَّتْ دعوةٌ منــه وعمَّت بآيات الهدى فُرْسا وقِبْطا
فطـــوبَى للذى لبَّى سريعا ويا ويلَ الذى عن ذاك أبْطا
سما لسما العـــلاء فنال قرْبا وهمّ بنعـله نَزْعا وكَشْطا
ونُودىَ طَأْ ولا تخلع نعـالا وأبدِلْ من مَقام الرَّوْع بسْطا
وأيَّدَهُ الإله برُوح قُدْسٍ ومَدَّ له من التقديس بسطا
وعظَّمَه على الأرســـال طُرًّا ونَظَّمه بذاك العِقْد وُسـطى
هُناك حَبَاه فرضا من صـلاة بها عَنَّا الذنوب تُصِيب حَبْطا
وسـدّده إلى أن جاء موسى وردَّدَه إليـــه يَروم حَطّا
إلى أن صير الخمسين خمسا وأبقى أجرها والإصْرَ حَطّا
وأعطاه الشـفاعة يومَ حشر يقول أنا لها والناس قَنْطَى
وتَعْجِزُ دونها الأرسال طُرًّا وتأتى الناسُ سِبْطا ثم سِبْطا
إذِ الجبَّار يبرُز بانتقـــام ويُبْدِى للوَرَى غَضَبا وسُخطا
فيُدْنيه ويلهمُه بفضـــل محامدَ مثلَها ما قطُّ أعْطَى
ومهما رام يشرَع فى سـجود ويضرَع بالدُّعا ويخِـرّ هَبْطا

يُنادَ ارفع تُطَعْ واشْفَع تشفَّعْ — وقل يُسْمَعْ وسل ما شئتَ تعطَى

فيَحْظَى بالمراد قريرَ عينٍ — بما أولاه تَكْرِمَةً وغَبْطا

ويَصدُر شافعًا فى كلِّ عاصٍ — مُصِرٍّ دَنَّسَ الأَعمال وَخْطا

ويُخْرِجُ مَن له أدنى نَوَاةٍ — من الإيمان والنيران فَرْطا

جزاه الله عنا كلَّ خير — وحاط به ديار الدين حَوْطا

ولا زالت صلاة الله تترَى — عليه ما بدا بدر وغَطَّى

تَفوح وخَتْمُها مِسْك عبيق — يعُمُّ عبيرُه آلًا ورَهْطا

* * *

وللشامى أيضا فى النعال مكملا ما سقط من كلام ابن فرج السبتى

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك ، مكمِّلا ما سقط من الحروف من كلام ابن فرج السَّبتى المتقدم الذكر قولَه جاريا على طريقتِهِ : [٧١٩]

قافية الواو

وقفتُ على تمثال نعلٍ كريمةٍ — فأحيتْ برسم الشوق منِّىَ ما أقوَى

وأيقنتُ أنِّى إذ ظَفِرْتُ بلثْمِها — تمسَّكتُ فى أُخْراىَ بالسبب الأقوى

وناديتُها يا نعلُ عُذْرًا فإننى — على مَدْح بعضٍ من معاليكِ لا أقوى

وطِئْتُ رُبوعا للهدى ومغانيا — عُلاها على الرضوان أُسِّس والتقوى

ولامسْتُ رجْلا لو يطاوِعُ تُربُها — ثُرَيَّا السما شَدَّت لتقبيله حِقْوا

قافية لام الألف

لآلِى نعالِ المجد أهْلا بها أهلا — وشُكْرًا لأنْ كُنَّا لتقبيلها أهْلا

لآلِى رسُولٍ مَسَّها جِلْدُ رِجله — بها وِرْدُ فَخْرٍ يَعْذُبُ العَلَّ والنَّهْلا

لآدمَ هذا الفخرُ أيضا لأننا — بذى النعل أُنْقِذْنا الغَوايةَ والجهلا

لأُقسمُ يا من لَامَ فيها عليكَ لا تعذِّبْ بتَعْذَالى[1] ومهلا به مهلَا
لأنِّى غريقٌ فى هوَى حُبِّهَا وكم مُحِبٍّ يرى التعذيب فى حُبِّها سهلا

قافية الياء

يوَدُّ لسانى أن يؤدِّىَ مَدْحها نعالا فيُعْيينى عُلاها وحَرْف اليَا
يؤدِّى ولكن لا يُطيقُ كمالَها ولو أنَّهُ يَفْلِى بيان الوَرَى فَلْيا
يَمِينًا وإنِّى فى يمينىَ صادِقٌ لَحِلْيَتُها صيغتْ من الجنَّة العُليا
يواقيتُ سرِّ الكون والجودِ رُصِّعَت بها وطأَةُ التقديس فانتظمتْ حَلْيا
يُوَارِى عُلا رجلٍ عَلَى من مشى بها سلامٌ مَدَى ما أزداد من ربه وَلْيا

* * *

وله فى ذلك أيضا

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك قوله :

هــذى نعالُ أحمدِ مولَى المقام الأحمدِ
فاشكُرأخى إذ شِمْتَ من بَرْق سناها واحمَد
واكْتَحِلَنْ بتُربِهــا فهو شفاء الأرْمَد
وارشُفْ ثَرَاها إنَّه يَجلِى صدا القلب الصَّدى
والْمِسْ بَهَاءَ طِرْسها تنَلْ كمال المقصِد
واقبِسْ سَنًى مِن[2] نورها فهْىَ سرَاج المهتدى
كم من إمام أمَّها وبِهداهُمُ أقتــد
وضمَّها لصــدره ضَمَّة ذى تَوَدُّد
لها خصــالٌ جمة تُرْبِى على التعدّد
من لم تزل فى بيته يحظَى بعيش رَغَد

[٧٢٠]

(١) كذا فى ط ، ص . وفى هامش ص : « بتفنيدى » . وفى م : « بتقنيطى » .
(٢) فى الأصول : « سناء نورها » . ولعله تحريف عما أثبتناه .

يُضْحِى ويُمْسِى آمنا فى كل يوم أو غدِ
لا يَمترِى فى فضلها سوى غَبِىٍّ أَوْغَد
أو جاهلٍ بقـــدرها أو جاحد أو مُلْحِد
كم أبرأتْ من عِلة من كل داء مُجْهِد
وكم أبانت منْ هُدًى بنـــورها المؤيَّد
وكم أبادَتْ من عِدًى بسيفها المُهَنَّـــد
وكم أجارت من حِمًى بركنها المُشَـيَّد
فهْىَ أمانُ خائف وهْى رجاء القُصَّـــد
وهْى عماد المُلتجِى وهْىَ مَراد الرُّوَّد
بالغ أخى فى مدحها واشْدُدْ بأَزْرى واعْضِد
وانسُب لها ما شئت من فخر ولا تُفَنَّـــد
وقف هنا هُنَيهـــة وِقْفَةَ صَبٍّ مُسْعِد
وانهَض إلى تقبيلها نَهْضَةَ خِلٍّ مُنْجِـد
وقل إذا قَبَّلتَهَـــا مقـــالة المستنجـــد
يا أكرم الخلْق الذى قد حاز كل سودُد
يا مصـــطفًى آثارُه بها الأنام تهتـــدى
ويا مُجِـــير خائفٍ من كل سوء يَعْتدى
ويا مجيبَ ســـائل إذا أتاه يجتـــدى
عُبَيْـــدُكُمْ ببابكم حيرانَ ذا تردُّد
وَافى عُـــلاكَ تائبًا منْ ذَنبِـــه المعدَّد

يَرفعُ من مديحه إلى عُلاك الأمْجَد
عقائلا تُنْسَق من دُرٍّ ومن زَبَرْجَد
تَحْكِى عُقود جوهر أقسامُها من عسجد
فامنُن له بعَطْفةٍ من فضلك الممجَّد
ونَهْلَةٍ من حَوْضك العذب اللذيذ المَوْرد
ووَقفةٍ بروْضك الغَضِّ النَّدِى المُوَرَّد
وزَوْرَةٍ لقَبْرِك المَرضِى الزَّكىِّ الماجَد
وَأَوْبةٍ له عسى يكون ثَمَّ مَرْقدى
صلى عليك الله ما بدَا ضياء الفرقد
والآلِ والصحب الأُلى فازوا بكل الأسْعُدِ
ومن أتى مِنْ بعدهمْ من كُلِّ حَبْرٍ أَوْحَد
ومَنْ تلاَ جميعَهم ما زُمَّ ركبٌ أو حُدى
ورُدِّدَتْ من مُنشدٍ هذى نعالُ أحمد

[٧٢١]

* * *

ولـه فى ذلك أيضا

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك الغرض :

نعالٌ بها يُشْفَى العليلُ من الجَوَى وتُجْلَى بها عنه المصائبُ والبلوَى
هى البرء إلا أنَّ شُربَ دوائها لذائقه أحْلى من المَنّ وَالسَّلوى
هلموا نُقبّلْ تُرْبَها فعسى به نُخَمِّدُ جَمْرا من لظاها الحَشَى تُكوى
فرُبَّ عليل جاءه من طبيبه بشيرٍ نخفّفتْ عنه من حِينه الشكْوَى

* * *

وله يضا

وأنشدنى أيضا لنفسه فى ذلك :

أتتْ شمس السماء تحُطَّ رَأسًا لهذى النعلِ من دون النعال[1]

وتلثِم تربَهـا ذُلًّا لتحْظَى بما رامته من رُتب المعالى

فقال لها الهلالُ وقد رآها أتخضـع لا محالة للنعـال ؟

فنادته أَبْتَـــدِرْها لا تؤخر فيَفْتَضِح المُعـــالى بالمَعالى

* * *

وله مخاطبا المؤلف راغبا فى إثبات هذه المنظومات فى أزهار الرياض

[وخاطبَنى فى هذا الغَرض ، مشيرًا إلى إثبات هذه المنظومات التى سمحت بها قريحته ، فى هذا الموضوع :

أَمُفْتِىَ فاسٍ زَنْدُ شَوْقىَ قد وَرَى بخير الوَرَى فانقاد طَوْعَ عِنان

وهبَّتْ صَبَا نَجْدٍ فهَاجَت صَبَابتى وَساعَدَ بَلْبَالى بيانُ بَنانى

وصالتْ على أوصال فـكرى فأقلعت عرائِسُ غَرْسٍ من جِنانِ جَنَانى

وقدْ ذَوَتِ الأغْصان وانْتَثَرتْ بهـا أزاهِرُها تَحْكِى نثير جُمانِ

وهذا أَوَانُ الغَرْس جودوا بنقلها لروْضِكُمْ تَحْظَى بنيْـــل أمان]

* * *

ولْنرْجع بعد هذا المقدار إلى ما كنا بصدده ، فإن مثل هذا الغَرض لاسبيل لحصر عَدَدِه ، فنقول :

[بين القاضى عياض والزمخشرى]

عياض والزمخشرى

وممن استجازه القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله ولم يجزه :

الزمخشرىُّ صاحب الـكشاف ، سامحه الله .

(١) فى ط ، ص : « انتقال » ، وفى هامش ص : «انتعـال » ، ولعلهما محرفتان عمـا أثبتناه .

وسمعت غير واحد ممن لقيته يُخْبِر أَنَّ القاضِيَ عِيَاضا لمّا بلغه امتناع الزَّمَخْشَرِيّ من إجازته قال : الحمد لله الذى لم يجعل علىَّ يَدًا لمبتدِع أو فاسق ، أو نحو هذا من العبارات ، والله أعلم .

[٧٢٢] وإمامة الزَّمَخْشَرِيّ فى العلوم معروفة ، ولكن أَعِنَّة القلوب إلى من بيده التوفيق بِضدِّه مصروفة . ولا بُدَّ مِنَ الإلمام ببعض أحوال هـذا الرجل ، الذى اختلفت فى أمره الآراء وآنس من جانب البيان والنحو نارا ، وأنكر الحقّ وقد وضح نهارا ، وذكر بعضهم أنه تاب ويأبى ذلك تصريحُهُ فى كشّافه بما خالف السنة جهارا ، فإنه لو صحّ ذلك لمحاه ، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتحاه ؛ وكثير من الأئمة أَغْضَى عَنِ اعتزاله ، وانتفع بكشّافه مع مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله .

[بين الحافظ السلفى والزمخشرى]

استجازة الحافظ السلفى الزمخشرى

وممن استجازه[١] فأجازه الإمام الحافظ أبو الطّاهر السِّلَفِيّ الأصبهانى ، المتقدم الذكر ، رحمه الله ، فإنه خاطبه فى ذلك بما نصُّه بعد البسملة :

إنّ رَأَى الشيخ الأجلّ العالِم العلاّمة أدام الله توفيقه ، أن يُجِيز جميع سَماعاته وإجازاته ورِواياته ، وما أَلَّفه فى فُنون العلم ، وأنشأه من المقامات والرسائل والشعر ، لأحمدَ بن محمد بن أحمد السِّلَفِيّ الأصبهانى ، ويذكرَ مولده ونَسَبه إلى أعلى أبٍ يعرفه ، ويُثْبِتَ كلّ ذلك بخطه تحت هذا الاستدعاء ، مضافا إليه ذكر ما صنّفه ، وذكرُ شيوخه الذين أخذ عنهم ، وما سَمِع عليهم من أمهات المهمات ، حديثا كان أو لغةً أو نحوا أو بيانا ، فَعَلَ مُثابا ؛ وإن تمّمَ إنعامه بإثبات أبيات قصار ، ومقطوعات فى الحِكَم والأمثال والزهد وغير ذلك ،

(١) الضمير هنا يعود على الزمخشرى .

من نظمه ومما أنشده شيوخُه من قِبَلِهم أو من قِبَلِ شيوخهم ، بعد تسمية كلٍّ منهم ، وإضافة شعره إليه ؛ والشرطُ فى كلٍّ هذا أن يكون بالإسناد المتَّصِل إلى قائله ، كان له الفضل ؛ وكذلك إن صحبه أَصْحَبَهُ بشىْءٍ من رواياته ، أَنْعَمَ بكَتْبِ أَحاديثَ عاليه ، والله تعالى يوفقه ، ويُحسن جزاءه ، ويطيل لنشر العلم والإفادة بقاءه . [٧٢٣]

ويَعْلَم وفقه الله أنه قد وقَع إلينا كتاب من يعقوبَ بن شرين الجَنَدى رحمه الله ، وفيه قصيدة يَرْثى بها البُرهانَ البُخَارىّ ، والحاجة داعية إلى معرفة اسمه ونسبه وضبطه ، هل هو ابن شرين «بالسِّين المهملة» ، أو المعجمة ، وكذلك الجَنَدِىّ « بفتح الجيم والنون » أو « ضم الجيم وإسكان النون بعدها » .

والحمد لله حَقَّ حَمْدِه ، وصلواته على سيدنا محمد نبيِّه وعبده ، وعلى آله وصحبه أجمعين من بعده .

رسالة الزمخشرى للحافظ السلفى

فكتب إليه الزَّمخشرىُّ بما نصُّه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أسأل الله أن يُطيل بقاءَ الشيخ العالم ويُدِيمَه لعلم يَغُوص على جواهره ، ويفْتُق الأصْدافَ عن ذخائره ، ويُوَفِّقَهُ للعمل الصالح الذى هو مَرْمى أغراض أولى العقل ، ومطمَحُ أبصار المرتكضين إلى غاية الفضْل ؛ ولقد عَثَرْتُ من مَقَاطِر قلمه ، على جملة تنادِى على غزارَة بحره ؛ وتَطَّبى القلوب إلى التزيُّن بسُموط دُرِّه . وأما ما طَلَب عندى ، وخطب إلىَّ من العلوم والدرايات ، والسَّماعات والروايات ، فبنات خَلَعْتُ على تربيتهن الشَّباب ، ثم دفنتهن وحَثَوْت عليهن التُّراب ، وذلك حين آثَرْت الطريقة الأُوَيْسِيَة(١) على بُنَيَّات الطرائق(٢) ، وأخذت نفسى برفض الحُجُب والعوائق ؛ ونقلت كتبى كلَّها

(١) كذا فى ط ، ص . وفى م : «الأوسيه» .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « بنيات الطريق » وفى ص : « بنات الطريق » .

إلى مَشْهد أبى حنيفة رحمه الله ، فوقفتها ، وأصفرتُ منها يدى ، إلا دفترا واحدا قد تركته تميمة فى عَضُدِى ؛ وهو كتابَ الله المبينُ ، والحبلُ المتين ، والصراط المستقيم ؛ لأهَبَ لما قَعَدْت بصَدده كُلِّى ، وأُلْقِى عليه وَحْدَه كَلِّى ، لايَشْغَلُنى عنه بعضُ ما يجعل الرأى مشترَكا ، ويردُّ القلبَ[1] مُقْتَسِما ، ولُذْت بحرم الله المعظم ، [٧٢٦] وبيته المحرَّم ، وطلَّقتُ ما وَزَرَنى بَتّا ، وكَفَتُّ ذيلى عنه كَفْتا ، ما بى هم إلا خُوَيْصَّتِى ، وما يلهينى إلا النظر فى قِصَّتى ، أنتظر داعىَ الله صَبَاحَ مَسَاء ، وكأنى به وقد امتطيتُ الآلة الحَدْباء ؛ قد وَهنَتِ العِظام ، ووَهَت القُوَى ، وقلَّت الصِّحة ، وكَثُرَ الجوَى ، وما أنا إلا ذَماء يتردد فى جَسَد ، هو هامة اليوم أو غد ، فمـا لمِثْلِى وليس[2] له من الآخرة شىء . ولقد أجزتُ له أن يَرْوِى[3] .

محمود الخُوارزمى [ثم] الزمخشرىّ ، منسوب إلى قرية منها ، هى مسقط رأسى ، ولبعض أفاضل المشرق :

فلو وَازَنَ الدنيا ترابُ زَمَخْشَرٍ ... لِأنَّكَ منها زاده الله رُجحانا

وللشريف الأجل الأمام عُلَىّ بن عيسى بن حمزة بن وَهَّاس الحَسَنِى :

جميع قُرى الدنيا سوى القرية التى ... تبوأها دارا فِدَاء زَمَخْشَرَا

وأَحْرِ بأنْ تُزْهَى زَمَخْشَرُ بامرئ ... إذا عُدَّ فى أُسْدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرَى

فلولاه ما طنَّ البـــلادُ بذكرها ... ولا طارَ فيها مُنْجِدا ومُغَوِّرا

فليس ثَنَاها بالعــــراق وأهلِه ... بأعرفَ منه فى الحجاز وأَشْهَرا

ومن المقطوعات التى اخترعتُها من قِبَلِى :

ومَرُوعةٍ بمشيب رأسىَ أقبلَتْ ... تبكى فقلتُ لها ودمعىَ جارِى

(١) هنا فى ط ورقة بيضاء فيها صفحتا ٦٢٤، ٦٢٥ والـكلام بعدهما متصل بما قبلهما .
(٢) فى الأصول : « وما ليس » . ولعل لفظة « ما » زائدة من الناسخ .
(٣) انقطع الـكلام هنا فى الأصول . ثم استؤنف بعد على هذا النحو .

هذا المشيب لهيبُ نارٍ أَوْقَدَتْ فى القَلْب مَوْقِدَهَا حِذَارَ النَّـار

أخرى :

إليكَ إلهى المشْتَكَى نفسَ مشته إلى الشرّ تدعونى عن الخير تنهانى
وما يشتكى الشيطانَ إلا مُغَفَّلٌ أَلَا إنّ نفس المشتهِى ألفُ شيطان

أخرى :

شكوتُ إلى الأيام سوءَ صنيعها ومن عجبٍ باكٍ تشكَّى إلى المُبكِى
فما زادتِ الأيامُ إلا شكايةً ومازالت الأيام تُشْكَى ولا تُشْكِى [٧٢٧]

أخرى :

مَسرةُ أحقاب تلقيتُ بعــــدها مَساءة يومٍ أريُها شَبَهُ الصَّابِ
وكيف بأن تَلْقَى مَسرةَ ساعة وراءَ تَقَضِيهـــا مَساءَةُ أَحْقَابِ

أخرى :

الخَوض فى دُوَل الدنيا يَلِجُّ[1] بِكمْ كأنها لُجَجٌ خَوَّاضها لَجِجُ
كم خلَّصَت لُجَجُ البحر الرجالَ وما أقلَّ من خلَّصَتْه هــذه اللُّجَجُ

أخرى :

مبالاة مِثْــلى بالرزايا غَضاضةٌ أباها وثيقُ العُقْدَتين حَصِيفُ
إذا أقبلَتْ يوما علىَّ صُرُوفُها لأنيابها فى مِسْمَعَىَّ صَرِيف
عِتابٌ لها حتى أشُق َّ نحورَها أســنةُ عَزْم حدُّهنَّ رَهِيف
يُمَسِّحْن أركانى وهُنّ قوافلٌ صفًا صارداتُ النَّبْل عنه مُصيف[2]

(١) فى ط ، ص : «تلج» ، ولعله محرف عما أثبتناه .
(٢) الصفا : الحجارة الملس . وصاردات النبل : السهام التى لم تنفذ . والمصيف : الذى صرف شره .

والقاضى أديب الملوك أبو إسماعيل يعقوب بن شرين الجَنَدىّ ، أفضل الفتيان فى عصره ، وأعقلهم وأذكاهم وأدهاهم ، وكان كاتب سُلطان خُوَارَزم ، فاسْتعفى ، وهو يكتب باللسانين العربيــة والفارسية ويُحْسن ، وهو ممن رَبَّيْت وخَرَّجْت وبَلَّغْتُ تلك الذِّروة ، وهو أوثقُ سهم مِن كنانتى .

والحمد لله أولا وآخرا ، والصلاة على نبيه محمد وآله الطيبين .

* * *

استجازة الحافظ السلفى الزمخشرى مرة ثانية

ثم إن الشيخ السِّلَفِىّ عاوده الاستجازة فى السنة الثانية من إسكندرية ، كأنه ما وصلته إجازته[1] ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . المسئول من كرم الشيخ الأجل العلّامة ، أدام الله بهجتَه ، وحَرَس مُهجَته ، أن يجيز لأحمد بن مُحَمَّدٍ السِّلَفِىّ الأصبهانى ، جميع مسموعاته ومجموعاته ، فى جميع الفنون ، ويُثْبِتَ بخطه أساميَها تحت هذا الخط ، ويضيف إلى ذلك ذكر شيوخه الأعلام ، الذين أخذ عنهم الحديث واللغــة ، ويذكر جُمَلا مما سمعــه عليهم ، ويُتمم تفَضله بإثبات[2] أحاديثَ قِصار ، من [٧٢٨] رواياته عنهم ، وكَتْب شىء من شعر من رآه وأنْشده من قِبَله ، بعد المبالغة فى التعريف به ، ولا يذكر من الأبيات إلا القصار ، التى تصلح لأصحاب الحديث ، ويُتَصوَّر إخراجها فى الأمالى وأواخر الفوائد ؛ ويذكرَ مُتفضِّلا مَوْلِدَه ، والسنة التى ولد فيها ، فالحاجة داعية إلى كل ذلك ، ويُبَين ذكر المؤتَلِف والمختلف ، الذى ألَّفه ، فى أىّ فن هو ، وعلى أى شىء يحوز ؟ أعَلى ذكر الفقهاء أو الأدباء

(١) صرح ابن خلــكان فى ترجمة الزمخشرى بأنه أجاب الحافظ السلفى بما لا يشــفى الغليل ، فــكتب إليه فى العام الثانى مع الحجاج استجازة أخرى من الإسكندرية ، وكان الزمخشرىّ مجاورا فى مكة .

(٢) فى الأصول : « بأبيات » ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .

أم أهل الحديث ؟ ولا يُحْوِج أدام الله توفيقه ، إلى المراجعة ، فالمسافة بعيدة ، وقد كاتبه فى السنة الماضية ، ولم يجبه بما يَشْفِى الغليل ، وله فى ذلك الثَّواب الجزيل ، إن شاء الله تعالى ، و به الثقة .

رد الزمخشرى على الحافظ السلفى بالإجازة الثانية

فأجاب فخر خُوارَزم بما نصُّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

ما مِثْلى مع أعلام العلماء ، إلا كمثل السُّهَا مع مصابيح السماء ، والجَهَام الصُّفْر والرِّهام[(١)] ، مع الغَوادى الغامرة للقيعان والإكام ، والسُّكَيْت المخَلَّف مَعَ خيل السِّباق ، والبُغاث مع الطير العِتاق ، وما التلقيب بالعَلَّامة ، إلا شِبه الرقْم بالعَلَامَة ، كما قال بعض العرب وقيل له لِمَ سُمِّيت نعامهْ : الأسماء عَلامهْ ، وليست بكرامهْ ، ولو كانت كرامة لاشترك الناس فى اسم واحد . والعِلم مَدينه ، أحد بابيها الرِّوايه ، والثانى الدِّرايه ، وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مُزْجاه ، ظِلِّى فيه أقلَصُ من ظِلّ حَصاه ؛ أما الرِّواية فحديثة المِيلاد ، قريبة الإسناد ، لم تستَنِد إلى عُلماءَ نحارير ، ولا إلى أعلامٍ مشاهير ؛ وأما الدِّراية فَثَمَد لا يبلغُ أفواها ، وبَرْضٌ لا يَبُل شِفاها ، ولا يغرَّنكم قول الوزير مُجير الدولة :

[٧٢٩]

وجَوَّلتُ فِكْرى فى البلاد فلم يَقَعْ على رَجُلٍ فى علمه غيرِ راجل
إلى أن جَرَى الطيرُ السَّنيحُ فدلّنى على فخر خَوارَزْمٍ[(٢)] ورأس الأفاضل

ولا قول المنتخب محمد بن أرسلان :

وما ناصرُ الإسلام إلا ابنُ بَجْدَةٍ يحيط بعلمٍ لا يُحيط به الوَرى

---

(١) كذا فى معجم الأدباء لياقوت . والذى فى الأصول : «والجهام الصفر من الرهام» .

(٢) قال ياقوت فى معجم البلدان : «خوارزم : أوله بين الضمة والفتحة ، والألف مسترقة مختلسة ، ليست بألف صحيحة ، هكذا يتلفظون به» .

أبو القاسم المحمودُ محمودٌ الّذى ... به تفخر الدنيا وناهيكَ مَفْخَرا

ولا قول الشريف الأجل ذى المناقب ، أبى الحسن عُلَىّ بن حمزة بن وَهّاس الحسنىّ المَدنىّ

— قال أحمد المقّرىّ وفّقه الله :

هو عُلَىّ « بضم أوله وفتح ثانيه » ابن عيسى ابن حمزة بن وَهّاس الحسَنى العَلَوىّ ؛ وقيل إنّ الكشّاف برسمه صنعه الزمخشرىّ ، رحم الله الجميع — :

رجع الى قول[1] الزمخشرى :

وكَمْ للإمام الفَرْد عندِىَ مِنْ يَدٍ ... وهاتيكَ مما قد أطابَ وأكثرا

أَخِى العَزْمة البَيْضاءِ والهِمّة التِى ... أنافت به علّامةِ العصْر والوَرَى

جميعُ قُرَى الدُّنيا سِوَى القريةِ التى ... تَبَوّأها دارا فِداءُ زَمَخْشَرَا

وأحْرِ بأن تزْهَى زَمَخْشَرُ بامرئٍ ... إذا عُدَّ فى أُسْدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرى

فلولاه ما طَنَّ البلادُ بذِكْرِها ... ولا طارَ فيها مُنْجِدًا ومُغَوِّرا

فليسَ ثناها بالعِــراق وأهله ... بأعرفَ منه فى الحجاز وأشْهَرا

إمامٌ فَلينا مَنْ فَلينا وكلَّما[2] ... طبعناهُ سَبْكًا كان أنْضَرَ جَوهرا

ومكّةُ راووق الرجالِ فهاكهُ ... مُصَفًّى وخُذْ مَنْ شئت منهم مكدَّرا

رسا طودَ تقوَى فاض بحر فضائل ... فكم أذلَّ أطوادا[3] وغَيّض أبحُرا

وتحت عَلاق الصدق سِرٌّ مطهر ... يُمِدَّان دينا كالمَجَرَّةِ نيِّرا

(١) فى ص « كلام » . ويظهر أن الكلمة مقحمة من الناسخ ، فليست القصيدة الآتية من كلام الزمخشرى ، وإنما هى لابن وهاس كما قال الزمخشرى نفسه .

(٢) فى ط : « إمام قبلنا من قبلنا وكلما » . وفى ص : « إمام قلبنا من قلبنا وكلما » . ولعله محرف عما أثبتناه .

(٣) فى ط : « ذل أطوادا » . وفى ص : « ذل أطواد » ، ولعلهما محرفان عما أثبتناه .

فلولا سماء أشمستْ ثم أقمرتْ كَفَى بمعاليــه شموسا وأقمُرَا

ولا قوله رحمه الله :

لقد شجنى فى أم رأسىَ عزْمُهُ فأصبحتُ من عزم الإمام أمِيما
تمنَّيْتُ لو لم أَلْقَــهُ وجَهِلْته ولم يخش [قلبى] بالفراق كُلوما
فديت امرأً يحشو الفؤادَ فِرَاقُه كُلُومًا ولُقْياه حَشَتْه علوما
وكائِنْ رأينا من أولى العِلم والتُّقى رجالا أناخوا بالحجاز قُروما
فأَحْمَد أُسْتاذُ الزمانِ ضياءَهم وكان وكانوا شارقًا ونجوما

[٧٣٠]

ولا قوله رحمه الله :

أتى حَرَمَ اللهِ العظـــيم مُجاورا فللّـهِ ما أَدْنَتْ جَمالٌ وأَيْنُقُ
فَمِنْ حوضه عَبَّتْ ظِماءُ ذَوِى النُّهى فآبَتْ رِوَاءً وَهْوَ مَلْآنُ يَفْهَقُ

ولا قول العميدىّ رحمه الله :

ولو وازن الدنيا ترابُ زَمَخْشَر لأَنَّكَ منها زادهُ اللهُ رُجْحانا

ولا قول بعض فِتيانهـا المجيدين :

دعَوْكَ بجـــارِ اللهِ واللهُ عالم بأنك جار الله حقًّا كما وَجَبْ
لَعَمْرى لقد فاضتْ وَأَنْت مُفيضها على حَرَم اللهِ الصنائع والقُرَب
رَقَبْتَ ذِمام اللهِ فى كل مُؤْمنٍ وواسيْتَهمْ بالعلم طُرًّا(١) وبالنَّشَب
وأنت الإمامُ الزاهدُ الوَرِعُ الذى أبيتَ اغترارا باللُّجَيْن وبالذَّهَب
وإنك لَلْعَــلَّامة الجامع الذى جمعْتَ أَفانين العُلوم إلى الأدب
وما نَصر الإسلامَ غَيرَكَ أَهلُه وإن طار فى أعلى المنازل والرُّتب
ومَنْ طَالَعَ التفســير أيقن أنَّه مِنَ الفَلَكِ الأعْلَى أتى ذلك اللَّقَب

(١) كذا فى ص . وفى ط : « طورا » .

وإنك أُستاذُ الزّمان وكلُّهم تلامذةٌ جاثون صُغْرًا على الرُّكَب
وسَمَّتْك إذ فرَّقتَ فى كل بلدة جَواهرَ علم شيخَهَا العُجْمُ والعَربْ
فما لِخُوارزمَ التى أنت فخرها عَلَتْها الثُّرَيَّا إنَّ ذاكَ منَ العَجَب

ولا قول ابن القُرْطبى :

قَسَما[1] بَلِّغْ تحيـاتى إلى شيخنا العلّامَةِ الحَبْرِ العَلَمْ
ليس قُسٌّ عنده قُسًّا ولا سِيبَوَيْهِ الشهمُ[2] يَدْرِى ما الكَلِم
أَىَّ آدابٍ وعـلْم وتقًى منه فارقْتُ وحلم وحِكم
قُلْ إذا ما الدهر أمسى عابسا إنَّ محمودا لكَ ابنٌ يَبْتَسِم
لو جَعلتَ اليمَّ حِبْرًا والفَلا مُهْرَقا كانت معاليه أَطَم
إن مِنْ جَرَّاهُ لولا المصطفى كنتُ فضَّلْتُ على العُرب العَجَم
كل موجود سواهُ حيثُ لمْ أَرَ ذاكَ الفضلَ فى عَيْنِى عَدَم

ولا قول الخطيب الموفَّق :

[٧٣١] لسانُكَ غَوَّاص ولفظك لُؤْلُؤٌ وفكرك بحر للفضائل طامِى
لسانٌ يَوَدُّ الحاسدون لوَ أنَّهُ سِنانُ قناةٍ أو غِرارُ حُسَام

ولا قوله أيضا :

أَفَخْرَ خَوارزْمَ مالى عنك مُنْحَرَفُ ما دامَ يختلفُ الأنوارُ والسُّدَفُ
أَلَسْتَ أنتَ الذى خَوَّلْتنِى نِعَمًا تُطْوَى وتُنْشَرُ فى تَعدادها الصُّحُف
ألست أنت الذى أوليْتَنى رُتبًا بفضْل رِفعتها الإيوانُ يَعْترف
ألست أنت الذى مِن وَرْد نعمته ووِرْدِ حكمته أَجْنِى وأَغترِف
أعداؤكَ استَشرَفونى من جَهَالتهم فى وصْفها وهْى عندى فوقَ ما أصف

(١) كذا فى ط . وفى ص، م : «منعما» . (٢) كذا فى ص ، ط وفى م : «الشيخ» .

ولا قول أديب الملوك يعقوب بن شرين الجَنَدىّ :

فتى سار فى الآفاق رُكبانُ ذِكرِه مغرِّبة طَوْرًا وَطَوْرًا مُشَرِّقَهْ
إذا حلَّ فى أرض أتاه فُحُولها تُفِيدُ عُلوما حولَهُ متحلِّقَه
وإن خاض فى شرح العلوم رأيتها لفَرْطِ احتشامٍ من مَعاليه مُطرِقَه
فليس له فى كل شرقٍ ومغربٍ نظيرٌ بنو الدنيا على ذاك مُطْبِقَهْ

ولا قول البديع الخوارزمىّ :

أمكةُ هل تدرينَ ماذا تضمنت بمقدَمِ جارِ اللهِ منكِ الأباطحُ
به وإليه العِـلْمُ يَنْمِى ويَنْتَمِى وفيه لأرباب العُـلوم المناجح
محطّ رِحال الفاضلين فلم يزلْ يَحُطُّ إليـه الرَّحلَ غادٍ ورائح
إذا انتابه صِفْرُ الوِطَاب رأيتَه تحوَّلَ عنـه وهْو ملآنُ طافح
نمته الـكرام الغرّ من خير أسرةٍ همُ قدوة الدنيا الـكُهول الجَحَاجح
أَدِلّاء ضُلّالِ البَرَايا جِبَاهُهم مصابيـح رُهْبَانٍ فَدَتْها المصابح

فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموّه ، وجَهْل بالباطن المشوّه .

ولعلّ الذى غرّهم منى ما رأوْا من النُّصْح للمسـلمين ، وبليغ الشفقة على المستفيدين ، وقَطْع المطامع عنهم ، وإفاءة المبارّ والصنائع عليهم[١] ، وعزة النفس ، والربْء بها عن الإسفاف الدَّنِيَّات[٢] ، والإقبال على خُوَيْصَّتى ، والإعراض عما لا يعنينى ، فجَلَلْتُ فى عيونهم ، وغَلِطوا فىَّ ، ونسبونى إلى ما لستُ منه فى [٧٣٢] قَبيلٍ ولا دَبير .

---

(١) عبارة معجم الأدباء لياقوت : « وقطع المطامع ، وإفادة المبار والصنائع » .
(٢) عبارة ياقوت : « والربء بهـا عن السفاسف » . ولفظ « السفاسف » ممـا أنـكره اللغويون .

وما أنا فيما أقول بهاضمٍ لنفسى ، كما قال الحسن رحمه الله فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقولِه «وَلِيتُكُمْ ولَسْتُ بخيْرِكُمْ» : إن المؤمن ليَهْضِمُ نفسَه ؛ وإنما صَدَقْتُ الفاحصَ عَنِّى ، وعن كُنْه رِوَايتى ودِرَايتى ، ومَنْ لَقيتُ وأخذت عنه ، وما مَبلغ علمى وقُصَارَى فضلى ، وأطلعتُه طِلْعَ أمرى ، وأفضيت إليه بخبيئة سرّى ، وألقيت إليه عُجَرِى وبُجَرِى ، وأعلمته نَجْمِى وَشَجَرِى .

وأما المولد فقريةٌ مجهولة من قرى خُوَارَزْم ، تسمَّى زَمَخْشَر ؛ وسمعت أبى رحمه الله يقول : اجتاز بها أعرابى ، فسأل عن اسمها واسم كبيرها ؛ فقيل له زمخشر والرَّدَّاد . فقال : لا خير فى شرّ وردّ ، ولم يُلِمْ بها .

ووقت الميلاد شهر اللهِ الأصم فى عام سبع وستين وأربع مِئة .

والحمد لله المحمود ، والمصَلَّى عليه محمدٌ صلى الله عليه وسلم . انتهى .

* * *

تعليق المؤلف على كلام الزمخشرى

قلت : وإنما أوردت ذلك مع ما فى بعضه من الغُلُوّ ، وعدم التأدب مع الشرع فى بعض الألفاظ ، كى تعلم فضلَ أهل السُّنَّة رضى الله عنهم ، حيث انتصروا على مَنْ هذه صفتُه على زَعْمِه ، بالحجج البالغة ، وكسَرُوا أُمَّ رأسِه ورأس شيعته بالحجارة الدامغة ؛ ولم يغْن عنه شىء من اعتقاد هؤلاء الغُلاة فيه ، ولم تنفعه ألسنتهم التى تأتى بالباطل فى صورة الحق ، وتستقصى مطلوبها وتستوفيه ، اللهم إلا أن يكونوا غيرَ عالمين باعتقاده ، فلهم عُذْر عند اعتراض المعارض وانتقاده ، وأيًّا ما كان فقد هَدم أهلُ السنة رضى الله عنهم له ولأحزابه أساسا ، وكلما حمى حَوْزَته البِدْعِيَّة كُلَيْب من شيعته قيَّض الله له جَسَّاسا ، فظهر الحقُّ وأهله ، وارتفع غَىُّ المبتدِع وجهله .

* * *

من بديع نظم الزمخشرى

ومن بديع نظم الزمخشرىّ المذكور قولُه:

هو النَّفَسُ الصَّعّادُ عن كَبِدٍ حَرَّى ... إلى أن أَرَى أُمَّ القُرَى مرّةً أُخرَى [٧٣٣]

سَرَيْتُ بشخصى لا بنفسى وهِمَّتِى ... وهيهات ما للأخشَبَين والمسْرَى

مُقيمان عند البيت ما ذَرّ شارقٌ ... مُنيخانِ بالبطحاء ما ذكَتِ الشِّعْرَى

[وله من قصيدة :

مَلِيحٌ ولكنْ عندَهُ كُلُّ جفوةٍ ... ولم أرَ فى الدنيا صفاءً بِلَا(١) كَدَرْ

ولم أَنْسَ إذ غازلتُه قربَ روضةٍ ... إلى جنب حوضٍ فيه الماء مُنحدَرْ

فقلتُ له جئنى بوَرد وإنما ... أَرَدْتُ به ورد الخُدود وما شَعَرْ

فقال انتظِرْنى رجْعَ طرفٍ أجِئْ به ... فقلت له : هيهات ، ما لىَ مُنْتَظَرْ !

فقال ولا وَرْدٌ سِوَى الخَدِّ(٢) حاضرٌ ... فقلت له إنى قَنَعْتُ بما حَضَرْ]

وقوله :

إذا التصقتْ بالبحث فى العلم رُكْبَتِى ... بِرُكْبةِ نِحريرٍ على الجِدِّ دَأْبِ

فإن دام لى عونُ الإلٰه على الذى ... أُعانيه من فضلٍ وَبِرّ وأداب

وإن نظرتْ عينى على الودّ والصفا ... مع البِرّ والتقْوَى نواظر أحباب

فقل لملوك الأرض يَلْهوا ويلعبوا ... فذلك أهْوَى ما حييتُ وتَاعبابى

وقوله أيضا :

أربعةٌ للدين أركانُ ... حُبُّهُمُ يُمْنٌ وَإيمانُ

أربعةٌ أَوّلُ أسمائهم ... عَيْنٌ وَهُمْ فى الناس أعيان

عتيقُ والفاروق والمُجْتَبَى ... منهم وذو النُّورَيْن عثمان

* * *

(١) كذا فى ابن خلكان ؛ وفى م : « ولا » وهو تحريف . ولم ترد المقطوعة فى ط ولا ص . (٢) كذا فى ابن خلكان ؛ وفى م : «مر» وهو تحريف .

ما ذكره عنه السيوطى فى بغية الوعاة

قال السيوطى فى الطبقات الصغرى ما نصُّه :

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشريّ ، أبو القاسم ، جارُ الله ؛ كان واسع العلم ، كثير الفضل ، غاية فى الذكاء وجودة القريحة ، متفننا فى كل علم ، معتزليًّا ، قويا فى مذهبه ، مجاهرا به ، حَنفِيًّا .

ولد فى رجب سنة سبع وستين وأربع مئة ، وورد بغداد غير مرّة ، وأخذ الأدب عن أبى الحسن على بن المظفَّر النَّيْسابوريّ ، وأبى مُضَر[1] الأصبهانى ، وسمع من أبى سعد الشَّقّانى[2] ، وشيخ الإسلام أبى منصور الحارثى ، وجماعة ؛ وجاور بمكة ، وتلقَّب بجار الله ، ونحر خوارزم أيضا . وكتب إليه الحافظ السِّلَفيّ يستجيزه . وأصابه خُرّاج فى رجله ، فقطعها ، وصنع عِوَضها رجْلا من خشب ، وكان إذا مَشى ألقى عليها ثيابه الطِّوال ، فَيظن من يراه أنه أعرج .

[٧٣٤] وله من التصانيف : الكشّاف فى التفسير ؛ الفَائق فى غريب الحديث ؛ المفصّل فى النحو ؛ المقامات ؛ المستقْصَى فى الأمثال ؛ ربيع الأبرار ؛ أطواق الذهب ؛ صميم العربية ؛ شرح أبيات الكتاب ؛ الأنمُوذَج فى النحو ؛ الرائض فى الفرائض ؛ شرح بعض مُشْكِلات المفصّل ؛ الكَلِم النوابغ ؛ القِسطاس فى العروض ؛ الأحاجيّ النحوية ؛ وغير ذلك .

مات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .

أسندنا حديثه فى الطبقات الكُبْرَى ، وتكرر فى جمع الجوامع .

(١) كذا فى معجم الأدباء وهو الصحيح . أبو مضر ، محمود بن جرير الضبى الأصبهانى . وفى ابن خلكان : «أبو مضر منصور» . وفى الأصول : «أبى نصر» وكلاهما غلط .

(٢) كذا فى معجم الأدباء . والشقانى (بفتح أوله وتشديد القاف) : نسبة إلى قرية من قرى نيسابور . وفى الأصول : « الشقاق » . وفى بغية الوعاة : « الشفانى » وكلاهما تحريف .

وله :

إن التفاسيرَ فى الدنيا بلا عَدَدٍ ولىس فيها لَعَمْرى مثلُ كَشَّافى
إن كنتَ تبغى الهُدَى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشّاف كالشافى

انتهى كلام السيوطى .

تعريف ابن خلكان به

وقال ابن خَلِّكان فيه ما نصُّه(١) :

محمود بن عمر بن محمد الخُوَارَزْمىّ الزمخشرىّ ، أبو القاسم الإمام ، له الكتب فى التفسير ، والحديث ، والنحو ، واللغة ، وعِلم البيان . إمام عصره غيرَ مُدافَع ، تُشَدُّ إليه الرِّحال فى فُنونه ، وصنف التصانيف الشريفة ، منها الكشّاف ، لم يصنَّف قبلَه مثلُه ؛ والمفصَّل فى النحو ، وغير ذلك . وسافر إلى مكة ، وأقام بها مُجاورا زمانا ، فصار يُقال له جارُ الله لذلك ، وكان هذا الاسم عَلَما عليه ؛ وكانت إحدى رجليه ساقطة ، وكان(٢) يمشى فى جاوِنِ خشب ؛ وسبب سقوطها أنه أصابه فى بعض أسفاره ببلاد خوارَزم ثلج و بَرْد شديد ، فسقطت رجله ، وكان بيده مَحْضَر ، فيه شهادة خلق كثير ممّن اطّلعوا على حقيقة ذلك ؛ خوفا من أن يُظَنَّ [به] أنها قُطِعَت لريبة ؛ وقيل إنه سئل عن قطع [سبب] رجله ، فقال : دُعاء الوالدة ؛ وذلك أنى فى صباىَ أمسكت عُصفورا ، وربطت خيطا فى رجله ، فأفلَتَ من يدى ، فأدركته وقد دخل فى خرْق ، فجَذَبته ، فانقطعتْ رجله [فى الخيط ، فتألمتْ والدتى لذلك ، [٧٣٥] وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله] . فلما دخلت إلى بخارَى لِطَلَب العلم ، سقطتُ عن الدابة ، وانكسرت الرِّجل ، وعَمِلَتْ علىّ عملا أوجب قطعها .

وكان الزمخشرىّ مُعْتَزِلىّ الاعتقاد ، متظاهرا به ، وكان إذا قصد صاحبا

(١) بين مانقله المؤلف هنا وما فى نسخة ابن خلكان طبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ خلاف فى بعض العبارات .

(٢) فى الأصول : «وإنه كان» ولفظة «إنه» زائدة هنا .

له ، واستأذَن عليه فى الدخول ، يقول له : أبو القاسم المعتزلىّ بالباب .

وأولَ ما صنفَ الـكَشاف كتب استفتاح الخطبة : « الحمد لله الذى خَلَقَ القرآن » ، فقيل له : متى تركتَه على هذه الهيئة ، هجره الناس ، ولا يرغب أحد فيه ؛ فغيره وقال : « الحمد لله الذى جعل القرآن » ، وجعل عندهم : بمعنى خلق . ورُئى فى كثير من النسخ : «الحمد لله الذى أنزل القرآن » ، وهذا إصلاح الناس ، لا إصلاح المصنف .

ومن شعره يَرْثى شيخه أبا مُضَرَ محمودًا[1] :

وقائلةٍ ما هـــــذه الدُّرَرُ التى تَسَاقَطُ من عَيْنيك سِمْطَيْن سِمْطَيْنِ

فقلت لها الدّرُّ الذى كان قد حشا أبو مُضرٍ أُذْنى تساقَطَ من عَيْنِى

وأنشد فى كتابه الـكشاف لبعضهم[2] :

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعوضِ جَنَاحَهَا فى ظُلْمَة الليـل البهيم الأَلْيَلِ

ويَرَى عُروق نِياطها فى نَحْرِها والمخَّ فى تلك العِظام النُّحَّل

اِغْفِرْ لعبد تاب من فَرَطاته ما كان منه فى الزمان الأوّل

ويُرْوَى أن الزَّمَخْشرىَّ أوصى أن تُـكْتَب هذه الأبيات على لوْحِ قبره .

وقال غيرُ ابن خَلِّـكان فى البيت الأخير :

اُمْنُنْ علىَّ بتوبةٍ أمحو بهـا ما كان منى فى الزمان الأوّل

وهذا لا يناسب الـكَتْب على لوْح القبر ، وإنما يناسبه ما رَوَى ابن خَلِّـكان ، فتأمله .

---

(١) كذا فى معجم الأدباء لياقوت ، وهو الصواب . وفى الأصول تبعا لابن خلـكان : « منصورا » وهو غلط من ابن خلـكان ، أو من النساخ . (انظر الحاشية رقم ١ صفحة ٢٩٥ من هذا الجزء) .

(٢) نسب ابن كثير فى البداية والنهاية هذه الأبيات لأبى العلاء المعرى .

ثم قال ابن خَلِّكان : وحدَّث بعض الأصحاب أنه رأى بجزيرة سواكن تربةَ ملِكها عزيز الدولة رَيْحان ، وعلى قبره مكتوب :

[٧٣٦] يأيُّها الناس كان لى أملٌ قصَّرَ بى عنْ بلوغه الأجَلُ

فليتَّقِ اللهَ رَبَّهُ رَجُلٌ أمكنه قبلَ موته العمل

ما أنا وَحْدى نُقِلْتُ حيث تَرَى كلٌّ إلى ما نُقِلْتُ ينتقل

تُوُفِّى الزَّمخشرِىّ ليلة عَرَفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة .

انتهى كلام ابن خَلِّكان .

* * *

إلمامة به لابن غازى

وقد تقدّم(١) فى التأليف الذى نقلناه عن [الشيخ] ابن غازى رحمه الله ، بعض إلمام بحال الزمخشرىّ سامحه الله .

* * *

للزمخشرى يمدح كتاب سيبويه

ومن نظم الزمخشرىّ قوله يمدح كتاب سيبويه رحمه الله :

أَلَا صلَّى الإله صلاةَ حقٍّ(٢) على عمرو بن عُثمان بن قُنْبَرْ

فإنَّ كِتابه لم يَغْنَ عنه بنو قلَمٍ ولا أبناء مِنْبَرْ

[بين الزمخشرىّ وأهل السنة]

ما نشده فى الكشاف لبعض المعتزلة فى ذم أهل السنة

وأنشد الزمخشرىّ فى كشّافه لبعض العَدْلية ، يعرِّض بأهل السنة والجماعة المفْلِحين ، ويَنْصر مذهبَه الفاسد :

لَجَماعــةٌ سَمَّوا هَوَاهمْ سُــنَّةً وَجَماعةٌ حُمُرٌ لَعَمْرِى مُوكَفَهْ(٣)

(١) فى صفحتى (٧٧ ، ٧٨) من هذا الجزء .

(٢) فى بغية الوعاة للسيوطى : « صدق » .

(٣) الإكاف والوكاف : برذعة الحمار ، يقال آكف الحمار ، فهو مؤكف بالهمز ، وأوكفه فهو موكف ، بالواو بدل الهمز .

قد شبّهوه بخلقهِ وتخـوّفوا شُنَعَ الورَى فتَستّروا بالبلْـكَفَهْ(١)

* * *

ما رد به عليه أهل السنة

وقد تصدّى للردّ عليه من أهل السنة رضى الله عنهم جمٌّ وافر ، وأبْدَوْا ما يؤيد مذهبَهم الظافر ، وتركوا المبتدع يَحُكُّ رأسه بغير أظافر .

لابن المنير فى الرد على المعتزلة

ولنذكر الآن ما حضرنا من ذلك ، كقول صاحب « الانتصاف من الـكشّاف » ، وهو ناصر الدين بن المنيِّر الإسكندرانى ، رحمه الله تعالى :

وجماعة كفروا برؤية ربِّهِمْ هـذا ووعدُ الله ما أَنْ يُخْلِفَهْ

وتلقَّبُوا عَدْليَّـة قلنا أَجَلْ عَدَلوا بربهِمُ فحسْبُهُم سَـفَهْ

وتلقّبوا النـاجين كلّا إنَّهُم إنْ لم يكونوا فى لَظَى فعلَى شَفَهْ

وله أيضا فى ذلك

وكقوله أيضا ، أعنى صاحب الانتصاف :

عجبا لقـوم ظالمين تلقَّبوا بالعدل ما فيهمْ لعمرِىَ مَعْرِفَهْ

قد جاءهم من حيث لا يَدْرُونه تعطيلُ ذات اللهِ مَعْ نفْىِ الصِّفَهْ

وللشيخ عمر السكونى فى ذلك الغرض

وكقول الشيخ الإمام أبى علىّ عمرَ بن محمد بن خليل السَّـكونى الأصولىّ رحمه الله :

[٧٣٧]

سمَّيتَ جهلا صَدرَ أُمَّةِ أحمد وذَوِى البصائر بالحَمِير المؤكَفَهْ

ورميتَهُم عَنْ نَبْعَةٍ سَوَّيتها رَمْىَ الوليد غدا يمزِّق مُصْحَفَهْ

وزَعَمْتَ أَنْ قدْ شبهوهُ بخلقْهِ وتخوَّفوا فتسـتروا بالبلْـكَفَه

نَطَقَ الـكتاب وأنت تنطق بالهوَى فهُو الهُوِى بك فى المَهاوِى المُتْلِفَهْ

وجب الخَسارُ عليك فانظر مُنْصِفا فى آية الأعراف فهْىَ المُنْصِفَهْ

(١) البلـكفة بوزن الفلسفة : مصدر مولد منحوت من قول المتكلمين : « بلا كيف » ، لقول أهل السنة فى رؤية البارى تعالى : تجوز رؤيته بلا كيف ، أى لا تعلم حال تلك الرؤية ولا وسيلتها ، فرارا من القول بالتشبيه والتجسيم .

أتَرَى الـكليمَ أتى بجهلٍ ما أتى وأتى شيوخُك ما أتَوْا عن مَعْرِفه

وللقاضى عمر ابن عبد الرفيع فى ذلك

وقول القاضى أبى على عمر بن عبد الرفيع :

جَـوْرِيَّةٌ وتلقّبَتْ عَدْليَّـةً وعن الصواب عدولُها للسَّفْسَفَه

نَفَوُا الصفاتِ وعَطّلوا وتمجّسوا ويُكابِرون وشأنُهم جلْبُ السَّفَه

هكذا وُجِد بخط الإمام أبى عبـد الله بن مرزوق ؛ ورأيته بخط بعض الأصحاب : « وشأنهم حال السفه » ، والأمر فى ذلك قريب .

والأجمى فى ذلك الغرض

وقول الإمام القاضى أبى عبد الله محمد بن على الأجمِى التّونسىّ ، قاضى الأنـكحة ، رحمه الله تعالى :

لَهوَاتِفٌ هَتَفوا وظنّوا هَتْفَهُمْ عَدْلا لقدْ بلغُوا النهايةَ فى السَّفَهْ

زعموا بأنّ الذاتَ قامَ بغـيرها صِفَةٌ وفيها أوجبوا حكم الصِّفَه

خَرقوا سياجا شاده سَلَف الهُدى وتمذهبـوا بمذاهبٍ مُسْتَنْـكَفَه

وأتى الأخيرُ الغُمْر من أتباعهم يَبْغِى الحِجَاجَ مُعَرِّضا بالبَلْـكَفه

أعنى الخوارزمىّ ذَا الصَّلَف الذى لم يَتّئِدْ من جَهْـله بالمعرفه

بل تاه فى بَيْدَا الجَهَالة مُعْرِضًا لحمار وحْشٍ فى مَهامِهَ مُتْلِفَـه

وليحيى بن منصور التونسى فى ذلك

وقول الفقيه أبى زكرياء يحيى بن منصور التونسىّ ، قال الشيخ ابن مرزوق رحمه الله : وفى جوابه تعريض بجواب الأجمى فوقه :

عجبا لحَبْر فى البلاغة ذائقٍ عِلْمَ الفصاحة فَرْدَهُ وَمُؤَلَّفَه

جمَعَ المعانِىَ والبيانَ مكَشِّفًا أسرارَ قرآنٍ بأكمل مَعْرِفه

وأضـلّه الله العظيمُ فراغَ عنْ سَنَن الصَّوَاب وحادَ عنه وحرَّفه

فأحَقَّ قدرةَ حادثٍ وأحال رؤ يةَ وَاجبٍ أوأن تـكون له صِفه

ما ذاكَ إلا فعلُ قهّار به قومٌ ذوو رَشَد وقومٌ فى سَفَه

[٧٣٨]

والله أسألُ رحمـــــةً لجميعنا ودخولَنا فيمن حباه وشرّفه
متوسّلين بأحمدٍ خيرِ الورَى صلى عليه الله ما نطقت شَفَه

وللیفرنی في ذلك

وقول الفقيه أبى محمد عبد الواحد اليَفْرَنيّ :

قل للّذى جمع النِّظام وخلفهْ مِنْ بعده لك موعدٌ لَنْ تُخْلَفَهْ
أثبتَّ عَدْل جماعةٍ فى جَوْرِهمْ والجَوْرَ أَثْبَتَهُ لهم نفىُ الصِّفَه
ستكونُ من تلك الجماعة يومَ هم حُمُرٌ لغىٍّ أو لكَىٍّ مُوقَفَه

ولابن عرفة في ذلك

وقول شيخ الإسلام أبى عبد الله بن عرَفة رحمه الله :

أَحُثَالةٌ سَمَّوْا هواهُمْ مَعْدَلًا وحُثَالة[1] حُمُرٌ لِكَىٍّ مُوقَفَهْ
قد شَبَّهوهُ بالمُحَالِ وعَطَّلوا وتَسَتَّرُوا بالذَّاتِ عنْ نفْىِ الصِّفَهْ

قوله : « قد شبهوه بالمحال » أى لقولهم : « عالِم لا بِعِلْمٍ » ، ونفى العلم يستلزم أن يكون مُحالا . هكذا أُلْفِى فى بعض المقيَّدات ، والله أعلم .

ولابن مرزوق التلمساني في ذلك

وقول خطيب الخطباء الرئيس الحاجب ، الفقيه المحدِّث الرَّحّال ، سيدى أبى عبد الله بن مَرْزوق التلِمْسَانيّ ، رحمه الله تعالى :

وجماعةٍ عُرِفَتْ لَعمرىَ بالسَّفَهْ وتمسَّكَتْ بضلالِ أهل الفلسفَهْ
عَدَلَتْ عن النهجِ القويم فلُقِّبَتْ عَدْلِيَّة وعُدُولها عن مَعْرِفَه
ضَلَّتْ وقالت لن يُرَى ربُّ الوَرَى يومَ الجزاءِ فَألزمتْ نفى الصِّفَه
هذا وكَمْ من زَلّةٍ زلّتْ وكم من مَذْهبٍ ذهبت به فى مَتْلَفَه
[وكذاكَ أسْلَمَتِ الأمور لنفسها هيهاتَ تنقذ نفسها من مُتْلِفَهْ]
كيف السبيلُ لصَرْفها عن غيِّها والعدلُ يَمنَع صَرْفَها والمعرفَهْ

وقال سعد الدين التَّفْتازانى رحمه الله ، عند ذكر البيتين اللّذَيْنِ أنشدها

(١) كذا فى ط ، ص ، ولعله تحريف .

الزمخشرىّ [ما نصه] : ولقد عُورض ما أنشدَه وأنشأه من الهَذَيان . قال الإمام المحقّق محيي السنّة ، قامع البدعة ، كامل الدين المظفر ، ردًّا عليهم :

ولكامل الدين المظفر فى ذلك

لَجماعة كفروا برؤية ربهم ولقائه حُمُرٌ لَعَمْرِىَ مُوكَفَه

هُمْ عطَّلُوه عن الصِّفات وعطَّلوا عنه الفعال فيا لها من مَنْكَفَه

هم نازعوه الخَلْقَ حتى أشْرَكُوا بالله زُمْرَةَ حَاكَةٍ وَأَساكِفَه

[٧٣٩]

هم غَلَقُوا أبواب رحمتـه التى هى لا تزال على العُصاة مُوَكَّفَه

ولهم قواعدُ فى العقائد رَذْلَةٌ ومذاهبٌ مجهولةٌ مُسْتَنْكَفَه

يبكى كتابُ الله من تأويلهمْ بدُموعه المنهـلّة المُسْتَوْكِفَه

وكذا أحاديث النبـىّ دُموعها منهم على الخدَّيْن غير مُكَفْكَفَه

فالله أَمطَرَ فى سحاب عذابه وعِقابه أبدا عليهم أَوكَفَه

انتهى كلام السعد ، رحمه الله .

ابن المنير الاسكندرى من أهل السنة

وقال الطِّيبىّ رحمه الله : وأجابه بعض أهل السنة بقوله :

عجبا لقوم ظالمين تسـتروا بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه

... البيتين ؛ وقد تقدم أنهما لصاحب الانتصاف ، حَسْبما صرح بذلك الإمام ابن مرْزوق ، فبان أنه المعنِىُّ بقول الطِّيبىّ : أجابه بعض أهل السنة ، والله أعلم .

لابن الجبير اليحصبى فى ذلك

قلت : وقد رأيت بتِلِمْسَان بخط الفقيه أبى عبد الله محمد بن الحدّاد الوادِى آشِى ثم الغَرْناطىّ ، نزيل تِلِمْسان رحمه الله ، جوابا بديعا جدًّا ، للشيخ الإمام ابن الجبير اليَحْصُبىّ ، أحد أعلام المتأخرين بالأندلس ، ونقلتُه من خطه الحسن، وهو:

وجمـاعةٍ مَشنوءةٍ بِدْعِيّة مصروفةٍ عن رشدها متعسِّفَهْ

جارُوا وسَمَّوْا قومَهم عَدْليـة عَدَلوا ولـكنْ عن طريق المعْرِفه

قومٌ نفَوا عن ربهم أحكامَه في خلقه لمّا نفَوْا عنهُ الصِّفه
غطَّوْا على التَّعطيل بالتنزيه إذْ ضلّوا ضَلال الأسرة المتفلْسِفَه
فطريقهم أُسّ الضَّلال وقولُهمْ عينُ المُحالِ ورأيُهم مَحْضُ السَّفَه
الحقّ جَبَّ سَنامَ جُبَّائِهِمْ وقَناةُ نَجْلِ عُبَيْدِهمْ[1] مُتَقَصِّفَه
وتناثرتْ خَرَزَاتُ نَظَّامٍ لهُمْ والكَوْدَنُ العَلّافُ[2] بلَّ المَعْلَفَه
والشيخُ محمودٌ هو الفيلُ الّذِي [كادوا به المعنى الذى فى البلكفه
ما منهم إلا حمـار صوتت] فى فيه جَحْفَلَةٌ وَيحسِبُها شَفَه

قال وكتب بخطه الرائق تحت قوله « إلاّ حِمار » ما نصّه :

[٧٤٠] «البادى أظلم» . انتهى .

تعليق المؤلف

ولا خفاء ببراعة هذا النظم وحسن مَساقِه ، وتوطئته للتورية البديعة التى هى قولُه : « والشيخ محمود » ... الخ ، فإن هذا تلميح لقصّة الفيل ، المذكورة فى القرآن ، فى قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيل » ، وقد صَرَّحَ غيرُ واحد من أهل التفسير والسِّيَر ، أن اسم ذلك الفيل الذى جاء به أبرهةُ لهدْم الكعبة « محمود » ، فجبرَ بذلك ابنُ الجبير ما ضاع من الاتّفاق الغريب ، واللهُ تعالى يجازيه أفضلَ جزائه ، وجميعَ أهل السنة ، بما أتوْا به من الحُجَج ، التى جَدَعت أنف كلّ مستريب .

كلام بن الجبير من رواية الوادى آشى

وبعد أن كتبتُ ما ذكرتُه من حِفظى راجعتُ مقيَّداتى ، فأَلْفَيت بها مما نقلتُه من خطّ الوادى آشى المذكور ما نصُّه :

أنشدَنا شيخنا وبرَكتنا العالِم الجليل ، الخطيب المِصْقَع ، البليغ المفيد ، إمام

(١) نجل عبيدهم : هو عمرو بن عبيد ، من رءوس المعتزلة .
(٢) الكودن : الفرس أوالبغل أوالبرذون . والعلاف : هو أبوالهذيل العلاف المعتزلى .

وقته فى العلوم ، والتحصيل والفهوم ، قاضى الجماعة ، سيدنا أبو عبد الله ، محمد بن على بن الأزرق ، رضى الله عنه ، وأمتع [ببقائه] وإفادته ، ووصل أسباب سعادته . قال :

أنشدنى شيخ الأدباء ، وحُجة البلغاء ، الكاتب المُجِيد الأبرع ، أبو عبد الله محمد بن الجبير اليَحْصُبى ، معارضا للبيتين الشهيرين ، اللَّذين أنشدهما الزمخشرى ، فعارضهما ابن الجبير بقوله :

وجماعةٍ مَشنوءةٍ بِدْعِيّـــــةِ   مصروفةٍ عن رُشْـدِها متعَسِّفَهْ

... الأبيات . قال شيخنا : ولما أنشدَهُ الأبياتَ ناظمُها ، كتبها له بخطه الحسن ، وكتب تحت قوله « إلا حمار » : البادى أظلم . انتهى .

***

ومن نظم ابن الجبير

ثم قال الوادى آشى المذكور : ولسيدى ابن الجَبـير المذكور ، ومن خَطّه قَيَّدْتُ :

كلّما رمتُ أن أُقدِّمَ خيرا   لمَعادِى ورُمْتُ أنّى أتُوبُ

[٧٤١]

صَرَفَتْنى بواعث النفس قسْرًا   فتقاعَسْتُ والذُّنوب ذُنوب

رَبِّ قلِّبْ قَلْبى لِعزْمَة خيرٍ   بمتـابٍ ففى يديك القُلوب

ومن نظم ابن الجبير أيضا مجيبا للشران

وله أيضا وقد أشار عليه الرئيس الكاتب أبو عبد الله الشَّران بإنشاء صدرٍ لمكاتبات سُلْطَانية :

ذَرْعى وصَدْرى بالصُّدورْ   هذا يضـيق وذا يدُورْ

أنت المَلِىءُ بكَتْبهـــــــا   ما للصُّدور سِوى الصُّدور

ما أجابه به الشران

فأجابه الشَّرّان بقوله :

بَحْرُ اجتهادِكَ لن يَبُورْ   فدَعِ الكلام وكُنْ صَبُورْ

إن الصدورَ بك ازدهتْ بالدرّ تزدانُ الصُّـــدورْ

نقلت هذا كلَّه من خط الفقيه أبى عبد الله محمد الوادى آشِى المذكور آنفا رحمه الله تعالى .

* * *

ثم قال الوادى آشى المذكور :

المسلمون أعداء لأهل السنة

سمعت شيخنا الإمام سيدى محمد بن الأزرق الأصْبحىّ رحمه الله ، بمجلس تدريسه من الجامع الأعظم بغَرناطةَ يقول : كان أبو محمد عوف بن يوسف الخُزاعى من أهل القَيْرَوان يقول : الخلائق كلهم أعداء بنى آدم ، وبنو آدم كلُّهم أعداء المسلمين ، وجميعهم أعداء أهل السنة . انتهى .

* * *

جند الله الغالبون هم أهل السنة

وذكر الرُّشاطى بسند مُتَّصل إلى أَنَس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فى قول الله تعالى : «وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون» ، قال : هم أهل السنة والجماعة .

انتهى ما قَيَّدتهُ من خط الوادى آشِى المذكور ، رحمه الله .

* * *

بعض أخبار الوادى آشى وشعره

وكان رحمه الله ممن حلّ بِتِلِمْسان بعد أخذ غرْناطة ، أعادها الله ، وحصلَتْ له بها مصاهرةٌ مع أعيانها بنى مرزوق ، ثم آلتْ إلى مقاطعة ، حَسْبما ذَكَرَ ذلك فى بعض ما لَه من النظم ، وكان له نظم لا بأس به ؛ فمن ذلك قولُه رحمه الله ، بعد [٧٤٢] بيت سقط من حفظى ، مُضَمَّنُه أنّ الناسَ لامُوه عندما طَلَّق بنتَ ابنِ مرزوق ، وأظنه هكذا :

يَلُومُنِىَ الأقوامُ من بعد ما سَطَا علَىَّ ابنُ مرزوق ومَنَّ بإنفاقِ

فقلت لهم كُفُّوا المَلَامَ فإنَّنى ... تركت ابن مرزوق وأَمَّمْتُ رزَّاقى[١]

* * *

رثاؤه أحمد بن يحيى الونشريشى

ومن ذلك قوله يرثى الشيخَ الإمام ، [الحافظ ، بل] حافظ الإسلام ، سيدى أحمد بن يحيى الونشريشىّ الأصل ، التلمسانىّ ، نزيل فاس ، صاحب المعيار وغيره :

لقد أظلمتْ فاسٌ بل الغَرْبُ كلُّه ... بموت الفقيه الونشريشىّ أَحْمَدِ

رئيسِ ذوى الفَتْوى بغير منازعٍ ... وعارفِ أحكام النوازل الاَوْحَدِ

له دُرْبَةٌ فيها ورأىٌ مُسَدَّد ... بإرشاده الأعلامُ فى ذاك تَهْتَدى[٢]

وتالله ما فى غربنا اليومَ مثلُه ... ولا مَن يدانيه بطول تردُّد

عليه من الرحمن أفضل رحمةٍ ... تروحُ على مَثواه فَيضا وتَغْتَدى

وله فى رثائه أيضا

وقوله فى رثائه أيضا :

أبعدَ ابنِ يحيى اليومَ فى الغَرب عالمٌ ... يطبِّقُ بالفُتيا المفاصلَ مثلُهُ

ويَعرف من فقه النوازِل غايةً ... يُوقِّعُ منها ما به بانَ نُبْلُه

وإنْ جئتَ للإنصاف لم يبقَ مثلُه ... وهذا الجليلُ ليسَ يُنْكَرُ فَضْلُه

فإذ[٣] كان جاء الموتُ فالصبر والرضا ... عَلَى ما قضى الخَلاَّقُ فالحَوْل حَوْلُه

وله فيه أيضا

وقوله فى ذلك :

رأيت نجومَ الدين تبكى حزينةً ... على فَقْدِ حَبْرٍ كان قُطْبَ أولى العَلْيا

فقلت ومَنْ هذا ؟ فقالت مجيبةً ... عَلَى الوَنْشَرِيشىِّ رئيسِ ذَوى الفُتْيا

فَصِحْنا وقلنا : وَيْلَنا ثم وَيْلَنا ... على فَقْدِهِ مُذْ غاب أَظلمت الدنيا

---

(١) كذا فى ط . وفى ص : « وجئت لرزاقى » .

(٢) كذا فى ط وهامش ص . وفى ص : « أهتدى » . (٣) فى ط : « فإن » .

عليه من الرحمن أفضلُ رحمـــة   تعاهَدُ مثواه مع الجَوْدِ والسُّقْيا

وله فيه أيضا

وقوله وقد بدَّل القافية :

رأيتُ نجوم الدين تبكى حزينةً   على فقد من قد كان قُطْبَ زمانِهِ
فقلتُ ومن هـــذا فقالت مجيبةً   عَلَى الونشريشىِّ وَحيدِ أَوَانه
[٧٤٣] إليه انتهت فى الفقه كلُّ رياسةٍ   ومعـــرفة زينتْ بحسْن بيانه
ومُذْ غابَ عنا أظلم الـكونُ كلُّه   وصار الضُّحَى ليــلًا لِفقْد عِيانه
وإنَّ عَزائى فيـــه للخلق كلِّهم   خصوصا ذَوِى فِقْهٍ لِعزِّ مكانه

* * *

وفاة الشيخ الونشريشى

وكانت وفاةُ [الإمام] الونشريشِىّ المذكور، يوم الثلاثاء مُوَفِّى عشرين من [صفر، من] عام أربعة عشر وتسع مئة، بمدينة فاس، رحمه الله، ونَجُب ولده شيخ شيخنا، القاضى سيدى عبد الواحد رحمه الله.

* * *

وللوادى آشى فى مدح الفقيه أحمد العبادى

ومن نظمه، أعنى الوادىَ آشىّ المذكور، رحمه الله، يمدح الفقيه أحْمَد العِبادى يقول :

ومَن مِثْلُه فى العلم يُبدِى فنونه   مع الدين والتقوى على صِغَر السِّنِّ
فأَثْبَتَـــه المَوْلى وأثبتَ أَمره   وزكَّى علومًا حاز فى غير ما فَنّ

* * *

وله متبرما بسكنى تلمسان

ومن نظم الوادى آشىّ المذكور قوله :

تِلِمْسانُ أرضٌ لا تَلِيق بحالنا   ولـكنَّ لطفَ اللهِ نسألُ فى القضَا
وكيف يحب المرء أرضا يسوسُها   يهودٌ وفُجّار ومن ليس يُرْتَضى

* * *

وله أيضا فى ذلك

وقوله رحمه الله :

غريبٌ فى تلمسانَ وحيدٌ من الأحباب ليس له مُشاكِلْ
وكم فيها من الأصحاب لكنْ عَدِمتُ بِهَا المُناسب والمُماثل

* * *

كان الوادى آشى مغرما بالنسخ والتقييد

وكان رحمه الله كثير النسخ والتقييد ، آيةَ الله فى ذلك ، حتى إنى رأيت فى خزائن أهل تِلِمْسان بخطه نحو المئة سفر ، ورأيت بفاس نحو الثمان مئة[1] . وأخبرنى مولانا شيخ الإسلام عَمُّنا مفتى تلمسان ، سيدى سعيد بن أحمد المقَّرِىّ رحمه الله ، أنه نسَخَ [بخطه] نحو العشرين نسخة من توضيح خليل ، وكان يحترف بالنسخ ، رحمه الله ، ونَظْمه نظم فقيه ، وربما يقع له النادر ، ولولا الإطالة لجلبت أشياء من ذلك ، زيادة على ما سبق . [٧٤٤]

* * *

وبخطه شعر لسيدى محمد العربى

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصُّه :

ولسيدى محمد العربىّ أبقاه الله عند محاصرة النَّصارى للحضرة :

بالطَّبْل فى كل يوم وبالنَّقِير نُراعُ
وليسَ منْ بَعْد هذا وذاك إلَّا القِراع
يا رَبِّ جَبْرَكَ يرجو مَنْ هِيض منه الذِّراع
لا تسلبَنِّيَ صَبْرًا به لقلبى ادِّراع

* * *

ولسيدى العربى فى رجل تنصر واختلط عقله

وله أيضا وقد ظَفِرَ ببعض المرتدِّين ، ممن صار ، والعياذ بالله ، غَبِيًّا ، يجرُّه الناس بالحضْرة حيًا :

(١) كذا فى ط . وفى ص : « الثمانية » .

أَلَا رُبَّ مغرورٍ تنصَّر ضِــلَّةً فَحاق به شُؤْمُ الضَلَال وشَرُّهُ
فإن يرتفع عند النصارى بالِاعتنا فـكمْ عندنا من حَرْف حبلٍ يجُرُّه

* * *

وله ملغزا لغزا فقهيا

وله أيضا :

صَوِّرِ أنْ كنتَ نبيلا صُورَةً دامَ فى تصويرها البحثُ وطالا
زَوجةً إِنْ دخلتْ بيتًا فقدْ حُرِّمَتْ من بعد ما كانت حَلالا

[جوابه :

هى إنْ [لم] [1] تلتبس زوج امرئ بِنِسَا بيت قدَ اعجزن الرجالا
حَيْثُ قد أنكَرْنَ طُرًّا عِصْمَةً منه قد ضُمِّن دعواها المقالا]

* * *

وله فى الغرض نفسه

وله أيضا ملغزا :

ما رجلٌ يُعْجَبُ من أمرِه مَنْ لم يُحقِّق نفسُه أَمْرَه
حَلَّتْ لهُ وحُرِّمَتْ زَوْجَةٌ فى اليومِ ثِنْتَىْ عَشْرَةٍ مَرَّه

انتهى .

* * *

بعض أخبار أبى عبدالله العربى

قلت : وهذا أبو عبد الله العربىّ المذكور ، هو صاحب الكتاب الذى بعث به سلطان الأندلس ، أبو عبد الله المخلوع آخر ملوك الأندلس ، إلى السلطان الشيخ الوطّاسِىّ ، صاحب فاس ، وقد تقدم ذكره فى أول هذا الموضوع [2] ، فراجعه إن شئت .

وقد حَلّاه الوادى آشى بقوله :

---

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها المعنى والوزن . (٢) يريد الكتاب .

« بليغ العصر ، بل الدنيا ؛ ومالك زمامَيِ النظم والنثر ، بلا ثُنْيا ؛ سيدى محمّد العربىّ ، أنسأ الله أجلَه ، و بلّغه أملَه » . انتهى .

* * *

بخط الوادى آشى من الوثائق المجموعة

[٧٤٥] ورأيت بخط الوادى آشى المذكور ما نصه :

من الوثائق المجموعة : إنْ ذَكر المُوصِى فى كتابه أن تُنَفَّذ وصيّتـه من سِكّةٍ كانت تَجْرِى [فى حين الوصية ، ثم تُوُفِّى المُوصِى وقد انقطعت تلك السكة] ، فإن وصيَّته إنما تُنَفَّذُ من تلك السِّكّة ، التى كانت تَجْرِى يوم الوصية ، إلّا أن يكون نَصَّ فى وصِيّته أن تكون وصيتُه من النَّقْد الجارى يومَ تُنَفَّذ الوصية ، فيكون ما عَهِد ، فإن وقعت وصيَّتُه مُطْلَقة ، ولم يشترط صفة ، فإنما يكون ذلك مما يجرى يوم التنفيذ ، وذلك بخلافِ الكَوالئ(١) والدُّيون ، انتهى .

قال محمد الوادِى آشى : قوله « إنما تخرج [مما يجرى] يوم التنفيذ إن لم يَشْتَرِط صِفَة » ، والذى فى الكافى لأبى عُمَر خلافُه ، وعلى مافى الكافى فى ذلك العمل ، و به شاهدت شيخنا المَوّاق يُفتى ، وشيخَنا قاضىَ الجماعة ابنَ منظور رحمه الله يحكم . انتهى .

* * *

ومن خطه نقلا عن القاضى أبى يحيى بن عاصم فى توثيق العقود

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصـه : وُجِدَ بخط الرئيس القاضى أبى يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى :

الحمد لله .

إنما تَسْـتَقِلّ العقود الصحيحة ، وتتم الموجبات الصريحة ، بثبوتها لَدى الحاكم ، المُنْعَقِدة ولايتُه عند تحصيل شروطها صحة وكمالا ، وذلك بأداء نِصاب

(١) الكوالئ : جمع الكالئ ، وهو المتأخر من الصداق .

شهادتها العادلة استتماما واستكمالا ، فإذا كان أحدُ شهدائها السلطان الأعظم ، أو من أقامه السلطان الأعظم مَقَامه ، وهو قَيُّوم الشريعة الذى ارتضاه الإمام لإنفاذِ أحكامها عِوَضا منه وأقامَه ؛ فإنَّ العمل الجارى بهذه الحضرة عند أهل كَتْب الأحكام ، وهو اللازم اقتفاؤه ، إذا أريد ثبوتُ العقد الواقعة فيه هذه الشهادة وا كتفاؤه ؛ أن يُشْهِد القاضى الذى تم به نصاب هذه الشهادة عليها اثنين [٧٤٦] من شهداء العدالة أنها شهادته ، ثم يؤدّى عنده هذان العدلان ، ويخاطب هذا الرسم على ما مرت به شهادته ، ويُعْلِم للشهادة من شهد معه أداءً وقبولا ، خطابا عند غيره من القضاة مقبولا ، فإذا كان الفقهُ هكذا مُقرَّرا ، والعملُ على هذه السنة مُحَرَّرا ؛ فمن أشهدَه الآن قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، فلان بن فلان ، الأوّل من شهيدى الرسم فوْقه ، على أن الشهادة الموضوعة فيه أولا هى شهادته التى بها أَشْهد ، وأنها مكتوبةٌ بخط يده الذى منه تعوّد ، وأنه تحملها مسئولة منه تحقيقا ، ويؤدى عليها مطلقا إيجابا لها وتصديقا ، فى كذا .

* * *

ومما نقله الوادى آشى عن ابن عاصم فى الغرض نفسه

قال الوادى آشى ، ومن خطه أيضا :

الحمد لله .

القول الظاهر الأدله ، الدارج على ارتكاب القضاة الأجلّه ؛ الجارى لدينا به العمل فيما تُقْبل به العقود المستقله ، قَبولُ خطاب الحَكَم العَدْل مطلقا ، وإنْ عُزِل أو تُوُفّى ، وخطُّ القاضى المعلوم العدالة إذا ثبتَ أنه خطُّه يكفى . والقول الآخر هو الذى رجّحَه غيرُ واحد ، وأكْثَرُوا عَلَى صِحّته من الحجج والشواهد . وللخروج من الخلاف ، وصون موعده من الاختلاف ؛ أشْهَد الآن قاضى الجماعه ، وقيُّومُ أحكامها المُطاعَه ، فلان بن فلان ، وصل الله توفيقه ، وكافأ

تثبُّتَه فى النظر وتحقيقَه ؛ بثبوت الرسم فوقه لديه ، واستقلاله عنده الاستقلالَ الكافى المعتمد عليه ، لثُبوت الرسم فوقه ، لصحة الشهادة الأولى ، ولإعلامه المعرب عن صحة ثانية الشهادتين هنالك أداء وقبولا ، فما كان كذلك لمن يَرِد عليه من القُضاة أن يقبله على ثانى القولين اتفاقا ، هو الذى أشهد به الآن برهانا [٧٤٧] لِما ثبت لديه من ذلك ومصداقا ؛ تسجيلا بإشهاده لصحة عقده ، وذخيرة لليوم وما يأتى من بعده ، وعمدة تقى الحكم على أوّل الاحتمالين وأوْلاهما من إجازته أو رده ؛ شَهِد على قاضى الجماعة المُسَمَّى بما فيه عنه من ثبوت وتسجيل ، وقبول وتعديل ؛ وهو فى مجلس أحكامه ، ومَظْهَر نقضه وإبرامه ؛ فى كذا . انتهى .

قال محمد الوادى آشى رحمه الله :

هذه المسألة فوق هذا تليه ، قدصنف فيها الشيخ الفقيه القاضى الجليل سيدى الحاج أحمد بن عبدالجليل اللخمى — ممن أدركناه بغرناطة مدرّسا ونائبا عن قاضى الجماعة بها ، وأدَّينا له مرارا شهادات ، وحضرنا جنازته رحمه الله — تصنيفا مفيدا ، لخَّص فيه المسألة ، واستظهر بالنقول ، ولم يُبْق لأحد ما يقول .

* * *

حكم الشاهدالذى يصير قاضيا

وأما من كان شاهدا فى رسم ثم صادف أن صار قاضيا ، وطُولِب بخطابه ، فقد نزلت بى هذه بالمنكب ، وأنا أنوب بها لضرورة بعض أيام ، لمغيب قاضيها إذ ذاك بالحضرة ، أواخر شعبانَ وأوائل رمضانَ عام سبعة وتسعين وثمان مئة ، فصنعت طريقة مختصرة ، كنتُ تلقَّيْتُها من شيخنا ابن منظور ، وأخبرنى أنها طريقةُ شيخه البدوى :

أشهدْتُ عدلين على شهادتى ، وأدّيا لدىّبذلك ، فقبلتهما ، وشهدا[1] على خط

(١) فى الأصول : « وشهد » .

الآخر لمغيبه بالحضرة ، وكتبت على الغائب : عرّف بها عَدْلان لمغيبه ، وعلى شهادتى : أشهدت بها عدلين ، وأدّيا لدىّ بذلك فقَبِلْتهُما ، وكتبتُ أسفله : [٧٤٨] ثبَت بواجبه ، وأعلِم بذلك فلان ، وفقه الله تعالى ، مسلما على من يَقف عليه .

* * *

وبخطه دعاء لابن الجبير

ونقلت من خط الوادى آشى المذكور ما نصه :

وجدت بخط سيدى وشيخى الكاتب الإمام الأعرف ، سيدى محمد بن الجبير ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه ، ما نصه :

دعاء مبارك لتفريج الأزمات

اللّهم إنى تبرأتُ من حَوْلى وقُوّتى ، واستَوْثقْتُ بحولك وقوّتك ، أرِنى عجائِبَ لُطْفك ، وغرائب حكمتك وقدرتك ، وأْتِنى بفرَجٍ من عِنْدك ، كما فرّجت على يوسف الصدِّيق نبيك ، يا أرحم الراحمين .

[هذا الدعاء] إن ذكره أسيرٌ أو مسجون أو مكروب ، تسعين ألف مرة ، يقول [آخر] كل ألف : يالطيف يا لطيف يا لطيف ، بعد البسملة ، عاجله الفرج فى الحين ، ونفّس الله سبحانه عنه ، انتهى .

* * *

وبخطه من كلام بعض العلماء

ومن خطه أيضا رحمه الله ما نصّه : من كلام بعض العلماء ، ويُنْسَب إلى الأستاذ أبى سعيد بن لُبّ ، رحمه الله :

قد يأمر بما لا يُريد فلا يكون ، وقد يَنهى عمّا أراد فيكون ، كَلّفَ العباد وأراد منهم ما علم أنهم به عامِلون ، كلّف بما شَرَع ، وجعل له عاقبة ،

وأراد ما وقع ، وقَطَع الارتباطَ بين المشروع والواقع ، فلا يقتضى أحدهما الآخر . انتهى .

* * *

وبخطه نقلا عن شرح خليل لابن سراج

ومن خطه أيضا [مانصه] : ومن شرح خليل لسيدى أبى القاسم بن سراج : يُحتاج إذا بيع الفدانُ وفيه زرعٌ لم يَنْبُت ، أن يقول عاقدُ الوثيقة : « وفى الأرض زرع لم ينبت ، فهو المشترى بالعَقْد على مقتضى الشرع » ، لأنه إن لم يذكر هذا [فقد] يتنازع المتبايعان بعد ذلك : هل كان الزرع قد نبت أو لم ينبت ، فيؤدى إلى اختلاف المتبايعين ، انتهى .

* * *

وبخطه للتفتازانى فى شرح عقيدة النسفى

ومن خطه أيضا : وفى شرح عقيدة النَّسفى للتفتازانى ما نصه :

وفى فتاوى [قاضى خان] : أجمعوا على أنه إذا ارتَشى — يعنى القاضى — لا ينفُذ قضاؤه فيما ارتشى ، وأنه إذا أخذ القاضى القضاء بالرِّشوة لا يصير [٧٤٩] قاضيا ، ولو قضَى لا ينفُذ قضاؤه ، انتهى .

* * *

ومن خطه ما كتب فى طلسم بغرناطة

ومن خطه أيضا رحمه الله : ولبعضهم ، وكان شيخُنا ابن منظور يستحسِنُهما غاية ، هذانِ البيتان :

لما أسرَّ الماء فى أذُن الحصى وقفَ النسيم ليسمع الأخْبارَا

فوشى به غَرِدٌ نخاف فضيحة فبكى الغمامُ فأضحك الأنهارا

* * *

ومن خطه أيضا رحمه الله : حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد الزعيم الأفضل ، سيدى إبراهيم العرّاف ، أنه حضر مرة لإنزال الطِّلَّسم

[المعروف] بفروج الرواح ، من العِلّيَّة بالقصبة القديمة من غرناطة ، بسبب البناء والإصلاح ؛ وأنه عاينه من سبعة مَعادن ، مكتوبا فيه :

إيوانُ غَرْناطةَ الغرّاء مُعْتَبَرٌ طِلَّسْمُه بولاة الحال دوّارُ
وفارسٌ رُوحُه ريحٌ تُدَبِّرُهُ مِنَ الجمادِ وَلكنْ فيه أسرار
فسوفَ يبقَى قليلاً ثم تَطْرُقُه دهماء يَخْرُبُ منها المُلْكُ والدار

* * *

ومن خطه لبعضهم فى صنعة الكتبة

ومن خطّه أيضا رحمه الله : أنشَدَنا شيخنا القاضى ابنُ منظور بمجلس إقرائه قائلا : إن فقيها من رُنْدَة كان كثيرا ما يَتَمَثّل بهذين البيتين :

أرَى الكسادَ بدا فى صَنْعَةِ الكَتَبَهْ ما إنْ يُباع بها شِقْص ولا عَتَبَهْ
تَبًّا لصَنعةِ قوم ٍرأسُ مالِهِم حِبْرٌ تبدّده فى صفحةٍ قَصَبَهْ

* * *

ومن خطه بعض ما يشترط فى البيوع

ومن خطه أيضا رحمه الله مانصُّه : ألفيتُ بخط شيخ شيوخنا قاضى الجماعة ، الحافظ أبى القاسم بن سِراج ، رحمه الله ، ما نصُّه :

تنبيه

جاءت الرواية فى العُتْبِيَّة ، فيمن اشترَى ثمرةً على ألّا يَقُوم بالجائحة : أن البيع صحيح ، والشَّرْطَ باطل . فلما نزل ما أراد الله به من مجىء النَّصارى إلى فَحْص غَرْناطة ، وأفسدوا الزَّرْع ، غَرِمَ المُكْتَرُون الكراءَ ، لأن الجيش [٧٥٠] ليس من الجوائح التى تحط من الكِراء ، فامتنع الناس بعد ذلك من اكتراء الأرض ، خوفا من مجىء النصارى ، وأدى ذلك إلى خَسارة على الأحْبَاس ، فرأيت أن تُكْرَى الأرض ، بشرط أنه إن جاء النَّصارى وأفسدوا ، أن يُحَطَّ الكِراء . فاعتمدتُ فى صحة العَقْد على قياس العَكْس ، وهو أنه لا تُفْسَخ

المعاملة بشرط القيام بالجائحة ، فيما لا يُشْرَع فيه القيام بالجائحة ، و يبقى النظر فى الوفاء بالشرط فى مسألة الكراء ، لما فى ذلك من عموم المصلحة . انتهى .

* * *

ومن خطه بعض مسائل فى الرهن

ومن خط الوادى آشى المذكور أيضا ما نصُّه : قال محمد بن الحدَّاد الوادى آشى ، رحمه الله : وقعتْ مسألة ، وهى : رجلٌ رَهَن بيد آخر دارا له ، وحوّزه إياها ، وشرَط المرتَهِن المنفعة لنفسه ، ثم إن الراهن دخل الدارَ وسكنها ، وعادت بيده ، واتصل الأمر كذلك إلى تمام الأمد ، وحلول الدين ، فطالب المرتهِن الراهنَ بكراء المِثل ، فظهر لى بقصورى وتقصيرى ، وجهلى المركّب وعدم مقدورى ، أنه لا كراءَ له ، بدليلِ ظاهر الأقوال والروايات ، ومنها ما حكاه فى المقرِّب عن ابن القاسم ، ونصه : ومن ارتهَن دارًا ثم أذِن للراهِن أن يسكنها ، أو يُكرِيها ، فقد خرجت من الرهن ، و إن لم يَسْكن ولم يُكرِ . ومنها ما هو مقرر معلوم أن المرتهِن إذا ترك كِراء الدار ولها خَطْبٌ وقدر ، فمذهب ابن الماجِشون أنه يضمن كِراءَ مثلها ، لأنه تعمَّد إبطالها ، ما لم يكن الراهن عالما ، فإنه لا يضمن حينئذ ، لأن سكوت الراهِن عن ذلك رضا به .

وكان شيخنا و إمامنا قاضى الجماعة سيدى محمدُ بن الأزرق ، أبقى الله بركته ، وهو الذى وقعت النازلة بين يديه ؛ لا يوافق على ما ظهر لى ؛ و ينازع فى ذلك ، و يرى إلزام الكراء ؛ ونسيتُ الآن ما كان يستدلُّ به ، ولست على تحقيق بما حكم به فيها آخرَ الأمر ، وذلك فى عام تسعين وثمان مئة ، بيد أنه تكلم فيها مع طلبته بمجلس درسه ، وحضرت لذلك وأنا أعْطَلُهم وأقلُّهم [٧٥١] عِلما ، وأسوأُهم فهما ، وأقلهم تحصيلا ونبلا ، وهلُمّ جرًّا ؛ فأجبت بما قيَّدْتُ

هُنا ، مستدلا بما نقلته ، فلم يوافقنى هو ولا غيره ، وفضْلُ اللهِ يؤتيه من يشاء ، فقد قدَّرَ الله أنَّ بضاعتى فى العلم مُزْجَاة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

انتهى ما حضرنى الآن من كلام الوادى آشى ؛ ومُقيَّـداتُه وإفاداته وإنشاداته كثيرة جدا .

* * *

ترجمة ابن الأزرق

وشيخه ابن الأزرق ، المشار إليـه فى كلامه : هو الإمام العلامة الخطيب الحجَّة ، الأعرف المؤرخ ، الناظم الناثر الراوية ، قاضى الجماعة بحضرة غَرْناطة ، أعادها الله دار إسلام ، سيدى أبو عبد الله محمد بن على بن محمد ، الشهير بابن الأزرق الغَرناطىّ .

قال السَّخاوى: لازم الأستاذَ إبراهيم بن أحمد بن فَتُوح ، مفتىَ غرناطة ، فى النحو والأصلين والمنطق ، بحيث إنّه كان جُلّ انتفاعه به ، وحضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السَّرْقُسْطى ، العالِم الزاهدِ مفتيها أيضا فى الفقه ، ومجالس الخطيب أبى الفرَج عبد الله بن أحمد البَقَّنِى ، والشهاب قاضى الجماعة أحمد بن أبى يحيى الشَّريف التِّلِمْسانىّ . انتهى .

تآليفه

وله تآليف عظيمـة النفع ، وقفت عليها بتِلِمْسَان ، منها شرحه الحافل على مختصر خليل ، وسماه شفاء الغليل ، وقد توارد مع ابن غازى على هذه التسمية ، فالله أعلم بالسابق منهما إليها .

[٧٥٢]

على أنى أعتقد أن كل واحد منهما لم يَسْمَع بتسمية الآخر . وقد كان مولانا العمُّ ، سَقَى الله ثراه ، يقول : لعلّ تسمية ابن الأزرق شفاء العَليل « بالعين » .

قلت : ويُبعده أنى رأيت الخطبة بخط تلميذه الوادى آشى ، السابق أنِفا :

الغَليل « بالغين » ، ومثله بخطِّ عم أبينا الفقيه العلامة ، آية الله فى معرفة الأحكام ، سيدى محمدٍ المقّرىّ رحمه الله .

وهذا الشرح لم يُؤلّف على مختصر خليل مثُله : إقناعا ونقلا وفهما ، وقد رأيت منه نحو الثلاثة أسفار[١] ، ولا أدرى هل[١] أتمه أم لا ؟ وتمامه يكون فى نحو العشرين سِفْرا ، وقد كتبت بتلمسان خطبته فى كراسة ، وقد أتى فيها بالعَجَب العُجاب ، وهى أدل دليل على غزارة علمه ، واتساعه فى الفروع والأصول ، رحمه الله تعالى .

ومن جملة تآليفه : روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ؛ غاية فى بابه ، سِفر ضخم ، فيه فوائد وحكايات . وكتاب بدائع السلك ، فى طبائع المُلْك ؛ كتاب بديع فى موضوعه ، لخَّص فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون ، المسمَّى بكتاب العِبَر ، وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة ، وهو فى سفر ضخم ، وقد نقل عنه صاحب المعيار ، أعنى عن ابن الأزرق ، وأظن أنه نقل عنه فى الجامع الذى ختم به المعيار .

وقد ارتحل رحمه الله إلى تِلِمْسان ، عند غَلَبة العدو الكافر على [هضم ما بقى بيد المسلمين من] بلاد الأندلس ، ثم ارتحل منها إلى المشرق ، ولم أقف على وقت وفاته ، إلّا أنه كان ارتحاله لتِلِمْسَان بعد التسعين وثمان مئة بلا شك ، وغالب ظنى أن ذلك فى أواخر العشرة التى كملت بها تسع مئة سنة للهجرة النبوية ، والله أعلم . ولم أتحقق الآن هل[١] دخلها ، أعنى تِلِمْسَان ، بعد أخذ غرناطة أو قبله ، وقد قَدَّمْنا أول هذا الموضوع وقْتَ أخذها . [٧٥٣]

* * *

(١) كذا فى الأصول .

شعر له فى الاعتداد بالصبر عند الشدائد

ومن شعره رحمه الله عند نزول طاغية النصارى دمّرهم الله بمرج غَرْناطة ، أعادها الله للإسلام ، بجاه النبى عليه الصلاة والسلام :

مَشُوقٌ بخَيْمات الأحبَّة مُولَعُ ... تُذَكِّرُه نَجْدٌ وتُغْرِيه لَعْلَعُ
مَواضعَكم يا لائِمِينَ على الهوَى ... فلم يَبْقَ للسُّلوان فى القلب مَوضِع
ومَنْ لى بقلب تَلْتظِى فيه زَفْرَةٌ ... ومَنْ لى بجفْن تَنهمِى منه أدمُع
رُوَيْدَكَ فارقُب للّطائف مَوْقعًا(١) ... وخلِّ الذى من شرِّه يُتوَقَّع
وصبرًا فإن الصبر خيرُ تَميمةٍ(٢) ... ويا فوزَ مَنْ قد كان للصَّبر يَرْجِع
وبتْ واثقا باللُّطْف من خير راحمٍ ... فألطافُه من لَمْحة العين أسْرَع
وإنْ جَلَّ خطبٌ فانتظرْ فَرَجًا له ... فسوف تراه فى غَدٍ عنك يُرفع
وكن راجِعًا لله فى كل حالةٍ ... فليس لنا إلا إلى اللهِ مَرْجِع

* * *

وله عند وفاة والدته

ومنه قوله عند وفاة والدته رحمها اللهُ تعالى :

تقول لى ودموع العين واكِفة ... ما أفظع البَيْنَ والتَّرحالَ يا وَلَدِى
فقلت أينَ السُّرَى قالتْ لرحمة مَنْ ... قد عزَّ فى المُلْكِ لم يُولَدْ ولم يَلِدِ

* * *

وله فى المجبنات

ومن بارع نظمه ، رحمه الله ، قوله فى المجبَّنات :

ورُبَّ محبُوبة تبــــدّتْ ... كأنها الشَّمسُ فى حِــلاها
فاعجبْ لحال الأنام : مَنْ قدْ ... أحبَّها منهــمُ قَلاها

* * *

وله فى مدح شيخه أبى يحيي بن عاصم

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدةٌ مدح بها شيخه الإمام العلّامة الجليل

(١) كذا فى ص . وفى ط ونفح الطيب : « موضعا » .
(٢) فى ص : « غنيمة » .

أبا يحيى [بن عاصم] ، وهى من غرر النظام ، وحُرّ الكلام ، وأثبتّها لغرابتها :

خَضَعَتْ لِمَعْطِفِه الغُصونُ المُيَّسُ ورنا فهام بمقلتيه النَّرْجِسُ

ذو مبْسِم زَهْر الرُّبا فى كسبه متنافِسٌ عن طِيبه مُتَنَفِّس

ومُوَرَّدٍ من وَرده أو نارِه يتنعمُ القلب العميدُ وييأَس

فالورد فيه من دموعىَ يَرْتَوِى والنارُ فيه من ضلوعىَ تَقَبس

كَمَلَتْ محاسنه فَقَدٌّ ناضرٌ ولواحظٌ نُجْل وثَغْر أَلْعَس [٧٠٤]

صعبُ التعطّف بالغرام حبيْبُه فالحُبّ يَحْبِى والتعطّف يَحبِس

غرسَ التشوقَ ثم أغْرَى الوجدَ بى فالوجد يغْرِى والتشوق يَغرِس

ما كنت أشقَى لو حلتُ بجنّةٍ من وَصْلِه تحيا لديها الأنفُس

ألحاظُه ورُضابُهُ وعِذارُهُ حُورٌ بها أو كوثرٌ أو سُنْدُس

وليالِى أُنسٍ قد أمنتُ بهنّ مِنْ واشٍ يَنِمُّ ومِنْ رقيب يَحْرُس

أطلعتُ شمسَ الراح فيها فاهتدى عَاشٍ إلينا فى الدُّجى ومُغَلِّس

صفراءَ كالعِقيان فى الألوان للنُّدْمانِ كالشُّهبان منها أكؤس

صُبَّتْ شقيقًا فاستحالت نرجسًا فى مَزْجِها فمُوَرَّدٌ ومُوَرَّس

وحَبَابُها يُقْنَى بأسْنَى جوهرٍ أنفَى لغَمّ المُعْدِمِين وأنفَس

يَجْلِى بها للغَمِّ منها حِنْدِسا قمرٌ عليه من الذؤابة حِنْدس

حتى إذا عَمِشت مِراةُ البَدْرِ من صبحٍ بدا تِلقاءَه يَتَنَفَّس

ناديته وسَنَى الصَّباح مُحَصْحِصٌ ينجاب عنه من الظلام مُعَسْعِس (١)

يا مُطْلِع الأنوار زَهرا يُجْتَنَى ومُشَعْشِعَ الصَّهْباء نارًا تُلْمَس

بكَ مجلسُ الأُنْسِ اطمأن وبابن عا صمٍ اطمأنَّ من الرِّياسة مجلس

(١) محصحص : ظاهر . ومعسعس : مظلم .

بدرٌ بأنوار الهـــدى مُتطلِّعٌ غيثٌ بأشتات النَّدى مُتبجِّسُ
حامى فلم نرتعْ لخطب يعتري ووفى فلم نحفل بدهر ينحس
شِيَمٌ مهذَّبةٌ وعلم راسخٌ ومكارمٌ هُتْن ومجد أقعس
لو كان شخصا ذكره لبدا على أعطافه من كلِّ حمد ملبس
ذا كم أبو يحيى به تُحمى العُلا وبه خِلال الفخر طُرًّا تحرس
بيتٌ على عَمَدِ الفخار مُطنَّبٌ مجد على متن السِّماكِ مؤسَّس
خِيَمٌ وعُرْسٌ فى حِماهُ فكمْ حوى فيــه المرادَ مُخيِّمٌ ومُعرِّس
إنا لنغدو هِيمًا فيُنيلنا رِيًّا ويُوحشنا النَّوى فيؤنِّس
حتى أقمْنا والأمانى مُنهِضَا تٌ وابتسمنا والزمانُ مُعبِّس
لم ندر قبـــل يراعه وبنانه أنَّ الذوابل بالغمائم تُحبَس
هُنَّ اليراعُ بها يؤمَّن خائفٌ ويُحاطُ مذعور ويَغْنَى مُفْلِس
مهما انبرتْ فهى السِّهام يُرى لها وقعٌ لأغراض البيان مُقرطِس
تَشفِى بمأمله التَّشكِّى المعترى تُحْيِي بمأمنـــه الحِمامَ المُؤيس
فتقصُّ حين تُشقُّ منها ألسن وتسير حين تُقَطُّ منها أروُس
من كل وَشَّاءٍ بأسرار النهى دَربٍ بإظهار السَّرائر يَهْجِس
قد جَمَّعَ الأضـــدادَ فى حركاته فلذا اطِّراد فخاره لا يُعْكَس
عطشانُ ذو رِيٍّ يَبيسٌ مُثْمِرٌ غَضبانُ ذو صفحٍ فصيحٌ أخرس
لله من تلك اليراع جواذبٌ للسِّحْر منك كأنها المِغْنيطَس
رُضْنا شِماس القولِ فى أوصافها فهى التى راضتْ لنا ما يَشْمُس
وإليكها حُلَلاً تناسَبَ نسْجُها مِثْلِى يفصِّلُها ومثلُك يَلْبَس
واهنأ بعيـــد باسمٍ متهلِّلٍ وافاك يجهَرُ بالسُّرور ويَهْمِس

[٧٥٥]

واحبس لواء الفخر موقوفا فإنّ الحمْدَ موقوفٌ عليك مُحَبَّس

* * *

تعليق المؤلف

وبعد أن كتبتُ هذه القصيدة ، حدث لى شك : هل هى من نظم القاضى أبى عبد الله بن الأزْرق [المذكور ، أو من نظم ابن الأزرق] الآخر ، الذى جرى ذكره فى روضة الأعلام ، وأنشد له مما يكتب فى سيف قوله :

إن عَمَّتِ الأُفْقَ من نقعِ الوَغَى سَحُبٌ   فشِمْ بهـا بارِقا من لَمْعِ إيماضِ
وإن نوت حركاتُ النصرِ أرضَ عِدًى   فليس للفتح إلا فِعْـــلِيَ الماضى

قلت : ولقد صدق رحمه الله فى كل ما وصف به قلم الرئيس أبى يحيى بن عاصم ، [الذى تحلتْ] بجواهره لدولة بنى نصر نحور ومعاصم ، فإنه كان آيةَ الله فى النظم والنثر ، وقد تقدم فى هذا الموضوع بعضُ كلامه ، وهو قلٌّ من كُثْر ؛ ولولا أنى أطلْت النُّجْعَة فى هذا الباب ، لأتيت بما حصل عندى من كلامه الذى يسحر الألباب ؛ وقد أخذ من الفقه ومعرفة الأحكام بحظٍّ بذّ فيه نظراءَه ، وانفرد فى عصره بطريق الأدب ، فكان كلٌّ أنداده لا يدركه بل يسير وراءَه ، حتى قال الوادى آشى : إنّ ابنَ عاصمٍ أبا يحيى ، هو ابن الخطيب الثانى ، [على] أنّ الدولة النَّصْرية فى زمانه وَهَتْ منها المبانى ؛ ومع ذلك فكان رحمه الله يجبُرُ [صَدع] الواقع ، ثم اتسع بعـده الخَرْق على الراقع ؛ وقد ألممنا فيما سلف من هـذا الكتاب بالتعريف به ، وذكرنا جملة من كلامه ، فراجع ذلك فيما تقدم . [٧٥٦]

* * *

وله يخاطب شيخه ابن سراج

ومن بديع نظمه رحمه الله قوله قاصدا مخاطبة شيخه الحافظ ، قاضى الجماعة أبى القاسم بن سِراج ، وقد طلب منه الاجتماع به زمان فتنة ، فظن أنه يستخبره عن سر من أسرار السلطان ، فباعَدَه معتذرا ، ولم يصدق الظن :

فديتك لا تسأل عن السرّ كاتبا ... فتلقاه فى حال من الرشد عاطلِ
وتَضْطَرُّهُ إمَّا لحالة خائن ... أمانتَه أو خائض فى الأباطل
فلا فَرق عندى بين قاض وكاتبٍ ... وَشَى ذا بحقّ أو قضى ذا بباطل

* * *

[عود إلى الرد على بيتى الزمخشرى]

ولْنرجع إلى ما كنا فيه ، من ذكر الردّ على البيتين اللذين أنشد الزمخشرى ، فنقول :

لابن عاصم

ومن ذلك قول الإمام ابن عاصم ، حَسْبما نقله عنه العبدرى رحمهما الله :

قل للّذِى سمى الهداة أولى النُّهَى ... حُمُرًا لِأَنْ سُلِبَ الهُدَى والمَعْرِفَهْ
فغـدا يُرَجِّح الاعتزَالَ جهالةً ... ويروقه زورٌ وَشَاهُ وَزَخْرَفَه
الحق أبلجُ وَاضِحٌ لـكنَّه ... يُغْشِى عُيون أُولى الضَّلالة والسفه
اِخسـأ فقولك طائحٌ كهَبَاءَةٍ ... طاحت بها هُوجُ الرِّياح المُعْصِفَه
سَوَّغْتَ ذَمَّ جمـاعة سُنِّيَّةٍ ... قد أحرزوا من كُلِّ فضلٍ أشْرَفَه

[٧٥٧]

قَطَفُوا أزاهرَ كلِّ عِلمٍ نافعٍ ... وَأَتَوا بكلّ بديعةٍ مُسْتَطْرَفه
قومٌ هُمُ قمعوا الضـلال وحِزْبه ... بمعَاوِلٍ حَكَت المواضِى المُرْهَفه
هُمْ شيعـة الحقّ الذى ما بعدَهُ ... إلَّا مهاوٍ فى الضَّـلالة مُتْلِفَه
آراؤهم يجلو البصـائرَ نورُها ... ويُميط أدْوَاء القُـلوب المُدْنَفَه
أَقْصِرْ فإن شقاقهم كُفْر فلا ... تَدَعِ الرشادَ لعُصْبَةٍ مُتَعَسِّفَه
مَنْ شَذَّ عَنْ سَنَنِ الجماعة قد غوَى ... جاءَتْ بذا الكُتُبُ الصّحاح مُعَرِّفه

* * *

ولأبى حفص ابن عمر

قال العبدرىُّ وقد نَظَمَ فى مثل هذا القاضى أبو حفص بن عُمَر ، فقال :

أَجَعَلْتُمُ العُلماءَ حُمُرًا مُوْكَفَه هذا لأنكُمُ أُولو تلك الصِّفَهْ

أجهِلْتُمُ صِفَةَ الإلٰه وَفعله ونسبتموه لغيره بالزُّخْرفه

وَأَرَدْتُمُ تنزيهَهُ فوقعتمُ فى الشِّرْكِ والإلحاد والأمر السَّفَه

خالفتم سُنَنَ النبى وصحبِه وتبعْتُمُ فى الزَّيْغ أهلَ الفلسفه

انتهى .

* * *

ولابراهيم بن هلال

وممن سَلك هذا السبيل فى الرد على هذين البيتين المُتَقَلِّصَىِ الظلال ، الشيخ الإمام العالم النَّظَّار المتبحر ، سيدى إبراهيم بن هِلال ، فقال :

عجبًا لقوم عادلينَ عن الهُدَى وَدَعَوْا أُولى الحقِّ الحميرَ المُوكَفهْ

وتلقَّبُوا عَدْليّةً لما رأوا بمقالةٍ شَنْعَاء رَأْىَ الفلْسَفَه

ما ذاك إلّا من عمًى لبصيرةٍ وهوًى هَوَوْا من أجْلِه فى مَتْلَفَه

وأتوْا بما دان المجوسُ وإنّهم حقًّا مجوسُ الأمة المُتَشَرِّفه

هذا وكم من بدعةٍ وَضَلالةٍ من رَدِّ حَقٍّ بالمحال وبالسَّفَه

رَدُّوا القُرآن وما تواتر نقله من رُؤْيةِ البارى وَهُم نَفَوُا الصِّفه

فالعدلُ معْ هذى المخازى مُنْتَفٍ والجَوْرُ معْها مُثْبَتٌ والسَّفْسَفه .(1)

* * *

ولقاضى الجماعة الفقيه العلامة المفسِّر ، الدَّرَّاكة البَيانىّ ، سيدى الرئيس

(1) إلى هنا ينتهى الموجود من هذه الروضة الثالثة فى نسخة ص . وقد سقطت بقيتها وبعض من الروضة الرابعة ، وأول الموجود منها قوله :
« ومنه اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ... » الخ .

[٧٠٨] أبى القاسم بن أبى النعيم قاضى حضرة فاس المحوطة بالله ، فى هـذا التاريخ ، أبقى الله جلاله :

فيه مجوسية بشرك كفرت — وصلاح إيجابٍ ونفيٍ للصِّفَهْ
وبرؤية البارى تجلَّى غَيُّهمْ — فى نفيها وتستروا بالفلسفه

* * *

ولعلى بن أحمد الشامى

وأنشدنى الفقيه الأديب الحاج الرحال الحسيب الأصيل ، سيدى على بن أحمد الشامىّ الخزْرجىّ ، حفظه الله لنفسه ، سالكا سَنَن هؤلاء الأعلام ، ومتشبثا بأذيال حِزبهم ، ومتمسكا بوُثْقَى عُروتهم السُّنِّية وقُرْبهم ، وكتب لى ذلك بخطه أيضا ، حفظه الله تعالى آمين :

يا من أقام على الضلالة مَعْكَفَهْ — ولَوَى عن الحقّ الجَلِى واسْتَنكَفَهْ
لابُدَّ من يومٍ به تَهَلْ مِن — رَبِّ العِباد مَواهبُ مُسْتَوْكَفَه
ويُرَى به ربُّ العُلا رغْما على — أنفِ العُداة العائبينَ البلْكَفَه
وتقول إذْ تُمْشِى طريدًا ليْتنى — أمسيتُ فيه مع الحمير الموكَفَه

* * *

وقد آن لنا أن نمسك عِنان القلم الذى جمح ، فقد طال بنا الكلام فى هذه الترجمة ، ومَنْ نظر ما أوردناه بعين الرضا ولمح ، التمس لنا أحسن الأعذار وأغضى وسَمَح ؛ والحديث ذو شجون ، كما قيل فى الأمثال ، وربما تكثر المناسبات وتنثال ؛ ومقصودنا الفائده ، وهذه الأشياء المجلوبة بها غايه ؛ واللهُ يوفقنا إلى عمل يَرْضَى به عنّا ، ويدفع كلَّ خَطْب أتعب وعسى يَقبلُ منا ، ويعاملُنا بمحضِ كرمه تطوُّلا ومَنّا ؛ فليس لنا ربّ سواه ، لا إله إلا هو .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وهو حسبنا .

انتهى الجزء الثالث من كتاب أزهار الرياض فى أخبار عياض

ويتلوه الجزء الرابع ، وأوله :

روضة المنثور

فيما له من منظوم ومنثور

فهرس الأعلام

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(ه)

(و)

(ى)

فهرس الشعراء

فهرس القبائل

(ا)

(ب)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

فهرس الاماكن

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(م)

(ن)

(و)

(ى)

فهرس الكتب

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

فهرس القوافى

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

فهرس الموضوعات

صفحة

روضة الأقحوان، فى ذكر حاله فى المنشأ والعنفوان

صناعة التأليف بالمغرب

صفحة

ترجمة الفيروزابادى

عن الشقائق النعمانية

صفحة

ترجمة ثانية للفيروزابادى

عن الضوء اللامع للسخاوى

ترجمة ثالثة للفيروزابادى

عن إنباء الغمر

التجديد والمجدودون

روضة البهار

فى ذكر جملة من شيوخه الذين

فضلهم أظهر من شمس النهار

شيوخ عياض

استطراد وتحقيق

تنبيهات

ترجمة ابن السيد البطليوسى

الخبر عن مقتل ابن الأبار

وسياقة أوليته

بين القاضى عياض والزمخشرى

بين الحافظ السلفى والزمخشرى



أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الرابع

تحقيق

سعيد أحمد أعراب

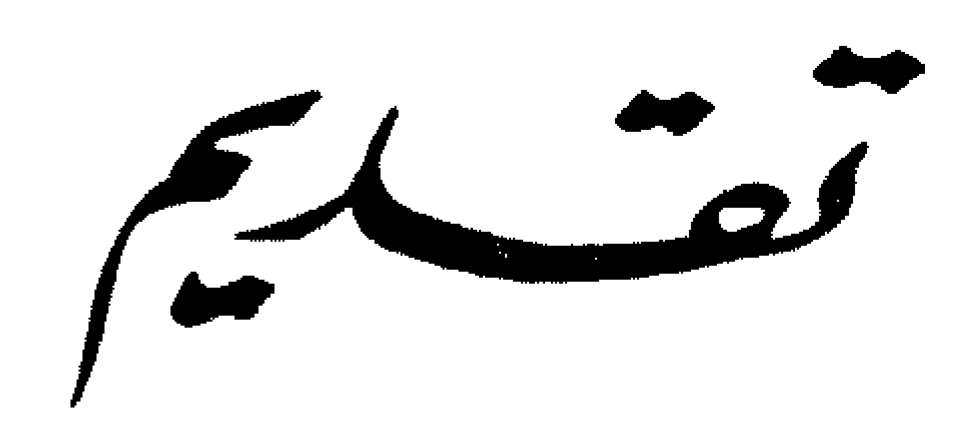
محمد بن تاويت

طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي
بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد للـــه رب العالميـــــن

اللهم صل على سيدنا محمد اشرف المرسلين وعلى آله وصحابته اجمعين



رغبة غالية اخرى من رغبات الباحثين والمفكرين تتحقـــق بصدور الجزء الرابع من كتاب ازهار الرياض فى اخبار عياض لشهاب الدين احمد ابن محمد المقري التلمساني . وهو الكتاب الـــذي طالمـــا تشوفـــت انظار المثقفين الى اتمام تحقيقه ونشره بعد ان توقف العمل الذي كان قد بدا فيه منذ اكثر من اربعين سنة .

وحرصا من هيئة احياء التراث الاسلامي على تحقيق الانتفاع مـــن هذا الكتاب ، عملت على تيسير الاجزاء الثلاثة الاولى التي كانت قد نفذت باعادة طبعها من جديد . بعد المراجعة والتنقيح اللازمين ، كما أن الجزء الخامس والاخير من هذه المعلمة يوجد فى نهاية مرحلة التحقيق ، وعما قريب سيكون بين ايدي القراء آن شاء الله .

وقد حاولنا جهد المستطاع ان نخرجه اخراجا لائقا مشرفا جديرا به .

نسال الله تعالى ان يثيب العاملين الذين انفقوا من وقتهم وجهدهم فى تواضع جم وصبر طويل حتى اخرجوه كتابا سويا وآن يجعله عمـــلا صالحا يعود على فكر الاسلام وحضارته بالنفع العميم .

صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك
بين المملكة المغربية ودولة الامـــارات العربيـــة المتحـــدة



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله محمد الامين ، وعلى آله وصحبه اجمعين ؛

وبعد : فقد مضت اربعون سنة على طبع الاجزاء الثلاثة من كتاب : « ازهار الرياض ، فى اخبار عياض » ، وها نحن ـ بعد ما زودنا مصور هذه الاجزاء باستدراكات وتصويبات ـ نعتمد على الله فى نشر باقي الاجزاء التي تبتدىء بـ (روضة المنثور ، فى بعض ما له من منظوم ومنثور) ، وهي الروضة الرابعة من الرياض الثمانية التي تضمنها هذا الكتاب ، الذي يعد من حيث القيمة الادبية والتاريخية ، ثاني الكتب الثلاثة التي تتوج اعمال المقري ، واولها « نفح الطيب » ، وثالثها « روضة الآس ، العاطرة الانفاس » .

وفيما يخص هذا الكتاب وصاحبه ، فليس لدينا ما نضيفه الى ما سبقنا به غيرنا ، وفى مقدمتهم الاستاذ المرحوم مصطفى السقا ورفيقاه (محققو الاجزاء الثلاثة) ، والاستاذ احسان عباس عند تعرضه له فى مقدمته التي مهد بها لنشرته « نفح الطيب » ، والباحث الاستاذ عنان فى كتابه « تراجم اسلامية » ، والباحث الحبيب الجنحاني فى كتابه « المقري صاحب نفح الطيب » ، ثم الاستاذ عبد الغني حسن فى كتابه ، الذي يحمل نفس العنوان ، واخيرا ما كتبه زميلنا الاستاذ عبد الوهاب بن منصور فى التصدير الذي جعله للجزء الحافل ، الذي نشره لاول مرة من كتابه « روضة الآس ، العاطرة الانفاس » .

وقد إتفق الاساتذة : المرحوم العابد الفاسي فيما نشره بمجلة المغرب الجديد تحت توقيع مستعار ، ومحمد عبد الله عنان ، وعبد الوهاب بن منصور ؛ ـ على ان تاريخ ميلاده كان عام (986 هـ) ـ ذاكرا منهم عنان انه اعتمد فى هذا على « مرآة المحاسن » للعربي الفاسي ؛ ونحن نوافقهم على هذا ، ولكننا نخالفهم جميعا فى كون المقري الف كتابه وانتهى منه بفاس او المغرب ، فالمقري ـ وان بدأ بالتاليف وهو بالمغرب ـ لكنه لم ينته منه الا قبيل بدئه لتاليف « نفح الطيب » ـ وهو بالمشرق او

بمصر ، اي عام (1038 هـ) ـ كما نبهنا على ذلك فى استدراكاتنـــا على الجزء الاول المصور .

ونخالفهم ايضا ـ الا الاستاذ ابن منصور ـ فى كون المقـــري كان ينهل من مكتبة زيدان السعدي ـ وهو مقيم بفاس بعد وفاة ابيـــه احمد المنصور ، فان فاسا ـ لذلك العهد ـ كانت تحت امرة الشيخ المامون ، وكان يتولى حكمها غالبا ولده عبد الله ؛ وينبغي أن نشير الى ان الجند الذي اعتمدت عليه سلطتهما ، كان من شراقة (عرب بادية تلمسان ونواحيها)، وكانت لهم ادالة على اهل فاس ؛ وقد اتهم ابو العباس المقري بالميـــل اليهم ، وربما كان ذلك من اسباب رحلته الى المشرق .

ولم يكن زيدان قد فر بحرا ـ ومعه المركب الذي كان يقل كتبـــه ، فاستولى عليه الاسبان ـ كما يقول عنان ؛ بل زيدان أرسل كتبه بحرا فى سفينة فرنسية ، فاستولى عليها قراصنة الاسبان ؛ ولم تقع هذه القرصنة فى مياه جبل طارق ـ كما قال الباحث التونسي الحبيب الجنحاني ، بل وقعت فى المياه المذكورة (بين آسفي واكادير) ؛ وقد بـــذل زيدان كل مجهود لاستخلاص مكتبته بالطرق الدبلوماسية المتعددة فلم يفلح .

ومن الاخطاء التي وقع فيها الباحث التونسي ، ان الكتاب (ازهار الرياض) ـ طبع كاملا ، أو بدىء باخراجه كاملا سنة (1939) ، بل هو ـ الى حد الآن ـ لم يخرج كامـــلا .

والمطبوع منه ـ فقط ـ ثلاثة اجزاء ، اي نحو النصف .

النســـخ المخطـــوطـــة وعملنـــا فى التحقيـــق

النسخ الخطية التي يقوم عليها تحقيق هذا الجزء اربـــع ، وقـــد حصلنا على صور منها ، وهي :

1 ـ صورة عن نسخة خطية بالخزانة الملكية بالرباط رقم (784) ، وهي تامة تقع فى مجلدين ، كتبت بخط مغربي دقيق ، لم يذكر تاريـــخ نسخها ، وبهامشها طرر نقلت من خط المؤلف ، عدد اوراقها (450) ورقة، فى كل صفحة 29 سطرا ، معدل السطر الواحد 14 كلمة ، وهي نسخـــة جيدة ، قليلة التصحيف والتحريف ، ولذا جعلناها الاصل ، ونرمز لهـــا بحرف (ل) .

2 ـ صورة عن نسخة خطية ثانية بالخزانة الملكية رقم (9055) ، وهي فى مجلد ينتهي بانتهاء الكلام عن رحلة ابي عبد الله المقري ـ جد المؤلف . وبه خرم فى الروضة الرابعة ، يبتدىء من أول الروضة الى قوله : (ومن نثر القاضي عياض ـ رحمه الله ـ هذه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حسبما وجدته ..) . اوراقه (289) ورقة ، فى كل صفحة 25 سطرا ، معدل السطر الواحد 13 كلمة .

وقد كتب بخط مغربي واضح ، جاء فى آخره : (تم بحمد الله تعالى الجزء الاول من « ازهار الرياض ، فى اخبار عياض » فى اواخر شوال ، من عام ستة وعشرين ومائة والف .

وكتب من نسخة عتيقة ، عليها خط المؤلف ـ رحمه الله ـ مـــدا الكراستين الاخيرتين .

وهي نسخة ، لا تقل اهمية عن الاولى لولا انها ناقصة ، وبها خرم فى الروضة الرابعة ـ كما اسلفنا ، ونرمز لها بحرف (ن) .

3 ـ صورة عن نسخة خطية للكتاني مودعة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (229) ، وقد كتبت بخط مغربـــي واضـــح فى مجلديـــن ، اوراقها (358) ورقة ، فى كل صفحة (35) سطرا معدل السطر الواحد (13) كلمـــة .

فرغ منها ناسخها فى رابع جمادى الثانيـــة عـــام (1159 هـ) ـ انتسخت لخزانة ابي الحسن علي باشا ، وعليها طابع مستدير الشكل بداخله (خان مصطفى باشا) ، وهي نسخة تامة ، لكنها كثيرة التصحيف والتحريف، وقد افدنا منها فى القسم الاول من هذا الجزء ، ونرمز لها بحرف (ك) .

4 ـ صورة عن نسخة خطية خاصة للعلامة المرحوم جواد الصقلي، ويوجد ميكروفيلم منها بالخزانة العامة بالرباط ، وهي كثيرة التحريـــف وبها خروم فى مواضع ، وقد استعنا بها فى القسم الاول من هذا الجزء ، ونرمز لها بحرف (ص) .

ـــ وهناك نسخة خامسة لزميلنا العالم الفاضل الاستـــاذ محمد المنوني ، اعارنا اياها ـ مشكورا ، وهي فى مجلد ينتهي عند الروضـــة الخامسة ، ولم نفد منها لانها تكاد تكـــون صورة طبق الاصـــل مـــن نسخة (ص) ، وربما انتسختا من اصل واحد .

اما عملنا فى التحقيق ، فقد جعلنا نسخة (ل) الاصل ، وعارضنا عليها باقي النسخ ، ووضعنا حاشيتين ـ يفصل بينهما خط ، احداهما للفروق اثبتنا فيها ما بين النسخ من فروق ، وما يقع بينهما من زيادات اونقص .

والحاشية الاخرى للتعاليق ، وقد جعلنا وكدنا فيها ـ ارجاع كل نص الى اصله ، ورصد كل مصدر او مرجع يومىء المقري اليه ـ ما وجدنا الى ذلك سبيلا .

وترجمنا للاعلام الواردة فى المتن تراجم مختصرة ، مكتفين بالاحالة على مصادرها ، وان هي تقدمت تراجمها فى الاجزاء السالفة ، نبهنا على ذلك .

ولم نكثر من الشروح اللغوية ، حتى لا نخرج على نطاق تحقيق النص ، ـ تاركين للقارىء فرصة البحث ؛ ونبهنا على ارقام الايات وسورها ، ووضعنا فهارس مفصلة ، تلقي اضواء كاشفة عن اهم ابحاثه وموضوعاته .

والله نسال ان يتقبل عملنا ، ويمدنا بعونه فى اخراج ما بقي من اجزاء ، انه نعم المولى ونعم النصير .

الرباط فى 12 جمادى الاولى 1398 ـ 20 ابريل 1978 .

المحققان

أقــول : هذه الترجمة نذكر فيها نثره الفائق ، ونظمــه الرائق ، قال الفتح (2) فى قلائده (3) — بعد أن حلاه بما قدمناه آنفــا (4) — : وقد أثبت من كلامه البديع الالفاظ والاغراض، ما هو أسحر من العيون النجل والجفون المراض ، فمن ذلــك رقعة حملنيها تحية للرئيس أبى عبد الرحمن بن طاهر — (5) رحمه الله وهى : عمادي ابا نصر ، مثنى الــوزارة ووحيــد العصر ، هل لك فى منة تفوت الحصر ، تخف محملا ، وتبلــغ أملا ، وتشكر قولا وعملا ، شكرا تترنم به الحداة ثقيلا ورملا، 5

---

1 — 2) فى بعض ما : ل — ص ك.
بسم الله الرحمن الرحيم ، صل اللهم على سيدنا محمد وآله وسلم ، اقول : ص — البسملة والتصلية ساقطتان من ك. ل.
3) نذكر : ك ل تذكر : ص. نثره الفائق ونظمه الرائق : ص ل . نظمه الفائق ونثره الرائق : ك .

---

1) هى الروضة الرابعة من الروضات الثمان التى يحتويها « أزهــار الرياض » انظر المقدمة .
2) ستاتى ترجمته مستوفاة فى هذا الكتاب . انظر الروضة الثامنة .
3) ص 222 — طبع بولاق .
4) انظر أزهار الرياض 18/3 .
5) هو محمد بن أحمد بن اسحاق بن طاهر (ت. 507) انظر ترجمته فى قلائد العقيان ص 56 . المغرب 247/2 . طبع المعارف .

اذا بلغت الحضرة العلية مستلما ، ولقيت الطاهر ابن طاهر فخر الوزارة مسلما ، وحللت من فنائه الأرحب حرما ، ولمست بمصاغحته ركن المجد يندى كرما فقف شوقى بعرفات تلك المعارف ، وأنسك شكري بمشاعر تلك العوارف ، وأطف اكباري بكعبة ذلك الجلال سبعا ، وبوىء لودادي فى مقر ذلك الكمال ربعا ، وأبلغ عنى تلك الفضائل سلاما ، يلتئم بصريح الحب التئاما ، ويحسن عنى بظهر الغيب مقاما ، ويسير بأرج الحمد انجادا واتهاما .

قال الفتح : وله فصل من رسالة فى جانبى : فى علمك ، سدد الله علا حكمك ، ما جمعه فلان من جلائل ، تشذ عن الحصر ، وفضائل ، يعترف له بها نبهاء العصر ، يقول، فيختلس العقول ، ويعن ، فيذهل الالباب ويجن ، ان نظم ، فعبيد أو لبيد (6) أو نثر ، فعبد الحميد أو ابن العميد (7) أو صال ، فأبو نعامة (8) ، أو أنال ، فكعب بن مامة (9) ، وان فاخر ،

---

1) العلية مسلما : ص ك ل . العلية مستلما : القلائد .
3) ركن المحبة : ص ك ، ركن المجد : ل القلائد . نيدا كرما ك ، سيدا كرما ص . يندى كرما : ل ، القلائد .
4) بمشارع : ص ك ل ، بمشاعر القلائد .
7) بارجى : ص ك ل ، بارج الحمد : القلائد . وانتهاما : ص ك ، واتهاما : ل ، القلائد .
10) علا حكمك : القلائد ــ كلمة « علا » ساقطة من ص ك ل .
12) ويعزم : ك ، ويعن : ص ل .

---

6) يعنى بهما عبيد بن الابرص ، ولبيد بن ربيعة .
7) يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد .
8) كنية قطري بن الفجاءة فى الحرب .
9) يضرب به المثل فى حسن الجداء والايثار ، انظر امثال الميدانى 346/1 .

فشجرة سيادة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء (10) و ان ذاكر ،
فبحر معارف لا تكدره الدلاء ، (11) الى همة تصفع هامة الثريا ،
وعزة تمتهن الفضل بن يحيى ، (12) ولهجة تخرس العجاج ، (13)
وبهجة تزري بنصر بن حجاج (14)، ولو كنت ابن أبى هالة، (15)
5 اما بلغت المنتهى له ، على أنى لم أنبه لشانهذا جهالة ، لكنه
الكلام يطرد ، والبداية حسبما ترد ، واللسان ينطق ملء فيه ،
والجنان يرشح بما فيه .

قال الفتح : وله فصل من رسالة راجع بها : وصلت
لمعظمى قرب الجلال ، وزهيت به رتب الكمال ، وحامت على
10 مشرع مجده العذب طيور الآمال ، وغصت أفنية جنابه الرحب

---

2) هامة : ك ، همد ص ل .
4) نصر : ص ك ، بنصر ل القلائد .
6) ملىء : ص ك ، ملء : ل القلائد .
9) لمعظم : ص ك ، لمعظمى ل القلائد
وركت : ك ، وزكيت : ص ل . وزهيت : القائد .
10) جنابه الرحب : ص ل — كلمة « جنابه » ساقطة من ك .
بوجود الآمال : ص ك . بوفود الاقبال : القلائد ، بوفود الآمال : ل

---

10) اقتباس من قوله تعالى « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء » .
11) حل به قول حسان : « وبحري لا تكدره الدلاء » .
12) ابن خالد البرمكى .
13) عبد الله بن مالك بن سعد ، يكنى أبا الشعثاء ، وهو والد رؤبة وكان مشهورا بالفصاحة .
14) احد المشهورين بالجمال على عهد عمر الذي نفاه من المدينة لما سمع قول امـــراة :

هل من سبيل الى خمر فاشربها أم من سبيل الى نصر بن حجاج

15) ربيب النبى صلى الله عليه وسلم ورد فى فضله انه دخل على الرسول عليه السلام وهو راقد فاستيقظ فضمه الى صدره ، وقال: هالة هالة ! .. انظر ابن حجر الاصابة 276/6 .

بوفود الاقبال . لا غرو – أعزك الله – أن من لاحظ من آثار فضلك الرائقة لحظة ، أو حظى من سماع محاسنك الرائعة ولو بلغظة ، ان تسير به همته فى لقائك واحدا ، وتعتسف الطرق الى ورد جلالك وافدا ، حتى يشاهد الكمال لم يحوج الى نقص ، 5 وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى شخص (16) .

قال الفتح : وله فصل من رسالة : لابد – أعزك الله – لكل حين ، من بنين ، يحلون عاطله ، ويجلون فضائله ، ولكل مجال ، من رجال ، يقومون باعبائه ، ويهيمون فى كل واد (17) بأنبائه ، ولئن كانت جمرة الادب خامدة ، وجذوته هامدة ، 10 ولسانه حصيرا ، وانسانه حسيرا ، فلن يخليه الله من هلال يطلع ، فيشرق بسمائه بدرا ، وزلال ينبع، فيغدق بغضائه بحرا وشبل يشدو ، فيزأر من غابه ليثا ، وطل يبدو ، فيمطر من ربابه غيثا .

قال الفتح – سامحه الله : وخرجنا لنزهة ، فلما انصرفنا 10 أصاب غفارتى (18) شوك شقها ، فلما وصلت موضعى ، أمر أن أبعثها اليه ، مع أحد عبيده المتصرفين بين يديه ، فلما كان

---

3) تصير : ص ك ، تسير : القلائد ل .
4) يخرج : ص ك ل ، يحوج : القلائد.
6) وله من رسالة : ص ك ل ، وله فصل من رسالة : القلائد .
11) يشرق : ص ك ، فيشرق : ل القلائد .
12) فيزار : ك ل ، فيزرا : ص . ربائه ص ك، ربابه : ل القلائد .
15) امر ان : ك ل ، امر بى ان : ص .

---

16) هو حل لبيت ابى نواس ، مادحا الفضل بن الربيع :

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

انظر معاهد التنصيص 80/4 .

17) اقتباس من قوله تعالى : « الم تر انهم فى كل واد يهيمون » .
18) الغفارة : رداء واسع يلبسه العلماء والاعيان .

من الغد ، تأخر صرفها ، وحضرت الجمعة ، فكتبت اليه معاتبا في توقفها : قد بقيت ــ أعزك الله ــ كالاسير ، ولقيت التوحش بجناح كسير ، ان أردت النهوض لم ينتهض، وليت من لايريش لم(19)يهض، وقد غدوت من المقام،في مثل السقام، فلتأمر بردها،
5 لعلى أحضر الصلاة وأشهدها ، لا زلت سريا تطلق من يد الوحشة بريا ــ ان شاء الله .

فراجعني : ادام الله ــ يا وليي ــ جلالك، وأبقى حليا في جيد الدهر خلالك ، الغفارة عند من ينظر فيها ، وقد بلغت غير مضيع تلافيها ، ويرجى تمامها قبل الصلاة وادراكها ، وتصل
10 مع رسولي وكانما قد شراكها (20) ، وان عاق عائق ، فليس مع صحة الود مضائق ، والعوض رائق لائق ، وهو واصل ، وأنت بقبوله مواصل ، والسلام ــ ما ذر (21) شارق ، وومض بارق .

انتهى ما أورده الفتح من نثر القاضي عياض ــ رحمه
15 الله تعالى ، وهو نقطة من بحر .ولنذكر بعض ما وقفنا عليه مما لم يذكره ، فنقول :

قال ابنه (22) من جملة ترسليه ــ رضوان الله عليه ــ أنه

---

3) وليت : ص ل ، رايت : ك ، وكتب فوق كلمة رايت ــ « وليت » وعليها علامة (خ) .
4) ننتهض : ك ل ، ينتهض : ص ، يهض : ك ل يهد ص .
5) لعلى احضر : ك ل ، كلمة « لعلى » ساقطة من ص .
6) الوحشة بريا : ص ك ، الوحشة عبوسا بريا : التلائد
12) در : ص ك ل ، ذر : التلائد .

---

19) اي ليت من لا ينفع لم يضر .
20) كناية عن الجدة .
21) ذر ــ بالمعجمة ــ طلع ، يقال لا اكلمك ماذر شارق .
22) هو أبو عبد الله محمد بن عياض ، ولى قضاء دانية ثم غرناطة (ت 575 هـ) . انظر التكملة 677/2 ــ طبع عزت العطار

تذاكر (23) مرة مع جلة زعماء ، وقادة علماء ، وسادة أدباء .
تعاطوا بينهم كأس الادب ، حتى ذهبت بهم فى التغلغل فيه كل
مذهب ، فتسابقوا فى ميدانه ، وجرى كل ملء عنانه ، الى أن
قصدوا التعجيز ، وسدوا باب المسامحة والتجويز ، وقالوا
5 الغاية القصوى ، المعربة عن كل مدع فى الادب دعوى ، — أن
نكتب رسالة معربة المعانى رائقة ، ذات أصول ثابتة وفروع
باسقة ، فيلحق بين كل سطرين منها زيادة توافق معانيها ،
ولا تخل بشىء من مبانيها ، فتطاول لها — رحمة الله تعالى
عليه — وأزهار آدابه تنم ، وقال : أنا لها ولكل مهم ، وعينت
10 الرسالة فكتب ، وقد قدم بين يديها هذه القطعة :

قل للاماجد والحديث شجون ما ضر أن شاب الوقار مجون

الابيات . وسنذكرها فى نظمه من هذا الباب — ان شاء
الله . قال فى آخرها :

---

2) التغلغل كل مذهب : ك ، التغلغل فيه كل مذهب : ص ل.
3) كل منهم ملىء : ص ك ، كل منهم ملء : ل ، كل ملء : التعريف .
5) الغاية القصوى : ك ل القصوى : ص نكتب : ك ل يكتب : ص .
8 — 9) رحمة الله تعالى عليه : ك — كلمة « تعالى » ساقطة من ص ل
9) تنم ، ك : تنم : ص ل ، ولكل مهم ، ص ك ل . ولكل أمر مهم
التعريف .
10) نكتب : ص ك ل . وكتب ما نقف عليه ان شاء الله : التعريف . وقد
قدم : ص ك لكلمة « وقد » ساقطة فى التعريف .
12) الابيات : ص ك ل — وقد اورد التعريف هذه الابيات بكاملها . فى :
ك ل من : ص

---

23) ذكر ذلك فى كتابه « التعريف » انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط
رقم 553 ك ص 105 — 110 . وقد طبعته اخيرا وزارة الاوقاف
والشؤون الاسلامية .

وبعثت الآن بها ليعلم أننى عين الزمان وسره المكنون

ووصله ــ رحمه الله بما نصه :

فارقت السادة الجلة ، أدام الله عزهم ، بثبات قدم عميدهم ، وأبقى عليهم ظله ، عند مجاراتنا الحاق الكتاب ، 5 فكانها كانت منى دعوى توجب الارتياب ، وكان الفقيه أبو فلان صديقنا ، أعرف بالقصد الى الزيادة فى رسالة الوزير أبى القاسم بن الجد (25) على ايجاز ألفاظها ، واندماج أغراضها ، وجلالة قائلها ، واعتدال أواخرها وأوائلها ، فلم اقدم تلك العيشة شيئا على تسويدها ، وتذييل برودها ، وان كان المتحكك 10 بذلك الطود العظيم ، كمرقع الوشى بالاديم ، ولكن بحكم الاضطرار ، وقصد الاختيار للاختبار ، وطرقنى لصاحبها من الحادث الكارث (26) ، ما شغل عن صقل وجوهها ، وأذهل عن

1) حينئذ : ص ك ل ، الآن بها التعريف . انى : ك ، اننى : ص ل . والاخير هو الصواب وبه يتزن البيت .
3) عزتهم : ص ك ل ، عزهم : التعريف .
4) الحان : ص ك ،الحاق : التعريف .

9) وتذويل : ص ك ل ، وتذييل : التعريف المتحاك : ص ، المتحكك : ك ل لذلك : ص ك ، بذلك : استظهار ، وفى هامش ل (لعله المحاكى) انتهى من خطه (المؤلف) .
10) بالاديم : ص ل والاديم : ك ، ولا محكم : ص ك ل ، ولكن بحكم : التعريف .
11) الاحتيار بالاختبار : ص ، الاختيار بالاختبار : ك ل : للاختبار : التعريف . الحارث : ص ك ، الحادث : التعريف .

25) هو محمد بن عبد الله بن الجد الفهري (ت.515) انظر ترجمته فى قلائد العقيان ص 109 والمغرب 341/1 .
26) اي ذي كوارث ، فهو للنسب كابن رشام .

توجيهها ، وحين وجدت الآن فجوة ، وأنست العيشة وان لم تكن سلوة ، وجهت بها شريطة رفع الدعوى ، وامتحان البلوى، وصرف عين الانتقاد ، وتحسين الظن والاعتقاد ، وقد أعلمت على الزيادة بالحمرة ، لتكون فصلا بين الكلامين وعبرة ، ولم
5 تمكنى مفارقة المنزل ، مراعاة لحق من يقصد وينزل ، وحذرا أن ينتقد ، من لا يجد (27) ، فليكن الكل عندكم بالامانة حتى نجتمع ، والسلام عليكم يطول اعظاما لجلالكم ويتسع ، ورحمة الله وبركاته .

قال جامع هذا التصنيف (28) وفقه الله : وقد كتبت
10 الزيادة بالقلم الغليظ بدلا من الحمرة ، لتعذرها فى الوقت ، وبالله التوفيق .

قرن الله – يا سيدي – مطالبك بالنجاح ، ومآربك بالاسماح ، وأجرى أحوالك على حكم الاختيار ، (**وأورى زندك فى مساعى الابرار ، ولا زلت سعيد الايراد والاصدار ،**
15 معلى القداح، مؤتى الامانى والاقتراح) ، وردنى – يسر الله املك ، وسدد قولك وعملك – كتب خطير ، بل روض من الترف

---

2) دفع : ص ك ل ، رفع التعريف . وصرف : ك ل وصرفت : ص .
4) ليكون : ص ك ل ، لتكون : التعريف . وغيره : ص ك ل ، وعبرة : التعريف . تمكنى : ص ك ل ، يمكنى : التعريف . كلمة
5) (مراعاة) ساقطة من ل .
10) بدلا عن : ك ل بدلا من : ص .
14) سريع : ص ك ل ، سعيد : تعريف .
16) كتب : ص ك ل كتاب : تعريف .

---

27) يشير الى ما كانت العادة جارية به من كون منزل القاضى تؤمه الخصوم ، فكان بمثابة محكمة على صاحبها ان يلزمها فلا يغادرها الا عند الضرورة .
28) يعنى به المقري نفسه .

مطيـــــر ، (**وخطاب أثير ، بل مسك من الثناء نثير فوقه زهر الحسن ، لا زهر الحزن ، وهب عليه نسيم السرو ، لا نسيم الجو ، جاده صيب المقل ، لا منبت البقل ، فرتعت فى حديقة جده وهزله ، وتمتعت برقيق لفظه وجزله ، (ونزهت ناظري فى رائق ألفاظه ، ووجهت خاطري لقبلة معانيه وأغراضه ، ونزهت قولى وعملى عن رده واعتراضه**) ، لا جرم أنه انفك لى منـــه معجون ، حشوه مجون ، وطبيخ ضمنه توبيخ، الا أن حقى من تركيبه ، , وذوقى لمعسول طيبه ، اعترضت دونه علل ، ولم **يبح لى منه ورد ولا علل**) ، وأجدر أن يكون لى وله نبأ عجيب، لو ساعده من طبيعتى مجيب ، لكن مجه مزاجى ، ولم تحمله أمشاجى (29) ، ولا غرو أن يزل طبيب (**ولا يساعد حبيب ، ان كلف هذا ما ليس فى وسعه ، وطولب بما يعلم عنه ضيــق** ذرعه ، وتعاطى ذلك الآخر لرقيه لما لا يجيب)، او اذا لم يصف له العلة لبيب ، وان عذرك بالجهل بصفة حالى لبين ، كمـــا أن

---

1) فوقه : ص ك ل ، فرقه : تعريف . لا زهر الحزن : ك ل لا زهر
2) الحسن : ص السر لا نسيم الجهر : ص ك ل ، الشرف لا نسيم الجوف : تعريف ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
4) رقيق : ك ل ، رائق : ص .
5) مغازيه : ص ك ل ، معانيه : تعريف . عن زاده : ص ك ، عن
9) رده : ل التعريف .
6) يبح : ص ك ل ، يتجه : التعريف . ورد ولا علل : ك ل ــ كلمة «ولا» ساقطة من ص : واجدر عجيب : ص ك ل ، واجدر ان يكون لى وله نبا عجيب : التعريف .
12) يعلم عنه ضيق ذرعه : التعريف ، ــ « ضيق ذرعه » ساقطة من
13) ص ك ل ، وتعاطى ذلك الآخر لرقيه لما لا يجيب : التعريـــف ، وتناظر ذلك الآخر الحبيب : ص ك ل ، فى ل زيادة (الرقية) .
او اذا : ص ك ل ، واذا : التعريف .
14) لبين : ص ك ل ، بين التعريف .

---

29) امشاج البدن : طبائعه .

شكرك فى مواصلتى ومداخلتى متمين ، **(فلئن لم تجدنـــى فى حاجتك رفيقا ، فقد اتخذتنى أخا شقيقا ، وأن لم اكن لك بحكم** الحال مسعدا ، فقد قمت بألحان شكرك مغردا، ولئن كان ظنك سهما أشوى (30) ، ونجما أخوى (31) ، لقد أصاب موضـع
5 الشكوى ، ومكان البلوى ، **(وبودي ، لو كان أربك عندي ، حتى ابادر به اليك ، واسقط به سقوط الندى عليك ، واسلم أعنــة رغباتك فى يديك . اجــل)** ، ولو كنت ممن ينبسط فى مقر ذلك الجلال ، بحكم الادلال ، لاستعملت فى الموعد ، **(طاقة المجد المجتهد ، ولم أصل العود ، والعود أحمد ، وما كنت اريم (32)**
10 **الا بلبانتك عند ذاك الحريم ، وتخلقت فى مطلبك)** الكريــم ، أخلاق الغريم ، ولكنى من التبسط بمعزل ، وفى أبعد منــزل ، وعلى حالى لسائلى فى ذلك ، **(ما ينتهى الى حضرة جلالــك ، مبادرة الى واجب حقك وكمالك ، ومساعدة لمنزعك فى جهتك**

مداخلتى ومواصلتى : التعريف . فان : ص ك ل ، فلئن : التعريف . مواصلتى ومداخلتى : ص ك ل ، شفيقا ص ك ل ، شقيقا : التعريف ، لم اكن بحكم : ص ك ، لم اكن لك بحكم ، التعريف .

3) مفردا : ص ك ، مغردا : ل التعريف . وان : ص ك ل ، ولئــن . التعريف .

4) سهما : ص ك ل ، سماء : التعريف .

5) الشكوى : ص ك ل ، شكري : التعريف . بلوي : ص ك ل ت ، ولعل الانسب ما اثبتناه .
عندي : ص ك ل ، غيري : التعريف .

7) رغباتك اليك : ص ك ل ، رغباتك فى يديك : التعريف .

9) ابل : ص ك ل ، اصل : التعريف . ذلك : ص ك ل ، ذاك : التعريــف .
وتخلقت : ص ك ل وتخلفت : التعريف .

12) لسائلى : ص ك ل ، فسائلى : التعريف . ينتهــى : ص ك ل ، ستنتهي : التعريف .

---

30) سهما اشوي : اخطا الغرض .
31) نجما اخوي : امحل ولم يمطر .
32) وما كنت اريم : لا افارق مكانى .

ومرمى آمالك ، حتى أبلغ نفسى هنالك) عذرا ، وأقضى نذرا ، وأرى لك صرف وجه المعول ، على الشفيع الاول ، فتخاطبه فى الغرض موجـزا ، (وتلاطفه مقصدا ومرتجزا ، وتريه مـن بيانك معجزا ، يكون لمتقدم خطابك معززا) ، وللعدة الجميلة

5 مستنجزا ، والله يسنى أوطارك ، ويحمى أقطارك ، والسـلام عليك عميما جزيلا ، يصحبك رسيلا ونزيلا . انتهى ما ذكـره ولده من هذه الرسالة .

وقد كتبته من أصل فيه بعض تصحيف وتحريف ، وأثبته هنا حتى يفتح الله فى مقابلته (33) باصل جيد ، يصحح منه

10 خلله ، وتشفى علله ، سهل الله وجوده ، بجاه سيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم .

ومن نثره — رحمه الله — رسالة بديعة ، كتـب بها الـى روضة سيد المرسلين وعمدة الانام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وعلى آله وأصحابه المهتدين ، صلاة وسلاما دائمين

15 الى يوم الدين . نصها :

الى سيد ولد آدم ، وشفيع (34) العالم ، البشير النذير ،

ابلى عذرا : ص ك ل ، ابلغ نفسى هنالك عذرا : التعريف .

6) فى ل (يصحبه)

8) وقد كتبته : ك ل ، وقلا كتبت : ص .

13) الصلاة وازكى السلام : ك ل ، — كلمة «وازكى» ساقطة من ص .

16) وشفيع العالم : ك ص وشفيع جميع العالم : ل .

---

(33) وقد قابلناه باصل لم يسلم كذلك من داء التصحيف والتحـريف . وحاولنا جهد الاستطاعة تصحيحه وتقويمه ، ورغم ذلك فقـد بقيت مواضع لا يزال فى النفس منها شىء ، على انه فاتنا أن نضع خطا تحت ما كتب بالحمرة ، حتى تظهر مهارة الكاتب ، والغرض الذي يرمى اليه ، وهو لون من الوان الكتابة الفنية فى ذلك العصر .

(34) جاء فى الحديث : « انا سيد ولد آدم ، واول شافع . . » انظـر القاري شرح الشفا 126/1 . والفاسى ، مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات ص 86 . والزرقانى على المواهب اللدنية 278/5 .

السراج المنير (35) الرسرل الكريم ، (36) الرؤوف
الرحيم (37) ذي الخلق العظيم (38) ، والفضل الباهر
الجسيم (39) ودعوة أبيه ابراهيم (40) وبشرى
المسيح (41) ، وابن الذبيح ابن الذبيح ، (42) المنبأ ــ وآدم
5 بين الجسد والروح (43) ، الصادق (44) الامين (45) ، الحق

---

4 ــ5) وآدم بين الروح والجسد : ك ل ، وآدم بين الجسد والروح : ص.

---

35) قال تعالى : « يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » . انظر القاري على الشفا 493/1 .
36) قال تعالى : « انه لقول رسول كريم » انظر ابا حيان ، البحر 434/8، والفاسى، مطالع المسرات ص 105 .
37) قال تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم » انظر القاري على الشفا 494/1 .
38) قال تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » انظر المرجع السابق .
39) اي فهو صلى الله عليه وسلم له الفضل على جميع العالمين فى سائر انواع الكمالات ، انظر الفاسى مطالع المسرات ص 107 .
40) اشارة الى قوله تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم » وفى الحديث انا دعوة ابراهيم . انظر العزيزي على الجامع الصغير 63/2 .
41) قال تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدي اسمه احمد » وفى الحديث : « وكان آخر من بشر بى عيسى ابن مريم » المرجع السابق .
42) الذبيح الاول عبد الله والد الرسول ، والذبيح الثانى اسماعيل بن ابراهيم ويروى « انا ابن الذبيحين » .
43) جاء فى الحديث : قالوا يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال وآدم بين الروح والجسد » انظر القاري على الشفا 361/1 .
44) اي قولا وفعلا ووعدا . انظر المرجع السابق ص 495 .
45) جاء فى حديث : انى لامين فى الارض ، امين فى السماء » المرجع السابق 494 .

المبين (46) المطاع عند ذي العرش المكين (47) نبى
الرحمة (48) ، وهادي الامة (49) والعروة الوثقى
والعصمة (50) وقدم الصدق (51) ودار العلم والحكمة (52)
وسيلة الوسائل (53) ، وثمال اليتامى والارامل (54)
حبيب الله (55) وخليله (56) ، ومصطفاه ورسوله ، 5
المجتبى (57) المنتخب من خيار الاخيار (58) ، وصميم

---

1) العرش المكين : ك ل ، العرش المجيد : ص
6) الخيار : ك ، الاخيار : ص ل

---

46 قال تعالى : « لقد جاءكم الحق من ربكم » انظر القاري 493/1.

47) قال تعالى : « ذي العرش مكين مطاع.» المرجع السابق 494 .

48) فى الحديث : « انا نبى الرحمة » انظر الفاسى مطالع المسرات ص 95 ، والقاري 492/1 .

49) من اسمائه صلى الله عليه وسلم الهادي انظر القاري 495/1 .

50) اي من آمن به فقد تمسك بعتد وثيق ، لا تحله شبهة . انظر المرجع السابق 494 .

51) الاولى أن لو قال وتدم صدق — بالتنكير — طبق ما ورد — انظر المرجع السابق .

52) روي « انا دار الحكمة وعلى بابها » وفى رواية انا مدينة العلم. انظر العزيزي على الجامع الصغير 46/2 .

53) جاء فى الحديث : «فان وسيلتى عند ربى شفاعة لكم» انظر الفاسى مطالع المسرات ص 33 .

54) لعله اخذه من قول ابى طالب يمدح ابن اخيه محمدا :
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

55) جاء فى الحديث : « الا وانا حبيب الله » انظر القاري على الشفا 495/1 .

56) جاء فى حديث : (وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا » — يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم . انظر المرجع السابق .

57) من اسمائه صلى الله عليه وسلم المجتبى ، انظر نفس المرجع .

58) جاء فى الحديث : « ان الله اختار العرب ، فاختار منهم قريشا ، فاختار منهم بنى هاشم ، فاختارنى ، فلم ازل خيارا من خيار » ، او كما قال صلى الله عليه وسلم . انظر نفس المرجع ص 198 .

الحسب النضار، الطاهر المطهر (59) المختار، أبوالقاسم(60)، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (61) ، منتهى الشرف ومنقطع الفخار . ــ من الشائق الى زيارته ، الراجى فى دعوته ، المدخرة فى شفاعته (62) ، المومن بنبوءته ورسالته .
5 المعترف بتقصيره فى طاعة الله وطاعته ، عياض بن موسى .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وأفضل الصلوات وأزكى التسليم ، على المصطفى محمد نبيه الكريم ، سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وشفيع المذنبين ، وقائد الغر المحجلين ، وأكرم الآخرين والاولين ، ورسول رب العالمين ، ووسيلتهم (63) اليه
10 أجمعين ، النور الساطع (64) ، والشفيع المشفع الشافع ، صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، والوسيلة والفضيلة والكوثر ، ورافع لواء الحمد يوم المحشر (65)،

---

12) يوم المحشر : ك ل ، عند المحشر : ص .

---

59) من اسمائه صلى الله عليه وسلم الطاهر المطهر . انظر الفاسى ، مطالع المسرات ص 85 .

60) جاء فى حديث : « انا ابو القاسم الله يعطى وانا اقسم » انظر العزيزي على الجامع الصغير 61/7 .

61) هذا جماع فصيلته صلى الله عليه وسلم التى هى اقرب عشيرته . انظر الفاسى ، مطلع المسرات ص 384 .

62) جاء فى الحديث : « لكل نبى دعوة يدعو بها ، واختبات دعوتى شفاعة لامتى » انظ القار يعلى الشفاء 372/1 .

63) هذه طائفة من اسمائه صلى الله عليه وسلم . انظر القاري 495/1 والفاسى ص 115 .

64) قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » انظر الفاسى مطلع المسرات ص 98 .

65) وهذه ايضا طائفة اخرى من اسمائه صلى الله عليه وسلم . انظر القاري 146/1 — 147 والزرقانى على المواهب اللدنية 342/5 — 343 ، 311/8 — 312 .

المرسل الى الاسود والاحمر (66) ، الآتى بالآيات والنذر ، المتحدي بالمعجزاب جميع البشر ، المبعوث بجوامع الكلم (67) الشاهد على جميع الامم (68) ، منير الافئدة بأنوار الحكم ، الذي شرح صدره ، فملىء ايمانا وحكمة ، (69) من لم يجعل الله به علينا فى الدين من حرج (70) ، وأسرى به من الفرش الى العرش وعرج (71) واستسقى الغمام بوجهه فهمع ، وانشق القمر لتصديقه نصفين ثم اجتمع (72) ، وعاد نور الشمس بدعائه لشروقه بعد الافول ورجع (73) ، وانفجر الماء من بين أصابعه ونبع (74) ، وسجد البعير لهيبته وخضع (75)، 5

1) بالآيات : ك ل ، بالبينات : ص .
5) علينا به : ك ، به علينا : ص ل .

66) جاء فى الحديث : « بعثت الى الاحمر والاسود » يعنى العرب والعجم . انظر نفس المرجع .
67) انظر الزرقانى على المواهب 266/5 .
68) قال تعالى : « فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » ـ سورة النساء . انظر تفسير ابن كثير 498/1 ـ 499.
69) قال تعالى : « الم نشرح لك صدرك » . انظر ابا حيان،البحر 487/8
70) قال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » اي تضييق . انظر القاري على الشفا 369/1.
71) الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، والعروج من الارض الى السماوات ، قال تعالى : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى». انظر قصة الاسراء والمعراج بتفصيل فى شرح القاري 380/1 ـ 433 .
72) قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » انظر القاري 585/1 والزرقانى على المواهب 75/5 ، 267 .
73) انتقد غير واحد ، تخريج عياض لحديث رد الشمس . انظر المرجع السابق ص 591 ، والزرقانى على المواهب 114/5 .
74) قال القرطبى : قصد نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت فى عدة مواطن من مشاهد عظيمة ،ورويت من طرق كثيرة، وجاءت روايتها فى الصحيحين . انظر القاري 593/1 ، والزرقانى 151/5 .
75) روى انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فجاء بعير فسجد له . انظر المرجع السابق ص 636 .

وسكن ثبير لركضته حين تزعزع (76) ، وحن الجذع حنين العشار لفرقته وخشع (77) ، المؤيد بروح القدس جبريل ، المبشر به في التوراة والانجيل (78) ، المنزل عليه محكم الكتاب والتنزيل ، الصادع بالحق كما أمر ، المصدق في جميع ما أخبر ، المظلل بالغمام (79) الممدود بالملائكة الكرام (80) المنصور بالرعب (81) المطلع على الغيب (82) ومن أقسم الله بعمره (83) ورفع ذكره مع ذكره (84) عليك من صلوات الله وسلامه ، وزلف بركاته وتحف اكرامه ، كفء محلك الشريف لديه وقدره ، وعداد نجوم الافق وقطره ، وجزاء ما كابدت

5

---

3) حكم : ص ك م ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

---

76) ثبير : جبل بمنى قبالة مسجد الخيف . وفي الشفا : « انه صلى الله عليه وسلم حين طلبه قريش قال ثبير : اهبط يا رسول الله ، فاني أخاف ان يقتلوك على ظهري، فيعذبني الله تعالى» واورد قبل هذا احاديث في اضطراب احد ، وحراء . انظر القاري 629/1 .

77) انظر حديث حنين الجذع في شرح القاري على الشفا 623/1 ، والزرقاني على المواهب 133/5 .

78) انظر الزرقاني على المواهب 143/5.

79) انظر القاري 733/1 .

80) قال تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين»، وقال : « اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة » الخ الآية سورتي الانفال وآل عمران . انظر القاري 733/1 .

81) جاء في الحديث : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » . انظر نفس المرجع ص 365 .

82) روى عن حذيفة قال : قام فينا صلى الله عليه وسلم مقاما ، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ــ الحديث . انظر نفس المرجع 677 .

83) قال تعالى : « لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون » انظر القاري شرح الشفا 72/1 ، والزرقاني على المواهب اللدنية 78/5 .

84) قال تعالى : (ورفعنا لك ذكرك » ــ قال مجاهد : لا اذكر الا ذكرت معي . انظر تفسير ابن كثير 425/4 ، والقاري 507/1 .

وقاسيت فى اظهار دين الله ونصره ، وثواب ما دعوت الى صراط الله وامتثال أمره .

وبعد : فانى كتبت اليك ، صلى الله عليك ، يا خاتم الرسل، وهادي أوضح السبل ، ورحمة العالمين ، ونعمة الله على 5 المومنين ، وشارح القلوب والصدور ، ومخرجها من الظلمات الى النور ، فانى عبد من أهل ملتك ، المتحملين لامانتك ، منهاجك وشرعتك ، والملتزمين للحنيفية ملة أبيك ابراهيم المؤملين النجاة بالدعوة دعوتك التى خبأتها شفاعة لامتك ، ممن أشرق فؤاده بشعاع أنوارك ، واهتدى قلبه بعلم منارك، 10 وتاه عقله بحسرة فوات رؤيتك وابصارك ، وهام قلبه فى حبك وتوقير عظيم مقدارك ، وعدته (85) العوادي عن التشفى بقصد قبرك ومزارك ، وقطعت به القواطع عن التشرف بمشاهدة مشاهدك الشريفة وآثارك ، مصافح بالايمان بك وتصديقك ، شاهد الجوارح بالتقصير عن أداء حقوق الله 15 وحقوقك ، فهو طليح (86) ذنوب ومآثم ، وأسير تباعات وخل آثم ، أثقلت ظهره مع العاصين خطاياه وآثامه ، وانقطعت فى التمنى مع العادين لياليه وأيامه ، وقصرت به عن جد المخلصين أوزاره وأجرامه ، فلا رجاء له الا فى عفو الله واستشفاعك ، ولا

---

6) والمتحملين : ص ك ل ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
8) ابراهيم دعوتك التى خباتها ... المؤملين النجاة بالدعوة دعوتك : ص ك ل ، ابراهيم دعوتك ، المؤملين النجاة بالدعوة التى خباتها شفاعة لامتك : استظهار .
9) ممن : ك ل ، فيمن : ص
13) بمشاهدتك : ك ، بمشاهدة مشاهدة : ص ، بمشاهدة مشاهدتك:
16) آثامه وخطاياه : ص ك ، خطاياه وآثامه ل .
مصافح : ص ك ل ولعل الصواب : طافح .
17) حد : ص ك ل ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

---

85) عدته العوادي : صرفته شواغل الدهر .
86) طليح : حبيس .

خلاص له الا بالتملق بحقوك (87) يوم يكون آدم ومن ولد
تحت لوائك ومن أتباعك ، فيا محمداه ، طال شوقى الى لقائك،
ويا أحمداه ، ما كان أسعدنى لو متع المسلمون ببقائك ،
ويا نبياه ، عليك منى أفضل الصلوات والبركات والتسليم .
5 ويا حبيباه ، اذكرنى عند ربك ، فى مقامك المحمود الكريم ،
ويا شفيعاه ، اشفع لى ولوالدي فى ذلك الموقف العظيم ، اللهم
انى أسالك بحقه عليك الذي آتيته ، وبقسمك بعمره الذي
شرفته به وفضلته (88) ، وبمكانه منك الذي اختصصته
واصطفيته ، ــ أن تجازيه عنا بأفضل ما جازيت به نبيئا عن
10 أمته (89) ، وتوتيه منا الفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة
فوق أمنيته ، (90) وتعظم عن يمين
العرش نوره ، بما يوريه (91) من قلوب عبيدك ، وتضاعف فى
حضرة القدس حبوره ، بما قاسى من الشدائد فى الدعاء الى
توحيدك ، وأن تجدد عليه من شرائف صلواتك ، ولطائف
15 بركاتك (92) ، وعوارف تسليمك وكراماتك ، ــ ما تزيده به فى
عرصات القيامة اكراما ، وتعليه به فى عليين مستقرا ومقاما ،
اللهم وأطلق لسانى بأبلغ الصلاة عليه وأسبغ التسليم ، واملأ
جنانى من حبه وتوفية حقه العظيم ، واستعمل أركانى بأوامره

---

4) الصلوات والبركات : ص ل ، الصلاة والبركة : ك .
9) جازيت به : ك ل ــ جازيته : ص .
10) الفضيلة والوسيلة : ص ل ــ كلمة «والوسيلة» ساقطة من ك
18) جنانى : ك ل ، جنابى : ص .

---

87) حقوك : ذيلك .
88) انظر الحاشية رقم (83) ص 16
89) انظر الفاسى ، مطالع المسرات ص 341 .
90) المرجع السابق ص 380 ــ والتاري 474/1 .
91) اي ينيره من اورى الزند : أخرج ناره .
92) جاء فى دعاء على ، وكان يعلمه أصحابه : (... اجعل شرائف صلواتك، ونوامى بركاتك ...) اورده عياض فى الشفا . انظر التاري 125/2

ونواهيه فى النهار الواضح والليل البهيم (93) ، وارزقنى من
ذلك ما يبوئنى جنة النعيم ، ويشعرنى رحماك وفضلك العميم،
ويقربنى اليك زلفى فى ظل عرشك الكريم ، ويحلنى دار المقامة
من فضلك (94) ، ويزحزحنى عن نار الجحيم (95) ، ويقضى
5 لى بشفاعته يوم العرض ، ويوردنى مع زمرته على
الحوض (96) ، ويؤمننى يوم الفزع الاكبر ، يوم تبدل الارض
غير الارض (97) وارفعنى معه فى الرفيق الاعلى ، واجمعنى
معه فى الفردوس (98) وجنة المأوى ، واقسم لى أوفر حظ من
كماله الاوفى ، وعيشه المهنى الاصفى ، واجعلنى ممن شفى
10 غليله بزيارة قبره وتشفى ، وأناخ ركابه بعرصات حرمك
وحرمه قبل أن يتوفى ، ثم السلام الاحفل الاكمل مرددا ، عدد
القطر والحصى كثرة وعددا ، عليك يا نبى الهدى ، المنقذ من
الردى ، وعلى ضريحك المقدس سرمدا ، ويصعد الى عليين مع

---

2) ويشعرنى : ص ل ، ويسعدنى : ك .
4-5) ويقضى له : ص ل ، ويقضى به : ك — ولعل الصواب ما اثبتناه.
8) فى الفردوس وجنة الماوى : ص ل ، فى جنة الفرودس وجنة الماوى ك .
9) من شفى ص ك ل ، ممن شفى ، استظهار . معه روحك : ك ، فى روحك : مع روحك : ل
12) عليك منى يا نبى : ك ل ، — كلمة (منى) ساقطة من ص .

---

93) الليل البهيم : الاسود .
94) اقتباس من قوله تعالى : « الذي احلنا دار المقامة من فضله » سورة فاطر .
95) اشارة الى قوله تعالى : «فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز» سورة آل عمران .
96) انظر ابن حجر فتح الباري ، شرح البخاري 265/14 .
97) اقتباس من قوله تعالى : « يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات» سورة الحجر .
98 انظر فتح الباري 213/14 .

روحك صعدا ، ويمده رضوان الله ورحماه مددا ، ما تطـارد
الجديدان وتطاول المدى ، ورحمة الله وبركاته أبدا ، تحيـة
أدخرها عهدا عندك وموعدا، واجدها ــ ان شاء الله تعالى ــ لعقبات
الصراط معتمدا ، وفى عرصات الفردوس معهدا ، واخص باثرها
الخليفتين (99) ضجيعيك فى تربك ، واخص الناس فى محيـاك 5
ومماتك بقربك ، وكافة المهاجرين والانصار وعامة صحبـك ،
الذين عزروك ونصروك ، وآووك ووقروك (100) ، وكـان
بعضهم لبعض ظهيرا (101) ، والطيبين ذريتك ، والطاهـرات
أمهات المومنين وأهل بيتك ، الذين أذهب الله عنهم الرجـس
وطهرهم تطهيرا (102) . 10

أقول : هذا مقام طالما طمحت اليه همم الرجال ، وتسابقت
جياد أفكارهم فى مضماره بالروية والارتجال، وسارت أرواحهم
مع الرفاق ، ــ وان أقامت الاشباح ، وطارت قلوبهم بالاشواق،
ولم لا وهو سوق تعظم فيه الارباح !

فممن حاز فى ذلك قصب السباق ، وانتشى من حمياه ، 15
وأغنى عمره فى اصطباح واغتباق ، ــ ذو الوزارتين ابن أبـى
الخصال (103) ، عليه من الله رحمة دائمة الاتصال، فانه كتب

---

15) وممن : ص ك ، فممن : ل

---

99) يعنى ابا بكر وعمر .

100) ايماء الى قوله تعالى : « لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه » سورة الفتـح .

101) اقتباس من قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » سـورة الاسـراء .

102) اقتباس من قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

103) هو ابو عبد الله محمد بن مسعود بن ابى الخصال (ت. 540) انظر ترجمته فى قلائد العقيان ص 174 ــ 182 ، والمغـرب 66/2 . والمعجب ص 137 نشر العريان ، والاعلام 5/3.

الى المقام النبوي والحجرة الشريفة ، ـ لا حرمنا الله من تفيؤ ظلالها الوريفة ، ـ بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله ، الى الرؤوف (104) الرحيم ، الرسول الكريـــم ، ذي الخلق العظيم ، والحسب الصميم ، والصفح الجميل ، والمن المربى على التأميل ، صريح الصريح، ورقوء دم الذبيح(105) المخصوص بالمقام المحمود ، والحوض المورود ، خطيـــب الانبياء وامامهم فى اليوم المشهود (106) ، المكين الامين ، الذي ليس على الغيب بضنين (107) ، النازل عن خير الظهور الى خير البطون ، والمتردد من الأب الاقصى الى الأب الادنى بين كل مصونة ومصون ، الذي تسلمه الآتى عن الماضى أمانة حملها من كل سلف خياره ، ونورا عرضت فى جباه الســؤدد سيماه وآثاره ، الى أن أذن الله سبحانه ، فظهرت أســـراره

1) حرمنا : ص ل ، احرمنا : ك .
2) الى الرؤوف : ك ل ـ كلمة « الى » ساقطة من ص .
6) ورقو : ص ك ، ورقوء : ل .
7) وخطيب : ص ك ل ، خطيب : التعريف .
9) بضنين : ص ل ، بظنين : ك .
12) حماها : ص ك ، حملها : ل.

104) اورد هذه الرسالة الفتح بن خاقان ، فى كتابه الذي عرف فيه بابن السيد البطليوسى ، ويوجد مخطوطا بالاسكوريال تحت رقم 488 ـ انظر مصورة معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان
105) الرقوء : الدواء الذي يوضع على الدم ليرقئه فيسكن ، ولعله أراد انه بفضله عليه السلام كان فداء والده عبد الله . انظر قصة الفداء فى كتب السيـــرة .
106) جاء فى الحديث انا أول الناس خروجا اذا بعثوا ، وانا خطيبهـــم اذا وفدوا . انظر القاري 439/1 والزرقانى 140/1 .
107) اقتباس من قوله تعالى : « وما هو على الغيب بضنين » ســـورة المطففين .

الكامنة ، وأدته اليه ـ صلوات الله عليه ـ الطاهرة آمنة (108) ،
الذي جعلت له الارض مسجدا وطهورا (109) ، وأحلت لـه
الغنائم (110) وكانت حجرا محجـورا ، ونصر بالرعـب
شهورا (111)، وأوتى جوامع الكلم (112) فانتظمت لغلته
5 سطورا ، وبعث الى الاحمر والاسود (113) فضلا كان لـه
مذخورا ، ونسخت بملته الملل (114) اما مومنا واما كفورا،
وأنزل عليه القرآن هدى ونورا (115) فاحيا نفوسا وشفى
صدورا ، الذي وجبت نبوءته وستر الغيب عليه منسدل ، وآدم
ـ صلوات الله عليه ـ فى طينته منجدل ، (116) لبنة التمام ، التى
10 انعقد بها التاسيس ، ويتيمة النظام ، التى لها ادخر الوضع

---

1) وادته : ص ك ل وادتها : التعريف .
5) سطورا : ك ل ، مسطورا : ص .
6) مذخورا : ك ل ، مدخورا : ص . كفورا : ص ل ، كافورا : ك
8) نبوته : ص ك ، نبوءته : ل
9) طينه : ك ل ، طينة : ص ، طينته : التعريف .
10) لها ادخر : ص ك ل ، ادخر لها : التعريف .

---

108) والدة الرسول عليه السلام .
109) اشارة الى حديث « وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا » انظر العزيزي ، على الجامع الصغير 227/1 .
110) جاء فى الحديث « واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى » المرجع السابـق .
111) الذي فى الحديث « ونصرت بالرعب مسيرة شهر » ، وفى روايـة مسيرة شهرين » ولعله لا مفهوم للعدد .
112) فى الحديث « نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم » انظر المرجع السابـق .
113) انظر الحاشية رقم (66) ص 14.
114) فى الحديث « وختم بى النبيون » انظر التاري 366/1 .
115) اشارة الى قوله تعالى : « وانزلنا اليكم نورا مبينا » سورة النساء.
116) فى الحديث « ... انا عبد الله وخاتم النبيين ، وان آدم لمنجـدل فى طينته » وطينته : خلقته المركبة من الماء والتراب . انظـر التاري 371/1 .

النفيس ، امام وفد الرحمان (117)، وفرط وراد الايمان (118) الذي نكلت (119) عن بسالته الضراء (120) ، وسلمت له فى الخفر العذراء، (121)واعترفتلواقح الرياحليمينه(122)، واغترفت لوائح الصباح من نور جبينه ، الآخذ بالحجـــرات (123) ، الوارد بالمعجزات ، الذي سلم عليه الحجر ، والتم اليه الشجر ، وانشق لبرهانه القمر ، وحن الى حضرته الجذع المنقعر (124)، وأنباه بسورته السم المستعر (125) ، ونبع من بين أناملــه الماء (126) ، وأجابت بدعوته ثم انجابت السماء أبو القاســم خيرة الخير ، وسيد البشر ، المصطفى من أكرم العتر ، جاشــم 5

---

2) الضراء : ص ل ، الغبراء : ك .
5) والتم : ص ك ل ، والتام : التعريف . الجذع المنقعر : ك ل ، الجدع
6) المنعقر : ص .
7) بين أنامله : ص ك ، كلمة « بين » ساقطة من ل ت .
9) العتر : ك ل ، العشر : ص . جاشم : ك ل ، حاشمة : ص .

---

117) فى الحديث « انا اول الناس اذا بعثوا ، وانا قائدهم اذا وفــدوا » المرجع السابق .
118) فى الحديث « ... وانى فرط لكم على الحوض » المرجع السابـــق
119) نكلت : نكصـــت .
120) انظر شجاعته صلى الله عليه وسلم فى الشفاء ، شرح القـــاري 253/1 — 261 .
121) فى الحديث « وكان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العــذراء فى خدرها » انظر جسوس ، شرح الشمائل 152/2 والقاري 161/1.
122) جاء فى الحديث « ... فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة » انظر البخاري ، الجامع الصحيــح 2/1 ،
123) جاء حديث الحوض — والناس يذادون عنه ، وانا آخذ بحجزكم » انظر مشارق الانوار للقاضى عياض ، مادة « حجز » .
124) انظر حواشى ارقام — 75 — 76 — 77 — ص 15 .
125) انظر القاري 642/1 .
126) انظر الحاشية رقـم — 73 — ص 15 .

المجاشم ، وذؤابة بنى هاشم ، هامة العرب ، ومنتهى فخر الابعد والاقرب ، الحاشر العاقب (127) ، ذو المجد الثاقب ، وزهر المآثر والمناقب ، الذي فاز المحسنون بطاعته ، واستنقذ المذنبون بشفاعته . صلى الله عليه وسلم حساب ما لديه ، وكفاء ما يدنى منه ويقرب اليه ، من عتيقه ، المعلن بتصديقه ، 5
الداعى فى قربه ، المستشفى بريح تربه ، المستشفع به الى ربه ، المومن بما آمن به من رسله وكتبه . فلان . كتبته يا واضع الاصر والاغلال ، ورافع رايات الهدى على الضلال ، ومبدلنا بالظل من الحرور ، ومخرجنا من الظلمات الى النور (128) ، ومروينا من الرحيق المختوم (129) ، والحوض الذي آنيته 10
بعدد النجوم (130) ، ومحظينا بالنظر الى الحى القيوم (131) عن دمع يسفح ، ونفس يلفح ، وصدر بأشواقه ملآن يطفح ، وعرف عليك من الصلاة والسلام ينفح . وأسف اليك يتلهب ، وزفرة بأحناء الضلوع تجيء وتذهب ، وحشاشة بعوائق البعد

1) وذؤابة هاشم : ص ك ل ، وذؤابة بنى هاشم : التعريف .
4) عليه : ص ك ل ، وسلم : التعريف . حساب ما لديه : ص ك ل ، حسب كرامته لديه : التعريف .
7) فلان كتبته : ص ك ، كتبت : ل . كلمة « فلان » ساقطة من التعريف .
8) ءايات : ص ك ل ، رايات : التعريف .
12) دفع : ص ك ، دمع : ل التعريف . ءانيته : ل ، آنيته : ص ك ت. يفسح : ك ، يسفع : ص ، يسنح : ل ت ، يلفح : ص ك ل ، تلفح: التعريف ملآن : ك ل ، مليان : ص .
13) يلتهب : ص ل ، يتلهف : ك .

127) من اسمائه صلى الله عليه وسلم الحاشر العاقب ، انظر القاري 1/485 — 486 .
128) اشارة الى قوله تعالى « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » . سورة ابراهيم .
129) اقتباس من قوله تعالى « يسقون من رحيق مختوم » سورة الانفطار.
130) انظر ابن حجر ، فتح الباري 14/ 269 .
131) المرجع السابق ص 242 .

عنك تنهب ، وكيف لا أقضى حزنا ، ولا أرسل دموع الوجـد
والتلهف مزنا ، أم كيف ألذ حياة ، وأؤمل نجاة ، ولم أعبر الى
زيارتك لجة ولا موماة (132) ، ولا أخطرت فى قصدك نفسا
أنت منقذها ومنجيها ، ولا مثلث بمعاهدك المشهرة ، ومشاهدك
5 المطهرة أحييها ، ولا نزلت عنا لكور كرامة للبقعة المقدسة
التى ثوبت فيها . فوا أسفا ، الا أخب الى ثراك مقبلا ، ولا أكب
على مثواك مستقبلا ، وألا أصافح من تلك العرصات ، مدارس
الآيات (133) ، ومهبط الوحى والمناجات ، حيث قضى فرض
الصوم والصلوات ، وحيث انتشر التنزيل ، وسفر بالوحى
10 جبريل ، وبرزت خبيئة الدهر ، وأوثرت بليلة خير من ألف
شهر (134) . أسفا لا يمحو رسمه ، ولا يعفو ندبه ووسمه ،
الا الوقوف بحرم الله وحرمك ، والتوسل هناك الى كرمه
بكرمك . اللهم كما جعلتنى من أمته ، واستعملتنى بسنته
وشوقتنى الى آثاره ، وشغلت قلبى بتذكره وتذكاره وأريتنى
15 تلك المعالم المنيفة خيالا ، وخططت منها فى الضمير مثالا ،
وأريتنيها ملء السمع والفؤاد جمالا ، فاشف بمرآها بصرا

---

2) والتلهف : ك ل والتهلب : ص .
4) بالمعاهد .. والمشاهد : ص ك ، بمعاهدك .. ومشاهدك : ت ل
5) احبيها : ص ك ، احييها : ل
6) اكب : ص ل ت ، اركب : ك . من تلك : ل ت ، فى تلك : ص ك
9) وحيث انتشر : ت ، حيث انتشر : ص ك ل .
10) بليلة خير : ل ت ، ليلة القدر خير : ص ك .
13) بكرمك : ص ل ت ، وكرمك : ك .
14) بكرمك : ص ل ت ، بذكره : ص ك .
16) فاشف : ت ، فاكشف : ص ك ل .

---

132) الموماة : المفازة التى لا ماء فيها ، يريد انه لم يخاطر بنفسه .
133) كانه ينظر الى قول دعبل .
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات
134) انظر تفسير ابن كثير 531/4 .

ضريرا ، وبسناها يرتد بصيرا . واجعل لى فيها معرسا ومقيلا، وضع عنى من شوقها اصرا ثقيلا . اللهم أعدنى بالقرب على بعده ، واجعلنى من المقتفين لهداه من بعده . واغمرنى بين قبره ومنبره ، ومبداه ومحضره ، ومصلاه ومنحره . وأنخ هــــذه الشيبة ، بباب بنى شيبة . واغسلها هناك من ذنوبها وخطاياها، وعج (135) الى خاتم أنبيائك صدور مطاياها ، وهب لى عزمة من أطاع ، وبسطة من استطاع . وادفع عنى الضرر والضرورة ولا تمتنى حلس (136) البيت صرورة (137) ، لو أوتيــــت يا رسول الله سولى ، لسبقت اليك كتابى ورسولى لكن قــل الوفر ، واستقل السفر (138) ، وغادرونى حرضا (139) ، ولسهام الوجد والأسى غرضا . أتبعتهم نفسا لا يؤوب ، وقلبا يستخفه القلق والوثوب ، فانتشبث بهم تشبث الاسير بالطليق، والحظهم لحظ السقيم للمفيق . فلم أملك يا رسول اللــه ، الا رقعة تشكو بث التبريح ، وتحية خفيفة المحمل طيبة الريح ، تتأرج

1) وبسناها : ص ك ل ، واكحله بسناها : ت .
2) اللهم اعدنى : ص ك ل ، فى التعريف زيادة : اللهم يسرنى الــى قصـــده .
3) لهداه : ل ، بهداه : ص ك ت، واغمرنى : ص ك ل ، واحشرنى: ت
4) ومنحره وانخ : ص ك ل ، وفى التعريف زيادة : اللهم لا تحرمى صيب طيبــة .
5) وخطاياها وعج : ص ك ل ، وفى التعريــف : ووفر من ثوابــه الجزيــل حظوظها وعطاياها .
9) لسبقت اليك : ل ت ، كلمة « اليك » ساقطة من ص ك .
12) اليهم : ص ك ل ، فيهم : ت . ولعل الصواب ما اثبتناه .
13) للمفيق : ل ، للمطيق : ص ك .

135) عاج الشىء : اماله وعطفه .
136) فلان حلس بيته : ملازمه لا يبرحه ، وهو ذم .
137) الصرورة : الذي لم يحج حياته مع الاستطاعة .
138) السفر : المسافرون .
139) حرضا : مشفيا على الهلاك .

ــ يا رسول الله ــ بأرجائك، وتتضرج (140)، الى قبولك ورجائك.
فأتوسل بك ــ يا رسول الله ــ الى مصطفيك بالرسالة
والوسيلة ، ومختصك بالدرجة الرفيعة والفضيلة (141) .
ومؤتمنك على اقامة حقه ، ومبتعثك
5 بالنور والهدى الى جميع خلقه ، ليسعدنى بجوارك ، ويكرمنى
بحلول دار هجرتك وأنصارك . وأفرغ بعد حقوقه لحق من
حقوقك ، وألم بصديقك وفاروقك ، وأعرج على الصهرين، أبى
عمرو ذي النورين ، وأبى السبطين : الحسن والحسين ، وأندب
المقتول (142) ، وأعزي البتول (143) ، وأقف بحواريك
10 المودود (144) ، وباسد الاسود (145) ، وبابن عبيد الله ذي
الجود (146) ، وبالامين حق الامين (147) ، وبتربيع دهره فى

5) بجوارك ويكرمنى : ص ك ل ، وفى التعريف زيادة : ويجعلنى من زوارك .
6) لحق حقوقك : ص ك ل ، لحق من حقوقك : ت .
11) ويتر معين : ص ، ويقى معنى : ك ، وبتربيعى : ل ت . دهره : ت ، زهرة : ص ك ل . فى التقى والجود : ت ، ولعل الصواب ما اثبتناه

140) تارج الزهر : فاحت منه رائحة طيبة ، تضرج : تفتح .
141) انظر الحاشية رقم ــ (65) ــ ص 14 .
142) يعنى به الحسين شهيد كربلاء .
143) فاطمة بنت الرسول عليه السلام ، (سميت بالبتول قيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله) .
144) اراد به الزبير بن العوام القرشى الاسدي ، حواري رسول الله وابن عمته صفية ، واحد العشرة المشهود لهم بالجنة (ت. 36 هـ) وقد جاء فى الحديث : « ان لكل نبى حواريا وحواريى الزبير » .
145) يعنى به حمزة بن عبد المطلب ، عم النبى صلى الله عليه وسلم واخاه من الرضاعة ، اسد الله ورسوله ، استشهد باحد سنة (3 هـ) .
146) هو طلحة بن عبيد الله التيمى القرشى ، من الاجواد يقال له طلحة الخير ، وطلحة الفيض ، لقبه بذلك الرسول عليه السلام، وهو احد العشرة المشهود لهمبالجنة (ت. 36 هـ) .
147) هو ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، القرشى ، الامير القائد احد العشرة المبشرين بالجنة لقب بالامين ، وقد جاء فى الحديث : « لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة » (ت. 18 هـ) .

التقى والدين (148) ، وبسعيد ذي الفضل المبين (149) ، وأقضى حق الامهات ، والازواج الطاهرات ، وسائر أهل الكرامات، وأنقرى منازل السعداء، ومشهد سيد الشهداء(150) وأدعو ربك ، فى جبل أحببته وأحبك (151) ، وأحط بوارث الرأي والراية ، وصاحب السقيا والسقاية (152) ، وحائز العقبى والغاية ، وأعتمد عصمة الهلاك ، وابا أبى الاملاك (153) . حبر العلم والتاويل ، وفاتح أغلاق التنزيل ، وبحر الندى الجزيل ، طالعتك يا رسول الله ــ بنيتى ، وانزلت بك أمنيتى . وغير عزيز على من شفعك يوم القيامة ، وأقطعك دار المقامة . وأعطاك لواء الحمد والكرامة ، أن يجمع لى بك بين الشفاعتين، ويوتينى فى الدنيا بلقياك ، وفى الآخرة بسقياك ، ــ الحسنيين ، اللهم بلغ عنى الامين ، والرسول القوي المكين ، ما أظهره من محبته وأبطنه ، وأسره وأعلنه ، اللهم أشهد بصلاتى عليه وسلامى ، ومحبتى فيه والمامى . وصل اللهم عليه وعلى

---

3) السعداء : ك ل ، سعد : ص . مشهد : ص ل ، شهيد : ك .

10) لى بك : م ، لك به : ص ، له بك : ك

---

148) لعله يعنى به ابا اسحاق سعد بن ابى وقاص ، القرشى ، احد العشرة المشهود لهم بالجنة ، كان تقيا صالحا مجاب الدعوة (ت. 55 هـ) .

149) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشى ، احد العشرة المبشرين بالجنة (ت. 50 هـ) .

150) يعنى به مشهد حمزة ، وقد لقبه الرسول بسيد الشهداء .

151) هو احد ، وجاء فى الحديث : « هذا جبل يحبنا ونحبه » انظر صحيح البخاري 18/3 .

152) يعنى به العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم كانت له السقاية وعمارة المسجد الحرام (ت. 32 هـ)

153) هو عبد الله بن عباس ، ترجمان القرآن وحبر هذه الامة دعا له الرسول بالفقه والحكمة (ت. 68 هـ) .

أصحابه أعلام الاسلام ، ومصابيح الظلام ، وعلى أهل قرباه.
ومن نصره وآواه . وعلى أزواجه الصالحات ، العابدات
السائحات ، صلاة تبارى وتفاوح ثناءهم ، وتغادي وتراوح
غناءهم ، يتضوع شذاها بقبورهم . ويسطع نشرها الى يوم
5 نشورهم ، مشفوعا عبقها بالدوام والتمام ، الى دار السلام .
ثم سلام الله عدد خلقه . ورضى نفسه ، على نبى رحمته .
المغفور له ما تقدم وتاخر من ذنبه . ورحمة الله وبركاته .
وأنهاره وجنانه ، وروحه وريحانه . ومغفرته ورضوانه ، وسلم
تسليما كثيرا .

10 انتهى ما كتبه ذو الوزارتين ابن أبى الخصال عن نفسه
للمحل الشريف النبوي .

ولنذكر رسالة كتبها — رحمه الله — عن رجل من أهل قرطبة،
يقال له عبد الله بن عبد الحق الصيرفى . وكان عليل الجسم، ولما
وصلت رسالته القبر الشريف ، برىء من زمانته (154)
15 ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد .

الى البشير النذير ، والسراج المنير (155) ، المخصوص
بالتعزير والتوقير ، والبيت المقدس بالتطهير . خاتم النبئين .

---

1) الظلام : ص ك ت ، الاظلام : ل ، وعلى اهل قرباه : ت ك ل ، كلمة (اهل) ساقطة فى ص .

6) عدد خلقه ورضى نفسه على نبى رحمته المغفور له : ص ك ل ، وفى التعريف اسقاط : ورضى نفسه . وزيادة : « وولى نعمته المكين عند ربه » .

8) وسلم تسليما كثيرا : ص ك ل ، وصلى الله عليه وسلم : ت .

12) أهل قرطبة : ك ل ، — كلمة « اهل » ساقطة فى ص .

17) المخصوص : ك ل ، المحفوظ : ص ، التعزيز : صك ، التعزير : ل

---

154) الزمانة : تعطيل قوي بعض الاعضاء ، وهو هنا الرجل ، كما ياتى :

155) انظر الحاشية رقم — (35) ص 12 .

وسيد المرسلين ، والشفيع الى رب العالمين (156) ، من عتيق هداه ، وزائره بمحبته وهواه ، المستكشف ببركته لبلـــواه ، المستشفع بشفاعته فى دنياه وأخراه ، ـ فلان .

كتاب وقيذ (157)من زمانته مشفـــى
بقبر رسول الله أحمد مستشفـــى 5

له قـــدم قد قيـــد الدهـــر خطوهـــا
فلم يستطـــع الا الاشـــارة بالكـــف

ولما رأى الـــزوار يبتـــدرونـــــه
وقد عاقـــه عن قصده عائق الضعـــف

بكى أسفا واستودع الركب اذ غدوا 10
تحية صدق تفعم الركـــب بالعـــرف

فيا خاتم الرسل الشفيـــع لربـــه
دعاء مهيض خاشع القلـــب والطـــرف

عتيقـــك عبـــد اللـــه ناداك ضارعـــا
وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطـــف 15

رجاك لضر أعجز النـــاس كشفـــه
ليصدر داعيه بما شاء من كشـــف

لرجل رمى فيها(158)الزمان فقصرت
خطاها عن الصف المقـــدم والزحـــف

2) المستكشف : ك ل المتكشف : ص .
18) رمى فيها : ص ل ، رمى بها : ك .

156) انظر الحاشية رقم — (34) ص 11.
157) الوقيذ : الشديد المرض .
158) يقال رمى الله فى يده رميا ، اذا دعى عليه .

وانى لارجـو أن نعـود سويـة
برحمة من يحيى العظام ومن يشفـى

وأنت الذي نرجوه حيـا وميتـا
لصرف خطوب لا تريع(159)الى صرف

5 عليـك سلام اللـه عـدة خلقـه
وما يرتضيه من مزيد ومـن ضعـف

ومن سلك هذا الوادي ، وأرسل ـ اذ غلبه الشـوق ـ دموعه الغوادي ، ذو البيان الذي قل له الموازي ، الشيخ أبو زيد الفازازي (160) ، فانه كتب الى الحجرة الطيبة ، علـى
10 ساكنها أفضل السلام والصلوات الواكفة الصيبة ، بما نصه :

يا سيد الرسل المكين مكانـه ومقدما وهو الاخيـر زمانـه

والمصطفى المختار من هذا الورى فمحله عالى المحـل وشانـه

ومن النبوءة والطهارة والهـدى شرف حواه فـؤاده ولسانـه

عنوان طرس الانبياء وختمهم والطرس يكمل حسنه عنوانـه

15 فالدهر خلق أحمد اصباحـه والخلق جفـن أحمـد انسانه

نا داك عبد أخرتـه ذنوبـه والشوق تلفـح قلبـه نيرانـه

---

8) الموازي : ك ل ، المواتى : ص . الفازازي : ل ، الفازانى : ص ك
10) افضل السلام والصلوات : ص ل ، افضل الصلاة : ك . الطيبة : ص ك ل ، الصيبة : استظهار .
11) يا سيد الرسل ... : كتبت هذه الابيات نثرا فى ص .

---

159) لا تريع : لا تنقاد .
160) هو أبو زيد عبد الرحمان بن يخلفتن الفازازي (ت. 627) ترجمه فى التكملة 585/2 ، والرعينى فى معجم شيوخه ص 101 . انظر الابتهاج ص 163 ، والمقتضب من تحفة التادم ص 133 .

وفدت عليك ركاب أرباب التقى | والمذنب الخطاء كف عنانه
لما تخلف للتخلف مذنبا | فى المذنبين وغره امكانه
كتب الكتاب لعله اذ لم يزر | باللحظ قبرك أن تزور بنانه
ووراء اضلاعى فؤاد قيده | ألف الذنوب وسجنه اشجانه
5 لكن حبك شافع ومشفع | يغشى محبك يمنه وامانه
وعليك يا خير الانام تحية | كالروض صافح روحه ريحانه
ممن يزورك خطه وكلامه | ان لم يزرك لذنبه جثمانه

ومن بلغ فى هذا غاية الآماد الكاتب ابن الغماد (161).
فانه قال يتشوق الى ذلك الجناب المنيع ، ويترجى التيسير
10 وحسن الصنيع :

---

3) اذ ك ل . ان ص .
4) غيره : ص ك ، قيده : ل .
5) لكن حبك شافع : ك ل ، كلمة « حبك » ساقطة من ص .
8) ابن الغماد : ص ل ، ابن العماد : ك .

---

(161) هناك ابو الحسن على بن محمد بن احمد الجذامى المعروف بابن الغماد مالقى سكن سبتة ، كان مقرئا ماهرا (ت. 530) ترجمه فى الذيل والتكملة 81/4 — 282 . انظر صلة الصلة ص 89 .
وهناك ابو عبد الله محمد بن على الوجدي الملقب بالغماد لقيه المقري بفاس ، كان كاتبا اديبا وشاعرا مقتدرا ، وهذه الابيات التى اوردها المقري هنا هى أقرب ما تكون الى روحه اذا قارناها بالابيات التى يتشوق فيها الى فاس بعد ما فارقها مضطرا والتى يقول فيها :

بعاد وبين كل ذاك يهون | فهل عودة بعد النوى وسكون
وهل أطان جسر الرصيف وهل انا | بمخيفة بعد الظعان قطون

توفى سنة (1043) انظر روضة الآس ص 71 — 76 ولا نستطيع أن نجزم باي واحد منهما لان التسلسل التاريخى الذى يلتزمه المقري يبعدهما : على أن هذا الاخير معروف بالغماد ، والنسخ هنا متواطئة على ذكره بلقب ابن الغماد .

شوقى الى خير الخلق متصل   ياليت شعري هل أدنو وهل أصل
وهل أزور ثراه وهو خير ثرى   استنشق المسك منه ثم اكتحل
وهل أرى روضة حل الكمال بها   من كل أرض اليها تجهد الابل

ومنهـــــــا :

5 في كل عام أرجـــى زورة معكـم
فتنهضون وشانـى دونكـم ثقـــل
لو خف ظهري لكان الجسم مرتحــلا
لكن قلبـى أمام الركـب مرتحــل
يحـدو به وجـده والشوق سائقـه
10 وكيف يدنو كـلال منـه أو ملـــل
واحسرتا فاز غيري بالوصال الــى
أرض الحبيب ودونى سدت السبــل
متى ينادي بـى الحادي يبشرنــى
بشراك ــ يا مغربى ــ انزل فقد نزلوا
15 انزل بطيبة طاب العيش قد ظفـرت
بـه يداك فلا خـوف ولا وجـــل
عبد له انـا ان نـادى وبشرنـــى
وأنــت حـر اذا بلغت يـا جمـــل

---

1) شوقى ...كتب هذا البيت نثرا فى ص ، ثراه : ك ل . كلمة « ثراه » ساقطة من ص .

4) ومنها : ص ل ، كلمة « ومنها » ساقطة من ك . فى : ص ل ، وفى : ك . ارجى : ص ل ، ارجو : ك .

7) وبشرنى . وانت حر : ك ل . وبشرنى .. فابى سقط الشطر الثانى من البيت فى ص .

8) امام : ك ل ، لكم : ص .

قلبــي بحب رســول اللــه مشتغــل
يا ويــح قلــب لــه عن حبــه شغل

انتهى كلام ابن العماد رحمه الله تعالى.

وممن اتى في هذا الباب بما أربى عرفه على كل طيب ، ذو الوزارتين لسان الدين ابو عبد الله ابن الخطيب، ـ صب الله على ضريحه شآبيب الرضوان والمغفرة ، فقد كتب للروضة النبوية رسالتين عن السلطانين ابى الحجاج يوسف (162) ، وابنه الغنى بالله أبى عبد الله محمد (163) بن السلطان ابن نصر ، كل واحدة منهما متبلجة الصباح مسفرة (164) نص الاولى :

اذا فاتنى ظل الحمــــى ونعيمـــــه
فحسب فؤادي أن يهب نسيمـــــــه

ويقنعنـــى أنـــى بـــه متكنـــف
فزمزمه دمعى وجسمى حطيمه (165)

يعود فؤادي ذكر من سكن الغضــا
فيقعـــده فـــوق الغضـــا ويقيمـــه

(3 الله تعالى : ك ل كلمة « تعالى » ساقطة من ص .
(5 عليه : ل على ضريحه شآبيب : ك ،كلمة « ضريحه » ساقطة من ص .
(7 عن السلطانين : ل ، نص الاول منها : ك .
(9 نص الاولى : ص ل ، نص الاول منها : ك.
(12 متكنف : نفح ، متكيف : ص ك ل .
(15 فوق الغضا : ص ك ، الغضا : ل نفح .

(162 سابع ملوك بنى الاحمر (ت. 755) انظر اللمحة البدية 89 .
(163 ثامن ملوك بنى الاحمر (ت 793) انظر الاحاطة 2/ — 59 — واللمحة البدية ص 100 .
(164 اورد المقري في النفح هذه الرسالة 58/9 .
(165 الحطيم ، ما بين الركن والمقام .

ولم ار شيئا كالنسيم اذا سرى
شفى سقم القلب المشوق سقيمه

نعلل بالتذكار نفسا مشوقة
ندير عليها كاسه ونديمه

5 وما شفنى بالغور قد مرنح (166)
ولا شاقنى من وحش وجرة ريمه

ولا سهرت عينى لبرق ثنية
من الثغر يبدو موهنا فاشيمه (167)

برانى شوق للنبى محمد
10 يسوم فؤادي برحه (168) ما يسومه

الا يا رسول اله ناداك ضارع
على الناي محفوظ الوداد سليمه

مشوق اذا ما الليل مد رواقه
تهم به تحت الظلام همومه

15 اذا ما حديث عنك جاءت به الصبا
شجاه من الشوق الحثيث قديمه

أيجهر بالنجوى وأنت سميعها
ويشرح ما يخفى وأنت عليمه

---

6) شاقنى : ك ل ، عقنى : ص .
10) يسومه : ك ل ت ، يسميه : ص .

---

166) ترنح : تمايل .
167) شام البرق : نظر اليه .
168) البرح : الشدة .

وتعـــوزه السقيـــا وأنـــت غياثـــه
ونتلغـــه الشكوى وانـــت رحيمـــه

بنورك نور الله قد أشرق الهـــدى
فاغمـــاره وضاحـــه ونجـــومـــه

5 لك انهل فضل الله فى الارض ساكبا
فـــانـــواؤه ملتفـــه وغيـــومـــه

ومن فوق أطباق السماء بك اغتـــدى
خليل الذي أوطاكها وكليمـــه (169)

لك الخلق الارضى الذي جل ذكـــره
ومجد فى الذكر العظيم عظيمـــه (170)

10 يجل مدى علياك عن مدح مـــادح
فموســـر در القـــول فيـــك عديمـــه

ولى — يا رسول الله — فيك وراثة (171)
ومجدك لا ينسى الذمام (172) كريمه

---

2) البلوى : ص ك ، الشكوى : ل نفح .
5) فى الارض : ص ك ل ، بالارض : نفح . فانواره : ص ك ، فانواره : نـــفـــح ل .
10) ومجد : ص ك ل . ومجدك : نفح .
12) در القول : ك ل نفح ، ذا القول : ص .
13) ولى يا رسول الله فيك : ك ل ، نفح ولى فيك يا رسول الله : ص.

---

169) الخليل : ابراهيم عليه السلام ، ويلقب بخليل الرحمن ، قال تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » . والكليم : موسى عليه السلام ، قال تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » .
170) اشارة الى قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » سورة القلم .
171) يعنى بذلك توارث حبه عليه السلام ، انظر ص 39 .
172) الذمام : الحق والحرمة .

وعندي الى أنصار دينك نسبة (173)
هى الفخر لا يخشى انتقالا مقيمه

وكان بودي أن أزور مبوأ
بك افتخرت أطلاله ورسومه

5 وقد يجهد الانسان طرف اعتزامه
ويعوزه من بعد ذاك مرومه

وعذري فى تسويف عزمي ظاهر
اذا ضاق عذر العزم عمن يلومه

عدتنى باقصى الغرب عن تربك العدا
10 جلالقة الثغر الغريب ورومه (174)

أجاهد منهم فى سبيلك أمة
هى البحر يعيى أمرها من يرومه

فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى
لريع حماه واستبيح حريمه

15 فلا تقطع الحبل الذي قد وصلته
فمجدك موفور النوال عميمه

وأنت لنا الغيث الذي نستدره
وأنت لنا الظل الذي نستديمه

---

(173) يرجع نسب ملوك بنى نصر الى سعد بن عبادة ، سيد الخزرج . انظر الاحاطة 148/1 وازهار الرياض 167/1 .

(174) مفرده جليتى نسبة لجليقية Galice وهى ناحية تقع فى الشمال الغربى من شبه جزيرة الاندلس . وقد اطلق ابن الخطيب هذا الاسم على مملكة قشتالة التى كانت تحارب بنى نصر . وكان الجلالقة ضمن هذه المملكة . انظر عن جليقية : معجم البلدان ، ومعجم تاريخ اسبانيا نشر « مجلة الغرب » 1942 مدريد ، وابن خلدون 483/2 — 489 ط. دار الكتاب .

ولما نــأت داري وأعــوز مطمعــي
وأقلقنــي شــوق يشــب جحيمــه

بعثــت بهــا جهــد المقــل معــولا
على مجدك الاعلى الذي جل خيمه (175)

5 وكلت بها همي وصــدق قريحتــي
فساعدنــي هــاء الــروى وميمــه

فلا تنسنــي يا خير من وطيء الثرى
فمثلــك لا ينســى لديــه خديمــه

عليك سلام اللــه ما ذر شارق (176)
وما راق من وجه الصباح نسيمــه

10

الى رسول الحق ، الى كافة الخلق (177) وغمام الرحمة الصادق البرق ، الحائز في ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق ، خاتم الانبياء ، وامام ملائكة السماء ، ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء (178) . شفيع أرباب الذنوب ، وطبيب أدواء القلوب ، ووسيلة الخلق الى علام الغيوب : نبي الهدى الذي طهر قلبه ، وغفر ذنبه ، وختم به الرسالة ربه ، وجرى في النفــوس مجرى الانفاس حبه ، الشفيع المشفع يوم العرض ، المحمود في ملأ السماء والارض ، صاحب اللواء المنشور ، يوم النشــور ،

15

9) در : ص ك ل ، ذر : نفح . كتبت هذه الابيات في نسخة ص نثرا .
14) أرباب الذنوب : ل نفح ، كلمة « ارباب » ساقطة من ص ك .
15) الخلق : ص ك ل ، وسيلة ص ك ل ، والوسيلة : النفح .

175) الخيم : الاصــــل .
176) ما ذر شارق : ما طلع شارق من شمس وغيرها .
177) اقتبس ابن الخطيب كثيرا من الرسالتين السالفتي الذكر .
178) انظر الحاشية رقم — (116) ص 22 .

والمؤتمن على سر الكتاب المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات
الى النور ، المؤيد بكفاية الله وعصمته ، الموفور حظه من عنايته
ونعمته ، الظل الخفاق على أمته . من لو حازت الشمس بعض
كماله ما عدمت اشراقا ، أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم
5 اشفاقا . فائدة الكون ومعناه ، وسر الوجود الذي بهر الوجود
سناه ، وصفي حضرة القدس الذي لا ينام قلبه اذا نامت عيناه .
البشير الذيسبقت له البشرى، ورأى من آيات ربهالكبرى (179)
ونزل فيه « سبحان الذي أسرى » (180) ، من الانوار من عنصر
نوره مستمدة ، والآثار تخلق وآثاره مستجدة ، من طوى بساط
10 الوحي لفقده ، وسد باب الرسالة والنبوة من بعده ، وأوتى
جوامع الكلم (181) فوقفت البلغاء — حسرى — دون حده الذي
انتقل في الغرر الكريمة نوره (182)، وأضاءت لميلاده مصانع
الشام وقصوره (183)، وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره،
وأخبرت الكتب المنزلة على الانبياء بأسمائه وصفاته . وأخذ

---

8) فيه : ك ل ، به ص ، عليه : نفح . الانوار : ص ك ، من الانوار
من : ل النفح.

---

179) اقتباس من قوله تعالى : « لقد راى من ءايات ربه الكبرى » سورة النجم .

180) اشارة الى قوله تعالى : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » سورة الاسراء ، انظر الحاشية رقم — 3 — ص 14 .

181) انظر الحاشية رقم (71) ص 15 .

182) انظر القسطلاني على المواهب اللدنية .

183) روى ان امه عليه السلام رات حين وضعته نورا اضاء له قصور الشام .

عهد الايمـــان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته (184).
المفزع الامنع يوم الفزع الاكبر ، والسند المعتمد عليه فى أهوال
المحشر ، ذو المعجزات التى اثبتتها المشاهدة والحس ، واقر بها
الجن والانس : من جماد يتكلم ، وجذع لفراقه يتألم ، وقمر لـــه
5 ينشق ، وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق ، وشمس بدعائه عــن
مسيرها تحبس ، وماء من بــين اصابعه يتبجــس ، وغمـــام
باستسقائه (185) يصوب ، وطوى بصق فى أجاجها فاصبح ماؤها
وهو العذب الشروب (186) . المخصوص بمناقب الكمال وكمال
المناقب المسمى بالحاشر العاقــب (187) ، ذو المجــد البعيد
10 المرامى والمراقب ، اكرم من رغعت اليه وسيلة المعترف المغترب
ونجحت لديه قربة البعيد المقترب . سيد الرسل ، محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب ، الذي فاز بطاعته المحسنون . واستنقــذ
بشفاعته المذنبون (188) ، وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون . صلى الله عليه وسلم ما لمع برق، وهمع ودق(189)
15 وطلعت شمس ، ونسخ اليوم أمس . من عتيق شفاعته ، وعبد
طاعته ، المعتصم بسببه ، المومن بالله ثم به ، المستشفــى
بذكره كلما تألم ، المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم ، الذي ان

---

1) الايمان به على من اتصلت بمبعثه : ص ل ت ، عهد الايمان اتصلت به بمبعثه : ك .
8) الشروب : ك ل ، المشروب : ص .

---

184) اشارة الى قوله تعالى : « واذ اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه» سورة آل عمــران .
185) انظر حواشى الصفحة — ص 15 رقم (74)
186) الطوى : البير ، والاجاج : الماء الملح .
187) انظر الحاشية رقم — (127) ص 24 .
188) فاز بطاعته .. واستنقذ .. هى بتقديم وتاخير عبارة ابن أبى الخصال من الرسالة السابقة . انظر ص 24 .
189) همع : سال ، والودق : المطر .

ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله ، وان هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله ، وان سمع الاذان تذكر صوت بلاله ، وان ذكر القرءان استشعر تردد جبريل بين معاهده وخلاله . لاثم تربه ، ومؤمل قربه ، ورهين طاعته وحبه ، المتوسل به الى رضى
5 الله ربه ، يوسف بن اسماعيل بن نصر . كتبه اليك يا رسول الله والدمع ماح ، وخيل الوجد ذات جماح ، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر ، وانكسار لا يتاح له الا بدنو مزارك الجبر ، وكيف لا يعيى مشوقك الامر ، وتوطأ على كبده الجمر ، وقد مطلت الايام بالقدوم على تربتك المقدسة اللحد ، ووعدت
10 الآمال ودانت باخلاف الوعد ، وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ما اكتحلت ، والركائب اليك ما رحلت ، والعزائم قالت وما فعلت ، والنواظر فى تلك المشاهد الكريمة لم تسرح ، وطيور الآمال عن وكور العجز لم تبرح ، فيا لها من معاهد فاز من حياها ، ومشاهد ما أعطر رياها ، بلاد نيطت بها عليك
15 التمائم (190) ، وأشرقت بنورك منها النجود والتهائم ، ونزل فى حجراتها عليك الملك ، وانجلى بضياء فرقانك فيها الحلك ، مدارس الآيات (191) والسور ، ومطالع المعجزات الساغرة الغرر ، حيث قضيت الفروض وحتمت ، وافتتحت بسورة الوحى وختمت ، وابتدئت الملة الحنيفة وتممت ، ونسخت
20 الآيات وأحكمت . أما والذي بعثك بالحق هاديا ، وأطلعك للخلق نورا باديا ، لا يطفىء غلتى الا شربك ، ولا يسكن لوعتى الا قربك ، فما أسعد من أفاض من حرم الله الى حرمك ،

---

9) تربتك : ص ك ل ، تربك : النفح .
19) الوحــى : ص ك ل ، الرحمان : النفح .

---

190) اخذه من قول رقاع بن قيس الاسدي :
« بلاد بها نيطت على تمائمى » .
191) انظر الحاشية رقم — (133) — ص 25 .

وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك ، وعفر الخد في معاهدك ومعاهد أسرتك، وتردد ما بين داري بعثتك وهجرتك. واني لما عاقتني عن زيارتك العوائق ــ وان كان شغلي عنك بك ، وعدتني الاعداء فيك عن وصل سببي بسببك ، وأصبحت بين
5 بحر تتلاطم أمواجه ، وعدو تتكاثف أغواجه ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه ، في طائفة من المومنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم ، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم ، ورفعوا الى مصارختك رؤوسهم ، واستعذبوا في مرضاة الله ومرضاتك بؤسهم ، يطيرون من هيعة الى أخرى ، ويلتفتون
10 والمخاوف عن يمنى ويسرى ، ويقارعونوهم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر وكسرى ، لا يبلغون من عدو هو الذر (192) عند انتشاره ، عشر معشاره ، قد باعوا من الله الحياة الدنيا ، لان تكون كلمة الله هي العليا . فيا له من سرب مروع (193) ، وصريخ الا منك ممنوع ، ودعاء الى الله واليك
15 مرفوع ، وصبية حمر الحواصل ، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل (194) ، والصليب قد تمطى فمد ذراعيه ، ورفعت الاطماع بضبعيه ، وقد حجبت بالقتام السماء ، وتلاطمت أمواج الحديد ، والبأس الشديد ، فالتقى الماء ، ولم يبق الا الذماء (195) ، وعلى ذلك فما ضعفت البصائر ولا ساءت
20 الظنون ، وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده العيون، الى أن نلقاك غدا ــ ان شاء الله ــ وقد أبلينا العذر ، وأرغمنا الكفر ، وأعملنا في سبيل الله وسبيلك البيض والسمر.

---

2) داري بعثتك وهجرتك : ك ل ، دار بعثتك ودار هجرتك : ص .
9) ويلتفون : ص ك ، ويلتفتون : ل النفح .

---

192) الذر : صغار النمل .
193) السرب : القطيع او الجماعة ، مروع ، راعه الامر : افزعه .
194) المناصل جمع منصل : السيف .
195) الذماء : بقية الروح .

استنبت رقعتى هذه لتطير اليك من شوقى بجناح خافــق ، وتسعد من نيتى التى تصحبها برفيق موافق ، فتؤدي عن عبدك وتبلغ ، وتعفر الخد فى تربك وتمرغ ، وتطيب بريا معاهــدك الطاهرة وبيوتك ، وتقف وقوف الخضوع والخشوع تجـــاه

5 تابوتك ، وتقول بلسان التملق ، عند التشبث بأسبابك والتعلق، منكسرة الطرف ، حذرا بهرجها من عدم الصرف: يا غياث الامة وغمام الرحمة ، ارحم غربتى وانقطاعى ، وتغمد بطولك قصر باعى ، وقو على هيبتك خور طباعى ، فكم جزت من لج مهول، وجبت من حزون وسهول ، وقابل بالقبول نيابتـــى ، وعجــل

10 بالرضا اجابتى ، ومعلوم من كمال تلك الشيم وسجايا تلــــك الديم ، أن لا يخيب قصد من حط بفنائها ، ولا يظمأ وارد أكب على انائها .

اللهم يا من جعلته أول الانبياء بالمعنى وآخرهم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشورة،

15 وملكت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة المعمـــــورة (196) وجعلتنى من أمته المجبولة على حبه المفطورة ، وشوقتنى الى معاهده المبرورة ، ومشاهده المزورة ، ووكلت لسانى بالصلاة عليه ، وقلبى بالحنين اليه ، ورغبتنى بالتماس ما لديه ، فـــلا تقطع عنه أسبابى ، ولا تحرمنى فى حبه أجر ثوابى ، وتداركنى

---

1) رقعتى لتطير : ص ك ، رقعتى هذه لتطير : ل النفح .
2) عن عبدك وتبلغ : ل النفح ، جملة عن عبدك وتبلغ ساقطة من ص ك.
3) برؤيا : ص ك ، بريا : ل النفح .
8) خور طباعى : ص ك النفح ، جور : ل .
9) نيابتى : ل نفح ، ينابتى : ص ك .
10) تلك : ص ك ل ، تيك : النفح . تخيب : ص ك ، يخيب : ل النفح.
19) عنه : ص ك ل ، منه : النفح . فى حبه : ص ك ل من حبه : النفح.
أجر ثوابى : ص ك ل كلمة « اجر » ساقطة من النفح .

---

196) اشارة الى حديث : « زويت لى الارض ... »

بشفاعته يوم أخذ كتابى. هذه يا رسول الله وسيلة ن بعدت داره،
وشط مزاره، ولم يجعل بيده اختياره، فان لم تكن للقبول أهلا
فأنت للاغضاء والسماح أهل؛ وان كانت ألفاظها وعرة فجنابك
للقاصدين سهل، وان كان الحب يتوارث كما أخبرت، والعروق
5 تدس حسبما اليه أشرت، فلى بانتسابى الى سعد (197)
عميد أنصارك مزية، ووسيلة أثيرة خفية، فان لم يكن لى عمل
أرتضيه فلى نية. فلا تنسنى ومن بهذه الجزيرة المفتتحة
بسيف كلمتك، على أيدي خيار أمتك، فانما نحن بها وديعة تحت
بعض أقفالك، فنعوذ بوجه ربك من اغفالك، ونستنشق من ريح
10 عنايتك نفحة، ونرتقب من محيا قبولك لمحة، نداغع بها عدوا
طغى وبغى، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى، فمواقف التمحيص
قد أعيت من كتب وورخ، والبحر قد أصمت من استصرخ،
والطاغية فى العدوان مستبصر، والعدو محلق والولى مقصر،
وبجاهك ندفع ما لا نطيق، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق.
15 فلا تفردنا ولا تهملنا، وناد ربك فينا: ربنا ولا تحملنا، وطوائف
أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم، وربك يقول لك وقوله
الحق: «وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم»، والصلاة والسلام
عليك يا خير من طاف وسعى، وأجاب داعيا اذا دعا. وصلى
الله على جميع أحزابك وآلك، صلاة تليق بجلالك وتحق
20 لكمالك، وعلى ضجيعيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك، خليفتك
فى أمتك، وفاروقك المستخلف بعده على جلتك، وصهرك ذي
النورين المخصوص ببرك وتجلتك، وابن عمك سيفك المسلول

---

1) بعد داره: ص ك ل، بعدت: النفح.
3) والسمح: ص ك ل، والسماح: نفح.
15) تردنا: ص ك ل، تفردنا: النفح.
20) ضجيعيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك: ص ل، ضجيعك وصديقك وحبيبك ورفيقك: ك.

---

197) انظر الحاشية رقم — 4 — ص 19.

على حلتك ، بدر سمائك ووالد أهلتك . والسلام الكريم عليك وعليهم كثيرا أثيرا ، ورحمة الله وبركاته . وكتب بحضرة جزيرة الاندلس غرناطة ـ صانها الله ووقاها ، ودفع عنها ببركتك كيد عداها .

5 ونص الرسالة الثانية المكتوبة عن الغنى بالله ـ سامحه الله (198) :

دعاك باقصى المغربين غريب ... وأنت على بعد المزار قريب
مدل باسباب الرجاء وطرفه ... غضيض على حكم الحياء مريب
يكلف قرص البدر حمل تحية ... اذا ما هوى والشمس حين تغيب
10 لترجع من تلك المعالم غدوة ... وقد ذاع من رد التحية طيب
ويستودع الريح الشمال شمائلا ... من الحب لم يعلم بهن رقيب
ويطلب فى جوب الجنوب جوابها ... اذا ما أطلت والصباح جنيب
وسيتفهم الكف الخضيب ودمعه ... غراما بحناء النجيع خضيب
ويتبع آثار المطى مشيعا ... وقد زمزم الحادي وحن نجيب
15 اذا أثر الاخفاف لاحت محاربا ... يخر عليها راكعا وينيب
ويلقى ركاب الحج وهى قوافل ... طلاح(199)وقد لبى النداء لبيب
فلا قول الا أنة وتوجع ... ولا حول الا زفرة ونحيب

---

12) جيب الجنوب : ل ، جوب الجنوب : ك ، الجيوب : ص نفح .
13) ويستفهم الكف . . . البيتان ساقطان من النفح .

---

198) انظر الحاشية رقم ـ (163) ص 34 .
199) طلاح : معييات واحدها : طليح .

غليل ولكن من قبولك منهـــل عليل ولكن من رضاك طبيـــب

ألا ليت شعري والاماني ضلة وقد تخطىء الآمال ثم تصيب

أينجد نجد بعد شحط مزاره ويكثب بعد البعد منه كثيـب

وتقضى ديوني بعد ما مطل المدى وينفذ بيعى والمبيع معيـب

5 وهل اقتضى دهري فيسمح طائعا وأدعو بحظى مسمعا فيجيب

وياليت شعري هل لحومى مورد لديك وهل لى فى رضاك نصيب

ولكنك المولى الجواد وجـاره على أي حال كان ليس يخيب

وكيف يضيق الذرع يوما بقاصد وذاك الجناب المستجار رحيب

وما هاجنى الا تألـق بـارق يلوح بفود الليل منـه مشيب

10 ذكرت به ركب الحجاز وجيرة أهاب بها نحو الحبيب مهيـب

فبت وجفنى من لآلىء دمعه غنى وصبري للشجون سليب

ترنحنى الذكرى ويهفو بى الجوى كما مال غصن فى الرياض رطيب

وأحضر تعليلا لشوقى بالمنـى ويطرق وجـد غالب فأغيـب

منائى لو أعطى الأمانى زورة يبث غرام عندها ووجيـب

15 فقول حبيب(200) اذ يقول تشوقا «عسى وطن يدنو» الى حبيب

---

2) ثم تصيب : ص ل نفح ، ممن تصيب : ك .

7) كان ليس : ص ك ل ، كلمة « كان » ساقطة من النفح .

12) الجوى : ص ك ل ، الهوى : نفح .

13) غالب : ل نفح ، غائب : ص ك .

14) منائى : ص ك ل ، مرامى : نفح .

---

200) يعنى به أبا تمام اذ يقول : « عسى وطن يدنو بهم ولعلما ... » .

تعجبت من سيفى وقد جاور الغضى (201)
بقلب فلم يسكبـــه منـــه مذيـــب

وأعجب انلا يورق الرمح فى يدي ومن فوقه غيث الشؤون سكيب

فياسرح ذاك الحى لو أخلف الحيا لأغناك من صوب الدموع صبيب

5 ويا هاجر الجو الجديب تلبثـا فعهدي رطب الجانبين خصيب

ويا قـارح الزند الشحـاح ترفقـا
عليك فشوقى الخارجى شبيـب (202)

أيا خاتم الرسل المكين مكانـه حديث الغريب الدار فيك غريب

فؤاد على جمر البعاد مقلـب يماح عليه للدمـوع قليـب

10 فوالله مـا يزداد الا تلهبـا أأبصرت مـاء ثـار عنه لهيب

فليلته ليل السليم ويـومهـا اذا شد للشوق العصاب عصيب

هواي هدى فيك اهتديت بنوره ومنتسبى للصحب منك نسيب

وحسبى على أنى لصحبك منتم وللخزرجيين الكـرام نسيـب

عدت عن مغانيك المشوقة للعدى عقـارب لا يخفى لهن دبيب

15 حراص على اطفاء نور قدحته فمستلب من دونـه وسليـب

فكم من شهيد فى رضاك مجدل يظلله نسر ويندبـه ذيـب

---

2) بقلبى : ل ح ، بقلب : ص ك ، يسبكه : ص ك ل ، يسكبه . نـفـح .
5) الجديب : ص ل ، الحذيب : ك ، الجديد : نفح .
8) الغريب : ك ح ل ، غريب : ص .

---

201) الغضى : نار عظيمة .
202) لعله يوري بشبيب الخارجى وربما ورى ايضا بالخصيب قبله .

تمر الرياح الغفل فوق كلومهم	فتعبق من أنفاسها وتطيب
بنصرك عنك الشغل من غير منه	وهل يتساوى مشهد ومغيب
فان صح منك الحظ طاوعت المنى	ويبعد مرمى السهم وهو مصيب
ولولاك لم يعجم من الروم عودها	فعود الصليب الاعجمى صليب
وقد كانت الاحوال لولا مراغب	ضمنت ووعد بالظهور تريب
فما شئت من نصر عزيز وأنعم	أثاب بهن المومنين مثيب
منابر عز أذن الفتح فوقها	وأفصح للعضب الطرير خطيب
تقود الى هيجائها كل صاهل	كما ريع مكحول اللحاظ ربيب
ونجتاب من سرد اليقين مدارعا	يكفتها(203) من يجتنى ويثيب
اذا اضطرب الخطى حول غديرها	يروقك منها لجة وقضيب
فعذرا واغضاء ولا تنس صارخا	بعزك يرجو أن يجيب مجيب
وجاهك بعد الله نرجو وانه	لحظ ملىء بالوفاء رغيب
عليك صلاة الله ما طيب الغضا	عليك مطيل بالثناء مطيب
وما اهتز قد للغصون مرنح	وما افتر ثغر للبروق شنيب

الى حجة الله المؤيدة ببراهين أنواره ، وفائدة الكون ونكتة أدواره ، وصفوة فرع البشر ومنتهى أطواره . الى المجتبى وموجود الوجود لم يغن بمطلق الوجود عديمه . والمصطفى من ذرية آدم من قبل أن يكسو العظام أديمه (204) المحتوم فى القدم ، وظلمات العدم ، عند صدق القدم ، تفضيله وتقديمه. (205) الى وديعة النور المنتقل الى الجباه الكريمة والغرر ، ودرة الانبياء التى لها الفضل على الدرر ، وغمام الرحمة الهامية الدرر ، الى مختار الله المخصوص باجتبائه ،

2) بنصرك : ص ك ل ، لنصرك : نفح .
ولولاك : ك نفح ، ل ، فلولاك : ص .
8) يكفيها : ص ك ل، يكفتها : نفح .

203) يكفتها : يضمها ، كما بالآية : « الم نجعل الارض كفاتا أحياء وامــوانـــا » .
204) انظر الحاشية رقم (43) ص 12 .
205) انظر الحاشية رقم (51) ص 13 .

وحبيبه الذي له المزية على أحبائه ، من ذرية أنبياء الله آبائه،
الى الذي شرح صدره وغسله (206) ، ثم بعثه واسطة بينه
وبين العباد وارسله ، وأتم عليه انعامه الذي أجزله . وأنزل
عليه من الهدى والنور ما أنزله . الى بشرى المسيح
والذبيح (207) ، ومن له التجر الربيح ، المنصور بالرعب 5
والريح (208) ، المخصوص بالنسب الصريح . الى الذي
جعله فى المحول غماما ، وللانبياء اماما ، وشق صدره لتلقى
روح أمره غلاما ، وأعلم به فى التوراة والانجيل اعلاما (209).
وعلم المومنين صلاة عليه وسلاما . الى الشفيع الذي لا ترد
فى العصاة شفاعته ، والوجيه الذي قرنت بطاعة الله طاعته ، 10
والرؤوف الرحيم الذي خلصت الى الله فى أهل الجرائم
ضراعته ، صاحب الآيات التى لا يسع ردها ، والمعجزات التى
أربى على الالف عدها : من قمر شق ، وجذع حن له وحق ،
وبنان يتفجر بالماء ، فيقوم بري الظماء (210) وطعام يشبع
الجمع الكثير يسيره ، وغمام يظلل به مقامه ومسيره (211) ، 15
خطيب المقام المحمود اذا كان العرض ، وأول من تنشق عنه
الارض (212) ، وسيلة الله (213) التى لولاها ما أقرض
القرض ، ولا عرف النفل والفرض ، محمد بن عبد الله بن عبد

---

5) وعلمهم : ص ك ل ؛ ومن لهم : نفح ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
13) اتى : ك ، ابى : ص ، اربى : ل نفح .
17) اعرض الفرض : ص ك، اقرض القرض : ل نفح .

---

206) انظر الحاشية (69) ص 15 .
207) انظر الحاشية رقم 41 . 42 ص 12 .
208) انظر الحاشية رقم (81) ص 16 .
209) انظر الحاشية رقم (78) ص 16 .
210) انظر الحواشى : 72 و 73 ؛ 74 ص 15 .
211) انظر الحاشية 79 ، ص 16
212) انظر الحاشية رقم 128 ، ص 24 .
213) انظر الحاشية رقم 65 ، ص 14 .

المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، المحمود الخـــلال من ذي
الجلال ، الشاهدة بصدقه صحف الانبياء وكتب الارســـال ،
وأياته التى أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال . صلى اللـــه
عليه وسلم ما ذر شارق ، وأومض بارق ، وغرق بين اليـــوم
5 الشامس والليل الدامس فارق ، صلاة تتأرج على شذى الزهر،
وتتبلج عن سنى الكواكب الزهر ، وتتردد بين السر والجهر ،
وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر ، وتدوم بدوام الدهر ،
من عبد هداه ومستقري (214) مواقع نداه ، ومزاحم أبناء
أنصاره فى منتداه ، وبعض سهامه المفوقة (215) الى نحور
10 عداه ، مؤمل العتق من النار بشفاعته ، ومحرز طاعة الجبـــار
بطاعته ، الآمن باتصال رعيه من اهمال الله واضاعته . متخذ
الصلاة عليه وسائل نجاة ، وذخائر فى الشدائد مرتجاه، ومتاجر
بضائعها غير مزجاه ، الذي ملأ بحبه جوانح صدره ، وجعل
فكره هالة لبدره ، وأوجب حقه على قدر العبد لا على قدره ،
15 محمد بن يوسف بن نصر الانصاري الخزرجي ، نسيب سعد
ابن عبادة من أصحابه ، وبوارق سحابه ، وسيوف نصرته ،
وأقطاب دار هجرته ، ظلله الله يوم الفزع الاكبر من رضاك
عنه بظلال الأمان ، كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهـــدى
والايمان ، وجعله من أهل السياحة فى فضاء حبك والهيمان ،
20 كتبه اليك يا رسول الله ، واليراع يقتضى مقام الهيبة صفرة

---

2) الشاهدة : ص ك ل ، الشاهد : نفح .
4) در : ص ك ل ، ذر : نفح.
10) لعتق من النار : ص ل نفح ، العتق شفاعه من النار : ك .
12) ومتاجر : ص ك ل ، متاجر : نفح .
20) يقتضـــى مقام : ص ك ل ، تقتضى الهيبة : نفح .

---

214) مستقري : متتبع .
215) المفوقة : المصوبة الى نحور الاعداء .

لونه ، والمداد يكاد أن يحول سواد جونه (216) ، وورقـــة الكتاب يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم وصونه، والدمع يقطر فتنقط به الحروف وتفصل الاسطر ، وتوهـم المثول بمثواك المقدس لا يمر بالخاطر سواه ولا يخطر . عن
5 قلب بالبعد عنك قريح (217) ، وجفن بالبكاء جريح ، وتأوه عن تبريح ، كلما هب من أرضك نسيم ريح ، وانكسار ليس له الا جبرك . واغتراب لا يؤنس فيه الا قربك وان لم يقض فقبرك ، وكيف لا يسلم فى مثلها الاسى ، ويوحش الصباح والمســا ، ويرجف جبل الصبر بعد ما رسا ، لولا لعل وعسى ، فقد سارت
10 الركاب اليك ولم يقض مسير ، وحومت الاسراب (218) عليك والجناح كسير ، ووعدت الآمال فاختلفت ، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الاثيل ، الا على التمثيل ، ولا من المعالم الملتمسة التنوير ، الا على التصوير ، مهبط وحى الله ومتنزل أسمائه، ومتردد ملائكة
15 سمائه ، ومدافن أوليائه ، وملاحد أصحاب خيرة أنبيائـــه ، رزقنى الله الرضا بقضائه ، والصبر على جاحم البعد ورمضائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الاسلام بالاندلس قاصية سيلك ، ومسحبة رجلك يا رسول الله وخيلك ، وأنأى مطارح دعوتك ومساحب ذيلك ، حيث مصاف الجهاد فى سبيل
20 الله وسبيلك قد ظللها القتام ، وشهبان الاسنة أطلعهـــا منـــه الاعتام ، وأشواق بيع النفوس من الله قد تعدد لها الايامى والايتام ، حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحـــور ،

---

7) وان لم يقض : صكل ، ولم يقض : نفح .
10) الركاب : ص ك ل ، الركبان : نفح .

---

216) حال : تحول من حالة الى اخرى ، وجونه : سوداه .
217) قريـــح : جريـــح .
218) حومت الاسراب : دارت الجماعات .

والشهداء تحف بها الحور : والامم القريبة قـد قطعتهـا على
المدد البحور ، حيث المباسم المفترة ، تجلوها المصارع البرة ،
فتحييها بالعراء ثغور الازاهر ، وتندبها صـوادح الادواح
برنات تلك المزاهر ، وتحلى السحاب أشلاءها المعطلة مـن
طلها بالجواهر ، حيث الاسلام من عدوه المكايد بمنزلة قطرة 5
من عارض غمام ، وحصاة من ثبير أو شمام (219)، وقد سدت
الطريق ، واسلم للغراق الغريق (220) ، واغص الريق ، وييئس
من الساحل الغريق ، الا ان الاسلام بهذه الجهة المستمسكـة
بحبل الله وحبلك، المهتدية بادلة سبلك سالم، ـ والحمد لله ـ من
الانصداع ، محروس بفضل الله من الابتداع ، مفقود مـن 10
جديد الملة ، معدوم فيه وجود الطوائف المضلة ، الا ما يخص
الكفر من هذه العلة ، والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه
بجمع القلة ، ولهذه الايام ـ يا رسول الله ـ أقام الله اوده برا
بوجهك الوجيه ورعيا ، وانجازا لوعدك وهو الذي لا يخلـف
وعدا ولا يخيب سعيا ، وفتح لنا فتوحا أشعرتنا برضاه عـن 15
وطننا الغريب ، وبشرتنا منه تعالى بتغمد التقصير ورفـع
التثريب، ونصرنا ـ وله المنة ـ على عبدة الصليب، وجعل لالفنا

---

1) التربية : ص ك ل ، الغريبة : نفح .
4) وتحلى : ص ك ل ، وتحمل : نفح .
5) طلعها : ص ك ل ، ظلها : نفح . حيث الاسلام : ص ك ل ، وحيث الاسلام : نفـح .
7) للفراق الفريق : ص ك ل ، الفراق الفريق : نفح : وايس : ص ك، وييئس : ل نفح .
8) المستمسكة : ص ك ، المتمسكة : ل نفح .
بتغمد التقصير : ص ك ل ، بغفر التتصير : نفح .
17) لالنا : ل نفح ، كالتنا : ص ك .

---

219) ثبير وشمام : جبلان .
220) الفريق : الجماعة من الناس اكثر من الفرقة .

الرديني ولامنا السردي (221) حكم التغليب واذا كانت الموالى
التى طوقت الاعناق مننها ، وقررت العوائد الحسان سيرها
وسننها ، تبادر اليها نوابها الصرحاءوخدامها النصحاء بالبشائر
والمسرات التى تشاع فى العشائر ، وتجلو لديها نتائج أيديها ،
5 وغايات مباديها ، وتتاحفها وتهاديها ، بمجانى جناتها وأزهار
غواديها ، وتطرف محاضرها بطرف بواديها . فبابك يا رسول
الله أولى بذلك وأحق ، ولك الحق الحق ، والحر منا عبدك
المسترق ، حسبما سجله الرق ، وفى رضاك من كل ما يلتمس
رضاه المطمع ، ومثواك المجمع ، وملوك الاسلام فى الحقيقة
10 عبيد سدنتك المؤملة ، وخول مثابتك المحسنات بالحسنات المجملة
وشهب تعشو الى بدورك المكملة ، وبعض سيوفك المقلدة فى
سبيل الله المحملة ، وحرسة مهادك ، وسلاح جهادك ، وبروق
عهادك (222) ، وان مكفول احترامك الذي لا يخفر ، وربى
انعامك الذي لا يكفر ، وملتحف جاهك الذي يمحى ذنبه
15 بشفاعتك ان شاء الله ويغفر ، يطالع روضة الجنة المفتحةأبوابها
بمثواك ، ويفاتح صوان القدس الذي أجنك وحواك ، وينشر
بضائع الصلاة عليك بين يدي الضريح الذي طواك ، ويعرض
جنى ما غرست وبذرت ، وبصدق ما بشرت به لما بشرت
وأنذرت ، وما انتهى اليه طلق جهادك ، ومصب عهادك ، لتقر
20 عين نصحك التى أنام العيون ساهر هجوعها ، وأشبع البطون
ورواها ظمؤها فى الله وجوعها ، وان كانت الامور بمرأى
من عين عنايتك ، وغيبها متعرف بين افصاحك وكنايتك ، ومجمله

---

8) ما يلتمس : ص ك ، من يلتمس : ل نفح .
15) المفتتحة : ك ل ، المفتحة : ص .
18) ومصداق : ك ل نفح ، ويصدق : ص .

---

221) أراد بالالف الرديني ، الرمح ، وباللام السردي : الدروع .
222) العهاد : المطر .

ـ يا رسول الله ـ صلى الله عليك ، وبلغ وسيلتي اليك ، ـ هو أن الله سبحانه لما عرفني لطفه الخفي في التمحيص (223)، المقتضي عدم المحيص (224) ، ثم في التخصيص ، المغني بعيانه عن التنصيص ، وفق ببركاتك السارية رحماتها في القلوب، ووسائل محبتك العائدة بنيل المطلوب ، ـ الى استفادة عظة واعتبار ، واغتنام اقبال بعد ادبار ، ومزيد استبصار ، واستعانة بالله وانتصار ، فسكن هبوب الكفر بعد اعصار (225) ، وحل مخنق (226) الاسلام بعد حصار ، وجرت على سنن السنة (227) ، بحسب الاستطاعة والمنة (228) ، ـ السيرة ، (229) وجبرت بجاهك القلوب الكسيرة ، وسهلت المآرب العسيرة ، ورفع بيد العزة الضيم ، وكشف بنور البصيرة (230) الغيم ، وظهر (231)القليل على الكثير (232) وباء الكفر بخطة التعثير (233) ، واستوى الدين الحنيف على المهاد الوثير (234) ، فاهتبلنا ـ يا رسول الله ـ غرة العدو

---

3) بعيانه : ص ك نفح ، ببيانه : ل .

---

223) التمحيص : الابتلاء والاختبار .
224) المحيص : المهرب .
225) يعني خفت وطاة الكفار على المسلمين .
226) اي رفع الحصار عنه .
227) السنن : الطريق ، والسنة : الشريعة .
228) المنة ـ بضم الميم : القوة .
229) السيرة : السلوك والعمل .
230) البصيرة : قوة للقلب يرى بها حقائق الاشياء وبواطنها .
انظر تعريفات الجرجاني ص 39.
231) ظهر عليه : غلبه وانتصر عليه .
232) يشير الى قوله تعالى « كم من فئة قليلة ، غلبت فئة كثيرة بذن الله » ـ الآية .
233) يعني عاد بالخيبة والاندحار .
234) كناية عن عزة الاسلام .

وانتهزناها، وشمنا (25) صوارم عزة الغدو (236) وهززناها، وأزحنا علل الجيوش وجهزناها ، فكان مما ساعد عليه القدر ، والحظ المبتدر ، والورد الذي حسن بعد الصدر ، أننا عاجلنا (237) مدينة برغة (238) ، وقد جرعت الاختين مالقة (239) ورندة (240) ، من مدائن دينك ، ومزاين (241) ميادينك ، أكواس الفراق ، وأذكرتمثل من بالعراق (242) ، وسدت طرق التزاور عن الطراق (243) ، وأسالت المسيل

5

(3 والحظ : ص ك ل ، والخطب : نفح .

(235 شام السيف : استله ، وهو من الاضداد .

(236 لعله يشير الى حديث (لغدوة فى سبيل الله او روحة ، خير من الدنيا او مما تطلع عليه الشمس) اخرجه الشيخان وغيرهما .

(237 وكان دخول المسلمين الى هذه المدينة فى اواخر شعبان سنة (727—1366) انظر الاحاطة 49/2.

(238 بضم الباء وسكون الراء — بعدها غين معجمة . Burgo تقع فى مرتفع بين مالقة ورندة .
انظر الاحاطة فى اخبار غرناطة 49/2—50 ، التعريف ص 117، بغية الرواد 178/2 ، صبح الاعشا 547/2 ، نفح الطيب 367/6 ، نهاية الاندلس ص 135.

(239 مالقة : Malaga من المدن الاندلسية الساحلية جنوبا .
ذكرت فى معجم البلدان 367/7 ، الروض المعطار ص 177 ، صبح الاعشى 218/5 ولابن عسكر كتاب مهم فى علمائها .
(مخطوط خاص) .

(240 بضم فسكون فدال مفتوحة Ronda مدينة تقع غربى مالقة ذكرت فى معجم البلدان 293/4 ، صبح الاعشا 220/5 ، سقطت فى يد الاسبان سنة (890 هـ) — الآثار الاندلسية الباقية ص 271 .

(241 مزاين : ما يتزين به

(242 لعله يعنى حملات التتار على العراق .

(243 والطراق — جمع طارق : من ياتى ليلا .

بالنجيع (244) الرائق، فى مراصد المراد والمراق (245)، ومنعت المراسلة مع هدي (246) الحمام ، لا بل مع طيف المنام ، عند الالمام ، فيسر الله اقتحامها ، وألحمت بيض الشفار فى زرق الكفار (247) الحامها ، وأزال بشر السيوف من بين تلك الحروف اقحامها (248) ، فانطلق المسرى ، واستبرت القواعد القواعد الحسرى (249) ، وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصرعى ومثاقف (250) الاسرى ، والحمد لله على فتحه الاسنى ومنحه الاسرى (251) ، ولا اله الا هو منغل قيصر

5

---

2) هدي : ل هدل ، ص ك ، هدير : نفح .

---

244) المسيل : موضع السيلان ، والنجيع : الدم .

245) المراصد جمع مرصد : موضع الرصد ، والمراد : المكان الذي يراد من راد : اذا اختلف اليه . قال عبد ربه :

كانى منك لم اربع بربع ولم ارتد به احلى مراد

والمراق جمع مرقى : المكان الذي يرقى منه اي اليه .

246) هدي الحمام : الحمام الذي يرسل الى الاماكن البعيدة بكتب الاخبار ، فيؤديها ويعود بالاجوبة عنها . انظر صبح الاعشى 89/3 ، د 389/14 .

247) زرق جمع ازرق : شديد العداوة ، وكانت زرقة العين غالبة على الروم ، ولشدة العداوة التى كانت بينهم وبين العرب ، اسموا كل عدو بذلك . مجمع الامثال 385/2 . وفى (بيض) و (زرق) تدبيج ، وهو من محسنات البديع .

248) بشر الكلمة : شطبها وازالها من موضعها ، وحرف الشىء : طرفه ، والاقحام : الزيادة ، وكأنه يعنى ان السيوف محت آثار اولئك القوم من تلك الاطراف . والبشر والاقحام من الالفاظ المتداولة بين اهل صناعة التوثيق ، يوري بها ابن الخطيب .

249) الحسرى جمع حسير : الضعيف المتلهف .

250) والمثاقف جمع مثقف : مكان الثقف ، وهو اخذ العدو والظفر به .

251) الاسنى : الارفع ، والاسرى : الاوسع العريض .

وكسرى (252) ، وفاتح مغلقاتهما المنيعة قسرا ، واستولى الاسلام منها على قرار (253) جنات ، وأم بنات (254) . وقاعدة حصون ، وشجرة غصون ، طهرت مساجدها المغتصبة المكرهة ، وفجع بحفظها الفيل الافيل وابرهة (255)، وانطلقت بذكر الله الالسنة المدرهة (256) ، وفاز بسبق ميدانها جيادك الفرهة (257) .

5

هذا — وطاغية الروم على توفر جموعه ، وهول مرئيه ومسموعه ، — قريب جواره ، بحيث يتصل خواره ، وقد حرك اليها الحنين حواره (258) ، ثم نازل المسلمون بعدها

---

5) الالسنة : ل نفح ، الالسن : ص ك .
(ومغلتاتهما) : كذا في سائر الاصول ، وبهامش ل (ومغلقاتهما) وكتب فوقها علامة (خ صح) .
7) مرئيه : ل نفح ، مرائيه : ص ك .
8) يتصل : ل ص نفح يصل : ك .

---

252) المنفل : المعطى ، يقال انفل القائد الجند : اعطاهم النفل : الغنيمة . وقيصر : لقب ملك الروم ، ويعني به — هنا — هرقل الذي طارده المسلمون فانتزعوا منه بلاد الشام . وكسرى لقب ملك الفرس ، ولعله اراد به يزدجرد الثالث الذي حاربه المسلمون ولقي حتفه طريدا سنة (651 م) ، انظر البلاذري ص 168 ، والطبري 45/1—51.

253) القرار : المطمئن من الارض .

254) ام بنات : يعني ذات اشجار .

255) الفيل الافيل : العظيم ، ويعني به فيل ابرهة ، وكان يسمى محمودا. ابرهة : هو ابرهة بن الصباح الحبشي ، الذي جاء لهدم الكعبة في جيش كثيف ، فارسل الله عليهم طيرا ابابيل — كما قص القرآن الكريم ، انظر تفسير ابن كثير 549/4—552 .

256) المدره : خطيب القوم وزعيمهم .

257) الفرهة جمع فاره : الحاذق النشيط .

258) الخوار : صوت البقر والغنم ، والحوار : ولد الناقة ، ويشير الى المثل القائل : (حرك لها حوارها تحن) — يضرب لتذكير المرء ببعض اشجانه . انظر مجمع الامثال 91/1.

شجى (259) الاسلام الذي أعيا النطاسى (260) علاجه ،
وكرك (261) هذا القطر الذي لا تطاول اعلامه ولا تصاول
اعلاجه ، وركاب الغارات التى تطوى المراحل الى مكايدة
المسلمين طى البرود (262) ، وحجر الحيات التى لا تخلع
5 — على اختلاف الفصول — جلود الزرود (263) ، ومنغص
الورود ، فى العذب البرود (264) ، ومقض المضاجع . وحلم
الهاجع (265) . ومجهز الخطب الفاجىء الفاجع (266) .
ومستدرك فاتكة الراجع ، قبل هبوب الطائر الساجع (267) .
حصن آشر (268) ، — حماه الله — دعاء لا خبرا ، كما جعله
10 للمتفكرين فى قدرته معتبرا ، فأحاطوا به (269) احاطة القلادة
بالجيد ، وأذلوا عزته بعزة ذي العرش المجيد ، وحفت به

---

2) تطاول : ص ك نفح ، يتطاول : ل ، تصاول : ص ك نفح ، يتصاول :ل
8) فاتكة : ل نفح ، فاتكه : ص ك .

---

259) الشجا : ما اعترض فى الحلق من لحم وعظم ، ويعنى به الحصن الذي تهدد الاسلام بالخطر .
260) النطاسى : الحاذق الماهر .
261) كرك : مدينة فى شرق الاردن ، كان لها شان فى الحروب الصليبية.
262) البرود جمع البرد : الثوب .
263) يعنى بالحيات العدو المتربص ، والزرود جمع زرد . الدروع المزردة .
264) الورود : اتيان الماء للشرب ، والبرود — بفتح الباء — من الشراب : ما يبرد الغلة .
265) اقض مضجعه : اقلق راحته . الهاجع : المستسلم للنوم ليلا .
266) الخطب : الامر الفاجع المحزن .
267) هب : استيقظ ، سجع : هدر وردد صوته .
268) حصن آشر Iznajar يقع فى الجنوب الشرقى من حصن روطة ، وهو على ضفة احد روافد شنيل . انظر وصف افريقية للادريسى ص 204.
269) كانت هذه الغزاة فى اوائل رمضان سنة (767 هـ) ، وقد حضرها السلطان الغنى بالله بن الاحمر بنفسه .
انظر الاحاطة 2/51—53.

الرايات يسمها وسمك ، ويلوح فى صفحاتها اســـم اللـــه واسمك (270) ، فلا ترى الا نغوسا تتزاحم على مـــوارد الشهادة أسرابها ، وليوثا يصدق فى الله ضرابها ، وارسل الله عليها رجسا اسرائليا (271) من جراد السهام ، تشذ (272) آياته عن الافهام ، وسدد الى الحيل النغوس القابلة للالهام ، من بعد الاستغلاق والاستبهام ، وقد عبثت جوارح ضخوره فى قنائص الهام (273) ، واعيا صعبة الجيش اللـــهام (274) ، فاخذ مسايغه (275) النقض والنقب (276) ، ورغا فوق أهله السقب (277) ، و3نصبت المعارج والمراقـــى (278) ، وفرغت

5

2) موارد : ل ، ومورد : نفح ، ورد : ص ك .
5) الحيل : ل ، الجبل : ص ك نفح .
8) مسايغة : ل ، مسائغه : ص ك نفح .
9) الصقب : ص ك ل ، السقب : نفح .
وفرعت : ص ك ل ، وترعت : نفح .

270) الوسم : العلامة ، وصفحة الشيء : وجهه وجانبه ، ويشيـــر الى ان الرايات الاندلسية كان يكتب على صفحاتها كلمة (لا اله الا الله ، محمد رســـول الله).

271) الرجز الاسرائيلى : العذاب الذي ابتلى الله به بنى اسرائيل ، وفيه اشارة الى قوله تعالى « فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون »

272) تـــشـــذ : تـــغـــيـــب .

273) الجوارح : جمع جارحة : ذات الصـــيـــد مـــن السباع والطيـــر والكلاب ، وكان المسلمين استعملوا فى هذه الـــحـــرب الاحجار والصخور . والقنائص جمع قنيصة : الفريسة ، والهـــام جمـــع هـــامـــة : الـــراس .

274) الجيش اللهام : العظيم .

275) مسايف جمع مسيف ، وكانه يعنى بها ما كان مبنيا فى شبـــه صفـــوف وســـطـــور .

276) النقض : الهدم ، والـــنقـــب : الخـــرق .

277) السقب : ولد الناقة ، وفيه اشارة الى ما حل بـــقـــوم صالح ، عندما عقروا الناقـــة ، فيقال فى المثل فى تصوير الـــهـــلاك : (رغا فوقهم السقب) .

278) المعارج والمراقى : آلات حربية .

المناكب والتراقى ، واغتنم الصادقون مع الله الحظ الباقى .
وقال الشهيد المسابق : يا فوز استباقى ! ودخل البلد فالحم
السيف ، واستلب البحث والزيف (279) ، ثم استخلصت
القصبة (280) ، فعلت أعلامك فى أبراجها المشيدة، وظفر ناشد
5 دينك منها بالنشيدة (281) ، وشكر الله فى قصدها مساعى
النصائح الرشيدة ، وعمل بما يرضيك — يا رسول الله — فى سد
ثلمها (282)، وصون مستلمها ، ومداواة ألمها ، — حرصا على
الاقتداء فى مثلها باعمالك ، والاهتداء بمشكاة كمالك ، ورتب
فيها الحماة تشجى (283) العدو ، وتصل فى مرضاة الله تعالى
10 ومرضاتك بروا حها الغدو .

ثم كان الغزو الى مدينة اطريرة (284) ، بنت حاضر
الكفر اشبيلية ،التى أظلتها بالجناح الساتر ، (285) وأقامتها فى
ضمان الامام للحسام الباتر ، وقد وتر الاسلام من هذه
الموسة البائسة بالوتر الباتر ، واحفظ منها
15 باذى الوقاح المهاتر (286) ، لما جرته على أسراره من عمل
الخاتل الخاتر (287) ، حسب المنقول المقبول لابل

4) لما : ل نفح ، بما : ق ك .

279) الحث : الصرف الخالص ، والزيف : المغشوش .
280) القصبة فى العرف الاندلسى — ما يشمل قصر الحاكم ، والقلعة التى تحميه . انظر الآثار الاندلسية ص 189 .
281) النشيدة : الضالة التى تنشد : تطلب .
282) سد ثلمها : أصلح خللها .
283) اشجى العدو : احزنه .
284) اطريرة Utrera مدينة تقع فى الجنوب الشرقى لاشبيلية، وضبطها ابن خلدون فى الرحلة بكسر الهمزة وسكون الطاء . انظر التعريف ص 118 وكان زحف المسلمين على هذه المدينة فى شعبان (768 هـ) . الاحاطة 52/2 .
285) وتره : افزعه وانتقم منه ، والواتر : المنتقم .
286) احنظه : اغضبه . الوقاح : الوقاحة : القليل الحياء ، هاتره : سابه .
287) الخاتل : الخادع ، الخاتر : الغادر .

المتواتر (288) فطوى اليها المسلمون المدى النازح (289)، ولم تشك المطى الروازح (290) ، وصدق الجد جدها المازح ، وخفقت فوق أوكارها أجنحة الاعلام . وغشيتها أفواج الملائكة المسومة وظلال الغمام (291) ، وصابت من السهام، ودق الرهام (292) ، وكاد يكفىء السماء على الارض ارتجاج أجوائها بكلمة الاسلام (293) ، وقد صم خاطب عروس الشهادة عن الملام ، وسمح بالعزيز المصون مبايع الملك العلام ، وتكلم لسان الحديد الصامت وصمت الابذكر الله لسان الكلام (294) ، ووفت الاوتار بالاوتار (295) ، ووصل بالخطى

5

---

1) نطوى اليها المسلمون : ق ل نفح ، نطوى المسلمون اليها : ك ،

2) الروازح : ك نفح : الروائح : ص ك .

4) وصابت : ك ل نفح ، وصبت : ق. السماء : ق ك ل ، السهام : نفح .

9) الخطى : ل نفح ، الخط : ص ك .

---

288) يوري بالقاب الحديث المعروفة فى علم المصطلح .

289) النازح : البعيد .

290) الروازح : جمع رازحة : الساقطة الى الارض هزالا او تبعا .

291) يشير الى قصة بدر فى قوله تعالى ((يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)) . انظر تفسير ابن كثير 95/1.

292) صابت : انصبت ، الودق : القطر ، والرهام جمع رهمة : المطر الخفيف الدائم ، أي تقاطرت عليهم السهام كالمطر .

293) اكفأ الاناء : قلبه ، اى كادت السماء تقع على الارض من ارتجاج الاجواء بكلمات التكبير والتهليل .

294) (وتكلم لسان الحديد الصامت ، وصمت...) فيه من الحسنات البديعة العكس والتبديل ، ويسميه بعضهم بالقلب .

295) الاوتار الاولى جمع وتر : شرعة القوس ، والاوتار الثانية جمع وتر : الانتقام والاخذ بالثار .

ذرع الابيض البتار (296) ، وسلطت النار على اربابها ،
وأذن الله فى تبار تلك الامة وتبابها (6297، فنزلوا على حكم
السيف آلافا ، بعد أن أتلفوا بالسلاح اتلافا ، واستوعب المقاتلة
كتافا، وقرنوا فى الجدل أكتافا أكتافا (289)، وحملت العقائل
والخرائد (299) ، والولدان والولائد ، أركابا من فوق الظهور 5
وأردافا ، وأفلت منها أفلاك الحمول بدورا تضىء من ليالى
المحاق اسدافا (300) ، وامتلأت الايدي من المواهب والغنائم،
بما لا يصوره حلم النائم ، وتركت العوافى (301) تتداعى الى
تلك الولائم ، وتفتن من مطاعمها فى الملائم .
وشنت الغارات على حمص(302)، فجللت خارجها مغارا(303) 10
وكست كبار الروم بها صاغرا (304) ، وأجحرت أبطالها

---

1) ذرع : ل نفح ، اذرع : ص ك .
4) اكتافا اكتافا : ل نفح ، اكتافا اسقاط (اكتافا) الثانية — ص ك .
خارجها : ل نفح ، خارقها : ص ك .

---

296) الخطى : الرمح نسبة الى الخط : المدينة او ارض من سواحل عمان والبحرين . وذرع الشىء بسطه ، والابيض البتار : السيف القاطع .
297) التبار والتباب : الهلاك ، يشير الى قوله تعالى : ((ولا تزد الظالمين الا تبارا)) .
298) كتفه كتافا : شد يديه الى خلف كتفه ، والجدل : جمع جديل : المفتول (واكتافا اكتافا) أي جعلوا كتفا الى كتف .
299) العقائل : جمع عقيلة الكريمة من النساء ، والخرائد جمع خريدة: البكر التى لم تمس .
300) افلت : غابت ، افلاك الحمول : الهوادج ، شبه العقائل فى هوادجها بالبدور فى افلاكها . ليالى المحاق : الليالى الثلاث فى آخر الشهر . والاسداف جمع سدف : الظلمة .
301) العوافى جمع عاف : كل طالب رزق .
302) اشبيلية ، سماها حمص جند بنى امية الذي نزل بها حين قدم من حمص الشام ، وقد فعلوا ذلك فى كثير من مدن الاندلس . انظر معجم البلدان 342/3 .
303) جلله : عمه ، مغارا : مصدر ميمى بمعنى الاغارة .
304 الصغار — بفتح الصاد : الذل

اجحارا (305) واستاقت من النعم ما لا يقبلالحصر استباحارا
ولم يكن الا ان عدل القسم ، واستقل بالقفول العزيز الرسم ،
ووضح من التوفيق الوسم (6306 ، وكانت الحركة (307)
الى قاعدة جيان (308) ، قيعة (309) الظل الابرد ، ونسيجة
المنوال المفرد ، وكناس الغيد الخرد (310) ، وكرسى الامارة، 5
وبحر العمارة ، ومهوي هوى الغيث الهتون ، وحزب (311)
التين والزيتون ، حيث خندق الجنة تدنو لاهل (312) النار
مجانيه ، وتشرق بشواطىء الانهار اشراق الازهار زهر
مبانيه (313) ، والقلعة (314) التى تختمت بنان شرفاتها

---

3) ووضح : ل نفح ، ووضع : ص ك .

6) وبحر : ل نفح ، ونخر : ص ك وحزب : ل نفح ، وخرب : ص ك
تدنو : ل نفح ، ندس : ص ك .

---

305) احجرت : اختفت ، فكانها دخلت جحرا .

306) عدل القسم : سويت الانصباء بين الشركاء ، استقل : انفرد ،
التفول : الرجوع ، العزيز : المنفرد ، الرسم : الشارة ،
التوفيق : جعل الشيء موافقا ، الوسم : العلامة . ويوري
بالتوفيق ، وتعديل القسم ، — الى مصطلحات معروفة عند
الحاسبين .

307) كان ذلك اواخر محرم سنة (768—1338) . انظر الاحاطة 53/2.

308) جيان — بفتح الجيم وتشديد الياء ثم الف ونون Jaên تقع
شمالى غرناطة ، وغربى قرطبة . ذكرت فى معجم البلدان 185/3
صبح الاعشى 229/5 ، الروض المعطار ص 70 .

309) قيعة جمع قاع : أرض سهلة ، انفرجت عنها الجبال والآكام .

310) الكناس : بيت الظبى ، الغيد جمع غيداء : المراة الناعمة
والخرد جمع خريد او خرود : البكر ، شبه بها هذه المدينة
العزيزة على كل مسلم .

311) الحزب : الجماعة التى تقع على راي واحد ، ويعنى به — هنا —
طائفة من أشجار الزيتون ، وجيان شهيرة بذلك .

312) الجنة : الحديقة ، واهل النار يعنى بهم الكفار .

313) المبانى الزهر : البيضاء المشرقة .

314) يعنى بها قصبة جيان .

بخوِاتم النجوم ، وهمت (315) من دون سحابها البيض سحائب الغيث السجوم (316) ، والعقيلة (317) التى أبدى الاسلام يوم طلاقها ، وهجوم فراقها ، سمة الوجوم (318) . لذلك الهجوم ، فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها (319)
5 الوادعة ، وأجابت منادي دعوتك الصادقة الصادعة . وحينها بالفادحة الفادعة (320) ، فغصت الربا والوهاد بالتكبير والتهليل ، وتجاوبت الخيل بالصهيل ، وانهالت الجموع المجاهدة فى الله انهيال الكثيب المهيل ، وفهمت نفوس العباد ، المجاهدة فى الله حق الجهاد،، معانى التيسير من ربها والتسهيل، وسفرت
10 الرايات عن المرأى الجميل . وأربت المحلات المسلمة على التأميل ، ولما صدبتها النواصى المقبلة الغرر، والاعلام المكتنفة الطرر (321) برز حاميتها مصحرين (322)، وللحوزة المستباحة منتصرين ، فكاثرهم من سرعان الابطال رجل الدبا (323) ، ونبت الوهاد والربى ، فأقحموهم من وراء السور ، وأشرعت

---

5) وحيتها : ل نفح ، وحبتها : ص ك .
13) رجل : ص ك ، رجال : ل.

---

315) همت : انهمرت بالمطر .
316) سحت السحابة : صبت مطرها .
317) العقيلة من النساء : الكريمة ذات الخور .
318) الوجوم : الغم .
319) يشير الى حديث بدر (هذه مكة قد رمتكم بافلاذ كبدها) — يعنى لبابها واشرافها . انظر اللسان (فلذ) .
320) الفادحة من فوادح الدهر وخطوبه ، الفادعة : القاصمة .
321) الطرر جمع طرة : الحاشية ، المكتنفة : اي التى احيطت جوانبها برسوم وخطوط وكتابات .
322) مصحرين : خرجوا الى الصحراء ، اراد : برزوا الى القتال فى الفضاء الواسع غير متسترين .
323) الرجل : صغار الجماعة ، والدبا : الجراد ،واحدته بالتاء شبه الجيش الكثيف بالجراد المنتشر .

أقلام الرماح فى بسط عددهم المكسور (324) ، وتركت
صرعاهم ولائم للنسور ، ثم اقتحموا ربض المدينة (325)
الاعظم فغرعوه ، وجدلوا من دافع أسراره وصرعوه ،
وأكواس الحتوف جرعوه ، ولم يتصل اولى الناس بأخراهم ،
5 ويحمد بمخيم النصر العزيز سراهم (326) ، حتى خذل الكفار
الصبر ، وأسلم الجلد ، وأنزل على المسلمين النصر ، فدخل
البلد ، وطاح فى السيل الجارف الوالد منهم والولد ، وأتهم
المطرف والمتلد (327) ، فكان هولا بعيد الشناعة ، وبعثا
لقيام الساعة ، أعجل المجانيق عن الركوع والسجود ،
10 والسلالم عن مطاولة النجود ، والايدي عن ردم الخنادق
والاغوار والاكبش عن (328) مناطحة الاسوار، والنفوط(329)
عن اصعاق الفجار ، وعمد الحديد ، ومعاول الباس الشديد ،
عن نقب الابراج ونقض الاحجار ، فهيلت الكثبان ، وأبيد
الشيب والشبان، وكسرت الصلبان، وفجع بهد (330) الكنائس
15 الرهبان وأهبطت النواقيس من مراقيها العالية، وصروحها
المتعالية وخلعت ألسنتها الكاذبة (331)، ونقل ما استطاعته الايدي

---

(324) اشرعت : سددت ، المكسور ، المهزوم ، ويوري بالبسط ، والكسر ، المعروفين عند الحاسبين .

325 ربض المدينة : ما حولها .

(326) يشير الى المثل القائل (عند الصباح ، يحمد القوم السرى) — يضرب لمن يتحمل المشاق فى سبيل الراحة . انظر مجمع الامثال 3/2 .

(327) طاح : سقط وذهب ، المطرف : الحديث ، المتلد : القديم ، اى ذهب الكل .

(328) الاكباش : آلة حربية تستعمل لهدم الاسوار ، تشبه بالاكباش فى مناطحتها .

(329) النفوط جمع نفط : دهن معدنى سريع الاحتراق .

(330) الهد : الهدم .

(331) يعنى اسكتت .

المجاذبة ، وعجزت عن الاسلاب ذوات الظهور ، وجلل الاسلام
شعار العز (332)، والظهور بما خلت عن مثلت سوالف الدهور
والاعوام والشهور ، وأعرست الشهداء (333) ومن النفوس
المبيعة من الله نحل الصدقات الصادقة والمهور ، ومن بعد ذلك
5 هدم السور ، ومحيت من مختطه المحكم ـ السطور ، وكاد
يسير ذلك الجبل الذي اقتعدته المدينة ويدك ذلك الطور ، ومن
بعدما خرب الوجار (334) عقرت الاشجار ، وعفر المنار ،
وسلطت على بنات (335) التراب والماء النار ، وارتحل عنها
المسلمون وقد عمتها المصائب، واصمى لبتها (336 السهم الصائب
10 وظللتها القشاعم العصائب (337) ، فالذئاب فى الليل البهيم
تعسل (338) ، والضباع من الحدب البعيد تنسل ، وقد ضاقت
الجدل عن المخانق (339) ، وبيع العرض الثمين بالدانق (340)،
وسبكت (341) أسورة الاسوار ، وسويت الهضاب بالاغوار ،
واكتسحت الاحواز القاصية سرايا الغوار (342) ، وحجبت
15 بالدخان مطالع الانوار ، وتخلفت قاعتها (343) عبرة للمعتبرين،

---

4) الصدقات الصادقة : ص ك ل ، (الصادقة) ساقطة فى النسخ .
15) قاعتها : ص ل ، قاعدتها : ك .

---

332) الشعار : ما تحت الدثار من اللباس ـ اراد ان الاسلام البس ثوب العز والفخار .
333) يشير الى قوله تعالى (وزوجناهم بحور عين) .
334) الوجار : حجر الضبع وغيره .
335 بنات التراب والماء ـ يعنى بها الاشجار والنباتات .
336) اصمى : رمى فقتل ، واللبة : موضع القلادة فى الصدر.
337) القشاعم جمع قشعم : المسن من النسور ، والعصائب : الجماعات
338) تعسل : تجري .
339) ضاقت الجدل : الحبال ـ كناية عن كثرة السبايا .
340) الدانق ـ بفتح النون : سدس الدرهم ، وكنى به عن الثمن البخس.
341) سبكت اسورة : هدمت وسويت .
342) الغوار : الاغارة .
343) القاعة : الساحة .

وعظة للناظرين ، وآية للمستبصرين ، ونادى لسان الحمية :
يا لثارات الاسكندرية (344) ! فاسمع آذان المقيمين والمسافرين
وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين (345) .
ثم كانت الحركة الى أختها الكبرى ، ولدتها (346) الحزينة
5 عليها العبري (347) ، مدينة أبدة (348) ذات العمران المستبحر ،
والربض الخرق المصحر (349) ، والمباني الشم الانوف (350)
وعقائل المصانع الجمة الحلى والشنوف (351) ، والغاب
الانوف (352) ، وبلد التجر ، والعسكر المجر ، وافق الضلال
الفاجر ، الكذب على الله تعالى الكاذب الفجر ، فخذل الله حاميتها
10 التى يعيى الحسبان عدها ، وسجر (353) بحورها التى لا يرام
مدها ، وحقت عليها كلمة الله التى لا يستطاع ردها ، فدخلت

---

8) وبلد : ص ك ل ، وبلدة : نفح .
10) يعيى : ك ل نفح ، تعيى : ص .

---

344) يالثارات كذا : يا قتلته ، ولعله يشير بقوله : (يا لثارت الاسكندرية) الى الواقعة التى حدثت بالاسكندرية سنة 767 هـ انظر تاريخ ابن خلدون 454/5 .
345) يشير الى قوله تعالى : (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين) .
346) اللدة : الترب ، من ولد معك .
347) العبري مؤنث العبران : صاحب العبرة والحزن .
348) ابدة — بضم الهمزة وتشديد الدال Ubeda من كورة جيان ، تعرف بابدة العرب ، تقع فى الشمال الشرقى من جيان . ورد ذكرها فى معجم البلدان 64/1 ، واللباب فى تهذيب الانساب 17/1 .
349) الخرق : الارض الواسعة ، تخترق فيها الرياح ، المصحر : الواسع ، ومنه الصحراء .
350) اي المرتفعة السامقة .
351) الشنوف جمع شنف : ما علق فى الآذان من الحلى .
352) الغاب جمع غابة ، والانف : ما لم يرعه احد .
353) سجر البحر : هاج وارتفعت أمواجه .

لاول وهلة ، واستوعب جمها — والمنة لله — فى نهلة، ولم (354)
يك للسيف من عطف عليها ولا مهـلـة ، فلما تناولها الغفـاء
والتخريب ، واستباحها الفتح القريب ، وأسند عن عواليهـا
حديث النصر الحسن الغريب (355) ، واقعدت ابراجها من بعد
القيام والانتصاب ، واضرعت مسايغها لهول المصاب ، انصرف 10
عنها المسلمون بالفتوح الذي عظم صيته ، والعز الذي سمـا
طرفه واشرأب ليته (356) ، والعزم الذي حمد مسراه ومبيته،
والحمد لله ناظم الامر ، وقد رأب (357) شتيته ، وجابر الكسر،
وقد اغاث الجبر مغيثه (358) .

ثم كان الغزو الى أم البلاد ، ومثوى الطارف والتـلاد ، 5
قرطبة (359) وما قرطبة ! المدينة التى على عمل أهلها فى التديم،
بهذا الاقليم ، كان العمل (360) ، والكرسى الذي بعصاه أرعى

---

2) يـك : ل ، يكن : ص ك ، يكف : ننح، للسـيـف : ص ك ل ،
السـيـف :ننح.

12) ارعى : ص ك ل ، رعـى : ننح .

---

354) النهل الشرب الاول ، ويعنـى بذلك انه وقع الاستيلاء على جميع
اطرافها فى اول الحركـة اليهـا .

355) (اسندعن عواليها) (الغريب) — يوري ابن الخطيـب بالـقاب
الحديـث المعـروفـة فى علـم المصـطـلح .

356) الليـت : صفحـة العنـق .

357) راب : الشـتيـت : جـمعـه .

358) وقد سقطت مدينة ابدة فى يد الاسبان سنـة (631—1233) .
انـظـر نـهـايـة الاندلس ص 16 .

359) قرطبة Gordoba عاصمة الخلافة الاموية بالانـدلـس .
استولى عليها الاسبان فى 23 شـوال (633—1236) . ذكرت فى
معجم البلدان 64/4 ، والروض المعطار ص 153 .

360) اي كان لقرطبة عملها النتهى يلتزمه القضاة .

الهمل (361) ، والمصر الذي له فى خطة المعمور الناقة
والجمل(362)، والافق الذي هو لشمس الخلافة العبشمية(363)
الحمل (364) ، فخيم الاسلام بعقوتها (365) المستباحة ،
وأجاز نهرها المعين على السباحة ، وعم دوحها الاشب
بوارا (366) ، وادار الكماة بسورها سوارا ، وأخذ بمخنقها
حصارا ، وأعمل النصر بشجر نصلها (367) اجتناء ما شاء
واهتصارا ، وجدل (368) من ابطالها من لم يرض انجحارا ،
فاعمل الى المسلمين اصحارا ، حتى فرع بعض جهاتها غلابا
جهارا ، ورفعت الاعلام اعلاما بعز الاسلام واظهارا ، فلولا
استهلال الغوادي ، وان أتى الوادي ، لافضت الى فتح الفتوح
تلك المبادي ، ولقضى تفثه (369) العاكف والبادي ، — فاقتضى
الرأي — ولذنب الزمان فى اغتصاب الكفر اياها متاب ، تعمل

2) العبشمية : ص ل ، نفح ، العبشية : ك ، 3) بعقوتها : ل نفح ، بعترتها : ص ك .

361) الهمل : الذي لا راعى له ، وفى المثل : « اختلط المرعى بالهمل » .
362) عكس المثال المشهور (فلان لا ناقة له ولا جمل) — يضرب لمن لا علاقة له بالامر .
363 الخلافة العبشمية — اي الاموية — نسبة الى عبد شمس جد الامويين .
364) الحمل : برج من البروج الربيعية .
365) عقوتها : محلتها وساحتها .
366) اشب الشجر : التف ، والبوار : الهلاك .
367) شجر النصل — يعنى به الرماح ، وفى (النصر — النصل) ص الديع — الجناس الناقص .
368) جدله : صرعه .
369) التفث : ما يفعله الحاج اذا حل من احرامه ، ويعنى بذلك لنهم استوفوا المراد .

ببشراه ــ بفضل الله ــ اقتاد وأقتاب (370) « ولكل أجل كتاب » (371) ــ ، ان يراض صعبها حتى يعود ذلولا ، وتعفى معاهدها الآهلة فترك طلولا ، فاذا فجع الله بمارج النار طوائفها المارجة ، وأباد بخارجها الطائرة والدارجة ، خطب السيف منها
5 أم خارجة (372) ، فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ــ ومفارق الهضاب بالهشيم قد شابت، والغلات المستغلات قد دعا بها القصل فما ارتابت (373) وكان صحيفة نهرها لما اضرمت النار حقا في ظهرها ذابت ، وحيته فرت امام الحريق فانسابت ، وتخلقت لغمائم الدخان عمائم تلويها برؤوس الجبال أيدي الرياح
10 وتنشرها بعد الركود أيدي الأجتياح (357) ، وأغريت بأقطارها الشاسعة ، وجهاتها الواسعة ، ــ جنود الجوع ، وتوعدت بالرجوع ، فسلب أهلها لتوقع الهجوم منزور الهجوع (376) ، فاعلامها خاشعة خاضعة ، وولدانها لثدي البؤس راضعة ، والله يوفد بخبر فتحها القريب ، ركائب البشرى ، وينشر رحمته
15 قبلنا نشرا .

---

370) الاقتاد والاقتاب : الرحل وادواته ، اراد ان الركائب تحمل البشرى بفتحه .

371) اقتباس من قوله تعالى في سورة الرعد : (ولكل اجل كتاب) . انظر البحر ج 144/6 .

372) يعني استباحها السيف بسرعة ، وفي المثل : (اسرع من نكاح ام خارجة) . انظر مجمع الامثال 367/1.

373) القصل : القطع .

374) حفافا كل شيء : جانباه

375) اجتاح الشيء : اهلكه واستاصله .

376) الهجوم : النوم ، ومنزوره : قليله .

ثم تنوعت يا رسول الله — لهذا العهد — أحوال العـــدو تنوعا يوهم اغاقته من الغمرة ، وكادت فتنته تؤذن بخمـــود الجمرة ، وتوقع الواقع ، وحذر ذلك السم الناقع ، وخيـــف الخرق الذي يحارغيه الراقع (377) ! فتعرفنا عوائـــد اللـــه — سبحانه — ببركة هدايتك ، وموصول عنايتك ، فأنزل النصر 5
والسكينة ، ومكن العقائد المكينة ، فثابت العزائم وهبـــت ، واطردت عوائد الاقدام واستتبت ، وما راع العدو الا خيل الله تجوس خلاله ، وشمس الحق توجب ظلاله ، وهداك الذي هديت تدحض ضلاله ، ونازلنا حصنى قنبيل والحائر (378) — وهما معقلان متجاوران يتناجى منهما الساكن سرارا ، وقد اتخذا بين 10
النجوم قرارا ، وفصل بينهما حسام النهر يروق غرارا ، والتف معصمه فى حلة العصب وقد جعل الجسر سوارا : فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه ، وارتفعت اعلام الاسلام باعلاه ، وتبرجت عروس الفتح المبين بمجلاه ، والحمد لله على ما أولاه .
ثم تحركنا على تغيئة (379) ، تغري ثغر الموسطة (380) على 15
عدوه المساور فى المضاجع ، ومصبحه بالفاجىء الفاجع ، فنازلنا حصن روطة (381) الآخذ بالكظم ، المعترض بالشجا اعتراض العظم ، وقد شحنه العدو مددا بئيسا ، ولم يأل اختياره رأيا ولا تلبيسا ، فاعيا داؤه ، واستقلت بالمدافعة أعداؤه ، ولما أتلـــع

---

15) تغري : ص ك ، تعدى : ل نفح .

---

377) يشير الى المثل المشهور : (اتسع الخرق على الراقع) .
378) فتحهما المسلمون فى رمضان سنة (770 هـ) . انظر الاحاطة 56/2.
379) على تفئة : علـــى اثـــر .
380) ويعنـــى بالموسطة : القسم الذي يتوسط بلاد الاندلس ، ويشمل عدة ممالك وحصون . انظـــر المغرب فى حلى المغرب 3/2—236 .
381) روطة Rota قاعدة اندلسية قديمة ، واقعة على نهـــر خالـــون غربـــى سرقسطة ، انظر الاحاطة تحقيق عنان 413/1.

اليه (382) جيد المنجنيق ، وقد برك عليه برك الفنيق (383) .
وشد عصام (384) العزم الوثيق ، لجأ أهله الى التماس العهد
والمواثيق ، وقد غصوا بالريق ، وكاد يذهب بأبصارهم لمعان
البريق ، فسكناه من حامية المجاهدين بمن يحمي ذماره ويقرر
5 اعتماره ، واستولى أهل الثغور — الى هذا الحد — على معاقل
كانت مستغلقة فتحوها . وشرعوا ارشية الرماح (385) الى
قلب (389) قلوبها فمتحوها (387) ولم تكد الجيوش المجاهدة
تنفض عن الاعراف (388) متراكم الغبار ، وترخى عن آباط
خيلها شد حزم المغار ، حتى عاودت النفوس شوقها، واستتبعت
10 ذوقها ، وخطبت التى لا فوقها ، وذهبت بها الآمال الى الغاية
القاصية ، والمدارك المتصاعبة على الافكار المتعاصية ،
فقصدنا (389) الجزيرة الخضراء (390) ، باب هذا الوطن الذي
منه طرق وادعه ، ومطلع الحق الذي صدع الباطل صادعه، وثنية
الفتح التى برق منها لامعه ، ومشرب الهجوم الذي لم تكن لتعثر

---

1) العنيق : ص ص ك ، النيق : نتح ، 2) عصاب : ص ك ل ،
عصام : نفح .
13) منه طرق : ل نفح ، طرق منه : ص ك .

---

382 اتلع : رفع راسه اليه .
383) الفنيق : الفحل المكرم الذي لا يركب ولا يؤذي .
384) العصام : الحبل الذي يربط به فم القربة وغيرها .
385) ارشية : جمع رشاء : حبل الدلو .
386) قلب جمع قليب : بئر ، وبين قلب وقلوب جناس .
387) متح الماء انتزعه ، والدلو : استخرجها .
388) الاعراف جمع عرف : شعر عنق الفرس .
389) وكانت الحركة اليها فى ذي الحجة عام (770 هـ) . انظر الاحاطة
56/2.
390) ذكر ابو حيان من بين الاقوال ، فى تفسير (مجمع البحرين) — انه
بحر الاندلس ، وان القرية التى ابت ان تضيفهما — هى الجزيرة
الخضراء .

على غيره مطامعه ، وفرضة المجاز التى لا تنكر ، ومجمع البحرين فى بعض ما يذكر (391) ، حيث يتقارب الشطان ، ويتوازى الخطان ، وكاد أن تلتقى حلقتا البطان (392) ، وقد كان الكفر قدر قدر هذه الفرضة التى طرق منها حماه ، ورماه
5 الفتح الاول (393) بما رماه ، وعلم ان لا تتصل أيدي المسلمين باخوانهم الا من تلقائها ، وانه لا يعدم المكروه مع بقائها ، فاجلب عليها برجله وخيله ، وسد أفق البحر من أساطيله ، ومراكب أباطيله ، بقطع ليله ، وتداعى المسلمون بالعدوتين الى استنقاذها من لهواته ، أو امساكها من دون مهواته ، فعجز
10 الحول ، ووقع بملكه اياها القول ، واحتازها قهرا ، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهرا ، وأطرق الاسلام بعدها اطراق الواجم ، واسودت الوجوه لخبرها الهاجم ، وبكتها حتى دموع الغيث الساجم ، وانقطع المدد الا من رحمة من ينفس الكروب، ويغري بالادالة الشروق والغروب ، ولما شكنا بشبا الله (394)
15 نحرها ، وأعصصنا بجيوش الماء ، وجيوش الارض ، تكاثر نجوم السماء ، برها وبحرها ونازلناها نذيقها شديد النزال ، ونحجها بصدق الوعيد فى سبيل الاعتزال (395)، رأينا بأوا(396) لا يظاهر الا بالله ولا يطال ، وممنعة يتحاماها الابطال ، وجنابا روضه الغيث الهطال ، أما أسواقها ، فهى التى أخذت النجد

---

17) ونحجبها : ص ك ل ، ونحجها : نتح .

---

392) البطان : الحزام الذى يجعل تحت بطن الدابة يقال : التقت حلقتا البطان — للامر اذا اشتد . انظر اللسان (بطن) .

393) يشير الى فتح الاندلس على يد طارق بن زياد سنة (92 هـ 711م)

394) الشبا : حد السيف .

395) يوري بمصطلحات كلامية : الوعيد ، الاعتزال .

396) الباو : الفخر والتكبر .

و نغور . واستعدت بجدال الجلاد عن البلاد فاركبت الدور (397)، تحوز بحرا من العمارة ثانيا ، وتشكك أن يكون الانسان لها بانيا. واما أبراجها فصفوف وصنوف ، تزين صفحات المسايف منها أنوف ، وآذان لها من دوامغ الصخر شنوف، واما خندقها فصخر مجلوب وسور مقلوب ، فصدقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفسهم ، واغتر ان اغتصابهم ببؤسهم وأغول شموسهم . فرشقوها من النبال بظلاله تحجب الشمس فلا يشرق سناها ، وعرجوا فى المراقى البعيدة يفرعون مبناها ، ونغوسها أنقابا ، وحصونها عقابا ، ودخلوا مدينة البنة : بنتها (398) غلابا ، وأحسبوا السيوف استدلالا والايدي اكتسابا (399) ، واستوعب القتل مقاتلتها السابغة الجنن ، البالغة المنن ، فأخذهم الهول المتفاقم ، وجدلوا كانهم الاراقم (400) ، لم تفلت منهم عين تطرف ، ولا لسان يلبى من يستطلع الخبر ويستشرف . ثم سمت الهمم الايمانية الى المدينة (401) الكبرى، فداروا اسوارا على أسوارها ، وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها ، وأدنوا اليها بالضروب ، من حيل الحروب، — بروجا مشيدة ، ومجانيق توثق حبالها منها نشيدة ، وخفقت بنصر الله عذبات الاعلام ، وأهدت الملائكة مدد السلام ، فخذل الله كفارها، وأكهم شفارها (402) ، وقلم بيد قدرته أظفارها ، فالتمسوا

(9) البنية : ص ك ل ، البنة : نفح .

(397) يورى بمصطلح منطقى — وهو الدور والتسلسل .
(398) بنتها — يعنى تابعة لها ، وفى (البنة) و (بنتها) — الجناس .
(399) قابل بين (الاحتساب) و (والاكتساب) .
(400) الاراقم : اخبث الحيات .
(401) يعنى الجزيرة الخضراء .
(402) الكهمه : اكله واضعفه ، وصيره كهاما كليل الحد . يقول السموال : فنحن كماء المزن ما فى نصابنا .
كهام ولا فينا يعد بخيل

الامان للخروج ، ونزلوا على مراقى العروج ، الى الاباطح
والمروج ، عن سمائها ذات البروج ، فكان بروزهم من العراء الى
الارض ، تذكرة بيوم العرض ، وقد جلل (403) المقاتلة الصغار ،
وتعلق بالامان النساء والصغار ، وبودرت المدينة بالتطهير ،
5 ونطقت المآذن العالية بالاذان الشهير ، والذكر الجهير ، وطرحت
كفارها التماثيل عن المسجد الكبير ، وأزرى بألسنة النواقيس
لسان التهليل والتكبير ، وأنزلت عن الصروح أجرامها ، يعيى
الهندام (404) مرامها ، والغى منبر الاسلام بها مجفوا (405)
فأنست غربته ، وأعيد اليه قربه وقربته ، وتلا واعظ الجمع
10 المشهود ، قول منجز الوعود ، ومورق العود : « وما ظلمناهم
ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتم التى يدعن من دون
الله من شىء لما جاء أمر ربك ، وما زادوهم غير تتبيت ، وكذلك
أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان أخذه أليم شديد ، ان فى
ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس ،
15 وذلك يوم مشهود » — الآية (406) . فكاد الدمع يغرق الآماق ،
والوجد يستأصل الارماق ، وارتفعت الرغبات ، وعلت السيئات ،
وجىء بأسرى المسلمين يرسفون فى القيود الثقال ، وينسلون

---

4) الامان النساء والصغار : ل نفح ، الامانات النشاة والصغار : ص ك .

7) لسان التهليل : ل نفح ، كلمة (لسان) ساقطة فى ك ص .

16) فكاد : ص ك ل ، فكان : نفح . يعين : ل نفح ، يعنى : ص ك.

15) الزعقات : ص ك ل ، الرغبات : نفح ، السفات : السبعات : ص ك ، السيئات : نفح .

---

403) جللهم : عمهم .

404) الهندام : آلة حربية .

405) مجفوا : مهجورا .

406) الآية : 102 — سورة هود .

من أجداث الاعتقال ، ففكت عن أسوقهم أساود الحديد (407).
وعن أعناقهم فلكات البأس الشديد ، وظللوا بجناح اللطف
العريض المديد ، وترتبت فى المقاعد الحامية ، وازهرت بذكر الله
المآذن السامية ، فعادت المدينة لاحسن أحوالها ، وسكنت من
5 بعد أهوالها ، وعادت الجالية الى أموالها ، ورجع الى القطر
شبابه ، ورد على دار الاسلام بابه ، واتصلت بأهل لا اله الا الله
أسبابه ، فهى اليوم فى بلاد الاسلام قلادة النحر ، وحاضرة البر
والبحر ، أبقى الله عليها وعلى ما وراءها من بيوت أمتك . ودائع
الله فى ذمتك ، بكلمة دينك الصالحة الباقية (408) ، وسدل عليه
10 أستار عصمته الواقية ، وعدنا — والصلاة عليك شعار البروز
والقفول ، وهجيري الشروق والافول ، والجهاد — يا رسول
الله — الشأن المعتمد ، ما امتد بالاجل الامد ، والمستعان الفرد
الصمد .

ولهذا العهد يا رسول الله — صلى الله عليك ، وبلغ وسيلتى
15 اليك — بلغ من هذا القطر المرتدي بجاهك الذي لا يذل من
أدرعه (409) ، ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذي شرعه ، الى
ان لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها ،
ورفع التماثيل ببيوت الله ونصبها ، فانجلب عنها بنورك —
الحلك ، ودار بادالتها الى دعوتك الفلك ، وعاد الى مكاتبها القرآن
20 الذي نزل به على قلبك الملك (410) فوجبت مطالعة مقرك النبوي

---

15) اسوقهم : ل ، سوقهم : نفح ، اساوقهم : ص ك .
2) حلكات : ص ك ل ، فلكات : نفح .
1) لما بلغ هذا : ص ك ل ، بلغ من هذا — بزيادة (من) : نفح .

---

407) اسوق جمع ساق ، اساود الحديد — يعنى بها القيود .
408) يشير الى قوله تعالى فى سورة الزخرف (وجعلها كلمة باقية فى عقبه)
409) ادرعه : اعتصم به ، فكأنه اتخذه درعا .
410) يشير الى قوله تعالى فى سورة الشعراء (نزل به الروح الامين على قلبك) .

بأحوال هذه الامة المكفولة فى حجرك . المفضلة بادارة تجرك .
المهتدية بأنوار فجرك . وهل هو الا ثمرات سعيك ، ونتائـــج
رعيك ، وبركة حبك ، ورضاك الكفيل برضا ربك ، وغمام رعدك .
وانجاز وعدك ، وشعاع من نور سعدك ، وبذر يجنى ريعه من
5 بعدك ، ونصر رايتك ، وبرهان آيتك ، وأثر حمايتك ورعايتك .

واستنبت هذه الرسالة مائحة (411) بحر الندى الممنوح .
ومفاتحه باب الهدى بفتح الفتــوح ، وفارعة (412) المظاهــر
والصروح ، وملقية الرحل بمتنزل الملائكة (413 والروح ، لتمد
الى قبولك يد استمناح ، وتطير اليك من الشوق الحثيث بجناح .
10 ثم تقف موقف الانكسار ، وان كان تجرها آمنا من الخســـار ،
وتتقدم بانس القربة ، وتحجم بوحشة الغربة ، وتتأخر بالهيبــة .
وتجهش (414) لطول الغيبة ، وتقول : ارحم بعد داري ، وضعف
اقتداري ، وانتزاح أوطانى ، وخلو أعطانى ، وقلـــة زادي ،
وفراغ مزادي ، وتقبل وسيلة اعترافى ، وتغمد هفوة اقترافى ،
15 وعجل بالرضا انصراف متحملى لانصرافى ، فكم جبت من بحر
زاخر ، وقفر بالركاب ساخر ، وحاشا لله أن يخيب قاصدك ، أو
تتخطانى مقاعدك ، أو تطردنى موائدك ، أو تضيــق عنـــى
عوائدك (415) ، ثم تمد مقتضية مزيد رحمتك ، مستدعية دعــاء
من حضر من أمتك ، وأصحبتها — يا رسول الله — عرضا من
20 النواقيس التى كانت بهذه البلاد المفتحة تعيق الاقامة والاذان ،
وتسمع الاسماع الضالة والآذان ، مما قبل الحركة ، وسالــم
المعركة ، ومكن من نقله الايدي المشتركة ، واستحق بالقدوم
عليك ، والاسلام بين يدك ، السابقة فى الازل البركة وما سواها ،

---

411) مـــاح البحـــر : اغترف منـــه .
412) فـــرع الصـــروح : القصور — : هدمهـا
413 يعنى الروضة الشريفة ، مهبط الوحـى .
414) جهش للشوق والحزن : تهيأ .
415) عوائدك جمع عائدة : نواضلك ونعمك .

فكانت جبالاعجز عن نقلها الهندام (416) ، فنسخ وجودها الاعدام ، وهى — يا رسول الله — جنى من جنانك ، ورطب من أفنانك ، ، وأثر ظهر عليها من مسحة حنانك .

هذه هى الحال والانتحال ، والعائق أن تشد اليك الرحال، ويعمل الترحال ، الى أن نلقاك فى عرصات القيامة شفيعا ، ونحل بجاهك — ان شاء الله — محلا رفيعا ، ونتقدم فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم (417) من أجلك ، الناهلة غللهم فى سجلك ، ونبتهل الى الله الذي أطلعك فى سماء الهداية سراجا ، وأعلى لك فى السبع الطباق معراجا ، وأم الانبياء منك بالنبى الخاتم(418)، وقفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم (419) ، — ان لا يقطع عن هذه الامة الغريبة أسبابك، ولا يسد فى وجوهها أبوابك، ويوفقها لاتباع هداك ، ويثبت اقدامها على جهاد عداك ، وكيف تعدم ترفيها ، أو تخشى بخسا — وأنت موفيها ، أو يعذبها الله — وأنت فيها (420) ، وصلاة الله وسلامه تحط بفنائك رحال طيبها ، وتهدر فى ناديك شقاشق خطيبها ، — ما أذكر الصباح الطلق هداك ، والغمام السكب نداك ، وما حن مشتاق الى لثم

---

2) جنانك : ص ك ل ، حنانك : نفح .
12) ويوفقها : ص ك ل ، ويونقها : نفح .

---

416) الهندام : الآلة .
417) يشير الى حديث (ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله ، الا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك) . رواه البخارى فى الصحيح .
418) يشير الىقصة الاسراء ، حيث ام — صلى الله عليه وسلم بالانبياء فى بيت المقدس .
419) العاتم : البطىء الممسى ، اي الذي اتى بعدها فنسخها .
420) يشير الى قوله تعالى فى سورة الانفال : (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) .

ضريحك ، وبلت نسمات الاسحار مما استرقت من ريحك .
وكتب فى كذا .

ولنرجع الى نثر القاضى عياض — رحمه الله — فنقول :
حدث الاستاذ الفقيه النبيه ، الخطيب الاريب ، أبو عبد اللهمحمد
5 ابن الشيخ الفقيه الخطيب المدرس أبى العباس أحمد بن أبى
جمعة الوهرانى (421) ، أن والده (422) المذكور ، كان يخطب
بخطبة القاضى عياض أبى الفضل ، قال : ومن لفظه حفظتها ،
وكان حفظها الوالد المذكور ، من خطيب كان عندهم بوهران(423)
يسمى محمد بن احمد بن خرزوزة القيسى — رحم الله الجميع —
10 وهى (424) : الحمد لله الذي افتتح « بالحمد » كلامه ، وبين فى
سورة «البقرة» احكامه ، ومد فى «آل عمران» و (النساء) و
« مائدة » « الانعام » ليتم انعامه ، وجعل فى
« الاعراف — أنفال — توبة — يونس » « والر كتاب أحكمت
آياته » ، بمجاورة « يوسف » الصديق فى دار الكرامة ، وسبح
15 « الرعد » بحمده ، وجعل النار بردا وسلاما على « ابراهيم »
ليوقن أهل « الحجر » أنه « اذا أتى أمر الله » ((سبحانه))

1) وبليت : ل نفح وملئت : ص ك ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
4) الاريب ... المدرس : ك ل — ص 5) ابو العباس : ص ك ل ، ابى العباس : نفح .
10) وهى : ك ل ، وهى هذه — بزيادة (هذه) : ص .
13) الر : ص ك ل ، والر : نفح .
16) ليوقن : ص ك ل ، ليومن : نفح .

421) توفى عبد الله محمد بن احمد بن ابى جمعة الوهرانى اوائل ربيع الثانى سنة (1013 هـ) . انظر ترجمته فى نشر المثانى 89/1
422) ويعرف بشترون ، ترجمة فى دوحة الناشر ، وذكر ان وفاته كانت فى حدود سنة (930 هـ) . انظر ص 92 طبع فاس .
423) وهران — بفتح اوله وسكون ثانيه مدينة بحرية بالجزائر ، تبعد عن العاصمة (الجزائر) بنحو 355 كلم ، ذكرت فى معجم البلدان 385/5—386 ، والتبيان ص 266 .
424) واوردها المؤلف فى النفح — ج 333/7—334 — تحقيق احسان عباس .

فلا « كهف » ولا ملجأ الا اليه . ولا يظلمون قلامة . وجعل فى
حروف « كهيعص » سرا مكتوما قدم بسببه « طـه » صلى الله
عليه وسلم — على سائر « الانبياء » . ليظهر اجلاله واعظامه .
وأوضح الامر حتى « حج » المؤمنون « بنور » ((الفرقان))
5 « والشعراء » صاروا « كالنمل » ذلا وصغارا لعظمته .
وظهر « قصص » « العنكبوت » فآمن به ((الروم)) ، وأيقنوا
أنه كلام الحى القيوم ، نزل به الروح الامين على زين من واقى
القيامة ، وأفصح « لقمان » الحكمة بالامر « بالسجود » لرب
« الاحزاب » « فسبا » ((فاطر)) السموات أهل الطاغوت ،
10 واكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامة ، وأمد « ياسين » — صلى
الله عليه وسلم — بتاييد « الصافات » ، فصاد « الزمر » يوم
بدر وأوقع بهم لما أوقع صناديدهم فى القليب بين مكدوس
ومكبوب ، شالت بهم النعامة ، وغفر « غافر » الذنب وقابل
التوب للبدريين — رضى الله عنهم — ما تقدم وما تأخر حين
15 « فصلت » كلمات الله ، فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس
من السلامة ، ذلك بأن أمرهم « شورى » بينهم ، وشغلهم
« زخرف » ، الآخرة عن دخان الدنيا فجثوا أمام « الاحقاف »
لقتال أعداء « محمد » — صلى الله عليه وسلم — يمينه وشماله
وخلفه وأمامه ، فأعطوا « الفتح » وبوئوا « حجرات » الجنان ،
20 حين تلوا « ق » والقرآن المجيد ، وتدبروا جواب قسم
« الذاريات » و « الطور » ، لاح لهم ((نجم)) الحقيقة ،

(1 قلامة : ل نفح ، ظلامة : ص ك 2) مكتوما : ص ك ل ، مكنونا : نفح .

(6 وظهر : ص ك ، وظهرت : ل نفح .

(7 زين : ل نفح ، مزين : ص ك .

(9 فسبا : ل نفح ، يسبا : ق ك . ص واكسبهم : ص ل نفح ، والبسهم : ص .

(12 بدر : ص ك ل ، بدره : نفح لما : ص ك ل ، ما : نفح . بين : ص ك ل — نفح .

وانشق لهم « قمر » اليقين ، فناغروا السآمة ، ذلك بأنهم أمنهم
« الرحمان » « اذا وقعت الواقعة » واعترف بالضعف لهم
« الحديد » وهزم « المجادلون » وأخرجوا من ديارهم لاول
« الحشر » ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المومنين حين
5 نافروا السلامة ، أحمده حمد من « امتحنته » « صفوف »
الجموع في نفق « التغابن » « فطلق » ((الحرمات)) حين
اعتبر « الملك » وعامه ، « وقد سمع » صريف ((القلم)) وكانه
« بالحاقة » « والمعارج » يمينه وشماله وخلفه وأمامه ، وناح
(نوح) (الجن) ، « فتزمل » « وتدثر » ، فرقا من يوم
10 (القيامة) ، وأنس (بمرسلات) « النبأ » فنزع « العبوس »
من تحت كور العمامة ،وظهر له « بالانفطار » « التطغيف » ،
(فانشقت) (بروج) « الطارق » بتسبيح الملك « الاعلى »
« وغشيته » الشهامة ، فورب « الفجر » (والبلد) ، (والشمس)
« والليل » « والضحى » : قد (انشرحت صدور) المتقين ،
15 حين تلوا سورة « التين » ، و « علق » الايمان بقلوبهم ، فكل
على « قدر » مقامه يبين ، « ولم يكونوا بمنفكين » دهرهم ليله
ونهاره وصيامه وقيامه ، اذا ذكروا « الزلزلة » ، ركبوا
« العاديات » ، ليطفؤا نار « القارعة » ، ولم يلههم
« التكاثر » حين تلوا سورة « العصر » (والهمزة) ، وتمثلوا
20 بأصحاب « الفيل » « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من
جوع وآمنهم من خوف » ، « أرايتهم » كيف جعلوا على
رؤوسهم من الكون عمامة ، «فالكوثر» مكتوب لهم «والكافرون»
خذلوا وهم « نصروا » ، وعدل بهم عن « لهب » الطامة ،
وبسورة « الاخلاص » قروا وسعدوا وبرب « الفلق »
25 « والناس » استعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامة ،

---

18) نار : ص ك ل ، نور : نفح .
22) راسهم : ص ك ل ، رؤوسهم : نفح . الكون : ص ك ل ، الكور : نفح ، غمامة : ص ك ل ، عمامة : نفح .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة ننال بها منازل الكرامة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ما غردت فى الايك حمامة ، وسلم تسليما .

انتهت الخطبة المنسوبة للقاضى ـ رحمه الله ـ حسبما ألفيت ذلك كله فى بعض المقيدات بفاس المحروسة ، فنقلتها كما وجدتها ـ وفى قلبى من نسبتها الى القاضى عياض رحمه الله تعالى شىء (425) ـ والله أعلم .

وقد وقفت على نظيرتها منسوبة لغيره بتلمسان (426) ، بخط مولانا الامام المفتى الخطيب العلامة شيخ الشيوخ عمنا سيدي سعيد بن أحمد (427) المقري ـ صب الله عليه شآبيب رضوانه .

ونصها : « الحمد لله الذي افتتح « بفاتحة » الكتاب سورة « البقرة » ، ليصطفى من « آل عمران » (نساء) ورجالا وفضلهم تفضيلا ، ومد « مائدة » « انعامه » ، ورزقه ليعرف « أعراف » « انفال » كرمه ، وحقه على أهل « التوبة » ، وجعل « ليونس » ، فى بطن الحوت سبيلا ، ونجى

---

1) واشهد : ص ل نفح ، ونشهد : ك .
2) صلاة : ص ك ل ، شهادة : نفح .
2ـ3) صلى الله عليه .. وأصحابه : ل نفح ـ ص ك .
13ـ14)نساء ورجالا : ص ك ل ، رجالا ونساء : نفح .

---

425) قال المقري فى النفح 334/7 : لان نفس القاضى فى البلاغة اعلى من هذه الخطبة .
426) تلمسان ـ بكسرتين وسكون ميم وسين مهملة : مدينة مشهورة بالجزائر ، تقع الى الجنوب الغربى من وهران ، على بعد نحو 60) كلم . ذكرت فى معجم البلدان 44/2 ، والتبيان ص 270 .
427) ترجمه فى الصفوة ، وقال انه توفى سنة (1010 هـ) .
انظر صفوة من انتشر ص 43 ، ولقط الفرائد ص 290 ، ونشر المثانى ص 160 ، والاعلام لعباس بن ابراهيم 106/2

« التوبة » ، وجعل « ليونس » ، فى بطن الحوت سبيلا ، ونجى
« هودا » من كربه وحزنه ، كما خلص « يوسف » من جبه
وسجنه ، وسبح « الرعد » بحمده ويمنه، واتخذ الله «ابراهيم»
خليلا ، الذي جعل فى حجر « الحجر » من « النحل » شرابا نوع
5 باختلاف الوانه ، واوحى اليه بخفى لطفه « سبحانه » ، واتخذ
منه « كهفا » قد شيد بنيانه ، وأرسل روحه الى « مريم » فتمثل
لها تمثيلا ، وفضل « طه » على جميع « الانبياء » فأتى
« بالحج » والكتاب المكنون ، حيث دعا الى الاسلام قد أفلح
« المومنون » ، اذ جعل « نور » (الفرقان) دليلا ، وصدق
10 محمدا — صلى الله عليه وسلم — الذي عجزت « الشعراء »
فى صدق نفثه ، وشهدت « النمل » بصدق بعثه ، وبين « قصص»
« الانبياء » فى مدة مكثه ، ونسج العنكبوت عليه فى الغار سترا
مسدولا ، وملئت قلوب «الروم» رعبا من هيبته، وتعلم «لقمان»
الحكمة من حكمته ، وهدى أهل « السجدة » للايمان بدعوته ،
15 وهزم « الاحزاب » « وسباهم » ، وأخذهم أخذا وبيلا ، فلقبه
« فاطر » السموات والارض « بياسين » ، كما نفذ حكمه فى
« الصافات » ، وبين « صاد » صدقه باظهار المعجزات ، وفرق
« زمر » المشركين ، وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا ،
فغفر له « غافر » الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر « وفصلت »
20 رقاب المشركين اذ لم يكن أمرهم «شورى» بينهم ، «وزخرف»
منار الاسلام ، وخفى « دخان » الشرك ، وخرت المشركون
« جاثية » ، كما أنذر أهل « الاحقاف » فلا يهتدون سبيلا ، وأذل
الذين كفروا بشدة « القتال » ، وجاء « الفتح » للمومنين

2—3) جبه وسجنه : ص ك ل ، سجنه وجبه : نفح .
5) نوع باختلاف الوانه : ك ل نفح ، نوع به باختلاف انواعه : ق .
11) بعثه : ل نفح — ص ك .
13—14 لقمان الحكمة من : ل نفح ، لقمان من — باسقاط (الحكمة) : ق ك.
20) اذ : ل نفح ، اذا : ص ك .

والنصر العزيز ، وحجر « الحجرات » الحريز « وبقـاف »
القدرة قتل الخراصون تقتيلا . كلم موسى على جبل « الطور »
فارتقى « نجم » محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ « فاقتربت »
بطاعته مبادىء السرور ، واوقع « الرحمان » « واقعة » الصبح
5 على بساط النور ، فتعجب « الحديد » من قوته ، وكثـرت
« المجادلة » فى أمته ، الى أن أعيد فى « الحشر » باحسن مقيلا ،
امتحنه فى « صف » الانبياء وصلى بهم اماما ، وفى تلك «الجمعة»
ملئت قلوب « المنافقين » من « التغابن » خسرا وارغامـا .
فطلق وحرم ، تبارك الذي أعطاه « الملك » وعلم « بالقلـم » ،
10 ورتل القرآن ترتيلا ، وعن علم « الحاقة » . كم « سال سائل »؟
فسال الايمان ، ودعا به « نوح » فنجاه الله من الطوفان ، واتت
اليه طائفة « الجن » يستمعون القرآن ، فأنزل عليه : « يا أيها
المزمل قم الليل الا قليلا » ، فكم من « مدثـر » يـوم
« القيامة » شفقة على « الانسان » اذا أرسل (مرسلات) الدمع
15 (فعم يتساءلون) أهل الكتاب ، وما تقبل من « نازعـات »
المشركين اذا « عبس » عليهم مالك وتولاهـم بالعـذاب ،
« وكورت » الشمس « وانفطرت » السماء عن (اسـم رب
السماء) ، « وكانت الجبال كثيبا مهيلا » فويل « للمطففين » اذا
« انشقت » السماء بالغمام ، وطويت ذات « البروج » وطـرق
20 « طارق » الصور بالنفخ للقيام ، وعز اسم ربك « الاعلـى »

---

3) الحريم : صكل ، الحرير : نفح 3) فاقتربت : ل نفح ، فارتقبت ص ك ،
4) مبـادىء : ل نفح ــ ص ك . فاوقع : ص ك ل ، واوقـع نفـح .
5) وكثرت : ك ل ، وكثرة : ص .
15) الكبائر : ص ك ل ، الكتاب : نفح ، وكتب بهامش نسخة : (ل) فوق الكبـائـر لعلـه (الكتاب) .
17—18) (عن اسم رب السماء) : ص ك ــ ل نفح .
20) وعز : ل نفح ، وعن : ص ك ، الاعلى : ل نفح ــ ص ك ،

(الغاشية) (الفجر) ، فيومئذ لا « بلد » ولا « شمس » ولا
« ليلا » طويلا ، فطوبى للمصلين الضحى عند « انشراح »
صدورهم اذا عاينوا « التين والزيتون» واشجار الجنة ،
فسجدوا « باقرأ باسم ربك » الذي خلق هذا النعيم الاكبر، لاهل
هذه الدار ، ما أحيوا ليلة القدر ، وتبتلوا تبتيلا ، «ولم يكن للذين 5
كفروا من أهل الكتاب» من «الزلزلة» من صديق ولا حميم ،
وتسوقهم «بالعبادات» الى سواء الجحيم، ونزلت بهم «قارعة»
العقاب وقيل لهم «الهاكم التكاثر» هذا «عصر» العذاب الاليم،
« وحشر » « الهمزة » وأصحاب (الفيل) الى النار فلا يظلمون
فتيلا، وقالت « قريش » . ما امنتم من هول المحشر « أرأيت 10
الذي يكذب بالدين » كيف طرد عن « الكوثر » وسيق الكافرون
الى النار ، وجاء « نصر » الله والفتح ، « فتبت يدا أبي لهب »،
اذ لا يجد الى سورة « الاخلاص » سبيلا ، فنعوذ برب « الفلق»
من شر ما خلق ، ونعوذ برب « الناس » ، مالك الناس ، اله
الناس ، من شر الوسواس الخناس الذي فسق ، ونتوب اليه ، 15
ونتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلا .

انتهت الخطبة المنسوجة على سور القرآن ، من انشاء
الفقيه الجليل ، الشريف الكامل ، أبى المجد عبد المنعم ابن
الشيخ الفيقه العدل ، أبى جعفر احمد بن عبد الله بن عبد المنعم

---

2) ليلا ص ك ل ، ليل : نفح .
5) ما احيوا : ل نفح ، واحيوا : ص ك .
6) من الزلزلة : ل ، من اهل الكتاب من اهل الزلزلة : ص ك النفح.
7) كالعاديات : ل نفح ، بالعاديات : ص ك ونزلت : ل وتزلزلت :
ص ك ، وزلزلت : نفح . قارعة العذاب : ص ك ل ، قارعة العقاب:
10) نفح . امنتم : ل نفح ، انتم : ص ك . المحشر : ل نفح ، الحسر:
11) ونسق : ص ك ل ، وسيق : نفح .

الهاشمى الطنجالى (428) — رحمه الله ونفعنا وبسلفه الطاهر الكريم . انتهى ما نقلت من خط مولانا الشيخ رحمه الله تعالى .

ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ومن (429) نثر القاضى عياض رحمه الله هذه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما وجدته ببعض المجاميع بمحروسة فاس — حاطها الله تعالى — ، وقد تضمنت جملة من اوصافه — صلى الله عليه وسلم — الطاهرة ، ومعجزاته الباهرة ، وكمالاته التى بها انفرد، وسار بها المثل واطرد ، — صلى الله عليه وسلم . ولست على يقين من نسبتها للقاضى عياض ، والعهدة على من نسبها له — ان لم تصح النسبة . وهى : صلوا بكرة واصيلا ، على من فضله الله تفضيلا ، واتخذه حبيبا وخليلا ، ونزل عليه القرآن تنزيلا ، وكان له وليا ونصيرا ومعينا وكفيلا ، وختم به رسله ، ونهج على يديه الكريمتين سبله ، وزكى قوله وعمله ، وبلغه أمله ، وبالشفاعة فضله ، ومشى على بساط عزه بنعليه ، وفضل — صلى الله عليه وسلم — على كل من يأتى بعده ، وعلى كل من تقدم قبله ، وانتخبه وعلمه ، وادبه وطيبه ، وعظمه وحباه واختاره لحبه وقربه ، وخط اسمه سطرا على العرش وكتبه ، وخصه بالفضائل ، وشرفه بالفعائل ، وختم برسالته جميع الرسائل ، وصدقه فيما هو قائل ، ونهاه عن قهر اليتيم وانتهار السائل ، وجعل الصلاة عليه من اعظم الوسائل ، صلى عليه

---

15) وفضل : ص ك ل ، وفضله : نفح . صلى الله عليه وسلم : ص ك ل،
16) صلى الله وسلم عليه : نفح وعلى كل : ص ك ل ، على كل : نفح .

---

(428) لم نقف على ترجمته ، والطنجاليون اسرة عريقة فى المجد والشرف بمالقة . انظر المرتبة العليا ص 159 ، والنفح 389/5 .

(429) من هنا تبتديء نسخة الخزانة الملكية التى نرمز لها بحرف (ن) .

الملك العلام ، هو وملائكته الكرام ، وأمر جميع الانام بالصلاة عليه والسلام ، ــ الى يوم البعث والقيام ، فقال من لم يزل غفورا رحيما ، اجلالا لنبيه وتعظيما ، وولاية له وتنويها وتشريفا له وتكريما ، وارشادا لنا وتعليما «ان الله وملائكته 5 يصلون على النبيء ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (430) .

صلوا وتوسلوا بالنبى الامى ، الهاشمى القرشى ، الابطحى المكى ، المدنى الحرمى ، الزمزمى الحجازي التهامى العربى (431) ، الذي جاء بالكتاب المضى ، والدين الحنفى ، 10 والقول الشرعى ، والحكم الجلى ، والمقام العلى ، ومكنه الله بلطفه الخفى ، وحقق له انجاز وعده الوفى ، فأشرقت فى الآفاق أنواره ، وتكررت فى المسامع أخباره ، وظهرت للابصار معجزاته ، وبلغت به حجة الله وتمت كلماته ، وختم الله به كل رسله وأنبيائه ، وأمر القمر بطاعته فأجابه بالتلبية عند ندائه ، 15 وانشق على نصفين عند دعائه ، لما امره بالانشقاق انشق ، وتفرق وسطا وأشرق ، وتكلم ونطق ، وشهد له بالرسالة والحق (432) ، وركب البراق ، وغاب عن الابصار

---

3) وتنويها : ل ن ، وتتميما : ص ك.

5ـ6) (على النبى ، يا ايها الذين آمنوا ... تسليما) : ص ك ل ، على النبى ــ الآية : ن

14) بالتلبية : لن ، بالتنبيه : ص ك .

---

430) الآية : 56 ــ سورة الاحزاب .

431) انظر المواهب اللدنية بشرح الزرقانى 3/119ـ151 .

432) انظر فى معجزة انشقاق القمر ، شرح القاري والخفاجى على الشفا 3/2ـ9 ، والزرقانى على المواهب 5/106ـ113.

والاحداق (433) ، واخترق الفضاء والسبع الطباق (434) ، الى مناجاة الملك الخلاق ، فبلغ غاية أمده ، ودنا من ربه حتى تناول ثمار القرب بيده ، « دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين او أدنى » (435) ، وبلغ كل وصل ومنى ، وأعطى جميع ما تمنى، ففاز بالامان وكلمه الرحمان ، من غير واسطة ولا ترجمان ، فنزل من ادراجه ، والليل باق فى دواجه ، وبشر اصحابه وأزواجه بما عاين فى معراجه (436) ، صفاته جميلة ، وذاته جليلة ، وأفعاله نبيلة ، فى شعره سبج (437) وفى جبينه بهج (438) ، وفى حاجبه زجج (439) ، وفى عينه دعج (440) ، وثغره

5

---

6) فنزل من ادراجه : صلن، فسرى ادراجه : ك ، دواجه : صلكن، داجه : ل.

7) صفاته جميلة وذاته جليلة : ل، صفاته جليلة وذاته جميلة : صلكن (غنج) كذا فى سائر النسخ ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

---

433) حديث البراق اخرجه الشيخان ، انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري 122/7 وصحيح مسلم بشرح النووي 55/2 .

434) انظر فى قصة الاسراء والمعراج ، تفسير ابن كثير 2/3—124 ، وشرحى القاري والخفاجى على الشفا 232/2 — 239 ، والزرقانى على المواهب 2/6 .

435) الآية 9 ، سورة النجم .

436) انظر الزرقانى على المواهب 27/6—28.

437) السبج : الخرز الاسود ، وانظر فى صفة شعره — صلى الله عليه وسلم — الشمائل للترمذي بشرح جسوس 20/1 ، 29، 50 ، 54 ، والمواهب اللدنية بشرح الزرقانى 200/4—204.

438) بهج : اي نور وتلألؤ . انظر جسوس على الشمائل 129/1.

439) الزج : تقوس فى الناصية مع طول فى طرفه وامتداده انظر جسوس على الشمائل 29/1 ، والقاري والخفاجى على الشفا 330/1 ، واللسان (زجج) .

440) الدعج : شدة سواد العين . انظر جسوس على الشمائل 26/1 ، والخفاجي على الشفا 339/1 ، واللسان (دعج) .

فلج (441) اذا مشى كان اعدل (442) الناس ، واذا تكلم
أفصح (443) الناس ، واذا جلس أعلى الناس (444) ، واذا
وعظ أبكى الناس (445) ، صاحب الوجه المليح ، والفم السبيح
واللسان الفصيح ، والقول النصيح ، والفعل الرجيح ، والدين
5 الصحيح ، والنسب الصريح ، الرحيم الودود ، صاحب اللواء
المعقود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، والوفاء بالعهود
والكرم والجود ، والشفاعة في يوم الخلود ، صاحب القدر
الجليل ، والفعل الجميل ، والطرف الكحيل ، والخد الاسيل ،
والسيف الصقيل ، وعين السلسبيل ، وكاس الزنجبيل ، من أخبر
10 به التنزيل ، وبشر به التوراة والانجيل، الموقر ، المعزر (446) ،
صاحب الخطبة والمنبر ، والعمامة والمغفر (447) ، والقضيب
والمحشر ، والحوض والكوثر ، والجبين الازهر ، الوجه
الاقمر ، والحسب الاطهر ، والنسب الاشهر ، والحظ الاكبر ،

---

8) الاطهر : ن ، الاظهر : صكل.
13) والفعل : ص ك ن ، والعقل : ل.

---

441) اي في تثنيته فلج انفراج وتباعد بينهما . انظر شرح جسوس على الشمائل 31/1 ، والخفاجي 330/1.

442) انظر في مشيه – صلى الله عليه وسلم – شرح جسوس على الشمائل والقاري على الشفا 385/1 ، 9/1 ، 34 و ص 143، والزرقاني على المواهب 216/4–220 .

443) انظر في فصاحته (ص) – جسوس على الشمائل 14/2 ، والقاري والخفاجي على الشفا 385/1 .

444) انظر الزرقاني على المواهب 201/4 .

445) انظر في بكائه – صلى الله عليه وسلم ، شرح جسوس على الشمائل 105/2–112 .

446) المختون ، اى الذي ولد مختونا . انظر الزرقاني على المواهب 244/5 .

447) المغفر : البيضة التي يضعها على راسه المحارب . وحديث المغفر اخرجه الجماعة .

من بشر وأنذر ، وخوف وحذر ، وحج واعتمر ، وحلق ونحر ،
وهلل وكبر ، وجاهد وانتصر ، وقاتل من كفر ، وبدين الله أمر ،
الطاهر المطهر ، المنتخب من خيار أخيار مضر ، المؤيد المنصور ،
المجد المشكور ، الشهير المذكور ، صاحب اللواء المنشور ،
5 والجيش الجمهور ، والبدن الصبور ، والقلب الشكور ، واللسان
الذكور ، والبهاء والنور ، والولدان والحور ، والغرف والقصور ،
النبى المختار ، الذى بشر به فى الجو الاطيار ، والحيتان فى لجج
البحار ، وكلمته الاحجار ، وسجدت له الاشجار ، وخمدت من
نوره النار ، ونسج عليه العنكبوت فى الغار ، معدن الحياء
10 والوقار ، وكنز الافتخار ، القائم بحجة الملك الجبار ، ومعلم
المهاجرين والنصار ، فى آناء الليل وأطراف النهار ، النبى الاواب ،
القائم فى المحراب ، الناطق بالصواب ، الفصيح فى الخطاب ،
من خضعت له الرقاب ، وتواضعت له الصعاب ، ودعا الى الله
وأناب ، المنصور يوم الاحزاب ، المنعوت فى كل كتاب ، النبى
15 المهذب ، الحسيب المقرب ، خير العجم والعرب ، محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب ، النبى المكرم ، المصطفى المحترم ، عهدنا
الذي لا ينفصم ، وحبلنا الذي لا ينصرم ، من ضمن لامته
الشفاعة — وهم فىعدم العدم ، خاتم الانبياء ، وقدوة
الاصفياء ، وامام الاتقياء ، وشفيع الاشقياء ، نبى الثقلين ،
20 واما مالحرمين ، وسيد الكونين والفريقين ، وجد السبطين
الحسنين ، وابن الذبيحين ، من نصره الله فى بدر وحنين ،
وستره فى الغار فلم تره عين ، خاتم النبيين ، وامام المرسلين،

---

3) خيار : كن، خير : صل . المؤد : ل، المجود : صرك، المهد : ن.

7) المختار : ص ك ن ، المختار (صلى الله عليه وسلم) : ل .
و كلمته : كلن ، كلمته : ص .

9) نوره : ص ل ن ، من دونه : ك .

21) فى بدر : ل ، فى يوم بدر : صن ، يوم بدر — باسقاط (فى) ك .

وسيد الآخرين ، ومولى الاولين ، وحبيب رب العالمين ، انزل
الله فيه طه ويس ، و « انا فتحنا لك فتحا » الفتح المبين ،
وسماه بالمطاع والمكين ، واوصاه باليتيم والمسكين ، ونصره
على أعدائه المشركين ، رسول الله وخليله ، وصفيه ونجيه ،
5 وخيرته من جميع خلقه ، الذي جعل له الارض مسجدا
وطهورا ، وأحل له الغنائم ــ وكانت حجرا محجورا ، ونصره
بالرعب سنين وشهورا ، وأنزل عليه القرآن هدى ونورا ، فانتظم
لفظه مسطورا ، فاحيا نفوسا وشفى صدورا ، وبعث الى
الى الاحمر والاسود ونهج سعيا كان مشكورا ، فبلغ الرسالة ،
10 وأدى الامانة ، ولهج فى المقالة ، وسد مسلك الضلالة ، وقاتل
أهل الشرك والجهالة ، المختار من تهامة ، المخصوص بالتاج
والعمامة ، واللواء والحوض والكرامة ، الشفيع فى أهوال يوم
القيامة ، المنقذ من الحسرة والندامة ، الداعى الى الله
بالنجاة والسلامة ، نبى ظللته الغمامة ، وكلمته الغزالة ،
15 وبشرت به زرقاء اليمامة ، ودلت عليه الشامة والعلامة ، وكلمه
الذراع المسموم ، وشكا اليه البعير المظلوم ، ومن معجزاته
انه من الخلق معصوم ، صدع بأمر الله صدعا ، وقمع الباطل
قمعا ، وأعطى من الآيات البينات آلاف آلاف ، ان كان موسى
أوتى تسعا ، فما مجىء الشجرة تجر عروقها كرجوع
20 العصاحية تسعى ، وما تفجر الحجر بأعجب من أنامله اذ نبعت
بالزلال نبعا، وكم من معجزة له تظهر ، وآية هى من أختها أكبر،
رجعت له الشمس وانشق له القمر ، وسلم عليه الذئب ، وكلمه

---

1) وسيد الاخرين ، ومولى الاولين : صكل ومولى الاولين وسيد الاخرين : ن .

18ــ19) ان كان موسى اوتى تسعا : ن ، ان كان اوتى موسى آيات تسعا : ص ك ل .

19) الشجرة : ل ، الشجر : ص ك ن .

الحجر (448) ، وبعثه الله رحمة للعالمين ، ونعمة للمسلمين ، وعصمة للنادمين ، ونقمة للظالمين ، واستخرجه من شجرة طيبة أصلها فى الارض نابت ، وفرعها فى السماء ثابت ، بسق من الخليل عودها ، وانشق باسماعيل عمودها ، وتم بمحمد — صلى الله عليه وسلم — صعودها ، الحق زهرتها ، والصدق ثمرتها ، والهدى قنوانها ، والتقوى أغصانها ، من تعلق بها سلم ، ومن لجا اليها عصم ، ومن استظل بها غنم ، ومن عاندها حطم، ومن خاصمها قصم ، اشهد يا من حضر — والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا ، — ان ما خلق الله أنقى ، ولا أنقى ، ولا أرقى ، ولا أزكى ، ولا أذكى ، ولا أبهى ، ولا أنهى ، ولا أوفى ، ولا أصفى ، ولا أكفى ، ولا أشفى ، ولا أفضل ، ولا أكمل ، ولا أجمل ، ولا أجل ، ولا أعدل ، ولا أعقل ، ولا أملح ، ولا أصفح ، ولا أنصح، ولا أصلح، ولا أسمح، ولا أنجح، ولا أفلح، ولا أكرم، ولا أرحم، ولا أحلم، ولا أعلم، ولا أحكم ولا أفهم ، ولا أعظم، ولا أعبد، ولا أزهد، ولا أمجد، ولا أنجد ، ولا أجود ، ولا أوحد ، ولا أصعد ، ولا أقعد ، ولا أسعد ، ولا أسجد ، ولا أركع ، ولا أرفع ، ولا أشجع ، ولا أنفع ، ولا أقمع ، ولا أمنع ، ولا أخشع ، ولا أشفع ، ولا وطىء الثرى ، ولا السرى ، ولا ولدت ثيب ولا عذرا ، ولا يلدن ابدا ، — مثل سيدنا ونبينا ومولانا محمد — صلى الله عليه وسلم — تسليما ، عميا مستديما ، ما نطق ناطق ، وا راقب عاشق ، وما ذر شارق ، وشرف وكرم ، ومجد وعظم ، وجاد وأنعم ، وتحنن وترحم ، وعلى آله الطيبين ، الراضين المرضيين ، ورضى الله عن أنصاره وأصهاره وخلفائه الراشدين ، وعن الائمة المهتدين ،

1) وما راقب عاشق : صركل ، ورقب غاسق : ن.

448) ذر : طلع .

449) لعله اراد به المعنى اللغوي — وهو الستر ، فيناسب ما عطف عليه .

وعن عامة أصحابه أجمعين ، ومن عمل بسنته الى يوم الدين ؛
ادعوك ــ اللهم ــ وأتضرع اليك ، بكل من دعاك وناداك ، يا الله،
يا الله ، يا رحمان ، يا رحيم ، يا حنان ، يا منان ، يا ديان ،
يا حليم، يا كريم، وبتعميم كريم كرمك، وباقرار قرار عرشك،
5 وبطول حول قوتك ، وبتأكيد تاييد وكيد أرك ، وبايجاد
انفاذ كلماتك، وبتمجيد تحميد توحيد وحدانيتك، وبتبجيل تجليل
تهليل مشتك ، وبجلال جمال كمال ربوبيتك ، وبتبجيل تجليل
نور وجهك ، وبرضوان امان غفران رحمتك ، وبعظيم تكريم
تحكيم مملكتك ، وببديع منيع رفيع الوهيتك ، وبديموم قيوم
10 سلطانك ، وبتحقيق الحق من حقك ، وبمكنون السر من سرك ،
وبوحدانيتك ، وبصمدانيتك ، وبربوبيتك ، وبطهارتك ، وبجبروت
ملكك ، وبعزتك الباهرة ، وبقدرتك القاهرة ، وبرحمتك الواسعة،
يا من ليس فوقه شىء فيظله ، ولا له خلف فيسده ، ولا
أمام فيحده ، ولا جانب فيبعده ، يا من تنزه عن الفكر
15 والضمير ، يا من تعالى عن الشبيه والنظير ، يا من جل عن
المشرف والوزير ، يا من « ليس كمثله شىء وهو السميع
البصير » .

« يا لطيف ، يا لطيف ، يا خبير ، أسألك اللهم وأتوسل
اليك ، بشفاعة نبينا محمد ، بشجاعة نبينا محمد ، ببراعة
20 نبينا محمد ، بطاعة نبينا محمد ، بقناعة نبينا محمد ،
بسعادة نبينا محمد ، بعبادة نبينا محمد ، بزهادة
نبينا محمد ، بسيادة نبينا محمد ، بديانة نبينا
محمد ، بصيانة نبينا محمد ، بسياسة نبينا محمد ،

---

4) عميم كريم كريم كرمك : صلكل ــ كريم ساقطة فى ن. وباقرار قرار عرشك : قل ، وباقرار اقرار قرار عرشك :كن.
5ـ6) فلا يجاد انفاذ كلماتك : صركن، وبايجاد انقاذ انفاذ كلماتك : ل.
6) وبتحميد تمحيد : كلن ، وبتمجيد تحميد : ص .

برسالة نبينا محمد ، برئاسة نبينا محمد ، بسلامة
نبينا محمد ، بكرامة نبينا محمد ، بعمامة نبينا
محمد ، بعمامة نبينا محمد ، بملاحه نبينا محمد ، بفصاحة
نبينا محمد ، ، بسماحة نبينا محمد ، بانابة نبينا
5 محمد ، باجابة نبينا محمد ، باهابة نبينا محمد ، بحظ
نبينا محمد ، بحوض نبينا محمد ، بامر نبينا محمد ،
بدعاء نبينا محمد ، بنداء نبينا محمد ، برداء نبينا
محمد ، بحنان نبينا محمد ، بثناء نبينا محمد ، بسناء
نبينا محمد ، بسخاء نبينا محمد ، بوفاء نبينا محمد،
10 بصفاء نبينا محمد ، بارتقاء نبينا محمد ، باهتداء نبينا
محمد ، باقتداء نبينا حمد ، بعلم نبينا محمد ، بفهم نبينا
محمد ، بحلم نبينا محمد ، بفضل نبينا محمد ، بعدل نبينا محمد
بسنة نبينا محمد ، بملة نبينا محمد ، بجلال نبينا محمد ،
بجمال نبينا محمد ، بكمال نبينا محمد ، بأفعال
15 نبينا محمد ، بأقوال نبينا محمد ، بنوال نبينا محمد ،
بخصال نبينا محمد ، بخشوع نبينا محمد ، بخضوع
نبينا محمد ، بركوع نبينا محمد ، بسجود نبينا محمد،
بدموع نبينا محمد ، بتواضع نبينا محمد ، بتضرع نبينا
محمد ، بوعود نبينا محمد ، بعهود نبينا محمد ،
20 بورود نبينا محمد ، بوجود نبينا محمد ، بجود نبينا
محمد ، بجدود نبينا محمد ، ببيان نبينا حمد ، ببرهان
نبينا محمد، بايمان نبينا محمد، بأمان نبينا محمد، بمنهاج نبينا
محمد بسراج نبينا محمد ، بمعراج نبينا محمد ، بادراج نبينا
محمد ، بقيام نبينا محمد ، بصيام نبينا محمد ،
25 باحرام نبينا محمد ، باكرام نبينا محمد ، بسلام
نبينا محمد ، بكلام نبينا محمد ، باقدام نبينا

1) برسالة نبينا محمد : ص ك — ل ن .
3) بملاحة نبينا محمد : ل — ص ك ن .

محمد، بزمام نبينا محمد، بنصر نبينا محمد بصبر نبينا محمد، بفخر نبينا محمد ، بذكر نبينا محمد ، بشكر نبينا محمد ، بصدر نبينا محمد ، بقلب نبينا محمد ، بحب نبينا محمد ، بطب نبينا محمد ، بقرب نبينا محمد ، بحسب نبينا محمد ، بصدق نبينا محمد ، بسبق نبينا محمد ، بحق نبينا محمد ، باذكار نبينا محمد ، باسرار نبينا محمد ، بانوار نبينا محمد ، بمقدار نبينا محد ، بسيرة نبينا محمد ، بسريرة نبينا محمد ، بعشيرة نبينا محمد ، و وبكل فضل ينسب الى سيدنا ومولانا محمد ، وآل سيدنا ومولانا محمد ، — أن تصلى على سيدنا ومولانا محمد ، وان تقبل فينا شفاعة سيدنا ومولانا محمد ، بجميع مطالبى منك ، كما لا غنى لى عنك ، يا أرحم الراحمين ، اللهم — وكما حببته وقربته ، وكما حفظته وحجبته ، وكما أخبرته ونبأته ، وكما اخترته وطيبته ، وكما أسميته ورفعته ، وكما أعطيته وشفعته ، — اقبل فينا شفاعته ، وارزقنا بركته ، وقناعته ، ومحبته وطاعته، وصل صلاتك — يا ربنا — عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين ، الراضين المرضيين ، — عدد ما فى علم الله ، صلاة دائمة بدوام ملك الله ، وعدد ما خلقت وانت خالق — الى يوم الدين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

انتهت ، قلت ولا خفاء ان هذا الكلام مياسم الوصول عليه لائحة ، ونواسم القبول لديه غائحة ، وكيف لا وقد اشتما على

---

12) مطالبى : ص بطلبى : ك ل ن .
15) اسمته ورفعته : ص ن ، واسميته ورفعته : ك ل ، ورفعته وشفعته: ك ل ، رقيته وشفعته : ن، اعطيته وشفعته :ص شفاعته :ك ل ن، شفاعة سيدنا محمد : ص .
17) واصحابه : ك ل ن ، وصحبه : ص .

جملة من اوصاف الماحى العاقب ، ونبذة مـمـا له من المفاخر والمناقب ، فحق لمن توسل الله به أن يجاب ، ولمن تـوصـل بسببه ان يزال عن قلبه الحجاب ، وينزاح عنه ظـلام الران وينجاب، ويتيه عند سماعه ويلحقه الاعجاب ، ولعمـري أن مثل هذه الوسيلة نظيرها قليل ، وهى على صديقية صاحبهـا أعظم دليل ، نسأل الله ــ بجاه هذا النبى المتوسل به فيها ــ أن يجعلنا من خيار أمته ، وأن يديم لنا عوارف نعمته ، ويختم لنا بالحسنى ، ويلحقنا بالمقام الاسنى ، ويقينا فى الـداريـن من المهالك ، ويسلك بنا أحسن المسالك ، انه على ذلك قـديـر ، وبـالاجابـة جديـر .

وقد سلك هذا المسلك الحسن جماعة يـطـول تعدادهم ، فمنهم المطول ، ومنهم المختصر ، ولنذكر بعض ذلك على سبيل التبرك بهذا النبى المصطفى ، عليه أفضل الـصـلاة وأزكـى السلام ، ومن ذلك ما وجد بخط بلدينا الشيخ الامام الصالح سيدى محمد بن عمر الملالى ــ رحمه الله ــ وهى :

اللهم صل على سيدنا محمد بحر أسرارك ، ومعدن انوارك، ولسان حجتك ، وعروس مملكتك ، وطراز ملكك وخازن رحمتك، وطريق شريعتك المتلذذ بمشاهدتك ، عين أعيان خلقك ، المتقدم من نور ضيائك ، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين . اللهم يا سامع الدعاء ، لا تخيب الرجاء ، لك الملجأ ، واليك الملتجأ ، وبك النجاء ، عليك توكلت ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه ــ وسلم توسلت ــ نبى الهدى . انتهت .

ومن ذلك ما وجدته فى بعض المجاميع ، أن يقال ــ بعد ركعتى الفجـر بـ « الم نشرك » و « ألم تر » ــ ما نصه :

---

5) نظيرها : ك،ن ، نظيرتها : ص .
11) فمنهم : ك،ن ، منهم : ص .

اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد سيد الاولين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين ، السيد الكامل ، الفاتح الخاتم ، الحبيب الشفيع ، الرؤوف الرحيم ، الصادق الامين ، السابق للخلق نوره ، الرحمة للعالمين ظهوره ، عدد من مضى
5 من خلقك ومن بقى ، ومن سعد منهم ومن شقى ، صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد ، صلاة لا غاية لها ولا منتهى ، ولا أمد لها ولا انقضاء ، صلاتك التى صليت عليه صلاة دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، لا منتهى لها دون علمك ، وعلى آله وأصحابه ، وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره ، وسلم مثل
10 ذلك ، والحمد لله على ذلك ، وأجر يا مولانا خفى لطفك ، فى أمورنا وأمور المسلمين كذلك . انتهت .

قيل هذه الصلاة تعدل عشرة آلاف صلاة ، وفضل الله واسع .

ومن ذلك صلاة الولى الصالح ، القطب عبد السلام بن
15 مشيش (450) ، أفاض الله علينا من بركاته :

اللهم صلى على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجزت الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض
20 أنواره متدفقة ، (وأرجاء الملك بسناء كماله مصبحة مشرقة) — ثبت هذا فى بعض النسخ ، وسقط فى الاكثر — ولا شىء الا وهو

---

3) الرؤوف الرحيم : ص ك ن — ل .
14) انتهت ومن ذلك صلاة الولى الصالح القطب سيدى عبد السلام بن مشيش : صكن . انتهت وهذه صلاة مباركة : ل ، ففيها تقديم وتـأخير .

---

450) ابو محمد المولى عبد السلام بن مشيش ، توفى فى حدود سنة (625 هـ). انظر مرآة المحاسن ص 187—188 ، والاستقصا 236/2 — 237 .

به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب ــ كما قيل ــ الموسوط ،
صلاة تليق بك منك اليه ــ كما هو أهله ، اللهم انه سرك الجامع
الدال عليك، وحجابك الاعظم القائم بك بين يديك، اللهم الحقنى
بنسبه ، وحققنى بحسبه ، وعرفنى اياه معرفة اسلم بها من
5 موارد الجهل ، واكرع بها من موارد الفضل ، واحملنى على
سبيله الى حضرتك ، حملا محفوفا بنصرتك ، واقذف بى على
الباطل فادمغه ، وزج بى فى بحار الاحدية ، وانشلنى من اوحال
التوحيد ، واغرقنى فى عين بحر الوحدة ، حتى لا ارى ولا أسمع
ولا أجد ولا احس الا بها ، واجعل الحجاب الاعظم حياة روحى،
10 وروحه سر حقيقتى ، وحقيقته جامع عوالمى ، بتحقيق الحق
الاول ، يا اول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، اسمع ندائى بما
سمعت به نداء عبدك زكرياء (451) ، وانصرنى بك لك ،
وأيدنى بك لك ، واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك ،
الله ، الله ، الله ، « ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى
15 معاد » ، « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا »
« ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهىء لنا من أرنا رشدا » ، «ربنا
آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا» (452). انتهت.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وهذه صلاة مباركة نقلتها من خط سيدنا العارف الربانى
20 سيدى حسين الزرويلى (453) ــ حفظه الله .

---

19) الربانـــى : ص ل ــ ك ن .

---

451) المعروف ذكر (عليه السلام) ــ بعده .

452) الآية : 10 ــ سورة الكهف .

453) من معاصري ابى العباس المقرى ، قال فيه : وافادنى الشيخ العارف المتبتل الربانى البركة ... انظر ازهار الرياض 24/1 . وانظر فى ترجمته : سلوة الانفاس 210/1 ، و ج 326/3.

وهى : اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ، الرحمة فى العالمين ظهوره (454)، عدد من مضى من خلقك ومن بقى ، ومن سعد منهم ومن شقى ، صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد ، لا غاية لها ولا انتهاء ولا انقضاء . تنيلنا بها منتهى الرضى ، صلاتك التى صليت عليه ، دائمة بدوامك ، باقيه ببقائك ، لا منتهى لها دون علمك ، — انك على كل شىء قدير . انتهت .

وبخطه أيضا :

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله ، عدد نعم الله وافضاله ، قال انها صلاة مباركة .

ومن خطه أيضا :

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد بحر أنوارك ، ومعدن أسرارك ، وامام حضرتك ، وعروس مملكتك ، ولسان حجتك . وقائد الغر المحجلين الى جنتك ، صلاة دائمة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين . انتهت

ومنه : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله واعطه الوسيلة ، واجعل فى المصطفين صحبته ، وفى العالمين درجته ، وفى المقربين داره ، اللهم تقبل شفاعة سيدنا محمد الكبرى ، وارفع درجته العليا ، وآته سؤله فى الآخرة والاولى ، — كما آتيت ابراهيم وموسى — يا رب العالمين . انتهت .

1) (وهى اللهم صل ...) ك ل — ص ن .
4) تنيلنا : ك ، وتنيلنا : ل.
لا منتهى : ك ، ولا منتهى : ل
نعم الله : ل ، نعم السماء : ك.
انتهى : ل ، انتهت : كن .
7) وبخطه ايضا — من هنا — الى قوله : وهذه صلاة الامام أبى اسحاق — ساقط فى نسخة ن.
8) واجعل : ك ، واجعله : ل .

454) يأتى للمؤلف ، ان هذه التصلية من بين الصلوات المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلانى .

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آ لسيدنا محمد ، صلاة تنجينا بها من جميع الاهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها اعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات ، من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات . 5

انتهـى ما وجدته بخط هذا الشيخ ، وبعضه مرفوع ، وقد ذكر ذلك غير واحد ، وقصدي بذكر ذلك التبرك .

وافادنـى الشيخ العارف الشريف الحسنى سيدي محمد ابن على بن ريسون (455) :

10 اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله ، كما لا نهاية لكمالك وعد كماله ، قال : والصلاة بالف او عشرة آلاف — الشك منى لطول العهد ولم أجد فى الحالة البطاقة التى نقلت عنه فيها ذلك.

وهذه صلاة أخرى، لها بركة، وهى لسيدي أبى (456) المواهب — نفعنا الله به — :

---

7) وقصدي بذكر ذلك : ل ، وقصدي بذلك — باسقاط (بذكر) : ك.
(الشيخ العارف الشريف الحسنى) : ل ـ ك . سيدي محمد بن على : ل ، سيدي على — باسقاط (محمد بن) — : ك.
بها : ل ـ ك ، الشك : ك ، بشك : ل.
نقلت : ل ، كتبت : ك. الى هنا انتهت المقابلة مع نسختى ك و ص ولم يبق معنا الا النسختان : ل و ن .

---

455) ابو عبد الله محمد بن على بن ريسون العلمى ، نزيل تزروت (ت 1018 هـ) . انظر صفوة من انتشر ص 66 — 67 ، والمرآة ص 205 ، وممتع الاسماع ص 122 والاعلام لعباس بن ابراهيم 235/4 .

456) لعله يعنـى به ابا المواهب محمد بن زغدان الشاذلى التونسـى (ت 882 هـ) .
انظر نيل الابتهاج ج ص 322 ، وجمهرة الاولياء ص 260 ، وشجـرة النـور ص 257 .

اللهم صل على حضرة الاسرار ، ومنبع الانوار ، مطهر النفوس من الرذائل ، واطهر مولود فى سائر القبائل ، عروس المملكة الربانية ، وبهجة الاختراعات الاكوانية ، وامام الحضرة القدسية ، معلم الخير ، واعلم الخلق ، وناصح الامة ، وحبيب الحق ، أكرم الانبياء والمرسلين ، ورسول رب العالمين ، سيدنا 5
ومولانا محمد — صلى الله عليه وسلم ، سيد السادات ، وقطب دوائر السعادات ، وسلم عليه على قدر مقامه ، واجلاله واعظامه واكرامه ، والحمد اللهو كفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، صلاة وسلاما دائمين بدوامك ، باقيين ببقائك ، لا منتهى لهما دون علمك ، انك على كل شيء قدير . انتهت . 10

وهذه صلاة الامام العارف الربانى الولى الصالح سيدي أبى اسحاق ، ابراهيم بن الحاج السلمى البلغيقى ثم المريى، دفين مراكش (457) — حرسها الله ونفعنا به .

قال ابن خاتمة : حكى هذه الصلاة شيخنا أبو البركات ابن الحاج ، عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى ابى الاصبغ بن 15
عزرة ، قال :

أخذتها عن رابك (458) الشيخ الصالح الحاج أبى عبد الله محمد بن على بن الحاج — مشافهة ، وقال لى : انها صلاة سيدي ابى اسحاق بن الحاج ، وهى :

اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، صلاة دائمة 20
مستمرة تدوم بدوامك ، وتبقى ببقائك ، وتخلد بخلودك ، ولا

---

10) لهما : ل : ، لها : ن
12) فى الاصلين : (ابو) ولعل الصواب ما اثبتناه .

---

457) انظر فى ترجمته التكملة 166/1 طبع مصر ، ونيل الابتهاج ص 34—35 ، والاعلام لعباس بن ابراهيم 154/1 — نشر المطبعة الملكية بالرباط ، والاستقصا 235/2 .
458) يعنى مربيك — كما فى حواشى نسخة (ل) عن المؤلف .

غاية لها دون مرضاتك ، ولا جزاء لقائلها ومصليها غير جنتك ، والنظر الى وجهك الكريـــم (459) .

قــال : وله ــ رضى الله عنه ــ دعاء ، وهو من المأثور عن ابى هريرة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما وجه جعفرا الى الحبشة ، شيعه وزوده بكلمات ، قال : قل : اللهم الطف لى فى تيسير كل عسير ، فان تيسير العسير عليك يسير ، وأسالك اليسر والمعافاة فى الدنيا والآخرة .

وهذا دعاء آخر له ــ رضى الله عنه ــ كان يستفتح بـــه مجلسه بالمرية ، قال ابن خاتمة نقله شيخنا القاضى ابو البركات من خط الولى ابى العباس بن مكنون (560) ، وهو :

اللهم اجعلنا فى عياذ منك منيع ، وحصن حصين ، وولاية جميلة ، حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين ، مبشريـــن برضوانك يوم لقائك . قال : وفى وسط الدعاء وآخره : واكفنا عدونا ابليس ، وأعدءنا من الجن والانس ، بعافيتنا وسلامتنا ــ انـــتـــهـــى .

ومن بديع كلام ابى اسحاق المذكور قوله : الناس اذا كان الفاضل حيا لم يقصدوه ، فاذا مات وصار جيفة مثلهـــم قـــصـــدوا قـــبـــره .

ومن كلامه ــ ايضا ــ : من احب معرضا عن الله ، سقط من عين الله ، ومن أحب لله وأبغض لله ، فهو من صفوة الله .

ومن رشيق كلامه : الذي صححته التجربة ــ : السودان لا يخدمهم الا من قلبه لونهم .

---

459) واورد هذا الدعاء فى النفح ، انظر ج 477/5 .

460) ابو العباس احمد بن محمد بن مكنون اللخمى ، توفـــى فى حدود (660 هـ) . انظر الذيل والتكملة 1 ــ ق 518/2.

ومن اذكاره ـــ رضى الله عنه ـــ هذا الاستغفار : استغفر الله الذي لا اله الا هو الحى القيوم ، عالم الغيب والشهاذه الرحمان الرحيم ، وأساله التوبة النصوح ، والعفو عنى وعن والدي ، وعن اخوانى ، عن الذين ظلمونى ، وعن الذين ظلمتهم ، وعن كل مذنب من المسلمين ، من كان منهم أو يكون ، وأساله طهارة السر من حب الدنيا ، ومن حب أهلها ، ومن حب المحمدة ، ومن خوف المذمة ، ومن السعى فى حظ نفسى ، ومن الانتصار لها ، ومن الحسد والشك والشرك والاعجاب ، ومن كل حائل وحجاب ، ومن غيبة المسلمين ، والكذب والدعوى والانتساب ، ومن الركون الى سبب من الاسباب ، يا حى يا قيوم، برحمتك أستغيث فأغثنى، ولا تكلنى الى نفسى، ولا لغيرك طرفة عين ، واصلح لى شأنى كله ، وشأ ناخوانى ، وثبت قلبى على دينك حتى ألقاك ـــ وانت راض عنى برحمتك يا ارحم الراحمين . انتهى .

وكان سيدى ابو اسحاق المذكور ذا مقامات كبيرة ، وكرامات شهيرة ، فمن كراماته ما حكاه الاستاذ ابو جعفر ابن الزبير (461) ، عن الشيخ أبى العباس بن فرتون (462)، قال حدثنى صاحبنا الفقيه القاضى ابو محمد عبد الله البخاري بمدينة سبتة ، قال دخلت مع بعض أصحابى على الشيخ ابى اسحاق بموضع سكناه بالمرية ـــ زائرا فسأل عنى

461) ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقافى الغرناطى ، صاحب كتاب (صلة الصلة) (ت 708 هـ).
انظر الاحاطة 72/1 ، والدرر الكامنة 84/1 ، والبدر الطالع 33/1 ، وشذرات الذهب 16/6 .

462) ابو العباس احمد بن يوسف بن فرتون ، من اهل فاس ، سكن سبتة ، وظل بها الى ان توفى سنة (660 هـ) له « الذيل على الصلة » وسواه .
انظر جذوة الاقتباس ص 46 ، ونيل الابتهاج ص 63 .

فاخبره المسؤول أنى اسدد فى البوادي بالقضاء ، وأنى أتحرى فلا آخذ شيئا الا من توثيقـــى ، قال فتنمر الشيـــخ وقـــال : من امر القاضـــى أن يأخذ شيئا ؟ هل هو واسطة بين الله وبين الناس ؟ قال : فقلت ان بى حمى ، فادع الله ان يصرفها عنى ، 5 فقال : لاي شيء تقول هذا — وكل يوم يعدد عليك فى ذلك أجر ؟ ثم همس بشفتيه وحركهما — داعيا ، ثم قال لى : لا عليك ، فما تراها أبدا ، قال : فلم تأخذنى حمى من ذلك الوقت الى الآن .

ومن كراماته — رضى الله عنه — انـــه كـــا منن جملة أصحابه رجل ناسك فاضل قاريء ، يصلى به التراويح فى شهر 10 رمضان فى ابان العصير ، وكان أبو اسحاق فى جنة له بخارج المرية ، وكان يقدم فى كل ليلة لذلك القاريء ولجماعة من اصحابه — طبقا بعنب وثريدا بعد ذلك ، فلما كان فى بعض الايام جاء ذلك القاريء ليتوضأ فى صهريج تلك الجنة بعد العصر ، فرأى العنب فى العريش الذي على الصهريج ، فحدثته نفسه بـــأن 15 لو قرب المغرب ليأكل منه ، ثم عاد على نفسه باللوم لتعلقهـــا بالشهوات وهو صائم ، وعقد على نفسه فيما بينه وبين الله — تعالى — عقدا ان لا ياكل العنب بقية سنته تلك ، فلما جاء المغرب، قدم لهم الشيخ بعد المغرب الثريد ، ولم يقدم العنب ، فبقـــى القاريء متعجبا ، فقال له الشيخ : ما شـــأنـــك ؟ فقـــال له : 20 يا سيدي، كنت قد عودت الا صحاب عادة ولم نرها الليلة؟ فقال له الشيخ : انت فعلت ذلك ، فلم يسعنا الا موافقتك فيما عقدته مع الله ، قال : وبقـــى الشيخ لم يأكل العنب سنـــتـــه تلك ، لموافقته التلميـــذ .

(قلت) : ومن أغرب ما شاهدته من كرامات الشيخ ابـــى 25 اسحاق — رضى الله عنه : انـــى كنت اكتب كراماته هذه فى يوم عظيم المطر — وأنا قريب من موضع نزول المطر لامر اقتضـــى

ذلك ، وماء المطر مجتمع أمام موضع جلوسي ، فطارت الورقة
من يدي لسبب اقتضى ذلك ، ووقعت على موضع الماء ، فاغتممت
لذلك — خوف ان أعيد الورقة ، ولم أبادر أخذ الورقة لبعدها
مني ، فجاءت صبية عادتها ان تناولتني ما بعد عني .
5 فرأت الورقة على موضع الماء ، فتناولتها من طرفها فلم تمسكها،
بل زادت حركة على موضع الماء ، فازددت غما ، ثم اخذتها مرة
أخرى ، فناولتني اياها ، فبالله الذي لا اله الا هو ،ما اصاب
موضع الكتابة من ذلك شيء البتة — ببركة هذا الشيخ .
وأصاب آخر الطرة من ذلك شيء نادر مثل رؤوس الابر .
10 فسبحان من خصهم بمنحه الفاخرة ، نساله — سبحانه — ان
ينفعنا بهم دنيا وآخرة ، وكان هذا — وانا اكتب فى مسودة هذا
الكتاب يوم الاربعاء ثانى ربيع النبوي من عام سبع
وعشرين (463) وألف

ولنعد الى ذكر هذا الشيخ فنقول : كان رحمه الله أحد
15 الافراد العباد ، والاولياء الاتقياء ، الذين علا قدرهم وفاق ،
وطبق ذكرهم الآفاق ، وممن طار صيته كل مطار ، واخذت
جلالته بالاسماع والابصار ، وكان للمرية الشفوف به على
سائر الاقطار ، شمس الولاية وبدرها ، واوحد الاندلس
وصدرها . وكان — رحمه الله — مشهورا بالولاية، مرفوعا له
20 فى الدين والصلاح ارفع راية ، جاريا فى التبتل والانقطاع الى

---

(463) وهذا يدل على ان المؤلف لم ينته من هذا الكتاب الا بعد هذا التاريخ (1027) — بمدة ، ونرجح ان يكون اكمله — وهو بالمشرق — بعد ادائه فريضة الحج ، وربما حرر بعض فصوله فى الروضة الشريفة .
وما ذكره محققو الكتاب فى مقدمة ج 1 — (د) من انه الفه بمدينة فاس فى المدة بين سنتى (1013) و (1027) ، وتبعهم على ذلك محقق النفح ج 19/1 — لا يساعد عليه هذا النص — كما لا يخفى ، وقد اشرنا الى ذلك فى استدراكاتنا على الجزء الاول .

الله ــ تعالى ــ الى أبعد غاية، مع كمال العلم والمعرفة، والتحلى
من الفضائل بكل حلية حميدة الصفة ، ورسوخ القدم فى علوم
الحقيقة ، والجري فى سبيل سنة الصوفية على أقوم طريقة ،
والمشاركة فى فنون الآداب ، والاخذ من كل علم بلباب اللباب .
5 هكذا وصفه ابن خاتمة ، وقال : انه كان عالما عاملا ، فقيها
اديبا ، شاعرا محسنا ، سهل العبارة ، لطيف الاشارة ، صوفيا
سنيا ، طاهرا سريا ، عالى الهمة ، كريم العشرة ، صادق
الفراسة ، عظيم الجاه فى القلوب ، سامى الرئاسة ، شديد
الالتزام لمذهب مالك ــ رضى الله عنه ــ ، لا يسمح من
10 مخالفته فى شيء ، قلما لازمه أحد الا وحسنت حاله فى دينه
ودنياه ولا دعا له الا ظهرت بركة دعائه فى عقبه وعقباه ، وكان
حصن بلغيق وما يليه ، هو موضع انتجاعه واستغلاله ، اذ كان
مملوكا له كثير من املاك ذلك الصقع واحقاله ، فصار بذلك
نجعة للفقراء والمساكين ، وكعبة للاولياء والصالحين ، يقوم على
15 من قصده ببره وارفاقه ، ويكفيه المؤن حتى ينسيه ذكر آفاقه،
فكان اليه حج كل حاج ، وزيارة ذوي الآمال والحاج ، ومع
ذلك فكان يقرىء جاهلهم القرآن العظيم ، ويعلمه من امور
دينه ما هو جدير بالتعليم ، ويصرف بطالهم فيما يناسب حاله
من الاشغال ، ويحضهم على اتخاذ الحرف وملازمة الاعمال ،
20 ويحمل من صحبه من أمر دينه ودنياه على أحسن الاحوال ،
وكان هناك ذا ارض اريضة ، وثروة عريضة ، فبسعة ما كان
يفيض عنه من العطاء ، ويعم رفده من قصده من كافة الانحاء ،
صار متهما عند بعض السفارة (464) الضعفاء ، بصناعة
الكيمياء ، كما رمى بذلك كثير من الاولياء .

---

464) لعله يعنى بهم القوم المسافرين الذين يكثرون الترحال اليه .

قال ابن خاتمة : حكى لى شيخنا حفيده القاضى ابو البركات (465) محمد بن محمد بن ابراهيم ابن محمد بن الشيخ الولى ابى اسحاق هذا ـ رضى الله عنه :

قال : نزل بالشيخ ابى اسحاق بن الحاج ـ رضى الله عنه ـ
5 بعض الفقراء السفارة ، وكان كلما قصده احد ، انزله وقام عليه برفده وضيافته ثلاثا ، ثم يساله عن حاجته ، فان كان ممن حاجته فى المقام وقام ، والا قضى حاجته وانصرف ، فسال هذا الفقير عن قصده ـ على العادة ، فقال له : انه بلغنى أنك تعرف الكيمياء ، واريد أن أصحبك وأخدمك ـ على أن تطلعنى
10 عليها ، وتعلمنى اياها ، فقال له : نعم ، فلما كان من الغد استصحبه حتى وقف به على ارض غامرة ، وشعراء ملتفة قد شرع بناسه وعبيده فى فتحها وتصييرها احقالا (466) للزراعة، واملاكا للاستغلال ، فقال له الشيخ أبو اسحاق : هذه كيمياء ابراهيم ، فان شئت تعلمها ، فتناول فاسا من تلك الفؤس ،
15 وخذ مكانك من الخدمة .

ومآثر هذا الولى مما يعيى التعديد ، ولا يزال يطرق سمعك منها جديد فجديد، قرأ القرآن العظيم لاول طلبه على الاستاذ ابى محمد البسطى (467) ، خطيب المرية ومقرئها ، وعلى

---

465) احد شيوخ ابن الخطيب ، توفى سنة (771 هـ) انظر فى ترجمته : الكتيبة الكامنة 127 ، والاحاطة 101/2 ، والمرقبة العليا ص 164 ، والديباج ص 164 ، والنفح 471/5 ، والاعلام لعباس بن ابراهيم 418/4 ـ 442 .

466) جمع حقل على غير قياس نحو احمال وافراخ وازناد ، وهو موقوف على السماع ، والقياس حقول . انظر كتاب سيبويه ج 175/2 ، وقارنه من ما فى ارشاد الاريب لياقوت الحموي ج 392/5 ، ومحاضر جلسات (المجمع اللغوي) بالقاهرة ـ الدورة الرابعة ص 51 .

467) ابو محمد البسطى من اهل المرية ، وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها . انظر التكملة ص 669 ، رقم (1704) طبع مصر .

الاستاذ المقريء الخطيب ابى الحسن على بن محمد بن مجبر الزهري (468) .

وأخذ عنه القراءات السبع افرادا وجمعا ، وعلى الاستاذ ابى القاسم محمد بن على بن محمد الهمدانى البراق ، وروى الحديث عن ابى الحسن على بن أحمد ، وعن المحدث أبى جعفر أحمد بن يحيى الضبـى (469) ، والقاضى أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن الفرس (470) وابى بكر محمد بن ابى زمنين (471) وابى عمر بن عات (472)، فى جماعة آخرين . وصحب بالمرية الشيخ العالم الربانى الزاهد صاحب الكرامات ، أبا عبد الله محمد ابن يوسف الغزال ، وقرأ عليه ، واخذ عنه ، وسلك على يديه . وصحب الشيخ أبو عبد الله الغزال ، الشيخ الولى سيدي أبا العباس بن العريف (473) ، وعلى يديه سلك ـ نفعنا الله بهم أجمعين .

---

468) ولعله يعنى به ابا الحسن على بن محمد الزهري البسطى ، الامام المتصدر فى فنون القراءات .
انظر الذيل والتكملة ج 5 – ق 403/1.

469) ابو جعفر احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبـى ، صاحب كتاب « بغية الملتمس ، فى تاريخ علماء الاندلس » (ت 599 هـ)
انظر التكملة ج 93/1 .

470) انظر فى ترجمته التكملة ج 1814 ص 651 .

471) ابو بكر محمد بن عبد الله بن عيسى بن ابى زمين البيري (ت 428 هـ) .
انظر التكملة : 377 ، والذيل والتكملة 294/6.

472) ابو عمر احمد بن محمد بن هارون النفزي ، المعروف بابن عات (ت 609 هـ) انظر الديباج ص 59 .

473) ابو العباس احمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجى ، المعروف بابن العريف ، من شيوخ التصوف ، وكان عالما عاملا (ت 536 هـ). انظر الصلة 81/1 ، طبع مصر ، وشجرة النور ص 133 ، والاعلام لعباس ابراهيم 5/2 ، طبع الرباط .

وكان الشيخ أبو اسحاق يواصل الصوم اربعين يوما . حكى ذلك من حاله غير واحد من أصحابه ، وانه بنى ثمانية عشر جبا فى مواضع متفرقة ، ونحو عشرين مسجدا ، وبنى اكثر سور حصن بلغيق ، كل ذلك من ماله (474) .

5 وله — رضى الله عنه — كرامات جمة مشهورة ، وكلمات دكر وحكمة مأثورة ، ويروى انه كان له ثلاث دول فى اليوم يتحلق عليه فيها فى مسجده ، ومى كلامه — رضى الله عنه — فى بعض رسائله : الصوفى : عبارة عن رجل عدل تقى صالح زاهد ، غير منتسب لسبب من الاسباب . ولا مخل بادب من
10 الآداب ، قد عرف شأنه وزمانه وملكت مكارم الاخلاق عنانه ، لا ينتصر لنفسه ، ولا يتفكر فى غده وأمسه ، العلم خليله ، والقرآن دليله ، والحق حفيظه ووكيله ، نظره الى الخلق بالرحمة، ونظره الى نفسه بالحذر والتهمة (475) .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : التصوف عدمك عندك فيه،
15 ووجودك عنده به، وقال أيضا : التصوف بدايته أيثار الحق على ما عداه ، ونهايته الغيبة بالحق عما سواه ، وقال أيضا : بنور التقريب ، يفرق بين البعيد والقريب ، وبنور الاختصاص ، يمتاز اهل الرياء من اهل الاخلاص . وقال فى بعض رسائله : اعلم يا أخى ان الفهم عن الله ، هو العلم الاكبر ، والنور الازهر،
20 والسنى الانور ، ولا سبيل الى اقتباس انواره ، والتماس أسراره — بالاستبداد ، ولا وجه لوجوده بالانفراد ، فان سره مصون ، ولا يعقله بفضل الله الا العالمون ، فمن عثر على الدليل ، هدى الى السبيل ، ومن اغتر بنفسه ، وتبنى ابناء جنسه ، حجب عن الحقيقة ، وسلب عن الطريقة ، وطفق يخبط عشوا ،
25 ويألف الهوى ، — عافانا الله واياك من سبيل ، بغير دليل ،

---

474) وانظر النفح 477/5 .
475) نفس المصدر .

وتوجه بغير وصول (476) . ومعاد السلام عليك ورحمة الله وبركاتـــه . ــ كتبه ابراهيم الضعيف عفا الله عنه .

وقـــال ــ رحمه الله ــ : من لم يكن فى بدايته صاحـــب مجاهدة ، لم يفتح له من هذه الطريقه شمة . وقال : لا ترض بنفسك فائدة ، فان حبك الشىء يعمى ويصم .

وقال : لو تصور صوفى منتصر منتسب ، لتصور زاهد مفتر مكتسب . وقال : دواء مرض القلوب ، تلاوة القرآن بالتدبر وصحبة الصالحين ، واللجاء الى الله تعالى بالاسحار . وقال : من جاهد برأي عالم مقبول فى الاسلام، صالح للقدوة والائتمام ظهرت عليه الاحوال الصديقية ، والمواهب الربانية . والالهامات الملكية ، وهؤلاء فى الاسلام خلفاء الرسل ، وامناء السبل . قـــال الله ــ تعالى ــ : « قل ان كنتم تـــحبـــون الله ، فاتبـــعونـــى يحببكم الله » (477) . وقال رحمه الله : المجاهدات الطهارة من الذنوب ، والمعاملات للتنظيف من العيوب ، والمراقـــبـــات لملاحظة الغيوب ، والمكاشفات تخرق الحجوب .

قال ابن خاتمة : وفى هذه اللفظة اشباع ــ والمحاضرات لمعاهدة المحبوب ، وكان رحمه الله لا يستعمل السماع ، ولم ينقل عنه انه كان ينكره على من يستعمله ، بل قيل أنه كان يعجبه الانشاد ، ويجد به وجدا شديدا .

ولد ــ رضى الله عنه ــ ببلفيق سنة ســبـــع وخمسيـــن وخمسمائة ــ فيما حكاه غير واحد ، وقال المكتب ابو محمد عبد الله بن على بن فرحون سنة اربع وخمســيـــن ، ونشأ فى كفالة والدته ، اذ كان والده قد توفى ، فدرس القرآن وجوده علـــى خطيبها المعروف بابن مهارش ، وبابن القصير ، وقرأ عليه جملة من التفريع ، وكان هذا الخطيب يلقب ببغل القرآن ، وكان رجلا صالحا مجودا للقرآن ، فلما ترعرع وبلغ مبلغ الرجال ، انتقل

---

476) نـــفـــس المـــصـــدر .
477) الآية 21 ــ آل عمران .

الى المرية ، وأقام بها ازيد من عشر سنين ، فقرأ القرآن بها ؛ والعربية على شيوخها ، كابى العباس بن اليتيم ، وغيره ممن مر ذكره ، ولزم صحبة الشيخ الناسك ابى عبد الله الغزال ، وجاهد نفسه على يديه وبارشاده — مدة مقامه بالمرية ، فانتفع بذلك ، وكان الشيخ الغزال يحبه ويقدمه ، ويثنى عليه ، وكان يتردد الى بلغيق لزيارة والدته فى الاعياد خاصة . فلما توفى الشيخ ابو عبد الله الغزال ، عاد الى بلغيق . وكانت والدته قد توفيت ، فتزوج ابنة خاله ، واقام هناك سنتين ، ثم انتقل الى ضيعته بظاهر طبرنش ، (478) فاقام بها يسيرا ، ثم انتقل الى المرية — باستدعاء واليها يومئذ ، السيد ابى عبد الله محمد بن السيد ابى زكرياء ابن الخليفة أمير المؤمنين ابن امير المؤمنين فحل بها واوطنها تحت بره واكرامه ، واستمر مقامه بها الى أن قدم على المرية — راليا جبايتها أحد الظلمة الغشمة ، وهو المشرف على بن ابى بكر ، فاحدث على الناس أحداثا منكرة ، فرفعوا أمرهم الى الشيخ ابى اسحاق ، شاكين اليه بحالهم معه ، وراغبين فى صرف ما حل بهم من قبله ، وكان هذا المشرف المسرف لاول قدومه على المرية يزور الشيخ أبا اسحاق ، ويظهر التبرك به ، فلما بلغه تغير الشيخ عليه ، ونكيره ما أحدث من المفاسد ، ورأى أن الحال تتغير عليه بسببه ، وان لا طاقة له بمكابرته ، كتب الى ظهيره الذي يستند اليه نظر السلطان بمراكش الوزير عثمان بن عبد الله بن ابى اسحاق بن جامع ، يشتكى اليه بحاله ، وما يتوقع من قبل الشيخ ابى اسحاق فى مآله ، وانه لا يتم له شىء معه من أعماله ، وزور له انه ذو اتباع واعوان، لا يومن من جانبه الثورة على السلطان،

(478) ورد ذكرها فى الاحاطة ، وقال عنها بعضهم :

خذها اليك طبرنشا	شنع بها وادى الاشا
والام تتبع بنتها	والله يفعل ما يشا

واستظهر على ذلك بعقد كتب بالمرية ، واستنهض للشهادة فيه من لم يتق الله تعالى فى عظيم هذه الفرية ، كأبى يحيى بن أسود، ومحمد بن الرميمى من وجوهها ، وكعبد الله بن مكنون ، وصهره احمد الغليري من سوقتها ، ممن يبطن للشيخ بغضة وحسدا ، ولا يوقن ان الله سبحانه سائله عن شهادته عند الوقوف بين يديه غدا .

ولما بلغ الوزير عثمان بن جامع ما وجه به اليه خديمه المشرف على بن أبى بكر ، حملته الانفه له ، والحمية لجانبه — على أن طالع به سلطانه امير المؤمنين المستنصر بالله ، أبا يعقوب يوسف بن الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المومن ابن على ، والقى اليه فى صورة الناصح ، ان تغريب الشيخ ابى اسحاق عن المرية من أعظم المصالح ، فخرج أمر المستنصر بازعاجه من المرية وتوجيهه الى مراكش ، ووصل كتاب من المستنصر الى أبى عمران وأبى العباس ابنى أبى حفص يستفهمان فيه عن حقيقة ما شنع به على الشيخ ابى اسحاق ، فتفاوضا فى كيفية الجواب ، فكان من رأي ابى العباس التغافل عنه الا ان يعاود الخطاب ، واتفق رأيهما على ذلك ، فلما كان من الغد ، توجه ابو عمران بن ابى حفص الى با بالخندق من ابواب المرية البحرية ، ليودع الشيخ ابا اسحاق فأخبر أنه قد طلع فى البحر على اثر صلاة الصبح ، وذلك من يوم الاثنين الثانى عشر لصفر سنة ست عشرة وستمائة فى اسطول المرية ، فقال أبو عمران : سبحان الله، أعان هذا على نفسه — يشير الى انه لو اراد ان لا يتوجه لاقام الى النهار ، فلم تكن العمامة لتتركه ولا توافقه على السفر لمراكش ، والانفصال عنهم — اغتباطا لجواره ، وتهالكا على مقامه بين اظهرهم واستقراره ، وكذلك كان يقول على بن ابى بكر : لو بقى ابن الحاج بالمرية،

لكنت اول من يقتل ، وقد كان غير واحد من اهل المرية وغيرهم، يرومون صرف الشيخ ابى اسحاق عن التوجه الى مــراكش ، فلم يوافقهم على ذلك ، ولا رأى مخالفة للامر ، ولو اراد المقام، لاقام كيف شاء ، وكان أبدا يقول : ساموت غريبا .

5 ومن كلامه — رضى الله عنه — وقد اراد النهوض للقيام فى هذه الوجهة ، فاثقلته الكبرة — : يقال عن ابراهيم يقوم ، وهو لا يقدر ان يقوم ، ويوثر انه قال الذي يقوم عليهم هو القاعد فىاسطوانـــى — وكان قاعدا هناك ابن الرميمى ينتظره ليودعه، وهـــى من كرامات الشيخ ابى اسحاق . ولما وصل الى مراكش
10 وادخل على المستنصر هابه المستنصر هيبة شديدة ، وقذف الله تعالى فى نفسه اجلاله ، واشرب قلبه تعظيمه واكباره ، ونـــدم على أن وجه عنه ، وسال الدعاء منه — وهو لا يجد فى فيه ريقا ، وأقام اياما بمراكش ، ثم مرض وتوفى ليلة الاربعـــاء غـــرة جمادى الاخيرة سنة ست عشرة وستمائة — وهو ابن بضـــع
15 ستين سنـــة ، وقـــيـــل ابـــن نـــحـــو ثـــلاث وستـــيـــن سنـــة ، وكـــانت جـــنازته حافلة ، قدم الـــعـــهـــد بمثلهـــا ، وحضرها الامراء والاكابر ، رجالا مشاة ، منتعلين وحفاة ، وكسرت العامة نعشه ، وتوزعوه كسرا تبركا به ، واشار بعض كبراء الدولة بدفنه مع سيدي ابى العباس بن العريف ، شيخ
20 شيخه ، فأبى المستنصر الا أن يدفن بازاء القصبة ، وقـــال : بحيث تتأتـــى لنا زيارته ، ونقرب منه ، فدفن بمقبرة الشيوخ ، وقبره هنالك الى الآن معروف متبرك به .

قلت : كذا قال ابن خاتمة وغير واحد : ان قبره بازاء القصبة، والمعروف عند أهل مراكش — قاطبة فى زماننا هذا — خلاف ذلك

---

1) اهل : لـــن .
6) فاثقلته : ن ، فاشغلته : ل.

وأنه مدفون بوسط البلد (479) لا يلحقهم فى ذلك شك ، غير ان
عامتهم يسمونه سيدي اسحاق — على ما جرت به عادة العامة
من تغيير الاسماء ، واما الخاصة من العلماء وغيرهم ، فيقولون
سيدي أبو اسحاق البلفيقي ، وقد زرته ودعوت الله عنده بما
5 ارجو من بركته قبوله ، وهو مزور لالتماس الخير ، وكان ابو
الحسن بن بقي وبعض اصحابه يقولون : كان الشيخ ابو
اسحاق يقول — ايام اقامته بالمرية — تتمشى حالة هذا الامير
ومن يختص به ، وتتصل ايام دولتهم ما لم ينقلونا من موضعنا،
فاذا نقلونا من موضعنا ، حل البلاد بجميعهم ، فكان الامر كذلك،
10 وسئل الشيخ أبو اسحاق عما رأى من المستنصر وحاشيته ؟
فقال اما السلطان فمبارك، وما رايت الا خيرا، وانما ذلك الوزير
ويسكت — يعنى ابن جامع . وقال له ابن جامع : لعلك يا فقيه
تستوحش فى هذه البلاد ، فقال له : انما تستوحش البهائم .
وقد انصف الله تعالى فى دار الدنيا من كل من سعى اليه ،
15 فمات ابن جامع ، وعلى بن ابى بكر ، على أسوأ حال من الذلة
والهوان ، وأما ابن بقي صاحبه ، فصلبه المأمون باشبيلية .

وكان الشيخ ابو اسحاق يقول : كل من نال من عرضي ما
نال فانا احلله من ذلك ، واغفر له ما عدا من رماني بالقيام
على السلطان ، فاني لا أغفر له حتى اخاصمه بين يدي الله
20 تعالى فيما رماني به من البدعة الشنعاء ، والمعصية الكبرى
والداهية الدهياء ! ولو رماني بالزنا، ما كان أشد علي مما رماني
به ، ويذكر من فظاعة هذه الفرية عليه ، وشناعتها لديه .

وقد اخذ عنه جمع كثير من أهل العلم وغيرهم ، حدث
حفيده القاضي ابو البركات بن الحاج عن ابن خميس التلمساني

---

479) قال فى (رياض الورد) — : يريد به المزارة التى برحبة بيع الزرع.
انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم 166/1 — نشر المطبعة
الملكية بالرباط .

المتقدم الذكر فى الترجمة الاولى من هذا الكتاب ، قال سمعت
بعض الاشياخ يقول : كان ابو اسحاق البلفيقى الكبير يقول :
اجتمع لنا فى الله أربعون ألف صاحب، وهو ــ رحمه الله ــ أبو
اسحاق ابراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن
سوار بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير بن عياش ــ 5
وهو ابن عيشون ــ بن محمد الداخل الى الاندلس بن عنبسة بن
حارثة ، ويقال : ابن الحارث بن العباس بن مرداس السلمى ،
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا هو الصواب ، لا
ما قال الملاحى، وابن عبد الملك، فانهما اسقطا بين خلف وسوار
رجلين، اذ جعلا خلفا ابن سوار ، وليس كذلك، بل بينهما رجلان ــ 10
كما ذكرته ، حسبما قال ذلك حافده ابو البركات ، واهل كل بيت
اعرف بنسبهم .

ومن كراماته ــ رضى الله عنه ــ ما حدث به أحد الثقات
من أصحابه ، أنه كان بالمرية متطبب ممن يسر انكار الكرامات،
فاتته امرأة بصبى يشتكى ألم الحصا ، فقال لجليس له 15
ممن يماليه على مذهبه : قم بنا الى هذا الفقيه ــ يعنى الشيخ
أبا اسحاق ــ حتى نرى ما يصنع ؟ فدخلا عليه موضع اقرائه ،
ومجتمع جلسائه ، فسال الصبى عن شكايته ، فأخبره بما يجد
من الالم ، وكان الشيخ كوشف بالحال ، فتغير وجهه ، وجعل
احدى يديه على ظهر الصبى ، والاخرى على قبله ، قال الحاكى : 20
فرأيت الصبى قد تقبض واجتمع ، ثم قذف من الحصيات التى
قدر الحمص خمسا او نحوها مخضوبة بالدم ، وسكن ما كان
به ، ورفع عن الموضع ، ثم عطف الشيخ حنقا على المتطبب
وصاحبه ، وقال : انكاركم احوج الى هذا ، فتوبا الى الله او
نحو هذا من الكلام ، فأخذا يتنصلان ويعتذران ، وخرجا من 25

---

14) (يصر) كذا فى النسختين ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
20) قبله : ن ، قبله : ل .

عنده خزيين ؟ وحدث الاستاذ ابو جعفر بن الزبير قال : سالت
الشيخ المقريء ابا الوليد اسماعيل بن يحيى ، هل لقيت الشيخ
أبا اسحاق ، فحدثنى قال : كنت احدث نفسى بلقائه ورؤيته
فاحتاج ابى الى شراء اسباب لجهاز اختى ، واخذ فى توجيه
5 تقة ممن كان يلوذ به الى المرية لشراء تلك الاسباب ، فرغبت
من والدي ان ياذن لى فى السفر معه برسم الاسباب ، وآتى
الشيخ ابا اسحاق ، فاذن لى ، فلما وصلنا المرية ، سالت
عنه ، فدللت على مسجده ، فحضرت فيه صلاة المغرب ، فلما
جاء الشيخ واقيمت الصلاة فتقدم امامه فصلى بنا والشيخ
10 وراءه ، فلما سلم ، تنفل الشيخ بما تنفل ، وانا أترقبه ، وقد
عرفته بقرائن الاحوال ، ثم اخذ فى الخروج فقمت وراءه وتبعته
الى أن أخذ فى دخول داره ، فحين قدم رجله للدخول كلمته ،
فصرف وجهه الى — ولم يكن رآنى قبل ذلك ولا رأيته ، واقبل
على وقال : من اين الطالب ، فقلت له : من غرناطة ، جئت
15 برسم رؤيتك والتبرك بك ، ما لى حاجة سوى ذاك ، فتبسم ،
وقال : انما جئت فى شأن اختك وجهازها ، فتحيرت ، ثم دعا
لى وانسنى وانصرفت ، وقد رأيت العجب من أمره ! قال :
فهذا ما اتفق لى فى لقاء من سالت عنه ، ولقد رأيت رجلا لم ار
مثله .

20 وحدث الوزير ابو الربيع سليمان بن شعيب ، قال قصدت
أنا وأبو اسحاق بن الجياد الى زيارة الشيخ صالح بن حمدون
التشكري ، أحد الجلة من أرباب الكرامات ، وأحد الجلة من
اصحاب أبى اسحاق بن الحاج الى تشكر ، فأقمنا عنده مدة ،
قال ابو الربيع : ثم قلت لصاحبى : ينبغى لنا أن ننصرف ،
25 فقال لى صاحبى : حتى يكون ذلك عن اذن الشيخ فلما

---

20) شعبة ، كذا فى النسختين ، وفى الاعلام طبع الرباط (شعيب)
ولعلها الصواب .

حضرنا عنده ، قال لى : يا أبا الربيع أدركك القلق من مقامك معنا ، لا تنصرف حتى ناذن لك ، فخجلت وقلت : لا تعاتبنى بجهلى . قال : فأخبرنا الشيخ صالح قال :

سافرت وقرأت بسبتة على العزفـــى وغيره وبغيرها ، ثم انيت الى هذا الموضع بعد عامين بسبب والدي ، فقلت يوما فى نفسى : لقد قرأت واجتهد تؤما قصرت ، ولكنى لــم افهم حقيقة الاخبار بالمغيبات ، فبينما أنا فى هذا الخاطــر ، واذا ثلاثة رجال ، فقلت لهم : من أين أقبلتم ؟ فقالوا : من منزل الشيخ ابــى اسحاق بن الحاج بطبرنش ، فأخبرونــى عنه وكانوا ثغــاة ــ انهم لما أشرفوا على طبــرنــش قاصديــن زيارته ، قال احدهم ــ وكان حاجا ــ لقد سمعت ذكر رمان هذا الموضع بالاسكندرية ، فنسال عنه الشيخ ، فقاتل الآخر : حاش الله أن نسال الشيخ عن الرمان ، انما نسأله كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ، وقال الآخر : انما أسأله أنا فى حكم من له زوجة لا تصلى ، ما يفعل معها ؟ هل يتخلى عنها أم لا ؟ فلما وصلنا اليه ، قدم لنا رمانا ولحما ، وناول الحاج الرمان ، وقال لهم : كلوا من هذا الرمان ، فان ذكره مشهور بالاسكندرية ، فقال له الحاج : نعم يا سيدي ، أنا سمعت ذكره هنالك باذنــى ، ثم أخذ بعد ساعة قطعة من لحم بيده وقال للآخر : هكذا روي أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يأكل اللحم ، وأراه الصورة بفيــه ، ثــم سكت ، ثم قال للآخر : من له زوجة لا تصلى ينهاها عن ذلك ، فان انتهت ، والا توعدها بالطلاق ، فان انتهت ، والا طلقها ــ وله فى النساء سعة ، قال صالح : فلما سمعت ذلك ، قلت : والله لاخرجن من ساعتى الى هذاالشيخ ، وقلت فى نفسى : أسأله أنا عن الشيخ أبى أحمد وعن حال أصحابه ، هل هم على الحق ام لا ، فخرجت وحملت معى جرابا فيه مصحــف

وكتاب الموطأ ، وكتاب فى علم الرياضـــى ، فلما وصلت اليه،
قال لى : اخرج ما فى جرابك ، فاخرجت المصحف ثم الموطأ ،
ثم أخرجت الرياضـــى ، فقال لى ــ وهو لم يفتحه ــ : احرق
ذلك الآن ، فاحرقته ، ثم قال لى : الشيخ أبو أحمد سيد وقته،
5 وأما أصحابه فينبغى أن يحبوا من أجله ، فانطلق اليه ، قال :
فانطلقت من وقتى الى الشيخ ابى احمد ، ولازمته ــ رضـــى
الله عنهم أجمعين ــ ونفعنا بهم ، وسهل علينا بجاههم كــل
مـــا نـــرومــه .

وحدث القاضى ابو البركات حافده قال : دخلت علـــى
10 الشيخ الصالح ، العابد المجتهد ، الحاج أبى عبد الله محمــد
ابن على البكري المعروف بابن الحاج ــ فى منزله بالمرية عائدا
ــ قـــال :

أظنه فى مرضه الذي مات منه ــ فقال لى حين سألته
عن حاله : ادع لى ، فقلت له : يا سيدي بل انت تدعو لى ،
15 فقال لى : شرح الله صدرك، ونور قلبك بنور معرفته، فمن عرف
الله لم يذكر لك غيره ، فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون
عن جدك ، قال : كنت مع سيدي أبى اســـحـــاق بن الـــحـاج
بمراكش ، فقال لى : هل ترى فى المنام شيئا ؟ فقلت : نعم ،
ارى كأنى فى المرية أمشى من الدار الى المسجد ، ومن كذا الى
20 كذا ، فأعرض عنى وقال : لا ترى الا الله . قال : ثم مر به فى
أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى : رأيت هذا ؟ والله ما ادري
أن لى ابنا حتى يمر بى ، ولا أذكره اذا غاب عنـــى ، ولا أرى
الا اللـــه انـــتـــهـــى .

وكرامات هذا الولى أكثر من أن تحصـــر ، ومـــن أراد
25 استيفاء أحواله وكراماته ، فعليه بكتاب حافده ابى البركات
الذي وضعه فى أخبار سلفه ــ رضى الله عنهم ، وقد اورد طرفا
منها الشيخ الخطيب أبو الحسن على بن أحمد الغزال فى الجزء

الذي وضعه فى كراماته وكرامات شيخه ابى عبد الله الغزال جد أبى الحسن المذكور، وكرامات شيخه أبى العباس بن العريف — رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم .

ومن نظم الشيخ ابى اسحاق — رضى الله عنه — قوله :

5 الا كرم الله البلاد بنخبة
هم حسنات الدهر، لا نابهم خطب
رعايتهم فرض على كل مسلم
وحبهم حق قد اوجبه الرب
اذا ما سالت الله شيئا فسل بهم
10 فتعظيمهم قرب وغيبتهم حرب

وقوله :

شكا فشكا قلبى خبالا مبرحا — على غير علم كان منى بشكواه
وما التقت الاسرار الا بجامع — من النعت سلطان الحقيقة سواه
فيا فرحة المجهود ان بات سره — وسر الذي يهواه ماواه ماواه
15 ومن اجله قد كان بالبعد راضيا — فكيف ترى مغناه والقرب مثواه
بدا فبدت اعلام ضدين فى الهوى — هما عجب لولا الدليل وفحواه
برؤيته فارقت موتى لبعده — ومت بها من اجل علمى ببلواه
فهانا حى ميت بلقائه — ولم ينج من لم يسعد الفهم نجواه
اذا لم تكن انت الحبيب بعينه — رضى وعتابا ضل من قال يهواه
20 واكذب ما يلقى الفتى وهو صادق — اذا لم يحقق بالافاعيل دعواه

---

18) ينج : ل — ينج : ن.

وقـــولــــه :

الحب فى الله نور يستضاء به والهجر فى ذاته نور على نور
جنب أخا حدث فى الدين ذاغير ان المغيــر فى نكس وتغييــر
حاشى الديانة ان تبنى على خبل سبحان خالقنا من قول مثبور
5 ان الحقائق لا تبدو لمبتــدع كذا المعارف لا تهـدى لمغرور
تالله لو ابصرت عيناه او ظفرت يمناه ما ظل فى ظن وتقديـر
حقق ترى عجبا ان كنت ذا ادب ولا يغرنــك الجهال بالــزور
ان الطريقة فى التنزيل واضحة وما تواتر من وحــى ومشهور
فافهم ــ هديت ــ هدى الرحمان واهدبه
10 هدى يفـيــدك يوم النفــخ فى الصور

وقوله صدر رسالة وجه بها الى ابنه محمد ايام قراءته باشبيلية :

اذا شئت ان تحظى بوصلى وقربتــى
فجنــب قريــن السوء واصرم حبالــه
15 وسابق الى الخيــرات واسلك سبيلهــا
وحصل علوم الديــن واعرف رجــالــه

وكان ــ رحمه الله ــ كثيرا ما يتمثل ببيتى مهيــار الدليمى ، وهــمــا :

ومــن عــجــب انــى احن اليهــم
20 وأسأل شــوقـــا عنهم وهــم معــى
وتبكيهــم عينــى وهــم فى سوادهـــا
ويشكــو النــوى قلبى وهم بين أضلعى

انــتــهــى .

ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقـول : وهذه صلاة عظيمة البركة، رأيتها فى بعض المجاميع منسوبة للشيخ سيدي عبد القادر الجيلانى (480) — أفاض الله علينا من أنواره — :

بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم صل على سيدنا محمد 5 وآله وصحبه وسلم ، يا مولاي يا قادر ، يا مولاي يا غافر ، يا لطيف يا خبير ، اللهم اجعل افضل صلواتك عددا ، وانمى بركاتك سرمدا ، وازكى تحياتك فضلا ومـددا ، على اشرف الحقائق الانسانية ، ومعدن الرقائق الايمانية ، وطور التجليات الاحسانية ، ومهبط الاسرار الرحمانية ، واسطة عقد النبيئين ، 10 ومقدم جيش المرسلين ، وافضل الخلق أجمعين ، حامل لواء العز الاعلى ، ومالك أزمة الشرف الاسنـى ، شاهد اسرار الازل ، ومشاهد انوار السوابق الاول ، وترجمـان لسان القدم ، ومنبع العلم والحلم والحكم ، مظهر سر الجود الجزئى والكلى ، وانسان عين الوجود العلوي والسفلى ، وروح جسد 15 الكونين وعين حياة الدارين ، المتخلق باعلى رتب العبودية ، والمتحقق باسرار المقامات الاصطفائية ، سيد الاشراف ، جامع الاوصاف ، الخليل الاعظم ، والحبيب الاكرم ، المخصوص باعلى المراتب والمقامات ، والمؤيد باوضح البراهين والدلالات، والمنصور بالرعب والمعجزات ، الجوهر الشريف الابـدي ، 20 والنور القديم المحمدي ، سيدنا محمد المحمود فى الايجاد والوجود ، الفاتح لكل شاهد ومشهود ، حضرة المشاهد والمشهود ، نور كل شيء وهداه ، وسر كل سر وسناه ، الذي

---

480) ابو محمد عبد القادر بن موسى الجيلانـى ، مؤسس الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والمتصوفين (ت 561 هـ)
انظر فى ترجمته :
النجوم الزاهرة 371/5 ، طبقات الشعرانـى 108/1 ، فوات الوفيات 2/2 ، ذيل طبقات الحنابلة ص 217، البداية والنهاية 254/12 ، كنوز الاولياء ص 34—35 ، مرآة المحاسن ص 199.

منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار (481) ، السر الباطن، والنور الظاهر ، السيد الكامل ، الفاتح الخاتم الاول ، الآخر الباطن الظاهر ، العاقب الحاشر ، الناهى الآمر ، الناصح الناصر ، الصابر الشاكر ، القانت الذاكر ، الماحى الماجد ، 5 العزيز الحامد ، المومن العابد ، المتوكل الزاهد ، القائم الساجد. الشافع الشهيد ، الولى الحميد ، البرهان الحجة . المطاع المختار ، الخاضع الخاشع ، البر المستنصر ، الحق المبين . طه يس ، المزمل المدثر ، سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبيئين ، وحبيب رب العالمين ، النبى المصطفى ، والرسول 10 المجتبى ، الحكم العدل ، الحكيم العليم ، نورك التقديم ، وصراطك المستقيم ، محمد عبدك ورسولك ، وصفيك وخليلك ، وحبيبك ووليك ، ونبيك وأمينك ، ودليلك ونجيك ، ونخبتك، وذخيرتك وخيرتك ، امام الخير ، وقائد الخير ، ورسول الرحمة النبى الامى ، العربى القرشى ، الهاشمى الابطحى المكى ، 15 المدنى التهامى ، الشاهد المشهود ، الولى المقرب السعيد المسعود ، الحبيب الشفيع ، الحسيب الرفيع ، المليح البديع ، الواعظ النذير العطوف الحليم ، الجواد الكريم ، الطيب المبارك المكين ، الصادق المصدق الممين ، الداعى اليك باذنك السراج المنير ، الذى ادرك الحقائق بجملتها ، وحاز الخلائق 20 برمتها ، وجعلته حبيبا ، وأدنيته رقيبا ، وختمت به الرسالة والدلالة ، والبشارة والنذارة والبنوءة ، ونصرته بالرعب ، وظللته بالسحب ، ورددت له الشمس ، وشققت له القمر ،

---

17) (الــواعــظ) : لـن .

---

481) وكان ابن مشيش اقتبس فى صلاته من هذه الصــلاة ــ بعض عباراتها ومعانيها :
(منك انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار) (يا اول، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ...)

وانطقت له الضب والظبى ، والذئب والجذع ، والذراع والجمل والخيل ، والمدر والشجر ، وانبعث من اصابعه الماء الـــزلال . وانزلت من المزن بدعوته فى عام المحل والجدب وابل الغيـــث والمطر ، فاعشوشب منه القفر والصخر والوعر، والسهل والرمل والحجر ، واسريت به ليلا من المسجد الحرام الى المســـجـــد الاقصى ، الى السماوات العلى ، الى سدرة المنتهـــى ، الـــى قاب قوسين او ادنـــى ، واريته الآية الكبرى ، وانلته الغاية القصوى ، واكرمته بالمخاطبة والمراقبة ، والمشافهة والمشاهدة. والمعاينة بالنظر ، وخصصته بالوسيلة العذرا ، والشفاعـــــة الكبرى ، يوم الفزع الاكبر فى المحشر ، وجمعـــت له جوامـــع الكلم وجواهر الحكم ، وجعلت امته خير الامم ، وغفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، الذي بلغ الرسالة ، وادى الامانة ، ونصح الامة ، وكشف الغمة ، وجلا الظلمة ، وجاهد فى سبيل الله ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين .

اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولولن والآخرون، اللهم عظمه فى الدنيا باعلاء ذكره، واظهار دينه ، وابقاء شريعته، وفى الآخرة بشفاعته فى أمته ، واجزال أجره ومثوبته ، وابداء فضله للاولين والآخرين بالمقا مالمحمود ، وتقديمه على كافة المقربين الشهود ، اللهم تقبل شفاعته الكبرى ، وارفع درجته العليا ، واعطه سؤله فى الآخرة والاولى ، كما آتيت ابراهيـــم وموســـى ،اللهم اجعله من اكرم عبادك عليك ، ومن ارفعهم عندك درجة ، وأعظمهم خطرا ، وأمكنهم عندك شفاعة ، اللهم عظم برهانه ، وابلج حجته ، وابلغه مأموله فى أهل بيته وذريته، اللهم اتبعه من أمته وذريته ما تقر به عينه، واجزه خير ما جازيت نبيا عن أمته ، واجز الانبياء كلهم خيرا ، اللهم صـــل وسلم على سيدنا محمد عدد ما شاهدته الابصار ، وسمعتـــه الآذان ، وصل وسلم عليه عدد من صلى عليه ، وصل وسلم عليه،

عدد من لم يصل عليه ، وصل عليه وسلم ، كما تحب أن يصلى
عليه ، وصل وسلم عليه ، كما أمرتنا بالصلاة عليه ، وصل وسلم
عليه ، كما ينبغى ان يصلى عليه ، اللهم صل وسلم عليه ، وعلى
آله ، عدد انعام الله وافضاله ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله
5 واصحابه واولاده ، وازواجه وذريته ، وأهل بيته وعترتــه ،
وعشيرته ، وأصهاره وأحبابه ، وأتباعه وأشياعه ، وانصاره ،
خزنة اسراره ، ومعدن أنواره ، كنوز الحقائق ، هداة الخلائق ،
نجوم الاهتدا لمن اقتدى ، وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا ،
وارض عن كل الصحابة رضى سرمدا ، عدد خلقك ، وزنــة
10 عرشك ، ورضى نفسك ، ومداد كلماتك ، كلما ذكرك ذاكر ، وكلما
سها عن ذكرك غافل ، صلاة تكون لك رضى ، ولحقه أداء ،
ولنا صلاحا ، وآته الوسيلة والفضيلة ، والدرجة العالية الرفيعة ،
وابعثه المقام المحمود ، واللواء المعقود ، والــحــوض المورود ،
وصل يا رب على اخوانه مــن الانبياء والمرسليــن ، والاوليــاء
15 والصالحين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، اللهم صل وسلم على
سيدنا محمد السابق للخلق نوره ، والرحمة للعالمين ظهوره ،
عدد من مضى من خلقك ومن بقى ، ومن سعد منهم ومن شقى ،
صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد ، صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ،
ولا امد ولا انقضاء ، صلاتك التى صليت عليه ، صلاة معروضة
20 عليه ، مقبولة لديه ، صلاة دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، لا
منتهى لها دون علمك ، صلاة ترضيك وترضيه ، وترضى بها عنا ،
صلاة تملأ الارض والسماء ، صلاة تحل بها العقد ، وتفرج بها
الكرب ، ويجري بها لطفك فى أمري والمسلمين ، وبارك على الدوام
وعافنا واهدنا ، واجعلنا آمنين ، وييسر أمورنا ، مع الراحــة
25 لقلوبنا وأبداننا ، والسلامة فى ديننا ودنيانا ، وآخرتنا ، وتوفنا
على الكتاب والسنة ، واجمعنا فى الجنة ، من غير عذاب يسبق

وانت راض عنا ، ولا تمكر بنا ، واختم لنا منك بخير فى عافية بلا
محنة أجمعين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين — انتهت
بحمد الله .

وذكر الشيخ الصالح سيدي زيتون (482) رضى الله عنه —
صلاة بأربعة عشر ألف صلاة ، وهى :

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا
محمد ، بحر أنوارك ، ومعدن اسرارك ، ولسان حجتك ، وامام
حضرتك ، وعروس مملكتك ، وطراز ملكك ، وخزائن رحمتك ،
وطريق شريعتك ، المتلذذ بمشاهدتك ، عين أعيان خلقك ،
المتقدح من نور ضيائك ، صلاة تحل بها عقدي ، وتفرج بها
كربى ، صلاة ترضيك وترضى بها عنا — يا رب العالمين —
انتهت . وقد تقدمت عن الشيخ الملالى ببعض اختلاف مع
هذه (483) ، فلذلك ذكرتهما معا ، على انهما اتفقا فى اكثرها
— والله اعلم .

وهذه صلاة اخرى مختصرة ، ذكر عن عن بعض الاولياء
انه نقلها من اللوح المحفوظ ، وهى :

اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد فى الارواح ،
وبلغه أقصى رتبة فى السعادة والفلاح ، والصلاة والسلام على
المصطفى ورحمة الله وبركاته .

---

1) منك : لـ ن . عافية : ل ، غاية : ن.

---

482) وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله الزيتونى الفاسى ،
من شيوخ ابى العباس زروق .
انظر البستان لابن مريم ص 50 ، والمرآة ص 41 ، وص 192.

483) انظر ص : (96) .

وهذه صلاة عظيمة للولى العارف سيدي عبد العزيز المهدوي (484) — رضى الله عنه ، وهى :

بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم صل وسلم على لوح رحمانيتك ، الذي كتبت فيه بقلم رحيميتك، ومداد مدد رحمونيتك « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » (485) ، اللهم صل وسلم على عرش استواء وحدانيتك ، من حيث احاطة احدية الوهيتك، ورحمتك الشاملة ، وبركتك الكاملة ، من حيث احاطة قولك : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (486) . اللهم صل وسلم يارب العالمين ، على رحمة العالمين ، اللهم صل وسلم على انسان عين الكل فى حضرة وحدانيتك ، وجمع جمع أحديتك ، من حيث احاطة قولك : « يا أيها النبىء ، انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المومنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » . فكان المبشر عين المبشر به ، فأنلنا اللهم من بركاته ، وافتح اللهم أقفال قلوبنا بمفاتح حبه ؛ وكحل ابصار بصائرنا باثمد نوره ، وطهر اسرار سرائرنا بمشاهدته وقربه ، حتى لا نرى فى الوجود الا انت به ، ومن نوم غفلاتنا ننتبه، اللهم صل وسلم على كاف كفايتك، وهاء هدايتك، وياء يمنك، وعين عظمتك، وصاد صراطك» : صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (488) « صراط الله الذي له ما فى السموات وما فى الارض الا الى

---

7) ومن : ل ، من : ن.

---

484) ابو محمد عبد العزيز بن ابى بكر القرشى المهدوي .
انظر الحلل السندسية ، فى الاخبار التونسية ج 1 — 1041/4

485) الاية 33 — سورة الانفال .

486) الاية : 107 — سورة الانبياء .

487) الاية : 46 — سورة الاحزاب

488) الاية 7 — سورة الفاتحة .

الله تصير الامور » (489) اللهم صل وسلم على نورك الاسنى.
المتشفع بالاسماء في حضرة المسمى ، فـكان عين مظاهرها
الوجوديه من حيث احاط علمك . وعين اسرارها الجودية من
حيث أحاط كرمك ، وعين اختراعاتها الكلية الكونية من حيث
احاطتها ارادتك ، وعين مقدوراتها الجبروتية من حيث احاطت
قدرتك وقهرك ، وعين انشاءاتها الانسانية من حيث احاطت
سعة رحمتك ، اللهم صل وسلم على ميم ملكك ، وحاء حكمتك
وميم ملكوتك ، ودال ديمومتك . صلاة تستغرق العد ، وتحيط
بالحد ، اللهم صل وسلم على الواحد الثاني ، المخصوص بالسبع
المثاني ، والسر الساري في نازل الافق الرحماني ، والقلم
الجاري بمداد المرد الرباني ، على طور عقل الانساني .
صلاة تتجدد بتجدد رحمتك عليه ، واتصال انتهاء نورك وسرك
اليه ، يا رب العالمين ، اللهم صل وسلم على ألف أحديتك ، وحاء
وحدانيتك، وميم ملكك ، ودال ديمومتك . اللهم صل على ميم
ملكك وحاء وحدانيتك، (490) ودال دينك، «الا لله الدين الخالص»
(491) فقد اخلصت الخالص ، للقائم بالدين الخالص ، واضفته
اليك ، فصل وسلم يا رب على من قام بما اضفت اليك على
التحقيق ، وقام بدينك ، وبلغ رسالتك، واوضح سبيلك ، وادى
أمانتك ، وأقام البراهين على وحدانيتك ، وأثبت في القلوب
أحديتك ، فهو سرك المصون بهيبتك وجلالك ، المتوج بنور
أسرارك وجمالك ، صل رب عليه على قدر مقامه العظيم
لديك ، وعلى قدر عزته عليك ، اللهم صل وسلم على موضع
نظرك ، ومظهر منظرك ، ومغنم خزائن كرمك ، عقد عزتك

---

489) الآية 53 — سورة الشورى .
490) مكرر بما قبله مع تقديم وتاخير ، وربما اثبت هنا هذا على رواية ، كما اثبت (دال دينك) بعد (دال ديموميتك) — لاختلاف الرواية ايضا .
491) الآية : 3 — سورة الزمر .

ومفتاح قدرتك ، محل رحمتك ، ومجد عظمتك ،
خلاصتك من كنه كونك وصفوتك ،من خصصته
باصطفائك ، النبى الامى ، الرسول العربى ، الابطحى الحرمى
القرشى ، احمد الحامدين فى سرادقات جلالك ، ومحمد
المحمودين فى مباسطة جمالك ، ألف ابداعياتك وباء بدايه 5
اختراعاتك ، وواو ودك فى انشاآتك ، والف ابرازك لمخلوقاتك ،
ولام لطفك فى تدبيراتك ، وقاف احاطة قدرتك على خلق ارضك
وسماواتك ، وسين سرك بين جميع اضداد مبدعاتك ، وميم
مملكتك المحيطة بمعلوماتك ، اللهم صل وسلم على سر جودك،
ومظهر وجودك ، وخزانة موجودك ، اللهم صل وسلم على امام 10
حضرة جبروتك ، المصلى فى محراب « قاب قوسين او ادنى »
(492) باحدية جمعه فانجمع بك فى صلاته فجمعته عليك ،
وخصصته بالنظر اليك ، وأخلصته بالسجود بين يديك ، وجعلت
قرة عينه فى الصلاة الخالصة لديك ، فهو المفتض ابكار اسرار
مشاهدتك ، المقبض للمعات لمحات نفحات مشاهدتك ، اللهم 15
صل وسلم على كلمتك العليا من حيث الاختراع والابداع ،
وعروتك الوثقى من حيث تتابع الاتباع ، وحبلك المعتصم
به عند الضيق والاتساع ، وصراطك المستقيم للهداية والاتباع ،
الم ، حم ، ح ، وطسم « محمد رسول الله — الى آخر السورة —
وأجرا عظيما » (493) . اللهم صل وسلم على المتخلق بصفاتك، 20
المستغرق فى مشاهدة ذاتك ، الحق ، المتخلق بالحق حقيقة الحق.
« قل اي وربى انه لحق » ، (494) ان الله وملائكته يصلون على

2) فانجمع : ل ، فالجمع : ن .
4) (المقتض) كذا فى النسختين ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
23) عليه : ل ، على : ن.

492) الآية : 9 — سورة النجم .
493) الآية : 69 — سورة الفتح .
494) — الآية 63 — سورة يونس .

النبىء ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (495)
اللهم انا قد عجزنا ، من حيث احاطة عقولنا ، وغاية أفهامنا ،
وسوابق هممنا ، ان نصلى عليه من حيث هو وكيف نقدر على
ذلك وقد جعلت كلامك خلقه ، وأسماءك مظهره ، ومنشأ كونك
5 منه ، وانت ملجاه وركنه ، وملاك الاعلى عصبته ونصرته ، صل
اللهم عليه من حيث تعلق قدرتك بمخلوقاتك ، وتحقق اسمك
بارادتك ، منه ابدأت المعلومات ، واليه جعلت غاية الغايات ،
وبه أقمت الحجج على المخلوقات ، فهو امينك ، وخازن علمك،
وحامل لواء حمدك ، ومعدن سرك ، ومظهر عزك ، ونقطة دائرة
10 ملكك ومحيطه ومركبه وبسيطه ، اللهم صل وسلم على المنفرد
بالمشهد الاعلى ، والطود الاعلى ، والنور والسر الاجلى ،
المختص فى حضرة الاسماء بالمقام الاسنى ، والنور والسر
الاحمى ، اللهم صل وسلم على النشأة الحبية ، اللهم صل وسلم
على الشجرة الطيبة العلوية ، الثابت أصلها فى معادن هيبتك ،
15 السامى فرعها فى سرادقات عظمتك ، اللهم صل وسلم على
المزمل المدثر ، المبشر المكبر المطهر ، عطوف رحيم، « لقد جاءكم
الى رب العرش العظيم » (496) « الله نور السموات والارض
الى «بكل عليم » (497) ، اللهم صل وسلم على مشكاة جسمه ،
ومصباح قلبه ، وزجاجة عقله ، وكوكب سره ، اللهم صل وسلم
20 على كوكب سره ، الموقد « من شجرة » أصلها : النور الذي هو
المغيض عليه من نور ربه « نور على نور ، يهدي الله لنوره من
يشاء » (498) ، وصل على الضمير البارز المستور فى النور
الثانى الاخير المضروب به الامثال فى عالم المثال ، اللهم صل

10) الاجلى : ل ، والاجل : ن.

495) الآية 56 سورة الاحزان .
496) الآية : 128 — سورة التوبة .
497) الآية : 53 — سورة النور .
498) نفس الآية .

وسلم على من نورت بنوره ملكوت سماواتك وراضك ، « مثل نوره كمشكاة كونك» «فيها مصباح» من نوره ، « المصباح فى زجاجه)) أجسام أنبيائك وملائكتك ورسلك ، « كأنها كوكب دري » سره . « يوقد من شجرة » أصلها النور الذي هو المفيض عليه من فيض اسمائك ، « يهدي الله » لنور سيدنا محمد « من يشاء » من خلقه ، « ويضرب الله الامثال للناس ، والله بكل شيء عليم » (499) .

اللهم انك عالم بهذا النور البارز المستور ، الباهر المنشور الذي بهرت به كليات الكونين ، وطرزت به الثقلين ، وزينت به اركان عرشك ، وملائكة قدسك ، وأدنيته من حضرة جبروتك . وجعلته المشفع اليك فى ملائك ، وأنبيائك ورسلك ، فهو باب الرضى ، والرسول المرتضى ، حقيقة حقك ، وصفوتك من خلقك بنوره حملت عرشك ، وبسره رفعت سماواتك وبسطت ارضك ، فهو سماء سمائك ، وعناية عيون احسانك ، ومظهر عزك وسلطانك ، فانت العليم به من حيث الحق والحقيقة ، فصل وسلم رب عليه من حيث حقيقة علمك بذلك ، وتحققه لما هناك ، اللهم صل وسلم على سراج دينك ، وكوكب يقينك ، وقمر توحيدك ، وشمس مشاهدة احسانك ، فى ايجاد انسانك ، صلاة تصعد بك منك اليك ، وتعرف فى الملأ الاعلى انها خالصة لديك صلاة مبلغها العلم المحيط بالكل ، حقيقة الكل ، تتجدد بكلية ذلك الكل ، صل وسلم عليه من حيث المقام المختص ، تسليما مبلغه ذلك كذلك ، والحمد لله على ذلك ، والحمد لله على ما منح من الفتح الذي به ابصار بصائرنا ، قد فتح بالصلاة على أشرف موجود ، وبه كمل الوجود ، وبالله سبحانه وتعالى ، التوفيق ، وبه نطلب كمال اكمالنا على التحقيق ، اللهم بجاه صاحبه

---

499) نفس الآية .

الصديق ، وبالفاوق الموقن بالتصديق ، وبدي النورين ، وبخاتم
الخلافة ابن عمه على على التحقيق ، اللهم اجمعنا بك، عليك .
وارددنا منك اليك ، واشهدنا اياه فى حضرة جمع الجمع ، حيث
لا فرقة ولا منع ، انك انت المانح الفاتح ، تمنح من شئت من
5 مواهب ربانيتك ، لمن شئت ممن خصصته برهبانيتك ، اللهم
انا نسالك أن تحشرنا فى زمرته ، وأن تجعلنا من أهل سنتـه
ومحبته ، ولا تخالف بنا عن ملته ، ولا عن طريقته ، واجعلنا
من المسلمين والمصلين على،انك سميع الدعاء مجيب لمن دعا،«أو
القى السمع وهو شهيد »، (500) ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
10 العظيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه،
وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين، والحمد لله العالمين . انتهت .

وللشيخ نور الدين الشونـي ، هذه الصلوات الثلاث، عشرة
جمعها — رضى الله عنه — من مظانها ، فأثبتها — هنا — تكميلا
للفـائـدة ، وهـي :

15 بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم صل وسلم على سيدنا
محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم ؛ وعلـى آل
ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين ، انك حميد مجيد ، عدد
خلقك ، ورضى نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك ، كلـما
20 ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، اللهم صل أفضل
صلواتك على أفضل مخلوقاتك ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه

---

1) وبخاتم : ل ، وبخلافة : ن.
7) المصلين والمسلمين : ل ، المسلمين والمصلين : ن.
18) (فى العلميـن) : ل–ن.
21) (صلاة) كذا فى النسختين ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

---

500) الآية : 37 — سـورة الـنـور
501) كذا فى سائر النسخ ، ولعله الروشانـي — كما فى كشـف
الـظـنـون ص : 51 ، وكان حيا سنة (999 هـ).
له « الادوية الشافية ، بالادعية الوافية » .

وسلم ، عدد معلوماتك ، ومداد كلماتك . كلما ذكرك الذاكرون .
وغفل عن ذكره الغافلون . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم .
عدد ما فى السماوات وما فى الارض وما بينهما . واجر الطفك
فى أمورنا والمسلمين أجمعين يا رب العالمين ، اللهم صل وسلم 5
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، عدد ما كان وعدد ما
يكون، وعدد ما هو كائن فى علم الله، اللهم صل وسلم على روح
سيدنا محمد فى الارواح، وصل وسلم على جسده فى الاجساد ،
وصل وسلم على قبره فى القبور ، وصل وسلم على اسمه فى
الاسماء ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صاحب العلامة ، 10
والغمامة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، الذي هو ابهى
من الشمس والقمر ، وصل وسلم على سيدنا محمد ، عدد
حسنات أبى بكر وعمر ، وصل وسلم على سيدنا محمد ، عدد
نبات الارض واوراق الشجر ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
النبى المليح ، صاحب المقام الاعلى واللسان الفصيح ، اللهم 15
صل وسلم على سيدنا محمد ، عبدك الذي جمعت به شتات
النفوس ، ونبيك الذي جليت به ظلام القلوب ، وحبيبك الذي
اخترته على كل حبيب ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ،
الذي جاء بالحق المبين ، وأرسلته رحمة للعالمين ، اللهم صل وسلم
على سيدنا محمد كما ينبغى لشرف نبوءته ، وعظيم قدره 20
العظيم ، وصل وسلم على سيدنا محمد ، حق قدره ومقداره
العظيم ، وصل وسلم على سيدنا محمد ، الرسول الكريم ،
المطاع الامين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الحبيب ،
وعلى ابيه ابراهيم الخليل ، وعلى اخيه موسى الكليم ، وعلى
روح الله عيسى الامين ، وعلى عبدك ونبيك سليمان ، وعلى ابيه 25
داوود ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، وعلى أهل طاعتك
أجمعين ، من أهل السماوات وأهل الارضين ، كلما ذكرك
الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، اللهم صل وسلم وبارك

على عين العناية ، وزين القيامة ، وكنز الهداية ، وطراز الحلة .
عروس المملكة ، ولسان الحجة ، وشفيع الامة ، وامام الحضرة،
ونبى الرحمة ، سيدنا محمد ، وعلى ادم ، ونوح ، وابراهيم
الخليل ، وعلى أخيه موسى الكليم ، وعلى روح الله عيسى
5 الامين، وعلى داوود، وسليمان، وزكرياء ، ويحيى، وعلى آلهم .
كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون . انتهى .

هذه صلوات لبعض الاولياء الاكابر ، نفعنا الله بهم .
وهى خمس الاولى سماها : « بغية القاصد الى جميع المقاصد »:
بسم الله الرحمان الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ،
10 حمدا يوافى نعمه ، ويكافى مزيده لا احصى ثناء عليك ،
أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ولك
الحمد اذا رضيت ، « ومن يطع الله والرسول — الى عليما »
(502) ، اللهم صل وسلم أفضل وأجل وأكمل وأنبل وأظهر
وأبهر أفضل صلاتك ، وأوفى سلامك ، صلاة تمتد وتزيد بوابل
15 سحائب جود كرمك ، وتنمو وتزكو بنفائس شرائف لطائف
جود مننك ، دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، لا منتهى لها دون
علمك ، ولا منتهى لعلمك، أزلية بأزليتك، لا تزول أبدية بأبديتك لا
تحول على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد، امام حضرتك ،
ولسان حجتك ، وعروس مملكتك ، العز الشامخ ، والنور
20 الساطع والبرهان القاطع ، الرحمة الواسعة ، والحضرة
الجامعة ، نور الانوار ، ومعدن الاسرار ، وطراز حلة الفخار ،
در صدفة الوجود ، وذخيرة الملك الودود ، ومنبع الفضائل
والجود ، تاج مملكة التمكين ، الرؤوف بالمؤمنين ، ونعمة
الله على الخلائق أجمعين ، صلاتك التى صليت عليه بما
25 أنعمت ، وبفضائلها له أكرمت ، وعلى آله وصحبه ، مخزن
علمه ، ونجوم هدايته ، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا

502» الآية : 71 — سورة الاحزاب .

يا رب العالمين ، صلاة تحسن بها أخلاقنا ، وتوسع بها ارزاقنا ،
وتزكى بها أعمالنا ، وتغفر بها ذنوبنا ، وتشرح بها صدورنا ،
وتطهر بها قلوبنا ، وتروح بها أرواحنا ، وتقدس بها أسرارنا ،
وتنزه بها افكارنا ، وتصفى بها سرائرنا ، وتنور بها بصائرنا ،
5 بنور الفتح المبين ، يا أكرم الاكرمين ، يا ارحم الراحمين .
صلاة تنجينا بها من هول يوم القيامة ونصبه، وزلازله وتعبه .
يا جواد ، يا كريم ، وتهدينا بها الصراط المستقيم ، وتجيرنا
بها من عذاب الجحيم ، وتنعمنا بها بالنعيم المقيم ، يا رب
يا الله يا رحمان ، يا رحيم ، نسالك حقيقة الاستقامة فى حظائر
10 قدسك ، ومقاصر انسك ، على أرائك سبحات مشاهدتك ،
وتجليات منازلتك ، والهين بساطعات أنوار ذاتك ، معطرين
باخلاق حقائق رقائق صفاتك ، فى مقعد حبيبك وخليلك
وصفيك الجمال الزاهر ، والجلال القاهر ، والكمال الفاخر ،
واسطة عقد النبوة ، ولجة زخار الكرم والفتوة ، سيدنا ونبينا
15 وحبيبنا وشفيعنا محمد ، سيد المرسلين ، المنزل عليه فى الذكر
المبين : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (503) . انتهت ؟

الثانية سماها « تحفة العارف ، لتحصيل المعارف » ،
وهـــى :

بسم الله الرحمان الرحيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله
20 العلى العظيم ، لا اله الا الله الملك الحق المبين ، « ربنا آمنا بما
انزلت ، واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين »(504) ،
اللهم صل وسلم ، أبر واكرم ، وأعلى وأعظم ، وأعز وأرحم ،
على العز الشامخ ، والمجد الباذخ ، والنور الطامح ، والحق

---

503) الآية : 7 — سورة الانبياء .

504) الآية : 53 — سورة آل عمران .

الواضح . ميم الملك ، وحاء الرحمة ، وميم الملكوت ، ودال الهدايه ، ولام الالطاف الخفية ، وراء الرأفة الحفية ، ونـــون المنن الوغية ، وعين العناية ، وكاف الكفاية ، وياء السيادة ، ميم العلم ودال الدلالة ، الف الجبروت ، وحاء الرحمـــوت . وسين السعادة ، وقاف القربة ، وطاء السلطنة ، وهاء العروة وصاد العصمة ، وعلى آله ، جوهر علمه العزيز ، وأصحابه من اصبح الدين بهم ذا حرز حريز ، صلاتك المهيمنة بعظمة جلالك المشرغة بجلال جمالك ، المكرمة بعظيم نوالك ، دائمة بدوام ملكك لا انتهاء لها ، سامية بسمو رفعتك ، لا انقضاء لها ، صلاة تفوق وتفضل وتليق بمجد كرمك ، وعظيم فضلك ، انت لها أهل ، لا يبلغ كنهها ، ولا يقدر قدرها ، كما ينبغى لشرف نبوته وعظيم قدره ، وهو لها أهل ، صلاة تفرج بها عنا هموم حداث عوارض الاختيار ، وتمحو بها ذنوب وجودنا بماء سماء القربة حيث لا أين ولا بين ، ولا جهه ولا قرار ، وتغيبنا بها عنـــا فى غياهب عيون انوار أحديتك ، فلا نشعر بتعاقب الليل والنهار ، وتخولنا بها سماح رباح فتوح حقائق بديع جمال نبيك المختار ، وتلقحنا بها أسرار أنوار ربوبيتك فى مشكاة الزجاجة المحمدية فتتضاعف انوارها بلا امد ولا حد ولا انحصار ، يا رب يا الله ، يا رب يا الله ، يا رب يا الله ، يا حى يا قيوم ، يا حى ياقيوم ، يا حى يا قيوم ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا ارحم الراحمين ، يا ارحم الراحمين ، يا ارحم الراحمين ، نسألك بدقائق معانى عـــلـــوم القرآن المتلاطمة امواجها فى بحر باطن خزائن علمك المخزون ، وبآياته البينات ، الزاهرات ، الباهرات ، على مظهر انسان عين سرك

---

4) (وميم العلم ، وودال الدلالة ، الف الحبروف ، وحاء الرحموت) : ل — ن.

10) تفوق وتفضل : ل ، تفضل وتفوق : ن.

18) فتتضاعف : ل ، فيتضاعف : ن ، انحصار : ن ، احصار : ل

المصون ، ان تذهب عنا ظلام وحش الفقد ، بنور أنس الوجد ، وان تكسونا حلل صفات كمال سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — نور الجلالة ، وان تسقينا من كوثر معرفته رحيق تنسيم شراب الرسالة ، الجود الاكرم ، والنور الاقدم ، والعز الاعظم ، مد مد صلى الله عليه وسلم ، المبعوث بالقيل الاقوم ، ومنة الله على كل فصيح وأعجم ، سيدنا ونبينا وشفيعنا ، قطب رحى النبيين ، ونقطة دائرة المرسلين ، المخاطب فى الكتاب المكنون ، « وما انت بنعمة ربك بمجنون ، وان لك لاجرا غير ممنون » (505) ، الموصوف بقولك الكريم ، « وانك لعلى خلق عظيم » (506) ، والحمد لله رب العالمين . انتهت .

وهذه صلاة ثالثة له ، سماها بـ « الفتح المبين ، والقبول المكين » ، وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، « لقد رضى الله عن المومنين » الى قوله « صراطا مستقيما » (507) ، اللهم صل وسلم وبارك ، وكرم ، وشرف وعظم ، على مولانا وسيدنا محمد النبى الكريم ، والرسول العظيم ، العليم الحليم ، الرؤوف الرحيم ، العزيز الحكيم ، العروة الوثقى ، والصراط المستقيم ، العفو الغفور ، الشكور الصبور ، الودود المجيد، الولى الحميد ، النور المبين ، وحبل الله المتين ، وحرزه الامين ، المنبأ وآدم بين الماء والطين ، صل اللهم عليه شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ، ورأفة تحننك ، وفضائل آلائك ، وأزكى تحياتك ، واوفى سلامك ، حسب قدرك ، وسرادق هيبتك ،

19) (حرز الاميين) — كذا فى النسختين ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

505) الآية : 3 — سورة القلم .

506) الآية : 4 ، سورة القلم .

507) الآية : 68 — سورة النساء .

وعظيم شأنك ، كما يحسن ويليق بذروة شرفك ، وعلو منصبه، حسب قدره وجاهه ، وعظيم شأنه ، وعلى آله الاقطاب ، الافراد ، الانجاب ، السابقين الى بحبوحة ذلك الجناب ، وأصحابه هداة التحقيق ، ائمة الصدق والتصديق ، الراشدين

5 الى مدرجة سبيل التوفيق ، صلاتك المربوبة بعنايتك ، فى ضمن محبتك ، قبل القبل حين لا قبل ، المدغوفة بكرامتك ، فى نشر سعادتك ، بعد البعد حين لا بعد ، كما لها أحببت وأفضلت ، واليها هديت وارشدت، وبها اعطيت وأجزيت ، وعليها اوجبت وعولت ، فلك الحمد بما انعمت ، لا نحصى ثناء عليك ، انت

10 كما اكرمت ، صلاة تحل بها العقد ، وتفرج بها الكرب ، وتزيل بها الهموم ، وتبلغ بها العبد ما طلب ، صلاة تطفىء بها عنا وهج حر القطيعة ، ببرد يقين وصالك ، وتلبسنا بها انوار غرر تبلج رونق مجد جمالك ، فى الحضرات العندية ، والمشاهد القدسية ، منخلعين عن ذوات البشرية ، بلطائف العلوم اللدنية

15 وسرائر الاسرار الربانية ، وجواهر الحكم الفردانية ، وحقائق الصفات الالهية ، وشرائع مكارم الاخلاق المحمدية ، يا الله ، يا سميع ، يا قريب ، يا فتاح، يا وهاب ، يا كريم ، يا رحيم ، وأن تلحقنا بالسابقين، فى حلبة توفيق الـ فائزين ، بالاكملية فى كل خلق انيق فى الرفيق الاعلى ، مع الذين انعمت عليهم بمواهب

20 أنوار بهائك الاجلى ، على بساط صدق المحبة مع الاحبة ، محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه ، بحر انوارك ، ومعدن اسرارك، ونبى رحمتك ونؤنؤ عين مملكتك ، السابق للخلق نوره، الرحمة للعالمين ظهوره ، روح الحق ، وسنة الله على الخلق ، تاج العز والكرامة ، شفيع الامم يوم القيامة ، قلب قلب القرآن، وخليل

25 الرحمان ، وحبيب الله الملك الديان ، المبعوث بالدليل والبرهان، المنعوت فى التوراة والانجيل ، والزبور والفرقان ، بسمته

وصفته تعزيزا وتوقيرا ، « يا أيها النبيء انا ارسالناك شاهدا ومبشرا ، ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا » (508) ، المنوه بذكره فى السماوات والارضين ، اجلالا لحقه وتعظيما، وتشريفا له وتكريما، « ان الله وملائكته يصلون على النبىء، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (509) . انتهت .

وهذه صلاة رابعة له ، وتسمى « الفتوحات القدسية ، والمواهب الوافية ، فى الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية » ،وتسمى ايضا « مصباح طريق الهداية ، ومفتاح كنز العناية » ، وهى :

بسم الله الرحمان الرحيم « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق » (510) الى قوله : « فاصبحوا ظاهرين» (511) ، وهو آخر السورة ، اللهم صلى وسلم افلح وأنجح ، وانمى واصلح ، وازكى واربح ، واوفى وأرجع ، وأغضل (512) الصلوات ، وأجزل المنن والتحيات ، على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد ، فلق صبح الانوار الوحدانية ، وطلعة شمس الاسرار الربانية ، وبهجة قمر الحقائق الصمدانية ، وعروس حضرة الحضرات الرحمانية ، نور كل رسول وسناه ، « يس ، والقرآن الحكيم » (513) ، سر كل نبى وهداه ، « ذلك تقدير العزيز العليم » (514) ،

508) الاية : 47 — سورة الاحزاب
509) الاية : 56 — سورة الاحزاب .
510) الاية : 9 — سورة .
511) الاية : 14 — نفس .
512) فى النسختين (افضل) ولعل الواو سقطت هنا قبل « افضل » .
513) الاية : 1 — سورة يس .
514) الاية : 96 — سورة الانعام

جوهر عقل كـل ولى وضيـاه ، «ســلام قـولا مـن رب رحيم (515) ، اللهم صل وسلم على نبيك سيدنا محمد فى الانبياء ، صلاة مقدسة بسرائر قدسك ، رائقة برقائق أنسك ، وعلى اسمه فى الاسماء ، موصوفة بصفاتك واسمائك ، وعلى جسده فى الاجساد ، منوطة بنعمائك وآلائك ، وعلى قلبه فى القلوب ، مروقة بالعمل واليقين والعرفان ، وعلى روحه فى الارواح ، محبرة بالتوفيق والروح والريحان ، وعلى قبره فى القبور ، منمقة بالفوز والقبول والرضوان ، صلاة تتضاعف أعدادها بالفضل والمن والاحسان ، وتترادف امدادها بالجود والكرم والامتنان ، لا غاية لها ولا أمد لها شريفة عن المكـان والزمان ، صلاتك المنزهة عن الحدوث والفتور والنقـصان ، وانزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة يا حنان ، يا منان ، يا رحمان ، وعلى آله مصابيح طرق الهداية لسعادة الدارين ، ومفاتيح كنوز الحقائق لذخائر الكونين ، واصحابه نجوم ظلام ليل الجهالة ، آمنة الامة من الشك والشرك والضلالة ، صلاة تصفينا بها من كدر شوب الطبيعة الآدمية ، بالسحق والمحق ، وتطمس بها آثار وجود الغيرية منا فى غيب غيب الهـوية ، فيبقى الكل للحق ، فى الحق بالحق ، وترقينا بها فى معارج شهود وجود « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتـى يتبين لهم انه الحق » (516) ، يا رب ، يا الله ، يا أكرم الاكرمين يا بديع السماوات والارض ، يا ارحم الراحمين « لا اله الا أنت سبحانك، انى كنت من الظالمين » (517) ، نسألك من فضلك العظيم، يا ذا الفضل العظيم ، ان تمنحنا بفضلك العظيم، أنوار علوم الرقائق المحمدية ، بدقيق اشارات « وعلمك ما لم

---

(515) الآية : 58 ـ سـورة يس

(516) الآية : 53 ـ سورة فصلـت .

(517) الآية : 87 ـ سورة الانبياء

تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » (518) وتخصصنا بكرمك من حضرة الرحمة الشاملة ، والنعمة الكاملة النبوية، باثابة الفتح المبين والفتح القريب والفتح المطلق ، فتوح المواهب الاحمدية ، بلمحات لحظات خطاب « اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتمم تعليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » (519) ، وتبيحنا من ارفع المخادع أعلى شرف المجد الاسنى ، واجل مراتب القطبية الكبرى ، واكمل الاخلاق العلية العظمى ، فى مقام « قاب قوسين او ادنى » (520) ، بواسطة أحمد الثبات « ما زاغ البصر وما طغى » (521) يا ذا الكرم العظيم والعطاء الجسيم ، والفضل العميم ، بحرمة هذا النبى الكريم، صل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، صلاتك وسلامك فى طى علمك الازلى ، وسابق حكمك الابدي ، صلاة لا يضبطها العد ، ولا يحصرها الحد ، ولا تكفيفها العبارة ، ولا تحويها الاشارة ، صلاة سطع غجرها بحظه الانفس ، صلى الله عليه وسلم على افراد الفحول ، فابهت وابهر ، ولمع نورها بغيضه الاقدس — صلى الله عليه وسلم — على ذوى العقول ، فأدهش وحير ، سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا ، محمد — صلى الله عليه وسلم ، النور الازهر ، مجلى تجلى الذات الاحدية، فى حقائق الصفات الواحدية ، سر سرائر اللاهوت ، فى مشارق أنوار الجبروت ، المنزل عليه فى القرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، تثبيتا له وتمكينا ، وتعليما له وتبيينا ، «بسم الله الرحمان الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا » — (522) الى « عزيزا » .
انتهت .

---

518) الآية 113 — سورة النساء
519) الآية : 3 — سورة المائدة
520) سبقت هذه الآية فى ص 88 رقم 435 .
521) الآية : 17 — سورة النجم
522) الآية : 1 — سورة الفتح .

وهذه صلاة خامسة له ، سماها بـ « الدر الازهر ، والياقوت الابهــر » ، وهى :

« بسم الله الرحمان الرحيم « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه » ـ (523) الى آخر السورة، «يا أيها العزيز مسنا، وأهلنا الضر ـ الى المتصدقين »، (254) «وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا» اللهم صل وسلم ، واتحف وانعم ، وامنح واكرم ، وأجزل واعظم افضل صلواتك، وأوفى سلامك، صلاة وسلاما، يتنزلان من أفق كنه باطن الذات ، الى فلك سماء مظاهر الاسماء والصفــات ، ويرتقيان من سدرة منتهى العارفين، الى مركز جلال النور المبين، على مولانا وسيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك ، علم يقيــن العلماء الربانيين ، وعين الخلفاء الصديقين ، وحــق يقــين الانبياء المكرمين ، الذي تاهت فى انوار جلاله ، اولو العزم من المرسلين ، وتحيرت فى درك حقائقه عظماء الملائكة المهيمنين ، المنزل عليه فى القرآن العظيم ، بلسان عربى مبين ، « لقد من الله على المومنين » الى قوله « فى ضلال مبيــن » (525) ، اللهم اجعل افضل صلواتك ، واوفى سلامك ، وانمى بركاتك، وازكى تحياتك ورأفتك ورحمتك ، على النور الاكمل الاعلى ، والكمال الانور الابهى ، مهبط تجليات كمالات المملكة الالهية ومواقع نجوم الاسرار الجمالية والجلالية ، اللطيف بلطائــف شمائل فضائل مكارم البر الكريم ، الرؤوف برأفة رحمة «لقد جاءكم رسول » الى « رحيم » (526) ، صلوات الله وسلامه

---

6) (الكافريــن ، آمين) : لــن.
8) واوفى : ل ، سيدنا ومولانا : ن.
11) مولانا وسيدنا : ل ، سيدنا ومولانا : ن.

---

523) الآية : 285 ـ ســورة البــقــرة .
524) الآيــة : 88 ـ ســورة يــوســف .
425) الآية 164 ـ ســورة آل عمــران .
526) الآية 128 ـ سورة التوبة

ورحمته وبركاته ، ورأفته وتحننه ، ومغفرته ورضوانه ، على مولانا وسيدنا ، محمد الاول الآخر ، الظاهر ، الباطن ، العزيز بعزة عظمة الله ، العظيم ، بعظمة عزة الله ، القدوس بسبحات سبحان الله ، المحمود بمحامد الحمد لله ، الوحداني بتوحيد
5 لا اله الا الله ، الفرداني بمنار الله اكبر ، الرباني بتدبير لا حول ولا قوة الا بالله ، صلاة عبيرة الند ، ساطعة الانوار ، معطرة الوجود بروائح الجود الالهي الاحمدي ، والستر القدسي المحمدي ، في عوالم شؤون « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون» (517) لا غاية لها دون انتهاء ، ولا أمد لها ولا
10 انقضاء ، صلاتك التي صليت عليه بدوامك ، وصل يا رب على عبدك ونبيك ورسولك ، سيدنا محمد المؤمن المهيمن ، المطاع الامين ، الحق المبين ، رحمة العالمين ، وقدم صدق المومنين ، وقائد الغر المحجلين ، غبطة الحق ، وعمدة الحق ، الاسم الاعظم والبر الارحم ، صلاة جلت عن الحصر والعد ، وتعالت عن
15 الدرك والحد ، صلاتك التامة التي لا تتناهى، تدوم بدوام ملكك الذي لا يضاهى ، كما يليق بجود كرمك وكرم جودك ، يا جواد يا كريم ، وسلم تسليما ، تسلمنا به من حرج وساوس الصدور، بنفحات بركات « بسم الله الرحمان الرحيم ، الم نشرح لك صدرك » (528) وتخلصنا بها من ثقل اوزارنا ، بجود غفران
20 « ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » ، (529) وترفعنا به عندك يا رفيع الدرجات ، في أقصى الدرجات درجات « ورفعنا

---

4) المحمود : ل ، الحمد : ن.
7) بروائح : ل ، بروائج : ن
17) بـه : ل ، بها : ن.
19) بـه : ل ، بهـا ن .

---

527) الآية : 82 — سورة يس
528) الآيـة : 1 — سورة الشـرح
529) الآية : 3 — نفس السورة .

لك ذكرك » (530) وتحلنا به برد الرضى والتسليم بسكينة سكون لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، طيبا يعبق طيبه بقبول رضى « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » (531) ، مباريا تبارك

5 مدده بمدد « تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شىء قدير » (532) كثيرا تكاثر خيره بكثير « لهم ما يشاؤون عند ربهم ، ذلك هو الفضل الكبير » (533) ، وترادف بره بمزيد « لهم ما يشؤون فيها ، ولدينا مزيد » (534) ، وعلى آله ثمرة شجرة النبوة ، ومعدن سر الولاية ، ومنبع عين الفتوة ، سحب

10 سماء مكارمه العميمة ، المتحققين بحقائق أخلاقه العظيمة ، وأصحابه ضوء شمس صباح الهدى ، الائمة المهتدين بنور قمر الاهتدا ، صلاة وسلاما يبلغان قائلهما أعلى درجات خلاصة خاصة اهل الله المقربين ، وينيلانه زلفى اجل مراتب اولياء الله المخلصين ، بمنن « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى

15 الارض ، ونجعلهم ائمة ، ونجعلهم الوارثين » (535) ، فى المكانة العليا ، والغاية القصوى ، فوق عرش الاستوا ، بتراكم أنوار تمكين، « انك اليوم لدينا مكين »، (536)، يا رب، يا الله ، يا باسط، يا رحيم، يا ودود، نسألك عواطف الكرم وغواتح الجود أقل عثراتنا من كثائف ذنوب وجودنا ، المظلمة بالبعد عنك ،

---

530) الآية 4 — نفس السورة
531) الآية : 64 — سورة يونس
532) الآية : 1 — سورة الملك .
533) الآية : 22 — سورة الشورى
534) الآية : 35 — سورة ق.
535) الآية : 5 — سورة القصص
536) الآية : 54 — سورة يوسف

واغفر لنا بنور قربك ، ونعمنا بصفاء ودك ، وطهرنا من حدث
الجهل بالعلم الالهى ، واتحفنا بالحب الربانـــى ، والوصـــل
المعنوي لمن اصطفيته ، حتى أحببته فكنت سمعه الذي يسمع
به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذ ينطق به ، ويده التى
يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، واعطنا ما لا عين رأت ، ولا 5
اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ما اعددت لعـبــادك
الصالحين ، الائمة المرضيين ، اولى الاستقامة فى المستـوى
الازهـــى والافق المبين، «ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم»
(537) ، اللهم انا نسالك ونتوسل اليك ، بحبك لحبيبك ، وبحب
حبيبك لك ، وبدنوه منك وبتدليك له ، وبالسر الذي بينك وبينه ، 10
صل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة وسلاما خصصته
بهما لخصوصيته بما استاثرت له عندك علـى عالـم الغـيـب
والشهادة بمخاطتك اياه : ما خلقت خلقا أحب ولا أكرم على
منك ، وآته الوسيلة والفضيلة ، والشرف الاعلى ، والدرجــة
الرفيعة ، وابعثه المقام المحمود الذ وعدته ، يا ارحم الراحمين، 15
يــا رب ، يــا اللــه ، يــا بــر ، يــا لطيــف ، يا كــافــى ،
يا حفيظ ، يا مغيث، يا واسع العطاء، وسابغ النعم ، نسألك بنور
وجهك العظيم ، المبرة الجامعة ، من نور كمال سيدنا محمد —
صلى الله عليه وسلم — مصطفى عنايتك — ان تتحد ذاتنا بذاته
المقدسة بجلالتك ، وتتحقق صفاتنا بصفاته المشرفة بمحبتك ، 20
وتبدل اخلاقنا باخلاقه المعظمة بكرامتك ، فيكون عوضا لنــا
عنا ، فنحيا حياته الطيبة النقية ، ونموت موتته السوية الرضية،
وفى القبر لنا سراجا منيرا وبهجة ، وعند اللقاء عدة وبرهانا ،
وحجة ، صلى الله عليه وسلم ، وان تحشرنا معه فى زمرته مع
آله وخاصته ، مزينين بزينة ايمان « والذين آمنوا معه نورهم 25
يسعى بين ايديهم وبأيمانهم » — الى « قدير » (538) فى موكب

537) الآية : 127 — ســورة البقــرة
538) الآيــة : 29 — ســورة التحريــم .

الغر العرانين السعدا ، أهل السعادة ، غدا ، «محمد رسول الله والذين معه» (539) الى آخر السورة ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .
انتهت الخمس صلوات البديعة المنزع ، الرفيعة المطلع .

5 وهذه صلاة شريفة لبعض العارفين أيضا ، وهــي :

« بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، بواب حضرتك ، وعين عنايتك لخلقك ، ورسولك الى جنك وانسك ، وحدانى الذات ، المنزل عليه الايات الواضحات ، ومقيل العثرات ، وسيد السادات ، 10 ماحى الشرك والضلالات ، بالسيوف الصادقات ، الآمر بالمعروف والناهى عن المنكرات : الثمل من شراب المشاهدات ، سيدنـــا محمد خير البريات ، صلى الله عليه وسلم مــــا دامت الارض والسماوات ، اللهم صل وسلم على من له الاخلاق الرضية ، والاوصاف المرضية ، والاقوال الشرعية ، والاحوال الحقيقية ، 15 والعنايات الازلية ، والسعادات الابدية ، والفتوحات المكية ، والظهورات المدنية ، والكمالات الالهية ، والمعالم الربانية ، وواو الهوية ، وسر البرية ، شفيعنا يوم بعثنا ، والمستغفر لنا الــى ربنا ، الداعــى اليك ، والمقتدى به لمن أراد الوصول اليك ، الانيس بك ، والمستوحش من غيرك ، حتى تمتع من نور ذاتك ، 20 فرجع بك لا بغيرك ، فشهد وحدتك فى كثرتك ، فقلت له بلسان حالك لقوته بكمالك : «فاصدع بما تومر، وأعرض عن المشركين» (540)، الذاكر لك فى ليلك، والصائم لك فى نهارك، المعروف مع ملائكتك ، انه خير خلقك ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد

---

8) جنك وانسك : ل ، انسك وجنك : ن.
16) وواو : ل ، واو : ن.

---

539) الآية : 29 ــ سورة الفتح
540) الآية : 94 ــ سورة الحجر

صاحب الهمم العاليات، والاسرار القدسيات، فافتخرت به الارض على السماوات ، القائم بك فى الحركات والسكنات ، الصافى من الكدورات ، والمعصوم من احوال البشريات ، والهادي الى الطرقات ، قريبا من رب السماوات ، ملين القلوب القاسيات ، واخصب الفلوات المجدبات ، الحجة البالغة ، والغرة الطالعة ، والشمس الواضحة ، سيدنا محمد ، النبى الامى ، الطاهر الزكى ، المزكى به الاعمال الصالحات ، والمغطى به الذنوب الكاشفات ، محمود الحركة ، ومحل البركة ، سيدنا محمد منبع الخيرات ، ومجلى القلوب الصاديات ، المتحلى بالصفات الربانيات ، الجالس على بساط المشاهدات ، والغائب عن الحس والمحسوسات فى عالم الشهادات ، وكافى الامة من العقوبات وشفيع الامم وقربت لنا الاشياء المبعدات ، وناجيته فى الليالى المظلمات ، يوم المضيقات ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين المطهرين ، العالمين المعلمين ، المتأهبين الى لقائك يارب العالمين ، اللهم صل وسلم على نبيك العظيم ، ورسولك المبين ، المنبأ وآدم بين الماء والطين ، وبؤبؤ (541) وجود الانبياء والمرسلين ، القائم على الصراط المستقيم ، هاء العروة ، وميم المروة ، وحاء المحبة ، ودال المودة وكاف الكفاية ، شافى السقيم ومغنى العديم ، الآية العظمى، والسر المكنى، والقريب المدنى، متخلقا بأسمائك الحسنى، «فكان قاب قوسين او ادنى» (542)، وخاطبته بلا حجاب، وكلمته بلا عتاب، وصفيت له الشراب ، ورددته الى مواطن البلاد، ففرحت به انفس العباد، فأصبحت الكائنات مسفرات، والاشجار مثمرات، والكل فى الرحمات المحمديات ، فأبصرت به العيون المعمات ، واعتقت به الرقاب

6) القوالب كذا فى النسخين ولعل الصواب ما اثبتناه .

541) بؤبؤ : اصل .

542) سبقت هذه الآية فى ص 88 رقم 435 .

الموبقات، وقربت لنا الاشياء المبعدات، واجبته فى الليالى المظلمات وهديتنا من الضلالات ، وعرفتنا اياك بظهور احمد الثبات ، واعطيته الكرامات الباهرات ، ونورت به كون الكائنات ، فلك الحمد يا رب البريات ، على عطاياك الجزيلات ، لا نحصى ثناء
5 عليك انت العارف لنفسك بنفسك ، والدال على نفسك بلطفك ، ونحن الراجون لعفوك ، وانت الراحم بفضلك ، فنسالك يا الله المشاهدات ، فى الحضرات القدسيات ، ولذيذ خطابك فى الليالى المظلمات ، والغيبوبة بك عن شهوات البشريات ، والموت للنفوس الفرعونيات ، واللطف منك فى البحار اللجيات ، والغرق بك فى
10 البحار النوريات ، يا مجيب الدعوات ، اعصمنا من الجرم والمحرمات ، ورضنا بالاشياء المقدرات ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد بحر انوارك ، ومعدن اسرارك ، وروح ارواح عبادك ، الدرة الفاخرة ، والرحمة السابغة ، والنعمة النافعة ، بؤبؤ الموجودات ، وحاء الرحمات ، وجيم الدرجات ، وسين
15 السعادات ، ونون العنايات وكمال الكليات ، ومنشا الازليات ، وختم الابديات ، المشغول بك عن الاشياء الدنيويات ، الطاعم من المشاهدات ، والمسقى من الاسرار القدسيات ، والعالم بالماضى والمستقبلات ، سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — وعلى آله الاخيار ، واصحابه الابرار ، اللهم صل وسلم على
20 الجامع الاكمل ، والقطب الافضل ، طراز حلة الايمان ، ومعدن الجود والاحسان ، صاحب الهمة السماوية ، والعلوم اللدنية ، اللهم صل وسلم على من خلقت الوجود من أجله ، ورخصت لنا الاشياء بسببه ، محمد المحمود ، صاحب المكارم والجود ، اللهم صل وسلم على من خلقته من نورك ، وجعلت كلامه من
25 كلامك ، وفضلته على أنبيائك وأوليائك ، وجعلت السقاية منك

---

13) والمشغول : ل ، المشغول : ن
17) الايمان : ل ، الايمن : ن .
الاحسان : ل الاحسن : ن .

اليه ومنه اليهم ، كمال كل ولى لك ، وهادي كل مضل عنك ، داعــى الخلق ، الى الحق، تارك الاشياء لاجلك ، ومعد الخيرات بفضلك ـ وخاطبته على بساط قربك : «وكان فضل الله عليك عظيما » (543) التائم بك فى خيباتك ، والهائم بك فى جلالك ،
5 اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، المفتخر بجلالك ، والمتدثم بصفاتك ، الدال على رحمتك ، والمترفع الى اعلى سماواتك ، والمنغمس فى اسرار اسرار تجلياتك ، السابق للخلق نوره ، والرحمة للعالمين ظهوره ، صل اللهم عليه وعلــى اله واصحابه الاقطاب ، السابقين الى حانات ذلك الجنـــاب ،
10 اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، الذي سخرت له الاكوان ، وشهدت برسالته الجمادات والحيوان ، ونباته فى السر والاعلان وخاطبته بقولك البرهان « ولولا ان ثبتناك لقد كــدت تركــن اليهم شيئا قليلا » (544) ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، النور البهى ، والبيان الجلى ، واللسان العربى ، والدين الحنفى،
15 الرحمة للعالمين ، والمؤيد بالروح الامين ، والكتاب المبين ، وخاتم النبيئين ، ورحمة الله للخلائق اجمعين ، اللهم صل وسلم على من أعطيته حتى رضــى ، واحييت به الملأ الدنى والعلى ، واغنيت به المرضـــى ، وجعلت نبوءته سناء فى سنـــى ، ولولاه لم يكن فقير ولا غنـــى ، اللهم صل وسلم على نبيك ، الخليفة فى خلقك
20 المشتغل بذكرك ، المفكر فى خلقك ، والامين لسرك ، والبرهـــان لرسلك ، الحاضر فى سرائر قدسك ، والمشاهد الى جلال جلالك، سيدنا محمد المفسر آياتك ، والظاهر فى ملكك ، والنائـــب فى ملكوتك ، والمتخلق بصفاتك ، والداعــى الى جبروتك ، الحضرة الرحمانية والبرزة الجلالية، والسرائر الجمالية ، العرش التقى
25 والحبيب النبوى ، والنور الزهى ، والدر النقـــى ، والصـــاح التقوى ، صل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه ، كما صليت على

543) الآية : 113 ـ ســورة الــنســاء .
544) الآية : 74 ـ ســورة الاســراء .

ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم صل وسلم
على ارحم الناس قلبا ، واعلمهم بك علما ، الزاهد فيما زهدته ،
والتابع لما قلته فيما سطرته : « ولا تمدن عينيك الى ،
الى وأبقى » (545) ، فبقى بقائك ، ورضى بقضائك ، صل
5 اللهم وسلم على البشير النذير ، الشفيق الرفيق ، ريحانة
الحضرات ، ومجلى تجلى الذات ، وخير المخلوقات ، المؤدب
بالآيات ، الصادق فى التلفظات ، الدانى الى الرحمات ، والهادي
الى الطرقات ، والموصوف بالاسماء والصفات ، وخير من خلقت
يا رب البريات ، اللهم صل على نورك التمام ، ونبيك الرحام ، من
10 غير حلول ولا ازدحام ، بلتجليا لكونه واسطة الانام ، ونور
الظلام لابراز المرام ، وعبدك الديان ، ورسولك البرهان ،
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، نبيك المختار وحبيبك
الستار ، ونورك المدرار ، الذي تحير فى ادراكه ذوو الابرار ،
جوال الافكار ، وجوهري الاذكار ، وأمين الاسرار ، وعبدك
15 الغفار ، المترقى الى اعلى عوالى الانوار ، سيدنا محمد ، صل
اللهم عليه يا رب العالمين ، يا ارحم الراحمين ، اللهم صل وسلم
على سيدنا محمد الذي أعطيته وكرمته ، وفضلته ونصرته ،
وأغنيته وقربته ، وأدنيته وسقيته ، ونورته وطهرته ، بنورك
الاقدس، وملأته بعلمك الانفس، وبسطته بحبك الاطرس (546)
20 وزينته بقولك الاقدس ، فجر الافلاق ، وعذب خلق الاخلاق،
نورك المبين ، وعبدك القديم ، وحبلك المتين ، وحصنك الحصين،
وفتحك المبين ، وجلالك الحليم وجمالك الكريم ، صل اللهم
عليه وسلم ، وعلى آله مصابيح الوجود ، وكمال السعود ،
المطهرين من العيوب ، اللهم صل وسلم على اسمك الاعظم ،

19) صل اللهم : ن ، صلى الله : ل.

545) الآية : 88 — سورة الحجر .

546) لعله من التطرس — وهو ان لا تطعم ولا تشرب الا طيبا — اى حبك الاصفى والاطيب . انظر التاج (طرس).

ونبيك الاكرم ، وعبدك الافخم ، المبدأ من نورك الأفخم، حيث
لا آخر ولا متقدم ، النور المتزكــى الازهي ، والسيد المعطي ،
والكنز الابقي ، والورد الاشهي ، والسيف المحلى ، سيدنـا
محمد ، صل اللهم عليه وسلم يا رب العالمين ، اللهم صل وسلم
5 على نورك الازلي ، وظهورك الابدي ، سيدنا محمد ، بحر العلوم
ونور العيون ، وزين الشؤون ، وعين العيون ، وبحر النجوم ،
وفرش العلوم ، سيدنا محمد ، الحميد فى الحركات ، عبدك
ونبيك ورسولك ، سيدنا محمد ، صل اللهم عليه صلاة تحل بها
العقد ، وسلم عليه سلاما يكون به السداد ، وترويحا تنفك به
10 الكرب ، وترحما تزيل به العطب ، وتكوينا تقضى به الارب ،
يارب ، يا الله ، يا حــى ، يا قيوم ، يا ذا الجلا والاكرام ، يا كريم
نسالك ذلكمن فضائل لطفك ، ومن غرائب فعلك ، يا كريم ، اللهم
صل وسلم على سيدنا ومولانا ، وبغيتنا ومقصدنا ، الداعى الى
جنابك ، الواعى لكلامك ، اللهم صل وسلم على روح سيدنـا
15 محمد فى الارواح ، وعلى جسده فى الاجساد ، وعلى قبره فى
القبور ، وعلى منظره فى المناظر ، وعلى سمعه فى المسامع ،
وعلى حركاته فى الحركات ، وعلــى سكونه الازهر ، فى قيامــه
الاقمر ، وعلى لسانه الاعذب ، انشاء سر الازلى ، والــخــتم
الابدى ، صل اللهم عليه وعلى آله عدد ما علمت ، وزنة ما علمت
20 وملء ما علمت ، اللهم يا رب، يا كريم ، يا رحمان يا رحيــم ،
نسالك ان تصلى على سيدنا محمد كما أمرت الاولين ، وصل
وسلم عليه كما أمرت الآخرين ، وفرضتها على العالمين ، وقلت
وقولك العظيم : تنبيها لامته على فضله العميم : « ان اللــه
وملائكته يصلون على النبىء ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
25 وسلموا تسليما » (547) . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد

---

20) يا رحيم ، يا كريم : ل ، يا كريم يا رحيم : ن.
21) محــمــد : نـ ـل.

---

547) سبقت هذه الآية فى ص 138 — رقم 509 .

عبدك ونبيك ، ورسولك الى خلقك ، وكان قائما بالعبودية ، تاركا للربوبية ، بواب حضرتك القدسية ، ومعدن سرائر الربانية ، نبيك العظيم ، ورسولك الكريم ، سيدنا محمد نبى الرحمة ، وشفيع الامة ، مفتاح القلوب الصادية ، دمنبع الفضائل الباهرة ، 5 صاحب المكارم الخارقة ، مصباح الدارين ، ونبى الحرمين ، وسر الكونين ، راية الاسلام ، وحبيب الرحمان ، ورسول الملك الديان ، المبعوث بالبرهان ، المتوج بنور الايمان ، قوام الهمة ، المنجى من الظلمة ، فلك الحمد بما أعطيتنا ، ولك الشكر بما خصصنا ، اللهم انا نتوسل اليك بالحرف الجامع لمعانى كمالك، 10 نسألك اياك بك أن ترينا وجه نبينا ، وان تمحو عنا وجود ذنوبنا بمشاهدة جلالك ، وتغيبنا عنا فى بحار أنوارك معصومين من الشواغل الدنيوية ، راغبين اليك ، غائبين فيك ، يا الله ، يا هو ، يا الله يا هو ، يا الله يا هو ، انت الله لا غير ، اسقنا من شراب محبتك، واغمسنا فى بحار احديتك ، حتى نرسى فى بحبوح 15 حضرتك ، وتقطع عنا اوهام خليقتك بفضلك ورحمتك ، ونورنا بنور طاعتك ، واهدنا ولا تضلنا ، وابصرنا بعيوبنا عن عيوب غيرنا ، بحرمة نبينا وسيدنا محمد ، صل اللهم عليه وعلى آله مصابيح الوجود ، واهل الشهود ، يا ارحم الراحمين ، نسالك أن تلحقنا بهم ، وتمنحنا بحبهم ، يا الله ، يا قيوم ، يا ذا الجلال 20 والاكرام « ربنا تقبل منا ، انك انت السميع العليم » (548) « وتب علينا انك انت التواب الرحيم » (549) ، وهب لنا معرفة نافعة ، انك على ما تشاء قدير ، يا رب العالمين ، يا رحمان ، يا رحيم ، نسالك أن ترزقنا وجه نبينا فى منامنا ، وان تصلى وتسلم على خيرنا وكلنا .

---

10) نبيك : ن ، بك : ل

---

548) الآية : 127 ــ سورة البقرة .
549) الآية 128 ــ من نفس السورة .

انتهى ما الفيته وكتبته رجاء البركـة من اصـل فيـه
تصحيف حتى يفيض الله ما نصححه منه ، لانى كتبته من خط
بعض الاكابر كما الفيته ، ولم اقصد بذلك سو البركة بالمقول
فيه والقائل ، والاعمال بالنيات ، والله يبلغ الامنيات .

5 وهذه صلوات لبعض العارفين أيضا ، الاولى :

بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم صل صلاة ذاتك ، علـى
حضرة صفاتك ، الجامع لكل الكمال ، المتصف بصفـة الجلال
والجمال ، من تنزه فى المخلوقين عن المثال ، ينبـوع المـعارف
الربانية، وحيطة الاسرار الالهية ، غاية منتهى السائريـن ،
10 ودليل كل حائر من السالكين ، محمد الاوصاف والذات ، واحمد
من مضى ومن هو آت ، وسلم عليه سلاما بدايته الازل ، وغايته
الابد ، حتى لا يحصره عدد ، ولا ينهيه أمد ، وارض عن قوامه
فى الشريعة والحقيقة ، من الاصحاب والعلماء وأهل الطريقة ،
واجعلنا يا رب منهم حقيقة ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله
15 رب الـعـالـمـيـن .

الثانية : بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم صل وسلم على
سيدنا محمد ، ، وعلى آل سيدنا محمد ، الامين على الغيب ،
ماحى الشك والريب ، والمؤمن من العذاب ، والامنة للاصحاب ،
والمؤمن بما انزلت عليه من الكتاب ، صلاة دائمة بدوام ملكك ،
20 باقية ببقاء وجهك ، وسلم تسليما كثيرا ، اللهم انك تعلم أن لا
وصلة بينى وبينك الا هو ، ولا شفيع عندك سواه ، ولا دليـل
عليك غيره ، اللهم بجاهه لديك ، أمن خوفى ، وأقل عثرتـى ،
وتولنى بعنايتك ، وحببنى الى خلقك ، واكنفنى بالنور والبهاء ،
وامح من قلبى ظلمة السوى ، واغننى بك غناء الابد ، وابق على

1) الفيته وكتبته : ن ، كتبته والفتيه : ل
12) قوابله — كذا فى النسختين ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
13) فى الشريعة والحقيقة : ن فى الحقيقة والشريعة : ل .

وجودي عند شهودي ، واجعلنـــى من أخص اوليائك ، واوحـــد
أصفيائك ، واهدنـــى لاعظم الخلق واحيبه واطهره وارضاه ،
خلقك الذي حليت به حبيبك وخليلك ، الذي اصطفيته لنفسك ،
واخترته لحضرة قدسك، وجعلته محمدا فى خلقك ، اللهم اشهدنى
5 هويتى فى عين هويته ، وارنـــى اياي بك ، وقدسنـــى عنى بك ،
أنت مجيب الدعوات ، وموجد الارضين والسماوات ، رب هب
لى من كمالك ، ما يجبر نقصـــى ، وكن انت كافـــى وحسبى ،
يا ودود ، يا جواد ، حطنى واعنى على ما ابتليتنى ، وطهرنى من
رجس طبيعة نفســـى ، ووفر حظى مما قسمته لاوليائك من
10 ارث نبوي ، وفيض ملكوتى غيبى ، وسر الهى قدسى ، واجعلنى
من أخص اتباع نبيك ، سيدنا محمد ، صل اللهم عليه وعلى آله
وصحبه ، صلاة وسلاما ترضيك وترضيه ، وترضى بها عنـــا
يا رب العالمين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام
علـــى المـــرسلين ، والحمـــد اللـــه رب العالمين .

15 الثالثة : بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم صل وسلم أفضل
الصلاة وأكملها ، وانبلها وأجملها ، واشرفها واطيبها ، وازكاها
وانماها ، واتمها واعمهـــا ، وأبركها ، وأظمهـــا ، واجلـــها ،
وأبهاها ، وانهاها واعلاها ، على أفضل الخلق ، سيدنا محمد ،
عبدك ونبيك ، ورسولك النبى الامى ، وعلى آله وأصحابه ،
20 وأزواجه ، وذريته وهل بيته ، كما هو أهله ومستوجبه ، اللهم
صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة
دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، لا نفاد لها دون عـــلمـــك ، عدد
معلوماتك ، وزنة معلوماتك ، ومـــلء معلوماتـــك ، ومـــداد
كلماتك ، فى كل لحظة ولمحة ، من الازل الى الابد ، وكلما ذكرك
25 الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، واجزه عنا ما هو أهله ،
وصل على جميع الانبياء والمرسلين ، والملائكة والمقربيـــن ،

(11) صلى الله ل ، صل اللهم : ن .
(20) آل سيدنا محمد : ن ، آل محمد ـــ باسقاط (سيدنا) : ل.

وعبادك الصالحين ، وعلينا معهم كذلك ، والحمد لله على ذلك، ورضى اللـه عـن سادتنا اصحـاب سيدنا رسـول الـلـه أجمعيـن .

الرابعة : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، روح الوجود ، اوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، أعلاه واسفله ، جوهره وبسيطه ومركبه ، صلاتك التى صليت عليه فى حضرتك من حيث أنت ، أنت أنت ، ومن حيث هو ، هو ، هو ، حيث لا عين ولا أين ، ولا قبل ولا بعد ، فى غيب غب الهوية، وطمس آثار البشرية ، اللهم روحنا بحقيقته وزيـن ظواهرنا بشريعته ، صل اللهم عليه ، وعلى آله وصحابته .

الخامسة : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، صـلاة تنزل من الحضرة الذاتية ، الى الحضرة الصفاتية ، الى الحضرة الفعلية ، الى الحضرة الملكوتية ، الى الحضرة الملكية ، فيندرج ذلـك فى ذلـك ، فنكون كما كنا ، وتكون كما كنت ، كما كنـت كما كنت ،يارب العالمين . انتهت .

وهذه صلاة لبعض العارفين ، تلوح أنوار القبول علـى صفحاتنا ، وهـى :

بسم الله الرحمان الرحيم ، « ومن يطع الله والرسول فاولئك » الى «عليما» (550) . الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه بجميع محامده كلها ، اولها وآخرها ، وظاهرها وباطنها ، عدد نعماء الله كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، وعدد خلق الله كلهم ما علمنا وما لم نعلم وعدد ما حمد

9) وطمس : ن ، واطمس : ل .
18) يطع الرسول : ل ، يطع الله ورسوله : ن والصواب ما اثبتناه .
22) عدد خلق الله كلهم ما علمنا ومالم نعلم : ل — ن .

550) الاية : 29 سـورة الـنـسـاء .

به الحامدون من الملائكة والمقربين والنبيئين والمرسلين .
والصديقين والشهداء والصالحين ، حمدا مضاعفا فى مثله
وامثاله ، وامثال امثاله ، يدوم بدوام ملك الله الواحد القهار ،
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ، عبدك
5 ورسولك ، النبى الامى ، وعلى آله وأصحابه واهل بيته ، افضل
صلاة وأزكى سلام ، وانمى بركة ، فى الاولين والآخرين ، وفى
الملأ الاعلى الى يوم الدين ، اللهم اجعل أفضل صلواتك ،
واوفى سلامك ، وانمى بركاتك ، وازكى تحياتك ورأفتك
ورحمتك ، على سيدنا ومولانا محمد ، عبدك ورسولك ، النبى
10 الامى ، وعلى آله وأصحابه ، واهل بيته ، افضل صلاة ، وازكى
سلام ، وأنمى بركة ، واقر عينه فى أهل بيته ، وأصحابه وامته.

اللهم افتق رتقنا بكوثر يقين معين ماء محبته ، وانشر
علينا فى جمعنا وفرقنا فى كل وقت ونفس رايات هدايته ، وهب
لنا عقلا نسمع منك ، ونفهم آياتك وكلام رسولك ، من العقل
15 الذي خصصت به انبياءك ورسلك والصديقين من عبادك ،
واهدنا بنورك ، هداية المخصوصين بمشيئتك ، ووسع لنا فى
النور توسعة كاملة ، تخصنا بها برحمتك ، فان الهدى هداك ،وان
الفضل بيدك ، تؤتيه من تشاء ، وانت ذو الفضل العظيم ، وانت
أرحم الراحمين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا
20 محمد ، عبدك النبى الامى ، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته ،
أفضل صلاة ، وازكى سلام ، وانمى بركة ، بعدد كل حرف
جرى به القلم ، واجزه عنا يا رب ما هو أهله ، وأجزه عنا أفضل
ما جازيت رسولا عن امته، ونبيا عن قومه ، وارحمنا به رحمة
شاملة ، كاملة ، كافلة ، وحقق لنا الولاء منه باتباعه ، وخذ
25 بنواصينا الى منن هديه ، واقتفاء آثاره ، واجمعنا به حالا
ومآلا ، بفضلك وكرمك ، يا ذا الفضل العظيم ، يا جواد يا كريم.
اللهم اجعل افضل صلواتك ، واتحفها وانعمها ، واكرمها

واجلها ، واجملها ، واكملها ، وأجزلها وأوغاهــا ، وارجحهــا
وانجحها، وأفلحها واربحها ، وازكاها واسناها ، واعــلاها ،
وأغلاها ، وأولاها واتمها وارضاها ، على سيدنا ومولانا محمد
عبدك ورسولك ، النبى الامى ، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته ،
أفضل صلاة وازكــى سلام ، وانمى بركة ، صلاة متصلة ، 5
أبدية سرمدية فى كل وقت وحين ، عدد ما كان ، وعدد ما يكون ،
وعدد ما هو كائن فى علمك ، وعدد مواهبك له ، ومراحمك عليه،
ومباركك لديه ، فى الآزال والآباد ، وارعنا برعايته ، وارحمنــا
بحمايته ، وتولنا بولايته ، وامدنا بالاقبال منك عليك بتوليك
له ، وقربنا واقرب بنا ، بتقريبك له وقربك منه ، وارض عنا 10
برضاك ، وشفعه فينا بقبولك لشفاعته ، وهب لنا منك الحظ
الاوفر ، فانك قلت وقولك الحق « واسألوا الله من فضله »
بحق من انعمت عليهم ، وقلت فى حقهم « ذلك الفضل من الله،
وكفى بالله عليما » ، اللهم صل وسلم وبارك على ســيــدنا
ومولانا محمد عبدك ورسولك ، النبى الامــــى ، وعلى آله 15
وأصحابه ، وأهل بيته ، أفضل صلاة ، وازكى سلام ، وانمــى
بركة ، عدد ما جرى به قلمك، ونفذ به حكمك ، واحاط به علمك ،
وعدد نعمائك ، وافضالك وآلائك ، وعدد كلماتك التاما ت، وعدد
ذوات مثاقيل جميع الكائنات ، فى الليل والنهار ، والعشــى
والابكار ، على مر الدهور والاعصار . 20

اللهم احفظنا واستــرنا وانصــرنا به فى الحــركـــات
والسكنات ، وفى جميع الاوقات ، واستهلك كثرتنا فى مرادك .
وفرقنا فى ودادك ، اللهم بحرمة سيدنا محمد ، السيد الكامل ،
الفاتح الخاتم ، اجلسنا على بساط القرب منك ، بالقناعة عـ ن
غيرك ، وبالبقاء بنورك ، وهيمنا فى برزخ الصنع ، ناظريــن 25
بك اليك ومنك ، لا الى غيرك ، انك على كل شىء قدير . اللهم
صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ، عبدك ورسولك ،

النبى الامى ، وعلى آله واصحابه ، واهل بيته ، أفضل صلاة ، وازكى سلام ، وانمى بركة ، صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد ، وتنمو وتزكو بنفائس شرائف لطائف جودك وكرمك . صلاة تفوق وتفضل صلوات المصلين عليه من اهل السماوات وأهل الارضين اجمعين ، دارة عليه وعليهم بمراحمك ، وعطفك 5
ولطفك اضعافا مضاعفة ، مستهلكة كثرات الاعداد ، بالعطف واللطف ، والفضل والاحسان ، صلاة تبلغنا بها من كل أكمل الرضى ، رضاك عنا يا أهل التقوى وأهل المغفرة والرحمة والرضوان ، وتطهرنا بها من كل دنس ورين ، سرا وعلانية ، وتمحو بها الاين والبين ، وتعصمنا بها من الزلل ، فى القول 10
والنية والعمل ، وتنور بها اسماعنا وابصارنا ، والسنتنا وعقولنا ، وقلوبنا وارواحنا واسرارنا ، وتغنينا بها عنا فى غيب غيب الهوية ، الاحمدية والمحمدية ، وتمنحنا بذلك اقرار القرار ، فانه الحبل المتين ، والنور المبين ، وقدم صدق المومنين ، ورحمة العالمين ، وقائد الغر المحجلين ، والنجم الثاقب ، ونعمتك التى لا 15
تحصى ، والعروة الوثقى ، والصراط المستقيم ، اللهم اغمسنا فى فضله بفضله ، واجعلنا من أهله يا حنان، يا منان، يا رحمان: « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » (551) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك، النبى الامى ، وعلى آله وأصحابه ، واهل بيته ، افضل صلاة ، وازكى 20
سلام ، وانمى بركة ، عدد خلقك ، ورضى نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك ، ومنتهى رحمتك ، ومبلغ رضاك ، صلاة دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، لا منتهى لها دون علمك ، ولا منتهى لعلمك ، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين ، عدد الشفع والوتر ، وعدد السحاب والقطر ، وعدد 25
ذرات البر والبحر ، ابد الآبدين ، ودهر الداهرين ، سرمدا فى

(551) سبقت هذه الآية فى ص (95) رقم (2) .

سرمد ، يا رب ، يا الله ، يا حى ، يا قيوم ، يا ذا الجلال والاكرام يابديع السماوات والارضين ، يا ارحم الراحمين ، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك ، النبى الامى ، وعلى آله واصحابه وأهل بيته ، أفضل صلاة ، وأزكى سلام ، وأنمى بركة ، صلاة تلحقنا بها بخلاصة خاصة اهل محبتك ، وتملأنا بها بحبك وحب نبيك ، سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم ، واجعله احب الينا من اسماعنا وابصارنا ، وعقولنا وقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا ، وعجل بنا بالحب منك اليك — رب — لترضى ، وافننا فى المحبة كلا وبعضا ، واجعلنا لما تنزل من سماء القربة من الماء الطاهر ارضا ، وأحينا به حياة طيبة ، مستعملين بذلك وانت العامل على الحقيقة نفلا وغرضا ، والحمد لله مظهر كل وجود ، حمدا طيبا مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا ، حمدا يستهلك ذوات موجودات ، الوجود ، حمدا يوافى نعمه ، ويكافى مزيده ، حمدا به منه اليه ، مطلقا من جميع القيود ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، كنز اختصنا به من خزائن الغيب والجود ، يستنزل بها كل خير ، ويدفع بها كل شر ، ويفتق بها كل رتق مسدود ، فانه هو الموجد لكل شىء ، وفى كل شىء هو المأمول والمقصود ، وانا لله وانا اليه راجعون ، فى كل امر نزل او هو نازل ، وفى كل حال ومقام خاطر ، ووارد ومصدر وورود ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . انتهى ما نقلته من بعض مجاميع ، وفيه بعض تصحيف ، ولم اجد غيره فى الحال ، وسأبحث عما يصحح به فى مظانه — ان شاء الله — والله ولى التوفيق ؟

وهذه ثلاث صيغ فى الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لشيخ شيوخنا ، قطب الوجود ، وشمس دائرة الشهود ، الامام المعظم ، والعارف المقدم ، سيدي أبو عبد الله محمد بن

سيدي أبى الحسن البكري الصديقى (552) ــ نفعنا الله به وبسلفه الكريم .

الصيغة الاولى :

بسم الله الرحمان الرحيم ، وبه أستعين ، اللهم صل وسلم على نورك الاسنى ، وسرك الابهى ، وحبيبك الاعلى، 5
وصفيك الازكى ، واسطة أهل الحب ، وقبلة أهل القرب ، روح المشاهد الملكوتية ، ولوح الاسرار القيومية ، ترجمان الازل والابد ، لسان الغيب الذي لا يحيط به أحد، صورة الحقيقة الفردانية ، وحقيقة الصورة المزينة بالانوار الرحمانية ، انسان
الله، المختص بالعبارة عنه ، سر قابلية التهيؤ الامكانى 10
المتلقية منه ، أحمد من حمد، وحمد عند ربه ، محمد الباطن والظاهر ، بتفعيل التكميل الذاتى فى مراتب قربه ، غاية طرف الدورة النبوية المتصلة بالاول نظرا وامدادا ، بداية نقطة الانفعال الوجودي ، ارشادا واسعادا ، أمين الله على سر
الالوهية المطلسم ، وحفيظه على غيب اللاهوتية المكتم ، من لا 15
تدرك العقول الكاملة منه ، الا مقدار ما تقوم عليها به حجته الباهرة ، ولا تعرف النفوس العرشية من حقيقته الا ما يتعرف لها به من لوامع انواره الزاهرة ، منتهى همم القدسيين ، وقد بدأوا مما فوق عالم الطبائع ، مرمى أبصار الموحدين ، وقد

4) نستعين : ن ، استعين : ل.

11ــ12) الباطن والظاهر : ل ، الظاهر والباطن : ن.

(552) ابو المكارم محمد بن ابى الحسن محمد البكري الصديقى ، من العلماء المتصوفين . (ت 994 هـ) . ــ انظر فى ترجمته :
النور السافر ص 414 ، وخطط مبارك 126/3 ، وجامع كرامات الاولياء 187/1 ، ودائرة المعارف السلامية 50/4 ، وقد اخطأ الكاتب فمزج ترجمته بترجمة ابيه محمد بن محمد (ت 952 هـ) ، وشذرات الذهب 431/8 وسماه ــ خطأ ــ (محمد بن على) وقد اوهمته تكنيته والده (محمد) بابى الحسن ، على انه جعل وفاته سنة (993 هـ)

طمحت لمشاهد السر الجامع ، من لا تجلى اشعة الله لقلب، الا من مرآة سره ، وهى النور المطلق ، ولا تتلى مزاميره على لسان، الا برنات ذكره، وهو الوتر الشفعى ، المحقق المحكوم بالجهل على كل من ادعى معرفة الله ، مجردة فى نفس الامر
5 عن نفسه المحمدي ، الفرع الحدثانى ، المترعرع فى نمائه بما يمد به كل اصل أبدي ، جنى شجرة القدم ، خلاصة نسختى الوجود والعدم ، عبد الله ، ونعم العبد ، الذي به كمال الكمال ، وعابد الله بالله ، بلا اتحاد ولا حلول ، ولا اتصال ولا انفصال ، الداعى الى الله على صراط مستقيم ، نبى الانبياء ،
10 وممد الرسل ، عليه بالذات ، وعليهم منه أفضل الصلاة ، وأشرف التسليم ، يا الله ، يا رحمان ، يا رحيم .

الصيغة الثانية :

اللهم صل وسلم على جمال التجليات الاختصاصية ، وجلال التدليات الاصطفائية ، الباطن بك غيابات العز الاكبر ،
15 الظاهر بنورك فى مشارق المجد الافخر ، عزيز الحضرة الصمدية وسلطان المملكة الاحدية ، عبدك من حيث أنت ، كما هو عبدك من حيث كافة اسمائك وصفاتك مستوى تجلى عظمتك وعلمك، ورحمتك وحكمك ، فى جميع مخلوقاتك ، من كحلت بنور قدسك مقلته فرأى ذاتك العليا جهارا ، وسترت عن كل أحد من خلقك
20 فى باطنه لك أسرارا ، وفلقت بكلمة خصوصيته المحمدية ، بحار الجمع ، ومتعت منه بمعرفتك وجمالك ، وخطابك القلب والبصر والسمع ، واخرت عن مقامه تأخيرا ذاتيا كل احد ، وجعلته بحكم أحديتك وتر العدد ، لواء عزتك الخافق ، لسان حكمتك ،

---

4) كل ما ادعى : ن ، من ادعى — باسقاط (كل) : ل.
17) مستولى : ل ، مستوى : ن.
19) (العلى) كذا فى النسختين ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وشيعته وورثيه وحزبه ، يـا الله ، يـا رحـمـان ، يـا رحيـم .

الـصـيـغـة الـثـالـثـة :

اللهم صل وسلم علـى دائرة الاحاطة العظمى ، ومركـز
5 محيط الفلك الاسمى ، عبدك المختص من علومك ، بما لم تهيىء
له أحدا من عبادك ، سلطان ممالك العزة بك ، فى كافة بلادك ،
بحر أسرارك ، الذي تلاطمت برياح التعين الصمدانى أمواجه،
قائد جيش النبوة ، الذي تسارعت بك اليك أفواجه ، خليفتك
على كافة خليقتك ، أمينك على جميع بريتك ، من غاية المجـد
10 المجيد ، فى الثناء عليه الاعتراف بالعجز عن اكتناه صفاته ونهاية
البليغ المبالغ ان لا يصل الى مبالغ الحمد على مكارمه وهباته ،
سيدنا وسيد كل من لك عليه سيادة ، محمدك الذي استوجـب
من الحمد بك لـك اصداره وايرداه ، وعلى آلـه الكـرام ،
وصحبه العظام ، ووراثه الفخام ، الحمد لله ، وسـلام على
15 عباده الذين اصطفـى ـ سبعا ، «سبحان ربك رب العزة عما
يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العاليـن »
(553) . انـتـهـى .

أقـول : هذا الامام البكري ، له الباع المديد فى التعبير
عما حصل له به الذوق ، وله فى الجناب النبوي امداح تـدل
20 على ما له من حب فيه وشوق ، ولولا الاطالة لذكرت شيئـا
من كلامه فى هذا الباب ، وان كان نقطة من بحره العبـاب ،
ولنذكر قصيدته الشهيرة ، وهى مما يتوسل به لقضاء الحوائج
ـ بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى خلوة ،

6) بـك فى : ل ، بك بك ـ مكررة ـ فى : ن
14) ووراثة : ل ،ووارثه : ن .
21) من كلامه : ل ، من ذلك : ن .

553) الآية : 180 ـ سورة الصـافـات .

وهى هذه ، وارويها عن الاديب الرحالة ، الحافظ ابن بطوطة زمانه ، سيدي محمد بن رأس العين ــ حفظــه الله ــ عــن ناظمها سيدي محمد البكري ــ نفعنــى الله بــه .

ما ارسل الرحمان او يرسل　من رحمة تصعد او تنــزل

في ملكــوت اللــه او ملكــه　من كل ما يختص او يشمل

5 الا وطه المصطفى عــبــده　نبــيــه مختــاره المرســل

واسطــة فيها واصــل لها　يعلــم هــذا كل من يعقــل

فلذ به في كل ما يرتجــى　فهو شــفــيع دائما يقبــل

وعذ به من كل ما تختشــى　فانــه المأمــن والمعــقــل

وحط احمال الــرجا عنــده　فــانه المرجــع والموئــل

10 وناده ان أزمة انــشــبــت　اظفارها واستحكم المعضل:

يا أكرم الخلق علــى ربــه　وخير من فيهم بــه يســأل

قد مسنــى الكرب وكم مرة　فرجت كربا بعضــه يذهــل

ولن ترى أعجز منــى فما　لشــدة اقــوى ولا احمــل

فبالذي خصك بيــن الورى　برتبة عنهــا العلى ينــزل

15 عجل باذهاب الذي اشتكــى　وان توقفــت فمــن اسأل ؟

فحيلتى ضاعت وصبري انقضى　ولست أدري ما الذي أفعل؟

وانت باب اللــه اي امرىء　أتاه من غيرك لا يــدخــل

صلى عليك الله ما صافحــت　زهر الروابى نسمة شمــأل

مسلما ما فاح عطر الحمى　فطــاب منه الند والمــندل

20 والآل والاصحاب ما غردت　ساجعة أملودها مخضــل

المدد يا رسول الله ، المدد يا رسول الله ، المدد يا رسول الله !

وحدثنى الرحالة ابن رأس العين المذكور ، انه أخذها عن ناظمها من لفظه ، قال :

5 وسمعته يقول فى آخرها : وصل وسلم على جميع الانبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

قال : وسمعته مرة يقرأها حتى بلغ قوله :

يا أكرم الخلق على ربه — البيت كرره ثلاثا ، ثم قرأ بعده : قد مسنى الفقر — البيت، اعنى أنه أبدل لفظ الكرب بالفقر، ثم 10 أعاد بالضر، ثم أعاد الثالثة، فذكره بلفظ الكرب — كما هو فى أصل القصيدة. وقال لى المذكور : سمعت الشيخ — رضى الله عنه — يكرر قوله : صلى عليك الله — البيت ، ثلاث مرات ، قال : وكرر قوله : عجل باذهاب الذي اشتكى — البيت ، مع البيت الذي قبله ، و هو قوله : فبالذي خصك ثلاثا — اعنى 15 أنه كرر البيتين ثلاث مرات ، ومسح بيديه على موضع الالم . وكان سبب انشائها ، انه كان — رضى الله عنه — رمدا ، فقالها فبريء ، قال وهى مجربة لذهاب الضر ، فمن كان به ضر فليقرأها ويمسح موضع الضرر بعد قوله : فبالذي خصك بين الورى — البيتين ، بعد ان يكررهما ثلاثا ، وحينئذ يمسح على 20 موضع الشكوى — كما فعل الشيخ — رضى الله عنه ؟ انتهى ما اخبرنى به الاديب ابن رأس العين — حفظه الله .

وتذكرت هنا ما كتب به الشيخ البكري (554) المذكور لقاضى

---

2 صلى عليك الله : ن ، صلى الله عليك : ل .
22 كتب بـه : ن ، كتبه : ل .

---

(554) وكتب الشيخ البكري هذا اجازة للسلطان المغربى المنصور الذهبى كما ياتى ، انظر مناهل الصفا ص (269(نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

مكة المشرفة، السيد محمد ابن السيد حسن أفندي ـ رحم الله الجميع ـ ، ونصه :

حمدا لمن جعل من طوالع التجلى النبوى ، فى مطالع التحلى العلوي ، سعودا ، ورقى دراري ذراري ، صاحب الرسالة ، فى معارج عز البسالة، صعودا، فانجز للدهر ، بعلماء عترة من نزل عليه سورة العصر ، وعودا ، والمع من خلال حبك سماء الجمال المحمدي ، كما اسمع من خلال سحب فلك الجلال الاحمدى ، بروقا ورعودا ، وشهادة للحق سبحانه بانه لانه الحق الذي لم يزل الاها وترا صمدا معبودا ، ولمحمد عبده ورسوله ، بانه الذي أعجز عن الاحاطة بكنه مقامه عقولا ونقولا ورسوما وحدودا ، وصلاة وسلاما عليه وعلى آله وصحبه الذي جعل الله حوض معارفهم ، مترعا موروداً آمين.

وبعد، فقد تمتع ناظري، وتروح خاطري ، برقيم ارسلته يا علامة العلماء الى ، ومثال كأنما القى من سدرة المنتهى على ، ولا بدع فقد علم الله ما كان بيني وبين المرحوم المغفور مولانا والدكم من تراضع كؤوس الفضل عند ذلك البيت الاكرم ، والحجر الاسحم ، والحجر والحطيم وزمزم ، والحمد لله الذي اطلعك من فلك ذلك المقام سراجا وقمرا منيرا ، وجعلك لابناء الفضائل حيث حلوا عاضدا ونصيرا ، ثم لا أقدر أن أصف طيب ما ارسلته اليك الآن من تحية عطر طيبها الخوا... ولا أكتفى أن أقول تنافح رضوان، وخزان الجنان ، والحور الولدان ، والرفاف والعبقري الحسان (555) ، وانما أقول : أرجو أن تكون نفسا من انفاس الرحمان ، على ما يليق بعظمة ذلك الشان ، ثم لله الحمد أن أبرز فى اواخر هذا القرن العاشر،

(10) وصحبه : ل ، واصحابه : ن
عنايته : ن ، عناية : ل.

(555) يشير الى قوله تعالى فى سورة الرحمان « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان » ـ الاية 76 .

خبيئة عنايته لعباده ، وأهل سحابة رحمته لعباده ، واظهر من
وراء استار الغيب كافيا كافلا ، وعزا للاسلام واهله كافــلا ،
وذلك مولانا المقام العالى ، ابراهيم باشا ــ بلغه الله من أرفع
المراتب فى الدارين ما شا وطاول بعمــره الابــد ، وحرســه
بــ « قل هو الله احد » (556) ، ولقد وصل الى هذا الفقير ، 5
احسانه الوافر ، ولا ريبة عندي بعد اذ الارداة الالهية السبب
الباطن ــ انكم السبب الظاهر ، مع ما جبلته الشريفة الاغضلية
من المثابرة على تعظيم طائفة العلماء ، ومعاملتهم بالعناية الزكية
بعين الله على زمن جعل فيه هذا الانسان لعيون الاعــيــان
انسانا ، ودهر بوجود هذا العزيز سواه انسانا ، ثم ما برزت 10
به اشارتكم الواجبة الامتثال ، بادر الفقير الى تحصيل شيء
فى الحال ، وارسله صحبة حاملها الرجل الصالح ، الحاج محمد،
وهو خمسة أسفار ستتشرف بنظركم الذي به تستنير الابصار
عالما رب السماء والارض ، والطول والعرض ، ان الفقير لا عهد
له بشيء من ذلك ، اولا لوعورة هذه المسالك ، وثانيا ــ وهو 15
الاول الحقيقــي ــ الاعتماد على الملك المالك ، والله تعــالى
يذلل لكم نواصى المطالب ، ويزيد علو قــدركــم على مفارق
الكواكب ، مسؤولا احسانكم فى دوام الجبر بالمــراســلــة ،
والتأنيس بالمواصلة ، وانتم فى أمان الله تعالى وحــفــظه ،
وعنايته ولحظــه . انتهــى . 20

ومن بديع نظمه ــ رحمه الله ــ يخاطب سلطان المغرب،
مولانا أمير المؤمنين ، أبو محمد عبد الله الغالب بالله (557)،

---

556) الآية : 1 ســــورة الاخـــلاص .

557) من كبار الملوك السعديين ، سار فى الرعية سيرة حسنــة (ت 981 هـ) . ــ انظر الاستقصا ج 5/52ــ53 ــ طبع دار الكتاب الــــدار البــيــضاء .

الشريف الحسنى ، صب الله عليه شئابيب رحته :

ولما نأيتـم ولـم أستطع — أسيـر لحضرتكـم بالقـدم
سعيت اليكم برجل الرسـو — ل وخاطبتكـم بلسان القلم

وأخبرنى بعض الاصحاب الكتاب، انه كتب بهذين البيتين
5 أيضا ، لمولانا أمير المؤمنين ، أبى العباس المنصور (558) ،
أخو الغالب بالله المذكور ، جدد الله عليه حلل عفوه ، وكان —
رضى الله عنه — كتب اليه بالاجازة العامة ، وكان المنصور أمير
المؤمنين ، كثيرا ما يفيض عليه — على بعد الدار — سجال نواله،
يتحفه بما يقتضيه شرف احواله ، ولما مات رحمه الله ، اجرى
10 تلك العادة مع ابنه الشيخ الاستاذ زين العابديـن (559) —
رضى الله عنهم أجمعين ، واوردهم من سلسال كرمه وعفوه ،
رضوانه المنهل المعين . وللسيد البكري المذكور يخاطب بعض
الناس :

1) صب الله عليه شآبيب رحمته : ن ، رحمه الله : ل.
4) كتب اليه بالاجازة : ن ، كتب له بها لاجازة : ل.
12) وللسيد البكري المذكور : ن ، وله : ل

558) ولعل هذا هو الصواب ، والا فالسلطان الغالب بالله ، ما عرف له اتصال برجال الفكر والادب فى الخارج ، وابو العباس المنصور هو واسطة عقد الدولة السعدية وكانت له اتصالات مع ملوك الشـرق والـغـرب (ت 1012 هـ)
انظر الاستقصا 163/5 — 186 ، ومناهل الصفا ص 25 .

559) انظر بعض رسائل المنصور فى هذا الصدد — فى مناهل الصفا للفشتالى — نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية — ص 188 — 190 .

اذا زرتـــم وتفــضلـــنـــم وشرفتمونـــا بنـــقـــل القدم
فذاك عجـــيـــب ولا منقص دخول الموالى بيوت الخدم

وله رحمه الله من مطلع قصيدة (رائقة) :

انظر بعينك مشرقا او مغربا تجد الوجود عن الحقيقة معربا

5 وله ـ (رضى الله عنه)) ديوان نظم يزري بالدرر ، اشتمل من كلامه على جملة كلها غرر ، تتنسم نفحات الفتح الربانى التوفيقى من سطوره وطروسه ، وتتبسم عن ثغـور المنـح الايقانـى الصديقـى ازهار غروسه ، ان السعادة اصلهـا التخصيص ، « ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، والله ذو الفضل
10 العظيم » (560) ، « يوتـى الحكمة من يشاء » (561) ، فلا حاجة الى زيادة التنصيص .

رجع (الى ما كنا فيه) ، وقال الشيخ الامام العلامة ، سيدي أبو عبد الله محمد الرصاع (562) ـ رحمه الله ـ : ما رأيت صلاة احلى وأجمع ، وأزكى وامتع ، من صلاة الشيخ

---

3) رائقـة : نـ ل .
5) (رضـى الله عنه) : نـ ل .
8) (غروسه ، ان السعادة اصلها التخصيص ، ذلك فضل الله .. يوتى الحكمة ـ الآية ، فلا حاجة الى زيـادة التنصـيـص : ل غروسه ذلك فضل الله .. يوتى الحكمة .. كثيرا ، والمقام اشهر من ان يحتاج الى زيادة التنصـيـص ، ان الســعـادة اصلها التخصيص) : ن ففيهما تقديم وتاخير .
(الى ما كنا فيه) : نـ ل .

---

560) الآية : 54 ـ سورة المائدة .
561) الآية : 269 ـ سـورة الـبـقـرة .
562) أبو عبد الله محمد بن قاسم الانصاري التونسـى ، شـهـر بالـرصـاع (ت 894 هـ)
انظر نيل الابتهاج ص 324 ، والبستان ص 283 .

الوالى العارف بالله ، المحب فى رسول الله ، سيدي على بن (563) وفا — رضى الله عنه ، ونفع به — .

اللهم صل على النور الاول، والسر الانزه الاكمل ، عين الرحمة الربانية ، وبهجة الاختراعات الاكوانية ، صاحب الملة
5 الاسلامية ، والحقائق العيانية ، نور كل شىء وهداه ، وسر كل شىء وسناه ، من فتحت به خزائن الحكمة والرحموت . ومنحت بظهوره انوار الملك والملكوت ، قطب دائرة الكمال ، وياقوتة تاج محاسن الجلال ، انسان عين المظاهر الالهية ، ولطيفة تروحنات الحضرة القدسية ، مدد الامداد ، وجود الجود
10 وواحد الاحد وسر الوجود ، واسطة عقد السلوك ، وشرف الاملاك والملوك ، بدر المعارف فى سماوات الرقائق وشمس العوارف فى عروش الحقائق ، بابك الاعظم ، وصراطك الاقوم ، وبرقك اللامع ، ونورك الساطع ، ومعناك الذي هو بانق كل قلب سليم طالع ، وسرك المنزه الساري فى جزئيات العالم
15 وكلياته ، علوياته وسفلياته ، من جوهر وعرض ووسائط ، ومركبات وبسائط ، مغرب اسرار الذا ت، ومشرق انوار الصفات ومظهر التجليات ، بانوار السبحات من سنا السرادقات ، بارواح التروحنات ، المصلى فى محراب جمع الجمع باحمد ، والقاري بفرقان الفرق بمحمد ، والقائم فى الملك
20 بشرعه وجلاله ، والراحم فى الملكوت برحمته وجماله ، عين عينك الكاملة ، وخليفتك على الاطلاق فى مملكتك الشاملة ، صل اللهم عليه صلاة تعرفنى بها اياه فى مراتبه وعوالمه، ومواطنه

15) علوياته : ل ، علوه : ن.
17) ومظهر التجليات : ل ، ومظهر انوار التجليات : ن.
21) صل اللهم : ل ، اللهم صل : ن.

563) ابو الحسن على محمد بن محمد بن وفا القرشي الانصاري الشاذلي (ت 807 هـ)
انظر الضوء اللامع 21/6 ، خطط مبارك 142/5 ، وطبقات الشعراني 20/2 ، وشجرة النور ص 240 .

ومعالمه ، حتى اشهده بعين العيان ، لا بالدليل والبرهان ،
وأعرفه بالتحقيق ، فى كل موطن وطريق ، وارى سريان سره
فى الاكوان ، ومعناه المشرق فى مجاليه الحسان ، واجعل اللهم
نور مددي من شمس حقيقته ، ومن نور بدر شريعته ، حتى
5 استضيء فى ليل جهلى بانوار حقائق معارفه ، وانس فى غربة
مسراي بانس لطائفه . واحملنى الى حضرته القدسية الاحمدية
على كاهل شريعته المحمدية ، وعمر اطوار نقص باطوار كماله
وألبسنى من خلع جلاله وجماله ، واغردنى فى حبه كما
أغردته فى حسنه واحسانه ، وخصصنى بخصائص قربه
10 وامتنانه ، حتى أكون وارثا له به ، وناظرا منه اليه ، وجامعا له به
عليه ، اللهم وصل صلاتك الازلية الاحدية ، فى مظاهرك
الابدية الواحدية ، ما توحد تجليك ، وتكثر الفرد فى العدد ،
وأشرقت أنوار الصفات بتوالى المدد ، واتسعت ربوبية الحكيم ،
وتقدست سبحات العليم ، بتسبيحات التمجيد والتكريم ،
15 بلسان القدم ، فى ازل الازل ، وتقدس الواحد فى صفتى الجلال
والجمال ، وسلم عليه سلام الفردانية ، ما تعددت مراتبه
العددية فى وحدة مراقى درجاته العلوية ، فى مقامات
العبودية ، بتوالى شهود الرحمة الذاتية ، واندراج الانوار
الصفاتية ، فى المجالات الاطوارية ، والمطارات الملكية ، وسجدت
20 له الارواح الروحانية ، فى محراب الآدمية ، جامع حيطته
المحيطة الاحمدية ، بالانوار السبوحية ، الكاتبة بالاقلام
المعنوية ، فى الالواح الشهودية ، بالاسرار الخفية ، عن
الادراكات البشرية ، وصل وسلم عليه صلاة وسلاما يتقدس
فيهما عن عوارض الامكان لوجوب اتصافه بالكمالات ، وعموم
25 عصمته فى جميع الخطرات ، ما تنزه شامخ عزه عن النقص
السلوب ، وثبت راسخ مجده بالذات والوجوب ، وارض عن
أصحابه ائمة الهدى ونجوم الاقتدا ، ما تعاقبت ادوار الانوار ،

4) نور مددي : ل ؛ مددي ــ باسقاط (نور) : ن .

وأشرقت أسرار الاسرار ، وسلم تسليما كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وفى بعض النسخ زيادة قوله : يا مولاي يا واحد ، يا مولاي يا دائم، يــا عـلــى يــا حــكـيــم .

5 انتهت هذه الصلاة العظيمة الشان ، نقلتها مــن خــط شيخ شيوخنا العلامــة الاوحــد ، سيــدي أبــى الفضــل سيدي (564) خروف التونســى ــ رضى الله عنه ، وقابلتها من خط غيره ، حتى صححتها على ما كتبتها عليه هنا . نسال الله ان ينفعنــى بها ، ويتداركنــى بعفوه ، بجاه سيدنا محمد 10 ــ صلى الله عليه وسلم .

رجــع الى ما كنا فيه ، ومن نثره ــ رحمه الله : خطبــه التى سارت بفصاحتها الركبــان ، ولهج بــبلاغتها الشيــب والشبان، وكان منها ما نسجه على بعض سور القرآن ، بطريق الاقتباس ، الذي لا يلحق سامــعــه شــك فى تــبــريزه ولا 15 التباس ، وقد سمعت مولانا العم ، الامام مفتى تلمســان ، وخطيب جامعها الاعظم ، عمنا سيدي سعــيــد بــن احمــد المقري (565)) ــ رضوان الله عليه ــ يخطب ببعضها ، ومما علق

1) الاســرار : ن ، بالاسرار : ل .
12) كتب بها مش نسخة ل : (ومن رسائل القاضى عياض الوجيزة : مالى ولك .. ورحمه الله وبركاته هو هذا الكلام كتبه المؤلــف بالطرة ولم يشر لحل اخراجه ولم يصيح عليه ..) وهو ساقط ص نسخــة ن .
18) (عليه) : ن ــ ل .

564) ابو عبد الله محمد خروف التونسى نزيل فاس (ت 966 هـ) انظــر لقط الفرائد ص 297 ، وص 307 ، والمرآة ص 9 . وفهرسة المنجور ص 36 ، والجذوة ص 205 ، وشــجــرة النور ص 281 ، والاستقصا ج 112/4.
565) ابو عثمان سعيد بن احمد المقري ، فقيه تلمسان ومفتيها فى عصره: (ت 1010 هـ) ــ انظر صفوة من انتشر ص 44 ، ونشــر المــثــانــى 60/1 .

بحفظـــى منها بعد الصدر :

أيها الانسان ، ان الله تعالى قد وهبك من عنايته حـــظــا اقتضـــى شرفك موفورا ، وابرزك من العدم الى الوجـــود ، ومن الغيب الى الشهود ، وعرفك ذلك بقوله : « هل اتى على
5 الانسان ، حين من الدهر لم يكن شيئا مذكـــورا » (566) ، استودع عالمك المختص من بدائع الحكمة الالهية ، ما يحار فيه عقل متجلية ، ونضد جواهره النفيسة ، فى سلك الازدواج فكل عضو الى ما يليه ، وصرف فيه من وجوه الاتقان ، ما دل عليه بتعريف « انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ، فجعلناه
10 سميعا بصيرا » (567) . فيا أيها المبتلى الى كم الاضطجـــاع على فرش البطالة ، يكفيك من هذا النوم ، غرقت يا مغرور ، فى بحر الغرور ، ولم تحسن العوم ، لله در قوم ، اشفقوا من هول المطلع « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولـــقـــاهم نـــضـــرة وسرورا » (568) . تأملوا ــ رضى الله عنهـــم ــ بابصـــار
15 البصائر الصافية واعتبروا ، وعلموا انهم مجزيون باعمالهـــم فانتهوا وائتمروا ، وجردوا ملابس الكسل عن الطاعة فجدوا وشمروا ، عاملوا الله بالصدق فرضى عنهم ، « وجزاهم بمـــا صبروا جنة وحريرا » (569) ، سلك بهم سائق التوفيق اهدى المسالك ، حملهم على جادة الجد علمهم بما هنالك ، فلو رأيتهم
20 فى الجنة وقد حفت بهم الولدان والملائك ، لرأيت قوما مبرورين « متكئين فيها على الارائك ، لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا» (570) فلله طيب أنفاس هؤلاء القوم حين يتجلى لهم فى حضرة قدسه ــ رب الارباب ، « ونودوا أن تلكم الـــجـــنة الـــتـــى

(566 الآية : 1 ســـــورة الانـــســـان .
(567 الآية : 2 ــ نـــفـــس الســـورة .
(568 الآية : 3 ــ نـــفـــس الســـورة .
(569 الآية : 12 ــ نفس الســـورة .
(570 الآية : 13 ــ نـــفـــس السورة .

أورثتموها » (571) بأعمالكم فطوبى لكم « وحسن مئاب » .
(572) « ويطاف عليهم بآنيه من فضة وأكواب كانت قواريرا »
(573) اكثروا من الصالحات ، وأسيت ، فنعم ما فيه سعوا
وبئس ما فيه سعيت ، أقبلوا على الناصحين بقلوبهم فوعوا
5 وأنت أعرضت عنهم ونأيت ، فما أعظم حسرتك اذا عاينت
منازلهم قد ازلفت « واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا »
(574) ، فما لك يا حيران تتلى عليك آي القرآن ولا تزدجر
بعظاتها ، ولا تغرق ، ركبت فى بحر التسويق ، ولم تبال
بالتخويف ، أخشى عليك أن تغرق ، اما علمت انه لا بد لك من
10 موقف القمر فيه يخسف ، والبصر فيه يبرق ، فهنالك يمتاز
الفريقان ، فنهار اولئك بالشقاوة أظلم ، وليل هؤلاء بالسعادة
أشرق ، فريق « سرابيلهم من قطران » (575) وآخرون
« عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ، وحلوا اساور من
فضة ، وسقاهم ربهم شرابا طهورا ، ان هذا كان لكم جزاء وكان
15 سيعكم مشكورا » . (576) ويقرأ « من كان يريد العاجلة » الى
« محظورا » (577) وسمعته — رضى الله عنه — يخطب
بخطبة أخرى للقاضى عياض — رحمه الله ، اقتبس فيها آيات
من سورة الكهف (وغيرها) وأوردها أبن الخطيب فى «الاحاطة»،
فى تاريخ غرناطة» (578) وقال : ان القاضى عياضا لا يخطب الا

---

18) وغيرها : ن ل .

---

571) الآية : 34 — سورة الاعراف .
572) الآية : 29 — سورة الرعد .
573) الآية : 15 — سورة الانسان .
574) الآية : 20 — نفس السورة .
575) الآية : 50 — سورة ابراهيم .
576) الآية : 21 — سورة الانسان .
577) الآية 8 — سورة الاسراء .
578) انظر الاحاطة

بانشائه، وهـــي :

الحمد لله الذي سبق كل موجود قدما . وسـع كـل شيء رحمة وعلما (579) ونعما ؛ وهدى اولياءه . طريقا نهجا امما . و « أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ، لينذر بأسا شديدا من لدنه ، ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه ابدا » ، أحمده على مواهبه وهو أحق من حمد ، وأساله أن يجعلنا أجمع ممن حظـي برضـاد وسعد ، واستعينه على طاعته وهو أعز من استعين واستنجد . واستهديه توفيقا فان « من يهد الله فهو المهتد ؛ ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا». (580) وأشهد ان لا اله الا الله، وحده لا شريك له شهادة فاتحة لاقفال قلوبنا ، راجحة باتقال ذنوبنا منزهة له عن التشبيه والتمثيل بنا ، « وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » (581) وأشهـد أن محـمـدا عبـده ورسوله انزل عليه الفرقان ، وبعثه بالهدى والايمان ، وأخزى بدعوته دعوة اولياء الشيطان ، واقعدهم «مقاعد للسمع»، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ». (582) أيها السامع ، قـد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى وسكراته ، ووعظك كتاب الله بزواجره وعظاته ، فتأمل حدوده وتدبر محكم آياتـه ، « واتل ما اوحـي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ، ولن تجد من دونه ملتحدا » (583) أين الذين عتوا على الله وتعظموا واستطالوا على عباده وتحكموا ، وظنوا ان لن يقدر عليهم حتى

3) (وأنزل على عبده ... من لدنه ويبشر ... ماكثين فيه ابدا) : ل ، (وانزل على عبده ... من لدنه الى ابدا) : ن.

579) اقتباس من قوله تعالى «ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلـما » الآيـة : 7 سـورة غـافـر

580) الآية : 17 ـ سـورة الكهف

581) الآيـة : 3 ـ سـورة الـجـن .

582) الآية : 9 ـ نفس السـورة.

583) الآية : 27 ـ سورة الكهـف .

اصطلموا ، « وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ، وجعلنا لمهلكهم موعدا » (584) ، غرهم الامل وكواذب الظنون ، وذهلوا عن طوارق الغير وريب المنون ، « وظنوا أنهم الينا لا يرجعون » (585) « حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا » (586) . فهذبوا — رحمكم الله — سرائركم بتقوى الله ، وأخلصوا ، واشكروا نعمته « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » . واحذروا نقمته واتقوه ولا تعصوا ، واعتبروا بوعيده : « قل كل متربص فتربصوا ، فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى » (588) . وأنهضوا لطاعته الهمم العاجزة ، واركضوا فى ميدان التقوى وحوزوا قصب خصاله الفائزة ، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة ، وانتظروا قوله « ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » (589) . ذلك يوم تذهل فيه الالباب ، وترجف القلوب رجفا ، وتبدل الارض وتنسف الجبال نسفا ، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا ولا صرفا ، « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » (590) . « وعرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتم ان لن نجعل اكم موعدا » (591) ، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة وارحمنا بالهداية والعصمة ، وأوزعنا شكر ما اوليت من النعمة ، « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشدا » (592)

---

584) الآية : 59 — نفس السورة .
585) الآية : 39 — سورة القصص .
586) الآية : 24 — سورة الجن .
587) الآية : 34 — سورة ابراهيم .
588) الآية : 135 — سورة طه .
589) الآية : 57 — سورة الكهف .
590) الآية : 103 — سورة طه .
591) الآية : 48 — سورة الكهف .
592) الآية : 10 — نفس السورة .

انـــتـــهـــى .

وقد وقع للقاضى — رحمه الله — اثناء كتاب الشفــاء مواضع من نثره ، هى من الفصاحة بمكان ، وقد رأيت لتلميذه الشيـــخ الامام أبى زيـــد ، عبـــد الرحمان بـــن القـــصيـــر الغرناطـــى ، تنبيهـــا عليها فى هامش متـــن النسخة التى بخطه، فمن ذلك قوله فى الشفاء عند ذكر وجه اعجاز القرآن، ومن وجوه اعجازه المعدودة، كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه ، فقال « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » (593) . — وقال : « لا ياتيـــة الباطل منبين يـــديــه ، ولا من خلفه » (594) . وسائر معجزات الانبياء — عليهم السلام — انقضت بانقضاء أوقاتها ، فلم يبق الا خبرها ، والقرآن العزيز الباهرة آياته ، الظاهرة معجزاته ، على ما كان عليه اليوم (595) مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنـــة لاول نزولـــه ، الى وقتنا (596) هذا ، حجته قاهرة ، ومعارضته ممتنعة ، والاعصار كلها طافحة بأهل البيان ، وحملة علم اللسان ، وأئمة الـ بلاغة وفرسان الكلام ، وجهابذة البراعة ، والملحد فيهم كثير ، والمعادي للشرع عنيد ، فما منهم أتى بشىء يؤثر فى معارضته ، ولا ألف كلمتين فى مناقضته ، ولا قدر فيه على مطعن صحيح ، ولا قدح المتكلف من ذهنه الا بزند شحيح ، بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه فى العجز بيديه ، والنكوص على عقـــبـــيـــه (597) —

---

5) هـــامـــش : ل ، طرر : ن.

---

593) الآية : 9 — سورة الحجر .

594) الآية : 42 — سورة فصلت .

595) أي الى اليوم — يعنـــى زمن المؤلف — وهو عام (535 هـ)

596) يشير المؤلف بهذا الى ان تاريخ تألف « الشفاء » كان فى حدود سنة (535 هـ) وانظر «نسيم الرياض ، على شفا عياض» للخفاجـــى 530/2 .

597) انظر الشفا 229/1 — مطبعة المشهد الحسينـــى .

انــتـــهـــى .

وكتب المذكور على هذا الكلام مشيرا اليه فى الطرد مـــا نصه : من كلمات القاضـــى ابى الفضل ــ رحمه الله ــ الفصيحة الجزلة .انتهـــى . ومن ذلك قوله ــ قبل هذا بأوراق : اعلم
5 ــ وفقنا الله واياك ــ ان كتاب الله العزيز ، منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعـــة وجوه ، اولها ــ حسن تأليفه ، والتئام كلمه وفصاحته ، ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن ، وفرسان الكلام ، قد خصوا من البلاغة والحكم ،
10 ما لم يخص به غيرهم من الامم ، واوتوا من ذرابة اللسان ، ما لم 3يوت انسان ، ومن فضل الخطاب ، مـــا يقيد الالباب ، جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة ، يأتون منه على البديهة بالعجب ، ويدلون به الى كل سبب ، ويخطبـــون بديها فى المقامات وشديد الخطب ، ويرتجزون به بين الطعـــن
15 والضرب ، ويمدحون ويقدحون ، ويتوسلـــون ويتوصـــلـــون ، ويرفعون ويضعون ، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل ، فيخدعون الالباب ، ويطوقون الصعاب ، ويذهبون الاحن ، ويهيجون الدمن ، ويـــجـــرئون الجبان ، ويبسطون يد الجعد البنان ، ويصيرون الناقص كاملا،
20 ويتركون النبيه خاملا ، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والكلام الفخم ، والطبع الجهوري (598) والمـــنـــزع القوي ، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة ، والالفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة ، والطبع السهل ، والتصرف فى القول ، القليل الكلفة ، الكثير الرونق ، الرقيق الحاشية ، وكلا البابين، فلهما
25 فى البلاغة ، الحجة البالغة ، والقوة الدامغة ، والقدح الفالج ،

---

598) ياتى للمؤلف انه تصحيف من النساخ ، وان الصواب (الجوهري». وانظر شرحى القاري والخفاجـــى 476/2 .

والمهيع الناهج ، لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم ، وبارعه
ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، واستنبطوا عيونها ، ودخلوا
من كل باب من أبوابها ، وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها ، فقالوا فى
الخطير والمهين ، وتفننوا فى الغث والسمين ، وتقاولوا فى القل
5 والكثر ، وتساجلوا فى النظم والنثر ، فما راعهم الا رسول
كريم ، « كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
تنزيل من حكيم حميد » (599) ، احكمت آياته ، وفصلت كلماته،
وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر
ايجازه واعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت فى الحسن
10 مطالعه ومقاطعه ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه ، واعتدل
مع ايجازه حسن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ،
وهم أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا، وأشهر فى الخطابة رجالا،
وأكثر فى السجع والشعر سجالا ، وأوسع فى الغريب واللغة
مقالا ، بلغتهم التى بها يتحاورون ، ومنازعهم التى عنها
15 يتناضلون ، صارخا بهم فى كل حين ، وقارعا لهم بضعا وعشرين
عاما على رؤوس الخلائق أجمعين : « أم يقولون افتراه قل فاتوا
بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين » (600) «وان كنتم فى ريب الى قوله : ولن
تفعلوا » (601) « وقل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا

---

6) ثبت فى النسختين بعد كريم (صلى الله عليه وسلم) ، وكتب فوقها فى نسخة (ن) علامة (ط) — يعنى طرة ، والجملة ساقطة فى نسخ الشفا .
وثبت ان النسختين (لهم) — بعد كريم ، والتصويب من الشفاء .
18) (مما نزلنا... دون الله) : ل ، ساقطة فى ن.
19) (على ان ياتوا بمثل هذا القرآن) : ل—ن.

---

599) سبقت هذه الآية فى رقم (594).
600) الآية : 38 — سورة يونس .
601) الآية : 23 — سورة البقرة
602) الآية : 88 — سورة الاسراء

بمثل هذا القرآن » الآية : و « قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات » (603) . وذلك ان المفترى أسهل ، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب ، واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ، ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له ، وفلان يكتب كما يريد ، وللاول على الثانى فضل ، وبينهما شاو بعيد ، فلم يزل يقرعهم — صلى الله عليه وسلم — أشد التقريع ، ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه احلامهم ، ويحط أعلامهم ، ويشتت نظامهم ، ويذم آلهتهم وآباءهم ، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، مخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب، والاعتراء والافتراء ، وقولهم « ان هذا الا سحر يوثر » (604) و «سحر مستمر» (605) ، « وافك افتراه » (606) ، و « أساطير الاولين » (607) ، والمباهتة والرضى بالدنية ، كقولهم : « قلوبنا غلف » و «فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب » ، (608) و « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (609) . والادعاء مع العجز بقولهم : » لو نشاء لقلنا مثل هذا » (160). وقد قال الله تعالى لهم : « ولن تفعلوا » (611) فما فعلوا ولا قدروا ، ومن تعاطى ذلك من سخائفهم كمسيلمة كشف عوراه لجميعهم ، وسلبهم الله

(11) (والانتراء) كذا فى النسختين ، والذي فى نسخ الشفا ، (بالانتراء).

(603 الآية : 13 — سورة هود
(604 الآية 27 : سورة المدثر
(605 الآية : 2 — سورة القمر
(606 الآية : 4 — سورة الفرقان
(607 الآية : 25 — سورة الانعام
(608 الآية : 155 — سورة النساء
(609 الآية : 26 — سورة فصلت
(610 الآية : 31 — سورة الانفال
(611 الآية : 24 — سورة البقرة

ما ألفوه من فصيح كلامهم ، والا فلم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ،ولا جنس بلاغتهم ، بل ولوا عنه مدبرين ، واتوا مذعنين ، من بين مهتد وبين مفتون ، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة (612) من النبى صلى الله عليه وسلم «ان الله يامر بالعدل والاحسان» (613) — الآية ، — قال : والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أسفله لمغدق ، وان أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر (614) ؟ انتهى .

وكتب بطرته ابن القصير المذكور ما نصه : فصل فيه فصاحة من القاضى أبى الفضل — رحمه الله — بديعة ، فى غاية من الاتقان والسياق ، حاز بها قصب السباق ، وأغلق فيها رهن السباق . انتهى .

وكتب المذكور على قول القاضى ، والطبع الجهوري ، ما نصه : كذا فى النسخة التى انتسخت منها ، وذلك غلط من الناسخ وانما هو الجوهري (615) والله الموفق للصواب — . انتهى

واذا وصلنا الى هذا الموضع من نثر القاضى — رحمه الله ، فلنقتصر على هذا المقدار ، فان نثره أكثر من هذا كله ، والله المسئول فى العون .

وأما نظمه — رحمه الله — ففى طرف من البلاغة عال ، ولنذكر بعضه مستمدين عون الكبير المتعال ، فنقول من مشهور

5) ثبت فى النسختين (المغيرة) والتصويب من الشفا .
9) (بما) : ن ، بما : ل . عياض :ن ـ ل.

612) قال السيوطى : وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا ، وفى رواية : انه خالد بن عقبة
613) الآية : 90 — سورة النحل .
614) انظر الشفا 212/1 — 215
615) وقد يصح كل منهما — كما فى شرحى القاري والخفاجى 476/2.

نظمه، ما فى الشفا ــ بعد كلام تقدمه من نثره ــ نصه : وجدير لمواطن عمر بالوحى والتنزيل ، وتردد بها جبريل ومكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر 5 عنها من دين الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ما انتشر ، مدراس آيات ، ومساجد وصلوات ، ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ، ومشاعر المسلمين ، ومواقف سيد المرسلين ، ومتبوأ خاتم النبيئين ، حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ، ومواطن 10 طويت فيها الرسالة ، واول ارض مس جلد المصطفى صلى الله عليه وسلم ترابها ، (616) ــ ان تعظم عرصاتها ، وتتنسم نفحاتها ، وتتقبل ربوعها وجدراتها :

يا دار خير المرسلين ومن به	هدى الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة	وتشوق متوقد الجمرات
15 وعلى عهد ان ملأت محاجري	من تلكم الجدران والعرصات
لأعفرن مصون شيبى بينها	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها	ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من جميل تحية	لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة	تغشاه بالآصال والبكرات
20 وتخصه بزواكى الصلوات	ونوامى التسليم والبركات

ــ انتهـى ــ

18) (جميل) كذا فى النسختين ، والذي فى نسخ الشفا (جنيل). وعليها شرح القاري والخفاجي .

19) (اذكى) كذا ثبت فى النسختين ، والذي فى نسخ الشفا (ازكى) بالزاى .

616) اخذه من قول القائل :
بلاد بها نيطت على تمائمى | واول ارض مس جلدي ترابها

617) انظر الشفا 56/2.

وكتب عليه ابن القصير المذكور ، ما نصه : برد الله ضريحه ، وقدس فى الجنان روحه ، لقد احكم فى هذا الفصل المقال ، ووجد مجالا للمدح فقال . انتهى .

وكتب على اللفظة التى بعد قوله مدارس آيات ظاء ، اشارة الى نظر فى اللفظة ، كما كتب مثل ذلك على قوله : وتخصه بزواكى الصلوات ، ونوامى التسليم والبركات . انتهى .

ولا ادري ما موجب النظر فى قوله ، وتخصه بزواكى الى آخره ، هل تحريك الياء من بزواكى ونوامى ، اذ لا يتزن البيت الا به ، ومثله يستعمل للضرورة ، ام ما عند العروضيين فى مثل قوله الصلوات (618) حسبما هو مقرر فى محله، فالله تعالى أعلم أي ذلك أراد. وقد وقفت لبعض المتأخرين من أهل فاس — حاطها الله — على تاليف بديع، يتعلق بالقطعة المذكورة، هأنا اورده بجملته لوجهين : الاول ان ذلك الاشكال المشار اليه فيه، لم يزل يعرض للافضال، وقد سمعت غير واحد ممن لقيته يشير لذلك . والثانى ما اشتمل عليه من الفوائد — وان كان بعضها زائدا على ما يتعلق بالقطعة — حسبما تراه بالعيان ، والله المستعان .

ونص ذلك :

الحمد لله ذي الجود والكرم ، الممتن علينا باحسانه فى ايجادنا من العدم ، وعلمنا بفضله ما لم نكن نعلم ، وهدانا السبيل اما شاكرا معظما لما عظم الله — سبحانه — فمقرب ومنعم ، واما غافلا تهاونا بأوامره ونواهيه فمنتظر للبلايا والنقم ، « كل يعمل على شاكلته » (619) على ما سبق به القضاء وحتم ، ثم الصلاة والسلام اولا وآخرا على سيد العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه الذين أكمل الله — تعالى —

(618) لعله يعني ان عروضه مقطوعة ، والبيت من بحر الكامل ، ولم يذكروا ذلك فى اعاريضه ، تامله .

(619) الآية : 84 ، سورة الاسراء

بهم الدين واتم ، والتابعين لهديهم من اولى العلم بدور الزمان وأسد العرين وشموس الهدى وأنوار الظلم ، صلاة وسلاما يمحوان عنا – ان شاء الله تعالى – ما تأخر من ذنوبنا وما تقدم . وبعد : فقد وقفت على مكتوب لبعض فقهاء الوقت

5 ومدرسيه ، كتبه بخطه ، وعين فيه اسمه واسم أبيه وجده وما يشهر به ، ناولنيه لننظر فيه ، بعد أن قرأه على من اوله الى آخره، وذلك فى ربيع النبوي عام ثمانيةو تسعمائة ، وقد فعل ذلك مع جملة من أصحابه غيري ، وربما استحسن ذلك بعضهم فنسخه ، ثم أذن لى أن أحمله لننظر فيه ، فلما نظرته وتأملته ،

10 وجدت مقتضاه وحاصله ، التعقب على اولئك السادات من ايمتنا وعلمائنا الماضين ، منهم الفقيه القاضى أبو الفضل عياض ، والعالم العلم القاضى أبو بكر بن العربى (620) ، والفقيه الامام المحقق أبو عبد الله محمد بن مرزوق (621) – رضى الله تعالى عنهم أجمعين ورحمهم ، فأطال الكلام معهم ، وتحكم

15 عليهم بعقله ، وتشبع فى ذلك كله بما لا يملكه ، وتصرف تصرف من ظهر له الحق ، فلا يرجع عنه ويتركه وهو فى ذلك كله ، يزعم أنه ظهر عليهم بالدلائل والحجج البينات ، ومن قرأ كلامه وتامله ، علم أن بضاعته فى العلم مزجاة ، ثم ان الله تعالى بفضله واحسانه – أظهر حقوق هؤلاء العلماء ، على يد أقل

20 خلق الله واضعف الضعفاء ، فأفاض – سبحانه وتعالى – من بركاتهم ، وأشرق من سنى أنوارهم لديه ، فشعشع حقهم

3–4) (وما تقدم) : ن – ، وتقدم – باقساط (ما) : ل.

21) فتشعشع : ل ، فشعشع : ن . ذلك : ن–ل.

---

620) ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربى الامام المستبحر (ت 543 هـ) انظر فى ترجمته : الصلة 531 ، والمغرب فى حلى المغرب 249/1 ، وجذوة الاقتباس 160 ، والديباج 281 وترجم له المؤلف ترجمة مسهبة فى الازهار 62/34–64 ، وص 86–95 .

621) ابو عبد الله محمد بن مرزوق الجد ، العالم المتفنن (ت 781 هـ) انظر البستان 184 ، وجذوة الاقتباس ص 141 ، وفهرس الفهارس 384/1 ، وشجرة النور : 436.

وأضاء واستنار ، وتبين خطأ المعترض على اولئك الاولياء والعلماء الكبار ، وتألف من كلام هذا المعترض وكلام خديم اولياء الله السادات — ما ملأ مجموعه بطن هذه الورقات ، وسميته بـ « الاعلام للقريب والنائى ، فى بيان خطأ عمر الجزنائى » ، والله تعالى أسأل التوفيق فى القول والعمل ، والنجح فيما نرجوه من نيل المقصود وبلوغ الامل ، وجعلت كلام المعترض مقدما حتى ينتهى ، ثم نتبعه من كلامى بما يفتح الله سبحانه — وهو خير الفاتحين .

نسخة كلام المعترض :

بسم الله الرحمان الرحيم ، والصلاة والسلام على رسول الله ، قال عمر بن عبد الرحمان بن يوسف ، الشهير بالجزنائى (622) هذا كلام ، وهو محتو على ثلاث مسائل ، نص الاولى منها مسألة لما ذكر الامام القاضى عياض — رضى الله تعالى عنه — زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشفا ، وانشد لنفسه أبياتا أجاد فيها ، غير ان بيتا فيها ضعيف المعنى، ينافى ما قصده من تفخيم الزيارة وتعظيمها ، وهو قوله :

لولا العوادي والاعادي زرتكم ابدا ولو سحبا على الوجنات

فجعل العوادي والاعادي ، تصد عن زيارة الحبيب ، والحبيب اذا تمكنت محبته من القلب ، لا يصد عن زيارته شىء ، ولو أتى ذلك على اتلاف نفسه ، وسئل اللخمى فى مجلسه : هل المشى الى الحج أفضل ، أم القعود عنه أفضل — مع اتفاقهم على سقوط الحج ؟ ، فأراد الشيخ ان يجيب — وكان فى مجلسه رجل واعظ ، فقال : اسمع يافقيه ، فانشد الرجل الواعظ :

(13) مسألة : لـ ـ ن.
(17) العوادي والاعادي : ل ، الاعادي والعوادي : ن.

(622) ابو حفص عمر الجزنائى ، كان حيا سنة (911) . انظر نيل الابتهاج — ص 197 .

ان كان سغك د مى أقصى مرادهم
فما غلت نظرة منهم بسغك دمى

فاستحسنه الناس، قلت : ألا قال عياض كما قال ابن رشيد (623)

هو القصد اذ غنت بنجد حداتنا   والا فما نجد وبدر ورباه
5 وتالله لو ان الاسنة أشرعت   وقامت حروب دونه ما تركناه

قلت : فالصواب فى ذلك ان يستبدل صدر ذلك البيت ، ويعتذر

لكن عظيم الذنب اثقل جثتى   عنكم فلم أقدر على الحركات

عن عدم الزيارة بما يليق ، قلت : فلو قال :

حق على أزوركم وأزوركم   أبدا ولو سحبا على الوجنات
10 أما الفؤاد فعامر بودادكم   متلهف من شدة الزفرات

قال أحمد بن محمد المقري — وفقه الله : وقع أبو العباس الونشريسى (624) ، حافظ الحفاظ بخطه قبالة قوله ، قلت : فالصواب الى آخر ما نصه : ولقد أحس من قال : وهل يعارض موج البحر بالوشل —) انتهى .

15 رجع الى كلام الجزنائى قال : فهذا هو الذي يليق بمقامه — صلى اللل عليه وسلم ، اذ فيه وجوب الزيارة له — صلى الله عليه وسلم ، الا ان الجثة أثقلتها المعاصى كما قال الشاعر :

(623) سبقت ترجمته فى ازهار الرياض ج 2/347—356.
(624) أبو العباس احمد بن يحيى الونشريسى ، حامل لواء المذهب المالكى ، على راس المائة التاسعة للهجرة (ت 914 هـ) انظر دوحة الناشر 93 ، وجذوة الاقتباس 81 ، والبستان 53 . وفهرس الفهارس 2/438 ، وتعريف الخلف 1/58.

لا غرو ان ثقيل الذنب أقعدني   عنكم زمانا فلم انهض ولم أقم

والقلب عامر بمحبته صلى الله عليه وسلم ، وهذه غفلة من القاضي — رحمه الله تعالى ، والا فما ذكرناه هو الذي يليق بمقامه — صلى الله عليه وسلم — انتهى .

5 والمسالة الثانية نصها : كما وقعت منه غفلة أيضا حيث ذكر الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — وعظم شانها ، ونقل عن الامام الشافعي (625) وابن المواز ان من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته ، فصلاته باطلة ، ثم أخذ يضعف هذا القول ، ثم قال : — وقد شنع 10 الناس هذه المسالة على الشافعي — ولا مستند له ، وهذا لا يليق بما قصده من تعظيم شأن الصلاة عليه — صلى الله عليه وسلم ، والذي يليق به أن يعظم شأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ويقول : حتى قال الشافعي وابن المواز ان من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته ، فصلاته باطلة، 15 ثم يقول : وهذا هو الصواب ، لان الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم ان لم تكن واجبة ، فلا تزيد الصلاة الا شرفا وكمالا ، فهذا هو الذي يليق بالمقامين ، ولو كان حيا لم يسعه الا الموافقة على ما قلناه ، والسلام على من يقف عليه . انتهى كلام المنتقد على القاضي — رحمه الله — هاتين المسالتين .

20 قال أحمد بن محمد المقري — أخذ الله بيده — : كتب الشيخ سيدي أحمد الوانشريسي هنا حاشيتين ، نص الاولى

---

625) بل ينسب اليه قوله :

يا اهل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم القدر انكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

منها : قوله – يعنى الجزنائى : كما وقعه منه غفلة الخ، قلت
يا هذا المسكين ، ما اشر بلاءك ، واقل حـيـاءك ، قررت قول
القاضى ابى الفضل وجازيته بما استحق من الثناء العطر عندك،
آجرك الله فى مصيبتك ، واعقبك خيرا منها ، الله يحفظ عقولنا
5 من الفساد ، اين مقامك يا هذا من قام شيخ المحدثين بدمشق
أبى عرو ابن الصلاح – رحمه الله – لا ورد عـلـيـه كـتـاب
« المشارق » ، انشد بديهة بانصافه ودينه وعلمه :

مشارق انوار تبدت بسبتة وذا عجب كون المشارقبالغرب

ولكن لا يعرف الفضل لذوي الفضل الا ذو الفضل . وقوله :
10 لو كان حيا لم يسعه ، الخ، انظروا لهذا الكلام البشيع كيف صير
به فخر الاسلام القاضى أبا الفضل محجورا عليه فى الكلام ،
وقولوا : الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاه به . انتهـى .

ونص الثانية قولـه ونقل الى آخـره ، قولت القاضى
عن ابن المواز ما لم يقله ، فابن المواز وان وافق الشافعى فى
15 الوجوب ، فهو بمنجاة من القول ببطلان صلاة من لم يصل على
رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذ الوجوب عنده غيـر
شرطى كما فى كثير من نظائرها فى أبواب العبادات والمعاملات،
ولا غرابة فى هذا ، قال فى المعونة : الصلاة على رسول الله –
صل الله عليه وسلم ، ليست بشرط فى صحة الصلاة خـلافـا
20 للشافعـى . انتهـى .

وقال فى الاكمال : وقال الشافعـى بايجاب الصلاة علـى
النبى صل الله عليه وسلم فى كل صلاة ، وان لم يفعل ذلك ،

626) ابو عمرو عثمان بن الصلاح الامام المحدث . (ت. 643 هـ) .
انظـر فى ترجمتـه
وفيات الاعيان 312/1 ، طبقات الشافعية 37/5 ، شـذرات
الذهب 221/5 ، مفتاح السعادة 397/1 ، و 214/2.

بطلت صلاته ، وهو قول لم يقل قبله ، وخالف الشافعي في المسألة كثير من أصحابه ، ووافقه اسحاق عليها .

وحكى بعض البغداديين عن المذهب في المسألة ثلاثة أقوال : الوجوب والسنة والفضيلة ، وقد حمل بعض شيوخنا البغداديين مذهب ابن المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي . وكلامه محتمل للوجوب على الجملة كما قالت الجماعة . انتهى .

قلت : فقوله كمذهب الشافعي ، التشبيه في الوجوب ، لا فيه وفي ابطال تركها في الصلاة .

قال في نوادر الاجماع ، واجمعوا ان المصلى اذا ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ناسيا في التشهد الاخير ، أنه في النسيان معذور ، وفي العمد مذموم ، والصلاة مجزئة فيهما معا الا الشافعي ، فانه قال : اذا ترك الصلاة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل التشهد الاخير منها لم تجزه . انتهى .

قلت : فتحصل من هذا ان الآتي بالصلاة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في الصلاة ممتثل للامر بالاجماع ، الا عند من يرى أن الوجوب متعلق عند ذكره — صلى الله عليه وسلم — فانه لا يكفيه عنده الاتيان بالمأمور به في الصلاة — والله أعلم . وهذا كله في طلب الاتيان بها في الصلاة ، وأما في جانب تركها في الصلاة ، فلا اختلاف عندنا وعند الجماهير في صحتها — مع الاخلال بالكمال ، فاذا تقرر هذا ، فما معنى قول المعترض على عياض : لان الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — ان لم تكن واجبة ، فلا تزيد الصلاة الا شرفا ؟ قلت : كون الاتيان لا يزيدها الا شرفا هو

---

9) تركها : ل ، تاركها : ن

حسن ، والاجماع منعقد عليه من كافة الائمة ، وليس الكلام والنزاع فيه ، انما الكلام فى طرف الترك ــ حسبما تقرر ، فاذا علمت هذا فكلام المعترض لا يتنزل على هذا الطرف ، وانما يتنزل فى مقابلة من يقول بانكار الصلاة على رسول الله
5 ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الصلاة ، ولا قائل بذلك اجماعا ، فبقى قوله ضائعا من الفائدة لا موقع له اصلا ، فتامله بانصاف وامعان نظر وتحقيق . انتهى كلام الامام الونشريسى ــ رحمه الله ــ .

ولنرجع الى كلام صاحب التاليف ، فانه قال : بعد كلام
10 الجزنائى ، السابق ما نصه : انتهى كلام المنتقد على القاضى ــ رحمه الله ــ هاتين المسالتين ، قلت فى الجواب عنها ــ أي عن المسالة الاولى : ما تعقبه هذا المعترض واستدركه من الاصلاح والتكميل والاعتذار عن الشيخ أبى الفضل عياض ــ رحمه الله تعالى ورضى عنه ــ فى البيت الذي نقله عنه فى الشفا،
15 وهو الخامس من الابيات الثمانية التى مطلعها :

يا دار خير المرسلين ومن به   هدى الانام وخص بالآيات

الــى ان قــال :

لولا الاعادي والعوادي زرتها   ابدا ولو سحبا على الوجنات

فقال هذا المنتقد : بل الصواب ان يستبدل صدر هذا
20 البيت ، ويعتذر عنه بما يليق به بعد أن نسب الشيخ ــ رضى الله تعالى عنه ــ الى القصور والغفلة ، فأصلح البيت المذكور،

---

9 ــ 10 فانه قال بعد كلام الجزنائى السالف ما نصه : ن ، ونصه بعد قول الجزنائى : ل.

(19) (لولا الاعادي والعوادي) ــ كذا فى النسختين ، والرواية ــ كما سبق (لولا العوادي والاعادي) .

وهو الخامس ، وزاد عليه ، وكان حق هذا الفقيه أ نلا يتكلف
هذه المشاق من اصلاح وتكميل واعتذار ، ونسبة الشيخ لما
نسبه اليه ، حتى يتثبت فى الرواية ، ويصحح المتن ، ويبنى
على يقين من كلامه ، فان البيت المذكور نقله من الشفا —
5 مصحفا ، واصله فى النسخ الصحيحة : (لولا الاعادي
والعوادي زرتها (627) ، فنقله هو (زرتكم) ، فجعل الخطاب
فيه للنبى — صلى الله عليه وسلم — وليس هو كما زعم ،
وانما الخطاب فيه للمدينة ، والضمير ضمير مؤنث ، والدليل
عليه قوله : (يا دار) ، فجعل المنادى المدينة — وهى الدار ،
10 وقال فى البيت الثانى عنده : (لاجلك لوعة وصبابة) ، فالرواية
أيضا — بكسر الكاف لخطاب المدينة ، وفى البيت الرابع :
(لاعفرن مصون شيبى بينها) ، فهو ضمير مؤنث ، عائد على
المدينة . وفى البيت الخامس الذي وقع فيه النقد على غير
أصل زرتها لا زرتكم ، فزرتكم من قول المنتقد لا من قول
15 الشفا ، اسسه وركب عليه ما أحب من كلامه .

فهذه دلائل واضحة ، تدل ان الخطاب انما هو
لمؤنث ، وضمير عائد على المؤنث ، ولما كانت هذه المدينة
من أعظم مشاهد الاسلام ، واخت مكة وشقيقتها فى الفضل
والاكرام والاحترام ، ومهبط وحى رب العالمين ، وتردد
20 جبريل عليه السلام بين جدراتها بالتنزيل ومناسك الدين ، حق
لهذا الامام العالم ، الولى الصالح ابى الفضل عياض — رحمه
الله تعالى ونفع به — أن يشتاق الى رؤيتها وزيارتها ، ويعفر
مصون شيبه فى تربها ونين جدراتها وعرصاتها ، تبركا بأرض

---

10) لاجلك ، ن ، اليك : ل.
14 — 15) قول الشفا : ل ، من الشفا — باسقاط (قول) : ن.

---

627) وهو الثابت فى نسخة الشفا المطبوعة ، وعليها شرح القارى
والخفاجى

ضمت جسد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وشرف وكرم ، ومجد ، وعظم ، فتبين من ذلك ان الغفلة التى وصف بها المنتقد امامنا الاعظم ، وعالمنا العلم الاعلم ، عادت عليه ، وزاد بالخطأ ، فتعين عليه الاعتذار والاستغفار ، مما نسبه
5 الى الشيخ – رحمه الله ونفع به

انتهى الكلام على هذا البيت فيما يرجع الى تصحيفه وتحريفه ، ويبقى الكلام على معنى البيت نفسه – وهو البيت الذي ضعف معناه المعترض ، فنقول – والله المستعان : ان عياضا – رضى الله عنه سبتى الدار ، يشاهد مصائب
10 البحر ورزاياه فى كل يوم ، مساء وصباحا ، لا تحصى ولا تخفى عليه ، وراكب ابحر أبدا مغرور وليس بمحمود – وان سلم ، ومع كونه ان حدثته نفسه – رضى الله تعالى عنه – لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم – ملاحظا للشريعة واقفا معها ، وهذا كله يخطر ببال الناظم فى حال نظمه فى اقرب زمان،
15 ولحظة عين ، فرأى – رضى الله تعالى عنه – أن المانع من الزيارة لا يدوم على حال ، فارضى محبوبه – صلى الله عليه وسلم ، واتبع هديه القويم ، وصراطه المستقيم ، وغلب السلامة فى الزمان المستقبل ، ورجا ان ما تعذر فى الوقت يتحول ، وحسن ظنه بمولاه أن يبلغه أمله ، فيوفى بعهده ،
20 ويعفر مصون شيبه كما رجاه وأمله . وقوله (زرتها أبدا)، فكأنه يقول : أزورها أبدا على كل حال كان فى الطريق معارض أو لم يكن ، من صحة او مرض ، أو غنى او فقر على قدمى ان قدرت ، أو مجررا على وجهى ، وهذا هو الغاية فى كمال الحب ، والنهاية فى الفقه والورع والتواضع – رضى الله تعالى عنه .

25 واما البيت الذي أنشده، الواعظ فى مجلس اللخمى ، فقد

---

2) من ذلك : ن ، من هذا الكلام : ل.
6) وتحريفه : ن ، او تحريفه : ل .

أوقعه الواعظ فى مجلسه ، وأسكت القوم حسن نظمه ، وبديع
ألفاظه ، ويبقى الكلام فى قائله ، فلا شك أن قائله حبه مدخول
مشوب معلول ، لكونه طالبا فيه حظ نفسه ، وبلوغ أملها ،
ونيل شهوتها ، وتشفى غليله بنظرة من محبوبه لحظه زمان ،
5 فقائل هذا البيت أصابه قنط واضطراب فى نفسه ، لكثرة ما هو
يتجرعه ويقاسيه من شان محبوبه ، فاراد أن يجهز على نفسه
ويريحها من تعب ما هى فيه ، فراى من رشاد امره ، وحسن
عاقبته ، ان يبيع نفسه بنظرة من محبوبه ، نافيا عن بيعه
وشرائه معرة العبن بقوله : (ما غلت) فهو فى بيعه هذا ، مبتهج
10 مسترخص لما اشتراه ، ولا تعرف صفقات المعاوضات وسائر
المعاملات أبدا الا هكذا ، فالمحب الصادق فى حبه ، لا يطلب
المعاوضة من محبوبه ، ولا يتشوق الى بلوغ غرض منه أصلا ،
لان من حجة محبوب هذا البيت أن يقول لمحبه : لو كان حبك
صادقا ولا دخل فيه ، ما رتبت سفك دمك على نظرة فى وجوهنا
15 ولفوضتم لنا ان نحكم فيكم بما شئنا من سفك أو غيره ، على
قاعدة كل محبوب ان الحكم له ، فلما حجرتم علينا فيما رتبتم،
وعوضتم لانفسكم واحتطتم لها ، صار تلذذكم وتنعمكم بنظرة
فى وجوهنا لحظة من زمان ، كأنها مشترطة فى اصل عقد
معاوضتكم ، والمحب اذا احتاط هذا الاحتياط خرج بذلك عن
20 قاعدة المحبين وسننهم ، وصار حبه — كما قلنا — مدخولا
مشوبا معلولا .

قال ابن عطاء الله (628) فى حكمه — رضى الله تعالى
عنه : ليس المحب ، الذي يرجو من محبوبه عوضا او يطلب

---

17) تلذذكم وتنعمكم : ن ، تنعمكم وتلذذكم : ل.
3) (ولا يطلب) كذا فى النسختين ، والتصويب من الحكم .

---

628) ابو العباس احمد بن عطاء الله السكندري العالم المتصوف (ت
707 هـ) انظر طبقات الشعرانى 20/2

منه غرضا (629) . وقال أبو عبد الله القرشـــى (630) : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ، حتى لا يبقى لـــك منه شىء (631) ، يعنى لا يبقى لك تشوف لـــنيـــل حظ او بلوغ غرض من محبوبك .

5 قال سيدى محمد بن عباد (632) — رحمه اللـــه تعـــالى ونفع به : وأما من رجا العوض ، وطلب الغرض من محبوبه ، فليس هو من مقام المحبة فى شىء (633) . وقال أبـــو محمـــد رويم (634) : من أحب العوض من محبوبه ، بغض العـــوض اليه محبوبه . فهذا كله مما يضعف البيت الذي جلبه المعترض
10 دليل على ضعف معنى بيت عياض ، ومما يزيده ضعفا ووهنا ، خطابه — قائلا لمحبوبه بمثل ذلك الخطاب ، فكأنه يقول له مخاطبا : أما ترى ما أنا فيه ، وما أتجـــرعـــه من أجلك ، ومـــا أقاسيه ؟ فان كان منتهى حالى معك قتلى ، وســـفـــك دمى ، فمتعنى بنظرة منك واستريح ، وليس من سنة المحبيـــن أن
15 يخاطبوا محبوبهم بمثل هذا الخطاب الخشن ، وانما حظ المحب التواضع والتقرب من محبوبه ، والتملق له والتذلل ، والتمسك وخفض الجناح ، ولين الجانب ، والتحبب له بكل ما أمكـــن ،

---

1) منه : ن ، منـــك : ل .

---

629) انظر الحكم بشـرح ابن عباد 59/2.
انظـــر طبقـــات الشـعرانـــى 20/2.
630) انظر ترجمته فى طبقات الشـعرانـــى 159/1
631) نقله ابن عباد فى شـرح الحكم 59/2
632) ابو عبد الـ له محمد بن ابراهيم بن يحين بن عباد النفزي الرندي، الصوفى (ت 792 هـ)
انظر ترجمته فى جذوة الاقتباس آخر الكراسة 25 ، ووفيـــات الونشريســـى — (الف سنة من الوفيات فى ثلاث كتب) ص 132— نشـــر حجـــى .

واطلاق لفظ المحب على قائل هذا البيت ، محمول على المجاز ، والحب الصادق الحقيقي : حب ابن رشيد الذي جلبه المعترض — وهو قوله :

وتالله لو ان الاسنة أشرعت وقامت حروب دونه ما تركناه

5 وقول عياض — رضى الله تعالى عنه :

لولا الاعادي والعوادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات

وقول ابراهيم بن ادهم (635) — رضى الله تعالى عنه :

هجرت الخلق طرا فى رضاك وايمت الوليد لكى اراك
10 فلو قطعتنى فى الحب اربا لما حن الفؤاد الى سواك

ونقل أبو القاسم القشيري (636) عن بعضهم انه قيل له : ما كان سبب حالتك هذه ؟ فقال : كلمة سمعتها من خلق لخلق ،

---

633) ابو محمد رويم بن احمد ، من شيوخ التصوف ببغداد ، (ت 303 هـ) انظر طبقات الشعرانى 88/1.

634) نقله ابن عباد فى شرح الحكم 60/2

635) ابو اسحاق ابراهيم بن ادهم بن منصور البلخى ، زاهد مشهور (ت 161 هـ)
انظر فى ترجمته : طبقات الشعرانى 69/1 ، ورسالة القشيري ص 8 وتهذيب ابن عساكر 167/2 ، والبداية والنهاية 135/10 وفوات الوفيات 3/1.

636) ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن التشيري (ت 465 هـ) انظر طبقات السبكى 243/3 ، وتاريخ بغداد 83/11 ، ومفتاح السعادة 438/1.

عملت فى هذا البلاء الذي رأيت ، قيل : وما هى ؟ قال : سمعت
محبا خلا بمحبوبه — وهو يقول له : أنا أحبك بقلبى كلــه ،
وأنت تعرض عنى بوجهك كله ، فقال له المحبــوب : ان كنــت
تحبنى ، فأي شىء تنفق على ؟ فقال : يا سيدي أملكك جميــع
5 ما املك ، ثم انفق عليك روحى حتى اهلك ، فقلت : هذا خلــق
لخلق ، وعبد لعبد ، فكيف مخلوق لخالق ، وعبد لمعبود ؟ فكان
هذا سببه. (637) فحب هؤلاء هو الحب الصادق المتمحض ،
الذي لا دخل فيه ولا شوب ولا علة ، اذ لا حظ لنفوسهــم فى
هذا الحب الا ما يؤلمها من السحب على الوجنـــات ، ومــا
10 يتحملونه من المخاوف والترويعات ، ومعانقة الاسنة والحروب
وأنواع المهلكات ، وهجران الخلائق طرا مع البنين والبــنات ،
والخروج عن الاموال والانفس وجميع المستحسنـــات ، كــل
ذلك فى رضـــى محبوبهم ، فحب هؤلاء وزان واحد ، وشربهم
من عين واحدة ، وكلهم يعبر عن ليلى بما يجد ، فدليل بواطنهم
15 عنوان عباراتهم .

وقول المعترض : فجعل عياض الاعادي والعوادي تصــد
عن زيارة الحبيب وتمنعه ، هو كما قال ، لانه — رضى الله
تعالى عنه — ملاحظ للشريعة ، معتن بها ، واقف معها ، فكانت
الاعادي والعوادي الموجودتان فى زمانه برا وبحرا ، مانعتين
20 له من الزيارة ، فكما هو — الآن — القاصد الى الحج ، او انى
زيارة قبره — صلى الله عليه وسلم (من قطرنا) — ممنوع شرعا،
فلا يبعد أن يكون كذلك فى زمانه — رضى الله تعالى عنه — لوجود
المانع المذكور فى الزمانين ، والعلة فى ذلك : الالقاء باليــد الى
التهلكة ، ولا يحمل أن يكون المانع له من الزيارة حظ نفسه من

---

21) (من قطرنا) : ن ــل .

---

637) نقله ابن عباد فى شرح الحكم من بعضهم ، انظر ج 59/2

أشغال الدنيا وكلفها وتكاليفها ، والحرص على محابها ، وقول
المعترض : ان من تمكن الحب من قلبه ، لا يصـــده عن زيارة
محبوبه صاد ــ ولو أتى ذلك على اتلاف نفسه ، وان هذا هـــو
الحب الكامل عند المعترض ، ولذلك أتى ببيت الواعظ دليلا على
5 ضعف معنـــى بيت عياض ، وهذا من المعترض اجمال فى محـــل
التـــفـــصيـــل .

وصواب هذا الكلام ان يقال المحبون لهم مذاهب ، فمنهم
من هو على هذه الصفة التى قال المعترض : لا يقدر أن يصبر
عن محبوبه طرفة عين ، ولا يملك نفسه ولا يمكنه ذلك حتـــى
10 يهلك ويتلف نفسه ، فاصحاب هذا المذهب اوقاتهم غير محفوظه
عليهم، لا يتقيدون بقيود الهدي، ولا يوثرون السلامة على الردى
فهم متهورون على فعلهم ، معذورون فى حبهم ، وهذا هو مذهب
المحبين من المجانين ، وعليه اقتصر المعترض ، والمذهب الآخر،
أوقاتهم كلها محفوظة عليهم أبدا آناء الليل والنهار ، يدورون
15 مع عمود الشرع حيث دار ، فاذا تقرر هذا وسلمه كل ذكى عاقل،
سليم الصدر ، سيد منصف فاضل ، علم منه أن أمامنا العالـــم
العلم ، ابا الفضل عياضا ــ رحمه الله تعالى ــ سلـــك فى حبـــه
مذهب العقلاء من المحبين ، واقتدى بامامه الولى الصالح ، امام
الزاهدين الذي نوه بذكره ، وأثنى عليه فى المحافل العظيمة سيد
20 المرسلين ، وحلاه بحلى يعجز الوصف عن مثلها ، وتكل الاقلام
عن احصاء فضلها ، دان ذغسه وعمل بعد الموت ، فوصف بالكيس
المعروف فى السماء ، المجهول فى الارض ، المسمى باويس (638)
منعه من رؤية رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وزيارته،

---

(638) **اويس بن عامر القرنـــى ، احد النساك العباد المتقدمين ، مـــن**
سادات التابعيـــن (ت 37 هـ)
انظر طبقات ابن سعد 111/6 ، وابن عساكر 157/3 ، وميزان
الاعتدال 129/1 ، وحلية الاولياء 279/2 ، وطبقات الشعرانى
27/1

فرض وجب عليه الوفاء به ، وهو خدمة امه ، وقلة ذات يده .

فمسالة عياض — رضى الله تعالى عنه — مقيسة على قضية اويس ، بجامع ان كل واحد من السيدين ، لو ارتحل الى زيارته — صلى الله عليه وسلم — لكان عاصيا ، وفعل ما يكرهه الله ورسوله ، فهذا يلقى بيده الى التهلكة ، وهذا يترك أمه مضيعة ، فخرج من هذا ، ان المعترض لم يشم من بيت الواعظ رائحة حظ نفس قائله ، وطلب راحتها ، وبلوغ املها ونيل شهوتها ، ومن ثم ضعف بيت الواعظ عن رتبة الاستدلال ، وانتفى الضعف عن معنى بيت عياض ، وبقى على ما هو عليه من الكمال ، وتبين خطأ المعترض ، وقلقه لشهوة الرد ، حتى قال ما قال وما به انفرد .

وقول المعترض : حق على أن أزوركم وأزوركم — فى اصلاحه وتكميله على عياض ، هو قول عياض : « ازورها أبدا » فأفرغه فى قالب الاصلاح والتكميل ، وكرر قول عياض ، ونسبه الى نفسه ، انتهى الكلام على البيت ومعناه .

الكلام على المسألة الثانية — بعد الحمد لله — اختصر هذا المعترض بعض ألفاظ من الشفا يحتاج اليها الناظر فى هذا المعنى، قال فى الشفاء — بعد أن ذكر حكم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يترتب عليها من الثواب ، واختلاف العلماء فيها ، وما اختاره كل واحد منهم ، فذكر مذهب مالك، والشافعى، وسفيان والقاضى ابى بكر ، والقاضى ابى محمد بن نصر ، والطبري ، والطحاوي ، والخطابى ، ثم قال : وشذ الشافعى فى ذلك ، فقال : من لم يصل على النبى — صلى الله عليه وسلم — بعد التشهد وقبل السلام ، فسدت صلاته ، وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه .

قــال القاضـــى ــ رحمه الله ــ ولا سلف للشافعـــى فى ذلك ولا قدوة ولا سنة يتبعها ، وقد خالف الاجماع من السلف الصالح قبله . قال : وقد بالغ فى الانكار عليه جماعة من العلماء ، منهم : الطبري ، والقشيري ، وغير واحد من العلماء ، وقد شنع
5 الناس عليه هذه المسالة جــدا (639) .

انتهـــى كلامه فى الشفاء . قلت : لم يقتصر صاحبنا علـــى الخطا فى المسالة الاولى حتى شفعها بأختها ، فقوله : ثم يقول وهو الصواب الى قوله : لو كان حيا لم يسعه الا مخالفة فهمكم ، وقولكم وتحكمكم عليه ، ويجب ذلك عليه وجوبا مؤكــدا ، لان
10 موافقته لكم ، علـــى ما قلتم وفهمتم بعد تصحيـــح روايـــتـه وتثبته فيما نقله عن ائمة الهدى ، وحفظه عن الشيوخ ، وسطره فيما كتبه ورواه، وسلم له ذلك فحول أهل وقته وعلمائه ، ومن بعدهم ــ الى وقتنا هذا ، عصرا بعد عصر ، وقرنا بعد قـــرن ، وجيلا بعد جيل ــ فكل من تصفح منهم كلامه : من علم كتبه ،
15 أو شعر أنشده ، أو بحث اورده ، أو غريب نسبه ، او مشكـــل فتحه ، او كتاب ألفه . ــ شهد له بغزارة علمه وسلامة فهمه ، ووفور عقله ، مع ما ثبت له ــ رضى الله تعالى عنه ــ من كونه لا يخاف فى الله ــ تعالى ــ لومة لائم فى قضائه وحكمه ، حتى جئتم انتم ــ بارك الله تعالى فيكم ، فغصتم على ذلك المعنـــى
20 الدقيق ، ونسجتم ذلك النسج الرقيق ، او شفعتم تلك المسالة بأختها التى هى عندكم فى حيز القطع والتحـــقـــيق ، فأرشدتم الشيخ ــ ارشدكم الله تعالى ــ الى أن يقول فيما قلتم وتحكمتم وفهمتم ، هذا هو الصواب ، وقلتم لو كان حيا لم يسعـــه الا موافقتنا بلا اضطراب ، حاشاه ثم حاشاه ان يوافقكم على مثل

---

21) فارشدتم : ل ، وارشدتم : ن.

---

639) انــظر الشفا 60/2.

هذا ، فيكون متلاعبا بالدين عمدا واعتمادا ، ويحرف الكلم عن مواضعه قولا واعتقادا ، واياك التهاون بالعلماء وأهل الفضل ، فقد رأيتم ما رأيتم من قبل ، وهنا انتهى الكلام على المسالتين جميعا .

فان قال أبو حفص — وهو المنتقد — تعظيم عياض — رحمه الله تعالى — وتفخيمه للمدينة في الابيات المذكورة كل ذلك التفخيم ، وتعفير شيبه في تربها وأرضها — ليس ذلك لذاتها ، بل لاجل من حل بها حيا وميتا — صلى الله عليه وسلم ، فاشتياق عياض — رحمه الله تعالى ، وزيارته لها ، اشتياق له وزيارة له — صلى الله عليه وسلم — فلا فرق اذن بين زرتكم أو زرتها ، فلم عظمتم علينا هذا الامر جدا ؟ قلنا لكم : قولكم هذا صحيح في نفسه ، وحملنا قولكم اولا على التصحيف وهو المتبادر الى الذهن ، وكلامكم هذا يدل على تبديل الرواية على جهة العمد ، فالتصحيف ابدا أخف من التحريف ، وصاحبه أعذر ، لان التحريف محض خيانة وكذب ، وهو لا يليق بكم ولا يحمل قولكم عليه . انتهى .

المسالة الثالثة نصها — بعد الحمد لله — : وقع السؤال فيما مضى وتقدم : هل ليلة القدر أفضل من ليلة مولده — صلى الله عليه وسلم ؟ فتولى الجواب في المسالة الامام الاسنى ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، العالم الكبير ، العادم النظير ، الذي له على أهل زمانه أعظم الحقوق ، وهو الشهير بابن مرزوق ، فذكر فضائل ليلة القدر ، وأطنب فيها غاية الاطناب ، ثم ذكر فضائل ليلة مولده — صلى الله عليه وسلم ، وأتى فيها بأعجب العجاب ، ثم انه صرح بأن ليلة مولده — صلى الله عليه وسلم — أفضل، واستدل على ذلك بما استدل ، فقيل له ليلة القدر فضائلها الباقية ، تتكرر فيكل سنة آتية ، وفضائل مولده — صلى الله

---

10) لـــه : لـسن.

عليه وسلم — لم توجد الا فى تلك الليلة ، فقال : بل تتكرر فى
كل ليلة تقابلها ، وأخذ يتطلب الادلة ، فاستدل أنها توجد فيما
يوافق تلك الليلة تلك الفضائل بحديث صحيح ، وزعم انه لم يبق
بعد هذا الدليل قولة لقائل ، وذلك أنه سئل عن صيام يوم الاثنين
5 — عليه الصلاة والسلام — فقال : فيه ولدت ، وفيه انزل على .
فجعل ذلك دليلا على ان (تلك) الفضائل تتكرر وتستدام

قلت : اما الليلة التى ولد فيها سيد الاولين والآخرين ،
فلا يعد لها فى الفضل شىء ، فانه — صلى الله عليه وسلم —
رحمة للعالمين ، وليلة تقدر بعض رحماته ، ولا يخالف فى ذلك
10 أحد من المسلمين ، وانما الكلام فيما يقابلها — وهى ليلة اثنى
عشر — على المشهور من ربيع الاول ، فهذا هو محل النظر بين
الليلتين ايهما افضل ؟ فالذي عول عليه هذا الامام ، أن ذلك
موجود فى كل ليلة تقابلها ، وأبدأ فى ذلك وأعاد ، وطول فى ذلك
حتى خرج عن المعتاد ، ورأى أن فضيلة الليلة التى ولد فيها سيد
15 الثقلين هى موجودة فيما يقابلها ، واستدل بحديث يوم الاثنين ،
وأكثر فى ذلك حتى قال : ما معناه ومن عنده شىء غير هذا ،
فهذا وقت الميدان ، فهذا مقتضى قوله ، وطول بذلك اللسان ؟

وعندي أن ما ادعاه غير متعين ، وما استدل به غير بين،
وذلك أن ليلة مولده — صلى الله عليه وسلم — ظهرت فيه أمور
20 خارقة للعادة بالعيان ، كانقضاض الشهب ، وتنكيس الاصنام ،
وارتجاج الايوان ، وهتف الجن ، واخماد نار المجوس ، وغير
ذلك مما ظهر للعيان وبرز للمحسوس ، وهناك فضائل باطنة ،
استأثر بها الملك القدوس ، فكما ان هذه الخارقات لم تظهر الا
فى تلك الليلة السعيدة ، كذلك الفضائل الباطنة ، ومن ادعى
25 وجودها فى غيرها فدعواه بعيدة ، فان ذلك رجم بالغيب ، ولا
يسلم مدعيا بغير دليل من الغيب ، وما استدل به من حديث

6) تلك : ل-ن.

يوم الاثنين فليس له فى ذلك دليل ، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل ، لانه يلزم منه ان يكون يوم من الاثنين تكون فيه تلك الفضائل ، وهذا لا يقوله هذا الامام ولا يقوله قائل، وأيضا فانه لا خلاف ان يوم الجمعة افضل من يوم الاثنين ، فاذا اضمحل هذا الدليل ولم يبق له اين — انتهى .

قال أحمد بن محمد المقري — وفقه الله — : كتب الامام الوانشريسى بخطه على قوله : فاذا اضمحل هذا الدليل ما نصه : قلت : اضمحلال الدليل لا يكون الا بمصادمة دليل له أقوى ، وانه لم تات بمطلق دليل أصلا فضلا عن دليل أقوى ، وقصارى ما رددتموه به مجرد الدعوى ، وهو لا يفيدكم فائدة ، وما الزمتموه يلتزمه ونلتزمه عنه ، ودليله ما ابداه من الحديث الصحيح ، وهو بين لمن معه مسكة انصاف ، ولا سيما — والفضائل عملية ، ولا توخذ بقياس ، « وذلك فضل الله يوتيه من يشاء » ، فاذا تقرر هذا ، فاسمع يا عمر ، اذا بدت رايات النصوص فى ميادين الكفاح، طاحت أعلام المقاييس فى مهاب الرياح ، وعجبا من هذا الرجل كيف يحكم باضمحلال دليل الخصم فى أفضلية يوم الاثنين ، ويدعى أفضلية يوم الجمعة عليه بالكتاب والسنة والاجماع ، وأي دليل له من الكتاب يسلم له، وأي اجماع يسلم له ويقبل منه، حتى يزيف به دليل الخصم، وقد طلب بتحقيق هذا الاجماع نقلا عن الائمة ، فاشتغل بالروغان والحيدة ، وقد حكى بعض الاكابر اجماع الامة على افضلية ليلة القدر على يوم الجمعة ، وعلى يوم عرفة ، فما حيلتك أيضا فى رد هذا الاجماع وانكاره . انتهى كلام الوانشريسى .

ولنرجع الى كلام الجزنائى فنقول : بعد قوله « ولم يبق له اين » ما نصه : ومما قال هذا الامام أيضا — رضى الله تعالى عنه — ان الامام أبا بكر بن العربى — رحمه الله — قال :

من فضل الله تعالى على هذه الامة أن اعطاها ليلـــة الــقــدر .
فجعل لها عاما بالف شهر ، ثم قال الامام ابن مرزوق : هكذا وقع
لهذا الامام وصوابه : جعل لها ليلة بالف شهر — وان كانت كما
قال ، الا ان الواقع ما ذكرناه ، وهذا ابلغ فى التفضيل وسعـــة
5 الاحسان . انتهـــى .

قال أحمد المقرى — وفقه الله : كتب الشيخ الوانشريسى
— رضى الله عنه عند قوله — ومما قال هذا الامام الى آخره —
ما نصه : قلت : قولت الرجل — ياخى مـــا لم يقـــل : اذكروا
أمواتــكــم بــخــيــر .

10 واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تصف احدا منهم بما فيكا
انــتــهــى .

ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول : قال الجزنائى بعد قوله :
(وسعة الاحسان) ما نصه : فعرض لى فى كلام هذين الامامين
— رضى الله تعالى عنهما — اشكال ، وذلك ان ابن العربـــى جعل
15 العام بمثابة الف شهر ، وابن مرزوق جعل الليلة بمثابة الف
شهر ، وكل واحد منهما لا يساعده القرآن ، فان الله — تعالى —
يقول : « خير من الف شهر » (640) ولم يقل بمنزلة الـــف
شهر، فقد تكون خيرا من ألف شهر بأضعاف كثيرة — كما قال
تعالى : « وللآخرة خير لك من الاولى ». (641) فأنت ترى فضيلة
20 الآخرة على الدنيا ، لا سيما عند من يرى أن الالف لم يقصد به
العدد ، وانما اراد الدهر كله — كما قال تعالى : « ومن الذين
أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر الف سنة » (642) — انما اراد
هاهنا : الابد ، ولم يرد العدد ، والسلام على من يقف عليه ، ولم

(640) الآية : 3 — سورة القدر
(641) الآية : 4 — سورة الضحـــى
(642) الآية : 96 — سورة البقرة

ارد بما قلته الانتقاد عليهم ــ رضى الله تعالى عنهم ، وانمــا اردت ظهور الحق من حيث هو (حق) ، قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية ، العبد المذنب عمر من عبد الرحمان بن يوسف الجزنائى ــ لطف اللل تعالى بالجميع ــ مسلما على من يقف عليه ، والحمد للــه رب العاليــن . 5

أقول ــ والله سبحانه وتعالى المستعان ــ قد سلم هــذا المعترض صحة حديث يوم الاثنين ، غير أنه استبعد الاستدلال به بل أبطله ، واستبعاده يدل أنه مزكوم عن فهم معنــى ذلك الحديث ، واحتجاج العالم المحقق ابن مرزوق به على ما صرح 10 به من استدامة التفضيل فيما يقابل الليلة السعيدة ، هو فى محله على ما نقله عنه ، وهو ظاهر جلى ، وبيان ذلك أن جوابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ للسائل بعد ان نبىء ونزل عليه الوحى ، وبين جوابه وولادته أزيد من اربعين سنة ، فجوابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ادل دليل ، لكل فطن نبيل ، على اثبات الفضيلة والشرف 15 لليلة السعيدة وصبيحتها ، واتصال ذلك وتكرارهما فى كل ليلة تقابلهما من وقت ولادته الى وقت جوابه للسائل ، ثم بعد الى قيام الساعة . وقول المعترض فى المسألة الثالثة ــ قبل هذا : ومن ادعى وجودها فى غيرها ، فدعواه بعيدة وذلك رجم بالغيب ، ولا يسلم قائلها بغير دليل من العيب ، هو كلام صدر من المعترض 20 بغير تأمل، لم يدر فيه ما يقول ، يستوجب عليه خلع لسانه ، بعد تعزيره وهد اركانه ، لانه اثبت فيه سوء الفهم والبعــد عــن الصواب ووجوب العيب ، والرمى بشبه الكذب ــ وهو الرجم بالغيب ، لمن قال باستدامة التفضيل وتكراره فى كل زمان يقابل بالزمان الذي ولد فيه سيد الخلق ، وأتــى بمن التى هى للعموم،

---

2) (حق) ساقطة من النسختين ، والمعنــى يقضيــها ــ ويأتــى للمؤلف التصريح بذلــك .

9) المحتق : لــن.

20) (خلــع) : ل ، قلع : ن.

فعمت كل شخص ، ومن جملتها نبينا ــ صلى الله عليه وسلم .
لانه أخبرنا ــ وخبره صدق ، وشهادته حق ــ بتكرار الفضيلة
واستدامتها ، الى قيام الساعة فى جوابه للسائل عن صيام يوم
الاثنين، فقال : فيه ولدت، وفيه انزل على . فراعى ــ صلى الله
5 عليه وسلم ــ فضيلة اليوم الذي ولد فيه ، ولاحظ شرفه من
يوم ولادته الى حين الجواب ، فكيف يصف هذا المعترض من
ادعى تكرار الفضل والشرف بسوء الفهم والعيب ، والرجم
بالغيب ، ونبينا ــ صلى الله عليه وسلم ، مدعيه . وقوله : يلزم
منه الى قوله : وهذا لا يقوله قائل . وقوله : ايضا لا خلاف ان
10 يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين ، فاضمحل هذا الدليل ، ولم
يبق له اين ، وجعله الخوارق الظاهرة ، والفضائل الباطنة ،
مقصورة على تلك الليلة ، فجوابه عن هذه الفصول الثلاثة أن
يقال له : أنت بمثابة رجل يطلب ولده وهو على عنقه ، لان
الحديث المسلم صحته عندك ، يخبرك ان الزامك تلك الفضائل فى
15 كل اثنين الزام صحيح عامل ، ونفيك الخلاف عن يوم الجمعة
قول باطل ، وجعل تلك الخوارق مع الفضائل قاصرة على تلك
الليلة شيء لا يفهمه عاقل، لكون الحديث المذكور نصا صريحا
فى ولادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الاثنين نهارا ، والذي
تقرر عند علمائنا ــ رضى الله تعالى عنهم ــ ان الازمان والبقاع
20 لا فضيلة فيها لذاتها ، ولكن لما خصت به ، وحل بها ، فكما
فضل الموضع الذي ضم جسده ــ صلى الله عليه وسلم ــ على
جميع أقطار الارض وبقاعها اجماعا ، فكذلك الزمان الذي ولد
فيه ، فضل جميع الازمان اجماعا ، لان شرف كل زمان ومكان ،
بحسب ما شرف به ، فيوم الجمعة له فضل جسيم ، وشرف
25 عظيم ، لكون آدم ــ عليه سلام الله تعالى ــ خلق فيه ، واهبط
وتيب عليه ، فروعى شرفه ، وفضله من ذلك الوقت الى وقتنا هذا

1) وسلم : ن-س.

بعد قرون واعصار لا تعد ولا تحصى ، فيكون هذا الزمان الذي ولد فيه سيد الخلق ، اولى أن يراعى بالتعظيم والاجلال ، وبالدعاء فيه والابتهال ؟ انتهى .

قال احمد بن محمد المقري — وفقه الله — : كتب الامام الونشريسي — صب الله عليه شآبيب رحمته — على قول هذا المؤلف ، فيكون هذا الزمان الى آخره — ما نصه : قلت : قال بعض اهل الحقائق : لصاحب الوقت يومان :

يوم بارواح يباع ويشترى نقدا وآخر لا يسام بدرهم

وفصل الفضل بينهما :

وما تفضل الايام أخرى بذاتها ولكن أيام الملاح ملاح

فافهم الاشارة ، انتهى كلام الونشريسي .

قال احمد بن محمد المقري — وفقه الله — أشار الامام الونشريسي بقوله : بعض اهل الحقائق الى أشهر أسلافنا، الامام العلامة ، القاضي بالحضرة الفاسية — أيام المتوكل عنان، الشيخ العارف ، القدوة المؤلف ، الكبير الشهير ، أبو عبد الله المقري التلمساني القرشي (643) — رضى الله عنه ، فان

---

11) انتهى : ن ـ ل.

---

643 ابو عبد الله محمد بن محمد المقري القرشي ، الفقيه الحجة . (ت 758 هـ)
انظر الاحاطة 136/2 ، نيل الابتهاج 249 ، التعريف 59 ، المرقبة العليا 96 ، البستان 154 ، النفح 203/5 ، تعريف الخلف 493/2 ، سلوة الانفاس 271/3.

ذلك نص كلامه فى كتاب الحقائق والرقائق له ، وهو كلام منور وبـــاللـــه التوفيـــق .

ولنرجع الى ما كنا بصدده من كلام المؤلف الراد علـــى الجزنائى، قال ـــ بعد قوله والابتهال ـــ فان رتب الشرف أبدا مختلفة : فليس يوم ولد فيه سيد الانبياء والرسل، كيوم خلق فيه ادم عليهم أجمعين سلام الله ـــ فى الشرف سواء ، فاين قولكم يوم الاثنين لا تكون فيه تلك الفضائل . ولا يقول هذا الكلام قائل ؟ وأين قولكم : فاذا اضمحل هذا الدليل ، ولم يبق لـــه أين ؟ وأين تحجيركم تلك الفضائل مع الخوارق على تلك الليلة؟ فلا تقف أيها الرجل ما ليس لك به علم ، ولا تتبع من امـــور دينك الا الامر المهم ، وواجب عليك أن لا تختصر شيئا من كلام العلماء ، ولا تنقله بالمعنـــى ولا بالمقتضى ـــ ان اردت تعقبه، فان النقل امانة ، والتحريف خيانة ، وبعد تعقبك اياه ينظر الناس فيه ، فيقرأ ويسمع ، والحق أحق وأولى ان يتبع ، ومن هناك ينكشف عن المسألة الغبار ، ويتبين الفرس الجنيب من الفار ، وما ذكرتم أيضا فى آخر كتبكم عن الامام ابن العربى ـــ رحمه الله تعالى ـــ حين تكلم عن ليلة القدر فقال : من فضل الله تعالى على هذه الامة ، ان جعل لها عاما بألف شهر ، وان كان ـــ كما قال . ثم انكم ، بارك الله تعالى فيكم ـــ أفرغتم كلامهما فى قالب الاشكال والتعقيد ، ليتهيأ لكم الرد عليهـــمـــا والتعقيب ، فقلت : عـــرض لى فى كلامهما اشكال ، فان الاول جعل العام بمثابة الف شهر ، والثانـــى جعل الليلة بمثابـــة ألف شهر ، وكل واحد منهما لا تساعده الآية ، لان القـــرآن لم يقل : بمنزلة ألف شهر ، وانما قال « خـــيـــر مـــن الـــف شـــهـــر » ـــ قلت : ظاهر كلامك أن القرآن لم يقل بمنزلة ، انهما قالاه ، وهما لم يقولا بمنزلة ولا بمثابة ، ولم يتلفظـــا بواحد منهـــمـــا .

قال أحمد المقري – وفقه الله – : كتـب الونشريشـي هنا ما نصه : قلت : صحة الرد عليه ، تتوقف على تحقيق متـن كلام الشيخ ابن مرزوق – رحمه الله – انتهـى .
رجع الى كلام المذكور ، قال – بعد قوله منهمـا – مـا نصه : وانما القائل لذلك انت ، لتركب عليه اعتراضك، وهلا قلت– كما قال من سبقك بالسيادة ، ولين الجانب ، فقلت : صوابه كذا ، فتكون مثله فى السيادة والادب او تقارب ، وانت أيهـا السيد والاخ – فى الله تعالى – دع الولوع عنك بمثل هـذا ، واقبل على شانك ، وانظر الى سنك .
قـال أحمد المقري – وفقه الله – : كتب الونشريسـي على قوله سنك ، ما نصه ، قلت : ويرحم الله القائل :

أبعد الاربعين تروم هزلا فما بعد العشية من عرار

انـتـهـى .

رجـع ، قال المذكور : واعلم ان العلماء هم أهل الله – تعالى – وخاصته وحماه ، فلا ترع حول الحمى ، تقرب الى الله – تعالى – بغير هذا ، وليكن هذا آخـر النصح اليكم . والسـلام .
خاتمة : ذكر هذا الفقيه ابو حفص عمر ، كلاما ختم بـه المسألة الثالثة المتقدم ذكرها ، ونص ذلك الكلام : ولم ارد بما قلته الانتقاد عليهم – رضى الله تعالى عنهم – وانما اردت ظهور الحق من حيث هو حق ، قال ذلك وخطه بيده الغانية ، عمر بن عبد الرحمان بن يوسف ، الشهير بالجزنائى ، مسلما على من يقف عليه ، والحمد لله رب العالمين . انتهـى .
قلت : هذا الكلام فى نفسه فى غاية الحـسن والادب ، والتواضع مع هؤلاء العلماء والاولياء الجلة – رضى الله تعالى

عنهم أجمعين . ثم انى تاملت هدا الكلام والفاظه الواقعة فى المسائل الثلاث المتقدمة ، فوجدتها تنافى ما قصده من ظهـور الحق والادب معهم ، والتواضع والدعاء لهم ــ رضى اللـه تعالى عنهم . فمن ذلك : قوله : ومن ادعى وجود هذه الفضائل فى غيرها ، فدعواه بعيدة ، وذلك رجم بالغيب ، ولا يسلم قائلها بغير دليل من الغيب . ومنها ليس له فى حديث يوم الاثنيـن دليل ، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل ، ومنها هذا الكلام لا يقوله قائل . ومنها : وطول بذلك اللسان ، وأبدا وأعاد ، حتى خرج عن المعتاد . ومنها : فاضمحل دليل يوم الاتنين ، ولـم يبق له اين . ثم ختم كتابه ــ وكان ختامه مسكا ، مخبرا عـن القاضى ابى الفضل عياض ــ رحمه الله تعالـى ، ورضـى عنه ــ بقوله : وهذا لا يليق بما قصده ، والذي يليق به أن يقول كذا وكذا ، ثم يقول : هذا هو الصواب ، ولو كان حيا لم يسعه الا الموافقة على ماقلناه والسلام . انتهـى . ــ

قلت : الظواهر اذا تكررت وتظافرت ، قامت عند علمائنا ــ رضى الله عنهم ــ مقام النص ، يقول هذا الفقيه : لم ارد الا ظهور الحق ، كلام جرى على لسانه ، فهو محمـول علـى المجاز ، والحقيقة ما اقتضته ظواهر هذه الالفاظ ، وشهدت به القرائن الحالية ، ودل عليه سياق كلامه ــ وهو شهود نفسها وتعظيمها ، ورؤية حظها ، واتباع هواها ، وانفراده لا بزعمه فى وقته بالسؤدد ، ومساواته لهؤلاء العلماء المعترض عليهم فى العلم والحفظ والفهم ، بل يرى أن له شفوفا عليهم فى اعتقاده لكونه غاص على ما أغفلوه ، وعلم ما جهلوه ، فكان ذلك سببا للحط من أقدارهم الرفيعة ، وغضا لهم عن مناصبهم العلية ، وبحصول ذلك فى نظره نسب لبعضهم العيب، ورماه بما يقارب الكذب الذي هو الرجم بالغيب ، ولبعضهم القصور والغفلة ، ولآخرين البعد عن الصواب ، وعدم فهم الكتاب ، مع انه وضع

عليه خمسمائة مجلد بعد خروجه من بلده غريبا مهاجرا ، ويرى
فى ذلك كله أنه على المنهاج القويم ، وصراط الله المستقيـم ،
وليت شعري ما معنى قوله فى الامام ابن مرزوق : وأبدأ وأعاد
حتى خرج عن المعتاد ، ما هذا المعتاد عنده ؟ وما حده ؟ فــان
5 العلم نور الله عز وجل، فاذا أشرق من صدر صاحبه واسطاع
ايملك حصره او يستطاع ؟

وقد قدمنا فى هذه الخاتمة ، ما ختم به أبو حفص كتابه .
بما فيه كفاية ، وأعظم دلالة على جرأته فى نقله، وتحكمه بعقله،
وقله أدبه ، وسوء فهمه ، فأغنى ذلك عن شرح بقية الفاظـه
10 الحسنة ، وجمل من كلماته المستحسنة ، ثم نسأل الله جل
وعلا ـ بجاه سيد الخلق عنده ـ ان يختم لجميعنا بالحسنى ،
وأن يسامحنا أجمعين ، ولا يواخذنا بما قلنا ، وعملنا وظننا ،
انه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير ، وصل اولا وآخـرا ،
وظاهرا وباطنا ، على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله ، خاتم
15 النبيئين ، وسيد المرسلين ، وشفيع الملأ المذنبين ، وان يعـم
بهذا الدعاء والدينا ، وجميع المسلمين آمين ، آمين يا رب
العـالمـيـن .

ثم بعد فراغـي من هذا المجموع ، نبهنى بعض الفضلاء،
أن يقع الجواب عن المسألة ـ وهى قوله فى المسألة الثانية ، (كما
20 وقعت من القاضـي ايضا غفلة ، حيث ضعف قول الشافعـي
وابن المواز) ، ثم قال : (وهذا لا يليق بما قصده من تعظيـم
الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم) الى قوله : (ثم نقول وهذا
الصواب ، ولو كان حيا لميسعه الا الموافـقـة على ما قلناه
والسلام) . فأقول ـ والله سبحانه المستعان ـ : ان الجواب
25 عن هذه الجملة التى اكتنفت طرفى المسالة الثانية : اولها وآخرها

2) فى ذلك كله انه على : ل ، انه فى ذلك كله على : ن.
16) يا رب : ن ، رب : ل.
22) نقول : ن ، يقول : ل.

هو أن يقال لهذا المعترض : ان نظرت بعيني بصيرتك وانصفت ، لم تجد مناغاة بين ما قصده ــ رضى الله تعالى عنه ونفع به ــ من تعظيمه الصلاة على رسو لالله صلى الله عليه وسلم ، وبين تضعيفه قول الشافعــى ، وبيان ذلك : ان قصده للتعظيم قصد صحيح ، لان تعظيم الصلاة عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ تعظيم ذاته ومحبته ، واتباع سنــتــه ، وسنة السلف الصالح بعــده ، واتــبــاع هــديــهــم الــقــويــم ــ ســـرا واعلانا ، « ليستيقن الذين اوتوا الــكــتاب ، ويزداد الذيــن آمنوا ايمانا « . فيجب اتباعهم ــ على كل حال فيما نقلوه ، وقعدوه وأصلوه ، وحسنوه أو وهنوه ، فانكار المعترض عنــى القاضــى ــ رحمه الله تعالى ــ تضعيف قول الشافعى وابن المواز ــ اعتمادا منه علــى ما حسنه له عقله ووهمه ، وانتهى اليه فكره وفهمه ، جهلا منه ان الاجماع انعقد من السلف الصالح قبل الشافعى وابن المواز على صحة ما قاله القاضــى ــ رضى الله تعالى عنه ــ واختاره وامضاه ، وعلى ابطال ما اشار اليــه المعترض وحسنه وارتضاه ، وان كان الشافعى وابن المواز ــ رضى الله تعالى عنهما ــ وافاض علينا من بركاتهما ، قد بلغا هناك من العلم والاجتهاد ، المبلغ العظيم، ولكن كما قال مولانا فى كتابه الكريم : « وفوق كل ذي علم عليم » (645) ، فلمــا جعل المعترض ذلك ، ونظر فى المسألة بفرد عين ، لم ير بهــا الاجماع منصوصا مسطرا ، فمن أجل ذلك، صير المنكر معروفا، والمعروف منكرا ، ثم انه بكيسه ، وحسه وحدسه ، ولم يقتنــع بهذا كله ، ولم يحتشم مما قال حتــى اشلى (646) القاضى ــ رحمه الله تعالى ــ على نفسه ، مع جلالة قدره ، وعلــو منصبه ، أن ينتقض ما أخذه الله تعالى من العهد والميثاق ، على

(644) الآية : 31 ــ سورة المدثر
(645) الآية : 86 ــ سورة يــوســف
(646) اشلاه : اغراه ودعاه

الذين اوتوا العلم ليبيننه للناس ، ولا يكتمونه (647) ، بأن يوافق المعترض عن قوله وفهمه ، فيحبسه عليه الكرام الكاتبون ويكتبونه ، فيقوله بذلك قول الزور، ويوقعه فى المحذور ، وحاشاه ثم حاشاه أن يوافقه على مثل هذا ، فيكون متلاعبا بالدين عمدا واعتمادا ، ويحرف الكلام عن مواضعه قولا واعتقادا ، وهنا انتهى الجواب عن هذه الجملة المنسى الكلام عليها ، وبعد كتب هذا الجواب ، عرضت لى مسالة أخرى ، فاجبته هنا ، وذلك ان المعترض ذكر فى المسالة الثالثة ما نصه : (وعندي أن ما ادعاه ابن مرزوق غير متعين ، وما استدل به غير بين ، وذلك أن ليلة مولده — صلى الله عليه وسلم — ظهرت فيه أمور خارقة . الى قوله : (فاضمحل هذا الدليل ، ولم يبق له أين) ، انتهى الجواب عنها ، فاقول — والله سبحانه المستعان : — محل الحاجة من هذا الكلام ، هذا الالزام ، وذلك ان قوله — عليه السلام — لسائله عن صيام يوم الاثنين مجيبا : (فيه ولدت ، وفيه انزل على) — تعظيم وتشريف لذلك اليوم ، وان الفضائل التى نفاها المعترض عن ذلك اليوم ، هى بكمالها كامنة فى ذلك اليوم لولادته فيه ، كما أخبر — صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم الجواب عن هذه المسألة بكمالها ، وان الزمان الذي ولد فيه سيد الخلق، فضل جميع الازمان اجماعا . فقال هذا المعترض : هذا كلام لا يقوله قائل ، ويعنى بذلك ان تلك الفضائل ، لا تكون فى ذلك اليوم ؟ وقوله : لا يقوله قائل ، معناه قائل يعتبر قوله ، ويلاحظ

---

2) ويكتبونه : ل ، فيكتبونه : ن .
3) يوافقه : ل ، يوافق : ن.
16) اليوم : ل—ن.

---

647) يشير الى قوله تعالى — فى سورة آل عمران — : (واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) — الآية : 187

علمه ونقله ، كان هذا الكلام عنده فى حيز القطع والتحقيق ، ومن قال غيره فهو عنده فى غاية الضعف والتلفيق ، هذا هو الظاهر البين من كلامه ، فلما عم هذا النفى ولم يخص ، جاء الاشكال والتلبيس والاجمال ، فيحتمل أن يكون الكلام المنفى عنده ، قول النبى عليه الصلاة والسلام ، ويحتمل ان يكون الكلام المنفى كلام غيره ، فاذا تقرر هذا وسلمه كل ذي عقل سليم تعين الوقوف ، وجاءت الحيرة ، وتردد النظر ، واشتدت الفكرة : ايهما يغلب ، هل حرمة النبى صلى الله عليه وسلم ، فيكشف ظهر المعترض ، ويبالغ فيه بالضرب الوجيع ، لان الجاه عظيم ، وحماية كريم عرضه حق واجب على كل مسلم سليم ، والى هنا بلغت اذايته ، وكادت تنكشف للمسلمين سريرته، من اطلاقه العنان ، وعدم ضبطه الكلام وامساكه اللسان ، فكيف بمن دون هذا النبى ، من الاولياء والعلماء والصلحاء ، فمنهم الصديق الاكبر ، أبو حامد الغزالى (648)، والولى الصالح أبو بكر بن العربى ، والفقيه القاضى ولى الله — تعالى — أبو الفضل عياض ، والفقيه الامام العالم العلم الشهير ، أبو عبد الله بن مرزوق — رحمهم الله تعالى أجمعين ، ونفعنا ببركاتهم ، فما منهم واحد الا وقد أهانه ، وغض من منصبه العظيم .

قال احمد المقري — وفقه الله — : كتب هنا الشيخ الوانشريسى ما نصه : قلت : ويرحم الله الشيخ ابا القاسم

---

24) (والاجمال) ، فى النسختين (والاجماع) ولعل الصواب ما اثبتناه.
العلم : ل ـ ن.

---

648) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى حجة الاسلام (ت 505 هـ)
انظر طبقات الشافعية 101/4 ، وشذرات الذهب 10/4 والوافى بالوفيات 277/1 ، ومفتاح السعادة 191/2 .

ابن عساكر (649) حيث يقول : اعلم يا أخـى أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله فى هتك أستـار منتقصيهـم مشهـورة معلومة ، وان من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب — انتهـى .

5 رجع الى كلام المؤلف المذكور ، قال — بعد قوله العظيم — ما نصه : فانظر عاقبة أمره ، هل تزيد اعوجاجا ، او يتداركها ربنا عز وجل فتستقيم ؟ غير ان الغزالى — رحمه الله تعالى — لم أقف على نص معارضته اياه ، ولكن ذلك شائع عند أهـل الفضل من علمائنا ، وذكر لى بعض الاكابر من اهل العلم ، أن

10 الصمم الذي أصابه ، انما كان من وقوعه فى الغزالى ، قبل هذه السنة — أعنى سنة كتب هذا المجموع .

قال أحمد المقري — وفقه الله : كتب الونشريسـى على قوله من وقوعه فى الغزالى ما نصه :

ستعلم ليلى أي دين تداينت ۝ وأي غريم للتقاضى غريمها

15 انـتـهـى .

رجع ، قال المذكور : فبعدما فرغ من معارضته ، اصابه — والعياذ بالله — ما أصابه ، فان قال هذا المعترض : أشققت على قلبى فى دعوى العموم ، وان ذلك يعم المـعـصوم وغير المعصوم ؟ وهذا من سوء الـظـن المنهـى عـنـه ، ان بعض

20 الـظـن اثـم ، ومـا أشـرتـم الـيـه ، لـم أقـصـده ولم أنـوه ، ولم يخـطر لى ببال ؟ قلـت له فى الـجـواب : فسالتك هذه ، هى من باب خطاب الوضع ، فلا نتعرض لنيتك

22) خطاب الوضع : ل ، الخطاب الوضعـى : ن.

649) ابو القاسم على بن الحسن بن عساكر الدمشقى المؤرخ الشهير (ت 571 هـ)
انظر مفتاح السعادة 216/1 ، والبداية والنهاية 294/12 ، وطبقات الشافعية 273/4 ، ودائرة المعارف الاسلامية 237/1.

وقصدك ، ولا نسالك عنهما ، ولكن حيث وجد هذا اللفظ او مثله منك او من غيرك ، وجد ما يقابله من ادب فى الظهر ، او حد فى العنق، وقضية سيدي عمر الرجراجى (650) — رحمه الله تعالى ونفع به — مشهورة ، وذلك انه كان مولعا بسوق الكتبيين فى
5 كل جمعة ، فجاءه الدلال بكتاب فيه سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان خط الكتاب ركيكا جدا ، فقال رجل — الى جنبه — : ما هذه الا سيرة سوء ، فسمعه من حضر ، وأدوا عليه ، فأفتى فقهاؤنا بقتله ، فحلف الرجل انه لم ينو ، ولم يقصد عيبا ، ثم حلف الشيخ رضى الله تعالى عنه — بعد أن توجه الى القبلة :
10 انه لصادق فى يمينه ، وما اغنى عنه ذلك شيئا ، ان ضربت عنقه فى الوقت، ، فكما وجب القتل هنا على هذا مع كونه لم يصرح بسب هذا النبى الامى ، فكذلك يجب الادب الوجيع على من غض قلامة ظفر من منصبه العلى — ان كانت القضية مثل هذه، والا فلا فرق فى القتل بين من تعرض لسبه ، او غض غضا بينا
15 من منصبه — صلى الله عليه وسلم ، وشرف ، وكرم ، وسواء كان ذلك فى قوله — كا فى هذه القضية ، او فعله او خلقه ، او خلقه او دينه، أو نسبه أو ضحكه او مزاحه — صلى الله عليه وسلم ، وسواء كان ذلك تلويحا أو تصريحا ، او تغلب حرمة الظهر ، فان ظهر المؤمن حمى ، وفى الصحيح ادرءوا الحدود
20 بالشبهات (651) . وهذا كله موكول الى القضاة والحكام ، قرب شخص يكفى فى زجره فتل اذنه ، وآخر ألف سوط على قول

---

(650) ابو حنص عمر الرجراجى خطيب جامع الاندلس بفاس ، وكان زاهدا قوالا للحق . (ت 810 هـ) .
انظر درة الحجال 202/3 ، ونيل الابتهاج ص 195 ، وشجرة النور 250

(651) اخرجه ابن عدي عن ابى عباس مرفوعا
انظر الـ جامع الصغير بشرح فيض التدير 227/1.

العوام ؟ انتهى . وحكايته مع الفقيه الامام ، العالم المفتى ، أبى
العباس أحمد بن زكري التلمسانـــى الدار ، (652) معروفـــة
مشهورة ،وذلك أنه وصل الى مدينة فاس بعض كلامه ، فوضع
عليه المعترض المذكور بطاقة كلها مغقرة ، وحملنى مع رجل الى
5 منزله ، وقراها علينا كلها ، لا يدري من سمعها أهـــى هجو أم
غيره ؟ فكان يقرؤها علينا — والعسل والسكر يقطر من فمه ؛
وعاب كلامه كله ، ثم بعد ذلك ، لقيه رجل من طلبة الفقيه ابى
العباس احمد المذكور ، فتكلم معه فى مسالة من علم الكلام ،
وطال الكلام بينهما ، وسمعت من وراء الناس ان الطالب ظهر
10 على المعترض المذكور بالحجج والدلائل ، وربما شنعوا فى ذلك
الوقت عنه شيئا قبيحا ، وتمشى ذلك فى الالسنة ، ثم ان يوما
بعد صلاة العصر ، قامت الاولاد وصبيان المكاتب فى صحـــن
جامع القرويين ، يصيحون صيحة واحدة بكلمتين مغقرتين ،
يقولون فى الكلمة الاولى : عمر ، ثم يكملون القافية الاخـــرى
15 علـــى وزنها غقر ترتعد منها الفرائص ، بقى كذلك الى ان جـــن
الليل ، فخرجوا وكتبوا الكلمتين على غلق حانوته فى الشهود
بحجر أبيض ، غلظ الاصبع ، يقرؤه كل احد ، وبقيت حانوتـــه
مغلقة أياما حتى محا ذلك جيرانه وغيرهم ، ولـــم يعلـــم أن
انتصار الله تعالـــى لهؤلاء السادات ، اتم انتصار لهم مـــن
20 انتصارهم لانفسهم ، فلما فقر عليهم ، وعرض قوافيه عـــلى
الناس فى الاسواق ، فقر عليه ، وكتبت تلك القوافى على بابه
فى الاغلاق — جزاء وفاقا ؟

قال احمد المقري — وفقه الله : كتب الامام الونشريسى
على هذا المحل ، ما نصه :

---

(652) ابو العباس احمد بن محمد بن زكري التلمســـانـــى ، الفقيـــه
الاصولـــى (899 هـ)
انظـــر نيل الابتهاج 84 ، البستان 38 ، كشف الظنون 1157 ،
تعريف الخلف ، 38/1 ، شجرة النور167.

قلت : ولقد احسن القائل فى هذا المعنى ما شاء :
(ومن يمت فله الرحمان ينتصر)
انتهى .

رجع الى كلام المؤلف المذكور ، قال : فاهتد أيها المعترض
5 بهدي ساداتك ومن تقدمك ، وأنصف اصحابك كانصافهم ،
واعترف بخطاك الظاهر البين ، فان الاعتراف ، يمحو الاقتراف
وان لم تعترف وتقر لمن هو دونك فى المنزلة والمكانة ، وغلبك
الهوى والشيطان ولم تعصهما ، فشمر عن ساعد جدك ، واجب
عما كتبته بخطك ، وقل ما شئت من هجوك ونوعه من نثرك
10 ونظمك ، وامل ذلك على حفظتك ، تجده غضا طريا قريبا من
خاتمتك .

ثم ان هذا المعترض لما بلغه كلامنا وكتبنا الذي فى هذا
المجموع، فلما قرأه وتبين له خطؤه وسوء ادبه على العلماء ،
وقلة حيائه عليهم ، واشتد نكير غير واحد من علماء الوقت عليه
15 ضجت نفسه من ذلك ، وانفت وضاقت ، واخذ يكتب بالرد
علينا فى ألغاظ يغفلها الكاتب ، ولا يحسبها كل سيد فاضل الا
طغيان قلم ، فيعظم هو شأنها ، ويشنع أمرها ، ويطوف بها
على الحوانيت ، ولا يقتصر على القول وحده ، بل يكتب فى ذلك
كتبا مفترا ، ويقرؤه على الناس فى حوانيتهم بنفسه ، وقد فعل
20 ذلك مع الفقيه العالم المحقق ، مفتى مدينة تلمسان ، سيدى
أحمد بن زكري ـــ رحمه الله تعالى ، وقد رأى لذلك أعجوبة
عظيمة تقدم ذكرها ، وهو يعلم او لا يعلم ان ذلك من الغيبة
المتفق على تحريمها ، ورحم الله الشيخ أبا القاسم بن عساكر
حيث قال : اعلم يا أخى ان لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله
25 تعالى فى هتك أستار مستنقصيهم مشهورة معلومة ، وأن من
أطلق لسانه فى العلماء بالثلب ، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت
القلب . ومقصوده بهذا الطواف على الحوانيت ، واعلام الناس
بانى كتبت المحظور ـــ بالضاد ، فاسقطت قرن الظاء فى الكتب ،

ويكتب الكلمة فى آخر السطر . وتكميل بقيتها فى السطر الثانى — تنفيرا للناس عن النظر فى هذا الكلام ، وتقبيحه فى اعين الناس ، واطفاء نور الله الذي أظهر منه حقوق اولئك العلماء والسادات المعترض عليهم ، ويابى الله الا ان يتم نوره— على رغم أنفه ولو 5 كره ، وقد صرحت فىهذاالمجموع فى مسائل ، أنه يلزمه فيها خلع لسانه ، وثقب اشداقه ، وهد اركانه — وكشف ظهره للادب الوجيع ، ولم يتكلم على مسالة واحدة منها ، ولم يعتذر وكانه لم يرها أصلا، وتعامى عنها، ومن هذا المعنى ما كتبه بخطه ، ولم يدر فيه ما يقول ، ولو حضر بين يدي السلطان ، او من بيده 10 تنفيذ الاحكام الشرعية ، لاوجب عليه الادب الوجيع ، للعبة بالاحكام الشرعية كيف يشاء .

قال بخطه : ان يوم الجمعة أفضل جميع الايام ، بالكتاب والسنة والاجماع ، وليت شعري ما هو هذا الكتاب ؟ ومن نقل هذا الاجماع ؟ ثم قال أيضا بخطه : لا خلاف أن يوم الجمعة 15 أفضل من يوم الاثنين ، ثم قال : وأما الزمان الذي ولد فيه سيد الخلق ، فقد فضل جميع الازمان ، ولا خلاف فى ذلك بين المسلمين ، وهو يزعم أنه أحدهم ، فتدخل الليالى والايام الفاضلة عند الناس ، كيوم عرفة ، ويوم الاضحى ، وليلة القدر ، وعشر ذي الحجة ، والاشهر الحرم، وغير ذلك حتى يوم 20 الجمعة ، وقد نص المعترض عليه أنه أفضل من يوم الاثنين من غير خلاف ، ومن جميع الايام باجماع ، فيدخل يوم مولده — صلى الله عليه وسلم — لانه عنده مفضول باجماع ، فانظر الى هذا التناقض والتدافع والتهاتر . فيجب عليه أن يبين من قاله من العلماء ويعين اسمه؛ فان قال المعترض لم نزل نسمع العلماء 25 والخطباء، أن يوم الجمعة هو سيد الايام، ومظنة انحطاط الذنوب والآثام، وقد شاع فى الاسلام حظه وخطره، وانتشر فى العالمين

24) العلماء : ل ، الاعلام : ن.

وذكره ، فمن ثم أخذت أنه أفضل من يوم الاثنيـــن ، قلنا له فى الجواب : هيهات ، لقد حكيت ، ولكن فاتــك الشنــب ! وها هو الكون كله من العرش الى الثرى ، وما تحت الثرى ، وجميع ما فى العالم كله ، علوه وسفليه ، من ملك وجن وانس ، وجميـع
5 الحيوانات كلها . والجمادات وغيرها، تخبرك ان لا يوم أفضل، ولا أشرف ، ولا أعظم خطرا ، ولا أعلى قدرا ، من يوم الاثنين. الذي ولد فيه سيد الثقلين، وقلت أنت ــ وقولك هذا حق: لا يعادل زمان ولادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الفضل شيء أي زمان وكتبت بخطك ، وقلت ــ ولا يخالف فى هذا أحد من المسلمين ،
10 وان المسلمين كلهم متفقون على هذا ، ونحن نعتقد أنك أحــد المسلمين ، فكيف تعد نفسك منهم ، وتقول ان يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين من غير خلاف ، فيوم الجمــعــة ــ وان كان معظما قديما وحديثا ، وخصه الشرع بخصائص لم توجد فى يوم سواه ، وتلك الخصائص لا تحصى كثرة ، واعظمها فريضته
15 المعلومة ، وما يتبعها من السنن والآداب وخصال الفطرة ، كما خصت بساعة الاجابة ، وكون ميتها لا يروع ولا يسأل ، وقيام الساعة ، وغير ذلك ، فالخصوصية التى خص بها هذا اليــوم العظيم ، لا تؤذن بأفضليته من كل الوجوه ، وقــول الخطبــاء والوعاظ : هو سيد الانام ، وخير يوم طلعت عليــه الشمس ،
20 محمول علـــى التحريض منهم على القيام بحقه ، وتعمير اوقاته كلها بما يليق بكل وقت من العبادة ، وليس ليوم الجمعة مزاحم عند المعترض الا يوم الاثنين ، وها هو يدعى ان المسلمين كلهم متفقون على أفضيلة يوم الاثنين، اذ فيه ولد سيد الثقلين، وباقراره فى كتبه ــ بخطه ، انتفت المزاحمة عن يوم الاثنين ، واستقل
25 ــ والحمد لله ــ بالافضلية التامة على كل حال ، التـــى أجمع عليها المسلمون كافة ، وباستقلاله وانتفاء المزاحمة عنه ، انتفت

---

5) تخبرك : ل ، يخبرك : ن.
24) (بخطه) : ل ــ ن.

حجة المعترض وانقطعت واضمحلت ، ولم يبق لها وجود لمن
أنصف ، ورجع الى الحق واعترف ، وما خصت بـه الجمعة
من البركات والخيرات ، وتضاعف الحسنات ، ومحو
السيئات ، استمدت ذلك كله — جداولها وانهارها من البحر
5 العظيم — وهو بحر يوم الاثنين ، ومن فيضان بحر نور ذلك
اليوم العظيم ، كان سبب قبول توبة آدم حين توسل بمحمد
— صلى الله عليه وسلم — فوجد محمد صلى الله عليه وسلم —
سر وجود آدم ، عليهم أجمعين صلوات الله تعالى وسلامه .

ثم ان المعترض ذكر فى هذا المجموع بخطه — مسائل
10 جملة ، وجزم بالحكم فيها ، ولم يعين صاحب ذلك الحكم ، ولم
ينسبه لاحد من العلماء ، فاردت تجريدها هنا ، وحصرها
وتبيينها ، واطلب من المعترض ما يخلصه ويبريه من الجواب
عنها ، فاقول — مستعينا بالله سبحانه وتعالى عليها — : المسألة
الاولى ، ذكر — بخطه تصريحا — ان النبى صلى الله عليه وسلم
15 ولد ليلا، وتلك الليلة صادفت ليلة اثنى عشر من ربيع الاول، وان
هذا هو المشهور ، فيجب عليه أن يعين من شهره من العلماء ،
المسألة الثانية ، ذكر ان الليلة التى ولد فيها سيد الخلق ، خصت
بفضائل : ظاهرة وباطنة ، فشرح الفضائل الظاهرة وسكت عن
الباطنة لم يشرحها ولم يذكرها ولم يصفها ، — غير أنه جزم
20 عليها بالحكم ، وان الملك القدوس استاثر بها فى علم غيبه ، ولم
يظهرها لاحد من خلقه ، فيجب عليه أن يعين من أين علم هذا ،
فان هذا الحكم الذي حكم به، لا يعلم الا من طريق النبوة ، لانه
من الامور التوقيفية ، ولا سبيل له الى الحرز والتخمين فيها .

المسألة الثالثة : ذكر عن ابن مرزوق — رحمه الله تعالى
25 — انه يقول هذه الفضائل التى خصت بها ليلة مولده — صلى

---

6) آدم — صلى الله عليه وسلم — : ن ، آدم — باسقاط (صلى الله
عليه وسلم) : ل.

22) الحكم : ل-ن.

الله عليه وسلم — تتكرر ، وتستدام فى كل ليلة اثنى عشر من ربيع فى كل سنة آتية ، وقلتم : هذا الذي عول عليه هذا الامام ، فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه ، وهو — رضى الله تعالى عنه — روى حديث يوم الاثنين وولادة النبى
5 — صلى الله عليه وسلم — فيه ، فنسب كلامه — رضى الله تعالى عنه — الى التدافع والتناقض ، وهو لا يليق بمقامه .

المسألة الرابعة ، ذكر أيضا عن القاضى ابى الفضل — رحمه الله تعالى — أنه نقل عن الامام الشافعى وابن المواز ان من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فصلاته باطلة ؛
10 فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه .

المسألة الخامسة : ذكر أيضا — بخطه — أنه لا خلاف ان يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين ، ثم ذكر أيضا فى المكتوب الثانى ، ان افضل الايام يوم الجمعة بالكتاب والسنة والاجماع، فيجب عليه أن يعين من قال هذا الكلام ، ومن نقل هذا الاجماع ،
15 وذكر لى رجل من أصحاب المعترض وأهل سره ، أن شيخنا البركة سيدي أحمد يحيى الونشريسى — حمد الله عاقبته ، وجبر صدعه ، وأمن روعته ، جرت بينه وبين المعترض مسألة ، وذكر المعترض أنها مجمع عليها ، فطلبه شيخنا بالمستند ، فراغ المعترض عن الجواب ، واستعمل طريق
20 الحيدة ، وألقى عليه مسألة — وكأنه يلقمه فيها حجرا يشغله بها عن طلب حقه بالمستند ، ومضمن المسألة أن يبين له اي اليومين أفضل : أيوم الجمعة ، أم يوم الاثنين ؟ فان كان الامر على ما ذكر لى هذا القائل ، الذي هو صاحب المعترض ومن أهل سره فانا أكون بينه وبين سيدنا ، كالحاجز بين المتنازعين فى حق من
25 الحقوق ، فابلغه غرضه — ان شاء الله — بالجواب عن مسألته فى عين نازلته ، جوابا يشفى علته ، ويقطع حيدته ، على ان يبلغ

---

8) ان : ل ـ ن.
بالجواب : ل ، فالجواب : ن.

شيخنا غرضه ، بتعيين المستند ، ومن نقل ذلك الاجماع ، ويناجزه بأحد جوابين : اما ان يدعى أنه وهم فى دعوى الاجماع، واما أن يشمر عن ساعد جده ، ويلح على علماء الوقت فى السؤال ، عسى ان يفتح عليه منهم فيما يبريه ، ويظهر صدقه

5 فى دعوى الاجماع ، وان لم يفعل شيئا من هذا ، نسب الى الظلم والكذب ، والروغان عن الحق ، وذلك لا يليق بطالب العلم، سيما وقد بلغ هذا المعترض من السن تسعين عاما او قاربها ؛ والجواب عن المسألة التى ألقاها على شيخنا البركة — والله سبحانه الموفق للصواب بمنه — ان جماعة من أكابر ائمتنا

10 وعلمائنا المحققين المحدثين ، اتفقوا على ولادة النبى — صلى الله عليه وسلم — يوم الاثنين ، فان قلت : اليوم اذا أطلق — هكذا عم الدورة كلها ، فمن أين تتحقق أحد زمانى الدورة ؟ قلت : القرينة هنا تمنع من ارادة الليل ، لان جوابه — صلى الله عليه وسلم — لمن سأله عن صيام يوم الاثنين ، فقال له : فيه ولدت

15 وفيه انزل على ، أخرجه مسلم فى صحيحه فى آخر كتاب الصيام (653) ، فتعين صرفه الى محل الصوم ، لا الى الليل الذي هو محل النوم ، كما عينت القرينة ايضا قول الفقهاء : وأجاز مالك صوم يوم الجمعة منفردا . فكما عينت القرينة هنا الزمان المنحصر فيه الصوم ، وهو ما بين طلوع الفجر الى غروب

20 الشمس ، فكذلك عينته فى جوابه — صلى الله عليه وسلم — لمن سأله عن صيام يوم الاثنين ، اذ لا فرق بين المسألتين ، فاذا تقرر هذا عند السائل ، وفهم شرح هذا الحبيب ، وسلم صحته تعينت القضية أنها نهارية — لا محالة ، ولا يكابر فى هذا الكلام وصحة نقله ، الا رجل مصاب فى عقله ، ويبقى المعترض على

25 حقه فى سؤاله : أي الزمانين أفضل ؟ فنقول — والله سبحانه

---

8 — 9) والله سبحانه الموفق : ل ،و الله الموفق — سبحانه — : ن.
شيخنا : ل ، شيخى : ن.

---

653) انظر ج 168/3 .

المستعان — : قال بعض العلماء من فقهائنا وائمتنا الماضين . المسلم له فى فقهه ، المشهود له بثقته وأمانته وحفظه ، — ما نصه: أعملت النظر فى ظواهر النصوص الواردة فى هذا الباب ، فاذا هى أكثرها تشهد لولادته — صلى الله عليه وسلم — نهار يوم الاثنين ، ولم يبق ليوم الاثنين مزاحم الا يوم عرفة ، ويوم الجمعة ، فموجب افضلية يوم الجمعة ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى ولادة آدم فيه ، وقبول توبته ، وهبوطه الى الارض ، وقيام الساعة ، فيه رحمة لامته ، لئلا يطول مقامهم تحت الارض ، وهو العيد الذي اختصت به أمته كرامة له ، كما اختصت اليهود بالسبت ، والنصارى بالاحد ، ويوم عرفة جاء فيه ما رويناه فى الصحيح من قوله : ماريء الشيطان يوما هو فيه اذل ولا أحقر من يوم عرفة (654) ، لما يرى من نزول الرحمات ، وتجاوز الله — تعالى — عن الذنوب العظام والسيئات ، فيوم عرفة ويوم الجمعة ، من المواهب الربانية ، التى منحها وانعم بها على نبينا — صلى الله عليه وسلم ، فثبتت أفضلية يوم الاثنين ، قال : وفضله باق مستمر ، وشرفه ثابت، ومراعاة حرمة زمان ولادته مستمر . ثم قال : اذ لا نزاع فى الحديث الوارد فى يوم الاثنين وصحته ، ولا يرد عليه شيء ن الاسئلة الواردة فيما تقرر من المتون ، وعند الاصوليين واهل النظر . انتهى .

قلت : وبانتفاء اليومين المزاحمين اللذين هما : الجمعة وعرفة ، استقل بالافضيلة يوم الاثنين ، الذي ولد فيه سيد الثقلين ، وثبتت أفضليته على سائر الايام ، وبطلت حجة المعترض ، وانقطعت واضمحلت ، ولم يبق لها وجود ، ومشى اجماعه الذي لا مستند له فى هبوب الرياح ، عندما بدت رايات

(654) اخرجه مالك فى الموطا ، من طلحة بن عبيد الله بن كريز ص 291 طبع دار النفائس

النصوص تقفو اثره بالعويل والصياح ، فان كانت المسالة التى
جرى فيها الكلام بين سيدنا وبين المعترض ، التى ادعى فيها
الاجماع، هى مسالة يوم الجمعة هذه، فها هو قد سمع المعترض
فيها ما قد سمع ، وان كانت غيرها ، فالمعترض مرتهن بالمستند،
5 فان اتى به معزوا لعالم مرضى أمين على علمه ، مسلم له فى
علمه ودينه ، فقد بريء ، وعلم صدقه وأمانته ، وكان مامونا فى
نقله ، معمولا بقوله ، وان بقى على روغانه وحيدته ، ظهر
وهمه او كذبه على العلماء ، وقد كنت حين فرغت من هذا
المجموع ، اطلعت عليه الاستاذ الفقيه ، الخطيب البليغ ، ابا
10 عبد الله محمد بن غازي (655) ، فرآه وأعجبه واستحسنه ،
وربما دعا لى بخير ، ثم بعثت به الى شيخنا وسيدنا ، البركة
العالم ، العلم الشهير ، سيدي أبى العباس احمد الوانشريسى
أبقى الله تعالى بركته ، فبقى عنده أياما عديدة ينظره ويتأمله،
وقد كنت بعثت به اليه — ومعه ورقتان منفصلتان منه ، تكلمت
15 فيهما على بيت جلبه المعترض ، ليضعف به كلام القاضى ابى
الفضل عياض — رحمه الله ، وهو البيت الذي ذكره فى الشفا —
وهو قوله : **لولا الاعادي والعوادي . — البيت .**

قال أحمد المقري : هنا انتهى التاليف المذكور ، ثم وجدت
متصلا به من كلام المؤلف المذكور ، ما نصه : الحمد لله ، كان
20 من قضاء الله تعالى وقدره، حين وقع لابى حفص ما وقع من

13) بركته : ن ، على بركته : ل.
14) بـه اليه : ل ، اليه به : ن.

655) ابو عبد الله محمد بن احمد بن غازي الفقيه المؤرخ الراوية (ت 919 هـ) .
انظر نيل الابتهاج ص 333 ، لقط الفرائد (الف سنة من الوفيات فى ثلاثة كتب) ص 284 — نشر حجى ، جذوة الاقتباس ص 3 — من الكراسة 26 ، اعلام الناس 2/4 ، فهرس الفهارس 210/1، شجرة النور 276

اعتراضه على الامام العالم العلم ، ولى الله تـعـالى ، أبى الفضل عياض — رحمه الله تعالى ورضى عنه ، وناولنـى ما اعترض به عليه ليبيت عندى ، فنتأمله ونساعده عليه ، فقيدت على اعتراضه بعض كلمات ، ثم بعثت بها لسيدنا أبى العبـاس
5 الونشريسـى — رحمه الله تعالى ، فلما نظرها ، اعجبته وأثنى عليها ثناء حسنا ، وكتب لى بذلك ، فسرنـى وفرحنى ، وأشار على بان أكمله ونضيف اليه شيئا من غصول كنت ذكرتها له ، حتى يجتمع منه مجمع حسن — فى نظره الجميل ، فكان — كما قال بنيته الصالحة ، وزادنـى ذلك نشاطا وقوة فى نفسى ببركته
10 والكتب التى كتب لى بخطه ، أثبته فى آخر ورقة من اول هذين المجموعين ، ثم انه — رضى الله تعالى عنه — تعقب على خمس مسائل من المجموع المذكور ، وكتب على كل مسألة منها حاشية حسنة جيدة ، باعتبار ظاهرها ، وأمرنى أن نبدل منها الفاظا ، وقد كنت كتبت ما كتبت ، وفرغت منه ، واردت أن أجمعها حتى
15 ينظر فيها ، وبدأت بجمعها بالحاشية الرابعة من حواشيه كيف تيسر فى الوقت ، كتبت جميعهـا بصبغ يخالـف شرحهـا ، ليسهل ذلك على الناظر فيها ، والخمس المسائل المتعقبة ، هى مجموعة فى ورقتين ، على كل مسألة منها حاشيته — رحمه الله تعالى بخطه ، فأزلتهما من الاصل ، وابدلتهما بغـيـرهما ،
20 وجعلتهما فى آخر هذا المجموع ، فينظر فى الحاشية وأصلها . انتهـى .

قال احمد المقرى — وفقه الله : ثم وجدت بعده ما نصه : « لوامع الدرر ، على ابدع الطرر » — الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدوعلى آله وصحبه وسلم تسليما ،
25 ومما يجب ان يكتب عقب هذا المجموع ، قضيتنا مع شيخنـا

2) تعالى ورضى الله عنه — : لـ ـن.
8) منه : ل ، منهـا : ن.
24) وعلى آله : ل ، وآله — باسقاط (وعلى) : ن.

الفقيه العالم العلم ، ابى العباس أحمد الونشريسي — أبقى الله تعالى بركته ، وحسن عاقبته ، وذلك أنه اطلع على مجموعنا المسى بـ « الاعلام للقريب والنائى ، فى بيان خطا عمر الجزنائى » ، فاعجبه جدا وأثنى عليه ثناء حسنا ، وكتب عليه
5 بخطه ، غير ان بيتا واحدا جلبه المعترض عمر المذكور ، ليستشهد به على ضعف معنى بيت عياض — رضى الله تعالى عنه ، وبيت عياض قد تقدم — وهو قوله :

لولا الاعادي والعوادي زرتها   أبدا ولو سحبا على الوجنات

والبيت المستشهد به على ضعف بيت عياض ، هو ينسب
10 الى أبى الطيب الواعظ كان معاصرا للخمى — رحمه الله تعالى ، وكان يحضر مجلسه ، والبيت هو قوله :

ان كان سفك دمى أقصى مرادكم
فما غلت نظرة منكم بسفك دمى

فلما تأملت البيت المستشهد به ، ظهرت لى فيه وجوه تحطه
15 عن رتبة الاستدلال، ويبقى بيت عياض — رحمه الله تعالى — على ما هو عليه من الحسن والكمال ، فاستطردت الكلام على تلك الوجوه ، ولم اجد بدا من أن أبسطها ، وطال الكلام فيها ، فجاء شيخنا — أعزه الله تعالى — وعابه بالطول ، وتعقب علينا فيه ألفاظا ، وكتب عليها حواشى وطررا تقتضى — بزعمه —
20 خطأنا فى تلك الالفاظ ، وعاب عبارات منها لخشونتها وسماجتها، وأمرنا أن نبدلها ونتلطف فيها ، لان فيها قلة ادب على المشايخ — رضى الله تعالى عنهم ، وكنت كتبت ذلك وسطرته ، فأبقيته على

7) تقدم — رضى الله عنه : ن ، تقدم — باسقاط (رضى الله عنه) : ل

8—9) لولا الاعادي والعوادي زرتها ابدا   ولو سحبا على الوجنات:
لولا الاعادي والعوادي زرتها — البيت : ن.

ما هو عليه حتى ينظر فيه الناظر ويتأمله ، وأنا اذكر – ان شاء الله – تلك الحواشي بنصها ، مرتبة على كلامنا ، ثم نذكر جوابنا عليها كل حاشية بجوابها .

الحاشية الاولى رتبها – رضى الله تعالى عنه على قولنا : فكما هو الآن ، القاصد الى الحج ، او الى زيارة قبره – صلى الله عليه وسلم ، منقطرنا ، ممنوع شرعا ، فلا يبعد أن يكون ذلك فى زمانه – رضى الله عنه – لوجود المانع المذكور فى الزمانين ، والعلة فى ذلك الالقاء باليد الى التهلكة . انتهى .

ونص الحاشية : قلت : قولكم ممنوع شرعا ، فيه تحامل على المذهب ، لان الذي عليه الناس فى انتفاء السبيل الآمنة بوجود المانع والقواطع فيها ، انما ينهض الى سقوط فرض الحج ، ويبقى على الاباحة والندب والكراهة ، واما منعه وتحريمه فلا – خلافا للشذوذ ، فلا يسعكم الاقتصار عليه . وان قلتم : قصدنا بالمنع الكراهة ، فخلاف الظاهر ، ومما لايخطر بالبال الا بالاخطار ، ويقال لكم أيضا : اقتصرتم على الكراهة ، ولم تعرجوا على الاباحة والندب – وهما مما للمكلف فيه مجال ، فالكلام غير محرر فلا يسلم مطلقه من القلق والعجرفة ، وكلاهما مما لا ينبغى ، فتأمله – منصفا واقفا مع الحق . – انتهت .

قلت فى الجواب عنها : لعلكم – رضى الله تعالى عنكم – أشرتم فى قولكم : تحامل على المذهب ، الى اعمال القاعدة المشهورة ، الجارية على ألسنة العلماء كثيرا فى المجالس العلمية وغيرها ، وهى قولهم : الوسائل حكمها حكم المقاصد ، وكان المقصود عندكم هو الحج ، والوسيلة هى الذهاب والقصد اليه ، فالحج عندكم لا يوصف بكونه ممنوعا شرعا فى زماننا ، وغايته

7) لوجود : ل ، بوجود : ن.
22) وهى : ن ، وهو : ل.

سقوط فرضيته ــ كما صرحتم به لقيام الموانع والقواطع الموجودتين فى زماننا ، وكلامكم هذا فى غاية الحسن والصواب ، ويبقى الكلام فى القاصد والذاهب الى الحج فى وقتنا ، فوصفناه نحن بكونه ممنوعا شرعا لالقائه بيده الى التهلكة ، فقلتم انتم ــ رضى الله تعالى عنكم ــ : نحن نقول بمنع الحج الذي هو المقصود ، فكذلك فى وسيلته التى هى : الذاهب والقاصد ــ عملا بالقاعدة ، فيتعين على هذا ، خطاكم وتحاملكم على المذهب ــ على كل حال . ــ

وهذه القاعدة ــ سيدي ــ تعقبها الامام ، العالم الدراك ، أبو العباس القرافى (656) ــ رضى الله تعالى عنه فضعفها ووهنها وعطلها عن الاعمال ، وسلك بها طريق الاهمال ، لكونها خولفت فى بعض الصور ، ولم تطرد عنده لمعارض عارضها ، حتى يقوم الدليل والبرهان على ذلك المعارض انه مقصود فى نفسه ، والا ، فالقاعدة منخرمة عنده .

قال رحمه الله فى الفرق الثامن والخمسين ما نصه : تنبيه ! القاعدة : انه كلما سقط اعتبار المقصد ، سقط اعتبار الوسيلة ، فانها تبع له فى الحكم ، وقد خولفت هذه القاعدة فى الحج فى امرار الموسى على رأس من لا شعر له ، فيحتاج الى دليل يدل على أنه مقصود فى نفسه ، والا فهو مشكل على القاعدة (657). انتهت .

فاذا تقرر هذا وعلم صحته بعد الوقوف عليه ، ظهرت براءتنا من التحامل على المذهب ، وبقى كلامنا على ما هو عليه محررا من أن القاصد الى الحج ، او الى زيارة قبره ــ صلى

---

656) ابو العباس أحمد بن ادريس القرافى ، من كبار الفقهاء المالكية. (ت 684 هـ)
انظر الديباج : 62 ، وشجرة النور 188 .

657) انظر الفروق 33/2

الله عليه وسلم — من قطرنا فى زماننا ممنوع شرعا ، وسلمنا — والحمد لله — من القلق والعجرفة بشهادة من سلم له فى العلم والدين والانصاف والمعرفة .

الحاشية الثانية : رتبها على قولنا : فرأى عياض — رحمه الله — ان زيارة قبره — صلى الله عليه وسلم — لا يدوم على حال ، وغلب السلامة فى الزمان المستقبل ، ورجا ان ما نعذر فى الوقت يتحول . انتهى .

ونص الحاشية : قولكم : غلب السلامة ... الخ ، الامور المستقبلة كلها وهمية ، فلا يتصور مهها غلبة ، واذا كانت الاعذار موكولة الى نظر المكلف ، فلم تبعثرون عنها بالحدس والتخمين ، وذلك كله ضرب فى حديد بارد ، لا يومن معه من الوقوع فى الخطإ والخطل ، والدين النصيحة ، ونعوذ بالله من الفضيحة . انتهى .

قلت فى الجواب عنها ما نصه : المتبادر الى الاذهان ، أن الامور المستقبلة الوهمية ، كلها عدمية ، وهى ضد الحقائق الوجودية ، وباعتبار تصور وجودها فى الاذهان ، فلا بد من تقاسيمها الثلاث ، وهى : الظن والشك والوهم ، فالوهم مرجوح أبدا ، والظن راجح ، والمساوي شك ، وقد نص على هذا علماؤنا المحققون — رضى الله تعالى عنهم ، وسيدنا — رضى الله تعالى عنه — أجمل فى كلامه ، وحجر ما هو واسع ، وحصر الامور المستقبلة كلها ، وحكم عليها بأنها وهمية ، وليس ذلك بتحقيق ، وهو لمن تأمله وأبقاه على اطلاقه يؤدي الى أمر فظيع، وحال شنيع ، على ما يقتضيه العقل ، ويحكم به العلم ، فتفسد بذلك الاحوال ، ويختل النظام ، وتجىء الحيرة ، ويتشتت العقل ، ويتغير الخاطر ، ويتنكد العيش ، ويشتد القنط الذي هو

(21) ذلك : ن ، لذلك : ل.

من العقوبات ، وينقطع الامل الذي هو من أعظم الرحمات ، ثم لنا أن نقول أن هذه الغلبة التى انكرها سيدنا فى الامور المستقبلة قد تتأكد فتبلغ درجة المندوب ، وربما بلغت درجة الواجب ، لان ذلك يصير من باب حسن الظن بالله تعالى ، وقد جاء فى الصحيح عنه — صلى الله عليه وسلم : اذا تطيرت فلا ترجع (658) فنهى —صلى الله عليه وسلم—هذا المتطير عن الرجوع لئلا يقع فى مهواة سوء الظن بالله تعالى ، وامره أن يمضى على رسله ، ويغلب السلامة فى الامور، ويحسن ظنه بمولاه — جل وعلا ، وهذا نص صريح ، او كالنص فى تغلب السلامة فى الامور المستقبلة ، فأين هذا من قول سيدنا : والامور المستقبلة لا يتصور معها غلبة ، ومما يزيد كلامنا هذا قوة وبيانا ، ما ثبت عنه — صلى الله عليه وسلم — انه كان اذا سمع فالا حسنا ، ظهر السرور فى وجهه واستبشر (659) . قال علماؤنا — رضى الله عنهم — : لان ذلك من باب حسن الظن بالله تعالى ، وبذلك فسروه ، وعليه حملوه ، ففيه أيضا تغليب وقوع ما سمعه — صلى الله عليه وسلم — على نحو ما سمعه ، وهذا كله من باب حسن الظن بالله تعالى . وقوله — رضى الله عنه — واذا كانت الاعذار موكولة الى امانة المكلف ، فلم تبعثرون عنها الى آخر الطرة .

قلت : هذا التبعثر الذي اوجبت نصيحة سيدنا التحذير منه، والنهى عنه — وكأنه عنده من جملة ذنوبنا الموقعة فى الخطأ

---

658) ولفظ الحديث : ثلاث لا يسلم منهن احد : الطيرة ، والظن ، والحسد قيل فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : اذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ) .
انظر التمهيد لابن عبد البرج 125/6.

659) ولفظ الحديث : (كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يجب الفال الحسن ، ويكره الطيرة .
اخرجه احمد فى المسند 332/2 ، وابن ماجه فى السنن 326/2 .

والخطل ، وأنواع المعاييب والزلل ، فيجب عنده ان نقلع عنها في الوقت ، ونتوب قبل أن تحل بنا فضيحة ، او تنزل بنا قارعة ، فان الاصرار على الذنوب ، موجب لحرمان المثوبة ، وتعجيل العقوبة ، ونسال الله ــ تعالى ــ العافية ، كما نسأله ــ جل
5 وعلا ــ بحرمة هذا الشيخ العالم ، الولى الصالح ، الوجيه عند الله تعالى ، المقرب منه ، ابى الفضل عياض ــ رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته ــ ان لا يجعلنا ممن يقلع عن هذا الذنب ، ولا يرجع عن هذا التبعثر ، وان يميتني مصرا عليه ، حتى نلقاه ، فانه العالم بالنيات ، والخبير بالطويات ، يعلم ما احتوت
10 عليه سريرة كل واحد منا ، وانتم ــ سيدي وبركتى ــ اذا نظرت بعين الانصاف ، الذي هو من شيمة السادة والاشراف ، لم تجد في اعتذارنا عن الشيخ ــ رضى الله تعالى عنه ــ عيبا ولا كذبا ، ولا فحشا ندلسه به ولا قلة أدب ، ولو قدرنا وفرضنا ــ ان هذه القضية اتفقت لكم ، ووقع منا هذا الاعتذار ، والتبعثر عنكم
15 وفي جانبكم ، فلا نشك ــ أنا ولا غيري ولا نرتاب ، ان نفسكم تطيب بذلك غاية الطيب ، وتبتهج به غاية الابتهاج ، وتشكرني عليه ، وتدعو لي بكل خير ، لانه اعتذار حسن ، لائق بمقام السادات وأهل الفضل مثلكم ، وان كان هذا معكم ــ بارك الله تعالى لنا في عمركم ، مع وجودكم وقيام ذاتكم ، يحسب
20 أنكم ممن يخاف ويرجى ، مرجو الثواب الجسيم ، والاجر العظيم ــ عند الله تعالى ، فما الظن بمن ألصق خده بالتراب ، وانقطعت عنه الاسباب ، وكان مقربا وجيها عند رب الارباب .
وبعد : فتأمل هذا الاعتذار والتبعثر ، والنظر فيه وتكراره على الالسن عند ناظره ومتأمله ، فيكون غرضه ــ قل تكراره أو كثر ،
25 لانه من الاعمال ، فيا فرحاه ويا بشراه ، من يعرض اعتذاره هذا ، وتبعثره في كل اسبوع مرتين على سيد هو عند الله تعالى

7) تعالى ونفعنا ببركته : ل ــ ن.
17) لانه : ن ، انه ، ل. بمقام : ل ، بمكارم : ن .

بهذه المثابة ، أتراه يخيب أمله ، اوينقطع رجاؤه ، أو يضمحل
عمله ؟ وقد جاء فى الاثر ، ان من الحسنات ما هو مقبول ومردود
الا الصلاة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، فانه
مقبول غير مردود .

5 قال علماؤنا — رضى الله عنهم — : وادخال السرور على
قلب المومن ، وما يغرحه ويشرح صدره ، مثل الصلاة على
رسول الله — صلى الله عليه وسلم فى القبول وعدم الرد . فاذا
تقرر هذا وتعين صدقه وبان ، وظهر الحق الذ يلا شك فيه
واستبان ، فحسن من سيدنا أن يقول : ضرب فى حديد بارد ،
10 والدين النصيحة ، ونعوذ بالله من الفضيحة ؟ فليت شعري :
أي مناسبة بين الكلامين ؟ وأي اقتراب بين البابين ؟

الحاشية الثالثة : رتبها على قولنا ، واما البيت الذي
أنشده الواعظ فى مجلس اللخمى — رحمه الله تعالى وهو قوله :
ان كان سفك دمى — البيت ،فقد وقع فى محله ، واسكت القوم
15 حسن نظمه ، وبديع الفاظه ، ويبقى الكلام فى قائله ، فلا شك
أن قائله الى قولنا أبدا الا هكذا ، انتهى .

قال — رضى الله عنه — فى حاشية فى هذا المحل ما نصه :
قلت : كيف يكون حب من عاوض على نظرة واحدة من محبوبه
باراقة دمه المعصوم فى مرضاته ، انزل من حب اولئك ، حتى
20 يكون مدخولا معلولا ، مع تصريحه برخص العوض وتفاهته ،
ونفاسة المعوض ، وان كان أقل درجات الوصال بالعطف على
المحب ، والرقة عليه ؟ لا ادري ما هذا ؟ بل قد يقال مقام هذا
الواعظ — وهو ابو الطيب أقوى ، ولهذا قال المازري : واستحسن
اللخمى هذه النادرة من جهة طريق التصوف ، لا من جهة طريق
25 الفقه — يشير الى ان المحبين ، واصحاب الاحوال — كهذا
الفاضل ، لا ينكر فى حقه عدم المبالاة بالمهج والانفس فى رضى
محبوبه ، ونيل مطلوبه — ولله تعالى أعلم . انتهى .

قلت فى الجواب عنها ما نصه : نحن وسيدنا وفاق على وجود المعاوضة الصادرة فى البيت من قائلــه ، ووجــود تلــك المعاوضة المتفق عليها نحن وانتم ، هى عين الدخول والشوب والعلة ، لان من حجة المحبوب أن يقول : لو كان حبك صادقا

5 ــ ولا دخل فيه ، ما بذلت سفك دمك على نظــرة فى وجوهنا ، ولفوضتم لنا أن نحكم فيكم بما شئنا من سفك دم أو غيــره على قاعدة كل محبوب ان الحكم له ، فلما عوضتم لانفسكم ، واحتطتم لها ، صار تنعمكم وتلذذكم بنظرة فى وجوهنا ، كانــه مشترط فى أصل عقد معاوضتكم، والمحب اذا احتاط هذا الاحتياط

10 خرج بذلك عن قاعدة المحبين، وصار حبه كما قلنا مدخولا، مشوبا معلولا ، وما انكره سيدنا من قولنا : حبه مدخول مشوب معلول، ثم قال : لا أدري ما هذا ــ على جهة الانكار ؟ جــوابــه : ان الاستاذ الامام الاوحد ، أبا القاسم القشيري ــ رحمه الله تعالى ــ ادعى الاجماع على ما قلناه ، وصحح قولنا ، نص علــيــه فى

15 التحبير فلينظر هناك . قال فى التحبير ما نصه : وأجمعوا أن كل محبة تكون على ابتغاء بذل عوض تكون معلولة ، حتى تكــون صافية من كل طمع . انتهــى

قال ابن عطاء الله ، فى حكمه ــ رضى الله عــنــه : ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا ، او يطلب منه غرضا (660).

20 وقال سيدي محمد بن عباد ــ رحمه الله تعالى : أما من رجا العوض ، وطلب الغرض من محبوبه ، فيلس هو من مقام المحبــة فى شىء (661) .

---

19) (او يطلب) وثبت فى النسختين (ولا يطلب) ــ والتصويــب مــن الــحــكــم .

22) فى شىء : ن ، شىء ــ باسقاط (فى) : ل.

---

660) انظــر الحكم بشرح ابن عباد 59/2.

661) نفس المصدر

وقال أبو عبد الله القرشـــى : حقيقة المحبة : ان تهب كلك لمن احببت ، حتى لا يبقـــى لك منه شىء (662) .

وقول سيدنا فى آخر هذه الحاشية : ولا ينكر فى حق هـــذا الفاضل ، عدم المبالاة بالمهج والانفس فى رضـــى محبوبـــه ،
5 ونيـــل مطلوبه .

قلت : لا يتصور رضى المحب للمحبوب، الا مع التفويض التام ، المطلق العام للمحبوب ، حتى يحكم بما يشاء ، مع الالقاء باليد اليه، وعدم الاختيار معه، وسلب الحول والقوة وعده التدبير معه ، اما حيث يحتاط لنفسه ، ويختار لها فى معاوضته ما تبتهج
10 به نفسه ، وينشرح به صدره ، فليس هو من المحبين ، فضلا ان يكون حبه مدخولا معلولا ، بشهادة العالمين الوليين الصالحين، أبى العباس بن عطاء الله ، وأبى عبد الله بن عباد . فقول سيدنا: فى رضى محبوبه ، ونيل مطلوبه ، كلام جرى على لسانه من غير تدبر ولا تأمل ، فرضى المحبوب الذي ذكر ، هو فى الحقيقة راجع
15 لرضى نفسه ، لا لرضى محبوبه . انتهـــى .

الحاشية الرابعة ، رتبها على قولنا : فاطلاق المحب على هذا الواعظ، محمول على المجاز ان كان هو قائل البيت ، والحب الصادق الخالص ، حب ابن رشيد فى قوله :

وتلله لو ان الاسنة اشرعت   وقامت حروب دونه ما تركناه

20 قال رضى الله تعالى عنه ما نصه : قلت : دعوى المجاز لا سبيل لها هنا ، ولا مجاز ، لان المجاز ما تجوز به عن موصوف ، ولا يجوز فى كلامه ، ولقائل ان يقول ان كلام ابن رشيد خرج مخرج المبالغة والتكنية ، فالمعتبر فيما كان من هذا القبيـــل ،

---

662) نقله ابن عباد فى شرح الحكم 59/2

معناه لا لفظه فيصير المجاز فى جهته أظهر ــ والله اعلم . انتهت.

قلت فى الجواب عنها ما نصه ، قد تقدم لنا أن من شــرط المحب الصادق فى حبه ، ان يكون مفوضا لمحبوبه ، وان لا يختار معه ، وان يترك مراده وهواه لمراد محبوبه ، فاذا كان كذلك ، 5 كان اطلاق الحب عليه حقيقة ، وان انتفت هذه الشروط ، واختار لنفسه ما يليق بها من المعاوضة المذكورة وغيرها ، واتبع حظ نفسه وهواه ، كان اطلاق الحب عليه مجازا ، ــ وهذا سيدي ، فى غاية الظهور والبيان ، فاين قولكم : دعوى المجاز لا سبيل لها هنا ؟ وقول سيدنا : ولقائل أن يقول : ان كلام ابن رشيد 10 خرج مخرج المبالغة والتكنية .

قلت فى الجواب عن ذلك : هما من خواص الشعراء ، وكثيرا ما يستعملونهما فى كلامهم ، وليس ذلك من شأن المحبين ، ولا هو فى طبعهم ، ولا هو من اخلاقهم ، وهم منزهون عن المغالاة والكذب فى حبهم ، ودعهم صالحين كانوا او طالحيــن ، فــلا 15 يحملون فى دعواهم الحب الا على الصدق ، سيما هذا السيــد الذي هو : ابن رشيد الذي أشرتم اليه ، فكلامه ابدا محمول على الصدق فى كل حال دون يمين ، فكيف ينسب له ما لا يليق به من المغالاة والكذب فى حبه ــ مع كونه أقسم بالله العظيم ، وحلف يمينا قال فيها : وتالله لو ان الاسنة أشرعت ــ البيت ، فــلا 20 سبيل لدعوى المغالاة والكذب لهذا السيد ، اذ لا يليق ذلك به . وأما الشعراء ، فذلك من شأنهم وشنشنتهم ومن أخلاقهم ، ويرون ان احلى الكلام عندهم ، وأرقه وأعذبه ، أكــذبــه ، فيستميلون بذلك القلوب الخشنة الكثيفة حتى تــحــن وترق ، ويستمطرون بذلك المنح والعطايا فى الايدي الممسكة ، المجبولة 25 على البخل ، حتى تبذل العطاء الجزيل ، وهذا الباب باب واسع ،

---

3) (اظهر) : ل ــ ن .

1) (الكثيفة) : لـــن. تحن وترق : ل ، ترق وتحن : ن.

رحب المجال ، وبحر لا ساحل له ، والحكايات فى هذا المعنـــى ، لا تنحصر ولا تحصى ، ولا تتناهى قضاياهم وأخبارهم فيهـا ولا تستقصى ، وقد أخبرنا مولانا ، فى كتابه العزيز فى مغالاة الشعراء وعدم صدقهم فى قولهم وكلامهم ، فقال تـعـالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلـون » (663) ؟ فالمغالاة والتكنيـة التى ذكر سيدنا ، هى من خواص هؤلاء القوم . انتهـى

الحاشية الخامسة ، رتبها علـى قولنا ، فخرج من هذا ، أن المعترض لم يشم من بيت الواعظ رائحة حظ نفس قائله ، وطلب راحتها وبلوغ أملها ، ونيل شهوتها . انتهـى .

قال ـ رضـى الله عنه فيها : ما نصه :

قلت : قوله رائحة حظ نفس قائله الى آخره ، لا يخفى على من جبله الله ـ تعالى ـ على توقير المشايخ وتنزيههم، وتعظيم أقدارهم ، ما فى هذه العبارة من خشونـة وسماجة الادب ، مع الفاضل ابى الطيب ، فليحسن العبارة ويتلطف فى الاشارة ، وقد طولتم فى غير محل الطول ، وهو مظنة التمشدق والتنيهق بما لم تمس اليه حاجة ، ولا سيما مع عدم الـذوق ، ومكـابدة الشوق ، وعدم تقدم المثول بين يدي شيخ ما هو فى الطريقة فتاح ، فما أرى خوضى وخوض أمثالى فى هذا المقام الشريف ، العزيز الوجود ، الصعب المنال ، الا محض تطفل وتعالج ما تيسر فى المقدور ، وتشبع بما لا يملك . استغفر الله ، استغفر الله . انـتـهـت ؟

قلت فى الجواب عنها ، ما نصه : هذه اللفظة ، التى شنعها سيدنا ، وعظم أمرها ، ونسبنا فيها الى الخشونة والسماجة ،

4) فى كتابه : ل ، عن كتابه : ن . عن مغالاة : ل ، فى مغالاة : ن.

663) الآية : 224 ـ سورة الشعراء

وسوء الادب ، هى عند المحققين لفظة مشتركة على وجهين ،
وجه منها محرم باجماع لا يليق ان يتصف به المشايخ والوعاظ ،
وأهل الفضل من أهل العلم والخير ، ووجه آخر ، قد يجوز
ذلك فى حقهم ، وليس فى حقهم بمحرم ، وغايته الاخلال ببعض
الكلمات ، فالوجه الاول المحرم كثيرا مــا يتعاطاه عوام الناس 5
فيما بينهم ، فيصفون من توفرت فيه أسباب الكبر والعجب ،
أو بعضها من علم او ما ل، او جاه او جمال ، او شدة او شجاعة
او فصاحة ، او صوت حسن، او ما اشبه ذلك ، فيقولون فــلان
يرى لنفسه حظا ، ويعنون بذلك تكبره عليهم ، وعلى أقرانه
وابناء جنسه ، وهذا الوجه ، نحن وسيدنا ــ متفقون علــى 10
قباحته وسماجته وخشونته ، ــ كما قال ، ولم اقصد انا لهذا
الوجه ، ولم أعنه ، ولم يخطر لى قط ببال ، ولا فى كلامنا ما يدل
عليه ، والذى قصدته وعنيته ، وانصب كلامنا وتوجه اليه ،
ما يتعاطاه ائمة الخير والصوفية كثيرا ، وأصحاب الاحوال ،
وقد ملؤوا بذلك دواوينهم وكتبهم، فالمنقطعون منهم الى اللهتعالى 15
الزاهدون فى الدنيا ، لا يشاهدون فى تصرفهم غير الله تعالى ،
ولا يؤثرون على أنفسهم سواه ، فاذا وقعت من بعضهم غفلة
وميل لحظ نفس من اتباع شهوتها ، ونيل غرض من اغراضها،
أدبهم على ذلك ، فبعضهم يؤدبه بالضرب الوجــيــع ظهرا
وبطنا وبعضهم بالحجب عن مقامه الذي هو فيه ، أو مقام 20
توجه اليه ، وبعضهم بحرمان الطاعة او بالفتور عنها، وبعضهم
بتغير حماره عليه ، فيتكاسل فى مشيه ويكثر حزنه ، وبعضهم
بقطع شراك نعله فى ذهابه الى المسجد ، وكلهم يطلعهم الله
تعالى ــ على تلك العقوبة، ويفهمه ذلك الادب ــ رحمة منه ــ
سبحانه ولطفا ، كل على قدر مقامه ، وما يستوجبه من الله 25
ــ تــعــالــى .

ذكر الاستاذ القشيري — رضى الله تعالى عنه — أن رجلا من الزهاد ، كان يشتهى الخبز والعدس زمانا طويلا ، فكان يمنع نفسه ، ويجاهدها فى ذلك ، فاتفق أن وجده يوما فاكله ، فلما فرغ من أكله ، ونالت نفسها حظها وشهوتها منه ، أبصر فى حانوت بقال قوارير من زجاج — وفيها خل، فظن أنها خمر ، فقال : منكر وجب على تغييره ، ففتح الحانوت ، وأخذ تلك القوارير يصبها دنا دنا فى الارض ، فجاء صاحب الحانوت، وحمله الى الحاكم ، فضربه مائتى خشبة ، وطرحه فى السجن، فلما قدم الاستاذ — وأظنه أبا عثمان — فسال عنه ، فقيل له : هو فى السجن ، فلما دخل عليه ، قال له : ما هذا ؟ قال له : شبعة خبز وعدس، وجلد مائتى خشبة ، وسجن اربعة اشهر ، فقال له : نجوت مجانا ، حيث كان ذلك على سطح بدنك ، ولم يكن فى باطنك، فشفعه الى الحاكم واطلقه، وحسبك تأييدا لهذا الباب الواسع ، الذي لا تحصى قضاياه ، ولا تنضبط آدابه ، ولا تتبع مزاياه ، قضية آدم عليه سلام الله تعالى ، قال تعالى : « ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى » (664). فلمانسى — عليه السلا م— هذا الوعد لما سبق فى سابق علمه ، مد يده الى رغبته ، ومال الى حظ نفسه وشهوته ، فلقى ما لقى من مفارقة الجنان ، والوقوع فى الهموم والاحزان ، وفى القضية طول واعتبار ، ولمتامليها زيادة ايمان واستبصار .

قال بعض العلماء : والله ما أهبط الله سبحانه آدم من الجنة لينقصه ، وانما أهبطه منها ليكمله ، فاذا تقرر هذا ، وعلم منه صدقنا فيما أشرنا اليه من حظ النفس ، وتفسيره على مذهب القوم — رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم — ظهرت براءتنا فيما نسبنا اليه سيدنا من الخشونة والسماجة

(664) الاية : 119 — سورة طه

وسوء الادب ، وأمره بتبديل العبارة ، والتلطف فى الاشارة ، ولكن كل واحد يجازيه الله تعالى على قدر نيته ، و « كل يعمل على شاكلته » (665) . وقول سيدنا : وقد طولتم فى غير محل الطول ، جوابه ان هذا الكلام ، وهذه العبارات ، وهذه الافهام — وهى فضل الله العظيم ، وفضله — سبحانه — يوتيه من يشاء كيف يشاء ، والناس أبدا مختلفون ومتفاوتون فى هذا المعنى ، ويستحيل ان يكونوا كلهم على طبع واحد ، او خلق واحدة .

5

قال تعالى : « انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه » (666) ، وقد جعل الله سبحانه هذا العلم ، امانة عند صاحبه، وعرض سبحانه تلك « الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن مضها وحملها » (667) كل ظلوم وجهول منا ، فاذا علم صاحب هذه الامانة ، انه لا يحصل افهامه بالقائه العلم ، او كتبه او بيانه ، الا بمقدار يعلمه ، وكتم منه شيئا كان كاتما للعلم ، خائنا له ، مسئولا عنه ، حيث لم يبلغها لا يشك انه يصل الى افهام السامعين ، أو الناظرين المتأملين ، فكيف يعيب سيدنا علينا ما نحن مسئولون عنه ، وهو موكول الى نظرنا وأمانتنا ، فان قصرنا عن يقيننا ، كنا غاشين خائنين .

10

15

ولقائل ان يقول : الحواشى ابدا هى محل الاختصار ، والاشارة فيها بأدنى شىء يكتفى به ، مع انكم تخاطبون فيها من تظنون انه يفهم اشارتكم ، فلم طولتم ذلك الطول ؟

20

1) سيدنا : ل ـ ن .
به : ن ـ ل .

665) سبقت هذه الآية .
666) الآية : 2 — سورة الانسان
667) يشير الى قوله تعالى فى سورة الاحزاب : (انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال ، فابين ان يحملنها ، واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) — الآية : 72

وقول سيدنا أيضا : وهى مظنة التمشدق والتفيهق — الى آخر تلك الجملة ، جوابه ان التعليل بالمظان عند علمائنا — رضى الله عنهم ، كاف فى الاحكام ، سواء وجدت تلك العلة او لم توجد ، فمن اين علمتم ان قصدنا انما توجه للتمشدق والتفيهق ، فالقلوب لا سبيل لكم الى تشريحها وانشقاقها — حتى تعلموا ما فيها ، فلم يبق الا سوء ظن ، و « ان بعض الظن اثم » (668) ، وانتم قد انزلكم الله — سبحانه — منزلة شريفة ، واحلكم محلة منيفة ، فكونوا حيث انزلكم ، ولا تفتحوا هذا الباب المغلق الذي سده الله — سبحانه — ورسوله على المسلمين ، فتكونوا انتم فاتحين له ، فتنحطوا عن منزلتكم بفتحه ، وتصيروا منهيين بعد ان كنتم ناهين .

الحاشية السادسة فيها طول ، ورتبها سيدنا على كلام المعترض — وكلام المعترض فيه أيضا طول ، واذا اختصرنا ، أخللنا ببعض معانيه ، فنذكر محل الحاجة من الحاشية ، وجوابنا عليه — ان شاء الله تعالى .

قال رضى الله تعالى عنه : وحكى بعض الاكابر — اجماع الامة على أفضلية ليلة القدر على يوم الجمعة ، وعلى يوم عرفه فما حيلتك أيضا فى رد هذا الاجماع وانكاره ؟ انتهى .

قلت : هذا خطاب من سيدنا المعترض — كما قدمنا ، وجوابه ان المعترض يقول بلسان حاله : نحن نقول فى اجماعكم بالموجب ، وندعى ان الليل غير النهار ، فلا يتم احتجاجكم علينا ، ولا يتوجه الا لما كان من جنس المجمع عليه ، كليلة عرفة ، وليلة الجمعة ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر والاضحى ، ونحن لا نقول بأفضلية هذه الليالى على ليلة القدر،

13) فيه ايضا : ل ، ايضا فيه : ن

668) الآية 12 — سورة الحجرات

والذي قلناه وكتبناه بخطنا ، اجماع الامة على أفضلية يـوم الجمعة ، فلا يحسن احتجاجكم علينا ، الا لو نقلتـم الاجماع على أفضلية يوم عرفة ، او يوم عاشوراء ، أو غيرهما مـن الايام — مما هو من جنس ما ادعينا نحن فيه الاجماع ، وهى
5 الايام لا الليالى ، وبتمام الكلام على هذه الحاشيـه ، ثـم الكلام على جميعها ، ونسال الله العظيم بجاه سيد الخلق ، ان يسامحنا بما قلنا ، وان يجعله خالصا لوجهه الكريم ، ولا يلطم به وجوهنا وبطوننا وظهورنا ، وان يختم لجميعنا بالحسنـى، انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير ، وصلى الله على سيدنـا
10 محمد ، خاتم النبيين ، وسلـم كثيـرا ، وان يغفـر لنـا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

قال جامع هذا عبيد الله أحمد بن محمد المقري — وفقه الله : هذا آخر ما وجدت من كلام هذا الرجل ، وأوردته بطوله — لانه لا يخلو من فائدة ، على أن فى بعض كلامه للنظر مجالا ،
15 وخصوصا ما ذكره فى شأن آدم — على نبينـا وعليـه الصلاة والسلام ، فان النفوس تنفر منه ، وقد حذر العلماء من مثله ، والاعـمـال بالنيـات .

ولنرجع الى ما كنا بسبيله من نظم القاضـى عياض — رحمه الله ، فنقول من نظمه — رحمه الله ، قوله :

20 اذا مـا نشرت بساط انبساط
فعنه — فديتك — فاطو المزاح
فـان المـزاح قـد حـكـاه
أولو العلم قبل عن العلم زاحا

10) ومولانا : ل ـ ن .
12) عبيد الله : ل ، عبد الله : ن.
21) (حكاه) كذا فى النسختين ، والذي فى تلائد العتيان (حكى) . (قبل) وفى النسختين (عنه) والتصويب من التلائد .

ومنـه قـولـه :

لك الخير عندي لهـذا البعاد	فعقـل يهيـم وقلـب يـراع
يعـز علينا تنـائـى الديـار	وذاك سلامـك لـى والوداع
لكم أمل كان لـى فى اللـقـاء	وأمنية قد طواهـا الـزمـاع
5 فلـم اجـن منها سوى حسرة	فوجد جميع وانـس شعـاع
لئن حمل القـلـب ما لا يطاق	فما كلف الجفن لا يستطـاع

ومن ذلك ، قوله — رحمه الله ورضى عنه — وقد انشدناه غير واحد من أشياخنا ، بسندهم الى الامام الرحال ، أبى عبد الله بن جابر الوادي آشى (669) ، عن القاضـى ابى العباس ابن الغماز (670) ، عن الخطيب ابى الربيع بن سالم (671) ، 10 قال : انشدنى القاضـى ابو عبد الله بن زرقون (672) ، قال : انشدنا القاضى ابو الفضل عياض ، فى خـامـات زرع يتخللها (شقائق) نعمان هبت عليه الريح :

1) (البعاد) كذا فى النسختين ، وفى القلائد (النزاع) وربما كان أوفق (نعقل) وفى النسختين (عقل) والتصويب من القلائد .

5) نوجـد : ن ، وجد : ل .
(شقائق) — كلمة (شقائق) ساقطة فى النسختين والمعنى يقتضيها وهى ثابتة فى القلائد .

669) سبقت ترجمته فى ج 23/1 رقم (2)

670) ابو العباس احمد بن محمد بن حسن الغماز الانصاري من اهـل بلنسية ، نزل بجاية وكان قاضيا بها (ت 693 هـ) انظـر عنوان الدراية ص 119 — طبع بيروت

671) ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى ، محدث الاندلس وبليغها فى عصره (ت 634 هـ) انظر قضاة الاندلس ص 119 — والتكملة 708 .

672) ابو عبد الله محمد بن سعيد الانصاري الشريشـى ، الفقيـه المحدث الراوية (ت. 586 هـ) انظر التكملة 256 ، وفهرسة ابن خـيـر ص 56 !

انظـــر الى الزرع وخاماتـــه تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضـــراء مـــهـــزومـــة شقائق النعـــمان فيها جـــراح

قال : وحسبك بهذين البيتين ، دلـــيـــلا علـــى سبـــقـــه وشاهدي عدل لمفضله بسبقه ــ أقول لنا : وقد أطبـــق الناس
5 على استحسان هذين البيتين ، مع ما فيهما من التضمين ، على راي ــ حسبما نبه على ذلك بعض المتاخرين ممن شرح الشفاء وقال الحافظ أبو الربيع ابن سالم : انشدنا أبو عبد الله بـــن زرقون ، قال : انشدنى القاضـــى ابو الفضل عياض لنفسه :

يـــا من تحمـــل عنـــى غير مكترث
10 لكنـــه للضنـــى والسقم اوصى بـــى

تركتنـــى مستهـــام القلـــب ذا حـــرق
أخـــا هوى وتـــبـــاريح واوصاب

أراقـــب النجم فى جنح الدجى سهرا
كـــأننـــى راصد للنجـــم أو صابـــى

15 ومـــا وجـــدت لذيذ النـــوم بعدكـــم
الا جنـــى حنظل فى الطعم او صاب

قال أبو زيد بن القصير فى كتابه الذي ألفه فى مناقب مـــن أدركه من أعيان عصره ، وقد ذكر أبا الفضل عياض ، فقال فيه بعد كلام : ومن شعره عند صدره من قرطبة بعد تقييده ما قيد
20 بها من الروايات ، وطلب بها من العلم ما طلب ، وقد تنفـــس مودعه بزفرات الفراق ، وأراق كل واحد منهم من الدمع للبين مـــا أراق :

أقول وقد جد ارتحالى لطيتى
وزفت على وشك الفراق ركائبى (673)

وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتى
وصارت هواء من فؤادي ترائبى

5 ولم تبق الا وقفة يستحثها
وداعى للاحباب لا للحبائب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلى
وسقى رباها بالعهاد الصوائب

وحيى زمانا بينهم قد ألفته
10 طليق المحيى ، مستلان الجوانب

أاخوانَنا بالله فيها تذكروا
معاهد جار ، او مودة صاحب

غدوت بهم من برهم واحتفائهم
كأنى فى أهلى وبين أقاربى

15 وقال الشيخ محمد بن البرذعى — رحمه الله : كان شيخنا الاما مالعلامة ، أبو عبد الله ابن رشيد شديد البحث عن تمام هذه الابيات السبعة المذكورة ، وقال لنا : لم أقف عليها ، ولا وجدت من ذكرها ، او كلاما هو من هذا المعنى ، فاتفق أن وجدها صاحبنا أبو محمد البسيلى ، فى الكتاب المعروف بقلائد
20 العقيان (674) . انتهى .

---

8) (الصوائب) كذا فى النسختين ، وفى قلائد العقبان (السواكب) ولعله اصوب .

---

673) وقد جاء مطلع هذه القصيدة فى قلائد العقبان كما يلى :
اقول وقد جد ارتحالى وغردت حداتى وزمت للفراق ركائبى

674) انظر ص 223 — طبع مصر (1234 هـ)

ومن نظمه ــ رحمه الله ــ يعتذر لعرض غرض له :

عســـى تعــرف العلياء ذنبــى الى الدهر
فأبــدي له جهــد اعــتــرافــى او عــذري
فقد حــال ما بيــنــى وبــيــن أحــبــة
5 ألفتــهــم الـــف الخمائــل للــقــطـــر
هم اودعــوا قلبــى تبــاريــح لــوعــة
فنايــهــم أذكـــى وانكــى من الجــمــر
على ان لى ســلــوى بــان غــراقــهــم
وان طـــال لم يــمــزج بصد ولا هــجــر
10 ســأفــزع للــــريح الــشــمــال لعلنــى
أحملــهــا شــوقــا تلــجلــج فى صــدري
تــبــلــغ مــنهـــا للوزيــر تــحــيــة
معــطــرة الارجــاء دائــمــة النــشــر
تــظـــلــلــه مــن حــر كــل هــجــيــرة
15 وتــؤنســـه فى وحشة الــبــلـــد القــفــر
وتــنــبــئــه انـــى أكـــن صــبــابــة
بحســن بدا فى غيــر شــعــر ولا شعــر
أهـــز بهــا عطفــى من غــيــر نشــوة
وأرخـــى بهــا ذيــلا مـــن التيه والكبر
20 وانـــى أشدو فى النــواحــى بــذكــره
كمـــا شـــدت الورقـــاء فى الغصن القطــر

(11) (شوقا) كذا فى النسختين ، وفى القلائد (نجوى) .

اجل وعساها ان تبلغ مهجتى
فأبلى بها عذري وأقضى بها نذري

ومن نظمه ـ رحمه الله :

لاتيان مال مال كل وؤمل	ولكنها سبل صعاب المسالك
5 كذلك جنات النعيم ودونها	صراط وكم ناج هناك وهالك

ومن نظمه ـ رحمه الله :

أترانى وما عسى (أن) ترانى	آخذا مرة أمان الزمان
سلبتنى صروفه كل علق	من شباب وصاحب وأمان
كلما حزت بغيتى بفلان	علقت كفه بذاك الفلان
10 عمرك الله هل سمعت بحى،	لم ترعهم روائح الحدثان
كل يوم طليعة لفراق	ومن العجب ان ترى للتدانى
فاسأل الشعريين عنها وحسبى	شاهدا ما تقوله الشعريان
ودع الفرقدين ان جهلاها	فستدهى بأمرها الفرقدان

وله أيضا :

15 يا خليلى فاحملا بعض قولى	للتى غادرت فؤادي عليلا

1) النواحى كذا فى النسختين ، وفى قلائد العقيلن (النوادي) وهى اظهر
7) (ان ترانى) فى النسختين (اترانى) ـ باسقاط (ان) والبيت لا يتزن بدونها ، ولذا اثبتناها وجعلناها بين قوسين .
15) (فاحملا) وفى النسختين (احملا) ولعل الصواب ما اثبتناه .

بلـغـا عنـى الثريا سلامـا واذكرانـى لها وقولا جميـلا
خلت أنـى ملكتهـا واذا بـى فى يديها تخـيـلا مستحيـلا
لست أنسى وكيف لى أن أنسى حين ألقى الدجى عليها السدولا
هل الى نظرة سبيـل فانـى لست أبغى الا اليهـا سبيـلا

5 وله يخاطب الفتح صاحب القلائد عن كتابين كتبهما له معـاتـبـا :

أبا النصر ان شـدوا رحـالـك للـنـوى
فان جميل الصبـر عنك بـهـا شـدوا
وان تتركـوا قلبـى مقيما وتـرحـلـوا
10 فماذا تـرى فى مهجة معكم تغدو (675)

وقـال أيضـا :

ليهـن العلـى ان زفت الشـمـس للبدر
وحلـى جيـد الملك بالانـجـم الـزهـر
وقـرت عـيـون المجـد أيـة قـرة
15 بـيـوم تعالـى ان يكون مـن الـدهـر
لدن ساعة أفضـت الى كـل بـغـيـة
كمـا اعتلـق الغـواص بالدرة البـكـر

---

(675) انظر الـقلائـد ص 222.

قــران كــلا السعديــن فيــه تلاقــيـا
كما يلتقــى فى المقلة الشفــر بالشــفــر

لتجــر المنــى فى حــلــبــتــيــه مغذة
فحــق لهــا فى مثــل ذلــك أن تــجــري

5 بسعــد أمــيــر المؤمــنــين تــطــلــعــت
أســاريره تنــدي بمائــيــة الــبــشــر

نــهنــاه نــجــل الملــك حــظــا ممتعــا
بــعــز الــى عــز ، وقــدر الى قــدر

تمن بهــا الايــــام ثــم تــــرودهــا
10 علــى بدئهــا ما فــيــه من كرم الــبــر

وقــال أيضا ـ رحمه الله :

سـمـح الـزمـان بلـيـلـة | غـــراء جـامـعـة السرور
أجـنـت أكـف جناتهـا | قـطـف الامانـى والحبور
مـا فـض طـيـن ختامهـا | فيمـا تقـدم مـن دهـور
15 دارت علـى فـلـك السعـو | د بمثـل أشبـاه الـبـدور
مـن كـل ما ملأت مـهـا | بتـه العيـون او الصـدور
مـا ان تـرى الا اميــ | ــرا حـاز ارثا عن أميـر
تخـذوا القـلـوب أسـرة | وثـووا بها عوض السريـر
فعلـيـهم وقـف الـعـلا | ء وان تدوولـت الامـور

---

10) فيه : ن ، فيها : ل.
13) جناتها : ن ، جنانها : ل .
14) تقدم : ن ، تقادم : ل.

وقال أبو الحسن بن شاكر الشقوري (676) : انشدني القاضي عياض لنفسه :

ولله قوم كلما جئت زائرا
وجدت نفوسا كلها ملئت حلما

5 اذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة
ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

اولئك مثل الطيب ، كل له شذى
ومجموعه يزداد ريجا اذا شما

قلت : كذا ذكر غير واحد من الشقوري ، وفي ذلك ـ عندي
10 نظر ، يتبين بما تراه الآن ، وذلك أن ابن خاتمة ، ذكر في مزية المرية في ترجمة الامام أبي القاسم بن ورد ما نصه : وحكى ابو عمر بن عات قال : رأيت أن أبا بكر بن العربي ، حدث أبا القاسم بن ورد ، انأباحامد كان ينشد في آخر مجلسه :

اذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة
15 ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

فوصله أبو القاسم بن ورد ببيتين ، أحدهما قبله ـ وهما :

ولله قوم كلما جئت زائرا وجدت شخوصا كلما ملئت فهما
اولئك مثل الطيب كل له شذي واجمعه أذكى اريجا اذا شما

---

8) ريجا : ن ، اريجا : ل وهو الصواب اذ لا يعم «ريج» عندنا بمعنى «اريج»

---

676) تقدمت ترجمته في ج 3/167—171 .

قال ابن العربى : اريجا لغة أهل خراسان . قال ابن خاتمة : وقد انهيت هذه الابيات الى خمسة ، انشدني صاحبنا ، الفقيه العدل ، المشارك أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الحاج الانصاري ، قال : انشدنى الشيخ المدرس ، الحاج
5 الرحال : أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الرباطى التازي ، نزيل فاس ، انشدنى تقى الدين بن دقيق العيد :

ولله قوم كلما جئت طارقا
رأيت شخوصا كلها ملئت فهما

اذا اجتمعوا جاءوا بكل طريفة
10 ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

تساقوا كئوس العلم روضة التقى
فكلهم من ذلك الري لا يظما

نفوس على لفظ الجدال قد انطوت
فتبصرها حربا وتعقلها سلما

15 أولئك مثل الطيب كل له شذى
ومجموعه أذكى اريجا اذا شما

قال الفقيه أبو عبد الله بن الحاج ، قال الشيخ أبو عبد الله بن عبد الواحد الرباطى :

وكان شيخنا تقى الدين المذكور ، اذا انشد هذه الابيات
20 يقول : كانت عسلا بمثلهم ، فتعلقمت بمثلنا . انتهى كلام ابن خاتمة — والله أعلم بالصواب .

رجع ، وقال عياض يخاطب الحافظ أبا طاهر ، أحمد بن محمد السلفى الاصبهانى .

(22 القاضى عياض — رحمه الله : ن ، عياض — باسقاط (القاضى — رحمه الله) : ل.

أبا طـاهـر خذهـا على البعد والنـوى
تـحـيـة مـرتـاح ، لذكرك شـيـق
طوى لك ما بيـن الضـلوع مودة
يـشـف صـفـاء كـالـزلال الـمـروق
5 يناجيـك بالذكـرى فـيـشفـى غلـيلـه
ويخلـص بالود الصحيـح ويلـتـفـى
أقـمـت عمـود الديـن والاثـر الـذي
سـنـاه هـدى للحـق كـل مـوفـق
وطـار لـك الصيـت البعيـد فلرخـت
10 مـآثـره ما بيـن غـرب ومـشـرق
فما من ثـرى الا بـذكـراك عـاطـر
ولا أفـق الا بـنـورك مـشـرق
بـقـيـت لاسـنـاد الـحـديـث تقيمه
وللعلـم تملـى منـه كـل محـقـق
15 ولا زلـت تحـوى كـل فضـل وسـؤدد
وتسمـو بمعراج الـجـلال وتـرتقـى
فاجابـه الشيخ أبو طاهـر بقوله :

أتانـى نظـم الالمعى الموفق	يميس اختيالا بين غرب ومشرق
فطالعته مستبشرا فـوجدتـه	نتيجة فهم فى البلاغـة مشـرق
20 وأنشدته الاصحاب بعد تأمـل	فلم يبق فيهم غير مطر ومطرق
فمطريهم مما رأى من فصاحـة	بلا كلفة فيهـا وغير تفيهـق
ومطرقهم من حيرة وتعـجب	ومن دهش قـد ناله وتقـلـق

(2 مرتاح : ل ، مشتاق : ن .
لذكراك : ن ، لذكرك : ل.

وحق لـه هذا المـحـل عـلا على جرول فى نظمه والفرزدق

واضحى فريـدا فى الحديث وحفـظـه
وقـصـر عنـه كل فـحـل ومـفـلـق

وفى الفقه من بعد الذي هو علمه فقد فاق أهل الافق قول محقق

5 وفاز بمجد ليس يرجو بلوغـه مدى الدهر الاكل أحمق اخـرق

توارثـه من والد مـتـقـدم عن الجد قرم فى الرئاسة معرق

أبا الفضل خذ بالفضل فيمابعثته وطالعة ثـم انبذه عنك وشقق

فشعرك در والذي قد نظمتـه فمخشلب قولا بغيـر تملـق

والا كمـثـل الاتحـمـى مـتـانـة
ومـا صـغـتـه فى الوهن مثل الخدرنـق

10

وثق بوداد لا يـزال مجـددا يزيد على مر الزمان ويرتـقى

ودرس لما قد حزتـه وحويته وغرس لغصن من ولائك مورق

فنحـن وان لـم يقـض يا قاض بيننـا
لـقـاء فـبـالارواح نـدنو ونلـتـقـى

15 وجـل اعتـمـاد المـرء فى الـود انـمـا
عليـه لـمـا فى ضـمـنـه من تـوثـق

فـلا زلت تبقـى فى النعـيـم وظـلـه
عـلى وفق ما تـهـوى وعـز محـقـق

وتـلقـى الـذي عـادى عـلاك معذبـا
بـطرد وتـشـريـد وطـول تـفـرق

20

فما ان يعادي عصبة الـديـن والهـدى
سـوى مـارق ، او ملحـد مـتـزندق

ومما اشتهر من كلامه ـ رحمه الله ـ على طريق التورية يصف غداة باردة :

كـأن كـانـون أهـدى من مـلابسـه
لشهـر تمـوز أنـواعـا مـن الحلـل

او الغـزالـة من طول المـدى خرفـت
فمـا تغـرق بين الجـدي والحمل (677)

5 ومن نظمه ما افتتح به رسالة هى مذكورة فى نثره من هذا الـكتـاب (678) :

قل للاماجد ــ والحديث شجون ما ضر ان شاب الوقار مجـون
ولئن غدوت من العلوم بموضع تومى اليه أصابـع وعـيـون
فلدى للآداب نفـس صبـة فيها الى ملـح الظروف ركون
10 كنا افترقنا عنـد دعوى خطـة ساءت بها فيما فهمت ظنـون
فأتيت بالبرهان فـيـها نيـرا وعدت عواد بعد ذا وشئـون
وبعثت حينئذ ليعلـم انـنـى عيـن الزمان وسـره المكنـون

وله ــ رحمه الله فى الطريق الغزلى والنسيب :

يا راحلين وبالفـؤاد تحملـوا أترى لكـم قبل الممات قفـول
15 أما الفؤاد فعـندكـم انبـاؤه ولـواعـج تنـتـابـه وغليل
اترى لكم علم بمنتزح الكرى عن جفن صب ليله موصـول

677) ورد فى سلك الدرر ، فى اعيان القرن الثانى عشر ــ للمرادي منسوبا الى أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ــ شبيه بهذين البيتين ، وهو :
كان كانون اهدى من منازله لشهر نيسان أصنافا من التحف
او الغزالة تاهت فى تنقلها لم تعرف الثور والجدى من الخرف
678) انظر ص 6 ــ 8 .

اودى بعزمة صبـره ولبابـه   طرف احم ومبسم مصقـول
ما ضركم واضنكـم بتحيـة   يحيى بها عند الـوداع قتيـل
ان البخيـل بلحظـة او لفظة   او عطفـة او وقفـة لبخيـل

وقـال رحمـه الله :

5 الله يعلم أنـى منذ لم اركـم   كطائر خانـه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم   فـان بعدكم عنـى جنا حينى

وقـال رحـمـه الله :

أذات الخل كـم ذا تنتضيهـا   على سيوف عينيـك انتضـاء
بمطلـك لـى مواعد اقتضيها   من التوريـد واللعس اقتضاء
10 فقضـى وعد مطلك وانجزيـه   « خيار الناس احسنهم قضاء »

تذكرت هنا ما كتب به الشيخ الشـهـاب ابـن حجـر العسقلانى (679) ، الى الامـام بدر الدين (بـن) أبـى بكـر الدماميني (680) ، يهنئه بدخـول العام ، ونـص (مـا)

6) البحر : ل ، الريح : ن.
12) (ابى بكر) كذا فى النسختين ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

679) شهاب الدين ابو الفضل احمد بن على بن محمد بن على الشهير بابن حجر العسقلانـى ، الامام الحافظ الحجة (ت 852 هـ) انظـر : الضوء اللامع 36/2 ، والبدر الطالع 87/1 ، وخطط مبارك 37/6 ، ودائرة المعارف الاسلامية 131/1.
680) محمد ن ابى بكر بن عمر المخزومى القرشـى المعروف بالدماينى عالم بالشريعة وفنون الادب (ت 827 هـ) انظر الضوء اللامع 184/7 ، بغية الوعاة 27 ، حسن المحاضرة 258/1 ، شذرات الذهب 181/7

للدينامى فى (حاشيـــة) شرح البخـــاري ، وذكـــرت هـــنا ان
الحافظ العلامة ، شهاب الدين بن حجر — نفع الله بعلومه ،
كتب الى بالاسكندرية فى اول عا مثمان وتسعين وسبـــعــمائة
رقعة ، يهنىء فيها بالعام المذكور ، ونصها ومن خطه نقلت —
5 لله الحمد — فى سائر الاحوال :

ايا بدرا سما فضلا وأرضـــى رعيته ، وفى الــظلــما اضـــاء
ويا قاضى القضاة ومرتضاهـــا واحسنهـــا لمـــا يقضـــى اداء
تهن العـــام اقبـــل فى ســـرور وابدى للهناء بـــكـــم هـــنـــاء
روى وأشار مقتبســـا اليـــكـــم « خيار الناس احسنهم قضاء »

10 ثم قال الدماميني : فانظر الى هذا الاقتباس الذي أشرق
ضياؤه ، واستمد من هذه المشكاة الشريفة فبهر سناه وسناؤه ،
لله دره من شهاب ، ثاقب الفهم ، وفاضل ضـــرب فى أغراض
المعانى بأوفر سهم . انتهـــى .

رجـــع ، ومن مشهور نظم القاضـــى عياض — رضى الله
15 عنه — قصيدته (681) الفريدة التى نظمها على سور القرآن فى
مدح سيد ولد عدنان — صلى الله عليه وسلم ، ولها بركة عظيمة ،
وحق لها ذلك ، ورأيت لبعض المحققين نسبتها الى غيره ، ويدل

---

1) (ما) : نـــل . حاشية : نـــل.
حاشيـــتـــه : نـــل.
11) (ثم) : لـــن.
17) سيد ولد : ن ، ولد سيد : ل.

---

681) وانظر المقري فى النفح ج 324/7.

عليه عدم ذكر جماعة ممن جمع نظمه لها فالله اعلم بصحة نسبتها اليه ، ثم تحققت انها ليست له ، وانما هى للشمس بن جابر — حسبما ذكره فى شرح البديعية فى الكلام على التورية، ولنذكرها وان لم تكن له تماما للفائدة ، وهى :

5 فى كل « فاتحة » للقول معتبره
حق الثناء على المبعوث بالبقره

فى « آل عمران » قدما شاع مبعثه
رجالهم و « النساء » استوضحوا خبره

قد مد للناس من نعماه « مائدة »
10 عمت فليست على « الانعام » مقتصره

« أعراف » رحماه ما حل الرجاء بها
الا و « انفال » ذلك الجود مبتدره

به توسل اذ نادى « بتوبته »
فى البحر « يونس » والظلماء معتكره

15 « هود » و « يوسف » كم خوف به أمنا
ولن يروع صوت « الرعد » من ذكره

مضمون دعوة « ابراهيم » كان وفى
بيت الاله وفى « الحجر » التمس اثره

ذوامة كدوي « النحل » ذكرهم
20 فى كل قطر فسبحان الذي فطره

« بكهف » رحماه قد لاذ الورى وبه
بشرى ابن «مريم » فى الانجيل مشتهره

سماه طه ، وحض « الانبياء » على
« حج » المكان الذي من أجله عمره

« قد افلح » الناس « بالنور » الذي شهدوا
مـن نور « فرقـانـه » لما جـلا غـرره
أكابر « الشعراء » اللسن قـد خـرسـوا
« كالنمل » اذ سمعت آذانهـم سـوره
5 وحسبـه « قصص » « للعنكبوت » اتـى
اذ حاك نسجا بباب الـغـار قد سـتـره
فى « الروم » قد شـاع قدمـا امره وبـه
« لقـمـان » وفق للـدر الـذي نشـره
كم « سجدة » فى طلى « الاحزاب » قد سجدت
10 سـيـوفـه فـأراهـم ربـه عـبـره
« سبا » هم « فاطر » السبع العلى كرما
لمـن بـ « ياسين » بين الرسل قد شهره
فى الحرب قد « صفت » الاملاك تنصـره
« فصـاد » جمـع الاعادي هازما «زمره»
15 « لغافـر » الذنـب فى تفضيلـه سـور
قـد « فصلـت » لمعان غيـر منحصـره
« شـوراه » ان تهجر الدنيا «غزخرفها»
مثـل « الدخان » فيعشى عين من نظره
عزت « شريعته » الـبيضـاء حين اتـى
20 « احقاف » بدر وجند الله قـد حضـره
فجاء بعد « القـتال » « الفتح » متصـلا
واصبحـت « حجرات » الديـن منتصـره
« بقاف » « والذاريات » الـلـه اقسم فى
ان الـذي قـالـه حـق كـمـا ذكـره

فى « الطور » ابصر موسى « نجم » سؤدده
والافــق قــد شــق اجلالا له « قمره »

اسرى ، فنال من « الرحمان » « واقعة »
فى القــرب ثبت فــيــهــا ربــه بصــره

5 أراه أشيــاء لا يقــوى « الحديد » لــهــا
وفى « مجادلــة » الكــفــار قد نــصــره

فى « الحشر » يوم « امتحان » الخلق يقبل فى
« صف » من الــرســل كل تابــع اثــره

كف « يســبــح لله » الحــصــاة بهــا
10 فاقبل « اذا جاءك » الحــق الذي قــدره

قد ابصــرت عنده الدنيا « تــغابنهــا »
نالت « طلاقا » ولم يصرف لهــا نــظــره

« تحريمه » الحــب للدنــيــا ورغــبتــه
عن زهرة « الملك » حق عنــدمــا ذكــره

15 فى « نون » قد حقت الامداح فــيــه بمــا
اثنــى به الــلــه اذ ابــدى لنا ســيــره

بجاهــه سال « نوح » فى سفــيــنــتــه
حســن النجــاة وموج البحر قد غمــره

وقالت « الجــن » جاء الحــق فاتــبعــوا
20 « مــزمــلا » تــابعــا للحــق لن يــذره

« مدثرا » شافعا يــوم القيامــة هــل
« أتــى » نبىء له هــذا الــعلــى ذخــره

فى « المرسلات » من الكتب انجلا « نبأ »
عن بعثــه سائر الاخبــار قــد سطــره

الطاغه « النازعات » الضيـم حسـبـك فى
يوم به « عبس » الـعـاصى لمـا ذعـره
اذ « كورت » شمس ذاك اليوم و « انفطرت »
سـمـاؤه ودعـت ويل بـه الفـجـره
5 وللسماء « انشقاق » و « البروج » خلـت
من « طـارق » الشهب والاملاك منتشره
« فسبح » اسم الـذي فى الخلق شفعـه
و « هل اتاك حديث » الحوض اذ نـهـره
« كالفجر » فى « البلد » المحروس غرتـه
10 و « الشمس » من نوره الوضاح مختصره
و « الليل » مثل « الضحى » اذ لاح فيه ((الم
نشـرح لك » القـول فى اخباره العـطـره
ولو دعا « التين والـزيـتون » لابـتـدرا
اليه فى الحين « واقرأ » تستبـن خبـره
15 فى « ليلة الـقـدر » كم قد حاز من شرف
فى الـ فخـر « لم يكن » الانسان قد قدره
كم « زلزلت » بالجياد « العـاديات » لـه
ارض « بقارعة » التـخـويف منتشـره
لـه « تكـاثـر » آيـات قـد اشتهـرت
20 فى كل « عصر » ، « فويل » للذي كفـره
« ألم تر » الشمـس تصديقا له حـبـست
على « قريش » ، وجـاء الـروح اذ أمـره
« أرايـت » ان الـه العـرش كرمـه
« بكوثر » مـرسل فى حـوضـه نهـره

و « الكافرون » « اذا جاء » الورى طردوا
عن حوضه فلقد « تبت يدا » الكفره

« اخلاص » امداحه شغلى فكم « فلق »
للصبح اسمعت فيه « الناس » مفتخره

5 أزكى صلاتى على الهادي وعترته
وصحبه وخصوصا منهم عشره

صديقهم عمر الفاروق أحزمهم
عثمان ثم على ، مهلك الكفره

سعد سعيد زبير طلحة وابو
عبيدة وابن عوف عاشر العشره

10 وحمزة ثم عباس وآلهما
وجعفر وعقيل سادة خيره

اولئك الناس آل المصطفى وكفى
وصحبه المقتدون السادة البرره

15 وفى خديجة والزهرا وما ولدت
أزكى مديحى سأهدي دائما درره

عن كل ازواجه ارضى واوثر من
أضحت براءتها فى الذكر مشتهره

أقسمت لا زلت أهديهم شذى مدحى
كالروض ينثر من اكمامه زهره

20 قلت : لم ار من سلك هذا السبيل ، وانتمى فيه الى خير قبيل — بعد شدة الفحص والبحث ، ولعمري ان ما ابداه هذا الناظم من ذلك ، لا يجاري ولا يباري ، وان فى مثله لحكمة

(23 هذا الناظم : ل ، القاضى : ن.

واعتبارا ، قواف فى محلها متمكنة سهلة ، والفاظ تسلب العقول
من أول وهلة ، ومعانـــى رائقة ، وتوريات فائقة ، وزاد ذلك
كله مدح خير العلمين عليه الصلاة والسلام ، حسن طلاوة ،
وانسجاما ورقة وحلاوة ، فالله ينفع بالقصد فى ذلك والنية ،
5 ويبلغ الجميع غاية الامنية ، غير أنى وقفت على قصـــيدة فى
مقيداتى لا بأس بها ، شاركت هذه القصــيدة فى طرف من
نسبها ، وهى من نظم الشيخ القلقشندي (682) ــ رحمه الله،
ــ وهانا اثبتها تكميلا للغرض ، واداء لحــق المصطــفــى ــ
ــ صلى الله عليه وسلم ــ الواجب المفترض ، ونصها :

10 عوذت حبى «برب الناس» و « الفلــق »
المصطفــى المجتـبــى الممدوح بالــخلــق

« اخلاص » وجــدى له والعذر يقلقنـــى
« تبت يـــد » لعـــذول جــاء بالــقــلــق

يهــدي لامتـــه و « النصـــر » يعـــضـــده
15 و « الكافـــرون » وعــذالى علـــى نســق

هذا له « كوثر » ، و « الدين » شـــرعتـــه
والمصطفـــى من « قريـــش » ديـــن وتقى

« الــم تـــر » المـــاء قـــد سحت اصابعه
« ويل لكل » جهــول بالــنبــى وشقـــى

20 فى كـــل « عصـــر » تـــرى آياتـــه كثرت
أضحـــى « تكاثر » ها فى سائـــر الافـــق

____

682) احمد بن على بن احمد النزاري القلقشندي ، المؤرخ الشهير صاحب الموسوعة الكبرى (صبح الاعشى ، فى قوانين الانشا) (ت 821 هـ) انـــظـــر الضوء اللامع 8/2؟

وعنـد « قارعـة » فهـو الشفيـع لنـا
و « العاديـات » من الاجفان فى طـلـق

و « زلزلـت » من غرامى كـل جارحـة
وكل « بينـة » تـحـكـى لكم علـقـى

5 يـا عالى « القدر » رفقا مسنـى ضرر
فالله قـد خلـق الانسان من « عـلـق »

ولو دعـا « التين والزيتون » جـاء لـه
و « الشرح » عنـه طويل غيـر مختلـق

يبدو كشمس « الضحى » و « الليـل » طرته
10 كا « لشمس » فى « بلد » و (الفجر) فى أغق

انـى « بغاشيـة » لـولاك يـا املـى
انت الشفيع الى «الاعلـى» وخيـر تقـى

كـم « طارق » منك بالاحسان يطرقنى
مثل « البروج » أتـى فى أحسن الطـرق

15 وفى « انشقـاق » فـؤادي عبرة وبـه
ويـل من الـصـد والاجـفـان فى ارق

و « الانفطـار » بـه ممـا يـكـابـده
والشمس قد « كورت » فى القلب وادرقى

والصـب فى « عبس » و « النازعات » به
20 وقد أتـى « نبـأ » من دمعـه الـغـدق

و « المرسلات » دما « الانسان » جارية
الى « القيامـة » من دمعى ومن حدقـى

و « بالمدثـر » انـى مـاسـك أبـدا
و « بالمزمل » ان ألـجـمت بالـعـرق

فـ « الجن » والانس فى خيـر ببعثتـه
هـذا و « نوح » بـه أنجـى من الغـرق

وفى « المعارج » معـراج الرسول عـلا
حقـا وفى « حاقـة » كنـز لمختـرق

5 والله مرسـلـه فى « نـون » بـشـره
و «الملـك» خيـره حتـى رأى ولـفـى

وجـاء بالحـل و « التحريم » امـتـه
و « بالطـلاق » من الـدنـيـا لمنطلـق

وفى « التغـابـن » تـجـار بـه ربحـوا
10 اذ « المنافق » فى خـسـر وفى نـفـق

يا صاحـب « الجمعة » الغراء يا أملـى
فى «الصف» عند «امتحانى» اختشى زلقى

وأنت فى « الحشر » عونى فى «مجادلتى»
عسـى تزيـل « حديد » النار من عنقـى

15 وعنـد «واقعة» ان كـان لـى رمـق
فاشفـع الى ربـك الرحمـان فى رمقـى

لم ارع يا «قمري» «للنجـم» فى سهـر
الا لعلك مـن نـار الجـحـيـم تـقـى

قلبى الكليم غـدا «الطـور» مرتقـبـا
20 ودر دمعـى بـدا بـ « الذاريات » سقى

و « قـاف » يعجز عن حمل الغرام بكـم
وليس فى « حجرات » الوجـد من رفـق

« انـا فتحنا » «قتالا» للعـذول ففـى
« احقاف » « جاثية » فى الغيظ والحنـق

« دخـــان » « زخرف » ما العذال فيه هبا
« شوراي » تتركـــه فى أنــف محــتــرق
وهم بمــن «فصلت» فى مــدحــه ســور
نبينا المصطفــى الهــادي الــى الــطــرق
5 « فغافر » الذنب كم أعطى به « زمــرا »
وكــم سقــى كفــه « صاد » بمنــدغــق
وليس غيرك فى « الصافــات » أقصــده
وانت « ياسيــن » لى مــن سائر الفــرق
يا « فاطر » ، قد « سبا » (الاحزاب) طلعته
10 كم « سجدة » لك فى الاسحار والغســق
«لقمان» يشهــد ان «الروم» تــعــرفه
و « العنكبوت » فقــد سدت على الغلــق
هذا ولى «قصص» «فالنــمــل» قد كتبت
هامت بها « الشعــرا » فى خده اليــقــق
15 «تبارك» الـــلــه من «بالنــور» جــملــه
« قد أفلح » « الحج » لما زاره غــوقــى
يا أيهــا «الانبيــاء» «طه» خــاتمــكــم
ويا ابن « مريم » خذ من مسكــه العبــق
لاذوا «بكهف» له «سبــحــان» خــالقــه
20 حتى اتى الا من بعد الــخــوف والفــرق
فالركن و « الحجر » حقــا قد أضــاء لــه
وذاك دعوة « ابراهــيــم » ذي الخــلــق
والله ربــى برعب « الــرعد » ينصــره
مــســيــر شهــر بلا ســيــف ولا درق

فـ « يوسف » مع (هود) و « الخليل » اذا
و « يونـس » شربوا من كأسه الدهق

« لتوبتـي » ارتجى « الانفال » منه غدا
فانـنـي رجـل أضحـيـت فى قـلـق

5 « أعراف » انعام « انعام » له اشتهرت
وكـم « لمائـدة » اسـدى لمـرتـزق

كـل « النسا » لم تلد مثل الرسـول اذا
فينـا وفى « آل عمران » ولـم تـطـق

أعطيـت خاتمة من سورة « الـبقـره »
10 لم يعطهـا احـد فيمـا مـضـى وبقـى

فـأنت « فاتحـة » الانباء خـاتمـهـم
وكلهـم قـد أتـوا بالـود والـمـلـق

والقلقـشـنـدي محـب قال سيـرتـه
فى مدح خير الورى المـمـدوح بالخلـق

15 فاقـبـل هديـة عبـد انت مالـكـه
وانظر الـيـه فـان العـبـد فى قـلـق

صلـى عليك الـه العرش ما صـدحـت
ورقا عـلى فـنن والورق فى الورق (683)

انتهـت . ثم وقفت على قصيدة أخرى على هذا النمـط،
20 سقط من آخرهـا بيتان ، وهـى نظـم فقيـه ، ولكن ذكرتها تبركا ، ونصـهـا :

---

683) وقد اوردها المؤلف فى النفح ج 7/328 ـ 330

بحمـد الـه الـعـرش استفتح القـولا
وفى « آية الكرسى » أستمـنـح الطـولا

وفى « آل عمـران » أتـى ذكـر أحمـد
« نساؤهم » « بالعقد » قد انعموا القولا

5 « بأعراف » رحماه « بأنـفـال » جوده
شرفنا وفضلنـا و « تبنا » الـى المولـى

له « يونس » نادى (وهود) و « يوسف »
وذاكـره فى « الرعد » لا يسـمـع الهولا

ودعـوة « ابراهيم » كـان مـحـمـد
10 وفى « الحجر » خير الخلق قد فضل الرسلا

لـه أمـة « كالنحـل » قد صح فضلهـم
فسبحان من « اسرى » بأحمدنـا لـيـلا

علا فضلـه والناس فى « كهـف » نيلـه
و « مريـم » فى الاخرى يكون لها بـعـلا

15 و « طه » ، له فضـل على الـخلـق كلهم
ولكـن جميع « الانبيـاء » علا فـضـلا

ولـولاه مـا « حـج » المقـام وكعبة
« فأفلح » من قد طاف فيـهـا ومن حـلا

ومن « نـوره » الوهاج كـل مـنـور
20 و « فرقانـه » قد اخمد الكفر والبطـلا

ترى « الشعرا » « كالنمل » حول محـمد
اذا «قصص» فى «العنكبوت» لهم تـتـلـى

علا ديننا رومـا و « لقمـان » عـالـم
بأن السيوف «اسجدت» كـل مـن ضـلا

و « الاحزاب » « تسبيهم » بحكمة (فاطر)
و « ياسين » قـد « صفت » له الملأ الاعلى

و « صاد » جميـع الكافرين « بزمرة »
لهم « غافر » فى الحرب قد «فصلت» فصلا

5 و « شوراه » فى الدنيـا بها كـل زلفـة
وقد «زخرف» الكفـار فى دينـهـم جهـلا

لقـد رأوا « الدخان » حول بيوتـهـم
« بجاثية » « الاحقاف » قلا قتلوا قتـلا

« محمـد » نا لـم يخلـق اللـه مثلـه
10 وفى « الحجرات » فضـلـه ابـدا يتلـى

وقد انزل الجبار « قـافـا » بـذكـره
كمـا «تـذر» الكفار ريـح بهـا تـبلـى

« بطور » سما و « النجم » ما ضوء أحمد
كمـا « قمر » بل نور خير الورى اجلـى

15 له الله « رحمان » وفى « وقعت » تـرى
« حديدا » به الكفار « يجدلهـم » جـدلا

« وقد سمـع » الغفار دعـوة احـمـد
« بحشر » ولكن « بامتحان » بـه تتلـى

« صففنا » بجمـع للاعادي فمنهـم الـ
20 ـمنـافق ان الـكـفـر فى درك سـفـلا

يرى « غبنه » فى الخير منهم « مطلـق »
ولكـن من « يحرم » نعيما فقـد ضـلا

لاحـمـد « ملك » لا يوازيه سـيـد
و « نون » لقد قلنا مـقـالا بـه نجـلا

بـــحـــق لقد « سالت » أبــاطـــح مكـــة
بفضل له قـــد كان « نوح » به استعـلـــى

صحيـــح بان « الجـــن » جـاءت لاحمد
و « مزمـــل » كـــان الغـــمـــام لـــه ظـــلا

5 « لمدثر » فضل « القـــيـــامة » واضـــح
أتاه وجمع « المرسلات » حـــوت ســـبـــلا

« وعم » بجدواه فلا مـــن « منــــازع »
فحيـــث تراه لا « عبـــوسا » ولا بـــخـــلا

لقد « كورت » شمس بها « انفطر » السما
10 « لويـــل » أتى الكفار « وانشق » واستولى

ولكـــن « بروج » الجو تزهو بأحـــمـــد
وفى « طارق » الافـــلاك فضـــلـــه الاعلـــى

« وغاشية » «كالفجر» حلـــت (بـــبلـــدة)
بها حرم امن « كشمس » جلت « ليـــلا »

15 كـــأن « الضحـــى » وجه النبى محـــمـــد
به « شرح » الله الحنيفـــيـــة الفضـــلـــى

فاقسم « بـــالتـــيـــن » الذي عم نفـــعـــه
« وبالقلم » الاعلى « لقدر » لـــه اعـــلـــى

« الم يكن » الكفـــار قد ضل سعيـــهـــم
20 وقد «زلزلوا» «بالعاديـــات» كمـــا يتـــلـــى

« وقـــارعة » جـــلـــت « والهاكم » الهوى
و « والعصر » ان « الويل » يقربهم نـــزلا

« الم » تـــر ان اللـــه فضـــل احـــمـــدا
لا من «قريش» حيثما سلكـــوا الســـبـــلا

« أرايت » بل « الكوثر » العـذب خصـه
به وجميع « الكـفـر » لم يـردوا أصـلا
لقـد « نصر » الرحمـان ربـى محمـدا
فاردى « أبا لهب » ولم يكتسب نـبـلا
5 فـيـا « أحـد » انـى بفضلـك عـائـذ
اذا « غسق » الديجور ناديت يـا مـولـى

انتهـى ما الفيته ، وقلت مكملا ما سقط منها :

ويا مالكـا « للـنـاس » عبـدك لائـذ
بعفـوك فاغـفـر ما جنـى عمدا او جهـلا
10 و « يا رب » عاملنـى بـمـا انـت أهله
من الجـود والرحمى وان لم اكـن اهـلا
وصـل علـى مسك الـخـتام محـمـدا
اتـم صـلاة تمـلأ الحـزن والسـهـلا

ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول : ومن نـظـم الامام
15 عياض ما انشده الامام ابن رشيد ، قال :

انشدنى ابو عبد الله محمد بن مسعود بن الحسن التادلى الفقيه — للقاضى عياض — رحمه الله تعالى ، وقالها حين ولـى القضاء بمدينة « داي » ببلاد تادلا ، سنة واحد واربعـيـن وخمسمائـة :

20 أقمـريـة الادواح بالـلـه طـارحـى
أخـا شـجـن بالنـوح او بـغـنـاء

(3) محمدا ، ل ، احمدا : د.

ومن نظمه ـ رحمه الله :

أعوذ بربى من شر ما يخاف من الانس والجنة
وأساله رحمة تقتضى عوارف توصل بالجنة
فما للخلائق من ناره سوى فضل رحماه من جنة (686)

ولنجعل هذه القطعة آخر ما اوردناه من نظمه ، تفاؤلا بها وبالتالى قبلها، وتطارحا على باب الله ـ أن يسلك بنا طرق رحمته وسبلها ، ويقينا من كل محذور يتقى، ويحشرنا فى زمرة من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فسما قدره وارتقى ، بجاه سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم تسليما .

---

686) وينسب للقاضى عياض فى المدح والتوسل بالنبى ـ عليه السلام ـ القصائد التالية :

ـ قف بالركاب فهذا الربع والدار لاحت علينا من الاحباب انوار
الابيات 7 ـ انظر فهرس المخطوط بالخزانة العامة بالرباط ج 1 رقم (886) .

ـ اليك مددت الكف استمطر الفضلا واستكشف البلوى واستعطف الطولا
ـ الابيات 16 ـ المرجع السابق رقم (1285).

ـ يا عين هذا السيد الاكبر وهذه الروضة والمنبر. (فى 38 بيتا)
ولسنا واثقين من صحة نسبتها اليه ، وسلمت الينا من بعض الذين يعملون بالخزانة العامة على ما فيها من تحريف .
وينسب لعياض كذلك فى النهى عن الاسفار ـ قوله :

تتحد عن الاسفار ان كنت طالبا نجاة ، ففى الاسفار سبع عوائق :
تشوق اخوان وفقد أحبة واعظمها ـ يا صاح ـ سكنى الفنادق

وغاب عنا مصدر هذه الابيات .

5 ــ روضة النسرين فى تآليفه العديمة النظير والقرين (678)

أقول : هذه ترجمة نذكر فيها ما كمل من مصنفاته ، وما لم يكمل أو تركه فى المبيضة من مؤلفاته، فنقول : ــ وعلى الله اعتمد ،، ومن بحر عونه استمد ، لا الــه غيره ، ولا خيــر الا خيره، ــ : أما ما كمل من تآليفه ــ رضوان الله عليه ــ فمنه كتاب الشفا ، الذي بلغ فيه الغايــة القصــوى وكــان فيــه لضرب (688) الاحسان مرتشفا ، وبذ فيه المؤلفين وأربى ، وحاز قصب السبق به دونهم وطار صيته شرقا وغربا ، وقد لهجت به الخاصة والعامة عجما وعربا ، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمان قربا ، سمعت غير ما مرة شيخنا الامام ، علــم الاعلام ، المفتى عمنا سيدي سعيد بن احمد (689) المقري ــ رحمه الله ــ يقول : ما ألف فى الملة المحمدية ، مثل كتاب الشفا ــ للقاضــى عياض ، وحرز الامانى (690) للشــيــخ ابــى القاسم الشاطبــى (691) ، وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى ،

---

2) اقول : لــن. نستمد : ل ، استمد : ن.

---

687) وهى الروضة الخامسة من الروضات الثمان التى تضمنها الكتاب.

688) الضرب : العسل الابيض ، وهو هنا ــ على التشبيه من اضافة المشبه به الى المشبه .

689) تقدمت ترجمته فى ج 4/ص82 ــ رقم : (427) .

690) يعنى قصيدته اللامية فى القراءات السبع ، واشتهــرت عــنــد المتاخرين بالشاطبية ، وشرحها كثيرون .

691) ابو القاسم بن فيره الشاطبى العالم المقريء (ت 590 هـ). انظر نكت الهميان ص 228 ، والوفــيــات 422/1 ، وشذرات الذهــب 301/4 ومفتاح السعادة 387/1 ، وغاية النهاية 20/2.

وسنذكر منها شيئا فى الباب الثامن ــ ان شاء الله تعالــى ، ويرحم الله القائل :

كلهــم حــاول الدواء ولكــن مــا اتــى بالشفــاء الا عياض

ولا يمتري من سمع كلامه العذب السهل المنور ، فى وصف النبى ــ صلى الله عليه وسلم ، أو وصف اعجاز القرآن ، ــ أن تلك نفحات ربانية ، ومنحة صمدانية ، خص الله بها هــذا الامام وحلاه بدرها النظيم ، « ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم » (692) . حكى غير واحد، منهم : الشيخ الرحال ابن جابر الوادي آشــى (693) ان القاضــى عياض ــ رحمه الله ــ اوقف عليه شيخه القاضى ابا بكر بن العربى ــ رضوان الله عليه ــ فقال له : ــ بارك الله فيك يا أبا الفضل ، واستحسنه جدا !

قال ابن جابر : ولما قرأته على شيخى الامام العــالم ، قاضى الجماعة، الخطيب أبى العباس أحمد بن الغماز الخزجى (694) ــ بمنزله من تونس، فى مجالس آخرها فى رمضان عام أحد وتسعين وستمائة، وكان يحضره جاعة من العلماء الجلة، منهم شيخنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائى القرطبى (695) ، وموضعه عن يسار الشيخ ، فلما بلغــت يوما من الكتاب قول القاضــى ابى الفضل :

---

13) احد : ل ، احــدى : ن.

---

692) الآية 4 ــ ســورة الجمعــة .

693) نسبة الى وادي آش من اعمال غرناطة . تقدمت ترجمته فى ج 23/1،

694) تقدمت ترجمته فى ج 240/4 ــ رقم (670) .

695) ابو محمد عبد الله بن هارون ، الفقيه المحدث الراوية . (ت 702 هـ)
انظــر لقط الفرائد ص 162 ، وشجرة النور الزكية ص 199 .

يا دار خير المرسلين ومن بـه هـدى الانام وخـص بالأيات

الى آخرها ، وأراها من نظمه ، وكان بفراغها ختـم المجلس ، ودعا الشيخ على عادته، — ادار وجهه لشيخنا أبى محمد بن هارون ، وانشده ارتجالا :

5 ان الشفاء شفاء للنفوس غدت هدى الانام وخص بالآيـات

ثم قال له : أجز أبا محمد ، فلم يجبه اذ ذاك ، وحفظت هذه عن ناظمهما ، فلما كان فى الغد بعده ، وقرأت مجلسا منه وختم الشيخ بالدعاء ، ناولنى أبو محمد بن هارون أبياتـا نسجها علـى روي البيت الاول ومعناه ، وقرأتها — والقـوم 10 يسمعـون ، وهـى

جـازى الله العياضـى الامـام بـمـا
يجزى به كل من يـحيـى به الاثـر
انـوار ذكر الرسول المصطفى ائتلقت
تجـلو الدياجى منها الانجم الزهـر
15 شمس الضحـى اشرقت من نوره وذكا
من عرف روض الربى للناشق الزهـر
سـلك به ازدان جيد العلم وانتظمـت
فيـه لجامعـه اليـاقـوت والـدرر

---

1) هدى : ن ، حبى : ل.
8) نسجها : ن ، نسخها : ل ، وكتب بهامشها : لعل صوابـه : نسجها : بالجيم . على روي : ل ، على وزن روى — بـزيادة (وزن) : ن

اروت ظماء الورى عـن الغمـام بـه
بواكـف للحيـا سـحـت بـه الـدرر

جديده ليس يبلى الذكـر منـه علـى
مـر الجديديـن تستجلـى له صور

5 غـض يلـذ على الاسماع يمـلؤهـا
مـنه السـرور اذا تتلـى له سـور

لله در ذوي الالبـاب قـد عمروا الـ
أعـمـار منـه بما قد بورك العـمر

يرددون على الاسمـاع مـا قـرءوا
10 منـه فيا نعـم ما الدنيا به عـمـروا

الشعر شـاخ وكـل الفكر حين مضى
عصر الشباب ، وشاب الراس والشعر

تمضـى الحياة وأبنـاء الزمـان بـه
فى غفلة بانصرام العمـر ما شعـروا

15 انـا لمن بشـر جـلـت ذنـوبـهـم
والله يصفح عمـا قد جنـى البشـر

الفضـل والـكـرم الجم العميـم لـه
جـاءت به لعبيد اذنبوا البشر (696)

قال ابن جابر ـ رحمه الله ـ وقيدت من خط الشيـخ
20 الصالح الزاهد ، ابى الحسين عبيد الله بن احمد بن عبد المجيد
الازدي الرندى ، وتوفى ببجاية ـ رحمه الله تعالى ـ فى احواز

---

(696) جمع بشير على القياس

ونعل لاسم رباعى بمد قد زيد قبل لام اعلالا فقد

التسعين وستمـائة (697) على كـتـاب الشـفـا ، وكان نسخه بيده وسط شعبان عام ثمانية وخمسين وستمائة ، ما مثاله : وقد قـرت ـ والحمـد للـه ـ عـيـنـه بنسخه وكماله ، وثلج فؤاده لتعلق رجـائـه ان يجعله الله تعـالـى
5 فى صحيفة أعماله ، فنسال الله تعالى ان يجازي مؤلفه خيرا ، ويعظم له بما ألفه وانتخبه أجرا ، فلقد جرى ـ رضى الله عنه ـ فى ميدان اشرف العلوم جري السابق ، ونظم فى جيد الزمان سلك المعارف ودرر الحقائق ، وشفى بكتاب الشفا قلب كل مومن صادق ، كما كبت به قلب كل عدو منافق ، فاذا طالعه المـومن
10 استنارت فى باطنه حقائق انواره ، واذا جال فى روض معارفه تنفست له نفحات نسيمه الاريج وتبسمت له مباسم ازهاره ، فهو ـ كما قال القائل تعظيما لمحله الكريم ، وتشريفا لحميـد آثـاره :

كتـاب الشفـاء شفاء القلوب	قد ائتلقـت شـمس برهانـه
15 اذا طـالع المـرء مضمـونـه	رسـا فى الهـدى اصل ايمانه
وجال بـروض التقـى ناشقا	روائـح ازهـار افـنـانه
ونـال علوما ترقـيـه فـى	ثريـا السـنـاء وكيـوانـه
فلله در ابـى الـفـضـل اذ	سـرى فى الورى نيل احسانه
فعـزر قدر نبـى الـهـدى	وخـيـر الانـام بتبيانـه
20 وجازاه ربـى خـيـر الجزا	وجـاد علـيـه بغفـرانـه

(17) السناء : ل ، السماء : ن.
(19) فعزر : ل ، فعزز : ن .

(697) اي واحد وتسعين وستمائة (691 هـ).
انظر ترجمته فى عنوان الدراية ـ وكناه ابا الحسن ـ ص 107 .

ومنا الصلاة على المجتبى واصحابه ثم اعوانه
مدى الدهر لا ينقضى دائبا ولا ينثنى طول ازمانه

وذكر حفيده ابن ابنه الفقيه ابو الحسين ، ان الابيات من نظمه — رحمه الله تعالى ونفعنا به — . وفيه أيضا يقول الفقيه المحدث الخطيب ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد : 5

جزى الاله عياضا بالشفاء غدا رياض فردوسه نزلا بجنته
دواؤه قد شفى الادواء فهو له ذخر يقيه يقينا لبس جنته

قال ابن جابر : وكنت قلت فى زمن نسخى له — ابياتا اثبتها هنا — نفع الله بالقصد فيها — وهى :

10 شفاء عياض للنفوس الأبية
دواء سناه وهو اسمى وسيلة

به اشرق الاصباح واتضح الهدى
برغم انوف للطغاة وذلة

له الله من حبر امام وعالم
غدا فيه يهدي الخلق لكن لسنة

15 ولما رأى الاهواء زاد امتدادها
وجاء بنوها بالضلال وشبهة

نضا صارم الاسلام فى نحر كيدهم
وقال لهم : بالله حسبى وعدتى

20 ابان الذي يعتاص صدقا بحجة
أتت تجتلى كالشمس وسط الظهيرة

لــه فى بلاد الله نــور مـشـعـشـع
ومطلع ذاك الـنـور ارجـاء سبتـة

ولا عـجـب للغرب قـد خص ربـنـا
به الفضل بل فى الشرق مطلع فتنـة

5 جزى الله ربـى روحه النـاعم الـذي
توارى غريبا خيـر اعـضـاء ميتـة

وآتـاه مما قد أعد لمـن قـضـى
شهيـدا من الخيـرات فى صدق جنة

قال ابن جابر : وفيه أيضا يقول صاحبنا الفقيه ، الحاج
10 المكرم المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن احمد
الصنهاجى بن الحداد (698) .

شفـاء عيـاض للـقـلـوب دواؤهـا
من الجهـل فاجهد ان تكون به مغرى

لقـد حـاز بالاجـر الجزيل حقـيـقـة
15 لدى حلبة السبـاق فى موقف الاخرى

فطالـع معانيـه تـفـز بـمـعـارف
تـرقـى معانيهـا وتكسبـه اجـرا

وتدنيـه من نهـج الحقيقـة واصـلا
الى العالـم الاعلـى وتوجده ذكـرا

---

698) يعنى به الوادي آشى الغرناطى ، نزيل تلمسان .
انظر ج 302/3 ، والنفح 507/4 ، و ج 22/6 ، و ج 103/7.

فيرقــى عن الاغيــار فى كــل وجهة
ويظفــر بالحسنـــى ويا حبذا ذخــرا

وينعــم بالاحبــاب فى حضرة البقــا
ويشهد سر الجمع جهرا اذا أسرى

5 قال : وحدثتى أنه وجد على ظهر كتاب الشفا أبياتا بخط أحمد ابن ابراهيم بن خلف ابن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن هرقد القرشى ، قال : ـ وأظنها من نظمه ـ رحمه الله ونفع به ـ :

شفى نفس كل امريء مسلــم بنور البيان كتــاب الـشفــا
وابهجهــا مــا تضــمــنــه من القــول فى شرف المصطفى
10 وفى شــرف الانــبـيــاء وفى طهارتــهم من ضروب الجفــا
جزى الله واضعــه جـنــة وقــرب زلفــى بــمــا الفــا
افــاد علوما جهــولا بــهــا وزحــزح عنــه عمى ونفــى
علوم تزيد القــلــوب هــدى فافــلــح قلــب زكــا وصفا
رياض من العلم صنغه (699) عياض فأكــرم بمــا صنفــا
15 اذا مــا تــأمــل ازهـــاره اريب سقيم الفؤاد اشتفــى

وللشيخ الاجل المحدث الكاتب ، ابى العباس أحمد بــن محمد بن ابراهيم الماردي ، قال ابن جابر وانشدنيها :

7) ونفــع به : ل ــ ن.
13) قلب : ل ، خلف : ن.

699) الضمير عائد على الرياض بما هو متعارف عند عامة الاندلسيين والمغاربة ، وكان الصواب ضمير الاناث لكونه جمع روض

قـرأت كـتـاب الـشـفا وما هـو الا الشـفـا
فبـورك فـيـه لـمـا قد حوى من حلى المصطفـى
كـتـاب عـلا قـدره علـى كـل مـا صنـفـا
عـيـاض بـتـصـنيـفه على كـلا صنفـه شـرفـا
5 كفـانـى عـكـوف عـلـى فـوائـد فـيـه كـفـى

انتهى ما اوردته من كلام ابن جابر الوادي آشى — رحمه الله — ولا باس ان نورد ما حفظناه زيادة على ما عنده ، فنقول: قد وجدت بخط الشيخ البركة ، الحافظ ، الامام أبى عبد الله ، سيدي محمد بن صعد التلمسانى — رحمه الله — ما نصه :
10 وتواليف القاضـى ابى الفضل — رحمه الله — دالة على ما له عند الله من الكرامة والعناية ، فمن تامل انتفاع المسلمين بها شرقا وغربا ، علم ان ذلك من اسرار القرب والولاية ، وكتابـه الشفا هو وسطى القلادة ، وبرنامج السعادة ، وفيه يقول بعض الفضلاء — رحمهم الله — :

15 انس الوحيد وديمـة الانـداء ونسيـم عرف الروضة الغناء
وضياء مأمول الرضى ومديده وقـلادة الحنفـاء والسعداء
وأمـان كل مخوف وعـيـاذه مـن طارق الاهوال والاهواء
كتب الشفا وفت لنا بحقوق من قد خصصتـه مكـارم الآباء
ونصوص انباء النبـى محمد كرمت مصححـة عن العلماء
20 بشر عياضـا ان غرس بنانه وزكائـه فـيـه من الشفعاء

1) قرات : ل ، قرانا : ن.
17) ابا عبد الله : ن ، ابو عبد الله : ل . الانصاري :ن-ل.
8) وعياذه : ل ، وعياذة : ن.
20) بنانه : ن ، نباته : ل.

تتلذذ الارواح فى تخـليصهـا كتلـذذ العافيـن بالنعـماء
أنـى بذكـر محمد وصفاتـه لهـج وفيـه همتى ورجائى
ووسيلتـى يوم الشفاعة حبه واذا مرضت ففى الشفاء شفائى
أهلا به وبـآلـه وبصحبـه غـر الوجوه وزين كـل ملاء

5 انتـهــــى

وقـال بعضهـم :

جـزى الالـه عيـاضـا عـنـا بـخـيـر الـجـزاء
الفـى الانام (700) مـراضـا فـعـمـهـم (701) بالشـفـاء

ورأيت على نسخة من الشـفـاء ، بخط الامام العلامة
10 الاوحد ، سيدي يحيى السراج ، تلميذ الشيخ العارف ، سيدي
محمد بن عباد – رحمهما الله ، ونفع العبد ببركتهما – ما نصه :
انشدنى الشريف القاضى المشاور ، أبو محمد عبد النور بـن
محمد بن احمد الحسنى العمرانى (702) ، قرأت عليه هـذه
القصيدة ، التى من نظمه ، ومن خطه نقلت :

---

6) وقال بعضهم ... بالشفاء : لـ،ـن.

---

700) كذا فى الاصل (الفى الانام) ، وكتب بالهامش (رأى القلوب) – وعليها علامة (خ صح) .

701 كذا بالاصل ، وفى الهامش (فعمها) ، وعليها علامة (خ صح) .

702) من شيوخ ابن عباد الصوفى ، انظر النفح 342/5.

أبــو الفضل حاز الفضل والبر اذ أتــى
بعقــد من الياقــوت قد حف بــالدر
وحلــى بها جيــد الزمان فاصبحـت
علــى نحــره تزداد حسنا مع الدهــر
5 تمــد ضياء الشمس من حسن نورهــا
ويقــوى بها نور الكواكب والــبدر
كما قد محت من قبــل عند ظهــورهــا
بأنوارهــا ليــل الضــلالــة والكفــر
شفــى بالشفا ما فى النفوس غلم يدع
10 مقــالا لــذي قــول بسر ولا جهــر
فقســم أقســاما وبوبــهــا مــعــا
وفصلها مقبولــة الــعلــم والذكــر
وقــدم آيــات الكتاب التــى بــهــا
ســمــا قــدره فوق السماكين والنسر
15 وثــنــى باخبــار صحــاح شهــيــرة
كما اتبعت شمس السمــوات بالبــدر
وكــم غاص فى بحر المعــارف ينتقــى
من الدر ما قد غــاب فى غامض البحر
فجــود منــهــا كــل قــاص وشــارد
20 ومــا ضله الحفاظ فى سالــف الدهــر
وكــل غريــب النقل صحــت طريقه
وكــل طريف المتــن عــار عن النكــر
وألــحــق منهــا كــل نــوع بجنسه
ورتبها مثل الجمان عــلى الــنــحــر

وأجـــــرى علوما بين ذاك جليـلــة
فيا حسن ما يروى، ويا حسن ما يجري

فـلو كان ممـن يدعــيـه كـرامــة
لصدقـه الـنـقــاد فى ذلك الـدهر

5 فقـد جاء شبهـا للخـوارق عـادة
ولا سيمـا اذ جـاء فى ذلك العصـر

فلولا الذي قـد كان من امر ربـه
من الفتح والامداد بالعضد والنصـر

لما انفجرت من بين كفيه حكمـة
10 تـهـون مرقـى كل ممتنـع وعـر

فجـاء بما اعيا القرون التى مضت
وما عجزت عنه جحاجحة (703) الغر

هنيئـا لـه فيـمـا اعد له ومـا
ينـال من الاحسـان والفضل والبـر

15

أنتهى . وهو نظم فقيه ، والاعمال بالنيات . ولبعضهم :

وقالــوا : نراك تحـب الشفا وتخبـر فيه عـن المصطفـى
فقلــت : لانــى عليل الفؤاد وكـل عليـل يحب الشـفـا

---

2) جماجمة : ل ، جحاجحة : ن
5) وهو كلام بل نظم فقيه : ل ، وهو نظم فقيه : ن.
17) (الشـفـا) : لـ ن.

---

703) جحاجحة جمع جحجح : السيد المسارع الى المكارم .

ولبعضهم فيه ــ وهو نظم فقيه أيضا :

أيا شاكيا دهره ان جفا عليك بنسخ كتاب الشفا
ففيه الجلاء لكل الهموم وفيه لداء الذنوب الشفا
وتبلغ لا شك ما ترتجى اذا أنت رسمه أحرفا
5 فذلك حتم جرى عادة لتضمينه شرف المصطفى
عليه صلاة من الله ما بدا النجم فى افقه او خفا

وفيه أيضا :

رجوت الشفاء لما شفنى واثقل ظهري بنسخ الشفاء
ولم التمس فى سواه شفائى ولم ارج الا لديه شفائى
10 ففيه الشفاء لمن لم يجد لداء الم به من شفاء (704)

وقال ابن اقبرس :

ايا قاض عياض حويت فضلا واحكاما باحكام الدواء
ازلت من العقائد داء شك فصحت باليقين من الشفاء

---

11) (وقال ابن اقبرس : ودت الشفاء ... يجب الشفا) : ل ــ ن .

---

704) كتب بهامش (ل) (اعاد هنا فى الاصل ــ البيتين المتقدمين لبعضهم : جزى الاله عياضا...) وذلك محض تكرار ، ولذا لم نثبتهما ــ كاتبه .

حكت السحائب لونه ومذاقه
لكنه كالمسك فيه ذكاء

والسحب اذ ناديتها وأمرتها
سبعا همت ومياهها سحاء

5 وكففتها اذ قد تواتر وكفها
سفت (717) وقد زالت بها الضراء

الريق منك حلا الاجاج بمجة
فيه وصحت مقلة رمداء

والعين من بعد الفصال رددتها
10 نظر البصير وأبصر النظراء

نطقت لتخبرك الذراع بسمها
اذ سبحت بيمينك الحصباء

والجذع اذ فارقته مع حكمة
أضحى يئن وقد شجاه بكاء

15 ودعوت بالاشجار اذ ناديتها
فأتت اليك وما استتم نداء

عادت لمنبتها كأحسن ما أتت
أغصانها من حسنها خضراء

والشمس من بعد الغروب رددتها
20 فغدا لها بعد الذهاب بقاء

والبدر حين رآك شق لوقته
فكأنه منك اعتراه حياء

---

(717) سف الحساب : مر على وجه الارض

بشفائه تشفى الصدور وانه
لرشاد قارئه الشهاب النير

هو للتآلف (707) روح صورتها وقل
هو تاج مفرقها البهى الانور

5 افنت محاسنه المدائح مثل ما
لمفيده نفد الثناء الاعطر

وله اليد البيضاء فى تاليفه
عند الجميع ففضلها لا ينكر

هو مورد الهيم العطاش هفت بهم
10 أشواقهم فاعتاص منه المصدر

فيه تنال من الرضى ما تبتغى
وبكونه فينا نغاث ونمطر

انظر اليه تميمة من كل ما
يخشى من الخطب المهل ويحذر

15 لكاننى بك يا عياض مهنأ
بالفوز والملأ العلى مبشر

لكاننى بك يا عياض منعما
بجوار أحمد يعتلى بك مظهر

لكاننى بك يا عياض متوجا
20 تاج الكرامة عند ربك متجر

---

8) ننضلها : ل ، ونضلها : ن.
13) كذا فى النسختين (انظر) وكتب فوقها فى ل) لعله (اركن) .

---

707) حقه « للتآليف » وحذف الياء ضرورة ، وذلك جائز .

لكاننـــى بـــك راويـــا مـــن حوضـــه
اذ لا صدى ترويـــه الا الكـــوثـــر
فعلـــى محبتـــه طويـــت ضـــمـــائـــر
وضحت شـواهـــدهـــا بكتب تونـــر
5 ما أمهـــن لشرعـــة الهـــادي الرضى
صـــدف يصـــان بهن منها جوهـــر
فجـــزاك رب الـــعـــالمـيـــن محبـــة
يهب النعيـــم سريرهـــا والمنـــبـــر
وسقـــى اجـــش هزيـــم مضجعك الذي
10 ما زال بالرحمى يـــؤم ويعـــمـــر

انـــتـــهـــى .

ومن كتاب « البقية والدرك ، فى كلام (708) أبن زمرك » — وقد رأيته بتلمسان عند الكاتب المغيلى ، ونقلت منه ، وهـــو كمـــا قدمناه من تاليف بعض (709) سلاطين الاندلس — ما نصه :

15 وقال — يعنى الرئيس الكاتب، العلامة أبا عبد الله بن زمرك (710) — يمدح كتاب الشفا، طلبة شيخه الخطيب أبى عبد الله ابن مرزوق عندما شرع فى شرحه :

---

12) البقيـــة : ل ، البغية : ن.

---

(708) كذا فى النسختين ، ومثله سبق فى ج 2 ص 11 ، وفى ص 21 — (... فى شعر ابن زمرك)

(709) زاد فى ج 2 ص 11 — : (وهو حفيد ابن الاحمر المخلوع سلطان الاندلس الذي كتب له ابن زمرك) ، وهذا الحفيد الذي يعنيه المقري هو يوسف الثالث ، صاحب الديوان المشهور ، واغفلـــه محقـــقـــو الاجزاء الثلاثة ، وقد نبهنا على ذلك فى استدراكاتنا على ج 2 المصور.

(710) تقدمت ترجمته مستوفاة فى ج 14/2 — 176 .

وحسر ركاب للصبا قد ونت به
نجائب سحب للتراب نزوعها
تسل سيوف البرق ايدي حداتها
فتنهل خوفا من سطاها دموعها
5 تعرضن غربا يبتغين معرسا
فقلت لها مراكش وربوعها
لتسقى اجداثا بها وضرائحا
عياض الى يوم المعاد ضجيعها
واجدر من تبكى عليه يراعة
10 بصفحة طرس والمداد نجيعها
فكم من يد فى الدين قد سلفت له
يرضى رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه
فقد بان فيه للعقول جميعها
15 بمرآة حسن قد جلتها يد النهى
فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنها
وأسرار غيب واليراع تذيعها
لقد حزت فضلا يا ابا الفضل شاملا
20 سيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
ولله من فذ تصدى لشرحه
فلباه من غر المعانى مطيعها
فكم مجمل فصلت منه وحكمة
اذا كتم الامداح منها تشيعها

محاسن والاحسان يبدو خلالها
كما افتر عن زهر البطاح ربيعها

اذا ما أجلت العين فيها تخالها
نجوما بآفاق الطروس طلوعها

5 معانيه كالماء الزلال لذى صدى
والفاظه در يروق نصيعها

رياض سقاها الفكر صوب ذكائه
فاخصب للرواد منها مريعها

تفجر من عين اليقين زلالها
فلذ لارباب الخلوص شروعها 10

الا يا ابن جار الله يا ابن وليه
لانت اذا عد الكرام رفيعها

اذا ما أصول المرء طابت ارومة
فلا عجب ان اشبهتها فروعها

15 بقيت لاعلام الزمان تنيلها
هدى ولاحداث الخطوب تروعها

ـ انتهى ـ

وقال الشيخ الاديب ابن عبد المنان (711):

---

18) (وقال الشيخ الاديب...) : ل وسقط فى نسخة ن من هنا الى قوله : (وقال الشيخ الامام النظار ابو اسحاق الشاطبى) ـــ ونقدر ذلك بنحو ست صفحات من هذا المطبوع .

---

711) ابو العباس احمد بن يحيى بن عبد المنان (ت 792 هـ) انظر نثير فرائد الجمان ص 349 ، وجذوة الاقتباس 60/1 ، ودرة الحجال 33/1 .

علماء الحديث كم خلصت فى مدح خير الورى لهم اغراض

بمعانى الرسول تجلى وتتلى عندها تنعش القلوب المراض

كلهم عالج السقام ولكن ما آتى بالشفاء الا عياض

وقال الفقيه الاجل القاضى شهاب الدين ، أحمد بن أبى المحاسن يوسف الرعيونى الشافعى المصري — رحمه الله — : 5

هذا الشفاء من السقام حقيقة
ان مس ضر أو توالى بئوس (712)

سر اذا ما الراح سرت انفسا
دارت على الارواح منها كؤوس

10 شرف به خص النبى محمد
دون الورى فمديحه تقديس

جدعت انوف المشركين ونكست
بصفاته للملحدين رؤوس

وعلا به من قدر آدم رتبة
حسدا عليها قد هوى ابليس 15

اهدى عياض للنفوس لنعته
انسا تميل براحه وتميس

من كل معنى قد حكى نفس الصبا
يحويه لفظ كالمدام نفيس

20 لو اسمعت بلقيس وصف كتابه
نزلت له عن عرشها بلقيس

---

712) جمع بؤس .

فعليــه رحمــة مــن ربــه مــن دارس
حييت بــه بعــد الممــات دروس

ووقفت على قصيدة الشيخ بدر الدين بن الحسن على بن محمد التميمى الهمدانى ـ نزيل مصر فى مدح النبى صلى اللــه عليه وسلم ، وكتاب الشفاء ومؤلفه القاضى عياض ـ رحمه ـ الله وهــى :

صحت بحســـن صفاتـــك الانبــــاء
فلنا بها ـ وهى الشفــاء ـ شفــــاء

ضاءت بــك الدنيــا فكــل بلادهـــا
أضحــى بها بعد الظــلام ضيـــــاء

فالغرب من اشراق نــورك مشــــرق
والشرق فيــه مــن سنــاك سنـــاء

لاح الصبــاح ومــا اعترتــه ظلمـــة
وبــدا الضيــاء وما لديــه خفــاء

لا تختفــى شمــس الضحــى الا اذا
نظــرت اليهــا مقلـــة عميــــاء

يــا صاحــب الخلــق العظيــم تأخــرت
عن بعض رفعـــة قــدرك العلمـــاء

الامــر أعظــم مــن مقالــة قائـــل
فمقصــر مـــا طـــول البلغـــاء

اللـــه قـــد أثنـــى عليـــك وانـــــــه
مـــا بعـــد هذا فى الثناء ثنـــاء (713)

واللـــه أعطـــاك الـــذي لـــم يعطـــه
أحـــدا ســـــواك فـــــدونك الكبـــــراء

5 وبـــراك حقـــا فى البرايـــا واحـــدا
وأبـــوك آدم طينـــــه صمـــــــاء

او مـــا اليـــك قـــد تـــرســـل آدم
بـــك اذ دعـــا وتشفعـــت حـــواء

أو مـــا لادريـــس العلـــى مكـــانـــة
10 رفعـــت لـــه بـــك رتبـــة عليـــاء

أو مـــا نجـــا نـــوح بجاهـــك فاستـــوت
لطفـــا سفينتـــه وغيـــض المـــاء

أو مـــا غـــدت بـــك نـــار ابراهيم بـــر
دا حـــين شـــب ضرامهـــا الاعـــداء

15 أو ما ابتلـــى بالـــذبـــح اسماعيلـــه
فلقـــد غـــدا بـــك للذبيـــح فـــداء

أو مـــا أبـــوك لنـــذر جـــدك قـــد فـــدي
يـــا سيـــدا عاشـــت بـــه الآبـــاء

أو مـــا اهتـــدى الجم الغفيـــر من الورى
20 بهـــداك والآبـــاء والابنـــاء

اللـــه أحـــيـــا قبـــل مولـــدك النفـــو
س وبـــعده بـــك حبـــذا الاحياء

713) ينظر الى قول ابن الخطيب :

ابروم مخلوق ثناءك بعدما
اثنى على اخلاقك الخلاق

سماك بالرءف (714) الرحيم وكم كـذا
حسنـت من الحسنـى لـك الاسمـاء

والله محمــود وأنــت محمــد
هـذا اشتقـاق مـا عـلاه عـــلاء

5 أسـرى بـك السبـع الطبـاق بليلــة
جليـت بهـا من نـورك الظلمـــاء

جبريـل صاحبك الاميـن وكـم كـذا
صحبتـك مـن رب العلـى أمنـاء

فعلـى البراق لقـد سمـا بـك للسمـا
10 ولكـم سمت بك فى الصعود سمـاء

مـا زال دونـك ممسكـا بعنـانــه
هـذا العـلاء وهكـذا الاســراء

فى ساعـة فيهـا المهيمـن شـاهـد
ومـلائـك الـرحمـان والنبئـاء

15 ولقـد صعـدت لمستـوى أقلامــه
منـك اعتلـى لصـريفهـا اصغـاء

فتأخـر الـروح الامـين وفقتـه
فلقـد حـلا وصـل وآن لقــاء

من بعـد خمسيـن الصـلاة لخمسـة
20 جعلـت لاجلـك والاجـور سـواء

ورجعـت للحرم الشريف ومـا انقضت
بسـراك تلـك الليلـة الغـراء

(714) لغة فى رؤوف – مشيرا الـى قوله تعالى : «بالمومنين رؤوف رحيم»

أصبحت تخبر بالرجوع وبالسرى
فمصدقون وحسد أغبياء

وجلى لك البيت المقدس فى غد
فوصفته للقوم لما شاءوا

5 فخلائق سعدوا واقوام شقوا
ومن الاله سعادة وشقاء

لم يجهل الاقوام ما أوتيته
لكنهم مع علمهم جهلاء

آذانهم صمت وقد أسمعتهم
10 وعيونهم عميت وهم بصراء

عميت لمقدور الاله قلوبهم
فمع السويدا ظلمة سوداء

شهدت بوصفك كتبهم والمرسلو
ن لهم وهم لو انصفوا شهداء

15 توراة موسى قد أتى من بعدها
انجيل عيسى ما لديه خفاء

وتواترت أخبار أحبار لهم
وعن النبيين اعتلت أنباء

سموك نبيهم باسمك الميمو
20 ن اذ ظهرت لوقت ولادك اللألاء

طلبوا الرئاسة والنفاسة والعلى
ولكم علت بك سادة رؤساء

شرقوا لما أوتيت من تحقيقهم
ولديهم لولا الشقاء ذكاء

حسدوك للفضل الذي أوتيته
من ذا يحق له سواك عطاء

الله أعلم حيث يجعل رسله (715)
ويدبر الافلاك كيف يشاء

5 ايدت منه بنصره والمومنيـ
ـن فقد ـ وحقك ـ زالت الاعداء

واتت لنصرتك الملائكة العلى
حزب الاله أعزة أكفاء

أظهرت دين الله بعد خفائه
10 وأبدت دين الشرك فهو هباء

ومضيت فى قتل الحواسد والعدى
ولانت سيف الله فيك مضاء

دارت على الاعداء دائرة القضا
لكن اسراع الممات اداء

15 (لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى) تراق (716) لحاسديه دماء

من يوم مولدك الشريف عناية
ما زال فيهم ذلة وعناء

اصنامهم خرت وصلبهم هوت
20 لو يعقلون لها وهد بناء

---

715) ضمنه قوله تعالى « الله يعلم حيث يجعل رسالاته » .

716) ما بين القوسين من قول المتنبى فى قصيدته التى مطلعها :
(راعتك رائعة البياض بعارضى ...) .
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

نيرانهم مذ ألف عام أوقدت
فلقد غدا للهيبها اطفاء

غاضت بحيرة ساوة ولكم طغوا
لما طغى لهم عليها الماء

5 بدت البراهين المنيرة كالضحى
واضاء صبح اذ أنير مساء

صدق الاله هو الختام لنوره
ابدا ولو كره العدى السفهاء

لما أظلتك الغمامة دونهم
10 فلها عليك من الحرور رداء

نظروا عليك الظل فانتقلوا له
فغدا له الا عليك جلاء

أضحى « بحيرا » بالعلائم شاهدا
وهنا لعمك حين ذاك هناء

15 الله أكبر كم غدت لك آية
كثرت فلا عد ولا احصاء

أشبعت خلقا باليسير كما غدا
للقوم بالماء القليل رواء

وديون والد جابر وفيتها
20 من تمره وغدا وفيه نماء

والماء نبعا من أصابعك اغتدى
كالشهد فيه حلاوة وصفاء

---

17) فى النسختين (باللبن) ولعل الصواب ما اثبتناه (بالماء)

ولما اراد الامام المحدث الرحال ، الرئيس الحاجب .
الخطيب سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى (705)
— رحمه الله — شرح كتاب الشفا استمطر انواء قرائح أعلام
عصره ، فى قطع وقصائد يليق ذكرها فى ديباجة الشرح .
5 فكان ممن أجابه ، الكاتب الفقيه ، صاحب القلم الاعلى . أبو
القاسم بن رضوان النجاري (706) — رحمه الله . قال ابن
الخطيب : ومن خطه نقلت :

سل بالعلى وسنا المعارف يبهر
هل زانها الا الائمة معشر

10 وهل المفاخر غير ما شهدت به
آي الكتاب وخلدته الاعصر

هم ما هم شرفا ونيل مراتب
يوم القيام اذا يهول المحشر

ورثوا الهدى عن خير مبعوث به
15 فجزاهم الله العظيم الاكبر

وعياض الاعلى قداحا فى العلى
منهم وحق له الفخار الاظهر

---

(705) ابو عبد الله بن مرزوق (الجد) (ت 781 هـ).
انظر فى ترجمته : الدرر الكامنة 350/3 ، والبستان ص 184 ،
ونيل الابتهاج ص 267 ، وجذوة الاقتباس ص 140 ، والنفح
390/5 ، وفهرس الفهارس 394/1 ، وشجرة النور ص 436 .

(706) ابو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري ، رئيس
الكتاب (ت 733 هـ).
انظر مستودع العلامة ص 51 ، والتعريف بابن خلدون ص 22—23،
والاستقصا 39/4.

والعنكبوت لقد وقتك بنسجها
فعليك فى الغار المنيف وقاء

أعجزت بالقرآن كل منطق
فلذاك عابت نطقها الفصحاء

5 ولقد نطقت وما نطقت عن الهوى
حكما أقر بفضلها الحكماء

بجوامع الكلم ابتعثت فكم حوت
من أسطر لك فضلة جمعاء

والعلم يجمع من حديثك أربع (718)
10 فاستنبطت أحكامها العلماء

والطب فى الكلم الثلاث جمعته
حتى لقد صحت بك الادواء

خاطبت كل قبيلة بلغاتها
فسمت بفصل خطابك الخطباء

15 شهدت لك الاعداء أنك صادق
والفضل ما شهدت به الاعداء (719)

يكفيك يوم الجمع أنك شافع
يا من به تتشفع الشفعاء

فمقامك المحمود يحمده الورى
20 ومن المحامد فى يديك لواء

---

718) يعنى اربعة احاديث .

719) اقتبس الشطرة التى سارت مثلا : « والحق ما شهد به الاعداء » فابدل الحق بالفضل .

ولك الوسيلة والفضيلة والعلى
ولك الاعادة ثم والابداء

يا ربنا بالمصطفى وبجاهه
قسما به ما ان يرد دعاء

5 عوض عياضا بالرياض وبالرضى
ما ان له الا الجنان جزاء

فلقد شفى كل الصدور شفاؤه
وكتابه كبتت به الحسداء

أبهى من الوشى الرقيم سطوره
10 وعليه من نور القبول بهاء

أهدى الينا الحسن والحسنى به
ونعم صفات المصطفى حسناء

وجا بما أحيا المسامع ذكره
ولكم غدا بالمرتضى أحياء

15 ما زاد فخرا للنبى وانما
ذكر النبى وسيلة ورجاء

فليهنه ادراك كل مؤمل
وليهنه بعد الهناء هناء

يا سبتة فيها العلوم تجمعت
20 ما أنت الا جمعة زهراء

يا مغربا منه الفضائل اطلعت
ما أنت الا مشرق وضياء

يا قاضيا بالحق فى أحكامه
لم ينس عند الله منك قضاء

يــا مالكيــا مالكــا رتــب العلـــى
بجنــان رضــوان لديـــك عــــلاء

يـــا منشـــئا مدح الرسول لقد ابى الـــر
حمــان أن ينســـى لــك الانشــاء

5 اللـــه معطيــك الجوائــز جمــــة
فليهنـــك النعيـــم والنعــمــــــاء

أو مــا رئيــت مــع النبـــى جليســه
تكفيــك هـــاذي الرتبـــة العليـــاء

يـــا سيد الرســل الكرام وكــم كذا
10 بنـــداك احسانــا أجيــب نـــــداء

بالرغــم منـــى عــن ذراك تخلفـــى
فمتـــى يقـــدر للمحـــب لقـــاء

أملـــى الاقامــة فى ذراك وحبـــــذا
منـــك الغنـــى والروضـــة الغنـــاء

15 كــل امــرىء مع من أحــب وانـــه
للقلـــب فـــيـــك محــبـــة وولاء

للـــه وجـــه فى ثــــراك معفـــر
فلقـــد تكاثـــر فى ثـــراك ثـــراء

اقصـــى منـــاي وبغيتـــى أقضى بـــه
20 فيطيب فى أرض البقيـــع ثـــــواء

أو ما الدفين هنــاك أنـــت شفيعـــه
فحقيقـــة أمـــواتـــه أحيـــاء

يـــا ويـــح نفســـى قيدت بذنوبهـــا
فمتـــى يحــل مــن المســىء وكــاء

عـــا لـــى سواك لحلــه أنـــت الرجـــا
ولديـــك بالصفـــح الجميـــل غطـــــاء

فاللـــه يغفـــر لـــى بجاهـــك ما مضـــى
ويصـــونـــنـــى ان كـــان فى بـــقـــاء

5 ويحقق المامول عنـــه وكـــم لـــــــه
بعظيـــم جاهـــك يا عظيـــم عطـــــاء

وكـــذاك منشـــدهـــا وسامعهـــــا
وكاتبهـــا وحائـــز لديـــه قنـــــاء

والاهـــل والاخـــوان والاخـــــوات
10 ثـــم الامهـــات كذلـــك الآبـــــــاء

ثـــم الصـــلاة علـــى النبـــى وآلـــه
وكـــذا الصحـــاب السادة النجبـــاء

مـــا دامـــت الاوراق فى أشجـــارهـــا
وترنمـــت فى دوحهـــا ورقـــــاء

15 وقال الشيخ الامام النظار ، ابو اسحاق الشاطبى (720) فى كتاب الانشادات والافادات له ما نصه : انشادة لما اخذ فيما زعموا شيخنا الفقيه ، الامام الشهير ، الخطيب المحدث البليغ :

---

15) وقال : ل ، قال : ن.
17) العلامـــة : نـــل.

---

720) ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الشهير بالشاطبى (790 هـ) انظر نيل الابتهاج ص 46 ، وايضاح المكنون 127/2 ، وفهرس الفهـــارس 134/1 ، وشجرة النور ص 231 .

أبو عبد الله محمد بن مرزوق ، فى شرح كتاب الشفا للقاضى ابى الفضل عياض ، وهو مستوطن مدينة فاس من بر العدوة ، بعث الى الاندلس فى طلب أمداح من شعرائها لكتاب الشفا ، ليجعل ذلك مقدمة الشرح ، فندبنى الى امتحان الفكر بهذا القصد —
5 صاحبنا الفقيه الكاتب ، ابو عبد الله بن زمرك ، الى ان سمح الخاطر بهذه الابيات .

يا من سما لمراقى النجم مقصده
فنفسه بنفيس العلم قد كلفت

هدي رياض يروق العقل مخبرها
10 هى الشفا لنفوس الخلق ان دنفت

يجنى بها زهر التكريم أو ثمر التـ
ـعظيم والفوز للايدي التى قطفت

أبدت لنا من سناها كل واضحة
حسانه دونها الاطماع قد وقفت

15 وشيد العقل أركانا موطدة
بها على مثل أصل الشرع قد وقفت

قوت القلوب وميزان العقول متى
حادت عن الحجة الكبرى أو انحرفت

فيا أبا الفضل حزت الفضل فى غرض
20 به أقرت لك الاعلام واعترفت

الكتب بحر علوم ضل ساحله
منه استمدت عيون العلم واغترفت

زارته من جنبات القدس ناسمة
فحركت منه موج الفكر حين وفت

حتـــى اذا ما همت أرجاؤهـــا قـــذفـــت
لنا بدرتها الحسنـــاء وانصرفـــــت

أن العنايـــة لا يحظـــى بنائلهـــــــا
حريصها بـــل على التخصيص قد وقفت

5 انتـــهــــــى

واشار بهذا البيت الاخير الى قول الاول : ان السعـــادة أصلها التخصيص ؛ وقال الوزير ابن الخطيب ، فى كتاب الاحاطة فى ترجمة ابن مرزوق ما نصه : ومن خط الامام ابن مـــرزوق لبعـــضـــهـــم :

10 كتـــاب الشفـــاء شفـــاء القلـــــوب
وحسبك قـــولـــى كتـــاب الشفـــــا

تضمـــن أوصـــاف خيـــر الــــــورى
وهـــادي البريـــــة والمصطفـــــــى

ولما انشدنى الفقيه الكاتب ، الاديب الناظم ، الناثر أبو
15 عبد الله محمد بن على الوجدي (721) — حفظه الله — قوله :

للنفس منـــى طمـــوح ليـــس يثنيهـــا
عمـــا تـــؤمـــل مـــن أقصـــى تمنيهـــا

---

721) من اهل فاس ، ويلقب بين اصدقائه بالغماد ، وهو من معاصري المؤلف ، ترجم له فى كتابه « روضة الآس » ص 71—99 — ترجمة مستفيضة ، واورد جملة من نظمه ونثره . (ت 1033 هـ) .
وانظـــر نـــشـــر المثانـــى 148/1 ، ونزهة الحادي ص 150 ، والتصدير الذي كتبه لروضة الآس — الاستاذ ابن منصور ص (لب).

يامـــن يسائل عن ذاتـــى وعن عرضى
فى حالـــى الحـــب قاصيها ودانيهـــــا
جسمى بغـــاس رهـــين فى معالمهـــــا
وليـــس ينفـــك عن بلـــوى يعانيهـــــا
5 ولـــى بمكناســـــة روح مـــودعـــــة
مـــن دون جســـم يكاد الشـــوق يفنيها
ولـــى بتطـــاون دار الصبـــا طـــرب
لولا التقيـــة أغوانـــــى غوانيهـــــــا
ولـــى ارتياح الى القصر الكبير فقـــد
10 قضـــت بـــه النفس بعضـــآ من أمانيها
ولـــى بثغر سلا لـــب فلـــو يئســـت
منـــه النفوس لكان اليأس يضنيهـــــا
ولـــى بمراكـــش شـــوق أكابـــــــده
لـــو أسعد الدهر فى مرأى مغانيهـــــا

15 قلـــت مذيـــلا عليـــه :

مثوى عياض أبى الفضل الذي بسقت
أفنانـــه فحلـــت طعمـــا لجانيهـــــا
فكم له من تآليـــف قـــد اشتهـــرت
ألفاظها رائقـــــات مـــع معانيهـــــا
20 حـــازت مشارقـــه خصـــل السباق كما
شفـــى النفوس شفـــاه من تعنيهـــــا
كنـــوز عرفانـــه والفضـــل شيمتـــه
تولـــى نفـــوس الورى علما فتغنيهـــا

ولى بـارض تلمسـان معالـــم ان
نـأت معاهدها فالشـوق يدنيهـــا

ماوى الشيوخ الهداة المستضاء بهـم
و « بأبى مدين » (722) ازدانت مبانيها

5 بجاهـه النفس ترجـو نيل كل منـى
اذ لم يزل روح لطف اللـه يغنيـها

أقول وقد تذكرت هنا — والشىء يذكر بالشىء — قصيده الشيخ حسن بن على بن عمر القسمطينى ، المعروف بابن الفكون (723) ، احد أشياخ (724) العبدري ، وهى من در النظام ،وحر الكلام ، وقد ضمنها رحلته من قسمطينة الى مراكش المحروسة ، ومطلعها :

10

الا قـل للسـري ابـن السـري
أبـى البـدر الجـواد الاريحـي

ومنهـــا :

---

722) ابو مدين شعيب الاندلسى ، شيخ الجد الاول للمقري ، وتردد ذكره فى هذا الكتاب وفى نفح الطيب وغيرهما .

723) من شعراء المغرب الاوسط فى المائة السادسة واوائل السابعة . انظر عنوان الدراية ص 344 ، والاعلام لعباس بن ابراهيم 138/3 — نشر المطبعة الملكية .

724) وهذا وهم من المقري ، فالعبدري لم يدرك ابن الفكون ، فهو يذكر فى رحلته ص 33 — انه سال عنه ابا على بن بادس فذكر له انه ادركه — وهو طفل صغير .

وكنت اظن ان الناس طرا
سوى زيد وعمرو غير شى (725)
فلما جئت ميلة خير دار
أمالتنى بكل رشا ابى
5 وكم اورت ظباء بنى ورار
أوار الشوق بالريق الشهى
وجئت بجاية فجلت بدورا
يضيق بوصفها حرف الروي
وفى ارض الجزائر هام قلبى
10 بمعسول المراشف كوثري
وفى مليانة قد ذبت شوقا
بلين العطف والقلب القسى
وفى تنس نسيت جميل صبري
وهمت بكل ذي وجه وضى
15 وفى مازونة ما زلت صبا
بوسنان المحاجر لوذعى
وفى وهران قد امسيت رهنا
بظامى الخصر ذي ردف روي
وأبدت لى تلمسان بدورا
20 جلبن الشوق للقلب الخلى
ولما جئت وجدة همت وجدا
بمنخنث المعاطف معنوي

---

(725) هذا البيت ليس تاليا للذي سبقه ، بل يتخللهما خمسة ابيات ذكرت فى الرحلة للعبدري ، انظر ص (34).

وحل رشا الرباط (726) رشا رباطي
وتيمني بطرف بابلي

واطلع قطر فاس لي شموسا
مغاربهن فى قلب الشجي

5 وما مكناسة الا كناس
لاحوى الطرف ذي حسن سني

وان تسال عن ارض سلا فغيها
ظباء كاسرات للكمي

وفى مراكش يا ويح قلبي
10 أتى الوادي فطم على القرى

بدور بل شموس بل صباح
بهى فى بهي فى بهي

أبحن مصارع العشاق لما
سعين به فكم ميت وحي

15 بقامة كل أسمر سمهري
ومقلة كل أبيض مشرفي

اذا انسينني (727) حسنا فاني
أنسيهم غوى غيلان (728) مي

---

726) يعني به رباط تازة ، وكانت المدينة نفسها تدعى رباط تازة ، وكثيرا ما تلتبس على الكتاب برباط الفتح الذي تأسس بعدها بقرون .

627) هكذا جاء هذا الشطر فى سائر النسخ ، ومثله فى النفح ، والذي فى رحلة العبدري :
(اذا انسوني الولدان حسنا)
ولعله من تصرف المؤلف .

728) يعني به الشاعر ذا الرمة ، ومية صاحبته .

فهـا انـا قـد تخذت الغرب دارا
وادعـى اليـوم بالـمـراكشـى
على ان اشتـيـاقـى نحـو زيـد
كـشوقك (729) نحو عمرو بالسـوي
5 تقسمنـى الـهـوى شرقـا وغربـا
فيا للـمـشرقـى الـمـغـربـى
فلـى قلب بـارض الـشـرق عـان
وجسـم حـل بالـغـرب القصى
فـهـذا بالـغـدو يهيـم غـربـا
10 وذاك يهيـم شـرقا بالـعـشـى
ولـولا اللـه مـت هـوى ووجـدا
وكـم للـه مـن لـطـف خفـى

رجع : وانشدنـى الفقيه الاصيل ، العلامة سيدي على ابن احمد الشامى الخزرجى ـ حفظه الله ـ لنفسه يمدح كتاب
15 الـشـفـا :

شفـاء عيـاض لدائى شفـا فـلا زال مـورده مرشـفـا
لمن لم يؤسس بنا (730) حبه على أسـه اس فـوق شفـا

---

10) شرقـا : ل ، شوقا : ن.

---

729) الذي فى الرحلة (كشوقـى) ـ وربما كان من تصرف ابى العباس المـقـري .

730) اي بناء ، قصره ضـرورة .

وقد اعتنى الائمة بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه .
فممن شرحه : الامام الرئيس الخطيب : ابو عبد الله بن مرزوق
التلمساني ، شرحا واسعا لم يكمله . وممن علق عليه عدة
تعاليق الشيخ الامام ، سيدي محمد ابن الشيخ الرباني . الولى
5 الصالح ، سيدي الحسن بن مخلوف الشهير بابركان الراشدي
ثم التمساني (731) ، وقد وقفت على أحد تعاليقه بخطه ،
وسماه ـ بـ « غنية اهل الصفا فى شرح الشفا » .

وممن علق عليه : ابن فبرس ، والشمنى ، والشريف .
وغير هؤلاء كالدلجى ، (وابن الفرس) . وكما اعتنى الناس بذلك
10 اعتنوا ايضا بتصحيحه وضبطه واتقانه ، ولقد وقفت من نسخه
الصحاح على عدة ، ومن اصح ما وقفت عليه : نسخة بخط
تلميذه ، عبد الرحمان بن القصير الغرناطى المتقدم الذكر ، وذكر
أنه نقلها من نسخة عليها خط المؤلف ، ورأيت بخطه (فى الطرة)
تنبيهات على مواضع، هأنا ذاكر بعضها الآن ـ تتميما للمقصود
15 فمنها عند قوله فى الشفا (732) : تيامن منهم ستة ، وتشاءم
أربعة ـ الحديث بطوله (733) ـ ما نصه : تمام الحديث : فاما
الذين تيامنوا : فكندة ، وانمار وهوازن (734) ، وبجيلة ، وخثعم
والازد ، وحمير ، وعد (735) والاشعريون . وأما الذين

---

14) ذكر بعضها : ل ، اذكرها : ن.
18) وحك : ل ، وحد : ن ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

---

731) توفى أبو عبد الله الراشدي سنة (868 هـ).
انظر ترجمته فى وفيات الونشريسي ص 147 ، والبستان 220.
732) انظر ج 1 ، ص 298 .
733) اخرجه ابو داود والترمذي ، انظر جامع الترمذي بشرح عارضة الاحوذي 12/100 ـ 101 ، وسنن ابى داود بشرح عون المعبود 4/60 .
734) فى جامع الترمذي (مدحج) ـ بدل هوازن .
735) لعله يعني به عك ذو خيوان . انظر سنن ابن داود 2/146 .

تشاءموا : فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة ــ ذكره ابو نعيم الحافظ فى رياضة المتعلمين ، انتهى . فتأملـه (736) وراجع رياضة المتعلمين . ومنها عند قوله : فاذا أنا بابنـى الخالة ــ الى قوله : ودعيا لى بخير (737) ــ ما نـصـه : كذا كان فى
5 المنتسخ منه ، والصواب ودعوا لانه من دعوت . قال الله تعالى : « دعوا الله ربهما » (738) ــ ولا شـك انـه من الـنـاسخ الغلط (739) ، واما المؤلف ــ رحمه الله ــ فانه كان ارفع من ان يقع فى مثل هذا ، بل كان من المستبحرين فى فنون جمة ، وكان خطه بالقراءة عليه فى الاصل الذ انتسخت منه ، والسماع يفلت
10 منه كثير للمستمع والمقرو عليه ، ويندرج فى لفظ القاريء بالخفى انتهى . ومنها عند قوله : كقلان هجر (740) ما نصه : كالقلال وقع فى المنتسخ منه ، وفى البخاري (741) كما كتبت فى نفس الكتاب . انتهـى .

يعنى بما كتب كقلال ، ومنها عند قوله : حتى ظهـرت
15 لمستوى(742) ما نصه: ظهرتأيعلوت، قالتعالى :«فمااسطاعوا

---

1) وعاملة : ل ، وعامله : ن.

5 ــ 6) لانه : ل ، لى : ن. (ندعا ربها) كذا فى النسختين ، والتـلاوة ما اثبتنـاه .

15) (علوت) كذا فى النسختين ، وكتب فى هامش ن (علت).

---

736) ــ لعله امر بالتامل لمخالفته لفظ الحديث .

737) انظـر الشفـا ج 137/1 .

738) الآية : 189 ــ سورة الاعراف .

739) فى شرح القاري على الشفا 238/2 ــ : (وفى نسخة صحيحة) دعيا لى) ــ بالياء ، ففى القاموس (دعيت) لغة فى دعوت) .
وانظـر تاج العروس (شرح القاموس) 128/10 .

740) انظر الشفا بشرح القاري والخفاجـى 240/2.

741) انظـر الجامع الصحيح ج 138/2.

742) اي مكان مستو ، وفى بعض النسخ (بمستو) . انظـر شرحـى الـقـاري والخفـاجـى 248/2.

ان يظهروه » (743) — اي يعلوه ، وقـال تعالى « ومعـارج عليها يظهرون » (744) . ومنه ما جاء فى حديـث عائشة فى صلاة العصر والشمس فى حجرتها قبل ان تظهر (745) — اي تعلو على الجدران . انتهـى .

5 ومنها عند قوله (746) « وما جعلنا الرؤيا » ، ما نصه ، روي عن سعيد بن المسيب — رحمه الله — فى قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى اريناك ، الا فتنة للناس » (747) .

قال : رأى ناسا من بنى فلان على المنابر ، فساءه ذلك ، فقيل له : انما هى دنيا يعطونها ، فسرى عنه . وعن الربيع

10 ابن انس البكري لما اسري بالنبى — عليه السلام — رأى فلانا وهو بعض بنى فلان على المنبر يخطب على الناس ، فشق ذلك عليه ، فانزل الله تعالـى عليه : «وان ادري لعله فتنة لكم ، ومتاع الى حين » (748) .

ومن هذا الباب : روي عن ابى هريرة أن رسول الله صلى

15 عليه وسلم رأى فى المنام بنى مروان يرقون منبره ينزون عليه ، فاصبح كالمريض ، فقال : انى رأيت بنى مروان ينزون منبري نزوة القردة ، فما اجتمع ضاحكا حتى مات .

وذكر ابن ابى خيثمة فى تاريخه ، والماوردي فى تفسيره، قال ابن ابى خيثمة : ان رجلا قال للحسن ، وسماه الماوردي

---

15) يعلوه : ل ، يعملوه : ن.

8) فى تاريخه ... (قال ابن خيثمة) : لـ ـن.

---

743) — الآية 97 — سورة الكهف .

744) الآية : 33 — سورة الزخرف .

745) الحديث رواه مالك فى الموطا ص 14 ، واخرجه البخاري ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه . وانظر الزرقانـى على المـوطـا ج 1/16—17 .

746) انـظـر الشـفـا ج 1/149 .

747) الآية : 60 — سورة الاسـراء .

748) الآية : 111 — سورة الانبياء .

فقال : ان عيسى بن مازن قال للحسن : يا مسود وجوه المومنين ، عمدت الى فلان فبايعته ، فقال : ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رأى فى منامه بنى أمية يعلون منبره خليفة بعد خليفة ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله عليه : « انا أعطيناك الكوثر » (749) — » و « انا أنزلناه فى ليلة القدر، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر « (750)— يعنى ملك بنى أمية ، قال القاسم : فحسبنا ملك بنى أمية ، فاذا هو ألف شهر ، لم يزد ولم ينقص — انتهى .

ومنها عند قوله : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الاعلى — الحديث (751) ما نصه : هذا الحديث رواه ابو الاشعث ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سالنى ربى فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الا على ؟ فقلت : فى الكفارات والدرجات ، قال : وما الكفارات ؟ قلت : المشى على الاقدام الى الجماعات ، واسباغ الوضوء فى السبرات ، (752) ، والتعقيب فى المساجد : انتظار الصلاة بعد الصلاة ، قال : وما الدرجات ؟ قلت : افشاء السلام ، واطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام انتهى .

ومنها عند قوله لا سابع لهم (753) ما نصه سمى أبن قتيبة من هؤلاء محمد بن احيحة بن الجلاح (754) وقال : هو اخو عبد المطلب لامه ، ومحمد بن سفيان بن مجا شع ، وزاد

---

749) الاية : 1 سورة الكوثر .

750) الايـة : 1 ، سورة القدر .

751) اورد الحديث بطوله القاري فى شرحه على الشفا .
انظر ج 290/2 .

752) السبرات جمع سبرة : الغداة الباردة .

753) انظر الشفا بشرح القاري والخناجى 346/2 .

754) احيحة — بضم الهمزة وفتح الهاء المهملة ، والجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام .

فى آبائه ابن درام ، وزاد : حمد بن سواءة بن جشم (755) بن سعد . وزاد ابن ابى الزلال فى كتاب الاسجاع له — محمد بن الحارث بن خديج بن حويص . وذكر ابن ابى خيثمة فى تاريخه — ان اول من تسمى فى الاسلام بهذا الاسم ، محمد بن حاطب.
5 وساقته جدته الى النبى — صلى اللـــه عليه وسلم فقالت : يارسول الله ، هذا محمد بن حاطب ، وهو اول من سمى بك،فقالت: فسح على رأسه ودعا لــه بالبركة ، وتفل فى فيه ، فكمــل بما قال ابن قتيبة ، وابن ابى الزلال ، ثمانية ممن تسموا به قبل الاســـلام .

10 وقال القاضى ابو الفضل — رحمه الله — لا سابع للستة الذين سمى ، وسبحان من أحصى كل شىء عددا ، لا اله غيره . انـــتـــهـــى .

قلت : وقد حفظ المتاخرون فى ذلك ما لم يحفظه هــذا الرجل ، قال فى المواهب اللدنية (756) ما نصه : قال ابن قتيبة:
15 ومن اعلام نبوءته — صلى الله عليه وسلم — انه لم يســم قبله احد باسمه محمد — صلى الله عليه وسلم — صيانـــة من الله تعالى لهذا الاسم ، كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من

---

1) سؤات كذا فى النسختين ، والصواب ما اثبتناه .
3) حويص : ل ، خويص : ن ، فى تاريخه : ل—ن .
4) فى الاسلام بهذا الاسم : ل ، بهذا الاسم فى الاسلام : ن.

---

755) سواءة — بضم السين المهملة وفتح الواو — كحذافة ، وجشـــم بضم الجيم وفتـــح الشيـــن المعجمـــة .
756) للامام المحدث ابى العباس احمد بن محمد القسطلانى (ت 923 هـ) واسمه الكامل « المواهب اللدنية ، فى المنح المحمدية » . — وهو كتاب جامع فى اسيرة النبوية ، شرحه ابو عبد الله محمد بن عبد الباقـــى الزرقانـــى فى ثمانيـــة مجلـــدات .

قبل سميا ، وذلك انه ـ تعالى ـ سماه فى الكتب المتقدمة ، وبشر به فى الانبياء ، فلو جعل اسمه مشتركا فيه ، لوقعت الشبهة ، الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه ، سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو ـ والله اعلم حيث يجعل رسالاته . 5

ما كل من زار الحمى سمع الندا
من اهله اهلا بذاك الزائر

« ذلك فضل الله يوتيه من يشاء » (747) . وقد عدهم القاضى عياض ستة ، ثم قال : لا سابع لهم .

10 وذكر ابو عبد الله بن خالويه (758) فى كتاب ليس (759)، والسهيلى فى الروض (760) ، انه لا يعرف فى العرب من تسمى محمدا قبل النبى ـ صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة .

---

11) تسمى : ل ، سمى : ن ، 12) (ثلاثة) ثبت فى النسختين (ثلاثا) والتصويب من الروض الانف ، وفتح الباري .

---

757) الآية : 54 ـ سورة المائدة .

758) هو ابو عبد الله الحسين بن احمد الهمدانى النحوي اللغوي ، صاحب التصانيف العديدة (ت 370 هـ) . انظر فى ترجمته وفيات الاعيان 175/1 ، وبغية الوعاة ص 231 ، وغاية النهاية 237/1. ولسان الميزان 267/2 ، وشذرات الذهب 71/3 ، ودائرة المعارف الاسلامية 148/1 .

759) وهو فى ثلاثة مجلدات ، وموضوعه ـ : ليس فى كذا الا كذا ... وتعقب عليه الحافظ مغلطاي بعضه فى مجلد سماه « الميس على كتاب ليس » .

760) يعنى به « الروض الانف » ـ فى شرح سيرة ابن هشام . انظر ج 182/1 .

قال الحافظ ابو الفضل بن حجر (761) — رحمه الله —
وهو حصر مردود ، والعجب ان السهيلى متأخر الطبقة عن
عياض ، ولعله لم يقف على كلامه ، قال : وقد جمعت اسماء من
تسمى بذلك فى جزء مفرد ، فبلغوا نحو العشرين ، لكن مع تكرير
فى بعضهم ووهم فى بعض ، فيتخلص منهم خمسة عشر نفسا ، 5
وأشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن زيد
مناة بن تميم التميمى السعدي — لم يذكره عياض . ومنهم
محمد أحيحة — بضم الهمزة وفتح المهملة — بن الجلاح —
بضم الجيم وتخفيف اللام ، آخره مهملة — الاوسى ، ذكره
عياض والسهيلى ؟ ومحمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن 10
العنبر ، ومحمد بن البراء، وقيل ابن بر بن طريف بن عتوارة بن
عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري،
ومحمد بن الحارث بن خديج ن حويص ، ومحمد ن حرماز
ابن مالك اليعمري ، ومحمد بن حمران بن أبى حمران ربيعة
ابن مالك الجعفى ، المعروف بالشويعر ، ومحمد بن خزاعى بن 15
علقمة بن حرابة السلمى ، من بنى ذكوان ، ومحمد بن خولى
الهمذانى ، ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ، ومحمد بن اليحمد
الازدي ، ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ، ومحمد ابن

---

6) سؤات : ل ، سواة : ن. لم : ل ، ولم : ن.
10) (حبيب) وثبت فى النسختين (حسينا) والتصويب من فتح البارى والمواهب . بر : ن ، ثبر : ل — وهو تصحيف . عتوارة (وفى النسختين (عثوارة) — بالمثلثة ، والتصويب من فتح البارى والمواهب .
العتواري ، وفى النسختين العثواري — بالمثلثة — وهو تصحيف.
حزهان : ل ، حويص : ن ، والصواب ما اثبتناه .
خزاعى : ن ، خزاعة : ل .
خولى : بالخاء المعجمة ، وفى النسختين بالمهملة ، وهو تصحيف .
عمود : ل ، عمر : ن — وهو تحريف.

(761 تقدمت ترجمته فى ص 252 — من هذا الجزء عدد 676 .

الاسيدي ، ومحـــمـــد الفقيمى ، ولم يـــدركـــوا الاســـلام الا الاول (762) ، ففى ســـيــاق خبــره ما يشـــعـــر بذلك ، والا الرابع (763) ، فهو صحابى جزما (764) .

وفيمن ذكره عياض : محمد بن مسلمة الانـــصـــارى ،
5 وليس ذكره بجيد ، فانه ولد بعد النبـــى ـ صلى اللـــه عليـــه وسلم بأزيد من عشرين سنة ، ولكنه ذكر تلو كلامه المتقـــدم محمد بن يحمد الماضـــى ، فصار من عنده ستة لا سابع لهـــم . انتهى كـــلام القسطلانـــى (765) ، وراجع فتح الباري فانـــه قال : ومنهم : محمد بن عمرو بن مغفل ـ بضم اوله وسكـــون
10 المعجمة وكسر الفاء ثم لام ـ وهو والد هبيب ـ بموحدتيـــن مصغر ، وهو على شرط المذكورين ، فان لولده صحبة ، ومات هو فى الجاهلية (766) .

انتهـــى المقصود منه ، وانما ذكرته لما فيه من الضبـــط للفظتيـــن ، اعنـــى مغفل وهبيب والله المـــوفـــق ، وانـــظـــر
15 كلام ابن حجر (767) ، فلا يخلو ن فائدة .

---

7) يحمد : ل ، محمد : ن ـ وهو تحريف.

---

762) يعنى محمد بن عدي ، وسياق خبره : هو سؤاله اباه لـــم سماه محمـــدا ؟ فكان جوابه : رجاء ان يكون النبى المنتظر ، وقد ذكره فى الصحابة ابن سعد والبغوي وسواهما .

763) لعله محمد البراء ، انظر الزرقانـــى على المواهب 161/3 .

764) هذه الجزمية ربما لا تصح . انظر الزرقانـــى المرجع السابق .

765) انظر المواهب بشرح الزرقانـــى 159/3 ـ 161 .

766) ج 367/7 ـ 368 .

767) المرجع السابـــق 368/7.

ومنها عند قوله : والعمائم تيجان العرب (768) ما نصه، هو حديث ذكره صاحب (769) الشهاب ، انتهى .

ومنها عند قوله : وفيما ذكرنا منها (770) مقنع — ما نصه : قول القاضي — رحمه الله — مقنع ، فيه بعض النقد ، 5 لان أسماءه — صلى الله عليه وسلم ، وألقابه وسماته ، تقتضى معانى الجلال ، وجميع المحامد وحسن الخلال ، فلا يقنع منها شيء ، وكلما كثرت ، ازداد المومن بذكرها حلاوة ، ووجد فى نفسه اليها — صلى الله عليه وسلم — اشتياقا ، وطابت لذاكرها كا استطاب الجائع النافع ذواقا ، جعلنا الله — عز وجل — من 10 الدائمين على ذكره ، والقائمين بما يجب من أمره — انتهى .

ومنها عند قوله : فلقد بلغنا قاموس البحر (771) ، ما نصه : قاموس البحر : وسطه ، وفى حديث ابن عباس : ملك موكل بقاموس البحار ، اي : وسطها ، وعلى قدر ما يكون غمس قدميه فيها يكون الجزر . انتهى .

---

8) لذاكرها : ل ، لذكراها : ن.

---

768) انظر الشفا بشرحى القاري والخفاجى ج 409/2.

769) ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى ، من علماء الشافعية — مؤرخ مفسر . (ت 454 هـ).
من مؤلفاته « الشهاب ، فى المواعظ والآداب » — وقد اشتهر به .
انظر فى ترجمته : ونيات الاعيان 462/1 ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى 62/3 ، وحسن المحاضرة للسيوطى 76/1 ، وص 227 .

770) انظر الشفا بشرحى القاري والخفاجى 409/2.

771) انظر الشفا بشرحى القاري والخفاجى ج 446/2 .

ومنها قوله : ومخمول (772) ذكرها ما نصه ، كذا وجدته،
والاشهر : مخمل ، لانه يقال : اخــمــل فلان فلانا ، وان كان
خمله أيضا منقولا ، وفى الحديث : انه مما يمن الله به على عبده
يوم القيامة ، ان يقول له : الم أخمل ذكرك فى الناس ــ بضم
15 الهمزة من اخمل ــ انتهــى .

ومنها عند قوله ــ رحمه الله ــ والطبع الجهوري (773)
ما نصه : كذا فى النسخة التى انتسخت منــهــا ، وذلــك غلط
من الناسخ (774) ، وانما هو الجوهــري ــ واللــه المــوفــق
للصــواب ، انتهــى .

10 ومنها عند قوله : قال ابو محمد الاصيلى (775) : مــن
اعجب امرهم ، انهم لا توجد منهم جماعة ، ولا واحد من يوم أمر
الله بذلك نبيه ــ صلى الله عليه وسلم يتقدم عليه ، ولا يجيــب
اليه (776) ما نصه : قال كاتبه : هذا الذي قال الاصيلــى قد
نصه الله تعالى فى كتابه بقوله : « ولن يتمنوه أبدا (778) »،
15 وقوله فى الجمعة : « ولا يتمنونه أبدا» (778) فذكر الابدية فى

11) بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم : ل ، نبيه بذلك : ن.

772) الذي فى نسخ الشفا ــ حسبما وقفنا عليه (خمول) : مصدر ، لا مخــمــول : اسم مفعول . انظر الشفا ــ النسخة المجردة ج 211/1 ، والنسخة التى شرح عليها القاري والخفاجى ج 469/2

773) انظــر الشفــا ــ ج 213/1 .

774) الذي يفهم من كلام الخفاجــى على الشفا ان كلا المعنيين صحيح، وقــد شــرح على نسخــة (الجهوري) وايدها . انظر ج 476/2.

775) ابو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى (ت 392 هـ) . انظــر جذوة المقتبس 239 ، وتاريخ علماء الاندلس 208 ، ومعجم الــبــلــدان 278/1.

776) انظر الشفا بشرحــى القاري والخفاجى ج 521/2 .

777) الآية : 95 ــ سورة الــبــقــرة .

778) الآيــة : 7 ــ سورة الجــمــعــة .

الموضعين ، فتمنيهم محال وقوعه ، وكذلك آية المباهلة ، اكدها سبحانه بقوله « ان هذا لهو القصص الحق » (779) انتهى .

ومنها عند قوله : ويعادى اذا عيد (780) ما نصه : كذا وجدت فى المنتسخ منه ، والصواب اعيد ، لانه من اعاد — 5 انتهى .

ومنها عند قوله : هو الفصل ليس بالهزل (781) ما نصه . قال عبد الرحمان : كان بعض من ادركنا من اهل العلم والمستبحرين فى العلوم ، يقول الحديث الصحيح : اطلبوا لفظه او بعض لفظه او معناه فى القرآن تجدوه ، وهذا من ذلك القبيل : 10 قوله فى هذا الحديث : هو الفصل ليس بالهزل . قال الله تعالى : « انه لقول فصل وما هو بالهزل » (782) — انتهى .

وقد ذكر الامام ابن مرزوق عن بعض شيوخه (الصلحاء) انهكان كثيرا ما ينتزع مضمن الاحاديث من الآيات، وقال — رحمه الله — حين ذكر الصبر عند الصدمة الاولى — الحديث 15 (783) : ان نظيره من القرآن قوله تعالى : «والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس» (784). انتهى كلام ابن مرزوق بمعناه. قلت وقد سلك هذه الطريقة صاحبنا وعصرينا، الفقيه الصالح ، البركة ، العلامة ، العارف الصوفى ، سيدي عبد

---

12) الصلحاء : ل — ن.
17) صاحبنا وعصرينا : ل ، كمن اخيار عصرنا : ن.

---

779) الآية 62 ، سورة آل عمران .
780) انظر الشفا ج 230/1
781) انظر الشفا بشرحي القاري والخفاجى 533/2 .
782) الآية : 13 — سورة الجمعة .
783) لفظ الحديث : (انما الصبر عند الصدمة الاولى — اخرجه الستة.
784) الآية : 177 — سورة البقرة .

الرحمان الفاسى (785) ــ حفظه الله ــ فانه لما قرئ ــ (بين) يديه ــ حفظه الله ــ حديث فاطمة ــ رضى ــ عنها ــ فى طلبها الخادم من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لها ولعلى ــ رضى الله عنهما ــ : فذلك خير لكما منخادم (786) . قال ــ حفظ الله ــ : مصداق قوله تعالى : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا » (787) ــ الآية ؟ وقال حفظه الله ــ في حديث : ارايت ان كان اسلم (788) .. الخ مصداقه قوله تعالى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ». (789) وله ــ حفظه الله ــ فى المعنى وغيره الباع المديد .

وقد اجاب ابقاه الله ــ من ساله عن بيان الملازمة فى قول البوصيري (790) : لو ناسبت قدره ــ البيت ــ بان النبى ــ

4) عنهما : ن ، عنه : ل.
9) الى يوم القيامة : ن ــ ل.
11) ابقاه الله : ل ، حفظه الله : ن .
12) لو ناسبت قدره ــ البيت : ل ، لو ناسبت قدره آياته عظما .
بان : ل ، قال : ن.

785) ابو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسى ، سيوطى زمانه . (ت 1096 هـ) . توسع فى ترجمته صاحب مرآة المحاسن ص 147 ــ 150 ، وانظر صفوة من انتشر ص 201 ، والدرر الفاخرة 13 ، واليواقيت الثمينة 195 ، والاستقصا 51/4 .
786) اخرجه البخاري ومسلم والترمذي .
787) الآية : 46 ــ سورة الكهف .
788 اخرجه المدنى المسنر بلفظ : « ارايت ان كان مشركا اسلم » . ج 206/2
789) الآية : 55 ــ سورة آل عمران .
790) هو ابو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري صاحب البردة والهمزية الشهيرتين . (ت 696 هـ) انظر فوات الوفيات 204/2 ، وخطط مبارك 70/7 ، والوافى بالوفيات 105/3 .

صلى الله عليه وسلم — روح الوجود ، فلو ناسبت آياته قدره ،
لاحيا اسمه — ، لانه الروح . انتهى بمعناه ، وله من مثل هذا
ما لا يحصى — اعانه الله ، ونفع به المسلمين ، فلقد احيا من
العلوم والرسوم الدارسة ، وخصوصا علم التصوف ، فانه لا
5 يسبق فيه، بل انفرد به عن اهل عصره مع المشاركة التامة فى
البيان — والاصلين والمنطق والعربية ، واما التفسير والحديث
فهو صاحب العلم المستطيل فيهما — الى ما هو عليه من الزهد
والتقلل من الدنيا والانقباض عن اهلها بكلية ، كثر الله فى
الاعلام امثاله بجاه النبى — صلى الله عليه وسلم .

10 ومنها عند قوله : حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر
الفقيه — رحمه الله — بقراءتى عليه ، حدثنا القاضى عيسى
ابن سهل (791) — ما نصه : هو — يعنى ابن سهل — من شيوخ
أبى — رحمه الله ، وهو اسدى النسب ، وكان من الراسخين
فى المسائل ، وصنعة الوثائق ، والخط البارع ، والكرم المنيف ،
15 والايثار على نفسه ، والجزالة النافذة فى احكامه ، وفصل
القضاء ، وكثرة الرواية ، رحمه الله وتغمدنا واياه برحمته .
انتهى . وقد قدمنا ذكره فراجعه فى شيوخ عياض (792) .

---

5) مع المشاركة : ل ، والمشاركة : ن . والمنطق : ق—ن.

---

791) ابو الاصبغ عيسى بن سهل القرطبى الامام الفقيه الموثق النوازلى (ت 486) ، انظر فى ترجمته : الصلة 415/2 ، والمرقبة العليا ص 96 ، والديباج 131 ، وشجرة النور 122 .

792) هذا وهم من المؤلف ، فابو الاصبغ بن سهل ، لم يتقدم له فى جملة شيوخ عياض ، ولعله لم ياخذ عنه ، سمع منه خالاه ابو محمد واخوه ابنا الجوزي — كما فى شجرة النور ص 122 — على ان عياضا يروي عنه بواسطة كما نجد ذلك فى الشفا وغيرها .

ومنها عند قوله : (793) ولم يكن فى ثمرها سنين (794) كفاف (795) ــ مــا نصه : معنــى سنين : ان لو صــر مــت سنين ما اجتمع فيما يغتل منها كفاف دينهم ــ انتهــى .

ومنها عند قوله : واقبض منه ولا تكبه (796) ما نصــه : 5 يقال : كببت الاناء ، واكببته فعلى هذا نقول هنا : تكبه وتكبه ــ انــتــهــى .

قلت : انظره مع ما اشتهر من ان اكب لازم ، وكب متعد وهو مذكور فى صحيح البخاري وعيره (797) ، وفيه وقع اللغز المذكور فى محله ، الا ان يقال هذا الذي هنا فى الشفا فى كب الاناء، 10 وذلك فى أكب فلان ، وفيه للنظر مجال ــ والله اعلم .

ومنها عند قوله : وادع لى فلانا وفلانا ، ومن لقيت (798) ما نصه : انظر قوله : ادع لى فلانا وفلانا ، ثــم قال بعد ذلك : ومن لقيت ، وكذلك قال فى حديث أنس أيضا الذي فى مقلوب هذا الصفح (799) اذ ابنتى النبى ــ صلى الله عليه

---

(8) وقع : ل ، رفع : ن.

---

(793) انــظــر الشــفــا ج 246/1.

(794) كذا فى النسختين (سنين) بصيغة الجمع ، وفى بــعــض النســخ (سنتين) بالتثنية ، قال الخفاجــى فى شرحه على الشفا ج 39/3 ــ والاول (اي المثنى) ــ هو الصحيح ، وهى النسخة التى شرح عليها.

(795) اي وفــــاء لادائـــــه .

(796) انظر الشفا 247/1.

(797) ففى صحيح البخاري من حديث سعد بن ابى وقاص : (يا سعد ، انــى لاعطــى الرجل ــ وغيره أحب الى منه خشية ان يكبه الله فى الــنــار) ــ ج 9/1.

(798) انــظــر الــشــفــا 248/1.

(799) الصفح : الوجه ــ اي مقلوب وجه هذه الصفحــة ــ يعنــى الــصــفــحــة الــتــى تلــيــهــا .

وسلم بزينب ، وراوي الحديث واحد ، لكنه لم يسم هنا ان
الزوجة كانت زينب ، فيخرج من تسميته اولا فلانا وفلانا دعاء
الخاصة اولا ، لان لهم ولكل احد منزلة، وفى الحديث ان جبريل
ــ عليه السلام ــ قال له : أنزل الناس منازلهم ــ انتهى .

5 ومنها عند قوله : وأكون فى مكان لا ابلى (800) فيه ــ
ما نصه : لا ابلى فيه من الابتلاء ، ولا ابلى من البلى ، ويحتمل
الوجهين ، ويحصل الله له فى الجنة المعنيين ــ لا يبتلى ولا
يبلى ــ انتهى .

ومنها عند قوله : فقال ابو بكر : نحن احق لك
10 بالسجود (801) منها ــ الحديث (802) ما نصه : يعنى ما جاء
فى باب كلام (803) الشجر وشهادتها بالنبوءة اذ قال : لو
أمرت أحدا بالسجود لاحد، لامرت المراة أن تسجد لزوجها
فتأمله هناك بتمامه . انتهى .

ومنها عند قوله : حدثنا أبو محمد العتابى (804) ــ بما
15 نصه : يعنى الفقيه الراوية بقرطبة ، عبد الله بن محمد بن عتاب

---

3) عليه السلام : ل ، عليه الصلاة والسلام : ن.
5) ولا ابلى : ل ، لا ابلى : ن . الله : لن.

---

800) انظر الشفا ج 255/1 .
801) اي الغنم التى سجدت له ــ صلى الله عليه وسلم. انظر الشفا ج 261/1 .
802) انظر تمام الحديث فى شرح الخفاجى على الشفا ج 80/3 .
803) موضوع الحديث فى الغنم التى سجدت للرسول ، لا فى كلام الشجر ، وشهادتها ، فذلك حديث آخر ، قال فيه اعرابى : هل تأذن لى أن اسجد لك ، لا ابو بكر .
انظر الخفاجى على الشفا ج 46/3ــ48 ، وص 80 .
804) من جملة شيوخ عياض ، وكان على المؤلف ان يشير الى ذلك ، وقد تقدمت له ترجمته فى ج 160/3 .

ـ رحمه الله ، وهو من جملة شيوخ أبى ـ رحمه الله ـ وكتب له خطه بما قرأ عليه وسمع اجازة فى جميع ما يرويه من جميع الوجوه ـ انتهى .

ومنها عند قوله : اثر الكلام السابق ، حدثنا ابو القاسم ، حاتم بن محمد ـ ما نصه : حاتم هذا بينى وبينه الشيخ المحدث الراوية ، ابو الحسن ، فقيه قرطبة واحد عظمائها بن عظماء جزيرة الاندلس : يونس بن مغيث (805) عرف بابن الصفار ـ رحمه الله ، فاستوى مع أبى فيما يخرج عنه فيه . انتهى .

ومنها عند قوله : الا واحدة غرسها غيره ما نصه هو عمر (806) ـ رضى الله عنه ، وربما صحف الناسخ فى الاصل الذي نسخت منه عمر فكتب غيره (807) ، وذلك قريب فى الالتباس ، انتهى .

ومنها عند قوله : فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب (808) ... ما نصه ، تأمل وانظر ان البركة فى رفع الشيب ، وكذلك فى الحديث الذي بعد هذا ، فى خبر قيس بن زيد لم يشب ما مرت عليه يد النبى ـ صلى الله عليه وسلم من رأسه ، وفى حديث ابراهيم ـ عليه السلام اذا سأل عن الشيب

---

18) عليه السلام : ل ، عليه الصلاة والسلام : ن.

---

805) تقدم كذلك فى جملة شيوخ عياض ، وانظر ترجمته فى الصلة ج 646/2 رقم (1512).

806) على ما رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب ، ومن طريق آخر ذكره البخاري فى غير صحيحه : ان الذي غرسها سلمان . انظر شرح القاري على الشفا ج 139/3 .

806) لعل الانسب ما حققه الحلبى من انه عبر بالغير جمعا بين الروايتين انظر المرجع السابق .

808) انظر الشفا 279/1 .

اول ما رآه فقال الله تعالى : «وقار» فقال : « يا رب زدنى وقارا » — فتأمل كيف يجمع بينهما ، — انتهى

قلت : والجواب سهل لمن تامل (809)

ومنها عند قوله : حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري — ما نصه — هو الطرطوشى، وكان سكن الاسكندرية ، وكان من العلماء المستبحرين الزاهدين القوالين بالحق، رايت له رسالة كتب بها الى يوسف بن تاشفين ، خوفه فيها من عاقبة الجور ، وحضه على نصر جزيرة الاندلس ، ، وجمل من الخير، وجلب فيها آيات واحاديث ورقائق جمة ، وحد ملها مع عبد الله بن العربى ، وابنه الفقيه القاضى ابى بكر (810) — رحم الله الجميع . انتهى .

وقد قدمنا ذكر الطرطوشى هذا ، فراجعه (811) .

ومنها عند قوله : وينذرون ولا يوفون (812) ما نصه : وهو من النذر ، يقال : نذر — ينذر — بضم الذال ، وكسرها فى المستقبل والماضى مفتوح ، قال الله تعالى : « انى نذرت

---

5 — 6) سكن : ل ، يسكن : ن. رايت ، ورايت : ن.
11) انتهى : ل—ن.
12) ذكر الطرطوشى هذا ، فراجعه : ل ، ذكر ذلك فى اول هذا التاليف : ن.

---

809) لعله يعنى ان رفع الشيب هنا — كرامة له — صلى الله عليه وسلم، وهذا لا ينافى ان الشيب وقار ينبغى طلب المزيد منه . وانظر شرحى القاري والخفاجى على الشفا ج 145/3.

810) انظر شواهد الجلة—مخطوط الخزانة العامة بالبراط رقم (1020—د)

811) انظر ازهار الرياض ج 162/3 — 165 .

812) انظر الشفا بشرحى القاري والخفاجى 175/3 .

للرحمان صوما » (813)، ونذر بكسر الذال فى الماضى، معناه:علم تقول : نذرت بالقوم اذا علمت بهم ، فاستعددت لهم ، وانذر رباعيا اذا قدم لوقوع أمر ، ومنه قوله تعالى فى الامر منه : « وأنذر عشيرتك الاقربين » (814) — أى قدم لهم ما يخاف من
5 أمر الله (815) — عز وجل — انتهـى .

ومنها عند قوله : وأخبر بالموتان (816) ما نصه ، يقال :

وقع فى الناس موتان ، وموات اذا كثر فيهم الموت — بضم الميم فيهما ، وأرض موات بالفتح (817) — خاصة اذا كانت غامرة غير معمورة — انتهـى .

10 ومنها عند قوله : وان الحسنة بعشر ، فتلك مائة وخمسون على اللسان ، والف وخمسمائة فى الميزان (818) ما نصه : هذا الحديث لا يفهم الا باوله ، واوله عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : خصلتان — او قال :

---

11) والف : ل ، الف : ن (فى الميزان) وثبت فى النسختين (على الميزان) — وهو تصحيف .

---

813) الآية : 26 — سورة مريم .
814) الآية : 214 — سورة الشعراء .
815) لعل الاولى تفسير النذر — هنا — بمعناه الشرعى ، اي : ما التزموه من العهود والايمان — كما عند القاري والخفاجى ، وانظر تفسير القرطبى ج 27/19—28 .
816) الموتان — بضم الميم وسكون الواو — : الوباء ، وهو الموت الكثير — وقد اخبر صلى الله عليه وسلم — بالموتان — : الوباء الذي وقع بعمواس — بعد فتح بيت المقدس — فى خلافة عمر سنة 16 — للهجرة ، وهو حديث صحيح اخرجه الشيخان . انظر الخفاجى على الشفا 180/3 .
817) فتح الميم والواو — هنا — قد لا يصح ، لانه اسم يقابل الحيوان . انظر شرح الخفاجى ج 180/3 .
818) انظر الشفا 298/1 .

خلتان لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة ، يسبح احدكم في دبر كل صلاة عشرا ، ويحمد عشرا ويكبر عشرا ، قال : فأنا رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، يعقدهن بيده ، قال : فهي خمسون ومائة ـ الحديث ، ثم قال بعد قوله في الميزان :
5 واذا آوى أحدكم الى فراشه من الليل او مضجعه ، يسبح الله ثلاثا وثلاثين ، ويحمد ثلاثا وثلاثين ، ويكبر اربعا واربعين ، فهي مائة على اللسان ، والف في الميزان ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : فايكم يعمل في ليلة بالفين وخمسمائة سيئة (819) . انتهى .

10 ومنها عند قوله : وقوله بموضع نعم موضع الحمام ـ هذا (820) ـ ما نصه : هو داخل في معرفته ـ صلى الله عليه وسلم بالهندسة والبناء ، ذكره أبو نعيم في رياضة المتعلمين ، ورواه عن ابي رافع قال : مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على موضع ، فقال : نعم ـ الحديث (821) ، ثم قال :
15 فبنى فيه حمام ـ انتهى .

ومنها عند قوله ـ حاكيا عن مالك : وكنت ارى جعفر بن محمد ما نصه : هو جعفر بن محمد الصادق (822) ـ رضى الله عنه ، وكان مالك ـ رضى الله عنه ـ وسط سفيان أن يكون من جملة من يسمع منه ، فكلمه سفيان وابن أبى ليلى ، فقال لهما
20 جعفر ـ انكما لتعلمان انى لا أخبره ـ والامويون بالمدينة كثير،

---

819) والحديث اخرجه احمد واصحاب السنن الاربعة والبخاري في الادب المفرد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال فيه الترمذي : حديث حسن صحيح ، انظر الجامع الصغير بشرح فيض القدير 3/441ـ 442.

820) انظر الشفا 1/299 .

821) رواه الطبراني بسند ضعيف . انظر الشفا بشرحي القاري والخفاجي

822) ابو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين السبط ، وهو من اجل التابعين (ت 148)
انظر في ترجمته وفيات الاعيان 1/105 ، والحلية 3/192 .

ونكره القول علينا ، فاخبراه بسلامته وحسن مذهبه ، فأذن له ،
وكان مالك وسيما ، أبيض أحمر ، وكان له فى صـــدره نهــدان
كنهدي البكر ، فجلس مالك فى مجلسه حيث انتهى به المجلس
وأقام ركبته اليمنى ، وترك عليها خده الايمن ، وجعل يطــرق
5 وجعفر يحدث ، حتى حدث اربعين حديثا ، وليس مع مالك محبرة
ولا قرطاس ، فلما فرغ المجلس، قال جعفر لسفيان ، ذكرتما
انه يطلب العلم والحديث ، وليس معه شيء يكتــب به ، ولا
كاتب يكتب له ، فقال له سفيان : سله انت عن خبره ، فقال له :
يا بنـــى ، ما كتبت ولا كتب لك ، فما افدت ؟ فقرأ عليه مالــك
10 المجلس من حفظه ، فاعجب به جعفر ، ثم سال عنه سؤالا شافيا،
حتى ذكر له خبر أمه وعقلها ودينها وجمالها ، فسفر سفيان وابن
أبى ليلى فى خطبتها عليه ، فمشيا اليها ، وأخذا معها فى ذلك ،
فقالت : لو كان جعفر بن محمد ما أجبت ، فقالا : هو ذاك ،
فأطرقت ساعة ثم قالت : اكفونـــى وحلمى وقد قبلت ، فأعلماه
15 بذلك ، فأدخل يده فى كيس الاثمان ، وقبض منه قبضة ، فأرسل
اليها مهرها ، فكلما مالكا فى العقد عليها فابى ، فقالا له : فمـــا
الحيلة ؟ فقال لهما مالك : توكل أحدكما على العقد وأكون أنا مع
الشاهد الآخر ، فقالا لها : متى يكون الـــدخول ، فقالت : لا
تصلح المرأة شأنها فى أقل من شهر ، فأخبرا جعفرا فقال : وحق
20 أبى وجدي لا صبرت أكثر من يوم ، فاما ان تجيبينى ، واما ان
لا ، قالا : فدعا بالكيس ، وقبض قبضتين وقال : تنفق فيمـــا
تريد ، وتتهيأ الليلة ، فأعلماها بذلك ، فاصلحت شأنها ، ودخـــل
عليها من ليلتها ، وحظيت عنده حظوة كبيرة ، ومات وورثـــت
ثلث ثمنه ، وكان له زوجتان غيرها وعنه يكنى (823) مـــالك

7) العلم والحديث : ل الحديث باسقاط (العلم) : ن.
13) جعفر بن محمد : ل ، بن جعفر : ن . ذاك : ل ، ذلك : ن.
21) وقبض : ل ، فقبض:ن.

823) يعنـــى فى الموطـــا .

اذا قال : حدثنى الثقة ، ومن لا اتهم — فانما يمنى ايــــاه — انــتــهــى

ومنها عند قوله : وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق النبى (824) ما نصه التلاوة فوق صوت (825) واسقط صوت فى الكتاب ، ولا ادري هل هو من الناســخ (826) ، او كــذا قــرأ ابــن مــهــدي (827) . انتهــى .

ومنها عند قوله : فآثرت حب رسول الله — صلى الله عليه وسلم على حبى — ما نصه : ولا يبعد ان يروى : فاثرت حب رسول الله — صلى الله عليه وسلم على حبى — بالكســر فيهما ، لان أسامة كان حب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أي حبيبه ، (828) وابن عمر حب ابيه ، وابن أسامة حب أبيه فكما آثر حب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على نفسه، كذلك اراد ان يؤثر ابنه حبه على عبد الله حبه هو ، وفى ذلك كله ايثار حب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على حــبــه ، فتامــلــه . انتهــى .

---

4) النبى : ل ، صوت النبى — بزيادة (صوت) : ن.
5) فوق : صوت : ل ، فوق صوت النبى — بزيادة (النبى) : ن.
8) حب رسول الله : ل ، حبى رسول الله : ن.
13) كله : ل-ن.

---

824) انظر الشفــا 41/2 .
825) الآيــة 2 — سورة الحجرات .
826) هو الاقرب ، والا فابن مهدي لم يشتهر بالقراءات ، ولم ينسب الــيــه احــد هــذه الــقــراءة .
827) ابو سعيد عبد الرحمان بن مهدي بن حسان البصري المعــروف باللؤلؤي ، الحافظ الثقة ، احد اعلام الحديث (ت 198 هـ) .
انظــر فى ترجمته : تهذيب التهذيب 279/6 ، حلية الاولياء 3/9 ، تاريــخ بغــداد 240/10 ، اللباب 72/3 .
828) يعنــى محبوبــه .

ومنها عند قوله : ثم اقصد الى الروضة — وهى ما بين القبر المنبر — فاركع فيهما (829) — ما نصه : فيهـا هـو الصواب — يعنى الروضة ، لان فيها (830) هو الركوع ، وقد بينه بعد هذا ، فتأمله — انتهـى .

5 ومنها عند قوله : وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة ... الى آخره (831) ما نصه : قال ابن حبيب فى الواضحة: روي أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة فى غيره من المساجد ، وان صلاة فى مسجد النبى — صلى الله عليه وسلم — افضل من الف صلاة فى

10 غيره من المساجد ، وان صلاة فى بيت المقدس افضل من خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد ، وان صلاة فى المسجد الجامع حيث المنبر والخطبة افضل من خمسة وسبعين صلاة فى غيـره من المساجد ، وان صلاة فى مسجد غيره ، او فى جماعة فى غير مسجد أفضل من صلاة الفذ بخمسة وعشرين صلاة ، هذا ان كان عدد

15 الجماعة أقل من خمسة وعشرين رجلا ، وان كانوا أكثر من ذلك ، فالثواب فى تضعيف الحسنات على عدد الرجال ، وكذلك ان كان العدد فى جامع اكثر من خمسة وسبعين ، فالثواب على عـدد الرجال ، وكذلك فى الثلاث مساحـدع (832) والذي ذكر ابن حبيب ان الثواب على عدد الرجال ، رأيت لابى هريرة وقـال

---

1) ومنها عند قوله : ثم اقصد الى الروضة ... انتهى : ل — ن.
8) ومائة الف : ل ، فى الف : ن.
13) فى غير مسجد : ل ، وفى غير مسجد : ن.

---

829) كذا فى الاصل ، والذي فى النسخ المطبوعة من الشفاء (فيها) — على الصواب ، وعليها شرح القاري والخفاجى . انظر ج 519/3 .
830) كذا فى الاصل، ولعل الصواب (وقع) ، او فى العبارة سقط .
831) انظر الشفا بشرحى القاري والخفاجى 530/3.
832) كذا فى النسختين (ع) ولعله اختصار من جملة (عندئذ) . كما تختزل جملة حينئذ من حرف (ح) .

له رجل : ان كانوا عشرة آلاف ، فقال له : وان كانوا اربعين ألفا ، وكذلك ذكر ابو ابراهيم فى معالم الطهارة ، واسند التفسير لابن عباس — انتهى .

ومنها عند قوله : « الا اذا تمنى القى الشيطان فى
5 أمنيته » (833) — الاية — ما نصه : تمنى هنا معناه : تملى ، والامنية كذلك التلاوة ، وكذلك فى قوله عز وجل ، فى سورة البقرة : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب ، الا أمانى » (834) — فامانى : جمع أمنية وهى التلاوة ، والامانى أيضا : الاكاذيب، ومنه قول عثمان — رضى الله عنه — : ما تمنيت منذ أسلمت —
10 أي ما كذبت .

وقول بعض العرب لابن دؤاب وهو يحدث : اهذا شىء رويته أم شىء تمنيته — أي افتعلته . والامانى أيضا : ما يتمناه الانسان ويشتهيه، ومنه قول الله عز وجل : « ولن يتمنوه » (835) «ولا يتمنونه » (836) أي لا يشتهونه — انتهى . على أن فى متن الشفا
15 قريبا من هذه الحاشية ، فلا أدري لم كتبها ابن القصير مع أن أكثر معناها فى أصل الشفا (837) ؟ والله أعلم .

ومنها عند قوله : واما الانبياء — عليهم الصلاة والسلام فيتفاضلون فى المعارف ... الى قوله : لانه ما علمنا انه كان فى زمان موسى نبى غيره ، الا أخاه هارون (838) — ما نصه : قال

---

(1) رويته : ل ، رايته : ن.

---

833) الآيــة : 52 — سورة الحج .
834) الآيــة : 78 — سورة البقرة .
835) الآية 95 — سورة البقره .
836) الآية 7 — سورة الجمعة .
837) انظر ج 1226/2 .
838) انظر الشفا بشرحى القاري والفاجى ج 135/4 .

كاتب هذه النسخة : تذكر أن شعيبا ـ عليه السلام كان في زمان موسى وقد ذكر الله تعالى ـ اجتماعهما ، اذ مر موسى ـ عليه السلام ، ووجد بناته .. الى آخر ما ذكر من الخطبة التى كانت بينهما ، ومخاطبة شعيب له لنفسه ، اذ قال له : « لا تخف ، نجوت
5 من القوم الظالمين » (839) ـ وقد ذكر الله تعالى ارسال شعيب فقال : « والى مدين أخاهم شعيبا » (840) ـ وقال تعالى عن الذين لم يومنوا برسالته : « لنخرجنك يا شعيب (841) ـ الايات . وقال عمن قال منهم : «لئن اتبعتم شعيبا (842)». وقال « الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيبا كانوا
10 هم الخاسرين » (843) فهذه الآي صريحة فى نبوته وارساله، فتذكر ذلك . ـ انتهى ما انتقيته من حواشى المذكور على النسخة التى بخطه من الشفا ، وذكرت ذلك وهو لا يخلو من فائدة ـ تتميما للمقصود ـ والله الموفق .

واذ جرى ذكر آية : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
15 الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته » ـ فلنذكر كلام القسطلانى عليها فى كتابه المسمى بـ «المواهب اللدنية» (844) فهو شاف كاف ونصه : وقدم (845) نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ ـ عليه الصلاة والسلام «والنجم اذا هوى» (846) ـ حتى بلغ «أفرأيتم

19) هذا الكتاب : ل ، هذه النسخة : ن.
1) هذه للنسخة : ن هذا الكتاب : ل عليم السلام : ل عليه الصلاة والسلام ن 9 ـ 10 الذين كذبوا شيبا كانورا هم الخاسرين : لـ ن

839) الآية : 25 ـ سورة القصص .
840) الآية 85 ـ سورة الاعراف .
841) الآية : 88 ـ نفس السورة .
842) الآية 90 ـ نفس السورة .
843) الآية : 92 ـ نفس السورة .
844) انظر 1/279 ـ 286 .
845) يعنى فى شوال سنة خمس للهجرة .
846) الآية : 1 ـ سورة النجم .

اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى » (847) . ألقى الشيطان فى أمنيته أي فى قراءته : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى. فلما ختم السورة ، سجد — صلى الله عليه وسلم ، وسجد معه المشركون — لتوهمهم (848) انه ذكر آلهتهم بخير ، وفشا ذلك فى الناس ، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين : عثمان بن مظعون وأصحابه . وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلوا (849) مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وقد أمن المسلمون بمكة ، فاقبلوا سراعا من الحبشة . والغرانيق — فى الاصل — الذكور من طير الماء ، واحدها غرنوق. وغرنيق سمى به لبياضه ، وقيل هو الكركى ، والغرنوق أيضا : الشاب الابيض الناعم ، وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله تعالى وتشفع لهم ، فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع ، ولما تبين عدم ذلك للمشركين ، رجعوا الى أشد ما كانوا عليه .

وقد تكلم القاضى عياض فى الشفا على هذه القصة ، وتوهين أصلها بما يشفى ويكفى ، لكن تعقب فى بعضه كما سياتى — ان شاء الله تعالى .

وقال الامام فخر الدين الرازي مما لخصته من تفسيره : هذه القصة باطلة موضوعة ؛ لا يجوز القول بها ، قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » (850) . وقال تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » (851).

2) تلك للغرانيق : ل ، ذلك للغرانيق : ن .
9) وكانوا يزعمون : ل ، وكانوا فيما يزعمون : ن.
11) عدم ذلك للمشركين : ل ، للمشركين عدم ذلك : ن.

847) الآية : 19 — نفس السورة .
848) فى المواهب (لتوهم) .
849) فى النسختين (صلوا) والتصويب من المواهب .
850) الآية : 3 — سورة النجم .
851) الآية : 6 — سورة الاعلى .

وقال البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ؛ ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة طعونون (852) ، أيضا فقد روى البخاري فى صحيحه ، انه — عليه السلام قرا سورة والنجم ، وسجد المسلمون والمشركون والانس والجن (853) وليس فيه حديث الغرانيق ، ولاشك ان من جوز على الرسل تعظيم الاوثان، فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ، أن أعظم سعيه كان فى نفى الاوثان ، ولو جوزنا ذلك ، ارتفع الامان عن شرعه ، وجوزنا فى كل واحد من الاحكام والشرائع ، أن يكون (ذلك) ويبطل قوله تعالى : « يا أيها الرسول : بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل ، فما بلغت رسالاته » (854) ، فانه لا فرق — فى العقل (855) —بين النقصان فى الوحى ، وبين الزيادة فيه . فبهذه الوجوه ، عرفنا — على سبيل الاجمال — ان هذه القصة موضوعة ، وقد قيل ان هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها — انتهى .

وليس كذلك ، بل لها أصل ، فقد خرجها ابن ابى حاتم ، والطبري ، وابن المنذر ، من طرق ، وكذا ابن مردويه ، والبزار ، وابن اسحاق فى السيرة ، وموسى بن عقبة فى المغازي ، وأبو معشر فى السيرة ، كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره، ولكن قال ان طرقها كلها مرسلة ، وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح ، وهذامتعقب بما سياتى ، وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ

---

8) يكون ويبطل : ل ، يكون ذلك ويبطل — بزيادة (ذلك) : ن.
20) اصل ثبوتها : ل ، ثبوت اصلها : ن.

---

852) اي مطعون فيهم .
853) انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري ج — 10 / 237.
854) الآية : 87 — سورة المائدة .
855) فى المواهب (فى الفعل) .

الاسلام الحافظ ، أبو الفضل العسقلانى فقال : أخرج ابن أبى حاتم ، والطبري ، وابن المنذر ، من طرق عن شعبة عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قرأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم بمكة « والنجم » فلما بلغ : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى » — ألقى الشيطان على لسانه — تلك الغرانيق 5
العلى ، وان شفاعتهن لترتجى . فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فنزلت هذه الآية : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ... » — الآية ، وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال فى اسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فيما أحسب ، ثم ساق 10
الحديث .

قال البزار : لا يروى متصلا الا بهذا الاسناد ، وتفرد بوصله أمية بن خالد — وهو ثقة مشهور ، وقال : انما يروي هذا من طريق الكلبى ، عن أبى صالح عن ابن عباس — انتهى . والكلبى متروك لا يعتمد عليه (856) . 15

وكذا أخرجه النحاس بسند آخر ، فيه الواقدي ؛ وكذا ابن اسحاق فى السيرة — مطولة (857) وأسندها عن محمد بن كعب القرظى ، وكذلك موسى بن عقبة فى المغازي عن ابن شهاب الزهري ، وكذا أبو معشر فى السيرة له عن محمد بن كعب القرظى

---

13) انما : ل ، وانما : ن.
16—17)وكذا ابن اسحاق : ل ، وذكر ابن اسحاق : ن.
19) (محمد بن كعب) — فى النسختين (موسى بن كعب) ، والتصويب من المواهب .

---

856) قال ابن الجوزي : انه من كبار الوضاعين . انظر الزرقانى على المواهب 283/1.
857) فى المواهب (مطولا) .

ومحمد بن غيس ، واورده عن طريقه الطبري ، واورده ، ابن
أبى حاتم من طريق اسباط عن السدي ، ورواه ابن مردويه من
طريق (عباد) بن صهيب ، عن يحيى بن كثير ، عن الكلبى ، عن
أبى صالح عن ابى بكر الهذلى ، وأيوب عن عكرمة ، وسليمان
5 التميمى ، عمن حدثه ، ثلاثتهم ، عن ابن عباس ، واوردها
الطري أيضا من طريق العوفى ، عن ابى عباس — رضى الله
عنهما ، ومعناهم فى ذلك كله (858) واحد ، وكلها سوى من
طريق سعيد بن جبير ، اما ضعيف واما منقطع ، لكن كثرة
الطرق تدل على (ان) للقصة اصلا ، مع ان لها طريقين
10 آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح : احدهما ما
أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب :
حدثنى ابو بكر بن عبد الرحان بن الحارث بن هشام فذكر
نحوه ، والثانى ما اخرجه أيضا من طريق المعتمر بن سليمان،
وحماد بن سلمة ، عن داوود بن ابى هند ، عن ابى العالية
15 قال الحافظ ابن حجر أ وقد تجرأ ابن العربى كعادته فقال
ذكر الطبري فى ذلك روايات كثيرة لا اصل لها ، وهو اطلاق
مردود عليه ، وكذا قول القاضى عياض هذا الحديث لم يخرجه
أهل الصحيح ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، مع ضعف
نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع اسانيده ، وكذا قوله :
20 ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين ، لم يسندها

---

1) عن طريقه : ل ، من طريقه : ن ، وهو الذي فى المواهب .
7—8) عنهم : ل ، عنه : ولعل الصواب ما اثبتناه (من طريق) .
9) (على ان للقصة اصلا) فى النسختين (على للقصة اصلا) — وهو تصحيف والتصويب من المواهب .
10) آخرين : ل ، اخريين : ن.
20) اسانيده : ل ، اسناده : ن.

---

858) فى المواهب (كلهم) .

أحد منهم . ولا رفعها الى صاحب ، واكثر الطرق عنهم ضعيفة واهية . قال (859) : وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره ، الا طريق ابى بشر عن سعيد بن جبير — مع (الشك) الذي وقع فى اصله . واما الكلبى فلا تجوز الرواية عنه — لقوة ضعفه ، ثم رده من طريق النظر ، فان ذلك لو وقع ، لارتد كثير ممن اسلم . قال : ولم يرو (860) ذلك — انتهى (861) .

وجميع (862) ذلك لا يتمشى على القواعد ، فان الطريق اذا كثرت وتباينت مخارجها . دل ذلك على ان لها اصلا ، وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح ، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ، واذا تقرر ذلك ، تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر — وهو قوله : القى الشيطان على لسانه — تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى . فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره ، لانه يستحيل عليه (صلى الله عليه وسلم) — ان يزيد فى القرآن عمدا ما ليس فيه ، وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته ، وقد سلك العلماء فى ذلك مسالك، فقيل جرى ذلك على لسانه حين اصابته سنة (863) وهو لا

---

1) عنهم : ضعيفة : ل ، عنهم فى ذلك ضعيفة — بزيادة (فى ذلك) : ن.
4) الشك : ن — ل . اصله :ل ، وصله : ن.
15) صلى الله عليه وسلم : ن — ل.

---

859) اي عياض
860) فى المواهب (لم ينقل ذلك) .
861) يعنى انتهى كلام عياض .
862) هذا من تتمة كلام ابن حجر .
863) — سنة — بكسر السين : فتور مع اوائل النوم .

يشعر ، فلما علم بذلك أحكم الله آياته ، وهذا أخرجه الطبري
عن قتادة ، ورده القاضـــي عياض بانه لا يصح ، لكونه لا يجوز
على النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه
فى النوم ، وقيه ، ان الشيطان الجاه الى أن قال (ذلك) بعـــد
اختياره ، ورده ابن (العربى) بقوله تـعـــالى ـــ حكايـــة عن 5
الشيطان : « وما كان لى عليك من سلطان » (864) ـــ الآية .
قال : فلو كان للشيطان قوة على ذلك . لما بقى لاحد قوة على
طاعة . وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكر آلهتهم وصفوهم بذلك،
فعلق ذلك بحفظه ـــ صلى الله عليه وسلم ، فجرى على لسانه
لما ذكرهم ـــ سهوا . وقد رد ذلك القاضـــى عياض (فاجـــاد 10
وقيل : لعله قال ذلك توبيخا للكفار . قال القاضى عيـــاض) :
وهذا جائز اذا كانت قرينة هناك تدل على المراد ، ولا سيما وقد
كان الكلام فى ذلك الوقت فى الـــصـــلاة جائزا ، والى هذا نحا
الباقلانـــى . وقيل انه لما وصل الى قوله ـــ « ومناة الثالثـــة
الاخرى » (865) ، خشى المشركون أن يأتى بعدها بشىء يذم 15
آلهتهم (866) فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه بتلاوة النبـــى
ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على عادتهم فى قولهم : « لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه » (867) ، ونسب ذلك للشيطان لكونه
الحامل لهم على ذلك ، او المراد بالشيطان : شيطان الانس .

---

4) الى أن قال بعد اختياره : ل ، الى ذلك بعد اختياره : ن ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
8) وصفوهم : ل ، وصفهم : ن.
10—11) (فأجاد وقيل... القاضى عياض) : ل—ن.
12) قرينة هناك : ل ، هناك قرينة : ن.

---

864) الآية : 22 ـــ ســـورة ابراهيم .
865) الآية : 20 ـــ سورة النجم .
866) فى المواهب زيادة (بـــه) .
867) الآية : 26 ـــ سورة فصلت .

العاصمى (875) ، عن الشيخين القلقشندي . وشيخ الاسلام : زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن الدلاصى ، ع ن ابن تامتيت ، عن ابن الصائغ ، عن عياض .

قلت : ابن تامتيت : هو ابو العباس : أحمد بن محمد بن الحسين بن على بن تامتيت اللواتى الفاسى (876) .
5 عده ابن عبد الحق التلمسانى، فيمن روى عن ابى الحسين يحيى بن محمد بن على بن يوسف بن خف بن يحيى الانصاري السبتى ، وذكر معه الشارمى وابن قطرال ، وابا الخطاب بن خليل ، وابا زيده بن ابى عمران التليدي ، وابا العباس العزفى ، والقفال، وابن عبد المومن ، واما ابن الصائغ ، فكان مختصا بشيخ
10 الشيوخ ولى الله : سيدي ابى يعزى يلنور افاض الله علينا من انواره ، وقضى لنا بجاهه ما يؤمله العقل من اطهاره ، وقد اسند عنه العزفى ، وابو يعقوب التادلى — جملة من كرامات سيدي ابى يعزي (877) — رضى الله عنهم — أجمعين ونفعنا ببركاتهم.

---

1) (التلقشندي) فى النسختين (القلقاندي) والتصويب من نيل الابتهاج وجذوة الاقتباس ودرة الحجال .
2) الفرات : ل ، الفران : ن.
5—6) عن ابن عبد الحق : ل ، عده ابن عبد الحق : ن.
8) الشاوي : ل ، السارىى : ن ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
12) العقل : ل ، التلب : ن.
14) (ونفعنا ببركاتهم) : ل—ن.

---

875) ابو زيد عبد الرحمان بن على بن احمد القصري السفيانى العاصمى الفاسى ، الامام المحدث المسند الرحال (ت 956 هـ).
انظر فهرسة المنجور ص 59 ، وجذوة الاقتباس ص 261 ، ودرة الحجال 97/3 ، ونيل الابتهاج ص 176 .

876) انظر ترجمته فى جذوة الاقتباس ص 56 .

877) انظر التشوف ص 214 — 215 .

وأما الدلاصى : فهو شيخ الحديث والقراءات ، عفيف الدين ، أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الاحد بن على القرشى المخزومى الشافعى الدلاصى اصلا المكى دارا ووفاة — سنة واحد وعشرين وسبعمائة ، ومولده فى اول رجب سنة ثلاثين وستمائة (878) . 5

وأروي أيضا كتاب الشفاء ، عن مولانا العم المذكور ، عن شيخه الامام سيدي ابى عبد الله ، التنسى ، عن والده شيخ الاسلا مالحافظ سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسى الاموى عن شيخه الامام الشهير الكبير ، علم الاعلام ، شيخ الاسلام ، سيدي أبى عبد الله بن مرزوق عن جده خطيب 10 الخطباء ، الرئيس الشهير سيدي أبى عبد الله محمد بن مرزوق قال : رأيت عياضا فى المنام ، فناولنى كتابه الشفاء ، قال : وان لم يعتد على مثل هذا فى التحديث ، فان كثيرا من العلماء بالحديث يذكرونه للتبرك — والله أعلم .

15 وقال الشيخ العلامة : سيدي محمد بن سيدي الحسن ابن مخلوف (879) لما ذكر مثل هذا عن الخطيب ابن مرزوق ، واسنده اليه — ان هذا استملاح .

وبنو مرزوق هؤلاء لهم رئاسة فى العلم بتلمسان ، توارثوها سلفا عن خلف ، ولولا الخروج الى الطول المفرط ، لذكرت بعض

---

3) ووفاة : ل ووفاته : ن.
10) ابو عبد الله بن مرزوق : ل ، ابو عبد الله محمد بـ نمرزوق : ن.
17) ان هذا استملاح : ل ، الى هذا الاستملاح : ن.

---

878) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة 371/2 .
879) أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي ، الشهير بابركان ، المحدث الحافظ ، له ثلاثة شروح على الشفا . (ت 868 هـ) انظر نيل الابتهاج ص 316 .

مآثرهم ، على أنها اشهر من نار على علم ، ولهم على جدنا احمد ولادة ، فان أم جدي احمد المذكور ، بنت الفقيه العلامة ، سيدي محمد بن مرزوق ، المعروف بالكفيف ، وهو أحد شيوخ ابن غازي بالاجازة ، وولد الكفيف المذكور ، هو شيخ الاسلام 5 ابو عبد الله بن مرزوق ، شارح البردة والمختصر ، وصاحب التآليف الشهيرة ، واشهر أسلافنا القاضي بفاس : سيدي أبو عبد الله المقري ـ رحمه الله ـ هو خال ابيه ـ حسبما ذكر هو ذلك فى بعض أجوبته ، وهو مذكور اوائل نوازل الفكاح فى المعيار (880) ، وقد اخبرنى بهذا كله مولانا العم سيدي سعيد بن 10 أحمد المقري ـ رحمه الله .

وحدثنى أيضا بكتاب الشفا ، عن شيخه المفتى سيدي على ابن هارون ، عن شيخه الامام سيدي محمد بن غازى ، بسنده المذكور فى فهرسته ، ولنا فيه أسانيد اخرى ، وفيما ذكرناه كفاية ـ والله ولى التوفيق .

15 وقد قرأ كتاب الشفاء على مؤلفه من لا يحصى كثرة من الاعلام ، وهو ستة أجزاء . ون تآليف عياض ـ رحمه الله : كتاب مشارق الانوار على صحيح الاثار ـ ستة اجزاء (881) . ضخمة ، وهو من من أجل الدواوين وانفعها .

---

6) التآليف : ل ، التصانيف : ن.
7ـ8) هو ذلك : ل ، ذلك هو : ن.
12) المذكور : لـن.
16) كتاب مشارق : ل ، مشارق باسقاط (كتاب) : ن.

---

780) جاء فى ج 4/3 ـ من المعيار : (... ابو عبد الله المقري ، من اخوال والدي ، ومن اشياخ اشياخى ، ومن اصحابهم ايضا ، من بعض اشياخه ، وغالب ظنى انه الاب) .

881) طبع بالمطبعة المولوية بفاس سنة 1229 ـ فى جزئين .

ويقال ان القاضى أبا الفضل توفـــى ـ ولم يخرجها من مبيضاتها ، فخرجها بعده الحافظ المحدث ، ابو عبد الله ، محمد بن سعيد الطراز (882) ، وفى المـشـــارق ، يقول الامام ، أبـــو عمرو بن الصلاح الشهرزوري ، صاحب كتاب علوم الحديث ، 5 وكان يعجب بالمشارق وكلما طالعها أنشد :

مشارق انوار تجلت بسبتة وذا عجب كون المشارق بالغرب

وقد ذيل هذا البيت جماعة منهم : القاضـــى المؤرخ ابو عبد الله محمد بن عبد الملك المـــراكشـــى (883) («رحمه الله» اذ يـــقـــول :

10 تنادي بأنوار المشارق نخوة بمطلعها فى الغرب يا شرق غربى

ومنهم الخطيب ابو عبد الله بن رشيد الفهري ، اذ يقول :

ومرعى خصيب فى جديب ربوعها
الا فاعجبوا للخصب فى منزل جدب

---

5) انشد : ل ، انشد يقول : بزيادة (يقول) : ن.

11) الخطيب : ل ـ ن.

---

882) ابو عبد الله محمد بن سعيد بن على الانصاري ، المعروف بالطراز العالم المحدث الراوية (ت 645 هـ) . انظر شجرة النور ص 182 .

883) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشى الامام المؤرخ الحافظ ، قاضـــى الجماعة بمراكش (ت 703 هـ).
انظر الديباج ص 331 ، وجذوة الاقتباس ص 150 ، والاعـــلام لعباس بن ابراهيم 331/4.

ومنهم الشريف نور الدين ابو الحسن على بن جابر الحسينى الهاشمى ، شيخ دار الحديث المنصورية (884)، قال ابن جابر : وانشدنيها :

مشارق أنوار طلعن بمغرب
5 انرن جميع الشرق بالطالع الغرب
بدا نوره فى الكون قد لاح هاديا
رياض عياض نزهة العين والقلب
ونظم عقد الدين فيه فاصبحت
محاسنه تجلى على العالم الندب
10 فلله ما أبدى عياض فاشرقت
مشارقه فى كل قطر بلا غرب
فقل لذوي علم الحديث تنوروا
مشارق انوار تروا ما ورا الحجب

قلت : واخبرنى مولانا العم الامام ــ رضى الله عنه ، 15 ان بعضهم أجاب ابن الصلاح بقوله :

فما فضل الارجاء الا رجالها والا فلا فضل لترب على ترب

انتهى .

---

8) عقد : ل ، عقود : ن.
14) واخبرنى : ل ، واخبرنا : ن.

---

884) وتعرف بالمدرسة المنصورية . انظر خطط المقريزي ج 4/218ــ219 والنفح ج 536/2 .

وانشدني بمحروسة فاس لنفسه ، الفقيه الاصيل الاديب الناظم ، الناثر ، سيدي علي بن أحمد الشامي (885) — حفظه اللــه وجوده :

لقد شهــدت حقــا جميــع المهارق
بما حاز من فضل كتــاب المــشــارق
5
وان هو منها فى العــلا وشى معصم
وحليــة أنــوار وتــاج المــفــارق
ونخبــة ابــرار وتحفة قــادم
ونــزهــة أبصــار وانس المفــارق

10
وانسدنــى لنفسه أيضا — حرس الله علاءه :

جزى الله عنا كــل خــيــر ومنــة
عياضا بما أبدى لنا مــن مــشــارق
به اشرقت شمس الغريب بغربنــا
فدانــت لــه تعنــو شموس المشارق

---

6) العلاوشــى : ل ، العلاء ومعهم : ن.
10) حرس الله علاءه : ل ، حفظه الله وحرس علاه : ن.

---

885) ابو الحسن على بن أحمد الشامى الخزرجى ، من ادباء فاس ، قــال فيــه المؤلف : صاحبنا الفقيه الاديب الحاج الرحال ، توفى بعد (1030 هـ) انظر النفح 59/6 ، وازهار الرياض ج 19/1 ، و ج 272/3.

وله أيضا ـ حفظه الله :

عياض لك الخيرات اطلعت للــورى
مشـــارق أنوار الـــهــدي بالمغـــارب

فجد لى بنـــور من سناك يحوطنى
5 فاغدو وحبلى فى الدجى فوق غاربـــى

ومن تآليف القاضـــى عياض ـ رحمه الله ـ « اكمـــال المعلم ، فى شرح مسلـــم » (886) ـ تسعة وعشرون جزءا . قال ابن جابر : وفيه يقول شيـــخـــنا أبو الحكـــم مالك بـــن المرحل (887) ، وأجازنيه (رحمه الله تبارك وتعالى) :

10 من قـــرأ الاكمال كان كامـــلا فى علمـــه فزيـــن المـــحافـــلا
وكتـــب العلم كنـــوز انـــهـــا تفيـــد قلبـــا عاجلا وآجـــلا
وليس من كتب عياض عوض فانه كـــان امامـــا فـــاضـــلا

---

1) حفظه الله : ل ـ ن.
5) وحبلـــى : ل ، واصلى : ن.
10) فى علمه فزين المحافلا : ل ، فى قرين الحافلا : ن ، وهو تحريف .
11) (قلبا ... واجلا) : ل ، نفعا ... اجلا : ن.
12) وليس ـ ل ، ليس : ن. فانه : ل ، انه : ن

---

886) كمل به شرح ابى عبد الله المازري المسمى بـــ «المعلم ، بفوائد مسلم » يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط ، وخزانـــة القرويين والخزانة الملكيـــة .
887) أبو الحكم مالك بن عبد الرحمان بن على بن عبد الرحمان بن المرحل المالقـــى السبتـــى ، العالم الاديب . (ت 699 هـ).
انـــظـــر بغية الوعاة ص 384 ، وغاية النهاية 36/2 ، وسلوة الانـــفـــاس 99/3.

ومن تواليفه – رحمه الله – « كتاب المستنبطة ، فى شرح كلمات مشكلة ، والفاظ مغلطة ، مما وقع فى كـتـاب المـدونة والمختلطة » – عشرة اجزاء ، ولم يؤلف فى فنه مثله ، وقد غلب على تسميته ببلاد افريقية وغيرها « التنبيهات ».

5 قال أبو عبد الله بن أحمد بن حيان ، (888) ، انشدنى شيخنا الاعدل ، ابو عبد الله محمد بن على الـتـوزري ابن المصري لنفسه مما كتبه – (رحة الله تعالى عليها) .

كانى مذ وافى كتاب عيـاض   أنزه طرفى فى مريـع ريـاض
فاجنى به الازهار يانعة الجنا   واكرع منه فى لذيذ (حيـاض)

10 ومن تآليفه – رحمه الله : كتاب « الالماع فى ضـبط الرواية وتقييد السماع » (889) – سفر . وفيه يقول الشيخ، أبو عبد الله محمد بن حيان – رحمه الله . قال ابن جابـر : ونقلته من خطه :

يا طالبا علم الحديث وحملـه   لجميع ما يروى من الانـواع
15 تبيين ذلك كلـه لـعيـاض فى   تأليـفه المـوصوف بالالماع
الله يرحمه ويـجـزل أجـره   فلقد اتـى فى غاية الابـداع
جمع الرواية والدراية متقنـا   بالضبط بالابصار والاسمـاع
أنسى واستاذي وغاية بغيتى   ومذكري فى الخلف والاجـماع

---

8) مذ : ل ، وقد : ن .
14) لجميع : ل ، بجميع : ن.
18) ومذكري : ل ، ومداري : ن.

---

888) لعله يعنى ابا عبد الله محمد بن احمد بن حيان الشاطبى .
889) طبع بمصر بتحقيق الاستاذ السيد احمد صقر سنة (1389–1970)

ومن تآليفه ــ رحمه الله : كتاب « الغنية » في أسماء شيوخه (890) ، ووقفت عليه بتلمسان ، وهنالك تركت نسختي منه ، ولم اقف عليه الآن بفاس ، بعد طول البحث عنه ، وفي مدحه أقول :

5 غنية القاضي عياض غنية عما سواها
حلة موشية بل روضة طاب جناها
جمعت اعلام علم قدرهم ما ان يضاهى
وحكت اخبار قوم عنهم العدل رواها
وكفاها بابن رشد شرفا زاد سناها
10 كم بها من معلوات مبهجات من رآها
فعليه وعليهم رحمة لا تتناهى

ومن تآليفه ــ رحمه الله : « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك » ــ خمسة أسفار (891) . ولم يسمعه مؤلفه ، وهو غريب لم يسبق اليه .

15 ومن تآليفه رحمه الله : « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » (892) . ومنها كتاب « بغية الرائد لما تضمنه

---

10) بحدود قواعد : ل بقواعد ــ باسقاط (حدود) : ن.
15) رآها : ل ، يراها : ن.

---

890) وممن رواها عنه ابن خير ، وذكرها في فهرسته ، والكتاب موجود بالخزائن العامة والخاصة بالمغرب .
891) تقوم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بنشره ، وقد ظهر منه الى الآن خمسة اجزاء .
892) نشرته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية سنة (1374ــ1964)

حديث أم زرع من الفوائد » سفر (893) . وكتاب خطبه — سفر (894) ، وقال ابن خاتمة : انه اشتمه على خمسين خطبة من خطب الجمعات : وكتاب المعجم فى شيوخ الصدفى (895) — رحمه الله ، ومنها كتاب « المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان » (896) . قال ابن خاتمة : انه فى سفرين (897 ، وقال ابن جابر الوادي آشى ، وابن الخطيب : انه لم يكمله . ورأيت فى نسخة من الشفا — بخط العلامة عبد الرحمان بن القصير الغرناطى المذكور آنفا — ما نصه : قال كاتبه : نسخت هذا السفر من كتاب على ظهره مكتوب بخط مؤلفه القاضى عياض — رحمه الله — ما نصه : يقول عياض ابن موسى بن عياض اليحصبى : حضر قراءة جميعه على — الفقيه النبيه ، أبو محمد عبد المنعم (898) ابن الفقيه الاجل، الاستاذ الخير ابى بكر يحيى بن خلف بن النفيس الحميري (899) واجزته له ، واذنت له فى الحديث به عنى ،

6) وابن الخطيب : ل ، وراى ابن الخطيب : ن.
14) واجزته له : ل ، واجزته — باسقاط (له) : ن.
15) ومسموعاتى ومجموعاتى : ل ، ومسموعاتى ومؤلفاتى ومجموعاتى — بزيادة (ومؤلفاتى) : ن.

893) نشرته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية سنة (1395—1975).
894) يعتبر مفقودا ، وذكر بعض الباحثين انه وقف عليه عند بعض الكتبيين بمكناس ، وتقدمت بعض خطبه ، فى جملة نثره .
895) يتضمن نحو المائتى شيخ ، وقد ذكره القاضى نفسه فى الغنية 123 وابنه فى التعريف 118 ، وابن الخطيب فى الاحاطة : 183 — ! وهو مفقود
896) ذكره ابنه فى (التعريف) ص 117 — وهو مفقود .
897) ويانى للمؤلف انه مما اجاز به أبا بكر بن النفيس وولديه .
898) ويكنى ايضا ابا الخطيب ، تتلمذ على عياض ، وابن العربى ، وابى الحسن ابن موهب ، ونزل مراكش ، وادب فيها بالقرآن دهرا طويلا (ت 586 هـ). انظر التكملة ، ص 651 . رقم (1813) .
899) من شيوخ القراءات مع التفنن والحفظ ، له معرفة بالتفسير ، حدث عنه كثيرون (ت 541 هـ) . انظر التكملة ص 721 — رقم (2040).

وبجميع رواياتى ومسموعاتى ومجموعاتـــى ، وكذلك أجـــزت
جميع ذلك لاخيه عبد المولى ــ كلا الله جميعهم ، وانبتهم نباتا
حسنا ، وكذلك اذنت لابيهما الفقيه الاجل المذكور فيما رغـــب
فيه من حمل مجموعاتى ، واجزت له جميعها ، من ذلك كتابى
5 هذا ، وكتاب ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة أعيان
مالك ، وكتاب «بغية الرائد» لما تضمن حديث ام زرع مـــن
الفوائد » . وكتاب « مشارق الانوار ، على مبهم صحائح الآثار »
«وكتاب المقاصد الحسان ، فيما يلزم الانســـان» ، وكتـــاب
« الاعلام ، بحدود قواعد الاسلام » ، وغير ذلك ، وكتب فى
10 تاريخ (سبع) محرم (سنة) اثنين وثلاثين وخمسمائة ــ انتهى.

قال عبد الرحان المذكور : وكتبت نسختى هذه فى العشر
الوسط ، والعشر الغوابر من شهر رمضان المعظم ، سنة تسع
وخمسين وخمسمائة ، وكتبه لنفسه بخطه عبد الرحمان بـــن
أحمد الازدي ــ نفعه الله بطلب العلم ، وختم له بخير بمنه ــ
15 انـــتـــهـــى .

ومن تآليف القاضـــى ابى الفضل التى تركها فى المبيضة،
كتاب «مسألة الاهل المشترط بينهم التزاور» (990) ــ جزء .
كتاب « نظم البرهان » على صحة جزم الآذان (901) ــ جزء .

2) جميعهم : ل ، الجميع : ن.
17) المشترط : ل ، المشروط : ن.

900) ذكره ابنه فى التعريف ص 117 ، وابن الخطيب فى الاحاطة 183ـــ1،
وكشف الظنون 1961/1 ، وهدية العارفين 805/1 ــ وهو مفقود
901) ذكره ابنه فى التعريف ص 117 ــ وهو مفقود .

انتهى الجزء الرابع من « ازهار الرياض ، فى اخبار عياض » ، ويليه الجزء الخامس ، واوله :

(ومما لم يكمل من مؤلفات عياض)

الفهـــارس :

1 ـ فهرس الاعلام

(آ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

2 ـ فهرس القبائل والشعوب والطوائف

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

3 — فهـرس البلدان والامكنة

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

4 ـ فهرس الاشعار

(أ)

اذات الخال	انضاء	وافر	عياض		252
اقمرية	بغناء	طويل	عياض		267
انس	الغناء	كامل	عياض		279
ايا بدرا	اضاء	وافر	ابن حجر		253
ايا قاض	الدواء	وافر	ابن قبرس		283
جزى	الجزاء	مجتث	ابن قبرس		280
رجوت	الشفاء	متقارب	ابن قبرس		283
صحت	شفاء	كامل	الهمداني		290

(ب)

اقول	ركائبي	طويل	عياض		242
الاكرم	خطب	طويل	البلقيني		119
اليك	ربي	مجتث	عياض		269
انظر	معربا	كامل	البكري		167
تنادي	غربي	طويل	ابن عبد الملك المراكشي		343
دعاك	تريب	طويل	ابن الخطيب		45
عياض	بالمغارب	طويل	الشامي		346
فما	ترب	طويل	الشامي		344
مشارق	بالغرب	طويل	ابن الصلاح	186	343
مشارق	الغرب	طويل	ابن جابر		344
ومرعى	جدب	طويل	ابن رشيد		343
يا طالب	الراغب	كامل	عياض		268
يا من	اوصى بي	بسيط	عياض		241

(ت)

حق	الوجنات	كامل	الجزنانى	184
اعوذ	والجنة	متقارب	عياض	270
جزى	بجنته	بسيط	ابن رشيد	276
شفاء	وسيلة	طويل	ابن جابر	276
يا دار	بلايات	كامل	عياض	188 180
يا من سما	كانت	بسيط	الشاطبى	301

(ح)

اذا ما	المزاح	متقارب	عياض	239
انظر	الرياح	السريع	عياض	241
وما تفضل	ملاح	طويل	———	204

(د)

ابا نصر	شدوا	طويل	عياض	245

(ر)

ابعد	عرار	كامل	———	206
أبو الفضل	بالبدر	طويل	العمرانى	281
ان الشفاء	الاخر	بسيط	ابن الغماز	273
جازى	الاخر	بسيط	ابن هارون	273
الحب	نور	بسيط	البلفيقى	120
سل	معشر	كامل	ابن الخطيب	284
سمح	السرور	مجزو الكامل	عياض	246
شفا	مغرى	كامل	ابن الحداد	277

عسى	عذري	طويل	عياض	243
فى كل	بالبتره	بسيط	ابن جابر	254
ليهن	الزهر	طويل	عياض	245
ماكل	الزائر	كامل	———	313

(س)

هذا	بنوس	كامل	الرعيونى	289

(ض)

علماء	اغراض	خفيف	ابن عبد المنان	289
كأنى	رياض	طويل	التوزري	347
كلهم	عياض	خفيف	———	272

(ع)

لك الخير	يراع	متقارب	عياض	240
وحسر	نزوعها	طويل	ابن زمرك	288 287
ومن عجب	معـى	طويل	مهيار الديلمى	120
يا طالبا	الانواع	كامل	محمد بن حيان	347

(ف)

رجوت	الشفا	متقارب	———	283
شفى	الشفا	متقارب	ابن فرقد	278
شفاء	مرشفا	متقارب	الشامى	307
قرات	الشفا	متقارب	الماردي	279

كتاب	الشفا	متقارب	———	302
كتاب	مستشفى	طويل	ابن ابى الخصال	30
ايا شاكيا	الشفا	متقارب	———	282
وقالوا	المصطفى	متقارب	———	282

(ق)

ابا طاهر	شيق	طويل	عياض	249
أناني	ومشرق	طويل	ابو طاهر السلفى	249
جزى	مشارق	طويل	الشامى	345
عوذت	بالخلق	بسيط	القلقشندي	259
لقد	المشارق	طويل	الشامى	345

(ك)

لاتيان	المسالك	طويل	عياض	244
هجرت	اراك	وافر	ابراهيم بن ادهم	193
واذكر	نيكا	بسيط	———	201

(ل)

اذا	حالا	بسيط	عياض	269
اذا	حباله	طويل	عياض	120
بحمد	الطولا	طويل	———	264
شوقى	اصل	بسيط	ابن العماد	33
كان	الحلل	بسيط	عياض	251
ما ارسل	تنزل	سريع	البكري	162
من قرا	المحافلا	كامل	ابن المرحل	346
يا خليلى	عليلا	الرمل	عياض	244
يا راحلين	تفول	كامل	عياض	251
وهل	بالوشل	بسيط	———	194

(م)

اذا	نسميه	طويل	ابن الخطيب	34
اذا	القدم	متقارب	البكري	167
ان	دمى	بسيط	أبو الطيب الواعظ	224 249
سنعلم	غريمها	طويل	———	212
ولما	بالقدم	متقارب	البكري	166
ولله	حلما	طويل	عياض	347
ولله	فهما	طويل	ابن دقيق العيد	248
يوم	بدرهم	كامل	———	204

(ن)

اتراني	الزمان	خفيف	عياض	244
الله	الجناحين	بسيط	عياض	252
قل	مجون	كامل	عياض	6
كتاب	برهانه	متقارب	ابو الحسين	276
وبعثت	المكنون	كامل	عياض	7
يا سيد	زمانه	كامل	الفازازي	31

(هـ)

شكا	بشكواه	طويل	البلفيقى	119
فنية	سواها	مجزوء الرمل	ابو العباس المقري	348
للنفس	تمنيها	بسيط	الوجدي	302
مثوى	لجانيها	بسيط	المقري	303
هو	ورياه	طويل	ابن رشيد	184
وتالله	تركناه	طويل	ابن رشيد	232 193

(ي)

الا	الاريحى	وافر	ابن الفكون	304
ركنه	شى	وافر	ابن الفكون	305

5 ـ فهرس الكتب الواردة فى المتن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

6 — فهرس مصادر التحقيق

(أ)

الآثار الاندلسية — لمحمد عنان — ط لجنة التاليف والترجمة والنشر : 1381 — 1961 .

الاحاطة فى اخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (الجزء الاول) — دار المعارف بمصر .

الاحاطة فى اخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب — ط مصر — 1339 هـ .

ادباء مالقة لابن عسكر (صورة عن مخطوطة الاستاذ المنونى) .

ازهار الرياض فى اخبار عياض لابى العباس المقري — ط مصر 1939 — 1942 .

الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى — لابى العباس الناصري — طبع دار الكتاب — الدار البيضاء — المغرب — 1954 .

الاصابة ، فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى — ط مصر — 1323 هـ .

الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، لعباس بن ابراهيم — المطبعة الجديدة بفاس — 1936 .

(ب)

البحر المحيط : تفسير ابى حيان الغرناطى — ط مصر — 1328 هـ .

البداية والنهاية لابن كثير — ط مصر — 1351 — 1958 .

البدر الطالع ، بمحاسن من بعد القرن السابع — للشوكانى — ط مصر 1348 هـ .

برنامج الشيوخ للرعينى — ط دمشق — 1962 .

البستان ، فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ، لابن مريم — ط الجزائر — 1326 — 1908 .

بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد — ليحيى بن خلدون — ط الجزائر — 1321 — 1903 .

بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الاندلس ، للضبى ـ ط مجريط ـ 1884م
بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطـــى ـ دار المعرفة ببيروت .

(ت)

تاج العروس من جواهر القاموس للشيخ مرتضى ـ ط مصر 1306 ـ 1307 هـ .
التبيان فى تخطيط البلدان لاسماعيل رافت ـ ط مصر 1329 هـ .
التعريف بابن السيد البطليوسى ـ مخطوط الاسكوريال رقم 488 ـ مصورة معهد مولاي الحسن للابحاث ـ تطوان .
التعريف بالقاضى عياض ـ لولده أبى عبد الله ـ نشر وزارة الاوقـاف والشؤون الاسلامية والثقافة بالمغرب .
التعريفات لابى الحسن الجرجانى ـ ط مصر 1357 ـ 1983 .
تعريف الخلف برجال السلف ، لابى القاسم الحفناوي ـ ط الجزائـــر 1324 ـ 1906 .
تفسير القرآن الكريم لابن كثير ـ ط مصر 1373 ـ 1954 .
التكملة لكتاب الصلة ، لابن الابار ـ ط مصر .
التكملة لكتاب الصلة ، لابن الابار طبع مجريط .
التمهيد لما فى الموطا فى المعانى والاسانيد ـ لابى عمر بن عبد البر ـ الاجزاء المطبوعة (1 ـ 6) نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب .
تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر بدران ـ ط دمشق 1329 ـ 1951 .

(ج)

الجامع الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخاري ـ ط مصر 1351 ـ 1932 .
الجامع الصغير للسيوطى ـ بشرح العزيزي ـ ط مصر 1324 .
جامع كرامات الاولياء ليوسف النبهانى ط مصر 1329 .
جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس لابن القاضى ـ طبع على الحجر بفـــاس ـ 1309 هـ .
جمهرة الاولياء واعلام التصوف لمحمود المنوفى ، مطبعة المدنـــى 1378 ـ 1967 .

(ح)

حسن المحاضرة ، فى اخبار مصر والقاهرة ، لجلال الدين السيوطى — المطبعة السلفية .
الحلل السندسية فى الاخبار التونسية لابن الوزير — الدار التونسية للنشر.
حلية الاولياء لابى نعيم — ط مصر 1351 هـ .

(خ)

الخطط التوفيقية الجديدة ، لعلى مبارك — ط مصر 1304 — 1306 هـ

(د)

دائرة المعارف الاسلامية — 16 مجلدا — طبع مصر .
الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى — نشر دار الكتب الحديثة .
درة الحجال فى اسماء الرجال ، لابن القاضى — دار النصر للطباعة 13390 — 1970 .
دوحة الناشر فى رجالات القرن العاشر ، لمحمد بن عسكر المصابى — طبع على الحجر بفاس 1309 هـ .
الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون — طبع مصر — 1351 هـ .

(ذ)

الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشى — الاجزاء المطبوعة (1 — 6) — دار الثقافة بيروت .

(ر)

الرسالة فى التصوف — لابى القاسم القشيري — طبع مصر .
الروض الانف فى تفسير سيرة ابن هشام — للسهيلى — نشر مكتبة الكليات الازهرية .
روضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس — للمقري — المطبعة الملكية — الرباط — 1964 .

(س)

سلوة الانفاس فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس — لمحمد بن جعفر الكتانى — طبع فاس — 1316 هـ .
السنن — لابى داود السجستانى — ط مصر 1371 — 1952 .

(ش)

شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ، لمحمود مخلوف — دار الكتاب العربى — بيروت
شذرات الذهب فى اخبار من ذهب — للعماد الحنبلى — نشر الكتب التجاري للطباعة والترجمة والنشر .
شرح صحيح مسلم ، للنووي — هامش ارشاد الساري على صحيح البخاري — نشر دار الكتاب العربى .
شرح القاري على الشفا — نشر المكتبة السلفية .
شرح محمد عبد الباقى الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى — طبع مصر — 1325 هـ
شرح شمائل للترمذي لجسوس ، ط مصر 1346 — 1927 .

(ص)

صبح الاعشى للقلقشندي — نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر .
صفوة من انتشر فى اخبار صلحاء القرن الحادي عشر — لمحمد الصغير الافرانى — طبع على الحجر بفاس .
الصلة فى تاريخ علماء الاندلس — لابن بشكوال — ط مصر 1374 — 1955 .

(ض)

الضوء اللامع لاهل القرن التاسع — للسخاوي — نشر دار مكتبة الحياة ببيروت .

(ط)

الطالع السعيد الجامع لاسماء القضاة والرواة باعلى الصعيد — للادفوي — ط مصر 1332 — 1914 .

طبقات الشافعية الكبرى ـــ لتاج الدين السبكى ـــ ط مصر 1324 هـ .
الطبقات الكبرى لابن سعيد ـــ ط دار صادر بيروت 1380 ـــ 1960 .
الطبقات الكبرى للشعرانى ـــ ط مصر 1372 ـــ 1954 .

(ع)

عارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي ـــ لابى بكر بن العربى المعافري ـــ نشر دار العلم للجميع .
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ـــ للغبرينى ـــ ط لجنة التاليف والترجمة والنشر ـــ بيروت 1969 .
عون المعبود فى شرح سنن ابى داود لمحمد شرف ـــ نشر دار الكتاب العربى ببيروت .

(غ)

غاية النهاية فى طبقات القراء ـــ ط مصر 1353 ـــ 1934 .

(ف)

الفروق للقرافى ـــ دار المعرفة والطباعة والنشر ـــ بيروت .
الفهرسة لابى بكر بن خير ـــ نشر مكتبة المثنى ـــ بغداد 1382 ـــ 1963
الفهرس لاحمد المنجور ـــ دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر الرباط 1396 ـــ 1976 .
فهرس المخطوطات العربية للخزانة العامة بالرباط : ط الرباط 1958 .
فوات الوفيات ـــ لابن شاكر الكتبى ـــ طبع مصر 1356 ـــ 1938 .
فيض القدير ، بشرح الجامع الصغير للمناوي ـــ ط مصر .

(ق)

قلائد العقيان ـــ للفتح بن خاقان ـــ ط مصر 1284 هـ .

(ك)

الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة ـــ للسان الدين ابن الخطيب ـــ ط دار الثقافة بيروت 1963 .
كشف الظنون ، لحاجى خليفة ـــ نشر مكتبة المثنى ـــ بغداد .

(ل)

اللباب فى تهذيب الانساب ـ لابن الاثير الجزري ـ نشر مكتبة المثنى ـ بغـــداد .

لفظ الفرائد لابن القاضى ـ دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر ـ الرباط 1396 ـ 1976 .

اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، للسان الدين بن الخطيـب ـ ط مصر 1947 هـ .

(م)

مجمع الامثال للميدانى ، مطبعة السعادة بمصر .

محاضرات مجالس المجمع اللغوي بالقاهرة ـ الدورة الرابعة .

مرآة المحاسن ، فى اخبار الشيخ ابى المحاسن ، للعربى الفاسى ـ طبع فاس 1324 هـ .

المرقبة العليا ـ (تاريخ قضاة الاندلس) للنبهانى ـ نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

المسند للامام احمد ـ نشر دار صادر بيروت .

مشارق الانوار ، على صحاح الآثار ، لعياض ـ المطبعة المولويـــة بفـاس 1328 .

مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات للمهدي الفاسى ـ ط مصر 1377 ـ 1958 .

معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم العباسى ـ مصر 1367 هـ .

المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، لعبد الواحد المراكشى ، ط مصر 1368 ـ 1949 .

معجم البلدان ، لياقوت الحموي ـ ط دار صادر بيروت 1374 ـ 1955 .

معجم الشيوخ ، للرعينى ، نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر 1381 ـ 1961 .

المغرب فى حلى المغرب ، لابن سعيد الاندلسى ـ دار المعارف بمصر .

مفتاح السعادة ، لطاس كبرى زاده ـ ط حيدر اباد ـ 1329 هـ .

مناهل الصفا ، فى مآثر موالينا الشرفا ، لعبد العزيز الفشتالى ـ نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة .

المواهب اللدنية ، فى الشمائل المحمدية ، للقسطلانى بشرح الزرقانـى ـ ط مصر 1325 هـ .

موطا مالك بن انس (الامام) طبع النفائس 1390 — 1971 ·
ميزان الاعتدال ، لابن حجر العسقلانى — نشر مؤسسة الاعلمى — 1390 — 1971 ·

(ن)

نبذة العصر فى اخبار ملوك بنى نصر — لمؤلف مجهول — طبع العرائش — بالمغـــرب 1940 ·
نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان ، لابن الاحمر — دار الثقافة بيروت 1967 ·
النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بـــردى — نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر ·
نسيم الرياض ، على شفا عياض ، للخفاجى — المطبعة السلفية ·
نشر المثانى ، لاهل القرن الحادي عشر والثانى ، لمحمد بن الطيـــب القادري — طبع على الحجر بفاس 1315 هـ ·
نفح الطيب ، من غصن الاندلس ، للمقري — دار صادر بيروت 1388 — 1968 ·
نكت الهميان ، فى نكت العميان ، للصفدي — ط مصر 1329 — 1911 ·
نهاية الاندلس ، لمحمد عنان — الطبعة الثانية 1374 — 1955 ·
نيل الابتهاج — هامش الديباج — لاحمد بابا — ط مصر 1351 هـ ·

(و)

الوافى بالوفيات ، للصفدي — الطبعة الثانية 1381 — 1961 ·
وفيات الاعيان ، لابن خلكان — ط القاهرة 1367 — 1948 ·
الوفيات ، للونشريسى — دار المغرب للتاليف والترجمة والنشـــر — الرباط 1396 — 1956 ·

7 – فهرس الموضوعات

من نثره الفصيح فى كتاب الشفا :



أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الخامس

تحقيق

سعيد أحمد أعراب — د. عبد السلام الهراس

أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي
بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة

1400 هـ — 1980 م



أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء الخامس

تحقيق

سعيد أحمد أعراب — د. عبد السلام الهراس

أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي

بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة

1400 هـ — 1980 م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

وهذا الجزء الخامس والأخير من كتاب « أزهار الرياض، في أخبار عياض » ـ تأليف أبي العباس المقري، نقدمه إلى القارىء الكريم املين أن نكون قمنا ببعض ما يفرضه علينا الواجب العلمي من خدمة النص وتوثيقه. وقد حاولنا ـ جهد المستطاع ـ إخراجه كما اراده المؤلف، أو قريبا من ذلك.

النسخ الخطية، ومنهجنا في التحقيق :

والنسخ التي اعتمدناها في التحقيق، هي كما يلي :

1 ـ صورة عن نسخة خطية بالخزانة الملكية رقم (784)، ونرمز إليها بحرف (ل)، وقد جعلناها الأصل.

2 ـ صورة عن نسخة خطية ثانية بالخزانة الملكية رقم (055 9)، ونرمز إليها بحرف (ن)، وهي ناقصة، تنتهي بانتهاء الحديث عن رحلة أبي عبد الله المقري (الجد) ص (78) من هذا المطبوع.

3 ـ نسخة خطية للكتاني مودعة بالخزانة العامة بالرباط رقم (229) ـ ونرمز إليها بحرف (ك).

وقد سبق التعريف بهذه النسخ جميعا في مقدمة الجزء الرابع.

وامام نقص بعض النسخ، والتحريف الواقع في البعض الآخر، فقد اضطررنا إلى الاستعانة في تصحيح كثير من النصوص بنسخة النفح المطبوعة بتحقيق احسان عباس، وأثبتنا فروقها في الحواشي : ـ بالإضافة إلى المصادر الأصلية التي عاد إليها المؤلف كالقلائد، والمطمح، ـ للفتح بن خاقان، والمعجم لابن الأبار، والبيان المغرب لابن عذاري، وسواها ـ كما ستجده في حواشي الكتاب.

أما المنهج الذي سرنا عليه في تحقيق هذا الجزء، فهو نفس الخطة التي سار عليها سلفه (الجزء الرابع)، فقد وضعنا حاشيتين : إحداهما للفروق، وهي خاضعة لأرقام السطور الجانبية على الهامش، وجعلنا نسخة (ل) الأصل - كما أشرنا إلى ذلك انفا، وقابلنا عليها باقي النسخ، ولم نخرج عنها إلا إذا رجحت لدينا قراءة أو زيادة في احدى النسخ أو بعض الأصول.

وعلى هذا الأساس أثبتنا في صلب المتن زيادات لم ترد في الأصل، وجعلناها بين قوسين (...).

أما الحاشية الأخرى فقد خصصناها للتعاليق، شرحنا فيها ما يحتاج إلى شرح من كلمات وعبارات، وحاولنا إرجاع كل نص إلى أصله مع الإحالة على مصدره.

وخرجنا بعض الاثار الواردة في المتن، وأشرنا إلى أرقام الايات وسورها، وترجمنا لبعض الاعلام التي لم يسبق التعريف بها في الأجزاء السالفة، وربما أعدنا ترجمتها، أو أشرنا إلى الأجزاء التي مرت بها - حرصا على افادة القارىء.

ووضعنا فهارس مفصلة توضح محتوياته ، وتكشف عن أهم أبحاثه وموضوعاته.

ولا يفوتنا أن نزجي شكرنا الجزيل، للاساتذة الأفاضل : عمر الجيدي، والبتول علي، ومصطفى ازباخ، على ما قدموه لنا من عون، فكلفوا أنفسهم عناء المقابلة مع نسخة (ك) - بالخزانة العامة بالرباط - حيث لم يتيسر لنا تصويرها.

والله نسأل أن يتقبل عملنا، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

الرباط في 15 رمضان 1399

9 غشت 1979

المحققان

ومما لم يكمله من مؤلفاته، كتاب «الفنون (1) الستة، في أخبار سبتة» . وكتاب «غنية الكاتب، وبغية الطالب» - في الصدور (2) والترسيل.

هكذا قال ابن الخطيب. (3) وقال ابن خاتمة في «مزية المرية» وكتاب فيه سؤالات وترسيل له - في نحو أربعة أسفار. وانظر هذا الذي قال ابن خاتمة ، هل هو «غنية الطالب» المذكور أو غيره ؟ وكتاب تاريخ المرابطين (4) - انتهى فيه إلى سنة أربعين وخمسمائة. قال ذلك ابن خاتمة في «المزية».

5) له : ك ل - ن.
6) أو غيره : ك ن - ل.

---

1) هكذا سماه ابنه في التعريف ص 117. وابن الخطيب في الاحاطة ورقة 183 - أ. وقال فيه : انه مما تركه في المبيضة. وذكره في كشف الظنون 2 / 1186 - باسم «العيون الستة، في أخبار سبتة». ومثله في هدية العارفين 1 / 805. وانظر تاريخ الفكر الأندلسي ص 283. - والكتاب يعد مفقودا.
2) هكذا أورده ابنه في التعريف ص 117. وفي كشف الظنون : (صدور الرسائل).
3) سبق قلم. بل الذي قال ذلك ابنه - كما أشرنا إلى ذلك آنفا. والذي لابن الخطيب في الاحاطة : (في الصدور والرسائل).
4) مفقود.

وقال ابن حمادة البرنسي (5) : انه ألف كتاب جامع التاريخ.
فأربى على جميع المؤلفات. فيه أخبار الملوك بالأندلس والمغرب من
دخول الإسلام إليها (6). واستوعب فيه أخبار سبتة. وقضاتها وفقهائها.
وجميع ما جرى من الأمور فيها. واستوعب أخبار الدولة الحسنية (7).
5 قال جامع هذا التأليف : انظر هذا. هل هو المذكور عند ابن خاتمة
أو غيره . وكتاب «الأجوبة المحبرة. على المسائل المتخيرة».
قال ابنه : وجدت منها يسيرا. فضممته إلى ما وجدته في بطائقه.
وعند أصحابه من معان شاذة في أنواع شتى. سئل عنها - رحمة الله عليه
- فأجاب : جمعت ذلك في جزء (8). وكتاب أجوبة القرطبيين. قال
10 ابنه : رأيت هذه الترجمة بخطه. ولم أجد لها عنده مبيضة. غير اني
وجدتها بطائق فجمعتها مع أجوبة غيرهم (9) وأجوبته مما نزل في أيام

---

1) ألف : ل ن - ك.
3) فيه : ل ن - ك.
4) واستوعب : ل ن. واستوفى : ك.
7) فضممته : ك ل. فاضفته : ن.
10) لها : ل - ك ن.

---

5) أبو عبد الله محمد بن حمادة البرنسي السبتي. من تلاميذ عياض. اختصر ترتيب المدارك. كذا ذكره أحمد بابا في نيل الابتهاج ص 361. وفي الجذوة ص 34. والسلوة 3 / 309 - تسميته بعلي بن موسى بن حمادة. قالا فيه : انه من أهل عدوة سبتة. ويكنى أبا الحسن. كان من أهل العلم والادب والنباهة. توفي بفاس سنة (564 هـ).

6) كذا في سائر الأصول التي بين أيدينا. ولعل الانسب (منذ دخول الإسلام إليهما).
7) يعني دولة الأدارسة.
8) انظر التعريف ص 118. والكتاب يعتبر مفقودا.
9) يريد مع أجوبة غير القرطبيين.

قضائه من نوازل الأحكام في سفرين (10)، وكتاب «سر السراة، في آداب القضاة (11)».

قال ابن خاتمة في «المزية»، للقاضي عياض - رحمه الله - : تآليف مفيدة كتبها الناس عنه وانتفعوا بها، وكثر استعمال كل طائفة لها -

5 انتهى.

وقال الإمام الرحال، أبو عبد الله بن جابر الوادى آشي - رحمه الله حدثني شيخنا الفقيه الكاتب البليغ المجاور بحرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم، المدفون في بقيعه، أبو القاسم خلف ابن الشيخ، المرحوم أبي الاصبغ عبد العزيز بن محمد الغافقي القبتوري (12)، انه تذاكر مع

10 بعض أصحابه ببجاية أبا الفضل هذا وتواليفه، فأنشد فيه ارتجالا بها، وذلك في أواسط ربيع الأول المبارك من عام خمسة وتسعين وستمائة، وسمعتها منها بتونس بمنزله عند جوازه مشرقا علينا في أوائل رجب من العام المذكور،

---

7) بحرم رسول الله ، ك ل. بحرم الله ، ن.

9) ابى الاصبغ ، ل. أبو الاصبغ ، ك ن.

10) فأنشد ، ك ن. وأنشد ، ل.

---

10) عنونها ابنه بـ (مذهب الحكام، في نوازل الاحكام) وتوجد نسخة منها بالخزانة الملكية رقم (4042)، ونص - هنا - على أنها في سفرين. والذي عند ولده في التعريف أنها جزء واحد.

11) يعد مفقودا.

12) أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري - بفتح القاف وسكون الموحدة، وفتح التاء وسكون الواو بعدها راء - الاشبيلي كتب لأمير سبتة، وحج مرتين، توفي بالمدينة المنورة سنة (704 هـ 1304 م).
انظر في ترجمته الدرر الكامنة 2 / 175، وبغية الوعاة ص 242، والنفح 2 / 595.

عياض امام لا يضاهى جلالـــة فما عوض من كتبه الدهر بالملفى

«مشارقه» «اكماله» شهـدا لـــه بسبق أرى السباق فيه له خلفـا

وحسبك ريا «بالشفاء» لذى صدى لمودعه من وصف خير الورى اشفى

وأعجب «تنبيهاته» اللاء أوسعـت غوامض اعيت رائمى فهمها كشفـا

5 وما مدرك شأو له في «مـدارك» فاحسانه احسان ما قبلها قفـى

وكم ذا له من مثلهن مصنفـا تقرط اذن الدهر من ذهب شنفـا

وليس يوفى الدهر حصر محاسـن بها فخر عصر كان منجبه وفـى

ومـا غيـر احفـاء لسـن يراعـه يفيد الذي في البحث عن فضله احفى

انتهى

10 ولما شرعت في هذا المجموع الموسوم بـ «أزهار الرياض، في أخبار عياض»، وذكرت يوما هذه التسمية لصاحبنا الفقيه النبيه الاديب، سيدي علي بن أحمد الشامي ـ حفظه الله، واستنهضت فكره السليم لنظم يصلح اثباته هنا في وصف القاضي عياض وكتبه وغير ذلك، فكتب لي من الغد ما نصه :

---

2) السباق فيه : ك ل. السبق الجميل : ن.
3) صدى : ك ل. ضنى : ن. كشفا : ك ل. سيفا : ن.
4) تنبيهاته : ن بتنبيهاته ك ل.
5) شأوا : ك ل. شيا : ن.
6) وكم ذا له من مثلهن : ك ل. وكم ذا لدين المسلمين : ن.
تقرط : ك ل. فقرط : ن.
8) يراعه : ك. يراعة : ل ن.
10) في أخبار عياض : ك ل ـ ن. يوما : ك ل ـ ن. على بن أحمد : ك ن. أحمد بن علي : ل ـ وهو تحريف.
12) وغير ذلك : ك ل ـ ن.

يمينا ما الازاهر في رياض ولا الغزلان في ورد الحياض
ولا الخيلان في الوجنات تبدو لصب لامعات في بياض
ولا الغدران في الفلوات تندى لصاد نابعات في افتياض
بابدع من تآلف منتماة إلى قاضي ائمتنا عياض

5 وحذف الياء من تآليف، وقد تقدم مثله في نظم (13) الإمام أبي القاسم بن رضوان.

وأنشدني المذكور ـ (حفظه الله تعالى ـ) أيضا :

عياض سمت فخرا تآليفك التي حوت ماحوت من حسن ربح لمبتاع
فمن لم تكن منها لديه ذخيرة فلا نال من دنياه نفعا بامتاع

10 «فائدة». في تعليق البسيلي (14) على التفسير مما التقطه من كلام شيخه ابن عرفة ـ : ان تقي الدين بن تيمية (15)، قال ـ لما رأى شفاء القاضي أبي الفضل عياض ـ : غلا هذا المغيربي ! قال : وإلى الرد عليه أشار شيخنا ابن عرفة ـ رحمه الله ـ تعالى بقوله :

---

3) تندى : ل ن. تندو : ك.
7) حفظه الله تعالى : ن ـ ك ل.
8) تاليفك : ل ن. بتآليفك : ك.
9) فلا : ك ل. فما : ن.
12) المغيربى : ل ن. المغريبى : ك.

---

13) يعنى قوله : (هو للتآلف روح صورتها) ـ انظر ج 4 / 285. رقم (707).
14) أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالبسيلي، قال في نيل الابتهاج 77 ـ : له تقييد جليل في التفسير، قيده عن ابن عرفة، فيه فوائد وزوائد ونكت ..)، وكان حيا سنة (785 هـ 1383م) وانظر الحلل السندسية، في الأخبار التونسية 3 / 650.
15) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية شيخ الإسلام (ت 728 هـ ـ 327 ام) انظر فوات الوفيات 1 / 62، والبداية 14 / 135، والدرر الكامنة 1 / 144، والنجوم الزاهرة 9 / 271، ودائرة المعارف الإسلامية 1 / 109.

شفاء عياض في كمال نبينـــــا كواصف ضوء الشمس ناظر قرصها
فلا غرو في تبليغه كنه وصفـــــه وفي عجزه عن وصفه كنه شخصهـا
وان شئت شبهه بذكر امـــــارة بأصل لبرهان مبين لنقصهـــا
وهذا لقول قيل عن زائغ ، غــــلا عياض فتبت ذاته عن محيصهـــا

5 ونسب البسيلي المذكور لابن تيمية القول بالجهة. وكتب بعضهم على طرة البسيلي ما نصه ، رأيت أسئلته ـ أي ابن تيمية ـ في أسفار ، فلا تسأل عن اطلاعه وحسن تصرفه، والتجسيم نسبه له أبو حيان في آية الكرسي (16). وأبو حيان مدحه بقصيدة (17). ثم عاداه، فوجب التوقف في نقله لأجلها. ولم يزل حاله في ظهور حتى ناظر السبكيين. ومناظرته
10 معهم حجة باهرة في فضله . وقد أثنى على عياض فلا يصح عنه ذمه، أو أراد أن القتل لا يقول به من الأربعة غير مالك. ولهذا رد حكم هذا الباب إليه في البلاد المشرقية ـ انتهى ما في الطرة.

قلت ـ ، اما علمه. فأمر لا ينكر ولا يجحد ، وقد رأيت مؤلفا (18)

---

1) ضوء الشمس ، ك. ضوءا للشمس ، ل ن.
3) شبهه ، ك ل. تشبيها ، ن.
11) غير مالك ، ك ل. إلا مالك ، ن.

---

16) لم ينسب له أبو حيان في آية الكرسي شيئا. ولعله هو الذي يعنيه في آية 18 ـ من سورة الأنعام ، ((وهو القاهر فوق عباده ..)) ـ بقوله ، ((وأبعد من هذا قول من ذهب إلى أنها (فوق) ـ هنا حقيقة في المكان. وانه تعالى حال في الجهة التي فوق العالم. إذ يقتضى التجسيم ...)).
انظر البحر 4 / 88 ـ 89.
17) انظرها في النفح ج 2 / 178.
18) لعله يعنى به تاليف محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الشافعي (ت 842 هـ 1438م). الموسوم بـ «الرد الوافر. على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر» ـ وقد طبع ، انظر سركيس معجم المطبوعات ص 1626.

في التعريف به، ومحاشاته عما نسب إليه من التجسيم وغيره من المقالات الشنيعة. وذكر فيه قصيدة أبي حيان التي مدحه بها. وثناء الاكابر عليه. وغير ذلك من أموره. وكتب بالموافقة على ذلك. الحافظ ابن حجر (19) والعينى (20) والبساطي (21) وغيرهم. وقال بعض هؤلاء ، 5 إن مسألة الزيارة التي رد عليه فيها السبكي، لاتوجب في حقه بدعة؛ وغاية ما هنالك انه أخطأ فيها. والتسليم في أمره أسلم. وهؤلاء نزهوه عن القول بالجهة. وهم أعرف بحاله من غيرهم - وان صرح بخلاف ذلك غير واحد من المغاربة. منهم الحاج الرحال ابن بطوطة (22). فإنه قال في رحلته ، شاهدته نزل درجة وقال ، ان الله ينزل كما انزل انتهى (23) -

---

3) بالموافقة ، ك ل - ن.

4) هؤلاء ، ل ن. ذلك ، ك.

6) أنا ، ك ل - ن.

---

19) تقدمت ترجمته. انظر ج 1 / 25 رقم (3). و ج 4 / 153. رقم (1).

20) أبو عبد الله محمود بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي. مؤرخ من كبار المحدثين. ولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية. ونظر السجون (ت 855 هـ - 1451م).
انظر الضوء اللامع 10 / 131. وخطط مبارك 6 / 10. والجواهر المضية 2 / 165.

21) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي - نسبة إلى بساط - من الغربية بمصر. تولى قضاء المالكية بالديار المصرية. (ت 842 هـ 1438 م).
انظر بغية الوعاة ص 13. والضوء اللامع 7 / 5. وشذرات الذهب 7 / 245.

22) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة الرحالة المؤرخ الشهير (ت 779 هـ - 1377 م) انظر في ترجمته ، الدرر الكامنة 3 / 480. والرحالة المسلمون ص 136. ودائرة المعارف الإسلامية 1 / 199.

23) ولفظه في الرحلة ، (.. فحضرته يوم الجمعة - وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم. فكان من جملة ما قال ، ان الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا - ونزل درجة من درج المنبر ..) ج 1 / 57. - تأمله مع ما ذكروه من ان ابن بطوطة عندما دخل دمشق كان ابن تيمية في السجن. ولم يخرج منه حتى مات.
انظر «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لبهجة البيطار ص 36 - 37. ومجلة «الهدي النبوي» ع 4م 15 ص 202 - 207.

عياذا بالله من هذه المقالة ! وقد صرح بذلك أيضا بعض سلفنا، وهو الإمام القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد المقري التلمساني (24) - رحمه الله - في أول رحلته المسماة بـ «نظم اللئالى، في سلوك الامالي» - عندما تعرض لشيخيه ابني الإمام (25) التلمسانيين، وهأنا اثبت كلامه
5 بطوله، لما اشتمل عليه من ذكر أمر ابن تيمية وغير ذلك من الفوائد البديعة، وقد بدأ بهذين الشيخين في رحلته المذكورة بعد ان قدم ذكر نسب نفسه وأوليته - حسبما ننقل ذلك بقريب - ان شاء الله سبحانه وتعالى، لانا سنتعرض للتعريف به إذ قد عرفنا بغيره من الاعلام، فتمين ان نذكره، لأن الإنسان مجبول على خبر أسلافه، ومن له به تعلق، ونص
10 كلامه :

فممن اخذت عنه واستفدت منه، علماها - يعني تلمسان - الشامخان، وعالماها الراسخان، أبو زيد عبد الرحمان، وأبو موسى عيسى، ابنا محمد بن عبد الله ابن الإمام، وكانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك إلى تونس، فأخذا بها عن ابن جماعة، وابن العطار،

---

7) بقريب ، ك ل، قريبا ، ن.
8) سنتعرض ، ك ل، نتعرض ، ن.
9) الإنسان مجبول ، ك ل، الأنفس مجبولة ، ن. ومن له به تعلق ، ك ل - ن. خبر ، ل. حب ، ك ن. ونص كلامه ، ل ن، ونصه ، ك.
13) عيسى ، ك ل نفح - ن.
14) ابن جماعة ، ك ل نفح، جماعة ، ن. وابن العطار ، كل نفح، كابن العطار ، ن. واليفرني ، ل نفح، والبقرني ، ك، واليقوني ، ن. والذي في البستان . ونيل الابتهاج : والبطرني، وفي الإحاطة، والبروني، الحلية ، ك ل نفح، الجلة ، ن.

---

24) تقدمت ترجمته عند المؤلف ج 4 / 204 رقم (643) انظر الاحاطة 2 / 236. والبستان ص 144، وتعريف الخلف - 2 / 493، وشذرات الذهب 6 / 193. وشجرة النور ص 232.
25) انظر ترجمتهما في «التعريف» ص 28، والديباج ص 152، ونيل الابتهاج ص 139.

واليفرني، وتلك الحلبة، وأدركا المرجاني وطبقته من اعجاز المائة السابعة. ثم وردا في أول المائة الثامنة تلمسان على أمير المومنين أبي (26) يعقوب وهو محاصر لها. وفقيه حضرته يومئذ ، أبو الحسن علي بن يخلف التنسى (27)، وكان قد خرج إليه برسالة من صاحب تلمسان
5 المحصورة فلم يعد، وارتفع شأنه عند أبي يعقوب حتى انه شهد جنازته. ولم يشهد جنازة أحد ممن قبله، وقام على قبره وقال ، نعم الصاحب فقدنا اليوم.

حدثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان ، ابو عبد الله محمد بن محمد ابن مرزوق (28) العجيسي ان أبا يعقوب طلع إلى جنازة التنسى في
10 الخيل، حوالي روضة الشيخ أبي مدين فقال لي ، كيف تتركون الخيل تصل إلى ضريح الشيخ ؟ هلا عرضتم هنالك ـ وأشار إلى حيث المعراض الآن خشبة ؟ ففعلنا. فلما قتل أبو يعقوب، وخرج المحصوران، انكرا ذلك فاخبرتهما، فاما أبو زيان (29) ـ وكان السلطان يومئذ ـ فنزل وطأطأ رأسه ودخل.

---

2) المسلمين ، ك ن نفح. المومنين ، ل.
3) لها ، ك ل نفح. بها ، ن.
12) خشبة ، ل ن نفح ـ ك.
13) فأخبرتهما ، ك ل نفح. فاجرتهما ، ن.

---

26) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، سلطان المغرب (ت 706 هـ ـ 1306 م). انظر التعريف ص 29. والدرر الكامنة 4 / 480، والاستقصا 3 / 85.
27) انظر البستان ص 123.
28) أراد به ابن مرزوق (الجد). انظر البستان ص 184.
29) يعنى أبا زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان. انظر أخباره في العبر 7 ـ 125 ـ 139. والاستقصا 2 / 138.

واما أبو حمو (30) - وكان أميرا - فوثب وخلفها. ولما رجع الملك
إلى هذين الرجلين، اختصا ابني الإمام، وكان أبو حمو أشد اعتناء بهما،
ثم بعده ابنه أبو تاشفين، ثم زادت حظوتهما عند أمير المسلمين أبي
الحسن (32) - إلى أن توفى أبو زيد في العشر الأوسط من شهر رمضان
5 الذي من عام أحد وأربعين وسبعمائة بعد وقعة طريف (33) بأشهر،
فزادت مرتبة أبي موسى عنده إلى أن كان من أمر السلطان بإفريقية ما
كان في أول عام تسعة وأربعين، وكان أبو موسى قد صدر عنه قبل
الوقعة، فتوجه صحبة ابنه أمير المومنين أبي عنان (34) إلى فاس، ثم

3) أبو ، ل ن نفح - ك.
4) الأوسط ، ل ن نفح، الاواسط ، ك. شهر ، ل - ك ن نفح.
6) مرتبة ، ل نفح ، رتبة ، ك ن.
8) العسرة ، ن، الوقعة ، نفح، الفسدة ، ك ل.
10) خطيب ، ك ل نفح، ففيه ، ن. الفاسية ، ك ن، الفارسية ، ل - وهو تحريف.

---

30) أخو أبي زيان، ويسميه ابن خلدون أبا حمو الاوسط، وهو موسى بن أبي سعيد عثمان بن يغمرسان، (ت 718 هـ 1318م) انظر العبر 7 / 141، 183، 189، 202 - 203، 207، 209، 337، 386، 504، 511، 520، 521.
31) أبو تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو، تولى الملك بعد أبيه، وكانت وفاته سنة (737 هـ 1336م) انظر تفاصيل أخباره في العبر 7 / 211، 217 - 218، 221، 225، 227، 229، والاستقصا 5 / 119 - 120، 123 - 126.
32) وهي واقعة السلطان أبي الحسن المريني بمدنية طريف بالأندلس، وكانت الدائرة فيها عليه، انظر تفاصيلها في العبر 7 / 544.
33) أبو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (ت 752 هـ 1351م) انظر العبر 7 / 525 - 529، 547، 550، 578، 581 597، والاستقصا 3 / 108 - 181.
34) أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني، وكان يلقب بالمتوكل، ثار على أبيه وملك المغرب الأقصى وبجاية، وقسنطينة، وتلمسان، وتونس (ت 759 هـ - 1357م) انظر العبر 7 / 601 - 621، وصبح الاعشى 5 / 198، والاستقصا 3 / 81 - 208.

رده إلى تلمسان ـ وقد استولى عليها عثمان بن عبد (35) الرحمان بن يحيى بن يغمراس بن زيان، فكان عنده إلى أن مات الفقيه عقب الطاعون (36) العام.

قال لي خطيب الحضرة الفاسية، أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله
5 ابن مالك بن عباد الرندى (37) ـ لما أزمع الفقيه ومن أطلق معه على القفول إلى تلمسان بت على تشييعهم . فرأيت كأني نظمت هذا البيت في المنام :

وعند وداع القوم ودعت سلوتي   وقلت لها بيني فأنت المودع

فانتبهت وهو فى في، فحاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسر
10 لي مثله. ولما استحكم ملك أبي تاشفين واستوثق ، رحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين وسبعمائة، فلقيا علاء الدين القونوى (38)، وكان بحيث انى لما رحلت، فلقيت أبا علي حسين بن حسين (39)

---

6) فرأيت ، ل. فرأيتنى ، ك ن نفح.
9) في ، ك ل نفح. فمي ، ن.
10) أبى ، ك ل نفح ـ ن. رحل ، ك ل نفح. دخل ، ن.

---

35) أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمان بن يغمراسن. انظر أخباره في تاريخ ابن خلدون ج 7 / 583 ـ 584. والاستقصا 3 / 163 ـ 165.

36) يعنى عام (749 هـ 1348م) انظر التعريف بابن خلدون ص 29 ـ 33، ودرة الحجال ص 408. ونيل الابتهاج ص 167.

37) كذا أورده السراج في فهرسته. وذكره ابن الخطيب القسمطيني في «انس الفقير» ـ باسم محمد بن ابراهيم. وهو شارح الحكم. تقدمت ترجمته في ج 4 / 192 رقم (632) وانظر النفح 5 / 341 ـ 350.

38) أبو الحسن علي بن اسماعيل القونوي علاء الدين. فقيه شافعي (ت729 هـ). انظر بغية الوعاة ص 329. والبداية والنهاية 14 / 147. والدرر الكامنة 3 / 24.

39) قال فيه أبو عبد الله المقري ، امام المعقولات ـ بعد ناصر الدين ـ كما يأتي. وانظر النفح 5 / 250.

ببجاية. قال لي ، ان قدرت أن لا يفوتك شيء من كلام علاء الدين القونوى حتى تكتب جميعه فافعل. فانه لا نظير له.

ولقيا أيضا جلال الدين القزويني صاحب (40) البيان. وسمعا صحيح البخاري على الحجار ـ (41) وقد سمعته أنا عليهما. وناظرا تقي
5 الدين بن تيمية وظهرا عليه. وكان ذلك من اسباب محنته.

وكانت له مقالات شنيعة من امرار حديث النزول على ظاهره. وقوله فيه ، كنزولي هذا. وقوله فيمن سافر إلى المدينة لا ينوي إلا زيارة القبر الكريم. لا يقصر حتى ينوي المسجد. لحديث لا تشد الرحال. وكان شديد الانكار على الإمام فخر الدين (42).

10 حدثني شيخي العلامة أبو عبد الله الآبلي (43). أن عبد الله بن ابراهيم الزموري. أخبره انه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه ،

---

3) سمعا ، ن نفح. سمعنا ، ك ل.

7) إلى المدينة ، ك ل. للمدينة ، ن.

10) الآبلي ، ل ن. الأيلي ، ك. وهو تحريف.

---

40) يعني صاحب تلخيص المفتاح في علوم البلاغة. وهو أبو المعالي قاضي القضاة محمد بن عبد الرحمان القزويني الشافعي (ت 739 هـ ـ 1338م) ـ انظر بغية الوعاة ص 66. ومفتاح السعادة 1 / 168. وج 2 / 217. وكشف الظنون 473. و 1009. والنجوم الزاهرة 9 / 318. والوافي بالوفيات 3 / 242. والدرر الكامنة 4 / 3. وطبقات الشافعية 5 / 248.

41) هو أبو العباس أحمد بن الشحنة الحجار ـ ويأتي للمؤلف.

42) يعني الرازي ـ انظر في ترجمته طبقات الأطباء 2 / 23. والوفيات 1 / 474. ومفتاح السعادة 1 / 545. ولسان الميزان 4 / 426 وطبقات الشافعية الكبرى 5 / 33.

43) محمد بن ابراهيم الآبلي ـ بمد وموحدة مكسورة ـ نسبة إلى آبلة من البلاد الجوف الأندلسي ـ إلى الشمال الغربي من مدريد. من شيوخ أبي عبد الله المقري (ت 757 هـ 1307م) وستاتي ترجمته عند المؤلف. وانظر الدرر الكامنة 3 / 288. ونيل الابتهاج ص 244. وجذوة الاقتباس ص 144. ووفيات الونشريسي ص 123.

محصل في أصول الدين حاصلـــه من بعد تحصيله علم بلا ديـــن
أصل الضلالة والافك المبين فمـا فيه فأكثره وحـــي الشياطيـــن

قال ، وكان في يده قضيب فقال ، والله لو رأيتـه لضربتـه بهـذا القضيب هكذا ، ثم رفعه ووضعه ! وبحسبك ما ظهر لهذين الرجلين من 5 الصيت بالمشرق. اني لما حللت ببيت المقدس وعرف به مكاني من الطلب، وذلك اني قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم (44) ليضع لي يده على رسم استوجب به هنالك حقا. فلما اطللت عليه عرفه بي بعض من معه. فقام إلي حتى جلست. ثم سألني بعض الطلبة بحضرته. فقـال لي ، انكم - معشر المالكية - تبيحون للشامي يمر بالمدينة ان يتعدى 10 ميقاتها إلى الجحفة. وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن عين المواقيت لأهل الآفاق - ، هن لهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن (45). وهذا قد مر على أهل ذى الحليفة، وليس من أهله فيكون له. فقلت له ، ان النبي - صلى الله عليه وسلم قال ، من غير أهلهن - أي من غير أهل المواقيت. وهذا سلب كلي، وانه غير صادق على هذا الفرد ضرورة 15 صدق نقيضه - وهو الايجاب الجزئي عليه، لأنه من بعض أهل المواقيت

7) أطللت ، ل نفح. اطلت ، ك ن.
9) يمر بالمدينة ان يتعدى ، ك ل نفح. ان يمر بالمدينة ويتعدى ، ن.
13) من غير أهل ، ل نفح ، من أهل - بإسقاط (غير) ، ك ن.

44) أبو عبد الله محمد بن سالم الكناني الغزي. توفي في حدود نيف وخمسين وسبعمائة هـ - 1349م) انظر الدرر الكامنة 4 / 62 - 63.
45) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. انظر عون المعبود 2 / 76.

قطعا، فلما لم يتناوله النص، رجعنا إلى القياس. ولا شك انه لا يلزم أحدا
ان يحرم قبل ميقاته وهو يمر به. لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمر
بميقاته إذا مر بالمدينة، فوجب عليه الاحرام من ميقاتها. بخلاف أهل
الجحفة، فإنها بين أيديهم وهم يمرون عليها. فوقعت من نفوس أهل البلد
5 بسبب ذلك. فلما عرفت أتاني آت من أهل المغرب فقال لي تعلم ان
مكانك في نفوس أهل هذا البلد ميكن، وقدرك عندهم رفيع. وأنا أعلم
انقباضك عن ابني الإمام. فإن سئلت فانتسب إليهما. فقد سمعت منهما
وأخذت عنهما. ولا تظهر العدول عنهما إلى غيرهما. فتضع من قدرك.
فإنما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما وانه لا أحد فوقهما،
10 وليس لما تبني يد الله هادم.

شهدت مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين، عبد الرحمان بن
أبي حمو، ذكر فيه أبو زيد بن الإمام - ان ابن القاسم مقلد مقيد النظر
بأصول مالك، ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي (46)، وادعى
انه مطلق الاجتهاد، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما
15 ليس من قوله، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة. قال، فلو تقيد بمذهبه لم
يخالفه لغيره. فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمساني (47) مثل

---

1) أحدا، ك ل نفح. احد، ن.
2) من أهل الجحفة، ك ل نفح. من الجحفة - بإسقاط (أهل)، ن.
11) شهدت، ل. وشهدت، ك نفح. وحضرت، ن.

---

46) ستأتي ترجمته عند المؤلف - نقلا عن المقري (الجد).
47) أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الفهري، شرف الدين التلمساني ثم المصري. فقيه أصولي (ت 644 هـ - 1246م).
انظر حسن المحاضرة 1 / 233، هدية العارفين 2 / 460 - 461، كشف الظنون ص 491 و 1721، وايضاح المكنون 1 / 430.

فيه الاجتهاد المخصوص، باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك والمزني إلى الشافعي، فقال عمران ، هذا مثال، والمثال لا تلزم صحته . فصاح به أبو موسى بن الإمام وقال لأبي عبد الله بن أبي عمرو ، تكلم. فقال ، لا أعرف ما قال هذا الفقيه. والذي أذكره من كلام أهل العلم، انه

5 لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل. فقال أبو موسى للسلطان ، هذا كلام أصولي محقق. فقلت لهما ـ وأنا يومئذ حديث السن ، ما أنصفتما الرجل، فإن المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق، كذلك تؤخذ على طريق التقريب، ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ ـ اعنى ابن أبي عمرو، وكيف لا وهذا سيبويه يقول ، وهذا مثال ولا يتكلم به (48). فإذا صح ان المثال

10 قد يكون تقريبا، فلا يلزم صحة المثال، ولا فساد الممثل لفساده. فهذان القولان من أصل واحد.

وشهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان، قرىء فيه على أبي زيد بن الإمام حديث لقنوا موتاكم لا إلاه إلا الله في صحيح مسلم (49)، فقال له الأستاذ أبو اسحاق ابن حكم السلوي (50) ، هذا الملقن محتضر حقيقة،

15 ميت مجازا، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم ـ والأصل الحقيقة ؟

---

8) وكيف ، ك ل نفح. كيف ، ن.

11) القولان ، ك ل نفح ـ ن.

---

48) انظر كتاب سيبويه ج 1 ص 53.

49) والحديث أخرجه الجماعة إلا البخاري، وقال السيوطي فيه ، إنه متواتر. انظر فيض القدير على الجامع الصغير 5 / 281 ـ 282. والنووى على صحيح مسلم ج 4 / 237 ـ 238.

50) ابراهيم بن حكم الكناني السلوى، من شيوخ أبى عبد الله المقري (ت 737 هـ 1336م) وستأتي ترجمته عند المؤلف. وانظر نيل الابتهاج ص 39.

فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه، وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح فقلت ، زعم القرافي ان المشتق إنما يكون حقيقة في الحال، مجازا في الاستقبال، مختلفا فيه في الماضي إذا كان محكوما به، اما إذا كان متعلق الحكم كما هنا، فهو حقيقة مطلقا اجماعا . وعلى هذا التقرير
5 لا مجاز (51) فلا سؤال.

لا يقال انه احتج على ذلك بما فيه نظر، لانا نقول ، انه نقل الاجماع - وهو أحد الأربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضا. بل نقول انه اساء حيث احتج في موضع الوفاق، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها. بل هذا أشنع لكونه
10 مما علم كونه من الدين بالضرورة، ثم انا لو سلمنا نفي الاجماع. فلنا ان نقول ان ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة، لأن تلقينه قبل ذلك - إن لم يدهش، فقد يوحش، فهو تنبيه على وقت التلقين، - أي ، لقنوا من تحكمون بأنه ميت، أو نقول ، إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام، ألا ترى اختلافهم فيه ، هل أخذ من حضور
15 الملائكة، أو حضور الأجل، أو حضور الجلاس، ولا شك ان هذه حالة

---

3) محكوما به ، ك ل نفح. محكوما - بإسقاط (به) ، ن.
4) التقرير ، ل ن نفح. التقدير ، ك.
5) فلا سؤال ك ل نفح. فالسؤال ، ن.
10) كونه ، ك ل - ن نفح.

---

51) وقيل إنه مجاز باعتبار ما يؤول إليه - على حد قوله - عليه السلام - من قتل قتيلا. فله سلبه.
انظر فيض القدير ج 5 / 282.

خفية. يحتاج في نصبها دليلا على الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها ـ وهو ما ذكرناه، أو من حضور الموت، وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات، فلما وجب اعتبارها، وجب كون تلك التسمية إشارة إليها ـ والله تعالى أعلم.

5 كان أبو زيد يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبي زيد ، وإذا سلم الإمام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ـ ، (52) ان ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه. لئلا يمر بين يدي أحد، وقد ارتفع عنه حكمه. فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة. قلت ، وهذا من ملح الفقه.

10 اعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب ولبن الآدمي والمباح طاهر (53) ـ بأنه انما يقال في الآدمى لبان، فأجاب بالمنع، واحتج بقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم اللبن للفحل (54). وأجيب بأن قوله ذلك لتشركيه المباح معه في الحكم، لأن اللبان خاص به وليس موضع تغليب، لأن اللبان ليس بعاقل، ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل.

---

9) الفقه ، ك ل ن. الفقيه ، نفح.
12) واجيب ، ن نفح. واجبت ، ك ل. قوله ، ك ل ن. قول ، نفح.
14) بعاقل ، ك ن نفح. عاقل ، ل.

---

52) يعنى به حديث عائشة قالت ، كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول ، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام. رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه.
انظر شرح الرسالة لأبي الحسن ج 1 / 274.
53) انظر مختصر ابن الحاجب اللوحة 3 ـ أ ـ مصورة خاصة .
54) انظر باب لبن الفحل من صحيح البخاري ج 3 ص 159 ـ الطبعة العثمانية بمصر.

تكلم أبو زيد يوما في مجلس تدرسيه في الجلوس على الحرير، فاحتج ابراهيم السلوي للمنع بقول أنس ، فقمت إلى حصير لنا قد أسود من طول ما لبس (55)، فمنع أبو زيد أن يكون انما أراد باللباس الافتراش فحسب ، لاحتمال أن يكون إنما أراد التغطية معه أو وحدها ،
5 وذكر حديثا فيه تغطية الحصير، فقلت ، كلا الأمرين يسمى لباسا، قال الله عز وجل ، **«هن لباس لكم، وأنتم لباس لهن (56)»** وفيه بحث، كان أبو زيد يصحف قول الخونجي (57) في الجمل ، والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها، فيقول ، والمفارقات. ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للاصمعي لما قرأ عليه ،

10 وغررتني وزعمت انك لا بن بالصيف تامر

فقال ،

وغررتني وزعمت انك لا تني بالضيف تامر

---

3) باللباس ... إنما أراد ، ك ل نفح - ن. لاحتمال ، ك ن نفح، الاحتمال ل.
12) وغررتنى ، ك ن نفح. وعززتني ، ل.

---

55) والحديث أخرجه أحمد في المسند بلفظ (صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيت أم سليم على حصير قديم - قد تغير من القدم. انظر ج 3 ص 145.
56) الآية ، 187 - سورة البقرة.
57) أبو عبد الله محمد بن تاماور بن عبد الملك الخونجي، أفضل الدين. فارسي الأصل. انتقل إلى مصر وتولى قضاءها. وكان له معرفة بالحكمة والمنطق. (ت 646 هـ - 1248م).
ومن مؤلفاته ، «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار» - في الحكمة. و «الموجز» - في المنطق. ومثله ((الجمل)) الذي يشير إليه المؤلف ههنا.
انظر في ترجمته ، مفتاح السعادة 1 / 246. وشذرات الذهب 5 / 236 وكشف الظنون ص 1486. و ص 1986.

فقال ، أنت في تصحيفك أشعر من الحطئة. أو كما حكى عن الشافعي انه لما صلى بالخليفة في رمضان. لم يكن يومئذ يحفظ القرآن. فكان ينظر في المصحف. فصحف آيات ، صنمة (58) الله. ـ أصيب به من اساء. (59) ـ إنما المشركون نحس. (60) ـ وعدها اباه. (61) ـ تقية (62) الله خير لكم. ـ (63) هذا ان دعوا للرحمان ولدا. ـ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يعنيه (64).

سمعت أبا زيد يقول ، ان أبا العباس الغماري التونسي (65). أول

1ـ2) عن الشافعي انه لما صلى ، ك ل ن. عمن صلى ، نفح.
2) لم يكن ، ك ل ن. ولم يكن ، نفح.
3) فصحف ، ك ل نفح. فيصحف ، ن. به ، ك ل. بها ، ن نفح. منهم يومئذ، ك ل نفح يومئذ منهم ، ن.

---

58) تصحف عن «صبغة» في قوله تعالى ، صبغة الله ـ الآية ، 138 ـ سورة البقرة.
59) تصحف عن «أشاء» في قوله تعالى «عذابي أصيب به من أشاء» الآية 156 ـ سورة الاعراف.
60) تصحف عن «نجس» في قوله تعالى ، ((يا أيها الذين آمنوا. إنما المشركون نجس)) ـ الآية 28 ـ سورة التوبة.
61) تصحف عن «إياه» ـ في قوله تعالى ، ((وما كان استغفار ابراهيم إلا عن موعدة وعدها إياه)). الآية ، 114 ـ سورة التوبة.
62) تصحف عن «بقية» في قوله تعالى ، ((بقية الله خير لكم إن كنتم مومنين)) ـ الآية ، 86 ـ سورة هود.
63) تصحف عن «هدا» في قوله تعالى ، ((هدا ان دعوا للرحمان ولدا)) ـ الآية 90 ـ سورة مريم.
64) تصحف عن يغنيه» في قوله تعالى ((لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)) ـ الآية 37 ـ سورة عبس.
65) أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمان الغماري. قال فيه تلميذه الغبريني ، شيخنا الفقيه القاضي الجليل. رحل إلى المشرق ولقي جملة من المشايخ. منهم عز الدين بن عبد السلام وغيره. له علم بأصول الفقه. وحظ من أصول الدين. ومشاركة في علم الادب. توفي بتونس سنة (682 هـ ـ 1283م).
انظر عنوان الدراية ص 93. ونيل الابتهاج ص 63. وشجر النور ص 201 .

من ادخل معالم الامام فخر الدين للمغرب، وبسبب ما قفل به من الفوائد. رحل أبو القاسم بن زيتون ، (66) وسمعته يقول ، ان ابن الحاجب الف كتابه الفقهي من ستين ديوانا. وحفظت من وجادة انه ذكر عند أبي عبد الله بن قطرال المراكشي (67). ان ابن الحاجب اختصر
5 الجواهر. فقال ، ذكر هذا لأبي عمرو حين فرغ منه. فقال ، بل ابن شاس اختصر كتابي. قال ابن قطرال ، وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاس. والانصاف انه لا يخرج عنه وعن ابن بشير إلا في الشيء اليسير ، فهما أصلاه ومعتمداه. ولا شك ان له زيادات وتصرفات تنبيء عن رسوخ قدمه وبعد مداه.

10 وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله. حدثني أمير المومنين، المتوكل أبو عنان ان والده أمير المسلمين أبا الحسن، ندب الناس إلى الاعانة بأموالهم على الجهاد. فقال له أبو زيد ، لا يصح لك

---

10) يخشون ، ك ل نفح. يخافون ، ن.
12) يصح ، ك ل نفح. يصلح ، ن. فيه ، ك ل ن ـ نفح.

---

66) أبو القاسم بن أبي، بكر. الشهير بابن زيتون التونسي.
قال فيه تلميذه العبدري ، الشيخ الفقيه الحسيب، العالم الفاضل. الكامل الزكي الرضى. مفتى إفريقية. والمنظور إليه بها. وقطب أصولها وفروعها. والمرجوع إليه في أحكامها من غير مدافع ولا منازع. (ت 691 هـ ـ 1292 م).
انظر الرحلة العبدرية ص 256. وعنوان الدراية ص 97. ونيل الا بتهاج ص 222.

67) أبو عبد الله محمد بن علي بن قطرال الأنصاري. من أهل مراكش. كان عالما فاضلا فقيها محدثا. زاهدا ورعا. جاور بمكة. وبها توفى سنة (710 هـ 1310م).
انظر الدرر الكامنة 4 / 202. ولقط الفرائد ص 169. والاعلام لعباس بن ابراهيم 4 ـ 338 ـ 340.

هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي بن ابي طالب (68).

وسأله أبو الفضل بن أبي مدين الكاتب (69) ذات يوم عن حاله ـ وهو قاعد ينتظر خروج السلطان. فقال له ، اما الآن فانا مشرك. فقال ، أعيذك من ذلك. فقال ، لم أرد الشرك في التوحيد. لكن في التعظيم والمراقبة. وإلا فاي شيء جلوسي هاهنا ؟ والشيء يذكر بالشيء، قمت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه. فقام إلى جانبي شيخ من الطلبة . وأنشدني لأبي بكر بن خطاب (70) ،

أبصرت أبواب الملوك تغص بالـ ـر اجين ادراك العلـى والجـاه
مترقبين لها فمهما فتحت خروا لاذقان لهم وجباه
فأنفت من ذاك الزحام وأشفقت نفسي على انضاء جسمي الواهي
ورأيت باب الله ليس عليه من متزاحم فقصدت باب الله
وجعلت من دونهم لي عدة فأنفت من غيي وطول سفاه

3) أبو ، ل ن نفح ـ ك.
7) والشيء يذكر بالشيء ، ل ن. والشيء بالشيء يذكر ، ك نفح.
9) العلا ، ل ن نفح. النيل ، ك.
11) الواه ، ك ل ن. الواهي ، نفح.
13) فأنفت ، ك ل ن. وانفت ، نفح. غيي ، ك ل نفح. عيبي ، ن.

68) وانظر في الموضوع رسالة ابن الفراء الى ابي يوسف ابن تاشفين. النفح 386/3.
69) كذا سماه ابن خلدون (أبو الفضل بن أبي مدين)، وذكره مرة أخرى باسم (أبو الفضل بن محمد بن أبي مدين) وهو الذي عند صاحب الاستقصا. ولعله الانسب.
انظر مستودع العلامة ص 46. وتاريخ ابن خلدون ج 7 ص 552 ـ طبع دار الكتاب اللبناني. والاستقصا ج 3 / 127 ـ طبع دار الكتاب ـ الدار البيضاء.
70) هو عزيز بن خطاب المرسي. كان في أول أمره ناسكا زاهدا. ثم امتحن برئاسة بلده سنة (636 هـ 1238م) فأوغل في سفك الدماء. واجترى على الأموال من غير وجهها. إلى أن قتل في نفس السنة (636 هـ ـ 1238م).
انظر التكملة رقم 1952. وصلة الصلة ص 165. والذيل والتكملة 5 / 144.

قال جامع هذا، أحمد بن محمد المقري - وفقه الله - ، رأيت على قوله ورأيت باب الله - البيت بخط الإمام عالم الدنيا ، أبى عبد الله بن مرزوق شارح خليل وصاحب التآليف البديعة، بطرة رحلة القاضي أبي عبد الله المقري، مشيرا إلى البيت المذكور ما نصه.

5 قلت ذلك لسعته أو لقلة أهله ،

ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

قل ، «لا يستوى الخبيث والطيب» - الآية (71) - انتهى.

رجع ، وحدثني شيخ من أهل تلمسان، انه كان عند أبي زيد مرة. فذكر القيامة وأهوالها، فبكى ، فقلت ، لا بأس عليك وأنتم امامنا، فصاح

10 صيحة واسود وجهه، وكاد يتفجر دما، فلما سري عنه، رفع يديه وطرفه إلى السماء وقال ، اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل، واخباره كثيرة.

واما شقيقه أبو موسى (72)، فسمعت عليه كتاب مسلم، واستفدت منه كثيرا، فمما سألته عنه قول ابن الحاجب في الاستلحاق، وإذا استلحق مجهول النسب إلى قوله أو الشرع فشهرة نسبه (73). - ، كيف يصح هذا

---

1) قال ، ك ل ن. يقول ، نفح. المؤلف ، نفح - ك ل ن.
أحمد ... وفقه الله ، ك ل ن - نفح. على قوله ، ورأيت باب الله - البيت - ، ك ل ن - نفح. الإمام ، ك ل ن - نفح.

3_2) أبى عبد الله ، ك ل ن - نفح . شارح خليل .. مشيرا إلى ، ك ل ن نفح على هذا المحل من كلام مولاي الجد مقابل قوله ، (ورأيت باب الله) ، نفح - ك ل ن.

4) ما نصه ،ك ل ن. ما صورته ، نفح.

8) رجع ، ك ل نفح - ن. قال ، ن نفح - ك ل.

9) عليك ، ن. علينا ، ك ل - نفح.

---

71) الآية ، 100 - سورة المائدة.

72) سبقت ترجمته في ص 10 رقم (25).

73) انظر المختصر الفقهي لا بن الحاجب - اللوحة (229 ب) - مصورة خاصة.

القسم مع فرضه مجهول النسب. فقال ، يمكن أن يكون مجهول النسب في حال الاستلحاق، ثم يشتهر بعد ذلك فيبطل الاستلحاق. فكأنه يقول ، لحقه ابتداء ودواما ما لم يكذبه أحد. هاذه في أحد الحالين، إلا ان هذا إنما يتصور في الدوام فقط.

5 ومما سألته عنه ان الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على ما يوهم القطع. وكثيرا ما ينكشف الأمر بخلافه. ولو كتبوا مثلا ظاهر الصحة والجواز والطوع. لبرئوا من ذلك، فقال لي ، لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم - لم يجمل ذكر الظن ولا ما في معناه الاحتمال. فإذا أمكن العلم بمضمونها، لم يجز أن يحمل على غيره. فإذا تعذر كما ههنا. بنى

10 باطن أمرها على غاية ما يسعه فيه الامكان عادة. وأجرى ظاهره على ما لا ينافى أصلها، صيانة لرونقها ورعاية لما كلن ينبغي أن تكون عليه لولا الضرورة. قلت ولذلك عقد ابن فتوح (74) وغيره. عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير. مع أن ذلك انما يدرك بما غايته الظن من

---

1) فشهرة ، ك ل. فشهره ، ن. بشهرة ، نفح.

3) لحقه ، ك ل ن. ألحقه ، نفح. يكذبه ، ل نفح. يكن ، ن.
في أحد ، ك ل ن. هي احدى ، نفح.

6) يوهم ، ك ل نفح. سبيل ، ن.

9) ههنا ، ك ل نفح. هنا ، ن.

11) لرونقها ، ل نفح. وتفهما ، ك ن.

---

74) هو أبو محمد عبد الله بن فتوح بن موسى بن عبد الواحد البتني. الف الوثائق المجموعة. جمع فيه كتب الوثائق . (ت 464 هـ - 1069م).
انظر الصلة ص 271. وشجرة النور ص 179.

الحرز والتخمين. وكانا معا يذهبان الى الاختيار وترك التقليد. ـ انتهى كلام القاضي المقري في حق ابني الامام.

وإذ قد بلغنا الى هذا الموضع، فلنذكر التعريف بهذا الامام الذي هو من أشهر أسلافنا فنقول ؛

5 قال ـ رحمه الله ـ أول كتابه المسمى بـ «نظم اللآلي، في سلـوك الامالي» يقول محمد المقري ـ سمح الله تعالى له ولطف به ـ ، كان مولدي بتلمسان أيام أبي حم موسى بن عثمان بن يغمراس بن زيان، وقد وقفت على تاريخ ذلك، ولكني رأيت الصفح عنه. لأن أبا الحسن ابن مومن سأل أبا الطاهر السلفي عن سنه فقال ، أقبل على شأنك، 10 فإني سألت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال لي ، أقبل على شأنك، فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال لي ، أقبل على شأنك، فاني سألت أبا القاسم ، حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال ، أقبل على شأنك. فاني سألت أبا بكر محمد بن عدى المنقرى عن سنه، فقال ، أقبل على شأنك. فإني سألت أبا اسماعيل الترمذي عن سنه، 15 فقال ، أقبل على شأنك. فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه،

---

7) أبى حم كذا في سائر النسخ. وفي النفح ، أبى حمو.

9) مؤمن ، ل نفح. موسى ، ك ن.

10) أزويان كذا في سائر النسخ. وفي النفح ، بن زيان ـ ولعله الصواب.
سألت أبا الفتح ... سألت أبا القاسم ، ك ل نفح. سألت أبا القاسم ... أبا الفتح ، ن.
ففيهما تقديم وتأخير. والصواب الأول.
السهمي ... فقال أقبل ، ك ل نفح. السهمي .. فقال لي ـ بزيادة (لي) ، ن.

13) فإني سألت أبا بكر محمد .. فإني سألت ، ك ل نفح ـ ن.

14) الترمذي .. فقال أقبل ، ك ل نفح. الترمذي ... فقال لي أقبل ـ بزيادة (لي) ـ ، ن.

فقال ، أقبل على شأنك. فإني سألت الشافعي عن سنه فقال ، أقبل على شأنك. فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال ، أقبل على شأنك. ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه.

وكان الذي اتخذها من سلفنا قرارا. بعد ان كانت لمن قبله مزارا.
5 عبد الرحمان بن أبي بكر بن علي المقري. صاحب الشيخ أبي مدين. الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين. وهو أبي الخامس. فانا ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان. وكان هذا الشيخ عروي (75) الصلاة. حتى انه ربما امتحن بشيء فلم يؤنس منه التفات. ولا استشعر منه شعور. ويقال ان هذا الحضور مما
10 ادركه من مقامات شيخه أبي مدين. ثم قال القاضي أبو عبد الله المقري بعد كلام في ذكر طبقات أسلافنا ما نصه ، ولما درج هؤلاء الاشيـــاخ. جعل ابناؤهم ينفقون مما تركوا لهم. ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم. وصادفوا توالي الفتن. ولم يسلموا من جور السلاطين. فلم يزل حالهم في نقصان. الى هذا الزمان. فهأنذا لم ادرك من ذلك الا اثر نعمة. اتخذنـــا
15 فضوله عيشا وأصوله حرمة. ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب. وأسباب كثيرة تعين على الطلب. فتفرغت ـ بحول الله عز وجل للقراءة.

---

5) الشيخ ، ك ل نفح ـ ن.
8) عروى ، ل ن نفح. عدوى ، ك.
9) استشعر ، ك ل نفح. يستشعر ، ن بشيء ، ن. بغير شي بزيادة (غير) ، ك ل.
12) ينفقون ، ك ل نفح. ينتقون ، ن. التثمير ، ك ل نفح. التشمير ، ن.

---

75) نسبة إلى عروة. ولعله يعنى به عروة بن الزبير. فقد كان يطيل الصلاة. ويكثر فيها من الدعاء. ويسأل الله كل شيء حتى الملح.

فاستوعبت أهل البلد لقاء. وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء. سواء المقيم القاطن. والوراد الظاعن؛ فممن أخذت عند واستفدت منه علماها الشامخان، وعالماها الراسخان ، أبو زيد عبد الرحمان، وأبو موسى عيسى، ابنا محمد بن عبد الله بن الإمام. ثم ذكر جميع ما قدمناه قريبا ثم قال ،
5 وممن أخذت عنه أيضا. حافظها ومدرسها ومفتيها. أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي (76). صهر شيخ المتأخرين أبي علي ناصر الدين (77) على ابنته. وكان قد فر من حصار بجاية فنزل الجزائر. فبعث فيه أبو تاشفين، وأنزله من التقريب والإحسان بالمحل المكين. فدرس بتلمسان الحديث والفقه والاصلين والنحو والمنطق والجدول
10 والفرائض. وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل. مديد الباع فيما سواهما مما ذكر.

سألته عن قول ابن الحاجب في السهو ، «فان اخال الاعراض. فبطل عمده (78)». فقال ، معناه ، فان اخال غيره انه معرض، فحذف المفعول

---

6) المتأخرين ، ك ل ن. المدرسين ، نفح. ابنته ، ك ل نفح. ابنتيه ، ن.
13) عمده ، ك ل نفح - ن.

---

76) قال في نيل الابتهاج ص 215 ، كان فقيها حافظا. علامة محققا كبيرا. (ت 745 هـ - 1344م) .
وانظر تعريف الخلف ج 1 ص 73 ـ 76.
77) أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي قال فيه الغبريني ، الشيخ الفقيه. المحصل المتقن. المجيد المتفنن. رحل إلى المشرق. ولقي أفاضل. (ت 731 هـ ـ 1331م).
انظر عنوان الدراية ص 229. ونيل الابتهاج ص 344 ـ 345. وتعريف الخلف ج 2 ص 57. والوفيات لابن قنفذ ص 54. وبغية الوعاة ص 301.
78) انظر المختصر الفقهي لابن الحاجب. اللوحة (19 ـ ب) مصورة خاصة

الأول لجوازه. واقام المصدر مقام المفعولين كما يقوم مقامه ما في معناه من ان وان. قال الله المظيم ، ((ألم، احسب الناس أن يتركوا)) ـ الآ ية (79).

قلت ، وأقوى من هذا. ان يكون المصدر هو المفعول الثاني . 5 وحذف الثالث اختصارا لدلالة المعنى عليه. أي فان أخال الاعراض كائنا. كما قالوا ، خلت ذلك. وقد اعربت الآ ية بالوجهين. وهذا ـ عندي أقرب.

ومن هذا الباب ما يكتب به القضاة من قولهم ، أعلم باستقلاله فلان ، أي أعلم فلان من يقف عليه بأن الرسم مستقل. فحذفوا الأول. وصاغوا ما بعده المصدر.

سئل عمران ـ وانا عنده ـ عما صبغ من الثياب بالدم. فكانـــت حمرته منه. فقال ، يغسل فإن لم يخرج شيء من ذلك في الماء. فهو طاهر. لأن المتعلق به على هذا التقدير ليس إلا لون النجاسة. وإذا عسر قلعه بالماء فهو عفو. وإلا لوجب غسله إلى أن لا يخرج منه شيء.

قلت في البخاري ، قال معمر ، رأيت الزهري يصلي فيما صبغ 15 بالبول من ثياب اليمن (80) ـ يعنى ـ والله تعالى أعلم ـ بالارشالة.

---

1) الأول ، ك ل ن ـ نفح.
13) لوجب ، ك ل. وجب ، ن نفح.
14) معمر ، ل نفح. نعم ، ك ن.
15) والله تعالى أعلم ، ك ل ن ـ نفح . بالارشالة ، ل ن. بالاشارة ، ك ـ نفح.

---

79) أي الآ ية 2 ـ من سورة العنكبوت.
80) صحيح البخاري ج 1 ص 52. وانظر مصنف عبد الرزاق ج 1 ص 383.

وتفسيره على ما ذكره عمران، وكان قد صاهر قاضي الجماعة أبا عبد الله بن هدية (81) على ابنته، فلم تزل عنده إلى أن توفى عنها.

ومنهم مشكاة الأنوار، الذي يكاد زيته يضيىء ولو لم تمسسه نار. الأستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن حكم الكناني السلوى ـ رحمه الله، ورد 5 تلمسان بعد العشرين، ثم لم يزل بها إلى أن قتل يوم دخلت على بني عبد الوادي، وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان، من عام سبعة وثلاثين (82).

قال لي الشيخ ابن مرزوق، ابتدأ أمر بني عبد الوادي بقتلهم لأبي الحسن السعيد، وكان أسمر لأم ولد تسمى العنبر. وختم بقتل أبي 10 الحسن بن عثمان اياهم ـ وهو بصفته المذكورة، حذوك النعل بالنعل، فسبحان من دقت حكمته في كل شيء! ولما وقف الرفيقان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري، ومحمد بن عبد الرحمان بن

---

2) هدية، ل، هدبة، ك، هربة، نفح، وكلاهما تصحيف، والصواب الأول (هدية).
3) زيته، ك ل نفح، زيتها، ن.
4) الكناني، ك ل، الكنابي، ن ـ نفح، السلوى، ل ن نفح، العلوى، ك وهو تصحيف.
5) من عام سبعة وثلاثين، ك ل ن، عام سبعة وثلاثين وسبعمائة، نفح.
7) بقتلهم، ك ل نفح ـ ن.
10) وقلت، ك ل ن، دقت، نفح، الرفيقان، ك ل نفح، الموافقان، ن.

---

81) ستأتي ترجمته في ص (48).
82) يعني وسبعمائة.
وانظر في ترجمته، نيل الابتهاج ص 39، والنفح ج 5 ص 224 ـ 229.

الحكيم الرندي (83)، في رحلتهما على قبر السعيد بعباد تلمسان، تناول ابن الحكيم فحمة، ثم نقش بها على جدار هنالك :

انظر ففي إليك اليوم معتبـــر إن كنت ممن بعين القلب قد لحظـا
بالأمس أدعى سعيدا ـ والورى خولـي واليوم يدعى سعيدا من بي اتعظـا

5 قال لي ابن حكم : كان أول اتصالي بالأستاذ أبي عبد الله بن اجروم (84)، اني دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب المفصل، فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت :

عهدي به الحي الجميع وفيهم قبل التفرق ميسر وندام (85)

وقد عمي عليهم خبر «عهدي». فقلت له : قد سدت الحال وهي
10 الجملة بعده ـ مسده. فقال لي بعض الطلبة : وهل يكون هذا في الجملة كما كان في قولك : «ضربي زيدا قائما». فقلت له : نعم، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (86)

ذكر أبو زيد بن الإمام يوما في مجلسه، انه سئل بالمشرق عن
15 هاتين الشرطيتين «ولو علم الله فيهم خيرا، لاسمعهم ـ إلى معرضون (87)».

2-1) تناول الحكيم : ك ل. تناول ابن الحكيم : نفح ـ ن. نقش : م ل ن. كتب : نفح بها : ل ن نفح : ك. هنالك : ك ل. هناك : ن نفح.
5) ممن : ل ن نفح ـ ك. القلب : ك ل ن. الفكر : نفح. يدعى : ل ن نفح. ادعى : ك.

---

83) تقدمت ترجمته في الجزء 2 ص 340 و ص 347.
84) هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، الأستاذ النحوي المقرىء (ت 723 هـ ـ 1323م).
انظر جنوة الاقتباس ج 1 / 137. وبغية الوعاة ص 102. والسلوة ج 2 / 112.
85) البيت للبيد انظر ديوانه ص 288 ـ تحقيق احسان عباس.
86) رواه مسلم في الصحيح. انظر ج 2 ص 49 ـ 50.
87) الآية 23 ـ سورة الأنفال.

فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج ، لو علم الله فيهم خيرا، لتولوا، وهو
محال، ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين فقال ابن حكم ، قال
الخونجي ، والاهمال بإطلاق لفظ لو وان في المتصلة. فهاتان القضيتان
على هذا مهملتان، والمهملة في قوة الجزئية. ولا قياس على جزئيتين.
5 فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين، وأخبرته بهذا وبما
أجاب به الزمخشري وغيره مما يرجع إلى انتفاء تكرر الوسط. فقال لي ،
الجوبان في المعنى سواء، لأن القياس على الجزئيتين، إنما امتنع لانتفاء
أمر تكرر الوسط. فأخبرت بذلك شيخنا الآبلي. فقال ، إنما يقوم القياس
على الوسط. ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا
10 سالبتين ـ إلى سائر ما يشترط. فقلت ، ما المانع من كون هذه الشروط
تفصيلا لمجمل ما ينبني عليه من الوسط وغيره. وإلا فلا مانع غير ما قاله
ابن حسين. قال الآبلي ، وقد أجبت بجواب السلوى. ثم رجعت إلى ما
قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية. لأن الشرطية لا تنتج
جزئية. فقلت ، هذا فيما يساق منها للحجة مثل «لو كان فيهما آلهة إلا
15 الله إلا الله لفسدتا (88)». أما في مثل هذا فلا.

---

2) يرى ، ك ل نفح. يحرك ، ن.
ابن حكم ، ل نفح. ابن الحكم ، ن. ابن عبد الحكم ، ك.
4) على ، ن. عن ك ل نفح.
6) فقال ، ك ل ن. قال ، نفح.
11) ينبنى ، ك ل نفح. يبنى ، ن.

---

88) الآية ، 22 ـ سورة الأنبياء.

ولما ورد تلمسان الشيخ الاديب أبو الحسن بن فرحون (89) - نزيل طيبة - على تربتها السلام - سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين:

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلنا بالرقمتين
5 كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

ففكر ثم قال: لعل هذا الرجل كان ينظر إليها وهي تنظر إلى قمر السماء، فهي تنظر إلى القمر حقيقة. وهو لافراط الاستحسان يرى انها الحقيقة، فقد رأى بعينها، لأنها ناظرة الحقيقة. وأيضا فهو ينظر إلى قمر مجازا وهو لافراط استحسانه لها. يرى ان قمر السماء هو المجاز، فقد
10 رأت بعينه لأنها ناظرة المجاز.

قلت: ومن ههنا تعلم وجه الفاء في قوله: فأذكرتني، لأنه لما صارت رؤيتها رؤيته، وصار القمر حقيقة إياها. كان قوله: رأت قمر السماء فاذكرتني، بمثابة قولك: اذكرتني. فتأمله. فإن بعض من لا يفهم

---

2) ابن حكم: ل نفح. ابن الحكم: ك. ابن عبد الحكم: ن.
وهو تصحيف.
7) لافراط: ل ن نفح. لفرط: ك.
9) استحسانه: ك ل ن. الاستحسان: نفح.
11) قلت: ك ل نفح - ن. صارت رؤيتها رؤيته: ك ل نفح. صارت في رؤيتها رؤيته - بزيادة (في): ن.

---

89) لعله يعنى به - على بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمرى المدني. تونسي الأصل. دخل القاهرة ودمشق وسواهما.
صنف التصانيف. وله ديوان شعر. (ت 746 هـ - 1345م) انظر جذوة الاقتباس ص 309.
والدرر الكامنة ج 3 / 190. وهدية العارفين ج 1 / 709.

كلام الأستاذ حق الفهم ينشده واذكرتني، فالفاء في البيت الأول مبنية على معنى البيت الثاني، لأنها مبنية عليه، وهذا النحو يسمى ، الايذان في علم البيان.

ولما اجتمعنا بأبي الوليد بن هاني - مقدمه علينا من غرناطة - 5 سأل ابن حكم عن تكرار من في قوله تعالى ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به (90)» دون ما بعده. فقال ، لولا تكررها أولا. لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان، فارتفع بتكرر الموضوع، اما آخر، فقد تكرر الزمان، فارتفع توهم التضاد، فلم يحتج إلى زائد على ذلك.

فقلت ، فهلا اكتفى بسواء عن تكرر الموضوع، لأن التسوية لا تقع 10 إلا بين أمرين وإنما الجواب عندي انها تكررت أولا على الأصل لأنهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما ان تقع عليه، ثم اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالأول مع امن اللبس. وقد أجاب الزمخشري بغير هذين فانظره (91).

سألني ابن حكم المذكور عن نسب المجيب في هذا البيت ،

15 ومهفهف الا عطاف قلت له انتسب   فأجاب ما قتل المحب حرام

---

6) بعده ، ك ل ن. بعدها ، نفح.
7) بتكرر ، ك ل ن. بتكرار ، نفح.
آخر ، ل. آخرا ، ك ن. الاخر ، نفح.
9) تكرر ، ك ل ن. تكرار ، نفح.
10) عندي ، ل ن نفح. عنده ، ك.
14) ابن حكم ، ك ل نفح. ابن الحكم ، ن.

---

90) الآية ، 10 - سورة الرعد.

91) قال في ج 2 / 516 - 517 ، (... ان في ذلك وجهين ، احدهما ان قولها (وسارب) عطف على من هو مستخف، لا على مستخف، والثاني انه عطف على مستخف. إلا أن (من) في معنى الاثنين، كأنه قيل ، سواء منكم اثنان ، مستخف بالليل وسارب بالنهار).

ففكرت ثم قلت ، أراه تميميا لالغائه ما النافية. فاستحسنه مني لصغر سني يومئذ.

نظرت يوما مع ابن حكم في تكملة محمد (92) بن محمد بن مالك لشرح التسهيل لأبيه. ففضلت عليه كلام أبيه. ونازعني الأستاذ 5 فقلت ،

عهود من الآبا توارثها الأبنا

فما رأيت بأسرع من ان قال ،

بنوا مجدها لكن بنوهم لها ابنى

فبهت من التعجب. وتوفى الشيخ ابن مالك سنة اثنتين وسبعين 10 (93)، وفيها ولد شيخنا عبد المهيمن الحضرمي، فقيل مات فيها امام نحو. وولد امام نحو.

سألت ابن حكم عن قول فخر الدين في أول المحصل ، «وعندى ان

---

1) ما النافية ، ك ل نفح. ما القامة ، ن.

3) نظرت ، ك ل. ونظرت ، ن. تذاكرت ، نفح. حكم ، ك ل نفح الحكم ، ن. أحمد ، ك ل ن . البدر ، نفح. ولعل الصواب ما أثبتناه (محمد).

9) التعجب ، ك ل ن. العجب ، نفح.

11) وولد امام نحو ، ل. وولد فيها امام نحو - بزيادة (فيها) ، ك ن نفح.

---

92) بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك نحوي. ابن ناظم الالفية. محمد بن مالك. له شرح على ألفية والده. و «المصباح» في علوم البلاغة وسواهما (ت 686 هـ - 1287م) . انظر مفتاح السعادة 1 / 156. والنجوم الزاهرة ج 7 / 373. وبغية الوعاة ص 96. وشذرات الذهب 5 / 398. والنفح ج 2 / 233 - 234.

93) يعنى بالشيخ ابن مالك (الوالد) محمد بن مالك الطائي. أحد الائمة في العربية (ت 672 هـ - 1274م). انظر بغية الوعاة ص 53. وفوات الوفيات 2 / 227. وغاية النهاية 2 / 180. وطبقات السبكي 5 / 28 ودائرة المعارف 3 / 359.

شيئا منها غير مكتسب (94)» - بمعنى لا شيء ولا واحد. هل له أصل في العربية أو هو كما قيل من بقايا عجمته. فقال لي ، بل له أصل. وقد حكى ابن مالك مثله عن العرب فلم يتفق ان استوقفه عليه. ثم لم أزل استكشف كل من أظن ان لديه شيئا عنه فلم أجد من عنده أثارة منه حتى مر بي في باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر الداخل عليها. «كان» - من «شرح التسهيل» قوله ، «فان تقدم على الاستفهام أحد المفعولين نحو ، «علمت زيدا أبو من هو» اختير نصبه. لأن الفعل مسلط عليه فلا مانع. ويجوز رفعه لأنه والذي بعد الاستفهام شيء واحد في المعنى. فكأنه في حيز الاستفهام. والاستفهام مشتمل عليه. وهو نظير قولهم «ان احد لا يقول ذلك» واحد هذا لا يقع إلا بعد نفي. ولكن لما كان هنا والضمير المرفوع بالقول شيئا واحدا في المعنى. تنزل منزلة واقع بعد نفي. فعلمت انه نحا إلى هذا. لأن شيئا ههنا والضمير المرفوع بمكتسب المنفي في المعنى شيء واحد. فكان شيئا كأنه وقع بعد غير. أي بعد النفي.

سأل ابن فرحون ابن حكم ، هل تجد في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها في هذا البيت ،

رأى فحب فرام الوصل فامتنعت   فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

---

15) ابن حكم ، ك ل نفح. ابن الحكم ، ن.
16) عنه ، ك ل. منه ، نفح - ن.

---

94) في المحصل ص 3 ، (القول في التصورات وعندي... الخ).

ففكر ثم قال ، نعم. «فطاف عليها طائف من ربك» الى آخرها (95). فمنعت له البناء في «فتنادوا». فقال لابن فرحون ، فهل عندك غيره. فقال ، نعم. فقال لهم رسول الله» ـ إلى آخر السورة (96). فمنع له بناء الاخيرة لقراءة الواو. فقلت ، امنع ولا تسند فيقال لك ان المعاني قد

5 تختلف باختلاف الحروف. وان كان السند لا يسمع الكلام عليه. وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم الى هذا العدد سواء بهذا الشرط وبدونه. كقول نوح عليه السلام ، «فعلى الله توكلت» ـ الآية (97). وكقول امرىء القيس ، غشيت ديار الحي بالبكرات ـ البيتين (98).

لا يقال ، فالحب سامع. لانا نقول انه عطف على عاقل المجرد

10 منها. ولعل حكمة الستة انها أول الاعداد التامة. كما قيل في حكمة خلق السماوات والأرض فيها. وشأن اللسان عجيب.

---

1) ففكر ثم قال ، ل نفح. ففكر ساعة ثم قال ـ بزيادة (ساعة) ، ك ن.

4) الاخيرة ، ك ل ن. الاخرة ، نفح.

فقلت ، امنع ، ل ن نفح. فقلت له أمنع ـ بزيادة (له) ، ن. امنع ولا تسند ، ك ل نفح. يمنع ولا يسند ، ن.

6) وبدونه ، ك ل نفح. أو بدونه ، ن. الصلاة ، ك ن ـ ل نفح. فأجمعوا أمركم ، ن ـ ك ل نفح. عاقل ، ل نفح. فاعل ، ك ن.

---

95) الآيات ، 19 ـ 23 . سورة القلم.

96) الآيات ، 13 ـ 15. سورة الشمس.

97) الآية ، سورة يونس.

98) هما قوله ،

غشيت ديار الحي بالبكرات   فعارمة فبرقة العيرات

فغول فحليت فاكناف منعج   إلى عاقل فالجب ذى الامرات

انظر الديوان ص 81 طبع دار صادر.

وقوله في هذا البيت ، فحب لغة قليلة جرى عليها محبوب كثيرا حتى استغنى به عن محب، فلا تكاد تجده إلا في قول عنترة ،

ولقد نزلت فلا تظني غيره   مني بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حسن، والاكثر أحس ولا تكاد تجد محسا.

5 وهذا التوجيه أحسن من قول القرافي في شرح التنقيح، انهم اجروا محسوسات مجرى معلومات لان الحس احد الطرق العلم.

سمعت ابن حكم يقول ، كتب بعض أدباء فاس إلى صاحب له ،

ابعث إلي بشيء   مدار فاس عليه

وليس عندك شيء   مما أشير إليه

10 فبعث اليه ببطة من مري ـ (99) يشير بذلك الى الرياء. وحدثت ان قاضيها أبا محمد عبد الله بن أحمد بن المجوم، حضر وليمة، وكان كثير البلغم، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الاشقر غضارا من اللون المطبوخ بالمرى لمناسبته لمزاجه، فخاف أن يكون قد عرض له بالرياء، وكان ابن الاشقر يذكر بالوقوع في الناس، فناوله القاضي غضار

15 المقروض، فاستحسن الحاضرون فطنته .

---

7) كتب ، ك ل ن، بعث ، نفح.

13) قد ، ك ل نفح ـ ن.

---

99) المرى ـ بتشديد الراء ـ أنواع من مستحضرات تتخذ في صنع الأطعمة، منها ، المري النقيع والطيب، ومرى الخبز، ومرى الحوت... وبعض أنواعه يصنع من عصير العنب بالافاويه، والعامة تصنعه من العسل المحرق، والخبز المحرق وغيرهما. انظر قاموس دوزي مادة (المرى)، ومفردات ابن البيطار 4 / 149 ـ 150.

ومنهم عالم الصلحاء، وصالح العلماء، وجليس التنزيل، وحليف البكاء والعويل، أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن ابراهيم بن الناصر المجاصي (100)، خطيب جامع القصر الجديد، وجامع خطتي التحديث والتجديد. يسميه أهل مكة إلبكاء، ولما قدم أبو الحسن على
5 ابن موسى البحيري (101)، سأل عنه فقيل له ، لو علم بك اتاك، فقال ، انا أتي من سمعت سيدي أبا زيد الهزميري (102) يقول له - لأول ما راه ولم يكن يعرفه قبل ذلك - ، مرحبا بالفتى الخاشع، اسمعنا من قراءتك الحسنة، دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السطي في أيام عيد، فقدم لنا طعاما، فقلت له ، لو أكلت معنا، فرجونا بذلك ما يرفع من حديث ، من
10 أكل مع مغفور (103) غفر له، فتبسم وقال لي ، دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالاسكندرية، فقدم طعاما، فسألناه عن هذا الحديث، فقال لي ، دخلت على شرف الدين الدمياطي (104)، فقدم لي طعاما

---

4) يسميه ، ك ل ن. ويسميه ، نفح.
5) سأل عنه ، ل نفح. سأله عنه ، ك. سأله - بسقاط (عنه) ، ن.
8) لنا ، ك ل نفح. إلينا ، ن.

---

100) ترجمه في نيل الابتهاج ص 141 - 142، ولم يذكر وفاته. وسيأتي عند المؤلف انه توفي سنة (741 هـ - 1340 م).

101) الشيخ نور الدين رحل إلى المشرق . فقدم على القاهرة وأخذ عن مشايخها، وحج سنة (895 هـ - 1489م).
انظر الضوء اللامع ج 6 / 44، ونيل الابتهاج ص 211.

102) قال أحمد بابا في حقه ، (الولي الشهير، شيخ الطائفة، العالم العامل، ذو المناقب والكرمات. (ت 706 هـ - 1306م) انظر نيل الابتهاج ص 164 - 165.

103) الرواية مع مغفور له - بزيادة (له) كما عند القارى في الأخبار الموضوعة.

104) هو أبو محمد عبد المومن بن خلف الدمياطي، حافظ للحديث، من اكابر الشافعية (ت 705 هـ - 1306م) انظر فوات الوفيات 2/17، والرسالة المستظرفة ص 103 وطبقات الشافعية ، 4 /10، وشذرات الذهب 6 /12، والدرر الكامنة 2 / 417.

فسألته عن هذا الحديث، فقال ، وقع في نفسي منه شيء، فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم في المنام، فسألته عنه، فقال لي ، لم أقله، وأرجو أن يكون كذلك (105). وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي، بمصافحته أبا العباس
5 أحمد الملثم، بمصافحته المعمر، بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسمعته يحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي (106)، أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد، فكان يخصه لدينه وعقله بالنداء باسمه، وإنما كان ينعق بمماليكه ، يا ساقي، ياطباخ، يا مزين، فنادى
10 به ذات يوم ، يا فراش، فظن ذلك لموجدة عليه، فلما لم ير أثر ذلك، وتصورت له به خلوة سأله عن مخالفته لعادته معه، فقال ، لا عليك كنت حينئذ جنبا، فكرهت ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على تلك الحالة.

نقلت من خط المجاصي ثم قرأته عليه، فحدثني قال ، حدثني القاضي أبو زكرياء يحيى بن محمد بن يحيى بن أبي بكر بن

---

2) فقال لي ... هذا الحديث) ، ك ل - ن نفح.
12) على ، ك ل ن، في ، نفح.
14) نقلت ، ك ل ن، ومما نقلته ، نفح. فحدثني ، ك ل ن، فحدثني به - بزيادة (به) ، نفح.

---

105) ذكر الملا علي القاري عن العسقلاني، انه حديث موضوع لا أصل له. انظر كتابه الاسرار المرفوعة. في الأخبار الموضوعة ص 331، و ص 466.
106) تقدمت ترجمته عند المؤلف في ج 4، ص 341.

عصمور، قال ، حدثني جدى يحيى المذكور، اخبرنا محمد بن عبد
الرحمان التجيبي المقرىء بتلمسان. حدثنا الحافظ أبو محمد - يعني
والله اعلم - عبد الحق الاشبيلي (107). حدثنا أبو غالب احمد بن الحسن
المستعمل. حدثنا أبو الفتوح ، عبد الغافر بن الحسين بن أبي الحسن بن
5 خلف الالمعي، أخبرنا أبو نصر أحمد بن اسحاق النيسابوري. املى علينا
أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني. حدثنا محمد بن علي
ابن الحسين العلوي. حدثنا عبد الله بن اسحاق اللغوي - وأنا سألته -
حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي. حدثنا عبد الله بن نافع، عن عيسى بن
يونس. عن الأعمش، عن أبي وائل. عن عبد الله بن مسعود. قال ، قال
10 رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، قال لي جبريل ، ألا أعلمك الكلمات
التي قالهن موسى حين انفلق البحر. قلت ، بلى. قال ، قل اللهم لك
الحمد. وإليك المشتكى. وبك المستغاث. وأنت المستعان. ولا حول ولا
قوة إلا بالله. قال ابن مسعود ، ما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله -
صلى الله عليه وسلم. ثم تسلسل الحديث على ذلك كل احد من رجاله -
15 يقول ، ما تركتهن منذ سمعتهن من فلان - لشيخه. وقد سمعت المجاصي
يكررها كثيرا وما تركتهن منذ سمعتهن منه.

---

107) أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الأزدي الاشبيلي. المعروف بابن الخراط. من علماء الأندلس. انتقل إلى بجاية. وبها توفي سنة (582 هـ 1185م).
كان عالما أديبا. فقيها حافظا محدثا. عارفا بالحديث وعلله ورجاله.
انظر التكملة ص 647. وتذكرة الحفاظ 4 / 139 - 141. وفوات الوفيات 1 / 248.
والديباج 175. وشذرات الذهب ج 4 / 271.

أنشدني شرف الدين الدمياطي وقال ، أنشدني تاج الدين الارموي مؤلف (108) «الحاصل» وقال ، انشدني الإمام فخر الدين لنفسه (109) ،

نهاية اقدام العقول عقال — واكثر سعى العالمين ضلال

5 وأرواحنا في وحشة من جسومنا — وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا — سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم من رجال قد رأينا ودولة — فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها — رجال فماتوا والجبال جبال

وتوفى المجاصي في العشر الآخر من شهر ربيع الأول من عام احد 10 وأربعين. ومنهم الشيخ الشريف القاضي الرحلة المعمر. أبو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسيني السبتي، ادرك أبا الحسين بن أبي الربيع وأبا القاسم العزفي، واختص بابن عبيدة وابن الشاط . ثم رحل إلى المشرق فلقى ابن دقيق العيد وحلبته، ثم قفل فاستوطن تلمسان ـ إلى أن

---

1) أنشدني المجاصي وقال ، ك ل ن. وأنشدني المجاصي قال ، نفح. الواسطي وقال ، ك ل. الواسطي قال ، ، ن. وكلمة (وقال) ساقطة في النفح.

2) الدمياطي وقال ، كل. الدمياطي أنشدني ـ باسقاط (قال ، ن نفح.

6) قيل وقالوا ، ك ن نفح. قال وقالوا ، ل.

9) وتوفي المجاصي... وأربعين ، ك ل نفح ـ ن.

11) ثم رحل ، ك ل نفح ـ ن. وحلبته ، ك ل نفح. وطبقته ، ن.

---

108) القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن حسن الارموي.
(ت 656 هـ ـ 1258 م). انظر كشف الظنون ع 1615.

109) وردت الأبيات في ترجمة فخر الدين عند ابن أبي اصيبعة ج 2 / 28.

... فيها سنة اربع وخمسين او ثلاث وخمسين وسبعمائة. قرا علينا حديث الرحمة، وهو أول حديث سمعته منه. قال ، حدثنا الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمي - وهو أول حديث سمعته منه.

قال حدثنا علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي - وهو أول حديث سمعته منه. قال ، حدثنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمان بن أبي العز الواسطي - وهو أول حديث سمعته منه. قال ، حدثنا أبو العز عبد المغيث ابن زهير - وهو أول حديث سمعته منه. قال ، حدثنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي - وهو أول حديث سمعته منه. قال الحسن بن علي ، وحدثنا أيضا - عاليا - الحسن بن محمد بن محمد البكري - وهو أول حديث سمعته منه. أخبرنا أبو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن الجنيد الصوفي - وهو أول حديث سمعناه منه. حدثنا زاهر بن طاهر - وهو أول حديث سمعته منه. حدثنا أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي الفضائل عبد الوهاب بن صالح عرف بابن المعزم إمام جامع همدان بها - وهو أول حديث سمعته منه - حدثنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بابن الخيام - وهو أول حديث سمعته منه. حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك - وهو أول حديث سمعته منه حفظا. حدثنا أبو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي - وهو أول حديث

---

1) أو ثلاث وخمسين ، ك ل نفح - ن.

4) حدثنا علي بن المظفر ... سمعته ، ك ل نفح - ن.

8) قال الحسن بن علي ، ك ل ن، (ح) قال الحسن بن علي ، - بزيادة (ح) ، نفح.

11) سمعناه ، ك ل، سمعته ، نفح.

2) سمعته ، ل ن نفح. سمعناه ، ك. همدان - بالدال المهملة - كذا في سائر النسخ. والذي في النفح ، همذان - بالذال المعجمة.

سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار ـ
وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا عبد الرحمان بن بشر بن الحكم ـ
، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة ـ وهو أول حديث
سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن
5 عمرو بن العاصي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، أن رسول الله ـ
صلى الله عليه وسلم قال ، الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا أهل
الأرض يرحكم من في السماء (110).

(ح)، وحدثني (111) الشريف ايضا كذلك قال ، حدثني السلفي
كذلك باسانيده المشهورة فيه، وهذا الحديث اخرجه الترمذي (112).

---

2) وهو أول حديث ... بن الحكم وهو أول حديث ، ك ل نفح ـ ن.
3) حدثنا سفيان ، ك ل نفح، بسنده إلى سفيان ، ن، وهو أول حديث سمعته منه ، ك ل نفح ـ ن.
8) ح وحدثني الشريف ، ل نفح ـ ك ن قال حدثني السلفي كذلك ، ك ل نفح ـ ن.

---

110) رواه بهذا اللفظ ـ أبو داود في سننه انظر ج 2 ص 582.
111) جرت عادة علماء مصطلح الحديث ـ إذا كان للحديث اسنادان فأكثر، وجمعوا بين الأسانيد في متن واحد ـ انهم إذا انتقلوا من اسناد إلى اسناد آخر، كتبوا بينهما حاء مفردة مهملة هكذا (ح) اختصارا من كلمة «تحويل» ـ على ما اختاره النووي، وقيل من «حديث» أو «صح»، أو «حائل».
قال السيوطي في ألفيته ـ ص 41 ـ 42 ،

وكتبوا (ح) عند تكرير سنـــــــد	فقيل من صح وقيل ذا انفــــــراد
مـن الحديـث أو التحويــل ورد	أو حائــل وقولهــا لفظــا انـــد

وانظر شروح الفية العراقي ج 2 / 155 ـ 156.
112) بلفظ ، الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.
انظر عارضة الاحوذي على جامع الترمذي، للقاضي أبى بكر بن العربي 8 / 111.

وقال حديث حسن صحيح. قال لي الشريف ، قال لي القاضي أبو العباس الرندي ، لما قدم أبو العباس بن الغماز (113) من بلنسية، نزل بجاية. فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع (114)، فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس أبيض وقد حسنت شارته وكملت هيئته، فلما نظر إليه
5 ابن الغماز أنشده ،

لبس البرنس الفقيه فباهى   وأرى انه المليح فتاها
لو زليخا رأته حين تبدى   لتمنته أن يكون فتاها

وبه ان ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة، فنزل الشهود من الماذنة وأخبروا انهم لم يهلوه، وجاء حفيد له صغير، فأخبره
10 أنه اهله، فردهم معه فاراهم اياه، فقال ، ما اشبه الليلة بالبارحة ! وقع لنا مثل هذا مع أبي الربيع بن سالم، فانشدنا فيه ،

توارى هلال الافق عن أعين الورى   وأرخى حجاب الغيم دون محياه
فلما تصدى لارتقاب شقيقه   تبدى له دون الانام فحياه

---

3) فجلس بها ، ك ل نفح. فنزل بها ، ن.
4) وقد حسنت ، ل ن نفح ـ ك.
9) وأخبره ، ل نفح. فأخبره ، ك ن.
11) فانشدنا فيه ، ل نفح. فانشدنا ـ رحمه الله ، ك ن.

---

113) تقدمت ترجمته في ج 4 / 240، رقم (675).
114) أبو محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري. قال فيه الغبريني.. شيخنا الفقيه، الإمام العالم المحصل، المحقق المجيد، الصوفي المجتهد. (ت 675 هـ ـ 1285م). انظر عنوان الدراية ص 57.

وقال ـ رحمه الله ، سمعت الشريف يقول ، أول زجل عمل في الدنيا ،

بالله ياطيـــر مدلـــــــــل مــر بــي وســط القفــــار
إيـــاك نجـــدك لعـــــاده ترمـــى حجيـــره في داري

5 ومنهم قاضي جماعتها، وكاتب خلافتها، وخطيب جامعها، أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي، من ولد عقبة بن عامر الفهري، نزلها سلفه قديما، وخلفه بها إلى الآن، توفى في أواسط سنة خمس وثلاثين وسبعمائة (115)، وشهد جنازته سلطانها يومئذ أبو تاشفين، وولى ابنه أبا علي منصورا ـ مكانه ـ يومئذ، ولما ثقل لسانه، دعا ابنه

10 هذا فقال له ، أكتب هاذين البيتين، فاني نظمتهما على هذه الحالة، فكتب ،

الهي مضت للعمر سبعــون حجــة جنيت بها لما جنيت الدواهيــا
وعبدك قد أمســى عليل ذنوبـــه فجد لى برحمى منك نعم الدواهيا(116)

---

1) وقال رحمه الله ، ن ـ ك ل نفح.
4) تجدك ، ك ل، نجدك ، ن، تجدد ، نفح، لعادة ، ك ل نفح، لعادة ، ن.
6) هدية ، ك ل نفح، هدبة ، ن، نزلها ، ك ل نفح، نزله ، ن.
11) فكتب ، ك ل نفح، فقلت ، ن.

---

115) انظر ترجمته في المرقبة العليا ص 134، وذكر أن وفاته صدر سنة (736 هـ 1335 م).
116) يعنى الدواء بالمد وقصره ضرورة، والدواهي في البيت ـ قبله جمع داهية، ولا يخفى ما بينهما من جناس.

ولما ورد الاديب أبو عبد الله محمد بن (عبد الرحمان) (117) المكودي من المغرب، رفع إليه قصيدة أولها :

سرت والدجى لم يبق إلا يسيرها نسيم صبا يحيى القلوب مسيرها

وفيها الأبيات العجاب التي سارت سير الأمثال، وهي قوله :

5 وفي الكلة الحمراء حمراء لو بدت لثكلى لولى ثكلها وثبورهـــا

فما بسوى مثوى لها من سوى القنا خيام ومن بيض الصفاح ستورهــا

فما بسوى صدق الغرام أرومهـــا ولا بسوى زور الخيال أزورهـــا

فأحسن إليه، وكلم السلطان حتى أرسل جرايته عليه، وقد شهدت المكودي وهذه القصيدة تقرأ عليه.

10 ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن احمد بن علي بن ابي عمرو التميمي، ادرك ابن زيتون، واخذ عن ابي الطاهر بن سرور وحلبته، وعنه اخذت شرح المعالم له، وولي القضاء بتلمسان مرات، فلم تستفزه الدنيا، ولا باع الفقر بالغنى.

---

7) الخيال : ل ن نفح، الخيام : ك.

10) بن أحمد بن علي ... ومنهم أبو عبد الله) : ك ل نفح ـ ن.

---

117) ثبت في سائر النسخ هكذا : (محمد بن محمد المكودي)، ومثله في النفح، ولعل الصواب ما أثبتناه : (محمد بن عبد الرحمان المكودي).

(ت 753 هـ ـ 1352م)، وقد جاءت ترجمته في «أوصاف الناس» لابن الخطيب ص 110، والنفح ج 6 ص 243، وجذوة الاقتباس ج 1 ص 142، ولفظ الفرائد ص 206، والسلوة ج 3 ص 273.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور، قاضي الجماعة ـ بعد ابن أبي عمرو، وكانت له رحلة إلى المشرق، لقى بها جلال الدين القزويني وحلبته، وتوفى بتونس في الوباء العام في حدود الخمسين (118).

5 ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين البروني (119)، قدم عليها من الأندلس، فاقام إلى أن مات. سمعته يقول ، البقر العدوية، كالابل المهملة في الصحراء، لا يجوز أن تباع بالنظر إليها، لكن بعد ان تمسك ويستولى عليها.

ومنهم أبو عمران موسى بن يمويمن المصمودي، الشهير بالبخاري (120)

10 سمعت البروني يقول ، كان الشيخ أبو عمران يدرس صحيح البخاري، ورفيق له يدرس صحيح مسلم، فكانا يعرفان بالبخاري ومسلم، فشهدا عند قاض، فطلب المشهود عليه الاعذار فيهما، فقال له أبو عمران ، أتمكنه من الاعذار في الصحيحين، فضحك القاضي وأصلح بين الخصمين. سألته عما ضربه ابن هدية عليه من اباحته الاستياك في رمضان بقشر الجوز، فقال

15 لي ، نعم ويبلع ريقه، تاول ـ رحمه الله ـ ان الخصال المذكورة في

---

2) بن أبي عمرو ، ك ل نفح ـ ن.
4) الخمسين ، ك ل ن. الخمسين وسبعمائة ، نفح.
5) ومنهم الشيخ أبو عبد الله ... ويستولى عليها) ، ك ل نفح ـ ن.
9) يمويمن ، ل. يمن ، ن. لمين ، ك ـ نفح.
10) صحيح ، ك ل نفح ـ ن.

---

118) يعنى وسبعمائة ، وجعل أحمد بابا وفاته سنة (749 هـ ـ 1348م) انظر نيل الابتهاج ص 242. والتعريف ص 46. وجذوة الاقتباس ص 190.

119) انظر ترجمته في التعريف 47.. ونيل الابتهاج ص 241. وجذوة الاقتباس ص 190.

120) ترجمته في جذوة الاقتباس ج 345/1.

السواك إنما تجمع في الجوز. فكان يحمل كل ما روى فيه عليه. وهذا غلط فاحش. لأن العرب لا تكاد تعرفه. ونظر إلى ما في البخاري من قوله بعد أن ذكر جواز السواك للصائم. ولا بأس أن يبتلع ريقه - يعني الصائم في الجملة. فحمله على المستاك بالجوز.

5 وكان رحمه الله - قليل الاصابة في الفتيا كثير المصيبات عليها.

ومنهم ، نادرة الاعصار. أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار (121). قال لي العلامة الآبلي ، ما قرأ أحد على حتى قلت له ، لم يبقى عندي ما أقول لك غير ابن النجار. سمعت ابن النجار يقول ، مر عمل الموقتين على تساوى فضلتي ما بين المغرب والعشاء والفجر

10 والشمس. فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثمانية عشر درجا. وبالفجر لبقائها. والجاري على مذهب مالك ان الشفق الحمرة. ان تكون فضلة ما بين العشائين أقصر. لأن الحمرة ثانية الفوارب والطوالع. فتزيد فضلة الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمرة والشمس. فعرضت كلامه - هذا على المزوار أبى زيد عبد الرحمان بن سليمان اللجائي فصوبه.

15 وذكرت يوما حكاية ابن رشد الاتفاق في الخمر إذا تخللت بنفسها

---

2) لأن العرب ، ك ل نفح - ن.
7) احد على ، ك ل نفح. على احد ، ن.
10) ثمانية عشر درجا ، ك ل ن. ثماني عشرة درجة ، نفح.
11) ان تكون ، ك ل ن. وان تكون ، نفح.
12) ثانية ، ل ن نفح. ثابتة ، ك.

---

121) انظر ترجمته في التعريف 47. ونيل الابتهاج 41. وجذوة الاقتباس. 190. والنفح 5 / 236 - 237.

أنها تطهر. واعترضته بما في الاكمال عن ابن وضاح انها لا تطهر. فقال لي : لا معتبر بقول ابن وضاح هذا، لأنه يلزم عليه تحريم الخل، لأن العنب لا يصير خلا حتى يكون خمرا. ـ وفيه بحث.

وذكرت يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة.

5 وهي أصوله وفصوله وفصول أول أصوله، وأول فصل من كل أصل وان علا فقال : ان تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت والا حرمت. فتأملته فوجدته كما قال، لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركب من الطرفين، كابن العم وابنة العم، مقابله : كالاب والبنت، التركب من قبل الرجل، كابنة الاخ والعم، مقابله : كابن الأخت والخالة (122).

10 وانشدت يوما عنده على زيادة اللام :

باعد العمر من أسيرها ـ البيت (123)

فقال لي : وما يدريك انه أراد العمر الذي أراده المعري في قوله :

وعمر هند كأن الله صوره   عمرو بن هند يعنى الناس تعنيتا (124)

---

1) واعترضته : ك ن.

4) (وذكرت يوما قول ابن الحاجب .. وام العمر) : ك ل نفح - ن.

5) وأول فصل من كل أصل : ل ن نفح. وأول أصل من كل فصل : ك.

---

122) انظر مختصر ابن الحاجب الفقهي اللوحة (74 ـ ب) ـ مخطوط خاص.
وقارنه مع ما في نيل الابتهاج ص 241.

123) الشطر الثاني من هذا الرجز :

حراس أبواب على قصورها

124) أراد بعمر هند ـ قرطها، وبعمرو بن هند احد ملوك الحيرة. كان يعرف بالعنف وتعنيت الناس.
انظر شروح سقط الزند 1626.

وأضاف اللام إليه ـ كما قالوا ، أم الحليس. قلت ، ولا يندفع هذا بثبوت كون المعنية تكنى أم عمرو. لأن ذلك لا يمنع ارادة المعنى الآخر فتكون ، أم عمرو وأم العمر.

قال ابن النجار بعثت بهذه الأبيات من نظمي إلى القاضي أبي

5 عبد الله بن هدية. فأخرج لغزها ،

إن حروف اسم من كلفت بـه خفت على كل ناطق بفم

سائغة سهلة مخارجها أجل بهذا تزاد في الكلم

صحفه ثم اقلبن مصحفه فمل ذكي مهذب فهم

واطلبه في الشمر جد مطلبه تجده كالصبح لاح في الظلم

10 فإن تأملت بت منه على علم وإلا فأنت عنه عم

واللغز سلمان وموضعه «تأملت بت» وتوفي ـ رحمه الله ـ بتونس أيام الوباء العام (125).

ومنهم الأستاذ المقرىء الراوية الرحلة. أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سبوع بن مزاحم المكناسي. ورد علينا من المشرق. فأقام معنا

15 أعواما. ثم رحل إلى فاس. فتوفى بها في الوباء العام. جمعت عليه السبع. وقرأت عليه البخاري والشاطبيتين (126) وغير ذلك، وأما البخاري.

---

7) أجل بهذا ، ك ل. ولهذا ، ن. من أجل هذا ـ نفح.
تزاد ، ك ل ن. تزداد ، نفح.

14) سبوع ، ك ل ن. سبع ، نفح.

125) عين أحمد بابا تاريخ الطاعون الجارف هنا بسنة (749 هـ 1348م). انظر ص 242

126) يعنى بهما حرز الاماني في القراءات السبع. وعقيلة الاتراب في الرسم والضبط ـ كلاهما لأبي القاسم الشاطبي.

فحدثني به قراءة على أحمد بن الشحنة الحجار في سنة ثلاثين
وسبعمائة، وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي في سنة ثلاثين
وستمائة، وهذا ما لا يعرف له نظير في الإسلام، وقد قال عبد الغني
الحافظ، لا نعرف في الإسلام من وازاه غير عبد الله بن محمد البغوي
5 في قدم السماع، فإنه توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة. قال ابن خلاد،
سمعناه يقول، حدثنا إسحاق بن اسماعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين
ومائتين، وسمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده قال لي ابن
مزاحم، هذا طريق كله سماع. وأما الشاطبيتان، فحدثني بهما قراءة عليه
جميعهما، عن بدر الدين بن جماعة بقراءتهما عليه، عن أبي الفضل هبة
10 الله بن الأزرق بقراءتهما عليه عن المؤلف - كذلك، وحدثني بتسهيل
الفوائد عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك وغير ذلك.

وممن ورد عليها لا يريد الاقامة بها، شيخي وبركتي وقدوتي، أبو
عبد الله محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي (127)، حدثني
بالصحيحين قراءة لبعضهما ومناولة لجميعهما، عن أبي اليمن بن عساكر،
15 لقيه بمكة سنة إحدى وثمانين وستمائة بسنده المشهور. وحدثني أيضا،
ان أبا منصور العجمي حدثه بمحضر الشيخين، والده حسين وعمه حسن،

---

4) عبد الله، ك ل ن، غير عبد الله بزيادة (غير)، نفح - والمعنى يقتضيه.

7) ومائتين، ك ل نفح - ن.

12) عليها، ل ن نفح، علينا، ك.

14) اليمن، ل ن نفح، اليمان، ك.

---

127) قال فيه ابن خلدون، كان كبير تونس لعهده في العلم والفتيا، وانتحال طرق الولاية التي ورثها عن أبيه حسن وعمه حسين الوليين الشهيرين (ت. 740 - 1339م).
انظر التعريف ص 14، ورحلة ابن بطوطة ص 16.

واثنى عليه دينا وفضلا ـ انه أدخل ببعض بلاد المشرق على المعمر ادخله عليه بعض ولد ولده، فألفاه ملفوفا في قطن، وسمع له دويا كدوي النحل، فقال له : ألقيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ورأيته. قال : نعم. قلت ليس في هذا ما يستراب منه إلا الشيخ المعمر. فإنا لا نعرف 5 حاله. فان صح. فحديثنا عنه ثلاثي. وقد تركت سنة خمس وأربعين بمصر رجلا يسمى بعثمان. معه تسعون حديثا. يزعم أنه سمعها من المعمر. وقد أخذت عنه وكتبت منه. فهذا ثناني. وأمر المعمر غريب. والنفس أميل إلى نفيه.

ومنهم إمام الحديث والعربية. وكاتب الخلافة العثمانية والعلوية. 10 (128). أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي (129). جمع فأوعى. واستوعب أكثر المشاهير وما سمى، فهو المقيم الظاعن. الضارب القاطن. سألني عن الفرق بين علم الجنس واسم الجنس. فقلت له : زعم الخسروشاهى أنه ليس بالديار المصرية من يعرفه غيره. وأنا أقول : ليس في الدنيا عالم إلا وهو يعلمه غيره. لأنه حكم لفظي أوجب تقديره

2) فألفاه : ل ن نفح. فالقاه : ك. وهو تصحيف.

14) غيره : ك ل نفح ـ ن.

128) العثمانية نسبة إلى عثمان بن يعقوب المريني. والعلوية نسبة إلى على أبي الحسن المريني.

129) قال فيه ابن خلدون : إمام المحدثين والنحاة بالمغرب. لازمته وأخذت عنه سماعا واجازة. (ت 749 هـ ـ 1348م).

انظر التعريف ص 20. وجذوة الاقتباس ص 279. ومستودع العلامة ص 50. والاحاطة ص 315.

المحافظة على ضبط القوانين كمدل عمر ونحوه. فاستحسن ذلك. وكان
ينكر إضافة الحول إلى الله عز وجل. فلا يجيز أن يقال بحول الله
وقوته. قال ، لأنه لم يرد اطلاقه. والمعنى يقتضي امتناعه. لأن الحول
كالحيلة أو قريب منها. وتوفى بتونس أيام الوباء العام.

5 ومنهم الفقيه المحقق الفرضي المدقق. أبو عبد الله بن سليمان بن
علي السطي (131). قرأت عليه كتاب الحوفي علما وعملا. قال لي في
قول ابن الحاجب ، والثمن والثلث والسدس من أربعة وعشرين. - ، (132)
هذا لا يصح. إذ لا يجتمع الثلث والثمن في فريضة. وقد سبقه إلى هذا
الوهم صاحب المقدمات. وسألت عنه ابن النجار فقال لي ، إنما اراد
10 المقام لأنه يجتمع مع الثلثين. والانصاف انه لا يحسن التعبير بما لا
تصح ارادة نفسه عن غيره. فكان الوجه أن يقول ، والثلثان أو ومقام
الثلث ونحو ذلك. لأن الثلث انما يدخل هنا تقديرا لا تحقيقا - كما في
الجواهر. وانظر باب المدبر من كتاب الحوفي. فإن فيه موافقة السبعة
لعدد لا توافقه. فهو من باب الفرض. وعليه ينبغي أن يحمل كلام ابن
الحاجب.

1-2) (وكان ينكر ... الوباء العام) : ك ل نفح - ن.

7) وعشرين : ك ل نفح. وعشرة : ن.

---

130) يعني سنة (749 هـ) - كما أسلفنا.

131) محمد بن علي بن سليمان السطي نسبة إلى سطة من بطون أوربة بنواحي فاس. قال فيه ابن خلدون ، كان احفظ الناس لمذهب مالك. وأفقههم فيه. (749 هـ - 1348م).
انظر التعريف ص 31 - 32. ونيل الابتهاج ص 243. والجذوة ص 142.

132) انظر مختصر ابن الحاجب الفقهي اللوحة (183 - ا).

ومنهم : الاستاذ أبو عبد الله الرندي. والقاضي ابو عبد الله محمد
ابن علي بن عبد الرزاق الجزولي (133). والقاضي أبو اسحاق ابراهيم
ابن عبد الرحمان بن ابي يحيى (134) - في كثير من الخلق . فلنضرب
عن هذا.

5 ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها. خطيبها الشيخ أبو عثمان
سعيد بن ابراهيم بن علي الخياط. أدرك أبا إسحاق الطيار. وقد صافحته
- وأنا صغير. لأنه توفى سنة تسع وعشرين بمصافحته إياه. بمصافحته
الشيخ أبا تميم. بمصافحته أبا مدين. بمصافحته أبا الحسن بن حرزهم.
بمصافحته ابن العربي. بمصافحته الغزالي. بمصافحته أبا المعالي.
10 بمصافحته أبا طالب المكي. بمصافحته ابا محمد الجزيري. بمصافحته
الجنيد. بمصافحته سريا. بمصافحته معروفا. بمصافحته داوود الطائي.
بمصافحته حبيبا العجمي. بمصافحته الحسن البصري. بمصافحته علي بن
أبي طالب. بمصافحته رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

ومنهم خطيبها المصقع. أبو عبد الله محمد بن علي بن الجمال.
15 أدرك محمد بن رشيد البغدادي (135). صاحب الزهر والوتريات على

4-3) فلنضرب عن هذا : ك ل نفح - ن.
6) ادرك ابا اسحاق ... وسلم : ك ل نفح - ن.
15) الزهر : ل نفح. الزهري : ك ن.

---

133) انظر ترجمته في نيل الابتهاج ص 249. والسلوة 3 / 276.
134) ترجمته في الاحاطة ج 372/1. والجذوة 85/1 - 86.
135) أبو عبد الله مجد الدين محمد بن رشيد البغدادي. يعرف بالوتري. لأنه نظم الوتريات - وهي قصائد على حروف المعجم. تتألف كل واحدة من 21 بيتا في مدح الرسول. وأول كل بيت على حرف القافية. وقد بداء نظمها بغرناطة سنة (652 هـ). حج سنة (661 هـ). وكانت وفاته سنة (662 هـ - 1263م).

حروف المعجم، والمذهبة، وغيرها. حدثني عنه انه تاب بين يديه لاول
مجلس جلسه بتلمسان سبعون رجلا.

ومنهم الشقيقان الحاجان الفاضلان، أبو عبد الله محمد وابو العباس
احمد (136)، ابنا ولي الله ابي عبد الله محمد بن محمد بن ابي بكر
5 ابن مرزوق العجيسي، كساني محمد خرقة التصوف بيده كما كساه اياها
الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي، خادم الشيخ أبي مدين، كما كساه
أبو مدين، قال محمد بن مرزوق ، وكان مولد بلال سنة 559، وخدم أبا
مدين - نحوا من خمسة عشر عاما - إلى أن توفي في عام تسعين
وخمسمائة، ثم عاش بعده أكثر من مائة سنة، ولبس أبو مدين من يد ابن
10 حرزهم، ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربي (137)، واتصل اللباس
اتصال المصافحة.

ومنهم أبو زيد بن عبد الرحمان بن يعقوب بن علي الصنهاجي
المكتب، حدثنا عن قاضيها أبى زيد عبد الرحمان بن علي الدكالي، انه
اختصم عنده رجلان في شاة ادعى احدهما انه أودعها الآخر، وادعى انها
15 ضاعت منه، فأوجب اليمين على المودع انها ضاعت من غير تضييع،
فقال ، كيف أضيع وقد شغلتني حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها،

---

7) (قال محمد بن مرزوق ... المصافحة) : ك ل نفح - ن.
12) ابى : ل ن نفح - ك.
13) الدكالي : ل نفح، الدلالي : ن.
15) انها : ل ن نفح، انه : ك.

---

136) أبو العباس بن مرزوق، هو والد الخطيب بن مرزوق الجد، وأبو عبد الله المذكور عمه
انظر نيل الابتهاج ص 251.
137) تأمله مع ما نجده في كتبه من أن خرقة التصوف بدعة مذمومة انظر العارضة 7 / 276

فحكم عليه بالغرم. وقيل له في ذلك. فقال ، تأولت قول عمر ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد القرموني، مكتبي الأول. ووسيلتي إلى الله عز وجل. قرأ على الشيخين أبوى عبد الله القصري
5 وابن حريث وحج حجات. وكان عقد بقلبه انه كلما ملك مائة دينار عيونا. سافر إلى الحج. وكان بصيرا بتعبير الرؤيا، فمن عجائب شأنه فيه انه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان من أهل تلمسان أيام محاصرته لها. فرأى أبو جمعة بن علي التلالسي الجرائحي منهم كانه قائم على سانية دائرة وجميع قواديسها
10 يصب في نقير في وسطها. فجاء ليشرب . فلما اغترف الماء اذا فيه فرث ودم فارسله. ثم اغترف فاذا هو كذلك ثلاثا او اكثر. فعدل عنه فراى خصة ماء. وشرب منها. ثم استيقظ وهو (في) النهار. فاخبره فقال ، ان صدقت رؤياك فنحن عن قليل خارجون عن هذا المكان. قال ، كيف ؟ قال ، السانية الزمان. والنقير السلطان. وأنت جرائحي تدخل يديك في جوفه.
15 فينالها الفرث والدم.

---

3) القرموني ، ك ل ن. الفرموني ، نفح. وفي نيل الابتهاج ، القرقوني. مكتبي الأول ، ك ل نفح. بركتي ، ك.
5) حجات ، ك ل نفح. حججا ، ن.
6) عيونا ، ك ل نفح. عينا ، ن.
10) يصب ، ل نفح. تصب ، ك ن.
12) وهو النهار. كذا في سائر النسخ. ومثله في النفح. والزيادة من البستان. ونيل الابتهاج. والمعنى يقتضيها.

وهذا ما لاتحتاج معه. فلم يكن إلا ضحوة الغد. وإذا النداء عليه.
فأخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر. فأدخل يده. فنالها الفرث والدم.
فخاط جراحته ثم خرج فرأى خصة ماء. فغسل يديه وشرب. ثم لم يلبث
السلطان ان توفى وسرحوا. (138) وتعداد اهل هذه الصفة يكثر. فلنصفح
5 عنهم ولنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما بقيد الحياة.
احدهما عالم الدنيا، والاخرة نادرتها، اما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة ابو
عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري الابلي التلمساني
سمع جده لامه أبا الحسين بن غلبون المرسى القاضي بتلمسان. واخذ
عن فقهائها أبى الحسين التنسي وابنى الإمام. ورحل في أخر المائة
10 السابعة. فدخل مصر والشام والحجاز والعراق. ثم قفل إلى المغرب. فأقام
بتلمسان مدة. ثم فر امام أبى حمو موسى بن عثمان إلى المغرب.
حدثني انه لقى أبا العباس أحمد بن ابراهيم الخياط. شقيق شيخنا أبى
عثمان المتقدم ذكره. فشكا له ما يتوقعه من شر أبى حمو. فقال له :
عليك بالجبل. فلم يدر ما قال حتى تعرض له رجل من غمارة. فعرض
15 عليه الهروب به. قال : فخفت أن يكون أبو حمو قد دسه على، فتنكرت
له فقال لي : إنما أنا أسير بك على الجبل. فتذكرت قول أبى إسحاق.

1) تحتاج كذا في سائر النسخ. ومثله في النفح. وفي نيل الابتهاج (نجاح). وجاءت العبارة في البستان هكذا : (وهذا لاتحتاج معه إلى دليل) بزيادة (إلى دليل).
4) فلنصفح . ك ل نفح. فليصفح : ن.
8) الحسين : ل نفح. الحسن : ك ن.
11) فر أمام : ك ل. قر امام : ن. فرايام : نفح.
16) انا : ل ن . ك نفح.

138) ووردت القصة في نيل الابتهاج ص 152.

فواطأته وكان خلاصي على يده. ولقد وجدت العطش في بعض مسيري
معه. حتى غلظ لساني. واضطربت ركبتاي فقال لي : ان جلست قتلتك
لئلا افتضح بك. فكنت أقوي نفسي. فمر على بالي في تلك الحالة
استسقاء عمر بالعباس وتوسله به. فوالله ما قلت شيئا حتى رفع لي غدير
5 ماء. فأريته أياه. فشربنا ونهضنا. ولما دخل المغرب. أدرك أبا العباس
ابن البناء. فاخذ عنه وشافه كثيرا من علمائه. قال لي : قلت لابي الحسن
الصغير : ما قولك في المهدي. فقال : عالم سلطان. فقلت : قد انبأت عن
مرادى. ثم سكن جبال الموحدين. ثم رجع إلى فاس. فلما افتتحت
تلمسان. لقيته بها. فأخذت عنه. فقال لي الابلي : كنت يوما مع القاسم
10 ابن محمد الصنهاجي. فوردت عليه طومارة من قبل القاضي أبى الحجاج
الطرطوشي فيها :

(خيرات) ما تحويه مبذولة ومطلب تصحيف مقلوبها (139)

فقال لي : ما مطلبه ؟ فقلت : نارنج.

دخل على الآبلي - وأنا عنده بتلمسان - الشيخ عبد الله الدباغ
15 المالقي المتطبب. فأخبرنا ان أديبا استجدى وزيرا بهذا الشطر :

---

1) يده : ك ل نفح. يديه : ن.
10) طومارة : ل ن نفح. حومارة : ك.
13) ما مطلبه : ك ل نفح . فاقلبه : ن.
15) الشطر : ل ن نفح. الشعر : ك.

---

139) فهو تصحيف (خيرات).

ثم طبيب قل ما ينصف.

فأخذته فكتبته ثم قلبته وصحفته، فإذا هو قصبتا ملف شحمي.

ومر الدباغ علينا يوما بفاس، فدعاه الشيخ فلباه، فقال ، حدثنا بحديث اللظافة. فقال ، نعم، حدثني أبو زكرياء بن السراج الكاتب 5 بسجلماسة، ان أبا إسحاق التلمساني وصهره مالك بن المرحل، وكان ابن السراج قد لقيهما، اصطحبا في مسير، فاواهما الليل إلى مجشر، فسألا عن طالبه، فدلا فاستضافاه فأضافهما، فبسط قطيفة بيضاء، ثم عطف عليهما بخبز ولبن، وقال لهما ، استعملا من هذه اللظافة حتى يحضر عشاؤكما، وانصرف فتحاورا في اسم اللظافة لأي شيء هو منهما حتى ناما، فلم يرع 10 أبا اسحاق إلا مالك يوقظه ويقول ، قد وجدت اللظافة، قال ، كيف ؟ قال ، ابعدت في طلبها حتى وقعت بما لم يمر قط على سمع هـــذا البدوي، فضلا عن أن يراه، ثم رجعت القهقهري حتى وقعت على قول النابغة ،

بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

15 فسنح لبالي أنه وجد اللطافة وعليها مكتوب بالخط الرقيق ، اللين، فجعل احدى النقطتين للطاء، فصارت اللطافة اللظافة، واللين ، اللبن، وان كان صحف عنم بغنم، وظن ان يعقد جبن فقد قوى عنده الوهم، فقال أبو اسحاق ، ما خرجت عن صوبه، فلما جاء سألاه، فاخبرهما انها اللبن،

---

5) وكان ابن السراج قد لقيهما ... ، ك ل نفح - ن.

7) فدلا ، ك ل نفح، مدلا عليه ، ن.

8) لهما ، ل ن نفح - ك.

12) حتى وقعت ، ك ل نفح، فوقعت ، ن.

17) أبو اسحاق ، ك ن نفح، اسحاق باسقاط (ابو) ، ل.

18) صوبه ، ل نفح، هو به ، ك ن . جاء سألاه ، ك ل نفح، جالساه ، ن.

واستشهد بالبيت كما قال مالك. ولا تعجب من مالك. فقد ورد فأسا
شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي - عرف بابن المسفر -
(140) رسولا عن صاحب بجاية. فزاره الطلبة فكان فيما حدثهم انهم
كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة
5 الفاتحة من كتاب فخر الدين ويستشكله الشيخ معهم.

وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية. ان المركب مثل البسيط
في الجنس. والبسيط مثل المركب في الفصل. وان الجنس أقوى من
الفصل. فرجعوا به إلى الشيخ الآبلي. فتأمله ثم قال : هذا كلام مصحف.
وأصله ان المركب قبل البسيط في الحس. والبسيط قبل المركب في
10 العقل. وان الحس أقوى من العقل. وأخبروا ابن المسفر فلج. فقال لهم
الشيخ : التمسوا النسخ. فوجدوه في بعضها كما قال الشيخ. «والله يوتي
فضله من يشاء».

قال لي الآبلي : لما نزلت تازة. بت مع ابي الحسن بن بري
(141) وابي عبد الله الترجالي. فاحتجت الى النوم. وكرهت قطعهما عن

---

10) فاخبروا : ك ل وأخبروا : ن نفح.
11) التمسوا : ك ل نفح. انظروا : ن.

---

140) وسماه ابن مريم بالمسفر. قال : وكان فقيها. عالما صالحا. (ت 743 هـ 1342م).
انظر البستان ص 227.

141) أبو الحسن علي بن محمد بن بري من أهل تازا. عالم أديب. ونحوى مقرىء. (ت 731 هـ - 1330م).
انظر دائرة المعارف الإسلامية 1 /96. وهدية العارفين 1 / 716. وأخطأ فجعل وفاته سنة (709 هـ 1309م).

الكلام، فاستكشفتهما عن معنى هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

فجعلا يفكران فيه. فنمت حتى أصبح ولم يجداه، فسألاني عنه. فقلت : معناه أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادي عبد الشمس شم لنا برقا. قلت : وفي جواز مثل هذا نظر.

5

سمعت الأبلي يقول : دخل قطب الدين الشيرازي والدبيران (142) على فضل الدين الخونجي ببلده - وقد تزييا بزي القونوية. فسأله احدهما عن مسألة فأجابه. فتعايا عن الفهم. وقرب التقرير فتعايا. فقال الخونجي متمثلا :

علي جلب المعاني من معادنها وما علي لكم ان تفهم البقر

10

فقال له : ضم التاء يا مولانا. فعرفهما فحملهما الى بيته.

قلت : سمعت شمس الدين الاصبهاني بخانقة قيسوم بمصر يقول : ان شيخه القطب توفى عام احد عشر وسبعمائة، وله سبع وسبعون سنة. وهذا يضعف هذه الحكاية - عندي .

---

1) الكلام به : ل. الكلام - باسقاط (به) : ك ن نفح.
معنى هذا البيت للمعري : ك ل نفح. معنى بيت المعري : ن.
4) سقاؤنا : ل ن نفح. سقاؤهم گ .
5) لنا برقا : ك ل نفح. سنا برق : ن.
6) والدنيران : ك ل ن. والدبيران : نفح.
7) تزيا : ن نفح. تزييا : ك ل. القانونية : ل نفح. القونوى : ك ن.
12) شمس الدين : عندى : ك ل نفح - ن.
14) هذه : ك ن نفح. بهذه : ل.

---

(142) لعله يعنى به نجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني، حكيم منطقي (ت 675 هـ - 1277م).

انظر فوات الوفيات 2 /66. وهدية العارفين 1 / 713. ومعجم المطبوعات 1537.

سمعت الآبلي يقول ان الخونجي ولي قضاء مصر بعد عز الدين ابن عبد السلام. فقدم شاهدا كان عز الدين أخره. فعذله في ذلك. فقال : ان مولانا لم يذكر السبب الذي رفع يده من أجله. وهو الآن غير متمكن من ذكره.

5 سمعت الشيخ الآبلي يحدث عن قطب الدين القسطلاني انه ظهر في المائة السابعة من المفاسد العظام ثلاث : مذهب ابن سبعين. وتملك الكفار للعراق. واستعمال الحشيشة.

سمعت الآبلي يقول : قال أبو المطرف بن عميرة (143) :

فضل الجمال على الكمال بوجهه فالحق لا يخفى على من وسطه

10 وبطرفه سقم وسحر قد أتى مستظهرا بهما على ما استنبطه

عجبا له برهانه بشروطه معه فما مقصوده بالسفسطه

قال : فأجابه أبو القاسم بن الشاط (144) فقال :

---

3) الشيخ : ل نفح ـ ك ن.

11) معه : ك ل نفح. حسن : ن.

---

143) أبو المطرف أحمد بن عبد الله المخزومي. كاتب أديب، ولي قضاء شاطبة ومكناسة وسواهما. (ت 658 هـ ـ 1260م).
انظر الاحاطة 1 / 60. وجذوة الاقتباس ص 72. وبغية الوعاة 137. ولسان الميزان 1 / 203. وعنوان الدراية 178.

144) أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري السبتي.
قال فيه ابن فرحون : نسيج وحده في أصالة النظر ونفوذ الفكر. وجودة القريحة وتسديد الفهم ـ إلى حسن الشمائل وعلو الهمة. والعكوف على العلم. والاقتصار على الآداب السنية. والتحلي بالوقار والسكينة. (ت 723 هـ ـ 1323م).
انظر الديباج ص 225 ـ 226.

علم التباين في النفــوس وانهــا منها مغلطــة وغيــر مغلطــة
فئة رأت وجه الدليل وفرقــة اصغت إلى الشبهات فهي مورطــه
فاراد جمعهما معا في ملكــه هاذي بمنتجة وذي بمغلطــه

5 يعني قولهم في التام هو ما تحمل في البرهان الفصل. وأخبار الا بلي وأسمعتى منه تحتمل كتابا. فلنقف على هذا القدر منها.

وأما النادرة. فأبو عبد الله محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي (145). صحب أبا زيد الهزميري كثيرا. وأبا عبد الله بن تيجلات. وأبا العباس بن البناء. واضرابه من المراكشيين ومن جاورهم. ورزق بصحبة الصالحين حلاوة القول. فلا تكاد تجد من يستثقله وربما

10 سئل عن نفسه فيقول ، ولي مفسود. قلت له يوما ، كيف أنت ؟ فقال ، محبوس في الروح. وقال ، الليل والنهار حرسيان. أحدهما أبيض. والآخر أسود. وقد أخذا بمجامع الخلق يجرانهم إلى يوم القيامة. وانا مردنا إلى الله. وسمعته يقول ، المؤذنون بنو بيوت الله. يدعون أولياء الله إلى بيته لعبادته. فلا يصدهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين. ويصرفونهم عن

15 لاشتغال بما لم يبن له. فيخرجونهم ويغلقون الا بواب دونهم.

---

2) فئة رات : ك ل نفح. فبداره : ن.

4) ما تحمل : ك ل نفح. بالجمل : ن. واسمعتى : ل ن نفح. واسمعته : ك. الفصل : ن نفح. الفضل : ك ل.

6) فأبو عبد الله : ك ل نفح. فهو أبو عبد الله : ن.
الجمحى : ل نفح. الحيمى : ك . الحجمى : ن.

8) تيجلات : ك ل نفح. تجيلات : ن.

14) طين له : ك ل ن - نفح

---

145) انظر في ترجمته نيل الابتهاج ص 248. والاعلام لعباس بن ابراهيم ج 4 / 375.

ووجدته ذات يوم في المسجد ذاكرا. فقلت : كيف أنت ؟ فقال : «فهم في روضة يحبرون» فهممت بالانصراف. فقال : أين تذهب من روضة من رياض الجنة. يقام بها على رأسك بهذا الباجي - فأشار إلى المنار مملوءاً : الله أكبر.

5 مر ابن شاطر يوما على أبي العباس أحمد بن شعيب الكاتب (146) - وهو جالس في جامع الجزيرة - طهره الله - وقد ذهبت به الفكرة. فصاح به. فلما رفع رأسه إليه. قال له : انظر إلى مركب عزرائيل هذا. وأشار إلى نعش هنالك - وقد رفع شراعه. ونودي عليه : الطلوع ياغزي.

10 وأكل يوما مع أبي القاسم عبد الله بن رضوان (147) الكاتب جلجلانا. فقال لهم أبو القاسم : ان في الجلجلان لطعما من طعم اللوز. فقال ابن الشاطر : وهل الجلجلان إلا لوزة دقة. وسئل عن العلة في نضارة الحداثة. فقال : قرب عهدها بالله. قيل له : فمم تغير الشيوخ ؟ فقال : من بعد العهد من الله وطول الصحبة مع الشياطين ؛ فقيل له :

---

(2) روضة : ك ل نفح - ن.
(8) (قد رفع شراعه ... يا غزى) : ك نفح - ل ن.
(10) (بن رضوان الكاتب) : ك نفح - ل ن.
أبو القاسم : ل ن نفح. أبو القاسم هذا - بزيادة (هذا) : ك.
(11) لطعما : ل ن نفح. لظرفا : ك. (وسئل عن العلة .. ما بالك) : ك نفح - ل ن.

---

146) أبو العباس احمد بن شعيب الجزنائي التازي، نزيل فاس، برع في اللسان والادب والعلوم العقلية. (ت 750 هـ - 1349م).
انظر التعريف ص 48، ونثير فرائد الجمان ص 335، ونيل الابتهاج ص 68، وجذوة الاقتباس 47.

147) انظر ترجمته في مستودع العلامة ص 51 - طبع تطوان.

فبخرة أفواههم ؟ فقال ، من كثرة ما تفل الشياطين فيها، وكان يسمى الصغير فأر المصطكى.

قال لي ابن شاطر ، لقيت عمي ميمونا المعروف بدبير لقرب موته وقد اصفر وجهه. وتغيرت حاله فقلت ما بالك ؟

5 فقال لي انسدت الزربطانة (148) فطلع الخراء ـ يعنى العذرة. يشير الى الاحتقان للطبيعة.

أنشدني ابن الشاطر قال أنشدني أبو العباس بن البناء (149) لنفسه فقلت ،

قصدت الى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار
10 فلم احذر فهوما دون فهمي ولكن خفت ازراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني وشأن البسط تفهيم الصغار

وأخبار ابن الشاطر عندي تحتمل كراسة. فلنقنع بهذا القدر.

---

5) (فقال لي... للطبيعة) ، ك نفح ـ ل ن.
7) أنشدني ابن شاطر قال أنشدني ، ك نفح. أنشد ابن الشاطر ـ باسقاط (قال أنشدني) ، ل

فقلت ، ل ن. فكتبتها بين يديه ، ك ـ نفح
10) فهما ، ل. فهو ما ، ك ن.
11) (فشأن ... تفهيم الصغار) ، ك ن ـ ل . والأبيات ساقطة في النفح باستثناء الشطر الأول.
12) فلنقنع منها ، ك نفح. فلنقنع ـ باسقاط (منها) ، ل ن.

---

148) الزربطانة ، مجمع المياه القذرة. يسد بزرب وشبهه. وفي فاس حي يعرف إلى اليوم بالزربطانة.

149) تقدمت ترجمته في ج 3 ص 23 رقم (1) وانظر الاحاطة 270/2 ـ 271.

فصل ، ولما دخلت تلمسان على بني عبد الوادي، تهيأ لي السفر منها. فرحلت إلى بجاية. فلقيت فيها أعلاما درجوا. فامست بعدهم خلاء بلقعا. فمنهم ، الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، عرف بابن المسفر. باحثته واستفدت منه. فسألني عن اسم كتاب الجوهري. فقلت

5 له ، من الناس من يقول ، الصحاح بالكسر، ومنهم من يفتح ، فقال ، إنما هو بالفتح بمعنى الصحيح كما ذكره في باب صح. قلت ، ويحتمل أن يكون مصدر صح. وكتب لبعض أصحابه رسالة صدرها بهذين البيتين ،

وصلت صحيفتكم فهزت معطفي فكأنما أهدت كؤوس القرقف
وكأنها نيل الاماني لخائف أو وصل محبوب لصب مدنف

10 ومنهم قاضيها ، أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي، فقيه ابن فقيه، كان يقول ، من عرف ابن الحاجب أقرأ به المدونة. قال ، وأنا أقرأ به المدونة.

ومنهم أبو علي حسين بن حسين، إمام المعقولات - بعد ناصر الدين.

15 ومنهم ، خطيبها أبو العباس أحمد بن عمران، وكان قد ورد تلمسان، وأورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم ، صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض. - الخاصة، إلا أن يزاد في الحد لمن قامت به.

---

4) فسألني : ل. وسألني : ك ن نفح

6) بمعنى الصحيح : ك ن نفح - ل.

3) (ومنهم أبو علي .. ناصر الدين) : ك نفح - ل ن.

6) بها : ك نفح. فيها : ل ن.

عمران السلوى : ك - ل ن نفح

لأنها إنما توجب فيه تمييزا لا تميزا، وهذا حسن.

ومنهم الشيخان أبو عزيز، وأبو موسى بن فرجان وغيرهم من أهل عصرهم، ثم رحلت إلى تونس، فلقيت بها قاضي الجماعة وفقيهها ، أبا عبد الله بن عبد السلام (150)، فحضرت تدرسيه، وأكثرت مباحثته، ولما 5 نزلت بظاهر قسطنطينة، تلقاني رجل من الطلبة، فسألني عن هذه الآية ، «وان لم تفعل فما بلغت رسالاته (151)» فإن ظاهرها ان الجزاء هو الشرط ـ أي ، وان لم تبلغ، فما بلغت، وذلك غير مفيد، فقلت ، بل هو مفيد ـ أي ، وان لم تبلغ في المستقبل، لم ينفعك تبليغك في الماضي، لارتباط أول الرسالة بآخرها، كالصلاة ونحوها، بدليل قصة 10 يونس، فعبر بانتفاء ماهية التبليغ عند انتفاء المقصود منه، إذ كان إنما يطلب له ولا يعتبر بدونه، كقوله عليه السلام ، لا صلاة إلا بطهور (152).

---

1) أحسن : ل، حسن : ك ن نفح.
2) فرجان : ك نفح ، فرحان : ل ن.
7) تبلغ : ك ن نفح، تفعل : ل.
10) عن : ك نفح، عند : ل ن، إذ : ل نفح، إذا : ك ن.
11) بطهور : ن نفح، بطهير : ك ل.

---

150) انظر ترجمته في الديباج المذهب 336، والمرقبة العليا : 161، ونيل الابتهاج 240، والتعريف 19.

151) الآية 67 ـ سورة المائدة.

152) أخرجه مسلم والترمذي بلفظ : لا يقبل الله صلاة بغير طهور، انظر تيسير الوصول ج 2 / 231.

ثم اجتمعت بابن عبد السلام (153) بجامع بوقر بتونس. فسألته عن ذلك. فلم يزد على ان قال هذا مثل قوله عليه السلام ، فمن كانت هجرته إلى الله ـ الحديث (154). وقد علمت ما قال الشيخ تقي الدين فيه. قلت ، كلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن الآية ـ فتأمله.

5 وقاضي المناكح أبا محمد الاجمي (155) ـ وهو حافظ فقهائها في وقته. والفقيه أبا عبد الله بن هارون. شارح ابن الحاجب في الفقه والاصول. والخطيب ابا عبد الله بن الستار. وحضرت تدريسه بمدرسة المعرض. والعلامة ابا عبد الله بن الجياب الكاتب. والفقيه ابا عبد الله ابن سلامة. والشيخ الصالح ابا الحسن المنتصر. وارث طريقة الشيخ ابي

10 محمد المرجاني. اخر المذكورين بإفريقية.

ورأيت ابن الشيخ المرجاني فحدثني أبو موسى بن الإمام ـ أنه اشبه به من الغراب بالغراب !.

وسيدي أبا عبد الله الزبيدي المتقدم ذكره. وأوقفني على خطأ في كتاب الصحاح وذلك انه زعم أن السالم جلدة ما بين العينين والأنف.

1) يوقير : ل. بوقر : ك ن. بوقير : نفح. بتونس : ل ن. من تونس : ك نفح.
2) عليه السلام : ل ن نفح. عليه الصلاة والسلام ـ بزيادة (الصلاة) : ك.
7ـ6) (شارح ابن الحاجب ... بإفريقية) : ك نفح ـ ل ن.
11) فحدثني : ك نفح. حدثني : ل ن.

153) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري. قاضي الجماعة بتونس. كان إماما عالما حافظا متفننا. (ت 749 هـ ـ 1348م).
انظر الديباج ص 336. والنيل ص 242. وشجرة النور ص 210.

154) أخرجه الجماعة.

155) ترجمه أحمد بابا. وذكر ان وفاته كانت سنة (748 هـ ـ 1347م).
انظر نيل الابتهاج ص 242.

قال ، ومنه قول ابن عمر في ابنه سالم - رضي الله عنه ،

يديرونني عن سالم وأديرهم   وجلدة بين العين والأنف سالم

قال ، وهذا أراد عبد الملك - حيث كتب إلى الحجاج ، أنت مني كسالم. وهذا خطأ فاحش. وكان يلزمه أن يسميها بالعمارة أيضا لقوله - عليه الصلاة والسلام ، عمارة جلدة ما بين عيني وانفي. وإنما المراد بمثل هذا القرب والتحمد.

5

ولقيت بتونس غير واحد من العلماء والصلحاء يطول ذكرهم. ثم قفلت إلى المغرب يسايرني رجل من أهل القسطنطينة يعرف بمنصور الحلبي. فما لقيت رجلا أكثر أخبارا ولا أظرف نوادر منه. فمما حفظته من حديثه ان رجلا من الأدباء، مر برجل من الغرباء، وقد قام بين ستة أطفال. جعل ثلاثة عن يمينه، وثلاثة عن شماله. وأخذ ينشد ،

10

ما كنت أحسب أن أبقى كذا أبدا   أعيش والدهر في أطرافه حتف

ساس بستة أطفال توسطهم   شخصي كأحرف ساس وسطها ألف

---

1) ومنه : ك ل ن. وفيه : نفح.
ان السالم : ك نفح. ان سالم : ن. سالم - باسقاط (ان) : ل.
العين : ك ن نفح. العينين : ل.

2) بين العين والأنف : ك ل ن. بين الأنف والعين : نفح.
عن : ك ن نفح. علي : ل . مابين : ل. بين - باسقاط (ما) : ك ن نفح. واديرهم : نفح.
وفي سائر النسخ : وأريده.

4) وهذا : ك. هذا : ل ن نفح.
أيضا : ك نفح - ل ن.

5) المراد : ك ل ن. يراد : نفح. واللحمة : ل. والتحمد : ك ن نفح.

8) يسايرني : ل ن نفح. فسامرني : ك . القسطنطينة : ك ل ن. قسطنطينة : نفح.

10) الأدباء : ك ن نفح. أهل الأدباء - بزيادة (أهل) : ل.

قال : فتقدمت اليه وقلت : اين تعريقة السين. فقال : طالب ورب الكعبة. ثم قال للآخر من جهة يمينه ، قم فقام يجر رجله كأنه مبطول. فقال ، هذا تمام تعريقة السين. ثم دخلت من تلمسان إلى المغرب. فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم

5 اليزناسني (156). والشيخ الفقيه أبا محمد عبد المومن الجاناتي. والشيخ الفقيه الصالح ، أبا زرهون عبد العزيز بن محمد القيرواني. والفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي وكان حافظ وقته (157). والفقيه أبا عبد الله بن عبد الكريم. وشيخ الشيوخ أبا زيد عبد الرحمان بن عمران الجزولي (158). والأستاذ أبا العباس المكناسي. وكنت لقيت

10 الأستاذ أبا العباس بن حزب الله. والأستاذ أبا عبد الله محمد بن القصار بتلمسان. ولقيت غير هؤلاء ممن يكثر عددهم.

---

1) طالب : ك ن نفح. طالها : ل. اين : ك ل ن. فاين : نفح.

3) رحلت : كذا في النفح وفي سائر النسخ : دخلت.

4) عبد الرحمان : ل. عبد الرحيم : ك ن نفح.
اليزناسي : ك نفح - ل ن. والصواب ما أثبتناه (اليزناسني).

7) اليالصوتي : ك ل ن. اليالصوني : نفح وهو تصحيف.
والشيخ : ك - ل ن نفح.

9) عفان : ك نفح. عمران : ل ن. أبا عبد الله : ل ن. أبا العباس : ك نفح

10) القصار : ك ل نفح. القصاب : ن. أبا عبد الله محمد : ك ل ن.. أبا عبد الله - باسقاط (محمد) : نفح.

---

156) انظر ترجمته في جدوة الاقتباس ص 84. وشجرة النور ص 218.

157) تنسب إليه المدرسة المصباحية بفاس (ت 750 هـ - 1349م).
انظر درة الحجال 3 / 17. والجذوة ص 217. ولقط الفرائد ص 203 .

158) شيخ المدونة. كان أعلم الناس بمذهب مالك. وأصلحهم وأروعهم. وكان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه. معظمهم يستظهر المدونة (ت 741 هـ - 1340م).
انظر درة الحجال ج 3 / 79 - 80.

وكنت لقيت بتازا الفقيه ابا عبد الله بن عطية، والاستاذ ابا عبد الله المجاصي (159)، والأستاذ أبا الحسن الجبار، وغيرهم.

ثم بلغت بالرحلة إلى أغمات، ثم وصلت إلى سبتة، فاستوعبت بلاد المغرب، ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه من علمائه وصلحائه، ثم قفلت إلى تلمسان فأقمت بها ما شاء الله، ثم أعملت الرحلة إلى الحجاز، 5 فلقيت بمصر الأستاذ أثير الدين أبا حيان الغرناطي (160)، رويت عنه واستفدت منه، وشمس الدين الأصبهاني الاخر، وشمس الدين بن عدلان، وقرأ علي بعض شرحه لكتاب المازنى، وناولني إياه، وشمس الدين بن اللباني أخر المذكورين بها، والشيخ الصالح أبا محمد المنوفي فقيه المالكية بها، وتاج الدين التبريزى الأصم، وغيرهم ممن يطول ذكرهم، ثم 10 حججت، فلقيت بمكة أبا الموقف أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمان التوزرى المعروف بخليل، وسالته يوم النحر حين وقفت بالمشعر الحرام

---

1) قد : ك ن نفح ـ ل.
2) والأستاذ : ل ن نفح، والشيخ : ك.
6) فرويت : ك نفح، رويت : ل ن.
9) أبا محد : ك ن نفح، أبا عبد الله : ل.
11) امام الوقت : نفح، أبا الموفق : ك ل ن، محمد ـ : ك ل ن ـ نفح.
12) وقفت : ل ن، وقف : ك نفح.

---

159) أبو عبد الله محمد بن شعيب المجاصي، عالم لغوي اديب، مقرىء له شرح على ضبط الخراز فرغ منه عام (743 هـ) ومنظومة في غريب القران.

160) محمد بن يوسف الغرناطي الجياني، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . (ت 745 ـ 1344م).
انظر الدرر الكامنة 4 / 302، وبغية الوعاة 121، وفوات الوفيات 2 / 282، وغاية النهاية 2 / 285، ونكت الهميان ص 280.

عن بطن محسر لاحرك فيه الجمل، فقال لي : تمالأ الناس على ترك
هذه السنة حتى نسي بتركها محلها، والاقرب انه هذا - وأشار إلى ما يلي
الجابية التي على يسار المار من المشعر إلى منى من الطريق من أول ما
يحاذيها إلى أن يأخذ صاعدا إلى منى. وما رأيت أعلم بالمناسك منه.
5 والإمام أبا العباس رضى الدين الشافعي. وغير واحد من الزائرين
والمجاورين واهل البلد. وبالمدينة - اعجوبة الدنيا ابا محمد عبد الوهاب
الجبرتي وغيره.

ثم اخذت على الشام، فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم (161)
الجوزية - صاحب الفقيه ابن تيمية. وصدر الدين الغماري المالكي. وأبا
10 القاسم ابن محمد اليماني الشافعي وغيرهم. وببيت المقدس الأستاذ أبا
عبد الله ابن مثبت. والقاضي شمس الدين بن سالم. والفقيه المذكر أبا
عبد الله ابن عثمان وغيرهم.

ثم رجعت إلى المغرب فدخلت سجلماسة ودرعة. ثم قطعت إلى
الأندلس فدخلت الجبل واصطبونة ومربلة ومالقة وبلش والحامة. وانتهت
15 بي الرحلة إلى غرناطة. وفي علم الله ما لا أعلم. وهو المسؤول ان يحملنا
على الصراط الأقوم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم - انتهى ما

---

(10) (وبيت المقدس ... وغيرهم) : ك نفح - ل ن . المذكور : ك. المذكر : نفح.
(13) رجعت : ل ن نفح. رحلت : ك. ومربلة : نفح - ك ل ن.
(7) وصحبه وسلم كثيرا : ك - ل ن نفح. اشهر : ل ن - ك نفح.

---

(161) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي. من أئمة الاصلاح. واحد كبار العلماء (ت 751 هـ - 1350م).
انظر الدرر الكامنة 3 / 400. وجلاء العينين ص 20. وبغية الوعاة ص 25. وشذرات الذهب 2 / 168. والنجوم الزاهرة 1 / 249.

قصدناه من رحلة أشهر أسلافنا الإمام القاضي أبي عبد الله المقري - رحمه الله - ذكرته بطوله لما فيه من الفائدة. وقد ألم بذكر هذا الشيخ المقري - رحمه الله تعالى - العلامة ولي الدين بن خلدون - رحمه الله - في تاريخه الكبير، وقال فيه انه كبير العلماء بالمغرب. وذلك عندما

5 عرف بنفسه أخر التاريخ (162). ونص محل الحاجة منه : ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة اربع وثمانين. اقمنا في البحر نحوا من أربعين ليلة. وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر لعشر ليال من جلوس الملك الظاهر (163) - على التخت. واقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاون، وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك

10 وتمهيده له. واقمت بالأسكندرية شهرا لتهيىء أسباب الحج. ولم يقدر عامئذ. فانتقلت إلى القاهرة من أول ذي القعدة. فرأيت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وايوان الاسلام، وكرسي الملوك، تاج القصور والاواوين في أوجه، وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه. وقد امتلأ بســـاط

---

2) ولما : ك ل ن. لما : نفح.
7) لعشر : ك ل ن. ولعشر : نفح.
10) لتهيء : ك ل ن. لتهيئة : نفح.
13) تاج القصور : ك ل ن. تلوح القصور : نفح . أوجه - كذا في سائر النسخ . وفي التعريف جوه.
14) امتلا بساط : ل ن. مثل بشاطيء : ك نفح.

---

162) والنص في التعريف ص 246.
163) يعني به أبا سعيد برقوق* العثماني. انظر خطط المقريزي 1 / 241. والعبر لابن خلدون 5 / 467 - 472.

بحر النيل نهر الجنة، ومدفع مياه السماء، يسقيهم النهل والعلل بسيحه،
ويجبى إليهم الثمرات والخيرات بثجه (164). ومررت في سكك المدينة
تغص بزحام المارة، وأسواقها تزخر بالنعم، ومازلنا نحدث عن هذه البلدة
وبعد مداه في العمران واتساع الأحوال، وقد اختلفت عبارات من لقيناه
5 من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه. سألت صاحبنا
قاضي الجماعة بفاس، وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقري (165).
فقلت له : كيف كانت القاهرة ؟ فقال : من لم يرها لم يعرف عز
الاسلام. فسألت شيخنا أبا العباس بن ادريس (166) كبير العلماء
ببجاية. فقال: كأنما انطلق أهله من الحساب - يشير إلى كثرة أممه
10 وأمنهم العواقب. وحضرت صاحبنا قاضي العسكر بفاس، الفقيه الكاتب أبا
القاسم البرجي (167) بمجلس السلطان أبي عنان - منصرفه من السفارة

---

1) بسيحه : ك ل ن. سيحه : نفح .
بثجه : ك ل ن. ثبجة نفح.
3) نحدث : ل ن نفح - ك.
5) حاجهم : ل ن نفح. واحبهم : ك .
6) المقري : ل ن نفح. المغربي : ك. هي ك ن نفح. كانت : ل.
9) ببجاية : نفح. الجابية : ك ل ن. مثل ذلك فكان كأنما : ك. فقال كأنما انطلق أهله
ل ن. مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله : نفح. امنهم : ك ن نفح. امنه : ل.

---

164) الثج : الصب الكثير. والسيح الماء الجاري على وجه الأرض.
165) يعني مقدمه من الحج سنة (740 هـ).
166) أحمد بن ادريس البجائي المالكي (ت 760 هـ - 1359م). انظر الديباج 81. ونيل الابتهاج ص 71.
167) محمد بن يحيى الغساني البرجي من أهل برجة. كاتب أبي عنان صاحب الانشاء والسر في دولته (ت 786 هـ - 1384م). انظر التعريف 64. والاحاطة 2 / 215. وجذوة الاقتباس 197. والنيل 266.

عنه إلى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية إلى الضريح الكريم سنة خمس وخمسين (168). وسألته عن القاهرة فقال : أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ـ : الذي يتخيله الإنسان. إنما يراه دون الصورة التي يتخيلها. لاتساع الخيال عن كل محسوس. الا القاهرة. فإنها أوسع من كل ما يتخيل فيها. فاعجب السلطان والحاضرون (169) بذلك انتهى. 5

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما. والحمد لله رب العالمين.

---

2) وسألته : ك ل نفح. وسأله : ن

3) الذي : ك ل ن. ان الذي : نفح. انما : ك ل ن. فان ما : نفح

4) يتخيل فيها : ك ل. تخيلها : نفح. يتخيلها : ن.
عن : ك ل ن. على : نفح

5) بذلك : ك نفح. به : ل ن. انتهى : ك نفح ـ ل ن.
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما. والحمد لله رب العالمين : ل ن ـ ك.

إلى هنا تنتهي نسخة «ن» وجاء في آخرها ما يلي : تم بحمد الله ـ تعالى ـ الجزء الأول من «أزهار الرياض. في أخبار عياض» في أواخر شوال من عام ستة وعشرين ومائة والف (1126). وكتب من نسخة عتيقة عليها خط المؤلف ـ رحمه الله ـ ماعدا الكراستين الاخيرتين.

---

168) يعني وسبعمائة.

169) انظر التعريف 48ج والنفح 5 / 254

8 ـ روضة النيلوفر (170)، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي أذكى من المسك الاذفر

أقول ، لا سبيل الى حصر ثناء الناس على هذا الامام، ولكن لا بد من الالماع بالنزر اليسير والالمام.

5 قال القاضي ابو البركات بن الحاج البلفيقي ـ رحمه الله ، لما قدم أبو الفضل عياض على قرطبة، ولقي القاضي ابا الوليد بن رشد (171)، ورأى نبله وفضل ذكائه، قال، عجبا لرجل ينشأ في البلاد البحرية على أكل السمك من أين يكون له هذا النبل والذكاء. قال، فبلغ كلامه القاضي أبا الفضل فقال، والله ماأكلت سمكا منذ عقلت. انتهى.

10 قال بعض الاشياخ، يريد ـ والله أعلم ـ منذ عقل اضرار السمك بالحفظ وتبليده للذهن ـ والله أعلم.

---

(170) هي الروضة الثامنة. وقد سقطت الروضتان : السادسة والسابعة من سائر النسخ ـ حسبما وقفنا عليه. ووصل إليه بحثنا، والروضتان هما :
6 ـ روضة الآس. في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس لجرحه من آس.
7 ـ روضة الشقيق. في جمل من فوائده. ولمع من فرائده المنظومة نظم الدر والعقيق ـ حسبما ذكره في مقدمة الكتاب.
ولعل المؤلف لم يكتبهما، وترك مكانهما بياضا ـ ريثما يقف على شيء في الموضوع فاخترمته المنية قبل أن يحررهما.
وقد كلفنا صديقنا الفاضل الدكتور عباس الجراري عند وجوده بتركيا أن يبحث لنا في النسخ الموجودة هناك. فأفادنا بأنه لا وجود للروضتين.
ويذكر الشيخ عبد الحي الكتاني في تعليق له على هامش نسخته في هذا المكان ـ أنه بحث طويلا في هذا الموضوع، وزار كثيرا من المكتبات، واتصل برجال العلم والبحث. فلم يقف للروضتين على اثر.
انظر نسخة ك المودعة بالخزانة العامة بالرباط رقم (229).

(171) تقدمت ترجمته في ج 3 ص 59 ـ 61.

وهكذا ذكر غير واحد، وسمعت في بعض المجالس العلمية ما فيه بعض مخالفة لهذا، وهو ان ابن رشد كتب الى القاضي عياض، عجبا ـ ولم يزد على هذه اللفظة شيئا. فأجابه القاضي عياض بقوله، والله قط ـ ولم يزد. فلم يفهم الناس، فسألوا ابن رشد فقال، اردت بقولي عجبا، عجبا لرجل ينشأ في البلاد البحرية الى اخره. واراد ابو الفضل عياض بقوله، والله قط ـ أنه لم يأكله قط. غير اني لم ار ذلك على هذا الوجه منصوصا، وإنما هو شيء سمعته.

وأما الوجه الأول، فذكره ابن خاتمة وأبو البركات وغير واحد ـ والله أعلم.

وقال ولده ، أخبرني ابن عمي الزاهد، أن القاضي أبا عبد الله بن حمدين (172) كان يقول له ـ وقت رحلته إليه ـ ، وحقي يا أبا الفضل ان كنت تركت في المغرب مثلك ! وقال ، وأخبرني أن أبا الحسين بن سراج (173) قال له ـ وقد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ ـ ، لهو احوج إليك منك إليه، وقال إن الفقيه أبا محمد بن أبي جعفر قال له ، ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض (174).

---

11) (وحتى) كذا في الأصل، وفي التعريف (وحقى) ولعلها الصواب

---

172) تقدمت ترجمته في ج 3 ص 95 ـ 98.

173) أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج، من شيوخ عياض (ت 508 هـ ـ 1114م) انظر ترجمته في الصلة 1 / 222، والغنيمة 115 ـ 118.

174) انظر التعريف بالقاضي عياض لولده محمد ص 106 ـ نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحقيق د بنشريفة.

قال ابن الخطيب - رحمه الله - : ومثل هذا (175) كثير - يعنى ثناء الاعلام على القاضي عياض - رحمه الله.

وحكى غير واحد. منهم : ابن جابر الوادي آشي - ان القاضي أبا الفضل. لما ألف كتاب الشفا. أوقف عليه شيخه الإمام الحافظ أبا بكر بن
5 العربي - رحمهما الله تعالى. فقال له : بارك الله فيك يا أبا الفضل. واستحسنه جدا ! وأثنى عليه الناس سواه. وما أحسن قول الإمام أبى عمرو المالقي (176) - رحمه الله يمدح القاضي أبا الفضل عياضا - :

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراء عينا في اسمه كي يكتموه وإنه معلوم
10 لولاه ما فاحت اباطح سبتة والروض حول فنائها معدوم

قلت : تذكرت هنا من هذا المعنى. ما كتب إلي به صاحبنا الكاتب البليغ. جامع اشتات الآداب. سيدي محمد المكلاتي (177) في شأن هذا الكتاب الموسم بـ «أزهار الرياض في أخبار عياض» ونصه :

أتى برياض في عياض وردها مظالم كانت قبل معضلة الداء
15 وفاضت بنيل العلم منه أصابع فلا تنكرن نبع الاصابع بالماء
خليلي هذي معجزات لأحمد فلا تعجبن ان رد عينا إلى الراء

ووصل هذه الأبيات بنثر نصه : تأملت ما سطره سيدنا - لا زال قلمه فرعا يشمل بظله. ويتصرف في اثناء الثناء بمعرفته وعدله. -

---

11) به : ك - ل.

18) بظله : ل. نصله : ك.

---

175) انظر الاحاطة 229/4 - تحقيق عنان.

176) أبو عمرو بن سالم بن صالح النهرواني المالقي. راوية شعر ابن خبازة. الاديب المقيد الضابط. (ت 621 هـ - 1224م).
انظر أزهار الرياض ج 2 / 380.

177) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي . صاحب ذيل نظم الوفيات وهو من أدباء العصر السعدي. (ت 1041 هـ 1631م).
انظر نشر المثاني ج 1 / 160.

فرأيت الكواكب الوقادة تهاوت بهذا الرياض، وسالت به المجرة نهرا فراقت منها الخلجان والحياض، فسجد لك الكلام واقترب، وبايعتك رعايا المعاني منشدة «فسمعا لأمر أمير العرب (177) «والسلام» انتهى.

ولا خفاء أنه أشار بالبيت الأول إلى معنى أبيات المالقي الثلاثة.

5 ثم أتى في البيت الثاني والثالث بالعجب العجاب حسبما يدركه من له أدنى تعلق بالبلاغة، وما رأيت ولا سمعت قط بمثل هذا الاتفاق الذي اتفق له في هذين البيتين، لا سيما قوله : ان رد عينا إلى الراء، على أن مثل هذا ليس فيه إلا ترفيع قدر النبي - صلى الله عليه وسلم، والإشارة إلى بعض معجزاته الشهيرة على طريق التلميح، لا كما توهمه بعض

10 الاغمار مما لا يليق ذكره. - والأعمال بالنيات.

وللفقيه الاديب الماهر، أبي محمد محارب بن محمد بن محارب الوادي آشي (178) يمدح القاضي عياضا أثناء مقامة من انشائه:

3) والسلام : ك - ل.

9) التلميح : ل، التمليح : ك، وهو تحريف.

فما : ل، بما : ك.

11) أبي محمد : ل، أبي عبد الله : ك.

---

178) هذا شطر مطلع قصيدة للمتنبي في سيف الدولة :

(فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب)

انظر شرح البرقوقي ج 1 / 111.

---

179) أبو محمد محارب بن محمد بن محارب الوادي اشي. كان فقيها أديبا. (ت بعد 553 هـ - 1158م).

انظر التكملة ص 736، رقم (1859).

غدا سلس القياد فما يــــراض وعم جميع لمتــه البيـــاض
وأضحـى القلـب لا تصبيه هنـد ولا سلمـى ولا الحـدق المـراض
ولا يشجيه طيب نسيـم نجـد ولا تسليـه بالزهـر الريـــاض
وان غنـى الحمـام بغصـن أيـك فمن عض الزمان بـه عضـاض
5 وقائلة ، اتكـرع فـي ثمـــاد وقـد لاحـت لرائدهـا الحيـاض
إلى كم ذا تقول لكـل خطـب مقالة من ألم بهـا المخـاض
وتنقبض انقباض العـي حتـى أضـر بـك السكـون والانقبـاض
ووجد بني عيـاض بالمعالـي مدى الدنيا حديـث مستفـاض
إذا قصدوا اثاروا الجـود بحـرا وسالـوا بالمكـارم ثـم فاضـوا
10 فقلت لها ، ومن منهم عيـاذي فقالت ، ذاك سيدهـم عيـاض
إمـام زانـه علـم وحلـم له بالخطـة العليـا انتهـاض
يقارض من أسـاء بحسـن صبـر وأمـر الديـن والدنيـا قـراض
ففي الآداب جـدول مـاء مـزن وفي الآراء بحـر لا يخـاض
ويبرم ما يروم فليس يخشـى على أمر ان أبرمه انتقـاض
15 ـهيـ بكـل معلـوة وفضـل كما قـد هـام بالعليـا مضـاض
ومن تعلق حبال بنـي عيـاض يداه فلا يضـام ولا يهـاض

وإذا تتبع هذا الباب، وقفت دون بلوغ مداه الألباب.

وأما مناقب الإمام أبى الفضل عياض ـ رحمه الله ـ فكثيرة، وكلها دال على ماله في الرتبة الدينية من المزية الأثيرة؛ فمن ذلك ما حدث

---

(10) مدى : ل. هو : ك.
(12) ومن : ل. وما : ك.
(15) مضاض : ك. عضاض : ل.

به المشيخة عن بعض الصالحين. قال ، رأيت القاضي أبا الفضل - بعد موته في المنام - وهو في قصر عظيم جالس على سرير قوائمه من ذهب. قال ، فكان يسألني عن مسألة. فأقول له ، ياسيدي. ذكر فيها في كتابك الموسوم بـ «الشفا» كيت وكيت. قال ، فكان يقول لي ، اعندك ذلك
5 الكتاب ؟ فأقول له ، نعم. فيقول لي ، شد يدك عليه. فبه نفعني الله وأعطاني ما تراه.

وحدث بعضهم قال ، رأيت القاضي أبا الفضل في النوم إلى جانبه رجل طيب الرائحة. جميل الصورة. حسن الثياب - كصفة النبي - صلى الله عليه وسلم. قال الرائي ، فكنت أقصد إلى سيدي عياض فأسلم عليه.
10 فكان يقول لي ، سلم على هذا. فأقول له ، من هذا ؟ فيقول لي ، هذا هو الذي نفعني الله به.

نقلت هاتين المنقبتين من خط الشيخ الامام ابي عبد الله سيدي محمد بن صعْد التلمساني رحمه الله. واظن انه نقل ذلك عن الامام الرحلة ابي عبد الله بن رشيد الفهري - والله اعلم.

15 ومن مناقب عياض، ما رأيت بخط ابن صعدِ التلمساني المذكور. ونصه ، حدثوا عن عياض انه لما توفي والده - وكان من عباد الله الصالحين. وخيار أهل العلم. - ترك موروثا عنه سبعة عشر ألفا من الذهب.

---

3) فيها : ل. فيه : ك.

13/12) سيدي محمد ... أبي عبد الله) : ك - ل.

15) التلمساني : ك - ل.

فتنزه عنها القاضي أبو الفضل. وتركها لأخيه - مع علمه بطيب مكسب والده، ونزاهته. - انتهى.

ومن مناقبه - رحمه الله - ما ذكره السيد الفقيه أبو الحسن الوضاحي - رحمه الله في كتابه - : ان احد الملوك رئ في منامه - بعد 5 موته في القيامة. والنار تسوق الناس إلى المحشر. وهو في حالة حسنة. وثياب حسان، يقول الرائي : لا أقدر أن أصف حسن ثيابه. فكلما همت النار أن تلحقه أو تقرب إليه . مد إليها يده. فترجع النار عنه مسيرة خمسمائة عام، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : كنت في الدنيا قد كتبت الشفا لعياض وحبست عليه. وكسوت عليه عشرين كسوة في كل سنة كسوة 10 للقارىء. فلما وقفت بين يدي ربي. أمر بي إلى النار. فأنا كلما همت النار بي مددت إليها يدي. فترجع النار - كما ترى - عني. وكساني بكل كسوة عشرين ألف حلة من حلل الجنة. فقلت له : وما تنتظر ؟ فقال : وهل تكون في النار ثياب الجنة ؟ قلت : فادخل الجنة. قال : الرسول - صلى الله عليه وسلم - يشفع لي ويجازي عني أصحاب المظالم والحقوق 15 التي وجبت علي للناس. فحينئذ ادخل الجنة - لأنه حرام على أحد أن يدخل الجنة ولأحد عليه مظلمة حتى يشفع فيها - انتهى . من خط بعض الاعلام من تلاميذة الشيخ ابن غازي - رحمه الله.

وحكي أن بعض الملوك كان مسرفا على نفسه في اللهو وما لا يرضى الله. فرفعت إليه رقعة فيها مكتوب : ((حتى متى وإلى متى من

2-1) مكسب والده : ل. مكسبه : ك.

15) (لأنه حرام على أحد أن يدخل الجنة) : ك - ل.

هذا اللهو ـ والموت يطلبك)) ؟ فأعرض عن ذلك مدة. ثم رجع وندم، وشاور بعض خواصه في وجه الخلاص، فدل على بعض صلحاء وقته. فلما شكا إليه، قال له : ما أرى لك أفضل من خدمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم. فقال له : وبأي وسيلة أتقرب إليه ـ وأنا بعيد من طريقته ؟ فقال
5 له : بكتاب الشفا للقاضي عياض، ومن هناك يقع الصلح بينك وبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم. فمن ذلك اشتغل بنسخه والعطاء عليه، وكان يقرأه دائما. ورتب في مجلسه قارئا له. فظهرت عليه أثار القبول والمحبة شيئا بعد شيء في باطنه، واستنار من فيض حبيبه وشفيعه، وكبر شأن ملكه، وهادته الملوك بحسن نيته ـ إذ الأعمال بالنيات، ورأى
10 الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المنام، وأخبره بأمور من الغيب، وأمره بأشياء امتثلها. وكان يقول : ذلك كله من بركة الشفا لعياض. نقلته ملخصا من خط من ذكر. ونقلت من خطه أيضا ـ ما نصه : وقد تكرر السماع من علماء فاس ـ ولا سيما من السيد القدوة أبي عبد الله بن غازي (180) ـ رحمهم الله ـ انهم قالوا : رأى بعض صلحاء فاس ـ نفع الله
15 بهم ـ في المنام ـ السلطان أبا عنان وهو بحالة حسنة وثياب حسان، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وأدخلني الجنة. فقال له : وبم ذلك ؟ قال : بتحبيسي على قراءة الشفا للقاضي عياض بمساجد فاس، غفر الله لي وضمن عني الحقوق، وهنا رجاء عظيم، وذلك قليل في حق المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتهى .

---

14) رحمهم الله : ك ـ رحمه الله : ل.

---

(180) تقدمت ترجمته في ج 4 / 222 ـ رقم (655).

قلت : رأيت بخط الفقيه القاضي، الكاتب الرحال : أبي إسحاق ابراهيم بن الحاج النميري (181) - رحمه الله - في تاريخ له بعد الكلام - ما نصه : ثم ولي بعده ابنه المتوكل على الله ابو عنان - وهو الذي تميز بأمير المؤمنين من بني مرين - وحده. وتلقب المتوكل ، وهو الجامع لكمالات الملوك، والمنفرد بما لم ينفرد به أحد منهم، وكان محبا في العلم وأهله. يحصل المسائل العلمية، ويطالع الكتب ليله أجمع، لم تهزم له قط راية، وخلد آثارا عظيمة، وبنى بكل بلدة من بلاده - زاوية لإطعام الطعام. ولم يكن له قصد إلا في تحصيل الأجور، واكتساب المحامد والمعالي، وريء في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وأدخلني الجنة. فقيل له : بصدقاتك ؟ قال : لا، رجع كل ذلك إلى أربابه، وإنما نفعني قراءتي سورة الأنعام في كل ليلة. ورآه بعضهم أيضا فقال له : كيف حالك ؟ فقال : أنا في أتم النعم، وأكمل الخيرات بمحبتي في آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى.

وقد يجمع بين هذه الأشياء، بأن جميعها حصلت به المغفرة - وفضل الله واسع، نسأله - سبحانه - أن يمن علينا بالرضوان، ويقينا في الدارين مسالك الذل والهوان، بجاه سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم.

13) ال : ل - ك.

181) أورد له ابن القاضي في الجذوة ترجمة مسهبة. انظر ج 1 ص 86 - 91.

ومن فضائل الشفا ما وقفت عليه لبعض أعلام المتأخرين من أهل فاس في كتاب له يخاطب به السلطان الوطاسي (182)، ونص محل الحاجة منه : ومن فضائل الشفا، ما اتفق في زمننا هذا ـ وهو ما ابرزه الله في وجهتك العجيبة، وايالتك السعيدة ـ فأصبحت النفوس منشرحة يوم الخصلة المأثورة، وغنيمة المعمورة، وذلك أن السيد الفقيه، المبارك الصالح، سيدي عبد العزيز اللمطي(183) رحمه الله ورضي عنه راى في منامه في عام عشرين من هذا القرن (184)، كأنه دخل القرويين، فوجد في وسط الجامع جمعا من الناس ـ وهم يطلبون الله ـ قال : وإذا برجل داخل على الباب الشرقي المدرج وبيده مصباح، فلما دخل واجتمع مع الناس، صار يقلع حصر المسجد، قال : وإذا برجل داخل على الباب المذكور لوجهه نور، أضاء منه المسجد، عليه برنس أبيض، فقال قائل للناس : هذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جاء، فأتى الناس للقائه، فسلموا عليه، فدخل حتى أتى الصف الذي فيه الكرسي الذي أنا أقرأ عليه الشفا، ثم جاء إلى ناحية الكرسي، حتى وصل إليه، قال سيدي عبد العزيز ـ رحمه الله ـ : وأنا على الكرسي أقول : قال الشيخ الفقيه القاضي عياض، قال الرسول عليه ـ الصلاة والسلام ـ : نعم، أحسن عياض،

---

8) جامع : ك ـ ل.

---

182) يعنى به محمد البرتغالي ـ كما يدل سياق حديثه وهو الذي اخذت في عهده المعمورة ثم استردت ـ كما في الاستقصا ج 144/4.

183) انظر في ترجمته الجذوة ص 453، ودرة الحجال 132/3، والنيل ص 182.

184) أي القرن التاسع الهجري، ففي هذا التاريخ ـ تقريبا ـ أي في حدود عشرين وتسعمائة ـ استولى البرتغاليون على المعمورة.
انظر الاستقصا 4 ص 110.

أحسن عياض، أحسن عياض ! ثم جلس مع الناس في المجلس، فلما
فرغت من القراءة، شرعت في الدعاء، ونصب الرسول ـ صلى الله عليه
وسلم ـ يديه، فلما فرغت ـ يقول سيدي عبد العزيز ـ أتيت رسول الله ـ
صلى الله عليه وسلم، وقبلت يديه، وجعل يده الكريمة على كتفي، ثم
5 قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسيدي عبد العزيز ، لم أنت تكره
هذا القارىء ؟ ألم تعلم انه يحبني ويكثر من الصلاة علي ؟ قال ، قلت ،
أنا تائب لله، قال ، قل ، أستغفر الله، فقلت ، أستغفر الله، قال ، قلت ،
يارسول الله، أما ترى ما نحن فيه في هذا الغرب من الغفلة ؟ قال ، قل
لهذا المحب القارىء يقرأ الشفا في مقام هذا الشيخ أربعين أربعاء، ولا
10 بد من النصر بإثر ذلك، قلت ، ومن هذا الشيخ ؟ قال ، أبو جيدة، ثم قال
أشياء أخرى ، فقال سيدي عبد العزيز للقارىء ، أحمد الله ـ تعالى ـ أن
خصك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقراءة أوصافه، فشرعت في القراءة
في مقام الولي المذكور، فلما كان أخر أربعاء منها ـ وأنت ياعين الزمان،
أعطاك الله النصر والتمكين والأمان بالناس على المعمورة، فكانت
15 هزيمة الروم يوم الأحد، فكان بين التمام والنصر، يوم الخميس والجمعة
والسبت (185)، وصدق الله قول سيدي عبد العزيز ـ رحمه الله، وذلك من

---

6) ألم تعلم انه يحبني، لم تعلم انه يحبني ويكثر من الصلاة على : ل، الم تعلم انه يحبني
ويكثر من الصلاة علي ـ ثلاث مرات : ك.
11) فقال لي سيدي عبد العزيز : ل، فقال سيدي عبد العزيز للقارىء : ك.

---

185) لا تحدد المصادر تاريخ استرجاع المعمورة باليوم ـ كما في هذا النص، وهو يختلف
معها في تحديد المدة التي بقيت فيها تحت يد البرتغال، فالنص يجعلها نحو تسعة أشهر
ويؤيده ما في لقط الفرائد ص 285 وعروسة المسائل للكراسي ص 23 ـ 25 ـ بينما
الناصري يحددها بنحو خمس سنين.
انظر الاستقصا ج 4 / 144.

بركة الشفا المبارك، وبسعادة أيامك - والحمد لله - أسعدك الله ونفعنا وإياك بالشفا آمين - انتهى بحروفه.

وكتب بعضهم إلى الأمير علي بن يوسف الوطاسي (186) - يزعم أنه رآه يقرأ كتاب الشفا في الجامع، فأول ذلك الوطاسي بالصدقة، لكونها 5 شفاء.

قال صاحب «الروض الانف، في مآثر علي بن يوسف» (187) : وهذه مناسبة حسنة جدا - انتهى.

وحدث الشيخ أبو محمد بن الصائغ، انه رأى القاضي عياضا في النوم في قصر قوائمه من ذهب، قال : فكان يسألني عن مسألة، فأقول 10 له : ياسيدي، ذكرت فيها في كتاب الشفا كذا، فيقول لي : عندك ذلك الكتاب ؟ فأقول له : نعم، فيقول لي : شد يدك عليه، فبذلك نفعني الله - أو نحو هذا.

قال الراوي عن ابن الصائغ المذكور : قال لي أبو محمد بن الصائغ المذكور : قد أخبرت بهذه الرؤيا ابن عمك أبا عبد الله، فقال لي : رأى 15 إنسان - لا أدري أعن نفسه كنى أم عن غيره - انه كان يرى الشيخ - رضي الله عنه - في النوم، وإلى جانبه رجل طيب الرائحة، حسن الملبس، جميل الصورة كهيئة النبي - صلى الله عليه وسلم، قال الراوي فكنت أقوم

---

13) قال لي أبو محمد الصائغ المذكور : ل - ك.

---

186) هو الوزير الأكبر علي بن يوسف، كانت أيامه مواسم، لديانته وصيانته، ورفقه بالرعية مع العدل وحسن الإدارة.
انظر جنوة الاقتباس ص 291، والاستقصا ج 4 / 96.

187) لعله يعنى به الوزير علي بن يوسف الوطاسي الانف الذكر، ولا ندري من هو مؤلف هذا الكتاب، وقد أغفله صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى.

إلى الشيخ فأسلم عليه. فيقول لي : سلم على هذا. فأقول : ومن هو ؟
فيقول لي : هذا الذي نفعني الله به. أو نحو هذا - انتهى.

وقد قدمنا عن ابن صعد مثله. وكررته لأن هذا أتم فائدة. مع ما فيه
من تسمية الرائي وغير ذلك. على أن ابن صعد. جعلهما حكايتين
5 مختلفتين. وهذا جعلهما - حكاية واحدة - حسبما لفيته على نسخة عتيقة
من الشفا. عليها خط جماعة من الاعلام - والله أعلم.

ومن مناقب الإمام القاضي أبي الفضل عياض. الداخلة في أعمال
بره. إقامته الحد على الفتح بن عبيد الله صاحب القلائد. وذلك أنه قصد
مجلس قضائه - مخمرا. فتنسم بعض شهود المجلس منه رائحة الخمر.
10 فأعلم القاضي بذلك. فأمر به. فاستثبت في استنكاهه وحده حدا تاما.
وقد حكى هذه المنقبة أبو عبد الله بن عياض (188). وعنه نقلها صاحب
المعيار (189). ونص ما تعلق به الغرض من كلامه في ذلك : وفي بعض
تواريخ الأندلس. أن رجلا كان مع حمدين وابن رشد - حين كان
يتعلمان العلم. فارتفع ابن حمدين حين بلغ القضاء والفتيا. وابن رشد
15 كذلك. وخرج هذا الرجل متخلفا. فرفعته العامة أيام قضاء ابن حمدين.
وذكروا له أنه شرب الخمر. فلما وقعت عينه عليه. قال له : يا شيخ. انك
أحمق ؟ فقال الرجل : ما يعرفني غيرك. فأمر بإرساله من أيديهم؛ ثم
أخذوه ثانية. وذكروا أنهم وجدوه - ومعه الخمر. فقال : ما شأنك أيها

---

3) على : ل - ك. مختلفتين : ل - ك.

---

188) انظر التعريف ص 112.

189) انظر المعيار ج 2 ص 319.

الشيخ ؟ فقال له : يا أخي، فساد الزمان، ومخافة الاخوان، ومعاداة العوام.
هذا شأني، فقال لهم : أعرف هذا مجنونا، أرسلوه، فقال بعضهم لبعض : إن
هذا القاضي لا يمكنكم منه. اقطعوا مادته، وكان له حمام وعتبة أخرى
يستغلهما. فأتوا إليهما فهدموهما. وحملوا جميع انقاضهما وترابهما. وبقيتا
5 عرصتين كأنهما ما عمرا قط. وقطعوا مادته من قطع معاشه، وهذا من نحو
العفو عن شارب الخمر، لقوله - عليه السلام - : اقيلوا ذوي الهيئات زلاتهم.
أخرجه ابن أبي شيبة والنسائي. وهو محمول على الندب. وقد يحتمل
الوجوب. وهذا عكس ما اتفق للقاضي الفاضل، أبي الفضل عياض - رحمه
الله - وهي من نوادره التي اضطره الشرع إليها. إقامته حد الخمر على
10 الفتح بن خاقان. وذلك انه قصد إلى مجلس قضائه مخمرا. فتنسم بعض
شهود المجلس منه رائحة الخمر، فأعلم القاضي بذلك. فأمر فاستثبت في
استنكاهه. وحده حدا تاما.

قال ولد القاضي - محمد بن عياض : قال لي بعض أصحابنا :
بعث أبوك إلى الفتح بن خاقان بعد أن أقام عليه الحد - صحبتي -
15 ثمانية دنانير وعمامة.

وأخبرني بعض أصحاب الفتح بن خافان، أن الفتح قال له - بعد
أن أقام عليه والدي الحد - : عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل
من كتابي الموسوم بـ «قلائد العقيان». قال : فقلت : لا تفعل وهي
نصيحة. قال لي : وكيف ذلك ؟ قال : فقلت له : قصتك معه من الجائز

---

(1) له : ل - ك.
(9) وهي : ل - ك.
(13) قال لي بعض أصحابنا : ك ل. والذي في التعريف : وأخبرني بعض أصحابنا قال لي

أن تنسى وأنت تريد أن تخلدها مؤرخة. فقال لي : وكيف ؟ فقلت له :
كل من نظر في كتابك. يجدك قد ذكرت مثله ودونه في العلم والصيت،
فيسأل عن السبب. فيقال له. فيتوارث العلم بذلك الأصاغر عن الاكابر.
قال : فتبين له ذلك وعلم صحته (190) - انتهى.

5 قلت : وقريب مما وقع لابن حمدين. حكى عن القاضي أبى عبد
الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى. قاضي الجماعة بقرطبة لعبد
الرحمان الناصر. قال القاسم بن محمد كاتبه - أيام قضائه بالبيرة - :
ركبنا مع القاضي في موكب حافل من وجوه البلد. إذ عرض لنا فتى
متأدب قد خرج لنا من بعض الأزقة يتمايد سكرا. فلما رأى القاضي
10 هابه. وأراد الفرار. فخانته رجلاه، فاستند إلى الحائط وأطرق. فلما قرب
منه القاضي، رفع رأسه إليه ثم أنشأ يقول :

ألا أيها القاضي الذي عم عدله فأضحى به في العالمين فريدا
قرأت كتاب الله ألفين مرة فلم أر فيه للشراب حدودا
فإن شئتم جلدي فدونك منكبا صبورا على ريب الخطوب جليدا

---

1) لي : ل - ك.
له : ل - ك
2) مثله ودونه : ك ل. وفي التعريف : من هو مثله ودونه.
6-5) أبى عبد الله : ل - ك.
13) ألفين : ك ل. وفي المرقمة العليا : ألف. وهو لا يستقيم معه الوزن.
14) شئتم جلدى : ك ل. في المرقمة : شئت ان تجلد. وهو لا يستقيم وزنه إلا بتسكين الدال - وهو منصوب

---

190) انظر التعريف ص 112.

وإن شئت أن تعفو تكن لك منـة تروح بها في العالمين حميـــدا
وإن كنت تختار الحدود فإن لي لسانا على هجو الرجـال حديـدا

قال ، فلما سمع القاضي شعره، وتبين له أدبه، اعرض عنه ومضى لشأنه ـ كأن لم يره (191) ـ انتهى.

5 قال القاضي ابن الحسن النباهي، الظاهر من القاضي ابن ابي عيسى، أنه ذهب الى الاخذ في القضية التي تضمنتها أبيات الفتى المتأدب بقول زفر، ان حد الخمر لا يقوم بالاقرار مرة واحدة، حتى يقر الشارب على نفسه بالشرب مرتين، أو بقول الشافعي والكوفي، أنه لا يحد الا من الشهادة على شربها او قيئها، لامن الرائحة وتخيل السكر، أو ظن
10 القاضي ان الفتى ممن لم يبلغ سن التكليف، او قيل له عنه انه كان مكرها، وحسب النازلة من باب درء الحدود بالشبهات ـ والله اعلم أي ذلك كان، فلا وجه لحكم في اسقاط حد لغير عذر ولا تأويل، فاجماع المسلمين، منعقد على تحريم خمر العنب النيىء قليله وكثيره، وعلى وجوب الحد فيه، وانما الخلاف في التفصيل والقدر ، فمذهب الجمهور من
15 السلف والفقهاء ، مالك وأبى حنيفة والثوري والأوزاعي وأحمد وإسحاق وغيرهم، ان حده ثمانون جلدة، وقال قوم ـ منهم أهل الظاهر ، ان حده أربعون، قال الشافعي ، بالأيدي والنعال، وأطراف الثياب، وعند مالك

---

5) البناهي : كذا ثبت في الأصل، والصواب ما اثبتناه النباهي.
8) والكوفي : ك ل. في المرقبة : والكافي، ولعله تصحيف.
وتخيل : ك ل. في المرقبة : أو يتخيل.
14) الخلاف : ل. الاختلاف : ك.

---

191) انظر المرقبة العليا الموضوع ص 61.

وغيره. الضرب فيه بسوط بين سوطين. وضرب بين ضربين، والحدود كلها سواء. وعند الزهري والثوري وإسحاق وأحمد والشافعي، أن حد الخمر أضعف الحدود.

قال عياض في الإكمال ، ورأى مالك وبعض أصحابنا في المدمن.
5 عليه التغليظ بالفضيحة والطواف والسجن، واختلفوا في المريض الذي لا يرجى برؤه. فمذهب مالك والكوفيين وجمهور العلماء ، انه لا يجرى فيه إلا ما يجرى في الصحيح. ويترك حتى يبرأ أو يموت. وقال الشافعي ، يضرب بعثكول نخل. يصل جميع شماريخه إليه. أو ما يقوم مقامه. والمذهب إلزام السكران جميع أحكام الصحيح. لأنه أدخل ذلك على
10 نفسه. وهو حقيقة مذهب الشافعي. وفرق بين الشارب مختارا وبين المستكره.

وأكثر العلماء. ذهب إلى أن الحدود كفارة. ومنهم من وقف واحتج بقوله تعالى ، ((**ذلك لهم خزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم (192)**)). - وفي حديث ، ماعز الثابت في الصحيح (193). ما
15 يدل على أن التوبة لا تسقط حد الزنى والسرقة والخمر. وإنما تنفع عند الله.

وروي عن الشافعي. أن التوبة تسقط حد الخمر، وعلى كل تقدير. فمن الواجب على من وقع في معصية وترتب بسببها قبله حق لله. وللناس من دم أو مال أو عرض أو انتهاك حرمة أن يبادر - أولا - إلى

---

8) بعثكول ، ك ل. في المرقبة بمثكول - وهو تحريف.

---

192) الاية ، 41 - سورة المائدة.

193) وهو حديث متفق عليه - انظر منتقى الأخبار بشرح نيل الأوطار ج 7 / 100.

التوبة. ثم يرجع بعدها إلى الاقادة من نفسه للخلق والتحلل من التبعات
بجهده على الوجوه المتقررة في الفقهيات. وان يكثر مع ذلك مدة حياته
من العمل الصالح. ومن الدعاء، والبكاء. وبخصوص فيما يرجع إلى الدماء،
فالمنقول عن مالك ـ وقد سئل عمن كتب إليه وال في قتل رجل فقتله.
5 ثم اراد التنصل والتوبة. فعرض نفسه على أولياء المقتول وأخبرهم فقالوا :
لسنا بقاتليك. انا نخاف ـ إن قتلناك ـ عاقبة ذلك، وعرض عليهم الدية.
فأبوا أن يقبلوها، ـ فكان من جوابه ـ رضي الله عنه ـ ان قال : أحب
إلي أن يؤدي دينه إليهم. وان يعتق الرقاب ويتصدق. ويكرر الحج
والغزو، وان استطاع أن يلحق بالثغور ويكون فيها أبدا حتى يموت فهو
10 أحب إلي، وفي الحديث : أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم. والمراد بذلك أهل
المروءة والصلاح. ويبينه ماروي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
قال : تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة والصلاح. والمأمورون بالتجافي عن
زلات ذوي الهيئات عند العلماء. هم الأئمة الذين إليهم إقامة العقوابت
على ذوي الجنايات. والاقالة هي فيما عدا الحدود. والزلات التي أمر
15 بالتجافي عنها. هي مالم يخرج بها فاعلها عن أن يكون من ذوي
المروآت والهيئات التي هي الصلاح. فأما من أتى ما يوجب حدا ما. اما
قذف محصنة أو ما سوى ذلك من الأشياء التي توجب الحدود. فلا يجب
التجافي عنه. لأنه قد خرج بذلك عن ذوي الهيآت والصلاح. وصار من

---

1) التحلل : ل. والتحليل : ك.
4) مالك : ل. ذلك : ك. وهو تحريف.
12) والمأمورون : ل. المأمورون : ك.
14) هي : ل ـ ك.
16) أما : ك ل. وهي ساقطة في المرقبة.

أهل الفسق. فوجب إقامة الحد عليه. ليكون ذلك ردعا له ولغيره. رزقنا الله الاستقامة. وسلك بنا مسالك السلامة.

انتهى كلام النباهي (194). وذكرته بجملته تتميما للفائدة ؛ و بالجملة ، فما فعله القاضي عياض من اقامة الحد على الفتح. هو الحق 5 الذي لا غبار عليه. ولا يتوجه الاعتذار إليه. وعكسه يحتاج إلى تأويل. والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

والفتح المذكور. هو إمام البلاغة والكتابة. وصاحب التاليف الشهيرة. التي منها «قلائد العقيان. في محاسن الأعيان» و «مطمح الأنفس. ومسرح التأنس. في ملح أهل الأندلس» وغير ذلك.

10 وهو الفتح بن محمد بن عبيد الله. يكنى أبا نصر. ويعرف بابن خاقان ، الكاتب الشهير القيسي (195). وهو من قرية تعرف بصخرة الوادي من قرى قلعة يحصب. خرج من موضعه وتجول في البلاد. وبرع في الكتابة والشعر. وامتدح الملوك. وشهر في الأمصار. وكان مترسلا

---

2) وسلك بنا مسالك السلامة : ك ل. وهي ساقطة في المرقبة. ولعلها زيادة من المؤلف.
3) تتميما : ل. تعميما : ك.
9) أهل ـ : ل ـ ك.
12-4) صخرة الواد : ك ل. قلعة الواد ـ : نفح
من قرى قلعة يحصب : ك ل. من قرى يحصب ـ باسقاط (قلعة) : نفح.
13) مترسلا : ك. مرسلا : ل.

---

194) انظر المرقبة العليا ص 61 ـ 63.

195) وانظر في ترجمته معجم ابن الابار 300. ووفيات الأعيان 1 / 407. والمغرب. في حلى المغرب 1 / 254. وشذرات الذهب 4 / 107. وارشاد الاريب 6 / 124. والنفح ج 4 / 19 ـ 60.

بليغا، أية من آيات الله في البلاغة، لا يشق غباره، ولا يدرك شأوه، عذب الألفاظ ناصعها، أصيل المعاني وثيقها، لعوبا بأطراف الكلام، معجزا في باب الحلي والصفات، إلا أنه كان مقدورا عليه في الرزق، محروما في الدنيا على غالب عادة أهل الادب، لا يمل من المعاقرة والقصف، حتى هان قدره، وابتذلت نفسه، وساء ذكره، ولذا قال ابن الأبار في معجم أصحاب الصدفي ـ إذ لم يذكره في التكملة ، لم يكن مرضيا، وحذفه أولى من اثباته (196) ـ انتهى.

ولم يدع بلدا من بلاد الأندلس، إلا ودخله ـ مسترفدا أميره، وواغلا على عليته، وكان كثير الأسفار، سريع التنقل، مرهب الشبا، قادرا على إظهار المثالب، وقد قال في أبي بكر بن باجة ـ الشهير بابن الصائغ، آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس ـ على ما قال ابن الخطيب وغيره ـ ما هو مخلد في كتابه «قلائد العقيان» إلى غابر الدهر، وبه ختم الكتاب المذكور (197).

وحدث بعض الأشياخ، ان سبب حقده عليه، ما كان من إزرائه به وتكذيبه إياه في بعض المجالس، إذ جعل ذكر ما وصله به أمراء الأندلس، ووصف حليا ـ وكان يبدو من أنفه فضلة خضراء اللون ـ زعموا ، فقال له ابن باجة ـ فمن تلك الجواهر إذن الزمردة التي على شاربك ؟

9) مرهب : ك. مرهف : ل.
12) الكتاب : ل. كتابه : ك.
15ـ16) به : ل ـ ك. ووصف حليا : ل.
ووصفه وصفا جليا. ك
17) إذن : ل. هذه : ك.

196) انظر ص 313. نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
197) انظر ص 298. طبع بولاق.

فثلبه (198) أبو نصر. وعلى ذلك كله فهو نسيج وحده - غفر الله له.

قال ابن خاتمة : لم يعرف من المعارف بغير الكتابة والشعر والآداب.

قال الأستاذ في الصلة - وكان معاصرا للكاتب المجيد. المحدث 5 الجليل. أبى عبد الله بن أبي الخصال. إلا أن بطالته أخلدت به عن مرتبته. سمع - رحمه الله - من الأستاذ أبي علي الصدفي، وأبي محمد ابن السيد البطليوسي. والقاضي أبي بكر بن العربي. وخططاه بذي الوزارتين. وحدث عن أبي الحسين بن سراج بحكايات. وروى عن أبي بكر بن القصيرة. وابن اللبانة. وأبي جعفر بن سعدون الكاتب. وأبي 10 خالد بن بشتغير. وأبى الطيب بن زرقون. وأبى عبد الله بن خلصة الكاتب. وأبى عبد الرحمان بن طاهر. وأبى محمد بن عبدون. وأبى الوليد بن حجاج - وغير واحد.

وروى عنه أبو عبد الله بن زرقون جميع تواليفه. وسمع كثيرا من نوادره وأخباره. وروى عنه أيضا. أبو بكر يحيى بن محمد الاركشي - 15 في آخرين يطول تعدادهم.

وألف - رحمه الله - كتبا جمة. ظهرت فيها براعته. وتبينت بلاغته وصناعته. منها : «قلائد العقيان. في محاسن الأعيان». وكتاب «المطمح

---

4) ثبت في الأصل : المفيد ... وسيأتي المجيد، وهي أنسب.
8) الحسين : ل. الحسن : ك.
جمة : ل - ك.

---

198) أي بما هو معروف في كتابه وانظر الاحاطة 249/4 - 250.

الكبير» وكتاب «المطمح الصغير» - كذا قال ابن خاتمة. وابن الخطيب، وقال ابن خلكان : «مطمح الأنفس ومسرح التأنس، في ملح أهل الأندلس» - وهو ثلاث نسخ : كبرى، ووسطى، وصغرى. وهو كتاب كثير الفوائد. وكلامه فيه يدل على غزارة مادته (199) - انتهى.

5 ومن تآليفه : «راية المحاسن وغاية المحاسن» ومجموع في ترسيله، وتوفي - رحمه الله - ذبيحا بفندق لبيب من حضرة مراكش. قيل : ليلة الأحد لثمان بقين من محرم، من عام تسع وعشرين وخمسمائة. حكاه ابن الخطيب. وقال ابن الابار : ليلة عيد الفطر، من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. قال : قرأت ذلك بخط من يوثق به (200). وهذا الذي حكاه

10 ابن الأبار هو المعتمد - عندي. وحكى ابن خلكان أنه توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وهو - عندي - خطأ. على أنه قد حكى القول الآخر، الذي هو سنة تسع وعشرين. وقد قيل إن قتله كان بإشارة أمير المسلمين : علي بن يوسف بن تاشفين، أخي ابراهيم بن يوسف بن تاشفين، الذي ألف برسمه «قلائد العقيان»، وذكره في خطبته. وقد أشار

15 إلى هذا ابن خلكان (201) - والله أعلم.

وبالجملة : فقد ذبح - رحمه الله - في هذا الفندق، وعبث به في

---

3) ووسطى : ل. ووسط : ك.

15-13) أخي ابراهيم بن يوسف بن تاشفين : ل - ك.

16) وعبث به : ك ل. وعيث به : نفح

---

199) انظر وفيات الأعيان ج 3 / 498.

200) انظر المعجم ص 313.

201) انظر الوفيات ج 3 / 498.

أحد بيوت الفندق المذكور، وما شعر به إلا بعد ثلاث ليال من مقتله، ودفن بباب الدباغين من محروسة مراكش - تجاوز الله عنه.

ونثره - رحمه الله - شهير، وكتابته فائقة؛ فمما ثبت له من غير المتعارف من السلطانيات، ظهير كتبه عن بعض الأمراء لصاحب الشرطة،

5 ولا خفاء ببراعته، وهو : هذا كتاب تأكيد اعتناء، وتقليد ذي منة وغناء، أمر بإنفاذه فلان - أيده الله - لفلان بن فلان - صانه الله - ليتقدم لولاية المدينة الفلانية وجهاتها، ويصوح ما تكاثف من العدوان بجنباتها، - تنويها أحظاه بعلائه، وكساه رائق ملائه، لما علمه من سنائه، وتوسمه من غنائه، ورجاه من حسن منابه، وتحققه من طهارة ساحته وجنابه؛ وتيقن -

10 أيده الله - أنه مستحق بما ولاه، مستقل بما تولاه؛ لا يعتريه الكسل، ولا تثنيه عن المضاء الصوارم والأسل؛ ولم يكل الأمر منه إلى وكل، ولا ناطه بمناط عجز ولا فشل، وأمره أن يراقب الله - تعالى - في أوامره ونواهيه، ويعلم أنه زاجره عن الجور وناهيه، وسائله عما حكم به وقضاه، وأنفذه وأمضاه ؛ ((**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**

---

7) الفلانية : ك نفح. بفلانة : ل.
ويصوح : ل. ويضون : ك. ويضرح : نفح
بجنباتها : ك نفح بمجنباتها : ل.
تنويها : ل نفح. تنوها : ك.
10) مستحق : ل نفح. مستغن : ك.
الكثل : ك ل. الكسل : نفح
12) بمناط : ل نفح. بمناة : ك.

(202)))، فليتقدم لذلك بحزم لا يخمد توقده، وعزم لا ينفد تفقده؛ ونفس مع الخير ذاهبة، وعلى متن البر والتقوى راكبة. ويقدم للاحتراس من عرف اجتهاده، وعلم ارقه في البحث وسهاده، وحمدت أعماله. وأمن تفريطه واهماله، ويضم إليهم من يحذو حذوهم، ويقفو شاوهم، مما لا 5 يستراب بمناحيه، ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه، وان يذكى العيون على الجناة، وينفى عنها لذيذ السناة (203)، ويفحص عن مكامنهم، حتى يغص بالروع نفس أمنهم، فلا يستقر بهم موضع، ولا يقر منهم مخب ولا موضع، فإذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه، وبث السوال في مواضع تصرفه ومواطنه، فإن لاحت شبهة أبداها الكشف 10 والاستبراء، وتعداها البغي والافتراء، نكله بالعقوبة أشد نكال، وأوضح له منها ما كان ذا إشكال، - بعد أن يبلغ إناه (204)، ويقف على طرف مداه، وحد له ألا يكشف بشرة إلا في حد يتعين ، وان جاءه فاسق أن

---

1) لذلك : ك ل. إلى ذلك : نفح

لا ينفذ توقده : ك. لا ينفد توقده : ل. لا ينفد تفقده : نفح

7) يغض بالروع : ل. يقصر بالروع : ك. يغص بالريق : نفح

يقر : ك ل. يفر : نفح

11) على طرف : ك ل. في طرف : نفح

وحد له : ل نفح. وحق له : ك

---

202) الاية : 19 - سورة الانفطار.

203) يعنى السنات جمع سنة : ما يتقدم النوم من الفتور. ووقف عليه بالهاء لضرورة السجع. على حد ما ورد في بعض الاثار : (دفن البناة من المكرمة).

204) أي نضجه، وانى كرضى مصدر أنى يأني بوزن رمى يرمي. يقال أنى الطعام : استوى ونضج.

ومنه قوله تعالى (غير ناظرين إناه) الاية : 53 من سورة الأحزاب

يتبين (205). وان لا يطمع في صاحب مال موفور. وان لا يسمع من
مكشوف في مستور، وان يسلك السنن المحمود. وينزه عقوبته
من الافراط وعفوه من تعطيل الحدود، واذا انتهت اليه قصة مشكلة اخرها
الى غده. فهو على العقاب اقدر منه على رده، فقد يتبين في وقت. ما لا
5 يتبين في وقت. والمعاجلة بالعقوبة من المقت، وان يتغمد هفوات ذوي
الهيئات، وان يستشعر الاشفاق. ويخلع التكبر فإنه من ملابس أهل
النفاق، وليحسن لعباد الله اعتقاده. ولا يرفض زمام العدل ولا مقاده، وان
يعاقب المجرم قدر زلته. ولا يعتز عند ذلته، وليعلم ان الشيطان أغواه.
وزين له مثواه، فيشفق من عثاره. وسوء أثاره، وليشكر الله على ما وهبه
10 من العافية. وألبسه من ملابسه الضافية. ويذكره - جل وعلا - في جميع
أحواله. ويفكر في الحشر وأهواله، ويتذكر وعدا ينجز فيه ووعيدا. «يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه أمدا بعيدا (206)» والامير - أيده الله - ولي له - ما عدل
وأقسط. وبريء منه ان جار وقسط، فمن قرأه فليقف عند حده ورسمه،
15 وليعرف له حق قطع الشر وحسمه، ومن وافقه من شريف أو مشروف.

---

9) فيشفق : ك ل. فليشفق : نفح.
10) جل وتعالى : ك ل. وعلا : نفح.

---

205) يشير إلى قوله تعالى في سورة الحجرات : ((يا أيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)).
206) الاية : 30 سورة آل عمران.

وخالفه في نهي عن منكر أو أمر بمعروف؛ فقد تعرض، من العقاب لما يذيقه و بال فعله. «ولا يحيق المكر الشيء إلا بأهله (207)» - انتهى.

ومن مكاتباته الرائقة. قوله : أطال الله بقاء الوزير الأجل. عتادي الأسرى. وزنادي الأورى. وايامه أعياد. وللسعد في زمانه انقياد؛ أما أنا - أدام الله عزه - فجوي عاتم. واعيادى ماتم؛ وصبحي عشاء. ومالي إلا من الخطوب انتشاء؛ ابيت بين فؤاد خافق وطرف مسهد. نائي المحلة من مزار العود، حين لا أرى الروض المنور. ولا أحس سهيلا إذا لاح ثم تغور. وقد بعدت دار إلي حبيبة. ودنت مني حوادث بادناها توذى الشبيبة ، وأي عيش لمن لزم المفاوز لا يريمها. حتى ألفه ريمها، قد رمته النوائب فما اتقى. وارتقت له الجوانح في وعور المرتقى. يواصل النوى ولا يهجر سيرا. ولا يزجر في الاراحة طيرا، قد هام بالوطن. هيام ابن طالب بالحوض والعطن؛ وحن إلى تلك البقاع. حنينه إلى اثلاث القاع (208)،

---

2) وبال فعله : ل وكتب فوقه (جهله) وعليها علامة (صح). وبال فعله وجهله : ك. وبال خبثه : نفح

انتهى : ك ل. في النفح وكتب في كذا

4) الاورى : ل نفح. الابرى : ك.

5) فجوي : ل نفح. فجدي : ك

7) تغور : ك ل. تهور : نفح. ولعل الصواب ما أثبتناه (تغور).

10) يواصل : ك نفح. نواصل : ل.

---

207) الاية : 47 سورة فاطر.

208) يشير إلى قصة يحيى بن طالب الحنفي حين اغترب عن وطنه اليمامة إلى العراق وافتقر. وفي ذلك يقول متشوقا :

أيا أثلاث القاع من بطن توضح   حنيني إلى أفيائكن طويل

انظر معجم البلدان (قرقري).

ولا سبيل ان يشعب صدع بينه شاعب، أو تكمله أحجار للدار وملاعب، وليس له إلى أمين يجنح. ولا يرى أمله يسنح، قد طوى البلاد و بسطها، وتطرف الأرض وتوسطها، ولم يلف مقيلا. ولا وجد مقيلا، إلى الله أشكو ما أقاسي وأقاصي. و بيده الأقدام والنواصي، ولقاؤه موعد كل موعد. وكل

5 معمر سيدركه يوما حمام الموعد، وأنفذته ـ وقد صدرت عن فلانة بعد أهوال لقيتها. وأنكال سقيتها، وسفر لقيت منه نصبا. وكدر أعقبني وصبا، وإلى متى يعتزلني السعد. و ((لله الأمر من قبل ومن بعد (209))).

قال بعضهم ، ومن أحسن ما رأيت له. قوله ، معاليك أشهر رسوما. وأعطر نسيما، من أن يغرب شهاب مسعاها. أو يجدب لرائد مرعاها، فإن

10 نبهتك فانما نبهت عمرا. (209 ـ مكرر) وان استنرتك فانما استنير قمرا، والامير ـ ايده الله ـ اجل من ان اعتصم في ملكه، وانتظم في سلكه، فانه حسام بيد الملك طلاقته فرنده. وشهامته حده، وقضيب في دوحة الشرف رطيب، بشره زهره. و بره ثمره، وقد توسمت نارك لعلي افوز منها بقبس. او تكون كنار موسى بالواد المقدس، وعسى الامل ان تعلو بكم قداحه.

15 و يشف من افقكم مصباحه. فجرد ـ ايدك الله ـ صارم عزم لا يفل غرو به. واطلع كوكب سعد لا يخاف غرو به ـ انتهى.

ولنذكر بعض كلام الفتح في المطمح. فاني رأيت منه أوراقا

---

1) صدع : ل. صدر : نفح ـ ك.

8) قال بعضهم : ل. وقال بعضهم : ك نفح.

10) فإنما : ل نفح ـ ك.

16) بعض : ل نفح ـ ك.

---

209) الاية : 4. سورة الروم.

209) مكرر ـ يشير الى قول بشار :

اذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

انظر الديوان ص 217.

بخزانة الكتب بتلمسان، ولفظه كلفظ القلائد. غير أنه زاد في عدد
الرجال، ووقفت في مقيداتي على جملة من ذلك. وهأنا أثبته - وان كنت
لم أر الكتاب المذكور، ولم أقف منه على غير هذه الأوراق، على انى
لست على يقين أن ذلك هو المطمح. وإنما غلب على ظني بموافقته
5 لفظ القلائد.
فمن ذلك. قوله عند ذكر المنصور بن ابي عامر (210) - رحمه الله -
بعد كلام مانصه: وتمرس المنصور ببلاد الشرك اعظم تمرس. ومحا من
طواغيتها كل تعجرف وتغطرس، وغادرهم صرعى البقاع. وتركهم أذل من
وتد البقاع، ووالى إلى بلادهم الوقائع. وسدد إلى أكبادهم سهام الفجائع،
10 وأغص بالحمام أوراحهم، ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم، ومن
أوضح الأمور هنالك. وأفصح الأخبار في ذلك، - أن أحد رسله كان كثير
الانتياب. لذلك الجناب، فسار في بعض مسيراته إلى غرسية صاحب
البشكنش فوالى في إكرمه. وتناهى في بره واهتمامه، فطالت مدته
فلامتنزه الا مر عليه متفرجا. ولا موضع الاسار عليه معرجا، فحل في ذلك.
15 أكثر الكنائس هنالك، فبينا هو يجول في ساحتها. ويجيل العين في

---

10) واغص : ل. والنفح. والبيان المغرب. وأغم : ك.
13) البشنكش : ل نفح البيان. البشتكس : ك.
البشنكش فوالى في اكرامه : ك ل نفح. البشنكنش فصادفه في فصح فوالى : البيان.
واهتمامه : ل البيان. واحترامه : نفح. وامتنانه : ك.
14) موضع : ك ل البيان. منزل : نفح.

---

210) وانظر في ترجمته : الذخيرة المجلد الأول من القسم الرابع 39 - 58. وابن خلدون 4 / 147. وتاريخ قضاة الأندلس 80. والوافي بالوفيات 3 / 312. والحلة السيراء 268/1. وغزوات العرب 192 - 197. بغية الملتمس 105. والمغرب في حلى المغرب 1 / 194.

مساحتها، إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر، قويمة - على طول الكسر، فكلمته، وعرفته بنفسها وأعلمته، وقالت له : أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسها، ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها، وزعمت أن لها عدة من السنين بتلك الكنيسة محبسة، وبكل ذل وصغار ملبسة، وناشدته
5 الله في إنهاء قصتها، وابراء غصتها، واستحلفته بأغلظ الايمان، وأخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمان، فلما وصل إلى المنصور، عرفه بما يجب تعريفه به واعلامه، وهو مصغ إليه حتى تم كلامه، فلما فرغ من قصته، قال له المنصور : هل وقفت هنالك على أمر أنكرته، أم لم تقف على غير ما ذكرته، فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه إليه، وبالمواثيق
10 التي أخذت عليه، فعتبه ولامه، على ان لم يبدأ بها كلامه، ثم أخذ في الجهاد من فوره، وعرض من الاجناد في نجده وغوره، وأصبح غازيا على سرجه، مباهيا مروان يوم مرجه (211)، حتى وافى ابن شانجه في جمعه، فأخذت مهابته ببصره وسمعه، فبادر بالكتاب إليه يتعرف ما الجنية، ويحلف له بأعظم ألية، انه ما جنى ذنبا، ولا جفا عن مضجع الطاعة
15 جنبا، فعنف ارساله وقال لهم : كان قد عاقدني ألا يبقى ببلاده مأسورة

---

1) قديمة الاسر : ل نفح البيان - ك.
4) السنين : ك ل البيان، سنين : نفح.
7-8) من قصته : ك ل - نفح، البيان.
لم : ل نفح البيان - ك.
13) الجنية : ك ل البيان، الجلية : نفح.

---

(211) يعني يوم مرج راهط الذي انتصر فيه مروان بن الحكم بن العاص بن أمية - على خصومه بنواحي دمشق فولى الملك، وكانت الموقعة سنة خمس وستين هجرية.
انظر العقد الفريد ج 3 / 150 - 152، ومعجم البلدان 3 / 21.

ولا مأسور، ولو حملته في حواصله النسور، وقد بلغني بعد مقام فلانة المسلمة بتلك الكنيسة، ووالله لا أنتهى عن ارضه حتى اكتسحها. فأرسل إليه المرأة في اثنتين معها، وأقسم أنه ما أبصرهن، ولا سمع بهن، وأعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هدمها، تحقيقا لقوله، وتضرع 5 إليه في الأخذ فيه بطوله، فاستحيا منه، وصرف الجيش عنه، وأوصل المرأة إلى نفسه، والحق توحشها بأنسه، وغير من حالها، وعاد بسواكب نعماه على جدبها وإمحالها، وحملها إلى قومها، وكحلها بما كان شرد من نومها.

● انتهى (212). ومن ذلك قوله في المنصور أيضا مانصه ، فرد نا به 10 على من تقدمه، وصرفه واستخدمه، فإنه كان امضاهم سنانا، وأذكاهم جنانا، وأتمهم جلالا، وأعظمهم استقلالا، فآل أمره إلى ما آل، وأوهم العقول بذلك المآل، فإنه كان آية الله في اتفاق سعده، وقربه من الملك بعد بعده، بهر برفعة القدر، واستظهر بالاناة وسعة الصدر، وتحرك فلاح نجم الهدو، وتملك فأخفق بأرضه كل عدو، بعد خمول كابد منه غصصا 15 وشرقا، وتعذر مأمول طارد فيه سهرا وفرقا، حتى أنجز له الموعود، وفر

---

6) من حالها : ك ل نفح، سوء حالها : البيان.

10) وصوبه : ك ل، وصرفه : نفح، البيان.

13_14) نجم الهدو : ل نفح البيان، فخم الهدوء : ك.
فاخفق بارضه كل عدو : ك ل، فما خفقت بأرضه لواء عدو : نفح، البيان.

---

312) لم يرد هذا النص في المطمح الذي بين أيدينا. . وقد ورد في البيان المغرب ـ نقلا عن الفتح بن خاقان، دون أن يذكر المصدر الذي نقل منه ـ ج 2 ص 297.
والمؤلف ـ وان تردد هنا ـ في نسبته إلى المطمح، فهو ـ في النفح ـ قد قطع بنسبته إليه. وقد جاء فيه قوله :
(وقال في المطمح في حق ابن أبي عامر) ـ ج 1 / 403 ـ 404 نشر احسان عباس.

نحسه أمام تلك السعود، فقام بتدبير الخلافة. وأقعد من كان له فيها إنافة،
وساس الأمور أحسن سياسة. وداس الخطوب أخشن دياسة، فانتظمت له
الممالك. واتضحت له المسالك، وانتشر الأمن في كل طريق. واستشعر
اليمن كل فريق، وملك الأندلس بضعا وعشرين حجة. لم تدحض لسعادته
5 حجة، ولم تزخر لمكوره بها لجة، لبست فيها البهاء والاشراق. وتنفست
عن مثل أنفاس العراق، وكانت أيامه أحمد أيام. وسهام بأسه أشد سهام،
غزا الروم شاتيا وصائفا. ومضى فيما يروم زاجرا وعائفا، فأوغل في تلك
الشعاب . وتغلغل حتى راع ليث الغاب. ومشى تحت ألويته صيد القبائل.
واستجرت في ظلها بيض الظبا وسمر الذوابل، وهو يقتضي الأرواح بغير
10 سوم. وينتضي الصفاح على كل روم؛ ويتلف من (لا) ينساق للخلافة
وينقاد. ويختطف منهم كل كوكب وقاد؛ حتى استبد وانفرد. وانس اليه
من الطاعة مانفر وشرد؛ وانتظمت له الاندلس بالعدوة. واجتمعت له
اجتماع قريش في دار الندوة؛ ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة. ولم يدع
السمع لخليفته والاجابة؛ ظاهرا يخالفه الباطن. واسما ينافره مواقع الحكم
15 والمواطن، واذل قبائل الأندلس بإجازة البرابر، وأخمل بهم أولئك الاعلام
الاكابر؛ فإنه قاومهم باضدادهم. واستكثر من أعدادهم. حتى تغلبوا على
الجمهور. وسلبوا منهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور؛ الذي أعاد

---

2) اخشن : ل. باخشن : نفح. البيان. اخس : ك.

7) (فما مر له غير سنيح. ولا فاز إلا بالمعلى لا بالمنيح : نفح ـ ك ل البيان.

10) من لا ينساق : نفح. البيان. من ينساق ـ باسقاط (لا) : ك ل ـ والمعنى يقتضيها. ولذا أثبتناها في الصلب.

12) واجتمعت له : ك ل البيان. واجتمعت في ملكه : نفح.

14) ظاهرا .. واسما : ك ل. ظاهر ... واسم : نفح. البيان.

16) قاودهم : ك ل. قاومهم : نفح. البيان.

18) منهم : ك ل البيان. عنهم : نفح.

أكثر الأندلس قفرا يبابا، وملآها وحشا وذئابا، وأعراها من الامان، برهة من الزمان، وعلى هذه الهنة فهو وابنه المظفر كان آخر سعد الأندلس، وحد السرور بها والانس، وغزواته فيها شائعة الأثر، رائعة كالسيف ذي الأثر، وحسبه وافر، ونسبه معافر، ولذلك قال يفخر :

5 رميت بنفسي هول كل كريهة وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي إلا جنان مشيع واسمر خطي وأبيض باتر
واني لزجاء الجيوش إلى الوغى أسود تلاقيها أسود خوادر
فسدت بنفسي أهل كل سيادة وكاثرت حتى لم أجد من أكاثر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة على مابنى عبد المليك وعامر
10 رفعنا المعالي بالعوالي حديثه وأورثناها في القديم معافر (212)

وكانت أمه تميمية فحاز الشرف بطرفيه، والتحف بمطرفيه، قال القسطلي (213) :

---

2) الهنة : ك ل. الهينة : نفح. البيان.
والانس : ك ل. والتانس : نفح. البيان.
5) يخاطر : ك ل نفح. مخاطر : البيان.
8) فسدت : : ك نفح. لسدت : ل البيان.
وكاثرت ... من اكاثر : ك ل البيان. وفاخرت ... من أفاخر : نفح.
10) رفعنا : ك نفح. البيان. رفعن : ل.

---

212 مكرر) - انظر البيان المغرب 275/2. والنفح 5/1 - 4 - 406.
213) أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلى نسبة إلى «قسطلة» دراج بغرب الأندلس.
كان شاعر المنصور بن أبي عامر، وكاتب الانشاء في أيامه.
قال فيه الثعالبي : كان بالأندلس. كالمتنبي بالشام.
(ت 421 هـ - 1030م).
انظر ذخيرة ابن بسام المجلد الأول من القسم الأول 23. وجنوة المقتبس 102 - 106.
والصلة 62. ويتيمة الدهر 1 / 238.

تلاقت عليه من تميم ويعـــرب شموس تلالا في العلـــى وبـــدور
من الحميريين الذيـن أكفهــــم سحائب تهمــى بالنـــدى وبحـور

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات. وجاء من التحدثه بمنتهى أمره بآيات. حتى صح زجره. وجاء بصبحه فجره، تؤثر عنه في ذلك أخبار. فيها عجب واعتبار، وكان أديبا محسنا. وعالما متفننا، فمن ذلك قوله - يمني نفسه بملك مصر والحجاز. ويستدعي صدور تلك الأعجاز :

منع العين أن تذوق المنامـــــا حبها أن ترى الصفا والمقامـــا
لي ديون بالشرق عنـــد أنـــاس قد أحلـوا بالمشعريـــن الحرمـا
إن قضوها نالوا الاماني وإلا جعلـوا دونهـا رقابـــا وهامــــا
عن قريـــب تـرى خيـــول هشـام يبلغ النيل خطوها والشئاما (213)

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة. أمر المنصور بن أبي عامر ببناء قصره المعروف بالزاهرة. وذلك عندما استفحل أمره. واتقد جمره، وظهر استبداده. وكثر حساده. وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان. وخشي أن يقع في اشطان، فتوثق لنفسه. وكشف له ما ستر عنه في أمسه، من الاعتزاز عليه. ورفع الاستناد إليه، وسما إلى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه. ويحله بأهله وذويه، ويضم إليه رئاسته. ويتم به تدبيره وسياسته، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة. الموصوفة بالقصور الباهرة، وأقامها بطرف البلد على

12) استفحل : نفح. البيان. استعجل ، ل. استعمل : ك.
حساده : ك ل البيان. حساده وأنداده : نفح.
15) سمت : ك نفح البيان. تسمو ، ل.
16) ويتم : ك ل نفح. ويتمم : البيان.

213 - مكرر) - انظر البيان المغرب 275/2. والحلة السيراء 275/1.

نهر قرطبة الأعظم. ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم؛ وشرع في بنائها
في هذه السنة المؤرخة. وحشد إليها الصناع والفعلة. وجلب إليها الآلات
الجليلة. وسربلها بهاء يرد العيون كليلة، وتوسع في اختطاطها. وتولع
بانتشارها في البسيطة وانبساطها، وبالغ في رفع أسوارها. وثابر على
5 تسوية أنجادها وأغوارها، فاتسمت هذه المدينة في المدة القريبة. وصار
بناؤها من الأنباء الغريبة، وبنى معظمها في عامين. وفي سنة سبعين
وثلاثمائة. انتقل المنصور إليها. ونزلها بخاصته وعامته. فتبوأها وشحنها
بجميع أسلحته وأمواله وامتعته، واتخذ فيها الدواوين والأعمال. وعمل في
داخلها الاهراء. واطلق بساحتها الارحاء، ثم اقطع (ما) حولها لوزرائـــه
10 وكتابه. وقواد وحجابه. فابتنوا بها كبار الدور، وجليلات القصور. واتخذوا
خلالها المستغلات المفيدة. والمنازه المشيدة. وقامت بها الاسواق. وكثرت
فيها الارفاق. وتنافس الناس في النزول باكنافها. والحلول باطرافها. للدنو
من صاحب الدولة. وتناهى الغلو في البناء حوله. حتى اتصلت ارباضه
بارباض قرطبة. وكثرت بحوزتها العمارة. واستقرت في بحبوحتها
15 الامارة. وافرد الخليفة من كل شيء الا من الاسم الخلافي. وصير ذلك هو
الرسم العافي، ورتب فيها جلوس وزارئه. ورؤوس امرائه. وندب اليها كل
ذي خطة بخطته. ونصب ببابها كرسي شرطته. واجلس عليها واليا على
رسم كرسي الخليفة. وفي صفة تلك الرتبة المنيفة.

وكتب إلى الأقطار بالأندلس والعدوة بأن تحمل إلى مدينته تلك
أموال الجبايات. ويقصدها أصحاب الولايات، وينتابها طلاب الحوائج.

---

9) حالها وزراءه : ك ل. ما حولها لوزرائه : نفح. البيان.
15) رسم . : ل. نفح . البيان ـ ك.

وحذر أن يعوج عنها إلى باب الخليفة عائج. فاقتضيت لديها اللبانات
والأوطار. وانحشد الناس إليها من جميع الأقطار. وتم لمحمد بن أبي
عامر ما أراد. وانتظم بلبة أمانيه المراد. وعطل قصر الخليفة من جميعه،
وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه، وسد باب قصره عليه، وجد في خبر
5 أن لا يصل إليه، وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر. ويبسط فيه
النهي والأمر، ويشرف منه على كل داخل. ويمنع ما يحذره من الدواخل،
ورتب عليه الحراس والبوابين. والسمار والمنتابين، يلازمون حراسة من
فيه ليلا ونهارا. ويراقبون حركاتهم سرا وجهارا. قد حجر على الخليفة كل
تدبير . ومنعه من تملك قبيل أو دبير، وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء،
10 محجور الغناء، خفي الذكر. عليل الفكر، مسدود الباب، محجوب الشخص
عن الأحباب، لا يراه خاص ولا عام. ولا يخاف منه بأس ولا يرجى له
إنعام، ولا يعهد منه إلا الاسم السلطاني في السكة والدعوة. وقد نسخه
ولبس ابهته، وطمس بهجته، وأغنى الناس عنه. وأزال أطماعهم منه،
وصيرهم لا يعرفونه. وأمرهم أن لا يذكروه، اشتد ملك محمد بن أبي
15 عامر منذ نزل قصر الزاهرة. وتوسع مع الأيام في تشييد بنيتها، حتى
كملت احسن كمال. وجاءته في نهاية الجمال، نقاوة بناء وسعة فناء،

---

1) لديها : ك ل البيان. إليها : نفح
9) مهجور الفناء : ك ل البيان. معجوز : نفح
11) منه بأس : ك ل نفح. له بأس : البيان.
له أنعام : ك ل. منه أنعم : نفح البيان.
14) ان لا يذكرونه : ك ل. انهم لا يذكرونه : نفح. البيان
16) نقاوة بناء. وسعة فناء : ل نفح. البيان. نقاء وبقاء : ك.

واعتدال هواء رق اديمه، وصقالة جو اعتل نسيمه، ونضرة بستان، وبهجة للنفوس فيها افتنان، وفيها يقول صاعد اللغوي :

يا أيها الملك المنصور من يمـن والمبتني نسبا غير الذي انتسبـا
بغزوة في قلوب الشـرك رائعـة بين المنايا تناغى السمر والقضبا
5 أما ترى العين تجري فوق مرمرها هوى فيجرى على احفافها الطربا
أجريتها فطما الزاهى بجريتهـا كما طموت فسدت العجم والعربا
تخال فيه جنود المـاء رافلـة مستلئمات تريك الدرع واليلبـا
تحفها من فنون الأيـك زاهـرة قد أورقت فضة إذ أورقـت ذهبـا
بديعة الملك ما ينفك ناظرهـا يتلو على السمع منها اية عجبـا
10 لا يحسـن الدهر أن ينشي لها مثلا ولو تعنت فيها نفسه طلبا (214)

ودخل عليه ابن ابي الحباب في بعض قصوره من المنية، المعروفة بالعامرية، والروض قد تفتحت أنواره، وتوشحت أنجاده وأغواره، وتصرف فيها الدهر متواضعا، ووقف بها السعد خاضعا، فقال :

لا يوم كاليوم في أيامـك الأول بالعامريـة ذات المـاء والظلـل
15 هواؤهـا في جميع الدهـر معتـدل طيب وان حل فصل غيـر معتـدل
ما إن يبالي الذي يحتل ساحتها بالسعد أن لا تحل الشمس بالحمل

وما زالت هذه المدينة رائقة، والسعود بلبتها متناسقة، تراوحها الفتوح وتغاديها، وتجلب إليها منكسرة أعاديها، لا تزحف منها راية إلا إلى فتح، ولا يصدر عنها تدبير إلا إلى نجح، إلى أن حان يومها

(18 منها : ل البيان. عنها : ك نفح

214) انظر البيان المغرب ، ج 2 ص 273 ـ 277.

العصيب، وقيض لها من المكروه أوفر نصيب؛ فتولت فقيدة. وخلت من بهجتها كل عقيدة (214) ـ انتهى.

ولست اتيقن ان جميعه كلام الفتح. مع اني وجدت في بعض التواريخ (215) نسبته إليه. فاثبت جميعه لشدة مناسبة بعضه لبعض. على

5 أنه لا يبعد جميعه عن نفسه ـ والله أعلم؛ ثم بعد تحققت أنه كلام الفتح في المطمح (216). وقد تعلق غرضي بذكر بعض كلام هذا المؤرخ في شأن المنصور بن أبي عامر لما فيه من ذكر جامع قرطبة. ونصه :

وكان المنصور. اية من ايات فاطرة. دهاء ومكرا وسياسة. عدا بالمصاحفة على الصقالبة. حتى قتلهم وأذلهم. ثم عدا بغالب الناصري على المصاحفة.

10 حتى قتلهم وابادهم. ثم عدا بجعفر بن الاندلسي (217) على غالب. حتى قتله. ثم عدا بنفسه على جعفر وقتله؛ ثم انفرد بنفسه. وصار ينادي صروف الدهر هل من مبارز؟ فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه. فانقاد له وساعده. فاستقام امره منفردا بمملكة لا سلف له فيها؛ ومن أوضح

---

1) وخلت : ل . نفح. البيان. وقلت : ك.

8) فاطرة : ل البيان. فاطر : ك.

9) الناصري : ل. البيان ـ ك.

---

215) يعنى ابن عذارى المراكشي صاحب البيان المغرب.

216) لم يرد هذا النص في المطمح الذي بين أيدينا.

217) يعنى به جعفر بن علي بن حمدون. المعروف بابن الأندلسي. وكان ذا شدة وبأس. ورباطة جأش. ونباهة ذكر. وجلالة قدر. قربه المنصور إليه ليقارع به صهره غالب الناصري. ثم خشيه المنصور وقتله سنة (372 هـ).
انظر البيان المغرب ج 12 278 ـ 281.

الدلائل على سعده . انه لم ينكب قط في
حرب شهدها. ولا توجهت عليه هزيمة. ولا انصرف عن موطن إلا قاهرا
غالبا، على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الاعداء. وواجه من
الأمم، وانها لخاصة، ما أحسب شركه فيها أحد من الملوك الإسلامية. ومن
5 أعظم ما أعين به مع قوة سعده، ـ وتمكن جده. سعة جوده. وكثرة بذله،
فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان. وأول من اتكأ على ارائك الملك
وارتفق. وانتشر عليه لواء السعد وخفق ، حط صاحبه المصحفى (218).
وأثار له كامن حقده الخفي، حتى أصاره للهموم لبيسا. وفي غيابات
السجن حبيسا، فكتب إليه يستعطفه ؛

10 هبني أسأت فأين العفو والكرم إذ قادني نحوك الاذعان والندم
يا خير من مدت الأيدي إليه أما ترثى لشيخ نعاه عندك القلم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر ان الملوك إذا ما استرحموا رحموا

فما زاده ذلك إلا حنقا وحقدا. وما افادته الأبيات إلا تضرما ووقدا،
فراجعه بما أيأسه، وأراه مرمسه، واطبق عليه محبسه. وضيق تروحه من
15 المحنة وتنفسه ؛

---

2) ولا توجهت ، ك ل. وما توجهت ، البيان.
12) السخط ، ك نفح البيان. الحظ ، ل.

---

218) يريد جعفر بن عثمان المصحفي، حاجب السلطان والند المقارع الذي كان يخشاه ابن ابي عامر.
انظر في ترجمته ؛
الحلة السيراء 141/1 ـ 147. ومطمح الأنفس 3 ـ 9. وجذوة المقتبس 175. وبغية الملتمس 240.

الآن يا جاهلا زلت به القـــدم تبغي التكرم لما فاتــك الكـــرم
أغريت بي ملكا لـولا تثبتــــه ما جاز لي عنده نطـق ولا كلــم
فايئس من العيش إذ قد صرت في طبق ان الملوك إذا ما استنقموا نقمـوا
نفسي إذا سخطت ليست براضية ولو تشفع فيك العــرب والعجـــم

5 وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقربة. بنيان المسجد الجامع. والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وذلك أنه لما زاد الناس بقرطبة. وانجلب إليها قبائل البربر من العدوة وإفريقية. وتناهى حالها في الجلالة. ضاقت الارباض وغيرها. وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس، فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تمكن الزيادة.
10 لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة. فبدأ ابن أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات. تمتد طولا من أول المسجد إلى أخره، وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان. والوثاقة دون الزخرفة. ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة. ما عدا زيادة الحكم. وأول ما عمله ابن أبي عامر، تطييب نفوس أرباب الدور. الذين اشتريت منهم
15 للهدم لهذه الزيادة. بإنصافهم من الثمن، وصنع في صحنه الجب العظيم قدره. الواسع فناؤه، وابن أبي عامر رتب إحراق الشمع بالمسجد الجامع. زيادة للزيت. فتطابق بذلك النوران. وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه. واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره. بين كبيرة وصغيرة. ألف سارية

---

5) والقربة : ل. البيان. والعز : ك.
10-11) (الزيادة على بلاطات ... هذه الزيادة) : ل. البيان ـ ك.
14) أرباب الدور الذين : ك ل. أرباب الدور والمستغلات الذين ـ بزيادة (والمستغلات) : البيان.
15) من الثمن وصنع : ك ل. من الثمن أو بمعاوضة وصنع : البيان

وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية، وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة
وصغيرة مائتان وثمانون ثريا، وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة
كأس وخمسة وعشرون كأسا، وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس المذكورة
عشرة أرباع أو نحوها، وزنة ما يحتاج إليه من الكتان للفتائل في كل
5 شهر رمضان ثلاثة أرباع القناطر. وجميع ما يحتاج إليه الجامع من الزيت
في السنة خمسمائة ربع أو نحوها. يصرف منه في رمضان خاصة نحو
نصف العدد، ومما كان يختص برمضان المعظم، ثلاثة قناطير من الشمع،
وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقطن لإقامة الشمع المذكور، والكبيرة
من الشمع، التي توقد بجانب الإمام يكون وزنها من خمسين إلى ستين
10 رطلا. يحترق بعضها بطول الشهر، ويعم الحرق لجميعها ليلة الختمة،
وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر،
ويتصرف فيه من أئمة ومقربين، وأمناء، ومؤذنين، وسدنة وموقدين،
وغيرهم من المتصرفين، مائة وتسعة وخمسين شخصا، ويوقد من البخور
ليلة الختمة أربع أواق من العنبر الأشهب، وثمان أواق من العود الرطب
15 الطيب (219).

ومن ذلك بنيان قنطرة على نهر قرطبة الاعظم، ابتدأ بناءها
المنصور سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وفرغ منها في النصف من سنة تسع

---

9) التي توقد : ك ل. توقد - باسقاط (التي) البيان.
11) وكان عدد من يخدم : ك ل. وكان من يخدم - باسقاط (عدد) : البيان.
17) سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة : ك ل نفح. سنة 387 : البيان.
سنة (79) : ك ل نفح. 89 : البيان.

---

219) انظر البيان المغرب ج 2 ص 287 - 288.

وسبعين. وانتهت النفقة عليها الى مائة الف دينار واربعين الف دينار.
فعظمت بها المنفعة. وصارت صدرا في مناقبه الجليلة. وكانت قطعة
أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها. فامر المنصور أمناءه
بارضائه فيها. فحضر الشيخ عندهم. فساوموه في القطعة. وعرفوه وجه
5 الحاجة اليها، وان المنصور لا يريد الا انصافه فيها. فرماهم الشيخ
بالغرض الاقصى عنده فيما ظنه ألا تخرج عنه باقل من عشرة دنانير
ذهبا. كانت عنده أقصى الأمنية وشرطها صحاحا. فاغتنم الأمناء غفلته
ونقدوه الثمن. واشهدوا عليه، ثم أخبروا المنصور بخبره. فضحك من
جهالته. وأنف من غبنه ، وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل. وتدفع له
10 صحاحا ـ كما قال، فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا. فكاد أن يخرج من
عقله. وان يجن عند قبضها من الفرح، وجاء محتفلا في شكر المنصور.
وصارت قصته خبرا سائرا (220).

ومن ذلك أيضا. بناء قنطرة على نهر استجة. وهو نهر شنيل وتجشم
لها أعظم مئونة. وسهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة (221).

15 ومن ذلك. انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه في أسفاره.
يدرس فيه ويتبرك به، ومن قوة رجائه. انه اعتنى بجمع ما علق بوجهه
من الغبار في غزواته. ومواطن جهاده. فكان الخدم يأخذونه عنه

---

4) عندهم فساوموه : ك ل نفح. عندهم وأخذ حذرهم منهم فساوموه ـ بزيادة (وأخذ حذرهم منهم) : البيان.
بالقطعة : ك ل. في القطعة : نفح. البيان.
6) من عقله : ك ل نفح. عن عقله : البيان.

---

220) انظر البيان المغرب 2 / 288.
221) المصدر السابق.

بالمناديل، في كل منزل من منازله، حتى اجتمع له منه صرة ضخمة، عهد بتصييره في حنوطه، وكان يحملها حيثما سار مع أكفانه، توقعا لحلول منيته، وقد كان اتخذ الاكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته، وكان يسأل الله - تعالى - أن يتوفاه في 5 طريق الجهاد، فكان ذلك، وكان متسما بصحة باطنه، واعترافه بذنبه، وخوفه من ربه، وكثرة جهاده، وإذا ذكر بالله ذكر، وإذا خوف من عقابه ازدجر، ولم يزل متنزها عن كل ما يستتر به الملوك سوى الخمر، لكنه أقلع عنها قبل موته بسنين، وكان عدله في الخاصة والعامة واطراحه للهوادة، وبسطه الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته، أمرا 10 مضروبا به المثل (222).

ومن عدله انه وقف عليه رجل من العامة يوما بمجلسه، فناده: ياناصر الحق، ان لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك - وأشار إلى الفتى صاحب الدرقة، وكان له فضل محل عند ابن أبي عامر، ثم قال: وقد دعوته إلى الحاكم فلم يأت، فقال المنصور - أو عبد الرحمان 15 ابن فطيس (223) بهذا العجز والمهانة، وكنا نظنه أمضى من ذلك ؟ - : أذكر مظلمتك يا هذا، فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما، قطعها

---

2) حنوطه : ك ل نفح، حنوطه عند موته - بزيادة (عند موته) : البيان.

9) للهوادة : ك ل، للمهاودة : البيان - نفح.

---

222) نفس المصدر، ص 288 - 289.

223) أبو المطرف عبد الرحمان بن محمد بن عيسى بن فطيس، قاضي الجماعة بقرطبة (ت 402 هـ - 1011م).
انظر الصلة ص 298 - 300، رقم (682).

من غير نصف، فقال المنصور : ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية، ثم نظر إلى
الصقلبي - وهو قد ذهل عقله، فقال له : ادفع الدرقة إلى فلان، وانزل
صاغرا، وساو خصمك في مقامه، حتى يرفعك الحق أو يضعك، ففعل
ومثل بين يديه، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا
5 الفاسق الظالم، وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم، لينفذ عليه حكمه
بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره، ففعل ذلك، وعاد الرجل إليه
شاكرا، فقال له المنصور : قد انتصفت أنت (فاذهب) لسبيلك، وبقي
انتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي، فتناول الصقلبي بأنواع من المذلة،
وأبعده عن الخدمة (224).

10 ومن ذلك، قصة فتاه الكبير، المعروف بالبرقي مع التاجر المغربي،
فإنهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور - وهو
يومئذ أكبر خدم المنصور، وإليه أمر داره وحرمه، فدافع الحاكم، وظن أن
جاهه يمنع من إحلافه، فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه إلى الجامع -
متظلما من الفتى، فوكل به في الوقت من حمله إلى الحاكم، فأنصفه منه،
15 وسخط عليه المنصور، وقبض نعمته منه ونفاه (225).

ومن ذلك قصة محمد فصاد المنصور، وخادمه وأمينه على نفسه، فإن
المنصور احتاجه يوما إلى الفصد، وكان كثير التعهد له، فانفذ رسوله إلى

---

2) له : ك ل نفح - البيان.
5) الفاسق الظالم : ك ل نفح. الظالم الفاسق : البيان.
7) فاذهب : البيان المغرب. اذهب : النفح - ك ل.
10) البرقي : ك ل نفح. الميروقي : البيان.

---

224) انظر البيان المغرب 2 / 289.
225) نفس المصدر.

محمد. فألفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب (226). لحيف ظهر منه على امرأته. قدر ان سبيله من الخدمة. يحميه من العقوبة، فلما عاد الرسول إلى المنصور بقصته. أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن. يلزمه إلى أن يفرغ من عمله عنده. ثم يعيده

5 إلى محبسه. ففعل ذلك على ما رسمه. وذهب القاصد إلى شكوى ما ناله. فقطع عليه المنصور. وقال له ، يا محمد. إنه القاضي. وهو في عدله. ولو أخذني الحق ما أطقت الامتناع منه؛ عد إلى محبسك. واعترف بالحق. فهو الذي يطلقك، فانكسر الحاجم. وزالت عنه ريح العناية. وبلغت قصته للقاضي. فصالحه مع زوجته. وزاد القاضي شدة في أحكامه (227).

10 ومن دهائه. قال ابن حيان انه كان جالسا في بعض الليالي. وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر. فدعا بأحد الفرسان وقال له، انهض الآن إلى فج طليارش وأقم فيه. فأول خاطر يخطر عليك. سقه إلي. قال ، فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر - واقفا على فرسه. إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب.

15 فقال له الفارس ، إلى أين تريد يا شيخ ؟ فقال ، وراء حطب. فقال

---

4) عنده ، ك ل نفح - البيان.

8) وزالت ، ك ل نفح. وزال ، البيان.

ولحقه - ، ك ل نفح. ولحقته ، البيان.

---

226) أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي. قاضي الجماعة. الفقيه الحافظ المشاور (ت 381 هـ - 991م).

انظر جذوة المقتبس 93. المغرب في حلى المغرب 1 / 209. قضاة الأندلس 77. الديباج 268. فهرسة ابن خير 246. شجرة النور ص 100.

227) انظر البيان المغرب ج 2 ص 290.

الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطبا، فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال : فتركته فسار عني قليلا. ثم فكرت في قول المنصور، وخفت سطوته، فنهضت إلى الشيخ. وقلت له : ارجع إلى مولانا المنصور، فقال : وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي. سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي ؟ فقال له الفارس : لا أفعل. ثم قدم به على المنصور، ومثله بين يديه - وهو جالس لم ينم ليلته تلك، فقال المنصور للصقالبة : فتشوه. ففتش فلم يوجد عنده شيء. فقال : فتشوا برذعة حماره، فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور يخدمون عنده إلى أصحابهم من النصارى، ليقبلوا ويضربوا في إحدى النواحي المعلومة. فلما انبلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة، فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم (228) !.

ومن ذلك، قصة الجوهري التاجر. وذلك أن رجلا جوهريا من تجار المشرق، قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير، وأحجار نفيسة، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه، ودفع إلى التاجر الجوهري صرته، وكانت قطعة يمانية. فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر، فلما توسطها - واليوم قائظ، وعرقه منصب، - دعته نفسه إلى التبرد في النهر، فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط، فمرت حدأة، فاختطفت الصرة تحسبها لحما، وصاعدت في الأفق ذاهبة، فقطعت الأفق الذي تنظر إليه

14) الجوهري التاجر : ك ل نفح. التاجر الجوهري : البيان.

228) المرجع السابق 290 - 291.

عين التاجر، فقامت قيامته. وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة،
فأسر الحزن في نفسه. ولحقه لأجل ذلك علة اضطرب فيها. وحضر الدفع
إلى التجار. فحضر الرجل لذلك بنفسه، فاستبان للمنصور ما بالرجل من
المهانة والكآبة. وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة، فسأله
5 المنصور عن شأنه. فأعلمه بقصته، فقال له : هلا أتيت إلينا بحدثان وقوع
الأمر. فكنا نستظهر على الحيلة. فهل هديت إلى الناحية التي أخذ
الطائر إليها ؟ قال : مر مشرقا على سمت هذا الجبل الذي يلي قصرك -
يعنى الرملة. فدعا المنصور شرطيه الخاص به. فقال له : جئني بمشيخة
أهل الرملة - الساعة. فمضى وجاء بهم سريعا. فأمرهم بالبحث عن من
10 غير حال الاقلال منهم - سريعا. وانتقل عن الاضاقة دون تدريج. فتناظروا
في ذلك. ثم قالوا : يا مولانا. ما نعلم إلا رجلا من ضعفائنا كان يعمل
هو وأولاده بأيديهم. ويتناولون السبق بأقدامهم عجزا عن شراء دابة،
فابتاع اليوم دابة. واكتسى هو وولده كسوة متوسطة. فأمر بإحضاره من
الغد. وأمر التاجر بالغدو إلى الباب، فحضر الرجل بعينه بين يدي
15 المنصور. فاستدناه - والتاجر حاضر. وقال له : سبب ضاع منا وسقط إليك.
ما فعلت به ؟ قال : هو ذا يا مولاي. وضرب بيده إلى حجزة سراويله.

---

1) بحيلة : ك ل نفح. بعدوى ولا بحيلة : البيان.
ولحقه : ك ل نفح. ولحقته : البيان.
3) للمنصور ما للرجل : ك ل نفح. له ما به : البيان.
7) الجبل : ك ل نفح. الجنان : البيان.
10) الاقلال : ل نفح. البيان. الاقبال : ك.
12) للسبق : ك ل نفح. السقي : البيان.
16) قال : ك ل نفح. فقال : البيان.

فأخرج الصرة بعينها. فصاح التاجر طربا. وكاد يطير فرحا. فقال له المنصور : صف لي حديثها. فقال : بينا أنا أعمل في جناني تحت نخلة. إذ سقطت أمامي. فأخذتها وراقني منظرها؛ فقلت : ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار. فاحترزت بها ودعتني فاقتي الى اخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة؛ وقلت : أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها. فأعجب المنصور ما كان منه. وقال للتاجر : خذ صرتك وانظرها. واصدقني عن عددها؛ ففعل. وقال : وحق رأسك يا مولاي ما ضاع منها شيء. سوى الدنانير التي ذكرها. وقد وهبتها له؛ فقال له المنصور : نحن أولى بذلك منك. ولا ننغص عليك فرحك. ولولا جمعه بين الاصرار والاقرار. لكان ثوابه موفورا عليه؛ ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير - عوضا عن دنانيره. وللجنان بعشرة دنانير - ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده؛ وقال : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث. لاوسعناه جزاء؛ قال : فأخذ التاجر في الثناء على المنصور؛ وقد عاوده نشاطه. وقال : والله لأبثن في الاقطار عظيم ملكك. ولابين أنك تملك طير عملك. كما تملك إنسها. فلا تعتصم منك. ولا تؤذى جارك؛ فضحك المنصور وقال : اقصد في قولك. يغفر الله لك : فعجب الناس من تلطف المنصور في أمره. وحيلته في تفريج كربته (229). - انتهى.

---

(9) ننغص : ك ل نفح. ننقص : البيان.
فرحك : ك ل . فرحتك البيان.
(10) الاصرار والاقرار : ك ل نفح. الاقرار والانكار : البيان.
عن : ل. من ك. نفح. البيان.

---

(229) نفس المصدر : 291 - 292.

ثم حكى هذا المؤرخ من اخبار المنصور جملة. ثم وصف غزوته لمدينة شنت ياقب (230) قاصية غليسية، واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الأندلس، وما يتصل بها من الأرض الكبيرة، وكانت كنيستها (231) عندهم - بمنزلة الكعبة عندنا، فيها يحلفون، وإليها يحجون من أقصى
5 بلاد رومة وما وراءها، ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقوب الحواري، أحد الاثني عشر، وكان أخصهم بعيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وهم يسمونه أخاه للزومه إياه ، إلى أن قال ، وياقب بلسانهم يعقوب، وكان اسقفا ببيت المقدس، فجعل يستقرىء الأرضين، داعيا لمن فيها، حتى انتهى إلى هذه القاصية، ثم عاد إلى أرض الشام،
10 فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية، فاحتمل أصحابه رمته، فدفنوه بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره، ولم يطمع أحد من ملوك الإسلام في قصدها، ولا الوصول إليها، لصعوبة مدخلها، وخشونة مكانها، وبعد شقتها، فخرج المنصور إليها من قرطبة - غازيا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الأخيرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . وهي غزوته

---

2) قاصية : ك، نفح، البيان، ناصية : ل.

4) فيها : ك ل . فبها : نفح، البيان.

9) لمن فيها حتى انتهى : ك ل نفح، لمن فيها فجاز إلى الأندلس حتى انتهى : البيان.

10) فمات : ك ل نفح، فقتل : البيان.

رمته : ل نفح البيان - ك.

14) وثلاثمائة : ك نفح البيان - ل.

---

230) عاصمة ولاية جليقية القديمة.

وتقع في اقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة الايبيرية .

انظر عن هذه الموقعة البيان المغرب 294/2.

.344

231) نفس المصدر : 345 - 346. والروض المعطار ص 348

الثامنه والأربعون (232). ودخل على مدينة قورية (233). فلما وصل إلى
مدينة غلسية. وافاه عدد عظيم من القواميس. المتمسكين بالطاعة في
رجالهم. وعلى أتم احتفالهم؛ فصاروا في عسكر المسلمين. وركبوا في
المغاورة سبيلهم. وقد كان المنصور تقدم في إنشاء أسطول كبير في
5 الموضع المعروف بقصر أبي دانس (234) من ساحل غرب الأندلس.
وجهزه برجاله البحريين. وصنوف المترجلين؛ وحمل الاقوات والأطعمة.
والعدد والأسلحة؛ استظهارا على نفوذ العزيمة. إلى أن خرج بموضع
برتقال على نهر دويرة (235). فدخل في النهر إلى المكان الذي عمل
المنصور على العبور منه. فعقد هنالك من هذا الأسطول جسرا بقرب
10 الحصن الذي هنالك. ووجه المنصور ما كان فيه من الميرة إلى الجند.
فتوسعوا في التزود منه إلى أرض العدو. ثم نهض يريد شنت ياقوب.
فقطع أرضين متباعدة الأقطار. وقطع بالعبور عدة أنهار كبار. وخلجان
يمدها البحر الأخضر؛ ثم أفضى العسكر بعد ذلك إلى بسائط جليلة من
بلاد فلطارش وما يتصل بها؛ ثم أفضى إلى جبل شامخ. شديد الوعر. لا
15 مسلك فيه ولا طريق. لم يهتد الادلاء إلى سواه؛ فقدم المنصور الفعلة

---

10) هنالك ك ل نفح. هنك : البيان.
ووجه : ك ل نفح. ووزع : البيان.
12) انهار : ل نفح البيان. اقطار : ك.
14) فلطارش وما يتصل بها : ك ل نفح. فلطارش ومباسيطه والدير : البيان.

---

232) انظر البيان المغرب 2 / 295.
233) من مدن كورة ماردة. انظر الروض المعطار 485.
234) مرسى الأسطول على ساحل البرتغال جنوبي الاشبونة.
235) يصب عند بورتو في المحيط الأطلسي. في الشمال الغربي لشبه الجزيرة.

بالحديد لتوسعة شعابه، وتسهيل مسالكه، فقطعه العسكر، وعبروا بعده
وادي منية (236).

وانبسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة، وأرضين اريضة،
وانتهت مغيرتهم الى دير قسطان، وبسيط بلنبو على البحر المحيط،
5 وفتحوا حصن شنت بلايو وغنموه، وعبروا - سباحة - الى جزيرة من
البحر المحيط، لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي، فسبوا من فيها
ممن لجأ اليها، وانتهى العسكر الى جبل مراسيه، المتصل مراكز جهاته
بالبحر المحيط، فتخللوا أقطاره، واستخرجوا من كان فيه، وحازوا غنائمه،
ثم أجاز المسلمون بعد هذا - خليج لورقي في معبرين، ارشد الادلاء
10 إليهما، ثم نهر ايله، ثم افضوا إلى بسائط واسعة العمارة، كثيرة الفائدة، ثم
انتهوا إلى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره - عند
النصارى في الفضل، يقصد نساكهم له من أقصى بلادهم، ومن بلاد القبط
والنوبة وغيرهما، فغادره المسلمون قاعا، وكان النزول بعده على مدينة
شنت ياقب البائسة، وذلك يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شعبان، فوجدها
15 المسلمون خالية من أهلها، فحاز المسلمون غنائمها، وهدموا مصانعها

---

4) بلبنو : ك ل، بلنبو : نفح، بلنبوط : البيان.
بلايو : ك ل، بلاية : نفح البيان.

12) نساكهم : ل نفح البيان، نساءهم : ك.

13) قاعا : ك ل نفح، قارعا : البيان المغرب.

15) من أهلها : ل نفح، البيان - ك.

---

236) ويقال منيو أو منهو يقع في منطقة جليقية ويصب في الاطلس بأقصى الشمال الغربي للجزيرة.
انظر الروض القرطاس - تحقيق عبد الوهاب بنمصور.

وأسوارها، وكنيستها، وعفوا آثارها، ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الأذى عنه، وكانت مصانعها بديعة، محكمة، فغودرت هشيما كأن لم تغن بالأمس، وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط، وانتهت الجيوش إلى جزيرة شانت ما نكش (236) منقطع هذا الصقع على
5 البحر المحيط، وهي غاية لم يطأها قبلهم مسلم، ولا وطئها لغير أهلها قدم، فلم يكن بعدها للخيل مجال، ولا وراءها انتقال، وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقب، وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله، فجعل في طريقه القصد على عمل برمند بزاردون، ليستقريه عائثا ومفسدا، حتى وقع في عمل القواميس
10 المعاهدين الذين في عسكره، فأمر بالكف عنها، ومر مجتازا حتى خرج إلى حصن مليقة من افتتاحه، فأجاز هنالك القواميس بجملتهم على أقدارهم، وكساهم وكسا رجالهم، وصرفهم إلى بلادهم، وكتب بالفتح من مليقة، وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين، ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز
15 الطرازي، وإحدى وعشرين كساء من صوف البحر، وكسائين عنبريين، واحد عشر سقلطونا، وخمس عشرة مريشات، وسبعة أنماط ديباج وثوبين ديباج رومي، وفروى فنك، ووافى جميع العسكر ـ قرطبة غانما، وعظمت النعمة والمنة على المسلمين، ولم يجد بشنت ياقب ـ إلا شيخا من

---

3) وانتسفت بعد ذلك : ك ل. وانتسفت بعوثه بعد ذلك ـ بزيادة (بعوثه) : نفح البيان.
16) مريشات : ل نفح البيان. فريشات : ك.
فنك : ل نفح البيان. فنا : ك.
17) النعمة والمنة ك نفح البيان. المنة والنعمة : ل.

---

236 ـ مكرر) يبدو أنها ليست سيمانكاس، بل بلدة في أقصى شبه الجزيرة.

الرهبان جالسا على القبر، فسأله عن مقامه. فقال : أؤنس يعقوب. فأمر بالكف عنه (237).

ثم قال هذا المؤرخ ـ بعد كلام ـ وحدث شعلة قال : قلت للمنصور ليلة طال فيها سهره ، قد أفرط مولانا في السهر، وبدنه يحتاج إلى أكثر
5 من هذا النوم ـ وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب. فقال لي : ياشعلة، الملك لا ينام إذا نامت الرعية، ولو استوفيت نومي، لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة (238).

وكان المنصور يزرع في كل سنة ـ ألف مدي من الشعير ـ قصيلا لدوابه الخاصة (به.) وكان إذا قدم من كل غزوة من غزواته، لا يحل عن
10 نفسه حتى يدعو صاحب الخيل، فيعلم ما مات منها وما عاش، وصاحب الأبنية لما وهى من أسواره ومبانيه، وقصوره ودوره؛ وكان له دخالة في كل يوم اثنى عشر ألف رطل من اللحم، حاشا الصيد والطير والحيتان؛ وكان يصنع في كل عام اثني عشر ألف ترس عامرية لقصر الزاهرة والزهراء، وابتنى على طريق المباهاة والفخامة ـ مدينة الزاهرة، ذات

---

5) ك من علة : ل نفح، ومن علة : ك.

8) الف : ك ل نفح، الف ألف : البيان.

9) الخاصة : ك ل، الخاصة به ـ بزيادة (به) : نفح، البيان.

10) فيعلم : ك ل نفح، فيعلمه : نفح البيان.

وصاحب الابنية لما : ك ل نفح، وصاحب الابنية فيعلمه بما : البيان .

14) والفخامة : ك ل نفح، والصحافة : البيان.

والمتنزهات : ك ل، والمنتزهات : نفح، البيان.

---

237) انظر البيان المغرب ج 2 / ص 294 ـ 297.

238) المرجع السابق ص 298، وانظر أعمال الاعلام ق 1 ص 76.

القصور والمتنزهات المخترعة. كمنية السرور وغيرها من مناشئه البديعة،
ثم قال هذا المؤرخ (239) - بعد كلام - ؛ وعند فراغه من بناء الزاهرة.
غزا غزوة. أبعد فيها الايغال. وغال فيها من عظماء الروم من غال. وحل
من أرضهم ما لم يطرق. وراع منهم ما لم يرع قط ولم يفرق. وصدر صدرا
5 سما به على كل حسناء عقيلة. وجلى به كل صفحة للحسن صقيلة،
ودخل قرطبة دخولا لم يعهد. وشهد له فيها يوم لم يشهد، وكان ابن
شهيد (240) متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده. وحداه منتجعه
ورائده، وابن شهيد هذا أحد حجاب الناصر. وله على ابن أبي عامر
أيادي محكمة الأواصر، وكان كثيرا ما يتحفه. ويصله ويلطفه، فلما صدر
10 المنصور من غزوته هذه نسي متاحفته. وأغفل ملاطفته، فكتب إليه ابن
شهيد ؛

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايـــا   يا لنفس تقيك صـــرف الرزايــا
ورسول الإله أسهـــم في الفـــي   ء لمن لم يجد فيـــه المطايــا
فاجعلني - فديت - أشكر معـــرو   فك وابعث به عـــذاب الثنايــا

---

2) بناء : ل نفح البيان - ك.
7) عداه عائده : ل نفح البيان. عداهما يده : ك.
وحداه : ك ل نفح. وجفاه : البيان.
8) وله على ابن أبي عامر : ل نفح. البيان. وله على أبواب عامر : ك.
13) فيه : ك ل نفح. فيها : البيان.

---

239) يعنى به ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب 2 / 299.
240) أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي. والد الشاعر الكاتب ابن شهيد قال فيه تلميذه ابن عائذ : الوزير العالي القدر. معدن الدراية والرواية. (ت 393 هـ 1003م).
انظر الصلة 348 - 349. رقم (759). والمغرب في حلى المغرب ج 1 / 198.

فبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار، كأنهن نجوم سوار، وكتب اليه :

قد بعثنا بها كشمس النهار ... في ثلاث من المها أبكار
فاجتهد واتئد فإنك شيخ ... خفي الليل عن بياض النهار
5 صانك الله من كلالك فيها ... فمن العار كلة المسمار

فكتب إليه ابن شهيد :

قد فضضنا ختام ذاك السوار ... واصطبغنا من النجيع الجاري
ونعمنا في ظل أنعم ليل ... ولهونا بالبدر ثم الدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ... ذى مضاء عضب الظبا بتار
10 فاصطنعه فليس يجزيك كفرا ... واتخذه سيفا على الكفار

انتهى ما انتحيناه من كلام هذا (241) المؤرخ. واظن ان بعضه من كلام الفتح، كقضية ابن شهيد هذه. فإنها لا تبعد عن مساقه ـ والله أعلم.

وأخبار المنصور بن أبي عامر، طبقت الأقطار، وطارت كل مطار، وتعدادها تضيق عنه الأسفار، خصوصا ما له على الكفار، ولذا كتب على
15 قبره :

---

2) سوار : ك ل نفح. سرار : البيان.
3) من : ك ل. عن : نفح البيان.
10) فاصطنعه : ك ل نفح. فاصطنعني : البيان.
11) انتحيناه : ل. انتخبناه : ك.

---

241) انظر البيان المغرب ج 2 / 301.

أثـاره تنبيـك عـن أخبـاره حتـى كأنـك بالعيـان تـراه
واللـه ما يأتـي الزمـان بمثلـه أبـدا ولا يحمـي الثغـور سـواه

وقد حكى صاحب (242) «الزهرات المنثورة في الأخبار المأثورة» كثيرا من محاسن المنصور بن أبي عامر. فمن ذلك قوله في الزهرة 5 الثامنة والعشرين ما نصه :

حكى أبو العلى صاعد اللغوي قال : جمعت خرق الأكياس، والصرر التي قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر. فقطعت لكافور الأسود غلامي منها قميصا كالمرقعة. وبكرت به معي إلى قصر المنصور. فاحتلت في تنشيطه حتى طابت نفسه. فقلت : يا مولانا. لعبدك حاجة. 10 فقال : اذكرها. قلت : وصول غلامي كافور إلى هنا، فقال : وعلى هذه الحال ؟ ! فقلت : لا اقنع بسواه إلا بحضوره بين يديك، فقال : ادخلوه. فمثل قائما بين يديه في مرقعته. وهو كالنخلة إشرافا. فقال : قد حضر - وإنه لباذىء الهيئة. فمالك أضعته ؟ فقلت : يا مولانا. هناك الفائدة، أعلم يامولاي انك وهبت لي اليوم ملء جلد كافور مالا، فتهلل وقال : لله 15 درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر. وأمر لي بمال واسع وكسوة. وكسا كافورا أحسن كسوة (243).

---

2) والله : ك ل. تالله : نفح البيان.
لا يأتي الزمان بمثله : ك ل نفح. ما ملك الزمان مثله : البيان.

---

242) لعله يعني به ابن سعيد - كما يدل عليه كلام ابن هذيل في كتابه «عين الادب والسياسة».

243) لم يذكر هذه الزهرة (الثامنة والعشرين) في النفح. انظر ج 1 / 417.

وفي التاسعة والعشرين ما نصه : تقدم الى الحاجب المنصور بن ابي عامر وانزمار ابن ابي بكر البرزالي، احد جند المغاربة - وقد جلس للعرض والتمييز - والميدان غاص بالناس؛ فقال له بكلام يضحك الثكلى : يا مولاي، ما لي ولك. اسكني، فاني في الفحص. فقال : وما ذاك يوالزمار واين دارك الواسعة الاقطار ؟ فقال ؟ اخرجتني - والله - عمتك. اعطيتني من الضياع ما انبسطت على منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها، وأنا بربري مجوع، حديث العهد بالبؤس؛ أترى لي ان ابعد القمح عني، ليس ذاك من رأيي؛ فتطلق المنصور، وقال لله درك من فذ عيي؛ لعيك في شكر النعمة، ابلغ عندنا، واخذ بقلوبنا، من كلام كل اشدق متزيد، وبليغ مفتن؛ واقبل على من حوله من اهل الاندلس، فقال: يا أصحابنا، كذا فلتشكروا الايادي، وتستديموا النعم؛ لا ما انتم عليه من الجحد اللازم، والتشكي المبرح، وامر له بافضل المنازل الخالية.

وفي الموفية ثلاثين ما نصه، أصبح المنصور بن أبي عامر صبيحة أحد، وكان يوم راحة الخدمة الذين أعفوا فيه عن قصد الخدمة في مطر وابل غب أيام مثله، فقال ، هذا يوم لا عهد بمثله، ولا حيلة للمواطنين لقصدنا في مكابدته، فليت شعري، هل شذ أحد منهم عن التقدير، فأغرب

8) ابعد القمح : ل نفح، ابعد انعمهم : ك.
ذلك : ل نفح ذاك : ك.
9) بقلوبنا : ل نفح، في قلوبنا : ك.
10) مفتن : ك ل، متفنن : نفح.
وأقبل : ك، وأقبل المنصور - بزيادة (المنصور) : ل نفح.
11) فلتشكروا : .... وتستديموا : ك ل، فلتشكر .. وتستدام : نفح.
16) عن : ك ل من : نفح.
16) فأغرب : ل نفح، اغز : ك.

في البكور. أخرج وتأمل - يقوله - لحاجبه. - فخرج وعاد إليه - ضاحكا وقال : يا مولاي. على الباب ثلاثة رهط من البرابرة : أبو الناس بن صالح. واثنان معه. وهم بحال من البلل. إنما توصف بالمشاهدة، فقال : أوصلهم إلى وعجل. فدخلوا عليه في حال الملاح بللا ونداوة، فضحك إليهم وادنى مجلسهم وقال: خبروني كيف جئتم. وعلى أي حال وصلتم وقد استكان كل ذي روح في كنه. ولاذ كل طائر بوكره. فقال له أبو الناس بكلامه : يا مولانا. ليس كل التجار قعد عن سوقه. وإذا عذر التجار على طلب الربح بالفلوس. فنحن اعذر بإدراكها بالبدر. ومن غير رؤوس أموال، وهم يتناوبون الأسواق على أقدامهم ويذيلون في قصدها ثيابهم. ونحن ناتيك على خيلك. ونذيل على صهواتها ملابسك. ونجعل الفضل في قصدك مضمونا. إذا جعله أولئك طمعا ورجاء. فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذه ؟ فضحك محمد بن أبي عامر. ودعا بالكسى والصلات. فرفعت لهم وانصرفوا - مسرورين بغدوتهم.

وفي الزهرة الرابعة والأربعين ما نصه : كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر فتى من اهل الادب قد رثت حاله في الطلب. فتعلق بكتاب العمل. واختلف الى الخزانة مدة حتى قلـــد

---

2) ثلاثة رهط من البرابرة : ك ل. ثلاثة من البرابرة - باسقاط كلمة (رهط) : نفح.
5) وادنى مجلسهم : ل نفح. واجلسهم : ك.
خبروني : ل نفح. أخبروني : ك.
8) غير : ل نفح. غر : ك
أموال : ك ل. الأموال : نفح
9) في قصدها ... الفضل : ل نفح - ك.
12) هذه : ك ل. هذا : نفح
13) فرفعت : ك ل. فدفعت : نفح.

بعض الأعمال، فاستهلك كثيرا من المال، فلما ضم إلى الحساب، أبرز عليه ثلاثة آلاف دينار، فرجع خبره إلى المنصور، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه، ولزم الإقرار بما بزر عليه، قال له ، يا فاسق، ما الذي جرأك على مال السلطان تنتهبه ؟ قال قضاء غلب الرأي، وفقر أفسد الامانة، قال ، والله لأجعلنك نكالا لغيرك، ليحضر كبل وحداد، فأحضرا، فكبل الفتى وقال : احملوه الى السجن، وامر الضاغط بامتحانه، والشدة عليه، فلما قام، انشأ يقول :

أواه أواه وكـــــم ذا أرى أكثـــر مـــن تذكـــار أواه
مـــا لامـــرىء حـــول ولا قـــوة الحـــول والقـــوة للـــه

فقال المنصور: ردوه، فلما رد، قال : اتمثلت ام قلت ؟ قال : بـــل قلت، فقال ، حلوا عنه كبله، فلما حل عنه، أنشأ يقول ،

أمـــا تـــرى عفـــو أبـــى عامـــر لا بـــد أن تتبعـــه ـ منـــه
كذلـــك اللـــه إذا ما عفـــا عـــن عبـــده أدخلـــه ـ الجنـــه

قال ، فامر باطلاقه، وسوغه ذلك المال، وابراه من التبعة فيه.

وفي الخامسة والأبعين ما نصه ، عرض على المنصور بن أبي عامر

---

3) قال : ك ل. فقال : نفح.
4) قال : ك ل. فقال المنصور : نفح.
لغيرك : ل نفح. لغيره : ك.
5) كبل محدد : ك ل. كبل وحداد : نفح.
فاحضرا : ل نفح. فاحضر : ك.
6) الضاغط : ك ل. الضابط : نفح.
13) كذلك : ك نفح. كذاك ـ : ل.
14) قال فأمر : ك ل. فأمر ـ باسقاط (قال) : نفح.

اسم أحد خدامه في جملة من طال سجنه. وكان شديد الحقد عليه، فوقع على اسمه بأن لا سبيل إلى اطلاقه. حتى يلحق بأمه الهاوية. وعرف الرجل بتوقيعه. فاغتم وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة، وأرق المنصور بن أبي عامر من اثر ذلك. واستدعى النوم. فلم يقدر عليه، وكان يأتيه

5 عند تنوميه أت كريه الشخص عنيف الأخذ ، يأمره بإطلاق الرجل. ويتوعده على حبسه، فاستدفع شأنه مرارا. إلى أن علم أنه نذير من ربه. فانقاد لأمره. ودعا بالدواة في مرقده، فكتب بإطلاقه. وقال في كتابه ، هذا طليق الله ـ على رغم أنف ابن أبي عامر. وتحدث الناس زمانا بما كان منه.

10 وفي الثامنة والأربعين ما نصه ، انتهت هيبة المنصور بن أبي عامر وضبطه للجند. واستخدام ذكور الرجال. وقوام الملك، ـ إلى غاية لم يصلها ملك قبله. فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلا في الاطراق. حتى إن الخيل لتتمثل اطراق فرسانها. فلا تكثر الصهيل والحمحمة، ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو

15 جد. بحيث ظن أن لحظ المنصور لا يناله. فقال ، علي بشاهر السيف. فمثل بين يديه لوقته، فقال ، ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه إلا عن اذن. فقال ، إني أشرت به على صاحبي ـ مغمدا.

---

1) وكان ، ل نفح. فكان ، ك.

4) اثر ذلك ، ل نفح. من اثر ذلك ـ بزيادة (من) ، ك.
واستدعى ، ل نفح. فاستدعى ، ك.

13) لتتمثل ، نفح. لتمثل ، ك. لتمتثل ، ل.

17) به ، نفح ـ ك.

فذلق من غمده، فقال ، إن مثل هذا لا يسوغ بالدعوى، وأمر به فضربت عنقه بسيفه. وطيف برأسه. ونودي عليه بذنبه.

انتهى ما تعلق به الغرض من أخبار المنصور. وأنشدني بعض الكتاب من أهل قسمطينة ـ المحروسة بالله ـ لبعض الأقدمين قوله ،

5 حدثنا عرف نسيم الصبا عن بان نجد عن ربى حاجر
عن سمرات الحي عن عالج عن سر ذلك المبسم العاطر
قالوا سمعنا طائرا بالحمى ينشد بيت ابن أبي عامر
(ما أقبح السلوان من عاشق وما ألذ الوصل من هاجر) !

وأظنه ابن أبي عامر المذكور. وانه قال ذلك البيت. فوطأ له هذا
10 الشاعر بالثلاثة الابيات ـ والله أعلم.

ثم بعد مدة رأيت في عدة مصنفات رواية البيت هكذا ،
(ينشد بيتا لبني عامر) ـ فالله أعلم.

ورأيت في كتاب الزهرات المنثورة المذكورة آنفا، من غير أخبار ابن أبي عامر... في الزهرة الرابعة والستين ما نصه ، لما قبض على

---

1) فذلق ل. فدلف ، نفح. فدلف.
4) قسمطينة ، ل. قسنطينة ، ك.
9) وأظنه ابن أبي عامر المذكور ، ك. واظن ابن ابن أبي عامر هو المنصور المذكور ، ل.
10) الأبيات ، ل. أبيات ، ك.
(ثم بعد مدة ... فالله أعلم) ا ، ل ـ ك.

الوزير أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد (244) العنسي، وثقف بمالقة، دخل إليه ابن عمه، ووصل إلى الاجتماع به - ريثما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المومن في أمره، قال : فدمعت عيناي حين رأيته مكبولا. فقال : أعلي تبكي - بعدما بلغت من الدنيا أطايب لذتها :

5 - فأكلت صدور الدجاج، وشربت في الزجاج، ولبست الديباج، وتمتعت بالسراري والازواج، واستعملت من الشمع السراج الوهاج، وركبت كل هملاج، وهأنا في يد الحجاج، منتظر محنة الحلاج، قادم على غافر لا يحتاج، إلى اعتذار ولا احتجاج، قال : فقلت : أفلا يؤسف على من ينطق بمثل هذا الكلام، ثم يفقد، وقمت عنه فكان أخر العهد به. انتهى.

10 ولنعد إلى ما كنا فيه من سرد بعض كلام الفتح فنقول : قال في الأوراق التي رأيت من المطمح (245) - بعد ترجمة المعتصم بن صمادح، وتحليته إياه بعين ماله في القلائد (246)، ما نصه : ابنه عز الدولة أبو مروان عبد الله - رحمه الله، فتى (247) الراح، المعاقر لدنانها، المهتصر

---

6) السراري : ل، الأسرار : ك

---

244) سليل بني سعيد أصحاب قلعة يحصب من أعمال غرناطة كان حضر إلى جبل طارق مع أبيه وأخوته وقومه - عند نزول الخليفة عبد المومن به، فأنشده قصيدة لفتت الأنظار بروعتها، وكانت فاتحة مجده الشعري، فوقعت هذه القصيدة من الخليفة أجمل موقع، وحظي أبو جعفر هذا فيما بعد لدى ابن سعيد والي غرناطة، فاستوزره حينا إلى أن فسد ما بينهما، فقبض عليه واتهم بالاشتراك في فتنة مردنيش، وأعدم سنة (559 هـ - 1163م).

انظر الاحاطة ج 1 / 223، و 225 - 226، وتاريخ عصر المرابطين لعنان ج 1 / 385.

245) لعله من المطمح الكبير.

246) انظر القلائد ص 47 - 48.

247) من هنا إلى أخر ما أورده في ترجمة أبي مروان، ساقط في المطمح المطبوع.

لاغصان الفتوة وأفنانها، المهجر لفلاة الظباء والآرام، المشهر في باب
الصبابة والغرم، نشأ في حجر أبيه نديم قهوة، ومديم صبوة، وخديم شهوة،
لا يريم كأسا، ولا يروم إلا اقتضى انتكاسا، ما شهد قتلا ولا قتالا، ولا
تقلد صارما إلا مختالا، قد أمن منه جنان الجبان، وعدت له غصون ألبان،
5 وما زال مرتضعا لأخلاف البطالة، مقتطعا ما شاء من اطالة، متوغلا في
شعاب الفتاك، متغلغلا في طريق الانتهاك، - إلى أن وجهه أبو إلى أمير
المسلمين - سفيرا عندما بدت له وجوه الفتنة تسفر، ومعاهد الهدنة تقفر،
مع أكامل أصحبهم نقصانه، وذوى أديان جعلهم خلصانه، يسمعون بوادر
بذاذته، وينظرون مناكر لذاذته، فآلت سفرته إلى الاعتقال، وقصرت نخوته
10 ما بين قيد وعقال، فجاء كالمهر لا يعرف لجاما، وصار حبيس قوم لا
يألونه استعجاما، وحين شالت نعامته (248)، وسالت عليه ظلامته، كتب
إلى أبيه ،

أبعد السنا والمعالي خمول ... وبعد ركوب المذاكى كبول
ومن بعد ما كنت حرا عزيزا ... أنا اليوم عبد أسير ذليل
15 حللت رسولا بغرناطة ... فحل بها في خطب جليل
وثقفت إذ جئتها مرسلا ... وقبلي كان يعز الرسول
فقدت المرية - أكرم بها ... فما للوصل إليها سبيل

---

3) اقتضى انتكاسا - ، ك ل، اقتضاء وانتكاسا ، نفح.
6) أبوه إلى ، ل نفح - ك.
بدت ، ك نفح ، بدات ، ل، ولعله تحريف.

---

248) شالت نعامته ، ذهب عزه.

فراجعه أبوه بقطعة، منها :

عزيز علي ونوحـي دليـــل على ما أقاسي ودمعي يسيــل
وقطعـت البيـض أغمادهــا وشقت بنـود وناحـت طبـول
لئن كنت يعقوب في حزنه (249) ويوسف أنت «فصبر جميل» (250)

5 ولم يزل يتحيل في تخلصه، وأخذه من يد مقتنصه، فسرق - وحراسه منه بمكان السلك من النحر، وطرق به على ثبج البحر، فوافى المرية، وقد أخذ البحث عليه آفاق البرية. فهنىء المعتصم بخلاصه، وبقي مستقرا بعراصه، الى ان اخلوها. ومضوا لمطية ما نووها، فنجا اخوه الى حيث ذكرنا من بلاد (250) الناصر، ولجأ هو إلى أحـــد

10 المرابطيـن لاذمـة كانـت بينهمـا وأواصـر ، وأقـام معـه سميـر لهـوه ، - وأميـر سهـوه ، - الـى ان انقـرض امـده.

وطواه سروره لاكمده، فلم ير إلا خالعا لعذاره، طالعا من ثنيات اغترلره ، غير مكترث باتضاعه، ولا منحرف عن ارتشاف الغي وارتضاعه، وبدا منه في هذه الحال ندى كاثر به السحاب، وظاهر بسببه الأصحاب، وتخدم

15 الأوطار، وتقدم لذوي الرتب فيها والأخطار، حسنا من ذكره، وأولعا الألسن بشكره، فارتفع عنه الكدح، وشفع له في الذم ذلك المدح، وكان نظمه بديع الوصف، رفيع الرصف، وقد اثبت له مايشهد باجادته واحسانه، شهادة الروض بجود نيسانه.

8) لمطية : ك ل. لطلبة : نفح.
13) الأصحاب : ك ل. الصحاب : نفح.
14) حسنا : ك ل. حسن : نفح.
وأولعا : ل. وأولع : ك نفح.

249) يشير إلى قوله تعالى، في سورة يوسف ، «انما أشكو بثي وحزني إلى الله».
250) الآية ، 18 - سورة يوسف.
250 - مكرر) يعني ميروقة التي كان يحكمها ناصر الدولة.

أخبرني ابن القطان أنه ساير الأمير يحيى بن أبي بكر إلى طليطلة في جيوش فاضت سيلا . وخاضت المطايا قتامها ليلا، وكان ملكا لم يعقد على مثله لواء، ولم يحتو على شبهه حواء، جمال محيا، وكمال عليا، وحسن شيم، وبعد همم، اغنى العفاة، وأحيا الرفاة، وألغى الاجواد، وأنسى كعب بن مامة (251) وابن أبي دؤاد (252)، فلما شارف طليطلة وكشفها، واشتف بلالتها وارتشفها، وضرب بكنفها مضاربه، واجال بساحتها زنجه وأعاربه، سقط أحد ألويته عن يد حامله، وانكسر عند عامله، فطائفة تفاءلت، وطائفة تطيرت، وفرقة ابتهجت، وأخرى تغيرت، فقال :

لم ينكسر عود اللواء لطيرة يخشى عليك بها وان تتأولا
لكن تحقق انه يندق في نحر العدو لدى الوغى فتعجلا

وأخبرني أخوه رفيع الدولة أن ابن اللبانة (253)، كتب إليه -

5-4) والغى الاجواد : ل نفح - ك.
8) عامله : ل نفح. عامره : ك
10) لطيره : ل. لطيرة : ك نفح.
تتاولا : ل نفح. كفى ولا : ك.
11) العدولي : ك ل. العد ولدى : نفح.

---

251) تقدمت ترجمته في ج 4 ص 2 - رقم (9)
252) أحمد بن أبي دؤاد الايادي. احد القضاة المشهورين من المعتزلة. وكان يقال : اكرم من كان في دولة بني العباس، البرامكة، ثم ابن أبي دؤاد.
انظر في ترجمته : تاريخ بغداد 4/14 - 156. وابن خلكان 1 / 22. والبداية والنهاية 10 / 319. ولسان الميزان 1 / 171.
253) أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي، المعروف بابن اللبانة. من كبار شعراء دولة بني عباد وملوك الطوائف (ت 507 هـ - 1113م). انظر التكملة 145. وفوات الوفيات 2 / 260 والحلة السيراء 91/2. والذخيرة 666/3. والقلائد ص 256.

والخلع قد نضا لبوسه، وقصر بوسه، وكدر صفاءه، وغدر وفاءه، وطوى ميدان جوده، واذوى افنان وجوده :

ياذا الذي هز أمداحي بحيلتـه وعزه أن يهز المجـد والكرمـا
وادِيك لا زرع فيه اليوم تبذلـه فخذ عليه لأيـام المنـى سلمـا

5 فدعته دواعي الندى، وأولمته بالجدا في ذلك المدى، فتحيل في بر طبعه، وكتب معه :

المجد يخجل من نقديك في زمن ثناه عن واجب البر الذي علمـا
فدونك النزر من مصف مودتـه حتى يوفيك أيام المنى سلمـا

ابنه الثاني رفيع الدولة أبو يحيى (254) بن المعتصم من بيت 10 اماره، والى السعد طوافه بها واعتماره، عمرت أنديته، ونشرت به رايات العز وألويته، إلى أن خوى (255) كوكبهم، وهوى مرقبهم، فتفرقوا ايادي سبا، وفرقوا من وقع الاسنة والظبى، وفارقوا أرضا كارض غسان، ووافقوا

---

3) وغره : ك ل. وعزه : نفح.
5) الحداء : ك ل. الجدا : نفح.
فتحيل : ل نفح. فتحير : ك.
7) نقديك : ل نفح. يقريك : ك.
8) سلما : ك نفح. السلما : ل.
9) بيت : ك ل نفح. في المطمح كنية.
طوافه : ك ل نفح. حجه : مطمح.
11) مرقبهم : ل نفح. مرقاهم : ك.

---

254) انظر ترجمته في المطمح ص 35. والقلائد 47. والذخيرة ق 1 م 2 / 242 ـ 244 وأعمال الاعلام 1 / 190. والنفح 2 / 43.
255) خوى النجم : سقط.

أياما كيوم أهل اليمامة مع حسان (256)، بعد ما خامرت النفوس مكارمهم مخامرة الرحيق. وأمهم الناس من كل مكان سحيق، وانتجعوا انتجاع الانواء، واستطعموا في المحل واللأواء، وصالوا بالدهر وسطوا. وبين النهي والأمر فيه خطوا، ورفيع الدولة هذا فخر ذلك الصباح. وضوء
5 ذلك المصباح، وغصن تلك الدوحة. ونسيم تلك النفحة، لم يمتهن - والدهر قد بذله. ولا ترك الانتصار - والأمر قد خذله، فالتحف بالصون وارتدى. وراح على الانقباض واغتدى، فما تلقاه إلا سالكا جددا. ولا تراه إلا لابسا سؤددا، وله ادب كالروض المجود - اذا ازهر. ونظم كزهر التهائم والنجود. بل كالصبح اذا اسفر، أوقفه على النسيب وصرفه الى المحبوبة والحبيب،
10 فمن ذلك قوله ، (256).

مالي وللبدر لم يسمع بزورتـه لعلـه تـرك الاجمـال أو جهـرا
ان كان ذاك لذنب ما شعرت بـه فاكرم الناس من يعفو إذا قـدرا

وقوله أيضا ، (256).

ياعابد الرحمـان كـم ليلـة أرقتنـي وجـدا ولـم تشعـر
15 إذ كنـت كالغصـن ثنتـه الصبـا وصحـن ذاك الخـد لـم يشعـر

---

4) فجر ، نفح. فخر ، ك ل.
8) ازهر ، نفح، زهر ، ك ل.
إذا أسفر ، ك ل. إذا أسفر واشتهر - بزيادة (واشتهر) ، نفح.
11) بزورته ، ل نفح. برؤيته ، ك.
13) وقوله ، ك ل. وله ، نفح.

---

256) يعني به حسان بن أسعد. ملك اليمن ،
انظر تاريخ أبي الفداء 1 / 125 - طبع دار الكتاب اللبناني ببيروت.
256 - مكرر) - انظر المطمح ص 35.
256 - مكرر) - نفس المصدر.

وقوله أيضا ،

واهيف لا يلوى على عتب عاتب ويقضي علينا بالظنون الكواذب
يحكم فينا أمره فنطيعه ونحسب منه الحكم ضربة لازب

وقوله أيضا ،

5 وعلقته حلو الشمائل ما جنا خَنث الكلام مُرنّح الاعطاف
مازلت أنصفه وأوجب حقه لكنه يأبى من الإنصاف

وقوله أيضا ،

حبيب متى ينأى عن القلب شخصه يكاد فؤادي أن يطير من البين
ويسكن ما بين الضلوع إذا بدا كأن على قلبي تمائم من عيني

10 وقوله أيضا ،

أفدي أبا عمرو - وإن كان جانيا علي ذنوبا لا تعدد بالعتب
فما كان ذاك الود إلا كبارق أضاء لعيني ثم أظلم للقلب

وله - وقد بلغه موتي، وتحقق عنده فوتي - ،

مثنى الوزارة قد أودى فما فعلت تلك المحابر والاقلام والطرس
15 ما كنت أحسب يوما قبل ميتته أن البلاغة والآداب تختلس

6-4) وقوله أيضا ، ل. وله أيضا ، نفح - ك.
(وعلقته ... من الانصاف) ، ل نفح - ك.
من الانصاف ، ل نفح. عن الانصاف ، مطمح.
7) وقوله ، ك ل. وله ، نفح.
8) حبيب متى ، ك ل نفح. حبيبي ان ، مطمح.
القلب ، ك ل نفح. العين ، مطمح.
11) تعدد بالعتب ، ك ل نفح. اعدد بالبهت ، مطمح
12) للقلب ، ك ل نفح. في الوقت ، مطمح.
14) مثنى ، ك ل نفح. سنا ،.

واستأذن ليلة على احد الامراء ـ وانا عنده في اسنى موضع. وابهى مطلع، وجوانب جنده بين يدي محتله. وسحائب رفده على منهله. وكان أجمل من مقل. وأكمل منْ من المهد إلى سرير الملك قد نقل (257).

انتهى ما الفيته في المطمح من هذا الموضع. وفي موضع آخر ما نصه ،

5 أبو عامر ابن (257) ـ عقال. كان له ببني قاسم تعلق. وفي سماء دولتهم تألق، فلما خوت نجومهم. وعفت رسومهم ، انحط عن ذلك الخصوص. وسقط سقوط الطائر المقصوص، وتصرف بين وجود وعدم. وتحرف قاعدا حينا وحينا على قدم، وفي خلال حاليه. واثناء انتحاليه، لم يدع حظه من الحبيب. ولا ثنى لحظه عن الغزال الربيب، ولم يزل يطير ويقع. والدهر

10 يخرق حاله ويرقع، الى ان ارقاه الامير ابراهيم (258) ابن يوسف بن تاشفين ـ رحمه الله ـ اعلى ربوة. وزاده ابهى حظوة، فادرك عنده رتبة اعلام التحبير والأنشا. وترك الدهر قلق الحشا، وتسنم منزلة لا يتسنمها الا من تطهر من درنه. وجمح احسانه في ميدان حرنه، والحظوظ اقسام لا تسام. والدنيا انارة واعتام.

---

6) خوت ، ل نفح. مطمح. خرت ، ك.

8) حالية ... انتحالية ، ك ل. حاله ... انتحاله ، نفح مطمح.
حظه ، ك ل نفح. حظا ، مطمح.
عن الغزال ، ل نفح. مطمح. للغزال ، ك.

10) يخرق .. ويرقع ك ل نفح. يخفض ... ويرفع ، مطمح.

11) أبهى ، ل نفح مطمح. أبهر ، ك.

10) انارة ، ل نفح مطمح. امارة ، ك.

---

257) انظر النفح ج 7 / 43 ـ 45.

257 ـ مكرر) ـ كذا في سائر النسخ. ومثله في المطمح. والذي في المغرب 253/2 ـ (ابن عقيد) ولعله الصواب.

258) هو ممدوح شعراء الاندلس وبخاصة ابن خفاجة. انظر في ترجمته الاعلام للمراكشي 147/1.

ولو لم يعـل الا ذو محـــــل تعالى الجيش وانحط القتام (258)

وقد أثبت عنه بعض ما ألفيته. والذي أخذته مباين لما أبقيته، فمن ذلك ،

يـاويـح اجســام الانـــا م لمـا تطيـق مـــن الأذى

5 خلقــت لتقــوى بالغـــذا وسقمهـــا ذاك الغـــذا

وتنـــال أيـــام الســـلا مـــة بالحيـــاة تلـــذذا

فإذا انقضـى زمـــن الصبـــا ورمـــى المشيـــب فأنفـــذا

وجـــد السقـــام إلـــى المفـــا صـــل والجوانـــح منفـــذا

ويقـــول مهمـــا يعـــط شيئـــا ناولونـــي غيـــــر ذا

10 حذا في هذه القصيدة حذو الصابىء (259) في قوله ـ ،

وجـــع المفاصـــل وهـــو أيســـر مـــا لقيـــت مـــن الأذى

ردى الـــــذي استحسنتـــه والنـــاس مـــن حظـــى كـــذا

والعمـــر مثـــل الكـــاس يـر ســب في أواخرهـا القـــذا

1) (ولو لم يعل ... القتام) ـ ورد هذا البيت نثرا في النسختين. وهو ثابت في كل نفح. ساقط في المطمح. وفيه زيادة (وصفاء يتلوه قتام).

2) ألفيته ، ك ل. انتقيته ، نفح. انتقيت ... نفيت ، المطمح.

فمن ذلك ، يا ويح ، ك ل. فمن ذلك قوله ، يا ويح ـ بزيادة (قوله) ، نفح. مطمح.

10) حذا ، ك ل مطمح. وحذا ، نفح.

حذو الصابي في قوله ، ك ل نفح. حذو من قال ، مطمح.

11) أيسر ، لـ نفح. أهون ، ك.

12) كذا ، ك ل نفح. ضنى ، مطمح.

258 ـ مكرر) ـ البيت للمتنبي. انظر الديوان بشرح البرقوقي ج 4 ـ 247.

259) هو ابى اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي الحراني. نابغة كتاب جيله (ت 384 هـ - 994م).

انظر يتيمة الدهر ج 2 / /241. والامتاع والمؤانسة 1 / 67. والنجوم الزاهرة 3 / 324. والوفيات 1 / 12.

وله يعتذر من زيارة اعتمدها، ومواصلة اعتقدها ، فعاقته حوادث لوته، وعادته عن ذلك وثنته ،

بينما كنت راجيا للقائه والتشفي بالبشر من تلقائه
وترقيت في سماء نزاعي قمر الانس طالعا من سمائه
5 إذ دهاني اعتراض خطب ثناني عن غمام يشفي الغليل بمائه
فتدهلت وانزويت حياء منه والعذر واضح لسنائه

وله فصل كتب به عن الأمير ابراهيم يصف اجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة ـ ، وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه ـ أيده الله ـ من مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد 10 ذل بعد استصعابه، وسهل بعد ان ارى الشامخ من هضابه، وصار حيه ميتا، وهدره صمتا، وجباله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وضعف تعاطيه، وعقد السلم بين موجه وشاطيه، فعبر آمنا من لهواته، متملكا لصهواته، على جواد يقطع الخرق سبحا، ويكاد يسبق البرق لمحا، لم يحمل لجاما ولا سراجا، ولا عهد غير اللجة الخضراء مرجا، عنانه في رجله، وهدب العين 15 يحكى بعض شكله، فلله هو من جواد، له جسم وليس له فؤاد، يخرق الهواء ولا يرهبه، ويركض الماء ولا يشربه (260).

---

1) اعتمدها : ك ل نفح، اغتمدها : مطمح.
فعاقته حوادث لوته، وعادته عن ذلك وثنته ، ك ل نفح، فعاقته عنها حوادث لوته عنها، وحرمته منها ، مطمح.
4) في سماء ، ك ل، من سماء ، نفح مطمح.
13) الخرق : ك ل، الجو ، نفح، الجروف ، مطمح.
15) تحكى ، ل، يحكى ، نفح، مطمح، يجلى ، ك.

---

260) انظر المطمح ص 98 ـ 99، والنفح ج 7 / 46 ـ 48.

أبو القاسم المنيشي أحد أنشاء حضرة اشبيلية المقلين، الناهضين بأعباء الضرائر المستقلين، لم يزل يعشو لكل ضوء، وينتجع مصاب كل نوء، فيوما يخصب ، ويوما يجدب، وآونة يفرح، وأخرى ينتدب، - إلى أن صدقت مخائله، فرمقت بخوته ونخائله، وأتى من العجب، بمنسدل
5 الحجب، ومن الأشر، لم يأت من بشر، وما تصرف إلا في أنذل الأعمال، ولا تعرف إلا بأخون العمال، لم يفرع ربوة ظهور، ولم يقرع باب رجل مشهور، وله ادب ولسن، ومذهب فيهما يستحسن، لكنه نكب عن المقطع الجزل، وذهب مذهب الهزل، إلا في النادر فربما جد، ثم اخلق منه ما استجد، وعاد إلى ديدنه، عودة أبي عباد إلى واواته ومدنه (261)، وأخذ
10 في ذلك الغرض وليس شرط كتابي بذاءه، ولا ان يقف حذاءه، وقد اثبت له ما هو عندى نافق، ولغرض كتابي موافق، فمن ذلك قوله :

ياروضة باتت الانداء تخدمها أتى النسيم وهذا أول السحر
إن كان قدك غصنا فالثراء به هي الكمائم قد زرت على الزهر
إربأ بخديك عن ورد وعن زهر واغن بقرطيك عن شمس وعن قمر
15 يا قاتل الله لحظي كم شقيت به من حيث كان نعيم الناس بالنظر

وله من رثاء في والدتي - رحمة الله عليها - :

---

1) انشاء : ك ل. ابناء : نفح. انساء : مطمح.
2) مصاب : ل نفح. مطالب : ك.
4) ونخائله : ل. ومخايله : ك. وتحايله : نفح.
6) ولا تعرف : ل نفح. وما تعرف : ك.
13) هي الكمائم : ك ل. مثل الكمائم : نفح. مطمح.
16) والدتي : ل نفح. مطمح . والدته : ك..

---

261) يعنى بأبي عباد معبد المغنى الشهير. وبمدنه الحانه التي تسمى حصون معبد.

يا ناصحي غير مفتات ولي شجـن | على النصائح والنصـاح مفتـات
لا أستجيب ـ ولو ناديت من كثب | قد وقذتني تعـلات وعـلات
إن كان رأيك في بري وتكرمتي | بحيث قد ظهرت منه علامـات
لا ترضى لي غير شجو لاأفارقه | فذاك اختاره والناس أشتـات

5 ومنهـا :

ياذا الوزارة من مثنى وواحـدة | لله ما اصطنعت منك الوزارات
لله منك أبا نصر أخو جلـد | إذا ألمت ملمـات مهمـات
استودع الله نورا ضمه كفـن | كما توارى بدور التم هـالات
قضت وليت شبابي كان موضعها | هيهات لو قضيت تلك اللبانـات
10 مضت ولما يقم من دونها أحـد | هلا وقد اعذرت فيها المـروات

وله يصف زرزورا :

أمنبـر ذاك أم قضيـب | بفرعـه مصقـع خطيـب
يختـال في بردتـي شبـاب | لـم يتوضـح بهـا مشيـب
كأنمـا ضمخـت عليـه | ابـراده مسكـة وطيـب
15 أخـرس لكنـه فصيـح | أبلـه لكنـه لبيـب
جهـم علـى أنـه وسيـم | صعـب علـى أنـه أريب (262)

---

1) ولي شجن : ك ل. ولا شجن : نفح. و بي شجن : مطمح.
3) منه علامات : ك ل نفح. فيه علامات : مطمح.
10) المروات : ك ل. المروآت : نفح مطمح.

---

262) النص في المطمح مع اختلاف ص 101 ـ 102. وانظر النفح 7 / 53 ـ 55.

أبو الحسن البرقي بلنسي الدار، نفيسي المقدار، ما سمعت له
بشرف، ولا اعلمت له بسلف، ولا اطلعت منه على غير سرف، ورد
اشبيلية سنة تسع وتسعين (263)، واتصل بابن زهر، فناهيك من حظ في
أكنافه جال، ومن لحظ فيما اراده أجال، ومن أمل استوفر، ومن وجه جاه
5 له أسفر، سلك به ساحة الرغائب، وتملك بسببه اباحة الحاضر والغائب،
وقال فما نبذت مقالته، وأقال فما قيدت اقالته، وكان حلو المجالسة، مجلو
المؤانسة، ذا شنب وافر، ومذهب في المساهمة سافر، إلا أنه كان كلفا
بالفتيان، معنى بهم في كل الأحيان، ونيف على السبعين - وهو برداء
الصبوة مرتد، وبعترتها مقتد، مع ادب زهرته ترف، وكأنه بحر والألباب
10 منه تغترف، وقد أثبت له بعض ما وجدت له في الغلمان، وأنشدت له في
ذلك الزمان، فمن ذلك قوله :

إن ذكرت العقيق هاجك شوق   رب شوق يهيجه الادكار
يا خليلي حدثاني عن الركـ   ـب سحيرا أأنجدوا أم أغاروا
شغلونا عن الوداع وولوا   ما عليهم لو ودعوا ثم ساروا
15 أنا أهواهم على كل حال   عدلوا في هواهم أم جاروا

---

1) نفسي : ك ل. نفيسي : نفح. نفيس : مطمح.
4) ابل استوفر، ومن وجهه جاه له اسفر : ك ل. امل استوفر، وحظ مسك إذ فر ومن وجه ... - بزيادة (وحظ مسك اذفر) : نفح.
7) نشب : ل نفح. مطمح. شنب : ك.
11) ذلك : ك ل مطمح. تلك : نفح. الزمان : ك ل مطمح. الازمان : نفح.

---

263) يعنى وأربعمائة، وثبت كذلك في النفح. وفي المطمح : سنة (خمس وسبعين وأربعمائة).

وعلق بإشبيلية فتى يعرف بابن المكر، ومات من حبه طريحا بين أيدي الوساوس والفكر، لا يمشي إلا صبا، ولا يفشي إلا غراما وحبا، وما زال يقاسي لوعته، مقاساة يناجي بها صرعته، حتى اكتسى خده بالعذار، وامحت عنه مثل بهجة آذار، فسلا من كلفه، وتصدى ذلك
5 لمواصلته بصلفه، فقال :

الآن لما صوحــــت وجناتــــه	شوكا وأضحت سلوة العشـــاق
واستوحشت منك المحاسن واكتست	أنوار وجهك واهـن الاخـــلاق
أمسيت تبذل في الوصـال تصنعـا	خلق اللئيم وشيمـة المـــذاق
هلا وصلـت إذ الشمائـل قهـــوة	وإذ المحيــا روضـة الاحــداق
10 يا كم اطلت غرام قلب موجـــع	كم قد ألب إليـك بالأشــواق
ما كنت إلا البدر ليلـة تمـــه	حتى قضت لك ليلـة بمحـاق
لاح العذار فقلت وجـد نـــازح	ان ابن داية (264) مؤذن بفـراق

وله فيه ـ مناقضا ـ لذلك الغرض، معارضا للوعة سلوه الذي كان عرض :

15 يلومـون في ظبـي تزايد حسنـــه	بخطيـن خطـا لوعتـي وغراميـا
وقد كنت أهوى خده وهو عاطـــل	فكيف وقد أضحى لعيني حاليـا

1) بات : ل نفح، مات : ك، صار : مطمح.
6) وامحت : ل، واضحت : ك، وانمحت : نفح، ومحا : مطمح.
7) زاهر : ك ل، واهن : نفح، ولعله الصواب.

264) ابن داية : الغراب ويعنى به شعر اللحية.

وله أيضا في مثله ،

أجيل الطرف في خــد نضيـــر يردد ناظري نظــري إليــــــه
إذا رمدت بحمرتــــه جفونـــي شفاها منه اثمــد عارضيه (265)

أبو الحسن علي بن جودي. برز في الفهم، وأحرز منه أوفر سهم،
5 وواخى بنفس في المعارف زكية. وعانى العلوم بقريحة ذكية، وله ادب
واسع مداه. يانع كالروض بلله نداه ، ونظم أرق من دمع العاني. ولطيف
المعاني، وأعبق من نفس الخمائل. في أكف الصبا والشمائل، ونثر كالزهر
المطلول. أو السلك المحلول، إلا أنه سها فأسرف. وزها بما لا يعرف،
وتصدى إلى الدين بالافتراء. ولم يراقب الله في ذلك الاجتراء، واشتهرت
10 عنه في ذلك أقوال سدد إلى الملة نصالها. وأبدى بها ضلالها، فعظمت به
المحنة. وكمنت له في كل نفس أحنة، وما زال يتدرج فيها وينتقل.
حتى عثر وما كاد يستقل، فمر لا يلوى على تلك النواحي. وفر لا
ينثنى إلا إلى لوائم ولواحي، وما زال يركب الاهوال ويخوضها. ويذلل
النفس بها ويروضها، حتى اسمحت ببعض الاسماح. وكفت عن ذلك
15 الجماح، فاستقر عند أبي مالك فآواه. ومهد له مثواه، وجعله في جملة من
اختص من المبطلين. واستخلص من المعطلين، فكثيرا ما يصطفيهم. ولا

2) يردد ، نفح. يورد ، ك ل. ولعله تحريف.
5) وواخى ... وعانى ... بقريحة ذكية ، ك ل. وعانى ... وواخى .. بنفس زكية ، نفح
ففيهما تقديم وتأخير.
مداه ، ل نفح. المدى ، ك.
14) بعض الاسماح ، ك ل مطمح. ببعض الاسماح ، نفح. ولعله الصواب.
15) ابن مالك ، ك ل مطمح. ابى مالك ، نفح.

265) النص في المطمح مع اختلاف ص 101 ـ 102.
وانظر النفح ج 7/55 ـ 57.

يدري أيدخرهم أم يقتنيهم؛ وقد اثبت له ما يبهر سامعا. ويظهر برقا لامعا، فمن ذلك قوله :

أحن إلى ريح الشمـــال فإنهـــا تذكرنا نجدا وما ذكرنا نجـــدا
تمر على ربع أقام به الهـــوى وبدل من أهليـــه جائمة ربـــدا
5 فيا ليت شعري هلا تقضى لبانـة فأرتشف اللميا واعتنـــق القـــدا
حليلي لا ـ والله ـ ما أحمل الهوى وان كنت في غير الهوى رجلا جلدا

وقوله أيضا :

سل الركب عن نجد فإن تحيـــة لساكن نجد قد تحملها الركـــب
وإلا فما بال المطى على الوجـــى خفافا وما للريح مرجعها رطـب

10 ومن قوله أيضا :

إذا ارتحلت غربية فاعرضا لهـــا فبالغرب من تهوى له البلد الغَرْبا
لقد ساءنا أنا بعيـــد وإننـــــا بأرضيـن شتـى لا مزارا ولا قربى
يفجعنا إما بعاد مبـــــرح وإما أمـور باعثات لنا كربـــا
ظعنا على حكم الليالي وخطبها فيا ليت لم ندر الليالي ولا الخطبا
15 وكنت أرجي الدهر بعد الذي مضى ديارا وقربا والاصادق والصحبا
أحقا يسير الركب لم ترتحل بنا إليك ولم تحد الحداة لنا ركبـــا

وقوله أيضا :

سقى دارك اللائي ببطن محصـــب مثاكيل من وفد الغمـام المرنـــح
ألم تعلمي يا فتنة القلـب أننـــي تطارحت من حبي لكم كل مطرحي
20 إذا نعبت غربان دار وجدتنـــــي وشوقي مقيم بين ناء ونزحـــى

---

10 ومن قوله : ك ل. وقوله ـ باسقاط (من) : نفح.
17) وقوله أيضا : ل نفح ـ ك
وفد : ل نفح. رفد : ك

وله أيضا :

ألا يا خبـــر والبلـــوى ضــــروب وفيك لكل مشتـــــاق حبيـــــب

حباك الله بالنعمـــى فنونــــــــا وجر لكم مع النعمـــى خطــــــوب

متى تقضى بخسفتـك الليالـــــي وتعصـف فيكـــم ريـــــح هبـــوب

5 فإنكم تجـــــرون المنايـــــــــا وتعمر من مجانيكم قلـــوب (266)

انتهى ما وجدت في هذه الأوراق من مطمح الأنفس. وقد كنت على شك في ذلك. فحين كتبتها تحققت أنها من كلام الفتح بلا ريب، ولم أرد ـ علم الله ـ بجلبها هزلا جرى ذكره أثناءها. ولكن الكلام جر إليه واتصل بعضه ببعض ، واما نظم الفتح فلم يكن في طبقة نثره. بل

10 كان منحطا عنه، ولذلك قال ابن الخطيب وغير واحد إن شعره وسط، قال في الإحاطة ، ومن شعره قوله ـ وثبت في قلائده يخاطب أبا يحيى ابن الحجاج :

أكعبة علياء وهضبة سؤدد (267) ـ انتهى.

وهذه الأبيات ذكرها في القلائد ـ في ترجمة ذى الوزارتين ابن

---

1) يا حير : ل. ياجير : ك. ياخبر : نفح.
والبلوي : ك ل. وللبلوى : نفح.

4) وتعصف : ل نفح. وتقصف : ك.

5) مجانبكم : ك ل. مجانيكم : نفح.

10) ان شعره : ل. في شعره : ك.

---

266) النص في المطمح مع اختلاف ص 102 ـ 103. وانظر النفح ج 7 / 57 ـ 59. ففيه بعض قطع زائدة على الازهار. ويذكر المؤلف انه وقف عليها في بعض نسخ ((المطمح)) وربما لعلاقته لابن باجة. تعرض للسان الفتح. انظر في ترجمته : المغرب 109/2. ومعجم الصدقي ص 290. والاحاطة 158/4.

267) انظر ص 178 ـ 179.

أبي الخصال. ولنورد تلك الترجمة بجملتها تماما للفائدة، ونصها : ذو
الوزارتين الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال - أعزه الله - هو وان كان
خامل المنشأ نازله، لم ينزله المجد منازله، ولا فرع للعلى هضابا، ولا
ارتشف للسناء رضابا، فقد تميز بنفسه، وتحيز من جنسه، وظهر بذاته،
5 وفخر بأدواته، والذي ألحفه بالمجد، وأوقفه بالمكان النجد، ذكاء طبع
عليه طبعه، ونجم في تربة النباهة غربه ونبعه، وتعلق بأبي يحيى بن
محمد بن الحاج - وهو خامل الذكر، عاطل الفكر، فملك قياد مأموله،
وهب من مرقد خموله، وقدح استعماله أياه زناد ذكائه، وأبدى شعاع
ذكائه، ولم يزل عاثرا معه ومستقلا، ومثريا حينا وحينا مقلا، - إلى أن
10 تورطوا في تلك الفتنة التي ألقحوا حائلها، وما لمحوا مخايلها، وطمعوا أن
يغتالوا من أمير المسلمين، وناصر الدين، - ملكا معصوما، وأبرموا من
كيدهم ما غدا بيد القدر مفصوما، وفي أثناء بغيهم، وخلال جرمهم الوبيل
وسعيهم، كانت ترد عليهم من قبله - أيده الله - كتب تحل ما ربطوه،
وتروعهم مما تأبطوه، فلم يكن لهم بدٌّ من إدنائه، لحسن مراجعته عنهم
وغنائه، فورد عليهم ليلة كتاب راعهم، وأنساهم جلادهم وقراعهم، وهم

---

1) ولنورد : ل، وستورد : ك.
4) للسناء : ل القلائد، للنساء : ك.
5) الحفه : ل، اتحفه : ك، الحقه : القلائد.
9) ومثريا : ل القلائد، وشاربا : ك.
10) القحوا : ك ل، ألفحوا : القلائد.
حائلها : ل قلائد، حاملها : ك.
11) وناصر الدين : ك ل - القلائد.
12) جرمهم : ل، جرمهم : ك، حربهم : قلائد.
14) مراجعته عنهم : ك ل، منبه في المراجعة عنهم القلائد.

بمجلس أنس فصحوا من حمياه، ومحوا منه عبق الأنس ورياه، فاستدعاه في ذلك الحين للمراجعة عن فصوله، والمعارضة لفروعه وأصوله، فأبان عن الغرض، وخلص جوهره من كل عرض، وأبدع في احكامه، وبرع في قضاياه واحكامه، فحمل أبا يحيى بن محمد استحسان ما كتبه، ان

5 خططه للحين ولقبه، والمدام لرأيه الفائل مالكه، وبعقله في طرق الخبال سالكه، فلم يعمل فيها فكرا، ولم يتأمل أعرفا أتى أم نكرا، فجرت عليه لقبا، وأعلته من الاشتهار مرقبا، وصار مرتسما في العلية، متسما بتلك الحلية، وما زالت الدول تستدنيه نائيا، وتنهيه دانيا، وما أجمله مجنيا عليه ولا جانيا، فما بيده رفع شومه، ولا محو وشومه، وقد اثبت له ما تجتليه،

10 فتستحليه، وتلمحه، فتستملحه، فمن ذلك قوله في مغن زار، بعدما أغب وشط منه المزار - :

وافى وقد عظمت علي ذنوبه   في غيبة قبحت بها أثاره
فمحا إساءته بها إحسانه   واستغفرت لذنوبه أوتاره

وكتب إلي عندما وصل أمير المسلمين، وناصر الدين، (268) إلى

15 إشبيلية، صادرا من غزوة طلبيرة سنة ثلاث وخمسمائة ووصل في جملته، ونزل بمحلته، واتفق لي شغل توالى واتصل، إلى أن رحل أمير المومنين -

---

(5) خططه : ل القلائد . خصه : ك.

(10-9) له : ل قلائد - ك. وتلمحه : ل قلائد. وتملحه : ك.

(14) وكتب إلي : ك ل. وكتبت إليه : قلائد.

المسلمين : ل قلائد. المومنين : ك

---

(268) يعني علي بن يوسف بن تاشفين.

انظر البيان المغرب ج 4 / 52

أيده الله - وانفصل، فسألت عنه. فاعلمت أنه سار معه. وما فارق مجتمعه،
فكتبت إليه - مستدعيا من كلامه ما أثبته في الديوان. وأنبته فيه زهر
بستان، فوافاه رسولي من البلد على مرحلة. في ليلة من ضياء البدر
ممحلة، فكتب إلي - مراجعا - الحذر - أعزك الله - يؤتى من الثقة. (269).
5 والحبيب يوذى من المقة، وقد كنت أرضى من ودك - وهو الصبح -
بلمحه. وأقنع من ثنائك - وهو المسك - بنفحه، فما زلت تعرضني
للامتحان. وتطالبني بالبرهان. وتأخذني بالبيان، وأنا بنفسي أعلم. وعلى
مقداري أحوط وأحزم، والمعيدي يسمع به لا ان يرى (270). وان وردت
أخباره تترى. فشخصه مقتحم مزدرى، ولا سيما من لا يجلى ناطقا. ولا
10 يبرز سابقا، فتركه والظنون ترجمه. والقال والقيل يقسمه، والأوهام تحله
وتحرمه. وتحييه وتخترمه، أولى به من كشف القناع. والتخلف عن منزلة
الامتناع، وفي الوقت من فرسان. هذا الشان، وأذمار. هذا المضمار، وقطان
هذه المنازل. وهداة تلك المجاهل. من تحسد فقره الكواكب. ويترجل
إليه منها الراكب، فأما الأزاهر فملقاة في رباها. ولو خلت عن المسك

---

4) يؤتى : ل قلائد . يأتي : ك.
9) مزدري : ل قلائد. من ذرى : ك.
لا سيما : ل. ولا سيما : ك قلائد.
12) من فرسان : ك قلائد. فرسان - باسقاط (من) : ل.
وأذمار : ك ل. وادمار - بالدال المهملة - : قلائد.
14) فملغاه : ل. فملقاه : ك قلائد.

---

(269) يشير إلى المثل العربي القائل : ((من مأمنه يؤتى الحذر)).
ومنه الحديث : لا ينفع حذر من قدر
انظر مجمع الامثال للميداني 2 / 130 - رقم (4064).
(270) يشير إلى المثل القائل : ((تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)).
انظر مجمع الأمثال ج 1 / 129 رقم (655).

حباها، وصيغت من الشمس حلاها، فهي من الوجد تنظر بكل عين شكرا.
لا نكرا، وإذا كانت أنفاس هؤلاء الأفراد مبثوثة. وبدائعهم منثوثة.
وخواطرهم على محاسن الكلام مبعوثة، فما غادرتم متردما. ولا استبقت
لمتأخر متقدما، فعندها يقف الاختيار، وبها يقع الاختبار، وأنا أنزه
5 ديوانه النزيه. وتوجيهه الوجيه، عن سقط من المتاع. قليل الإمتاع، ثقيل
روح السرد. مهلك صر البرد، إلا أن يعوذ به جماله. ويحرس بنقصه
كماله، وهبه - أعزه الله - قد استسهل استلحاقه. وطامن له أخلاقه، أتراني
أعطي الكاشحين في اثباته يدا. وأترك عقلي لهم سدى، وما إخالك
ترضاها لي مع الود خطة خسف. ومهواة حتف، لا يستقل غبينها. ولا يبل
10 ضعينها

وله فصل منها ، فلم نحل بطائل، وصرنا تحت قول القائل ،

ترك الزيارة وهي ممكنة وأتاك من مصر على جمل

الزيارة ههنا - أعزك الله - مثل، لا لفظ محتمل، لأني أوجبها. ولا
استوجبها، وأفرضها. ولا افترضها، والتأويل على كل حال. لا يتعدى
15 الجميل مذهبا. ولا يتخذ ليل الشك مركبا، وأنت المفتتح للصلة. المولى
للمنة المشتملة، وان رسولك وافى بكتابك الخطير - والشمس واجبة
سقوط منازع. وحياة الذي يقضي حشاشة نازع، والبيت قد غص ببانيه.
وضاق لفظه عن معانيه، فاختلست أحرفي هذه اختلاس مسارق. والتماح
بارق، والخاطر مخاطر. والشغل مساهم مشاطر، يصدر فكري إليه. ويخلع

---

(9) خطة : ل قلائد . خصلة : ك.
يستقل : ل. يستقل : ك قلائد . ضعينها : ك ل. ضعينها : قلائد.

فقري عليه، إلا صبابة. لا ترد صبابة (271)، ورسيسا، لا يشفى نسيسا (272)، فدونك واهي الدعائم. واهن العزائم، يتبرأ تابعه من متبعه، ويفر سامعه من مسمعه، ولولا أن الجواب فرض يجرح معطله. ويخرج عن ملة التصافي مبطله، لاعتذرت. واقتصرت، ولكني أوثر حقك ـ وان أبقى علي

5 دركا. وبوأنى دركا، وقد حملت فلانا ما سمح به الوقت. وان اشتبه علي القصد والسمت، وحاضرت بما يسرت إلى ذكره. على شريطة كتمانه وستره، ـ انقيادا إلى أمرك. وتصديا إلى عقوقك ببرك.

وله أيضا ، ليست الأذناب كالأعراف (273). والأنذال كالأشراف، ولا كل اشراف باشراف، فثم من يصم ـ ماولي. ويعمى عن الصبح ـ وقد

10 جلي، إن ذكر نسي، وإن عذل فكأنما أغرى، وكثيرا ما يمتد شططه. فتحذف نقطه. ويهجر نمطه، وان سامحناه في الضبط. وأمتعناه بالنقط، نبذ الوفاء. فحذفنا الفاء، وجفى الكريم. فألقينا الميم، وله بعد مابقي. ما

---

2) واهن الدعائم. واهي العزائم : ك ل. واهي الدعائم. واهن العزائم : القلائد.

3) يحرج ك ل. يجرح القلائد. التصافي : ل. التصابي : ك قلائد.

5) اشتبه : ل قلائد. اشتمل : ك.

إلى : ل قلائد ـ ك.

ذكره : ك ل. ذكرى : قلائد.

8) ليست الاذناب : ك ل. ايدك الله ليست الاذناب ـ بزيادة (ايدك الله) ـ قلائد.

9) يضم : ك ل. يصم : قلائد.

12) فالقينا : ك ل. فالغينا : قلائد.

---

271) الصبابة الأولى ـ بضم الصاد المهملة ـ بقية الماء ونحوه في الاناء. والصبابة الثانية ـ بفتحها ـ بمعنى الشوق ورقة الهوى ـ أي لاتشفي غليلا.

272) الرسيس : الريح اللينة الهبوب. والنسيس : الظمأ الشديد. فهو بمعنى ما سبق.

273) الاعراف جمع عرف ـ اعلى الشيء : مقابل الذنب.

ألقى. ان أشرف فعلى الخطير العظيم. وان اطلع ففي سواء الجحيم (274)،
ورب طويل النجاد (275). غريق في الإتهام والإنجاد، ولا يته أمان. وعمله
جنان. وخلقه رضوان، تود النجوم ان ينظمها في كتاب. أو ينسقها نسق
حساب، قد ارتقى بخطته باذخ السنا.. وأخذ بضبعها رافعا الى السماء،
فهناك ، وأنت ذاك. طاب الجنا. ودنت المنى. وأيقن الشرف انه في حرم
وحمى، أقسم بالمبتسم البارد. والحبيب الوارد، قسما تبقى على الشيب
حدته. وتقر على المشيب جدته، ذكرى من ذلك العهد مدت بسببه.
ومنت إلى القلب بنسبه، ليحتون على الكرام. وليجترؤن على الانام.
وليأخذن فوق أيديها. وليكفن من تعديها، ما لها فتحت اثلاتهم. وتسمهم
بغير سماتهم، وتصفهم بصفاتهم، وتعلمهم بعلاتهم. فأين أنت من الذنب.
وسنام قد استؤصل بالجب، وكيف ارتياحك بعد خمر ان دارت. والمكرمة
بالشمس أشرقت وأنارت، لا جرم أنك منها على ذكر، وبمدرجة حمد
وشكر، وما هو إلا الشريف الأوحد. ولا ينكر فضله ولا يجحد، أبو بكر ـ
أعزه الله ـ وناهيك ثناء. وحسبك علاء وسناء، فتى دهي في ضيعته هناك
بدواه. ورمى بخطوب غير ريوث ولا سواه، ورأيك. ـ أصاب الله برأيك.
وجبر الأولياء بسعيك. في تحصيل مراعاته. وترفيهه ومحاشاته، ولولا عذر

---

6) تبقى على الشيب حدته. وتقر المشيب على جدته : ك ل. تبقى على الشيب جدته. ويعز على المشيب حدته : قلائد.

8) ليحتوون وليحترئون : ك ل. وليحتوين وليحترئن : قلائد.
وليأخذون : ك ل. وليأخذن : قلائد.

9) مالها فتحت اثلاتهم : ك ل. مالهم تقحت اثلاتهم : قلائد.

16) وترفيهه : ل قلائد. ورتفيهه : ك. ومحاساته : ك ل. ومحاشاته : قلائد.

---

274) اقتباس من قوله تعالى (فاطلع فراه في سواء الجحيم).

275) كناية عن الشجاعة والاقدام.

منع، لكان على أفقك النير قد طلع. ولكنه استناب فلانا وحسبه أن يؤدي كتابا. ويقتضي جوابا، ويتصرف على حكمك جيئة وذهابا - ان شاء الله.

وله يعتذر من استبطاء المكاتبة :

5 ألم تعلموا - والقلب رهن لديكم	يخبركم عني بمضمره بعدي
ولو قلبتني الحادثات مكانكم	لانهبتها وفري وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أني وأهلي وواحدي	فداء ولا أرضى بتفدية وحدي

ولما نكب الوزير أبو محمد بن القاسم (276) النكبة التي أنبأت بتعذر الأوطار، لذوي الأخطار، وأعلنت بكساد الفضائل والمعالي، 10 واستئثار الوضيع على الماجد العالي، لأنه كان طود كمال، وبحر جمال، وناظم خلال، وعالم جلال، وحين ثل الدهر عرشه، وأحل سواه فرشه، خاطبه كل زعيم مسليا عن نكبته، وانتقاله من رتبته، فكتب إليه هو في جملة من كتب، وان كان نازلا عن تلك الرتب، برقعة مستبدعة، وهي : مثلك - ثبت الله فؤادك، وخفف عن كاهل المكارم ما أدهى بك وادك؛ 15 يلقى دهره غير مكترث، وينازله بصبر غير منتكث؛ ويبسم عند قطوبه.

---

4) المكاتبة : ل قلائد. المكالمة : ك.
5) عني ... بعدى : ل قلائد. بعدى : ك.
7) وحدى : ل قلائد. رحلى : ك.
9) الأخطار : ل قلائد. الأقطار : ك.
10) اجمال : ل قلائد. جمال : ك.
12) مسليا : ل قلائد ملهيا : ك.
14) ما ادهى بك وادك : ل قلائد . ما اهى لذهابك : ك - وهو تحريف.

---

276) انظر ترجمته والنكبة التي منى بها في القلائد ص 127 - 131.

ويفل شباة خطوبه، فما هي إلا غمرة ثم تنجلي، وخطرة يليها من الصنع الجميل ما يلي. لاجرم ان الحر، حيث كان حر؛ وان الدر، - برغم من جهله - در، وهل كنت إلا حساما انتضاه، قدر امضاه، وساعد ارتضاه، فإن أغمده، فقد قضى ما عليه، وان جرده، فذلك إليه، أما انه ما سلم حده،
5 ولبس جوهر الفرند خده، لا يعدم طبنا يشترطه، ويمينا يخترطه، هذه الصمصامة، تقوم على ذكرها القيامة، طبقت البلاد أخباره، وقامت مقامه في كل أفق اثاره، فاما حامله فنسي منسي، وعدم منفي؛ كلا لقد فنيت الحقائق، وأنبهت تلك العلائق، فلم يصحبه غير غرار، ومتن عار، كلاهما بالغ ما بلغ، ووالغ معه في الدماء ما ولغ، وما الحسن إلا المجرد العريان،
10 وما الصبح إلا الطلق الاضحيان، وما النور إلا ما صادم الظلام، ولا النور إلا ما فارق الكمام، وما ذهب ذاهب، اجزل منه العوض واهب :

لا تأس للمال إن غالته غائلة ففي حياتك من فقد اللهى عوض

وبمن قضى حق المساهمة في هذا الحال التي التوى عرضها، وتأخر للاعذار القاطعة فرضها، أسف تردد، وارتماض تجدد، وذنوب على الأيام
15 تحصى وتعدد، وحبا اللئام منها تحل وتعقد؛ فيعلم الله - عز وجهه - لقد

---

2) برغم : ل قلائد. بالرغم : ك.
إليه : ك - ل قلائد.
5) طبنا : ل قلائد. طبيبا : ك.
7) وعدم منفي : ك ل. وعدم منهي : قلائد.
8) ومتن عار : ل قلائد. ومن نعار : ك.
10) الظلام ولا النور : ل قلائد. الظلام وما النور : ك.
12) (لا تأس بالمال - البيت) : ك ل - القلائد.
13) وبمن قضى : ك ل. وممن قضى : قلائد.
14) تردد : ك ل. يردد : قلائد.

استوفيت فيك هذه الأيام، ونهت فيك حتى المزن عن الابتسام.

قال أبو نصر، وفي أيام مقامي بالعدوة، اتفقت بيني وبين أبي يحيى (277) بن محمد بن الحاج - سقى الله مصرعه، وأورده منهل العفو ومشرعه، - مودة استحكم تواخيها، وشدت أواخيها، وغدونا بها حليفي
5 صفاء وإخلاص، واليفي إخاء واختصاص، والزمان مساعد، وصرفه متباعد، والشباب خضل يانع، والدهر مبيح ما هو له اليوم مانع، والدنيا سرور وإيناس، والأرض ظباء وكناس، فوقع بيني وبينه في بعض الأيام تنازع ادى بنا إلى الانفصال، وتعطل تلك البكر والآصال، ثم نمي إلي عنه قول ضاق به ذرعي، واجتث منه أصلي وفرعي، فكلما صدني عن الرحلة
10 صممت ونكثت، من عرى التلوى ما كنت أبرمت، وبعد انفصالي علمت أن ذلك القول غدا زورا، ووشى به من غص أن يرانا زائرا ومزورا، فانقشعت تلك المخيلة، وتحركت لوعته الدخيلة، وأكدت تجديد ذلك العهد الرائق، وكف أيدي تلك العوائق، فكتبت إليه :

---

6) مبيح : ك قلائد. يبيح : ل.
8) ثم نمي إلي منه : ل قلائد. ثم نضي منه : ك.
9) فكلما : ل قلائد. فربما : ك.
12) واكدت : ل قلائد. فاكدت : ك.

---

277) هو أبو يحيى أبو بكر بن أبي عبد الله محمد بن الحاج، أحد الأمراء المرابطين، وابن أبي الخصال - وان استكتبه ابن الحاج الوالد (أبو عبد الله) فقد اختص بابنه ابي يحيى، حتى وسمه بذي الوزارتين، فجرت عليه بعنايته، ومكافأة لكفايته.
انظر المعجم لابن الابار ص 151 - نشر دار الكتاب العربي، والمطرب في أشعار المغرب ص 188 - 189، والاعلام لعباس بن ابراهيم ج 3 / 6 - المطبعة الجديدة بفاس.

اكمبة علياء وهضبة سؤدد وروضة مجد بالمفاخر تمطر

هنيئا لملك زان أفقك نوره وفي صفحتيه من مضائك أسطر

واني لخفاق الجناحين كلما سرى لك ذكر أو نسيم معطر

وقد كان واش هاجنا لتهاجر فبت واحشائي جوى تتفطر

5 فهل لك في ود ذوى لك ظاهرا وباطنه يندى صفاء ويقطر

ولست بعلق بيع بخسا وإنني لأرفع أعلاق الزمان وأخطر

فأمره بمراجعتي فكتب عنه بقطعة منها،

ثنيت أبا نصر عناني وربما ثنت عزمة الشهم المصمم أسطر

ونالت هوى ما لم تكن لتناله سيوف مواض أو قنا متأطر

10 وما أنا إلا من عرفت وإنما بطرت ودادي والمودة تبطر

نظرت بعين لو نظرت بغيرها أصبت وجفن الرأي وسنان أشطر

وقدما بذلت الود والحب فطرة وما الود إلا ما يخص ويفطر

وكتب إلى الوزير المشرف، أبي بكر بن أحمد بن رحيم (278) يهنئه بولاية خطة الإشراف بحضرة إشبيلية وذواتها في شوال سنة خمس 15 عشرة وخمسمائة :

إذا ما شرف الإشراف قوما فإن بني رحيم شرفوه

ومن يعرف به لهم قديما وان رغمت أنوف عرفوه

---

6) ولست : ل قلائد. وكنت : ك.

9) ونالت : ل قلائد. وقال : ك.

12) الود والحب : ل قلائد. الحب والوقد : ك.

17) ومن يعرف : ك قلائد. ومن ينكر : ل.

---

278) ص 174 ـ 180.

كفـــاة للملـــوك علـــى سبيـــــــل وديـــن نصيحـــة مـــا حرفـــــوه
أبـــو بكـــر لـــه ولهـــم كفيـــــــل بكـــل كفايـــة إذ صرفـــــــــوه
ومـــا الإشـــراف إلا عبـــد قـــــن لهـــم فمتـــى تولـــى استصرفـــوه

هذه ـ أعزك الله ـ بديهة البشرى، وعجالة كمجالة القرى، وبريد
5 إلى أمم تلك القرى، فاني لها بالاقبال ضمين. وعلى الية ويمين؛ لتحوطنها
أقلامك ، وليحمدن فيها مقامك، ولتعرفن بالغرر والحجول أيامك،
فحالفك السعد، ولا عدمك الملك الجمد، وأبل وأخلف مثلها جددا ـ بعد،
وما حق من بشر باعتلائك، وسرى بانبائك إلى أوليائك، ـ أن يؤخر
مراده، أو يضيع عمله واعتقاده، وان الحاج أبا عبد الله ابن سعدان أملك
10 الداعي لك ـ أبقاه الله ـ أخبرني بهذه المسرة، والديمة الثرة، ولقد
هممت على هذا البرد، بخلع البرد، وحل العقد، وفض النقد، فدافعني
انقباضا، وأعلمني أن له في علمك ـ أبقاك الله ـ أغراضا، تكون على ذلك
أثمانا وأعواضا، وأراني عقدا يشهد بعدمه، وصحة ما استحثه في مقدمه،
وانه ليس له سوى غرس قد صار عليه كلا، بل استدار في ساقيه كبلا،
15 والتوى في عنقه غلا، وآض له غلالا مغلا، ولك الفضل أن يفتتح نظرك ـ

---

2) إذ ، ل قلائد . ان ، ك.
6) فيها ، ل قلائد . منها ، ك.
بالغرر ، ل قلائد . بالقدم ، ك.
7) الملك الجمد ، ل قلائد . أهلك الحفد ، ك.
باعتلائك ، ل قلائد. باعلائك ، ك.
9) سعدان ، ك ل. شعران ، قلائد.
15) الفضل ، ك ل. الطول ، قلائد.
يفتتح ، ل قلائد . يفتح ، ك.

وفقه الله ـ بالتخفيف بمثله عن الضعفاء، ومن لا قدرة له على الاداء، وحمل الاعباء، فإن ذلك ذكر في العاجل، وأجر في الآجل. ـ انتهى. لفظ القلائد (279).

وقد قدمنا عن صاحب الصلة، ان بطالة الفتح، اخلدت به عن مرتبة
5 ذى الوزارتين، الشاعر المجيد، الكاتب أبى عبد الله ابن أبي الخصال ـ رحم الله الجميع، وابن أبي الخصال المذكور، هو، محمد بن أبي الخصال مسعود بن طيب بن فرج بن خلصة الغافقي، أوليته من قرية بشقورة، تسمى فرغليط، وبها نشأ، ومنها تردد إلى الحاضرة في طلب العلم، ثم سكن قرطبة، يكنى أبا عبد الله، ويلقب ذا الوزارتين، وقيل ان
10 خلصة هو المكنى أبا الخصال، ـ قاله أبو بكر بن خير وغيره، والأول قول أبى القاسم بن حبيش، وكان ينزل في اجتيازه عند تردده إلى الحاضرة على أبى الحسن بن مالك اليعمري، القاضي بأبدة، وقد أخذ عنه يسيرا، وخرج معه ـ وهو فتى السن ـ إلى حديقة له معروشة، فقطف من أعلاها عنقود عنب أسود بعصى أهبطه بها على ترفق، فقال القاضي ـ
15 محركا له، ومختبرا بديهته ـ :

---

1) وفقه : ل قلائد، وفقك : ك.
عن مثله : ل، بمثله : ك . على مثله : القلائد.
من : ل قلائد . عن : ك.
على الاداء : ل قلائد، عن الاداء : ك.
6) المذكور ل ـ ك.
طيب : ل، الطيب : ك.
14) ترفق : ل، ترفع : ك.

انظـر إليـه فـي العصـى

ثم قال : اجز يا محمد، فقال - مجيبا لفوره -

كرأس زنجي عصى.

فلحظـه القاضـي أبـو الحسـن بعيـن أخـرى، وحكـم

5 له بما اقتضاه علمه من مزية كبرى، سمع ذو الوزارتين من أبى الحسين بن سراج، وأبى محمد ابن عتاب، وأبى بحر الأسدي، وأبى بكر بن غالب بن عطية، وأبى الحسن بن الباذش، وأخذ هو عنه - أيضا فتدبجا، وأبى بكر بن سائق الصقلي، ولقى بالمرية أبا علي الصدفي، فقرأ عليه صحيح مسلم، وجامع الترمذي، ومصنف أبى داود، واكثر صحيح البخاري،

10 وكتاب عبد الغني مشتبه النسبة، وأجاز له سائر ما يحمله، وكتب إليه أبو عمران بن أبي تليد، وأبو علي الغساني، وابن أخت غانم، وابو عبد الله محمد بن علي المازري، - مع جماعة من المشرقيين وغيرهم، وشارك القاضي أبا الفضل عياضا في كثير من شيوخه ممن تقدم ذكره وغيره، وعني بالحديث فأتقنه، وإليه انتهت البلاغة، وعليه قصرت، وبموته

15 فقدت، وصفه بهذا أبو القاسم بن حبيش وغيره. وقال فيه ابن بشكوال : معجزة وقته، وجمال جماعته، وكان متفننا في العلوم، مستبحرا في الادب واللغة، عالما بالأخبار، ومعاني الحديث والاثر، والسير والأشعار، أحد

---

2) ثم قال : ك - ل.

4) اخرى : ل - ك.

6/5) وابى بحر الاسدى : ل، وابى بكر الاسدى : ك.
وابى بكر بن أبي غالب : كذا في النسختين، وكتب على هامش (1) : (كذا في الأصل بخطه، وصوابه اسقاط ابى - والله اعلم - كاتبه).
هو عنه أيضا : وهو ايضا عنه : ك.

رجال الكمال (280). قال ابن الابار، سمعت شيخنا أبا الربيع يقول، سمعت أبا الحسين عبد الرحمان بن أبي عامر الأشعري يقول، سمعت الفقيه أبا مروان بن مسرة يقول، لم يطلق اسم كاتب بالأندلس على رجل قبل أبى عبد الله بن أبى الخصال. قال، وحكى لنا شيخنا أبو
5 الحسين بن سراج، ان خاله أبا بكر بن خير، وأبا القاسم بن بشكوال، وأبا القاسم ابن غالب ـ المعروف بالشراط، قصدوا ذات يوم قبر أبى عبد الله بن أبى الخصال، وقد وعدوا أحد تلاميذهم أن يقرأ هنالك عليهم قصيدته اليتيمة، التي رسمها بـ «معراج المناقب، ومنهاج الحسب الثاقب» قال، وكنت ممن صحبهم لأخذها عنهم، فسمعتهم يترحمون عليه،
10 ويقولون عند انتهائهم إليه ـ، السلام عليك يا زين الإسلام. ومع كماله لم يحظ من امراء عصره بآماله، وهي عادة الأيام العادية في أمثاله، تواری لما بهر، وخفي أضعاف ما ظهر، وسار أخوه أبو مروان بالكتابة عنهم أشهر، والذي قعد بأبى عبد الله هو قيام ابن الحاج (281) أمير قرطبة على ابن تاشفين، وثورته التي نكب عنها ونجا، ولكن كيف منها ؟ !
15 وكان هو حينئذ أوثق حاشيته وأسبابه، وألصق وزرائه وكتابه، مع ان

---

1) الرجال : ك، رجال : ل.
الحسين : ل، الحسن ك.
5) سراج : ك، السراج : ل.
القاسم : ل، قاسم : ك
9) عنهم : ل ـ ك.

---

280) انظر الصلة ص 557 ـ رقم (1294).
281) يعني به محمد بن الحاج (الاب).
انظر البيان المغرب ج 4 / 48 ـ 49.

اختصاصه لم يكن الا بابنه ابي يحيى ابي بكر بن ابي عبد الله.
حتى أوسمه بذى الوزارتين. فجرت عليه تخصيصا بعنايته. ومكافأة
لكفايته.

فكم جلا من تلك الخطوب الجلائل. وابلى باليراع والرسائـــل.
5 مكان ذات الاغماد والحمائل، ولما استقل ابن الحاج. وولي ما ولي من
أعمال المغرب. عاد ابن أبي الخصال لصحبته هنالك هو وأبو بكر بن
عبد العزيز. وطائفة انضوت من حرمته إلى الحصن الحصين. والحرز
الحريز، وذلك لشفوف هذا الأمير على اترابه. وخفوف ذاته الراجحة في
حقوق أصحابه، ثم إنهم انتقلوا بانتقاله إلى سرقسطة أم الثغر حين حلها.
10 ذابا عن ارجائها. ومجاهدا لاعدائها (283)، حلول البر التقي. واذ حمـت
شهادته قافلا من غزاته في التاريخ المعلوم (284). كسد ما نفق في أيامه
من بضائع العلوم. وناصع المنثور والمنظوم، فلزم أبو عبد الله داره خائفا
من تلك الاحقاد القديمة. وراضيا بالاياب إليها من الغنيمة، وفي أكثر
عمره ارتد على العقب مأموله. وامتد بطول مدة ابن تاشفين خموله، وان
15 كان لا يسمى خاملا. من شهد للحلم حاملا. وعهد بالعلم عاملا، وحسبك
بما له من التواليف الدينية. إلى أن ختمت منيته بالفتنة الحمدينية،

---

1) ابى : ل ـ ك.
2) لوسمه : ك ل. أوسمه : المعجم.
9) حلها : ل. امها : ك.
7) حمت : ك ل. حملت : المعجم. غزاته : ل. غزواته : ك.

---

282) انظر البيان المغرب 4 / 54.
283) نفس المصدر ص 55 ـ 54.
284) يعني سنة (509) كما في البيان المغرب 4 /61.

(285) فاستشهد ـ رحمه الله تعالى، ودفن يوم الأحد الثالث عشر لذي الحجة سنة أربعين وخمسمائة، وكان دفنه ضحى بمقبرة ابن عباس. قال ابن حبيش، استشهد في الحادثة الكائنة بقرطبة يوم السبت الثاني عشر من ذي الحجة، ومولده سنة خمس، وقيل، ثلاث وستين وأربعمائة.

5 قال بعض من عرف به، والظاهر في مقتله انه اقتحمت عليه داره ـ إذ دخل المصامدة قرطبة عنوة في الحرب الواقعة بين ابن حمدين وابن غانية ـ أول انقراض سلطان الملثمين بالأندلس.

قال ابن الابار، وكان شيخنا الاديب الحافل. ابو الحسن علي بن محمد بن حريق (285) يذكر انه كان واقفا بباب داره، فمر به

10 بعض المصامدة وقد ارتكبوا من الجرم، واستحلوا من المنكر، ما حمله على زجرهم، والاغلاظ لهم، ثقة بمكانته، وعملا بمقتضى ديانته؛ فاجترأ احدهم عليه، واستدار من خلفه ـ وهو مشغول بما بين يديه؛ وما لبث عدو الله ان ذبحه، فخر لفيه وفجع الاسلام فيه؛ ـ فالله اعلم.

قال، وقد اطرفنا أبو عبد الله بن الصفار الضرير شيخنا، من قتل

15 قاتله بقصة عجيبة، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب غرائب مفيدة، وفوائد غريبة؛ فحكى أن مفيت نفسه الطاهرة، وسماه «تيفوت» ما زال بذلك يكثر الافتخار، ويظهر لمن يحزنه أمره ـ الاستبشار، حتى عرف

---

5) والظاهر : ل. الظاهر : ك.

17) امر : ك ل. امره : المعجم.

---

285) يعنى في الحرب الواقعة بين ابن حمدين وابن غانية ـ اول انقراض سلطان المرابطين ـ كما ياتي للمؤلف.

285 ـ مكرر) انظر في ترجمته : التكملة رقم (5 و 18)، والمغرب ج 318/2.

بقاتل ابن أبي الخصال - سمة غدت إليه، وأهدت حينه إليه، قال ، وكان لابن غانية على فقد غنائه أسف زائد، هو بمجدهم شاهد، ولمحمدهم سائد، وهذا الآثم قد أركبه البحر إليهم سيل الفتنة، واعتقد أنه بميورقة جان للمنحة، وناج من المحنة؛ فربما جفوه إذا رأوه، ومقتوه متى لحظوه،
5 واتفق ان عاينه يوما اسحاق بن محمد - وتيفوت البائس قد ذهب فتاؤه، وكتب بنفوذ قضاء الله فيه فناؤه، فدعا به، واستدعى منه وصف عدائه، فما فرغ من ذلك حتى التفت اسحاق إلى جلسائه، وقد غضب واستشاط، وزوى الله تعالى عنه الاسترسال والانبساط، وقال ، ينبغي لمن قتل ابن أبي الخصال أن يقتل، ويحق لمن لم يرع حقه ان يعاجل ولا يمهل، ثم
10 أمر فأجهز عليه، وجر برجله من بين يديه، هذا أو معناه ما أسمعناه، وانها لآية في الأخذ بثاره، وعناية من عالم اعلانه وإسراره، علم بها أنه تقبل أعماله، ورحم جلاله وجماله (286).

ومن شعره - رحمه الله - ،

يا حبـذا ليلـة لنـا سلفـت   اغرت بقلبي الهوى وما عرفت
15 دارت بظلمائهـا المـدام فكـم   نرجسـة مـن بنفسـج قطفـت
ثـم انطـوى دهرهـا ومـن أسـف   ان صرفـت لوعتـي ومـا انصرفـت

---

2) بمجدهم : ل. بهجرهم : ك.
4) إذ : ك. إذا : ل.
فيه : ل - ك.
12) جلاله وجماله : ل. جماله وجلاله : ك.
14) بقلبي : ل. بقلب : ك.
15) المدام : ل. للمدام : ك.

---

286) إلى هنا ينتهي كلام ابن الابار في المعجم.
انظر ص 149 - 153.

وله في وصف نار مضرمة في فحم :

أما ترى النار وهي راقصة تنفض اردانها من الطرب
تضحك من ابنوسها عجبا إذ حولت عينه إلى ذهب

وله في مطيب ورد مفصل بترنجان :

5 وورد جنى طالعتنا خدوده ببشر ونشر يبعثان على السكر
وحف ترنجان بها فكأنها خدود العذاري في مقانعها الخضر

وشعره كثير. أوعب ذكره - (287) ابن الابار في معجم أصحاب الصدفي، وذكره ابن بشكوال. وابن الزبير في الصلة - وليس من شرطه، وابن بسام في الذخيرة (288)، ولابن أبى الخصال - رحمه الله - عدة
10 قصائد نبوية. منها قصيدته الشهيرة المسماة بـ «معراج المناقب»، ومنها عدة قصائد عارض بها بعض قصائد حسان بن ثابت - رضي الله تعالى عنه.

3) ذهب : ك. الذهب : ل.

287) العبارة توهم أن ابن الابار أوعب ذكر شعر ابن ابي الخصال وليس كذلك. فابن الابار - في المعجم لم يذكر ولا بيتا من شعر ابن ابي الخصال. ولعل مراد المؤلف أن ابن الابار استوعب الكلام عن ابن ابي الخصال - كما اشرنا إلى ذلك آنفا.

288) وذكره كذلك الضبي في بغية الملتمس ص 282. وابن سعيد في رايات المبرزين ص 74. والمراكشي في المعجب ص 173 - 176. وابن دحية في المطرب من أشعار المغرب من ص 187 - 190. وجذوة الاقتباس ص 258. والذخيرة القسم الثالث المجلد الثاني ص 793.

وقد رأيت أن أذكر تأليفا للإمام ابن حبيش، (289) اشتمل على تخميسها فيكون فيه المطلوب وزيادة، وقد ألفيته بخط مؤلفه بل أحد تلامذته. وهذا نص ما كتب على ظهره - بعد ان سماه بـ «العقيلة الحالية. والوسيلة العالية» في تخميس القصيدة المسماة بـ «معراج المناقب، ومنهاج

5 الحسب الثاقب» - في معجزات رسول الله - صلى الله عليه وسلم. ونسبه الشريف، ومناقب أصحابه الكرام - صلى الله عليه وسلم تسليما، ورضي عنهم أجمعين، - من نظم الفقيه الابرع، البليغ المصقع، الكاتب المتفنن، العارف المتسنن، أبي عبد الله محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن خلصة أبي الخصال الغافقي - (290) رحمة الله عليه. خمست ليتوسل فيها

10 إلى الله العظيم، بمدح نبيه الرؤوف الرحيم، ورسوله الاواه الحليم، وبتحلية أهل بيته الكريم، وأصحابه أولي السبق والتقديم، وأزواجه الطاهرات أمهات المومنين ذوات البر والتكريم، - صلى الله عليه ثم عليهم أفضل الصلاة، وسلم اشرف التسليم، وأعلقنا من حبه وحبهم حرمة تحرم بنا من التنعيم إلى جنات النعيم، وأذمة (291) تنفعنا بالتصميم على الود

(3) تلامذته : ل. تلامذه : ك.
(7) الفقيه : ل - ك. وهي أنسب.

(289) أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش - بفتح الحاء المرسي نزيل تونس، العالم الأديب، النحوي البارع. قال فيه تلميذه ابن رشيد : «اما النظم، فبيده عنانه، وأما النثر، فان مال إليه توكف له بنانه».
توفي بعد (679 هـ 1280م).
انظر ملء العيبة - مخطوط الاسكوريال رقم (1736).
والذيل والتكملة 6 / 168، والنفح 4 / 311، وبغية الوعاة ص 119، والقاموس مادة (حبش)، والتاج 4 / 293.
(290) تقدمت ترجمته في ج 4 ص 20 رقم (103).
(291) أذمة جمع ذمام : الحق والحرمة

الصميم. وايمانا تحجم عن نوره نار الجحيم. واماننا يتلقانا يوم الفزع الاكبر بالسلام والتسليم. ويهدينا بكرمه المعين هداية العلية للصراط المستقيم. ويؤوينا الى حرمه الامين. إواية الفتية الى الكهف والرقيم. (292) ويميزنا بعناية سيد البشر، وشفيع المحشر. تمييز الاغر من البهيم؛ ويخصنا
5 من شفاعته المشفعة. ومجاورته المرفعة. بالقسم الوجيه. والوجه القسيم. ويسكننا بين كرام أكرمتهم عبادة ونسك، «يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك». - (293) «ومزاجه من تنسيم». (294) «يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» (295) تاليف الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش اللخمي المرسي -
10 رضي الله عنه. - انتهى ما على ظهر الكتاب . وهذا اوان سرده بكماله - ان شاء الله تعالى.

قال الشيخ بن حبيش - رحمه الله :

جلت عن ذكاء (296) الحسن غيم التنقب
لتثني غربي (297) عن ثنايا التغرب
15 بأحور (298) ساج أو بألعس (299) أشنب (300)
إليك فهمي والفؤاد بيثرب

---

7) مختوم : ل - ك.
8) أبي : ل. أبا : ك.

---

292) يشير إلى قوله تعالى : ((أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)). الآية 9 - سورة الكهف.
293) الآية : 25 - سورة المطففين.
294) الآية : 27 - من نفس السورة.
295) الآية : 88 - سورة الشعراء.
296) ذكاء : الشمس.
297) غربي : عزمي.
298) أحور : أبيض ناعم.
299) ألعس : في شفتيه لعس : سواد مستحسن.
300) الشنب : بياض في الأسنان.

وان عاقني عن مطلع الوحي مغربي

وكتب بالطرة ما نصه الرواية إليك ـ بفتح الكاف. ولكن المخمس

أراد الاستفتاح بيسير من الغزل. فقاده ذلك إلى كسر هذه الكاف. ولم يبدل من هذه القصيدة في هذا التخميس تحريك ولا تسكين إلا فتحة

5 هذه الكاف. انتهى.

قال ابن حبيش المخمس رحمه الله ورضي عنه ـ :

صحبت الليالي فانجلى لي سرها متى تخدع المشتاق ـ لا در درها

فيذهب أحلاها ويبقى أمرها أعلل بالآمال نفسا أغرها

بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي

10 أجل مرادي لو تساعد اسعدي حنين ركابي نحو حاد مفرد

ولا حاجز دون الحجاز لمقصدي وديني على الأيام زورة أحمد

فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي

متى تسعد المشتاق بالقرب رحلة تقابل فيها للمدينة قبلة

وهل تشترى بالروح في الترب قبلة

15 وهل بقيت من مركب العمر فضلة (301)

تبلغني أم لا بلاغ لمركبي

---

5) بقيت ، كذا في النسختين. وكتب بهامش ل : (فضلت). وهو الثابت في ظل الغمامة.

---

(301) فضلة : بقية .

وهل يشتفي من مكة أهل غيبة وهل وقفة في باب أبناء شيبة (302)

أرجي الرضى فيه بتغفير شيبة وهل أردن فضل الرسول بطيبة

فيا برد أحشائي و ياطيب مشربي

مغان تجير المذنبين بجاهها غدت جنة إن لم تكنها تضاهها

5 جرى ضرب (303) بالمسك بين رداهها (304)

ألا ليت زادي شربة من مياهها

وهل مثلها ريا لغلة مذنب

فليت الصبا ركب بروحي سائر لأرض ثواها ناصر ومهاجر (305)

وليت ثراها اثمد لي عاطر و يا ليتني فيها إلى الله صائر

10 بقلب عن الإيمان غير مقلب

لقد فاز من أمضى القضاء اعتزامه فطنب في دار الرسول خيامه

وطيب محياه بها وحمامه وان امرءا وارى البقيع عظامه

لفي زمرة تلقى بأهل ومرحب

أجل بلاد الله مبدا ومحضرا بها اختار للمختار قبرا ومنبرا

15 فمن مات فيها بالشهادة بشرا وفي ذمة من خير من وطىء الثرى

ومن يعتلقه حبله لا يعذب

(13 (باهل) ـ كذا في النسختين. وكتب فوق كلمة (أهل) في نسخة (ل) ، (سهل) وثبتت كذلك في ظل الغمامة.

---

302) يعنى باب بني شيبة ، أحد أبواب المسجد الحرام. ومنه يدخل الحاج عند قدومه. و يعرف إلى الآن بباب السلام.

303) الضرب ، العسل الأبيض.

304) رداه جمع ردهة ، نقرة في الجبل أو في صخرة يستنقع فيها الماء. ولعله يعنى بها البئر التي كان ماؤها ملحا اجاجا. تفل فيها الرسول. فصار حلوا ـ كما تذكر كتب السير.

305) يعنى الأنصار والمهاجرين.

تناسمني للشـوق أعطـر نسمـــة وتشرق لي بالشرق أنوار رحمـــة
فأقضى بهم ثم أحيا بهمـــــة ومالي لا أشري الجنان بعزمـــة
يهون عليها كل طام وسبسب (306)

عناني بيسرى والقنـــاة بأيمـــن وعضبي أنيسى والتنوفة موطنـــي
5 فمالي إذا أمضيت عزمي ينثنـــى وماذا الذي يثنى عنانـــي واننـــي
لجواب آفاق كثير التقلب

ايفنى كذا عمري وأمري غمـــة وما العذر ـ والاعذار في الحب تهمة
أروع فان الصب بالشوق بهمة (307) أفقر ففي كفي لله نعمـــــة
و بين فقد فارقت قبل ـ بني أبي

10 تعطشت والحجاج من زمزم ارتوت ونالت ـ على رغم النوى ـ كل مانوت
فمالي لا أطوى من البيد ما طوت وقد مرنت نفسي على البعد وانطوت
على مثل حد السمهري المذرب (308)

أوامر سلطان الهوى كم اطعتها وحملت نفسي فرقة ما استطعتها
فكم واجبات للتقى قد أضعتهـــا وكم غربة في غير حق قطعتهـــا
15 فهلا لذات الله كان تغربي

---

6) ينثنى ، ل. منثن ، ك.
7) تغرب ، ل. التغرب ، ك. ولعل الصواب ما اثبتناه.

---

306) طام ، طما البحر ـ النهر ، امتلأ. والسبسب ، المفازه.
307) البهمة ، الشجاع.
308) السمهرى ، الرمح الصلب. والمذرب ـ بالذال المعجمة ـ ، الحاد.

إذا أحسن التأويل بي متجـاوز فأيسر عيب في أني عاجـــــز
أذو الصدق هالته السرى والمفاوز وكم فاز دوني بالذي رمت فائز ؟
وأخطاني ما ناله من تقرب

أحب وفود الله لو كنـت وافـدا أو دعهم جمعا وأرجع واحـــدا
5 أحرض من يسري وأخلـد حائـدا أراه وأهوى فعلـه البـر قاعـــدا
فيا قعديُ البر قم فتلبب (309)

لنفسي بتأميل البقـاء اعتذارهـــا وهبها تبقى والرجـــاء اغترارهـــا
فأين إلى قصد الحبيـب بدارهـا أماني قد أفنى الشباب انتظارهـــا
وكيف بما أعيا الشباب لأ شيب

10 خبأت لدهري صولة ا بن مكدم (310)
فألوت بحلمي غربة ا بن محلـم
وللوخط في فودي فتك ا بن ملجم (311)
وقد كنت أسرى في الظلام بأدهم
فقد صرت أغدو في الصباح بأشهب

---

1) التأويل بي ، ل. التأويل في ، ك.
2) أذو ، ل. اذا ، ك.
11) محلم ، ل. محجم ، ك.

---

309) جاء في هامش نسخة (ل) ما يلي ، (القعد من الخوارج الذين كانوا يرون الخروج على الائمة. ويحضون على قتالهم ولا يقاتلون. والقعدي من يرى رأيهم أو يتشبه بهم في تزيين الشيء وهو لا يفعله. فقعدي البر ـ يعني به نفسه تجريدا. وتلبب ، تشمر.

310) ا بن مكدم ، فارس جاهلي . انظر التاج (كدم).

311) عبد الرحمان بن ملجم المرادى. قاتل علي بن أبي طالب.

بمغترب التغريب طال توطنـــي وفي بلد التبليد ضاع تفطنـــي
ولا منقذ من بحر شوق يغطنـــي فمن لي وأنى لي بريح تحطنـــي
إلى ذروة البيت الكريم المطنب
إلى المصطفى للبعث من خير محتد إلى المعتلى للقرب أرفع مصعـد
5 إلى الشافع المنجي من النار في غـد إلى الهاشمي الأبطحـي محمـد
إلى خاتم الرسل المكين المقرب
إلى المقتدى حتى المعاد بهديـه إلى المرتقي لله مرقـى نجيـه
إلى صاحب الحوض المغيث بسقيه إلى صفوة الله الأميـن لوحيـه
أبي القاسم الهادي إلى خير مشعب
10 إلى من له الاعجاز يعجز عـده إلى من رآه البدر فانشق خـده
إلى من سرافيل وجبريل جنـده إلى ابن الذبيحين الذي صيغ مجده
ولما تصغ شمس ولا بدر غيهب
إلى من تدانى قاب قوسين إذ سرى إلى سامع النجوى بلا واسط يـرى
إلى المجتبى في الغيب أكبر أكبـرا إلى المنتقى من عهد آدم في الذرى
15 يردد في سر الصريح المهذب
إلى مغرق الإسهاب في بحر نعته إلى من تهدى كل هاد بسمتـه
إلى من تمنى الرسل إدراك وقتـه إلى من تولى الله تطهير بيتـه
وعصمته من كل عيص مؤشب (312)

---

11) تصغ ، ل. تضع ، ك.

---

312) عيص الرجل ، منبت أصله. ومؤشب ، مختلط النسب.

إلى خير مبعوث إلى خير أمـــــة حبته يد التمكين أوفر قسمـــــة
وحفته في الاصلاب ألطاف عصمة فجاء برىء العرض من كل وصمـة
فما شئت من أم حصان (313) ومن أب

كفـاه مـن الرحمـان مدحـا مصرحـــا بشروح «ألم نشرح» وايضاح «والضحى»
5 فقـد أفحم القـرآن مـن قـال مفصحـا كروض الربى كالشمس في رونق الضحى
كناشىء ماء المزن قبل التصوب

غفرنا به للدهـر كـل اســــاءة جلا غيهب الدنيا بأبهى اضـــاءة
كسا أوجه الأيام كل وضـــــاءة عليه من الرحمـــان عيـن كلاءة
تجنبه إلمام كل مجنب

10 تقدس بدءا من شعوب جليلــــــة إلى منتهاها من أعــز فصيلـــــة
فما مر إلا في طريـق فضيلــــة إذا أعرضت أعراقــه عـن قبيلـة
فما أعرضت إلا لأمر مغيب

ولا طبعت إلا على البأس والنـدى ولا رضيت إلا إلى الخلد مصمـدا
ولا عمـرت إلا ربـاطـا ومسجـــدا ولا عبرت إلا على مسلك الهدى
15 ولا عثرت إلا على كل طيب

فينمى حباه الله انمى صلاتــــه لكل سري ساد بيــن سراتـــــه
بعالي معاليــه وسامــي سماتــــه فمن مثل عبد الله خير لداته (314)
وآمنة في خير ضنء ومنصب (315)

---

16) انمى ، ل. أغنى ، ك.

---

313) امرأة حصان ، عفيفة بينة العفاف.
314) لداته جمع لدة ، الترب والقرن.
315) الضنء الأصل.

كريمة وهب واهبا كـل بــدرة نمت في كمام المجد أبهج زهرة
ولاحت بأفق السعد أشرق زهــرة إذا اتصلت جاءتك أفلاذ زهــرة
كأسد الشرى من كل أشوس أغلب (316)

فلله بدر قد جلا كل حالــــك لانجابه انجى بـه كـل هالــك
5 فما مثل ذاك النور هاد لسالــــك ولا خال إلا دون سعد بن مالــك
ولو كان في عليا معد و يعرب

سجايا رسول الله نفسي لها الفـدا عراب لأحباب عذاب على العدى
فما السحب ان اهدى وما الشهب إن هدى
ومن ذا له جد كشيبة (317) ذي النــدى
10 وساقي الحجيج بين شرق ومغرب

مليك البرايا غير ان لم يبايـعوا فأهلا بمرضي الفعال المتابــع
وسهلا بمسموع المقال مطـــاوع له سؤدد البطحاء غير مدافــــع
وحرمة ما بين الصفا والمحصب

رئيس قريش عند سلــم وغــزوة بظل لواء أو بمجلــس نـــدوة
15 يفض لجيش الحبش (318) أوثق عروة أبو الحارث السامـي الـى كـل ذروة
يقصر عن ادراكها كل كوكب

7) عراب لاحباب ، ل. عذاب لأحباب ، ك.
13) حومة ، ل. ومثله في ظل الغمامة. وحرمة ، ك.
15) لجيش ، ل. بجيش ، ك.

316) الشرى المأسدة. والأشوش ، الجرىء على القتال الشديد.
والاغلب ، القوي العظيم.
317) يعنى به ، شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم. الذي تولى بعد أبيد السقاية والرفادة.
318) يشير إلى حادثة الفيل.

رأوا بركات في كراه ونبهه (319) وبدلهم عشر الورود برفهه (320)
وجاد به دهر بخيل بشبهه ونافره حرب فكب لوجهه
وقد كان لولا جوده فوق مرقب
أضاف لكسب الحمد ميراث جلة وأضفى من الأمداح أسبغ حلة
5 ولما نوى صهرا بأشرف حلة أتيحت له خير الفواطم (321) والتي
أتيح لها في المجد خير مركب
فما على كل من الحق أوجبت بما من أبي خير البرية أنجبت
لسيد آل الله طرا تقربت عقيلة مخزوم وعمران فاحتبت
على خير مولود وأكرم محتب
10 لقد مهدت خيرا على مهدها ربي رضية أخلاق سنية مذهب
سرية أعراق علية منصب وطيبة حمت (322) لأطهر طيب
مطيبة زفت لكفء مطيب
تيمم دار الأمن أهل خيانة فقد صرفوا عن عزها بإهانة
ودان بنو حام لحامي ديانة به وبما في برده من أمانة
15 حمى الله ذاك البيت من كل مرهب

1) ونبهه ، ل. ونفعه ، ك.
6 الحمد ، ل. المجد ، ك.
12) مطيبة ، ل. وطيبة ، ك.

319) كراه نومه. ونبهه ، انتباهه.
320) جاء في هامش نسخة (ل) ، العشر أن ترد الابل الماء العاشر. والرفه ، أن ترد في كل وقت.
321) يعني فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم. انظر ، الطبقات 1 / 92 ـ 93.
322) حمت له ، قدرت له.

غرابيب (323) عافت بقمة النسك بقعهم
أتوا حرما أضحى به القتل شرعهم
فرد عليهم صانع الخلق صنعهم وأهلك بالطير الأبابيل (324)جمعهم
فيا لهم (325) من عارض غير خلب

5 مبادىء اعجاز تلتها نهاية بمولود ذاك العام عمت عناية
فللدار والجيران عنه رعاية وفيما رآه شيبة الحمد آية
تلوح لعين الناظر المتعجب (326)

وفي أمره في الحلم بالسقي مسرعا وفي سلسل من مبرك العود أنبعا
وفي نذره ذبح ابنه متبرعا وفي ضربه عنه القداح مروعا (327)
10 ومن يرم بين العين والأنف يرهب (328)

---

4) فيالهم ، ل. فياله ، ك.
5) بمولود ، ل. لمولود ، ك.
10) العين والأنف ، ل. الأنف والعين ، ك.

---

323) غرابيب جمع غربيب ، شديد السواد. شبهه بالغراب. ويعني بذلك الاحباش.
324) يشير إلى قوله تعالى من سورة الفيل ، ((وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول)).
325) العارض ، السحاب. والخلب ، المطمع المخلف. وجاء في هامش نسخة (ل) ، (الضمير عائد على الطير. ولعله أتى بضمير العقلاء تنزيلا لها منزلتهم. حيث صدر منها ما من شأنه أن يصدر من العقلاء من اهلاك الاعداء).
326) يشير إلى الارهاصات التي اقترنت بمولده ـ صلى الله عليه وسلم.
327) يشير إلى نذر عبد المطلب ذبح ولده عبد الله. ثم فدائه به بمائة من الابل. نحرها بين الصفا والمروة. انظر الطبقات 1 / 89.
328) يعني من يرم في أعز الناس لديه يرعب. وهو ينظر إلى قول القائل.
يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وقد نال منه أن ينال حبيبـــه فأقبل يدعـو والفضـاء يجيبـــه
لفرعك زهر يملأ الأرض طيبـــه وما زال يرمى والسهام تصيبـــه
إلى أن وقته الكوم من نسل أرجب
أعاد ثلاثا ضربها متعـــوذا فلما استقر الأمر قال، انحروا إذا
5 وأبقاه حكما في الديات منفـذا وكانوا أناسا كلما أمهـــم أذى
تكشف عن صنع من الله معجب

إذا غضبوا فالله للقوم يغضـــب ومهما رضوا فالمزن يهمي ويسكب
هناك صفا عذب وأزهر معشـــب وعاش بنو الحاجات منهم وأخصبوا
وان أصبحوا في مربع غير مخصب
10 لهم نبأ أسماعنـــا تستعيـــده لذيذ يشور (329) الشهد منه شهيده
وكيف على الأيام يبقى جديـده وعمرو المعالي هاشم وثريـــده
بمكة يدعو كل اغبر مجدب
إذا ندف الصنبر كل سبيخة (330) وصمت لعصف الهوج كل مصيخة
دعا الجفلى (331) من غلمة ومشيخة لمثنى جفان كالجوابي منيخـــة
15 ملئن عبيطات السنام المرعب (332)

---

1) والعضاء : ل. والقضاء : ك.
13) إذا ندف : ل. إذا اندف : ك.

---

329) يشور الشهد : يستخرج منه العسل.
330) ندف : ضرب بالمندف ، العود - القطن. والصنبر - بتشديد الصاد والنون - الريح الباردة.
والسيخة ، قطعة من القطن.
331) دعا الجفلى - يعنى دعوة عامة.
332) العبيط ، الطري أو السمين. والمرعب : المقطع.

فلولاه ما لاذ العناة بمنقـــــــذ ولا عاذ سكان الصفا بمعـــــوذ
ولا ســددوا في الرحلتيـن لمنفـذ هو السيد المتبوع والقمر الـــــذي
على صفحتيه في الرضى ماء مذهب

ولما دنا للدين اطلاع بـــــــدره ونقب عمرو (333) عن حظية عمره
5 لتختار للمختار من حي نصـــره بنى الله للإسلام عزا بصهـــــره
إلى منتهى الأحياء من آل يثرب

درى أن سيبدى الغيب منه سريرة فرام على ذاك الظهور ظهيـــرة
ومن صفوة الايثار صافى اثيـــرة وخص بسلمى بنت عمرو ذخيرة
على كل بكر من قريش وثيب (334)

10 تيمن خطبا إذ تيامن خطبـــــة وأسس بين النضر والاوس قربـــة
وطنب في أعلى المدينة قبـــــة فأثبت للإسلام فيها محبـــــة
وقاد من الأنصار كل محبب

إلى وده انقادوا قروما (335) مصاعبا أدرهم عام المحول سحائبـــــا
وأطلعهم ليل الحروب كواكبـــــا وكتب منهم للرسول كتائبـــــا
عليهم من الماذي (336) كل مكتب

---

2) سددوا : ل. سردوا : ك.

4) لتختار : ل. ليختار : ك.

11) قروما : ل. قنوما : ك.

13) الماذى : ل. الهادى : ك.

---

333) عمرو : اسم هاشم بن عبد مناف : جد والد الرسول - عليه السلام.

334) يشير إلى قصة زواج هاشم بن عبد مناف من سلمى بنت عمرو من بني النجار من يثرب. وهي أم عبد المطلب. انظر الطبقات 1 / 75، 79.

335) قروما : جمع قرم - : أسياد.

336) الماذي : الصقيلة من الدروع.

فمن متقاض بالقواضي ديونه وبان على متن الحصان حصونه
ومستعذب طوع النبي منونه يفدونه يوم الوغى ويقونه
بأنفس صدق بأسها لم يكذب
سطت بذئاب الكفر شدات أسدهم وكم بذلوا الأرواح صونا لمجدهم
5 فما نصر المختار إلا بجندهم وما دوخ الكفار إلا بحدهم
سنان طرير أو سنان محرب (337)
بنو النضر أسمى حلة حيث حلت بدور تجلت في سماء التجلة
رياض معال أثمرت وأظلت وعبد مناف دوحة الشرف التي
تفرع منها كل أروع محرب
10 تسميه أمال النوالي بكنزها وتأوي ملوك الأرض منه لحرزها
وتعنو نواصيهم له خوف جزها مطاع قريش والكفيل بعزها
ومانعها من كل ضيم ومنهب
ولما اقتفى من أشرف الصهر سنة وقد آن أن يستشعر الخلق منة
تزحزح عن نار وتسكن جنة تخير من سر العواتك (338) مزنة
15 لهاشمه جادت بامرع صيب (339)

---

6) سنان حديد : ك. لسان طرير : ل. ولعل الصواب ما أثبتناه (
9) تفرع : ل. تورع : ك.

---

337) طرير : حاد. محرب : محدد.
338) سر العواتك : أفضل النساء الطاهرات. وسر ال
عاتكة : المرأة الطاهرة.
339) أمرع صيب : أخصب مطر.

بأروع مطعام لدى كل لزبـــــة وأليس مقدام على كل سربة (340)
وأبلج بسام إلى كل كربـــــة وما كان ذاك الطـود إلا لهضبة
ذوائبها فوق السماك المذأب (341)

صفات كروض الحزن - والمزن همع يلذ له مجنى ويذكـــو تضـــوع
5 هم ما هم قد راق مرأى ومسمـــــع وزيد ومن زيد قصـــي مجمـــع
سمعت وبلغنا وحسبك فاذهب

إليه خبيئات المكارم أبـــــرزت وبالمدح فيه حلة الفخر طـرزت
شريف كم اعتزت بطون له اعتزت به اجتمعت أحياء فهر وأحـــــرزت
تراث أبيها دون كل مذبذب

10 أعاد المجلي في العدى كسكيتـــه بما قاده من ورده وكميته (342)
فطامعهم لم يثن ليتا لليتـــــه وأصبح ملك الله في آل بيتـــه
فهم حوله من سادنين وحجب (343)

لقد حفظت فيهم حقوق مضاعـــة ومن بيتهم ردت عليهم بضاعـــة
وعن ارث إسماعيل دبت قضاعـــة وما أسلمته عن تراض خزاعـــة
15 ولكن كما عض الهناء بأجرب (344)

ة : ك. سرية : ل. شرفة : ك.

بة : الجماعة.

السكيت : الذي ياتي آخرها.
حة العنق. وبالفتح : النقص. سادن البيت وحاجبه : خادمه.
ان.

تألف ما ألفى من الأرض شاغـرا وأطفأ من كيد الاعاجم واغــرا
وبالعضب صلتا ألقم الليث فاغـرا وقد رد سابورا عن البيت صاغـرا
بخطبة فصل أبعدت كل مقرب
وإذ جاش جيش الفرس من كل جلهة (345)
5 محا جمعهم محو الدليل لشبهـة
وعفر منهم رعبه كـل جبهـة وردهم من كل أوب ووجهـة
عباديد لا يلوون نحو المثوب (346)
تحلت قريش منه أبهى فضيلـة ورتب حول البيت كل قبيلـة
كما حف تقصار (347) بجيد عقيلة وأيد من حبي بخير حليلـة
10 نماها حليل في ذوءابة يشجب (348)
حوى الكعبة العليا فأعلي كعبـه وحفته أقمار المحيط وشبهـه
فما بوركت الا حصان تَرْبُـه وحسب التي جاءت بزيد وحسبه
بفخر لها منه على الدهر محسب
خؤولته تنمى لصيد أكابـر فمن أين لا يستل عضب المفاخـر
15 ويحتل ربع المجد أشرف عامـر وفاطمة من بيت عمرو بن عامـر
وماء السماء الطاهر المتصبب

---

1) كيد : ل. ليل : ك.
4) جهلة : ل. جبهة : ك.
8) تحلت : ل. فحلت : ك.

---

345) الجلهة من الوادي : حافته وشاطئه.
346) عباديد : صاروا متفرقين. والمثوب : الداعي والمستصرخ.
347) التقاصر : القلادة.
348) يشجب بن يعرب بن قحطان : احد اجداده ـ صلى الله عليه وسلم..

لمحتدها من يعرب الشرف العلي ففي الأُزد زاد الركب في كل مجهل
ومن سيل(349)سيل محا كل جدول وما سببت إلا لمجد مؤثـــل
توطده والله خير مسبب

فتى يملأ الشيزى (349) ويروي سنانه بنى شرفا قاد السماك عنانـــه
5 بجود عناه أو بجد أعانـــه وما مات إذ خلى عليه مكانـــه
كلاب ومن يشهده لم يتغيب

فمن أوجه نضرية ذات نضـــرة ومن شيم غر إلى شيم غـــرة
تلاقى السنا من أسرة وأســـرة ولاذت قريش من كلاب بن مرة
بجذل حكاك أو بعذق مرجب (350)

10 فما القطر الا قطرة من بحـوره وما الصبح إلا لمحة من سفـوره
يفيض السنا في شهبـه وبـدوره أبو الصرحاء الغر حيث بنـوره
صريحة أبناء الشوير بن ثعلب

تتوج تاجي رفعة ومكانـــة وأسبغ بردي عفـــة وصيانـــة
فقضت بـه الامال كـل لبانـــة لهند ومن هند كخير كنانـــة
15 نجيبة عصر جهزت نحو منجب

---

4) الشيزى ل، السيجي : ك.

---

349) سيل الاولى - بكسر السين وفتح الياء - جمع سيلة : جرية الماء ومسيل الثاني بفتح السين وسكون الياء مصدر سال.
349 - مكرر) - الشيزى : الجفان.
350) الجذل المحكك : عود ينصب في العطن لتحتك به الابل الجربى. وفي المثل : أنا جذيلها المحتك. والعذق : النخلة بحملها. والنخلة المرجبة : المحاطة بالشوك لئلا تصل إليها يد الاكل.

تجلى لعين الزين أبهج قـــرة وراق بسلك الملك أنفس درة
وزان محيا الحي أشرف غـرة ومرة ذو نفس لدى الحـرب مـرة
وفي السلم نفس الصرخدي المذرب (351)

تقابل في الأمجاد من كل جانب وسادته سروا باهرا للكواكـــب
5 خؤلة فهر في عمومة غالــــب لوحشية البيضاء بنـت محـارب
فسيمته في اصله المتشعب

نمته كرام زينوا البأس باللهـى يفيضون إيمانا ينيرون أوجهـا
سموا كالدراري والمعاند كالسهى وكعب عقيد الجود والحلم والنهـى
وذو الحكم الغر المبشر بالنبي

10 مشهر علياه وكاتم عرفـــــه وواصف هدي يهتدون بوصفـــه
يسود بواديه يقـود بزحفـــه خطيب لؤي واللـــواء بكفـــه
لخطبة ناد أو لخطة مقنب (352)

قضى في اللهى (353) بذلا وفي العرض منعة
أجل بنى فهر جلالا ورفعـــة
15 وأقوم من في فترة الوحي شرعـة وأول من سمى العروبة جمعـة
وصدر أما بعد يلحى ويطبي (354)

---

351) الصرخدى : الخمر المنسوبة إلى صرخد : مكان مشهور. المذرب : الحاد.
352) المقنب : جماعة الخيل، ويعنى بها هنا الحرب.
353) اللهى : العطايا.
354) طباه : دعاه دعاء لطيفا. لحى : لام وعدل وعنف.

فيا طبقات اللحد كيف علوته   وما طمعت زهر النجوم بفوته
وقبل الظبا فل الجيوش بصوته   وأرخ آل الله دهرا بموته
سنين سدى أتعبن كف المحسب

وعادات عرب أن تحافظ عهدها   بتاريخها من موت من جل عندها
5 وقد أرخت من موت كعب وعدها   بخمس مآت ثم عشرين بعدها
مكملة واستنطق الكتب تعرب

له عفر الأمجاد خد ضراعة   فتلقاه عدنان بسمع وطاعة
وترضيه قحطان بجهد استطاعة   لماوية (355) الغراء خير قضاعة
لكعب فتى القين بن جسر بن تغلب (356)

10 مفرق وفر جامع للمحامد   غدا خطوه تاجا لهام الفراقد
بفر المساعي والجدود الأماجد   وأضحى لؤي غالبا كل ماجد
ومن غالب ينميه للمجد يغلب

فناهيك من غض المحاسن أبلج   ومن فاتح للمرتجى كل مرتج
أقر له بالرق كل متوج   وجاءت به وحشية بنت مدلج
15 هماما متى يستقدح المجد يثقب

يتمم زيا للهياج متى ابتدي   يعمم فيها بالردى كل مرتد
بمسرودة زغف (357) وماض مهند   وألقى عليه غالب (358) كل سؤدد
يقصر عن أوصافه كل مسهب

---

3) سدى أتعبى : ل. سنا يتعبن : ك.
4) وعادات : ل. وعادة : ك.

---

355) يعنى مارية بنت كعب بن القين من قضاعة. انظر الطبقات 1 / 60.
356) انظر في نسب القين بن جسر بن تغلب جمهرة انساب العرب ص 454.
357) الزغف ، الدرع المحكمة، الواسعة الطويلة اللينة.

بهم صحت الازمان بعد زمانـــة وهدئت الدنيا لأهدى ديانـــة
ترقوا بأعلى الرسل أعلى مكانـــة وما منهم إلا مـــؤدي أمانـــة
يصان لها صون الضمير المحجب
لهم بأعز الخلق عز وحرمـــة تجلى بهم جلى وتفرج أزمـــة
5 وكلهم حامـي الحقيقـة بهمـة وحامل نور حظه منـه عصمـة
وتقديسه من كل عاب ومجدب (359)
خلال جلال مبدات معمـــادة نماها عـلاء باهـر ومجـادة
وغالبهم قد غلبتـه سيـــادة لـه من هذيـل في الصميم ولادة
تزاحم أعراف النجوم بمنكب
10 براع العدى منه بأروع أحـــوذي على السمت من أسلافه الصيد يحتذى
وزاد سموا اخذا كل مأخـــذ بليلى لغنم وابنة الحارث الـــذي
له الفيلق الجأواء (360) من كل موكب
مضت أعصر ـ والقوم عصرة أهلهـا رأوا بركات الوحي قبل محلهـا
صلاح بها الاصلاح للأرض كلهـا وفهر أبو الاحياء جامع شملهـا
15 وكاسبها من فخره خير مكسب

---

1) ديانة : ل، امانة : ك.
14) بها : ل، به : ك

---

358) يعني به غالب بن فهر. واسمه قريش.
359) العاب : لغة في العيب، والمجدب ، العيب أيضا.
360) لعله يعني بليلى هذه : ليلى بنت هلال بن وهيب بن ضبة ابن الحارث بن فهر. والفيلق الجأواء : الجيش العظيم.

أووا منه في أزم الزمان وأزله (361) إلى متبع فـرض السمـاح بنفلـه
يبيد نداه ما يفيد بنصلـــه تقرش (362) فامتازت قريش بفضله
وسد فسدوا خلة المتأوب

أحان (363) العدى رعبا وما سل منصــلا
وشمشع للاخلاق أريـا (364) وسلســـلا
5 وقلد للتقريش عقدا مفصــــلا وغادره اسما في الكتاب منـــزلا
يمر به في أيه كل (365) معرب

مذاكيه (366) في الأقطار داست ودوخت
وفي كل روع كم اغاثت وأصرخت
10 بدا غرة في جبهة الدهر شمرخـــت وجندلة بنت المضاضي شدخـت
به كل (367) ذمر للعلى متوثب

4) احان : ل. ادام : ك.
7) يمر : ل. تمر : ك.
9) روع : ل. روح : ك.

361) أزم الزمان وازله : عضه وشدته.
362) تقرش : تجمع. ومن هنا جاءت تسمية قريش.
363) احانه الله : أهلكه.
364) الأري : العسل.
365) يشير إلى قوله تعالى : ((لا يلاف قريش)).
366) المذاكي : الخيول.
367) الذمر : الشجاع والشديد.

يروع سرب الشمس إن هز نصلـه وتهفو الدراري حين يرسل نبلـه
أطل على المجر اللهام فطله (368) فأصبحت الأعناق خاضعـة لـه
كما استسلمت كدر البغاث (369) لأشهب

تشابك عزا بالنجوم الشوابـك وقالت علاه ما السماك بسامـك
5 صوارمه للفتك في كـل فاتـك ومالك المربى على كل مالـك
فتى النضر حابته السيادة بل حبي

غمام سفوح بالحيـاة وبالـردى به الري للعافين والصعق للعـدى
نوال لمن رجا نكال لمن عـدا هو الليث في الهيجاء والغيث في الندى
وبدر الدياجي حين يسري ويحتبى

10 معرف عرف حسب ذي الحاج حجـه وقبلة امـال إليهـا التوجـه
حوى الطود والضرغام والبحر سرجه تردى بفضفاض علـى المجـد نسجـه
ولبس عليه فليجر ويسحب

سيادته أعفت من المن منهـا وأيامـه أبـدت بحسناه حسنهـا
وامالـه نالـت بيمناه يمنهـا وفخرا لهند بنت عدوان انهـا
15 به أم وبل طبق الأرض معشب

---

9) ويحتبى : ل. ويجتبى : ك.
10) وقبلة ال إليها التوجه : ل. وقبلة امال إليها الموجه : ك. ولعل الصواب ما أثبتناه.
14) وامالـه : ل. واماله : ك.

---

368) اللهام : الجيش الكثير. وطل الدم : هدره.
369) البغاث : طائر أصغر من الرخم بطيء الطيران. وكدر البغاث : ما كان أسود الظهر، أسود باطن الجناحين.

فيا لكريم في الكرام مـــــردد صدور القنا يلقى كصدر مهنـــد
وحمر الظبا يهوى كخد مــــورد وللنضر ما للنضر من كل مشهـد
هو الشمس صعد في سناها وصوب
تباح عطاياه ويحمــى ذمــاره ويخشى معاديه ويأمــن جــاره
5 فللحكم ناديه وللعـــز داره ليالي أذكت فحمة الليل نــاره
فما تستر الظلماء مقلة جندب (370)
مقنى القنا من كل أغلب أضبــط فكم شاحط من خوفها متشحط (371)
وكم ريع منه القاسطون بمقسط (372) وقيد إليه كل ملــك مسلـــط
يقال له اقبل ذليلا أو اذهب
10 درى كل ملك أن سيد خندف (373) سيثقفهم بالجود أو بالمثقـــف
فدانوا بتأميل لــــه وتخــــوف فيزحف في أغلاله كل متـــرف
ويرسف في أقياده كل مصعب
مليك كفته جرده عـــن أســـرة ضحوك إلى الأمـــال جـــم المسرة
عبوس لدى الأمثال جهم الأســرة نهيض الفتاة الطابخية (374) بـرة
15 وأي معال بيته لم يهذب

---

15) واي : ل. فاي : ك.

---

370) الجندب : ضرب من الجراد.

371) مقنى القنا : مصوبها ومسددها. شاحط : بعيد. والمتشحط : المضطرب في دمه.

372) القاسط : الجائر. والمقسط : العادل.

373) خندف : مجموعة قبائل. مثل : قريش. وولد كنانة. وبنو أسد وهذيل.
انظر الجمهرة ص 479 ـ 480.

374) الامثال : الأكفاء. الجهم : العبوس. الطابخية. لعلها نسبة إلى طابخة بن الياس بن مضر

كذا يعتلي عال ويفخر فاخـــر سما أول للعرب واعتــز آخـــر
ففاضت هبات واستفاضت مفاخــر وأعرض بحر من كنانـة زاخـــر
يقاد إلى أمواجه كل مذنب

سحاب الحبا طود الحبى ضيغم الوغى طغى سيفه فيمن تجبر أو طغى
5 وحكم في الباغين أضعاف ما اتقى وخير حكما في السهيل أو الرغى
أو البيت أو عز على الدهر مسحب

وأشمر في العقب السنى احتجـازه لملك تطيع الأرض فيه حجـازه
وقيل تخير ما تروم نجـــــازه فلم يقتصر واختار كلا فحـــازه
إلى غاية العز المديد المعقب

10 فنون احتفاء ضمها منه أوحــــد بأربعها حيـاه جـد مجــــدد
ليمهد سعد للرسالة مسعـــــــد له البيت محجوجـا وعز مخلـــد
وأجرد يعبوب إلى جنب أصهب (375)

فمن حملت في النسل منه امانــة تكفل تقديس بهـا وصيانـــــة
فقد حق انجاد له واعانـــــــة ومن ولدته بنت عمرو عوانـــــة
15 فما الدهر من أدنى مداه بارحب

---

375) اليعبوب : الفرس السريع الطويل. والاصهب : بعير ليس شديد البياض.

طغاة ملوك غنمـه لا غنيمـــة واغلالهم بيض الظبا لارميمة (376)
فشت أيمة في مترفيهم وعيمة (377) وخازم آناف العتاة (378) خزيمة
فعاذوا بأخلاق الذليل المغرب
قسيم تراء ذو ثراء مقســـــم عدا كل ظلام جلا كل مظلـــم
5 برأفة عـلام وسطـوة معلـــم عظيـم لسلمى بنت سود بن أسلم
لكل قضاعي كريم معصب

لهم سلف سمر العوالي وسامـــر وحاضر كبر للتكبر حاظـر (379)
يجار به خاش ويخشـاه جائـــر ومدركـة ذو النجـح واليمـن عامر
وخير مسمى في العلى وملقب
10 له النسبة العظمى كما شاء سروه تلاقى بها طهر الغمام وصفـــوه
وللفخر منها ضوؤه وعلـــــوه تراءى مطلا إذ تقمع صنوه (380)
ففاز بقدح طائر لم يخيب
عموم ثناء لا يخاف مخصصـــــا وأتلع فخر رد كيوان أوقصا (381)
تواضعـه ان يوطىء البـدر أخمصا لام الجبال الشم والقطر والحصـا
15 لخندف ان تستركب الأرض تركب

---

376) رميمة ، تصغير رمة . ، قطعة من الحبل بالية.
377) الايمة ، فقد احد الزوجين. والعيمة ، الحاجة الشديدة إلى اللبن. ولعله - يعنى هنا - هلاك الرجال من شدة الحروب. ومن جراء ذلك. اشتدت حاجة الناس إلى اللبن.
378) في النسختين (وخزم) (العداة) - ولعل الصواب ما أثبتناه.
379) حاظر ، مانع.
380) تقمع ، جلس وحده والصنو ، الشقيق.
381) أتلع ، مد عنقه متطاولا. والاوقص ، القصير العنق - يعنى أنه تقاصر أمامه وذل كل متعال أو متطاول.

فلا غرو أن قادت لهم كل أمـــة سيوف انتقام في أيامن رحمـــة
فهم سحب امحال وأقمار ظلمـــة وإلياس مأوى الناس في كل أزمة
ومهربهم في كل خوف ومرهب

مبصرهم أمر المآب وقـد أبـــوا وملهمهم ان يستنيروا وقد خبوا
5 ومذكرهم ما قد تناسوه إذ صبـــوا وزاجرهم اذ بدلوا الدين واستبوا
فاضحوا بلا هاد ولا متحوب (382)

تخولهـم بالوعـظ صبحـا وهـــدأة وفي السمع وقر لا يحسون نبأة (383)
زمان نفى الجهـال للحشر نشأة وحين دعوا بعلا (384) ضلالا وجرأة
على ربهم واستعتبوا كل معتب

10 تمرس بالأعـداء جـذل حكاكـه وأشرع للأوثان رمـح سماكـــه
وقد قام من ملك الورى بملاكـــه وجاءهم بالركـن بعـد هلاكـه
وقد كان في صدع من الارض نكب

سباه أولو بأس شديد وقـــوة فألهمـه نسيـا بأغمـض هـــوة
ليحفظ أمر النــاس حفـظ أبـــوة ومـا هـو إلا معجـز لنبـــوة
15 وبشرى وعقبى للبشير المعقب

أقام حقوقا للمقـــام المطهـــر واشعر للتقديس في كل مشعـر
ووفق في مرمى ومسعى ومنحـــر وحج وأهدى البدن أول مشعـــر
لها وفروض الحج لم تترتب

---

10) حكاكه ، ل. حكامه ، ك.

---

382) المتحوب ، الذي يترك الحوب ، الاثم.

383) تخولهم ، تعهدهم. الهدأة ، قطعة من الليل. والوقر ، الصمم. والنبأة ، الصوت الخفي.

384) بعلا ، من ألهة العرب في الجاهلية.

حمال بها قد حزت العرب خصمهـــا تجالـه سمح الخلائق سهلهـــــا
وتصغى له عذب المقالـــــة جزلهـــا وكـم حكمـة لـم تسمـع الاذن مثلها
له إن تلح في ناظر العين تكتب
تبحبح(385)مرقى يبهر النجم سمته كما بهرت نظمي حـلاه ونعته
5 وعن قنص يغنيه نهب يشتـــه إلى قنص تنميه ســـوداء بنتــه
كلا طرفيه من معد لمنسب
عمائر لو لم يعمروا الأرض عطلت سقوها نوالا فاض أو مهجا غلـــت
فلولا انهمال السيب والسيف أمحلت وفي مضر تاه الكـــلام وأقبلــــت
مأثر سدت كل وجه ومذهب
10 تضايقت الغبراء عن فرط وسعهـــا وأخملت الخضراء في عظم ربعها
لصيد صناديد تسود بطبعهـــــا وجئن وكاثرن النجوم بجمعهـــا
بأكثر منها في العديد وأثقب
تعجبت حتى لا تعجـــب مثلـــه لصنوين قد حازا التساوي كلــه
فلما بدا سبق يريغان خصله (386) هنالك آتى الله مـن شـاء فضلــه
15 وقيل لهذا سر وللآخر اركب

10) تضايقت : ل. تضايقها : ك. واخملت : ل. واضحلت : ك. وجئن وكاثرن النجوم : ل.
وحسنا ولا ترقى النجوم : ك.
وفي ظل الغمامة وحينما (أسرعنا وكاثرنا) - وكتب بهامش نسخة (ل) : نون الاناث نون المتكلم.

385) تبحبح في المكان : تمكن وتوسط فيه.

386) الخصل في النضال : أن يقع السهم بلزق الغرض. ويريغه : يطلبه.

إخاؤهما اخيُتــــان تفاوتـــــا وخولف بالذاتيـن حيـن تساوتـا
وقيل لدى الانصاف شتان تا وتـا وكان شقيقي نبعة فتفاوتـــــا
لعلم وحكم ماله من معقب
ان اشتبها في مأثـرات رفيعـــة فما محلة في الروض مثل مريعة (387)
5 ولا دجلة في الفيض مثل وقبعة (388) وذلك أمر الله يا ابن ربيعـــة
وتأسيه للوحي فاطف أوارسب
هما ما هما لا فعل إلا تكــــرم ولا كف إلا وهـي تشقـى وتنعم
سوى ان ذا غفل وذلك معلــــم وما منهما إلا حنيـــف ومسلــــم
على نهج اسماعيل غير منكب
10 فاربعهم قد عدّل المجـد قسمــــه كما عدل التربيع في الطبع جسمه
وكل ذكي صادق الصدق رجمـــه وقد سلم الأفعى (389) بنجران حكمه
إليهم ولم ينظر إلى متعقب
ولما استقروا في مكيـــن قـــراره تطوف الجواري حولهم في جواره
بنصر قراه في مقارى نضـــاره رأى فطنا أبدت لنا عن نجـــاره
15 وكان لنبع فاستحال لأُثأب (390)

---

10) فاربعهم : ل. بأربعهم : ك.
11) وكل : ل. وقل : ك.

---

387) المحلة : الأرض الجدباء. والمريعة : الخصبة.
388) الوقيعة : نقرة في متن حجر أو سهل أو جبل يستنقع فيها الماء.
389) الأفعى : الجوهري الذي كان بنجران. انظر قصة مضر واخوته معه في سبل الهدى ج 1 / 342 ـ 343.
390) النبع : شجر تصنع منه القسي ينبت في الجبال. وأثاب : شجر ينبت في بطون الأودية. وبينهما بون شاسع في الصلابة والقوة.

فراستهم قد صح في الكتب نقلها   يبين بها عقد الأمور وحلها

كأن لسان الغيب عنهم يملها   وتلك علامات النبوة كلها

تشير إلى منظورها المترقب

فيامادحيهم أطنبوا ان وصفتم   فما غاب عنكم فوق ما قد عرفتم

5 أتت سنن سباقة ان قطفتم   وقال رسول الله مهما اختلفتم

ولم تعلموا قصد السبيل الملحب (391)

وأقصد إشكال واشكل مقصد   وسد عليكم كل باب يسدد

ولم يبق إقليد سوى أن تقلدوا   فتى مضر جرثومة (392) الحق فاعمدوا

إلى مضر تلفوه لم يتنقب

10 ربيع ندى يغني بأول رودة (393)   فمن ذا يجاريه بجود وجودة

وبدأة نعماه لها ألف عودة   وسودة عك (394) أمه من كسودة

وعدنان ينميها لأقرب أقرب

يرون الندى كالفرض حانت وقوته   فلا معتب إلا ذراهم بيوته

ولا سبع إلا ظباهم تقوته   وما سيد إلا نزار يفوته

15 ومن فاته بدر الدجى لم يؤنب

---

6) تعلموا : ل. تعرفوا : ك.

---

391) الطريق الملحب : الواضح.

392) جرثومة الحق : أصله ومجتمعه.

393) الرودة : اسم المرة من راد : طلب النجعة والكلأ.

394) سودة بنت عك بن عدنان أم مضر. انظر سبل الهدى 1 / 342.

تمضر ترد غمر العطاء وعـــــده تنزر (395) ترد زهر الثناء وورده
فإن نزارا ما ارتضى النزر رفـــده قريع معد والذي سد فقـــــــده
متى ياتهم شعب من الدهر يرأب (396)

مجلل وجه الأرض من نسل جلـة فطرف وصمصام وسرد وألة (397)
5 ومترعهــا مــن أنجــم وأهلـــة أبو أبحر الدنيا وأطوادها التــــي
بها ثبتت طرا فلم تتقلب

يذيلون ان عنت لحـرب لبانـــة نفوسا عن الفحشاء فيها صيانـــة
تخف الى الداعي وثم ركانة (398) ولم يكفه حتى أعانت معانـــة
بكل عتيق جرهمي مهذب

10 لقد بسمت دنيا طويـل عبوسهــا بذى عزة يضفو عليـه لبوسهــــا
له انقاد أبيها وذل شموسها (399) وجاء معد والسماء شموسهـــــا
وأقمارها في ذيله المتسحب

قطار سقى حزن(400)البلاد ووعثها ثوى مذحوى كسب المعالي وإرثها
بأفلاك عز دائب السعد حثهــا وبين يديه الأنجم الزهر بثهـــا
15 على الأرض حتى لا مساغ لأجنبي

---

4) فطرف ، ل. بطرف ك.
12) ذيله ، ل. ذيلها ، ك.
13) كسب ، ل. سر ، ك.

---

395) تمضر. تنزر ، أي انتسب لمضر ونزار.
396) شعب يرأب ، صدع يلتئم.
397) الألة ـ بفتح الهمز وتشديد اللام ـ ، السلاح وجميع أداة الحرب.
398) ركن إلى الشيء ، أخلد إليه.
399) شمس الفرس ، إذا كان لا يمكن أحدا من ركوبه أو اسراجه ، ولا يكاد يستقر. فهو شموس.
400) حزن الأرض ووعثها ، ما غلظ منها.

حمى عربه فالعجم لم يامنوهم وصال بكفار العدى مؤمنوهم
له الأرض الا جيرة اسكنوهم تقسمها ابناؤه وبنوهم
فلا فضل عن رمح واجرد سلهب
وخطارة (401) تخدى بأروع باسم ومطنوبة بين النجوم العواتم
5 ومنشورة فوق الجيوش الخضارم وزوراء مرنان (402) وأبيض صارم
وزغف دلاص كالغدير المثوب (403)
ولما ارتموا كالموج من بحر درهم وقد ضاق عن أقمارهم وسع جوهم
بنوا بالعوالي ما ارتضوا لعلوهم ولولا انفساح في بلاد عدوهم
لضاقت خطاهم عن مراح وملعب
10 تضمن سرا من سليل مطهر فلقى صونا في مغيب ومحضر
وأجبر من ناواه من متجبر وقدما تحفى الله من بخت نصر (404)
به والورى من هالك ومعذب
قضى الله في سكنى المفاز مفازه فأضفى عليه جاهه واعتزازه
وحلى بإفرند المضاء جوازه وجنبه أرض البوار وحازه
15 إلى معقل من حرزه متأشب (405)

---

1) وصال : ل. وصار : ك.
11) في : ل. من : ك.

---

401) الخطارة : الناقة التي تخطر بذنبها يمينا وشمالا من الخيلاء في الصولة والنشاط.
402) زوراء مرنان : قوس ذات صوت شديد.
403) الزغف والزغفة : الدرع المحكمة - كما أشرنا إلى ذلك سابقا. والدلاص : اللينة البراقة الملساء. والغدير المثوب : المملوء ماء.
404) انظر قصة غزوه للعرب في سبل الهدى والإرشاد 1 / 119.
405) تأشب الشجر : التف.

حباه من الاجمال أجزل حظه وخلصه من مغلظ القلب فظه
ونجاه حتى من تسمع لفظه وحل بأرمينية تحت حفظه
لدى ملك عن جانبيه مذبب
يشيد له ركني علاه ومجده ويقضي به حقي أبيه وجده
5 ولله سر فيه ان حان يبده فلما تجلى الروع أسرى بعبده
إلى حرم أمن لأبنائه اجتبى
أووا لمقام ما أعز مقيمه يجلون منه ركنه وحطيمه
وللشمل عقد يحفظون نظيمه وقد كان رد الله عنهم كليمه
ليالي يدعو دعوة المتغضب
10 ثووا مأمنا إن صاونوه يصنهم ومهما استعانوا الله فيه يعنهم
إلى أن فشا حب التغلب عنهم وجاء بنو يعقوب يشكون منهم
ينادونه هذا قتيل وذا سبي
رجوا سلب الأمر الذي بيديهم وقالوا لموسى سر بجيش إليهم
وإلا دعاء فهو أدهى لديهم فقال له، لا تدع موسى عليهم
15 فمنهم نبي اصطفيه واجتبي (406)
هو المرتضى في الأنبياء وحسبه سترفع قرباه ويشفع قربه
وفي بعثه هم تابعوه وصحبه أحبهم فيه رضى وأحبه
كذلك من يحببه يكرم ويحبب

4) ركني، ل. ركن، ك. حقي، ل. حق، ك.
10) ثووا مأمنا، ل. نزوا مامنا، ك.

406) يشير إلى ما رواه الزبير بن بكار من إغارة الضحاك بن معد على بني إسرائيل فقتل وسبى. فطلبت بنو إسرائيل من موسى أن يدعو عليهم ـ الحديث.

أفضلهم لما بلوت غيوبهم لتفضيل من ألفت فيه قلوبهم
وأنزع من شرب الصفاء ذنوبهم (407) واغفر إن يستغفروني - ذنوبهم
ومهما دعا داع اجبه وأقرب
رآهم كليم الله مثل الأيمة تضاعف حسناهم لرعي الأذمة
5 ويوهب عاص للمطيع المسمت فقال، إذن فاجعلهم - ربي - أمتي (408)
فمن ترضه يا رب يرض ويرغب
أفض بهم ممن طغى كل عروة واعتد كلا فيك صحبي وإخوتي
يشدون ازري أو يشيدون دعوتي فقال هم في آخر الدهر صفوتي
يفضون أعدائي ويستنصرون بي
10 خلال معد مالها من معدد فكم من تقى نفس إلى عز محتد
ومن بشر وهاب إلى هدي مرشد دعائم إيمان وأركان سؤدد
مضت بعلاها مهدد بنت جلحب (409)
خواتم أنساب كدرة خاتم تقضت وفضل القوم غير مقاوم
وكم بعدها من معلم متعالم ومصمد عدنان إلى جذم آدم
15 بأبين من قصد الصباح وألحب

---

1) غيوبهم ، ل. عيوبهم ، ك.
5) المسمت ، ل. المشمت ، ك.

---

407) الذنوب ، الدلو الملأى، أو الدلو العظيمة.
408) انظر نص الحديث في دلائل النبوة لا بن نعيم صفحة 230.
409) مهدد بنت جلحب أم معبد وزوج عدنان.

مناسب تشريف عدمنا شبيهها إذا نبهوا في شأو مجد نبيهها
ملاحقها فيه يباري وجيهها ونهي رسول الله صد وجوهها
وكان لنا في نظمها شد ملهب
نهى فانتهينا واستراحت عواذل فلا نقلة عما انتقى عنه ناقل
5 بمحكم ذاك الحكم أسكت قائل والافاد بن الهميسع مائل
ونبت بن قيذار سلالة أشجب (410)
حديث من الأنساب ما كان مفترى تجمع في ناديه مفترق الورى
فحلوا حمى رحب الذرى سامي الذرى وواجه اعراق الثرى كل من يرى
واسمع اسماعيل دعوة مكثب
10 بدورا تسام للتسامى تبادروا متى يتأخر سيد ساد أخر (411)
تقضوا وكل بالقضاء مؤازر وقام خليل الله يتلوه أزر
أغر صباحي لادهم عيهب
وكل عجاب عند آزر يلتقي مفجر صفو وهو أكدر مشرق
ومطلع إشراق وليس بمشرق إلى الناحر بن الشارغ الغمر يرتقي
15 وللراغ ثم القاسم الشامخ الأبي
تولوا وكل سابق الفخر باذخ تألقهم في دهمة الدهر شادخ
ومبناهم في ذروة العز شامخ ويعبر ينميه إلى المجد شالخ
إلى الرافد الوهاب برك وطيب

---

410) هذه الاعلام من هنا إلى اخر القصيدة يتصل نسبها باسماعيل - كما ياتي، وتذكر لدى المؤرخين مختلفة مضطربة. وربما جاء ذلك الخلاف من قبل اللغة. لأن الأسماء ترجمت من العبرانية.

411) ينظر إلى قول الشاعر:

إذا مات منا سيد قام سيد

فكم مصعب قادوه طوع جنابهم وكم حملوا من مرسل في إهابهم
فقد جاوزوا الجوزاء عند انتسابهم لسام أبى السامين طرا سمابهم
لنوح لملكان العلى لمثوب
اثيب على عقل وفضل مكمل بتكثير نسل في بقاء مطول
5 فبورك فيه من أغر محجل لإدريس ثم الرائد بن مهلهل
لقينن ثم الطاهر المتطيب
لقد فض عن سر العلى كل خاتم واحصى علوما ارشدت كل عالم
لرغم العدى مادونه من مراغم إلى هبة الرحمان شيت بن أدم
أبى البشر الا على لطين لأُثلب (412)
10 لمبدئنا عدنا وذل قيادنا فكيف افتخرنا - والتراب ولادنا
به عن قريب لحفنا ووسادنا فمنه خلقنا ثم فيه معادنا
ومنه إلى عدن فسدد وقرب (413)
على فطرة نحيا ونبعث في غد وبالسنة الغراء نهدى فنهتدي
برئنا إليها من غوي وملحد فنحن على دين النبي محمد
15 شفيع إلى استنقاذنا متأهب
إذا هال يوم الحشر واربد فجره تجلى رسول الله يشرق بشره
ونشر لواء الحمد يعبق نشره على موعد من ربه سيره
ببشراه في اليوم العبوس المقطب

---

10) يملك ، ك - ل. ولادنا ، ل. بلادنا ، ك.

12) فشدد ، ك. فسهل ، ل. وقد كتب فوقها (فسدد) - وهو الثابت في ظل الغمامة. ولذا اثبتناه في الصلب.

---

412) الأُثلب ، التراب،

413) اقتباس من حديث (سددوا وقاربوا).

لدار السلام اقتادنا بسلامـــة إمام لرسل الله أي امامـــة
يشرفه الرحمان يوم قيامـــة ويبعثه فيه مقام كرامـــة
وبشرى لأمن الخائف المترقب
شفاعة فوز توسع الكفر تعسه يقوم بها من شاد للدين أسه
5 وشرف نوع العالمين وجنسه وكل نبي لا يحدث نفسه
بها فهو منها في تفاد ومهرب
بما خصه ينسى عموم البريئة برى طاعة هجر العصاة المسيئة
فيسلمهم طرا لحكم المشيئة إذا أمه جمع يقول خطيئتي
ونفسي نفسي لست ذاك فجنب
10 سوى المرتقى منهم لأرفع رتبة عليه صلاة الله قدر محبتي
يبوئهم أكتاف قربى وقربة فيأتونه من بعد بأس وكربة
وقد ذهلت أم الصبي عن الصبي
ينادون يا أعلى النبيئين جانبا أتى كل عاص نحو فضلك راغبا
عسى الله ينجى من أوى لك هاربا فيسجد إعظاما ويضرع دائبا
15 إلى أن ينادى اشفع تشفع وتحبب
فيقضى لنا من رحمة الله في غد بتسع وتسعين (414) اختباها لموعد
ويشمل أهل الحشر جاه محمد وتلفظ نار الله كل موحد
مردى بغشيان الكبائر ملهب

6) تفاد ، ل. بعاد ، ك.

414) يشير إلى حديث ، جعل الله الرحمة مائة جزء. فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا. وأنزل إلى الأرض جزءا واحدا. فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ـ أخرجه الشيخان.

فيخرج أقوام من النار خفــت قد اصطرخوا حتى أهينوا وأصمتوا
فهم حمم لكن على الذكر ثبتــوا فيلقون في نهر الحياة لينبتــوا
نبات البزور (415)في حميل مجلب
فيأتي من الله البشير مبيضــا لما اسود من أبشارهم ومعوضــا
5 من اللهب الوقاد روضا مروضــا ويلحقهم فضل الشفاعة بالرضــى
كلوا واشربوا من خير أكل ومشرب (416)
فكل امرىء من خالص العقد بحته يرجى لدى هول المعاد وبغتــه
مفازا بتشفيع النبي لوقتــه سوى أن قوما جعجعوا بابن (417) بنته
وحفوا به من قاتل ومؤلب
10 فقد كفروا فضل الرسول ومنــه وضاع لديهم ما تــلاه وسنــه
أحين كساهم أمنه روعوا ابنــه وذادوه عن ماء الفرات وأنــه
لنهب العوافي من أسود وربرب (418)

---

2) ثبتوا ، ل. اثبتوا ، ك.
3) البزور ، ل. البنور ، ك.
8) مفازا ، ل. ففاز ، ك.

---

415) البزور ، جمع بزر ، كل حب يبذر. الواحدة بزرة.
416) يشير إلى حديث الشفاعة المطول. وقد أخرجه الشيخان. انظر مختلف روايته في الشفا 1 / 124.
417) جعجع به ، أزعجه وضيق عليه. ويعنى بابن بنته الحسين بن علي ويشير المؤلف إلى قصة قتل الحسين. وقد كتب عبيد الله بن زياد إلى عمرو بن سعد ، ان جعجع بالحسين. حتى يبلغك كتابي ورسولي.
انظر ابن الاثير. 4 / 57 والطبري 6 / 246.
418) الربرب ، القطيع من بقر الوحش - وهو يعنى بها - هنا الوحوش الضارية.

لدى الطف (419) ياويل لكل مطفف مصاب متى تسمع به الشمس تكسف

غدا بغيهم من سبط أحمد يشتفي وأنحوا على أوداجه كل مرهـــف

طرير وحزوا رأســه للتوثب

ولو قام يدعو واستغاث قديمــه إذاً لثناهم ذو الفقـــار هشيمــه

5 ولكنه في الخلد رام نعيمـــــه كأنهم لما أباحوا حريمـــــه

أباحوا حريم الديلمي المحرب

دهانا بشر معتد كل معتـــد وفجع خير الخلق في خير سيـد

وأهدى دجى ثكل لأنور ملحـد فياربنا ماذا جزاء محمـد

وواتره في أهله كالمكذب

10 لقوا في جحيم رجـــزه ونكالـــه كما أثكلوا الهادي بنيــه وآلـــه

وسبطا غدا ريحانة في الدنى (420) له وقاتله قد فات عن أن تنالـــه

شفاعته أو أن يقال له اقرب

أثارت لهم ثارات عتبة (421) ـ ضغنهم وقلب تذكار القليـب (422) مجنهـم

فمن لم يباشر طعنهم يخش لعنهـم برئنا إلى الرحمان منهم وأنهـــم

15 لأجهل جهال وأخيب خيب

---

12) اقرب : ل. اشرب : ك.

13) القليب : ل. القريب : ك.

---

419) الطف : مكان قتل الحسين على شاطىء الفرات. انظر العقد الفريد 3 / 141. وابن الاثير. 4 / 78 والطبري 6 / 227. والمسعودي 3 / 71.

320) يشير إلى حديث : هما ريحانتاي من الدنيا . ـ رواه البخاري والترمذي.

421) يعنى به : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الذي قتله علي في غزوة بدر.

422) يريد أن القاء المشركين في القليب يوم بدر. ودعاء الرسول عليهم : هو الذي حرك ضغائن احفادهم. وجعلهم يقلبون ظهر المجن لسبط الرسول ـ عليه السلام.

بنفسي رسول شرف الرسل أجمعا لتذكاره ذبنا نفوسا وأدمعـــــا
ومهما عثرنا قال إحسانه لعا (423) وانا لنرضيه وأصحابــه معـــا
ونأخذ بالاجماع دون التشعب (424)
نرتب صحب المصطفى طوع وفقه ونحمل مسكوتا على حكم نطقـــه
5 ونرعى لذى سبق مزية سبقــــه ونعطي أبا بكر عتيقـا بحقـــه
ونجرى إلى حفظ النظام المرتب
عتيق بن عثمان معم ومخـــــول لأوفر أقسام السعــود مخـــول
بتفضيله نص أتى ومـــــؤول وما قبل ثانيه من النـــاس أول
ولا مثل ثاني اثنين (425) مدحة مطنب
10 تنحب تيم رهطــــه وفريقـــه وأنجبه محض العــلاء عريقـــه
وسدد خيـر الأنبيـاء طريقـــه ومن ينتقص صديقـه ورفيقـــه
وصاحبه في الغار يشرق ويشجب
ويحبط من الخيرات ما كان عاملا ويخبط بليل لا يرى النجم آفـلا
ويدرج نفاقا بين جنبيه قاتـــلا ويخرج من الإيمان ان كان داخلا
15 وان يأت يستعتب فليس بمعتب

---

7) مخول ، ل. المخول ، ك.
10) وفريقه ، ل. وفراقه ، ك.

---

423) «لعا» ـ كلمة تقال للعاثر دعاء له ، أي أنعشك الله. وأقامك من عثرتك.
424) التشعب ، التفرق.
425) يشير إلى قوله ـ تعالى ـ ، ((ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)).

لقد حاز في الإسلام خصل سباقه فرباه سقطا (426) عالما بائتلاقه
وأحياه حين ارتد أهل شقاقــــه مؤلف شمل الدين بعد افتراقــــه
وكاشف خطب الردة المتعصب
معادي الورى يبغي لأحمد خلـة ومفنى القنا حتى تخلـل شملـــة
5 ولابس صديقية الله حلـــة وقاتل قوم فرقوا الدين ضلــــة
وقالوا صلاة لا زكاة فذبذب
فلو لم يقدهم ـ والجفون غضيضـة ـ إلى الصفح قدتهم صفاح عريضـة
شفى ملة الإسلام وهي مريضـــة فقال الصلاة والزكاة فريضــــة
وليست صلاة من زكاة بأوجب
10 أللشرع تبديل وما بعد المـــدى بتفريقهم للدين أمهوا(427)له المدى
أجاهدهم جهدي فهم أعظم العـدى ومالهم ـ عندى ـ سوى سنة الهدى
أو السيف فليدن أمر أو ليعزب
كسا العرب ـ لما آمنت برد أمنه فزارته من سهل المزار وحزنــــه
لخوف يمانيه وتأميل منــــــه وكانت لسيف (428) الله فيها بيمنه
15 حروب شفت من كل غل ونيرب (429)
إمامته الصغرى أشارت وحسبـــه إلى صحة الكبرى فبودر نصبـــه
وفي قول «يأبى الله» زاد التنبـــه إمام ينام المسلمــــون وجنبـه
على حسك السعدان يجفو وينتبي

---

426) يعنى بادية أمره.
427) امهوا ـ من امهى الحديدة إذا رققها. والمدى جمع مدية ، الشفرة ـ يريد انهم يكيدون للإسلام ويعملون للقضاء عليه.
428) يعنى به خالد بن الوليد.
429) في هامش (ل) ، (النيرب) ، الحرب. والنيرب ، الشر أيضا .

رحيم السجايا يوسع الشرك نقمة سنا عدله لم يبق للظلم ظلمة
وشاد بنا الإسلام حكما وحكمة إلى أن جلاها كربة مدلهمة
بعارض موت للمنايا به حبي
تملك دنيا لم يعرها تلفتا وساس البرايا ماضيا متثبتا
5 وجمع وحي الله (430) في الصحف مثبتا ومهد للإسلام حيا وميتا
فأعظم به من حول الرأي قلب

بحسناه سار الناس أرفق سيرهم ولكن عناه بعده خوف ضيرهم
فأوصى إلى الوافي بتسكين طيرهم وعلق أبصار العباد بخيرهم
وأمضاهم في الله هبة مضرب
10 بأوقر في ناد وأسبق في مدى وأصعب في بأس وأسهل في ندى
وأرحم في صحب وأبطش في عدى وأربطهم جاشا وأطولهم يدا
وأثقلهم وطئا على كل مشغب
حسام عدي حاسمى عمر من عدا نجيب نفيل نافلي سلب العدا
سلالة خطاب (431) خطيب من انتدى ابى حفص الفاروق عز به الهدى
15 وجاهر أهل الكفر لم يتهيب
رعى ملة رد الممالك ملكها وهامت به الدنيا فلم يعد فكرها (432)
وزاد إلى عدل الخلافة نسكها وعز فبز الفرس والروم ملكها
ومن يعتصم بالله يغلب ويسلب

---

430) يشير إلى جمعه القرآن الكريم بعد حرب اليمامة وموت كثير من القراء الصحابة.

431) يشير إلى نسب عمر.

432) فركها - بكسر الفاء - بغضها.

جبابرة الأملاك طرا له عنــــت فقسم أسلاب القصور التي ابتنــت
وقصم أصلاب الجنود التي اقتنــت ودوخ آفــاق البــلاد فأذعنــت
وألقت إليه كل مسرى ومسرب

فكم نقد الأبطال نقــد زيوفــه وجهز رأيا مغنيا عن ألوفــه
5 وبيض وجه الدين حمر زيوفــه وأفنت حماة السرخ بيض سيوفــه
فلم يبق إلا كل ألعس أشنب

فمن فضة في المعدمين يفيضهــا وذاهب أذهاب بأجر يعيضهــا
أفيئت عليه صفر دنيا وبيضهــا وفضت كنوز القوم يعشي وميضها
بزرق وحمر في نضار مشبب

10 فكسرى كسير تستباح سروحــه وقيصر مقصور تهــد صروحــه
محاهم تقي تاق للخلد روحــه فلما اقتضت وعد الرسول فتوحــه
وقضى وأمضى كل هم ومأرب

وفي الدين والدنيا حبته إرادة وللملأ الأعلى دعته وفــادة
وحنت له عدن وحانت سعــادة أتته - ولم يوجف عليها - شهادة
15 وان تناه يعنق اليها وينصب

تلقى حبيبيه بنفس تطهــرت وجاور في دار زكت وتعطــرت
وأبقى عهودا للامامــة قــررت وخيرها في ستــة فتخيــرت
مبوأ صدق بابن أروى (433) المحبب

---

(17) للامة : ل. للامانة : ك.

---

(433) يعني به عثمان بن عفان.

بذي مهجة عنـد النبـي زكيـــة وذى رتبة عند الإله عليـــة

وذي سيرة عند الانـــام رضيـــة بعثمان ذي النورين بعل رقيـــة

إلى أم كلثوم فأثل وأشب (334)

رعى الله منه زاكي الخيم بـــره مواصلة الأرحام ترفـــع قـــدره

5 وتثنية الاصهار تجمـع فخـــره وكان رسول الله يحمد صهـــره

وصهر أبي العاصى الرضى بعل زينب

هلال كمال والمعالـي سمـــاؤه هزبر صيال بالدعـاء احتمـــاؤه

غمام نوال بالنضار انهمـــاؤه صريح لاقداح النضار انتمـــاؤه

إلى كل نفاح المكاسر صلب

10 زكا من أبي عمرو حضور وغيبـة وفاز مزجيـه وللعـذل خيبـــة

له بالندى حب وبالنسك هيبـــة تلاقى عليه عبد شمس وشيبـــة

وان يلق مزنا وافد الريح يسكب

وبويع عنه بيعة نال رشدهـــا بأكرم كف أكرم الخلق مدها (435)

لذلك أصفته البرية ودهـــا إذا ما تلقته الملائـــك ردهـــا

15 حياء مردى بالحياء مجلبب (436)

---

1) الاله زكية : ل. النبي زكية : ك ـ وهي أنسب.

4) منه : ك ـ ل.

8) انتماؤه : ل. وماؤه : ك.

---

434) أثل وأشب : تأصل.

435) يشير إلى مبايعة الرسول عنه في صلح الحديبية.

انظر سيرة ابن هشام بشرح الروض الانف ج 2 / 128 والصحيح بشرح الفتح 8 / 60 ـ 61.

436) يعني به حديث عائشة : الا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة رواه مسلم.

تقدم بالإسلام أكثـــر صحبـــه ونال الرضى في هجرتيه لربه (437)
وأنفق في الحسنى كرائم كسبـــه وجهز جيش العسر (438) ـ منفردا به
وقال لخيل الله سيري وأهذب

أطاق خطوبا ما ادعى الهضب طوقها بنفس إلى الفردوس (439) عجل سوقها
5 فأبدت له الولدان والحور شوقهـا وفي مسجد التقوى المؤسس فوقها
مناقب وافت اذن كل منقب

توقى يمين الصدق يوم حكومـــة بألف مئات وافتدى من خصومـة
ونال من العلياء كل مرومـــــة وسقى عباد الله من بير رومة (440)
بانجع من ماء الغوادي وأعذب

10 أذال مصون الصين بالخيل تلتقــي وفي جمع إفريقيــة بالتفــــرق
فمزق شمل الكفر كـــل ممـــزق وكم أثر باد وفتح مشــــــرق
وآخر في أقصى البلاد مغرب (441)

---

4) ما أدعى : ل. مدعى : ك الفردوس : ل ـ ك. وكتب فوقها في نسخة ل : (رضوان).
10) وفي : ك. ورسمت في نسخة (ل) على شكل (رمى).
11) باد : ل. باق : ك.

---

437) يشير إلى اسلامه المبكر على يد أبي بكر. وإلى هجرته إلى الحبشة والمدينة.
438) يعني غزوة تبوك. وهو يشير إلى حديث من جهز جيش العسرة فله الجنة. فجهزه عثمان ذكره البخاري معلقا. وأخرجه غيره. انظر الفتح 7 / 54.
439) يشير إلى حديث : بشره بالجنة على بلوى ستصيبه ـ انظر صحيح البخاري بشرح الفتح 8 / 54.
440) جاء في حديث : من يحفر بئر رومة فله الجنة. ـ فحفرها عثمان.
441) يريد فتوحاته في المشرق والمغرب.

تنازع قوم في تـلاوة أحـــــرف فألزم صحب المصطفى كتب مصحف
ورد له القراء دون توقـــــــف وذاد عن القرآن كـل محـرف
على الله في آياته متكذب (442)

رعى الدين رعي الهزبرى المنجـذ على حذو خليه من البر يحتذي
5 وسل كل حبر من بخارى وترمذ إلى أن أتاه صادق الموعد الـــذي
تقدم يوم القف بعد تجنب

فلما انقضى نسك به وعبـــادة تشوقت الحسنى لـه وزيــــادة
وقيل غدا صمه تفطرك ســـادة وأفضت به نحو الجنان شهـــادة
ممحصة وافت به حش كوكب

10 نهى عن قتال ـ والقلوب كليمـة وصحب الهدى بالذب عنه رغمية
وصابر في بلواه ـ وهي أليمـــة وسيقت إلى الرحمان نفس كريمة
على الحق فري جلدها عض أكلب

هناك تحرى القوم في الفضل نده فسد مكانا ذو المكانة عنــــده
وأغنته شورى أن يجـدد عهـــده وبويع خير الناس لا شك بعـده
15 ولو جوبوا في الأرض كل مجوب

---

9) ممحصة : ل. ممحضة : ك.
12) على الحق ... عض أكلب) : ل ـ ك.

---

442) يشير إلى حسمه النزاع بين الصحابة في تلاوة لقرآن بعدة أحرف، فأمر بجمع القرآن في مصحف بتلاوة واحدة ـ كما هو مفصل في علوم القرآن.

أبو الحسن(443) المرضي من خير معشر لفاطمة الغراء بنـــت غضنفـــر
صفي وصهر وابن عم موقـــــر علي أبو السبطين صاحب خيبـــر
وعمرو بن ود والوليد ومرحب (444)
بغر المزايا مفرد دون شركـــــة عفيف له في الحرب أهول فتكـــة
5 سطا حاسرا والبأس أحصن شكـة أقام على الافلاذ أفلاذ مكـــــة
ببطشة بدر كل نوح ومندب (445)
عدا عن قليب الصفو صف عديها وجلاهم أن يرتعوا في حليهـــا
ورواهم بالطعن قبل رويهـــــا فكم منطو من سرهم في طويهـا
وقد كان كالجذع الطويل المشذب
10 على فضله تثنى الخناصـــر أولا وتثنى الطلى عجبا به حين يجتلى
بدا حالي الاسماء أو سامى الحلى لعبد مناف ذى الزعامة والعلـــى
أبى طالب أعجب به ثم أعجب
تبنى رسول الله فيما رويتـه فأنس محياه وأوحش موتـه
سما صيته في العرب وامتلا صوته مطل على أبيات مكة بيتــــــه
15 ومقتبس من نوره كل أخشب

---

7) صف : ل. صفو : ك.
8) سرهم : ل. سره : ك.
10) يجتلى : ل. يبتلى : ك.
14) سما صيته : ل. سما صوته : ك.

---

443) يعنى به علي بن أبي طالب.
444) أورد المؤلف طائفة ممن بارزهم علي فقضى عليهم، وهم أبطال قومهم.
445) يشيد المؤلف ببطولة علي في غزوة بدر.

لكهف قريش حتف كل معانـــد لمعقلها الواقي لها في الشدائـــد
لسيدها الملقى له بالمقالــــد لحامي رسول الله من كل كائـد
ومانعه الفادي له المتعصب
يروع العدا حتى بطارق طيفـــه ويعطى مناه من منـاه وخيفـــه
5 ولم يأل نصحا للغفاري ضيفـــه ليالي لا يأوى إلى غير سيفـــه
ولا ناصر يعدي ولا متحزب
وإذ جاء غاو للنبوءة كائــــــد وقى ربها ثم ابن عم معاضــــد
عشية يجفوه شقيق ووالــــــد وإذ جل قرباه رجال أباعـــد
يطوف منهم بين صل وعقرب
10 أقام فروض الخمس وهو ابن خمسه(446) وزاد لهدي ابنيه تطهير عرســـه
فصف لي رحماه وشدة بأســــه له بأبيه الحق ثم بنفســــــه
علينا - وعقد الدين لم يتأرب
أفاءت له دثر الخــلال ظباتـــه فأفنته في أدنى الزمان هباتـــه
فقد قبلت عند الركوع زكاتـــه وقد سبقت أهل الصلاة صلاتـــه
15 بسبع (447) فكم فضل هناك موجب

---

(11) يتأرب : ل. يتأوب : ك
(13) ظباته : ل. صلاته : ك.
(15) هناك : ل. هنالك : ك.

---

446) فكان أول من أسلم من الصبيان أو ... الأصح من الذكور.
انظر سيرة ابن هشام - الروض الانف 1 ... والاستيعاب 3 / 106.
447) يشير إلى ما روى من حديث : (... وصلينا مستخفين قبل أن يصلي معنا أحد سبع سنين وأشهرا).

وآخاه أعلى من تعمم وارتـــدى وشرفه بالبر في كل منتـــدى

وأحفى له البشرى وأضفى له الجدا وخص من الزهراء فاطمة الهـــدى

بأزكى نساء العالمين وأطيب

جرى والصحاب الغر في شأو سؤدد فشاركهم في مجدهم شركة اليد

5 وسوغ مجدا حازه حوز مفـــرد وفضل بالسبطين سبطي محمـد

ولا سبط في الدنيا فشرق وغرب

فأهلا بأدنى صاحب وأمتـــــه تنكب عن وعر السبيل وأمته (448)

وسار على هدي الرسول وسمتـــه ومنزله منه على قرب بيتــــــه

كهارون من (449) موسى فقرب وقرب

10 فكم كربة جلى عن الدين عضبه ولا مشهد إلا يشاهد قربـــــه

ومن كنت مولاه كفته وحسبـــه وعهد إليه انه لا يحبـــــــــه

سوى مومن فاحكم على المبغض الغبي

إخاء رسول (450) الله أثل مجده فمن ثم يتسملى تقاه وزهـــده

إمام هدى في العدل أنفل جهـــده وسيان ترب الأرض والتبر عنـده

15 وقدر عديم في الحقوق ومترب

---

2) وأحفى : ل. واخفى : ك.

---

448) مت إليه بقرابة : انتسب إليه والأمت : المرتفع

449) يشير إلى حديث : (اما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى). أخرجه أحمد والبخاري ومسلم.

انظر الفتح 76/8. والنووى على مسلم 174/15.

450) أخرج الترمذي عن ابن عمر قال : اخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال : يا رسول الله. اخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد. فقال - صلى الله عليه وسلم - : أنت أخى في الدنيا والاخرة.

إذا جنت الظلماء طار هجوعــه وقطعها قرآنـــه وركوعـــه
واضواء من زهر النجوم دموعـــه ولما تولى الأُمر زاد خشوعـــه
وطلق دنياه وقال لها اغرب (451)

أبعد ابن عم للامامة غايـــة وقد عم اجماع وخصت روايـــة
5 أما تنجلي عن أهل شك عمايـــة وفي قتل عمار (452) بصفين آية
وفي نابحات الركب ليلا (453) بحوأب

ندين بحب للجماعـة جامـــع ونبدع مدحا في قواف بدائـــع
سوابقهم تكفي فحد عن منـــازع وكل إلى صفح من الله واســـع
وجنات عدن فاطرح قول مجلب

10 سلوا المستحلين الذين أحلهـــم حرورية ذات الحرور أحلهـــم
تلقاه فيهم صادق الوعد قبلهـــم وان قتال المارقين وقتلهـــم
لأعظم برهان وأكبر موهب

---

3) أغرب : ل. أعزب : ك.

6) بصواب : ل. لجواب : ك.

10) احلهم : . ادلهم : ك.

12) وأكبر : ل. واكرم : ك.

---

451) يروى عن علي أنه قال : يادنيا غري غيري. قد ابنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك انظر نهج البلاغة 3 / 166. والمسعودي 2 / 433

452) يعني عمار بن ياسر. ويشير إلى حديث : ويح عمار تقتله الفئة الباغية.

453) يشير إلى ما روى من حديث : (ليت شعري ايتكن تنبحها كلاب الحوأب. وإياك أن تكوني أنت يا حميراء).

كفاه نقابا واستمعها مناقبـــــا إشارته للفود ينعت خاضبـــــا

واشاده بيت الزبيري - عنه (454) واخبره عن ذي الثدية (455) غائبـــ

بخبء فلما قتلوا ظهر الخبي

إذا رامت الأقوال حصـرا لفعلـــه فقد عالجت من عالج عد(456)رمله

5 ولم تقض بعض الحق بالمدح كله وما تبلغ الأوصاف غاية فضلـــه

ولكن كل الصيد في (456) جوف قرهب

دهتنا فأهوال المعاد معـــادة خبيئة خب من مراد مـــرادة

تولى فاحزان العباد عبـــادة إمام سعيد صبحتــه شهـــادة

بضربة أشقى العالمين (457) وأخيب

10 ضياء لميراث النبوءة قد خبـــا فأظلمت الآفاق شرقا ومغربـــا

سكينة أرض أذهبت يوم أذهبـــا فأعزز على الإسلام ما هبت الصبا

بشيب كريم من شواه مخضب

---

2) الثدية : ل. الندية : ك

---

454) لعله يشير إلى ما ذكره ابن سعد عن أبي الطفيل ان عليا دعا الناس إلى البيعة. فجاء عبد الرحمان بن ملجم المرادي. فرده مرتين. ثم أتاه فقال : ما يحبس اشقاها ؟ لتخضبن أو لتصبغن هذه من هذا - يعني لحيته من رأسه. ثم تمثل بهذين البيتين :

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت اتيك

ولا تجزع مــن القتل إذا حل بواديك

455) ويقال له المخدج : انظر قصة خبره في تاريخ المسعودي ج 2 / 417.

456) عالج رملة بالبادية مسيرة اربع ليال انظر معجم البلدان (علج).

456 - مكرر) - القهرب : الثور الوحشي المسن يشير إلى المثل : كل الصيد في جوف الفرا

انظر حياة الحيوان الجزء الثاني 205/2.

457) يعني ابن ملجم. ويشير إلى حديث : من أشقى الأولين ؟ قال : الذي عقر الناقة. قال : صدقت. قال : فمن أشقى الاخرين ؟ قال : الذي يضربك على هذا - يعني يافوخك ويخضب هذه - يعني لحيته).

انظر مسند أحمد 4 / 123. والنسائي في خصائصه صفحة 39.

إلى مجده عجنا بأبدع مدحــــة ومن رشده فزنا بأوسع منحــــة
وعن فقده أبنا بأفجع ترحـــــة وفي منتهى الشورى الزبير وطلحة
وسعد تناهى كل فخر ومنقب

اكابر اعلام على العلم نقبــــوا قضى الله أن حبوا لديه وان حبوا
5 قد انتخبوا للسابقـــات وأنجبـــوا فذا ابن عبيد الله طلحة موجــــب
وهذان مفديان بالأم والأب

فمنهم مجاب الأدعيات برحمـــــة وأسمح معطاء وأشجع بهمـــة
فلم لا نقضى العمر في رعي حرمة وذا صنو صديق وذاك ابن عمـــة
وذلك خال من يشابكه ينجب

10 حلا صفوة الابرار أصفى تحببــى هواهم من الدارين ذخري ومكسبي
وبالمدح فيهم نحو ربي تقربـــي وفضل ابن عوف والأمير الرضى أبي
عبيدة فضل من يغالبه يغلب

بانفاق ذا يفنى تليد وطـــــارف وذا زاهد لم تستمله الزخـــــــارف
فحسبي وصفا أن تحير واصـــــف وعاشر أهل الطود والطود راجـــف
15 عريق هدى في الجاهلية مثقب

تسامى عن الدنيا الدنيــــة همـة ولا مشهد إلا سطا فيـــه بهمـــــة
وان غاب عذرا يعط أجرا وقسمـــة ويأتي أبوه في القيامة أمـــــة
وقد كان في الدنيا كمنقاء مغرب

---

2) منتهى : ل. خمسة : ك.

10) تحببي : ل. محبب : ك.

14) وعاشر : ل. اعاشر : ك.

هم عشرة (457) حازوا الكمال ضريبة وحلوا بفردوس قصورا رحيبة

وواحدهم ما زال يلقى كتيبة وكل لفهر أو قصي صليبة

يقارع منهم كل نبع بأصلب

مفلل هندي منيل هنيدة حلاه كسلسال بصفو شهيدة

5 فكيف لنا عن حبهم بعض حيدة وأين بنا عن حمزة وعبيدة

ليوم كفاح قاتم اللون أكهب

فكم قد أباحا من نفوس منيعة بمشرعة تحمي أجل شريعة

وقاطعة سلت لأهل قطيعة هما بطشا في الحرب بابني ربيعة

فعادا نهابا بين ناب ومخلب

10 هما هضبتا ثهلان أرسى وقاره فذا ملجأ الخاشي وذا مستجاره

فمن قل حاميه وقل غراره فذا أسد الله المنيع ذماره

متى يلقه ليث الخفية ينشب

هما أوحداها في مساع نبيهة فذا خير بذال لنفس نزيهة

وكعب إياد في أياد بدهية وذا بهمة لا ينثني عن كريهة

15 متى يدع يوما للردى يتوثب

وللأب صنو ما أبر وأمجدا عميد قريش مستغاثا ومجتدا

ومن ورثت أعقابه الملك سرمدا وذو الصوت والصيت البعيدين في الندى

وفي الحرب مهمى يطعن القرن يضرب

---

7) تحمي ، ل. أن يحيى ، ك.

16) ابر : ل. أبد : ك.

17) المدى : ل. الندى : ك.

---

457 ـ مكرر) ـ يعني العشرة المبشرة بالجنة.

يعانق أعطاف القنى دون أبهـــة ويعرض سمعا عن تسمع بهــــة
ويندِه ذا حرب ويحبو بندهة (458) أبو الفضل مأوى الفضل من كل وجهة
ومفضى سماء الفخر من كل مسكب

أنيس رسول الله ـ والسمر أشرعت يفرق عنه ما هوازن جمعــــت
5 ويثبت فردا والضراغم صرعـــت دعا في حنين دعوة فتقطعـــت
بنو قيلة من محضر ومخبب

سقى حرميها والحفاظ يهجه (459) فـــذا بدعـــاء للسمـــاء عروجـــه
وذا بزلال تعتفيـــــه حجيجـه مقبل ظعن الحي أوفت حدوجـــه
فناهيك من سبط المفاصل شوذب

10 مضوا بمواض للنفوس مفيتـــــة وأرواح صدق في الوغى مستميتة
ففي الله قد فازوا بأشـــرف ميتـــة وفي ذي الجناحين الشهيد بمؤتة(460)
فضائل مهمى يحسب الرمل تحسب

صفي لخير الخلق أحفى معاشـــر ومشبهه من بين صيد أكابـــر
بخلق بهاء أو بخلق مآثـــــــر أفض عباد الله قلبا لكافـــــر
15 وأرأفهم بالمومن المترهب

---

(2) ويندِه ذا حوب : ل. ويندب ذا حرب : ك.

---

(458) ندهه : زجره ومنعه. والحوب : الإثم. ويحبو : يعطي. والندهة : الكثرة في المال وغيره.
(459) يهجه : يهدمه.
(460) يعني جعفر بن أبي طالب المعروف بالطائر استشهد في غزوة مؤته
انظر سيرة ابن هشام ـ الروض الانف ج 4 / 72 / 80.

عمومة خير الخلق للخلق قـدوة وأقمار أم الفضل للفضل صفـوة
وستتها ما مثلهم قـط اخـوة وللحبر عبد الله والبحر دعـوة
علت وانثنت مقبولة لم تحجب

جمال لدى النادي ثمال لدى الندى روى هادي الأحكام أو حكم الهدى
5 وفاق شيوخا - والصبا بعد مرتدى وفقه في التأويل والدين فاغتدى
إماما متى يقرع به الخصم يكبب

بنو هاشم سادات دهر بهم حسن فلولاهم لم تبق دنيا ولم تكن
إذا الحرب جاشت فالحصون لهم حصن ومولاهم زيد الكتائب منهم انـ (461)(8)
ـتماء وان تنسب قضاعة ينسب

10 تغرس قبل البعث صدق علامـة فآثر ملكا من نبي كرامـة
على رفعة في قومه وزعامـة أبو الحب في حجر النبي اسامـة
فاحبب بهذا ثم هذا وأحبب

---

8) (قوله (انتماء) من المدمج. والادماج في الشعر أن يوقف في نصف البيت على بعض الكلمة) : ل - ك.
وكتب بهامش نسخة ل : (هذا السطر وجدته في الأصل ملحقا هنا بالطرة. وأدخلته - على ما قوي عندي الظن به - أنه من الأصل. فكتبته متصلا بما قبله في الطرة وإن لم يصحح عليه).
وحيث لم تثبت هذه الزيادة في النسخ الأخرى. والناسخ نفسه يعترف أنها كانت طرة فأدخلها هو في الصلب على ما قوى عنده - اثرنا أن تبقى طرة كما كانت . ولم ندرجه في الصلب - مكتفين بإثباتها في الفروق.

---

461) حرصا على الوزن والقافية في الشطر الرابع من هذا التخميس. وحتى يستقيم الوزن في الشطر الخامس. آثرنا تقسيم كلمة ((انتماء)) فجاءت هكذا :
(ومولاهم زيد الكتائب منهم انـ
ـتمـاء ...)

مدحت رسول الله من شغف بـه   وأحببت أهليه بفضلة حبــــه
وأجللت أبرارا تساموا بقربــــه   ومن ذا الذي يحصي فضائل صحبه
وان يستمد البحر ينزف و ينضب

وفت لرسول الله صفقة كفهــم   فهم معه في الخلد في نعم طرفهم
5 كما معه خاضوا الردى يوم زحفهم   هم صفوة جاء الكتاب بوصفهــم
فما بعده فضل من المتأدب

فواخجلي لـولا عميــم ارتياحهـــم   فنحت سهى نظمي بشمس التماحهم
وأغرقت أوشالي ببحر سماحهــم   بلى إن في أوصافهم وامتداحهــم
رضى الله فازهد في المديح أو ارغب

10 فكم في معد من معد ذخائــر   وفي يعرب من معرب عن مفاخـر
صحابة خير الخلق خير معاشــر   وكم فيهم من مستميت مهاجــر
سريع إلى أقرانه متلبب

وناشىء سرو في سراوة أبطــح   وداعي نزار صالح السر مصلــح
وذى يمن سمح الخلائق مسمــح   وندب من الأنصار غمر ممــدح
15 محيا مبكى بالقلوب مندب

بخزرجه أو أوسه ـ وهما همــا ـ أعز الهدى لما حماه حماهمــا
فكم أنجبا ممن يشيد علاهمــا   كسعد أبي قيس وقيس(462) كلاهما
يماني صلاء كاليماني المشطب

---

(5) كما : ل. فما : ك

---

(462) يعني بهم سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي وولده قيس - انظر في مناقب سعد الاستيعاب 2 / 594 - 599
وولده قيس ج 3 / 1289 - 1293

يقود المذاكي سابغات ظلالهـــا وقد قد من خد العزيز جلالهـــا

وصاغ بتيجان الملوك نعالهـــا تحامت قريش بأسه إذ سما لهـــا

بأرعن في قتل الكماة مدرب

بتكريمه دان الاكارم أجمـــع وغيرته في الله تحمى وتمنـــع

5 ،ونار قراه بالكباء تضـــوع وقال رسول الله - برا به - اسمعوا

لسيدكم في محفل متلجب

من المستحقين الرضى عند ربهـــم برائق جدواهم ورائع حربهـــم

تخيره الهادي نقيبا لحزبهـــم من الخزرجيين الذين سمت بهـــم

خؤولته في كل مجد منصب

10 حوى الشرف السعدان (463) فاسمع مقالـــه أرى مرتع السعدان لا نبت طالـــــه

فللساعدي العز يضفي ظلالـــه ولابن معاذ سيد (464) الأوس ماله

حديث لعمر الله غير مكذب

فحبي من طلق المحيا وسيمـــه ملائك عدن هزة لقدومـــــه

أقلت سريرا سار فوق نجومه (465) مناديله قد أنبأت عن نعيمه (466)

15 وكم شاهد ينبيك عن متغيب

---

(1) طاغين : ل. الطاغين : ك.

---

(463) يعني سعد بن عبدة الخزرجي الانف الذكر. وسعد بن معاذ الأنصاري.

(464) انظر في مناقبه : طبقات ابن سعد 3 / 420 - 436. والاستيعاب 2 / 602 - 605. والفتح 8 / 123

(465) يشير إلى حديث : لقد نزل من الملائكة في جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفا ما وطئوا الأرض قبل. وفي رواية أن الملائكة حملته

انظر الاستيعاب 2 / 603 - 604.

(466) يروى عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في حلة راها تشترى - : لمنديل من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها

قال ابن عبد البر : وهو حديث ثابت. الاستيعاب 2 / 604

قضى من جهاد الشرك كل لبانــة وحكم في طاغين أهل خيانــة

فوافق حكم الله وفق (467) اعانـــــة وأبدى اهتزاز العرش(468)عن ذى مكانة

يقال له انعم وارض غير مثرب

تحمل عبء الحق دون شكيـــــة وجاد بمال ثم نفس زكيـــــة

5 فعين التي تبكيه غير بكيـــــة من الاوس في جرثومـــة مالكيـة

درائية فادراً بها الناس تغلب

ومنهم سماك(469)خام عنه المصالت وتواب صدق في السلاسل قانـــت

وذو المنطق الحكمى ينميه صامت(470) وعن لنا قبل المعاذين ثابـــت

وحارثة سهل بكل ورحب

---

5) التي ، ل. الذي ، ك.

6) تغلب ، ل. تغرب ، ك.

---

467) يشير إلى ما روى أنه حكم في بني قريظة. فحكم بقتل المقاتلة وسبى الذرية. فقال - صلى الله عليه وسلم - : لقد حكمت فيكم بحكم الله من فوق سبع سماوات - المرجع السابق.

468) جاء في حديث : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ.
قال ابن عبد البر : وهو حديث روى من وجوه عدة كثيرة متواترة.
الاستيعاب 2 / 604. ش

469) يعني به سماك بن حرشة أبو دجانة الأنصاري.
انظر الطبقات 5563. والاستيعاب 2 / 651.

470) دخل على أبي دجانة وهو مريض - وكان وجهه يتهلل. فقيل له : ما لوجهك يتهلل ؟ فقال : ما من عملى شيء أوثق من اثنين : أما إحدهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني.
انظر الطبقات 3 / 557.

شجاني فراق للاحبة باغـــــت فجسمي به خاف وروحي خافـــت

فنيت وودي في ذوي النصـر ثابـــت ميامن منهم اخطب الناس (471) ثابت

وكان متى يستأسد الخطب يخطب

راهم توقوا كل اثم وحوبـــــة فزادهم تقوى وتجديد توبـــــة

5 وشد عهودا في حضور وغيبـــــة وقام وقد حل الرســول بطيبـــة

بأسير قول في البلاد وأذهب

وقال خلعنا اللات خلع لبوسنـــــا سنشرب فيك الموت ملء كئوسنا

ونعرض عن أقمارنا وشموسنـــا وقال متى نمنعك منع نفوسنـــا

وأموالنا ماذا لنا من تثوب

10 حلت عندنا فيك الوغى وهي مرة فماذا توفى أمة بك بـــــرة

إذا حان للخلق الذي باد ـ كـــرة فقال خلود في الجنان ونضـــرة

فقال رضينا فادع من شئت واندب

وحنظلة بشراه (472) في فوز سهمه لقد طهرت بالسفح طاهر جسمـــه

ملائكة نعم الاســاة لكلمـــــه وحارثة (473) قال الرسول لأمـــه

15 ببدر وقد قالت لعبرتها اسكب

---

10) حلت ، ل. جلت ، ك.

---

471) يريد به ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار. ويقال ، خطيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

انظر الاستعاب.

472) يعنى به حنظلة الغسيل. ويعرف بغسيل الملائكة. قتل يوم أحد شهيدا. وكان الم بأهله حين خروجه إلى أحد. ثم أعجل على الخروج قبل أن يغسل. فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إن الملائكة غسلته. انظر الاستيعاب 1 / 380 ـ 382.

473) اراد به حارثة بن سراقة. شهد بدرا وقتل يومئذ شهيدا.

رويدك من فرط الاسى والتأسف أيبكي لمحبور بقصر مزخـــرف
ومتكيء فيه على خضر رفـــرف أفيقي أفيقي إن حارثة لفـــي
نعيم جنان (474) للحسيفة مذهب

لهم قدم للصدق بالشهب تحتذي وسل بمعاذ أو أخيه معوذ (475)
5 عن جدلا عمرو العدا (476) دون منفذ ومنهم معاذ أعلم (477) الناس بالذي
أحل لهم و بالحرام المجنب

خدود ظباهم زينتها أسالــــة وعند قناهم للقلوب رسالـــة
وأنفسهم فوق الصفاح مسالــــة وعند معاذ بن الجموح (478) بسالة
وشدة بأس كالهزبر المغضب

---

4) تحتذى ل، يحتذى ، ك.

---

474) يشير إلى حديث أنس بن مالك قال ، أصيب حاثة بن سراقة يوم بدر ـ وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي ـ الحديث.
انظر الاستيعاب 1 / 307 ـ 308.

475) يعنى بهما ابنى عفراء ـ نسبا إلى امهما عفراء بنت عبيد من بنى النجار. شهدا بدرا.
انظر في ترجمة معاذ ،
الطبقات 3 / 491. والاستيعاب 3/ 1401. والاصابة 6 / 107 ـ 108. ومعوذ ،
الطبقات 3 / 492. والاستيعاب 3 /1442. والاصابة 6 / 129.

476) أراد به أبا جهل عمرو بن هشام.

477) هو معاذ بن جبل. انظر في ترجمته ،
الطبقات 3 / 583. والاستيعاب 3 / 1402 ـ 1407. والاصابة 6/ 106.

478) معاذ بن عمرو بن الجموح السلمى الخزرجي الأنصاري.
انظر في مناقبه ،
الاستيعاب 3 / 1410. والطبقات 3 / 566. والاصابة 6 / 109.

رأى قلبه روض الجنـــان منعمـــا فخاض له نهر الصوارم خضرمـــا
نضى لبسه لما أتى الله محرمـــا عشية ألقى درعـــــه متقدمـــا
إلى الموت لم ينكل ولم يتذأب
مساميح لم يسمح زمان بمثلهـــم إلى نقباء بالمناقب حلهـــــم
5 فمنهم أبو أيوب (479) مدره حفلهم ومنهم أبي (480) اقرأ الناس كلهـــم
وأتاهم لفظا ونطقا بأصوب
نجار من النجار في بيت ســؤدد وتهنئة بالعلم في خير مشهـــد
وسماه من شاد السماء فقد هـــدى وزادته إخباتا قـــراءة أحمـــــد
عليه فأي الدمع لم يتسرب
10 ولا قيل إلا هاب أبناء قيلـــــة حموا عند خوف أثروا عند عيلـــة
لهم حكم أزرت بمولى سخيلـــة ولابن حضير (481) أية ذات ليلة
وقد غشيته ظلمة ذات هيدب
تهجد بالقــرآن ليــل سهــــاده فأبصر مثل السحب فوق ســـواده
بها سرج كالنجم عنــد اتقـــاده وخاف على يحيى (482) مجال جواده
15 ولا ضير فيها فاتهد واتل واعجب

---

2) اتى الله ، ل. جاء بالله محرما ، ك.

---

479) يعنى الأنصاري . انظر في ترجمته ،
الطبقات 3 / 484. والاستيعاب 4 / 1606.
480 هو أبي بن كعب الأنصاري.
انظر الاستيعاب 1 / 65 ـ 70. والطبقات 3 / 498. والاصابة 1 / 16 ـ 17.
481) هو أسيد بن الحضير الأنصاري الاشهلي.
انظر الطبقات 3 / 603 ـ 607 والاصابة 1 / 48. والفتح 8 / 525.
482) يعنى ولده.

وذو الرأي كاد الكفر في قلب عفت وذو العين ردتها أجل يد شفت (483)
وذو السيف أعطاه الجريد فأرهفت وذو النور عباد بن بشر تكشفت
دجاه بنور من عصاه مشغب
أماجد سادوا كابرا إثر كابر إذا خطبوا فالشهب أدنى منابر
5 سل الوحي عنهم تلف أخبر خابر وساجل بعبد الله ثم بجابر
ونط بهما من شئت تفضح وتتعب
نجيبين في العليا أطالا وأعرضا بكفيهما صمصامة النصر تنتضى
لقد سلكا نهجا من البر مرتضى فذاك أظلته ملائكة الرضى
بكل جناح بارد الظل أهدب
10 أب طاهر وابن تقيل سبله كلا الفاضلين استوجبا الفضل كله
فذاك شهيد ـ كرم الله نزله ـ وهذا رسول الله مستغفر له
متى يطلب الغفران يرض ويطلب
لهم خلق إقدام وخلق سجاحة وألسن إفصاح وأيدي سماحة
فكم من صباح اخجلوا بصباحة وحسبك في الهيجاء بابن رواحة
15 وعند القوافي رائع النظم مستبي
مفيد سيوب عن سيوف مفيتة ورابط جأش في كماة هبيتة
وناطق شعر في حروب صموتة وثالث آساد الشرى يوم مؤتة (484)
ولا خطو إلا فوق أزرق قعضبي

3) دجاه ، ل. تراه ، ك.
8) مرتضى ، ل. ترتضى ، ك.

483) يعني به قتادة بن النعمان الظفرى الأنصاري. أصيبت عينه يوم احد على الأصح كما يقول ابن عبد البر. انظر الاستيعاب 3 / 1275. والاصابة ج ٥ ق 1 ص 229 ـ 230.
484) اراد غزوة مؤتة التي كان فيها عبد الله بن رواحة ثالث الأمراء الذين استشهدوا فيها. انظر سيرة ابن هشام ـ الروض الانف ج 4 / 70 ـ 73.

بشأويه من قول وفعل حوى المدى جرىء على الأبطال مثنى وموحدا
ومبتدع للنظم إن راح أو غـــدا فلله من حلو الشمائل ان حـــدا
ركابا أكلتها التنائف تطرب

سخي يعيد الاسخياء فـــــداءه كمـي يعـد المشرفـــي رداءه
5 محب يلبي كل روح نـــــداءه لذلك ما استدعى الرسول حداءه
وقال له حرك بنا العيس تنهب

ونعم ابن جحش مشبه الخال رفعة أشم العلى إذ نال في الله جدعة (485)
ومن أهل بيت بادروا الحق سرعة(486) وان جليبيبا (487) وقد حس (488) سمعة
لمسعر حرب فليبك و يندب

10 بنفسي شهيد شاهد الحـق صنعـه تعجل رضوان الى الخلد رفعـــه
عروسا بحور تحسب الدم ردعـــه تولى رسول الله في اللحد وضعـه
على ساعديه أي نعش ومركب

---

6) تنهب ، ك. تنسب ، ل.
8) جليبيبا ، ل. جليبا ، ك.

---

485) ويعرف بالمجدع في الله، لأنه مثل به يوم أحد وجدع أنفه .
انظر الاستيعاب 2 / 887.
486) أي كانوا من السباقين إلى الإسلام.
487) قال ابن حجر انه غير منسوب، وهو تصغير جلباب.
انظر في ترجمته الاستيعاب 1 / 271 ـ 273، والاصابة 1 ـ ق 1 / ص 253.
488) حسه ، قتله واستأصله. يشير إلى ما روى أنه غزا مع رسول الله بعض غزواته، ففقده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، وأمر به يطلب، فوجده قد قتل سبعة من المشركين ثم قتل، وهم حوله مصرعين. فدعا له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال ، هذا مني وأنا منه، ودفنه ولم يصل عليه.
انظر الاستيعاب 1 / 272.

حلا كجنى نحل بماء غمامة نسينا ابن سعدى عندها وابن مامة
فيا روضها ضاحك بثغر كمامـــة وأهلا وسهلا بعد بابن حمامة (489)
بلال الملقى في الإله المعذب
بسابق حبش سائق لهم (490) غدا بحافظ أوقات الفروق تعبـــدا
5 بمن تنزف العينان مهما تشهـــدا بأبيض ما تحت الضلوع من الهدى
متى يطلع في ظلمة الليل تنجب
وأسمر ما للطعن ســدد لدنـــه وأزرق ما فوق المعاطف سنـــه
وأحمر ما في الروع كســر جفنـــه وأخضر ما تحت القباء كأنـــه
حسام متى ينفح به القرن يتبب
10 أضاعته كفار ابى الله حفظهـــم وحضوا عليه فاغتدى الخسر حظهم
فسبحان من أعمى عن الرشد لحظهم يسومونـه شركـا فيجلـب غيظهـم
بتوحيده لله من كل مجلب
بترجيعه ذابت نفـوس الخلائـــق فكم ساق للتوحيد قلـب منافـق
وكم شاق للفردوس أهل الحقائـــق وكم من شهيد في القيامة صـــادق
15 له من مدى صوت الأذان المهبب
وفي غزوة والكفر رهـــن بشتـــه شجى باذان طال عهـد بوقتـــه
وذكر عصر الوحي من بعد فوتـــه وكم عبرة بالشام فضت لصوتـــه
وأحضرها من بعد طول تغيب

---

1) نحل ، ل. نخل ، ك.
6) الليل ، ل. الفكر ، ك. وكتب بهامش ل: الكفر

---

489) حمامة أم بلال. وهو بلال بن رباح. تقدمت ترجمته.
490) يشير إلى حديث ، بلال سابق الحبشة ـ ذكره ابن سعد في الطبقات.
انظر ج 3 / 232.

وقالوا رجونا حاجة منك فاقضها فلما دنا وقت الصلاة بفرضها
وقيل له أذن بشامك ترضها بكى عمر والمسلمون بأرضها
لذكرى حبيب بالبقيع فبيثرب
قضى في جهاد واجتهاد مردد شرى تعبا يفنى بروح مخلد
5 فلا بن رباح كل ربح مجدد ولا بن سلام (491) عند عيسى وأحمد
وموسى مكان المخلص المتقرب
بما جعل التوراة حومة حومه تحقق بعث المصطفى قبل يومه
فاعرض عن عذل القبيل ولومه ولما أراد الله إخزاء قومه
وكانوا جميعا بين عاند وكذب (492)
10 تجنب إفك الفاسقين ومينهم (493) ودان لرسل الله لم يلو دينهم
إلى أن رأى ختم الجميع وزينهم وكان قديما لا يفرق بينهم
بنور من التوراة عن كفرهم خبى
فلما اهتدى وارتاب أهل التهود ووقف منهم بين شكر لسؤدد
وبين اغتياب ان دروا أنه هدي طوى عنهم إيمانه بمحمد
15 وقال متى اظهره أبهت واسبب
وقال له أقبلت للرشد قابلا فاخف عن الأقوام شخصي عاجلا
وكن لهم عني - فديتك - سائلا فلما انتهوا في مدحه قام ماثلا
يجادلهم فاستقبلوه بأزيب

---

3) فيثرب ، ل. بيثرب ، ك.

---

(491) يعنى به عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائلي الأنصاري.
انظر في ترجمته ، الاستيعاب 3 / 921، والاصابة 4 / 80، والفتح 8 / 129.
(492) عاند وكذب - كلاهما فعل. أي كانوا جميعا بين قول ، عاند وكاذب.
(493) المين ، الكذب.

ومن فقهاء الهجـــــرة المدنيـــــة مفاتيح الاستفتاح عند السريـــــة
وحلبة سبق للجنان العليـــــة وما لابن مسعود ولابن سمية (494)
وسلمان والندب الغفاري جندب (495)

وسالم قرآن به ائتم كبرهم (496) وداعي أذان حين يطلع فجرهم
5 ومصعب الداري (497) لله درهم من الفضل لا يحصى فحسبك ذكرهم
والإ فقس خضر البحار بمخضب

فلله ما أتقى وأنقى صحيفـــــة مراتبهم تعلو السماء منيفـــــة
وليلاتهم تحيا رجاء وخيفـــــة وأيام سيف الله (498) أردت حنيفة
وسلت عليها كل أبيض مقضب

10 سيوف عنا قسرا لها كل قســـور وأسكت ناقوس بصوت مكبـــر
وعوض من قس خطيب بمنبـــر وبشر منها آل كسرى وقيصـــر
بملك شعاع مستباح مخرب

---

494) يعنى به عمار بن ياسر.
انظر في ترجمته ، الطبقات 3 / 246، والاستيعاب 3 / 135، والاصابة 4 / 273.

495) أراد سلمان الفارسي . وأبا ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة .

496) لعله يعنى به سالم بن معقل مولى أبي حذيفة. وكان من أهل فارس وهو من فضلاء الموالي. ومن خيار الصحابة وكبارهم. هاجر مع عمر ونفر من الصحابة من مكة. وكان يؤمهم إذا سافر معهم. لأنه كان أكثر قرآنا.
انظر الاستيعاب 2 / 567.

497) أبو عبد الله مصعب بن عمير من بني عبد الدار. كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعثه إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين. وكان يدعى القارىء والمقرىء.
انظر الاستيعاب 4 / 1473 ـ 1475.

498) يعنى خالد بن الوليد الذي فيه قال الرسول ـ عليه السلام ـ ، نعم عبد الله. وأخوه العشرة. وسيف من سيوف الله. سله الله على الكفار والمنافقين.
انظر في ترجمته الاستيعاب 2 / 427 ـ 431. والاصابة 2 / 98.

سبى الفرس من تيجانهم أي حلية وقسم روما بين قتل وجزيـــة
ومن كل أهل البغى فاز ببغيـــة وأي كفور لم يرعه بفتيـــة
تسقى عداها بالزعاف (499) المقشب
عراق وشام والحجاز بـــه فـــدي متى تاتها تسمع لدى كل مشهـد
5 قضى خالد فينا بفتح مخلـــــد وما هي إلا بطشـة مـن مؤيـــد
متى يقد الآجال تنقد وتصحب
صحاب رسول الله في نعت ناعت كأشجار طيب في أغض منابـــت
سما فرعها والأصل أرسخ ثابـــت وان أبا زيد وزيد بن ثابت (500)
لفى شامخ سامي الذؤابة أرقب
10 هما أحكما وحي الإله وأتقنـا هما جمعا حفظا ولفظا محسنـا
لقد بهرا فيما أسرّا وأعلنـــــا وفي آية تتلى كما نزلت لنـــا
وتبيين فرض ان تعداه يذهب
بصحب الهدى أبدى الزمان اختيالـــه غـداة غـدوا إجمالـــه وجمالـــه
فلوا أومؤوا للأفق نالوا هلالـــه ولو نيط فخر بالثريـا لنالـــه
15 أبو طلحة (501) عفوا ولم يتصعب
بسراء أو ضراء أنفق مالـــــه وفي السر والإعلان واصل آلـــه
وصيحته في الجيش هدت جبالـه ولما تناءى البر عن أن ينالـــه
بغير سخاء عن نضيد مركب

499) الزعاف : الموت سريعا. والمخشب المشوب بالشر من سم وغيره.
500) يعني ثابت بن زيد، وزيد بن ثابت، وكلاهما من الأنصار وكانا جمعا القرآن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم.
501) أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري . شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم، وكان من الشجعان أهل البلاء.

وأيقن أن النفس تردى بضنهـــا وان سماح النفس من غير منهـــا
يفتح للابرار جنات عدنهـــا سخت نفسه عن بيرحاء (502) وحسنها
وعن كل قطف مائل العطف مرطب

وكم قاد مقداد عرابا (503) سوابقا صهلن رعودا واختطفن بوارقـــا
5 فأهلكن ذعرا كافرا ومنافقـــا وجاء صهيب (504) سابق الروم سابقا
يقود إلى دار الرضى كل أصهب

وغالبه عن هجرة آل غالـــــــب فأعطى القنى يرجو لقاء الأصاحب
فقيل ربحت البيع يا خير كاسب وان أبا هر (505) لألزم صاحب
وكلهم من حاضرين وغيب

10 مبشر دوس حين لاذوا بركنـــه مسددهم حتى أنابوا بيمنـــه
حظي لدى المختار إن زار يدنه لزيم رسول الله في شبع بطنـه
فسيان ان يعرق وان يتنغب

وعى الذكر في تهجيره وبكـــوره وواصل حفظا باتصال حضـــوره
15 وبالبسط للثوب استقى من بحوره فآض بعلم يستضاء بنـــــوره
متى يعترض من دونه الصعب يركب

---

3) مرطب ، ل. سلهب ، ك.

---

502) بير حاء ، أرض بالمدينة.

503) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة. كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
انظر مناقبه في ،
الاستيعاب 4 / 1480 ـ 1482. والطبقات 3 / 161. والاصابة 6 / 133.

504) أبو يحيى صهيب بن سنان الرومي.
انظر في مناقبه ، الطبقات 3 / 226. والاستيعاب 2 / 726.

505 يعني به أبا هريرة.

وزان ابن عم زانه النور عمـــــة فقال عسى في ذيل سوطي تتمـة
لئلا يظنوا مثلة بي ملمـــــــة وكان لدوس حين أسلم رحمــــة
بها استنقذوا من حاجم ذي تلهب
ونجل حواري (506) حري برعيه بميلاده سارت أكابر حيــــــه
5 وتمسا لقوم كبروا عند نعيــــــه ولم يأل عبد الله (507) في حسن هديه
سموا إلى فاروقه فاسم واقرب
فبورك من خاش لذي العرش خاشع روايته روت بأحلى المشـــــارع
وكم نفعتنا عنه أثار نافـــــــع له كل برهان من الفضل ساطـــع
ورؤياه رؤيا أفصحت بالمغيب
10 ولابن ربيع (508) في أعز المشاهد مقام سما عن مخبر أو مشاهـــــد
وبالنصر وصى غائبا بعد شاهــد وفي انس بن النضر (509) أعدل شاهد
ببريمين عن يقين تحوب

---

506) أراد به عبد الله بن الزبير. ويشير إلى حديث إن لكل نبي حواريا وحواريي الزبير بن العوام.
انظر الطبقات 3 / 105.

507 هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزيز بن قصى القرشي الاسدي. انظر في ترجمته ،
الاستيعاب 905/2 ـ 910. والاصابة ج 4 ـ ق. 1 ـ 68.

508 سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الخزرجي الأنصاري. كان أحد نقباء الأنصار. استشهد يوم أحد.
انظر في مناقبه ـ ، الطبقات 3 / 522. والاستيعاب 2 / 589 ـ 591.

509) انس بن النضر بن ضمضام الأنصاري. استشهد في أحد. وكان فاته القتال مع الرسول في بدر. فأقسم، لئن أشهده الله قتال المشركين ليرين الله ما يصنع. فبر في قسمه يوم أحد.
انظر مناقبه في الاستيعاب 1 / 108 ـ 109.

تنسم عدنا يوم تمحيص شهـــــد فقد ولم يعرف بعضو سوى اليد (510)
وقل كذا فلينتدب كل مهتــــد ولابن أخيه الندب خادم أحمد (511)
فضيلة مختص لأبياته ربي

فطوبى له من طاهر القلب شهمه مصيخ إلى قول الرسول بفهمـــه
5 ومكمل ما يلقى له ومتمـــه ابى حمزة أكرم به وبأمـــه
فكم لهما من حظوة وتقرب

ومن سابقات نيرات آياتهـــا ومن مكْرُمات مُكْرمات رواتها
ومن حسنات أعليـت درجاتهـــا ومن دعوات خلدت بركاتهـــا
طباهم وأرضاهم بها خير مطبي

10 وكعب (512) علا كعبا على رغم شامت ومنطقه للحرب أنعــت ناعــت
وتيب عليه توب أروع قانت وحسان (513) حسان الحسام بن ثابت
يقول وروح القدس للقول مجنب

---

510) وفي الاستيعاب ، انها عرفته من ثيابه.

511) يعنى به أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري ابن أخي أنس بن النضر الآنف الذكر.
انظر في ترجمته ، الاستيعاب 1 / 109 ـ 110، والاصابة ج 1 / 71.

512) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الخزرجي الأنصاري السلمي، كان أحد شعراء الرسول الذين كانوا يردون الأذى عنه. شهد أحدا والمشاهد كلها حاشا تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، وقد تحدث عنهم القرآن.
انظر ترجمته في الاستيعاب 3 / 1323 ـ 1326.

513) يعنى حسان بن ثابت ، شاعر الرسول ـ عليه السلام.

محا بامتداح المصطفى طيب نومه وفي الله لم يحفل بمولم لومـــه
وفي محفل الانشاد احفل بيومـــه له مجده في قومه ولقومـــــــه
به رتبة زادت على كل مزرب
وصوت ابن (514) قيس إذ يرتل حزبه مزاميـــر داوود به تتشبـــــــه
5 وخبب خباب (515) فلم ينس ربـه وحاطب (516) لخم أعظم القوم ذنبـــه
وحشوا عليه الموت من كل محطب
وفرقة هدي أفرقتـــه وهـــــــددت وكانت له زلفى عن النار أبعدت
واعذار إخلاص لدى الله مهــدت فنهنههم عنه الرسول وقد بـــــدت
مقاتله للثائر المتوثب
10 ولقاه بشرى ساميا قــدر أهلهـــا أوى كل ذى سبق لوارف ظلهـــا
وفي محفل رداه حلة حفلهـــا وصدهم عنه ببدر وفضلهـــــا
وشداته بالسمهري المعلب

---

2) محفل ، ل، منبر ، ك.
12) شداته ، ل، شدته ، ك.

---

514) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ب عامر. كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن. وقد قال فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لقد أوتي أبو موسى مزمارا من مزامير آل داود. انظر الاستيعاب ، 3 / 979 ـ 980.

515) هو خباب بن الأرت التميمي. كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية. فأصابه سبا فبيع في مكة. وكان فاضلا من المهاجرين الأولين. وهو قديم الإسلام. ممن عذب في الله وصبر على دينه. انظر الطبقات 3 / 164.

516) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي. شهد بدرا والحديبية. وقد شهد الله لحاطب هذا بالايمان في قوله تعالى ، ((يا أيها الذين آمنوا. لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)). وقد كتب إلى أهل مكة يخبرهم ببعض ما يريد الرسول ـ عليه السلام ـ بهم من الغزو إليهم. انظر الاستيعاب 1 / 312 ـ 325.

تحلى خبيب للتقى خير زينـــة وماذا تلقى عاصم (517) من سكينة
غداة حمته الدبر أي أمينـــــة وفاز حرام (518) يوم بئر معونـة
بقطر دم يستن من كل مشخب

منهم وقور السمت سكن طيــــره عويمر (519) القاضي الذي شاع خيره
فللعدل مثواه وللغــزو سيــــره وعالم سر ليس يدريــه غيــــره 5
حذيفة (520) لم يمذل (521) ولم يتسرب

وحسل (522) أبوه يوم أخلص غزوه سيوف إلى الغايات لم يثن شأوه
وان ابنه بر اذ اختـــار عفــوه وان ابني العاصى هشاما وصنوه (523)
على نهج إيمان منير مصوب

---

1) ذا ، ل ـ ك.
7) وحسل ، ل. وفضل ، ك.

---

517) هو عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح الانصاري ، شهد بدرا. وهو الذي حمته الدبر ـ وهي ذكور النحل ـ من أن يحتز المشركون رأسه يوم الرجيع ـ حين قتله بنو لحيان.
انظر الاستيعاب 2 / 779 ـ 781، والطبقات 3 / 462.

518) يعنى به حرام بن ملحان الأنصاري. شهد بدرا. واحدا. وقتل يوم بئر معونة. انظر الاستيعاب 1 / 336.

519) هو أبو الدرداء عويمر بن عامر الأنصاري. اشتهر بكنيته. ولاه عمر القضاء على دمشق. وقيل انه ولي القضاء لمعاوية في خلافة عثمان ـ قال ابن عبد البر ـ وهو الصحيح.
انظر الاستيعاب ج 3 / 1227 ـ 1230، و ج 4 / 1646 ـ 1648.

520) حذيفة بن اليمان. وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.
انظر ترجمته في الاستيعاب 1 / 334.

521) مذل سره ، أفشاه.

522) حسل اسم والده. واليمان ، لقبه.

523) يعنى هشام بن العاص. وأخاه عمرو، وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم فيهما ـ ، ابنا العاصي مؤمنان ، هشام وعمرو.
انظر الاستيعاب 4 / 1539 ـ 1540.

وفي اليمن الإيمان ليس بمختف وان عديا (524) للمحامد مقتف
وزاد قديما للقدوم المشرف وان جريرا (525) خير ذي يمن لعى
ذؤابة مجد باسق متهيب
لبهجة مرآه بيوسف قدوة وحقت له لولا الديانة نخوة
5 ببسط رداء فيه عز وحظوة وتمت له من خاتم الرسل دعوة
تقلب منها تحت عقد مؤرب
تلقى وصيات الرسول بوعيه وروح من طاغوت دوس وغيه
براشد منحاه وصائب رأيه وأصحمة (526) أرضى الإله بسعيه
وذاد عن الإيمان كل مخيب
10 رأى الحق عن بعد بناظر قلبه وعاض من التثليث توحيد ربه
مقرا برسل الله طرا وكتبهم وكان ملاذا للرسول وصحبه
وبان وبانوا عنه غير مؤنب
أصاخ لوحي وهو باك مولـه وأعظم أمر المصطفى وأجله
وساق مطيعا مهر رملة كله وصلى عليه أحمد (527) شرفا له
15 وأوصاله في النعش لم تتحجب

---

3) متهيب : ل. متهذب : ك.
6) عقد : ل. عهد : ك

---

524) لعله يعنى به عدى بن حاتم الطائي. انظر ترجمته في الاستيعاب ج 3 / 1057.
525) هو جرير بن عبد الله بن جابر البجلى. كان عمر يقول : جرير بن عبد الله يوسف هذه الامة. انظر الاستيعاب 1 / 236 ـ 240.
526) يعنى به النجاشي.
527) يشير إلى أنه عليه السلام ـ صلى على النجاشي صلاة الغائب.

هنيئا لزهر بايعوا تحت (528) سرحة وفازوا من النور البهي بلمحـــة
ونالوا من الدارين أشرف منحـــة وناهيك من فخر الأشج بمدحـــة
يقصر عن ايجازها كل مهضب (529)

لهم سؤدد قد اعجز الشعر وصفـه ومن ذكرهم زهر تأرج عرفــــه
5 كمامته طرسي وبالسمع قطفـــه وقرة نالت خاتم الوحي كفـــه
وفاز بها فوز السعيد المنجب

محا شوقهم عن ناظري طيب نومه وإن هواهم في الحساب ويومـــه
يفي بصلاة المتقي وبصومــــه وما فضل أصحاب النبي وقومـــه
لمن رام إحصاء له بمحسب

10 هو البحر والخضر البحار تمـــده هو النجم من يبغي النجوم تـرده
هو القطر لا يرجى من القطر عده ولكنه ذخر وأجر أعـــــــده
وأجعله أمني وحصني ومهربي

لخير الورى اخلصت دون وليجة (530) وسبطيـه ارثى ذا شجـــون مهيجـــة
وأصحابه حبوا بكل أريجـــــة وأزواجه والفضل فضـــل خديجـــة
15 وكل له فضل المصون المطيب

---

2) فخر : ل. بحر : ك.
7) محا : ل. طفى : ك.
11) ذخر واجر : ل. اجر وذخر : ك.
13) ارثى : ل. ابكى : ك.

---

528) يعنى الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان.
529) المهضب ، المطيل.
530) وليجة ، شبهة. يملح إلى قوله ـ تعالى ، ((ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة)).

ثنا أمهات المومنين محســــن فهن أمان للورى (531) وتيمن

لهن على النسوان فضل مبيــن ولكنها كانت وما كان مومــــن

سواها فنقر في البلاد ونقب

تقى الله في أعلى المراقي أجلها حبت وفرها تحوي المفاخر كلهــا

5 وحيا سلام للسلام محلهـــــــا وسبط الهدى منها لفاطمـة لهــا

فحسبك من فضل بفضل مرجب

شهيدان ذا جهر أو ذاغيبة قضى (532) هما قرتا عين لأشرف مرتضــــى

و[illegible] ريحانتين [illegible] هما سيدا الشبان (533) في جنة الرضى

وخير كهول الأرض شرق ومغرب

10 وفي حجرات المصطفى فصل منطق وآيات برهان وحكمة (534) منتق

أذاع بها الزوجات غربا لمشــرق وعائشة صديقــة لمصـــــــدق

ملىء من التقوى رؤوف مؤوب

وكم سنن تقضي صحائح طرقهــا بتفضيل أم المومنين وسبقهــــا

على العلماء استدركــت وبحقهــا مبرأة جاء الكتاب بصدقهــــا

15 وتكذيب افك الفاجر المتكذب

---

3) نفقر : ل. تنقر : ك.

---

531) يشير إلى حديث : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح. من ركبها نجا.

432) يعنى الحسن والحسين. وقد قتل الثاني جهرة. بينما قتل الأول خفية. قيل انه مات مسموما.

533) يشير إلى ما روي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول لفاطمة : ادعى لي ابني. فيشمهما ويضمهما إليه. ويقول في الحسن : الحسن ريحانتي من الدنيا.
وعن أبي سعيد الخدري من حديث قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

534) يشير إلى قوله تعالى : ((واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)).

ومثلها جبريل وهـــي بخدرهـــا على الشرف الباهي فأعظم بفخرها
ولم يات وحي قط في لحف غيرها ومات رسول الله ما بين سحرهـــا
إلى نحرها توديع راض(535) مقرب
ولا زوج للمختار إلا مبـــرة على الغير خصتها من الله أثرة
5 شمائلها نسك وصون وطهـــرة وكل لنا أم هنالك بـــــرة
على برها تحبو الرجال وتحتبى
وخير أناس يقتدى بهداهـــم سراة رأوا خير الورى وراهـــم
فحسبهم فضلا به وكفاهـــــم صحابة صدق من يطر بحماهـــم
فنحن براء منه باعد وجنب
10 أيا صاح دعني من ثراء وعيلـــة وملى بي إلى صحب الهدى خير ميلة
أحبر ثناهم كل يوم وليلـــــة وعرج على الأنصار أبناء قيلـــة
وبغضهم كفر فعذ وتحبب
كفاني عما بالقوافي قفوتـــــه ثناء عليهم في الكتاب تلوتـــه
أماني وإيماني بهم قد رجوتـــه كرام لهم محيا الرسول وموتـــه
15 تاسوا وواسوا من جواد ومحرب
تناهوا من الايثار في كل نصـــرة إلى أن قروا أرواحهم كل شفرة
حضور ببدر غيب عند بدرة (536) يحبون من وافى إليهم بهجـــرة
ويلقاه منهم كل سمح مرحب

---

535) انظر مناقب عائشة في صحيح البخاري بشرح الفتح 8/ 106.
536) يشير إلى حديث : انكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع.

صحاب رسول الله في الأرض أنجم (537) ليرشد حيران وينجاب مظلم

بهم في الدنا نحمى وفي الدين نعصم سأقطع عمري بالصلاة عليهم

وأدأب في حبي لهم كل مدأب

تفتح نظمي في الطروس خميلة فأهديت أزهارا بدمعي بليلة

5 عساها أتت من عثرتي مستقيلة إليك رسول الله منها وسيلة

تناجيك عن قلب بحبك مشرب

فؤاد بلفح البعد عنك تضرما يطالع بالفكر الحطيم وزمزما

ويلنه شوقا منتداك المكرما يزورك عن شحط (538) المزار مسلما

ويلقاك بالإخلاص لم يتنكب

10 إلهي ذنوبي كالجبال وأكبر ولكنها في جنب رحماك تصغر

ومالي سوى مدح الرسول مكفر ترجيت فضلا منك يعفو ويغفر

وراجيك في الدارين غير مخيب

انتهى التخميس الرائق الأبيات. للخالصية الباهرة المناقب والآيات.

وهذا البيت الأخير ـ وهو قوله ، (إلهي ذنوبي ... إلى آخره) زاده

15 المخمس كله ليكون الختم به. ولم يزد بيتا غيره.

ولا خفاء أنه ـ رضي الله عنه ـ زاد هذه القصيدة بتخميسه حسنا.

عاملنا الله وإياه بالزيادة والحسنى، وانال جميعنا المقام الأسنى.

ومن بديع نظم ابن أبي الخصال المذكور آنفا. قصائده النبويات.

التي عارض بها قصائد حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في رثاء

537) يشير إلى حديث ، أصحابي كالنجوم. بأيهم اقتديتم اهتديتم.

538) شحط المزار ، بعده.

المصطفى - صلى الله عليه وسلم. وقد خمس أبو عبد الله ابن حبيش المذكور الحسانيات. ومعارضتها الخصالية . وأفردها بتأليف، رأيت أن أذكر ذلك بجملته. وكتب في أوله ابن حبيش المذكور ما نصه :

الحدائق النيسانية. والطرائق الحسانية. تشتمل بحول الله - على تخميس المراثى الحسانيات التي طبقت بإحسانها ما تحت السبع الطباق. وعلى تخميس معارضتها من الخصاليات التي فازت في أساليبها بخصل السباق ، تأليف محمد بن حبيش. انتهى.

قال - رحمه الله ، تخميس الأولى من الحسانيات الأربع. التي عمرت من الإحسان أبهى مربع، محجبة في انتساقها عن الغير. مرتبة على مساقها في السير، ترثي سيد الخلق وخاتم الأنبياء. فتبكي بشجوها سكان الأرض وملائكة السماء، صلى الله عليه صلاة تتناهى في تكريمه وإرضائه. وتقضى من حقه ما عجز العالمون عن قضائه، وعلى آله المنتخبين. وأهل بيته المطيبين. وسلم تسليما، ورضي الله عن صحبه الذين بدروا دعوته تصديقا. ومهدوا ملته تغريبا وتشريقا؛ ومن الله - سبحانه - يرجى العون والتيسير ، فهو نعم المولى ونعم النصير.

أيبقى وجود والنبوّة تنفقـــــد بأرواحكم جودوا فما الدمع يحمـد

أما هدكم(539) ناعي الهدى وهو ينشد ، بطيبة رسم للرسول ومعهـــد

مبين وقد تعفو الرسوم وتهمد (540)

---

6) أساليبها : ل - ك.

16) يحمد : ل. يجمد : ك.

18) مبين - كذا في النسختين. وفي ديوان حسان (منير).

---

539) هد البناء : هدمه.

540) العفاء والهمود : البلى.

مضى المرشد الهادي لحكم وحكمة وألمت الإسلام أدهى ملمة
فما تخلع الأيام أثواب ظلمة ولا تمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادى الذي كان يصعد

وفضفاض آلاء وضافي مكارم ومهبط وحي من إله العوالم
5 إلى خاتم الرسل السراة الأكارم وواضح آثار وباقي معالم
وربع له فيه مصلى ومسجد

بمأمورة القصواء قد كان خطها ونظم من در الهداية سمطها
نبي كساها الفخر تضفيه مرطها بها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء ويوقد

10 مبادىء هدي تبلغ الخلد غايها يقربها من قلب ذى الصدق نأيها
وفي الملأ الأعلى تنشر رأيها معارف لم تطمس على البعد آيها
أتاها البلى فالآي منها تجدد

ولم لا أوفيها من الحب جهده وقد حازت الفضل الذي فاق عده
إذا زرتها بالقلب أخمد وقده عرفت بها رسم الرسول وعهده
15 وقبرا به واراه في الترب ملحد (541)

---

2) تمحى ـ كذا في النسختين. والذي في الديوان (تنمحي).
5) اثار ـ كذا في النسختين. وفي الديوان (آيات).
معارف ـ كذا في النسختين. والذي في الديوان (معالم).
15) واراه : ك. وهو الذي في الديوان. وراه : ل.

---

541) الملحد : اللحد.

لقد خددت خدي دموعا تـوردت صحائح أثار لأحمد أسنـــــــدت

وأيات وحي في المحارب رددت ظللت بها أبكي الرسول فأسعـدت

عيون ومثلاها من الجفن تسعد

صنوف الوجود الجم غيبا ومحضـرا من الشهب والافلاك والمزن والورى

5 وما أبصرت عيني وما ليس مبصرا يذكر ن الاء الرسول وما أرى

لها محصيا نفسي فنفسي تبلد (542)

فلا جسم إلا حلة السقم يرتـــدي ولا روح إلا رائح غير مغتـــــدي

ولا نفس إلا ذات وجد مجــــــدد مفجعة قد شفها (543) فقد أحمــد

فظلت لآثار الرسول تعدد

10 وقد حبرت من كل مدح حبيــــره وقد عبرت عما ينمى عبيـــــره

بنظم كما وشى النسيم غديـــــره وما بلغت من كل أمر عشيره (544)

ولكن لنفسي بعدما قد توجد

سرت مهجتي تبغي الجنان وخلدها فما يممت إلا المدينة وحدهـا

وقد نالت الأوطار لم تتعدهــــــا أطالت وقوفا تذرف العين جهدها

15 على طلل القبر الذي فيه أحمد

---

3) الجن ـ كذا في النسختين. والتصويب من الديوان.

5) يذكرن ـ كذا في النسختين. والذي في الديوان (تذكر). أي تتذكر.

9) تعدد ، ل. معدد ، ك.

15) المقبر ، ل. القبر ، ك.

---

542) تبلد ـ أي تتبلد ، تلحقها حيرة.

543) شفه الحزن ، لذع قلبه فأسقمه.

544) العشير ـ في الأصل ـ حزء من أجزاء العشرة.

فطوبى لنفس بالرسول تمسكت   لقد عطرت بين النفوس ومسكت
وما الفوز إلا مسلك فيه أسلكت   فبوركت يا قبر الرسول و بوركت
بلاد ثوى فيها الرسول المسدد
فيا خاتم الرسل المكين المقربا   وأعلى الورى قدرا ونفسا ومنصبا
5 تقدست قبل الكون تحبى وتجتبى   و بورك لحد منك ضمن طيبا
عليه بناء من صفيح ينضد
لفقد رسول الله لم يسل مومن   فللكرب أرواح وللندب ألسن
لقد شق يوم فيه للوحي مدفن   تهيل (545) عليه الترب أيد وأعين
هناك وقد غارت بذلك أسعد
10 إمام لرسل لم يزالوا أئمة   غدا للعلى بدءا وللبعث ختمة
وجلى عن الآفاق ظلما وظلمة   لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة
عشية عالوه الثرى لا يوسد
نعوا قمرا كم ضاء عنه نديهم   وودهم لو قبل ذاك نعيهم
وزادوا غليلا إذ من الدمع ريهم   وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
15 وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
قد اغتبطوا بالوجد يغلون سومه   فهم بين طرف شرد الدمع نومه
وسمع عن السراء واصل صومه   يبكون (546) من تبكي السموات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس ألمد (547)

---

12) عالوه ـ كذا في النسختين. وفي الديوان (علوه).

---

545) هال التراب وأهاله ، دفعه فانهال وسقط.

546) بكيت الرجل و بكيته ـ بالتشديد ـ إذا بكيت عليه.

547) أكمد ، أحزن من الكمد وهو الحزن.

مصاب دهانا بالدواهي الفواتـــك فبدل أنوار الضحى بالحوالـــك
وعاض دموعا بالدماء السوافـــك وهل عدلت يوما رزية هالك
رزية يوم مات فيه محمد
فيا ربنا ضاع العباد فصنهـــــم وقد ضعفوا عن صبرهم فأعنهــــم
5 ليوم بعاد قرب الحين (548) منهم تقطع فيه منزل الوحي عنهـــم
وقد كان ذا نور يغور و ينجد (549)
فأين زمان رافل في قشيبـــــه ببهجة مراه ونفحة طيبـــــه
إذ الوحي من رب الورى لحبيبـــه يدل على الرحمان من يقتدي به
و ينقذ من هول الخزايا و يرشد
10 تحرى حراء راكع الليـل ساجـدا وأظما هجيرا يترك الماء واقـــدا
و بالوحي أضحى مرشد الخلق راشدا إمام لهم يهديهم الحق جاهـــدا
معلم صدق ان يطيعوه يسعدوا
رحيم بأهل البر يرفع قدرهـــم شديد على الكفار يخفت زأرهم (550)
حبيب إلى الزوار يشبع وفرهـــم عفو عن الزلات يقبل عذرهــــم
15 وإن يحسنوا فالله بالخير أجود

---

18) الرسول ـ كذا في النسختين . والذي في الديوان (الرشيد).
10) يترك ، ل. بترك ، ك.
14) وفرهم ، ل. رفدهم ، ك.

---

548) الحين ـ بفتح الحاء وسكون الياء ـ ، الهلاك.
549) يغور ، يبلغ الغور، وهو المنخفض من الأرض. و ينجد ، يبلغ النجد ـ وهو المرتفع من الأرض . والمراد انه يعم جميع الأمكنة.
550) تحرى الأمر ، قصده. (وحراء) ـ يعنى به غار حراء.
الهجير ، وقت الهاجرة ، شدة الحرارة. (واقدا) من أوقد النار ، اشعلها. زأر الفحل ، ردد صوته في جوفه. وخفوت الصوت ، سكونه.

إذا جاش (551) أعداء محاهم بنصله وفي المحل (552) يغني عن غمام ببذله
وان جلت الجلى (553) تجلت لأجلـــه وان ناب أمر لم يقوموا بحملـــه
فمن عنده تيسير ما يتشدد

أقام لأرباب الديانة قسطهـــم فقد فرسوا فرس الاعادي وقبطهم(554)
5 فترجو رضاهم أو تحاذر سخطهم فبيناهم في نعمة الله وسطهـــم
دليل به نهج الطريقة مقصد

نصيح لخلق الله غيبا ومشهـــدا موفيهم النعمى موقيهم الـــردى
مبصرهم في اليوم شافعهم غـــدا عزيز عليه أن يجوروا عن الهـــدى
حريص على أن يستقيموا و يهتدوا

10 أباد الأعادي - والدعاء سلاحـــه فبالرعب قبل الحرب عم افتتاحه
قوام البرايا بأسه وسماحـــــه عطوف عليهم لا يثنى جناحه(555)
إلى كنف يحنو عليهم و يمهد

وقد صيروا الاملاك بالقهر أعبـــدا وردوا جميع الأرض طهرا ومسجدا(556)
و بدر الهدى يلتاح(557)من وجه أحمدا فبيناهم في ذلك النور إذ غـــدا
15 إلى نورهم سهم من الموت مقصد

---

551) جاش الاعداء ، ساروا ليلا - يعنى باغتوا المسلمين.
552) المحل ، القحط.
553) الجلى ، الأمر الشديد، والخطب العظيم.
554) فرس الأسد فريسته ، دق عنقها، والفرس والقبط ، مشهوران.
555) لا يثنى جناحه - يعنى لا يصرف عطفه عن أحد.
556) يشير إلى حديث ، جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.
557) التاح هنا - بمعنى لاح ، تلالأ.

ولما غدا المختار بالحق صادعـــا وبلغ تنزيلا وبث شرائعـــــا
دعاه تقاه للجنان مسارعـــــا فأصبح محمودا إلى الله راجعـــا
يبكيه جفن المرسلات ويحمد

فحان لشمس بالظلام التفاعهـــا وزلزل من شم الروابي يفاعها(558)
5 وحق لأصلاد القلوب انصداعهـــا وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها
لغيبة ما كانت من الوحي تعهد

وكادت قلوب أن تحس اختلافهـــا لفقدان من أعطى هداه ائتلافهـا
وعادت ربوع الأمن تشكو مخافها قفارا سوى معمورة اللحد ضافهـــا
فقيد يبيكه بلاط وغرقد

10 تغيرت الأشياء حزنـــا لبعـــــده فيا ظلمة الدنيا ويا نور لحـــده
بكاه مصلاه الأنيس بـــــورده ومسجده فالموحشـــات لفقـــده
خلاء له فيها مقام ومقعد

أرى الكعبة العليا لمنعاه أجهشـــت بنوح وأدمت خدها حين خمشت (559)
وهمت بتمزيق الستور فأدهشـــت وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشـت
15 ديـار وعرصـات وربـع ومولـد

1) غدا : ل. عزا : ك.
4) التفاعها : ل. ارتفاعها : ك.
5) لاصلاد : ل. لاطناب : ك.
8) قفارا سوى معمورة اللحد ضافها : ل. فقال استوى معمورة المجد قافها : ك

558) التفع الرجل بالثوب : اشتمل به. واليفاع من الجبال : المرتفع منها.
559) المنعى خبر الموت. أجهش إليه. فزع باكيا. خمش الوجه : خدشه ولطمه.

محا أحمد من كان يعبد صخـــرة ومن طلبوا ان ينظروا الله جهرة (560)
ومن عبدوا كهلا وعذراء بـــــرة فبكي رسول الله ياعيــن عبـــرة
ولا أعرفنك الدهر دمعك ينفد

ونوحي على من شاد أشرف ملـــة بوكافـة هطالة مستهلة (561)
5 مي الغيث لكن لم تطق ري غلتي ومالـك لا تبكيـن ذا النعمة التـي
على الناس منها سابغ يتغمد

فيا أمة الدين الحنيف المكمـــل نبيك والمعلي لمنصبـك العلـي
تنقل للفردوس أحفـى تنقــــل فجودي عليه بالدموع وأعولـــي
لفقد الذي ما مثله ـ الدهر ـ يوجد

10 وما لي لا أفني وأفني تجلدي واجعل مبكاي المورد (562) موردي
وثوبي اكفانـي وبيتـي ملحـدي وما فقد الماضون مثـل محمـــد
ولا مثله حتى القيامة يفقد

---

3) ينفد ـ بالذال المعجمة ـ كذا في النسختين ، ولعل الصواب ما أثبتناه. وفي الديوان (يجمد).
5) ولا : ل. وما : ك.

---

560)يشير إلى قوله تعالى : ((فقالوا أرنا الله جهرة. فأخذتهم الصاعقة بظلمهم)).
561) وكف الدمع : سال شيئا فشيئا. هطل المطر. نزل متتابعا. استهل المطر ـ بمعنى انهل : اشتد انصبابه.
562) المبكى مكان البكاء من العين. والمورد المحمر.

أحب إلى رب وأحفى بأمـــة أبر بميثاق وأرعـــى لحرمـــة
أحن لسؤال وأســدى لنعمـــة أعف وأوفى ذمة بعد ذمـــة
وأقرب منه نائلا لا ينكد

وهل أبصرت عينا مقر وجاحـــد بأعلى على من أحمد ذى المحامد
5 واكثر إعجازا وخرق عوائـــد وأبذل منه للطريف وتالـــد
إذا ضن معطاء بما كان يتلد (563)

وأسمى سناء حين أسرى إلى السما وأبهى سنا مهما ارتدى وتعممـا
وأمحى لجيش بالحصاة إذا رمى (564) وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمـى
وأكرم جدا أبطحيا يسود

10 وأوصل ارحاما واقطـع للطلـــى وأصفح عن جان وأصبح مجتلـى
وأشجع مقداما وأسخـى مؤمـــلا وأمنع ذروات وأثبت في العلـــى
دعائم عز شاهقات تشيد

وأصدع بالقرآن للـــه مخبتـــا وانطق برهانا به الخصـــم أسكتا
وأهدى لأواب وأسطى بمن عتـا وأثبت فرعا في الفروع ومنبتـــا
15 وعودا غذاه المزن فالعود أغيد

---

15) غذاه ـ كذا في النسختين. وفي الديوان (غداة).

---

563) ضن : بخل. المعطاء : الكثير العطاء. والتالد : ما كان من مال قديم. عكس الطارف.

564) يشير إلى ما روى انه ـ صلى الله عليه وسلم أخذ في غزوة بدر حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها. ثم قال : شاهت الوجوه. ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : شدوا. فكانت الهزيمة على الأعداء.
انظر سيرة ابن هشام بشرح الروض الانف 3 / 39.

كريم نمته من لؤي كرامـــه شريف علا في الأنبياء مقامـــه
ضياء مساعيـه ووحـي كلامـه رباه وليدا فاستتم تمامـــه
على أكرم الخيرات رب ممجد

على كل بر ان يذوب بلهفـه ويغرق بالطوفان من فيض طرفه
5 على مرسل عم الأنام بعطفـه تناهت وصاة المسلمين بكفـه
فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند

لمثواه قصد الأجر تزجى الركائب بعلياه عند الحشر ترجى الرغائب
صباح به تجلى لكفر غياهـب أقول وما يلقى لما قلت عائـب
من الناس إلا عازب العقل مبعد

10 لدى البعث أرجو فوزة بلقائـه وقبل فنائي وقفة بفنائـه
مديحي مدى عمري حبيس علائه وليس هواي نازعا عن ثنائـه
لعلى به في جنة الخلد أخلد

إلهي قضيت الذنب فاقض اغتفـاره بفضل شفيع قد رفعت فخـاره
لعلي غدا والحب يدنى مـزاره مع المصطفى أرجو بذاك جـواره
15 وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

---

4) على كل بر... ولا الرأي يفند) : ل ـ ك.
8) وما : ل. وفي الديوان (ولا).

تخميس الحسانية الثانية، وهي لروض الرضى جانية

سجع الحمام عن الحمام مترجما فالرزء قد أبكى ملائكة السما
رد الكرى عدما ودمعك عندما (565) ما بال عينك لا تنام كأنما
كحلت مآقيها بكحل الأرمد

5 نجم الهدى والرشد أمسى هاويا وأعاد روض العيش محلا ذاويا
فسقام جسمك لا يصيب مداويا جزعا على المهدى أصبح ثاويا
يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

مولاي كم نعمة أوليتني وأجلها سنن بها حليتني
لا صبر في رزء له خليتني وجهي يقيك الترب لهفاً ليتني
10 غيبت قبلك في بقيع الغرقد

يا ويح من صدع المصاب صفاته فيود لو أمسى الضريح كفاته (566)
ويقول عن شوق يرى ما فاته بأبي وأمي من شهدت وفاته
في يوم الاثنين النبي المهتدي

لما أقيم الدين واتبع الهدى دعي الحبيب إلى النعيم مخلدا
15 فأجاب واختار الرفيق المصمدا فظللت بعد وفاته متبلدا
متلددا (567) يا ليتني لم أولد

---

9) لهفا ـ كذا في النسختين، وفي الديوان (لهفي).

---

565) العندم ، خشب نبات يصبغ به.
566) الصفاة الصخرة. والكفات ، الموضع الذي يكفت فيه الشيء ، يضم ويجمع.
567) المتلدد والمتبلد ، من ادركته حيرة.

فقدوا كمال الأنبياء وزينهـــــم فقد استطاب رجال طيبة حينهم (568)
لم لا وبعد الوصل قاسوا بينهـــم أأقيم بعدك بالمدينة بينهـــم
يا ليتني صبحت سم الأسود (569)

أضحى إلى الفردوس عنا راحـــلا فغدا الموصول الكرامـة واصــــلا
5 يا ليتنا معه ننال النائـــــــلا أو حل أمر الله فينا عاجـــــــلا
في روحة من يومنا أو من غد

ما عيشنا بعد النبي المجتبـــــى يا ليت يوم الحشر منـــا قربـــا
من غير أن نخشى ذنوبا حجبـــا فتقوم ساعتنا فنلقى طيبـــــــا
محضا ضرائبه كريم المحتد

10 يامن به أسمى معدا فخرهـــــا يا مطلع الآيات يشرق بدرهـــا
يامنجيا - والنار يلفـــح جمرهـــا يا بكر أمنة المبارك بكرهــــا
ولدته محصنة بسعد الأسعد

قمرا أفاد الشمس باهــر فضلهـــا صبحا جلا للأرض ظلمة جهلهــا
بدءا لتقوى الله خاتـــم رسلهـــا نورا أضاء على البرية كلهــــــا
15 من يهد للنور المبارك يهتد

---

11) يا منجيا : ل. لامنجيا ك.
13) قمرا : ل. ممن : ك.

---

568) الحين : الموت.
569) صبحت : سقيت صبحا. والاسود العظيم من الحيات وفيه سواد.

بمزاره يمحو ارشاد غينـــــــا وقلوبنا سبقت إليـــه مطينـــــــا
وبحفظ سنته نميــز تقينـــــــا يا رب فاجمعنا معا ونبينـــــــا
في جنة تثني (570) عيون الحسد
سدد لنهج محمد أعمالنـــــــا أمن بجـاه محمـد أوجالنـــــــا
5 يسر بفضـل محمـد امالنـــــــا في جنة الفردوس فاكتبهـا لنـــا
يا ذا الجلال وذا العلى والسؤدد
كل الورى في حزني المتـــدارك إنسا وجنا ثم زهر ملائــــــك
قد ساعدوا جفني بدمع سافـــــك تالله أسمع (571) ما حييت بهالك
إلا بكيت على النبي محمـــد
10 بحر الرزية شط مـــدرك شطـــه لا جفن إلا ناثر من سمطه (572)
درا دهاهم كربهم عن لقطـــــــه يا ويح أنصار النبي ورهطـــــه
بعد المغيب في سواء الملحد (573)
في آل قيلة (574) بالوداد أصرح وبمنتمى يمنـى اليهـم أجنـــح
يا ويحهم ومصـاب أحمـد يفـدح ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحـوا
15 سودا وجوههم كلون الإثمد

---

8) ساعدوا : ل. ساعد : ك.
تالله ـ كذا في النسختين. وفي الديوان (والله).
ماحييت ـ كذا في النسختين. وفي الديوان (ما بقيت).

---

570) تثني : تصرف وتدفع.
571) يريد والله لا اسمع. على حد قوله تعالى : ((تالله تفتأ تذكر يوسف)).
والمعنى : يمين الله لا أسمع نعي محمد إلا بكيت.
572) شط الأولى بمعنى بعد. وشط الثاني بمعنى الشاطىء : الساحل.
والسمط : خيط الخرز : اللؤلؤ.
573) المغيب : هو الرسول ـ عليه السلام. وسواء الملحد : وسطه.
574) آل قيلة : هم الأوس والخزرج ـ ويعنى بهم الأنصار.

ويقول قائلهم (575) فيعظم فخره حل الرسول بنا وطاب مقـــره
فلنا مهاجره ومنـــــا نصـــــــره ولقد ولدناه (576) وفينا قبره
وفضول نعمته التي لم تجحد

كنا كتائبه وبيـــت كتابـــــه والقائمين بخطبـــه وخطابـــه
5 وغدا نكـون الصفـو مـن أحبابـه والله أكرمنا به وهـدى بـــــه
أنصاره في كل ساعة مشهد

تمجيد أحمد في العوالم افشـــــه وارقم به طرس الوجود ووشه (577)
واغد ولو أضحى صداك بنعشــه صلى الإله ومن يحف بعرشـــــه
والطيبون على المبارك أحمد

---

3) التي لم تجحد ، كذا في النسختين. وفي الديوان (بنا لم تجحد).

4) بخطيه ؛ ل. بخطبه ؛ ك. ولعل الصواب ما اثبتناه.

7) الوجوه ، ل. الوجود ؛ ك.

---

575) لعله يشير إلى الحوار الذي دار بين المهاجرين والأنصار في شأن الخلافة بعد موت الرسول عليه السلام.

576) يعنى بنى النجار الذين هم اخوال الرسول ـ عليه السلام.

577) وشى الثوب ، زينه بالألوان.

تخميس الحسانية الثالثة، وهي بالسحر الحلال نافثة :

أساء بالناس دهر كان أنقهم وأوسع العهد نكثا حين واثقهم
يا من ثوى بين أبرار ورافقهم نب المساكين أن الخير فارقهم
مع النبي تولى عنهم سحرا
5 سان الرسول فأشجاني مواصلتي من غيث عاجلتي ؟ من غوث اجلتي ؟
من ذا يصحح لي فرضي ونافلتي من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي
ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
من نرتجيه فيولينا صنائعه من نجتديه فيصفينا مشارعه
من نقتفيه فيهدينا شرائعه أم من نعاتب لا نخشى جنادعه (578)
10 إذا اللسان عتا في القول أو عثرا
أوحى له الله بالإسلام يشرعه وفي غد لمقام الحمد يرفعه
وفي العصاة بتنويه يشفعه كان الضياء وكان النور نتبعه
بعد الإله وكان السمع والبصرا
الأمن بين مغانيه ومسجده واليمن بين مثانيه ومسنده
15 كنا مواتا فأحيانا لمولده فليتنا يوم واروه بملحده
وغيبوه وألقوا فوقه المدرا

13) نتبعه : ل. يتبعه : ك.

578) الجنادع ، أوائل الشر، أول المناكر.

كنا سبقنا فجرعنا كــؤوس ردى فالحين أسهل من يوم به فقــدا
أوليتنا حين ذبنا إثــره كمــدا لم يترك الله منا بعــده أحــدا
ولم يعش بعده أنثى ولا ذكراً
أبناء قيلـة لا تسئـل بثكلهــم لو أن خير الورى يفدى ببذلهــم
5 جادوا بأنفسهم طرا وأهلهــــم ذلت رقاب بني النجـار كلهــم
وكان أمرا من الرحمان قد قدرا (579)
لـم يعهـدوا مثلـه زرءا لمثلهــم حالت حلاهم به من فرط خبلهم
وفرقت حادثات جمـع شملهــم واقسم الفيء دون النـاس كلهــم

تخميس الحسانية الرابعة، وهي على المنازع نازعة، وفي أحلى المشارع شارعة

الحمد لله حمدا دائما أبـــــدا سمى بأحمد من في الغيب قد حمدا
10 خير العباد وأهدى الأنبياء هـدى آليت ما في جميع الناس مجتهدا
مني ألية بر غير إفناد (580)
يمين صدق لأصناف التقى جمعت وبالخلوص لدى الرحمان قد نفعت
ومن خمولي غداة الحشر قد رفعت تالله ما حملت انثى ولا وضعــت
مثل الرسول نبي الأمة الهادي

---

(579) جاء في هامش نسخة (ل) التخميس التالي ،

لم يعهد مثلـه رزءا لمثلهــــــــم حالـت حلاهـم بـه مـن فـرط خبلهـم
وفرقـت حادثـات جمـع شملهــــم واقسـم الفـيء دون النـاس كلهـــم
وبدوه جهارا بينهم هدرا
ولم يوجد هذا المخمس في ديون حسان. ولعله مجرد طرة. ولذا لم نثبته في الصلب.

(580) اليت الية ، حلفت حلفة ، مجتهدا ، غير مقصر. إفناد ، كذب.

الله أهدى له أزكى تحيتـــــه وطهر السر من صافى طويتـــه
وصاغ من قدسه عظم سجيتـــه فما برا الله خلقا من بريئتـــه
أوفى بذمة جار أو بميماد

ولا غمام يروى من سواكبـــه ولا هلال تجلى في كواكبـــه
5 ولا صباح يجلى من غياهبـــه مثل الذي كان فينا يستضاء به
مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد (581)

يا سيد الأنبياء السادة العظمـــا يا لهفنا لمصاب فيه قد عظمـــا
حق انتشار نجوم وانفطـــار سمـــا أمسى نساؤك عطلن البيـوت فمـــا
يضربن فوق قفا (582) ستر بأوتاد

10 ترحة لم تدع للمسلمين جلـــد وفجعت أمهات المومنين فقـــد
أصبحن بين جوى حزن وبرح كمد مثل الرواهب يلبسن المباذل قـــد
أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

قسمت قلبي على الأشجان والفكر تقسم الطرف بين الدمع والسهـــر
لم تبق بعدك لوعاتي ولم تـــذر يا أفضل الناس انى كنت في نهر
15 أصبحت منه كمثل المفرد الصادي (583)

---

581) جاء في الديون تقديم بيت ،
(فما برأ الله ...) على البيت ، (من ذا الذي كافينا ..)
ويلاحظ ان ابن حبيش لم يخمس بعض الأبيات ، ولعلها لم تثبت في نسخة ديوانه.
582) قفا ستر ، خلفه ووراءه ـ ويعنى بذلك ان بيوت النبي أصبحت بعده لا يقصدها أحد.
583) المباذل ـ أواد بها المسوح ، وثبتت كذلك في الديوان.

583) (في نهر) ـ يعنى ريان. (والصادى) من الصدى ، العطش الشديد.

كمل تخميس المراثى التي بهر ما اشتهر من احسانها. وأجاد ما أراد منطق حسانها، فصلى الله على المرثى بها ملء سمواته وأرضه. ورضي الله عن الواقي بأبيه وجده وعرضه ، يتلوها ان شاء الله تعالى - تخميس معارضاتها من قصائد ابن أبي الخصال، المتصلة بما قبلها أبدع 5 الاتصال، سلكت مهيع المخلص الوافي، وعضدت المتقدمات عضد القوادم بالخوافي، وحذت بالغافقية الأندلسية، حذو النجارية القدسية، - فـــي المعاني والقوافي، وتخميس اثنتين له أيضا، فاض بحرهما فيضا، وهما في الرتبة سنيتان، وفي النسبة حسينيتان، فجملة المخمسات أربع يثربيات، صحابياتها بثوب الثواب مشتملة، وست مغربيات، سحابياتها بصوب 10 الصواب منهملة، تلك عشرة كاملة، ولموصول القبول بفضل الله أملة، والله تعالى ينفع بكل ما أخلص لوجهه من قربة، ويفرج بها في الدارين كل كربة.

قال جامع هذا الموضوع أحمد بن محمد المقري - وفقه الله - : سقط من هذه النسخة التي رأيت - القصيدتان الحسينيتان، فلذلك لم 15 نكتبهما بعد الأربع الآتية، ولنعد إلى كلام هذا الشيخ فنقول : قال - رحمه الله ورضي عنه - :

تخميس الخصالية الأولى - ولله ولرسوله المنة الطولى

أفق عن هوى سعدى فما الشيب مسعد وقرب مطايـا للخطايـا تبعـد
وحث ركابا فوقها الركب ينشد ، بطيبة آثار تحج وتقصـد
20 ودار بها لله نور مخلد

فويح المعنى (584) بين هم وهمة يشوقه مثوى ثواب ورحمة
ومرقى دعاء من نبوة عصمة ومهبط جبريل بوحي وحكمة
يبينها للعاليمن محمد
وحق لنفسي أن تطيل غمومها وقد شوقتها لو أطالت قدومها
5 ديار تباهي من سماء نجومها ومظهر آيات كأن رسومها
على ما محا منها البلى تتجدد
فيا حسرتا من للكسير بنهضة ومن لي من برق العقيق بومضة
أبعد النوى عن طيبة طيب غمضة وفي مسجد التقوى تأرج روضة
عليها من الفردوس ظل ممدد
10 أتروي الصدى من عذب رومة شربة أتقصد من غرب به الدار غربة
معاهد تقديس بها النفس صبة يفاوحها طيب الجنان وتربة
تبوأها من جنة الخلد أحمد
عراص على الأحراس محروسة البقا بها أربع الهادى تشوق إلى اللقا
ومسجده البر الذي اختار وانتقى ومنبره الأعلى على ذروة التقى
15 وجذع له فيه حنين مردد
ومشهد أبرار لدى أحد قضت وخندق أحزاب رأته فقوضت
ومدفن صحب أرضت الله وارتضت ومولد إبراهيم حيث تمخضت
به أمه مثوى كريم ومولد

---

7) للكسير : ك. الكسير : ل.

---

584) المعنى - بتشديد النون - الصب.

أجل أب فاق الأنام فخـــــاره يسر بخير ابن زكي نجـــاره
ولم لا يحوز المجد ســام منــاره وموقعه مـن نفســه واختيـــاره
له اسم خليل الله فخر مشيد
معالى رسول الله للدهر زينـــه وأبكى الورى حتى الحياسح عينـه
5 أسـاه لنجل حان للخلد بينـــه وإعلانه بالحزن تدمع عينـــه
له رحمة والنفس ترقى وتصعد
تحفيه بالأصحاب أعلى لهم يــدا وأصهاره الصديق تمـم مقصـــدا
لألفتهم دنيا وأخرى وملحـــدا ومبنى على - والهدى يألف الهدى
بفاطمة نور بنور يقيد
10 مصلاه يزهى من مناجاة ربـــه ومجلسه الأسمى يغـص بصحبـه
كما حف بدر ليل صحو بشهبـه ومولد سبطيه وريحـان قلبـــه
مكانهما من عاتقيه ممهد (585)
معالم هدي نورها قد تألقـــــا بحيث دعا المختار للبر والتقـــى
وحيث التقى بالروح أشرف ملتقى وحيث ارتقت منه أمامة (586) مرتقى
15 يقوم بها حبا لها ثم يسجد (587)

---

585) يشير إلى حديث ، هما ريحانتاى من الدنيا - وقد ذكرنا ذلك سابقا ، وفاتنا أن نذكر أن الحديث أخرجه البخاري في الصحيح انظر فتح الباري 8 / 100.
ويشير كذلك إلى ماروى أنه - صلى الله عليه وسلم - وقف يصلي بالمسلمين، فجاء الحسن وهو ساجد ، فجلس على ظهره، فرفعه رفعا رفيقا، فلما فرغ من الصلاة، وضعه في حجره - الحديث.

586) هي امامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، حفيدة الرسول ، وأمها زينب بنت الرسول - عليه السلام.
انظر في ترجمتها ؛ الاستيعاب ج 4 / 1788 - 1790.

587) يشير إلى حديث أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يحب امامة بنت زينب، وكان ربما حملها على عنقه في الصلاة.

وحيث حباه الله نصر لوائــــه فمكنه في الأرض بعد اصطفائــه
بما جل من اسمائه لسمائـــــه وحيث بنى بالطيبات نسائــــه
بعصمته الوثقى وجبريل يشهد
حلى أمهات المومنين جهاتهـــا تنسى شموسا في سماء سماتهـــا
5 بما راق من آياتها وإياتهـــــا ومتلى كتاب الله في حجراتها (588)
يقمن به بالليل ـ والناس هجد

ديـار لأمـر اللـه فيهـا إدارة وللوحي بشر بينها وبشـــارة
إلى حجر فيهـا أضاءت حجـــارة وتمت لأصحاب الكساء (589) طهارة
من الله يحييها الكتاب المؤيد (590)
10 مدارس قرآن يزكي حضورهـــا موارد إحسان تفيض بحورهـــا
مطالع رضوان تجلت بدورهـــا معاهد إيمان تألق نورهـــا
ففي كل أفق جذوة تتوقد
بأحمد أزرت بالنجوم أنافـــة وأحسن صحب الهدى فيها خلافة
إلى أن جنت عين التكامل آفـة وكانت أمانا ثم عادت مخافـــة
15 فزائرها فوق الردى يتوسد

---

588) الآيات جمع آية. والاياة ـ اياة الشمس ، دارتها وهالتها. (ومتلى كتاب الله في حجراتها) ـ يعني به قوله تعالى «واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة».

589) يعني بأصحاب الكساء ، علي وفاطمة والحسن والحسين ـ وقد لفهم فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ذهب للمباهلة التي يشير إليها قوله تعالى «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم. فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم. ونساءنا ونساءكم. وأنفسنا وأنفسكم. ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين».

590) يشير إلى قوله تعالى ، «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

فيا ليت أجفاني غمام لمحلهـــا ومن نفسي مسرى نسيم لنخلـها
ولكن إذا بلته عيني بوبلهـــا فيا أيها الدار التي حق أهلهـــا
على الناس طرا دائم ليس ينفد
لقد أغرقتني بالدموع وأعطشـــت صنوف صروف في ضيائك أغطشت
5 وامحان بؤسي في معانك قد فشت لقد درست منك المعاني وأوحشت
وكان إليك الدين يأوي ويصمد

لئن عاق جسمي سقمه ووســاده وأودى بطرفي دمعـــه وسهـاده
فقلبي يشق البيد(591) والشوق زاده ذكرتك ذكرى من يهيم فـــؤاده
بقربك لكني على القرب مبعد
10 تصورت عصرا في علاك تألقـــا وكل القرى مثل القرى لك تنتقى
ولا ملك إلا انقاد أو قيد موثقـــا ومثلت لي في بهجة الدين والتقى
وأمر رسول الله يعلو ويمهد
إذ انصرف الجبار عنك بجبهـــه سميما مطيعا في رضاه وكرهـــه
وإذ نصر المختار في كل وجهـــه وإذ برقت نورا أسارير وجهـــه
15 فزحزح قطع الليل والليل أسود
وبدلت الأملاك عـــزا بذلـــة لمبدل أنصاب بمنصـوب قبلـــة
أطاعت له إنس وجن بجملـــــة وألقت إليه الأرض أفلاذها التـــي
تحل بها عظمى الأمور وتعقد

7) دمعي ، ل. دمعه ، ك.

591) البيد ـ جمع بيداء ، الفلاة.

لقد أمن الإيمان بعد ارتياعـــــه حلول رسول الله دار امتناعـــــه
وفتح التي كانت أحـــب بقاعــه وغزو تبوك ثم حج وداعـــــه
ولم يبق تبيين ولم (592) يبق مشهد

ذكرتك اذ حاباك عيش بصفـــوه وإذ سحب الاسلام حلة زهــــوه
5 بما راق من حج الرسول وغـــزوه ومثلت لي والمسلمون بشكــــوه
فرائصهم من روعة البين ترعد

فلا قلب إلا مستطار مشــــوق ولاطرف إلا ينهمى ويـــــورق
ولا بدر إلا وهو يمحي ويمحـق وقد جلل الدنيا ظلام مطبــــق
يخال به ليل على الناس سرمد

10 وكان الورى قد سرهم نيل سؤلهم وقد أملوا محو العـدى بنصولهـــم
ففاجأ رزء قاطع عن وصولهم فما راعهم إلا وفاة رسولهـــــم
وكل يرى أن الرسول مخلد

رجوا مكثه يمطي البلاد هدونهـا شهيدا عليهم مدة يلبثونهـــــا
إلى أن يوافوا جنة يدخلونهــــا وقد ذهلوا ان التي يقرؤونهـــا
15 إذا جاء نصر (593) الله للموت مرصد

فأقصد سهم (594) الرزء كل الخلائق وعوض في الآفاق صبـح بغاسـق
وشابت من الولدان سود المفـارق وودع جبريل وداع مفــــــارق
ولا عود يستثنى ولا وحي يعهد

---

592) لعله يشير إلى قوله تعالى ، ((اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا)).

593) يشير إلى احد تفاسير هذه السورة، وهو أن الله أعلمه فيها بأجله - صلى الله عليه وسلم.
وهو مروى عن ابن عباس، وقد رواه النسائي.
انظر تفسير ابن كثير 4 / 561 - 562.

594) اقصده السهم ، أصابه ولم يخطئه.

صحاب الهدى قد ريع بالبين روعها تفيض ماقيها وتذكى ضلوعهـــا
وأجفان أهل البيت طار هجوعهـا وأم أبيها مسبلات دموعهـــــا
كما انحل من سلك فريد مبدد

قال جامع هذا الموضوع - وفقه الله - ، أراد بأم أبيها مولاتنا فاطمة
5 بنت مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسب ما ذكره صاحب
الاستيعاب عن جعفر بن محمد الصادق - رضي الله عنه - أنه قال - كانت
كنية فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أم أبيها (595).
رجع إلى التخميس ،

درى صلوات الله ملء نديــــه بحب لها فيه زهت بحليــــه
10 ولو خيرت لم تبق بعـد مضيــه فأودعها سرا بكـت مـن نجيــه
وثنى بسر فانثنت تتجلد (596)

وصدع قلب الصلب تصديع قلبهـا ليتم كريميها وترويع سربهـــا
وقد كاد يدنيها النحيب لنحبهـــا وقد اعلنت عند الرسول بكربهـــا
لكرب أبيها وهو بالموت يجهد

15 تنادي وفوق الخد منثور جوهـــر أيا ابتاه كيف لي بالتبصـــــر
أيا كربتاه من حمـــام مقـــــدر فقال لها ، كفى دموعك واصبـــري
فما بعد هذا اليوم كرب يعدد

---

595) انظر ج 199. والاغاني 16 / 137. والاصابة 8 / 157.

596) النجي ، السر أو الاخبار به. والتجلد ، التصبر. ويعنى بالسر الأول اباره - صلى الله عليه وسلم - لها بحضور أجله. وبالسر الثاني ، لحوقها به.
ويأتي له هذا المعنى مشروحا بأكثر من هذا في عدة أبيات.

وسكن من إقلاقها لمصابــــه بأن لها قبل الألى في حجابــه
ذهابا إلى الفردوس إثر ذهابــه وبشرها من قرب ملحقهــا بــه
ببشرى حديث صادق لا يفند

قضى انها سباقة أهل بيتــه للقياه فارتاحت لمسمــوع صوتــه
5 وسرت بسدل كم بكت خوف فوته فيا من رأى حيا يعزى بموتــه
فيرضى كأن الموت خلد مؤبد (597)

لسيدة النسوان لم ألف مشبهــا قلت عيشها بعد النبي لحبهــا
بتول (598) أبت خدرا سوى قعر تربها فرارا عن الدنيا إلى قرب ربــها
وشحا عليها من حياة تنكد

10 وتهدئة كي لا تثور شجونهــا وتسلية كي لا تفيض شئونها (599)
وحفظا عن البقيا لعصر يخونهــا ولطفا من الله العظيم يصونهــا
وباب الرزايا المستكنات مرصد

دنت رحلة الهادي وحم شتاتهــا وفاطمة الزهــراء زهر صفاتهــا
غدت بضعة منه فحانت وفاتها (600) ولو أنها امتدت طويلا حياتهــا
15 لشرد عنها النوم ليل مسهد

---

1) اقلاقها ، ك. افلاقها ، ل.

---

597) يشير إلى حديث ، انه - صلى الله عليه وسلم - اسر إليها أنها أول أهله لحوقا به. وقال لها - مبشرا - ، (الا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين) - فاغتبطت بذلك.

598) لقبت بالبتول. لتبتلها وانقطاعها إلى الله.

599) الشؤون ، الدموع.

600) قيل انها عاشت بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمسة وسبعين يوما.

وآلمها تبديل بشـــرى بغمهـــا وحرب بني حرب بها بعد سلمها
وافشاء قوم إحنة بعد كتمهـــا وغصت على قرب بشكل ابن عمها
وفقد شهيد حزنه ليس يفقد

مواخي رسول الله دون الخلائـــق وناصره عند اعتكار المـــــآزق
5 وحامل تحقيق وحامي حقائـــق أقام كتاب الله في كل مـــارق
يقربه في زعمه وهو يجحد

لقاسطة أجرى من القسط عـادة وناكثة أفنى وأبقى سيـــــادة
وباغية سلها أتبغي زيـــــــادة فقيض أشقى الناس يدنى سعـادة
لمن هو بالإيمان أولى وأسعد

10 درى ربها إشفاقها وحنانهـــــا فنزهها عما يـروع جنانهـــا
ولو ازمنت شيئا لذمت زمانهـــا فكيف بها ـ والله يأبى هوانهـــا
بمصرع سبط أول وهو مقصد

على روحه تعطى اللهى دون عـدة ويسجد في منعاه أطول سجــدة
فكيف رضى رب كريم وجـــدة وقد جرعته حتفه كف جعـدة (601)
15 بمكرع سم مجه فيه أسود

فما أزهر الزهراء ليلة أقبـــرت بكل جليل من رضى الله بشرت
وباللحـد عن إلحاد قوم تسترت ولو حدثت عن كربلاء لأبصـرت
حسينا فتاها وهو شلو مقدد (602)

14) رب : ل. جد : ك.
17) تسترت : ل. تبصرت : كح

601) يعني جعدة بنت الأشعث زوج الحسن التي سمته.
انظر الاستيعاب 1 / 389 ـ 390. والاصابة 2 / 13.
602) الشلو : الجسد من كل شيء. والمقدد : الذي قطعت أجزاؤه.

سليل مبيد الكافرين بعضبـــه وسيد شبان الهـدى وبحسبـــه
ومن لم يقس بعد الشقيق بمشبه وثاني سبطي أحمد جعجعت (603) به
عماة جفاة وهو في الأرض أوحد

فما لذكاء بالدجا ليس ترتـدي وللمزن لم يمطر بجمـر وجلمـد
5 وشر عبيد جدلوا خير سيــــد ولم يرقبوا (604) إلا لال محمد
ولم يذكروا ان القيامة موعد

ولم يعلموا ـ والظلم يمهل مـدة بأن حقوق الله تزداد شـــدة
وأن أذى المختار يكتـب ردة وان عليهم في الكتاب مـــودة
لقرباه لا ينحاش عنها موحد (605)

10 أترجو من الهادي شفاعته غـدا عبيد حباهم عتقه فانثنوا عـــدى
وأحياهم لكن أذاقوا ابنه الـردى فيا سرع ماارتدوا وصدوا عن الهدى
ومالوا عن البيت الذين بهم هدوا

ترى بعد هذا العثر يرجى انتعاشهم وقد سلبت أرواحهم ورياشهـــم
أسود دهاهم من كلاب هراشهـــم فجلي عن ماء الفرات عطاشهـــم
وروي منهم ذابل ومهند

حسين العلى والمجد والبأس والندى ترائبه في الترب قد رضها العدى
وأطفاله عيضت بنهد تنهــــدا فيا أوجها شاهت وتاهت عن الهدى
أهذا التحفي منكم والتودد

3) اوحد : ل. أحمد : كح
18) التحفى : ل. التخفي :ك.

603) جعجعت به : حبسته وضيقت عليه ـ كما مر آنفا.
604) إلا ـ بكسر الهمزة وتشديد اللام ـ : العهد.
605) يشير إلى قوله ـ تعالى : ((قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)).

قدحتم زنادا تحرقـون بسقطـه وقابلتم حق الإله بغمطه (606)
سفكتم دما هام النبي بلقطـه وترتم رسول الله في قتل سبطـه
وبؤتم بنار حرها ليس يبرد
أتمصى أمور للنبي مطاعـة أتغزى بنوه والثغور مضاعـة
5 شققتم عصا الإسلام لم تبق طاعـة فما لكم عند الشفيع شفاعـة
ولا لكم في كوثر الحوض مورد
سميكم تسقيكم السم لا السمـى ومرجانة شبت (607) لكم مارجا حمي
ودعوتكم تدعو بكم لجهنـم لعمري لقد غادرتم كـل مسلـم
على مضض برح يقوم ويقعد
10 ملكتم وكنتم للنبوءة حسدا (608) فأصبح مالي الكفر فيكم مجـددا
أطعتم ضلالات وعاصيتم الهـدى ونغصتم المحيا وأرضيتم العـدا
فأنتم لغير الله جند وأعبد
تغيب يوم الطف عضبي ومشرعي (609) فما بيدي إلا رثائـي وأدمعـي
مضوا دون توديع فيا نفس ودعـي ويا كبدي إن أنت لم تتصدعـي
15 فأنت من الصفوان أقسى وأجلد
ولو لم أنح إلا اشتياقا إليهـم فكيف وقد جل المصاب لديهـم
سباهم عبيد (610) آبق من يديهم فيا عبرتي إن لم تفيضي عليهـم
فنفسي أسخى بالحياة وأجود

---

606) سقط الزند : ما تساقط منه. غمطه : جحده، وهظمه حقه.
607) يعني بسمية أم زياد بن أبيه، ومرجانة أم عبيد الله بن زياد.
608) يعني ملوك بني أمية.
609) عضبي : سيفي. ومشرعي : رمحي.
610) لعله يعني عبيد الله بن زياد.

أيهدم بيت الوحي بعد التشيـــد أيؤذى حبيب الله وهو به اهتدى
أيجزى على نصح بشمل مبـــدد اتنتهب الأيام أفلاذ أحمـــــــد
وأفلاذ من عاداهم تتودد
فويل يزيد حين زادت هناتــــه ففاضته من روض الجنـان جناتـه
5 ولوأصبحت ملء الملا حسناتـــه أيضحى ويظمى أحمد وبناتـــه
وبنت زياد وردها لا يصرد (611)
أتى المصطفى يهدى لنهج رشاده فلجت غواة أولا في عنـــــــاده
وثانية فتكا بأهـــــل ولاده أفي دينه في أمنــه في بـــلاده
تضيق عليهم فسحة تتورد
10 سعى ابن بغي (612) للغواية محتذى على كل زاكي النجر أروع أحوذي
بأزكى لبان للنبوءة قـد غـــذي وما الدين إلا دين جدهم الـــذي
به اصدروا في العالمين وأوردوا
بنو الأدعياء الأحريـــــاء بلعنهـم أحالوا على الابرار أسياف ضغنهم
وردوا بني الهادي دريئة طعنهـــم ينام النصارى واليهود بأمنهـــم
15 ونومهم بالخوف نوم مشرد
عميتم عن الأنوار وهي جليـــة غضضتم من السادات وهي عليـــة
لتنفذ فيكم شقـــوة أزليـــــــة وما هي إلا ردة جاهليـــــــــة
وحقد قديم بالحديث يؤكد

---

10) زكى ، ل. ذكى ، ك.
14) الهادي ، ل. العادي ، ك.

---

611) انظر درر السمط في خبر السبط ـ لابن الابار ص 57.

612) يعني ابن زياد.

مصاب سما عن كل صبر واسوة فحسبي شكوى كل مسي (613) وغدوة

لمن في يديه كل حول وقـــوة الهفى على سبطي هدى ونبـــوة

جرى لهما يوم من الشر أنكد

شريفين جاز النجم قدرهما السني حقيقين من صنفي قلوب وألســن

5 بحب صريح وامتــداح مـــدون شهيدين متبوعين من كل مومـن

بكل صلاة برة تتعهد

فيالوجيع والمقشب هــــده ويا لصريع والمشطب (614) قده

كلا السيدين استأسد الخطب عنده فهذا أذابت سورة السم كبـــده

وهذا أذابته قسى تكبد

10 أبيت الهدى تنحى (615) عليه الملاحم ونسدق فيـه ذابـل وصـوارم (616)

ألا ينتهي غاو وينهاه عالـــم فما عذر أهل الأرض والقسط قائم

وكلهم في موقف الفصل يشهد

فيا حاضريه يادعاة دعيكـــم غدرتم حسينا غدركـم بعليكـم

ستثقفكم قربا ظبا ثقفيكم (617) أيفعل هذا بابن بنت نبيكـــم

15 وليس لكم في النصر يوم ولا غد

---

1) مسي : ل. منسا : ك.

10) أبيت الهدى تنجى عليه : ل. ابنت الهدى تنحى عليها : ك.

---

613) المسي - بكسر الميم وضمها - خلاف الصباح.

614) قشبه السم : سقاه أياه. والمشطب : الذي في وجهه اثر السيف.

615) انحى عليه بالسيف : أقبل عليه به. والملاحم : الحروب.

616 الذابل : الدقيق من الرماح. والصوارم جمع صارم : السيف.

617) يعنى المختار الثقفى الثائر على بني أمية. والذي استاصل قتلة الحسين.

انظر الاصابة - ترجمة 8547. والفرق بين الفرق ص 31 - 37. وابن الاثير 4 / 82 - 108. والطبري 7 / 146.

كحلت قريح الجفن سهدا وعبـــرة وأنزعت رحب الصدر وجدا وزفرة
وأوسعت حسن الصبر صدا وهجرة أبى الله إلا أن في النفس حسرة
بغصتها أمسي وأضحى وأرقد
أنظم من دمعي نفيس جواهـــر أقلدها جيد العلى والمفاخـــر
5 وأصلت من فكري أمضى بواتـــر إلى أن يقيد الله من كل واتـــر
على أن كفأ مقنعا ليس يوجد
فلو ملىء المعمور من كل سيـــد وأنفدهم في الثأر حد المهنـــد
لما نال شسع النعل من سبط أحمد وأي دم يوفي دم ابن محمـــد
حسين وأمسى وهو سبط موحد
10 أهلة تلك الهالة النبويـــــة وأزهار تلك الدوحة العلويـــة
تهش لها الأرواح بالاريحيـــة فيا خاتم الاسباط إن تحيتـــي
تؤمك من صقع بعيد وتقصد
عساها وراجي الله لم يخش ضيعة تفرج لي كربا وتؤمن روعـــة
سرت كالضحى ضوءا وكالمسك ضوعة مثقلة بالدمع شوقا ولوعـــة
15 على زفرة من حرها أتأود
فيا نعمة للآملين جسيمـــة ويا روضة للرائضين وديمـــة
ويا حجة للزاهدين قويمـــة ويا أسوة للمسلمين كريمـــة
يلين عليها الحادث المتشدد
فلا علقم إلا برزئك قد حـــلا ولا مظلم إلا ذكرناك فانجلـــى
20 وكل أخي شجو بشجوك قد ســلا فمن ينكر البلوى وأنت بكربــلا
لذي البث والشكوى إمام مقلد

لك الرتبة العليا أناف محلهـــــا وأفضت إلى دار المقامة سبلهـــا
وما أنصفت لو داست الشهب نعلها فإن تجهل الدنيا عليك وأهلهـــا
فإنك في أهل السماء ممجد

لك البيت مرفوع السناء جليلـــه فما تقتفي الأبرار إلا دليلـــــه
5 ولا فاز إلا السالكون سبيلـــــه أبوك شفيع الناس وهو الذي لـــه
مقام كريم في البرية يحمد

هناك يلوذ المسلمون بعطفـــه وأمته تحظى بمعتاد عطفـــــه
ومن يشك من سقم الكبائر يشفه ومشرعه الحوض الروي وبكفـــه
تذاد رجال عنده وتصرد

10 تسقاه أبرار حلاهـــم إصابـــة لكل من النور البهي عصابـــة
وتحرمه الفجار فهي مصابـــــة وممن يذود الله عنه عصابـــة
بقتلك في طغيانها تتحمد

لقد عرف الدين العراق وأهلـــه نجيمك أضحى كلهـــم يستحلـــه
لك الحرب من هذا ومن ذاك خذله وذنبهم في قتلك الذنب كلـــه
15 فما لهم إلا الجحيم تغمد

فلا عمر أرضا أتت كل منكـــر وقال بها داء لذي البر ينبـــري
وما ذاك الا ان غزتـك بعسكـــــر وهل كنت إلى مثل عمك جعفر (618)
قتيلا لكفار بذي العرش الحدوا

---

618) يعنى جعفر بن أبي طالب. استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة.

وإلا كأسلاف كـــرام أعـــزة رجوا فوزهم من فتنة مستفـــزة
ونالوا بالاستشهاد أشـــرف عـــزة وإلا كليث الله جدك (619) حمزة
وحربة وحشي إليه تسدد
ومثل الألى ثابوا إلى الله وحـــده وباعوا نفوسا واشتروا منه خلـــده
5 ففازوا وحازوا أكبر الملك عنـــده ومثل أبي حفص وعثمان بعـــده
ومثل علي وهو للناس سيد
لبست حلاهم من عـــلا ومجـــادة وقاسمتهم في نيل كل سعـــادة
وفزت بحسنى مثلهم وزيـــادة وما منهم إلا غريق شهـــادة
حياتهم موصولة حين تنفد
10 معاشرك الأشراف لله درهم وأعمام صدق عم باسمك فخرهم
وأنجم فضل باهر أنت بدرهـــم دماؤهم مسك زكي وأجرهـــم
على الله لا يحصى ولا يتحدد
فيا أهل بيت بالنبوة زاهـــر ويا أبحر الجدوى وشهب المفاخـــر
ومن مدحهم للحشر أسنى ذخائـــر أقول ببث مستكن وظاهـــر
15 مضاضته عن حبكم تتولد
ثنائي منشور على القرب والنوى وصدري على محض الصفاء قد انطوى
وسري وجهري في الخلوص لكم سوا وما سرني أني خلي من الهـــوى
هوى هو في حاميم يتلى (620) وينشد

---

(619) يعني عم جدك ، حمزة بن عبد المطلب، شهد أحدا بعد بدر، فقتل يومئذ شهيدا، قتله وحشي بن حرب الحبشي.

(620) يعني قوله - تعالى ، ((قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)) - حم عسق - سورة الشورى، الآية ، 23.

ولو أن نظمي كالبحار الزواخــــر لقصر عن بعض الذي في ضمائر
ولكنني أرجو ثواب المبـــــادر سريرة حبي يوم تبلى سرائـــــري
يقوم بها عني الصفيح المنضد
فمن لي بدار أمن الله سكنهـــــا وبالكعبة العليا أقبل ركنهـــــا
5 وطيبة أثوى قبل يومي عدنهـــــا سلام على تلك المواطن إنهـــــا
لآل رسول الله طهر ومسجد
أبيت بها صبا وأصبح مغرمـــــا فروحي فيها حاضر قد تنعمـــــا
وجسمي عنها غائب قد تألمـــــا فيا رب وفدني إليها مسلمـــــا
ويا طيب مسرى من إليها يوفد
10 أيثرب هل أمسى وضوؤك حلتـــي وروضة شربي والنخيل مظلتـــي
وهل قبلة في مسك تربتك التـــي أفيض بها دمعي وانقع غلتـــي
وأتهم في ربع الرسول وانجد
لتجلى باصباح القبــول غياهبـــي وتهدى إلى قصد السبيل مذاهبـــي
وأقضي من التقوى أجل مـــآرب وأدعو إلى الرحمان دعوة تائـــب
15 إلى عفوه من طيبة يتزود
فيا رب يسر أسعد اليسر واقضـــه لعلى وحبلي مبرم بعد نقضـــه
أزور نبيئا همت في لثم أرضـــه وأسمو إلى البيت العتيق بفرضـــه
فكل به من ذنبه يتجدد

---

1) كالبحار : ل. كالبحور : ك.

13) القبول : ل. الرسول : ك.

17) بفرضه : ل. بفضله : ك.

وبعد التشفي من مقام ومشعـــــر أثنى مزار المصطفى فهو مفخـــري
لأفني عمري في الجوار المطهـر ولست على قبر الرسول بموثـــر
ليحشر من ذاك البقيع محمد
عسى منيتى تدنى قبيل منيتـــى فأرفض من دنياي كل دنيـــــة
5 بمثوى تسنى فيه كل سنيـــــة فيا رب حقق ما طلبت فنيتـــــي
هنالك والأرواح جند مجند (621)

تخميس الخصالية الثانية، ذات القطوف الدانية

لم يسبني حب الحسان الخــرد لكن بليت بشوقي المتجــــدد
لأعز لحد وسط أشرف مسجــــد هل يجمعن صباح يوم أو غـــــد
10 بيني وبين القبر قبر محمد
ياخالقي أنت المقيل لعثرتـــــي وعلمت سري في الخلوص وجهرتي
فامنن بحجتي ثم عجل زورتـــــي حتى أروى ناظري من عبرتـــــي
ويقر عيني طيب ذاك المشهد
رز نفسي بالمنى من قربـــــه وتنال عيني إثمدا من تربـــــه
15 وأنم بالهادي وخيري صحبــــه وأقبل الأرض التي حملـت بــه
بدرا يجلى كل جنح أسود
وأعيد نحو الجسم شـرخ شبابــه وأجيء بيت سعادتي من بابــــه
وأرود غيث الغيث عند مصابــــه وأعظم البلد الذي أرســــى بــــه
طود النبوءة ثابتا بالأسعد

---

4) قبيل ، ك. قبل ، ل.

621) يشير إلى حديث ، الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف

فمتى يسوق بي المزمزم ركبـــه فأحل أرضا لثمها بي أشبـــه
سجد النبي بها وناجى ربـــه أشكو إلى (622) جبل تضمن حبه
حبا أضاق تصبري وتجلدي
ومتى أحل من الحجاز معانــه فأرى بآثار الحبيب عيانــه
5 ويمثل المسكون لي سكانــه وأبلغ القلب المروع أمانــه
وأقول للنفس التي ظمئت ردى
ومتى أحث العود جما عـدوه يحكى ظليما في ظلام خطـوه
فأفوز بالعيش المهنا صفـوه وأهش للأفق المبارك جـوه
متجددا من نوره المتجدد
10 وأزور للشهداء أفضـل مشهـد وأتم عمري في جوار الأسعـد
وأشم ترب الند من ترب نـدي وأسح في أبيات ال محمـد
دمعا كمثل اللؤلؤ المتبدد
للادمى بمقتضى معقولـه فئة يؤمل جاهها لخمولـه
وبحبها يحظى بأشـرف سولـه والله يعلم أن آل رسولـه
15 آل تمكن حبهم في محتدى

آل النبوءة حقهم عنهـم زوي وبساطهم فوق البسيطة قد طـوي
عطشوا فكان العضب عذبهم الروي فبكربتي منهم أنوح وانطـوي
وبحسرتي فيهم أروح واغتدي

---

17) بكرتني ، كذا في النسختين. ولعل الصواب ما أثبتناه ، (فبكربتي)

---

622) يعني جبل احد. ويشير إلى حديث : أحد جبل يحبنا ونحبه

يا موضعا عنسا تخب برحلهــا ينوي بيثرب أن يقيل بظلهــا
في نضر غابتها وسامق نخلــها قف بالمنازل سائلا عن أهلهــا
أين النبوءة والنبي المهتدى

أين المحافل راجيات طولـــه اين الجحافل سامعات قولـــه
5 أين القبائل خائفات صولـــه أين الصحابة والصواحـب حولـه
إذ باعيوه باللسان و باليد

أين الالى باتوا ركوعـا سجـدا ولدى الحروب سطوا بأصناف العدا
في الله واختاروا على العيش الردى أين الذين بسبقهم عز الهـــدى
وعلت على الأديان ملة أحمد

10 أين الأولى نصروا الرسول بطيبة وحموا حماه بحضـرة و بغيبـــة
ناهيك من كرش هناك وعيبة (623) أين الذين لعتبـة ولشيبـــة
وإلى الوليد سموا بكل مهند (624)

أين الذين غداة بـدر صرعـــوا عمرا (625) ومن جمعت لؤى أجمع
وحموا ذمار الدين وهو مضيــع أين الذين بيوم أحـــد صرعـوا
15 ما بين مثنى في الإله وموحد

---

623) كرشي وعيبتي ، أي بطانتي وخاصتي، ويشير إلى حديث ، أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي.
انظر صحيح البخار بشرح فتح البارى 8 / 121 ـ 122.

624) أي الذين بارزوا المشركين يوم بدر، فقتلوا من صناديد قريش عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة وسواهم.
انظر سيرة ابن هشام بشرح الروض الانف 3 / 102.

625) يعنى أبا جهل ، عمرو بن هشام المخزومي، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود.
انظر المرجع السابق ص 103.

أين الاولى حضروا الوغى بعتادها فالسمر آجام على آسادهـــــا
وتريكها حبب لسيل جيادهـــا أين الذين بمؤتة وجلادها (626)
ماتوا كراما كالليوث الحرد
أين الكرام المفردون بفخرهـــم السابقون الخلق آخر دهرهـــم
5 بكريم هجرتهم وعالى نصرهـــم أين الثمانية الذين بصبرهـــم
ثابت بأوطاس (627) بصائر من هدى
صحب غدا المختار سيد حفلهـــم لما اقتفوه بقولهـــم وبفعلهـــم
عقم النساء فما يلدن بمثلهـــم يا مسجد التقوى غدوت بفضلهـم
ومكانهم في الدين أفضل مسجد
10 عمروك مكنوفا بأوقى عصمـــة والوحي يسمعهم مثانـي حكمـة
ثم ارتقوا عدنا لاسبغ نعمـــة وبقيت بعدهم مثابة رحمـــة
في غربة المستوحش المتفرد
أصبحت للعلياء جامع شملهـــا بثلاث أقمار شرفت بفضلهـــا
فاخلد ملاذا للتقى ولأهلهـــا تبكي على خير البريئة كلهـــا
15 بدموع كل مصدق وموحد
فكم انتحيت حظيهم ورضيهـــم حتى حجبت سريهم وسنيهـــم
وطويت ميتهم كنشرك حيهـــم فقد السماء كما فقدت نديهـــم
ونجيهم في مهبط أو مصعد

---

(626) أي غزوة مؤتة. وكانت في السنة الثامنة للهجرة. وقد استشهد فيها جملة من أبطال الصحابة.

(627) أوطاس واد في ديار هوازن. فيه كانت وقعة حنين. ويومئذ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - حمى الوطيس. وهو أول من قالها.
انظر الاكتفا للكلاعى 2 / 335. ومعجم البلدان (الاوطاس).

وبكى الانام على شفيع منقـــذ كان الغمام على نداه يحتـــذى
والسمر لولا بأسه لم تنفـــذ وتفرد الرحمان بالغيب الـــذي
كان الرسول بوحيه يروي الصدي
قبض النبي فرسمنا لعفائـــه أمسى به الإسلام في إشفائـــه
5 لكن تدارك ربنا بشفائـــه ولقد أقام الدين من خلفائـــه
أصهاره كل بأحمد يقتدي
سير النبي بعدلهم لا تبـــرح سنن تقام وأمة تتنصـــح
والأمر شورى والاقاصى تفتـــح وأتتك بعدهم الملـوك فمصلـــح
يضع الأمانة عند أخر مفسد
10 الحزن عندي مكسبا ووراثـــة والبعد أمعن في الفؤاد عياثـــة
فمتى أرجى بالوصول إغاثـــة يا بيت عائشة المجن ثلاثـــة
نظموا به نظم الطراز الأوحد
أرواحنا شفقا عليك أشحـــة وجفوننا بدموعها لـك سمحـــة
فيك العلى طرا لتهنك مدحة مثوى النبي وصاحبيه وفسحـــة
15 عيسى بن مريم حازها بالموعد
فقت النجوم سعادة وجلالـــة وانافة وانارة وإنالـــة
فعلى بيوت الله حزت إيالة (628) بوركت من بيت يضم رسالـــة
ونبوّة وخلافة في ملحد
بك أملت نفسي جلاء كروبهـا ما غير سكنك عد من محبوبهـا
20 وبهم وسيلتها إلى مرغوبهـا مني إليك تحية يهفو بهـا
قلب بذكرهم وحبهم ندى

---

628) أي نورا وجلالة من إيالة الشمس، دارتها وهالتها. ومر شرح ذلك قريبا.

ما للكئيب فتنجلي غماؤه (629) ولمن عصى فيغاث منه ذمـــــاؤه
إلا نبي قدســـت أسمـــــاؤه صلى الإله وأرضه وسمـــــاؤه
والعالمون على النبيء المقتدي

بالوحي في صحب يصد صداهـــم المستقل بأن يرد رداهـــــم
5 المستدل إذا يبيد عداهـــــم بالأنبياء المهتدى بهداهـــــم
رشدا تبين في الكتاب المرشد

تخميس الخصالية الثالثة، وهي بأشجانها للعباد كارثة، وبتحنانها للأكباد فارثة (630)

يا صادعا بشكاة تصدع الحجــرا من حادثات أعادت صبره صبرا (631)
10 عمت فلا وطنا أبقت ولا وطـــرا هون عليك من الأرزاء ما حضـــرا
بعد النبي ولا تعدل به خطرا

هو الرسول الذي جلت مفاخـــره زار السماء وجبريـــل مـــــوازره
يسر به كل مأمول تبــــادره واذكره في كل مكروه تحـــاذره
تلف المصاب به قد هون الحذرا

15 لي في الدجى أنة تبكـي سواجعه وهل يبيت قرير الطرف هاجعه (632)
من ذاق رزءا وجيع الثكل فاجعـه أبعد أحمد يستقرى مضاجعــــه
يودع البيت والأركان والحجرا

---

629) الغماء - بتشديد الميم - الحزن والكرب.
630) فرث كبده ، ضربها وهو حي.
631) الصبر - بكسر الباء - عصارة شجر مر.
632) سجعت الحمامة ، د هدرت ورددت صوتها. فهي ساجعة ، والجمع سواجع . الهاجع ، النائم ليلا.

فعلم الحج حتى بـان مجملـه وبلغ الدين حتى تم مكملـه
وآب تدنيه للفردوس أرحلـه مستقبلا طينه والله ينقلـه
إلى رضاه فلما يعد أن صدرا
لاحت بأحمد من شرع مناهجـه ولم يدع لامرىء شكا يخالجـه
5 بسورة النصر قد تمت مباهجـه ثم استمز (633) به شكو يمالجه
يغشى بسورته الأبيات والحجرا
فكم عقول من الأبرار طائشـة بفرقة لسهام الحزن رائشـة
شكا الرسول فما نفس بعائشـة حتى انتهى دوره في بيت عائشـة
في يومها يتبع الأنفاس والاثرا
10 رجت شفاء تغيث الدين كرته (634) ما راعها إذ أتت للحق سكرتـه
إلا اختيار رفيق فيه أثرتـه جمال في حجرها طلـق اسرتـه
غض البشاشة إلا اللمح والنضرا

فاق النبيئين في سامي سماتهـم ويقتفيهم لحب في صلاتهـم
قد أشبه القوم حتى في وفاتهـم فأذهل الناس طرا عن حياتهـم
15 موت الرسول ومنهم من نفى (635) الخبرا

---

10) كرته ، ل. كربته ، ك.

---

633) أي اشتد وجعه عليه وغلبه.

634) الكرة ، الرجعة.

635) وهو عمر بن الخطاب. انظر الروض الانف 4 / 272 ـ 273.

مافي الصدور سوى الأشجان والحرق وكل طرف رهين السهد والأرق
وكل جمع من التفريق في فـــرق فياله من نظام بات في قلـــــق
لولا أبو بكر الصديق لانتشرا (636)
خليفة المصطفى طاع الجميع له تقديمه لصلاة الفرض فضله (637)
5 رأوه نصا فما راموا تأولـــــــه إن كنت معتبرا فانظر تقللـــــه
والأرض تبر ودين الله قد ظهرا
بالفتح نال من الدنيا تمكنـــــه فحين دانت له أبدى تدينـــــه
وكم تسنت فأولاها تسننه (638) لم يرض منها سوى قبر تضمنـــه
كان الفراش له في نومه مدرا
10 يارب أسرفت لكن عذت بالكـــرم إن طال خوفي فجاه المصطفى حرمي
لثم الضريح ولو في الوهم معتصمي يا قبر أحمد هل عن زورة أمـــم
قبل الحمام تسر السمع والبصرا
متى تلوح لعين فاض صيبهـــــا عروس هدى قلوب الخلق تخطبها
تجلى بمكة والاستار تحجبهـــــا وهل إلى طيبة ممشى يقربهـــــا
15 يا طيبة ان تأتى يومه سفرا

---

636) فإنه قام خطيبا في الناس وقال : (من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لم يمت).
المرجع السابق ص 273.

637) يشير إلى حديث رواه الشيخان، عن أبي موسى الأشعري قال : مرض النبي - صلى الله عليه وسلم - فاشتد مرضه فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس، فعادت، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف، فأتاه الرسول : فصلى بالناس في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم.
انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي ص 58 - 59.

638) تسنت : تهيأت، تسننه : تمنعه، فهو قد مضى في سبيله دون أن يلتفت إليها، ولم يرض منها سوى بقبر يضمه.

متى أرى منهج الرضوان منتهجـا لبلدة يرتجى همى بها فرجـا
من زارها فإلى الأفلاك قد عرجـا فتنشق النفس في ارجائها أرجـا
يشفي السقام وينفي البؤس والضررا

وأشهد الله أني قاطع سببــي من ظالمين عتوا في الريب والريب
5 عموا بني المصطفى بالحرب والحرب (639) واستجير ببطن الأرض من كـرب
في ظهرها لم تدع شمسا ولا قمرا

ويح المشوق فكم يفنى بحسرته لمحضر زانه الهادي بحضرتـه
في أهل هجرته طرا ونصرتـه استحمل الله من أسرار قدرتـه
عزما يخوض إليه البدو والحضرا

10 ووثبة لنواصي النجم قابضـة وتوبة لكبير الاثم راحضة (640)
وهمة لدنى - الهـم رافضـة وقوة بضعيف الهم ناهضـة
وحجة تنظم الآصال والبكرا

أرجو الوفود وفودي (641) في إنارته وليس بعد عشى من غرارته (642)
كلا فكم عاد ذا وفي نضارتـه يا رب أحمد كن لى في زيارتـه
15 أقوى معين إلى أن أقضي الوطرا

---

639) كلمة (حرب) الأولى - يعنى بها المقاتلة والمنازلة. وحرب الثانية جمع حربة.

640) رحض الثوب ، غسله.

641) الوفود ، جمع وفد. وفود ، جانب الرأس.

642) يشير الى قول الشاعر ، (فما بعد العشى من عرار).

ولا وسائل تدنى كل شـــاردة من الأماني وتسنى كـل فائـــدة
سوى صلاة على المختار خالـــدة صلى الإله صلاة غير نافـــــدة
تكاثر الريح والأشجار والمطرا
على السراج المجلى الظلم والظلما على الشفيع الرفيع المنقذ الامما
5 على الأمين المكين المجتبى قدما على البشير النذير المصطفى كرما
من كل بطن وصلب طيب طهرا
على المشفع في أصحاب قبلتـــه على المبيد جيوشا قبـل حملتـــه
على الحميد مقاما يوم وصلتـــه على ابن أمنة الماحى بملتـــه
من كان بالله والإسلام قد كفرا
10 وصحبه النخب المحيين كل سنـــن عتيقهم وأبى حفص وخير سكـــن
لخير بنتين والمكنى باسم حسن (643) وأهله الطيبين الأكرمين ومـــن
آوى وساهم في البلوى ومن نصرا
وخير عمين عما أنعما ومنـــن وخير سبطين هاجا لوعة وشجن (644)
وسائر الصحب من عدنان ثم يمـن وأمهات جميع المومنين ومـــن
15 هدى هداهم ومن صلى ومن نحرا

---

10) (سكن) ـ كذا في النسختين، وكتب بهامش نسخة (ل) : (ختن) وفوقها علامة (خ).

---

643) يعنى بعتيق ـ أبا بكر الصديق، وبابى حفص عمر بن الخطاب، وبخير سكن لخير بنتين : عثمان بن عفان ، والمكنى باسم حسن : علي بن أبي طالب.

644) (خير عمين) ـ يعنى عمي الرسول ـ عليه السلام ـ وهما حمزة والعباس، (وخير سبطين) الحسن والحسين.

صلى عليه وأسماه وأعظمـــــه رب حباه من التشريف أعظمـــه

وخير وسطى لعقد الرسل نظمـــه ونضر الله حسانا (645) وأعظمه

فقد بكى ورثى في الله وانتصرا

بالمدح سر وبالتأبين قد حزنـــا يذكر الناس بالعصر الذي حسنا

5 لما رد من وحي لهذ زمنـــا أبا الوليد (646) لقد هيجت لي شجنا

وقد بعثت الجوى والحزن والذكرا

حزت الفصاحة للرضوان خاطبة بمحفل الفخر قامت عنك خاطبة

بليغة لم تكن بالليل حاطبــــة فأنت شاعر آل الله قاطبــــة

نافحت عنهم بروح القدس مقتدرا

10 أجاد في مدح للوحي باهـــرة جادت بأقطاره أخلاف قاطـــرة

بدر غيث كدر عنـه هـــادرة يارحمة الله أمـي غيـر صاغـرة

ضريحه وامسحى عن وجهه القترا (647)

لشعره تلبس الشعرى تخاملهــــا وحق أن تظهر الدنيا تخايلها (648)

به وان تصل العليا تطاولهـــا فإنه سابق والسابقات لهـــا

15 في الحق أن تمسح الاعطاف والغررا (649)

---

645) هو حسان بن ثابت. شاعر الرسول ـ عليه السلام

انظر في ترجمته

الاستيعاب 1 / 341. والاصابة 1 / 326. وتهذيب التهذيب 2 / 247

646) كنية حسان.ويكنى أبا عبد الرحمان

647) القتر : الغبرة

648) الشعرى : الكوكب الذي يطلع في الجوزاء. وتخاملها : خمائلها. وتخايلها : زهوها وفخرها

649) الاعطاف : الذيول. والغرر جمع غرة جبهة الفرس

مقلد الفخر أسلاكا منظمـــــة ولابس المجد أبرادا منمنمة (650)
وحائز الفضل أنواعا متممـــــة أبقى له منبر الانشاد مكرمـــة
عمت فلا المدر استثنت ولا الوبرا
قد اخجل الزهر زهر من كمائمـــه وروع الأسد سجع من حمائمـــه
5 ما في فحول قريش من مقاومه ولم يسل لسانا في مقاومـــه
وإنما سل سيفا صارما ذكرا

نجر سما آل نجار بمنصبـــــه ومذهب ما لوشي حسن مذهبـــه
ان قال فالكفر مقضوب بمقضبـــه يا مقولا نصر الله الرسول بـــه
لا زالت في جنة الفردوس مشتهرا

10 **تخميس الخصالية الرابعة الرافعة، الرائقة الرائعة، وهي في سماء السنا طالعة، ولأكباد الحساد خالعة**
يا فوز ركب إلى المختار قصـــاد وأسهم الشوق فيهم ذات إقصـــاد
تطير أرواحهم ان كرر الحـــادي قلبي إلى طيبة ذو غلة صـــاد
إلى البشير النذير الخاتم الهادي
15 لله واصل روح قبـل رحلتـــه لم يشك إلا لمولاه بعلتـــه
سحب البكا لا تروى فرط غلتـه إلى أبي القاسم الماحي بملتـــه
كفران كل كفور جهله بادي

(11) خالعة : ل. خاضعة : ك.

(650) أبراد جمع برد : الثوب. ونمنمه : زخرفه ونمقه.

بحر الجوى زاخر من لي بشاطئه والصبر وعر فما قلب بواطئه
قد همت في الشافعي المنجي لخاطئه حتى اعفر خدي في مواطئه
غورا بغور وأنجادا بأنجاد
فأرشف الشهد من بقيا مناهله وأقطف الزهر من ذكرى شمائله
5 وألثم المسك من ممشى رواحله وأرسل الدمع سحا في منازله
مستفرغا جهد أفلاذ وأكباد
إذا لمحت لذاك البدر هالته فالشوق يذبل من جسمي ذبالته
والصدق يسأل من روحي إسالته في حيث أودع جبريل رسالته
وحيا إليه بتوفيق وإرشاد
10 أجرى العقيق بدمع مثل ناصعه وأسال النخل تظليلا بيانعه
والمح النور من أبهى مطالعه وأشرب الماء من أروى منابعه
فطيبه قد سرى في ذلك الوادي
رحماك في مقلة عبرى مؤرقة واعطف على مهجة ولهى مشوقة
وانظر إلى كبد قرحى محرقة يا حب أحمد اني منك في ثقة
15 وأنت أحضر أعتادى وأزوادى
أنت المبلغ لا أخشى حجابته إلى الرسول الذي أرجو إجابته
فيا هواه ولا أنسى صحابته سر بي وجاور بي مآبته
حتى اضمن أكفاني وأعوادي
إلى رضى الله كن لي أوثق السبب فأنت أعظم ذخر عند منقلب
20 بك ارتجيت بلوغ السؤل والأرب وما تمكنت من قلبي ليفدع بي
ولا لتقطعني عن ذلك النادي

---

(17) سر بي وجاور في مابته : ل. سر بي إليه في معتبه : ك

لا أرهب الهم يغزوني بموكبـــه ولا أحاذر دهرا في تقلبـــــه
وقد بدا لي يجلو جنح غيهبـــه نور من الله لو أني سريت بـــه
لما افتقرت إلى هاد ولا حاد
بالهاشمي حباني العز رتبتـــه أعلى مرادي لو قبلت تربتـــه
5 وزرت في الحين أهليه وصحبتـــه لم يفرغ الله في قلب محبتـــه
إلا لأحمل فوق الرأس والهاد
لم يبق - والله - لى في العيش من أرب سوى البكور أشد الكور والقتب
ميمما خير لحد ضم خير نبـــي متى أقول لوفد الله من كثب :
يا رائحين انظروني انني غاد
10 اسمو إلى المسجد الأسمى فواطربي مقابلا روضة أبهى من الشهـــب
مقبلا تربة أشهى من الشنـــب وقد برأت إلى الرحمان من نشب
وقد تخليت على أهلي وأولادي
وقد كساني التقى مما انتقى خلعا يومي صيام وليلي سجدة ودعا
اعرضت عن عرض الدنيا وكم خدعا مستبدلا بجوار الله منقطعـــا
15 إلى الرسول انقطاع العاكف البادي

أما ذوو النسك فالرحمان يرحمهم وفي الصلاة على الهادي تنعمهم
بها يوقيهم المولى ويعصمهـــم صلى الإله وأهل الأرض يقدمهـــم
أهل السماوات من مثنى وآحاد
على سليل من استهدى بكوكبـــه على الإمام برسل من تقر بـــه
20 على الشفيع الذي يرضى بمطلبه على الذي أنقذ الله العباد بـــه
من ظلمة الكفر رشدا بعد افناد

على المؤيد بالآيات والســـور على مجير ذوى الاحجال والغـــرر
على مبيد العدا بالنصر والظفـــر على ابن أمنة المختار من نفـــر
ما فوق مجدهم مرقى لمزداد

على الذي عظمت في الرسل حظوته على الذي عمت الافاق دعوتـــه
5 على الذي أفنت الكفار سطوتـــه على النبي الذي تمت نوبتـــه
وادم طينة قدت لأجساد (651)

على مقيم فروض للتقى وسنن على الذي سن للإيمان خير سنن
على الذي ملأ الدنيا هدى وهدن عليّ الرسول ابن عبد الله أكرم من
أورى بنور أضاء في الأرض وقاد

10 دامت عليه صلاة الله ماطـــرة غيث الرضى أبدا لاقلت خاطـــرة
للمسك في طيب رياه مشاطـــرة وبعده صلوات الله عاطـــرة
على الصحابة أعدادا بأعداد

على الذين بصفو الود أتحفهـــم من صحبه السادة الحامين موقفهم
يوم الهياج بنصر قد تكنفهـــم وأهله الطيبين الأكرمين فهـــم
15 في الأرض أطهر غياب وشهاد

قبل الممات أرجى لثم تربتهـــم وفي المآب عسى لمح لرتبتهـــم
قد تؤنس العبد سادات بصحبتهـــم يا رب واحفظ مقامي في محبتهم
فانها - وإليك المنتهى - زادي

---

651) يشير إلى حديث ، نبئت وان أدم لمجدول في طينته - انظر الشفا بشرحي القارى والخفاجي ج 2 / 216.

كمل تخميس الخصاليات الأربع، المعارضة للحسانيات في مساقها الاطبع؛ والحمد لله كثيرا أثيرا، والشكر له منظما ونثيرا، لحميد كرمه مستثيبا ولمزيد نعمه مستثيرا.

انتهى التأليف بحروفه.

---

(1) بحروفه : ل، المدارك : ك

وجاء في نسخة ك، زيادة ما يلي :

بحول الله وتوفيقه، وعلى نهج السلف الصالح وطريقه، ضحوة يوم الجمعة الرابع من جمادى الثانية من سنة تسع وخمسين ومائة وألف

وكتب هذا التاريخ المبارك ، المسمى بـ ((أزهار الرياض، في أخبار عياض)) ـ لخزانة مولانا الإمام، العلم الهمام، المعتصم بحبل الله القوي المكين، المعتمد على لطفه الشامل وفضله العميم المبين، الأمير المعظم، المصقع الأعظم؛ الذي طلع في سماء العلوم بدرا مشرقا، وصارت براعته غربا ومشرقا؛ فهو شيخ المعارف وإمامها، ومن في يديه زمامها، لديه تنشد ضوال الاغراب، وتوجد شوارد لغات الاعراب، إلى مقطع دمث ، ومنزع في النفاسات غير منتكث؛ فجاء بالاغراب باهرا محفوفا، ولامع أنواره كالخريدة مزفوفا، فهو عين العناية، بالافصاح والكناية؛ اشتمل على المحاسن اشتمال الليل، وانفرد بالمحاسن، انفراد سهيل؛ ودرت فيه اخلاف الابداع، وزرت عليه جيوب الانقطاع؛ وأفصح فيه لسان البيان، وسح عليه عنان الافتنان؛ جاء على قدر، وسبق إلى نيل المعالي وابتدر؛ استيقظ لها والناس نيام، وورد ماءها وهم حيام؛ وثل من المعارف ما أشكل، وأقدم على ما أحجم عنه سواه ونكل ؛ وهو كما قيل :

مولى يروق بيانه وبنانه	للطرف في التحرير والتحبير
فطن بكل دقيقة وحقيقة	وغريبة وعسيرة ويسير
فيكاد قبل سؤاله بفراسة	ينبيك عن مكتوم كل ضمير

فتحلت به للعلوم نحور، وتجلت له منها حور؛ ((كأنهن الياقوت والمرجان))، ((لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان))؛ قد ألحفته الاصالة رداءها، وسقته انداءها؛ وألقت إليه الرئاسة مقاليدها، وملكته طريفها وتليدها؛ فتشوقت لعلاه الاقطار، ووكفت تحكى نداه الأمطار؛ فبذ على مشيخته هام الكهول ـ سكونا وحلما ـ ويسبقهم معرفة وعلما؛ وهو على

اعتنائه بعلوم الشريعة. واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة؛ يعنى باقامة سياسة الملك والآداب. فينثال اليه اربابه من كل حدب؛ فيكرع من ورده الوارد، ويظمأ عن منهله الشارد؛ ذو المقام الرفيع العلي. المفوض الأمر للملك العلي؛ أبي الحسن علي الباشا. بلغه الله من أرفع المراتب في الدارين ما شاء الواضع طبعه هنا. دام له ـ بحول الله وقوته ـ العز والهناء؛ خلد الله تعالى علو تاج مفرقه. وهلال أفقه، وشمس سلطنته، وأقمار دولته؛ ماثبت نجم على الأفلاك الدائرة. أوافل على الافلاك السائرة، اللهم امدد ظلال رأفته على الانام، مدى الليالي والأيام، بالنبي واله واصحابه الكرام. امين يارب العالمين.

انتهى الجزء الخامس من

((أزهار الرياض، في أخبار عياض))

تأليف أبي العباس المقري

وبه تم الكتاب

الفهـــــارس :

1 ـ فهرس الاعلام.

2 ـ فهرس القبائل والشعوب والطوائف.

3 ـ فهرس البلدان والامكنة.

4 ـ فهرس الاشعار.

5 ـ فهرس الكتب الواردة في المتن.

6 ـ فهرس مصادر التحقيق.

7 ـ فهرس الموضوعات.

1 - فهرس الاعلام

(أ)

(ابو)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ي)

2 ـ فهرس القبائل والشعوب والطوائف

3 ـ فهرس البلدان والامكنة

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

4 ـ فهـــرس الاشعـــار :

القافية			البحــــر	قائلـــــــه	صفحة
عياض	....	بالملفى	طويل	القبتوري	8
راى	....	فقضى	بسيط	مجهول	39
أتى	....	الداء	طويل	المكلاتى	81
بينما	....	تلقائه	خفيف	ابن عقال	148

(ب)

القافية			البحــــر	قائلـــــــه	صفحة
واهيف	....	الكواذب	طويل	رفيع الدولة	145
افدى	....	بالعتب	طويل	رفيع الدولة	145
امنبر	....	خطيب	مخلع البسيط	المنيشى	150
سل	....	الركب	طويل	علي بن جودى	154
جلت	....	التغرب	طويل	ابن حبيش	175
إذا	....	الغربا	طويل	على بن جودي	154
الا	....	حبيب	وافر	علي بن جودى	154
اما	....	الطرب	المنسرح	ابن ابي الخصال	173

(ت)

القافية			البحــــر	قائلـــــــه	صفحة
غشت	....	العيرات	طويل	امرؤ القيس	39
وعمرو	....	تعنيتا	بسيط	المعرى	52
يا ناصحي	....	مفتات	بسيط	المنيشى	150
يا ذا	....	الوزارات	بسيط	المنيشى	[illegible]
يا حبذا	....	وما عرفت	المنسرح	ابن ابي الخصال	172

(د)

القافية			البحــــر	قائلـــــــه	صفحة
بمخضب	....	يعقد	الكامل	النابغة	62

5-فهرس الكتب الواردة في المتن

(أ)

(ت)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

6 ـ فهرس مصادر التحقيق :

(أ)

ـ الاحاطة في اخبار غرناطة، لابن الخطيب ـ مخطوط الاسكوريال.

ـ الاحاطة في اخبار غرناطة لابن الخطيب، ط مصر 1339 هـ.

ـ ارشاد الاريب (معجم الادباء) لياقوت الحموى ط مصر 1925

ـ ازهار الرياض في اخبار عياض ـ الاجزاء المطبوعة الاربعة ـ نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ الرباط ـ المغرب

ـ الاستقصا، لاخبار دول المغرب الاقصى ـ لابي العباس الناصري ط دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ المغرب 1954.

ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق البجاوي ط نهضة مصر

ـ الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة للملا على القارى ـ تحقيق محمد الصباغ ـ ط دار القلم ـ بيروت 1391 ـ 1971.

ـ الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ـ المطبعة الشرقية 1325 ـ 1907.

ـ الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام لعباس بن ابراهيم ـ المطبعة الجديدة بفاس.

ـ أعمال الاعمال لابن الخطيب، نشر دار المكشوف بيروت ـ لبنان ـ 1956.

ـ الاغاني لابي الفرج الاصبهاني، نشر دار الفكر بيروت 1956.

ـ الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ـ نشر دار مكتبة الحياة بيروت.

ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادي ـ نشر مكتبة المثنى ـ بغداد.

ـ البحر المحيط (تفسير) لابي حيان الغرناطي مطبعة السعادة بمصر.

ـ البداية والنهاية لابن كثير، ط مصر 1351 ـ 1358 هـ

ـ البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم، ط الجزائر 1326 ـ 1908.

(ب)

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ـ لابن عميرة الضبي ط مجريط 1884م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ لجلال الدين السيوطي. نشر دار المعرفة بيروت.
- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب. لابن عذاري المراكشي ط دار الثقافة بيروت ـ لبنان.

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس ـ للشيخ مرتضى ط مصر 1306 ـ 1307 هـ.
- تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبري ـ مطبعة الاستقامة بمصر 1126 هـ.
- تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي ط مصر 1349 هـ.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي ط دار التراث بيروت 1389 ـ 1969.
- تاريخ عصر المرابطين ـ لمحمد عنان ط لجنة التاليف والترجمة والنشر 1384 ـ 1964.
- تاريخ الفكر الاندلسي، تأليف انخل جنثالث بالنثيا. نقله عن الاسبانية ، حسين مؤنس ط مصر 1955.
- تذكرة الحفاظ للذهبي ط دار احياء التراث العربي بيروت.
- التعريف بالقاضي عياض لولده محمد، تحقيق الدكتور محمد بنشريفة.. نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ المغرب.
- التكملة لكتاب الصلة. لابن الابار طبع مصر جزآن (1 ـ 2).
- التكملة لكتاب الصلة لابن الابار. طبع مجريط.
- تهذيب التهذيب لابن حجر. دار المعارف النظامية. حيدر آباد 1325 هـ.
- تيسير الوصول الى جامع الاصول لابن الربيع الشيباني ط مصطفى البابى الحلبى 1353 ـ 1934.

(ج)

- الجامع الصحيح، لمحمد بن اسماعيل البخاري ط مصر 1351 ـ 1932.
- جنوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس لابن القاضي. طبع الحجر بفاس 1309 هـ
- جذوة المقتبس لابي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي تحقيق محمد بن تاويت الطنجي. نشر عزت العطار 1372 ـ 1952.

(ح)

- حرز الاماني في القراءات السبع. لابي القاسم الشاطبي. مطبعة حجازي 1352 ـ 1934.
- حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للسيوطي ـ المطبعة السلفية.
- الحلة السيراء لابن الخطيب. تحقيق حسين مؤنس. نشر الشركة العربية للطباعة والنشر.
- الحلل السندسية في الاخبار التونسية لابن الوزير ـ الدار التونسية للنشر.
- حياة الحيوان للدميري. مطبعة الاستقامة القاهرة 1383 ـ 1963.

(خ)

- الخطط للمقريزي مطبعة الساحل ـ الشياح ـ لبنان.

(د)

- دائرة المعارف الاسلامية 16 مجلدا طبع مصر
- درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي ـ دار النشر للطباعة 1390 ـ 1970.
- درر السمط في أخبار السبط لابن الابار ـ طبع تطوان 1972.
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر. نشر دار الكتب الحديثة.
- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون ط مصر 1359 هـ.
- ديوان ابن دراج القسطلي ـ تحقيق د. محمود مكي. نشر المكتب الاسلامي الطبعة الثانية.
- ديوان امرىء القيس ط دار صادر ـ بيروت.

(ذ)

- الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام (الاجزاء الثلاثة المطبوعة) ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر 1358 ـ 1939.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ـ لمحمد بن عبد الملك المراكشي ـ الاجزاء المطبوعة (1 ـ 6).

(ر)

- رحلة ابن بطوطة نشر المكتبة التجارية الكبرى 1377 ـ 1958.

- الرحلة العبدرية ـ تحقيق محمد الفاسي . نشر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ـ المغرب.
- الرسالة المستطرفة ـ لمحمد بن جعفر الكتاني ط دار الفكر ـ دمشق 1383 ـ 1964.
- الروض الانف في تفسير سيرة ابن هشام لابي زيد السهيلي. نشر مكتبة الكليات الازهرية.

(س)

- سلوة الانفاس. فيمن اقبر بمدينة فاس ـ لمحمد بن جعفر الكتاني. طبع الحجر بفاس 1316.

(ش)

- شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية لمحمود مخلوف التونسي نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ للعماد الحنبلي ـ نشر المكتب التجاري للطباعة والترجمة والنشر.
- شرح ديوان حسان ـ لعبد الرحمان البرقوقي ط مصطفى محمد 1347 ـ 1929.
- شرح الشفا للملا القارىء ـ هامش نسيم الرياض على شفا عياض.
- شرح صحيح مسلم للنووي ـ هامش إرشاد السار على صحيح البخاري. نشر دار الكتاب العربي بيروت.
- شرح نهج البلاغة ـ لابن ابي الحديد ـ نشر دار احياء التراث العربي. بيروت ـ لبنان.
- الشفا لعياض ـ مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة.

(ص)

- صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ للقلقشندي ـ نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر.
- الصلة في تاريخ علماء الاندلس لابن بشكوال ط مصر 1374 ـ 1955.
- صلة الصلة لابن الزبير طبع الرباط ـ المغرب.

(ض)

- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي. نشر دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

(ط)

- الطبقات الكبرى لابن سعد ط دار صادر بيروت 1380 ـ 1960.
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ط مصر 1324.

(ظ)

- ظل الغمامة وطوق الحمامة ـ لابن ابي الخصال ـ مخطوطة الاسكوريال رقم 1745.

(ع)

- عارضة الاحوذي في شرح صحيح الترمذي لابي بكر بن العربي ـ نشر دار العلم للجميع.
- العبر لابن خلدون ط دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.
- العقد الفريد لابن عبد ربه ط مصطفى محمد 1353 ـ 1935.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني ط لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ بيروت 1969.
- عون المعبود في شرح سنن ابي داود لمحمد شرف ـ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(غ)

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ط مصر 1353 ـ 1934.

(ف)

- فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط مصطفى البابي الحلبي 1378 ـ 1959.
- الفرق بين الفرق للبغدادي، نشر مكتبة محمد علي صبيح.
- الفهرسة لابي بكر بن خير ـ نشر مكتبة المثنى ـ بغداد 1382 ـ 1963.
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ط مصر 1356 ـ 1938.
- فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي ط مصطفى محمد 1357 ـ 1938.

(ق)

- القاموس المحيط للفيروز ابادي ـ المطبعة الحسنية بمصر 1344 هـ
- قلائد العقيان للفتح بن خاقان ط مصر 1284 هـ

(ك)

- الكامل لابن الاثير ط مصر 1303 هـ.
- كتاب سيبويه ط بولاق 1317 هـ
- كشف الظنون لحاجي خليفة نشر مكتبة المثنى - بغداد.

(ل)

- لسان الميزان لابن حجر - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت 1390 - 1971.
- لقط الفرائد لابن القاضي - دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر - الرباط - المغرب 1396 - 1976.

(م)

- مجمع الامثال للميداني - مطبعة السعادة بمصر
- مختصر ابن الحاجب في الفقه (مخطوطة خاصة).
- المختصر في أخبار البشر لابي الفداء. دار الكتاب اللبناني - بيروت
- المرقبة العليا (تاريخ قضاة الاندلس) لابي الحسن النباهي - نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
- مستودع العلامة لابن الاحمر - طبع تطوان.
- المسند للامام احمد - نشر دار صادر - بيروت.
- المطرب في اشعار المغرب لابن سعيد.
- مطمح الانفس للفتح بن خاقان - مطبعة السعادة بمصر.
- معجم أصحاب الصدفي لابن الابار.
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي - مطابع الشعب 1378 هـ.
- معجم البلدان لياقوت الحموى ط دار صادر - بيروت 1374 - 1955.
- معجم المطبوعات لسركيس - طبع لبنان.
- المعيار للونشريسي طبع الحجر بفاس 1314 - 1317 هـ
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ط دار المعارف بمصر.
- مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ط حيدر آباد 1329 هـ
- ملء العيبة (رحلة ابن رشيد) - مخطوط الاسكوريال.

(ن)

- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الاحمر - دار الثقافة - بيروت 1967.
- نسيم الرياض على شرح شفا عياض للخفاجي - المطبعة السلفية.
- نفح الطيب تحقيق إحسان عباس ط دار صادر - بيروت 1388 - 1968.
- نكث الهميان في نكت العميان للصفدى ط مصر 1329 - 1911.
- نيل الاوطار للشوكاني طبع مصطفى البابي الحلبي 1371 - 1952

(هـ)

- هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي. نشر مكتبة المثنى - بغداد 1955.

(و)

- الوافي بالوفيات للصفدى - الطبعة الثانية 1381 - 1961.
- وفيات الاعيان لابن خلكان ط القاهرة 1367 - 1948.
- الوفيات للونشريسي - دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر - الرباط 1396 - 1956.

(ي)

- يتيمة الدهر للثعالبي ط دمشق 1303 هـ

7 ـ فهرس الموضوعات

الروضة الثامنة في ثناء الناس على عياض :

تخميس ابن حبيش للمراثي الحسانية (الحدائق النيسانية)

تخميس القصائد الخصالية المعارضة للحسانيات

مطبعـــة فضالـــة ـ المحمديـــة